



الجزء الأول

من الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل
وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للامام
جار الله تاج الاسلام فخر خوارزم
محمود بن عمر الزمخشرى
غفر الله حوبته ورفع
فى الجنة درجته
آمين

ان التفاسير فى الدنيا بلا عدد * وليس فيها لعمرى مثل كشاف
ان كنت تبغي الهدى فالزم قراءته * فالجهل كالداء والكشاف كالشافى

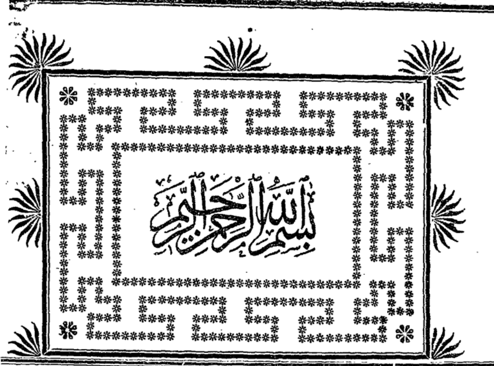
(ترجمة مؤلف كتاب الانتصاف المحلى بطرازه حواشى الكشاف)

فى شذرات الذهب فى أخبار من ذهب للعلامة عبد الحى الشهير بابن العماد قال فى ترجمة ابن المنير وفي سنة ثلاث وثمانين وستمائة توفى ابن المنير العلامة ناصر الدين أحمد بن محمد ابن منصور الجذامى الاسكندرى المالكي قاضي الاسكندرية وفاضلها المشهور ولد سنة عشرين وستمائة وبرع فى الفقه والأصول والنظر والعربية والبلاغة وصنف التصانيف وتوفى فى أول ربيع الاول سنة ٦٨٣ (انتهت عبارته)

ونص عبارة صاحب كشف الظنون * فممن كتب على الكشاف الامام ناصر الدين أحمد ابن محمد بن المنير الاسكندرى المالكي كتابه الانتصاف بين فيه ما تضمنه من الاعتزال وناقشه فى أعاريب وأحسن الجدال وتوفى سنة ٦٨٣ رحمه الله تعالى.

التزام عبد الرحمن افندى محمد
ملتزم طبع المصحف الشريف والاحاديث النبوية بالديار المصرية

الطبعة الأولى
(بالمطبعة البهية المصرية)
ادارة عبد الرحمن افندى محمد بميدان الازهر الشريف بمصر
سنة
١٣٤٣ هجرية



الحمد لله الذى أنزل القرآن كلاما مؤلفاً منظما ونزله بحسب المصالح منجما وجعله بالتحميد مفت
وبالاستعاذة مختتما وأوحاه على قسمين متشابها ومحكما وفصله سوراً وسوره آيات وميز بينهن بفص
وغايات وماهى الا صفات مبتدا مبتدع وسمات منشا مخترع فسبحان من استأثر بالاولية والقدم وو
كل شيء سواه بالحدوث عن العدم أنشأه كتابا ساطعا تبيانه قاطعا برهانه وحياً ناطقا ببينات وحج
قرآنا عربيا غير ذى عوج مفتاحا للمنافع الدينية والدنيوية مصدقا لما بين يديه من الكتب السماو
معجزاً باقيا دون كل معجز على وجه كل زمان دائراً من بين سائر الكتب على كل لسان فى كل مكان أفح
من طولب بمعارضته من العرب العرباء وأبكم به من تحدى به من مصاقع الخطباء فلم يتصد للاتيان
يوازيه او يدانيه واحد من فصحائهم ولم ينهض لمقدار اقصر سورة منه ناهض من بلغائهم على انهم كا
اكثر من حصى البطحاء واوفر عدداً من رمال الدهناء ولم ينبض منهم عرق العصبية مع اشتهارهم بالافر
فى المضادة والمضارة والقائهم الشراشر على المعازة والمعارة ولقائهم دون المناضلة عن احسابهم الخط
وركوبهم فى كل ما يرومونه الشطط ان أتاهم أحد بمفخرة أتوه بمفاخر وان رماهم بمأثرة رموه بمآثر
جردلهم الحجة ولا والسيف آخراً فلم يعارضوا الا السيف وحده على أن السيف القاضب مخراق لاع
ان لم تمض الحجة حده فما أعرضوا عن معارضة الحجة الا لعلمهم أن البحر قد زخر فطم على الكواكب
الشمس قد أشرقت فطمست نور الكواكب والصلاة على خير من أوحى اليه حبيب الله أبي القاسم
ابن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ذى اللواء المرفوع فى بنى لؤى وذى الفرع المنيف فى عبد مناف
قصى المثبت بالعصمة المؤيد بالحكمة الشادخ الغرة الواضح التحجيل النبى الامى المكتوب فى التو
والانجيل وعلى آله الاطهار وخلفائه من الاختان والاصهار وعلى جميع المهاجرين والانص
* اعلم أن متن كل علم وعمود كل صناعة طبقات العلماء فيه متدانية وأقدام الصناع ف
متقاربة أو متساوية ان سبق العالم العالم لم يسبقه الا بخطا يسيرة او تقدم الصانع الصانع
يتقدمه الا بمسافة قصيرة وانما الذى تباينت فيه الرتب وتحاكت فيه الركب ووقع فيه الاستب
والتناضل وعظم فيه التفاوت والتفاضل حتى انتهى الامر الى أمد من الوهم متباعد وترقى
أن عد ألف بواحد ما فى العلوم والصناعات من محاسن النكت والفقر ومن لطائف معان يدق فيها مباحث الفك
ومن غوامض أسرار محتجبة وراء أستار لا يكشف عنها من الخاصة الا أوحدهم وأخصهم والا واسط

وفص

وعامتهم عماة عن ادراك حقائقها بأحداقهم عناة فى يد التقليد لايمن عليهم بجز نواصيهم واطلاقهم* ثم ان املأ العلوم بما يغمر القرائح وأنهضها بما يبهر الالباب القوارح من غرائب نكت يلطف مسلكها ومستودعات أسرار يدق سلكها علم التفسير الذى لايتم لتعاطيه واجالة النظر فيه كل ذى علم كما ذكر الجاحظ فى كتاب نظم القرآن فالفقيه وان برز على الاقران فى علم الفتاوى والاحكام والمتكلم وان بز أهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص والاخبار وان كان من ابن القرية أحفظ والواعظ وان كان من الحسن البصرى أوعظ والنحوى وان كان أنحى من سيبويه واللغوى وان علك اللغات بقوة لحييه لايتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق الا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى وعلم البيان وتمهل فى ارتيادهما آونة وتعب فى التنقير عنهما ازمنة وبعثته على تتبع مظانهما همة فى معرفة لطائف حجة الله وحرص على استيضاح معجزة رسول الله بعد أن يكون آخذا من سائر العلوم بحظ جامعا بين أمرين تحقيق وحفظ كثير المطالعات طويل المراجعات قد رجع زمانا ورجع اليه ورد ورد عليه فارسا فى علم الاعراب مقدما فى حملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس دراكا للمحة وان لطف شانها منتبها على الرمزة وان خفى مكانها لا كزا جاسيا ولا غليظا جافيا متصرفا ذا دراية بأساليب النظم والنثر مرتاضا غير ريض بتلقيح بنات الفكر قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف وكيف ينظم ويرصف طالما دفع الى مضايقه ووقع فى مداحضه ومزالقه (ولقد رأيت) اخواننا فى الدين من أفاضل الفئة الناجية العدلية الجامعين بين علم العربية والاصول الدينية كلما رجعوا الى فى تفسير آية فابرزت لهم بعض الحقائق من الحجب أفاضوا فى الاستحسان والتعجب واستطيروا شوقا الى مصنف يضم أطرافا من ذلك حتى اجتمعوا الى مقترحين ان أملى عليهم الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الاقاويل فى وجوه التاويل فاستعفيت فابوا الا المراجعة والاستشفاع بعظماء الدين وعلماء العدل والتوحيد والذى حدانى على الاستعفاء على علمى انهم طلبوا ما الاجابة اليه على واجبة لان الخوض فيه كفرض العين ما ارى عليه الزمان من رثاثة احواله وركاكة رجاله وتقاصر هممهم عن ادنى عدد هذا العلم فضلا ان تترقى الى الكلام المؤسس على علمى المعانى والبيان فامليت عليهم مسئلة فى الفواتح وطائفة من الكلام فى حقائق سورة البقرة وكان كلاما مبسوطا كثير السؤال والجواب طويل الذيول والاذناب وانما حاولت به التنبيه على غزارة نكت هذا العلم وان يكون لهم منارا ينتحونه ومثالا يحتذونه فلما صمم العزم على معاودة جوار الله والاناخة بحرم الله فتوجهت تلقاء مكة وجدت فى مجتازى بكل بلد من فيه مسكة من اهلها وقليل ما هم عطشى الاكباد الى العثور على ذلك المملى متطلعين الى ايناسه حراصا على اقتباسه فهز ما رأيت من عطفى وحرك الساكن من نشاطى فلما حططت الرحل بمكة اذا أنا بالشعبة السنية من الدوحة الحسنية الامير الشريف الامام شرف آل رسول الله أبى الحسن على بن حمزة بن وهاس أدام الله مجده وهو النكتة والشامة فى بنى الحسن مع كثرة محاسنهم وجموم مناقبهم أعطش الناس كبدا وألهبهم حشى وأوفاهم رغبة حتى ذكر أنه كان يحدث نفسه فى مدة غيبتى عن الحجاز مع تزاحم ما هو فيه من المشادة بقطع الفيافى وطى المهامه والوفادة علينا بخوارزم ليتوصل الى اصابة هذا الغرض فقلت قد ضاقت على المستعفى الحيل وعيت به العلل ورأيتنى قد أخذت منى السن وتقعقع الشن وناهزت العشر التى سمتها العرب دقاقة الرقاب فاخذت فى طريقة أخصر من الاولى مع ضمان التكثير من الفوائد والفحص عن السرائر ووفق الله وسدد ففرغ منه فى مقدار مدة خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه وكان يقدر تمامه فى أكثر من ثلاثين سنة وما هى الا آية من آيات هذا البيت المحرم وبركة أفيضت على من بركات هذا الحرم المعظم أسأل الله أن يجعل ما تعبت فيه منه سببا ينجينى ونورا لى على الصراط يسعى بين يدى وبيمينى ونعم المسؤل

(سورة فاتحة الكتاب)

مكية وقيل مكية ومدنية لانها نزلت بمكة مرة وبالمدينة أخرى وتسمى أم القرآن لاشتمالها على المعانى التى

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

(قال محمود رحمه الله تعالى الباء في البسملة تعلق بمحذوف تقديره بسم الله أقرأ وأتلو) قال أحمد رحمه الله تعالى الذي يقدره النحاة أبتدئ وهو المختار لوجوه الاول ان فعل الابتداء يصح تقديره في كل بسملة ابتدئ بها فعل ما من الافعال خلاف فعل القراءة والعام صحة تقديره أولى ان يقدر فلا تراهم يقدرون متعلق الجار الواقع خبرا اوصفة اوصلة اوحالا بالكون والاستقرار حيث ما وقع ويؤثرونه لعموم صحة تقديره والثاني ان تقدير فعل الابتداء مستقل بالغرض من البسملة اذ الغرض منها ان تقع مبدأ فتقدير فعل الابتداء أوقع بالمحل وانت اذا قدرت اقرأ فانما تعني ابتدئ القراءة والواقع في أثناء التلاوة قراءة ايضا لكن البسملة غير مشروعة في غير الابتداء ومنها ظهور فعل الابتداء في قوله تعالى اقرأ باسم ربك وقال عليه السلام كل امر خطير ذي بال لا يبدأ فيه باسم الله فهو أبتر ولا يعارض هذا ما ذكره من ظهور فعل القراءة في قوله تعالى اقرأ باسم ربك فان فعل القراءة انما ظهر ثم لان الاهم هو القراءة غير منظور الى الابتداء بها الا ترى الى تقدم الفعل فيها على متعلقه لانه الاهم ولا كذلك في البسملة فان الفعل المقدر كائنا ما كان انما يقدر بعدها ولو قدر قبل الاسم لفات الغرض من قصد الابتداء اذا على انه الاهم في البسملة

في القرآن من الثناء على الله تعالى بما هو اهله ومن التعبد بالامر والنهي ومن الوعد والوعيد وسورة الكنز والوافية لذلك وسورة الحمد والمثاني لانها تثنى في كل ركعة وسورة الصلاة لانها تكون فاضلة اومجزئة بقراءتها فيها وسورة الشفاء والشافية وهي سبع آيات بالاتفاق الا ان منهم [٣] من عد انعمت عليهم دون التسمية ومنهم من مذهبه على العكس (بسم الله الرحمن الرحيم) قراء المدينة والبصرة والشام وفقهاؤها على ان التسمية ليست بآية من الفاتحة ولا من غيرها من السور وانما كتبت للفصل والتبرك بالابتداء بها كما بدئ بذكرها في كل امر ذي بال وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله ومن تابعه ولذلك لا يجهر بها عندهم في الصلاة وقراء مكة والكوفة وفقهاؤهما على انها آية من الفاتحة ومن كل سورة وعليه الشافعي واصحابه رحمهم الله ولذلك يجهرون بها وقالوا قد اثبتها السلف في المصحف مع توصيتهم بتجريد القرآن ولذلك لم يثبتوا آمين فلولا انها من القرآن لما اثبتوها وعن ابن عباس من تركها فقد ترك مائة واربع عشرة آية من كتاب الله تعالى (فان قلت) بم تعلقت الباء (قلت) بمحذوف تقديره بسم الله اقرأ او اتلو لان الذي يتلو التسمية مقروء كما ان المسافر اذا حل اوارتحل فقال بسم الله والبركات كان المعنى بسم الله احل وبسم الله ارتحل وكذلك الذابح وكل فاعل يبدأ في فعله بسم الله كان مضمرا ما جعل التسمية مبدأ له ونظيره في حذف متعلق الجار قوله عزوجل في تسع آيات الى فرعون وقومه اي اذهب في تسع آيات وكذلك قول العرب في الدعاء للمعرس بالرفاء والبنين وقول الاعرابي باليمن والبركة بمعنى أعرست اونكحت ومنه قوله فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق تحسد الانس الطعاما (فان قلت) لم قدرت المحذوف متأخراً (قلت) لان الاهم من الفعل والمتعلق به هو المتعلق به لانهم كانوا يبدؤن باسماء آلهتهم فيقولون باسم اللات باسم العزى فوجب ان يقصد الموحد معنى اختصاص اسم الله عزوجل بالابتداء وذلك بتقديمه وتأخير الفعل كما فعل في قوله اياك نعبد حيث صرح بتقديم الاسم ارادة للاختصاص والدليل عليه قوله بسم الله مجراها ومرساها (فان قلت) فقد قال اقرأ باسم ربك فقدم الفعل (قلت) هناك تقديم الفعل اوقع لانها اول سورة نزلت فكان الامر بالقراءة اهم (فان قلت) ما معنى تعلق اسم الله بالقراءة (قلت) فيه وجهان احدهما ان يتعلق بها تعلق القلم بالكتبة في قولك كتبت بالقلم على معنى ان المؤمن لما اعتقد ان فعله لا يجيء معتدا به في الشرع واقعا على السنة حتى يصدر بذكر اسم الله لقوله عليه الصلاة والسلام كل امر ذي بال لم يبدأ فيه باسم الله فهو ابتر والا كان فعلا كلا فعل جعل فعله مفعولا باسم الله كما يفعل الكتب بالقلم والثاني ان يتعلق بها تعلق الدهن بالانبات في قوله تنبت بالدهن على معنى متبركا

بسم الله الرحمن الرحيم

فوجب تقديره وسيأتي الكلام على هذه النكتة (قال محمود لم قدرت المحذوف متأخراً الخ) قال احمد لانك لو ابتدأت بالفعل في التقدير لما كان الاسم مبتدأ به فيفوت الغرض من التبرك باسم الله تعالى اول نطقك واما افادة التقديم الاختصاص ففيه نظر سيأتي ان شاء الله تعالى

(قال محمود فان قلت ما معنى تعلق اسم الله تعالى بالقراءة الخ) قال احمد وفي قوله ان اسم الله هو الذي صير فعله معتبراً شرعا حيد عن الحق المعتقد لاهل السنة في قاعدتين احداهما ان الاسم هو المسمى والاخرى ان فعل العبد موجود بقدرة الله تعالى لا غير فعلى هذا تكون الاستعانة باسم الله معناها اعتراف العبد في اول فعله بانه جار على يديه وهو محل له لا غير واما وجود الفعل فيه فبالله تعالى اي بقدرته تسليما لله في اول كل فعل والزمخشري رحمه الله لا يستطيع هذا التحقيق لاتباعه الهوى في مخالفة القاعدتين المذكورتين فيعتقد ان اسم الله تعالى الذي هو التسمية معتبر في شرعية الفعل لا في وجوده اذ وجوده على زعمه بقدرة العبد فعلى ذلك بنى كلامه * اقول دعواه ان عند اهل السنة الاسم غير المسمى ممنوعة وتحقيقه قد ذكر في غير هذا الكتاب

[٣] قوله من عد انعمت عليهم الظاهر ان يقول غير المغضوب عليهم كما هو واضح فليتامل اه مصححه

متبركا بسم الله اقرأ وكذلك قول الداعي للمعرس بالرفاء والبنين معناه اعرست ملتبسا بالرفاء والبنين وهذا الوجه أعرب واحسن (فان قلت) فكيف قال الله تبارك وتعالى متبركا باسم الله أقرأ (قلت) هذا مقول على السنة العباد كما يقول الرجل الشعر على لسان غيره وكذلك الحمد لله رب العالمين الى آخره وكثير من القرآن على هذا المنهاج ومعناه تعليم عباده كيف يتبركون باسمه وكيف يحمدونه ويمجدونه ويعظمونه (فان قلت) من حق حروف المعاني التي جاءت على حرف واحد أن تبنى على الفتحة التي هي أخت السكون نحو كاف التشبيه ولام الابتداء وواو العطف وفائه وغير ذلك فما بال لام الاضافة وبائها بنيتا على الكسر (قلت) اما اللام فللفصل بينها وبين لام الابتداء واما الباء فلكونها لازمة للحرفية والجر والاسم احد الاسماء العشرة التي بنوا اوائلها على السكون فاذا نطقوا بها مبتدئين زادوا همزة لئلا يقع ابتداؤهم بالساكن اذ كان دأبهم ان يبتدؤا بالمتحرك ويقفوا على الساكن لسلامة لغتهم من كل لكنة وبشاعة ولوضعها على غاية من الاحكام والرصانة واذا وقعت في الدرج لم تفتقر الى زيادة شيء ومنهم من لم يزدها واستغنى عنها بتحريك الساكن فقال سم وسم قال * باسم الذي في كل سورة سمه * وهو من الاسماء المحذوفة الاعجاز كيد ودم واصله سمو بدليل تصريفه كاسماء وسمي وسميت واشتقاقه من السمو لان التسمية تنويه بالمسمي واشادة بذكره ومنه قيل للقب النبز من النبز بمعنى النبر وهو رفع الصوت والنبز قشر النخلة الاعلى (فان قلت) فلم حذفت الالف في الخط واثبتت في قوله باسم ربك (قلت) قد اتبعوا في حذفها حكم الدرج دون الابتداء الذي عليه وضع الخط لكثرة الاستعمال وقالوا اطولت الباء تعويضا من طرح الالف وعن عمر بن عبد العزيز انه قال لكاتبه طول الباء واظهر السنات ودور الميم و(الله) اصله الاله قال * معاذ الاله أن تكون كظبية * ونظيره الناس اصله الاناس قال

ان المنايا يطلعـ * ـن على الاناس الآمنين

فحذفت الهمزة وعوض منها حرف التعريف ولذلك قيل في النداء يا الله بالقطع كما يقال يا اله والاله من اسماء الاجناس كالرجل والفرس اسم يقع على كل معبود بحق او باطل ثم غلب على المعبود بحق كما ان النجم اسم لكل كوكب ثم غلب على الثريا وكذلك السنة على عام القحط والبيت على الكعبة والكتاب على كتاب سيبويه واما الله بحذف الهمزة فمختص بالمعبود بالحق لم يطلق على غيره ومن هذا الاسم اشتق تأله وأله واستأله كما قيل استنوق واستحجر في الاشتقاق من الناقة والحجر (فان قلت) أاسم هو ام صفة (قلت) بل اسم غير صفة الا تراك تصفه ولا تصف به لا تقول شيء اله كما لا تقول شيء رجل وتقول اله واحد صمد كما تقول رجل كريم خير وأيضا فان صفاته تعالى لا بد لها من موصوف تجري عليه فلو جعلتها كلها صفات بقيت غير جارية على اسم موصوف بها وهذا محال (فان قلت) هل لهذا الاسم اشتقاق (قلت) معنى الاشتقاق ان ينتظم الصيغتين فصاعدا معنى واحد وصيغة هذا الاسم وصيغة قولهم أله اذا تحير ومن اخواته دله وعله ينتظمها معنى التحير والدهشة وذلك أن الاوهام تتحير في معرفة المعبود وتدهش الفطن ولذلك كثر الضلال وفشا الباطل وقل النظر الصحيح (فان قلت) هل تفخم لامه (قلت) نعم قد ذكر الزجاج ان تفخيمها سنة وعلى ذلك العرب كلهم وأطباقهم عليه دليل أنهم ورثوه كابرا عن كابر و(الرحمن) فعلان من رحم كغضبان وسكران من غضب وسكر وكذلك الرحيم فعيل منه كمريض وسقيم من مرض وسقم وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم ولذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا ويقولون ان الزيادة في البناء لزيادة المعنى وقال الزجاج في الغضبان هو الممتلئ غضبا ومما طن على أذني من ملح العرب انهم يسمون مركبا من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم ما اسم هذا المحمل أردت المحمل العراقي فقال أليس ذاك اسمه الشقدف قلت بلى فقال هذا اسمه الشقنداف فزاد في بناء الاسم لزيادة المسمى وهو من الصفات الغالبة كالدبران والعيوق والصعق لم يستعمل في غير الله عز وجل كما ان الله من الاسماء الغالبة واما قول بني حنيفة في مسيلمة رحمان اليمامة وقول شاعرهم فيه * وأنت غيث الورى لا زلت رحمانا * فباب من تعنتهم في كفرهم (فان قلت) كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا (قلت) أقيسه على

(قال محمود وفي الرحمن من المبالغة ما ليس في الرحيم الخ) قال احمد لا يتم الاستدلال بقصر البناء وطوله على نقصان المبالغة وتمامها ألا ترى بعض صيغ المبالغة كفعل أحد الامثلة اقصر من فاعل الذي لا مبالغة فيه البتة وأما قولهم رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا فلا دلالة فيه ايضا على مبالغة رحمن بالنسبة الى رحيم فان حاصله ان الرحمة منه بالدلالة على اتمامها ألا ترى ان ضاربا لما كان أعم من ضراب كان ضراب أبلغ منه لخصوصه فلا يلزم اذا من خصوص رحيم أن يكون أقصر مبالغة من رحمن لعمومه (قال محمود رحمه الله تعالى فان قلت كيف تقول الله رحمن أتصرفه أم لا الخ) قال احمد ليت شعري بعد امتناع فعلانة وفعلى ما الذي عين قياسه على عطشان دون ندمان مع ان قياسه على ندمان معتضد بالاصل في الاسماء وهو الصرف أقول الذي عينه هو ان باب سكران وعطشان اكثر من باب ندمان واذا احتمل ان يكون من كل واحد منهما فحمله على ما هو الاكثر أولى ولان رحمن وعطشان مشتركان في عدم وجود فعلانة بخلاف ندمان فلهذا كان حمله على عطشان اولى ثم قال وقد نقل غيره خلافا في صرف رحمن مجردا من التعريف وبناه على تعيين العلة في منع صرف عطشان هل هي وجود فعلى فيصرف

رحمن اوامتناع فعلانة فيمتنع الصرف وهو ايضا نظر قاصر واتم منهما ان يقال امتنع صرف عطشان وفاقا وامتناع صرفه معلل بشبه زيادتيه بالفى التانيث والشبه دائر على وجود فعلى وامتناع فعلانة فاما ان يجعل الامران وصفى شبه بهما مجموعهما مستقل او كل واحد منهما مستقلا ببيان الشبه او احدهما دون الآخر على البدل فهذه اربع احتمالات فان كان مقتضى الشبه المجموع او وجود فعلى خاصة انصرف رحمن وان كان كل واحد من الامرين مستقلا او الشبه بامتناع فعلانة خاصة منع رحمن من الصرف فلم يبق الا تعيين ما به حصل الشبه فى عطشان بين زيادتيه وبين الفى التانيث من الاحتمالات الاربعة وعليه يبتنى الصرف وعدمه والتحقيق ان كل واحد من الامرين المذكورين مستقل باقتضاء الشبه فيمتنع صرف رحمن لوجود احدى العلتين المتعلقتين فى الشبه وهى امتناع فعلانة على هذا التقدير وانما قلنا ذلك لان امتناع فعلانة فيه حاصله امتناع دخول تاء التانيث على زيادتيه كامتناع دخولها على الفى التانيث فحصل الشبه بهذا الوجه ووجود فعلى يحقق ان مذكره مختص ببناء ومؤنثه مختص ببناء آخر فيشبه افعل وفعلي في اختصاص كل واحد منهما ببناء غير الآخر فهذا وجه آخر من الشبه ومن تامل كلام سيبويه فهم منه ماقررته (فان قيل) حاصل ذلك مناسبة كل واحد من الامرين المذكورين لاقتضاء الشبه فما الذى دل على استقلال كل واحد منهما علة في الشبه وهلا كان المجموع علة وحينئذ ينصرف رحمن وهو ٦ احد الاحتمالات الاربعة المتقدمة (قلت) امتناع صرف عمران العلم يدل على استقلال كل واحد من الامرين بالشبه المانع من الصرف اذ عمران علما لا فعلى له وهو غير منصرف وفاقا أقول قد عثر ههنا

اخواته من بابه اعنى نحو عطشان وغرثان وسكران فلا اصرفه (فان قلت) قد شرط في امتناع صرف فعلان ان يكون فعلان فعلي واختصاصه بالله يحظر ان يكون فعلان فعلى فلم تمنعه الصرف (قلت) كما حظر ذلك ان يكون له مؤنث على فعلى كعطشي فقد حظر ان يكون له مؤنث على فعلانة كندمانة فاذا لا عبرة بامتناع التانيث للاختصاص العارض فوجب الرجوع الى الاصل قبل الاختصاص وهو القياس على نظائره (فان قلت) مامعنى وصف الله تعالى بالرحمة ومعناها العطف والحنو ومنها الرحم لانعطافها على مافيها (قلت) هو مجاز عن انعامه على عباده لان الملك اذا عطف على رعيته ورق لهم أصابهم بمعروفه وانعامه كما انه اذا ادركته الفظاظة والقسوة عنف بهم ومنعهم خيره ومعروفه (فان قلت) فلم قدم ماهو ابلغ من الوصفين على ماهو دونه والقياس الترقي من الادنى الى الاعلى كقولهم فلان عالم نحرير وشجاع باسل وجواد فياض (قلت) لما قال الرحمن فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها أردفه الرحيم كالتتمة والرديف ليتناول مادق منها ولطف * الحمد والمدح أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول حمدت الرجل على انعامه وحمدته على حسبه وشجاعته واما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قال

أفادتكم النعماء منى ثلاثة * يدى ولساني والضمير المحجبا

والحمد باللسان وحده فهو احدى شعب الشكر ومنه قوله عليه السلام الحمد رأس الشكر ما شكر الله عبد لم يحمده وانما جعله رأس الشكر لان ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها أشيع لها وادل على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب ومافى عمل الجوارح من الاحتمال بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذى يفصح عن كل خفي ويجلى كل مشتبه * والحمد نقيضه الذم والشكر نقيضه الكفران وارتفاع الحمد بالابتداء وخبره الظرف الذى هو لله وأصله النصب الذى هو قراءة بعضهم باضمار فعله على انه من

الحمد لله

رحمه الله وان الجواد قد يعثر لان اعتبار وجود فعلي او انتفاء فعلانة انما كان فى الصفة اما فى الاسم فشرطه العلمية لا وجود فعلي ولا انتفاء فعلانة (قال محمود رحمه الله فان قلت مامعنى وصف الله بالرحمة الخ) قال احمد رحمه الله فالرحمة على هذا من صفات الافعال ولك ان تفسرها المصادر بارادة الخير فيرجع الى صفات الذات وكلا الامرين قال به الاشعرية فى الرحمة وأمثالها مما لا يصح اطلاقه باعتبار حقيقته اللغوية على الله تعالى فمنهم من صرفه الى صفة الذات ومنهم من صرفه الى صفة الفعل (قال محمود رحمه الله فان قلت فلم قدم ماهو ابلغ من الوصفين على ماهو دونه الخ) قال احمد رحمه الله انما كان القياس تقديم ادني الوصفين لان في تقديم أعلاهما ثم الارداف بادناهما نوعا من التكرار اذ يلزم من حصول الابلغ حصول الادني فذكره بعده غير مفيد ولا كذلك العكس فانه ترق من الادني الى مزيد بمزية الاعلى لم يتقدم مايستلزمه ولذلك كان هذا الترتيب خاصا بالاثبات واما النفى فعلى عكسه تقدم فيه الاعلى تقول مافلان نحريرا ولا عالما ولو عكست لوقعت فى التكرار اذ يلزم من نفى الادني عنه نفى الاعلى وكل ذلك مستمده فى عموم الادني وخصوص الابلغ واثبات الاخص يستلزم ثبوت الاعم ونفى الاعم يستلزم نفى الاخص

القول فى سورة الفاتحة

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ (قال محمود رحمه الله الاصل فى الحمد النصب الخ) قال احمد رحمه الله ولان الرفع أثبت اختار سيبويه فى قول القائل رأيت زيدا فاذا له علم علم الفقهاء الرفع وفى مثل رأيت زيدا فاذا له صوت صوت حمار النصب والسر فى الفرق بين الرفع والنصب ان فى النصب اشعارا بالفعل وفى صيغة الفعل اشعار بالتجدد والطرو ولا كذلك الرفع فانه انما يستدعي اسما ذلك الاسم صفة ثابتة ألا ترى ان المقدر مع النصب نحمد الله الحمد ومع الرفع الحمد ثابت لله اومستقر

(قال محمود رحمه الله وتعريف الحمد نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الخ) قال أحمد رحمه الله تعريف التكرار باللام اما عهدي واما جنسي والعهد اما أن ينصرف العهد فيه الى فرد معين من أفراد الجنس باعتبار يميزه عن غيره من الافراد كالتعريف في نحو فعصى فرعون الرسول واما أن ينصرف العهد فيه الى الماهية باعتبار يميزها عن غيرها من الماهيات كالتعريف في نحو أكلت الخبز وشربت الماء والجنسي هو الذي ينضم اليه شمول الآحاد نحو الرجل أفضل من المرأة وكلا نوعي العهد لا يوجب استغراقها وانما يوجبه الجنسي خاصة فالزمخشري جعل تعريف الحمد من النوع الثاني من نوعي العهد وان كان قد عبر عنه بتعريف الجنس لعدم اعتنائه باصطلاح أصول الفقه وغير الزمخشري جعله للجنس فقضى بافادته لاستغراق جميع أنواع الحمد وليس ببعيد (قال محمود رحمه الله العالم اسم لذوي العلم من الملائكة الى آخره) قال أحمد رحمه الله تعليله الجمع بافادة استغراقه لكل جنس تحته فيه نظر فان عالما كما قرره اسم جنس عرف باللام الجنسية فصار العالم وهو مفرد أدل على الاستغراق منه جمعا قال امام الحرمين رحمه الله التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر يسترسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور ترده الى تخيل الوحدان

رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين

ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفي صيغة الجمع مضطرب انتهى كلامه والتحقيق في هذا وفي كل ما يجمع من أسماء الاجناس ثم يعرف تعريف الجنس انه يفيد أمرين أحدهما ان ذلك الجنس تحته أنواع مختلفة والآخر انه مستغرق لجميع ما تحته منها لكن المفيد لاختلاف الانواع الجمع والمفيد لاستغراق جميعها التعريف ألا ترى أنه اذا جمع مجردا من التعريف دل على اختلاف الانواع ثم اذا عرف افاد استغراقا غير موقوف على الجمعية اذ هذا حكم مفرده اذا عرف فقول الزمخشري اذا أن فائدة جمع العالمين الاستغراق مردود بثبوت هذه الفائدة وان لم يجمع وقول الامام الحرمين ان الجمع يؤيد الاشعار بالاستغراق لما تخيله من الرد الى الوجدان مردود بان فائدة الجمع الاشعار باختلاف الانواع واختلافها لا ينافي استغراقها بصيغة المفرد المقترن تعريف الجنس وان اراد ان الجمع يخيل الاشارة الى انواع محله معهودة فهذا الخيال بعينه من المفرد فالعالم اذا جمع ليفيد اختلاف الانواع المندرجة تحته من الجن والانس والملائكة وعرف ليفيد عموم الربوبية لله تعالى في كل انواعه وتوضيح هذا التقرير انا لو فرضنا جنسا ليس تحته الا الآحاد متساوية وهو الذي يسميه غير النحاة النوع الاسفل لما جاز جمع هذا بحال لا معرفا ولا منكرا وبهذه الفائدة يرد قول امام الحرمين ان التمور جمع من حيث اللفظ لا معنى تحته لجمع الجمع في نحو نوق ونياق وانيق واما تعليل الزمخشري جمعه بالواو والنون باشعاره

المصادر التي تنصبها العرب بأفعال مضمرة في معنى الاخبار كقولهم شكرا وكفرا وعجبا وما أشبه ذلك ومنها سبحانك ومعاذ الله ينزلونها منزلة أفعالها ويسدون بها مسدها ولذلك لا يستعملونها معها ويجعلون استعمالها كالشريعة المنسوخة والعدل بها عن النصب الى الرفع على الابتداء للدلالة على ثبات المعنى واستقراره ومنه قوله تعالى قالوا سلاما قال سلام رفع السلام الثاني للدلالة على أن ابراهيم عليه السلام حياهم بتحية احسن من تحيتهم لان الرفع دال على معنى ثبات السلام لهم دون تجدده وحدوثه والمعنى نحمد الله حمدا ولذلك قيل اياك نعبد واياك نستعين لانه بيان لحمدهم له كأنه قيل كيف تحمدون فقيل اياك نعبد (فان قلت) ما معنى التعريف فيه (قلت) هو نحو التعريف في أرسلها العراك وهو تعريف الجنس ومعناه الاشارة الى ما يعرفه كل احد من ان الحمد ما هو والعراك ما هو من بين اجناس الافعال والاستغراق الذي يتوهمه كثير من الناس وهم منهم وقرا الحسن البصري الحمد لله بكسر الدال لاتباعها اللام وقرا ابراهيم بن ابي عبلة الحمد لله بضم اللام لاتباعها الدال والذي جسرهما على ذلك والاتباع انما يكون في كلمة واحدة كقولهم منحدر الجبل ومغيرة تنزل الكلمتين منزلة كلمة لكثرة استعمالهما مقترنتين واشف القراءتين قراءة ابراهيم حيث جعل الحركة البنائية تابعة للاعرابية التي هي اقوى بخلاف قراءة الحسن * الرب المالك ومنه قول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن تقول ربه يربه فهو رب كما تقول نم عليه ينم فهو نم ويجوز ان يكون وصفا بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل ولم يطلقوا الرب الا في الله وحده وهو في غيره على التقييد بالاضافة كقولهم رب الدار ورب الناقة وقوله تعالى ارجع الى ربك انه ربي احسن مثواي وقرأ زيد بن علي رضي الله عنهما رب العالمين بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه الحمد لله كأنه قيل نحمد الله رب العالمين * العالم اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين وقيل كل ما علم به الخالق من الاجسام والاعراض (فان قلت) لم جمع (قلت) ليشمل كل جنس مما سمي به (فان قلت) هو اسم غير صفة وانما تجمع بالواو والنون صفات العقلاء او ما في حكمها من الاعلام (قلت) ساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم * قرئ ملك يوم الدين ومالك وملك بتخفيف اللام وقرا ابو حنيفة رضي الله عنه ملك يوم الدين بلفظ الفعل ونصب اليوم وقرا ابو هريرة رضي الله عنه مالك بالنصب وقرا غيره ملك وهو نصب على المدح ومنهم من قرا مالك بالرفع وملك هو الاختيار لانه قراءة اهل الحرمين ولقوله لمن الملك اليوم ولقوله ملك الناس ولان الملك يعم والملك يخص ويوم الدين يوم الجزاء ومنه قولهم كما تدين تدان وبيت الحماسة

ولم يبق سوى العدوا * ن دناهم كما دانوا

(فان قلت) ما هذه الاضافة (قلت) هي اضافة اسم الفاعل الى الظرف على طريق الاتساع مجرى مجرى

المفعول به كقولهم ياسارق الليلة اهل الدار والمعنى على الظرفية ومعناه مالك الامر كله في يوم الدين كقوله لمن الملك اليوم (فان قلت) فاضافة اسم الفاعل اضافة غير حقيقية فلا تكون معطية معنى التعريف فكيف ساغ وقوعه صفة للمعرفة (قلت) انما تكون غير حقيقية اذا اريد باسم الفاعل الحال او الاستقبال فكان في تقدير الانفصال كقولك مالك الساعة او غدا فاما اذا قصد معنى الماضي كقولك هو مالك عبده امس او زمان مستمر كقولك زيد مالك العبيد كانت الاضافة حقيقية كقولك مولى العبيد وهذا هو المعنى في مالك يوم الدين ويجوز أن يكون المعنى ملك الامور يوم الدين كقوله ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب الاعراف والدليل عليه قراءة ابي حنيفة ملك يوم الدين وهذه الاوصاف التي أجريت على الله سبحانه من كونه ربا مالكا للعالمين لا يخرج منهم شيء من ملكوته وربوبيته ومن كونه منعما بالنعم كلها الظاهرة والباطنة والجلائل والدقائق ومن كونه مالكا للامر كله في العاقبة يوم الثواب والعقاب بعد الدلالة على اختصاص الحمد به وأنه به حقيق في قوله الحمد لله دليل على ان من كانت هذه صفاته لم يكن أحد أحق منه بالحمد والثناء عليه بما هو أهله (ايا) ضمير منفصل للمنصوب واللواحق التي تلحقه من الكاف والهاء والياء في قولك اياك واياه واياي لبيان الخطاب والغيبة والتكلم ولا محل لها من الاعراب كما لا محل للكاف في أرأيتك وليست باسماء مضمرة وهو مذهب الاخفش وعليه المحققون واما ما حكاه الخليل عن بعض العرب اذا بلغ الرجل الستين فاياه وايا الشواب فشيء شاذ لا يعول عليه وتقديم المفعول لقصد الاختصاص كقوله تعالى قل أفغير الله تأمروني أعبد قل أغير الله أبغي ربا والمعنى نخصك بالعبادة ونخصك بطلب المعونة وقرئ اياك بتخفيف الياء وأياك بفتح الهمزة والتشديد وهياك بقلب الهمزة هاء قال طفيل الغنوي

فهياك والامر الذي ان تراحبت * موارده ضاقت عليك مصادره

والعبادة أقصى غاية الخضوع والتذلل ومنه ثوب ذو عبدة اذا كان في غاية الصفاقة وقوة النسج ولذلك لم تستعمل الا في الخضوع لله تعالى لانه مولى أعظم النعم فكان حقيقا بأقصى غاية الخضوع (فان قلت) لم عدل عن لفظ الغيبة الى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة الى الخطاب ومن الخطاب الى الغيبة ومن الغيبة الى التكلم كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم وقوله تعالى والله الذي ارسل الرياح فتثير سحابا فسقناه وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات

تطاول ليلك بالاثمد * ونام الخلي ولم ترقد * وبات وباتت له ليلة
كليلة ذي العائر الارمد * وذلك من نبا جاءني * وخبرته عن أبي الاسود

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ولان الكلام اذا نقل من أسلوب الى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للاصغاء اليه من اجرائه على أسلوب واحد وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد واجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل اياك يامن هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب ادل على ان العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة الا به (فان قلت) لم قرنت الاستعانة بالعبادة (قلت) ليجمع بين ما يتقرب به العباد الى ربهم وبين ما يطلبونه ويحتاجون اليه من جهته (فان قلت) فلم قدمت العبادة على الاستعانة (قلت) لان تقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة ليستوجبوا الاجابة اليها (فان قلت) لم أطلقت الاستعانة (قلت) ليتناول كل مستعان فيه والاحسن أن تراد الاستعانة به وبتوفيقه على أداء العبادة ويكون قوله اهدنا بيانا للمطلوب من المعونة كأنه قيل كيف أعينكم فقالوا اهدنا الصراط المستقيم وانما كان أحسن لتلاؤم الكلام وأخذ بعضه بحجزة بعض وقرأ ابن حبيش نستعين بكسر النون * هدى أصله أن يتعدى باللام أو بالى كقوله تعالى ان هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم وانك لتهدي الى صراط مستقيم فعومل معاملة اختار في قوله تعالى واختار موسى قومه ومعنى طلب الهداية وهم مهتدون طلب زيادة الهدى بمنح الالطاف كقوله تعالى والذين

موجود سوى الله فيحتاج الى مزيد نظر في تغليب العاقل في الجمع على غير العاقل (قال محمود رحمه الله وقد التفت امرؤ القيس ثلاث التفاتات في ثلاثة ابيات الخ) قال احمد رحمه الله يعني انه ابتدا بالخطاب ثم التفت الى الغيبة ثم الى التكلم وعلى هذا فهما التفاتان لا غير وانما اراد الزمخشري والله اعلم انه اتى بثلاثة

اياك نعبد واياك نستعين اهدنا الصراط المستقيم

اساليب خطاب لحاضر وغائب ولنفسه فوهم بقوله ثلاث التفاتات او نجعل الاخير ملتفتا التفاتين عن الثاني وعن الاول فيكون ثلاثا والامر فيه سهل (قال محمود رحمه الله فان قلت لم قدمت العبادة على الاستعانة الخ) قال احمد رحمه الله معتقد اهل السنة ان العبد لا يستوجب على ربه جزاء تعالى الله عن ذلك والثواب عندنا من الاعانة في الدنيا على العبادة ومن صنوف النعم في الآخرة ليس بواجب على الله تعالى بل فضل منه واحسان في الحديث انه عليه الصلاة والسلام قال لا يدخل احد منكم الجنة

اهتدوا وزادهم هدى والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وعن علي وأبي رضي الله عنهما اهدنا ثبتنا وصيغة الامر والدعاء واحدة لان كل واحد منهما طلب وانما يتفاوتان في الرتبة وقرأ عبد الله أرشدنا (السراط) الجادة من سرط الشيء اذا ابتلعه لانه يسترط السابلة اذا سلكوه كما سمي لقما لانه يلتقمهم والصراط من قلب السين صادا لاجل الطاء كقوله مصيطر في مسيطر وقد تشم الصاد صوت الزاي وقرئ بهن جميعا وفصحاهن اخلاص الصاد وهي لغة قريش وهي الثابتة في الامام ويجمع سرطا نحو كتاب وكتب ويذكر ويؤنث كالطريق والسبيل والمراد به طريق الحق وهو ملة الاسلام (صراط الذين انعمت عليهم) بدل من الصراط المستقيم وهو في حكم تكرير العامل كانه قيل اهدنا الصراط المستقيم اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم كما قال الذين استضعفوا لمن آمن منهم (فان قلت) مافائدة البدل وهلا قيل اهدنا صراط الذين أنعمت عليهم (قلت) فائدته التوكيد لما فيه من التثنية والتكرير والاشعار بان الطريق المستقيم بيانه وتفسيره صراط المسلمين ليكون ذلك شهادة لصراط المسلمين بالاستقامة على أبلغ وجه وآكده كما تقول هل أدلك على أكرم الناس وأفضلهم فلان فيكون ذلك أبلغ في وصفه بالكرم والفضل من قولك هل أدلك على فلان الاكرم الافضل لانك ثنيت ذكره مجملا أولا ومفصلا ثانيا وأوقعت فلانا تفسيرا وايضاحا للاكرم الافضل فجعلته علما في الكرم والفضل فكانك قلت من أراد رجلا جامعا للخصلتين فعليه بفلان فهو المشخص المعين لاجتماعهما فيه غير مدافع ولا منازع والذين أنعمت عليهم هم المؤمنون وأطلق الانعام ليشمل كل انعام لان من أنعم الله عليه بنعمة الاسلام لم تبق نعمة الا أصابته واشتملت عليه وعن ابن عباس هم أصحاب موسى قبل ان يغيروا وقيل هم الانبياء وقرأ ابن مسعود صراط من أنعمت عليهم (غير المغضوب عليهم) بدل من الذين أنعمت عليهم على معنى ان المنعم عليهم هم الذين سلموا من غضب الله والضلال أو صفة على معنى انهم جمعوا بين النعمة المطلقة وهي نعمة الايمان وبين السلامة من غضب الله والضلال (فان قلت) كيف صح ان يقع غير صفة للمعرفة وهو لا يتعرف وان أضيف الى المعارف (قلت) الذين أنعمت عليهم لا توقيت فيه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * ولان المغضوب عليهم والضالين خلاف المنعم عليهم فليس في غير اذن الابهام الذي يأبى عليه ان يتعرف وقرئ بالنصب على الحال وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب ورويت عن ابن كثير وذو الحال الضمير في عليهم والعامل أنعمت وقيل المغضوب عليهم هم اليهود لقوله عز وجل من لعنه الله وغضب عليه والضالون هم النصارى لقوله تعالى قد ضلوا من قبل (فان قلت) مامعنى غضب الله (قلت) هو ارادة الانتقام من العصاة وانزال العقوبة بهم وأن يفعل بهم ما يفعله الملك اذا غضب على من تحت يده نعوذ بالله من غضبه ونسأله رضاه ورحمته (فان قلت) أي فرق بين عليهم الاولى وعليهم الثانية (قلت) الاولى محلها النصب على المفعولية والثانية محلها الرفع على الفاعلية (فان قلت) لم دخلت لا في ولا الضالين (قلت) لما في غير من معنى النفي كانه قيل لا المغضوب عليهم ولا الضالين وتقول أنا زيدا غير ضارب مع امتناع قولك انا زيدا مثل ضارب لانه بمنزلة قولك أنا زيدا لا ضارب وعن عمر وعلي رضي الله عنهما أنهما قرآ وغير الضالين وقرأ أيوب السختياني ولا الضألين بالهمز كما قرأ عمرو بن عبيد ولا جأن وهذه لغة من جد في الهرب من التقاء الساكنين ومنها ماحكاه أبو زيد من قولهم شأبة ودأبة (آمين) صوت سمي به الفعل الذي هو استجب كما أن رويد وحيهل وهلم أصوات سميت بها الافعال التي هي أمهل وأسرع وأقبل وعن ابن عباس سألت رسول الله ﷺ عن معنى آمين فقال افعل وفيه لغتان مد ألفه وقصرها قال * ويرحم الله عبدا قال آمينا * وقال * أمين فزاد الله ما بيننا بعدا * وعن النبي ﷺ لقنني جبريل عليه السلام آمين عند فراغي من قراءة فاتحة الكتاب وقال انه كالختم على الكتاب وليس من القرآن بدليل أنه لم يثبت في المصاحف وعن الحسن لا يقولها الامام لانه

صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين

على الله تعالى شيء لكن كما قام الدليل عقلا وشرعا على انه تعالى لا يجب عليه شيء فقد قام عقلا وشرعا على ان خبره تعالى صدق ووعده حق اي يجب عقلا ان يقع فاما ان يكون الزمخشري تسامح في اطلاق الايجاب وأراد وجوب صدق الخبر واما ان يكون أخرجه على قواعد البدعية في اعتقاد وجوب الخير على الله تعالى وان لم يكن وعد (قال محمود رحمه الله واطلق الانعام ليشمل كل انعام) قال أحمد رحمه الله ان اطلاق الانعام يفيد الشمول كقوله ان اطلاق الاستعانة يتناول كل مستعان فيه وليس بمسلم فان الفعل لا عموم لمصدره والتحقيق ان الاطلاق انما يقتضي ابهاما وشيوعا والنفس الى المبهم أشوق منها الى المقيد لتعلق الامل مع الابهام لكل نعمة تخطر بالبال (قال محمود رحمه الله ومعنى الغضب من الله تعالى ارادة الانتقام الخ) قال احمد رحمه الله أدرج في هذا مايقتضي عنده وجوب وعيد العصاة وليس مذهب أهل السنة بل الامر عندهم في المؤمن العاصي موكول الى المشيئة فمنهم من أراد الله تعالى عقوبته والانتقام منه فيقع ذلك لا محالة ومنهم من أراد العفو عنه واثابته فضلا منه تعالى على ان المغضوب عليهم والضالين واقعان على الكفار ووعيدهم واقع لا محالة ومراد والله الموفق * أقول قول الزمخشري رحمه الله الغضب من الله تعالى ارادة الانتقام من العصاة الخ لا يدل على ما فسره فان وجوب وعيد العصاة لا يعلم منه والغضب من الله عند أهل السنة والمعتزلة عبارة عما ذكره الزمخشري رحمه الله الا ان عند أهل السنة ان الله تعالى ان شاء

الداعي وعن ابي حنيفة رحمه الله مثله والمشهور عنه وعن اصحابه أنه يخفيها وروى الاخفاء عبد الله بن مغفل وأنس عن رسول الله ﷺ وعند الشافعي يجهر بها وعن وائل بن حجر ان النبي ﷺ كان اذا قرأ ولا الضالين قال آمين ورفع بها صوته وعن رسول الله ﷺ أنه قال لابي بن كعب ألا أخبرك بسورة لم ينزل في التوراة والانجيل والقرآن مثلها قلت بلى يا رسول الله قال فاتحة الكتاب انها السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته وعن حذيفة بن اليمان ان النبي ﷺ قال ان القوم ليبعث الله عليهم العذاب حتما مقضيا فيقرأ صبي من صبيانهم في الكتاب الحمد لله رب العالمين فيسمعه الله تعالى فيرفع عنهم بذلك العذاب اربعين سنة

﴿سورة البقرة مدنية وهي مائتان وسبع وثمانون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الم) اعلم ان الالفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف المبسوطة التي منها ركبت الكلم فقولك ضاد اسم سمي به ضه من ضرب اذا تهجيته وكذلك را با اسمان لقولك ره به وقد روعيت في هذه التسمية لطيفة وهي ان المسميات لما كانت الفاظا كاساميها وهي حروف وحدان والاسامي عدد حروفها مرتقى الى الثلاثة اتجه لهم طريق الى ان يدلوا في التسمية على المسمى فلم يغفلوها وجعلوا المسمى صدر كل اسم منها كما ترى الا الالف فانهم استعاروا الهمزة مكان مسماها لانه لا يكون الا ساكنا ومما يضاهيها في ايداع اللفظ دلالة على المعنى التهليل والحوقلة والحيعلة والبسملة وحكمها ما لم تلها العوامل ان تكون ساكنة الاعجاز موقوفة كاسماء الاعداد فيقال الف لام ميم كما يقال واحد اثنان ثلاثة فاذا وليتها العوامل ادركها الاعراب تقول هذه ألف وكتبت ألفا ونظرت الى ألف وهكذا كل اسم عمدت الى تأدية ذاته فحسب قبل أن يحدث فيه بدخول العوامل شيء من تأثيراتها فحقك ان تلفظ به موقوفا الا ترى انك اذا أردت ان تلقي على الحاسب أجناسا مختلفة ليرفع حسبانها كيف تصنع وكيف تلقيها أغفالا من سمة الاعراب فتقول دار غلام جارية ثوب بساط ولو أعربت ركبت شططا (فان قلت) لم قضيت لهذه الالفاظ بالاسمية وهلا زعمت أنها حروف كما وقع في عبارات المتقدمين (قلت) قد استوضحت بالبرهان النير أنها أسماء غير حروف فعلمت ان قولهم خليق بان يصرف الى التسامح وقد وجدناهم متسامحين في تسمية كثير من الاسماء التي لا يقدح اشكال في اسميتها كالظروف وغيرها بالحروف مستعملين الحرف في معنى الكلمة وذلك ان قولك ألف دلالته على أوسط حروف قال وقام دلالة فرس على الحيوان المخصوص لا فضل فيما يرجع الى التسمية بين الدلالتين ألا ترى ان الحرف ما دل على معنى في غيره وهذا كما ترى دال على معنى في نفسه ولانها متصرف فيها بالامالة كقولك با تا وبالتفخيم كقولك يا ها وبالتعريف والتنكير والجمع والتصغير والوصف والاسناد والاضافة وجميع ما للاسماء المتصرفة ثم اني عثرت من جانب الخليل على نص في ذلك قال سيبويه قال الخليل يوما وسأل أصحابه كيف تقولون اذا أردتم أن تلفظوا بالكاف التي في لك والباء التي في ضرب فقيل نقول با كاف فقال انما جئتم بالاسم ولم تلفظوا بالحرف وقال أقول كه به وذكر أبو علي في كتاب الحجة في يس وامالة يا أنهم قالوا يا زيد في النداء فاما لوا وان كان حرفا قال فاذا كانوا قد أمالوا ما لا يمال من الحروف من أجل الياء فلان يميلوا الاسم الذي هو يس أجدر الا ترى أن هذه الحروف أسماء لما يلفظ بها (فان قلت) من اي قبيل هي من الاسماء أمعربة أم مبنية (قلت) بل هي أسماء معربة وانما سكنت سكون زيد وعمرو وغيرهما من الاسماء حيث لا يمسها الاعراب لفقد مقتضيه وموجبه والدليل على أن سكونها وقف وليس ببناء أنها لو بنيت لحذي بها حذو كيف وأين وهؤلاء ولم يقل ص ق ن مجموعا فيها بين الساكنين (فان قلت) فلم لفظ المتهجي بما آخره الف منها مقصورا فلما أعرب مد فقال هذه باء وياء وهاء وذلك يخيل ان وزانها وزان قولك لا مقصورة فاذا جعلتها اسما مددت فقلت كتبت لاء (قلت) هذا التخييل يضمحل بما لخصته من الدليل والسبب في أن قصرت متهجاة ومدت حين مسها الاعراب أن حال التهجي خليقة بالاخف الاوجز واستعمالها فيه أكثر (فان قلت) قد تبين أنها أسماء

بسم الله الرحمن الرحيم الم
عذب صاحب الكبيرة وان شاء غفر له وعند المعتزلة وجوب عذابه فعند المعتزلة ظاهر ان الغضب عبارة عن ارادة الانتقام وعند أهل السنة ان غفر له فلا غضب وان لم يغفر له فغضبه عبارة عما ذكره

﴿القول في سورة البقرة﴾

* بسم الله الرحمن الرحيم الم (قال محمود رحمه الله وقد سال الخليل اصحابه كيف ينطقون بالكاف الخ) قال احمد رحمه الله وسالهم ايضا كيف ينطقون بالقاف من يقبل فقالوا قاف كقولهم الاول فاجابهم كجوابه الاول وقال اما انا فاقول اقه فالحق رضي الله عنه اولا هاء السكت لان الحرف المنطوق به متحرك وثانيا همزة الوصل لانه ساكن

الحروف المعجم وانها من قبيل المعرب وأن سكون أعجازها عند الهجاء لاجل الوقف فما وجه وقوعها على هذه السورة فواتح للسور (قلت) فيه أوجه * أحدها وعليه اطباق الاكثر انها اسماء السور وقد ترجم صاحب الكتاب الباب الذي كسره على ذكرها في حد مالا ينصرف بباب أسماء السور وهي في ذلك على ضربين أحدهما مالا يتأتى فيه اعراب نحو كهيعص والمر والثاني ما يتأتى فيه الاعراب وهو اما أن يكون اسما فردا كص وق ون او اسماء عدة مجموعها على زنة مفرد كحم وطس ويس فانها موازنة لقابيل وهابيل وكذلك طسم يتأتى فيها أن تفتح نونها وتصير ميم مضمومة الى طس فيجعلا اسما واحدا كدارابجرد فالنوع الاول محكي ليس الا وأما النوع الثاني فسائغ فيه الامران الاعراب والحكاية قال قاتل محمد بن طلحة السجاد وهو شريح بن أوفى العبسي

يذكرني حاميم والرمح شاجر * فهلا تلا حاميم قبل التقدم

فاعرب حاميم ومنعها الصرف وهكذا كل ما أعرب من أخواتها لاجتماع سببي منع الصرف فيها وهما العلمية والتأنيث والحكاية ان تجيء بالقول بعد نقله على استبقاء صورته الاولى كقولك دعني من تمرتان وبدأت بالحمد لله وقرأت سورة أنزلناها قال

وجدنا في كتاب بني تميم * أحق الخيل بالركض المعار

وقال ذو الرمة

سمعت الناس ينتجعون غيثا * فقلت لصيدح انتجعي بلالا

وقال آخر

تنادوا بالرحيل غدا * وفي ترحالهم نفسي

وروي منصوبا ومجرورا ويقول أهل الحجاز في استعلام من يقول رأيت زيدا من زيدا وقال سيبويه سمعت من العرب لا من أين يا فتى (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ ص وق ون مفتوحات (قلت) الاوجه أن يقال ذلك نصب وليس بفتح وانما لم يصحبه التنوين لامتناع الصرف على ما ذكرت وانتصابها بفعل مضمر نحو اذكر وقد أجاز سيبويه مثل ذلك في حم وطس ويس لو قرئ به وحكى ابو سعيد السيرافي أن بعضهم قرأ يس ويجوز ان يقال حركت لالتقاء الساكنين كما قرأ من قرأ ولا الضالين (فان قلت) فهلا زعمت انها مقسم بها وانها نصبت نصب قولهم نعم الله لافعلن وأي الله لافعلن على حذف حرف الجر واعمال فعل القسم وقال ذو الرمة * ألا رب من قلبي له الله ناصح * وقال آخر * فذاك أمانة الله الثريد * (قلت) ان القرآن والقلم بعد هذه الفواتح محلوف بهما فلو زعمت ذلك لجمعت بين قسمين على مقسم واحد وقد استكرهوا ذلك قال الخليل في قوله عز وجل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وما خلق الذكر والانثى الواوان الاخريان ليستا بمنزلة الاولى ولكنهما الواوان اللتان تضمان الاسماء الى الاسماء في قولك مررت بزيد وعمرو والاولى بمنزلة الباء والتاء قال سيبويه قلت للخليل فلم لا تكون الاخريان بمنزلة الاولى فقال انما أقسم بهذه الاشياء على شيء ولو كان انقضى قسمه بالاول على شيء لجاز ان يستعمل كلاما آخر فيكون كقولك بالله لافعلن بالله لاخرجن اليوم ولا يقوى ان تقول وحقك وحق زيد لافعلن والواو الاخيرة واو قسم لا يجوز الا مستكرها قال وتقول وحياتي ثم حياتك لافعلن فثم ههنا بمنزلة الواو هذا ولا سبيل فيما نحن بصدده الى ان تجعل الواو للعطف لمخالفة الثاني الاول في الاعراب (فان قلت) فقدرها مجرورة باضمار الباء القسمية لا بحذفها فقد جاء عنهم الله لافعلن مجرورا ونظيره قولهم لاه أبوك غير أنها فتحت في موضع الجر لكونها غير مصروفة واجعل الواو للعطف حتى يستتب لك المصير الى نحو ما أشرت اليه (قلت) هذا لا يبعد عن الصواب ويعضده ما رووا عن ابن عباس رضي

(قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه من قرأ ص وق ون مفتوحات الخ) قال احمد رحمه الله تعالى كلامه على الوجه الاول يوجب كونها معربة وعلى الوجه الثاني يحتمل ان يكون اراد ان الفتحة لالتقاء الساكنين نشأت عن سكون الحكاية فانها انما تحكي ساكنة مجردة من سمة الاعراب فلا تكون الحركة اذا اعرابا اذ لا مقتضى له مع الحكاية ولا بناء اذ هي معربة بعده على هذا التقدير ويحتمل ان يكون اراد انها مبنية فتكون الحركة مثلها في اين وكيف حركة بناء والاول هو الظاهر من مراده اذ حتم [illegible] قبل انها معربة على ان سيبويه نص في كتابه على ما اورده بلفظه قال وأما ص فلا يحتاج الى ان يجعل اسما أعجميا لان وزنه في كلامهم ولكنه يجوز ان يكون اسما للسورة فلا ينصرف ويجوز ان يكون ايضا يس وص اسمين غير متمكنين فيلزمان الفتح كما ألزمت الاسماء غير المتمكنة الحركات نحو كيف واين وحيث وامس اه كلام سيبويه وفيه رد على الزمخشري رحمه الله في حتمه ان تكون معربة وان فتحتها نصب او لالتقاء الساكنين العارض للحكاية على ما ظهر من قوله آنفا وسيأتي له ايضا ما يدل على انه لا يجوز بناؤها البتة * الاول بعد تسليم ان الاول هو الظاهر من مراده فما ذكره حكاية عن سيبويه غير وارد عليه لانه اختار احد الوجهين (قال محمود رحمه الله هلا زعمت أنها مقسم بها الخ) قال احمد رحمه الله وله البقاء على انها منصوبة على القسم وجعل الواو عاطفة على مذهب الخليل وسيبويه في امثاله ويسلك حينئذ في العطف سبيل * ولا سابق شيأ اذا كان جائيا * فان المقسم به وان كان منصوبا الا انه محل يعهد وفيه الخبر فعطف بالجر رعاية لذلك العهد وههنا أولى بالصحة منه في بيت زهير المذكور لان انتصاب المقسم به انما نشأ عن حذف حرف الجر الذي هو أصل في القسم وانتصاب خبر ليس أصل في نفسه ليس ناشئا عن حذف غايته ان حرف الجر قد يصحب خبرها دخيلا فمراعاة الاصل أجدر من مراعاة العارض فقد تحرر في فتح ص وجهان أحدهما ان يكون اعرابا وهو ما اجيز على الوجه الذي ابداه الزمخشري

او نصب على الوجه الذى نقلته عن سيبويه ثانيهما انه لا اعراب ولا بناء وهو عروضه على الوقف فى الحكاية (قال محمود رحمه الله فان قلت فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر الخ) قال احمد رحمه الله وهذا تحقق لك مخالفته لما نقلته من ص سيبويه من انها غير متمكنة وبذلك على ان فتحتها التى قال قبل انها لا لتقاء الساكنين فتحة بناء انه انما اراد السكون العارض فى الحكاية لا سكون البناء وهو مخالف لنص سيبويه كما نبهت عليه ايضا (قال محمود رحمه الله هل تسوغ لى فى المحكية ارادة القسم كما سوغت لى فى المعربة الخ) قال احمد رحمه الله وقد منع الزمخشرى ان يكون ص منصوبا على القسم لما تقدم واجاز ان يكون حم فى الحديث المذكور منصوبة على القسم بخلاف حم فى القرآن فتلك يتعين ان يكون نصبها على اضمار الفعل او مجرورة على القسم واما النصب مع القسم فلا يجيزه الا فى الحديث والفرق عنده ان المانع من اجازته فى القرآن مجيء المعطوف بعده مخالفا له فى الاعراب اذ المعطوفات كلها مجرورة ويتعذر عنده القسم

الله عنه انه قال أقسم الله بهذه الحروف (فان قلت) فما وجه قراءة بعضهم ص وق بالكسر (قلت) وجهها ما ذكرت من التحريك لا لتقاء الساكنين والذى يبسط من عذر المحرك ان الوقف لما استمر بهذه الاسامى شاكلت لذلك ما اجتمع فى آخره ساكنان من المبنيات فعوملت تارة معاملة الآن واخرى معاملة هؤلاء (فان قلت) هل تسوغ لى فى المحكية مثل ما سوغت لى فى المعربة من ارادة معنى القسم (قلت) لا عليك فى ذلك وان تقدر حرف القسم مضمرا فى نحو قوله عز وجل حم والكتاب المبين كانه قيل أقسم بهذه السورة وبالكتاب المبين انا جعلناه وامّا قوله ﷺ حم لا ينصرون فيصلح ان يقضى له بالجر والنصب جميعا على حذف الجار واضماره (فان قلت) فما معنى تسمية السور بهذه الالفاظ خاصة (قلت) كأن المعنى فى ذلك الاشعار بان الفرقان ليس الا كلما عربية معروفة التركيب من مسميات هذه الالفاظ كما قال عز من قائل قرآنا عربيا (فان قلت) فما بالها مكتوبة فى المصحف على صور الحروف انفسها لا على صور اساميها (قلت) لان الكلم لما كانت مركبة من ذوات الحروف واستمرت العادة متى تهجيت ومتى قيل للكاتب اكتب كيت وكيت ان يلفظ بالاسماء وتقع فى الكتابة الحروف انفسها عمل على تلك الشاكلة المألوفة فى كتابة هذه الفواتح وايضا فان شهرة امرها واقامة ألسن الاسود والاحمر لها وان اللافظ بها غير متهجاة لا يحلى بطائل منها وان بعضها مفرد لا يخطر ببال غير ما هو عليه من مورده أمنت وقوع اللبس فيها وقد اتفقت فى خط المصحف اشياء خارجة عن القياسات التى بنى عليها علم الخط والهجاء ثم ما عاد ذلك بضير ولا نقصان لاستقامة اللفظ وبقاء الحفظ وكان اتباع خط المصحف سنة لا تخالف قال عبد الله بن درستويه فى كتابه المترجم بكتاب الكتاب المتمم فى الخط والهجاء خطان لا يقاسان خط المصحف لانه سنة وخط العروض لانه يثبت فيه ما اثبته اللفظ ويسقط عنه ما اسقطه الوجه الثانى ان يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد كالايقاظ وقرع العصا لمن تحدى بالقرآن وبغرابة نظمه وكالتحريك للنظر فى ان هذا المتلو عليهم وقد عجزوا عنه عن آخرهم كلام منظوم من عين ما ينظمون منه كلامهم ليؤديهم النظر الى ان يستيقنوا ان لم تتساقط مقدرتهم دونه ولم تظهر معجزتهم عن ان يأتوا بمثله بعد المراجعات المتطاولة وهم امراء الكلام وزعماء الحوار وهم الحراص على التساجل فى اقتضاب الخطب والمتهالكون على الافتنان فى القصيد والرجز ولم يبلغ من الجزالة وحسن النظم المبالغ التى بزت بلاغة كل ناطق وشقت غبار كل سابق ولم يتجاوز الحد الخارج من قوى الفصحاء ولم يقع وراء مطامح اعين البصراء الا لانه ليس بكلام البشر وانه كلام خالق القوى والقدر وهذا القول من القوة والخلاقة بالقبول بمنزلة ولناصره على الاول ان يقول ان القرآن انما نزل بلسان العرب مصبوبا فى اساليبهم واستعمالاتهم والعرب لم تتجاوز ما سموا به مجموع اسمين ولم يسم احد منهم بمجموع ثلاثة اسماء واربعة وخمسة والقول

فى الثوانى خوفا من جمع قسمين على مقسم واحد ولا كذلك الحديث فانه لم يأت بعده ما يأباه فلذلك خص جواز هذا الوجه بالحديث واما على الوجه الذى اوضحته فيعم جواز ذلك القرآن والحديث جميعا (قال محمود رحمه الله فان قلت فما بالها مكتوبة فى المصحف على صورة الحروف الخ) قال احمد رحمه الله على هذا المعنى من خروج خط المصحف عن قياس الخط اعتمد القاضى رضى الله عنه فى كتاب الانتصار فى الجواب عما نقل عن عثمان رضى الله عنه ان عكرمة لما عرض عليه المصحف وجد فيه حروفا من اللحن فقال لا تغيروها فان العرب ستقيمها بألسنتها فلو كان الكاتب من ثقيف والممل من هذيل لم يوجد فيه هذه الحروف قال القاضى وانما قال عثمان رضى الله عنه ذلك لان ثقيفا كانت أبصر بالهجاء بانها وهذيلا كانت تظهر الهمز والهمزة اذا ظهرت فى لفظ الممل كتبها الكاتب على صورتها ثم اراد عثمان رضى الله عنه الا ان تلك الحروف كتبت على خلاف قياس الخط مثل كتابة الصلوة والزكوة بالواو لا بالالف قال القاضى وانما أخذ الله على الحفظة ان لا يغيروا التلاوة واما الخط فلم يأخذ عليهم رسما بعينه حتى لا تسوغ الخروج من قياس رسم خاص من رسوم الخط اهـ كلامه (قال محمود رحمه الله الوجه الثانى أن يكون ورود هذه الاسماء هكذا مسرودة على نمط التعديد الخ) قال أحمد رحمه الله انما اردت هذا الفصل فى كلام الزمخشرى لانه غاية الصناعة ونهاية البراعة لولا الاخلال لمطية لو سلكها لتمت فصاحته وهى انه بنى اول الكلام على النفى وطول فيه حتى انتهى الى الاثبات وكان أول الكلام رهينا لآخره يفهم على الضد حتى ينقضى على البعد فهو كما انتقد على ابى الطيب قوله فى الخيل

بانها اسماء السور حقيقة يخرج الى ما ليس فى لغة العرب و يؤدى أيضا الى صيرورة الاسم والمسمى واحدا * فان اعترضت عليه بانه تقول . يقول على وجه الدهر وانه لا سبيل الى رده * اجابك بان له محملا سوى ما يذهب اليه وانه نظير قول الناس فلان يروى قفا نبك وعفت الديار و يقول الرجل لصاحبه ما قرأت فيقول الحمد لله و براءة من الله ورسوله و يوصيكم الله فى اولادكم والله نور السموات والارض وليست هذه الجمل باسامي هذه القصائد وهذه السور والآى وانما تعنى رواية القصيدة التى ذاك استهلالها وتلاوة السورة او الآية التى تلك فاتحتها فلما جرى الكلام على اسلوب من يقصد التسمية واستفيد منها ما يستفاد من التسمية قالوا ذلك على سبيل المجاز دون الحقيقة والمجيب عن الاعتراضين على الوجه الاول ان يقول التسمية بثلاثة اسماء فصاعدا مستنكرة لعمرى وخروج عن كلام العرب ولكن اذا جعلت اسما واحدا على طريقة حضرموت فاما غير مركبة منثورة نثر أسماء العدد فلا استنكار فيها لانها من باب التسمية بما حقه أن يحكى حكاية كما سموا بتأبط شرا و برق نحره وشاب قرناها وكما لو سمي بزيد منطلق أو بيت شعر وناهيك بتسوية سيبويه بين التسمية بالجملة والبيت من الشعر و بين التسمية بطائفة من أسماء حروف المعجم دلالة قاطعة على صحة ذلك وأما تسمية السورة كلها بفاتحتها فليست بتصيير الاسم والمسمى واحدا الا انها تسمية مؤلف بمفرد والمؤلف غير المفرد الاترى انهم جعلوا اسم الحرف مؤلفا منه ومن حرفين مضمومين اليه كقولهم صاد فلم يكن من جعل الاسم والمسمى واحدا حيث كان الاسم مؤلفا والمسمى مفردا * الوجه الثالث ان ترد السور مصدرة بذلك ليكون اول ما يقرع الاسماع مستقلا بوجه من الاعراب وتقدمة من دلائل الاعجاز وذلك ان النطق بالحروف انفسها كانت العرب فيه مستوية الاقدام الاميون منهم وأهل الكتاب بخلاف النطق باسامي الحروف فانه كان مختصا بمن خط وقرأ وخالط اهل الكتاب وتعلم منهم وكان مستغربا مستبعدا من الامى التكلم بها استبعاد الخط والتلاوة كما قال عز وجل وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون فكان حكم النطق بذلك مع اشتهار انه لم يكن ممن اقتبس شيأ من اهله حكم الاقاصيص المذكورة فى القرآن التى لم تكن قريش ومن دان بدينها فى شىء من الاحاطة بها فى ان ذلك حاصل له من جهة الوحي وشاهد بصحة نبوته و بمنزلة ان يتكلم بالرطانة من غير ان يسمعها من احد * واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف اسامي حروف المعجم اربعة عشر سواء وهى الالف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم اذا نظرت فى هذه الاربعة عشر وجدتها مشتملة على انصاف اجناس الحروف بيان ذلك ان فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الالف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الالف والكاف والطاء والقاف ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الالف واللام والميم والراء والكاف والهاء والياء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم اذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى الغى الله ذكرها من هذه الاجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها فسبحان الذى دقت فى كل شىء حكمته وقد علمت ان معظم الشىء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكان الله عز اسمه عدد على العرب الالفاظ التى منها تراكيب كلامهم اشارة الى ما ذكرت من التبكيت لهم والزام الحجة اياهم * ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف

ولا ركبت بها الا الى ظفر * ولا حصلت بها الا على أمل فانه صدر الصدر والعجز بما صورته الدعاء على المخاطب فى المرض مستدركا بعد وانما يؤاخذ بهذا مثل أبى الطيب والزمخشرى لان لهما فى مراتب الفصاحة علوا ينفطن السامع لمثل هذا النقد (قال محمود رحمه الله واعلم انك اذا تأملت ما اورده الله عز سلطانه فى الفواتح من هذه الاسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم الخ) قال أحمد رحمه الله بقي عليه من الاصناف الحروف الشديدة وقد ذكر تعالى نصفها الهمزة المعبر عنها بالالف والكاف والقاف والطاء والمطبقة وقد ذكر تعالى نصفها الصاد والطاء والمنفتحة وقد ذكر نصفها الالف والحاء والراء والسين والعين والقاف والكاف واللام والميم والنون والهاء والياء وحروف الصفير لما كانت ثلاثا السين والصاد والزاى لم يكن لها نصف فذكر منها اثنين السين والصاد جريا على تلك العادة المأنوسة فيما يقصد الى تنصيفه فلا يمكن فيتم الكسر الاترى طلاق العبد وعدة الامة ونحو ذلك والحروف اللينة وهي ثلاثة الالف والياء والواو وذكر منها اثنين الالف والياء كحروف الصفير والمكرر وهو الراء والهاوى وهو الالف والمنحرف وهو اللام وقد ذكرها ولم يبق من أصناف الحروف خارجا عن هذا النمط الا ما بين الشديد والرخو فانه لم يقتصر منها على النصف لان ما ذكر منها زائدا على النصف اندرج فى غيرها من الاصناف فلم يمكن الاقتصار لها كالشديدة والرخوة فلم يكن بها عناية وأما الحروف الذلاقة والمصمتة فالصحيح أن لا يعدا صنفين ولمن عدهما صنفين متميزين خبط طويل فى جهة تميزهما حتى أبعد الزمخشرى فى مفصله فى تميزهما فقال حروف الذلاقة التى يعتمد

المعجم أكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم ان الالف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا فى معظم هذه الفواتح مكررتين وهى فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والاعراف والرعد ويونس وابراهيم وهود ويوسف والحجر (فان قلت) فهلا عددت بأجمعها في أول القرآن وما لها جاءت مفرقة على السور (قلت) لان اعادة التنبيه على أن المتحدى به مؤلف منها لا غير وتجديده فى غير موضع واحد أوصل الى الغرض واقر له فى الاسماع والقلوب من ان يفرد ذكره مرة وكذلك مذهب كل تكرير جاء فى القرآن فمطلوب به تمكين المكرر فى النفوس وتقريره (فان قلت) فهلا جاءت على وتيرة واحدة ولم اختلفت اعداد حروفها فوردت ص وق ون على حرف وطه وطس ويس وحم على حرفين والم والر وطسم على ثلاثة احرف والمص والمر على أربعة احرف وكهيعص وحم عسق على خمسة أحرف (قلت) هذا على عادة افتنانهم فى أساليب الكلام وتصرفهم فيه على طرق شتى ومذاهب متنوعة وكما ان ابنية كلماتهم على حرف وحرفين الى خمسة احرف لم تتجاوز ذلك سلك بهذه الفواتح تلك المسالك (فان قلت) فما وجه اختصاص كل سورة بالفاتحة التي اختصت بها (قلت) اذا كان الغرض هو التنبيه والمبادى كلها فى تأدية هذا الغرض سواء لا مفاضلة كان تطلب وجه الاختصاص ساقطا كما اذا سمى الرجل بعض اولاده زيدا والآخر عمرا لم يقل له لم خصصت ولدك هذا بزيد وذاك بعمرو لان الغرض هو التمييز وهو حاصل أية سلك ولذلك لا يقال لم سمى هذا الجنس بالرجل وذاك بالفرس ولم قيل للاعتماد الضرب وللانتصاب القيام ولنقيضه القعود (فان قلت) ما بالهم عدوا بعض هذه الفواتح آية دون بعض (قلت) هذا علم توقيفى لا مجال للقياس فيه كمعرفة السور أما الم فآية حيث وقعت من السور المفتتحة بها وهى ست وكذلك المص آية والمر لم تعد آية والر ليست بآية فى سورها الخمس وطسم آية فى سورتيها وطه ويس آيتان وطس ليست بآية وحم آية فى سورها كلها وحم عسق آيتان وكهيعص آية واحدة وص وق ون ثلاثتها لم تعد آية هذا مذهب الكوفيين ومن عداهم لم يعدوا شيئا منها آية (فان قلت) فكيف عد ما هو في حكم كلمة واحدة آية (قلت) كما عد الرحمن وحده ومدهامتان وحدها آيتين على طريق التوقيف (فان قلت) ما حكمها فى باب الوقف (قلت) يوقف على جميعها وقف التمام اذا حملت على معنى مستقل غير محتاج الى ما بعده وذلك اذا لم تجعل أسماء للسور ونعق بها كما ينعق بالاصوات أو جعلت وحدها اخبارا ابتداء محذوف كقوله عز قائلا الم الله أى هذه ألم ثم ابتدأ فقال الله لا اله الا هو (فان قلت) هل لهذه الفواتح محل من الاعراب (قلت) نعم لها محل فيمن جعلها أسماء للسور لانها عنده كسائر الاسماء الاعلام (فان قلت) ما محلها (قلت) يحتمل الاوجه الثلاثة أما الرفع فعلى الابتداء واما النصب والجر فلما مر من صحة القسم بها وكونها بمنزلة الله والله على اللغتين ومن لم يجعلها اسماء للسور لم يتصور أن يكون لها محل في مذهبه كما لا محل للجمل المبتدأة وللمفردات المعددة * (فان قلت) لم صحت الإشارة بذلك الى ما ليس ببعيد (قلت) وقعت الاشارة الى الم بعد ما سبق التكلم به وتقضى والمنقضي فى حكم المتباعد وهذا فى كل كلام يحدث الرجل بحديث ثم يقول وذلك ما لا شك فيه ويحسب الحاسب ثم يقول فذلك كذا وكذا

الناطق فيها على ذلق اللسان أى طرفه وهو تمييز مردود جدا لان من جملتها الميم والياء والفاء ولا مدخل لطرف اللسان فيها ثم لا يتم على هذا التمييز مطابقتها للمصمتة اذ المصمتة مفسرة عنده بأنها حروف تكون عن تركيب كلمة رباعية فما زاد منها حتى يدرج معها أحد حروف الذلاقة فكيف المقابلة بين الخروج من طرف اللسان وبين الصمت فالحق انهما صنفان ضعيف تمييزهما لم يعتبر جريانهما على النمط المستمر فى غيرهما من الاصناف البين امتيازها وعد الزمخشرى فى هذا النمط حروف القلقلة وذكر أن المذكور منها النصف القاف والطاء ووهم فانها خمسة احرف لم يذكر منها فى الفواتح سوى الحرفين المذكورين وعلى الجملة فلا يقدم الناظر تخريج ما لم يجر على هذا النمط من الاصناف على وجه يمكن الاستئناس اليه (قال محمود رحمه الله ومما يدل على انه تعمد بالذكر من حروف المعجم اكثرها وقوعا فى تراكيب الكلم ان الالف واللام الخ) قال أحمد رحمه الله الالف المذكورة فى الفواتح يحتمل ان يكون المراد بها الهمزة اللينة وقد اضطرب فيها كلام الزمخشرى فى هذا الفصل فعندما عد الحروف اربعة عشر حرفا فى الفواتح قال انها نصف حروف العربية فهذا يدل على أن جملتها ثمانية وعشرون حرفا فلابد من سقوط أحد الحرفين من هذا العدد اما اللينة والهمزة والا كانت تسعة وعشرين والظاهر ان الساقط الهمزة وعندما قال فى تسع وعشرين على عدد الحروف اقتضى هذا دخول الالفين في العدد والظاهر من كلامه ان الالف عنده هي اللينة فلذلك علل تسميتها بالالف ان النطق لما تعذر بها أولا استقرت الهمزة مكانها وفاء بمراعاة تلك اللطيفة التي قدمها من جعل مسمى الحرف اول اسمه واما عند النحاة فالالف المعدودة فى حروف المعجم مفردة هي الهمزة واما اللينة فهى المعدودة مع اللام حيث يقولون لام الف ويكتبونها على صورة لا (قال محمود رحمه الله فان قلت ما محل هذه الفواتح من الاعراب الخ) قال أحمد رحمه الله وانما جاز النصب مع القسم فيما لا يعقبه معطوف مجرور فاما ما يعقبه معطوف مجرور مثل ص وق ون فانه لا يجوز فيه النصب مع القسم البتة ويحمله على اضمار فعل اوعلى ان الفتح فى موضع الجر واما على وجه بدئه فيما تقدم فيجوز النصب مع القسم في جميعها فتجدد به عهدا وعلى النصب باضمار فعل أعربها سيبويه فى كتابه * قوله تعالى ذلك الكتاب (قال محمود رحمه الله ان قلت لم صحت الاشارة بذلك الى ما ليس ببعيد الخ) قال أحمد

وقال الله تعالى لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك وقال ذلكما مما علمني ربي ولانه لما وصل من المرسل الى المرسل اليه وقع في حد البعد كما تقول لصاحبك وقد أعطيته شيئا احتفظ بذلك وقيل معناه ذلك الكتاب الذي وعدوا به (فان قلت) لم ذكر اسم الاشارة والمشار اليه مؤنث وهو السورة (قلت) لا أخلو من أن أجعل الكتاب خبره أو صفته فان جعلته خبره كان ذلك في معناه ومسماه مسماه فجاز اجراء حكمه عليه في التذكير كما أجرى عليه في التانيث في قولهم من كانت أمك وان جعلته صفته فانما أشير به الى الكتاب صريحا لان اسم الاشارة مشار به الى الجنس الواقع صفة له تقول هند ذلك الانسان أو ذلك الشخص فعل كذا وقال الذبياني

نبئت نعمي على الهجران عاتبة * سقيا ورعيا لذاك العاتب الزاري

(فان قلت) أخبرني عن تاليف ذلك الكتاب مع الم (قلت) ان جعلت الم اسما للسورة ففي التاليف وجوه أن يكون الم مبتدأ وذلك مبتدأ ثانيا والكتاب خبره والجملة خبر المبتدا الاول ومعناه ان ذلك الكتاب هو الكتاب الكامل كان ما عداه من الكتب في مقابلته ناقص وأنه الذي يستاهل ان يسمي كتابا كما تقول هو الرجل اى الكامل في الرجولية الجامع لما يكون في الرجال من مرضيات الخصال وكما قال * هم القوم كل القوم يا ام خالد * وان يكون الكتاب صفة ومعناه هو ذلك الكتاب الموعود وان يكون الم خبر مبتدا محذوف اى هذه الم ويكون ذلك خبرا ثانيا او بدلا على ان الكتاب صفة وان يكون هذه الم جملة وذلك الكتاب جملة اخرى وان جعلت الم بمنزلة الصوت كان ذلك مبتدا خبره الكتاب اى ذلك الكتاب المنزل هو الكتاب الكامل او الكتاب صفة والخبر ما بعده او قدر مبتدا محذوف اى هو يعني المؤلف من هذه الحروف ذلك الكتاب وقرأ عبد الله الم تنزيل الكتاب لا ريب فيه وتاليف هذا ظاهر * والريب مصدر رابني اذا حصل فيك الريبة وحقيقة الريبة قلق النفس واضطرابها ومنه ماروى الحسن بن علي قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة وان الصدق طمانينة اى فان كون الامر مشكوكا فيه مما تقلق له النفس ولا تستقر وكونه صحيحا صادقا مما تطمئن له وتسكن ومنه ريب الزمان وهو ما يقلق النفوس ويشخص بالقلوب من نوائبه ومنه انه مر بظبي حاقف فقال لا يريبه احد بشيء (فان قلت) كيف نفي الريب على سبيل الاستغراق وكم من مرتاب فيه (قلت) ما نفي ان احدا لا يرتاب فيه وانما المنفي كونه متعلقا للريب ومظنة له لانه من وضوح الدلالة وسطوع البرهان بحيث لا ينبغي لمرتاب ان يقع فيه الا ترى الى قوله تعالى وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله فما ابعد وجود الريب منهم وانما عرفهم الطريق الى مزيل الريب وهو ان يحزروا انفسهم ويروزوا قواهم في البلاغة هل تتم للمعارضة أم تتضاءل دونها فيتحققوا عند عجزهم ان ليس فيه مجال للشبهة ولا مدخل للريبة (فان قلت) فهلا قدم الظرف على الريب كما قدم على الغول في قوله تعالى لا فيها غول (قلت) لان القصد في ايلاء الريب حرف النفي نفي الريب عنه واثبات انه حق وصدق لا باطل وكذب كما كان المشركون يدعونه ولو اولى الظرف لقصد الى ما يبعد عن المراد وهو ان كتابا آخر فيه الريب لا فيه كما قصد في قوله لا فيها غول تفضيل خمر الجنة على خمور الدنيا بانها لا تغتال العقول كما تغتالها هي كانه قيل ليس فيها ما في غيرها من هذا العيب والنقيصة وقرأ ابو الشعثاء لا ريب فيه بالرفع والفرق بينها وبين المشهورة ان المشهورة توجب الاستغراق وهذه تجوزه والوقف على فيه هو المشهور وعن نافع وعاصم انهما وقفا على لا ريب ولا بد للواقف من ان ينوي خبرا ونظيره قوله تعالى قالوا لا ضير وقول العرب لا باس وهي كثيرة في لسان اهل الحجاز والتقدير لا ريب فيه (فيه هدى) الهدى مصدر على فعل كالسرى والبكى وهو الدلالة الموصلة الى البغية بدليل وقوع الضلالة في مقابلته قال الله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وقال تعالى لعلى هدى او في ضلال مبين ويقال مهدى في موضع المدح كمهتد ولان اهتدى مطاوع هدى ولن يكون المطاوع في خلاف معنى أصله الا ترى الى نحو غمه فاغتم وكسره فانكسر وأشباه ذلك (فان قلت) فلم قيل هدى للمتقين والمتقون مهتدون (قلت) هو كقولك للعزيز المكرم أعزك الله وأكرمك تريد طلب

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين

رحمه الله ولان البعد هنا باعتبار علو المنزلة وبعد مرتبة المشار اليه من مرتبة كل كتاب سواه كما يقطعون بهم الاشعار بتراخي المراتب وقد يكون المعطوف سابقا في الوجود على المعطوف عليه وسياتي أمثاله (قال محمود رحمه الله فان قلت لم ذكر اسم الاشارة الخ) قال أحمد رحمه الله ولو مثل ذلك بقول القائل حصان كانت دابتك لكان أقوم وأسلم من الفرق بما في لفظ من من الابهام الصالح للمذكر والمؤنث ومثل هذا قوله تعالى يحسبون كل صيحة عليهم هم العدو فيمن وصل الكلام فجعل هم العدو جملة في موضع المفعول الثاني للحسبان وعدل عن أن يقول هي العدو نظرا الى المفعول الثاني الذي هو في المعنى خبر عن الصيحة فذكر وجمع لما كان المبتدأ هو الخبر في المعنى وقد وجه الشيخ أبو عمرو قول الزمخشري وتسمي الجملة بالتاء والياء عقيب قوله والكلام هو المركب من كلمتين بهذا التوجيه *قوله تعالى هدى للمتقين (قال محمود رحمه الله ان قلت فلم قيل هدى المتقين والمتقون مهتدون الخ) قال أحمد رحمه الله الهدى يطلق في القرآن على معنيين أحدهما الارشاد وايضاح سبيل الحق ومنه قوله تعالى وأما ثمود فهديناهم فاستحبوا العمى على الهدى وعلى هذا يكون الهدى للضال باعتبار انه رشد الى الحق سواء حصل له الاهتداء أولا والآخر خلق الله تعالى الاهتداء في قلب العبد ومنه أولئك الذين هدى الله

الزيادة الى ما هو ثابت فيه واستدامته كقوله اهدنا الصراط المستقيم ووجه آخر وهو أنه سماهم عند مشارفتهم لاكتساء لباس التقوى متقين كقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه وعن ابن عباس اذا أراد أحدكم الحج فليعجل فانه يمرض المريض وتضل الضالة وتكون الحاجة فسمى المشارف للقتل والمرض والضلال قتيلا ومريضا وضالة ومنه قوله تعالى ولا يلدوا الا فاجرا كفارا أي صائرا الى الفجور والكفر (فان قلت) فهلا قيل هدى للضالين (قلت) لان الضالين فريقان فريق علم بقاؤهم على الضلالة وهم المطبوع على قلوبهم وفريق علم أن مصيرهم الى الهدى فلا يكون هدى للفريق الباقين على الضلالة فبقي أن يكون هدى لهؤلاء فلو جيء بالعبارة المفصحة عن ذلك لقيل هدى للصائرين الى الهدى بعد الضلال فاختصر الكلام باجرائه على الطريقة التي ذكرنا فقيل هدى للمتقين وأيضا فقد جعل ذلك سلما الى تصدير السورة التي هي أولى الزهراوين وسنام القرآن وأول المثاني بذكر أولياء الله والمرتضين من عباده * والمتقي في اللغة اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى والوقاية فرط الصيانة ومنه فرس واق وهذه الدابة تقي من وجاها اذا أصابه ضلع من غلظ الارض ورقة الحافر فهو يقي حافره أن يصيبه أدنى شيء يؤلمه وهو في الشريعة الذي يقي نفسه تعاطي ما يستحق به العقوبة من فعل أو ترك * واختلف في الصغائر وقيل الصحيح أنه لا يتناولها لانها تقع مكفرة عن مجتنب الكبائر وقيل يطلق على الرجل اسم المؤمن لظاهر الحال والمتقي لا يطلق الا عن خبرة كما لا يجوز اطلاق العدل الا على المختبر ومحل هدى للمتقين الرفع لانه خبر مبتدا محذوف أو خبر مع لا ريب فيه لذلك أو مبتدا اذا جعل الظرف المقدم خبرا عنه ويجوز أن ينصب على الحال والعامل فيه معنى الاشارة او الظرف والذي هو أرسخ عرقا في البلاغة ان يضرب عن هذه المحال صفحا وان يقال ان قوله الم جملة برأسها أو طائفة من حروف المعجم مستقلة بنفسها وذلك الكتاب جملة ثانية ولا ريب فيه ثالثة وهدى للمتقين رابعة وقد أصيب بترتيبها مفصل البلاغة وموجب حسن النظم حيث جيء بها متناسقة هكذا من غير حرف نسق وذلك لمجيئها متآخية آخذا بعضها بعنق بعض فالثانية متحدة بالاولى معتنقة لها وهلم جرا الى الثالثة والرابعة بيان ذلك انه نبه اولا على أنه الكلام المتحدى به ثم اشير اليه بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال فكان تقريرا لجهة التحدي وشدا من أعضاده ثم نفى عنه ان يتشبث به طرف من الريب فكان شهادة وتسجيلا بكماله لانه لا كمال أكمل مما للحق واليقين ولا نقص انقص مما للباطل والشبهة وقيل لبعض العلماء فيم لذتك فقال في حجة تتبختر اتضاحا وفي شبهة تتضاءل افتضاحا ثم اخبر عنه بانه هدى للمتقين فقرر بذلك كونه يقينا لا يحوم الشك حوله وحقا لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ثم لم تخل كل واحدة من الاربع بعد ان رتبت هذا الترتيب الانيق ونظمت هذا النظم السري من نكتة ذات جزالة ففي الاولى الحذف والرمز الى الغرض بالطف وجه وأرشقه وفي الثانية ما في التعريف من الفخامة وفي الثالثة ما في تقديم الريب على الظرف وفي الرابعة الحذف ووضع المصدر الذي هو هدى موضع الوصف الذي هو هاد وايراده منكرا والايجاز في ذكر المتقين زادنا الله اطلاعا على اسرار كلامه وتبيينا لنكت تنزيله وتوفيقا للعمل بما فيه (الذين يؤمنون) اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة أو مدح منصوب او مرفوع بتقدير أعني الذين يؤمنون او هم الذين يؤمنون واما منقطع عن المتقين مرفوع على الابتداء مخبر عنه باولئك على هدى فاذا كان موصولا كان الوقف على المتقين حسنا غير تام واذا كان مقتطعا كان وقفا تاما (فان قلت) ما هذه الصفة أواردة بيانا وكشفا للمتقين ام مسرودة مع المتقين تفيد غير فائدتها ام جاءت على سبيل المدح والثناء كصفات الله الجارية عليه تمجيدا (قلت) يحتمل ان ترد على طريق البيان والكشف لاشتمالها على ما اسست عليه حال المتقين من فعل الحسنات وترك السيئات اما الفعل فقد انطوى تحت ذكر

فهداهم اقتده فاذا ثبت وروده على المعنيين فهو في هذه الآية يحتمل أن يراد به المعنيان جميعا وأما قول الزمخشري أن القرآن لا يكون هدى المعلوم بقاؤهم على الضلالة فانما يستقيم اذا أريد بالهدى خلق الاهتداء في قلوبهم وأما اذا اريد معناه الاول فلا يمتنع ان الله تعالى ارشد الخلق اجمعين و بين للناس ما نزل اليهم فمنهم من اهتدى ومنهم من حقت عليه الضلالة هذا مذهب أهل السنة (قال محمود رحمه الله واختلف في الصغائر الخ) قال احمد رحمه الله ومن تمني القدرية على الله تعالى اعتقادهم ان الصغائر ممحوة عنهم

الذين يؤمنون بالغيب

ما اجتنبوا الكبائر وانه يجب ان يعفو الله عنها لمجتنب الكبائر كما يجب عندهم ان لا يعفو عن مرتكب الكبائر وهذا هو الخطا الصراح والمحادة لآيات الله البينات وسنن رسوله صلى الله عليه وسلم الصحاح والحق ان غفران الصغائر وان اجتنبت الكبائر موكول الى المشيئة كما ان غفران الكبائر موكول اليها ايضا ومن لا يعتقد ذلك وهم القدرية يضطرون الى الوقوف عند قوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره فانه ناطق بالمؤاخذة بالصغائر و يتحيرون عند قوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا فانه مصرح بمغفرة الكبائر اما اهل السنة فقد الفوا بين هاتين الآيتين بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء فان التقييد بالمشيئة في هذه يقضي على الآيتين المطلقتين * قوله تعالى الذين يؤمنون بالغيب

الايمان

الايمان الذي هو اساس الحسنات ومنصبها وذكر الصلاة والصدقة لان هاتين أما العبادات البدنية والمالية وهما العيار على غيرهما ألم تر كيف سمى رسول الله صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين وجعل الفاصل بين الاسلام والكفر ترك الصلاة وسمى الزكاة قنطرة الاسلام وقال الله تعالى وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة فلما كانتا بهذه المثابة كان من شأنهما استجرار سائر العبادات واستتباعها ومن ثم اختصر الكلام اختصارا بأن استغنى عن عد الطاعات بذكر ما هو كالعنوان لها والذي اذا وجد لم تتوقف أخواته أن تقترن به مع ما في ذلك من الافصاح عن فضل هاتين العبادتين وأما الترك فكذلك الاترى الى قوله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ويحتمل ان لا تكون بيانا للمتقين وتكون صفة برأسها دالة على فعل الطاعات ويراد بالمتقين الذين يجتنبون المعاصي ويحتمل ان تكون مدحا للموصوفين بالتقوى وتخصيصا للايمان بالغيب واقام الصلاة وايتاء الزكاة بالذكر اظهاراً لانافتها على سائر ما يدخل تحت حقيقة هذا الاسم من الحسنات * والايمان افعال من الامن يقال امنته وآمنتيه غيري ثم يقال آمنه اذا صدقه وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة واما تعديته بالباء فلتضمينه معنى أقر واعترف واما ما حكي ابو زيد عن العرب ما آمنت ان اجد صحابة اي ما وثقت فحقيقته صرت ذا أمن به أي ذا سكون وطمانينة وكلا الوجهين حسن في يؤمنون بالغيب اي يعترفون به او يثقون بأنه حق ويجوز ان لا يكون بالغيب صلة للايمان وان يكون في موضع الحال اي يؤمنون غائبين عن المؤمن به وحقيقته ملتبسين بالغيب كقوله الذين يخشون ربهم بالغيب ليعلم أني لم أخنه بالغيب ويعضده ما روى ان أصحاب عبد الله ذكروا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وايمانهم فقال ابن مسعود ان امر محمد كان بينا لمن رآه والذي لا اله غيره ما آمن مؤمن افضل من ايمان بغيب ثم قرأ هذه الآية (فان قلت) فما المراد بالغيب ان جعلته صلة وان جعلته حالا (قلت) ان جعلته صلة كان بمعنى الغائب اما تسمية بالمصدر من قولك غاب الشيء غيبا كما سمي الشاهد بالشهادة قال الله تعالى عالم الغيب والشهادة والعرب تسمي المطمئن من الارض غيبا وعن النضر بن شميل شربت الابل حتى وارت غيوب كلاها يريد بالغيب الخمصة التي تكون في موضع الكلية اذا بطنت الدابة انتفخت واما ان يكون فيعلا فخفف كما قيل قيل وأصله قيل والمراد به الخفي الذي لا ينفذ فيه ابتداء الا علم اللطيف الخبير وانما نعلم منه نحن ما اعلمناه أو نصب لنا دليلا عليه ولهذا لا يجوز ان يطلق فيقال فلان يعلم الغيب وذلك نحو الصانع وصفاته والنبوات وما يتعلق بها والبعث والنشور والحساب والوعد والوعيد وغير ذلك وان جعلته حالا كان بمعنى الغيبة والخفاء (فان قلت) ما الايمان الصحيح (قلت) ان يعتقد الحق ويعرب عنه بلسانه ويصدقه بعمله فمن أخل بالاعتقاد وان شهد وعمل فهو منافق ومن اخل بالشهادة فهو كافر ومن أخل بالعمل فهو فاسق * ومعنى اقامة الصلاة تعديل أركانها وحفظها من ان يقع زيغ في فرائضها وسننها وآدابها من أقام العود اذا قومه او الدوام عليها والمحافظة عليها كما قال عز وعلا الذين هم على صلاتهم دائمون والذين هم على صلواتهم يحافظون من قامت السوق اذا نفقت وأقامها قال

أقامت غزالة سوق الضراب * لاهل العراقين حولا قميطا

لانها اذا حوفظ عليها كانت كالشيء النافق الذي تتوجه اليه الرغبات ويتنافس فيه المحصلون واذا عطلت وأضيعت كانت كالشيء الكاسد الذي لا يرغب فيه أو التجلد والتشمر لادائها وأن لا يكون في مؤديها فتور عنها ولا توان من قولهم قام بالامر وقامت الحرب على ساقها وفي ضده قعد عن الامر وتقاعد عنه اذا تقاعس وتثبط او أداؤها فعبر عن الاداء بالاقامة لان القيام بعض اركانها كما عبر عنه بالقنوت والقنوت القيام وبالركوع وبالسجود وقالوا سبح اذا صلى لوجود التسبيح فيها فلولا انه كان من المسبحين * والصلاة فعلة من

(قال محمود رحمه الله تعالى ان قلت ما معنى الايمان الصحيح الخ) قال احمد رحمه الله يعني بالفاسق غير مؤمن ولا كافر وهذا من الاسماء التي سماها القدرية وما أنزل الله بها من سلطان ومعتقد أهل السنة ان الموحد لله الذي لا خلل في عقيدته مؤمن وان ارتكب الكبائر وهذا الصحيح لغة وشرعا أما لغة فان الايمان التصديق وهو مصدق واما شرعا فاقرب شاهد عليه هذه الآية فانه لما عطف فيها العمل الصالح على الايمان دل على ان الايمان معقول بدونه ولو كان العمل الصالح من الايمان لكان العطف تكرارا وانظر حيلة الزمخشري على تقريب معتقده من اللغة بقوله المؤمن من اعتقد الحق وأعرب عنه بلسانه وصدقه بعمله فجعل التصديق من حظ العمل حتى تم له ان من لم يعمل

ويقيمون الصلاة

فقد فوت التصديق الذي هو الايمان لغة ولقد اوضحنا ان التصديق انما هو بالقلب ولا يتوقف وجوده على عمل الجوارح فلم يحقق معتقد أهل السنة ان من آمن بالله ورسوله ثم اخترم قبل ان يتعين عليه عمل من اعمال الجوارح فهو مؤمن باتفاق وان لم يعمل واصدق شاهد على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام ان احدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى اذا لم يبق بينه وبينها الا فواق ناقة عمل بعمل أهل الجنة فيكتب من أهل الجنة وانه مثل عليه الصلاة والسلام بفواق الناقة لانه الغاية في القصر ومثل هذا الزمان انما يتصور فيه القصد الصحيح خاصة ومع ذلك فقد عده من اهل الجنة وانما يدخل المؤمن الجنة

صلي كالزكاة من زكى وكتابتها بالواو على لفظ المفخم وحقيقة صلي حرك الصلوين لان المصلي يفعل ذلك في ركوعه وسجوده ونظيره كفر اليهودي اذا طأطأ رأسه وانحنى عند تعظيم صاحبه لانه ينثني على الكاذتين وهما الكافرتان وقيل للداعي مصل تشبيها في تخشعه بالراكع والساجد * واسناد الرزق الى نفسه للاعلام بانهم ينفقون الحلال المطلق الذي يستأهل ان يضاف الى الله ويسمى رزقا منه وادخل من التبعيضية صيانة لهم وكفا عن الاسراف والتبذير المنهي عنه وقدم مفعول الفعل دلالة على كونه أهم كانه قال ويخصون بعض المال الحلال بالتصدق به وجائز ان يراد به الزكاة المفروضة لاقترانه بأخت الزكاة وشقيقتها وهي الصلاة وان تراد هي وغيرها من النفقات في سبل الخير لمجيئه مطلقا يصلح ان يتناول كل منفق وأنفق الشيء وأنفده أخوان وعن يعقوب نفق الشيء ونفد واحد وكل ما جاء مما فاؤه نون وعينه فاء فدال على معنى الخروج والذهاب ونحو ذلك اذا تأملت * (فان قلت) والذين يؤمنون أهم غير الاولين ام هم الاولون وانما وسط العاطف كما يوسط بين الصفات في قولك هو الشجاع والجواد وفي قوله

الى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وقوله

يالهف زيابة للحارث الصا * ابح فالغانم فالآيب

(قلت) يحتمل أن يراد بهؤلاء مؤمنو أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأضرابه من الذين آمنوا فاشتمل ايمانهم على كل وحي أنزل من عند الله وأيقنوا بالآخرة ايقانا زال معه ما كانوا عليه من انه لا يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وان النار لن تمسهم الا اياما معدودات واجتماعهم على الاقرار بالنشاة الاخرى واعادة الارواح في الاجساد ثم افتراقهم فرقتين منهم من قال تجري حالهم في التلذذ بالمطاعم والمشارب والمناكح على حسب مجراها في الدنيا ودفعه آخرون فزعموا ان ذلك انما احتيج اليه في هذه الدار من أجل نماء الاجسام ولمكان التوالد والتناسل واهل الجنة مستغنون عنه فلا يتلذذون الا بالنسيم والارواح العبقة والسماع اللذيذ والفرح والسرور واختلافهم في الدوام والانقطاع فيكون المعطوف غير المعطوف عليه ويحتمل ان يراد وصف الاولين ووسط العاطف على معنى انهم الجامعون بين تلك الصفات وهذه (فان قلت) فان اريد بهؤلاء غير أولئك فهل يدخلون في جملة المتقين أم لا (قلت) ان عطفتهم على الذين يؤمنون بالغيب دخلوا وكانت صفة التقوى مشتملة على الزمرتين من مؤمني اهل الكتاب وغيرهم وان عطفتهم على المتقين لم يدخلوا وكانه قيل هدى للمتقين وهدى للذين يؤمنون بما انزل اليك * (فان قلت) قوله بما أنزل اليك ان عني به القرآن باسره والشريعة عن آخرها فلم يكن ذلك منزلا وقت ايمانهم فكيف قيل انزل بلفظ المضي وان اريد المقدار الذي سبق انزاله وقت ايمانهم فهو ايمان ببعض المنزل واشتمال الايمان على الجميع سالفه ومترقبه واجب (قلت) المراد المنزل كله وانما عبر عنه بلفظ المضي وان كان بعضه مترقبا تغليبا للموجود على ما لم يوجد كما يغلب المتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب فيقال انا وانت فعلنا وانت وزيد تفعلان ولانه اذا كان بعضه نازلا وبعضه منتظر النزول جعل كان كله قد نزل وانتهى نزوله ويدل عليه قوله تعالى انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى ولم يسمعوا جميع الكتاب ولا كان كله منزلا ولكن سبيله سبيل ما ذكرنا ونظيره قولك كل ما خطب به فلان فهو فصيح وما تكلم بشيء الا وهو نادر ولا تريد بهذا الماضي منه فحسب دون الآتي لكونه معقودا بعضه ببعض ومربوطا آتيه بماضيه وقرأ يزيد بن قطيب بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك على لفظ ما سمي فاعله * وفي تقديم الآخرة وبناء يوقنون على هم تعريض باهل الكتاب وبما كانوا عليه من اثبات امر الآخرة على خلاف حقيقته وان قولهم ليس بصادر عن ايقان وان اليقين ما عليه من آمن بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك والايقان اتقان العلم بانتفاء الشك والشبهة عنه والآخرة تأنيث الآخر الذي هو نقيض الاول وهي صفة الدار بدليل قوله تلك الدار الآخرة وهي من الصفات الغالبة وكذلك الدنيا وعن نافع أنه خففها بأن حذف الهمزة والقى حركتها على اللام كقوله دابة الارض وقرأ ابو حية النميري يؤقنون بالهمز جعل الضمة في جار الواو كانها فيه فقلبها قلب واو وجوه ووقتت ونحوه

وبما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك وهم بالآخرة هم يوقنون

باتفاق الفريقين والادلة على ذلك تجرد كون الشرط فيه شطرا * أقول تفسير الفاسق بغير مؤمن ولا كافر كما هو مذهب المعتزلة غير موجه والشيء الذي هو لم يصرح به لا يجب علينا تصريحه وتعريفه فان عندنا الضال من أخل بالعمل فهو فاسق * قوله تعالى ومما رزقناهم ينفقون (قال محمود رحمه الله أضاف الرزق الى نفسه للاعلام بانهم انما ينفقون من الحلال المطلق الخ) قال احمد رحمه الله فهذه بدعة قدرية فانهم يرون ان الله تعالى لا يرزق الا الحلال وأما الحرام فالعبد يرزقه لنفسه حتى يقسمون الارزاق قسمين هذا لله بزعمهم وهذا لشركائه واذا أثبتوا خالقا غير الله فلا يأنفون عن اثبات رازق غيره اما أهل السنة فلا خالق ولا رازق في عقدهم الا الله سبحانه تصديقا بقوله تعالى هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض لا اله الا هو فأنى تؤفكون ايها القدرية

أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون

لحب المؤقدان الى مؤسى * وجعدة اذ أضاءهما الوقود

(أولئك على هدى) الجملة فى محل الرفع ان كان الذين يؤمنون بالغيب مبتدا و لا فلا محل لها ونظم الكلام على الوجهين انك اذا نويت الابتداء بالذين يؤمنون بالغيب فقد ذهبت به مذهب الاستئناف وذلك انه لما قيل هدى للمتقين واختص المتقون بان الكتاب لهم هدى اتجه لسائل أن يسأل فيقول ما بال المتقين مخصوصين بذلك فوقع قوله الذين يؤمنون بالغيب الى ساقته كانه جواب لهذا السؤال المقدر وجيء بصفة المتقين المنطوية تحتها خصائصهم التي استوجبوا بها من الله ان يلطف بهم ويفعل بهم ما لا يفعل بمن ليسوا على صفتهم اى الذين هؤلاء عقائدهم وأعمالهم أحقاء بان يهديهم الله ويعطيهم الفلاح ونظيره قولك أحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار الذين قارعوا دونه وكشفوا الكرب عن وجهه أولئك أهل للمحبة وان جعلته تابعا للمتقين وقع الاستئناف على أولئك كانه قيل ما للمستقلين بهذه الصفات قد اختصوا بالهدى فاجيب بان أولئك الموصوفين غير مستبعد أن يفوزوا دون الناس بالهدى عاجلا وبالفلاح آجلا * واعلم ان هذا النوع من الاستئناف يجيء تارة باعادة اسم من استؤنف عنه الحديث كقولك قد أحسنت الى زيد زيد حقيق بالاحسان وتارة باعادة صفته كقولك أحسنت الى زيد صديقك القديم أهل لذلك منك فيكون الاستئناف باعادة الصفة أحسن وأبلغ لانطوائها على بيان الموجب وتلخيصه (فان قلت) هل يجوز ان يجرى الموصول الاول على المتقين وأن يرتفع الثاني على الابتداء وأولئك خبره (قلت) نعم على ان يجعل اختصاصهم بالهدى والفلاح تعريضا باهل الكتاب الذين لم يؤمنوا بنبوة رسول الله ﷺ وهم ظانون أنهم على الهدى وطامعون أنهم ينالون الفلاح عند الله وفى اسم الاشارة الذى هو أولئك ايذان بان ما يرد عقيبه فالمذكورون قبله أهل لاكتسابه من أجل الخصال التي عددت لهم كما قال حاتم ولله صعلوك ثم عدد له خصالا فاضلة ثم عقب تعديدها بقوله

فذلك ان يهلك فحسبي ثناؤه * وان عاش لم يقعد ضعيفا مذمما

ومعنى الاستعلاء فى قوله على هدى مثل لتمكنهم من الهدى واستقرارهم عليه وتمسكهم به شبهت حالهم بحال من اعتلى الشيء وركبه ونحوه هو على الحق وعلى الباطل وقد صرحوا بذلك فى قولهم جعل الغواية مركبا وامتطى الجهل واقتعد غارب الهوى ومعنى هدى من ربهم أى منحوه من عنده وأوتوه من قبله وهو اللطف والتوفيق الذى اعتضدوا به على أعمال الخير والترقي الى الافضل فالافضل ونكر هدى ليفيد ضربا مبهما لا يبلغ كنهه ولا يقادر قدره فانه قيل على أى هدى كما تقول لو أبصرت فلانا لا بصرت رجلا وقال الهذلى

فلا وأبي الطير المربة بالضحى * على خالد لقد وقعت على لحم

*والنون فى من ربهم أدغمت بغنة وبغير غنة فالكسائى وحمزة ويزيد وورش فى رواية والهاشمي عن ابن كثير لم يغنوها وقد أغنها الباقون الا أبا عمرو فقد روى عنه فيها روايتان * وفى تكرير أولئك تنبيه على انهم كما ثبتت لهم الأثرة بالهدى فهي ثابتة لهم بالفلاح فجعلت كل واحدة من الأثرتين فى تميزهم بها عن غيرهم بالمثابة التى لو انفردت كفت مميزة على حيالها (فان قلت) لم جاء مع العاطف وما الفرق بينه وبين قوله أولئك كالانعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون (قلت) قد اختلف الخبران ههنا فلذلك دخل العاطف بخلاف الخبرين ثمة فانهما متفقان لان التسجيل عليهم بالغفلة وتشبيههم بالبهائم شيء واحد فكانت الجملة الثانية مقررة لما فى الاولى فهى من العطف بمعزل * وهم فصل وفائدته الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة والتوكيد وايجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند اليه دون غيره أو هو مبتدأ والمفلحون خبره والجملة خبر أولئك * ومعنى التعريف فى المفلحون الدلالة على ان المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك انهم يفلحون فى الآخرة كما اذا بلغك ان انسانا قد تاب من أهل بلدك فاستخبرت من هو فقيل زيد التائب أى هو الذى أخبرت بتوبته أو على انهم الذين ان حصلت صفة المفلحين وتحققوا ما هم وتصوروا بصورتهم الحقيقية فهم هم لا يعدون تلك الحقيقة كما تقول لصاحبك هل عرفت الاسد وما جبل عليه من فرط الاقدام ان زيدا هو هو فانظر كيف كرر الله عز وجل التنبيه على اختصاص المتقين بنيل ما لا يناله أحد على طرق شتى وهى ذكر اسم الاشارة وتكريره وتعريف المفلحين

وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك ليبصرك مراتبهم ويرغبك فى طلب ما طلبوا وينشطك لتقديم ما قدموا ويثبطك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمنى على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته اللهم زينا بلباس التقوى واحشرنا فى زمرة من صدرت بذكرهم سورة البقرة والمفلح الفائز بالبغية كأنه الذى انفتحت له وجوه الظفر ولم تستغلق عليه والمفلج بالجيم مثله ومنه قولهم للمطلقة استفلحى بأمرك بالحاء والجيم والتركيب دال على معنى الشق والفتح وكذلك أخواته فى الفاء والعين نحو فلق وفلذ وفلى * لما قدم ذكر أوليائه وخالصة عباده بصفاتهم التى أهلتهم لإصابة الزلفى عنده وبين ان الكتاب هدى ولطف لهم خاصة قفى على اثره بذكر أضدادهم وهم العتاة المردة من الكفار الذين لا ينفع فيهم الهدى ولا يجدى عليهم اللطف وسواء عليهم وجود الكتاب وعدمه وانذار الرسول وسكوته (فان قلت) لم قطعت قصة الكفار عن قصة المؤمنين ولم تعطف كنحو قوله ان الابرار لفى نعيم وان الفجار لفى جحيم وغيره من الآى الكثيرة (قلت) ليس وزان هاتين القصتين وزان ما ذكرت لان الاولى فيما نحن فيه مسوقة لذكر الكتاب وانه هدى للمتقين وسيقت الثانية لان الكفار من صفتهم كيت وكيت فبين الجملتين تباين فى الغرض والاسلوب وهما على حد لا مجال فيه للعاطف (فان قلت) هذا اذا زعمت ان الذين يؤمنون جار على المتقين فاما اذا ابتدأته وبنيت الكلام لصفة المؤمنين ثم عقبته بكلام آخر فى صفة اضدادهم كان مثل تلك الآى المتلوة (قلت) قد مر لى ان الكلام المبتدأ عقيب المتقين سبيله الاستئناف وانه مبنى على تقدير سؤال فذلك ادراج له فى حكم المتقين وتابع له فى المعنى وان كان مبتدأ فى اللفظ فهو فى الحقيقة كالجارى عليه * والتعريف فى (الذين كفروا) يجوز أن يكون للعهد وان يراد بهم ناس بأعيانهم كأبى لهب وأبى جهل والوليد بن المغيرة وأضرابهم وأن يكون للجنس متناولا كل من صمم على كفره تصميما لا يرعوى بعده وغيرهم ودل على تناوله للمصرين الحديث عنهم باستواء الانذار وتركه عليهم و(سواء) اسم بمعنى الاستواء وصف به كما يوصف بالمصادر ومنه قوله تعالى تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم فى أربعة أيام سواء للسائلين بمعنى مستوية وارتفاعه على انه خبر لان وأأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع المرتفع به على الفاعلية كأنه قيل ان الذين كفروا مستو عليهم انذارك وعدمه كما تقول ان زيدا مختصم أخوه وابن عمه او يكون أأنذرتهم أم لم تنذرهم فى موضع الابتداء وسواء خبرا مقدما بمعنى سواء عليهم انذارك وعدمه والجملة خبر لان (فان قلت) الفعل ابدا خبر لا مخبر عنه فكيف صح الاخبار عنه فى هذا الكلام (قلت) هو من جنس الكلام المهجور فيه جانب اللفظ الى جانب المعنى وقد وجدنا العرب يميلون فى مواضع من كلامهم مع المعانى ميلا بينا من ذلك قولهم لا تأكل السمك وتشرب اللبن معناه لا يكن منك أكل السمك وشرب اللبن وان كان ظاهر اللفظ على ما لا يصح من عطف الاسم على الفعل والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء وقد انسلخ عنهما معنى الاستفهام رأسا قال سيبويه جرى هذا على حرف الاستفهام كما جرى على حرف النداء قولك اللهم اغفر لنا أيتها العصابة يعنى ان هذا جرى على صورة الاستفهام ولا استفهام كما أن ذلك جرى على صورة النداء ولا نداء ومعنى الاستواء استواؤهما فى علم المستفهم عنهما لانه قد علم ان احد الامرين كائن اما الانذار واما عدمه ولكن لا بعينه فكلاهما معلوم بعلم غير معين * وقرئ (أأنذرتهم) بتحقيق الهمزتين والتخفيف أعرب وأكثر وبتخفيف الثانية بين بين وبتوسيط ألف بينهما محققتين وبتوسيطها والثانية بين بين وبحذف حرف الاستفهام وبحذفه والقاء حركته على الساكن قبله كما قرئ قد افلح (فان قلت) ما تقول فيمن يقلب الثانية ألفا (قلت) هو لاحن خارج عن كلام العرب خروجين أحدهما الاقدام على جمع الساكنين على غير حده وحده ان يكون الاول حرف لين والثانى حرفا مدغما نحو قوله الضالين وخويصة والثانى اخطاء طريق التخفيف لان طريق تخفيف الهمزة المتحركة المفتوح ما قبلها ان تخرج بين بين فأما القلب ألفا فهو تخفيف الهمزة الساكنة المفتوح ما قبلها كهمزة رأس والانذار التخويف من عقاب الله بالزجر عن المعاصى * (فان قلت) ما موقع (لا يؤمنون) (قلت) اما ان يكون جملة مؤكدة للجملة قبلها او خبرا لان والجملة قبلها اعتراض * الختم والكتم اخوان لان فى الاستيثاق من الشئ بضرب الخاتم عليه كتما له وتغطية لئلا

يتوصل

ان الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون

---

* قوله تعالى سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم (قال محمود رحمه الله والهمزة وأم مجردتان لمعنى الاستواء الخ) قال احمد رحمه الله وحاصل هذا النقل استعمال الحرف فى أعم معناه فالهمزة المعادلة لأم موضوعة فى الاصل للاستفهام عن احد متعادلين فى عدم علم التعيين فنقلت الى مطلق المعادلة وان لم يكن استفهاما واستعملت فى الجزء الحقيقى وكذلك حرف النداء موضوع فى الاصل لتخصيص المنادى بالدعاء ثم نقل الى مطلق التخصيص ولا نداء كما يكون المجاز بالتخصيص والقصر مثل تخصيص الدابة بذوات الاربع وان كانت فى الاصل لكل ما دب فقد يكون بالتعميم والتعدى مثل تسمية الرجل الشجاع أسدا نقلا لهذا الاسم من موصوف بالشجاعة مخصوص وهو الحيوان المعروف الى كل موصوف بتلك الصفة غير مقصورة على محلها الاصلى * قوله تعالى ختم الله على قلوبهم الآية

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف أسند الختم الى الله تعالى الخ) قال احمد رحمه الله هذا أول عشواء خبطها في مهواة من الاهواء هبطها حيث نزل من منصة النص الى حضيض تأويله ابتغاء الفتنة استبقاء لما كتب عليه من المحنة فانطوى كلامه هذا على ضلالات أعدها وأردها * الاولى مخالفة دليل العقل على وحدانية الله تعالى ومقتضاه انه لا حادث الا بقدرة الله تعالى لا شريك له والامتناع من قبول الحق من جملة الحوادث فوجب انتظامه في سلك متعلقات القدرة العامة التعلق بالكائنات والممكنات * الثانية مخالفة دليل النقل المضاهي لدليل العقل كامثال قوله تعالى الله خالق كل شيء هل من خالق غير الله وهذه الآية أيضا فان الختم فيها مسند الى الله تعالى نصاً والزمخشري رحمه الله لا يأبى ذلك ولكنه يدعي الالتجاء الى تأويلها لدليل قام عنده علة فاذا أثبت ان الدليل العقلي على وفق ما دلت عليه وجب عليه ابقاؤها على ظاهرها بل لو وردت على خلاف ذلك ظاهراً لوجب تأويلها بالدليل جمعاً بين العقل والنقل * الثالثة الفرار من نسبة ما اعتقده قبحاً الى الله تعالى تنزيها على زعمه ان الاشراك به في اعتقاد ان الشيطان هو الذي يخلق الختم والكافر يخلقه لنفسه بقدرته على خلاف مراد ربه فلقد استوخم من السنة المناهل العذاب وورد من حميم البدعة موارد الذاب * الرابعة الغلط باعتقاد ان ما يقبح شاهداً يقبح غائباً فلما كان المنع من قبول الحق قبيحاً في الشاهد وجب على زعمه ان يكون قبيحاً من الغائب وهذه قاعدة قد فرغ من بطلانها في فنها * الخامسة اعتقاده ان ذلك لو فرض وجوده بقدرة الله تعالى لكان ظلما والله تعالى منزه

عن الظلم بقوله تعالى وما أنا بظلام للعبيد ومن الظلم البين جهل حقيقة الظلم فانه التصرف في ملك الغير بغير اذنه فكيف يتصور ثبوت حقيقته لله تعالى وكل مفروض محصور بسور ملكه عز وجل الملك لله الواحد القهار

ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم

يتوصل اليه ولا يطلع عليه * والغشاوة الغطاء فعالة من غشاه اذا غطاه وهذا البناء لما يشتمل على الشيء كالعصابة والعمامة (فان قلت) ما معنى الختم على القلوب والاسماع وتغشية الابصار (قلت) لا ختم ولا تغشية ثم على الحقيقة وانما هو من باب المجاز ويحتمل ان يكون من كلا نوعيه وهما الاستعارة والتمثيل اما الاستعارة فان تجعل قلوبهم لان الحق لا ينفذ فيها ولا يخلص الى ضمائرها من قبل اعراضهم عنه واستكبارهم عن قبوله واعتقاده وأسماعهم لانها تمجه وتنبو عن الاصغاء اليه وتعاف استماعه كانها مستوثق منها بالختم وأبصارهم لانها لا تجتلي آيات الله المعروضة ودلائله المنصوبة كما تجتليها أعين المعتبرين المستبصرين كانما غطى عليها وحجبت وحيل بينها وبين الادراك واما التمثيل فان تمثل حيث لم يستنفعوا بها في الاغراض الدينية التي كلفوها وخلقوا من أجلها بأشياء ضرب حجاب بينها وبين الاستنفاع بها بالختم والتغطية وقد جعل بعض المازنيين الحبسة في اللسان والعي ختماً عليه فقال

ختم الاله على لسان عذافر * ختما فليس على الكلام بقادر
واذا أراد النطق خلت لسانه * لحما يحركه لصقر ناقر

(فان قلت) فلم أسند الختم الى الله تعالى واسناده اليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل اليه بطرقه وهو قبيح والله يتعالى عن فعل القبيح علوا كبيرا لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه وقد نص على تنزيه ذاته بقوله وما أنا بظلام للعبيد وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين ان الله لا يأمر بالفحشاء ونظائر ذلك مما نطق به التنزيل (قلت) القصد الى صفة القلوب بأنها كالمختوم عليها وأما اسناد الختم الى الله عز وجل فلينبه على ان هذه الصفة في فرط تمكنها وثبات قدمها كالشيء الخلقي غير العرضي ألا ترى الى قولهم فلان مجبول على كذا ومفطور عليه يريدون انه بليغ في الثبات عليه وكيف يتخيل ما خيل اليك وقد وردت الآية ناعية على الكفار شناعة صفتهم

* السادسة انه فر من اعتقاد نسبة الظلم الى الله تعالى فتورط فيه على عنقه لانه قد جزم بان المنع من قبول الحق لو كان من فعل الله تعالى لكان ظلما فيقال له وقد قام البرهان على انه من فعل الله تعالى فيلزمك ان يكون ظلما تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا والخيال الذي يدندن حوله هؤلاء ان افعال العبد لو كانت مخلوقة لله تعالى لما نعاها على عباده ولا عاقبهم ولا قامت حجة الله عليهم وهذه الشبه قد أجراها في ادراج كلامه المتقدم فيقال لهم لم قلتم انها لو كانت مخلوقة لله لما نعاها على عباده فان أسندوا هذه الملازمة وكذلك يفعلون الى قاعدة التحسين والتقبيح وقالوا معاقبة الانسان بفعل غيره قبيحة في الشاهد لا سيما اذا كانت المعاقبة من الفاعل فيلزم طرد ذلك غائبا قيل لهم ويقبح في الشاهد أيضا ان يمكن الانسان عبده من القبائح والفواحش بمرأى منه ومسمع ثم يعاقبه على ذلك مع القدرة على ردعه ورده من الاول عنها وأنتم معاشر القدرية تزعمون ان القدرة التي بها يخلق العبد الفواحش لنفسه مخلوقة لله تعالى على علم منه عز وجل ان العبد يخلق بها لنفسه ذلك فهو بمثابة اعطاء سيف باتر لفاجر يعلم انه يقطع به السبيل ويسبي به الحريم وذلك في الشاهد قبيح جزما فسيقولون أجل انه قبيح في الشاهد ولكن هناك حكمة استأثر الله تعالى بعلمها فرقت بين الشاهد والغائب فحسن من الغائب تمكين عبده من الفواحش مع القدرة على ان لا يقع منه شيء ولم يحسن ذلك في الشاهد وفي هذا الموطن تتزلزل أقدامهم وتنكس أعلامهم اذ لاحت لهم قواطع اليقين وبوارق البراهين فيقال لهم ما المانع ان تكون تلك الافعال مخلوقة لله تعالى ويعاقب العبد عليها لمصلحة وحكمة استأثر الله بها كما زعمتم منه الآن سواء فلم لا يسلك احدكم الطريق الاعدل وينظر عاقبة هذا الامر فيصير آخر أول وليفوض من الابتداء الى خالقه ويتلقى حجة الله تعالى عليه بالقبول والتسليم

وسماجة حالهم ونيط بذلك الوعيد بعذاب عظيم ويجوز ان تضرب الجملة كما هي وهي ختم الله على قلوبهم مثلا كقولهم سال به الوادي اذا هلك وطارت به العنقاء اذا أطال الغيبة وليس للوادي ولا للعنقاء عمل في هلاكه ولا في طول غيبته وانما هو تمثيل مثلت حاله في هلاكه بحال من سال به الوادي وفي طول غيبته بحال من طارت به العنقاء فكذلك مثلت حال قلوبهم فيما كانت عليه من التجافي عن الحق بحال قلوب ختم الله عليها نحو قلوب الاغتام التي هي في خلوها عن الفطن كقلوب البهائم أو بحال قلوب البهائم أنفسها او بحال قلوب مقدر ختم الله عليها حتى لا تعي شيأ ولا تفقه وليس له عز وجل فعل في تجافيها عن الحق ونبوها عن قبوله وهو متعال عن ذلك ويجوز ان يستعار الاسناد في نفسه من غير الله فيكون الختم مسندا الى اسم الله على سبيل المجاز وهو لغيره حقيقة تفسير هذا أن للفعل ملابسات شتى يلابس الفاعل والمفعول به والمصدر والزمان والمكان والمسبب له فاسناده الى الفاعل حقيقة وقد يسند الى هذه الاشياء على طريق المجاز المسمى استعارة وذلك لمضاهاتها الفاعل في ملابسة الفعل كما يضاهي الرجل الاسد في جراءته فيستعار له اسمه فيقال في المفعول به عيشة راضية وماء دافق وفي عكسه سيل مفعم وفي المصدر شعر شاعر وذيل ذائل وفي الزمان نهاره صائم وليله قائم وفي المكان طريق سائر ونهر جار وأهل مكة يقولون صلى المقام وفي المسبب بنى الامير المدينة وناقة ضبوث وحلوب وقال * اذا رد عافي القدر من يستعيرها * فالشيطان هو الخاتم في الحقيقة او الكافر الا ان الله سبحانه لما كان هو الذي أقدره ومكنه اسند اليه الختم كما يسند الفعل الى المسبب ووجه رابع وهو انهم لما كانوا على القطع والبت ممن لا يؤمن ولا تغني عنهم الآيات والنذر ولا تجدي عليهم الالطاف المحصلة ولا المقربة ان أعطوها لم يبق بعد استحكام العلم بانه لا طريق الى ان يؤمنوا طوعا واختيارا طريق الى ايمانهم الا القسر والالجاء واذا لم تبق طريق الا ان يقسرهم الله ويلجئهم ثم لم يقسرهم ولم يلجئهم لئلا ينتقض الغرض في التكليف عبر عن ترك القسر والالجاء بالختم اشعارا بانهم الذين ترامى امرهم في التصميم على الكفر والاصرار عليه الى حد لا يتناهون عنه الا بالقسر والالجاء وهي الغاية القصوى في وصف لجاجهم في الغي واستشرائهم في الضلال والبغي ووجه خامس وهو ان يكون حكاية لما كان الكفرة يقولونه تهكما بهم من قولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب ونظيره في الحكاية والتهكم قوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة (فان قلت) اللفظ يحتمل ان تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم التغشية فعلى أيهما يعول (قلت) على دخولها في حكم الختم لقوله تعالى وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة ولوقفهم على سمعهم دون قلوبهم (فان قلت) أي فائدة في تكرير الجار في قوله وعلى سمعهم (قلت) لو لم يكرر لكان انتظاما للقلوب والاسماع في تعدية واحدة وحين استجد للاسماع تعدية على حدة كان أدل على شدة الختم في الموضعين ووحد السمع كما وحد البطن في قوله كلوا في بعض بطنكم تعفوا يفعلون ذلك اذا أمن اللبس فاذا لم يؤمن كقولك فرسهم وثوبهم وانت تريد الجمع رفضوه ولك ان تقول السمع مصدر في أصله والمصادر لا تجمع فلمح الاصل يدل عليه جمع الاذن في قوله وفي آذاننا وقر وان تقدر مضافا محذوفا أي وعلى حواس سمعهم وقرأ ابن ابي عبلة وعلى اسماعهم (فان قلت) هلا منع أبا عمرو والكسائي من امالة أبصارهم ما فيه من حرف الاستعلاء وهو الصاد (قلت) لان الراء المكسورة تغلب المستعلية لما فيها من التكرير كأن فيها كسرتين وذلك أعون شيء على الامالة وان يمال له ما لا يمال والبصر نور العين وهو ما يبصر به الرائي ويدرك المرئيات كما ان البصيرة نور القلب وهو ما به يستبصر ويتأمل وكأنهما جوهران لطيفان خلقهما الله فيهما آلتين للابصار والاستبصار وقرئ (غشاوة) بالكسر والنصب وغشاوة بالضم والرفع وغشاوة بالفتح والنصب وغشوة بالكسر والرفع وغشوة بالفتح والرفع والنصب وعشاوة بالعين غير المعجمة والرفع من العشا * والعذاب مثل النكال بناء ومعنى لانك تقول اعذب عن الشيء اذا أمسك عنه كما تقول نكل عنه ومنه العذب لانه يقمع العطش ويردعه بخلاف الملح فانه يزيده ويدل عليه تسميتهم اياه نقاخا لانه ينقخ العطش أي يكسره وفراتا

ويسلك مهتديا بنور العقل ومقتديا بدليل الشرع الصراط المستقيم فان نازعته النفس وحادثته الهواجس ورغب في مستند من حيث النظر يأنس به من مفاوز الفكر فليخطر بباله ما ذكر عند كل عاقل من التمييز بين الحركة الاختيارية والقسرية فلا يجد عنده في هذه التفرقة ريباً فاذا استشعر ذلك فليتنبه فقد لطف به الى أن انحرف عن مضايق الجبر فاراً أن

غشاوة ولهم عذاب عظيم

يلوح به شيطان الضلال الى مهامه الاعتزال فليمسك نفسه دونها بزمام دليل الوحدانية على أن لا فاعل ولا خالق الا الله تعالى فاذا وقف لم يقف الا وهو على الصراط المستقيم والطريقة المثلى مارا عليها في أسرع من البرق الخاطف والريح العاصف فليتأمل الناظر هذا الفصل ويتخذه وزره في قاعدة الافعال يقف على الحق ان شاء الله تعالى (قال محمود رحمه الله اللفظ يحتمل أن تكون الاسماع داخلة في حكم الختم وفي حكم الغشاوة الخ) قال احمد رحمه الله وكان جدي رحمه الله يذكر هذا ويزيد عليه أن الاسماع والقلوب لما كانت محوية كان استعمال الختم لها أولى والابصار لما كانت بارزة وادراكها متعلق بظاهرها كان الغشاء لها أليق لانه

لانه يرفعته على القلب ثم اتسع فيه فسمي كل ألم فادح عذابا وان لم يكن نكالا اى عقابا يرتدع به الجاني عن المعاودة والفرق بين العظيم والكبير ان العظيم نقيض الحقير والكبير نقيض الصغير فكان العظيم فوق الكبير كما ان الحقير دون الصغير ويستعملان فى الجثث والاحداث جميعا تقول رجل عظيم وكبير تريد جثته أو خطره ومعنى التنكير ان على ابصارهم نوعا من الاغطية غير ما يتعارفه الناس وهو غطاء التعامى عن آيات الله ولهم من بين الآلام العظام نوع عظيم لا يعلم كنهه الا الله اللهم أجرنا من عذابك ولا تبلنا بسخطك يا واسع المغفرة * افتتح سبحانه بذكر الذين أخلصوا دينهم لله وواطأت فيه قلوبهم ألسنتهم ووافق سرهم علنهم وفعلهم قولهم ثم ثنى بالذين محضوا الكفر ظاهرا وباطنا قلوبا وألسنة ثم ثلث بالذين آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم وأبطنوا خلاف ما أظهروا وهم الذين قال فيهم مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء وسماهم المنافقين وكانوا أخبث الكفرة وأبغضهم اليه وأمقتهم عنده لانهم خلطوا بالكفر تمويها وتدليسا وبالشرك استهزاء وخداعا ولذلك أنزل فيهم ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ووصف حال الذين كفروا فى آيتين وحال الذين نافقوا فى ثلاث عشرة آية نعى عليهم فيها خبثهم ومكرهم وفضحهم وسفههم واستجهلهم واستهزأ بهم وتهكم بفعلهم وسجل بطغيانهم وعمههم ودعاهم صما بكما عميا وضرب لهم الامثال الشنيعة وقصة المنافقين عن آخرها معطوفة على قصة الذين كفروا كما تعطف الجملة على الجملة * وأصل ناس أناس حذفت همزته تخفيفا كما قيل لوقة فى ألوقة وحذفها مع لام التعريف كاللازم لا يكاد يقال الاناس ويشهد لاصله انسان وأناس وأناسي وانس وسموا لظهورهم وأنهم يؤنسون أى يبصرون كما سمى الجن لاجتنانهم ولذلك سموا بشرا ووزن ناس فعال لان الزنة على الاصول ألا تراك تقول فى وزن قه افع وليس معك الا العين وحدها وهو من اسماء الجمع كرخال وأما نويس فمن المصغر الآتي على خلاف مكبره كانيسيان ورويجل ولام التعريف فيه للجنس ويجوز ان تكون للعهد والاشارة الى الذين كفروا المار ذكرهم كانه قيل ومن هؤلاء من يقول وهم عبد الله بن أبي وأصحابه ومن كان فى حالهم من أهل التصميم على النفاق ونظير موقعه موقع القوم فى قولك نزلت ببني فلان فلم يقروني والقوم لئام * ومن فى (من يقول) موصوفة كانه قيل ومن الناس ناس يقولون كذا كقوله من المؤمنين رجال ان جعلت اللام للجنس وان جعلتها للعهد فموصولة كقوله ومنهم الذين يؤذون النبي (فان قلت) كيف يجعلون بعض أولئك والمنافقون غير المختوم على قلوبهم (قلت) الكفر جمع الفريقين معا وصيرهم جنسا واحدا وكون المنافقين نوعا من نوعى هذا الجنس مغايرا للنوع الآخر بزيادة زادوها على الكفر الجامع بينهما من الخديعة والاستهزاء لا يخرجهم من ان يكونوا بعضا من الجنس فان الاجناس انما تنوعت لمغايرات وقعت بين بعضها وبعض وتلك المغايرات انما تأتى بالنوعية ولا تأبى الدخول تحت الجنسية * (فان قلت) لم اختص بذكر الايمان بالله والايمان باليوم الآخر (قلت) اختصاصهما بالذكر كشف عن افراطهم فى الخبث وتماديهم فى الدعارة لان القوم كانوا يهودا وايمان اليهود بالله ليس بايمان لقولهم عزير ابن الله وكذلك ايمانهم باليوم الآخر لانهم يعتقدونه على خلاف صفته فكان قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر خبثا مضاعفا وكفرا موجها لان قولهم هذا لو صدر عنهم لا على وجه النفاق وعقيدتهم عقيدتهم فهو كفر لا ايمان فاذا قالوه على وجه النفاق خديعة للمسلمين واستهزاء بهم وأروهم انهم مثلهم فى الايمان الحقيقي كان خبثا الى خبث وكفرا الى كفر وأيضا فقد اوهموا فى هذا المقال انهم اختاروا الايمان من جانبيه واكتنفوه من قطريه وأحاطوا باوله وآخره وفى تكرير الباء أنهم ادعوا كل واحد من الايمانين على صفة الصحة والاستحكام * (فان قلت) كيف طابق قوله وما هم بمؤمنين قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر والاول فى ذكر شان الفعل لا الفاعل والثاني فى ذكر شأن الفاعل لا الفعل (قلت) القصد الى انكار ما ادعوه ونفيه فسلك فى ذلك طريق أدى الى الغرض المطلوب وفيه من التوكيد والمبالغة ما ليس فى غيره وهو اخراج ذواتهم وأنفسهم من أن تكون طائفة من طوائف المؤمنين لما علم من حالهم المنافية لحال الداخلين فى الايمان واذا شهد عليهم بانهم فى أنفسهم على هذه الصفة فقد انطوى تحت الشهادة عليهم بذلك نفي ما انتحلوا اثباته لانفسهم على سبيل

ومن الناس من يقول آمنا بالله وباليوم الآخر وما هم بمؤمنين

(قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح الخ) قال احمد رحمه الله هذا الفصل من كلام الزمخشري جمع فيه بين الغث والسمين ونحن ننبه على ما فيه من الزبد ليتم للناظر أخذ ما فيه من السنة آمناً من التورط في وضر البدعة مستعينين بالله وهو خير معين فمما خالف فيه السنة قوله ان الله تعالى عالم بذاته يريد لا بعلم وهذا مما وسمت به المعتزلة في المقدمة من انهم يجحدون صفات الكمال الالهي يبغون بذلك زعمهم التوحيد والتنزيه ومعتقد أهل السنة ان الله تعالى عالم بعلم قديم أزلي متعلق بكل معلوم واجب او ممكن او مستحيل ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا في كتاب مبين وحسبك هذه الآية مصدقة لمعتقدهم في ثبوت صفة العلم له تعالى وفي عموم ٢٤ - تعلقه بالكليات والجزئيات الى ماوراءها من البراهين الكلامية على ذلك ولسنا بصدد ذكرها في هذا الكتاب * ومما خالف فيه السنة اعتقاده ان في الكائنات ما ليس مخلوقا لله تعالى لانه قبيح على زعمه كالمفهوم من الخداع في هذه الآية وما جره الى هاتين النزغتين الا اعتقاده انه لا يتم استحالة كونه تعالى مخدوعا الا بانه عالم بذاته حتى تعم عالميته كل كائن فلا يخدع اذ نسبة الذات الى الكائنات نسبة واحدة ولا يتم استحالة كونه تعالى خادعا الا باستحالة صدور بعض الكائنات عنه لانه قبيح على زعمهم ولقد وقف هذا التنزيه على ما لا توقف عليه ولا شرط فيه فنحن معاشر أهل السنة نعتقد ان الله تعالى عالم بعلم ومع ذلك نعتقد استحالة كونه مخدوعا لان علمه عندنا عام التعلق كما وصفنا ونعتقد انه لا يصدر كائن في الوجود الا عن قدرته لا غير ومع ذلك نمنع ان ينسب الخداع الى الله تعالى لما يوهم ظاهره من انه انما يكون عن عجز عن المكافحة واظهار المكتوم هذا هو الموهوم منه في الاطلاق ولكن حيث أطلقه تعالى مقابلا لما ذكره من خداع المنافقين كمقابلة المكر بمكرهم علمنا ان المراد منه انه فعل معهم فعلا سماه خداعا مقابلة ومشاكلة والا فهو قادر على هتك سترهم وانزال العذاب بهم رأي العين فهذا معتقد أهل السنة في هذه الآية وامثالها لا كالزمخشري وشيعته الذين يزعمون أنهم يوحدون فيجحدون وينزهون فيشركون والله الموفق للحق وكذلك الخداع المنسوب اليهم على سبيل المجاز عن تعاطيهم افعال المخادع على ظنهم وأصدق شاهد في أنه مجاز نفيه بعقب اثباته في قوله وما يخدعون الا انفسهم وما يشعرون ففي هذه التتمة نفي احتمال الحقيقة حتى يتعين جهة المجاز صدق نفيه فتأمل هذا الفصل فله على سائر الفصول الفضل

البت والقطع ونحوه قوله تعالى يريدون أن يخرجوا من النار وماهم بخارجين منها هو أبلغ من قولك وما يخرجون منها (فان قلت) فلم جاء الايمان مطلقا في الثاني وهو مقيد في الاول (قلت) يحتمل أن يراد التقييد ويترك لدلالة المذكور عليه وان يراد بالاطلاق أنهم ليسوا من الايمان في شيء قط لا من الايمان بالله وباليوم الآخر ولا من الايمان بغيرهما (فان قلت) ما المراد باليوم الآخر (قلت) يجوز ان يراد به الوقت الذي لا حد له وهو الابد الدائم الذي لا ينقطع لتاخره عن الاوقات المنقضية وان يراد الوقت المحدود من النشور الى ان يدخل أهل الجنة الجنة واهل النار النار لانه آخر الاوقات المحدودة الذي لا حد للوقت بعده * والخدع ان يوهم صاحبه خلاف ما يريد به من المكروه من قولهم ضب خادع وخدع اذا امر الحارش يده على باب جحره اوهمه اقباله عليه ثم خرج من باب آخر (فان قلت) كيف ذلك ومخادعة الله والمؤمنين لا تصح لان العالم الذي لا يخفى عليه خافية لا يخدع والحكيم الذي لا يفعل القبيح لا يخدع والمؤمنون وان جاز ان يخدعوا لم يجز ان يخدعوا الا ترى الى قوله * واستمطروا من قريش كل منخدع * وقول ذي الرمة * ان الحليم وذا الاسلام يختلب * فقد جاء النعت بالانخداع ولم يأت بالخدع (قلت) فيه وجوه * احدها ان يقال كانت صورة صنعهم مع الله حيث يتظاهرون بالايمان وهم كافرون صورة صنع الخادعين وصورة صنع الله معهم حيث أمر باجراء احكام المسلمين عليهم وهم عنده في عداد شرار الكفرة واهل الدرك الاسفل من النار صورة صنع الخادع وكذلك صورة صنع المؤمنين معهم حيث امتثلوا أمر الله فيهم وأجروا احكامهم عليهم * والثاني ان يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم ان الله ممن يصح خداعه لان من كان ادعاؤه الايمان بالله نفاقا لم يكن عارفا بالله ولا بصفاته ولا أن لذاته تعلقا بكل معلوم ولا انه غني عن فعل القبائح فلم يبعد من مثله تجويز ان يكون الله في زعمه مخدوعا ومصابا بالمكروه من وجه خفي وتجويز ان يدلس على عباده ويخدعهم * والثالث ان يذكر الله تعالى ويراد الرسول صلى الله عليه وسلم لانه خليفته في ارضه والناطق عنه باوامره ونواهيه مع عباده كما يقال قال الملك كذا ورسم كذا وانما القائل والراسم وزيره او بعض خاصته الذين قولهم قوله ورسمهم رسمه مصداقه قوله ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم وقوله من يطع الرسول فقد أطاع الله * والرابع ان يكون من قولهم أعجبني زيد وكرمه فيكون المعنى يخادعون الذين آمنوا بالله وفائدة هذه الطريقة قوة الاختصاص ولما كان المؤمنون من الله بمكان سلك بهم ذلك المسلك ومثله والله ورسوله احق ان يرضوه وكذلك ان الذين يؤذون الله ورسوله ونظيره في كلامهم علمت زيدا فاضلا والغرض فيه ذكر احاطة العلم بفضل زيد لا به نفسه لانه كان معلوما له قديما كانه قيل علمت فضل زيد ولكن ذكر زيد توطئة وتمهيد لذكر فضله (فان قلت) هل للاقتصار بخادعت على واحد وجه صحيح (قلت) وجهه أن يقال عنى به فعلت الا انه اخرج في زنة فاعلت

لان الزنة فى أصلها للمبالغة والمباراة والفعل متى غولب فيه فاعله جاء أبلغ واحكم منه اذا زاوله وحده من غير مغالب ولا مبار لزيادة قوة الداعي اليه ويعضده قراءة من قرأ يخدعون الله والذين آمنوا وهو أبو حيوة و (يخادعون) بيان ليقول ويجوز أن يكون مستأنفا كانه قيل ولم يدعون الايمان كاذبين ومارفقهم فى ذلك فقيل يخادعون (فان قلت) عم كانوا يخادعون (قلت) كانوا يخادعونهم عن أغراض لهم ومقاصد منها متاركتهم واعفاؤهم عن المحاربة وعما كانوا يطرقون به من سواهم من الكفار ومنها اصطناعهم بما يصطنعون به المؤمنين من اكرامهم والاحسان اليهم واعطائهم الحظوظ من المغانم ونحو ذلك من الفوائد ومنها اطلاعهم لاختلاطهم بهم على الاسرار التي كانوا حراصا على اذاعتها الى منابذيهم (فان قلت) فلو أظهر عليهم حتى لا يصلوا الى هذه الاغراض بخداعهم عنها (قلت) لم يظهر عليهم لما أحاط به علما من المصالح التي لو أظهر عليهم لانقلبت مفاسد واستبقاء ابليس وذريته ومتاركتهم وماهم عليه من اغواء المنافقين وتلقينهم النفاق اشد من ذلك ولكن السبب فيه ما علمه تعالى من المصلحة * (فان قلت) ما المراد بقوله (وما يخادعون الا أنفسهم) (قلت) يجوز ان يراد وما يعاملون تلك المعاملة المشبهة بمعاملة المخادعين الا أنفسهم لان ضررها يلحقهم ومكرها يحيق بهم كما تقول فلان يضار فلانا وما يضار الا نفسه اى دائرة الضرار راجعة اليه وغير متخطية اياه وان يراد حقيقة المخادعة اى وهم فى ذلك يخدعون أنفسهم حيث يمنونها الاباطيل ويكذبونها فيما يحدثونها به وانفسهم كذلك تمنيهم وتحدثهم بالامانى وان يراد وما يخدعون فجيء به على لفظ يفاعلون للمبالغة وقرئ وما يخدعون ويخدعون من خدع ويخدعون بفتح الياء بمعنى يختدعون ويخدعون ويخادعون على لفظ ما لم يسم فاعله * والنفس ذات الشيء وحقيقته يقال عندى كذا نفسا ثم قيل للقلب نفس لان النفس به ألا ترى الى قولهم المرء بأصغريه وكذلك بمعنى الروح وللدم نفس لان قوامها بالدم وللماء نفس لفرط حاجتها اليه قال الله تعالى وجعلنا من الماء كل شيء حى وحقيقة نفس الرجل بمعنى عين أصيبت نفسه كقولهم صدر الرجل وقولهم فلان يؤامر نفسيه اذا تردد فى الامر واتجه له رأيان وداعيان لا يدرى على أيهما يعرج كانهم أرادوا داعي النفس وهاجسي النفس فسموهما نفسين اما لصدورهما عن النفس واما لان الداعيين لما كانا كالمشيرين عليه والآمرين له شبهوهما بذاتين فسموهما نفسين والمراد بالانفس ههنا ذواتهم والمعنى بمخادعتهم ذواتهم ان الخداع لاصق بهم لا يعدوهم الى غيرهم ولا يتخطاهم الى من سواهم ويجوز ان يراد قلوبهم ودواعيهم وآراؤهم * والشعور علم الشيء علم حس من الشعار ومشاعر الانسان حواسه والمعنى ان لحوق ضرر ذلك بهم كالمحسوس وهم لتمادى غفلتهم كالذى لا حس له * واستعمال المرض في القلب يجوز ان يكون حقيقة ومجازا فالحقيقة ان يراد الالم كما تقول فى جوفه مرض والمجاز ان يستعار لبعض أعراض القلب كسوء الاعتقاد والغل والحسد والميل الى المعاصي والعزم عليها واستشعار الهوى والجبن والضعف وغير ذلك مما هو فساد وآفة شبيهة بالمرض كما استعيرت الصحة والسلامة فى نقائض ذلك والمراد به هنا ما فى قلوبهم من سوء الاعتقاد والكفر او من الغل والحسد والبغضاء لان صدورهم كانت تغلى على رسول الله ﷺ والمؤمنين غلا وحنقا ويبغضونهم البغضاء التى وصفها الله تعالى فى قوله قد بدت البغضاء من أفواههم وما تخفي صدورهم أكبر ويتحرقون عليهم حسدا ان تمسسكم حسنة تسؤهم وناهيك بما كان من ابن أبى وقول سعد بن عبادة لرسول الله صلى الله عليه وسلم اعف عنه يارسول الله واصفح فوالله لقد أعطاك الله الذى أعطاك ولقد اصطلح أهل هذه البحيرة ان يعصبوه بالعصابة فلما رد الله ذلك بالحق الذى أعطاكه شرق بذلك او يراد ما تداخل قلوبهم من الضعف والجبن والخور لان قلوبهم كانت قوية اما لقوة طمعهم فيما كانوا يحدثون به ان ريح الاسلام تهب حينا ثم تسكن ولواءه يخفق أياما ثم يقر فضعفت حين ملكهم اليأس عند انزال الله على رسوله النصر واظهار دين الحق على الدين كله واما لجراءتهم وجسارتهم فى الحروب فضعفت جبنا وخورا حين قذف الله فى قلوبهم الرعب وشاهدوا شوكة المسلمين وامداد الله لهم بالملائكة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب مسيرة شهر * ومعنى زيادة الله اياهم مرضا انه كلما انزل على رسوله الوحي فسمعوه كفروا به فازدادوا كفرا الى

يخادعون الله والذين آمنوا وما يخادعون الا أنفسهم وما يشعرون في قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا

* قوله تعالى وما يشعرون الآية (قال محمود رحمه الله تعالى والشعور علم الشيء علم حس الخ) قال أحمد رحمه الله انضاح هذا الكلام على تفسير الشعور كما قال بانه علم الشيء من ناحية الحس الخ انه لما كانت مفسدة النفاق عائدة على المنافق عودا بينا جليا محسوسا نعى عليهم جهلهم بالمحسوس ونفى شعورهم به ولا كذلك معرفة الحق وتمييزه عن الباطل فانه أمر عقلي نظري

ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون واذا قيل لهم لا تفسدوا فى الارض قالوا انما نحن مصلحون الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون واذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا

كفرهم فكان الله هو الذى زادهم ما ازدادوه اسنادا للفعل الى المسبب له كما اسنده الى السورة في قوله فزادتهم
رجسا الى رجسهم لكونها سببا وكلما زاد رسوله نصرة وتبسطا فى البلاد ونقصا من اطراف الارض
ازدادوا حسدا وغلا وبغضا وازدادت قلوبهم ضعفا وقلة طمع فيما عقدوا به رجاءهم وجبنا وخورا ويحتمل
ان يراد بزيادة المرض الطبع وقرأ أبو عمرو في رواية الاصمعي مرض ومرضا بسكون الراء * يقال ألم فهو
(أليم) كوجع فهو وجيع ووصف العذاب به نحو قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * وهذا على طريقة قولهم
جد جده والالم فى الحقيقة للمؤلم كما ان الجد للجاد * والمراد يكذبهم قولهم آمنا بالله وباليوم الآخر وفيه رمز
الى قبح الكذب وسماجته وتخييل ان العذاب الاليم لاحق بهم من اجل كذبهم ونحوه قوله تعالى مما خطيئاتهم
أغرقوا والقوم كفرة وانما خصت الخطيئات استعظاما لها وتنفيرا عن ارتكابها والكذب الاخبار عن الشيء
على خلاف ما هو به وهو قبيح كله واما ما يروى عن ابراهيم عليه السلام انه كذب ثلاث كذبات فالمراد
التعريض ولكن لما كانت صورته صورة الكذب سمي به وعن ابي بكر رضي الله عنه وروى مرفوعا
اياكم والكذب فانه مجانب للايمان وقرئ يكذبون من كذبه الذى هو نقيض صدقه أو من كذب الذى
هو مبالغة فى كذب كما بولغ في صدق فقيل صدق ونظيرهما بان الشيء وبين ولص الثوب وقلص أو بمعنى
الكثرة كقولهم موتت البهائم وبركت الابل أو من قولهم كذب الوحشي اذا جرى شوطا ثم وقف لينظر
ما وراءه لان المنافق متوقف متردد فى أمره ولذلك قيل له مذبذب وقال عليه السلام مثل المنافق كمثل الشاة
العائرة بين الغنمين تعير الى هذه مرة والى هذه مرة (واذا قيل لهم) معطوف على يكذبون ويجوز ان يعطف
على يقول آمنا لانك لو قلت ومن الناس من اذا قيل لهم لا تفسدوا كان صحيحا والاول أوجه * والفساد
خروج الشيء عن حال استقامته وكونه منتفعا به ونقيضه الصلاح وهو الحصول على الحالة المستقيمة
النافعة والفساد فى الارض هيج الحروب والفتن لان فى ذلك فساد ما فى الارض وانتفاء الاستقامة عن أحوال
الناس والزروع والمنافع الدينية والدنيوية قال الله تعالى واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها ويهلك الحرث
والنسل أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ومنه قيل لحرب كانت بين طيء حرب الفساد وكان فساد
المنافقين فى الارض أنهم كانوا يمايلون الكفار ويمالئونهم على المسلمين بافشاء اسرارهم اليهم واغرائهم عليهم
وذلك مما يؤدي الى هيج الفتن بينهم فلما كان ذلك من صنيعهم مؤديا الى الفساد قيل لهم لا تفسدوا كما تقول
للرجل لا تقتل نفسك بيدك ولا تلق نفسك فى النار اذا أقدم على ما هذه عاقبته وانما لقصر الحكم على شيء
كقولك انما ينطلق زيد او لقصر الشيء على حكم كقولك انما زيد كاتب ومعنى (انما نحن مصلحون) ان صفة
المصلحين خلصت لهم وتمحضت من غير شائبة قادح فيها من وجه من وجوه الفساد و(ألا) مركبة من همزة
الاستفهام وحرف النفي لاعطاء معنى التنبيه على تحقق ما بعدها والاستفهام اذا دخل على النفي أفاد تحقيقا
كقوله أليس ذلك بقادر ولكونها فى هذا المنصب من التحقيق لا تكاد تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو
ما يتلقى به القسم وأختها التي هي أما من مقدمات اليمين وطلائعها * أما والذي لا يعلم الغيب غيره * اما والذى
أبكى وأضحك * رد الله ما ادعوه من الانتظام فى جملة المصلحين أبلغ رد وأدله على سخط عظيم والمبالغة فيه من
جهة الاستئناف وما فى كلتا الكلمتين ألا وان من التأكيدين وتعريف الخبر وتوسيط الفصل وقوله
(لا يشعرون) توهم فى النصيحة من وجهين أحدهما تقبيح ما كانوا عليه لبعده من الصواب وجره الى
الفساد والفتنة والثاني تبصيرهم الطريق الاسد من اتباع ذوي الاحلام ودخولهم فى عدادهم فكان من
جوابهم ان سفهوهم لفرط سفههم وجهلوهم لتمادي جهلهم وفى ذلك تسلية للعالم مما يلقى من الجهلة (فان
قلت) كيف صح ان يسند قيل الى لا تفسدوا وآمنوا واسناد الفعل الى الفعل مما لا يصح (قلت) الذى
لا يصح هو اسناد الفعل الى معنى الفعل وهذا اسناد له الى لفظه كانه قيل واذا قيل لهم هذا القول وهذا الكلام
فهو نحو قولك ألف ضرب من ثلاثة أحرف ومنه زعموا مطية الكذب * وما فى (كما) يجوز ان تكون كافة
مثلها فى ربما ومصدرية مثلها فى بما رحبت * واللام فى الناس للعهد أي كما آمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن

معه أوهم ناس معهودون كعبد الله ابن سلام واشياعه لانهم من جلدتهم ومن ابناء جنسهم أى كما آمن أصحابكم واخوانكم أو للجنس أى كما آمن الكاملون في الانسانية أو جعل المؤمنون كأنهم الناس على الحقيقة ومن عداهم كالبهائم في فقد التمييز بين الحق والباطل * والاستفهام فى (أنؤمن) فى معنى الانكار واللام فى (السفهاء) مشاربها الى الناس كما تقول لصاحبك ان زيدا قد سعي بك فيقول أوقد فعل السفيه ويجوز ان تكون للجنس وينطوى تحته الجارى ذكرهم على زعمهم واعتقادهم لانهم عندهم أعرق الناس فى السفه (فان قلت) لم سفهوهم واستركوا عقولهم وهم العقلاء المراجيح (قلت) لانهم لجهلهم واخلالهم بالنظر وانصاف أنفسهم اعتقدوا أن ماهم فيه هو الحق وان ماعداه باطل ومن ركب متن الباطل كان سفيها ولانهم كانوا فى رياسة وسطة فى قومهم ويسار وكان أكثر المؤمنين فقراء ومنهم موال كصهيب وبلال وخباب فدعوهم سفهاء تحقيرا لشأنهم أو أرادوا عبد الله بن سلام واشياعه ومفارقتهم دينهم وماغاظهم من اسلامهم وفت في اعضادهم قالوا ذلك على سبيل التجلد توقيا من الشماتة بهم مع علمهم أنهم من السفه بمعزل والسفه سخافة العقل وخفة الحلم (فان قلت) فلم فصلت هذه الآية بلا يعلمون والتى قبلها بلا يشعرون (قلت) لان امر الديانة والوقوف على أن المؤمنين على الحق وهم على الباطل يحتاج الى نظر واستدلال حتى يكتسب الناظر المعرفة واما النفاق ومافيه من البغي المؤدى الى الفتنة والفساد فى الارض فامر دنيوى مبنى على العادات معلوم عند الناس خصوصا عند العرب فى جاهليتهم وما كان قائما بينهم من التغاور والتناحر والتحارب والتحازب فهو كالمحسوس المشاهد ولانه قد ذكر السفه وهو جهل فكان ذكر العلم معه أحسن طباقا له * مساق هذه الآية بخلاف ماسيقت له اول قصة المنافقين فليس بتكرير لان تلك فى بيان مذهبهم والترجمة عن نفاقهم وهذه فى بيان ما كانوا يعملون عليه مع المؤمنين من التكذيب لهم والاستهزاء بهم ولقائهم بوجوه المصادقين وايهامهم أنهم معهم فاذا فارقوهم الى شطار دينهم صدقوهم مافى قلوبهم وروى ان عبد الله بن ابي واصحابه خرجوا ذات يوم فاستقبلهم نفر من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عبد الله انظروا كيف أرد هؤلاء السفهاء عنكم فأخذ بيد ابى بكر فقال مرحبا بالصديق سيد بنى تيم وشيخ الاسلام وثانى رسول الله فى الغار الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم أخذ بيد عمر فقال مرحبا بسيد بنى عدى الفاروق القوى فى دين الله الباذل نفسه وماله لرسول الله ثم اخذ بيد على فقال مرحبا بابن عم رسول الله وختنه سيد بنى هاشم ماخلا رسول الله ثم افترقوا فقال لاصحابه كيف رأيتمونى فعلت فأثنوا عليه خيرا فنزلت * ويقال لقيته ولاقيته اذا استقبلته قريبا منه وهو جارى ملاقى ومرافقى وقرأ أبو حنيفة واذا لاقوا * وخلوت بفلان واليه اذا انفردت معه ويجوز ان يكون من خلا بمعنى مضى وخلاك ذم أى عداك ومضى عنك ومنه القرون الخالية ومن خلوت به اذا سخرت منه وهو من قولك خلا فلان بعرض فلان يعبث به ومعناه واذا أنهوا السخرية بالمؤمنين الى شياطينهم وحدثوهم بها كما تقول أحمد اليك فلانا واذمه اليك * وشياطينهم الذين ماثلوا الشياطين فى تمردهم وقد جعل سيبويه نون الشيطان فى موضع من كتابه اصلية وفى آخر زائدة والدليل على اصالتها قولهم تشيطن واشتقاقه من شطن اذا بعد لبعده من الصلاح والخير ومن شاط اذا بطل اذا جعلت نونه زائدة ومن اسمائه الباطل (أنا معكم) انا مصاحبوكم وموافقوكم على دينكم (فان قلت) لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية وشياطينهم بالاسمية محققة بان (قلت) ليس ما خاطبوا به المؤمنين جديرا بأقوى الكلامين وأوكدهما لانهم فى ادعاء حدوث الايمان منهم ونشئه من قبلهم لا في ادعاء أنهم أوحديون فى الايمان غير مشقوق فيه غبارهم وذلك امالان أنفسهم لا تساعدهم عليه اذ ليس لهم من عقائدهم باعث ومحرك وهكذا كل قول لم يصدر عن اريحية وصدق رغبة واعتقاد واما لانه لا يروج عنهم لو قالوه على لفظ التوكيد والمبالغة وكيف يقولونه ويطمعون فى رواجه وهم بين ظهرانى المهاجرين والانصار الذين مثلهم فى التوراة والانجيل الا ترى الى حكاية الله قول المؤمنين ربنا اننا آمنا واما مخاطبة اخوانهم فيهم فيما أخبروا به عن انفسهم من الثبات على اليهودية والقرار على اعتقاد الكفر والبعد من ان يزلوا عنه على صدق رغبة ووفور نشاط وارتياح للتكلم به وما قالوه من ذلك فهو

أنؤمن كما آمن السفهاء ألا انهم هم السفهاء ولكن لا يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلوا الى شياطينهم قالوا انا معكم

---

* قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم كانت مخاطبتهم المؤمنين بالجملة الفعلية الخ) قال أحمد رحمه الله وبنى هذا التقرير على ان الجملة الاسمية أثبت من الفعلية خصوصا مؤكدة بان مردفة بانما على انه قد حكى ايمان المؤمنين المخلصين بالجملة الفعلية أيضا فى قوله ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول وعلى الجملة فلقد أحسن الزمخشرى رحمه الله فى تقريره ماشاء وأجمل ما أراد

انما نحن مستهزؤن الله يستهزئ بهم ويمدهم في طغيانهم يعمهون

رائج عنهم متقبل منهم فكان مظنة للتحقيق ومئنة للتوكيد (فان قلت) أني تعلق قوله (انما نحن مستهزؤن) بقوله انا معكم (قلت) هو توكيد له لان قوله انا معكم معناه الثبات على اليهودية وقوله انما نحن مستهزؤن رد للاسلام ودفع له منهم لان المستهزئ بالشيء المستخف به منكر له ودافع لكونه معتدا به ودفع نقيض الشيء تأكيد لثباته او بدل منه لان من حقر الاسلام فقد عظم الكفر أو استئناف كأنهم اعترضوا عليهم حين قالوا لهم انا معكم فقالوا فما بالكم ان صح أنكم معنا توافقون أهل الاسلام فقالوا انما نحن مستهزؤن * والاستهزاء السخرية والاستخفاف وأصل الباب الخفة من الهزء وهو القتل السريع وهزأ يهزأ مات على المكان عن بعض العرب مشيت فلغبت فظننت لأهزأن على مكاني وناقته تهزأ به أي تسرع وتخف * (فان قلت) لا يجوز الاستهزاء على الله تعالى لانه متعال عن القبيح والسخرية من باب العيب والجهل ألا ترى الى قوله قالوا أتتخذنا هزؤا قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين فما معنى استهزائه بهم (قلت) معناه انزال الهوان والحقارة بهم لان المستهزئ غرضه الذي يرميه هو طلب الخفة والزراية ممن يهزأ به وادخال الهوان والحقارة عليه والاشتقاق كما ذكرنا شاهد لذلك وقد كثر التهكم في كلام الله تعالى بالكفرة والمراد به تحقير شأنهم وازدراء أمرهم والدلالة على ان مذاهبهم حقيقة بأن يسخر منها الساخرون ويضحك الضاحكون ويجوز أن يراد به ما مر في يخادعون من انه يجري عليهم أحكام المسلمين في الظاهر وهو مبطن بادخار ما يراد بهم وقيل سمي جزاء الاستهزاء باسمه كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه (فان قلت) كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم ولم يعطف على الكلام قبله (قلت) هو استئناف في غاية الجزالة والفخامة وفيه أن الله عز وجل هو الذي يستهزئ بهم الاستهزاء الابلغ الذي ليس استهزاؤهم اليه باستهزاء ولا يؤبه له في مقابلته لما ينزل بهم من النكال ويحل بهم من الهوان والذل وفيه أن الله هو الذي يتولى الاستهزاء بهم انتقاما للمؤمنين ولا يحوج المؤمنين أن يعارضوهم باستهزاء مثله (فان قلت) فهلا قيل الله مستهزئ بهم ليكون طبقا لقوله انما نحن مستهزؤن (قلت) لان يستهزئ يفيد حدوث الاستهزاء وتجدده وقتا بعد وقت وهكذا كانت نكايات الله فيهم وبلاياه النازلة بهم أولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة أو مرتين وما كانوا يخلون في أكثر أوقاتهم من تهتك أستار وتكشف أسرار ونزول في شأنهم واستشعار حذر من أن ينزل فيهم يحذر المنافقون أن تنزل عليهم سورة تنبئهم بما في قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون (ويمدهم في طغيانهم) من مد الجيش وأمده اذا زاده وألحق به ما يقويه ويكثره وكذلك مد الدواة وأمدها زادها ما يصلحها ومددت السراج والارض اذا استصلحتهما بالزيت والسماد ومده الشيطان في الغي وأمده اذا واصله بالوساوس حتى يتلاحق غيه ويزداد انهماكا فيه (فان قلت) لم زعمت انه من المدد دون المد في العمر والاملاء والامهال (قلت) كفاك دليلا على انه من المدد دون المد قراءة ابن كثير وابن محيص ويمدهم وقراءة نافع واخوانهم يمدونهم على ان الذي بمعنى أمهلهم انما هو مد له مع اللام كأملى له (فان قلت) فكيف جاز أن يوليهم الله مددا في الطغيان وهو فعل الشياطين ألا ترى الى قوله تعالى واخوانهم يمدونهم في الغي (قلت) اما أن يحمل على انهم لما منعهم الله ألطافه التي يمنحها المؤمنين وخذلهم بسبب كفرهم واصرارهم عليه بقيت قلوبهم بتزايد الرين والظلمة فيها تزايد الانشراح والنور في قلوب المؤمنين فسمي ذلك التزايد مددا وأسند الى الله سبحانه لانه مسبب عن فعله بهم بسبب كفرهم واما على منع القسر والالجاء واما على ان يسند فعل الشيطان الى الله لانه بتمكينه واقداره والتخلية بينه وبين اغواء عباده (فان قلت) فما حملهم على تفسير المد في الطغيان بالامهال وموضوع اللغة كما ذكرت لا يطاوع عليه (قلت) استجرهم الى ذلك خوف الاقدام على أن يسندوا الى الله ما أسند الى الشياطين ولكن المعنى الصحيح ما طابقه اللفظ وشهد لصحته والا كان منه بمنزلة الاروى من النعام ومن حق مفسر كتاب الله الباهر وكلامه المعجز أن يتعاهد في مذاهبه بقاء النظم على حسنه والبلاغة على كمالها وما وقع به التحدي سليما من القادح فاذا لم يتعاهد أوضاع اللغة فهو من تعاهد النظم والبلاغة على مراحل ويعضد ما قلناه قول الحسن في تفسيره في ضلالتهم يتمادون وأن هؤلاء

* قوله تعالى انما نحن مستهزؤن الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف ابتدئ قوله الله يستهزئ بهم لم يجعله معطوفا الخ) قال احمد رحمه الله فان قال قائل أيلا يستفاد هذا المعنى من العطف قيل له لو عطف لاشعر بان الغرض كل الغرض اجتماع مضمون الجملتين واعراض عن هذا المعنى الذي ينفرد به الاستئناف (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل الله مستهزئ بهم الخ) قال احمد رحمه الله ولهذا الفرق بين الفعل والاسم ورد قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة لما كان التسبيح من الطوائد متكررا متجددا شيأ فشيأ وحشر الطير معه أمر دائم ذكر التسبيح بصيغة الفعل والحشر بصيغة الاسم وسيأتي ان شاء الله تعالى مزيد تقرير فيه * قوله تعالى ويمدهم في طغيانهم يعمهون (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز أن يوليهم الله مددا من الطغيان الخ) قال أحمد رحمه الله ما يمنعه ان يقره على ظاهره ويبقيه في نصابه الا انه توحيد محض وحق صرف والقدرية من التوحيد على مراحل

(قال محمود رحمه الله فان قلت ما النكتة فى اضافة الطغيان اليهم الخ) قال أحمد رحمه الله كل فعل صدر من العبد اختيارا فله اعتباران ان نظرت الى وجوده وحدوثه وما هو عليه من وجوه التخصيص فانسب ذلك الى قدرة الله وحده وارادته لا شريك له وان نظرت الى تميزه عن القسر الضرورى فانسبه في هذه الجهة الى العبد وهى النسبة المعبر عنها شرعا بالكسب في أمثال قوله تعالى بما كسبت أيديكم وهي المتحققة أيضا اذا عرضت على ذهنك الحركتين الضرورية الرعشية مثلا والاختيارية فانك تميز بينهما لا محالة بتلك النسبة فاذا تقرر تعدد الاعتبار فمدهم فى الطغيان مخلوق لله تعالى فاضافه اليه ومن حيث كونه واقعا منهم على وجه الاختيار المعبر عنه بالكسب أضافه اليهم

أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى

من أهل الطبع * والطغيان الغلو فى الكفر ومجاوزة الحد فى العتو وقرأ زيد بن على رضي الله عنه فى طغيانهم بالكسر وهما لغتان كلقيان ولقيان وغنيان وغنيان (فان قلت) أى نكتة فى اضافته اليهم (قلت) فيها أن الطغيان والتمادى فى الضلالة مما اقترفته أنفسهم واجترحته أيديهم وأن الله برىء منه ردا لاعتقاد الكفرة القائلين لو شاء الله ما أشركنا ونفيا لوهم من عسى يتوهم عند اسناد المد الى ذاته لو لم يضف الطغيان اليهم أن الطغيان فعله ولما أسند المد اليه على الطريق الذى ذكر أضاف الطغيان اليهم ليميط الشبهة ويقلعها ويدفع فى صدر من يلحد فى صفاته ومصداق ذلك انه حين أسند المد الى الشياطين أطلق الغى ولم يقيده بالاضافة فى قوله واخوانهم يمدونهم فى الغى * والعمه مثل العمى الا أن العمى عام فى البصر والرأى والعمه فى الرأى خاصة وهو التحير والتردد لا يدرى أين يتوجه ومنه قوله بالجاهلين العمه أى الذين لا رأى لهم ولا دراية بالطرق وسلك أرضا عمهاء لا منار بها * ومعنى اشتراء الضلالة بالهدى اختيارها عليه واستبدالها به على سبيل الاستعارة لان الاشتراء فيه اعطاء بدل وأخذ آخر ومنه

أخذت بالجمة رأسا أزعرا * وبالثنايا الواضحات الدردرا
وبالطويل العمر عمرا حيدرا * كما اشترى المسلم اذ تنصرا

وعن وهب قال الله عز وجل فيما يعيب به بنى اسرائيل تفقهون لغير الدين وتعلمون لغير العمل وتبتاعون الدنيا بعمل الآخرة (فان قلت) كيف اشتروا الضلالة بالهدى وما كانوا على هدى (قلت) جعلوا لتمكنهم منه واعراضه لهم كأنه فى أيديهم فاذا تركوه الى الضلالة فقد عطلوه واستبدلوها به ولان الدين القيم هو فطرة الله التي فطر الناس عليها فكل من ضل فهو مستبدل خلاف الفطرة والضلالة الجور عن القصد وفقد الاهتداء يقال ضل منزله وضل دريص نفقه فاستعير للذهاب عن الصواب فى الدين * والربح الفضل على رأس المال ولذلك سمي الشف من قولك أشف بعض ولده على بعض اذا فضله ولهذا على هذا شف * والتجارة صناعة التاجر وهو الذى يبيع ويشترى للربح وناقة تاجرة كأنها من حسنها وسمنها تبيع نفسها وقرأ ابن ابى عبلة تجاراتهم (فان قلت) كيف أسند الخسران الى التجارة وهو لاصحابها (قلت) هو من الاسناد المجازى وهو ان يسند الفعل الى شىء يتلبس بالذى هو فى الحقيقة له كما تلبست التجارة بالمشترين (فان قلت) هل يصح ربح عبدك وخسرت جاريتك على الاسناد المجازى (قلت) نعم اذا دلت الحال وكذلك الشرط فى صحة رأيت أسدا وأنت تريد المقدام ان لم تقم حال دالة لم يصح (فان قلت) هب أن شراء الضلالة بالهدى وقع مجازا فى معنى الاستبدال فما معنى ذكر الربح والتجارة كأن ثم مبايعة على الحقيقة (قلت) هذا من الصنعة البديعة التى تبلغ بالمجاز الذروة العليا وهو أن تساق كلمة مساق المجاز ثم تقفى باشكال لها وأخوات اذا تلاحقن لم تر كلاما احسن منه ديباجة واكثر ماء ورونقا وهو المجاز المرشح وذلك نحو قول العرب فى البليد كأن أذنى قلبه خطلا وان جعلوه كالحمار ثم رشحوا ذلك روما لتحقيق البلادة فادعوا للقلبة أذنين وادعوا لهما الخطل ليمثلوا البلادة تمثيلا يلحقها ببلادة الحمار مشاهدة معاينة ونحوه

ولما رأيت النسر عز ابن داية * وعشش فى وكريه جاش له صدرى

لما شبه الشيب بالنسر والشعر الفاحم بالغراب أتبعه ذكر التعشيش والوكر ونحوه قول بعض فتاكهم فى أمه

فما أم الردين وان أدلت * بعالمة باخلاق الكرام
اذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام

وفرع على اصول السنة يحسن ثمار فروعك فى الجنة لا كما تفرع القدرية فانهم يخبون ولكن على انفسهم الهمنا الله التحقيق وايدنا بالتوفيق * قوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى (قال محمود رحمه الله الشراء يستدعي بذل العوض الخ) قال احمد رحمه الله ومن هذا القبيل منع مالك رضي الله عنه ان يشترى احدى اوزتين مذبوحتين يختارها المشترى منهما لانه يعد مختارا الكل واحدة منهما ثم بائعا لها بالاخرى فيدخله الربا وهو الذى يعبر عنه متأخر وأصحابه بان من ملك ان يملك هل يعد مالكا ولا وربما قالوا من خير بين شيئين عد منتقلا على احد القولين (قال محمود رحمه الله فان قلت هب ان شراء الضلالة بالهدى الخ) قال احمد رحمه الله وهذا النوع قريب من التتميم الذى يمثله اهل صناعة البديع بقول الخنساء وان صخرا لتأتم الهداة به * كأنه علم فى رأسه نار لما شبهته فى الاهتداء به بالعلم المرتفع اتبعت ذلك ما يناسبه ويحققه فلم تقنع بظهور الارتفاع حتى اضافت الى ذلك ظهورا آخر باشتمال النار فى رأسه

أي اذا دخل الشيطال في قفاها استخرجناه من نافقائه بالحبل المثنى المحكم بريد اذا حردت وأساءت الخلق اجتهدنا في ازالة غضبها واماطة ما يسوء من خلقها استمار التقصيع أولا ثم ضم اليه التنفق ثم الحبل التوام فكذلك لما ذكر سبحانه الشراء أتبعه ما يشاكله ويواخيه وما يكمل ويتم بانضمامه اليه تمثيلا لخسارهم وتصويرا لحقيقته (فان قلت) فما معنى قوله فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين (قلت) معناه ان الذي يطلبه التجار في متصرفاتهم شيآن سلامة رأس المال والربح وهؤلاء قد أضاعوا الطلبتين معا لان رأس مالهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة وحين لم يبق في أيديهم الا الضلالة لم يوصفوا باصابة الربح وان ظفروا بما ظفروا به من الاغراض الدنيوية لان الضال خاسر دامر ولانه لا يقال لمن لم يسلم له رأس ماله قد ربح وما كانوا مهتدين لطرق التجارة كما يكون التجار المتصرفون العالمون بما يربح فيه ويخسر* لما جاء بحقيقة صفتهم عقبها بضرب المثل زيادة في الكشف وتتميما للبيان ولضرب العرب الامثال واستحضار العلماء المثل والنظائر شأن ليس بالخفي في ابراز خبيات المعاني ورفع الاستار عن الحقائق حتى تريك المتخيل في صورة المحقق والمتوهم في معرض المتيقن والغائب كانه مشاهد وفيه تبكيت للخصم الالد وقمع لسورة الجامح الابي ولامر ما أكثر الله في كتابه المبين وفي سائر كتبه امثاله وفشت في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الانبياء والحكماء قال الله تعالى وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون ومن سور الانجيل سورة الامثال والمثل في أصل كلامهم بمعنى المثل وهو النظير يقال مثل ومثل ومثيل كشبه وشبه وشبيه ثم قيل للقول السائر الممثل مضربه بمورده مثل ولم يضربوا مثلا ولا رأوه أهلا للتسيير ولا جديرا بالتداول والقبول الا قولا فيه غرابة من بعض الوجوه ومن ثم حوفظ عليه وحمي من التغيير (فان قلت) ما معنى مثلهم كمثل الذي استوقد نارا وما مثل المنافقين ومثل الذي استوقد نارا حتى شبه أحد المثلين بصاحبه (قلت) قد استعير المثل استعارة الاسد للمقدام للحال أو الصفة أو القصة اذا كان لها شأن وفيها غرابة كانه قيل حالهم العجيبة الشأن كحال الذي استوقد نارا وكذلك قوله مثل الجنة التي وعد المتقون اي وفيما قصصنا عليك من العجائب قصة الجنة العجيبة ثم أخذ في بيان عجائبها ولله المثل الاعلى أي الوصف الذي له شأن من العظمة والجلالة مثلهم في التوراة اي صفتهم وشأنهم المتعجب منه ولما في المثل من معنى الغرابة قالوا فلان مثلة في الخير والشر فاشتقوا منه صفة للعجيب الشان (فان قلت) كيف مثلت الجماعة بالواحد (قلت) وضع الذي موضع الذين كقوله وخضتم كالذي خاضوا والذي سوغ وضع الذي موضع الذين ولم يجز وضع القائم موضع القائمين ولا نحوه من الصفات أمران أحدهما أن الذي لكونه وصلة الى وصف كل معرفة بجملة وتكاثر وقوعه في كلامهم ولكونه مستطالا بصلته حقيق بالتخفيف ولذلك نهكوه بالحذف فحذفوا ياءه ثم كسرته ثم اقتصروا به على اللام وحدها في أسماء الفاعلين والمفعولين والثاني أن جمعه ليس بمنزلة جمع غيره بالواو والنون وانما ذاك علامة لزيادة الدلالة الا ترى ان سائر الموصولات لفظ الجمع والواحد فيهن واحد أو قصد جنس المستوقدين أو أريد الجمع أو الفوج الذي استوقد نارا على ان المنافقين وذواتهم لم يشبهوا بذات المستوقد ونحوه قوله مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا وقوله ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت* ووقود النار سطوعها وارتفاع لهبها ومن أخواته وقل في الجبل اذا صعد وعلا* والنار جوهر لطيف مضيء حار محرق* والنور ضوءها وضوء كل نير وهو نقيض الظلمة واشتقاقها من نار ينور اذا نفر لان فيها حركة واضطرابا والنور مشتق منها* والاضاءة فرط الانارة ومصداق ذلك قوله هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا وهي في الآية متعدية ويحتمل ان تكون غير متعدية مسندة الى ما حوله والتأنيث للحمل على المعنى لان ما حول المستوقد أماكن وأشياء ويعضده قراءة ابن أبي عبلة ضاءت وفيه وجه آخر وهو ان يستتر في الفعل ضمير النار ويجعل اشراق ضوء النار حوله بمنزلة اشراق النار نفسها على ان ما مزيدة او موصولة في معنى الامكنة* وحوله نصب على الظرف وتأليفه للدوران والاطافة وقيل للعام حول لانه يدور (فان قلت) أين جواب لما (قلت) فيه وجهان أحدهما ان جوابه (ذهب الله بنورهم) والثاني انه محذوف كما حذف في قوله فلما ذهبوا به وانما جاز

فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين مثلهم كمثل الذي استوقد نارا فلما أضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم

وتركهم في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمي فهم

حذفه لاستطالة الكلام مع أمن الالباس للدال عليه وكان الحذف أولى من الاثبات لما فيه من الوجازة مع الاعراب عن الصفة التي حصل عليها المستوقد بما هو أبلغ من اللفظ في أداء المعنى كانه قيل فلما أضاءت ما حوله خمدت فبقوا خابطين في ظلام متحيرين متحسرين على فوت الضوء خائبين بعد الكدح في احياء النار (فان قلت) فاذا قدر الجواب محذوفا فبم يتعلق ذهب الله بنورهم (قلت) يكون كلاما مستأنفا كأنهم لما شبهت حالهم بحال المستوقد الذي طفئت ناره اعترض سائل فقال ما بالهم قد أشبهت حالهم حال هذا المستوقد فقيل له ذهب الله بنورهم او يكون بدلا من جملة التمثيل على سبيل البيان (فان قلت) قد رجع الضمير في هذا الوجه الى المنافقين فما مرجعه في الوجه الثاني (قلت) مرجعه الذي استوقد لانه في معنى الجمع وأما جمع هذا الضمير وتوحيده في حوله فللحمل على اللفظ تارة وعلى المعنى أخرى (فان قلت) فما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى في قوله (ذهب الله بنورهم) (قلت) اذا طفئت النار بسبب سماوي ريح او مطر فقد اطفأها الله تعالى وذهب بنور المستوقد ووجه آخر وهو ان يكون المستوقد في هذا الوجه مستوقد نار لا يرضاها الله ثم اما ان تكون نارا مجازية كنار الفتنة والعداوة للاسلام وتلك النار متقاصرة مدة اشتعالها قليلة البقاء ألا ترى الى قوله كلما أوقدوا نارا للحرب أطفأها الله واما نارا حقيقية أوقدها الغواة ليتوصلوا بالاستضاءة بها الى بعض المعاصي ويهتدوا بها في طرق العيث فاطفأها الله وخيب أمانيهم (فان قلت) كيف صح في النار المجازية ان توصف باضاءة ما حول المستوقد (قلت) هو خارج على طريقة المجاز المرشح فأحسن تدبره (فان قلت) هلا قيل ذهب الله بضوئهم لقوله فلما أضاءت (قلت) ذكر النور أبلغ لان الضوء فيه دلالة على الزيادة فلو قيل ذهب الله بضوئهم لأوهم الذهاب بالزيادة وبقاء ما يسمى نورا والغرض ازالة النور عنهم رأسا وطمسه أصلا ألا ترى كيف ذكر عقيبه (وتركهم في ظلمات) والظلمة عبارة عن عدم النور وانطماسه وكيف جمعها وكيف نكرها وكيف أتبعها ما يدل على أنها ظلمة مبهمة لا يتراءى فيها شبحان وهو قوله (لا يبصرون) (فان قلت) فلم وصفت بالاضاءة (قلت) هذا على مذهب قولهم للباطل صولة ثم يضمحل ولريح الضلالة عصفة ثم تخفت ونار العرفج مثل النزوة كل طماح والفرق بين أذهبه وذهب به ان معنى أذهبه أزاله وجعله ذاهبا ويقال ذهب به اذا استصحبه ومضى به معه وذهب السلطان بماله اخذه فلما ذهبوا به اذا الذهب كل اله بما خلق ومنه ذهبت به الخيلاء والمعنى اخذ الله نورهم وأمسكه وما يمسك الله فلا مرسل له فهو أبلغ من الاذهاب وقرأ اليماني أذهب الله نورهم * وترك بمعنى طرح وخلى اذا علق بواحد كقولهم تركه ترك ظبي ظله فاذا علق بشيئين كان مضمنا معنى صير فيجري مجرى أفعال القلوب كقول عنترة * فتركته جزر السباع ينشنه * ومنه قوله وتركهم في ظلمات أصله هم في ظلمات ثم دخل ترك فنصب الجزأين والظلمة عدم النور وقيل عرض ينافي النور واشتقاقها من قولهم ما ظلمك ان تفعل كذا أي ما منعك وشغلك لانها تسد البصر وتمنع الرؤية وقرأ الحسن ظلمات بسكون اللام وقرأ اليماني في ظلمة على التوحيد والمفعول الساقط من لا يبصرون من قبيل المتروك المطرح الذي لا يلتفت الى اخطاره بالبال لا من قبيل المقدر المنوي كان الفعل غير متعد أصلا نحو يعمهون في قوله ويذرهم في طغيانهم يعمهون (فان قلت) فيم شبهت حالهم بحال المستوقد (قلت) في أنهم غب الاضاءة خبطوا في ظلمة وتورطوا في حيرة (فان قلت) وأين الاضاءة في حال المنافق وهل هو أبدا الا حائر خابط في ظلماء الكفر (قلت) المراد ما استضاؤا به قليلا من الانتفاع بالكلمة المجراة على ألسنتهم ووراء استضاءتهم بنور هذه الكلمة ظلمة النفاق التي ترمي بهم الى ظلمة سخط الله وظلمة العقاب السرمد ويجوز ان يشبه بذهاب الله بنور المستوقد اطلاع الله على أسرارهم وما افتضحوا به بين المؤمنين واتسموا به من سمة النفاق والاوجه ان يراد الطبع لقوله (صم بكم عمي) وفي الآية تفسير آخر وهو انهم لما وصفوا بأنهم اشتروا الضلالة بالهدى عقب ذلك بهذا التمثيل ليمثل هداهم الذي باعوه بالنار المضيئة ما حول المستوقد والضلالة التي اشتروها وطبع بها على قلوبهم بذهاب الله بنورهم وتركه اياهم في الظلمات وتنكير النار للتعظيم * كانت حواسهم سليمة ولكن لما سدوا عن الاصاخة الى الحق مسامعهم وابوا ان ينطقوا به ألسنتهم وان ينظروا

ويتبصروا بعيونهم جعلوا كأنما ايفت مشاعرهم وانتقضت بناها التي بنيت عليها للاحساس والادراك كقوله

صم اذا سمعوا خيرا ذكرت به * وان ذكرت بسوء عندهم أذنوا

* أصم عما ساءه سميع *

أصم عن الشيء الذي لا أريده * وأسمع خلق الله حين أريد

فاصممت عمرا واعميته * عن الجود والفخر يوم الفخار

(فان قلت) كيف طريقته عند علماء البيان (قلت) طريقة قولهم هم ليوث للشجعان وبحور للاسخياء الا أن هذا في الصفات وذاك في الاسماء وقد جاءت الاستعارة في الاسماء والصفات والافعال جميعا تقول رأيت ليوثا ولقيت صما عن الخير ودجا الاسلام وأضاء الحق (فان قلت) هل يسمي ما في الآية استعارة (قلت) مختلف فيه والمحققون على تسميته تشبيها بليغا لا استعارة لان المستعار له مذكور وهم المنافقون والاستعارة أنما تطلق حيث يطوى ذكر المستعار له ويجعل الكلام خلوا عنه صالحا لان يراد به المنقول عنه والمنقول اليه لولا دلالة الحال أو فحوى الكلام كقول زهير

لدى أسد شاكي السلاح مقذف * له لبد أظفاره لم تقلم

ومن ثم ترى المفلقين السحرة منهم كأنهم يتناسون التشبيه و يضربون عن توهمه صفحا قال أبو تمام

و يصعد حتى يظن الجهول * بان له حاجة في السماء

ولبعضهم لا تحسبوا أن في سرباله رجلا * ففيه غيث وليث مسبل مشبل

وليس لقائل ان يقول طوى ذكرهم عن الجملة بحذف المبتدأ فأتسلق بذلك الى تسميته استعارة لانه في حكم المنطوق به نظيره قول من يخاطب الحجاج

أسد على وفي الحروب نعامة * فتخاء تنفر من صفير الصافر

ومعنى (لا يرجعون) انهم لا يعودون الى الهدى بعد أن باعوه أو عن الضلالة بعد ان اشتروها تسجيلا عليهم بالطبع اوارادانهم بمنزلة المتحيرين الذين بقوا جامدين في مكانهم لا يبرحون ولا يدرون أيتقدمون ام يتاخرون وكيف يرجعون الى حيث ابتدؤا منه * ثم ثنى الله سبحانه في شأنهم بتمثيل آخر ليكون كشفا لحالهم بعد كشف وايضاحا غب ايضاح وكما يجب على البليغ في مظان الاجمال والايجاز أن يجمل و يوجز فكذلك الواجب عليه في موارد التفصيل والاشباع ان يفصل و يشبع أنشد الجاحظ

يرمون بالخطب الطوال وتارة * وحي الملاحظ خيفة الرقباء

ومما ثنى من التمثيل في التنزيل قوله وما يستوي الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور ولا الظل ولا الحرور وما يستوي الاحياء ولا الاموات ألا ترى الى ذي الرمة كيف صنع في قصيدته

أذلك أم نمش بالوشي أكرعه * اذلك ام خاضب بالسي مرتعه

(فان قلت) قد شبه المنافق في التمثيل الاول بالمستوقد نارا واظهاره الايمان بالاضاءة وانقطاع انتفاعه بانطفاء النار فماذا شبه في التمثيل الثاني بالصيب وبالظلمات وبالرعد وبالبرق وبالصواعق (قلت) لقائل أن يقول شبه دين الاسلام بالصيب لان القلوب تحيا به حياة الارض بالمطر وما يتعلق به من شبه الكفار بالظلمات وما فيه من الوعد والوعيد بالرعد والبرق وما يصيب الكفرة من الافزاع والبلايا والفتن من جهة أهل الاسلام بالصواعق والمعنى أو كمثل ذوي صيب والمراد كمثل قوم أخذتهم السماء على هذه الصفة فلقوا منها ما لقوا (فان قلت) هذا تشبيه اشياء باشياء فأين ذكر المشبهات وهلا صرح به كما في قوله وما يستوي الاعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء وفي قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا و يابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالي

(قلت) كما جاء ذلك صريحا فقد جاء مطويا ذكره على سنن الاستعارة كقوله تعالى وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ضرب الله مثلا رجلا فيه شركاء متشاكسون ورجلا سلما لرجل

لا يرجعون أو كصيب

والصحيح

من السماء فيه ظلمات ورعد وبرق

والصحيح الذى عليه علماء البيان لا يتخطونه ان التمثيلين جميعا من جملة التمثيلات المركبة دون المفرقة لا
يتكلف الواحد واحد شيء يقدر شبهه به وهو القول الفحل والمذهب الجزل بيانه ان العرب تاخذ أشياء
فرادى معزولا بعضها من بعض لم ياخذ هذا بحجزة ذاك فتشبهها بنظائرها كما فعل امرؤ القيس وجاء فى
القرآن وتشبه كيفية حاصلة من مجموع اشياء قد تضامت وتلاصقت حتى عادت شيئا واحدا باخرى مثلها
كقوله تعالى مثل الذين حملوا التوراة الآية الغرض تشبيه حال اليهود فى جهلها بما معها من التوراة وآياتها الباهرة
بحال الحمار فى جهله بما يحمل من أسفار الحكمة وتساوى الحالتين عنده من حمل اسفار الحكمة وحمل ما سواها
من الاوقار لا يشعر من ذلك الا بما يمر بدفيه من الكد والتعب وكقوله واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه
من السماء المراد قلة بقاء زهرة الدنيا كقلة بقاء الخضر فأما أن يراد تشبيه الافراد بالافراد غير منوط بعضها
ببعض ومصيرة شيا واحدا فلا فكذلك لما وصف وقوع المنافقين فى ضلالتهم وما خبطوا فيه من الحيرة
والدهشة شبهت حيرتهم وشدة الامر عليهم بما يكابد من طفئت ناره بعد ايقادها فى ظلمة الليل وكذلك من
أخذته السماء فى الليلة المظلمة مع رعد وبرق وخوف من الصواعق (فان قلت) الذى كنت تقدره فى المفرق من
التشبيه من حذف المضاف وهو قولك اوكمثل ذوى صيب هل تقدر مثله فى المركب منه (قلت) لولا طلب
الراجع فى قوله تعالى يجعلون أصابعهم فى آذانهم ما يرجع اليه لكنت مستغنيا عن تقديره لانى أراعى الكيفية
المنتزعة من مجموع الكلام فلا على أولى حرف التشبيه مفرد يتأتى التشبيه به أم لم يله ألا ترى الى قوله انما مثل
الحياة الدنيا الآية كيف ولى الماء الكاف وليس الغرض تشبيه الدنيا بالماء ولا بمفرد آخر يتمحل لتقديره ومما
هو بين فى هذا قول لبيد   وما الناس الا كالديار وأهلها * بها يوم حلوها وغدوا بلاقع
لم يشبه الناس بالديار وانما شبه وجودهم فى الدنيا وسرعة زوالهم وفنائهم بحلول أهل الديار فيها ووشك نهوضهم
عنها وتركها خلاء خاوية (فان قلت) أى التمثيلين أبلغ (قلت) الثانى لانه أدل على فرط الحيرة وشدة الامر
وفظاعته ولذلك أخروهم يتدرجون فى نحو هذا من الاهون الى الاغلظ (فان قلت) لم عطف أحد التمثيلين
على الآخر بحرف الشك (قلت) أو فى أصلها لتساوى شيئين فصاعدا فى الشك ثم اتسع فيها فاستعيرت
للتساوى فى غير الشك وذلك قولك جالس الحسن أو ابن سيرين تريد أنهما سيان فى استصواب أن تجالسا
ومنه قوله تعالى ولا تطع منهم آثما أو كفورا اى الآثم والكفور متساويان فى وجوب عصيانهما فكذلك قوله
أو كصيب معناه أن كيفية قصة المنافقين مشبهة لكيفيتى هاتين القصتين وأن القصتين سواء فى استقلال كل
واحدة منهما بوجه التمثيل فبايتهما مثلتها فانت مصيب وان مثلتها بهما جميعا فكذلك والصيب المطر الذى
يصوب اى ينزل ويقع ويقال للسحاب صيب أيضا قال الشماخ * وأسحم دان صادق الرعد صيب * وتنكير
صيب لانه أريد نوع من المطر شديد هائل كما نكرت النار فى التمثيل الاول * وقرئ كصائب والصيب ابلغ
* والسماء هذه المظلة وعن الحسن أنها موج مكفوف (فان قلت) قوله (من السماء) ما الفائدة فى ذكره والصيب
لا يكون الا من السماء (قلت) الفائدة فيه انه جاء بالسماء معرفة فنفى أن يتصوب من سماء أى من أفق واحد
من بين سائر الآفاق لان كل أفق من آفاقها سماء كما أن كل طبقة من الطباق سماء فى قوله وأوحى فى كل سماء
امرها والدليل عليه قوله * ومن بعد ارض بيننا وسماء * والمعنى انه غمام مطبق آخذ بآفاق السماء كما جاء
بصيب وفيه مبالغات من جهة التركيب والبناء والتنكير امد ذلك بان جعله مطبقا وفيه ان السحاب من السماء
ينحدر ومنها ياخذ ماءه لا كزعم من يزعم انه ياخذه من البحر ويؤيده قوله تعالى وينزل من السماء من
جبال فيها من برد (فان قلت) بم ارتفع (ظلمات) (قلت) بالظرف على الاتفاق لاعتماده
على موصوف * والرعد الصوت الذى يسمع من السحاب كان أجرام السحاب تضطرب وتنتفض
اذا حدتها الريح فتصوت عند ذلك من الارتعاد * والبرق الذى يلمع من السحاب من برق الشيء بريقا
اذا لمع (فان قلت) قد جعل الصيب مكانا للظلمات فلا يخلو من ان يراد به السحاب او المطر فايهما اريد فما
ظلماته (قلت) اما ظلمات السحاب فاذا كان اسحم مطبقا فظلمتا سحمته وتطبيقه مضمومة اليهما ظلمة

الليل واما ظلمات المطر فظلمة تكاثفه وانتساجه بتتابع القطر وظلمة اظلال غمامه مع ظلمة الليل (فان قلت) كيف يكون المطر مكانا للبرق والرعد وانما مكانهما السحاب (قلت) اذا كانا في أعلاه ومصبه وملتبسين في الجملة به فهما فيه ألا تراك تقول فلان في البلد وماهو منه الافي حيز يشغله جرمه (فان قلت) هلا جمع الرعد والبرق أخذا بالابلاغ كقول البحتري

يا عارضا متلفعا ببروده * يختال بين بروقه ورعوده

وكما قيل ظلمات (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يراد العينان ولكنهما لما كانا مصدرين في الاصل يقال رعدت السماء رعدا وبرقت برقا روعي حكم أصلهما بأن ترك جمعهما وان أريد معنى الجمع والثاني أن يراد الحدثان كأنه قيل وارعاد وابراق وانما جاءت هذه الاشياء نكرات لان المراد أنواع منها كأنه قيل فيه ظلمات داجية ورعد قاصف وبرق خاطف * وجاز رجوع الضمير في يجعلون الى أصحاب الصيب مع كونه محذوفا قائما مقامه الصيب كما قال أوهم قائلون لان المحذوف باق معناه وان سقط لفظه ألا ترى الى حسان كيف عول على بقاء معناه في قوله

يسقون من ورد البريص عليهم * بردى يصفق بالرحيق السلسل

حيث ذكر يصفق لان المعنى ماء بردى ولا محل لقوله يجعلون لكونه مستأنفا لانه لما ذكر الرعد والبرق على ما يؤذن بالشدة والهول فكأن قائلا قال فكيف حالهم مع مثل ذلك الرعد فقيل (يجعلون أصابعهم في آذانهم) * ثم قال فكيف حالهم مع مثل ذلك البرق فقيل يكاد البرق يخطف أبصارهم (فان قلت) رأس الاصبع هو الذي يجعل في الاذن فهلا قيل أناملهم (قلت) هذا من الاتساعات في اللغة التي لا يكاد الحاصر يحصرها كقوله فاغسلوا وجوهكم وأيديكم فاقطعوا أيديهما أراد البعض الذي هو الى المرفق والذي الى الرسغ وأيضا ففي ذكر الاصابع من المبالغة ما ليس في ذكر الانامل (فان قلت) فالاصبع التي تسد بها الاذن اصبع خاصة فلم ذكر الاسم العام دون الخاص (قلت) لان السبابة فعالة من السب فكان اجتنابها أولى بآداب القرآن الا ترى أنهم قد استبشعوها فكنوا عنها بالمسبحة والسباحة والمهللة والدعاءة (فان قلت) فهلا ذكر بعض هذه الكنايات (قلت) هي ألفاظ مستحدثة لم يتعارفها الناس في ذلك العهد وانما أحدثوها بعد وقوله (من الصواعق) متعلق بيجعلون أي من أجل الصواعق يجعلون أصابعهم في آذانهم كقولك سقاه من العيمة والصاعقة قصفة رعد تنقض معها شقة من نار قالوا تنقدح من السحاب اذا اصطكت أجرامه وهي نار لطيفة حديدة لا تمر بشيء الا أتت عليه الا انها مع حدتها سريعة الخمود يحكي أنها سقطت على نخلة فاحرقت نحو النصف ثم طفئت ويقال صعقته الصاعقة اذا أهلكته فصعق أي مات اما بشدة الصوت أو بالاحراق ومنه قوله تعالى وخر موسى صعقا * وقرأ الحسن من الصواقع وليس بقلب للصواعق لان كلا البناءين سواء في التصرف واذا استويا كان كل واحد بناء على حياله ألا تراك تقول صقعه على رأسه وصقع الديك وخطيب مصقع مجهر بخطبته ونظيره جبذ في جذب ليس بقلبه لاستوائهما في التصرف وبناؤها اما أن يكون صفة لقصفة الرعد أو للرعد والتاء مبالغة كما في الراوية او مصدر كالكاذبة والعافية * وقرأ ابن ابي ليلى حذار الموت وانتصب على انه مفعول له كقوله * واغفر عوراء الكريم ادخاره * والموت فساد بنية الحيوان وقيل عرض لا يصح معه احساس معاقب للحياة * واحاطة الله بالكافرين مجاز والمعنى أنهم لا يفوتونه كما لا يفوت المحاط به المحيط به حقيقة وهذه الجملة اعتراض لا محل لها * والخطف الاخذ بسرعة وقرأ مجاهد يخطف بكسر الطاء والفتح أفصح وأعلى وعن ابن مسعود يختطف وعن الحسن يخطف بفتح الياء والخاء وأصله يختطف وعنه يخطف بكسرهما على اتباع الياء والخاء وعن زيد بن علي يخطف من خطف وعن أبي يتخطف من قوله ويتخطف الناس من حولهم (كلما أضاء لهم) استئناف ثالث كأنه جواب لمن يقول كيف يصنعون في تارتي خفوق البرق وخفيته وهذا تمثيل لشدة الامر على المنافقين بشدته على اصحاب الصيب وماهم فيه من غاية التحير والجهل بما يأتون وما يذرون اذا صادفوا من البرق خفقة مع خوف ان يخطف ابصارهم انتهزوا تلك الخفقة فرصة فخطوا خطوات يسيرة فاذا خفي وفتر لمعانه بقوا واقفين متقيدين عن

*قوله تعالى يجعلون اصابعهم في آذانهم الآية (قال محمود رحمه الله فان قلت الجعول من الاصابع في الآذان رؤسها الخ) قال احمد رحمه الله لان فيه اشعارا بانهم يبالغون في ادخال أصابعهم في آذانهم فوق العادة المعتادة في ذلك فرارا من شدة الصوت (قال محمود رحمه الله فان قلت فالاصبع التي تسد بها الاذن الخ) قال احمد رحمه الله لا ورود لهذين السؤالين *اما الاول فلانه غير لازم ان يسدوا في تلك الحالة بالسبابة ولا بد فانها حالة حيرة ودهش فاي اصبع اتفق ان يسدوا بها فعلوا غير معرجين على ترتيب

يجعلون أصابعهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت والله محيط بالكافرين يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم

معتاد في ذلك فذكر مطلق الاصابع ادل على الدهش والحيرة او فلعلهم يؤثرون في هذه الحال سد آذانهم بالوسطى لانها أضم للاذن وأحجب للصوت فلم يلزم اقتصارهم على السبابة واما السؤال الثاني فمفرع على الاول وقد ظهر بطلانه وايضا ففيه مزيد ركاكة اذ الغرض تشبيه حال المنافقين بحال امثالهم من ذوي الحيرة فكيف يليق ان يكنى عن اصابعهم بالمسبحات واهل ألسنتهم ما سبحت الله قط ثم اذا كان الغرض من التمثيل تصوير المعاني في الاذهان تصور المحسوسات فذلك خليق بذكر الصرائح واجتناب الحركة

الكنايات والرموز * قوله تعالى ان الله على كل شيء قدير (قال محمود رحمه الله وفى الاشياء مالا تعلق به للقادر كالمستحيل الخ) قال احمد رحمه الله هذا الذى اورده خطأ على الاصل والفرع اما على الاصل فلان الشيء لا يتناول الا الموجود عند اهل السنة واما على الفرع فلانا وان فرعنا على معتقد القدرية والشيء عندهم انما يتناول الموجود والمعدوم الذى يصح وجوده فلا يتناول المستحيل اذا على هذا التفريع فايراده اياه نقضا غير مستقيم على المذهبين واما المقدور بين قادرين فانها ورطة انما يشتاق اليها القدرية الذين يعتقدون ان ما تعلقت به قدرة العبد استحال ان يتعلق به قدرة الرب اذ قدرة العبد خالقة فيستغنى الفعل بها عن قدرة خالق آخر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا واما اهل السنة فالقادر الخالق عندهم واحد وهو الله الواحد الاحد فتتعلق قدرته تعالى بالفعل فيخلقه ويتعلق به قدرة العبد تعلق اقتران لا تأثير فلذلك لم يخلق مقدور بين قادرين على هذا التفسير وقد حشى الزمخشرى فى ادراج كلامه هذا سلب القدرة القديمة وجحدها وجعل الله تعالى قادرا بالذات لا بالقدرة ودس ذلك تحت قوله وفي الاشياء مالا تعلق به لذات القادر ولم يقل لقدرة القادر فليتفطن لدقائقه وكم من ضلالة اسعدسها فى هذه المقالة والله الموفق * فان قيل ايها الاشعرية اذا كان الشيء عندكم هو الموجود فما معنى القدرة عليه بعد وجوده وبقائه والله تعالى يقول وهو أصدق القائلين ان الله على كل شيء قدير * قلنا القدرة تتعلق بمقدورها فتوجده فيكون حينئذ شيأ فلما كان مآل ما تعلقت به القدرة الى الشيء صح اطلاق الشيء عليه وهو من وادى من قتل قتيلا فله سلبه واذا سموا الشيء باسم مايؤول اليه غالبا فما يؤول اليه حقا أجدر

مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا ولو شاء الله لذهب بسمعهم وابصارهم ان الله على كل شيء قدير

الحركة ولو شاء الله لزادفى قصيف الرعد فأصمهم اوفى ضوء البرق فأعماهم وأضاء اما متعد بمعنى كلما نور لهم ممشى ومسلكا أخذوه والمفعول محذوف واما غير متعد بمعنى كلما لمع لهم (مشوا) فى مطرح نوره وملقى ضوئه ويعضده قراءة ابن ابى عبلة كلما ضاء لهم والمشي جنس الحركة المخصوصة فاذا اشتد فهو سعى فاذا ازداد فهو عدو (فان قلت) كيف قيل مع الاضاءة كلما ومع الاظلام اذا (قلت) لانهم حراص على وجود ما همهم به معقود من امكان المشى وتأتيه فكلما صادفوا منه فرصة انتهزوها وليس كذلك التوقف والتحبس * وأظلم يحتمل ان يكون غير متعد وهو الظاهر وان يكون متعديا منقولا من ظلم الليل وتشهد له قراءة يزيد بن قطيب أظلم على مالم يسم فاعله وجاء فى شعر حبيب بن أوس

هما أظلما حالى ثمت أجليا * ظلاميهما عن وجه أمرد أشيب

وهو وان كان محدثا لا يستشهد بشعره فى اللغة فهو من علماء العربية فاجعل ما يقوله بمنزلة ما يرويه ألا ترى الى قول العلماء الدليل عليه بيت الحماسة فيقتنعون بذلك لوثوقهم بروايته واتقانه ومعنى (قاموا) وقفوا وثبتوا فى مكانهم ومنه قامت السوق اذا ركدت وقام الماء جمد * ومفعول شاء محذوف لان الجواب يدل عليه والمعنى ولو شاء الله ان يذهب بسمعهم وابصارهم لذهب بها ولقد تكاثر هذا الحذف فى شاء وأراد لا يكادون يبرزون المفعول الا فى الشيء المستغرب كنحو قوله * فلو شئت ان أبكى دما لبكيته * وقوله تعالى لو أردنا ان نتخذ لهوا لاتخذناه من لدنا ولو أراد الله ان يتخذ ولدا وأراد ولو شاء الله لذهب بسمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق * وقرأ ابن ابي عبلة لأذهب باسماعهم بزيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم * والشيء ما صح ان يعلم ويخبر عنه قال سيبويه فى ساقة الباب المترجم بباب مجارى أواخر الكلم من العربية وانما يخرج التأنيث من التذكير ألا ترى ان الشيء يقع على كل ما اخبر عنه من قبل ان يعلم أذكر هو أم أنثى والشيء مذكر وهو أعم العام كما ان الله أخص الخاص يجرى على الجسم والعرض والقديم تقول شيء لا كالاشياء أى معلوم لا كسائر المعلومات وعلى المعدوم والمحال (فان قلت) كيف قيل (على كل شيء قدير) وفي الاشياء مالا تعلق به للقادر كالمستحيل وفعل قادر آخر (قلت) مشروط فى حد القادر ان لا يكون الفعل مستحيلا فالمستحيل مستثنى فى نفسه عند ذكر القادر على الاشياء كلها فكأنه قيل على كل شيء مستقيم قدير ونظيره فلان امير على الناس أى على من وراءه منهم ولم يدخل فيهم نفسه وان كان من جملة الناس وأما الفعل بين قادرين فمختلف فيه (فان قلت) مم اشتقاق القدير (قلت) من التقدير لانه يوقع فعله على مقدار قوته واستطاعته وما يتميز به عن العاجز * لما عدد الله تعالى فرق المكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين وذكر صفاتهم وأحوالهم ومصارف أمورهم وما اختصت به كل فرقة مما يسعدها ويشقيها ويحظيها عند الله ويرديها أقبل عليهم بالخطاب وهو من الالتفات المذكور عند قوله اياك نعبد واياك نستعين وهو فن من الكلام جزل فيه هز وتحريك من السامع كما أنك اذا قلت لصاحبك حاكيا عن ثالث لك ان فلانا من قصته كيت وكيت فقصصت عليه ما فرط منه ثم عدلت بخطابك الى الثالث فقلت يا فلان من حقك ان تلزم الطريقة الحميدة فى مجارى أمورك وتستوى على جادة السداد فى مصادرك ومواردك نبهته بالتفاتك نحوه فضل تنبيه واستدعيت اصغاءه الى ارشادك زيادة استدعاء وأوجدته بالانتقال من الغيبة الى المواجهة هازا من طبعه مالا يجده اذا

استمررت على لفظ الغيبة وهكذا الافتنان في الحديث والخروج فيه من صنف الى صنف يستفتح الآذان للاستماع ويستهش الانفس للقبول * وبلغنا باسناد صحيح عن ابراهيم عن علقمة ان كل شيء نزل فيه يا أيها الناس فهو مكي ويا أيها الذين آمنوا فهو مدني فقوله (يا أيها الناس اعبدوا ربكم) خطاب لمشركي مكة ويا حرف وضع في أصله لنداء البعيد صوت يهتف به الرجل بمن يناديه وأما نداء القريب فله أي والهمزة ثم استعمل في مناداة من سها وغفل وان قرب تنزيلا له منزلة من بعد فاذا نودي به القريب المفاطن فذلك للتأكيد المؤذن بان الخطاب الذي يتلوه معنى به جدا (فان قلت) فما بال الداعي يقول في جؤاره يارب ويا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد وأسمع به وأبصر (قلت) هو استقصار منه لنفسه واستبعاد لها من مظان الزلفى وما يقربه الى رضوان الله ومنازل المقربين هضما لنفسه واقرارا عليها بالتفريط في جنب الله مع فرط التهالك على استجابة دعوته والاذن لندائه وابتهاله * وأي وصلة الى نداء ما فيه الالف واللام كما ان ذو والذي وصلتان الى الوصف بأسماء الاجناس ووصف المعارف بالجمل وهو اسم مبهم مفتقر الى ما يوضحه ويزيل ابهامه فلابد أن يردفه اسم جنس أو ما يجري مجراه يتصف به حتى يصح المقصود بالنداء فالذي يعمل فيه حرف النداء هو أي والاسم التابع له صفته كقولك يازيد الظريف الا أن أيا لا يستقل بنفسه استقلال زيد فلم ينفك من الصفة وفي هذا التدرج من الابهام الى التوضيح ضرب في التأكيد والتشديد وكلمة التنبيه المقحمة بين الصفة وموصوفها لفائدتين معاضدة حرف النداء ومكانفته بتأكيد معناه ووقوعها عوضا مما يستحقه أي من الاضافة (فان قلت) لم كثر في كتاب الله النداء على هذه الطريقة ما لم يكثر في غيره (قلت) لاستقلاله باوجه من التأكيد وأسباب من المبالغة لان كل ما نادى الله له عباده من أوامره ونواهيه وعظاته وزواجره ووعده ووعيده واقتصاص أخبار الامم الدارجة عليهم وغير ذلك مما أنطق به كتابه أمور عظام وخطوب جسام ومعان عليهم أن يتيقظوا لها ويميلوا بقلوبهم وبصائرهم اليها وهم عنها غافلون فاقتضت الحال أن ينادوا بالآكد الابلغ (فان قلت) لا يخلو الامر بالعبادة من أن يكون متوجها الى المؤمنين والكافرين جميعا أو الى كفار مكة خاصة على ما روى عن علقمة والحسن فالمؤمنون عابدون ربهم فكيف أمروا بما هم ملتبسون به وهل هو الا كقول القائل

فلو اني فعلت كنت ممن تسـ * أله وهو قائم أن يقوما

وأما الكفار فلا يعرفون الله ولا يقرون به فكيف يعبدونه (قلت) المراد بعبادة المؤمنين ازديادهم منها واقبالهم وثباتهم عليها وأما عبادة الكفار فمشروط فيها ما لا بد لها منه وهو الاقرار كما يشترط على المأمور بالصلاة شرائطها من الوضوء والنية وغيرهما وما لا بد للفعل منه فهو مندرج تحت الامر به وان لم يذكر حيث لم ينفعل الا به وكان من لوازمه على أن مشركي مكة كانوا يعرفون الله ويعترفون به ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (فان قلت) فقد جعلت قوله اعبدوا متناولا لشيئين معا الامر بالعبادة والامر بازديادها (قلت) الازدياد من العبادة عبادة وليس شيأ آخر (فان قلت) ربكم ما المراد به (قلت) كان المشركون معتقدين ربوبيتين ربوبية الله وربوبية آلهتهم فان خصوا بالخطاب فالمراد به اسم يشترك فيه رب السموات والارض والآلهة التي كانوا يسمونها أربابا وكان قوله (الذي خلقكم) صفة موضحة مميزة وان كان الخطاب للفرق جميعا فالمراد به ربكم على الحقيقة والذي خلقكم صفة جرت عليه على طريق المدح والتعظيم ولا يمتنع هذا الوجه في خطاب الكفرة خاصة الا أن الاول أوضح وأصح والخلق ايجاد الشيء على تقدير واستواء يقال خلق النعل اذا قدرها وسواها بالمقياس وقرأ أبو عمرو خلقكم بالادغام * وقرأ أبو السميفع وخلق من قبلكم وفي قراءة زيد بن علي والذين من قبلكم وهي قراءة مشكلة ووجهها على اشكالها أن يقال أقحم الموصول الثاني بين الاول وصلته تأكيدا كما أقحم جرير في قوله * ياتيم تيم عدي لا أبا لكم * تيما الثاني بين الاول وما أضيف اليه وكاقحامهم لام الاضافة بين المضاف والمضاف اليه في لا أبالك * ولعل للترجي أو الاشفاق تقول لعل زيدا يكرمني ولعله يهينني وقال الله تعالى لعله يتذكر أو يخشى لعل الساعة قريب الا ترى الى قوله والذين آمنوا مشفقون منها وقد جاءت على سبيل الاطماع في مواضع من القرآن ولكن لانه اطماع من كريم رحيم اذا

يا أيها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم

اطمع فعل مايطمع فيه لامحالة لجرى اطماعه مجرى وعده المحتوم ووفاؤه به قال من قال ان لعل بمعنى كى ولعل لاتكون بمعنى كى ولكن الحقيقة ما القيت اليك وايضا فمن ديدن الملوك وماعليه اوضاع امرهم ورسومهم ان يقتصروا في مواعيدهم التى يوطنون انفسهم على انجازها على ان يقولوا عسى ولعل ونحوهما من الكلمات او يخيلوا اخالة او يظفر منهم بالرمزة او الابتسامة او النظرة الحلوة فاذا عثر على شيء من ذلك منهم لم يبق للطالب ماعندهم شك فى النجاح والفوز بالمطلوب فعلى مثله ورد كلام مالك الملوك ذى العز والكبرياء او يجيء على طريق الاطماع دون التحقيق لئلا يتكل العباد كقوله يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا عسى ربكم ان يكفر عنكم سيآتكم (فان قلت) فلعل التى فى الآية مامعناها وماموقعها (قلت) ليست مماذكرناه فى شيء لان قوله (خلقكم * لعلكم تتقون) لايجوز ان يحمل على رجاء الله تقواهم لان الرجاء لايجوز على عالم الغيب والشهادة وحمله على ان يخلقهم راجين للتقوى ليس بسديد ايضا ولكن لعل واقعة فى الآية موقع المجاز لا الحقيقة لان الله عزوجل خلق عباده ليتعبدهم بالتكليف وركب فيهم العقول والشهوات وأزاح العلة فى اقدارهم وتمكينهم وهداهم النجدين ووضع فى ايديهم زمام الاختيار واراد منهم الخير والتقوى فهم فى صورة المرجو منهم أن يتقوا ليترجح أمرهم وهم مختارون بين الطاعة والعصيان كما ترجحت حال المرتجي بين ان يفعل وان لايفعل ومصداقه قوله عزوجل ليبلوكم أيكم أحسن عملا وانما يبلو ويختبر من تخفى عليه العواقب ولكن شبه بالاختبار بناء أمرهم على الاختيار (فان قلت) كما خلق المخاطبين لعلهم يتقون فكذلك خلق الذين من قبلهم لذلك فلم قصره عليهم دون من قبلهم (قلت) لم يقصره عليهم ولكن غلب المخاطبين على الغائبين فى اللفظ والمعنى على ارادتهم جميعا (فان قلت) فهلا قيل تعبدون لأجل اعبدوا او اتقوا لمكان تتقون ليتجاوب طرفا النظم (قلت) ليست التقوى غير العبادة حتى يؤدى ذلك الى تنافر النظم وانما التقوى قصارى امر العابد ومنتهى جهده فاذا قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة كان ابعث على العبادة واشد الزاما لها واثبت لها فى النفوس ونحوه ان تقول لعبدك احمل خريطة الكتب فماملكتك يمينى الا لجر الاثقال ولو قلت لحمل خرائط الكتب لم يقع من نفسه ذلك الموقع * قدم سبحانه من موجبات عبادته وملزمات حق الشكر له خلقهم احياء قادرين اولا لانه سابقة أصول النعم ومقدمتها والسبب فى التمكن من العبادة والشكر وغيرهما ثم خلق الارض التى هى مكانهم ومستقرهم الذى لابد لهم منه وهي بمنزلة عرصة المسكن ومتقلبه ومفترشه ثم خلق السماء التى هى كالقبة المضروبة والخيمة المطنبة على هذا القرار ثم ماسواه عز وجل من شبه عقد النكاح بين المقلة والمظلة بانزال الماء منها عليها والاخراج به من بطنها اشباه النسل المنتج من الحيوان من الوان الثمار رزقا لبنى آدم ليكون لهم ذلك معتبرا ومتسلقا الى النظر الموصل الى التوحيد والاعتراف ونعمة يتعرفونها فيقابلونها بلازم الشكر ويتفكرون فى خلق انفسهم وخلق مافوقهم وتحتهم وان شيأ من هذه المخلوقات كلها لايقدر على ايجاد شيء منها فيتيقنوا عند ذلك ان لابد لها من خالق ليس كمثلها حتى لايجعلوا المخلوقات له اندادا وهم يعلمون انها لاتقدر على نحو ماهو عليه قادر والموصول مع صلته اما ان يكون فى محل النصب وصفا كالذى خلقكم او على المدح والتعظيم واما ان يكون رفعا على الابتداء وفيه مافى النصب من المدح * وقرأ يزيد الشامي بساطا وقرأ طلحة مهادا ومعنى جعلها فراشا وبساطا ومهادا للناس انهم يقعدون عليها وينامون ويتقلبون كما يتقلب احدهم على فراشه وبساطه ومهاده (فان قلت) هل فيه دليل على أن الارض مسطحة وليست بكرية (قلت) ليس فيه الا أن الناس يفترشونها كما يفعلون بالمفارش وسواء كانت على شكل السطح أو شكل الكرة فالافتراش غير مستنكر ولا مدفوع لعظم حجمها واتساع جرمها وتباعد أطرافها واذا كان متسهلا فى الجبل وهو وتد من أوتاد الارض فهو فى الارض ذات الطول والعرض أسهل * والبناء مصدر سمى به المبنى بيتا كان أو قبة أو خباء أو طرافا وابنية العرب اخبيتهم ومنه بنى على امرأته لانهم كانوا اذا تزوجوا ضربوا عليها خباء جديدا * (فان قلت) * مامعنى اخراج الثمرات بالماء وانما خرجت بقدرته ومشيئته (قلت) المعنى انه جعل الماء سببا فى خروجها ومادة لها كماء

لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشا والسماء بناء وانزل من السماء ماء فاخرج به

قوله تعالى لعلكم تتقون (قال محمود رحمه الله لعل واقعة في الآية موقع المجاز الخ) قال احمد رحمه الله كلام سديد الا قوله واراد منهم التقوى والخير فانه كلام ابرزه على قاعدة القدرية والصحيح والسنة ان الله تعالى اراد من كل احد ماوقع منه من خير وغيره ولكن طلب الخير والتقوى منهم اجمعين والطلب والامر عند اهل السنة مباين للارادة ألهمنا الله صواب القول وسداده (قال محمود رحمه الله فان قلت فهلا قيل تعبدون الخ) قال احمد رحمه الله كلام حسن الا قوله خلقكم للاستيلاء على اقصى غايات العبادة فانه مفرع على تلك النزغة المتقدمة آنفا والعبارة المحررة فى ذلك على قاعدة السنة ان قال اعبدوا ربكم الذى خلقكم على حالة من خلقكم معها ان تستولوا على اقصى غاية العبادة وهي التقوى لما ركب فيكم من العقول وبينه لكم من البواعث على

الفحل في خلق الولد وهو قادر على ان ينشئ الاجناس كلها بلا أسباب ولا مواد كما أنشأ نفوس الاسباب والمواد ولكن له في إنشاء الاشياء مدرجا لها من حال الى حال وناقلا من مرتبة الى مرتبة حكما ودواعي يجدد فيها الملائكته والنظار بعيون الاستبصار من عباده عبرا وأفكارا صالحة وزيادة طمأنينة وسكون الى عظيم قدرته وغرائب حكمته ليس ذلك في انشائها بغتة من غير تدريج وترتيب * ومن في (من الثمرات) للتبعيض بشهادة قوله فأخرجنا به من كل الثمرات وقوله فأخرجنا به ثمرات ولان المنكرين أعني ماء ورزقا يكتنفانه وقد قصد بتنكيرهما معنى البعضية فكأنه قيل وانزلنا من السماء بعض الماء فاخرجنا به بعض الثمرات ليكون بعض رزقكم وهذا هو المطابق لصحة المعنى لانه لم ينزل من السماء الماء كله ولا اخرج بالمطر جميع الثمرات ولا جعل الرزق كله في الثمرات ويجوز ان تكون للبيان كقولك أنفقت من الدراهم ألفا (فان قلت) فيم انتصب (رزقا) (قلت) ان كانت من للتبعيض كان انتصابه بانه مفعول له وان كانت مبينة كان مفعولا لاخرج (فان قلت) فالثمر المخرج بماء السماء كثير جم فلم قيل الثمرات دون الثمر والثمار (قلت) فيه وجهان أحدهما ان يقصد بالثمرات جماعة الثمرة التي في قولك فلان ادركت ثمرة بستانه تريد ثماره ونظيره قولهم كلمة الحويدرة لقصيدته وقولهم للقرية المدرة وانما هي مدر متلاحق والثاني ان الجموع يتعاور بعضها موقع بعض لالتقائها في الجمعية كقوله كم تركوا من جنات وثلاثة قروء ويعضد الوجه الاول قراءة محمد بن السميفع من الثمرة على التوحيد و(لكم) صفة جارية على الرزق ان اريد به العين وان جعل اسما للمعنى فهو مفعول به كأنه قيل رزقا اياكم (فان قلت) بم تعلق (فلا تجعلوا) (قلت) فيه ثلاثة أوجه ان يتعلق بالامر اي اعبدوا ربكم فلا تجعلوا لله (اندادا) لان اصل العبادة واساسها التوحيد وان لا يجعل لله ند ولا شريك او بلعل على ان ينتصب تجعلوا انتصاب فأطلع في قوله عز وجل لعلي أبلغ الاسباب أسباب السموات فاطلع الى اله موسى في رواية حفص عن عاصم اي خلقكم لكي تتقوا وتخافوا عقابه فلا تشبهوه بخلقه او بالذي جعل لكم اذا رفعته على الابتداء اي هو الذي خصكم بهذه الآيات العظيمة والدلائل النيرة الشاهدة بالوحدانية فلا تتخذوا له شركاء والند المثل ولا يقال الا للمثل المخالف المناوي قال جرير

أتيما تجعلون الى ندا * وما تيم لذي حسب نديد

ونادت الرجل خالفته ونافرته من ند ندودا اذا نفر ومعنى قولهم ليس لله ند ولا ضد نفي ما يسد مسده ونفي ما ينافيه (فان قلت) كانوا يسمون أصنامهم باسمه ويعظمونها بما يعظم به من القرب وما كانوا يزعمون أنها تخالف الله وتناويه (قلت) لما تقربوا اليها وعظموها وسموها آلهة اشبهت حالهم حال من يعتقد انها آلهة مثله قادرة على مخالفته ومضادته فقيل لهم ذلك على سبيل التهكم وكما تهكم بهم بلفظ الند شنع عليهم واستفظع شأنهم بان جعلوا اندادا كثيرة لمن لا يصح ان يكون له ند قط وفي ذلك قال زيد بن عمرو بن نفيل حين فارق دين قومه

أربا واحدا أم ألف رب * أدين اذا تقسمت الامور

وقرأ محمد بن السميفع فلا تجعلوا لله ندا (فان قلت) ما معنى (وانتم تعلمون) (قلت) معناه وحالكم وصفتكم أنكم من صحة تمييزكم بين الصحيح والفاسد والمعرفة بدقائق الامور وغوامض الاحوال والاصابة في التدابير والدهاء والفطنة بمنزل لا تدفعون عنه وهكذا كانت العرب خصوصا ساكنو الحرم من قريش وكنانة لا يصطلى بنارهم في استحكام المعرفة بالامور وحسن الاحاطة بها ومفعول تعلمون متروك كأنه قيل وانتم من اهل العلم والمعرفة والتوابيخ فيه آكد أي أنتم العارفون المميزون ثم ان ما أنتم عليه في أمر ديانتكم من جعل الاصنام لله اندادا هو غاية الجهل ونهاية سخافة العقل ويجوز ان يقدر وانتم تعلمون أنه لا يماثل او وأنتم تعلمون ما بينه وبينها من التفاوت او وأنتم تعلمون انها لا تفعل مثل افعاله كقوله هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء * لما احتج عليهم بما يثبت الوحدانية ويحققها ويبطل الاشراك ويهدمه وعلم الطريق الى اثبات ذلك وتصحيحه وعرفهم ان من اشرك فقد كابر عقله وغطى على ما انعم عليه من معرفته وتمييزه عطف على ذلك ما هو الحجة على اثبات نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وما يدحض الشبهة في كون القرآن معجزة وأراهم

من الثمرات رزقا لكم فلا تجعلوا لله أندادا وأنتم تعلمون وان كنتم في ريب

تقواه فكان جديرا بكم ان لا تدعوا من جهدكم في التقوى شيا

كيف يتعرفون اهو من عند الله كما يدعى ام هو من عند نفسه كما يدعون بارشادهم الى ان يحزروا انه سهم و يذ وقرا طباعهم وهم ابناء جنسه واهل جلدته (فان قلت) لم قيل (مما نزلنا) على لفظ التنزيل دون الانزال (قلت) لان المراد النزول على سبيل التدريج والتنجيم وهو من محازه لمكان التحدى وذلك انهم كانوا يقولون لو كان هذا من عند الله مخالفا لما يكون من عند الناس لم ينزل هكذا نجوما سورة بعد سورة وآيات غب آيات على حسب النوازل وكما الحوادث وعلى سنن ما نرى عليه أهل الخطابة والشعر من وجود ما يوجد منهم مفرقا حينا فحينا وشيأ فشيأ حسب ما يعن لهم من الاحوال المتجددة والحاجات السانحة لا يلقي الناظم ديوان شعره دفعة ولا يرمى الناثر بمجموع خطبه أو رسائله ضربة فلو أنزله الله لانزله خلاف هذه العادة جملة واحدة قال الله تعالى وقال الذين كفروا لولا نزل عليه القرآن جملة واحدة فقيل ان ارتبتم فى هذا الذى وقع انزاله هكذا على مهل وتدريج فهاتوا أنتم نوبة واحدة من نوبه وهلموا نجما فردا من نجومه سورة من اصغر السور او آيات شتى مفتريات وهذه غاية التبكيت ومنتهى ازاحة العلل * وقرئ على عبادنا يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمته * والسورة الطائفة من القرآن المترجمة التي أقلها ثلاث آيات وواوها ان كانت أصلا فاما ان تسمي بسورة المدينة وهي حائطها لانها طائفة من القرآن محدودة محوزة على حيالها كالبلد المسور أو لانها محتوية على فنون من العلم واجناس من الفوائد كاحتواء سورة المدينة على ما فيها واما ان تسمي بالسورة التى هى الرتبة قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة * فى المجد ليس غرابها بمطار

لاحد معنيين لان السور بمنزلة المنازل والمراتب يترقي فيها القارئ وهى ايضا فى انفسها مترتبة طوال وأوساط وقصار او لرفعة شأنها وجلالة محلها فى الدين وان جعلت واوها منقلبة عن همزة فلانها قطعة وطائفة من القرآن كالسؤرة التى هي البقية من الشيء والفضلة منه (فان قلت) ما فائدة تفصيل القرآن وتقطيعه سورا (قلت) ليست الفائدة فى ذلك واحدة ولامر ما انزل الله التوراة والانجيل والزبور وسائر ما أوحاه الى أنبيائه على هذا المنهاج مسورة مترجمة السور وبوب المصنفون فى كل فن كتبهم ابوابا موشحة الصدور بالتراجم ومن فوائده ان الجنس اذا انطوت تحته انواع واشتمل على اصناف كان احسن وانبل وافخم من ان يكون بيانا واحدا ومنها ان القارئ اذا ختم سورة او بابا من الكتاب ثم اخذ فى آخر كان أنشط له وأهز لعطفه وابعث على الدرس والتحصيل منه لو استمر على الكتاب بطوله ومثله المسافر اذا علم انه قطع ميلا او طوى فرسخا او انتهي الى رأس بريد نفس ذلك منه ونشطه للسير ومن ثم جزأ القراء القرآن أسباعا واجزاء وعشورا وأخماسا ومنها ان الحافظ اذا حذق السورة اعتقد انه اخذ من كتاب الله طائفة مستقلة بنفسها لها فاتحة وخاتمة فيعظم عنده ما حفظه ويجل فى نفسه ويغتبط به ومنه حديث انس رضي الله عنه كان الرجل اذا قرأ البقرة وآل عمران جد فينا ومن ثمة كانت القراءة فى الصلاة بسورة تامة أفضل ومنها ان التفصيل سبب تلاحق الاشكال والنظائر وملاءمة بعضها لبعض وبذلك تتلاحظ المعاني ويتجاوب النظم الى غير ذلك من الفوائد والمنافع (من مثله) متعلق بسورة صفة لها أى بسورة كائنة من مثله والضمير لما نزلنا او لعبدنا ويجوز ان يتعلق بقوله فأتوا والضمير للعبد (فان قلت) وما مثله حتى يأتوا بسورة من ذلك المثل (قلت) معناه فاتوا بسورة مما هو على صفته فى البيان الغريب وعلو الطبقة فى حسن النظم او فاتوا ممن هو على حاله من كونه بشرا عربيا او أميا لم يقرأ الكتب ولم يأخذ من العلماء ولا قصد الى مثل ونظير هنالك ولكنه نحو قول القبعثرى للحجاج وقد قال له لاحملنك على الادهم مثل الامير حمل على الادهم والاشهب أراد من كان على صفة الامير من السلطان والقدرة وبسطة اليد ولم يقصد أحدا يجعله مثلا للحجاج ورد الضمير الى المنزل أوجه لقوله تعالى فاتوا بسورة مثله فاتوا بعشر سور مثله على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولان القرآن جدير بسلامة الترتيب والوقوع على أصح الاساليب والكلام مع رد الضمير الى المنزل أحسن ترتيبا وذلك ان الحديث فى المنزل لا فى المنزل عليه وهو مسوق اليه ومربوط به فحقه ان لا يفك عنه برد الضمير الى غيره ألا ترى ان المعنى وان

مما نزلنا على عبدنا فاتوا بسورة من مثله

*قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية (قال محمود رحمه الله الضمير يحتمل عوده لما نزلناه الخ) قال احمد رحمه الله ومعنى هذا الترجيح ان المتحدى عليهم فى التفسير الاوجه جملة المخاطبين أى انهم باجتماعهم ومظاهرة بعضهم بعضا عجزة عن الاتيان بطائفة منه واما على التفسير المرجوح فهم مخاطبون بان يعينوا واحدا منهم يكون معارضا للمتحدى بانه يأتى بمثل ما أتى به أو ببعضه ولاشك ان عجز الخلائق اجمعين ابهى من عجز واحد منهم ويشهد لرجحان الاول قوله تعالى لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا

ارتبتم فى ان القرآن منزل من عند الله فهاتوا أنتم نبذا مما يماثله ويجانسه وقضية الترتيب لو كان الضمير مردودا الى رسول الله ﷺ ان يقال وان ارتبتم فى ان محمدا منزل عليه فهاتوا قرآنا من مثله ولانهم اذا خوطبوا جميعا وهم الجم الغفير بان يأتوا بطائفة يسيرة من جنس ما أتى به واحد منهم كان ابلغ فى التحدى من ان يقال لهم ليأت واحد آخر بنحو ما أتى به هـذا الواحد ولان هذا التفسير هو الملائم لقوله (وادعوا شهداءكم) والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر أو القائم بالشهادة * ومعنى دون أدنى مكان من الشيء ومنه الشيء الدون وهو الدني الحقير ودون الكتب اذا جمعها لان جمع الاشياء ادناء بعضها من بعض وتقليل المسافة بينها يقال هذا دون ذاك اذا كان أحط منه قليلا ودونك هذا أصله خذه من دونك أي من أدنى مكان منك فاختصر واستعير للتفاوت في الاحوال والرتب فقيل زيد دون عمرو فى الشرف والعلم ومنه قول من قال احدوه وقد را آه بالثناء عليه انا دون هذا وفوق ما فى نفسك واتسع فيه فاستعمل فى كل تجاوز حد الى حد وتخطي حكم الى حكم قال الله تعالى لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين اى لا يتجاوزوا ولاية المؤمنين الى ولاية الكافرين وقال أمية * يا نفس مالك دون الله من واقى * اى اذا تجاوزت وقاية الله ولم تنالها لم يقك غيره و(من دون الله) متعلق بادعوا أو بشهداءكم فان علقته بشهداءكم فمعناه ادعوا الذين اتخذتموهم آلهة من دون الله و زعمتم انهم يشهدون لكم يوم القيامة انكم على الحق اوادعوا الذين يشهدون لكم بين يدى الله من قول الاعشى

* تريك القذى من دونها وهي دونه * اى تريك القذى قدامها وهي قدام القذى لرقتها وصفائها وفي امرهم ان يستظهروا بالجماد الذى لا ينطق فى معارضة القرآن المعجز بفصاحته غاية التهكم بهم اوادعوا شهداءكم من دون الله اى من دون اوليائه ومن غير المؤمنين ليشهدوا لكم انكم أتيتم بمثله وهذا من المساهلة وارخاء العنان والاشعار بان شهداءهم وهم مداره القوم الذين هم وجوه المشاهد وفرسان المقاولة والمناقلة تابى عليهم الطباع وتجمح بهم الانسانية والانفة ان يرضوا لانفسهم الشهادة بصحة الفاسد البين عندهم فساده واستقامة المحال الجلي فى عقولهم احالته وتعليقه بالدعاء فى هذا الوجه جائز وان علقته بالدعاء فمعناه ادعوا من دون الله شهداءكم يعني لا تستشهدوا بالله ولا تقولوا الله يشهد ان ما ندعيه حق كما يقوله العاجز عن اقامة البينة على صحة دعواه وادعوا الشهداء من الناس الذين شهادتهم بينة تصحح بها الدعاوى عند الحكام وهذا تعجيز لهم وبيان لانقطاعهم وانخزالهم وان الحجة قد بهرتهم ولم تبق لهم متشبثا غير قولهم الله يشهد انا صادقون وقولهم هذا تسجيل منهم على انفسهم بتناهي العجز وسقوط القدرة وعن بعض العرب انه سئل عن نسبه فقال قرشي والحمد لله فقيل له قولك الحمد لله فى هذا المقام ريبة اوادعوا من دون الله شهداءكم يعنى ان الله شاهدكم لانه اقرب اليكم من حبل الوريد وهو بينكم وبين اعناق رواحلكم والجن والانس شاهدوكم فادعوا كل من يشهدكم واستظهروا به من الجن والانس الا الله تعالى لانه القادر وحده على ان يأتي بمثله دون كل شاهد من شهدائكم فهو في معنى قوله قل لئن اجتمعت الانس والجن الآية * لما ارشدهم الى الجهة التي منها يتعرفون امر النبي صلى الله عليه وسلم وما جاء به حتى يعثروا على حقيقته وسره وامتياز حقه من باطله قال لهم فاذا لم تعارضوه ولم يتسهل لكم ما تبغون وبان لكم انه معجوز عنه فقد صرح الحق عن محضه ووجب التصديق فآمنوا وخافوا العذاب المعد لمن كذب وفيه دليلان على اثبات النبوة صحة كون المتحدى به معجزا والاخبار بانهم لن يفعلوا وهو غيب لا يعلمه الا الله (فان قلت) انتفاء اتيانهم بالسورة واجب فهلا جيء باذا الذى للوجوب دون ان الذى للشك (قلت) فيه وجهان احدهما ان يساق القول معهم على حسب حسبانهم وطمعهم وان العجز عن المعارضة كان قبل التامل كالمشكوك فيه لديهم لاتكالهم على فصاحتهم واقتدارهم على الكلام والثاني ان يتهكم بهم كما يقول الموصوف بالقوة الواثق من نفسه بالغلبة على من يقاويه ان غلبتك لم ابق عليك وهو يعلم انه غالبه ويتيقنه تهكما به (فان قلت) لم عبر عن الاتيان بالفعل واى فائدة فى تركه اليه (قلت) لانه فعل من الافعال تقول أتيت فلانا فيقال لك نعم ما فعلت والفائدة فيه انه جار مجرى

وادعوا شهداءكم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم تفعلوا

الكناية التي تعطيك اختصارا ووجازة تغنيك عن طول المكنى عنه الا ترى ان الرجل يقول ضربت زيدا في موضع كذا على صفة كذا وشتمته ونكلت به ويعد كيفيات وافعالا فتقول له بئسما فعلت ولو ذكرت ما انبته عنه لطال عليك وكذلك لو لم يعدل عن لفظ الاتيان الى لفظ الفعل لاستطيل ان يقال فان لم تأتوا بسورة من مثله (فان قلت) ولن تفعلوا ما محلها (قلت) لا محل لها لانها جملة اعتراضية (فان قلت) ما حقيقة لن في باب النفي (قلت) لا ولن اختان في نفي المستقبل الا ان في لن توكيدا وتشديدا تقول لصاحبك لا اقيم غدا فان انكر عليك (قلت) لن اقيم غدا كما تفعل في انا مقيم واني مقيم وهي عند الخليل في احدى الروايتين عنه اصلها لا أن وعند الفراء لا أبدلت ألفها نونا وعند سيبويه واحدى الروايتين عن الخليل حرف مقتضب لتأكيد نفي المستقبل (فان قلت) من أين لك انه اخبار بالغيب على ما هو به حتى يكون معجزة (قلت) لانهم لو عارضوه بشيء لم يمتنع ان يتواصفه الناس ويتناقلوه اذ خفاء مثله فيما عليه مبنى العادة محال لا سيما والطاعنون فيه أكثف عددا من الذابين عنه فحين لم ينقل علم انه اخبار بالغيب على ما هو به فكان معجزة * (فان قلت) ما معنى اشتراطه في اتقاء النار انتفاء اتيانهم بسورة من مثله (قلت) انهم اذا لم يأتوا بها وتبين عجزهم عن المعارضة صح عندهم صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا صح عندهم صدقه ثم لزموا العناد ولم ينقادوا ولم يشايعوا استوجبوا العقاب بالنار فقيل لهم ان استبنتم العجز فاتركوا العناد فوضع (فاتقوا النار) موضعه لان اتقاء النار لصيقه وضميمه ترك العناد من حيث انه من نتائجه لان من اتقى النار ترك المعاندة ونظيره ان يقول الملك لحشمه ان اردتم الكرامة عندي فاحذروا سخطي يريد فاطيعوني واتبعوا امري وافعلوا ما هو نتيجة حذر السخط وهو من باب الكناية التي هي شعبة من شعب البلاغة وفائدته الايجاز الذي هو من حلية القرآن وتهويل شان العناد بانابة اتقاء النار منابه وابرازه في صورته مشيعا ذلك بتهويل صفة النار وتفظيع امرها * والوقود ما ترفع به النار وأما المصدر فمضموم وقد جاء فيه الفتح قال سيبويه وسمعنا من العرب من يقول وقدت النار وقودا عاليا ثم قال والوقود أكثر والوقود الحطب وقرا عيسى بن عمر الهمداني بالضم تسمية بالمصدر كما يقال فلان فخر قومه وزين بلده ويجوز ان يكون مثل قولك حياة المصباح السليط أي ليست حياته الا به فكان نفس السليط حياته (فان قلت) صلة الذي والتي يجب ان تكون قصة معلومة للمخاطب فكيف علم أولئك ان نار الآخرة توقد بالناس والحجارة (قلت) لا يمتنع ان يتقدم لهم بذلك سماع من أهل الكتاب او سمعوه من رسول الله صلى الله عليه وسلم او سمعوا قبل هذه الآية قوله تعالى في سورة التحريم نارا وقودها الناس والحجارة (فان قلت) فلم جاءت النار الموصوفة بهذه الجملة منكرة في سورة التحريم وههنا معرفة (قلت) تلك الآية نزلت بمكة فعرفوا منها نارا موصوفة بهذه الصفة ثم نزلت هذه بالمدينة مشارا بها الى ما عرفوه أولا (فان قلت) ما معنى قوله تعالى (وقودها الناس والحجارة) (قلت) معناه انها نار ممتازة عن غيرها من النيران بانها لا تتقد الا بالناس والحجارة وبان غيرها ان أريد احراق الناس بها او احماء الحجارة اوقدت أولا بوقود ثم طرح فيها ما يراد احراقه او احماؤه وتلك أعاذنا الله منها برحمته الواسعة توقد بنفس ما يحرق ويحمى بالنار وبانها لافراط حرها وشدة ذكائها اذا اتصلت بما لا تشتعل به نار اشتعلت وارتفع لهبها (فان قلت) انار الجحيم كلها موقدة بالناس والحجارة ام هي نيران شتى منها نار بهذه الصفة (قلت) بل هي نيران شتى منها نار توقد بالناس والحجارة يدل على ذلك تنكيرها في قوله تعالى قوا أنفسكم واهليكم نارا فانذرتكم نارا تلظى ولعل لكفار الجن وشياطينهم نارا وقودها الشياطين كما ان لكفرة الانس نارا وقودها هم جزاء لكل جنس بما يشاكله من العذاب (فان قلت) لم قرن الناس بالحجارة وجعلت الحجارة معهم وقودا (قلت) لانهم قرنوا بها انفسهم في الدنيا حيث نحتوها اصناما وجعلوها لله اندادا وعبدوها من دونه قال الله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وهذه الآية مفسرة لما نحن فيه فقوله انكم وما تعبدون من دون الله في معنى الناس والحجارة وحصب جهنم في معنى وقودها ولما اعتقد الكفار في حجارتهم المعبودة من دون الله انها الشفعاء والشهداء الذين يستشفعون بهم ويستدفعون المضار عن أنفسهم بمكانهم جعلها الله عذابهم

ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة

قوله تعالى فاتقوا النار التي وقودها الناس الآية (قال محمود رحمه الله هذه الآية نزلت بالمدينة بعد نزول آية التحريم بمكة الخ) قال احمد رحمه الله يعني بالآية قوله تعالى قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة لكني لم أقف على خلاف بين المفسرين ان سورة التحريم مدنية وما اشتملت عليه من القصة المشهورة أصدق شاهد على ذلك فالظاهر ان الزمخشري وهم في نقله أنها مكية

فقرنهم بها محماة في نار جهنم ابلاغا في ايلامهم واغراقا في تحسيرهم ونحوه ما يفعله بالكانزين الذين جعلوا ذهبهم وفضتهم عدة وذخيرة فشحوا بها ومنعوها من الحقوق حيث يحمى عليها في نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وقيل هي حجارة الكبريت وهو تخصيص غير دليل وذهاب عما هو المعنى الصحيح الواقع المشهود له بمعاني التنزيل (أعدت) هيئت لهم وجعلت عدة لعذابهم وقرأ عبد الله أعتدت من العتاد بمعنى العدة * من عادته عز وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب ويشفع البشارة بالانذار ارادة التنشيط لاكتساب ما يزلف والتثبيط عن اقتراف ما يتلف فلما ذكر الكفار وأعمالهم وأوعدهم بالعقاب قفاه ببشارة عباده الذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي وحموها من الاحباط بالكفر والكبائر بالثواب (فان قلت) من المأمور بقوله تعالى (وبشر) (قلت) يجوز أن يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون كل احد كما قال عليه الصلاة والسلام بشر المشائين الى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة لم يأمر بذلك واحدا بعينه وانما كل احد مأمور به وهذا الوجه أحسن وأجزل لانه يؤذن بأن الامر لعظمه وفخامة شانه محقوق بان يبشر به كل من قدر على البشارة به (فان قلت) علام عطف هذا الامر ولم يسبق امر ولا نهي يصح عطفه عليه (قلت) ليس الذي اعتمد بالعطف هو الامر حتى يطلب له مشاكل من امر او نهي يعطف عليه انما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين كما تقول زيد يعاقب بالقيد والارهاق وبشر عمرا بالعفو والاطلاق ولك ان تقول هو معطوف على قوله فاتقوا كما تقول يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم وبشر يا فلان بني اسد باحساني اليهم وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه وبشر على لفظ المبني للمفعول عطفا على أعدت والبشارة الاخبار بما يظهر سرور المخبر به ومن ثم قال العلماء اذا قال لعبيده ايكم بشرني بقدوم فلان فهو حر فبشروه فرادى عتق أولهم لانه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين ولو قال مكان بشرني أخبرني عتقوا جميعا لانهم جميعا اخبروه ومنه البشرة لظاهر الجلد وتباشير الصبح ما ظهر من اوائل ضوئه واما فبشرهم بعذاب اليم فمن العكس في الكلام الذي يقصد به الاستهزاء الزائد في غيظ المستهزأ به وتألمه واغتمامه كما يقول الرجل لعدوه ابشر بقتل ذريتك ونهب مالك ومنه قوله فاعتبوا بالصيلم * والصالحة نحو الحسنة في جريها مجرى الاسم قال الحطيئة

كيف الهجاء وما تنفك صالحة * من آل لأم بظهر الغيب تأتيني

والصالحات كل ما استقام من الاعمال بدليل العقل والكتاب والسنة واللام للجنس (فان قلت) اى فرق بين لام الجنس داخلة على المفرد وبينها داخلة على المجموع (قلت) اذا دخلت على المفرد كان صالحا لان يراد به الجنس الى ان يحاط به وان يراد به بعضه الى الواحد منه واذا دخلت على المجموع صلح ان يراد به جميع الجنس وان يراد به بعضه لا الى الواحد منه لان وزانه في تناول الجمعية في الجنس وزان المفرد في تناول الجنسية والجمعية في جمل الجنس لا في وحدانه (فان قلت) فما المراد بهذا المجموع مع اللام (قلت) الجملة من الاعمال الصحيحة المستقيمة في الدين على حسب حال المؤمن في مواجب التكليف * والجنة البستان من النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف اغصانه قال زهير تسقي جنة سحقا اي نخلا طوالا والتركيب دائر على معنى الستر وكأنها لتكاثفها وتظليلها سميت بالجنة التي هي المرة من مصدر جنه اذا ستره كأنها سترة واحدة لفرط التفافها وسميت دار الثواب جنة لما فيها من الجنان (فان قلت) الجنة مخلوقة ام لا (قلت) قد اختلف في ذلك والذي يقول انها مخلوقة يستدل بسكنى آدم وحواء الجنة وبمجيئها في القرآن على نهج الاسماء الغالبة اللاحقة بالاعلام كالنبي والرسول والكتاب ونحوها (فان قلت) ما معنى جمع الجنة وتنكيرها (قلت) الجنة اسم لدار الثواب كلها وهي مشتملة على جنان كثيرة مرتبة مراتب على حسب استحقاقات العاملين لكل طبقة منهم جنات من تلك الجنان (فان قلت) اما يشترط في استحقاق الثواب بالايمان والعمل الصالح ان لا يحبطهما المكلف بالكفر والاقدام على الكبائر وان لا يندم على ما اوجده من فعل الطاعة وترك المعصية فهلا شرط ذلك (قلت) لما جعل الثواب مستحقا بالايمان والعمل الصالح والبشارة مختصة بمن يتولاهما وركز في العقول ان الاحسان

أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات

انما يستحق فاعله عليه المثوبة والثناء اذا لم يتعقبه بما يفسده ويذهب بحسنه وانه لا يبقى مع وجود مفسده احسانا واعلم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وهو اكرم الناس عليه واعزهم لئن اشركت ليحبطن عملك وقال تعالى للمؤمنين ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض ان تحبط اعمالكم كان اشتراط حفظهما من الاحباط والندم كالداخل تحت الذكر * (فان قلت) كيف صورة جرى الانهار من تحتها (قلت) كما ترى الاشجار النابتة على شواطئ الانهار الجارية وعن مسروق ان انهار الجنة تجرى فى غير اخدود وانزه البساتين واكرمها منظرا ما كانت أشجاره مظللة والانهار فى خلالها مطردة ولولا ان الماء الجارى من النعمة العظمى واللذة الكبرى وان الجنان والرياض وان كانت آنق شىء واحسنه لا تروق النواظر ولا تبهج الانفس ولا تجلب الاريحية والنشاط حتى يجرى فيها الماء والا كان الانس الاعظم فائتا والسرور الاوفر مفقودا وكانت كتماثيل لا أرواح فيها وصور لا حياة لها لما جاء الله تعالى بذكر الجنات مشفوعا بذكر الانهار الجارية من تحتها مسوقين على قران واحد كالشيئين لا بد لاحدهما من صاحبه ولما قدمه على سائر نعوتها * والنهر المجرى الواسع فوق الجدول ودون البحر يقال لبردى نهر دمشق وللنيل نهر مصر واللغة العالية النهر بفتح الهاء ومدار التركيب على السعة واسناد الجرى الى الانهار من الاسناد المجازى كقولهم بنو فلان يطؤهم الطريق وصيد عليه يومان (فان قلت) لم نكرت الجنات وعرفت الانهار (قلت) اما تنكير الجنات فقد ذكر وأما تعريف الانهار فأن يراد الجنس كما تقول لفلان بستان فيه الماء الجارى والتين والعنب والوان الفواكه تشير الى الاجناس التى فى علم المخاطب او يراد انهارها فعوض التعريف باللام من تعريف الاضافة كقوله واشتعل الرأس شيبا أو يشار باللام الى الانهار المذكورة فى قوله فيها انهار من ماء غير آسن وانهار من لبن لم يتغير طعمه الآية * وقوله (كلما رزقوا) لا يخلو من ان يكون صفة ثانية لجنات أو خبر مبتدا محذوف او جملة مستأنفة لانه لما قيل ان لهم جنات لم يخل خلد السامع ان يقع فيه أثمار تلك الجنات اشباه ثمار جنات الدنيا ام اجناس أخر لا تشابه هذه الاجناس فقيل ان ثمارها اشباه ثمار جنات الدنيا أى اجناسها أجناسها وان تفاوتت الى غاية لا يعلمها الا الله (فان قلت) ما موقع (من ثمرة) (قلت) هو كقولك كلما اكلت من بستانك من الرمان شيأ حمدتك فموقع من ثمرة موقع قولك من الرمان كانه قيل كلما رزقوا من الجنات من اى ثمرة كانت من تفاحها أو رمانها او عنبها أو غير ذلك رزقا قالوا ذلك فمن الاولى والثانية كلتاهما لابتداء الغاية لان الرزق قد ابتدئ من الجنات والرزق من الجنات قد ابتدئ من ثمرة وتنزيله تنزيل ان تقول رزقنى فلان فيقال لك من اين فتقول من بستانه فيقال من اى ثمرة رزقك من بستانه فتقول من رمان وتحريره ان رزقوا جعل مطلقا مبتدأ من ضمير الجنات ثم جعل مقيدا بالابتداء من ضمير الجنات مبتدأ من ثمرة وليس المراد بالثمرة التفاحة الواحدة أو الرمانة الفذة على هذا التفسير وانما المراد النوع من انواع الثمار ووجه آخر وهو ان يكون من ثمرة بيانا على منهاج قولك رأيت منك اسدا تريد انت أسد وعلى هذا يصح ان يراد بالثمرة النوع من الثمار والجنات الواحدة (فان قلت) كيف قيل (هذا الذى رزقنا من قبل) وكيف تكون ذات الحاضر عندهم فى الجنة هى ذات الذى رزقوه فى الدنيا (قلت) معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل وشبهه بدليل قوله وأتوا به متشابها وهذا كقولك ابو يوسف أبو حنيفة تريد انه لاستحكام الشبه كان ذاته ذاته (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (وأتوا به) (قلت) الى المرزوق فى الدنيا والآخرة جميعا لان قوله هذا الذى رزقنا من قبل انطوى تحته ذكر ما رزقوه فى الدارين ونظيره قوله تعالى ان يكن غنيا أو فقيرا فالله أولى بهما أى بجنسي الغنى والفقير لدلالة قوله غنيا أو فقيرا على الجنسين ولو رجع الضمير الى المتكلم به لقيل أولى به على التوحيد * (فان قلت) لاى غرض يتشابه ثمر الدنيا وثمر الجنة وما بال ثمر الجنة لم يكن أجناسا أخر (قلت) لان الانسان بالمألوف آنس والى المعهود أميل واذا رأى ما لم يألفه نفر عنه طبعه وعافته نفسه ولانه اذا ظفر بشىء من جنس ما سلف له به عهد وتقدم له معه ألف ورأى فيه مزية ظاهرة وفضيلة بينة وتفاوتا بينه وبين ما عهد بليغا افرط ابتهاجه واغتباطه وطال

تجرى من تحتها الانهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابها

* قوله تعالى كلما رزقوا منها من ثمرة رزقا الآية (قال محمود رحمه الله معناه هذا مثل الذى رزقناه من قبل الخ) قال احمد رحمه الله وهذا من التشبيه بغير الأداة وهو ابلغ مراتب التشبيه كقولهم ابو يوسف ابو حنيفة

استعجابه واستغرابه وتبين كنه النعمة فيه وتحقق مقدار الغبطة به ولو كان جنساً لم يعهده وان كان فائقا حسب ان ذلك الجنس لا يكون الا كذلك فلا يتبين موقع النعمة حق التبين فحين ابصروا الرمانة من رمان الدنيا ومبلغها في الحجم وان الكبرى لا تفضل عن حد البطيخة الصغيرة ثم يبصرون رمانة الجنة تشبع السكن والنبقة من نبق الدنيا في حجم الفلكة ثم يرون نبق الجنة كقلال هجر كما رأوا ظل الشجرة من شجر الدنيا وقدر امتداده ثم يرون الشجرة في الجنة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعه كان ذلك أبين للفضل وأظهر للمزية وأجلب للسرور وأزيد في التعجب من أن يفاجئوا ذلك الرمان وذلك النبق من غير عهد سابق بجنسهما وترديدهم هذا القول ونطقهم به عند كل ثمرة يرزقونها دليل على تناهي الامر وتمادي الحال في ظهور المزية وتمام الفضيلة وعلى ان ذلك التفاوت العظيم هو الذي يستملي تعجبهم ويستدعي تبجحهم في كل أوان عن مسروق نخل الجنة نضيد من أصلها الى فرعها وثمرها أمثال القلال كلما نزعت ثمرة عادت مكانها أخرى وأنهارها تجري في غير أخدود والعنقود اثنتا عشرة ذراعا ويجوز ان يرجع الضمير في أتوا به الى الرزق كما ان هذا اشارة اليه ويكون المعنى أن ما يرزقونه من ثمرات الجنة يأتيهم متجانسا في نفسه كما يحكي عن الحسن يؤتى أحدهم بالصحفة فيأكل منها ثم يؤتى بالاخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل فيقول الملك كل فاللون واحد والطعم مختلف وعنه صلى الله عليه وسلم والذي نفس محمد بيده ان الرجل من أهل الجنة ليتناول الثمرة ليأكلها فما هي بواصلة الى فيه حتى يبدل الله مكانها مثلها فاذا ابصروها والهيئة هيئة الاولى قالوا ذلك والتفسير الاول هو هو (فان قلت) كيف موقع قوله وأتوا به متشابها من نظم الكلام (قلت) هو كقولك فلان أحسن بفلان ونعم ما فعل ورأى من الرأي كذا وكان صوابا ومنه قوله تعالى وجعلوا أعزة أهلها اذلة وكذلك يفعلون وما أشبه ذلك من الجمل التي تساق في الكلام معترضة للتقرير * والمراد بتطهير الازواج أن طهرن مما يختص بالنساء من الحيض والاستحاضة ومالا يختص بهن من الاقذار والادناس ويجوز لمجيئه مطلقا أن يدخل تحته الطهر من دنس الطباع وطبع الاخلاق الذي عليه نساء الدنيا مما يكتسبن بانفسهن ومما يأخذنه من أعراق السوء والمناصب الرديئة والمناشئ المفسدة ومن سائر عيوبهن ومثالبهن وخبثهن وكيدهن (فان قلت) فهلا جاءت الصفة مجموعة كما في الموصوف (قلت) هما لغتان فصيحتان يقال النساء فعلن وهن فاعلات وفواعل والنساء فعلت وهي فاعلة ومنه بيت الحماسة

وإذا العذارى بالدخان تقنعت * واستعجلت نصب القدور فملت

والمعنى وجماعة أزواج مطهرة وقرأ زيد بن علي مطهرات وقرأ عبيد بن عمير مطهرة بمعنى متطهرة وفي كلام بعض العرب ما أحوجني الى بيت الله فاطهر به أطهرة أي فأتطهر به تطهرة (فان قلت) هلا قيل طاهرة (قلت) في مطهرة فخامة لصفتهن ليست في طاهرة وهي الاشعار بان مطهرا طهرهن وليس ذلك الا الله عز وجل المريد بعباده الصالحين أن يخولهم كل مزية فيما أعد لهم * والخلد الثبات الدائم والبقاء اللازم الذي لا ينقطع قال الله تعالى وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون وقال امرؤ القيس

الا انعم صباحا أيها الطلل البالي * وهل ينعمن من كان في العصر الخالي
وهل ينعمن الا سعيد مخلد * قليل الهموم ما يبيت باوجال

*سيقت هذه الآية لبيان ان ما استنكره الجهلة والسفهاء واهل العناد والمراء من الكفار واستغربوه من ان تكون المحقرات من الاشياء مضروبا بها المثل ليس بموضع للاستنكار والاستغراب من قبل ان التمثيل انما يصار اليه لما فيه من كشف المعنى ورفع الحجاب عن الغرض المطلوب وادناء المتوهم من المشاهد فان كان المتمثل له عظيما كان المتمثل به مثله وان كان حقيرا كان المتمثل به كذلك فليس العظم والحقارة في المضروب به المثل اذا الا امرا تستدعيه حال المتمثل له وتستجره الى نفسها فيعمل الضارب للمثل على حسب تلك القضية الا ترى الى الحق لما كان واضحا جليا أبلج كيف تمثل له بالضياء والنور والى الباطل لما كان بضد صفته كيف تمثل له بالظلمة ولما كانت حال الآلهة التي جعلها الكفار اندادا لله تعالى لا حال أحقر منها واقل ولذلك جعل بيت

ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون

العنكبوت مثلها في الضعف والوهن وجعلت اقل من الذباب واخس قدرا وضربت لها البعوضة فالذي دونها مثلا لم يستنكر ولم يستبدع ولم يقل للمتمثل استحي من تمثيلها بالبعوضة لانه مصيب في تمثيله محق في قوله سائق للمثل على قضية مضربه محتذ على مثال ما يحتكه و يستدعيه ولبيان ان المؤمنين الذين عادتهم الانصاف والعمل على العدل والتسوية والنظر في الامور بناظر العقل اذا سمعوا بمثل هذا التمثيل علموا انه الحق الذي لا تمر الشبهة بساحته والصواب الذي لا يرتع الخطا حوله وان الكفار الذين غلبهم الجهل على عقولهم وغصبهم على بصائرهم فلا يتفطنون ولا يلقون اذهانهم او عرفوا أنه الحق الا ان حب الرياسة وهوى الالف والعادة لا يخليهم ان ينصفوا فاذا سمعوه عاندوا وكابروا وقضوا عليه بالبطلان وقابلوه بالانكار وان ذلك سبب زيادة هدى المؤمنين وانهماك الفاسقين في غيهم وضلالهم والعجب منهم كيف أنكروا ذلك ومازال الناس يضربون الامثال بالبهائم والطيور وأجناس الارض والحشرات والهوام وهذه أمثال العرب بين أيديهم مسيرة في حواضرهم وبواديهم قد تمثلوا فيها باحقر الاشياء فقالوا اجمع من ذرة وأجرأ من الذباب وأسمع من قراد وأصرد من جرادة وأضعف من فراشة وآكل من السوس وقالوا في البعوضة أضعف من بعوضة وأعز من مخ البعوض وكلفتني مخ البعوض ولقد ضربت الامثال في الانجيل بالاشياء المحقرة كالزوان والنخالة وحبة الخردل والحصاة والارضة والدود والزنابير والتمثيل بهذه الاشياء وباحقر منها مما لا تغبي استقامته وصحته على من به أدنى مسكة ولكن ديدن المحجوج المبهوت الذي لا يبقى له متمسك بدليل ولا متشبث بامارة ولا اقناع أن يرمى لفرط الحيرة والعجز عن أعمال الحيلة برفع الواضح وانكار المستقيم والتعويل على المكابرة والمغالطة اذا لم يجد سوى ذلك معولا وعن الحسن وقتادة لما ذكر الله الذباب والعنكبوت في كتابه وضرب للمشركين به المثل ضحكت اليهود وقالوا ما يشبه هذا كلام الله فأنزل الله عز وجل هذه الآية * والحياء تغير وانكسار يعتري الانسان من تخوف ما يعاب به و يذم واشتقاقه من الحياة يقال حيي الرجل كما يقال نسي وحشي وشظي الفرس اذا اعتلت هذه الاعضاء جعل الحيي لما يعتريه من الانكسار والتغير منتكس القوة منتقص الحياة كما قالوا هلك فلان حياء من كذا ومات حياء ورأيت الهلاك في وجهه من شدة الحياء وذاب حياء وجمد في مكانه خجلا (فان قلت) كيف جاز وصف القديم سبحانه به ولا يجوز عليه التغير والخوف والذم وذلك في حديث سلمان قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حيي كريم يستحيي اذا رفع اليه العبد يديه ان يردهما صفرا حتى يضع فيهما خيرا (قلت) هو جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخييب العبد وانه لا يرد يديه صفرا من عطائه لكرمه بترك من يترك رد المحتاج اليه حياء منه وكذلك معنى قوله (ان الله لا يستحيي) اي لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ترك من يستحيي أن يتمثل بها لحقارتها ويجوز أن تقع هذه العبارة في كلام الكفرة فقالوا اما يستحيي رب محمد ان يضرب مثلا بالذباب والعنكبوت فجاءت على سبيل المقابلة واطباق الجواب على السؤال وهو فن من كلامهم بديع وطراز عجيب منه قول أبي تمام

من مبلغ أفناء يعرب كلها * أني بنيت الجار قبل المنزل

وشهد رجل عند شريح فقال انك لسبط الشهادة فقال الرجل انها لم تجعد عني فقال لله بلادك وقبل شهادته فالذي سوغ بناء الجار وتجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة ولولا بناء الدار لم يصح بناء الجار وسبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها ولله در أمر التنزيل واحاطته بفنون البلاغة وشعبها لا تكاد تستغرب منها فنا الا عثرت عليه فيه على أقوم مناهجه وأسد مدارجه وقد استعير الحياء فيما لا يصح فيه

اذا ما استحين الماء يعرض نفسه * كرعن بسبت في اناء من الورد

وقرأ ابن كثير في رواية شبل يستحي بياء واحدة وفيه لغتان التعدي بالجار والتعدي بنفسه يقولون استحييت منه واستحييته وهما محتملتان ههنا * وضرب المثل اعتماده وصنعه من ضرب اللبن وضرب الخاتم وفي الحديث اضطرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خاتما من ذهب و (ما) هذه ابهامية وهي التي اذا اقترنت باسم نكرة أبهمته ابهاما وزادته شياعا وعموما كقولك أعطني كتابا ما تريد اي كتاب كان أو صلة للتاكيد كالتي في قوله

ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا ما بعوضة

*قوله تعالى ان الله لا يستحيي الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف جاز وصف الله تعالى بالاستحياء الخ) قال احمد رحمه الله ولقائل ان يقول ما الذي دعاه الى تاويل الآية مع ان الحياء الذي يخشى نسبة ظاهره الى الله تعالى مسلوب في الآية كقولنا الله ليس بجسم ولا بجوهر في معرض التنزيه والتقديس وأما تاويل الحديث فمستقيم لان الحياء فيه ثبت لله تعالى وللزمخشري ان يجيب بان السلب في مثل هذا انما يطرأ على ما يمكن نسبته الى المسلوب عنه اذ مفهوم نفي الاستحياء عنه في شيء خاص ثبوت الاستحياء في غيره فالحاجة داعية الى تاويله لما أفضى اليه مفهومه وانما يتوجه السؤال لو كان الاستحياء مسلوبا مطلقا كقولنا الله لا يحول ولا يزول فان ذلك لا يثبت ومحال بل يقال هو مقدس منزه مطلقا (قال محمود رحمه الله وما هذه ابهامية الخ) قال احمد رحمه الله وفيها وهم امام الحرمين في تقرير نصوصية العموم في قوله عليه الصلاة والسلام ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها الحديث فانه قرر العموم والابهام في اي ثم قال فاذا انضافت اليها ما الشرطية كان ذلك ابلغ في اقتضاء العموم فاعتقد ان المؤكدة هي الشرطية وانما هي حرف مزيد لهذا الغرض واما ما الشرطية فاسم كن والله الموفق

(قال محمود هذا اذا نصبت بعوضة فان رفعتها فهى اذا موصولة الى قوله ووجه آخر جميل وهو ان تكون التى الخ) قال أحمد حملها على الاستفهامية بالمعنى الذى قرره فيه نظر لان قوله تعالى فما فوقها فى الحقارة فيكون معناه فما دونها واما ان يراد به فما هو اكبر منها حجما وعلى كلا التقديرين يتقدر الاستفهام لا نه انما يستعمل فى مثل ما دينار ودينارا ان اى اذا جاد بالكثير فما القليل واذا ذهبت فى الآية هذا المذهب لم تجد لصحته مجالا اذ يكون المراد ان الله لا يستحيي ان يضرب مثلا بالمحقرات فما البعوضة وما هو احقر منها وقد فرضنا انها فى أحد الوجهين نهاية فى المحقرات وفي الوجه الآخر ليست نهاية بل النهاية فى قوله فما فوقها أي دونها فاذا حمل ما بعد الاستفهام على النهاية في الوجهين جميعا لم ينتظم التنبيه المذكور بل ينعكس الغرض فيه اذ المقصود فى مثل قولنا فلان لا يبالى بعطاء الالوف فما الدينار الواحد التنبيه على ان اعطاء القليل منه محقق بعطائه الكثير بطريق الاولى ولا يتحقق فى الآية على هذا التقدير انه لا يستحيي من ضرب المثل بالمحقرات التى لا تبلغ النهاية فكيف يستحيي من ضرب المثل بما يبلغ النهاية فى الحقارة كالبعوضة هذا عكس النظر الاولوية ولو كانت الآية مثلا واردة على غير هذا التكلم كقول القائل ان الله لا يستحيي أن يضرب مثلا بالبعوضة التي هي نهاية فى الحقارة فما الانعام التي هي ابهى من البعوضة أو ابعد منها عن الحقارة بما لا يخفى لكان تقرير الزمخشري متوجها وما أراه والله أعلم الا واهما فى هذا الوجه وما طولت النفس ووسعت العبارة في الاعتراض عليه الا انه محل ضيق ومعنى متماص لا يخلص الى الفهم الا بهذا المزيد من البسط وناهيك بوضع العكس على فهم الزمخشري بل مع تعود فهمه واصابة نسجه خصوصا في تنسيق المعانى وتفصيلها والله الموفق وما تنجحه بالعثور على الوجه الذى ظن ان رؤبة العجاج رعاه فى قراءته فكلام ركيك توهم ان القراءة موكولة الى رأى القارئ وتوجيهه لها ونصرته بالعربية وفصاحته فى اللغة وليس الامر كذلك بل القراءة على اختلاف وجوهها و بعد حروفها سنة تتبع وسماع يقضى بنقله الفصيح وغيره على حد سواء لا حيلة للفصيح في تعسر شيء منه عما سمعه عليه وما يصنع بفصاحته فى القرآن الذى بدد كل فصاحة وعزل كل بلاغة فالصحيح والمعتقد ان كل قارئ معزول الا عما سمعه فوعاه وتلقنه من الافواه فأداه الى أن ينتهى ذلك الى اسماع من أفصح من نطق بالضاد سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام فتامل هذا الفصل فان فاهمه قليل

فما فوقها فاما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم

نما قضهم ميثاقهم كأنه قيل لا يستحيي أن يضرب مثلا حقا أو البتة هذا اذا نصبت (بعوضة) فان رفعتها فهى موصولة صلتها الجملة لان التقدير هو بعوضة فحذف صدر الجملة كما حذف فى تماما على الذى احسن ووجه آخر حسن جميل وهو ان تكون التى فيها معنى الاستفهام لما استنكفوا من تمثيل الله لاصنامهم بالمحقرات قال ان الله لا يستحيي أن يضرب للانداد ما شاء من الاشياء المحقرة مثلا بله البعوضة فما فوقها كما يقال فلان لا يبالى بما وهب ما دينار ودينا ران والمعنى ان الله أن يتمثل للانداد وحقارة شانها بما لا شيء أصغر منه وأقل كما لو تمثل بالجزء الذى لا يتجزأ وبما لا يدركه لتناهيه في صغره الا هو وحده بلطفه او بالمعدوم كما تقول العرب فلان أقل من لا شيء فى العدد ولقد الم به قوله تعالى ان الله يعلم ما يدعون من دونه من شيء وهذه القراءة تعزى الى رؤبة بن العجاج وهو امضغ العرب للشيح والقيصوم المشهود له بالفصاحة وكانوا يشبهون به الحسن وما اظنه ذهب فى هذه القراءة الا الى هذا الوجه وهو المطابق لفصاحته وانتصب بعوضة بانها عطف بيان لمثلا او مفعول ليضرب ومثلا حال عن النكرة مقدمة عليه او انتصبا مفعولين فجرى ضرب مجرى جعل واشتقاق البعوض من البعض وهو القطع كالبضع والعضب يقال بعضه البعوض وانشد

لنعم البيت بيت ابي دثار * اذا ما خاف بعض القوم بعضا

ومنه بعض الشيء لانه قطعة منه والبعوض فى أصله صفة على فعول كالقطوع فغلبت وكذلك الخموش (فما فوقها) فيه معنيان أحدهما فما تجاوزها وزاد عليها فى المعنى الذى ضربت فيه مثلا وهو القلة والحقارة نحو قولك لمن يقول فلان أسفل الناس وأنذلهم هو فوق ذاك تريد هو أبلغ وأعرق فيما وصف به من السفالة والنذالة والثانى فما زاد عليها فى الحجم كانه قصد بذلك رد ما استنكروه من ضرب المثل بالذباب والعنكبوت لانهما أكبر من البعوضة كما تقول لصاحبك وقد ذم من عرفته يشح بادنى شيء فقال فلان يبخل بالدرهم والدرهمين هو لا يبالى ان يبخل بنصف درهم فما فوقه تريد بما فوقه ما بخل فيه وهو الدرهم والدرهمان كانك قلت فضلا عن الدرهم والدرهمين ونحوه فى الاحتمالين ما سمعناه فى صحيح مسلم عن ابراهيم عن الاسود قال دخل شباب من قريش على عائشة رضي الله عنها وهى بمنى وهم يضحكون فقالت ما يضحككم قالوا فلان خر على طنب فسطاط فكادت عنقه او عينه ان تذهب فقالت لا تضحكوا انى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من مسلم يشاك شوكة فما فوقها الا كتبت له بها درجة ومحيت عنه بها خطيئة يحتمل فما عدا الشوكة وتجاوزها فى القلة وهي نحو نخبة النملة فى قوله عليه الصلاة والسلام ما أصاب المؤمن من مكروه فهو كفارة لخطاياه حتى نخبة النملة وهي عضتها او يحتمل ما هو أشد من الشوكة وأوجع كالخرور على طنب الفسطاط (فان قلت) كيف يضرب المثل بما دون البعوضة وهي النهاية فى الصغر (قلت) ليس كذلك فان جناح البعوضة أقل منها وأصغر بدرجات وقد ضرب به رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا للدنيا وفى خلق الله حيوان أصغر

منها

واما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلا يضل به كثيراً ويهدى به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون

منها ومن جناحها بما رأيت في تضاعيف الكتب العتيقة دويبة لا يكاد يجليها للبصر الحاد الا تحركها فاذا سكنت فالسكون يواريها ثم اذا لوحت لها بيدك حادت عنها وتجنبت مضرتها فسبحان من يدرك صورة تلك وأعضاءها الظاهرة والباطنة وتفاصيل خلقتها ويبصر بصرها ويطلع على ضميرها ولعل في خلقه ما هو أصغر منها وأصغر سبحان الذى خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن انفسهم ومما لا يعلمون وأنشدت لبعضهم

يامن يرى مد البعوض جناحها * في ظلمة الليل البهيم الاليل
ويرى عروق نياطها في نحرها * والمخ فى تلك العظام النحل
اغفر لعبد تاب من فرطاته * ما كان منه فى الزمان الاول

و (أما) حرف فيه معنى الشرط ولذلك يجاب بالفاء وفائدته فى الكلام ان يعطيه فضل توكيد تقول زيد ذاهب فاذا قصدت توكيد ذاك وانه لا محالة ذاهب وانه بصدد الذهاب وانه منه عزيمة قلت اما زيد فذاهب ولذلك قال سيبويه فى تفسيره مهما يكن من شيء فزيد ذاهب وهذا التفسير مدل لفائدتين بيان كونه توكيدا وانه فى معنى الشرط ففي ايراد الجملتين مصدرتين به وان لم يقل فالذين آمنوا يعلمون والذين كفروا يقولون احماد عظيم لامر المؤمنين واعتداد بعلمهم انه الحق ونعى على الكافرين اغفالهم حظهم وعنادهم ورميهم بالكلمة الحمقاء و (الحق) الثابت الذى لا يسوغ انكاره يقال حق الامر اذا ثبت ووجب وحقت كلمة ربك وثوب محقق محكم النسج و (ماذا) فيه وجهان ان يكون ذا اسما موصولا بمعنى الذى فيكون كلمتين وان يكون ذا مركبة مع ما مجعولتين اسما واحدا فيكون كلمة واحدة فهو على الوجه الاول مرفوع المحل على الابتداء وخبره ذا مع صلته وعلى الثانى منصوب المحل فى حكم ما وحده لو قلت ما أراد الله والاصوب فى جوابه أن يجيء على الاول مرفوعا وعلى الثانى منصوبا ليطابق الجواب السؤال وقد جوزوا عكس ذلك كما تقول فى جواب من قال ما رأيت خيرا أى المرئى خير وفى جواب ما الذى رأيت خيرا أى رأيت خيرا وقرئ قوله تعالى ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو بالرفع والنصب على التقديرين * والارادة نقيض الكراهة وهي مصدر أردت الشيء اذا طلبته نفسك ومال اليه قلبك وفي حدود المتكلمين الارادة معنى يوجب للحى حالا لاجلها يقع منه الفعل على وجه دون وجه وقد اختلفوا فى ارادة الله فبعضهم على ان للبارى مثل صفة المريد منا التى هي القصد وهو أمر زائد على كونه عالما غير ساه وبعضهم على ان معنى ارادته لافعاله هو أنه فعلها وهو غير ساه ولا مكره ومعنى ارادته لافعال غيره انه أمر بها والضمير فى انه الحق للمثل أو لأن يضرب وفى قولهم ماذا أراد الله بهذا مثلا استرذال واستحقار كما قالت عائشة رضي الله عنها فى عبد الله بن عمرو بن العاصى يا عجبا لابن عمرو هذا (مثلا) نصب على التمييز كقولك لمن أجاب بجواب غث ماذا أردت بهذا جوابا ولمن حمل سلاحا رديا كيف تنتفع بهذا سلاحا او على الحال كقوله هذه ناقة الله لكم آية * وقوله (يضل به كثيرا ويهدى به كثيرا) جار مجرى التفسير والبيان للجملتين المصدرتين باما وان فريق العالمين بانه الحق وفريق الجاهلين المستهزئين به كلاهما موصوف بالكثرة وان العلم بكونه حقا من باب الهدى الذى ازداد به المؤمنون نورا الى نورهم وان الجهل بحسن مورده من باب الضلالة التى زادت الجهلة خبطا فى ظلمائهم (فان قلت) لم وصف المهديون بالكثرة والقلة صفتهم وقليل من عبادى الشكور وقليل ما هم الناس كابل مائة لا تجد فيها راحلة وجدت الناس أخبر تقله (قلت) أهل الهدى كثير فى انفسهم وحين يوصفون بالقلة انما يوصفون بها بالقياس الى أهل الضلال وأيضا فان القليل من المهديين كثير فى الحقيقة وان قلوا فى الصورة فسموا ذهابا الى الحقيقة كثيرا

ان الكرام كثير فى البلاد وان * قلوا كما غيرهم قل وان كثروا

* واسناد الاضلال الى الله تعالى اسناد الفعل الى السبب لانه لما ضرب المثل فضل به قوم واهتدى به قوم تسبب لضلالهم وهداهم وعن مالك بن دينار رحمه الله انه دخل على محبوس قد أخذ بمال عليه وقيد فقال يا أبا يحيى أما

* قوله تعالى يضل به كثيرا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت كيف وصف المهديون بالكثرة الخ) قال أحمد رحمه الله جوابه صحيح وتنظيره بالبيت وهم لأن الشاعر انما ذهب الى ان عدد الكرام وان كان قليلا فى نفسه فالواحد منهم لعموم نفعه وانبساط كرمه يقوم مقام ألف من جنسه مثلا وعدد اللئام وان كثر فالأكثرون منهم يعدون بواحد من غيرهم لغل أيديهم وانقباضها عن الجود وعدم تعدى نفع منهم الى غيرهم كقول ابن يزيد

الناس الف منهم كواحد * وواحد كالف ان أمر عرا

وأما الآية فمضمونها ان عدد المهديين كثير فى نفسه ومضمون الآيات لأخر ان عددهم قليل بالنسبة الى كثرة عدد الضالين فعبر عنه تارة بالكثرة نظرا الى ذاته وتارة بالقلة نظرا الى غيره فليس معنى البيت من الآية فى شيء (قال محمود رحمه الله ونسبة الاضلال الى الله تعالى من اسناد الفعل الى السبب الخ) قال احمد رحمه الله جرى على سنة السببية فى اعتقاد أن الاشراك بالله وان الاضلال من جملة المخلوقات الخارجة عن عدد مخلوقاته عز وجل بل من مخلوقات العبد لنفسه على زعم هذه الطائفة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانظر الى ضيق الخناق فغلبة الحكايات لاطلاقات المشايخ فرتب عليها حقائق العقائد وهذا من ارتكاب الهوى واقتحام الهلكة وما أشنع تصريحه بان الله سبب الاضلال

ترى مانحن فيه من القيود فرفع مالك رأسه فرأى سلة فقال لمن هذه السلة فقال لى فأمر بها تنزل فاذا دجاج
واخبصة فقال مالك هذه وضعت القيود على رجلاك * وقرأ زيد بن على يضل به كثير وكذلك وما يضل به
الا الفاسقون * والفسق الخروج عن القصد قال رؤبة * فواسقا عن قصدها جوائرا * والفاسق فى الشريعة
الخارج عن امر الله بارتكاب الكبيرة وهو النازل بين المنزلتين اى بين منزلة المؤمن والكافر وقالوا ان اول من
حدله هذا الحد ابو حذيفة واصل بن عطاء رضى الله عنه وعن اشياعه وكونه بين بين ان حكمه حكم المؤمن فى
انه يناكح ويوارث ويغسل ويصلى عليه ويدفن فى مقابر المسلمين وهو كالكافر فى الذم واللعن والبراءة
منه واعتقاد عداوته وان لا تقبل له شهادة ومذهب مالك بن انس والزيدية ان الصلاة لا تجزئ خلفه ويقال
للخلفاء المردة من الكفار الفسقة وقد جاء الاستعمالان فى كتاب الله بئس الاسم الفسوق بعد الايمان يريد اللمز
والتنابز ان المنافقين هم الفاسقون * النقض الفسخ وفك التركيب (فان قلت) من اين ساغ استعمال
النقض فى ابطال العهد (قلت) من حيث تسميتهم العهد بالحبل على سبيل الاستعارة لما فيه من ثبات الوصلة
بين المتعاهدين ومنه قول ابن التيهان فى بيعة العقبة يا رسول الله ان بيننا وبين القوم حبالا ونحن قاطعوها
فنخشى ان الله عز وجل اعزك واظهرك ان ترجع الى قومك وهذا من اسرار البلاغة ولطائفها ان يسكتوا
عن ذكر الشئ المستعار ثم يرمزوا اليه بذكر شئ من روادفه فينبهوا بتلك الرمزة على مكانه ونحوه قولك شجاع
يفترس اقرانه وعالم يغترف منه الناس واذا تزوجت امرأة فاستوثرها لم تقل هذا الا وقد نبهت على الشجاع
والعالم بانهما اسد وبحر وعلى المرأة بانها فراش * والعهد الموثق وعهد اليه فى كذا اذا وصاه به ووثقه عليه
واستعهد منه اذا اشترط عليه واستوثق منه والمراد بهؤلاء الناقضين لعهد الله احبار اليهود المتعنتون
أو منافقوهم أو الكفار جميعا (فان قلت) فما المراد بعهد الله (قلت) ما ركز فى عقولهم من الحجة على التوحيد
كأنه امر وصاهم به ووثقه عليهم وهو معنى قوله تعالى وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى أو أخذ
الميثاق عليهم بانهم اذا بعث اليهم رسول يصدقه الله بمعجزاته صدقوه واتبعوه ولم يكتموا ذكره فيما تقدمه
من الكتب المنزلة عليهم كقوله وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم وقوله فى الانجيل لعيسى صلوات الله عليه سأنزل
عليك كتابا فيه نبأ بنى اسرائيل وما أريته اياهم من الآيات وما أنعمت عليهم وما نقضوا من ميثاقهم الذى
واثقوا به وماضيعوا من عهده اليهم وحسن صنعه للذين قاموا بميثاق الله تعالى وأوفوا بعهده ونصره اياهم
وكيف أنزل باسه ونقمته بالذين غدروا ونقضوا ميثاقهم ولم يوفوا بعهده لان اليهود فعلوا باسم عيسى مافعلوا
باسم محمد صلى الله عليه وسلم من التحريف والجحود وكفروا به كما كفروا بمحمد ﷺ وقيل هو أخذ
الله العهد عليهم أن لا يسفكوا دماءهم ولا يبغى بعضهم على بعض ولا يقطعوا أرحامهم وقيل عهد الله الى خلقه
ثلاثة عهود العهد الاول الذى أخذه على جميع ذرية آدم الاقرار بربوبيته وهو قوله تعالى واذ أخذ ربك
وعهد خص به النبيين ان يبلغوا الرسالة ويقيموا الدين ولا يتفرقوا فيه وهو قوله تعالى واذ أخذنا من النبيين
ميثاقهم وعهد خص به العلماء وهو قوله واذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا يكتمونه
والضمير فى ميثاقه للعهد وهو ما وثقوا به عهد الله من قبوله والزامه أنفسهم ويجوز أن يكون بمعنى توثقته كما أن
الميعاد والميلاد بمعنى الوعد والولادة ويجوز أن يرجع الضمير الى الله تعالى اى من بعد توثقته عليهم أو
من بعد ما وثق به عهده من آياته وكتبه وانذار رسله * ومعنى قطعهم (ما أمر الله به أن يوصل) قطعهم الارحام
وموالاة المؤمنين وقيل قطعهم ما بين الانبياء من الوصلة والاتحاد والاجتماع على الحق فى ايمانهم ببعض وكفرهم
ببعض (فان قلت) ما الامر (قلت) طلب الفعل ممن هو دونك وبعثه عليه وبه سمى الامر الذى هو واحد
الامور لان الداعى الذى يدعو اليه من يتولاه شبه بآمر يأمره به فقيل له امر تسمية للمفعول به بالمصدر كأنه
مأمور به كما قيل له شأن والشأن الطلب والقصد يقال شأنت شأنه أى قصدت قصده (هم الخاسرون) لأنهم
استبدلوا النقض بالوفاء والقطع بالوصل والفساد بالصلاح وعقابها بثوابها * معنى الهمزة التى فى (كيف)
مثله فى قولك أتكفرون بالله ومعكم ما يصرف عن الكفر ويدعو الى الايمان وهو الانكار والتعجب ونظيره

ما أمر الله به ان يوصل ويفسدون فى الارض اولئك هم الخاسرون كيف تكفرون بالله

لا خالقه كما أن السلة سبب فى وضع القيود فى رجلى المحبوس واسناد الفعل لله عز وجل مجاز لا حقيقة كما أن اسناد الفعل الى البلد كذلك يا له فى تمثيل صار بمثله وتنظير صار به حائدا عن النظر الصحيح مردود على التفصيل والجملة نسأل الله تعالى العصمة من أمثال هذه الزلة وهو ولى التوفيق

قولك أتطير بغير جناح وكيف تطير بغير جناح (فان قلت) قولك اتطير بغير جناح انكار للطيران لانه مستحيل بغير جناح واما الكفر فغير مستحيل مع ما ذكر من الاماتة والاحياء (قلت) قد اخرج فى صورة المستحيل لما قوى من الصارف عن الكفر والداعي الى الايمان (فان قلت) فقد تبين امر الهمزة وانها لانكار الفعل والايذان باستحالته في نفسه او لقوة الصارف عنه فما تقول فى كيف حيث كان انكارا للحال التى يقع عليها كفرهم (قلت) حال الشيء تابعة لذاته فاذا امتنع ثبوت الذات تبعه امتناع ثبوت الحال فكان انكار حال الكفر لانها تبيع ذات الكفر ورديفها انكارا لذات الكفر وثباتها على طريق الكناية وذلك اقوى لانكار الكفر وابلغ وتحريره انه اذا انكر ان يكون لكفرهم حال يوجد عليها وقد علم ان كل موجود لا ينفك عن حال وصفة عند وجوده ومحال ان يوجد بغير صفة من الصفات كان انكارا لوجوده على الطريق البرهانى * والواو فى قوله (وكنتم أمواتا) للحال (فان قلت) فكيف صح ان يكون حالا وهو ماض ولا يقال جئت وقام الامير ولكن وقد قام الا ان يضمر قد (قلت) لم تدخل الواو على كنتم امواتا وحده ولكن على جملة قوله كنتم امواتا الي ترجعون كانه قيل كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكم كنتم أمواتا نطفا في اصلاب آبائكم فجعلكم احياء ثم يميتكم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد الموت ثم يحاسبكم (فان قلت) بعض القصة ماض وبعضها مستقبل والماضي والمستقبل كلاهما لا يصح ان يقعا حالا حتى يكون فعلا حاضرا وقت وجود ما هو حال عنه فما الحاضر الذى وقع حالا (قلت) هو العلم بالقصة كانه قيل كيف تكفرون وأنتم عالمون بهذه القصة بأولها وآخرها (فان قلت) فقد آل المعنى الى قولك على أى حال تكفرون فى حال علمكم بهذه القصة فما وجه صحته (قلت) قد ذكرنا ان معنى الاستفهام فى كيف الانكار وان انكار الحال متضمن لانكار الذات على سبيل الكناية فكانه قيل ما أعجب كفركم مع علمكم بحالكم هذه (فان قلت) ان اتصل علمهم بأنهم كانوا أمواتا فأحياهم ثم يميتهم فلم يتصل بالاحياء الثاني والرجوع (قلت) قد تمكنوا من العلم بهما بالدلائل الموصلة اليه فكان ذلك بمنزلة حصول العلم وكثير منهم علموا ثم عاندوا * والاموات جمع ميت كالاقوال فى جمع قيل (فان قلت) كيف قيل لهم أموات فى حال كونهم جمادا وانما يقال ميت فيما يصح فيه الحياة من البنى (قلت) بل يقال ذلك لعادم الحياة كقوله بلدة ميتا وآية لهم الارض الميتة أموات غير احياء ويجوز ان يكون استعارة لاجتماعهما فى ان لا روح ولا احساس (فان قلت) ما المراد بالاحياء الثاني (قلت) يجوز ان يراد به الاحياء في القبر وبالرجوع النشور وان يراد به النشور وبالرجوع المصير الى الجزاء (فان قلت) لم كان العطف الاول بالفاء والأعقاب بثم (قلت) لان الاحياء الاول قد تعقب الموت بغير تراخ وأما الموت فقد تراخي عن الاحياء والاحياء الثاني كذلك متراخ عن الموت ان أريد به النشور تراخيا ظاهرا وان أريد به احياء القبر فمنه يكتسب العلم بتراخيه والرجوع الى الجزاء أيضا متراخ عن النشور (فان قلت) من أين أنكر اجتماع الكفر مع القصة التي ذكرها الله ألأنها مشتملة على آيات بينات تصرفهم عن الكفر أم على نعم جسام حقها ان تشكر ولا تكفر (قلت) يحتمل الامرين جميعا لان ما عدده آيات وهي مع كونها آيات من أعظم النعم (لكم) لاجلكم ولانتفاعكم به فى دنياكم ودينكم أما الانتفاع الدنيوى فظاهر وأما الانتفاع الدينى فالنظر فيه وما فيه من عجائب الصنع الدالة على الصانع القادر الحكيم وما فيه من التذكير بالآخرة وبثوابها وعقابها لاشتماله على أسباب الانس واللذة من فنون المطاعم والمشارب والفواكه والمناكح والمراكب والمناظر الحسنة البهية وعلى أسباب الوحشة والمشقة من أنواع المكاره كالنيران والصواعق والسباع والاحناش والسموم والغموم والمخوف وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها ولم تجر مجرى المحظورات فى العقل خلقت فى الاصل مباحة مطلقا لكل أحد ان يتناولها ويستنفع بها (فان قلت) هل لقول من زعم ان المعنى خلق لكم الارض وما فيها وجه صحة (قلت) ان أراد بالارض الجهات السفلية دون الغبراء كما تذكر السماء وتراد الجهات العلوية جاز ذلك فان الغبراء وما فيها واقعة فى الجهات السفلية و (جميعا) نصب على الحال من الموصول الثاني * والاستواء الاعتدال والاستقامة يقال استوى العود وغيره اذا قام

وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم ثم اليه ترجعون هو الذي خلق لكم ما فى الارض جميعا

* قوله تعالى هو الذى خلق لكم الآية (قال محمود رحمه الله تعالى وقد استدل بقوله خلق لكم على ان الاشياء التى يصح ان ينتفع بها الخ) قال احمد رحمه الله هذا استدلال فرقة من القدرية ذهبت الى ان حكم الله تعالى الاباحة فى ذوات المنافع التي لا يدل العقل على تحريمها قبل ورود الرسل تلقيا من العقل وزعموا انها اشتملت على منافع وحاجة الخلق داعية اليها فخلقها مع خطرها على العباد خلاف مقتضي الحكمة فوجب عندهم بمقتضى العقل ان يعتقدوا اباحتها في حكم الله عز وجل وهذا زلل ناشئ عن قاعدة التحسين والتقبيح الباطلة وأما استدلال الزمخشرى لهذه الفرقة بالآية فغير مستقيم فان دعواهم ان العقل كاف فى اباحة هذه الاشياء فان دلت الآية على الاباحة فنحن نقول بموجبها ويكون اذا اباحة شرعية سمعية وان لم تدل على الاباحة لم يبق فى الاستدلال بها مطمع

واعتدل ثم قيل استوى اليه كالسهم المرسل اذا قصده قصدا مستويا من غير ان يلوى على شيء ومنه استعير قوله ثم استوى الى السماء أي قصد اليها بارادته ومشيئته بعد خلق ما في الارض من غير أن يريد فيما بين ذلك خلق شيء آخر * والمراد بالسماء جهات العلو كانه قيل ثم استوى الى فوق * والضمير في (فسواهن) ضمير مبهم * و (سبع سموات) تفسيره كقولهم ربه رجلا وقيل الضمير راجع الى السماء والسماء في معنى الجنس وقيل جمع سماءة والوجه العربي هو الاول ومعنى تسويتهن تعديل خلقهن وتقويمه واخلاؤه من العوج والفطور أو اتمام خلقهن (وهو بكل شيء عليم) فمن ثم خلقهن خلقا مستويا محكما من غير تفاوت مع خلق ما في الارض على حسب حاجات أهلها ومنافعهم ومصالحهم (فان قلت) ما فسرت معنى الاستواء الى السماء يناقضه ثم لاعطائه معنى التراخي والمهلة (قلت) ثم ههنا لما بين الخلقين من التفاوت وفضل خلق السموات على خلق الارض لا للتراخي في الوقت كقوله ثم كان من الذين آمنوا على انه لو كان لمعنى التراخي في الوقت لم يلزم ما اعترضت به لان المعنى انه حين قصد الى السماء لم يحدث فيما بين ذلك أي في تضاعيف القصد اليها خلقا آخر (فان قلت) اما يناقض هذا قوله والارض بعد ذلك دحاها (قلت) لا لان جرم الارض تقدم خلقه خلق السماء وأما دحوها فمتأخر وعن الحسن خلق الله الارض في موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليها دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر في موضعها وبسط منها الارض فذلك قوله كانتا رتقا وهو الالتزاق (واذ) نصب باضمار اذكر ويجوز ان ينتصب بقالوا * والملائكة جمع ملأك على الاصل كالشمائل في جمع شمأل والحاق التاء لتأنيث الجمع * و (جاعل) من جعل الذي له مفعولان دخل على المبتدا والخبر وهما قوله في الارض خليفة فكانا مفعوليه ومعناه مصير (في الارض خليفة) والخليفة من يخلف غيره والمعنى خليفة منكم لانهم كانوا سكان الارض فخلفهم فيها آدم وذريته (فان قلت) فهلا قيل خلائف أو خلفاء (قلت) أريد بالخليفة آدم واستغنى بذكره عن ذكر بنيه كما يستغنى بذكر أبي القبيلة في قولك مضر وهاشم أو أريد من يخلفكم أو خلقا يخلفكم فوحد لذلك وقرئ خليقة بالقاف ويجوز أن يريد خليفة مني لان آدم كان خليفة الله في أرضه وكذلك كل نبي انا جعلناك خليفة في الارض (فان قلت) لاي غرض أخبرهم بذلك (قلت) ليسألوا ذلك السؤال ويجابوا بما أجيبوا به فيعرفوا حكمته في استخلافهم قبل كونهم صيانة لهم عن اعتراض الشبهة في وقت استخلافهم وقيل ليعلم عباده المشاورة في أمورهم قبل أن يقدموا عليها وعرضها على ثقاتهم ونصحائهم وان كان هو بعلمه وحكمته البالغة غنيا عن المشاورة (أتجعل فيها) تعجب من أن يستخلف مكان أهل الطاعة أهل المعصية وهو الحكيم الذي لا يفعل الا الخير ولا يريد الا الخير (فان قلت) من أين عرفوا ذلك حتى تعجبوا منه وانما هو غيب (قلت) عرفوه باخبار من الله أو من جهة اللوح أو ثبت في علمهم ان الملائكة وحدهم هم الخلق المعصومون وكل خلق سواهم ليسوا على صفتهم أو قاسوا أحد الثقلين على الآخر حيث أسكنوا الارض فأفسدوا فيها قبل سكنى الملائكة * وقرئ يسفك بضم الفاء ويسفك ويسفك من أسفك وسفك * والواو في (ونحن) للحال كما تقول اتحسن الى فلان وانا احق منه بالاحسان والتسبيح تبعيد الله من السوء * وكذلك تقديسه من سبح في الارض والماء وقدس في الارض اذا ذهب فيها وأبعد * و (بحمدك) في موضع الحال أي نسبح حامدين لك ومتلبسين بحمدك لانه لولا انعامك علينا بالتوفيق واللطف لم نتمكن من عبادتك (أعلم ما لا تعلمون) أي أعلم من المصالح في ذلك ما هو خفي عليكم (فان قلت) هلا بين لهم تلك المصالح (قلت) كفى العباد أن يعلموا أن أفعال الله كلها حسنة وحكمة وان خفي عليهم وجه الحسن والحكمة على انه قد بين لهم بعض ذلك فيما أتبعه من قوله (وعلم آدم الاسماء كلها) واشتقاقهم آدم من الادمة ومن اديم الارض نحو اشتقاقهم يعقوب من العقب وادريس من الدرس وابليس من الابلاس وما آدم الا اسم أعجمي وأقرب امره أن يكون على فاعل كآزر وعازر وعابر وشالخ وفالغ وأشباه ذلك * الاسماء كلها أي اسماء المسميات فحذف المضاف اليه لكونه معلوما مدلولا عليه بذكر الاسماء لان الاسم لا بد له من مسمى وعوض منه اللام كقوله واشتعل الرأس (فان قلت) هلا زعمت انه حذف المضاف وأقيم اليه مقامه وأن

ثم استوى الى السماء فسواهن سبع سموات وهو بكل شيء عليم واذ قال ربك للملائكة اني جاعل في الارض خليفة قالوا أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال اني أعلم ما لا تعلمون وعلم آدم الاسماء كلها

*قوله تعالى وعلم آدم الاسماء كلها الآية (قال محمود رحمه الله أي أسماء المسميات الخ) قال احمد رحمه الله وهو يفر من اعتقاد أن الاسم هو المسمى لان ذلك معتقد أهل السنة فيعمل الحيلة في ابعاده عن مقتضى الآية بقوله أنبئهم باسمائهم ويتغافل عن قوله ثم عرضهم على الملائكة فان الضمير فيه عائد الى المسميات اتفاقا ولم يجر الا ذكر الاسماء فدل على انها المسميات ويعرض أيضا عن حكمة التعليم وان تعليقه بنفس الالفاظ لا كبير غرض فيه بل الغرض المهم تعليمه لذوات المسميات واطلاعه على حقائقها وما أودع الله تعالى فيها من خواص وأسرار وعلى تسميتها أيضا فان طريق التعليم يميز كل حقيقة باسمها فقد ثبت بهاتين النكتتين ان المراد بالاسماء المسميات وأما استدلاله بقوله أنبؤني باسماء هؤلاء فغايته اضافة الاسماء الى الذوات فلهم ان يقولوا لو كانت الاسماء هي الذوات لزمت اضافة الشيء الى نفسه وهذا ما لا مطمع فيه فان هذه الاضافة مثلها

الاصل و علم آدم مسميات الاسماء (قلت) لان التعليم وجب تعليقه بالاسماء لا بالمسميات لقوله انبؤني بأسماء هؤلاء أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم فكما علق الانباء بالاسماء لا بالمسميات ولم يقل أنبؤني بهؤلاء وأنبئهم بهم وجب تعليق التعليم بها (فان قلت) فما معنى تعليمه أسماء المسميات (قلت) أراه الاجناس التي خلقها وعلمه ان هذا اسمه فرس وهذا اسمه بعير وهذا اسمه كذا وهذا اسمه كذا وعلمه احوالها وما يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية (ثم عرضهم) أي عرض المسميات وانما ذكر لان في المسميات العقلاء فغلبهم وانما استنبأهم وقد علم عجزهم عن الانباء على سبيل التبكيت (ان كنتم صادقين) يعني في زعمكم أني استخلف في الارض مفسدين سفاكين للدماء ارادة للرد عليهم وان فيمن يستخلفه من الفوائد العلمية التي هي أصول الفوائد كلها ما يستأهلون لاجله ان يستخلفوا فأراهم بذلك وبين لهم بعض ما أجمل من ذكر المصالح في استخلافهم في قوله اني أعلم ما لا تعلمون * وقوله (ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض) استحضار لقوله لهم اني أعلم ما لا تعلمون الا انه جاء به على وجه أبسط من ذلك وأشرح وقرئ وعلم آدم على البناء للمفعول وقرأ عبد الله عرضهن وقرأ أبي عرضها والمعنى عرض مسمياتهن او مسمياتها لان العرض لا يصح في الاسماء * وقرئ أنبيهم بقلب الهمزة ياء وأنبهم بحذفها والهاء مكسورة فيهما * السجود لله تعالى على سبيل العبادة ولغيره على وجه التكرمة كما سجدت الملائكة لآدم وابو يوسف واخوته له ويجوز ان تختلف الاحوال والاوقات فيه وقرأ ابو جعفر للملائكة اسجدوا بضم التاء للاتباع ولا يجوز استهلاك الحركة الاعرابية بحركة الاتباع الا في لغة ضعيفة كقولهم الحمد لله (الا ابليس) استثناء متصل لانه كان جنيا واحدا بين أظهر الالوف من الملائكة مغمورا بهم فغلبوا عليه في قوله فسجدوا ثم استثنى منهم استثناء واحد منهم ويجوز ان يجعل منقطعا (أبى) امتنع مما أمر به (واستكبر) عنه (وكان من الكافرين) من جنس كفرة الجن وشياطينهم فلذلك ابى واستكبر كقوله كان من الجن ففسق عن أمر ربه * السكنى من السكون لانها نوع من اللبث والاستقرار * و(أنت) تاكيد للمستكن في اسكن ليصح العطف عليه و(رغدا) وصف للمصدر أي أكلا رغدا واسعا رافها و(حيث) للمكان المبهم أي أي مكان من الجنة (شئتما) أطلق لهما الاكل من الجنة على وجه التوسعة البالغة المزيحة للعلة حين لم يحظر عليهما بعض الاكل ولا بعض المواضع الجامعة للماكولات من الجنة حتى لا يبقى لهما عذر في التناول من شجرة واحدة من بين أشجارها الفائتة للحصر * وكانت الشجرة فيما قيل الحنطة او الكرمة او التينة * وقرئ ولا تقربا بكسر التاء وهذي والشجرة بكسر الشين والشيرة بكسر الشين والياء وعن ابي عمرو انه كرههما وقال يقرأ بها برابرة مكة وسودانها (من الظالمين) من الذين ظلموا أنفسهم بمعصية الله * فتكونا جزم عطف على تقربا او نصب جواب للنهي * الضمير في (عنها) للشجرة أي فحملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عنها وعن هذه مثلها في قوله تعالى وما فعلته عن أمري وقوله

* ينهون عن أكل وعن شرب * وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل عن مرتبته وزل عني ذاك اذا ذهب عنك وزل من الشهر كذا * وقرئ فأزالهما (مما كانا فيه) من النعيم والكرامة أو من الجنة ان كان الضمير للشجرة في عنها وقرأ عبد الله فوسوس لهما الشيطان عنها وهذا دليل على أن الضمير للشجرة لأن المعنى صدرت وسوسته عنها (فان قلت) كيف توصل الى ازلالهما ووسوسته لهما بعد ما قيل له اخرج منها فانك رجيم (قلت) يجوز ان يمنع دخولها على جهة التقريب والتكرمة كدخول الملائكة ولا يمنع أن يدخل على جهة الوسوسة ابتلاء لآدم وحواء وقيل كان يدنو من السماء فيكلمهما وقيل قام عند الباب فنادى وروى أنه أراد الدخول فمنعته الخزنة فدخل في فم الحية حتى دخلت به وهم لا يشعرون * قيل اهبطوا خطاب لآدم وحواء وابليس وقيل والحية والصحيح أنه لآدم وحواء والمراد هما وذريتهما لانهما لما كانا أصل الانس ومتشعبهم جعلا كأنهما الانس كلهم والدليل عليه قوله قال اهبطا منها جميعا بعضكم لبعض عدو ويدل على ذلك قوله فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا

ثم عرضهم على الملائكة فقال أنبئوني بأسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت العليم الحكيم قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم بأسمائهم قال ألم أقل لكم اني أعلم غيب السموات والارض وأعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس ابى واستكبر وكان من الكافرين وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه وقلنا اهبطوا

في قولك نفس زيد وحقيقته فالمراد اذا أنبئوني بحقائق هؤلاء ولا نكير في هذه الاضافة فان الاسماء لمعنى المسميات والحقائق اعم من هؤلاء المشار اليهم والمضاف اليهم فصحت الاضافة لما بين الاعم والاخص من التغاير وهذا هو الصحيح للاضافة في مثل نفس زيد واشباهه فهذه نبذة من مسئلة الاسم والمسمى تختص بهذه الآية وفيها ان شاء الله كفاية على انها وان عدها المتكلمون من فن الكلام فالغالب عليها انها مسئلة لفظية لا يرجع اختلاف الاشعرية والمعتزلة فيها الى كثير من حيث الحقيقة * قوله تعالى فأزلهما الشيطان عنها (قال محمود رحمه الله وقيل فأزلهما عن الجنة بمعنى أذهبهما عنها وأبعدهما كما تقول زل الخ) قال احمد رحمه الله ويشهد له قوله تعالى كما أخرج ابويكم من الجنة

* قوله تعالى فاما يأتينكم مني هدى الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن الخ) قال احمد رحمه الله
ها تان زانان زلها فلزهما في قرن الاولى ايراد السؤال بناء على ان الهدى على الله تعالى واجب والثانية بناء الجواب على ان الوجوب
الشرعي يثبت بالعقل قبل ورود الشرع والحق ان الله تعالى لا يجب عليه شيء تعالى عن الايجاب رب الارباب وانما يدخل تحت
ربقة التكاليف المربوب لا الرب واما وجوب النظر في ادلة التوحيد فانما يثبت بالسمع لا بالعقل وان كان حصول المعرفة بالله
وتوحيده غير موقوف على ورود السمع بل محض العقل كاف فيه باتفاق (قال محمود رحمه الله فان قلت الخطيئة التي

أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون وما هو الا حكم يعم الناس كلهم * ومعنى (بعضكم لبعض عدو) ما عليه الناس من التعادي والتباغي وتضليل بعضهم لبعض والهبوط النزول الى الارض (مستقر) موضع استقرار أو استقرار (ومتاع) وتمتع بالعيش (الى حين) يريد الى يوم القيامة وقيل الى الموت * معنى تلقي الكلمات استقبالها بالاخذ والقبول والعمل بها حين علمها وقرئ بنصب آدم ورفع الكلمات على أنها استقبلته بان بلغته واتصلت به (فان قلت) ماهن (قلت) قوله تعالى ربنا ظلمنا أنفسنا الآية وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن أحب الكلام الى الله ماقاله أبونا آدم حين اقترف الخطيئة سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك لا اله الا أنت ظلمت نفسي فاغفر لي انه لا يغفر الذنوب الا أنت وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال يارب ألم تخلقني بيدك قال بلى قال يارب ألم تنفخ فيّ الروح من روحك قال بلى قال يارب ألم تسبق رحمتك غضبك قال بلى قال ألم تسكني جنتك قال بلى قال يارب ان تبت وأصلحت أراجعي أنت الى الجنة قال نعم * واكتفى بذكر توبة آدم دون توبة حواء لانها كانت تبعا له كما طوى ذكر النساء في أكثر القرآن والسنة لذلك وقد ذكرها في قوله قالا ربنا ظلمنا أنفسنا (فتاب عليه) فرجع عليه بالرحمة والقبول * (فان قلت) لم كرر (قلنا اهبطوا) (قلت) للتأكيد ولما نيط به من زيادة قوله (فاما يأتينكم مني هدى) (فان قلت) ما جواب الشرط الاول (قلت) الشرط الثاني مع جوابه كقولك ان جئتني فان قدرت أحسنت اليك والمعنى فاما يأتينكم مني هدى برسول أبعثه اليكم وكتاب أنزله عليكم بدليل قوله (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا) في مقابلة قوله فمن اتبع هداي (فان قلت) لم جيء بكلمة الشك واتيان الهدى كائن لا محالة لوجوبه (قلت) للايذان بان الايمان بالله والتوحيد لا يشترط فيه بعثة الرسل وانزال الكتب وانه ان لم يبعث رسولا ولم ينزل كتابا كان الايمان به وتوحيده واجبا لما ركب فيهم من العقول ونصب لهم من الادلة ومكنهم من النظر والاستدلال (فان قلت) الخطيئة التي أهبط بها آدم ان كانت كبيرة فالكبيرة لا تجوز على الانبياء وان كانت صغيرة فلم جرى عليه ماجرى بسببها من نزع اللباس والاخراج من الجنة والاهباط من السماء كما فعل بابليس ونسبته الى الغي والعصيان ونسيان العهد وعدم العزيمة والحاجة الى التوبة (قلت) ما كانت الا صغيرة مغمورة باعمال قلبه من الاخلاص والافكار الصالحة التي هي اجل الاعمال وأعظم الطاعات وانما جرى عليه ماجرى تعظيما للخطيئة وتفظيعا لشأنها وتهويلا ليكون ذلك لطفا له ولذريته في اجتناب الخطايا واتقاء المآثم والتنبيه على أنه أخرج من الجنة بخطيئة واحدة فكيف يدخلها ذو خطايا جمة * وقرئ فمن تبع هدي على لغة هذيل فلا خوف بالفتح (اسرائيل) هو يعقوب عليه السلام لقب له ومعناه في لسانهم صفوة الله وقيل عبد الله وهو برنة ابراهيم واسمعيل غير منصرف مثلها لوجود العلمية والعجمة وقرئ اسرائل واسرائل وذكرهم النعمة أن لا يخلوا بشكرها ويعتدوا بها ويستعظموها ويطيعوا مانحها وأرادبها ما أنعم به على آبائهم مما عدد عليهم من الانجاء من فرعون وعذابه ومن الغرق ومن العفو عن اتخاذ العجل والتوبة عليهم وغير ذلك وما أنعم به عليهم من ادراك زمن محمد صلى الله عليه وآله وسلم المبشر به في التوراة والانجيل * والعهد يضاف الى المعاهد

بعضكم لبعض عدو ولكم في الارض مستقر ومتاع الى حين فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم قلنا اهبطوا منها جميعا فاما يأتينكم مني هدى فمن تبع هداي فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم

أهبط بها آدم من الجنة الخ) قال احمد رحمه الله تعالى مقتضاه تأويل الآي المشعر ظاهرها بوقوع الصغائر من الانبياء تنزيها لهم عنها على ان تجويز الصغائر عليهم قد قال به طوائف من اهل السنة وفي طي وقوعها الطاف وزيادة في الالتجاء الى الله تعالى والتواضع له والاشفاق على الخطائين والدعاء لهم بالتوبة والمغفرة كما نقل عن داود أنه كان بعد ابتلاء الله له يدعو للخطائين كثيرا وعلى الجملة فالقدري يجوز والمعاهد
الصغائر على الانبياء ويقول ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر في حق آحاد الناس فلا جرم التزم الزمخشري ورود السؤال لان آدم عليه السلام معصوم من الكبائر باتفاق فيلزم على قاعدة القدرية أن تكون صغيرة واجبة التكفير والمحو غير مؤاخذ عليها ولا مستوجب بسببها عقوبة ولا شيئا مما وقع وهذا لا جواب للزمخشري عنه الا الانصاف والرجوع عن المعتقدات الباطلة والمذاهب الماحلة ولقد شنع السؤال بقوله ان الذي جرى على آدم عليه السلام كالذي جرى على ابليس عليه اللعنة ومعاذ الله ان يكون الحالان سواء والعاقبتان كما تعلم ان آدم عليه السلام خالد في النعيم المقيم وان ابليس خالد في العذاب الاليم

والمعاهد جميعا يقال اوفيت بعهدي اي بما عاهدت عليه كقوله ومن اوفى بعهده من الله واوفيت بعهدك أي بما عاهدت تك عليه * ومعنى (وأوفوا بعهدي) وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الايمان بي والطاعة لي كقوله ومن أوفى بما عاهد عليه الله ومنهم من عاهد الله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه (أوف بعهدكم) بما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على حسناتكم (واياي فارهبون) فلا تنقضوا عهدي وهو من قولك زيدا رهبته وهو اوكد في افادة الاختصاص من اياك نعبد وقرئ أوف بالتشديد أي أبالغ في الوفاء بعهدكم كقوله من جاء بالحسنة فله خير منها ويجوز أن يريد بقوله وأوفوا بعهدي ما عاهدوا عليه ووعدوه من الايمان بنبي الرحمة والكتاب المعجز ويدل عليه قوله (وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به) اول من كفر به أو أول فريق أو فوج كافر به أو ولا يكن كل واحد منكم أول كافر به كقولك كسانا حلة أي كل واحد منا وهذا تعريض بانه كان يجب أن يكونوا أول من يؤمن به لمعرفتهم به وبصفته ولانهم كانوا المبشرين بزمان من أوحي اليه والمستفتحين على الذين كفروا به وكانوا يعدون اتباعه أول الناس كلهم فلما بعث كان أمرهم على العكس كقوله لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة الى قوله وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ويجوز أن يراد ولا تكونوا مثل أول كافر به يعني من أشرك به من أهل مكة أي ولا تكونوا وأنتم تعرفونه مذكورا في التوراة موصوفا مثل من لم يعرفه وهو مشرك لا كتاب له وقيل الضمير في به لما معكم لانهم اذا كفروا بما يصدقه فقد كفروا به * والاشتراء استعارة للاستبدال كقوله تعالى اشتروا الضلالة بالهدى وقوله * كما اشترى المسلم اذ تنصرا * وقوله * فاني شريت الحلم بعدك بالجهل * يعني ولا تستبدلوا بآياتي ثمنا والا فالثمن هو المشترى به * والثمن القليل الرياسة التي كانت لهم في قومهم خافوا عليها الفوات لو أصبحوا أتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فاستبدلوها وهي بدل قليل ومتاع يسير بآيات الله وبالحق الذي كل كثير اليه قليل وكل كبير اليه حقير فما بال القليل الحقير وقيل كانت عامتهم يعطون أحبارهم من زروعهم وثمارهم ويهدون اليهم الهدايا ويرشونهم الرشا على تحريفهم الكلم وتسهيلهم لهم ما صعب عليهم من الشرائع وكان ملوكهم يدرون عليهم الأموال ليكتموا أو يحرفوا * الباء التي في (بالباطل) ان كانت صلة مثلها في قولك لبست الشيء بالشيء خلطته به كان المعنى ولا تكتبوا في التوراة ما ليس منها فيختلط الحق المنزل بالباطل الذي كتبتم حتى لا يميز بين حقها وباطلكم وان كانت باء الاستعانة كالتي في قولك كتبت بالقلم كان المعنى ولا تجعلوا الحق ملتبسا مشتبها بباطلكم الذي تكتبونه (وتكتموا) جزم داخل تحت حكم النهي بمعنى ولا تكتموا أو منصوب باضمار أن والواو بمعنى الجمع أي ولا تجمعوا لبس الحق بالباطل وكتمان الحق كقولك لا تاكل السمك وتشرب اللبن (فان قلت) لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين حتى ينهوا عن الجمع بينهما لانهم اذا لبسوا الحق بالباطل فقد كتموا الحق (قلت) بل هما متميزان لان لبس الحق بالباطل ما ذكرنا من كتبهم في التوراة ما ليس منها وكتمانهم الحق أن يقولوا لا نجد في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وآله وسلم أو حكم كذا أو يمحوا ذلك او يكتبوه على خلاف ما هو عليه وفي مصحف عبد الله وتكتمون بمعنى كاتمين (وأنتم تعلمون) في حال علمكم أنكم لابسون كاتمون وهو أقبح لهم لان الجهل بالقبيح ربما عذر راكبه (وأقيموا الصلاة) يعني صلاة المسلمين وزكاتهم (واركعوا مع الراكعين) منهم لان اليهود لا ركوع في صلاتهم وقيل الركوع الخضوع والانقياد لما يلزمهم في دين الله ويجوز أن يراد بالركوع الصلاة كما يعبر عنها بالسجود وأن يكون امرا بان تصلى مع المصلين يعني في الجماعة كانه قيل وأقيموا الصلاة وصلوها مع المصلين لا منفردين (أتأمرون) الهمزة للتقرير مع التوبيخ والتعجيب من حالهم * والبر سعة الخير والمعروف ومنه البر لسعته ويتناول كل خير ومنه قولهم صدقت وبررت وكان الاحبار يأمرون من نصحوه في السر من أقاربهم وغيرهم باتباع محمد صلى الله عليه وسلم ولا يتبعونه وقيل كانوا يأمرون بالصدقة ولا يتصدقون واذا أتوا بصدقات ليفرقوها خانوا فيها وعن محمد بن واسع بلغني ان ناسا من اهل الجنة اطلعوا على ناس من أهل النار فقالوا لهم قد كنتم تأمروننا باشياء عملناها فدخلنا الجنة قالوا كنا نامركم بها

وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم واياي فارهبون وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا اول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا واياي فاتقون ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وانتم تعلمون وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين أتأمرون الناس بالبر

قوله تعالى ولا تلبسوا الحق بالباطل الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت لبسهم وكتمانهم ليسا بفعلين متميزين الخ) قال احمد رحمه الله السؤال غير موجه لانه ادعى فيه عدم التميز بين الفعلين وغاية ما قدره تلازمهما والمتلازمان متغايران متميزان الا ان يعني بعدم التمييز عدم الانفكاك فلا نسلم له تعذر جمعهما في النهي اذا بل النهي عن احدهما على هذا التقدير مستلزم للنهي عن الآخر وان لم يصرح به

* قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس الآية (قال محمود رحمه الله هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة الخ) قال احمد رحمه الله اما من جحد الشفاعة فهو جدير أن لا ينالها واما من آمن بها وصدقها وهم اهل السنة والجماعة فاولئك يرجون رحمة الله ومعتقدهم انها تنال العصاة من المؤمنين وانما ادخرت لهم وليس فى الآية دليل لمنكريها لان قوله يوما اخرجه منكرا ولا شك ان فى القيامة مواطن ويومها معدود بخمسين الف سنة فبعض اوقاتها ليس زمانا للشفاعة وبعضها هو الوقت الموعود وفيه المقام المحمود لسيد البشر عليه افضل الصلاة والسلام وقد وردت آى كثيرة ترشد الى تعدد أيامها واختلاف اوقاتها منها قوله تعالى فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون مع قوله واقبل بعضهم على بعض يتساءلون فيتعين حمل الآيتين على يومين مختلفين ووقتين متغايرين احدهما محل للتناول والآخر ليس محلا له وكذلك الشفاعة وادلة ثبوتها لا تحصي كثرة رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة

وتخالف الى غيرها (وتنسون انفسكم) وتتركونها من البر كالمنسيات (وانتم تتلون الكتاب) تبكيت مثل قوله وانتم تعلمون يعنى تتلون التوراة وفيها نعت محمد صلى الله عليه وسلم أو فيها الوعيد على الخيانة وترك البر ومخالفة القول العمل (أفلا تعقلون) توبيخ عظيم بمعنى أفلا تفطنون لقبح ما أقدمتم عليه حتى يصدكم استقباحه عن ارتكابه وكأنكم فى ذلك مسلوبو العقول لان العقول تاباه وتدفعه ونحوه اف لكم ولما تعبدون من دون الله افلا تعقلون (واستعينوا) على حوائجكم الى الله (بالصبر والصلاة) أى بالجمع بينهما وان تصلوا صابرين على تكاليف الصلاة محتملين لمشاقها وما يجب فيها من اخلاص القلب وحفظ النيات ودفع الوساوس ومراعاة الآداب والاحتراس من المكاره مع الخشية والخشوع واستحضار العلم بانه انتصاب بين يدى جبار السموات ليسال فك الرقاب عن سخطه وعذابه ومنه قوله تعالى وأمر أهلك بالصلاة واصطبر عليها أو واستعينوا على البلايا والنوائب بالصبر عليها والالتجاء الى الصلاة عند وقوعها وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم اذا حزبه أمر فزع الى الصلاة وعن ابن عباس انه نعى اليه أخوه قثم وهو فى سفر فاسترجع وتنحى عن الطريق فصلى ركعتين أطال فيهما الجلوس ثم قام يمشى الى راحلته وهو يقول واستعينوا بالصبر والصلاة وقيل الصبر الصوم لانه حبس عن المفطرات ومنه قيل لشهر رمضان شهر الصبر ويجوز ان يراد بالصلاة الدعاء وأن يستعان على البلايا بالصبر والالتجاء الى الدعاء والابتهال الى الله تعالى فى دفعه (وانها) الضمير للصلاة او للاستعانة ويجوز ان يكون لجميع الامور التي أمر بها بنو اسرائيل ونهوا عنها من قوله اذكروا نعمتى الى واستعينوا (لكبيرة) لشاقة ثقيلة من قولك كبر على هذا الامر كبر على المشركين ما تدعوهم اليه (فان قلت) مالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع فى نفسه مما يثقل (قلت) لانهم يتوقعون ما أدخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم ألا ترى الى قوله تعالى (الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم) أى يتوقعون لقاء ثوابه ونيل ما عنده ويطمعون فيه وفى مصحف عبد الله يعلمون ومعناه يعلمون ان لا بد من لقاء الجزاء فيعملون على حسب ذلك ولذلك فسر يظنون بيتيقنون واما من لم يوقن بالجزاء ولم يرج الثواب كانت عليه مشقة خالصة فثقلت عليه كالمنافقين والمرائين باعمالهم ومثاله من وعد على بعض الاعمال والصنائع أجرة زائدة على مقدار عمله فتراه يزاوله برغبة ونشاط وانشراح صدر ومضاحكة لحاضريه كانه يستلذ مزاولته بخلاف حال عامل يستخره بعض الظلمة ومن ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعلت قرة عينى فى الصلاة وكان يقول يا بلال روحنا * والخشوع الاخبات والتطامن ومنه الخشعة للرملة المتطامنة واما الخضوع فاللين والانقياد ومنه خضعت بقولها اذا لينته (وأني فضلتكم) نصب عطف على نعمتى اى اذكروا نعمتى وتفضيلي (على العالمين) على الجم الغفير من الناس كقوله تعالى باركنا فيها للعالمين يقال رأيت عالما من الناس يراد الكثرة يوما يريد يوم القيامة (لا تجزى) لا تقضى عنها شيأ من الحقوق ومنه الحديث فى جذعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن أحد بعدك و(شيا) مفعول به ويجوز ان يكون فى موضع مصدر اى قليلا من الجزاء كقوله تعالى ولا يظلمون شيا ومن قرأ لا تجزئ من أجزأ عنه اذا أغنى عنه فلا يكون فى قراءته الا بمعنى شيا من الاجزاء وقرأ ابو السرار الغنوى لا تجزى نسمة عن نسمة شيا وهذه الجملة منصوبة المحل صفة ليوما (فان قلت) فاين العائد منها الى الموصوف (قلت) هو محذوف تقديره لا تجزى فيه ونحوه ما انشده أبو على * تروحى اجدر ان تقيلى * اى ماء اجدر بان تقيلى فيه ومنهم من ينزل فيقول اتسع فيه فاجرى مجرى المفعول به فحذف الجار ثم حذف الضمير كما حذف من قوله أم مال أصابوا ومعنى التنكير ان نفسا من الانفس لا تجزى عن نفس منها شيا من الاشياء وهو الاقناط الكلى القطاع للمطامع وكذلك قوله (ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل) أى فدية لانها معادلة للمفدى ومنه الحديث لا يقبل منه صرف ولا عدل أى توبة ولا فدية وقرأ قتادة ولا يقبل منها شفاعة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ونصب الشفاعة وقيل كانت اليهود تزعم ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم فأويسوا (فان قلت) هل فيه دليل على ان الشفاعة لا تقبل للعصاة (قلت) نعم لانه نفى ان تقضي

وتنسون أنفسكم وانتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون واستعينوا بالصبر والصلوة وانها لكبيرة الا على الخاشعين الذين يظنون انهم ملاقوا ربهم وانهم اليه راجعون يا بنى اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل

ولا هم ينصرون واذ نجينا كم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم واغرقنا آل فرعون وانتم تنظرون واذ واعدنا موسى اربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وانتم ظالمون ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون واذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون

نفس عن نفس حقا اخلت به من فعل او ترك ثم نفى ان يقبل منها شفاعة شفيع فعلم أنها لا تقبل للعصاة (فان قلت) الضمير في ولا يقبل منها الى أى النفسين يرجع (قلت) الى الثانية العاصية غير المجزى عنها وهى التى لا يؤخذ منها عدل ومعنى لا يقبل منها شفاعة ان جاءت بشفاعة شفيع لم يقبل منها ويجوز ان يرجع الى النفس الاولى على أنها لو شفعت لها لم تقبل شفاعتها كما لا تجزى عنها شيأ ولو أعطت عدلا عنها لم يؤخذ منها (ولا هم ينصرون) يعنى مادلت عليه النفس المنكرة من النفوس الكثيرة والتذكير بمعنى العباد والاناسي كما تقول ثلاثة أنفس * اصل (آل) أهل ولذلك يصغر باهيل فابدلت هاؤه ألفا وخص استعماله باولى الخطر والشان كالملوك وأشباههم فلا يقال آل الاسكاف والحجام و (فرعون) علم لمن ملك العمالقة كقيصر لملك الروم وكسرى لملك الفرس ولعتو الفراعنة اشتقوا تفرعن فلان اذا عتا وتجبر وفى ملح بعضهم

قد جاءه الموسي الكلوم فزاد فى * أقصى تفرعنه وفرط عرامه

* وقرئ أنجيناكم ونجيتكم (يسومونكم) من سامه خسفا اذا أولاه ظلما قال عمرو بن كلثوم

اذا ما الملك سام الناس خسفا * أبينا ان يقر الخسف فينا

وأصله من سام السلعة اذا طلبها كانه بمعنى يبغونكم (سوء العذاب) ويريدونكم عليه والسوء مصدر السيئ يقال أعوذ بالله من سوء الخلق وسوء الفعل يراد قبحهما ومعنى سوء العذاب والعذاب كله سيئ أشده وافظعه كانه قبحه بالاضافة الى سائره * و (يذبحون) بيان لقوله يسومونكم ولذلك ترك العاطف كقوله تعالى يضاهون قول الذين كفروا وقرأ الزهرى يذبحون بالتخفيف كقولك قطعت الثياب وقطعتها وقرأ عبد الله يقتلون وانما فعلوا بهم ذلك لان الكهنة أنذروا فرعون بانه يولد مولود يكون على يده هلاكه كما أنذر نمروذ فلم يغن عنهما اجتهادهما فى التحفظ وكان ماشاء الله * والبلاء المحنة ان اشير بذلكم الى صنيع فرعون والنعمة ان أشير به الى الانجاء (فرقنا) فصلنا بين بعضه وبعض حتى صارت فيه مسالك لكم وقرئ فرقنا بمعنى فصلنا يقال فرق بين الشيئين وفرق بين الاشياء لان المسالك كانت اثنى عشر على عدد الاسباط (فان قلت) مامعنى (بكم) (قلت) فيه اوجه ان يراد انهم كانوا يسلكونه ويتفرق الماء عند سلوكهم فكانما فرق بهم كما يفرق بين الشيئين بما يوسط بينهما وان يراد فرقناه بسببكم وبسبب انجائكم وان يكون في موضع الحال بمعنى فرقناه ملتبسا بكم كقوله * تدوس بنا الجماجم والتريبا * اى تدوسها ونحن راكبوها وروى أن بنى اسرائيل قالوا لموسي أين أصحابنا لا نراهم قال سيروا فانهم على طريق مثل طريقكم قالوا لا نرضى حتى نراهم فقال اللهم أعنى على أخلاقهم السيئة فأوحى اليه ان قل بعصاك هكذا فقال بها على الحيطان فصارت فيها كوى فتراءوا وتسامعوا كلامهم (وأنتم تنظرون) الى ذلك وتشاهدونه لا تشكون فيه * لما دخل بنو اسرائيل مصر بعد هلاك فرعون ولم يكن لهم كتاب ينتهون اليه وعد الله موسي أن ينزل عليه التوراة وضرب له ميقاتا ذا القعدة وعشر ذى الحجة * وقيل (أربعين ليلة) لان الشهور غررها بالليالى وقرئ واعدنا لان الله تعالى وعده الوحى ووعد المجيء للميقات الى الطور (من بعده) من بعد مضيه الى الطور (وأنتم ظالمون) باشراككم (ثم عفونا عنكم) حين تبتم (من بعد ذلك) من بعد ارتكابكم الامر العظيم وهو اتخاذكم العجل (لعلكم تشكرون) ارادة أن تشكروا النعمة فى العفو عنكم (الكتاب والفرقان) يعنى الجامع بين كونه كتابا منزلا وفرقانا يفرق بين الحق والباطل يعنى التوراة كقولك رأيت الغيث والليث تريد الرجل الجامع بين الجود والجراءة ونحوه قوله تعالى ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان وضياء وذكرا يعنى الكتاب الجوامع بين كونه فرقانا وضياء وذكرا أو التوراة

* قوله تعالى واذ فرقنا بكم البحر (قال محمود رحمه الله يحتمل انهم كانوا يسلكون الخ) قال احمد رحمه الله فتكون الباء على هذا الوجه استعانة مثلها كتبت بالقلم (قال محمود رحمه الله ويحتمل ان يكون المراد فرقناه بسببكم) قال احمد رحمه الله وهى على هذا الوجه سببية كما تقول اكرمتك باحسانك الى (قال محمود رحمه الله ويحتمل ان يكون فى موضع الحال الخ) قال احمد رحمه الله وهي على هذا الوجه للمصاحبة مثالها فى اسندت ظهرى بالحائط والوجه الاول ضعيف من حيث ان مقتضاه ان تفريق البحر وقع ببنى اسرائيل والمنقول بل المنصوص عليه فى الكتاب العزيز ان البحر انما انفرق بعصا موسى يشهد لذلك قوله تعالى ان اضرب بعصاك البحر فانفلق فكان كل فرق كالطود العظيم فآلة التفريق العصا لا بنو اسرائيل * قوله تعالى لعلكم تشكرون (قال محمود ومعناه ارادة ان تشكروا) قال احمد رحمه الله أخطأ في تفسير لعل بالارادة لان مراد الله تعالى كائن لا محالة فلو أراد منهم الشكر لشكروا ولا بد وانما أجراه الزمخشرى على قاعدته الفاسدة فى اعتقاد ان مراد الرب كمراد العبد منه مايقع ومنه مايتعذر تعالى الله عن ذلك ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن والتفسير الصحيح فى لعل هو الذى حرره سيبويه رحمه الله فى قوله لعله يتذكر او يخشى قال سيبويه الرجاء مصروف الى المخاطب كانه قال كونا على رجائكما فى تذكرته وخشيته وكذلك هذه الآية معناها لتكونوا على رجاء الشكر لله عز وجل ونعمه فينصرف

الرجاء اليهم وينزه الله تعالى * قوله تعالى واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الآية (قال محمود رحمه الله فيه دليل على أن موسى عليه السلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية من لا يجوز عليه الخ) قال احمد رحمه الله لقد انتهز الزمخشري ما اعتقده فرصة من هذه الآية التي لا مطمع له عند التحقيق في التشبث بها فبنى الامر على ان العقوبة سببها طلب مالا يجوز على الله تعالى من الرؤية على ظنه وانى له ذلك وثم سبب ظاهر في العقوبة سوى ما ادعاه هو كل السبب وذلك ان موسى عليه السلام لما علم جواز رؤيته تعالى طلبها في آية الاعراف في دار الدنيا فاخبره الله تعالى انه لا يراه في الدنيا وصار ذلك عنده وعند بني اسرائيل أصلا مقررا كما هو عندنا الآن معاشر اهل السنة ان الله تعالى لا يرى في دار الدنيا لانه أخبر انه لا يرى والخبر واجب الصدق وكما اخبر انه لا يرى في دار الدنيا فقد وعد الوعد الصادق عز وجل برؤيته في الدار الآخرة وتخصيص ذلك بالمؤمنين وبعد استقرار هذا المعتقد طلب بنو اسرائيل الرؤية في الدنيا تعنتا أو شكا في الخبر فانزل الله تعالى بهم تلك العقوبة وكيف تخيل الزمخشري وشيعته ان موسى عليه السلام

الكلام

واذ قال موسى لقومه ياقوم انكم ظلمتم انفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا الى بارئكم فاقتلوا انفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم انه هو التواب الرحيم واذ قلتم ياموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون

والبرهان الفارق بين الكفر والايمان من العصا واليد وغيرهما من الآيات أو الشرع الفارق بين الحلال والحرام وقيل الفرقان انفراق البحر وقيل النصر الذي فرق بينه وبين عدوه كقوله تعالى يوم الفرقان يريد به يوم بدر * حمل قوله (فاقتلوا أنفسكم) على الظاهر وهو البخع وقيل معناه قتل بعضهم بعضا وقيل امر من لم يعبد العجل أن يقتلوا العبدة وروى أن الرجل كان يبصر ولده ووالده وجاره وقريبه فلم يمكنهم المضي لامر الله فارسل الله ضبابة وسحابة سوداء لا يتباصرون تحتها وأمروا أن يحتبوا بأفنية بيوتهم ويأخذ الذين لم يعبدوا العجل سيوفهم وقيل لهم اصبروا فلعن الله من مد طرفه أو حل حبوته أو اتقى بيد أو رجل فيقولون آمين فقتلوهم الى المساء حتى دعا موسى وهرون وقالا يارب هلكت بنو اسرائيل البقية البقية فكشفت السحابة ونزلت التوبة فسقطت الشفار من أيديهم وكانت القتلى سبعين ألفا (فان قلت) ما الفرق بين الفاآت (قلت) الاولى للتسبيب لاغير لان الظلم سبب التوبة والثانية للتعقيب لان المعنى فاعزموا على التوبة فاقتلوا أنفسكم من قبل أن الله تعالى جعل توبتهم قتل أنفسهم ويجوز أن يكون القتل تمام توبتهم فيكون المعنى فتوبوا فأتبعوا التوبة القتل تتمة لتوبتكم والثالثة متعلقة بمحذوف ولا يخلو اما أن ينتظم في قول موسى لهم فتتعلق بشرط محذوف كانه قال فان فعلتم فقد تاب عليكم واما ان يكون خطابا من الله تعالى لهم على طريقة الالتفات فيكون التقدير ففعلتم ما أمركم به موسى فتاب عليكم بارئكم * (فان قلت) من أين اختص هذا الموضع بذكر البارئ (قلت) البارئ هو الذي خلق الخلق بريئا من التفاوت ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت ومتميزا بعضه من بعض بالاشكال المختلفة والصور المتباينة فكان فيه تقريع بما كان منهم من ترك عبادة العالم الحكيم الذي براهم بلطف حكمته على الاشكال المختلفة أبرياء من التفاوت والتنافر الى عبادة البقر التي هي مثل في الغباوة والبلادة في أمثال العرب أبلد من ثور حتى عرضوا أنفسهم لسخط الله ونزول أمره بان يفك ماركبه من خلقهم وينثر مانظم من صورهم واشكالهم حين لم يشكروا النعمة في ذلك وغمطوها بعبادة من لا يقدر على شيء منها قيل * القائلون السبعون الذين صعقوا وقيل عشرة آلاف منهم (جهرة) عيانا وهي مصدر من قولك جهر بالقراءة وبالدعاء كان الذي يرى بالعين جاهر بالرؤية والذي يرى بالقلب مخافت بها وانتصابها على المصدر لانها نوع من الرؤية فنصبت بفعلها كما تنصب القرفصاء بفعل الجلوس أو على الحال بمعنى ذوي جهرة وقرئ جهرة بفتح الهاء وهي اما مصدر كالغلبة واما جمع جاهر وفي هذا الكلام دليل على ان موسى عليه الصلاة والسلام رادهم القول وعرفهم أن رؤية مالا يجوز عليه ان يكون في جهة محال وان من استجاز على الله الرؤية فقد جعله من جملة الاجسام أو الاعراض فرادوه بعد بيان الحجة ووضوح البرهان ولجوا فكانوا في الكفر كعبدة العجل فسلط الله عليهم الصعقة كما سلط على أولئك القتل تسوية بين الكفرين ودلالة على عظمهما بعظم المحنة و(الصاعقة) ما صعقهم أي اماتهم قيل نار وقعت من السماء فأحرقتهم وقيل صيحة جاءت من السماء وقيل أرسل الله جنودا سمعوا بحسها فخروا صعقين ميتين يوما وليلة وموسى عليه السلام لم تكن صعقته موتا ولكن غشية بدليل قوله فلما أفاق والظاهر انه اصابهم ما ينظرون اليه لقوله (وانتم تنظرون) وقرأ علي رضي الله عنه فاخذتكم الصعقة (لعلكم تشكرون) نعمة البعث بعد الموت أو نعمة الله بعد ما كفرتموها اذا رأيتم بأس الله في رميكم بالصاعقة واذاقتكم الموت (وظللنا) وجعلنا الغمام يظلكم وذلك في التيه سخر الله لهم السحاب يسير بسيرهم يظلهم من الشمس وينزل بالليل عمود من نار يسيرون في ضوئه وثيابهم لا تتسخ ولا تبلى وينزل عليهم (المن) وهو الترنجبين مثل الثلج من طلوع الفجر الى طلوع الشمس لكل انسان صاع ويبعث الله الجنوب فتحشر عليهم (السلوى) وهي السماني فيذبح الرجل منها ما يكفيه (كلوا) على ارادة القول (وماظلمونا) يعني فظلموا بان كفروا هذه النعم وماظلمونا فاختصر

السكلام بحذفه لدلالة وماظلمونا عليه (القرية) بيت المقدس وقيل اريحاء من قرى الشام أمروا بدخولها بعد التيه (الباب) باب القرية وقيل هو باب القبة التى كانوا يصلون اليها وهم لم يدخلوا بيت المقدس فى حياة موسي عليه الصلاة والسلام * أمروا بالسجود عند الانتهاء الى الباب شكرا لله وتواضعا وقيل السجود أن ينحنوا ويتطامنوا داخلين ليكون دخولهم بخشوع واخبات وقيل طوطئ لهم الباب ليخفضوا رؤسهم فلم يخفضوها ودخلوا متزحفين على أوراكهم (حطة) فعلة من الحط كالجلسة والركبة وهى خبر مبتدأ محذوف أى مسئلتنا حطة وأمرك حطة والاصل النصب بمعنى حط عنا ذنوبنا حطة وانما رفعت لتعطي معنى الثبات كقوله * صبر جميل فكلانا مبتلى * والاصل صبرا على اصبر صبرا وقرأ ابن أبي عبلة بالنصب على الاصل وقيل معناه امرنا حطة اى أن نحط فى هذه القرية ونستقر فيها (فان قلت) هل تجوز أن تنصب حطة فى قراءة من نصبها بقولون على معنى قولوا هذه الكلمة (قلت) لا يبعد والاجود ان تنصب باضمار فعلها وينتصب محل ذلك المضمر بقولوا * وقرئ (يغفر لكم) على البناء المفعول بالياء والتاء (وسنزيد المحسنين) أى من كان محسنا منكم كانت تلك الكلمة سببا فى زيادة ثوابه ومن كان مسيئا كانت له توبة ومغفرة (فبدل الذين ظلموا) أي وضعوا مكان حطة (قولا) غيرها يعنى أنهم أمروا بقول معناه التوبة والاستغفار فخالفوه الى قول ليس معناه معنى ما أمروا به ولم يمتثلوا امر الله وليس الغرض انهم امروا بلفظ بعينه وهو لفظ الحطة فجاؤا بلفظ آخر لانهم لو جاؤا بلفظ آخر مستقل بمعنى ما امروا به لم يؤاخذوا به كما لو قالوا مكان حطة نستغفرك ونتوب اليك او اللهم اعف عنا وما اشبه ذلك وقيل قالوا مكان حطة حنطة وقيل قالوا بالنبطية حطا سمقاثا اى حنطة حمراء استهزاء منهم بما قيل لهم وعدولا عن طلب ما عند الله الى طلب ما يشتهون من اغراض الدنيا * وفى تكرير (الذين ظلموا) زيادة فى تقبيح امرهم وايذان بان انزال الرجز عليهم لظلمهم وقد جاء فى سورة الاعراف فارسلنا عليهم على الاضمار * والرجز العذاب وقرئ بضم الراء وروى انه مات منهم في ساعة بالطاعون اربعة وعشرون الفا وقيل سبعون الفا * عطشوا فى التيه فدعا لهم موسي بالسقيا فقيل له (اضرب بعصاك الحجر) واللام اما للعهد والاشارة الى حجر معلوم فقد روى انه حجر طورى حمله معه وكان حجرا مربعا له أربعة أوجه كانت تنبع من كل وجه ثلاث أعين لكل سبط عين تسيل فى جدول الى السبط الذى أمر ان يسقيهم وكانوا ستمائة ألف وسعة المعسكر اثنا عشر ميلا وقيل اهبطه آدم من الجنة فتوارثوه حتى وقع الى شعيب فدفعه اليه مع العصا وقيل هو الحجر الذى وضع عليه ثوبه حين اغتسل اذ رموه بالادرة ففر به فقال له جبريل يقول لك الله تعالى ارفع هذا الحجر فان لى فيه قدرة ولك فيه معجزة فحمله فى مخلاته واما للجنس اى اضرب الشىء الذى يقال له الحجر وعن الحسن لم يامره ان يضرب حجرا بعينه قال وهذا أظهر فى الحجة وأبين فى القدرة وروى أنهم قالوا كيف بنا لو أفضينا الى ارض ليست فيها حجارة فحمل حجرا فى مخلاته فحيثما نزلوا ألقاه وقيل كان يضربه بعصاه فينفجر ويضربه بها فييبس فقالوا ان فقد موسي عصاه متنا عطشا فأوحي اليه لا تقرع الحجارة وكلمها تطعك لعلهم يعتبرون وقيل كان من رخام وكان ذراعا فى ذراع وقيل مثل رأس الانسان وقيل كان من آس الجنة طوله عشرة اذرع على طول موسى وله شعبتان تتقدان فى الظلمة وكان يحمل على حمار (فانفجرت) الفاء متعلقة بمحذوف اى فضرب فانفجرت أو فان ضربت فقد انفجرت كما ذكر فى قوله فتاب عليكم وهى على هذا فاء فصيحة لا تقع الا فى كلام بليغ * وقرئ عشرة بكسر الشين وبفتحها وهما لغتان (كل اناس) كل سبط (مشربهم) عينهم التى يشربون منها (كلوا) على ارادة القول (من رزق الله) مما رزقكم من الطعام وهو المن والسلوى ومن ماء العيون وقيل الماء ينبت منه الزروع والثمار فهو رزق يؤكل منه ويشرب * والعثى اشد الفساد فقيل لهم لا تمادوا فى الفساد حال فسادكم لانهم كانوا متمادين فيه * كانوا فلاحة فنزعوا الى عكرهم فاجموا ما كانوا فيه من النعمة وطالبت أنفسهم الشقاء (على طعام واحد) أرادوا ما رزقوا فى التيه من المن والسلوى (فان قلت) هما طعامان فما لهم قالوا على طعام واحد (قلت) ارادوا بالواحد ما لا يختلف ولا يتبدل ولو كان على مائدة الرجل الوان عدة يداوم عليها كل

وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا قولا غير الذى قيل لهم فأنزلنا على الذين ظلموا رجزا من السماء بما كانوا يفسقون وإذ استسقى موسي لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين وإذ قلتم ياموسي لن نصبر على طعام واحد

طلب من الله ما لا يجوز عليه وهل هو لو كان الامر على ما تخيله الا كبنى اسرائيل ومعاذ الله لقد برأه من ذلك وكان عند الله وجيها وأما الادلة العقلية على جواز رؤيته تعالى عقلا والسمعية على وقوعها فى الدار الآخرة فاكثر من ان تحصي وهى مستقصاة فى فن الكلام وانما غرضنا فى هذا الباب مباحثة الزمخشرى والرد عليه من حيث يتمسك على ظنه وأخذه قوما منه والله الموفق * قوله تعالى فبدل الذين ظلموا الآية (قال محمود رحمه الله وفى تكرير الذين ظلموا زيادة فى تقبيح الخ) قال احمد رحمه الله وفيه تهويل لظلمهم من حيث وضع الظاهر موضع المضمر وهو مفيد لذلك اذ هو من قبيل الاشعار لهذا المعنى مع امكان الاختصار بالاضمار

يوم لا يبدلها قيل لا يا كل فلان الا طعاما واحدا يراد بالوحدة نفي التبدل والاختلاف ويجوز ان يريدوا انهما ضرب واحد لانهما معا من طعام اهل التلذذ والترف ونحن قوم فلاحة اهل زرعات فما نريد الا ما ألفناه وضرينا به من الاشياء المتفاوتة كالحبوب والبقول ونحو ذلك * ومعنى (يخرج لنا) يظهر لنا و يوجد * والبقل ما انبتته الارض من الخضر والمراد به أطايب البقول التي ياكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث واشباهها * وقرئ وقثائها بالضم * والفوم الحنطة ومنه فوموا لنا أي اخبزوا وقيل الثوم و يدل عليه قراءة ابن مسعود وثومها وهو للعدس والبصل أوفق (الذي هو ادنى) الذي هو اقرب منزلة وادون مقدارا والدنو والقرب يعبر بهما عن قلة المقدار فيقال هو داني المحل وقريب المنزلة كما يعبر بالبعد عن عكس ذلك فيقال هو بعيد المحل وبعيد الهمة يريدون الرفعة والعلو وقرأ زهير القرقبي أدنأ بالهمزة من الدناءة (اهبطوا مصرا) وقرئ اهبطوا بالضم أي انحدروا اليه من التيه يقال هبط الوادي اذا نزل به وهبط منه اذا خرج و بلاد التيه ما بين بيت المقدس الى قنسرين وهي اثنا عشر فرسخا في ثمانية فراسخ ويحتمل ان يريد العلم وانما صرفه مع اجتماع السببين فيه وهما التعريف والتانيث لسكون وسطه كقوله ونوحا ولوطا وفيهما العجمة والتعريف وان اريد به البلد فما فيه الا سبب واحد وان يريد مصرا من الامصار وفي مصحف عبد الله وقرأ به الاعمش اهبطوا مصر بغير تنوين كقوله ادخلوا مصر وقيل هو مصرائيم فعرب (وضربت عليهم الذلة) جعلت الذلة محيطة بهم مشتملة عليهم فهم فيها كما يكون في القبة من ضربت عليه او الصقت بهم حتى لزمتهم ضربة لازب كما يضرب الطين على الحائط فيلزمه فاليهود صاغرون اذلاء اهل مسكنة ومدقعة اما على الحقيقة واما لتصاغرهم وتفاقرهم خيفة ان تضاعف عليهم الجزية (و باؤا بغضب من الله) من قولك باء فلان بفلان اذا كان حقيقا بان يقتل به لمساواته له ومكافاته اي صاروا احقاء بغضبه (ذلك) اشارة الى ما تقدم من ضرب الذلة والمسكنة والخلاقة بالغضب اي ذلك بسبب كفرهم وقتلهم الانبياء وقد قتلت اليهود لعنوا اشعيا وزكريا ويحيى وغيرهم * (فان قلت) * قتل الانبياء لا يكون الا بغير الحق فما فائدة ذكره (قلت) معناه انهم قتلوهم بغير الحق عندهم لانهم لم يقتلوا ولا افسدوا في الارض فيقتلوا وانما نصحوهم ودعوهم الى ما ينفعهم فقتلوهم فلو سئلوا وانصفوا من انفسهم لم يذكروا وجها يستحقون به القتل عندهم وقرأ علي رضي الله عنه و يقتلون بالتشديد (ذلك) تكرار للاشارة (بما عصوا) بسبب ارتكابهم انواع المعاصي واعتدائهم حدود الله في كل شيء مع كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء وقيل هو اعتداؤهم في السبت ويجوز ان يشار بذلك الى الكفر وقتل الانبياء على معنى ان ذلك بسبب عصيانهم واعتدائهم لانهم انهمكوا فيهما وغلوا حتى قست قلوبهم فجسروا على جحود الآيات وقتل الانبياء او ذلك الكفر والقتل مع ما عصوا (ان الذين آمنوا) بالسنتهم من غير مواطاة القلوب وهم المنافقون (والذين هادوا) والذين تهودوا يقال هاد يهود وتهود اذا دخل في اليهودية وهو هائد والجمع هود (والنصارى) وهو جمع نصران يقال رجل نصران وامرأة نصرانة قال نصرانة لم تحنف والياء في نصراني للمبالغة كالتي في احمري سموا لانهم نصروا المسيح (والصابئين) وهو من صبا اذا خرج من الدين وهم قوم عدلوا عن دين اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة (من آمن) من هؤلاء الكفرة ايمانا خالصا ودخل في ملة الاسلام دخولا أصيلا (وعمل صالحا فلهم اجرهم) الذي يستوجبونه بايمانهم وعملهم (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) الرفع ان جعلته مبتدأ خبره فلهم أجرهم والنصب ان جعلته بدلا من اسم ان والمعطوف عليه فخبر ان في الوجه الاول الجملة كما هي وفي الثاني فلهم أجرهم والفاء لتضمن من معنى الشرط (واذ أخذنا ميثاقكم) بالعمل على ما في التوراة (ورفعنا فوقكم الطور) حتى قبلتم وأعطيتم الميثاق وذلك ان موسى عليه السلام جاءهم بالالواح فرأوا ما فيها من الآصار والتكاليف الشاقة فكبرت عليهم وابوا قبولها فامر جبريل فقلع الطور من أصله ورفعه وظلله فوقهم وقال لهم موسى ان قبلتم والا ألقي عليكم حتى قبلوا (خذوا) على ارادة القول (ما آتيناكم) من الكتاب (بقوة) بجد وعزيمة (واذكروا ما فيه) واحفظوا ما في الكتاب وادرسوه ولا تنسوه ولا تغفلوا عنه (لعلكم تتقون) رجاء منكم ان تكونوا متقين

قادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الارض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها و بصلها قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصرا فان لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله و يقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون

ثم توليتم من بعد ذلك فلولا فضل الله عليكم ورحمته لكنتم من الخاسرين ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم فى السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين واذ قال موسى لقومه ان الله يأمركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال أعوذ بالله ان أكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين

اوقلنا خذوا واذكروا ارادة ان تتقوا (ثم توليتم) ثم أعرضتم عن الميثاق والوفاء به (فلولا فضل الله عليكم) بتوفيقكم للتوبة لخسرتم وقرئ خذوا ما آتيتكم وتذكروا واذكروا و (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت يوم السبت وان ناسا منهم اعتدوا فيه أي جازوا ما حد لهم فيه من التجرد للعبادة وتعظيمه واشتغلوا بالصيد وذلك ان الله ابتلاهم فما كان يبقى حوت في البحر الا أخرج خرطومه يوم السبت فاذا مضى تفرقت كما قال تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم فحفروا احياضا عند البحر وشرعوا اليها الجداول فكانت الحيتان تدخلها فيصطادونها يوم الاحد فذلك الحبس فى الحياض هو اعتداؤهم (قردة خاسئين) خبران أى كونوا جامعين بين القردية والخسوء وهو الصغار والطرد (فجعلناها) يعنى المسخة (نكالا) عبرة تنكل من اعتبر بها أي تمنعه ومنه النكل القيد (لما بين يديها) لما قبلها (وما خلفها) وما بعدها من الامم والقرون لان مسختهم ذكرت فى كتب الاولين فاعتبروا بها واعتبر بها من بلغتهم من الآخرين او أريد بما بين يديها ما بحضرتها من القرى والامم وقيل نكالا عقوبة منكلة لما بين يديها لاجل ما تقدمها من ذنوبهم وما تأخر منها (وموعظة للمتقين) للذين نهوهم عن الاعتداء من صالحى قومهم او لكل متق سمعها * كان فى بنى اسرائيل شيخ موسر فقتل ابنه بنو أخيه ليرثوه وطرحوه على باب مدينة ثم جاؤا يطالبون بديته فامرهم الله ان يذبحوا بقرة ويضربوه ببعضها ليحيا فيخبرهم بقاتله (قالوا أتتخذنا هزوا) أتجعلنا مكان هزؤ أو أهل هزؤ أو مهزوا بنا او الهزؤ نفسه لفرط الاستهزاء (من الجاهلين) لان الهزؤ فى مثل هذا من باب الجهل والسفه وقرئ هزؤا بضمتين وهزأ بسكون الزاى نحو كفؤا وكفأ وقرأ حفص هزوا بالضمتين والواو وكذلك كفوا * والعياذ واللياذ من واد واحد * فى قراءة عبد الله سل لنا ربك ما هى سؤال عن حالها وصفتها وذلك أنهم تعجبوا من بقرة ميتة يضرب ببعضها ميت فيحيا فسألوا عن صفة تلك البقرة العجيبة الشأن الخارجة عما عليه البقر * والفارض المسنة وقد فرضت فروضا فهى فارض قال خفاف بن ندبة

لعمرى لقد أعطيت ضيفك فارضا * تساق اليه ما تقوم على رجل

وكأنها سميت فارضا لانها فرضت سنها أى قطعتها وبلغت آخرها * والبكر الفتية * والعوان النصف قال * نواعم بين أبكار وعون * وقد عونت (فان قلت) (بين) يقتضى شيئين فصاعدا فمن أين جاز دخوله على (ذلك) (قلت) لانه فى معنى شيئين حيث وقع مشارا به الى ما ذكر من الفارض والبكر (فان قلت) كيف جاز أن يشار به الى مؤنثين وانما هو للاشارة الى واحد مذكر (قلت) جاز ذلك على تأويل ما ذكر وما تقدم للاختصار فى الكلام كما جعلوا فعل نائبا عن افعال جمة تذكر قبله تقول للرجل نعم ما فعلت وقد ذكر لك أفعالا كثيرة وقصة طويلة كما تقول له ما أحسن ذلك وقد يجرى الضمير مجرى اسم الاشارة فى هذا قال ابو عبيدة قلت لرؤبة فى قوله فيها خطوط من سواد وبلق * كأنه فى الجلد توليع البهق ان اردت الخطوط فقل كأنها وان أردت السواد والبلق فقل كأنهما فقال أردت كأن ذاك ويلك والذى حسن منه أن أسماء الاشارة تثنيتها وجمعها وتأنيثها ليست على الحقيقة وكذلك الموصلات ولذلك جاء الذى بمعنى الجمع (ما تؤمرون) أى ما تؤمرونه بمعنى تؤمرون به من قوله أمرتك الخير أو أمركم بمعنى مأموركم تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الامير * الفقوع أشد ما يكون من الصفرة وأنصعه يقال فى التوكيد أصفر فاقع ووارس كما يقال أسود حالك وحانك وأبيض يقق ولهق وأحمر قانى وذريحى وأخضر ناضر ومدهام وأورق خطبانى وأرمك رانى (فان قلت) فاقع ههنا واقع خبرا عن اللون فلم يقع توكيد الصفراء (قلت) لم يقع خبرا عن اللون وانما وقع توكيد الصفراء الا أنه ارتفع اللون به ارتفاع الفاعل واللون من سببها وملتبس بها فلم يكن فرق بين قولك صفراء فاقعة وصفراء فاقع لونها (فان قلت) فهلا قيل صفراء فاقعة وأى فائدة فى ذكر اللون (قلت) الفائدة فيه التوكيد لان اللون اسم للهيئة وهى الصفرة فكأنه قيل شديدة الصفرة صفرتها فهو من قولك جد جده وجنونك مجنون وعن وهب اذا نظرت اليها خيل اليك أن شعاع الشمس يخرج من جلدها * والسرور لذة فى القلب عند حصول نفع أو توقعه وعن على رضى الله عنه من لبس نعلا صفراء قل همه لقوله

قوله تعالى عوان بين ذلك (قال محمود رحمه الله فان قلت بين يقتضى شيئين الخ) قال أحمد رحمه الله وقد مر نظير هذا عند قوله فان لم تفعلوا ولن تفعلوا فجدد به عهدا

قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة لا ذلول تثير الارض ولا تسقي الحرث مسلمة لا شية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون

تعالى تسر الناظرين وعن الحسن البصري صفراء فاقع لونها سوداء شديدة السواد ولعله مستعار من صفة الابل لان سوادها تعلوه صفرة وبه فسر قوله تعالى جمالات صفر قال الاعشى

تلك خيلي منه وتلك ركابي * هن صفر أولادها كالزبيب

(ما هي) مرة ثانية تكرير للسؤال عن حالها وصفتها واستكشاف زائد ليزدادوا بيانا لوصفها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لو اعترضوا أدنى بقرة فذبحوها لكفتهم ولكن شددوا فشدد الله عليهم والاستقصاء شؤم وعن بعض الخلفاء أنه كتب الى عامله بان يذهب الى قوم فيقطع أشجارهم ويهدم دورهم فكتب اليه بايهما ابدأ فقال ان قلت لك بقطع الشجر سألتني باي نوع منها أبدأ وعن عمر بن عبد العزيز اذا أمرتك أن تعطي فلانا شاة سألتني أضأن أم ماعز فان بينت لك قلت أذكر أم أنثى فان أخبرتك قلت أسوداء أم بيضاء فاذا امرتك بشيء فلا تراجعني وفي الحديث أعظم الناس جرما من سأل عن شيء لم يحرم فحرم لاجل مسئلته (ان البقر تشابه علينا) اي ان البقر الموصوف بالتعوين والصفرة كثير فاشتبه علينا أيها نذبح وقرئ تشابه بمعنى تتشابه بطرح التاء وادغامها في الشين وتشابهت ومتشابهة ومتشابه وقرأ محمد ذو الشامة ان الباقر يشابه بالياء والتشديد * جاء في الحديث لو لم يستثنوا لما بينت لهم آخر الابد أي لو لم يقولوا ان شاء الله * والمعنى انا لمهتدون الى البقرة المراد ذبحها أو الى ما خفي علينا من أمر القاتل (لا ذلول) صفة لبقرة بمعنى بقرة غير ذلول يعني لم تذلل للكراب واثارة الارض ولا هي من النواضح التي يسنى عليها لسقي الحروث ولا الاولى للنفي والثانية مزيدة لتوكيد الاولى لان المعنى لا ذلول تثير وتسقي على ان الفعلين صفتان لذلول كانه قيل لا ذلول مثيرة وساقية وقرأ أبو عبد الرحمن السلمي لا ذلول بمعنى لا ذلول هناك اي حيث هي وهو نفي لذلها ولان توصف به فيقال هي ذلول ونحوه قولك مررت بقوم لا بخيل ولا جبان اي فيهم او حيث هم * وقرئ تسقي بضم التاء من اسقى (مسلمة) سلمها الله من العيوب او معفاة من العمل سلمها اهلها منه كقوله

أو معبر الظهر ينبي عن وليته * ما حج ربه في الدنيا ولا اعتمرا

او مخلصة اللون من سلم له كذا اذا خلص له لم يشب صفرتها شيء من الالوان (لا شية فيها) لا لمعة في نقبتها من لون آخر سوى الصفرة فهي صفراء كلها حتى قرنها وظلفها وهي في الاصل مصدر وشاه وشيا وشية اذا خلط بلونه لونا آخر ومنه ثور موشي القوائم (جئت بالحق) أي بحقيقة وصف البقرة وما بقي اشكال في أمرها (فذبحوها) أي فحصلوا البقرة الجامعة لهذه الاوصاف كلها فذبحوها * وقوله (وما كادوا يفعلون) استثقال لاستقصائهم واستبطاء لهم وانهم لتطويلهم المفرط وكثرة استكشافهم ما كادوا يذبحونها وما كادت تنتهي سؤالاتهم وما كاد ينقطع خيط اسهابهم فيها وتعمقهم وقيل وما كادوا يذبحونها لغلاء ثمنها وقيل لخوف الفضيحة في ظهور القاتل وروي انه كان في بني اسرائيل شيخ صالح له عجلة فأتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعكها لابني حتى يكبر وكان برا بوالديه فشبت وكانت من أحسن البقر وأسمنه فساوموها اليتيم وأمه حتى اشتروها بملء مسكها ذهبا وكانت البقرة اذ ذاك بثلاثة دنانير وكانوا طلبوا البقرة الموصوفة أربعين سنة (فان قلت) كانت البقرة التي تناولها الامر بقرة من شق البقر غير مخصوصة ثم انقلبت مخصوصة بلون وصفات فذبحوا المخصوصة فما فعل الامر الاول (قلت) رجع منسوخا لانتقال الحكم الى البقرة المخصوصة والنسخ قبل الفعل جائز على ان الخطاب كان لابهامه متناولا لهذه البقرة الموصوفة كما تناول غيرها ولو وقع الذبح عليها بحكم الخطاب قبل التخصيص لكان امتثالا له فكذلك اذا وقع عليها بعد التخصيص (واذ قتلتم نفسا) خوطبت الجماعة لوجود القتل فيهم (فادارأتم) فاختلفتم واختصمتم في شأنها لان المتخاصمين يدرأ بعضهم بعضا أي يدفعه ويزحمه أو تدافعتم بمعنى طرح قتلها بعضكم على بعض فدفع المطروح عليه الطارح أو لان الطرح في نفسه دفع أو دفع بعضكم بعضا عن البراءة واتهمه (والله مخرج ما كنتم تكتمون) مظهر لا محالة ما كتمتم من أمر القتل لا يتركه مكتوما (فان قلت) كيف أعمل مخرج وهو في معنى المضي (قلت) وقد حكي ما كان مستقبلا في وقت التدارؤ كما حكي الحاضر في قوله باسط ذراعيه وهذه الجملة

اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وهما ادارأتم وفقلنا * والضمير في (اضربوه) اما ان يرجع الى النفس والتذكير على تاويل الشخص والانسان واما الى القتيل لما دل عليه من قوله ما كنتم تكتمون (ببعضها) ببعض البقرة واختلف في البعض الذي ضرب به فقيل لسانها وقيل فخذها اليمنى وقيل عجبها وقيل العظم الذي يلي الغضروف وهو أصل الاذن وقيل الاذن وقيل البضعة بين الكتفين * والمعنى فضربوه فحيي فحذف ذلك لدلالة قوله كذلك يحيي الله الموتى روي انهم لما ضربوه قام باذن الله وأوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان وفلان لابني عمه ثم سقط ميتا فاخذا وقتلا ولم يورث قاتل بعد ذلك (كذلك يحيي الله الموتى) اما ان يكون خطابا للذين حضروا احياء القتيل بمعنى وقلنا لهم كذلك يحيي الله الموتى يوم القيامة (ويريكم آياته) ودلائله على أنه قادر على كل شيء (لعلكم تعقلون) تعملون على قضية عقولكم وان من قدر على احياء نفس واحدة قدر على احياء الانفس كلها لعدم الاختصاص حتى لا تنكروا البعث وأما أن يكون خطابا بالمنكرين في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) هلا أحياه ابتداء ولم شرط في احيائه ذبح البقرة وضربه ببعضها (قلت) في الاسباب والشروط حكم وفوائد وانما شرط ذلك لما في ذبح البقرة من التقرب وأداء التكليف واكتساب الثواب والاشعار بحسن تقديم القربة على الطلب وما في التشديد عليهم لتشديدهم من اللطف لهم وللآخرين في ترك التشديد والمسارعة الى امتثال أوامر الله تعالى وارتسامها على الفور من غير تفتيش وتكثير سؤال ونفع اليتيم بالتجارة الرابحة والدلالة على بركة البر بالوالدين والشفقة على الاولاد وتجهيل الهازئ بما لا يعلم كنهه ولا يطلع على حقيقة من كلام الحكماء وبيان أن من حق المتقرب الى ربه أن يتنوق في اختيار ما يتقرب به وان يختاره فتي السن غير قحم ولا ضرع حسن اللون بريا من العيوب يونق من ينظر اليه وأن يغالي بثمنه كما يروى عن عمر رضي الله عنه انه ضحى بنجيبة بثلاثمائة دينار وأن الزيادة في الخطاب نسخ له وان النسخ قبل الفعل جائز وان لم يجز قبل وقت الفعل وامكانه لادائه الى البداء وليعلم بما أمر من مس الميت بالميت وحصول الحياة عقيبه ان المؤثر هو المسبب لا الاسباب لان الموتين الحاصلين في الجسمين لا يعقل ان تتولد منهما حياة (فان قلت) فما للقصة لم تقص على ترتيبها وكان حقها ان يقدم ذكر القتيل والضرب ببعض البقرة على الامر بذبحها وان يقال واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها فقلنا اذبحوا بقرة واضربوه ببعضها (قلت) كل ما قص من قصص بني اسرائيل انما قص تعديدا لما وجد منهم من الجنايات وتقريعا لهم عليها ولما جدد فيهم من الآيات العظام وهاتان قصتان كل واحدة منهما مستقلة بنوع من التقريع وان كانتا متصلتين متحدتين فالاولى لتقريعهم على الاستهزاء وترك المسارعة الى الامتثال وما يتبع ذلك والثانية للتقريع على قتل النفس المحرمة وما يتبعه من الآية العظيمة وانما قدمت قصة الامر بذبح البقرة على ذكر القتيل لانه لو عمل على عكسه لكانت قصة واحدة ولذهب الغرض في تثنية التقريع ولقد روعيت نكتة بعد ما استؤنفت الثانية استئناف قصة برأسها أن وصلت بالاولى دلالة على اتحادهما بضمير البقرة لا باسمها الصريح في قوله اضربوه ببعضها حتى تبين أنهما قصتان فيما يرجع الى التقريع وتثنيته باخراج الثانية مخرج الاستئناف مع تأخيرها وانها قصة واحدة بالضمير الراجع الى البقرة * معنى (ثم قست) استبعاد القسوة من بعد ما ذكر مما يوجب لين القلوب ورقتها ونحوه ثم انتم تمترون وصفة القلوب بالقسوة والغلظ مثل لنبوها عن الاعتبار وان المواعظ لا تؤثر فيها و(ذلك) اشارة الى احياء القتيل أو الى جميع ما تقدم من الآيات المعدودة (فهي كالحجارة) فهي في قسوتها مثل الحجارة (او اشد قسوة) منها واشد معطوف على الكاف اما على معنى او مثل اشد قسوة بحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه وتعضده قراءة الاعمش بنصب الدال عطفا على الحجارة واما على او هي في انفسها اشد قسوة والمعنى ان من عرف حالها شبهها بالحجارة او بجوهر اقسى منها وهو الحديد مثلا او من عرفها شبهها بالحجارة او قال هي اقسى من الحجارة (فان قلت) لم قيل اشد قسوة وفعل القسوة مما يخرج منه افعل التفضيل وفعل التعجب (قلت) لكونه ابين وادل على فرط القسوة ووجه آخر وهو ان لا يقصد معنى الاقسى ولكن قصد وصف القسوة بالشدة كانه قيل اشتدت قسوة الحجارة وقلوبهم اشد قسوة وقرئ

فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو اشد قسوة

(قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل أشد قسوة الخ) قال احمد رحمه الله ولان سياق هذه الاقاصيص قصد فيه الاسهاب لزيادة التقريع حتى جعلت القصة الواحدة قصتين كما مر الآن ولاشك ان قوله او أشد قسوة ادخل في الاسهاب من قول القائل او اقسي

* قوله تعالى واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا الآية (قال محمود رحمه الله اى قال منافقوهم الخ) قال احمد رحمه الله وصح عود الضمير فى اللفظ
الى جهة واحدة مع اختلاف المرجوع اليه لانهما صنفان مندرجان فى الاول و نظيره قوله تعالى اذا طلقتم النساء فبلغن

وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء وان منها لما يهبط من خشية الله وما الله بغافل عما تعملون أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون واذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا واذا خلا بعضهم الى بعض قالوا أتحدثونهم بما فتح الله عليكم ليحاجوكم به عند ربكم أفلا تعقلون اولا يعلمون ان الله يعلم مايسرون وما يعلنون ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب الا امانى وان هم الا يظنون فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة قل أتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله مالا تعلمون بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون والذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون

قساوة وترك ضمير المفضل عليه لعدم الالباس كقولك زيد كريم وعمرو أكرم * وقوله (وان من الحجارة) بيان لفضل قلوبهم على الحجارة فى شدة القسوة وتقرير لقوله اواشد قسوة وقرئ وان بالتخفيف وهي ان المخففة من الثقيلة التى تلزمها اللام الفارقة ومنها قوله تعالى وان كل لما جميع * والتفجر التفتح بالسعة والكثرة وقرا مالك بن دينار ينفجر بالنون (يشقق) يتشقق وبه قرا الاعمش والمعنى ان من الحجارة مافيه خروق واسعة يتدفق منها الماء الكثير الغزير ومنها ماينشق انشقاقا بالطول أو بالعرض فينبع منه الماء أيضا (يهبط) يتردى من أعلى الجبل وقرئ بضم الباء * والخشية مجاز عن انقيادها لامر الله تعالى وانها لا تمتنع على مايريد فيها وقلوب هؤلاء لا تنقاد ولا تفعل ما امرت به * وقرئ يعملون بالياء والتاء وهو وعيد (أفتطمعون) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين (أن يؤمنوا لكم) أن يحدثوا الايمان لاجل دعوتكم ويستجيبوا لكم كقوله فآمن له لوط يعنى اليهود (وقد كان فريق) طائفة فيمن سلف منهم (يسمعون كلام الله) وهو مايتلونه من التوراة (ثم يحرفونه) كما حرفوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآية الرجم وقيل كان قوم من السبعين المختارين سمعوا كلام الله حين كلم موسى بالطور وما أمر به ونهى ثم قالوا سمعنا الله يقول فى آخره ان استطعتم ان تفعلوا هذه الاشياء فافعلوا وان شئتم فلا تفعلوا فلا بأس وقرئ كلم الله (من بعد ما عقلوه) من بعد مافهموه وضبطوه بعقولهم ولم تبق لهم شبهة فى صحته (وهم يعلمون) أنهم كاذبون مفترون والمعنى أن كفر هؤلاء وحرفوا فلهم سابقة فى ذلك (واذا لقوا) يعنى اليهود (قالوا) قال منافقوهم (آمنا) بانكم على الحق وان محمدا هو الرسول المبشر به (واذا خلا بعضهم) الذين لم ينافقوا (الى بعض) الذين نافقوا (قالوا) عاتبين عليهم (أتحدثونهم بما فتح الله عليكم) بما بين لكم فى التوراة من صفة محمد أو قال المنافقون لاعقابهم يرونهم التصلب في دينهم أتحدثونهم انكارا عليهم ان يفتحوا عليهم شيئا فى كتابهم فينافقون المؤمنين وينافقون اليهود (ليحاجوكم به عند ربكم) ليحتجوا عليكم بما أنزل ربكم فى كتابه جعلوا محاجتهم به وقولهم هو فى كتابكم هكذا محاجة عند الله ألا تراك تقول هو فى كتاب الله هكذا وهو عند الله هكذا بمعنى واحد (يعلم) جميع (مايسرون وما يعلنون) ومن ذلك اسرارهم الكفر واعلانهم الايمان (ومنهم أميون) لا يحسنون الكتب فيطالعوا التوراة ويتحققوا ما فيها (لا يعلمون الكتاب) التوراة (الا أمانى) الا ما هم عليه من أمانيهم وان الله يعفو عنهم ويرحمهم ولا يؤاخذهم بخطاياهم وان آباءهم الانبياء يشفعون لهم وما تمنيهم أحبارهم من أن النار لا تمسهم الا أياما معدودة وقيل الا أكاذيب مختلقة سمعوها من علمائهم فتقبلوها على التقليد قال أعرابى لابن دأب في شيء حدث به أهذا شيء رويته أم تمنيته أم اختلقته وقيل الا ما يقرؤن من قوله * تمنى كتاب الله أول ليلة * والاشتقاق من منى اذا قدر لان المتمني يقدر في نفسه ويحزر مايتمناه وكذلك المختلق والقارئ يقدر أن كلمة كذا بعد كذا والا أماني من الاستثناء المنقطع وقرئ امانى بالتخفيف * ذكر العلماء الذين عاندوا بالتحريف مع العلم والاستيقان ثم العوام الذين قلدوهم ونبه على أنهم في الضلال سواء لان العالم عليه أن يعمل بعلمه وعلى العامي ان لا يرضى بالتقليد والظن وهو متمكن من العلم (يكتبون الكتاب) المحرف (بايديهم) تاكيد وهو من مجاز التاكيد كما تقول لمن ينكر معرفة ما كتبه ياهذا كتبته بيمينك هذه (مما يكسبون) من الرشا (الا أياما معدودة) أربعين يوما عدد ايام عبادة العجل وعن مجاهد كانوا يقولون مدة الدنيا سبعة آلاف سنة وانما نعذب مكان كل الف سنة يوما (فلن يخلف الله) متعلق بمحذوف تقديره ان اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده و(أم) اما ان تكون معادلة بمعنى أى الامرين كائن على سبيل التقرير لان العلم واقع بكون أحدهما ويجوز أن تكون منقطعة (بلى) اثبات لما بعد حرف النفى وهو قوله لن تمسنا النار اى بلى تمسكم ابدا بدليل قوله هم فيها خالدون (من كسب سيئة) من السيئات يعنى

كبيرة

اجلهن فلا تعضلوهن فالضمير الاول للازواج والثانى للاولياء وهو راجع الى جهة واحدة وهي جهة المخاطبين لاشتمالهم على الصنفين جميعا والله اعلم قوله تعالى فويل للذين يكتبون الكتاب بايديهم (قال محمود ان قلت مافائدة قوله بايديهم الخ) قال احمد رحمه الله وربما قال الزمخشرى فى مثل

هذا ان فائدته تصوير الحالة فى النفس كما وقعت حتى يكاد السامع لذلك ان يكون مشاهدا للهيئة* قوله تعالى واذ اخذنا ميثاق بنى اسرائيل الآية (قال محمود رحمه الله تعالى لا تعبدون اخبار فى معنى النهي الخ) قال احمد رحمه الله وجه الدليل منه ان الاول لو لم يكن فى معنى النهي لما حسن عطف الامر عليه لما بين الامر والخبر المحض من التنافر ولا كذلك الامر والنهى لا لتقائهما فى معنى الطلب

واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل لا تعبدون الا الله وبالوالدين احسانا وذى القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة ثم توليتم الا قليلا منكم وأنتم معرضون واذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وان يأتوكم اسارى تفادوهم وهو محرم عليكم اخراجهم أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزى فى الحيوة الدنيا ويوم القيامة يردون الى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون أولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولاهم ينصرون ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل

كبيرة من الكبائر (واحاطت به خطيئته) تلك واستولت عليه كما يحيط العدو ولم يتفص عنها بالتوبة وقرئ خطاياه وخطيئاته وقيل فى الاحاطة كان ذنبه أغلب من طاعته وسال رجل الحسن عن الخطيئة فقال سبحان الله ألا أراك ذا لحية وما تدرى ما الخطيئة انظر فى المصحف فكل آية نهى فيها الله عنها وأخبرك أنه من عمل بها أدخله النار فهى الخطيئة المحيطة (لا تعبدون) اخبار فى معنى النهي كما تقول تذهب الى فلان تقول له كذا تريد الامر وهو ابلغ من صريح الامر والنهى لانه كأنه سورع الى الامتثال والانتهاء فهو يخبر عنه وتنصره قراءة عبد الله وأبى لا تعبدوا ولا بد من ارادة القول يدل عليه أيضا قوله وقولوا* وقوله (وبالوالدين احسانا) اما أن يقدر وتحسنون بالوالدين احسانا أو وأحسنوا وقيل هو جواب قوله أخذنا ميثاق بنى اسرائيل اجراء له مجرى القسم كأنه قيل واذ اقسمنا عليهم لا تعبدون وقيل معناه ان لا تعبدوا فلما حذفت أن رفع كقوله* الا ايهذا الزاجرى احضر الوغى* ويدل عليه قراءة عبد الله ان لا تعبدوا ويحتمل ان لا تعبدوا ان تكون أن فيه مفسرة وان تكون ان مع الفعل بدلا عن الميثاق كأنه قيل اخذنا ميثاق بنى اسرائيل توحيدهم وقرئ بالتاء حكاية لما خوطبوا به وبالياء لانهم غيب (حسنا) قولا هو حسن فى نفسه لافراط حسنه وقرئ حسنا وحسنى على المصدر كبشرى (ثم توليتم) على طريقة الالتفات اى توليتم عن الميثاق ورفضتموه (الا قليلا منكم) قيل هم الذين اسلموا منهم (وانتم معرضون) وانتم قوم عادتكم الاعراض عن المواثيق والتولية (لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون انفسكم) لا يفعل ذلك بعضكم ببعض جعل غير الرجل نفسه اذا اتصل به أصلا أو دينا وقيل اذا قتل غيره فكأنما قتل نفسه لانه يقتص منه (ثم اقررتم) بالميثاق واعترفتم على أنفسكم بلزومه (وانتم تشهدون) عليها كقولك فلان مقر على نفسه بكذا شاهد عليها وقيل وانتم تشهدون اليوم يا معشر اليهود على اقرار اسلافكم بهذا الميثاق ثم انتم هؤلاء استبعاد لما اسند اليهم من القتل والاجلاء والعدوان بعد اخذ الميثاق منهم واقرارهم وشهادتهم والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعنى انكم قوم آخرون غير اولئك المقرين تنزيلا لتغير الصفة منزلة تغير الذات كما تقول رجعت بغير الوجه الذى خرجت به* وقوله (تقتلون) بيان لقوله (ثم انتم هؤلاء) وقيل هؤلاء موصول بمعنى الذى* وقرئ تظاهرون بحذف التاء وادغامها وتتظاهرون باثباتها وتظهرون بمعنى تتظهرون اى تتعاونون عليهم* وقرئ تفدوهم وتفادوهم وأسرى واسارى (وهو) ضمير الشان ويجوز ان يكون مبهما تفسيره (اخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب) اى بالفداء (وتكفرون ببعض) اى بالقتال والاجلاء وذلك ان قريظة كانوا حلفاء الاوس والنضير كانوا حلفاء الخزرج فكان كل فريق يقاتل مع حلفائه واذا غلبوا اخربوا ديارهم واخرجوهم واذا اسر رجل من الفريقين جمعوا له حتى يفدوه فعيرتهم العرب وقالت كيف تقاتلونهم ثم تفدونهم فيقولون امرنا ان نفديهم وحرم علينا قتالهم ولكنا نستحيي ان نذل حلفاءنا* والخزى قتل بنى قريظة واسرهم واجلاء بنى النضير وقيل الجزية وانما رد من فعل منهم ذلك الى أشد العذاب لان عصيانه أشد* وقرئ يردون ويعملون بالياء والتاء (فلا يخفف عنهم) عذاب الدنيا بنقصان الجزية ولا ينصرهم أحد بالدفع عنهم وكذلك عذاب الآخرة (الكتاب) التوراة أتاه اياها جملة واحدة* ويقال قفاه اذا تبعه من القفا نحو ذنبه من الذنب وقفاه به اتبعه اياه يعنى وأرسلنا على أثره الكثير من الرسل كقوله تعالى ثم ارسلنا رسلنا تترى وهم يوشع واشمويل وشمعون وداود وسليمان وشعيا وارميا وعزير وحزقيل والياس واليسع

(قال محمود رحمه الله وقيل هو جواب قوله واذ أخذنا ميثاق بنى اسرائيل الخ) قال احمد رحمه الله لو قدر القسم مضافا الى المذكورين لكان أوجه فيقول واذ اقسمتم لا تعبدون الا الله الخ* قوله تعالى وقولوا للناس الآية (قال محمود أى قولا هو حسن فى نفسه الخ) قال أحمد وفيه من التأكيد والتخصيص على احسان مقاولة الناس انه وضع المصدر فيه موضع الاسم وهذا انما يستعمل للمبالغة فى تأكيد الوصف كرجل عدل وصوم وفطر وقرئ حسنا فهو على هذا من الصفات المشبهة قوله تعالى ثم انتم هؤلاء (قال محمود رحمه الله ادخل ثم استبعادا الخ) قال احمد

رحمه الله وهذا نظير ما تقدم آنفا في قوله تعالى ثم قست قلوبكم الآية (قال محمود رحمه الله والمعنى ثم انتم بعد ذلك هؤلاء المشاهدون يعني انكم قوم آخرون غير أولئك الخ) قال احمد رحمه الله هو بيان لتغير الصفة الموجب لتنزيلهم منزلة المغايرين لهم بالذات * قوله تعالى ففريقا كذبتم الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت هلا قيل وفريقا قتلتم الخ) قال احمد رحمه الله والتعبير بالمضارع يفيد ذلك دون الماضي كقوله تعالى ألم تران الله انزل من السماء ماء فعبر بالماضي ثم قال فتصبح الارض مخضرة فعدل عنه الى المضارع ارادة لتصوير اخضرارها في النفس وعليه قول ابن معديكرب يصور شجاعته وجرأته فاني قد لقيت القرن أسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان * فآخذه فاضرب به فيهوى * صريعا لليدين وللجران

قوله تعالى وقالوا قلوبنا غلف الآية (قال محمود رحمه الله ثم رد الله ان تكون قلوبهم مخلوقة الخ) قال احمد رحمه الله وهذا من توائب الزمخشري على تنزيل الآيات على عقائدهم الباطلة وأبى له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ألا تراه كيف اخذ من رد الله على هذه الطائفة ان تكون قلوبهم مخلوقة على الكفران الكفر والامتناع من قبول الحق هم خلقوه لانفسهم تمهيدا لقاعدته الفاسدة في خلق الاعمال وسبيل الرد عليه ان الله تعالى انما كذبهم ورد عليهم في ادعائهم عدم الاستطاعة للايمان وسلب التمكن وعللوا ذلك بان قلوبهم غلف وصدق الله ورسوله في انه انما خلقهم على الفطرة والتمكن من الايمان والتأتي والتيسر له وانما هم اختاروا الكفر على الايمان فوقع اختيارهم الكفر مقارنا لخلق الله تعالى اياه في قلوبهم بعدما انشاهم على الفطرة فقيام حجة الله تعالى عليهم بانه خلقهم متمكنين من الايمان غير مقسورين على الكفر وذلك لا ينافي توجيه اهل السنة في اعتقاد ان الله تعالى خالق ذلك في قلوبهم على وفق اختيارهم هذا هو الحق الابلج والصراط الابهج والله الموفق وقول الزمخشري ان كفرهم انما خلقوه لانفسهم بسبب منع ألطاف الله تعالى التي تسبب وحرصا

وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسهم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون وقالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله بكفرهم فقليلا ما يؤمنون ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

ويونس وزكريا ويحيي وغيرهم * وقيل (عيسى) بالسريانية أيشوع * و(مريم) بمعنى الخادم وقيل المريم بالعربية من النساء كالزير من الرجال وبه فسر قول رؤبة * قلت لزير لم تصله مريمه * ووزن مريم عند النحويين مفعل لان فعيلا بفتح الفاء لم يثبت في الابنية كما ثبت نحو عثير وعليب (البينات) المعجزات الواضحات والحجج كاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص والاخبار بالمغيبات * وقرئ وآيدناه ومنه آجده بالجيم اذا قواه يقال الحمد لله الذي آجدني بعد ضعف وأوجدني بعد فقر (بروح القدس) بالروح المقدسة كما تقول حاتم الجود ورجل صدق ووصفها بالقدس كما قال وروح منه فوصفه بالاختصاص والتقريب للكرامة وقيل لانه لم تضمه الاصلاب ولا ارحام الطوامث وقيل بجبريل وقيل بالانجيل كما قال في القرآن وروحا من أمرنا وقيل باسم الله الاعظم الذي كان يحيي الموتى بذكره والمعنى ولقد آتينا يا بني اسرائيل انبياءكم ما آتيناهم (أفكلما جاءكم رسول) منهم بالحق (استكبرتم) عن الايمان به فوسط بين الفاء وما تعلقت به همزة التوبيخ والتعجيب من شانهم ويجوز أن يريد ولقد آتيناهم ما آتيناهم ففعلتم ما فعلتم ثم وبخهم على ذلك ودخول الفاء لعطفه على المقدر (فان قلت) هلا قيل وفريقا قتلتم (قلت) هو على وجهين أن تراد الحال الماضية لان الامر فظيع فاريد استحضاره في النفوس وتصويره في القلوب وأن يراد وفريقا تقتلونهم بعد لانكم تحومون حول قتل محمد صلى الله عليه وسلم لولا أني أعصمه منكم ولذلك سحرتموه وسممتم له الشاة وقال صلى الله عليه وسلم عند موته مازالت أكلة خيبر تعاودني فهذا أوان قطعت أبهري (غلف) جمع أغلف اي هي خلقة وجبلة مغشاة باغطية لا يتوصل اليها ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم ولا تفقهه مستعار من الاغلف الذي لم يختن كقولهم قلوبنا في أكنة مما تدعونا اليه ثم رد الله أن تكون قلوبهم مخلوقة كذلك لانها خلقت على الفطرة والتمكن من قبول الحق بان الله لعنهم وخذلهم بسبب كفرهم فهم الذين غلفوا قلوبهم بما أحدثوا من الكفر الزائغ عن الفطرة وتسببوا بذلك لمنع الالطاف التي تكون للمتوقع ايمانهم وللمؤمنين * (فقليلا ما يؤمنون) فايمانا قليلا يؤمنون وما مزيدة وهو ايمانهم ببعض الكتاب ويجوز ان تكون القلة بمعنى العدم وقيل غلف تخفيف غلف جمع غلاف اي قلوبنا اوعية للعلم فنحن مستغنون بما عندنا من غيره وروي عن أبي عمرو قلوبنا غلف بضمتين (كتاب من عند الله) هو القرآن (مصدق لما معهم) من كتابهم لا يخالفه وقرئ مصدقا على الحال (فان قلت) كيف جاز نصبها عن النكرة (قلت) اذا وصف النكرة تخصص فصح انتصاب الحال عنه وقد وصف كتاب بقوله من عند الله وجواب لما محذوف وهو نحو كذبوا به واستهانوا بمجيئه وما اشبه ذلك (يستفتحون على الذين كفروا) يستنصرون على المشركين اذا قاتلوهم قالوا اللهم انصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان الذي نجد نعته وصفته في التوراة ويقولون لاعدائهم من المشركين قد اظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وارم وقيل معنى يستفتحون يفتحون عليهم ويعرفونهم ان نبيا يبعث منهم قد قرب اوانه والسين للمبالغة أي يسألون انفسهم الفتح عليهم كالسين في استعجب واستسخر او يسأل بعضهم بعضا ان يفتح عليهم (فلما جاءهم ما عرفوا) من الحق (كفروا به) بغيا وحسدا

المؤمنون فى حصولها لهم وكانت سببا فى خلقهم الايمان فى قلوبهم كل هذا تستر من الاشراك واعتقاد آلهة غير الله تخلق لانفسها ما شاءت من ايمان وكفر تعالى الله عما يشركون علوا كبيرا * قوله تعالى ويكفرون بما وراءه وهو الحق

الآية (قال محمود رحمه الله لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة الخ) قال احمد رحمه الله وهذه النكتة بعينها هى الموجب لكفر القدرية على احد قولى مالك والشافعى والقاضى رضي الله عنهم فان العقائد الصحيحة السنية متلازمة متوافقة يصدق بعضها بعضا فيجحد احدها كفر به ثم كفر بالجميع نسال الله تعالى العصمة

وحرصا على الرياسة (على الكافرين) أى عليهم وضعا للظاهر موضع المضمر للدلالة على ان اللعنة لحقتهم لكفرهم واللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس ويدخلوا فيه دخولا أوليا (ما) نكرة منصوبة مفسرة لفاعل بئس بمعنى بئس شيأ (اشتروا به أنفسهم) والمخصوص بالذم (ان يكفروا) واشتروا بمعنى باعوا (بغيا) حسدا وطلبا لما ليس لهم وهو علة اشتروا (ان ينزل) لأن ينزل او على ان ينزل أى حسدوه على ان ينزل الله (من فضله) الذى هو الوحي (على من يشاء) وتقتضى حكمته ارساله (فباؤا بغضب على غضب) فصاروا احقاء بغضب مترادف لانهم كفروا بنبي الحق وبغوا عليه وقيل كفروا بمحمد بعد عيسى وقيل بعد قولهم عزير ابن الله وقولهم يد الله مغلولة وغير ذلك من أنواع كفرهم (بما أنزل الله) مطلق فيما أنزل الله من كل كتاب (قالوا نؤمن بما أنزل علينا) مقيد بالتوراة (ويكفرون بما وراءه) أى قالوا ذلك والحال أنهم يكفرون بما وراء التوراة (وهو الحق مصدقا لما معهم) منها غير مخالف له وفيه رد لمقالتهم لانهم اذا كفروا بما يوافق التوراة فقد كفروا بها * ثم اعترض عليهم بقتلهم الانبياء مع ادعائهم الايمان بالتوراة والتوراة لا تسوغ قتل الانبياء (وأنتم ظالمون) يجوز ان يكون حالا اى عبدتم العجل وانتم واضعون العبادة غير موضعها وان يكون اعتراضا بمعنى وانتم قوم عادتكم الظلم * وكرر رفع الطور لما نيط به من زيادة ليست مع الاول مع ما فيه من التوكيد (واسمعوا) ما أمرتم به فى التوراة (قالوا سمعنا) قولك (وعصينا) أمرك (فان قلت) كيف طابق قوله جوابهم (قلت) طابقه من حيث انه قال لهم اسمعوا وليكن سماعكم سماع تقبل وطاعة فقالوا سمعنا ولكن لا سماع طاعة (وأشربوا فى قلوبهم العجل) أى تداخلهم حبه والحرص على عبادته كما يتداخل الثوب الصبغ وقوله فى قلوبهم بيان لمكان الاشراب كقوله انما يأكلون فى بطونهم نارا (بكفرهم) بسبب كفرهم (بئسما يأمركم به ايمانكم) بالتوراة لانه ليس فى التوراة عبادة العجاجيل واضافة الامر الى ايمانهم تهكم كما قال قوم شعيب أصلاتك تأمرك وكذلك اضافة الايمان اليهم * وقوله (ان كنتم مؤمنين) تشكيك فى ايمانهم وقدح فى صحة دعواهم له (خالصة) نصب على الحال من الدار الآخرة والمراد الجنة اى سالمة لكم خاصة بكم ليس لاحد سواكم فيها حق يعنى ان صح قولكم لن يدخل الجنة الا من كان هودا و (الناس) للجنس وقيل للعهد وهم المسلمون (فتمنوا الموت) لان من ايقن انه من اهل الجنة اشتاق اليها وتمنى سرعة الوصول الى النعيم والتخلص من الدار ذات الشوائب كما روى عن المبشرين بالجنة ماروى كان على رضي الله عنه يطوف بين الصفين فى غلالة فقال له ابنه الحسن ماهذا بزى المحاربين فقال يا بنى لا يبالى ابوك على الموت سقط ام عليه سقط الموت وعن حذيفة رضي الله عنه انه كان يتمنى الموت فلما احتضر قال حبيب جاء على فاقة لا أفلح من ندم يعنى على التمنى وقال عمار بصفين الآن ألاقى الاحبة محمدا وحزبه وكان كل واحد من العشرة يحب الموت ويحن اليه وعن النبى صلى الله عليه وسلم لو تمنوا الموت لغص كل انسان بريقه فمات مكانه وما بقي على وجه الارض يهودى (بما قدمت ايديهم) بما أسلفوا من موجبات النار من الكفر بمحمد صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وتحريف كتاب الله وسائر انواع الكفر والعصيان * وقوله (ولن يتمنوه أبدا) من المعجزات لانه اخبار بالغيب وكان كما أخبر به كقوله ولن تفعلوا (فان قلت) ما أدراك انهم لم يتمنوا (قلت) لانهم لو تمنوا النقل ذلك كما نقل سائر الحوادث ولكان ناقلوه من اهل الكتاب وغيرهم من اولى المطاعن فى الاسلام أكثر من الذر وليس احد منهم نقل ذلك (فان قلت) التمنى من أعمال القلوب وهو سر لا يطلع عليه أحد فمن أين علمت انهم لم يتمنوا (قلت) ليس التمنى من أعمال القلوب انما هو قول الانسان بلسانه ليت لى كذا فاذا قاله قالوا تمنى وليت كلمة التمنى ومحال أن يقع التحدى بما فى الضمائر والقلوب ولو كان التمنى بالقلوب وتمنوا لقالوا قد تمنينا الموت فى قلوبنا ولم ينقل انهم قالوا ذلك (فان قلت) لم يقولوه لانهم علموا انهم لا يصدقون (قلت) كم حكى عنهم من أشياء

فلعنة الله على الكافرين بئسما اشتروا به أنفسهم ان يكفروا بما أنزل الله بغيا ان ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباؤا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين وإذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله قالوا نؤمن بما أنزل علينا ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم قل فلم تقتلون انبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون واذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا فى قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به ايمانكم ان كنتم مؤمنين قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين ولن يتمنوه أبدا

قالوا يا ايها المسلمين من الافتراء على الله وتحريف كتابه وغير ذلك مما علموا انهم غير مصدقين فيه ولا محمل له الا الكذب البحت ولم يبالوا وكيف يمتنعون من أن يقولوا ان التمنى من أفعال القلوب وقد فعلناه مع احتمال أن يكونوا صادقين فى قولهم واخبارهم عن ضمائرهم وكان الرجل يخبر عن نفسه بالايمان فيصدق مع احتمال ان يكون كاذبا لانه امر خاف لا سبيل الى الاطلاع عليه (والله عليم بالظالمين) تهديد لهم (ولتجدنهم) هو من وجد بمعنى علم المتعدى الى مفعولين فى قولهم وجدت زيدا ذا الحفاظ ومفعولاه هم (احرص) (فان قلت) لم قال (على حيوة) بالتنكير (قلت) لانه اراد حياة مخصوصة وهي الحياة المتطاولة ولذلك كانت القراءة بها أوقع من قراءة ابى على الحياة * (ومن الذين اشركوا) محمول على المعنى لان معنى أحرص الناس احرص من الناس (فان قلت) ألم يدخل الذين أشركوا تحت الناس (قلت) بلى ولكنهم افردوا بالذكر لان حرصهم شديد ويجوز أن يراد وأحرص من الذين أشركوا فحذف لدلالة أحرص الناس عليه وفيه توبيخ عظيم لان الذين اشركوا لا يؤمنون بعاقبة ولا يعرفون الا الحياة الدنيا فحرصهم عليها لا يستبعد لانها جنتهم فاذا زاد عليهم فى الحرص من له كتاب وهو مقر بالجزاء كان حقيقا باعظم التوبيخ (فان قلت) لم زاد حرصهم على حرص المشركين (قلت) لانهم علموا لعلمهم بحالهم انهم صائرون الى النار لا محالة والشركون لا يعلمون ذلك وقيل أراد بالذين اشركوا المجوس لانهم كانوا يقولون لملوكهم عش الف نيروز والف مهرجان وعن ابن عباس رضى الله عنه هو قول الاعاجم زى هزار سال وقيل ومن الذين اشركوا كلام مبتدأ أى ومنهم ناس (يود أحدهم) على حذف الموصوف كقوله وما منا الا له مقام معلوم والذين اشركوا على هذا مشار به الى اليهود لانهم قالوا عزير ابن الله * والضمير فى (وماهو) لاحدهم و (أن يعمر) فاعل بمزحزحه اى وما احدهم بمن يزحزحه من النار تعميره وقيل الضمير لما دل عليه يعمر من مصدره وان يعمر بدل منه ويجوز ان يكون هو مبهما وان يعمر موضحه والزحزحة التبعيد والانحاء (فان قلت) يود احدهم ما موقعه (قلت) هو بيان لزيادة حرصهم على طريق الاستئناف (فان قلت) كيف اتصل لو يعمر بيود احدهم (قلت) هو حكاية لودادتهم ولو فى معنى التمنى وكان القياس لو اعمر الا انه جرى على لفظ الغيبة لقوله يود احدهم كقولك حلف بالله ليفعلن * روى ان عبد الله بن صوريا من احبار فدك حاج رسول الله صلى الله عليه وسلم وساله عمن يهبط عليه بالوحي فقال جبريل فقال ذاك عدونا ولو كان غيره لآمنا بك وقد عادانا مرارا واشدها انه انزل على نبينا ان بيت المقدس سيخربه بختنصر فبعثنا من يقتله فلقيه ببابل غلاما مسكينا فدفع عنه جبريل وقال ان كان ربكم امره بهلاككم فانه لا يسلطكم عليه وان لم يكن اياه فعلى اى حق تقتلونه وقيل امره الله تعالى ان يجعل النبوة فينا فجعلها فى غيرنا وروى انه كان لعمر رضى الله عنه ارض باعلى المدينة وكان ممره على مدارس اليهود فكان يجلس اليهم ويسمع كلامهم فقالوا يا عمر قد احببناك وانا لنطمع فيك فقال والله ما اجيئكم لحبكم ولا اسالكم لاني شاك فى دينى وانما ادخل عليكم لازداد بصيرة فى امر محمد صلى الله عليه وسلم وارى آثاره فى كتابكم ثم سالهم عن جبريل فقالوا ذاك عدونا يطلع محمدا على أسرارنا وهو صاحب كل خسف وعذاب وان ميكائيل يجيء بالخصب والسلام فقال لهم وما منزلتهما من الله تعالى قالوا أقرب منزلة جبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره وميكائيل عدو لجبريل فقال عمر لئن كانا كما تقولون فما هما بعدوين ولأنتم أكفر من الحمير ومن كان عدوا لاحدهما كان عدوا للآخر ومن كان عدوا لهما كان عدوا لله ثم رجع عمر فوجد جبريل قد سبقه بالوحي فقال النبى صلى الله عليه وسلم لقد وافقك ربك يا عمر فقال عمر لقد رأيتنى فى دين الله بعد ذلك أصلب من الحجر وقرئ جبرئيل بوزن قمشليل وجبرئل بحذف الياء وجبريل بحذف الهمزة وجبريل بوزن قنديل وجبرال بلام شديدة وجبرائيل بوزن جبراعيل وجبرائل بوزن جبراعل ومنع الصرف فيه للتعريف والعجمة وقيل معناه عبد الله * الضمير فى (نزله) للقرآن ونحو هذا الاضمار أعنى اضمار ما لم يسبق ذكره فخامة لشان صاحبه حيث يجعل لفرط شهرته كانه يدل على نفسه ويكتفى عن اسمه الصريح بذكر شيء من صفاته (على قلبك) اى حفظه اياك وفهمكه (باذن الله) بتيسيره وتسهيله (فان قلت)

بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين ولتجدنهم أحرص الناس على حيوة ومن الذين أشركوا يود احدهم لو يعمر ألف سنة وماهو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون قل من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله

* قوله تعالى قل من كان عدوا لجبريل الآية

(قال محمود رحمه الله ان قلت كان حق الكلام أن يقال على قلبي الخ) قال احمد رحمه الله الحكاية مرة تكون مع التزام اللفظ ومرة تكون بالمعنى غير متبعة للفظ فاصل الامر في هذه الآية توجه على النبي عليه السلام أن يحكى معنى قول الله تعالى له من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك بلفظ المتكلم ونظير هذا قوله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن

خلقهن العزيز العليم الذى جعل لكم الارض مهدا الى قوله والذى نزل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا فانظر ماوقع بعد القول المنسوب اليهم مما يفهم انه قول الله عز وجل لا على سبيل الحكاية عنهم اذهم لا يقولون فانشرنا وانما يقولون فانشر على لفظ الغيبة ولكن جاء الكلام حكاية على المعنى لان معنى قولهم فانشر الله هو معنى قول الله عن ذاته فانشرنا ولا يستتب لك ان يجعل هذا من باب الخروج من الغيبة الى التكلم الذي يسمى التفاتا فان فى هذا مزيدا ومنه قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام قال علمها عند ربي فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى الذى جعل لكم الارض الى قوله فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فاول الكلام يفهم قول موسى وآخره يفهم قول الله تعالى والطريق الجامع فى ذلك ماقررته والله أعلم
(قال محمود رحمه الله فان قلت كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط الخ) قال احمد رحمه الله و يكون دخول الفاء فى الجزاء على هذا الوجه

مصدقا لما بين يديه وهدى وبشرى للمؤمنين من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال فان الله عدو للكافرين ولقد أنزلنا اليك آيات بينات وما يكفر بها الا الفاسقون أوكلما عاهدوا عهدا نبذه فريق منهم بل اكثرهم لا يؤمنون ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كانهم لا يعلمون واتبعوا ماتتلوا الشياطين على ملك سليمان وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر وما أنزل على

كان حق الكلام ان يقال على قلبي (قلت) جاءت على حكاية كلام الله تعالى كما تكلم به كانه قيل قل ما تكلمت به من قولى من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك (فان قلت) كيف استقام قوله فانه نزله جزاء للشرط (قلت) فيه وجهان احدهما ان عادى جبريل احد من أهل الكتاب فلا وجه لمعاداته حيث نزل كتابا مصدقا للكتب بين يديه فلو انصفوا لاحبوه وشكروا له صنيعه فى انزاله ماينفعهم ويصحح المنزل عليهم والثانى ان عاداه أحد فالسبب في عداوته انه نزل عليك القرآن مصدقا لكتابهم وموافقا له وهم كارهون للقرآن ولموافقته لكتابهم ولذلك كانوا يحرفونه ويجحدون موافقته له كقولك ان عاداك فلان فقد أذيته واسأت اليه * افرد الملكان بالذكر لفضلهما كانهما من جنس آخر وهو مما ذكر ان التغاير فى الوصف ينزل منزلة التغاير فى الذات وقرئ ميكال بوزن قنطار وميكائيل كميكاعيل وميكائل كميكاعل وميكئل كميكعل وميكئيل كميكعيل قال ابن جني العرب اذا نطقت بالاعجمى خلطت فيه (عدو للكافرين) اراد عدو لهم فجاء بالظاهر ليدل على ان الله انما عاداهم لكفرهم وان عداوة الملائكة كفر واذا كانت عداوة الانبياء كفرا فما بال الملائكة وهم اشرف والمعنى من عاداهم عاداه الله وعاقبه أشد العقاب (الا الفاسقون) الا المتمردون من الكفرة وعن الحسن اذا استعمل الفسق فى نوع من المعاصى وقع على اعظم ذلك النوع من كفر وغيره وعن ابن عباس رضى الله عنه قال ابن صوريا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما جئتنا بشيء نعرفه وما انزل عليك من آية فنتبعك لها فنزلت واللام فى الفاسقون للجنس والاحسن ان تكون اشارة الى اهل الكتاب (أوكلما) الواو للعطف على محذوف معناه أكفروا بالآيات البينات وكلما عاهدوا وقرأ أبو السمال بسكون الواو على ان الفاسقون بمعنى الذين فسقوا فكانه قيل وما يكفر بها الا الذين فسقوا أو نقضوا عهد الله مرارا كثيرة * وقرئ عوهدوا وعهدوا واليهود موسومون بالغدر ونقض العهود وكم اخذ الله الميثاق منهم ومن آبائهم فنقضوا وكم عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يفوا الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة * والنبذ الرمى بالذمام ورفضه * وقرأ عبد الله نقضه (فريق منهم) وقال فريق منهم لان منهم من لم ينقض (بل اكثرهم لا يؤمنون) بالتوراة وليسوا من الدين فى شيء فلا يعدون نقض المواثيق ذنبا ولا يبالون به (كتاب الله) يعنى التوراة لانهم بكفرهم برسول الله المصدق لما معهم كافرون بها نابذون لها وقيل كتاب الله القرآن نبذوه بعدما لزمهم تلقيه بالقبول (كانهم لا يعلمون) انه كتاب الله لا يدخلهم فيه شك يعنى ان علمهم بذلك رصين ولكنهم كابروا وعاندوا ونبذوه وراء ظهورهم مثل لتركهم واعراضهم عنه مثل بما يرمى به وراء الظهر استغناء عنه وقلة التفات اليه وعن الشعبي هو بين ايديهم يقرؤنه ولكنهم نبذوا العمل به وعن سفيان ادرجوه فى الديباج والحرير وحلوه بالذهب ولم يحلوا حلاله ولم يحرموا حرامه (واتبعوا) أى نبذوا كتاب الله واتبعوا (ماتتلوا الشياطين) يعنى واتبعوا كتب السحر والشعوذة التى كانت تقرؤها (على ملك سليمان) اى على عهد ملكه وفى زمانه وذلك ان الشياطين كانوا يسترقون السمع ثم يضمون الى ماسمعوا أكاذيب يلفقونها ويلقونها الى الكهنة وقد دونوها فى كتب يقرؤنها ويعلمونها الناس وفشا ذلك فى زمن سليمان عليه السلام حتى قالوا ان الجن تعلم الغيب وكانوا يقولون هذا علم سليمان وماتم لسليمان ملكه الا بهذا العلم وبه تسخر الانس والجن والريح التى تجرى بامره (وما كفر سليمان) تكذيب للشياطين ودفع لما بهتت به سليمان من اعتقاد السحر والعمل به وسماه كفرا (ولكن الشياطين) هم الذين (كفروا) باستعمال السحر وتدوينه (يعلمون الناس السحر) يقصدون به اغواءهم واضلالهم (وما انزل على

الملكين) عطف على السحر اى و يعلمونهم ما أنزل على الملكين وقيل هو عطف على ما تتلو أى واتبعوا ما انزل
(هاروت وماروت) عطف بيان للملكين علمان لهما والذى انزل عليهما هو علم السحر ابتلاء من الله للناس من
تعلمه منهم وعمل به كان كافرا ومن تجنبه أو تعلمه لا ليعمل به ولكن ليتوقاه ولئلا يغتر به كان مؤمنا عرفت الشر
لا للشر لكن لتوقيه كما ابتلى قوم طالوت بالنهر فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى وقرأ الحسن على
الملكين بكسر اللام على ان المنزل عليهما علم السحر كانا ملكين ببابل * وما يعلم الملكان أحدا حتى ينبهاه وينصحاه
و يقولا له (انما نحن فتنة) اى ابتلاء واختبار من الله (فلا تكفر) فلا تتعلم معتقدا أنه حق فتكفر (فيتعلمون)
الضمير لما دل عليه من احد * اى فيتعلم الناس من الملكين (ما يفرقون به بين المرء وزوجه) اى علم السحر الذى
يكون سببا فى التفريق بين الزوجين من حيلة وتمويه كالنفث فى العقد ونحو ذلك مما يحدث الله عنده الفرك والنشوز
والخلاف ابتلاء منه لا أن السحر له اثر فى نفسه بدليل قوله تعالى (وماهم بضارين به من احد الا باذن الله)
لانه ربما أحدث الله عنده فعلا من أفعاله وربما لم يحدث (و يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم) لانهم يقصدون به
الشر وفيه ان اجتنابه أصلح كتعلم الفلسفة التي لا يؤمن ان تجر الى الغواية * ولقد علم هؤلاء اليهود ان من
اشتراه أى استبدل ما تتلو الشياطين من كتاب الله (ماله فى الآخرة من خلاق) من نصيب (ولبئس ما شروا به
أنفسهم) أى باعوها * وقرأ الحسن الشياطون وعن بعض العرب بستان فلان حوله بساتون وقد ذكر
وجهه فيما بعد وقرأ الزهرى هاروت وماروت بالرفع على هما هاروت وماروت وهما اسمان أعجميان
بدليل منع الصرف ولو كانا من الهرت والمرت وهو الكسر كما زعم بعضهم لانصرفا وقرأ طلحة وما يعلمان
من أعلم وقرئ بين المرء بضم الميم وكسرها مع الهمز والمر بالتشديد على تقدير التخفيف والوقف كقولهم
فرج واجراء الوصل مجرى الوقف وقرأ الاعمش وماهم بضارى بطرح النون والاضافة الى أحد والفصل
بينهما بالظرف (فان قلت) كيف يضاف الى أحد وهو مجرور بمن (قلت) جعل الجار جزأ من المجرور (فان
قلت) كيف أثبت لهم العلم أولا في قوله ولقد علموا على سبيل التوكيد القسمى ثم نفاه عنهم فى قوله لو كانوا
يعلمون (قلت) معناه لو كانوا يعملون بعلمهم جعلهم حين لم يعملوا به كأنهم منسلخون عنه (ولو أنهم آمنوا)
برسول الله والقرآن * (واتقوا) الله فتركوا ما هم عليه من نبذ كتاب الله واتباع كتب الشياطين (لمثوبة من عند
الله خير) وقرئ لمثوبة كمشورة ومشورة (لو كانوا يعلمون) أن ثواب الله خير مما هم فيه وقد علموا لكنه
جهلهم لترك العمل بالعلم (فان قلت) كيف أوثرت الجملة الاسمية على الفعلية في جواب لو (قلت) لما فى ذلك
من الدلالة على ثبات المثوبة واستقرارها كما عدل عن النصب الى الرفع فى سلام عليكم لذلك (فان قلت) فهلا
قيل لمثوبة الله خير (قلت) لان المعنى لشىء من الثواب خير لهم ويجوز أن يكون قوله ولو أنهم آمنوا تمنيا
لايمانهم على سبيل المجاز عن ارادة الله ايمانهم واختيارهم له كانه قيل وليتهم آمنوا ثم ابتدئ لمثوبة من عند الله
خير * كان المسلمون يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم اذا التي عليهم شيئا من العلم راعنا يارسول الله أى
راقبنا وانتظرنا وتأن بنا حتى نفهمه ونحفظه وكانت لليهود كلمة يتسابون بها عبرانية أوسريانية وهي راعينا فلما
سمعوا بقول المؤمنين راعنا افترصوه وخاطبوا به الرسول صلى الله عليه وسلم وهم يعنون به تلك المسبة
فنهي المؤمنون عنها وأمروا بما هو في معناها وهو (انظرنا) من نظره اذا انتظره وقرأ أبى أنظرنا من النظرة أى
أمهلنا حتى نحفظ وقرأ عبد الله بن مسعود راعونا على أنهم كانوا يخاطبونه بلفظ الجمع للتوقير وقرأ الحسن
راعنا بالتنوين من الرعن وهو الهوج أى لا تقولوا قولا راعنا منسوبا الى الرعن بمعنى رعنيا كدارع ولابن
لانه لما أشبه قولهم راعينا وكان سببا فى السب اتصف بالرعن (واسمعوا) وأحسنوا سماع ما يكلمكم به
رسول الله صلى الله عليه وسلم و يلقى عليكم من المسائل بآذان واعية وأذهان حاضرة حتي لا تحتاجوا الى
الاستعادة وطلب المراعاة أو واسمعوا اسماع قبول وطاعة ولا يكن سماعكم مثل سماع اليهود حيث قالوا سمعنا
وعصينا أو واسمعوا ما أمرتم به بجد حتى لا ترجعوا الى ما نهيتم عنه تأكيدا عليهم ترك تلك الكلمة
وروى ان سعد بن معاذ سمعها منهم فقال يا أعداء الله عليكم لعنة الله والذى نفسى بيده لئن سمعتها من رجل

منكم

الملكين ببابل هاروت وماروت وما يعلمان من أحد حتى يقولا انما نحن فتنة فلا تكفر فيتعلمون منهما ما يفرقون به بين المرء وزوجه وماهم بضارين به من أحد الا باذن الله و يتعلمون ما يضرهم ولا ينفعهم ولقد علموا لمن اشتراه ماله فى الآخرة من خلاق ولبئس ما شروا به أنفسهم لو كانوا يعلمون ولو أنهم آمنوا واتقوا لمثوبة من عند الله خير لو كانوا يعلمون يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا

مستحقا لسببين أحدهما انه جملة اسمية والآخر انه ماض صحيح
قوله تعالى ولو أنهم آمنوا واتقوا الآية
(قال محمود رحمه الله ويجوز ان يكون قوله تعالى آمنوا تمنيا الخ) قال احمد رحمه الله التمنى مجاز عن ارادة الله تعالى لايمانهم وتقواهم من طراز تفسيره للعل بالارادة والرد عليه على سبيله ثم

منكم يقولها الرسول الله صلى الله عليه وسلم لاضربن عنقه فقالوا أولستم تقولونها فنزلت (وللكافرين) وللهود الذين تهاونوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وسبوه (عذاب اليم) * من الاولى للبيان لان الذين كفروا جنس تحته نوعان أهل الكتاب والمشركون كقوله تعالى لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين والثانية مزيدة لاستغراق الخير والثالثة لابتداء الغاية * والخير الوحى وكذلك الرحمة كقوله تعالى أهم يقسمون رحمة ربك والمعنى أنهم يرون أنفسهم أحق بان يوحى اليهم فيحسدونكم وما يحبون أن ينزل عليكم شيء من الوحي (والله يختص) بالنبوة (من يشاء) ولا يشاء الا ما تقتضيه الحكمة (والله ذو الفضل العظيم) اشعار بان إيتاء النبوة من الفضل العظيم كقوله تعالى ان فضله كان عليك كبيرا * روى أنهم طعنوا فى النسخ فقالوا ألا ترون الى محمد يأمر أصحابه بامر ثم ينهاهم عنه ويأمرهم بخلافه ويقول اليوم قولا ويرجع عنه غدا فنزلت * وقرئ ما ننسخ من آية وما ننسخ بضم النون من أنسخ أو ننسأها وقرئ ننسها وننسها بالتشديد وتنسها وتنسها على خطاب رسول الله ﷺ وقرأ عبد الله ما ننسك من آية أو ننسخها وقرأ حذيفة ما ننسخ من آية أو ننسكها ونسخ الآية ازالتها بابدال آخرى مكانها وانساخها الامر بنسخها وهو ان يامر جبريل عليه السلام بان يجعلها منسوخة بالاعلام بنسخها ونسؤها تأخيرها واذهابها الا الى بدل وانساؤها أن يذهب بحفظها عن القلوب والمعنى ان كل آية يذهب بها على ما توجبه المصلحة من ازالة لفظها وحكمها معا أو من ازالة أحدهما الى بدل أو غير بدل (نأت) بآية خير منها للعباد اى بآية العمل بها أكثر للثواب (أو مثلها) فى ذلك (على كل شيء قدير) فهو يقدر على الخير وما هو خير منه وعلى مثله فى الخير (له ملك السموات والارض) فهو يملك اموركم ويدبرها ويجريها على حسب ما يصلحكم وهو اعلم بما يتعبدكم به من ناسخ ومنسوخ * لما بين لهم انه مالك أمورهم ومدبرها على حسب مصالحهم من نسخ الآيات وغيره وقررهم على ذلك بقوله ألم تعلم اراد ان يوصيهم بالثقة به فيما هو اصلح لهم مما يتعبدهم به وينزل عليهم وان لا يقترحوا على رسولهم ما اقترحه آباء اليهود على موسى عليه السلام من الاشياء التى كانت عاقبتها وبالا عليهم كقولهم اجعل لنا الها أرنا الله جهرة وغير ذلك (ومن يتبدل الكفر بالايمان) ومن ترك الثقة بالآيات المنزلة وشك فيها واقترح غيرها (فقد ضل سواء السبيل) * روى ان فنحاص ابن عازوراء وزيد بن قيس ونفرا من اليهود قالوا لحذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر بعد وقعة أحد ألم تروا ما أصابكم ولو كنتم على الحق ما هزمتم فارجعوا الى ديننا فهو خير لكم وأفضل ونحن أهدى منكم سبيلا فقال عمار كيف نقض العهد فيكم قالوا شديد قال فانى قد عاهدت أن لا أكفر بمحمد ما عشت فقالت اليهود اما هذا فقد صبأ وقال حذيفة وأما انا فقد رضيت بالله ربا وبمحمد نبيا وبالاسلام دينا وبالقرآن اماما وبالكعبة قبلة وبالمؤمنين اخوانا ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبراه فقال أصبتما خيرا وأفلحتما فنزلت (فان قلت) بم تعلق قوله (من عند انفسهم) (قلت) فيه وجهان أحدهما ان يتعلق بود على معنى انهم تمنوا أن ترتدوا عن دينكم وتمنيهم ذلك من عند انفسهم ومن قبل شهوتهم لا من قبل التدين والميل مع الحق لانهم ودوا ذلك من بعد ما تبين لهم انكم على الحق فكيف يكون تمنيهم من قبل الحق واما ان يتعلق بحسدا اى حسدا متبالغا منبعثا من أصل انفسهم (فاعفوا واصفحوا) فاسلكوا معهم سبيل العفو والصفح عما يكون منهم من الجهل والعداوة (حتى يأتي الله بامره) الذى هو قتل بنى قريظة واجلاء بنى النضير واذلالهم بضرب الجزية عليهم (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على الانتقام منهم (من خير) من حسنة صلاة أو صدقة أو غيرها (تجدوه عند الله) تجدوا ثوابه عند الله (ان الله بما تعملون بصير) عالم لا يضيع عنده عمل عامل * الضمير فى (وقالوا) لاهل الكتاب من اليهود والنصارى والمعنى وقالت اليهود لن يدخل الجنة الا من كان هودا وقالت النصارى لن يدخل الجنة الا من كان نصارى فلف بين القولين ثقة بان السامع يرد الى كل فريق قوله وامنا من الالباس لما علم من التعادى بين الفريقين وتضليل كل واحد منهما لصاحبه ونحوه وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا * والهود جمع هائد كعائذ وعوذ وبازل وبزل (فان قلت) كيف قيل كان هودا على توحيد الاسم وجمع الخبر (قلت) حمل الاسم على لفظ من والخبر على معناه كقراءة الحسن الا من هو صالو الجحيم وقوله فان له نار جهنم خالدين فيها وقرأ أبى بن كعب الا من كان يهوديا أو نصرانيا (فان قلت) لم قيل

وللكافرين عذاب اليم ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها او مثلها ألم تعلم ان الله على كل شيء قدير ألم تعلم ان الله له ملك السموات والارض وما لكم من دون الله من ولى ولا نصير أم تريدون ان تسئلوا رسولكم كما سئل موسى من قبل ومن يتبدل الكفر بالايمان فقد ضل سواء السبيل ود كثير من اهل الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره ان الله على كل شيء قدير واقيموا الصلاة وآتوا الزكوة وما تقدموا لانفسكم من خير تجدوه عند الله ان الله بما تعملون بصير وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى

* قوله تعالى حسدا من عند انفسهم (قال محمود رحمه الله ان قلت بم تعلق قوله من عند انفسهم الخ) قال احمد رحمه الله يبعد الوجه الثانى دخول عند و يقرب الاول

قوله تعالى تلك أمانيهم (قال محمود رحمه الله فان قلت لم قيل تلك امانيهم وقولهم لن يدخل الجنة امنية واحدة الخ) قال احمد رحمه الله يبعد هذا الجواب قوله تعالى عقيب ذلك قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون فان البرهان المطلوب منهم ههنا انما هو على صحة دعواهم ان الجنة لا يدخلها غيرهم و يحقق هذا قوله بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فله أجره عند ربه فاما يعني الجنة و نعيمها رداعليهم في نفي غيرهم عن دخولها ففي هذا دليل بين على ان

(تلك امانيهم) وقولهم لن يدخل الجنة أمنية واحدة (قلت) أشير بها الى الامانى المذكورة وهو أمنيتهم أن لا ينزل على المؤمنين خير من ربهم و أمنيتهم أن يردوهم كفارا و أمنيتهم ان لا يدخل الجنة غيرهم اى تلك الامانى الباطلة أمانيهم وقوله قل هاتوا برهانكم متصل بقولهم لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى وتلك امانيهم اعتراض او اريد أمثال تلك الأمنية أمانيهم على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه يريد ان امانيهم جميعا في البطلان مثل امنيتهم هذه والامنية أفعولة من التمني مثل الاضحوكة والاعجوبة (هاتوا برهانكم) هلموا حجتكم على اختصاصكم بدخول الجنة (ان كنتم صادقين) في دعواكم وهذا اهدم شيء لمذهب المقلدين وان كل قول لا دليل عليه فهو باطل غير ثابت وهات صوت بمنزلة هاء بمعنى احضر (بلى) اثبات لما نفوه من دخول غيرهم الجنة (من أسلم وجهه لله) من أخلص نفسه له لا يشرك به غيره (وهو محسن) في عمله (فله أجره) الذى يستوجبه (فان قلت) من أسلم وجهه كيف موقعه (قلت) يجوز ان يكون بلى ردا لقولهم ثم يقع من أسلم كلاما مبتدأ و يكون من متضمنا لمعنى الشرط وجوابه فله اجره وان يكون من اسلم فاعلا لفعل محذوف اى بلى يدخلها من اسلم ويكون قوله فله أجره كلاما معطوفا على يدخلها من اسلم (على شيء) اى على شيء يصح و يعتد به وهذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء فاذا نفي اطلاق اسم الشيء عليه فقد بولغ في ترك الاعتداد به الى ما ليس بعده وهذا كقولهم أقل من لا شيء (وهم يتلون الكتاب) الواو للحال والكتاب للجنس أي قالوا ذلك وحالهم أنهم من أهل العلم والتلاوة للكتب وحق من حمل التوراة او الانجيل اوغيرهما من كتب الله وآمن به ان لا يكفر بالباقى لان كل واحد من الكتابين مصدق للثاني شاهد بصحته وكذلك كتب الله جميعا متواردة على تصديق بعضها بعضا (كذلك) أى مثل ذلك الذي سمعت به على ذلك المنهاج (قال) الجهلة (الذين) لا علم عندهم ولا كتاب كعبدة الاصنام والمعطلة ونحوهم قالوا لاهل كل دين ليسوا على شيء وهذا توبيخ عظيم لهم حيث نظموا أنفسهم مع علمهم في سلك من لا يعلم وروى ان وفد نجران لما قدموا على رسول الله ﷺ أتاهم أحبار اليهود فتناظروا حتى ارتفعت أصواتهم فقالت اليهود ما أنتم على شيء من الدين وكفروا بعيسى والانجيل وقالت النصارى لهم نحوه وكفروا بموسى والتوراة (فالله يحكم) بين اليهود والنصارى (يوم القيامة) بما يقسم لكل فريق منهم من العقاب الذي استحقه وعن الحسن حكم الله بينهم أن يكذبهم و يدخلهم النار (أن يذكر) ثاني مفعولى منع لانك تقول منعته كذا ومثله وما منعنا أن نرسل وما منع الناس أن يؤمنوا و يجوز أن يحذف حرف الجر مع أن ولك أن تنصبه مفعولا له بمعنى منعها كراهة أن يذكر وهو حكم عام لجنس مساجد الله وأن مانعها من ذكر الله مفرط في الظلم والسبب فيه أن النصارى كانوا يطرحون في بيت المقدس الاذى و يمنعون الناس أن يصلوا فيه وان الروم غزوا أهله فخربوه واحرقوا التوراة وقتلوا وسبوا وقيل أراد به منع المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يدخل المسجد الحرام عام الحديبية (فان قلت) فكيف قيل مساجد الله وانما وقع المنع والتخريب على مسجد واحد وهو بيت المقدس أو المسجد الحرام (قلت) لا بأس أن يجيء الحكم عاما وان كان السبب خاصا كما تقول لمن آذى صالحا واحدا ومن أظلم ممن آذى الصالحين وكما قال الله عز وجل ويل لكل همزة لمزة والمنزول فيه الاخنس بن شريف (وسعى في خرابها) بانقطاع الذكر أو بتخريب البنيان و ينبغى أن يراد بمن منع العموم كما أريد

الامانى المشار اليها ليس الا ما طولبوا باقامة البرهان على صحته وهو امنية واحدة والله اعلم والجواب القريب انهم لشدة تمنيهم لهذه الامنية ومعاودتهم لها وتأكدها

تلك أمانيهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين بلى من اسلم وجهه لله وهو محسن فله اجره عند ربه ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون وقالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ومن اظلم ممن منع مساجد الله ان يذكر فيها اسمه وسعى في خرابها

في نفوسهم جمعت ليفيد جمعها اتهامتا كدة في قلوبهم بالغة منهم كل مبلغ والجمع يفيد ذلك وان كان مؤداه واحدا ونظيره قولهم معا جياع فجمعوا الصفة ومؤداها واحد لان موصوفها واحد تأكيدا لثبوتها وتمكنها وهذا المعنى احد ما روى في قوله تعالى ان هؤلاء لشرذمة قليلون فانه جمع قليلا وقد كان الاصل افراده فيقال لشرذمة قليلة كقوله تعالى كم من فئة قليلة لولا ما قصد اليه من تأكيد معنى القلة بجمعها ووجه افادة الجمع في مثل هذا للتأكيد ان الجمع يفيد بوضعه الزيادة في الآحاد فنقل الى تأكيد الواحد وابانة زيادته على نظرائه نقلا مجازيا بديعا فتدبر هذا الفصل فانه من نفائس صناعة البيان والله الموفق * قوله تعالى وقالت اليهود ليست النصارى على شيء الآية (قال محمود رحمه الله هذه مبالغة عظيمة لان المحال والمعدوم يقع عليهما اسم الشيء الخ) قال أحمد رحمه الله وتفسيره الشيء مخالف لفريقي أهل السنة

بمساجد الله ولا يراد الذين منعوا باعيانهم من أولئك النصارى أو المشركين (أولئك) المانعون (ما كان لهم أن يدخلوها) أى ما كان ينبغى لهم أن يدخلوا مساجد الله (الا خائفين) على حال الهيبة وارتعاد الفرائص من المؤمنين أن يبطشوا بهم فضلا أن يستولوا عليها ويلوها ويمنعوا المؤمنين منها والمعنى ما كان الحق والواجب الا ذلك لولا ظلم الكفرة وعتوهم وقيل ما كان لهم فى حكم الله يعنى ان الله قد حكم وكتب فى اللوح انه ينصر المؤمنين ويقويهم حتى لا يدخلوها الا خائفين روى أنه لا يدخل بيت المقدس احد من النصارى الا متنكرا مسارقة وقال قتادة لا يوجد نصرانى فى بيت المقدس الا انهك ضربا وابلغ اليه فى العقوبة وقيل نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا لا يحجن بعد هذا العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان وقرأ عبد الله الا خيفا وهو مثل صيم وقد اختلف الفقهاء فى دخول الكافر المسجد فجوزه ابو حنيفة رحمه الله ولم يجوزه مالك وفرق الشافعى بين المسجد الحرام وغيره وقيل معناه النهى عن تمكينهم من الدخول والتخلية بينهم وبينه كقوله وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله (خزى) قتل وسبى او ذلة بضرب الجزية وقيل فتح مدائنهم قسطنطينية ورومية وعمورية (ولله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها لله هو مالكها ومتوليها (فاينما تولوا) ففى أى مكان فعلتم التولية يعنى تولية وجوهكم شطر القبلة بدليل قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيثما كنتم فولوا وجوهكم شطره (فثم وجه الله) أى جهته التى أمر بها ورضيها والمعنى انكم اذا منعتم أن تصلوا فى المسجد الحرام أو فى بيت المقدس فقد جعلت لكم الارض مسجدا فصلوا فى أى بقعة شئتم من بقاعها وافعلوا التولية فيها فان التولية ممكنة فى كل مكان لا يختص امكانها فى مسجد دون مسجد ولا فى مكان دون مكان (ان الله واسع) الرحمة يريد التوسعة على عباده والتيسير عليهم (عليم) بمصالحهم وعن ابن عمر نزلت فى صلاة المسافر على الراحلة أينما توجهت وعن عطاء عميت القبلة على قوم فصلوا الى أنحاء مختلفة فلما أصبحوا تبينوا خطأهم فعذروا وقيل معناه فاينما تولوا للدعاء والذكر ولم يرد الصلاة وقرأ الحسن فاينما تولوا بفتح التاء من التولى يريد فاينما توجهوا القبلة (وقالوا) وقرئ بغير واو يريد الذين قالوا المسيح ابن الله وعزير ابن الله والملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه له عن ذلك وتبعيد (بل له ما فى السموات والارض) هو خالقه ومالكه ومن جملته الملائكة وعزير والمسيح (كل له قانتون) منقادون لا يمتنع شىء منهم على تكوينه وتقديره ومشيئته ومن كان بهذه الصفة لم يجانس ومن حق الولد ان يكون من جنس الوالد والتنوين فى كل عوض من المضاف اليه أى كل ما فى السموات والارض ويجوز أن يراد كل من جعلوه لله ولدا له قانتون مطيعون عابدون مقرون بالربوبية منكرون لما اضافوا اليهم (فان قلت) كيف جاء بما التى لغير أولى العلم مع قوله قانتون (قلت) هو كقوله سبحان ما سخركن لنا وكانه جاء بما دون من تحقيرا لهم وتصغيرا لشأنهم كقوله وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا * يقال بدع الشىء فهو بديع كقولك بزع الرجل فهو بزيع * و (بديع السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها أى بديع سمواته وأرضه وقيل البديع بمعنى المبدع كما أن السميع فى قول عمرو

* أمن ريحانة الداعى السميع * بمعنى المسمع وفيه نظر (كن فيكون) من كان التامة أى احدث فيحدث وهذا مجاز من الكلام وتمثيل ولا قول ثم كما لا قول فى قوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * وانما المعنى أن ما قضاه من الامور وأراد كونه فانما يتكون ويدخل تحت الوجود من غير امتناع ولا توقف كما أن المأمور المطيع الذى يؤمر فيمتثل لا يتوقف ولا يمتنع ولا يكون منه الاباء أكد بهذا استبعاد الولادة لان من كان بهذه الصفة من القدرة كانت حاله مباينة لاحوال الاجسام فى توالدها وقرئ بديع السموات مجرورا على انه بدل من الضمير فى له وقرأ المنصور بالنصب على المدح (وقال الذين لا يعلمون) وقال الجهلة من المشركين وقيل من اهل الكتاب ونفى عنهم العلم لانهم لم يعملوا به (لولا يكلمنا الله) هلا يكلمنا كما يكلم الملائكة وكلم موسى استكبارا منهم وعتوا (أو تأتينا آية) جحودا لان يكون ما أتاهم من آيات الله آيات واستهانة بها (تشابهت قلوبهم) أى قلوب هؤلاء ومن قبلهم فى العمى كقوله أتواصوا به (قد بينا الآيات لقوم) ينصفون فيوقنون أنها آيات

أولئك ما كان لهم أن يدخلوها الا خائفين لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم ولله المشرق والمغرب فاينما تولوا فثم وجه الله ان الله واسع عليم وقالوا اتخذ الله ولدا سبحانه بل له ما فى السموات والارض كل له قانتون بديع السموات والارض واذا قضى امرا فانما يقول له كن فيكون وقال الذين لا يعلمون لولا يكلمنا الله أو تأتينا آية كذلك قال الذين من قبلهم مثل قولهم تشابهت قلوبهم قد بينا الآيات لقوم يوقنون

والبدعة فانه عند أهل السنة قاصر على الموجود وعند المعتزلة يطلق على الموجود وعلى المعدوم الذى يصح وجوده فليس متناولا للمحال بحال عندها وقد تقدم له مثله

يجب الاعتراف بها والاذعان لها والاكتفاء بها عن غيرها (انا ارسلناك) لان تبشر وتنذر لا لتجبر على الايمان
وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتسرية عنه لانه كان يغتم ويضيق صدره لاصرارهم وتصميمهم
على الكفر * ولا نسألك (عن اصحاب الجحيم) ما لهم لم يؤمنوا بعد ان بلغت وبلغت جهدك في دعوتهم
كقوله فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب وقرئ ولا تسأل على النهي روي أنه قال ليت شعري ما فعل
أبواي فنهي عن السؤال عن احوال الكفرة والاهتمام باعداء الله وقيل معناه تعظيم ما وقع فيه الكفار من
العذاب كما تقول كيف فلان سائلا عن الواقع في بلية فيقال لك لا تسأل عنه ووجه التعظيم ان المستخبر يجزع
أن يجري على لسانه ما هو فيه لفظاعته فلا تسأله ولا تكلفه ما يضجره أو انت يا مستخبر لا تقدر على استماع
خبره لايحاشه السامع واضجاره فلا تسأل وتعضد القراءة الاولى قراءة عبد الله ولن تسئل وقراءة أبي وما تسئل
* كأنهم قالوا لن نرضى عنك وان ابلغت في طلب رضانا حتى تتبع ملتنا اقناطا منهم لرسول الله صلى الله عليه
وسلم عن دخولهم في الاسلام فحكى الله عز وجل كلامهم ولذلك قال (قل ان هدى الله هو الهدى) على طريقة
اجابتهم عن قولهم يعني ان هدى الله الذي هو الاسلام هو الهدى بالحق والذي يصح ان يسمى هدى وهو
الهدى كله ليس وراءه هدى وما تدعون الى اتباعه ما هو بهدى انما هو هوى ألا ترى الى قوله (ولئن اتبعت
أهواءهم) أي أقوالهم التي هي أهواء وبدع (بعد الذي جاءك من العلم) أي من الدين المعلوم صحته بالبراهين
الصحيحة (الذين آتيناهم الكتاب) هم مؤمنو أهل الكتاب (يتلونه حق تلاوته) لا يحرفونه ولا يغيرون ما فيه
من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (أولئك يؤمنون) بكتابهم دون المحرفين (ومن يكفر به) من المحرفين
(فأولئك هم الخاسرون) حيث اشتروا الضلالة بالهدى (ابتلى ابراهيم ربه بكلمات) اختبره بأوامر ونواه
واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الامرين ما يريد الله وما يشتهيه العبد كأنه يمتحنه ما يكون
منه حتى يجازيه على حسب ذلك وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه ابراهيم ربه
برفع ابراهيم ونصب ربه والمعنى انه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه اليهن أم لا (فان قلت)
الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير فتعليق الضمير به اضمار قبل الذكر (قلت) الاضمار قبل
الذكر ان يقال ابتلى ربه ابراهيم فأما ابتلى ابراهيم ربه او ابتلى ربه ابراهيم فليس واحد منهما باضمار قبل الذكر
أما الاول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا واما الثاني فابراهيم فيه مقدم في المعنى وليس
كذلك ابتلى ربه ابراهيم فان الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى فلا سبيل الى صحته * والمستكن في (فأتمهن) في
احدى القراءتين لابراهيم بمعنى فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن التأدية من غير تفريط وتوان ونحوه
وابراهيم الذي وفى وفي الاخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه لم ينقص منه شيئا ويعضده ما روي عن مقاتل
انه فسر الكلمات بما سأل ابراهيم ربه في قوله رب اجعل هذا بلدا آمنا واجعلنا مسلمين لك وابعث فيهم رسولا
منهم ربنا تقبل منا * (فان قلت) ما العامل في اذ (قلت) اما مضمر نحو واذكر اذ ابتلى أو واذ ابتلاه كان كيت
وكيت واما (قال اني جاعلك) (فان قلت) فما موقع قال (قلت) هو على الاول استئناف كأنه قيل فماذا قال له
ربه حين أتم الكلمات فقيل قال اني جاعلك للناس اماما وعلى الثاني جملة معطوفة على ما قبلها ويجوز ان
يكون بيانا لقوله ابتلى وتفسيرا له فيراد بالكلمات ما ذكره من الامامة وتطهير البيت ورفع قواعده والاسلام
قبل ذلك في قوله اذ قال له ربه أسلم وقيل في الكلمات هن خمس في الرأس الفرق وقص الشارب والسواك
والمضمضة والاستنشاق وخمس في البدن الختان والاستحداد والاستنجاء وتقليم الاظافر ونتف الابط
وقيل ابتلاه من شرائع الاسلام بثلاثين سهما عشر في براءة التائبون العابدون وعشر في الاحزاب ان المسلمين
والمسلمات وعشر في المؤمنون وسأل سائل الى قوله والذين هم على صلاتهم يحافظون وقيل هي مناسك الحج
كالطواف والسعي والرمي والاحرام والتعريف وغيرهن وقيل ابتلاه بالكوكب والقمر والشمس والختان
وذبح ابنه والنار والهجرة * والامام اسم من يؤتم به على زنة الآلة كالازار لما يؤتزر به أي يأتمون بك في دينهم
(ومن ذريتي) عطف على الكاف كأنه قال وجاعل بعض ذريتي كما يقال لك سأكرمك فتقول وزيدا (لا ينال

انا ارسلناك بالحق
بشيرا ونذيرا ولا تسئل
عن اصحاب الجحيم
ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى حتى
تتبع ملتهم قل ان هدى
الله هو الهدى ولئن
اتبعت أهواءهم بعد
الذي جاءك من العلم
مالك من الله من ولي ولا
نصير الذين آتيناهم
الكتاب يتلونه حق
تلاوته أولئك يؤمنون
به ومن يكفر به فأولئك
هم الخاسرون يا بني
اسرائيل اذكروا نعمتي
التي أنعمت عليكم واني
فضلتكم على العالمين
واتقوا يوما لا تجزي
نفس عن نفس شيأ
ولا يقبل منها عدل ولا
تنفعها شفاعة ولا هم
ينصرون واذ ابتلي
ابراهيم ربه بكلمات
فأتمهن قال اني جاعلك
للناس اماما قال ومن
ذريتي قال لا ينال

عهدى الظالمين) وقرئ الظالمون اى من كان ظالما من ذريتك لا يناله استخلافى وعهدى اليه بالامامة وانما ينال من كان عادلا بريئا من الظلم وقالوا فى هذا دليل على ان الفاسق لا يصلح للامامة وكيف يصلح لها من لا يجوز حكمه وشهادته ولا تجب طاعته ولا يقبل خبره ولا يقدم للصلاة وكان ابو حنيفة رحمه الله يفتى سرا بوجوب نصرة زيد بن على رضوان الله عليهما وحمل المال اليه والخروج معه على اللص المتغلب المتسمى بالامام والخليفة كالدوانيقى وأشباهه وقالت له امرأة أشرت على ابنى بالخروج مع ابراهيم ومحمد ابنى عبد الله بن الحسن حتى قتل فقال ليتنى مكان ابنك وكان يقول فى المنصور واشياعه لو ارادوا بناء مسجد وارادونى على عد آجره لما فعلت وعن ابن عيينة لا يكون الظالم اماما قط وكيف يجوز نصب الظالم للامامة والامام انما هو لكف الظلمة فاذا نصب من كان ظالما فى نفسه فقد جاء المثل السائر من استرعى الذئب ظلم * و (البيت) اسم غالب للكعبة كالنجم للثريا (مثابة للناس) مباءة ومرجعا للحجاج والعمار يتفرقون عنه ثم يثوبون اليه أى يثوب اليه أعيان الذين يزورونه أو امثالهم (وأمنا) وموضع أمن كقوله حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم ولان الجانى يأوى اليه فلا يتعرض له حتى يخرج وقرئ مثابات لانه مثابة لكل من الناس لا يختص به واحد منهم سواء العاكف فيه والباد (واتخذوا) على ارادة القول اى وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه وهو على وجه الاختيار والاستحباب دون الوجوب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اخذ بيد عمر فقال هذا مقام ابراهيم فقال عمر افلا نتخذه مصلى يريد أفلا نؤثره لفضله بالصلاة فيه تبركا به وتيمنا بموطئ قدم ابراهيم فقال لم أومر بذلك فلم تغب الشمس حتى نزلت وعن جابر ابن عبد الله ان رسول الله صلى الله عليه وسلم استلم الحجر ورمل ثلاثة اشواط ومشي اربعة حتي اذا فرغ عمد الي مقام ابراهيم فصلى خلفه ركعتين وقرأ واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وقيل مصلى مدعي ومقام ابراهيم الحجر الذى فيه اثر قدميه والموضع الذى كان فيه الحجر حين وضع عليه قدميه وهو الموضع الذى يسمي مقام ابراهيم وعن عمر رضي الله عنه أنه سال المطلب ابن ابي وداعة هل تدرى اين كان موضعه الاول قال نعم فاراه موضعه اليوم وعن عطاء مقام ابراهيم عرفة والمزدلفة والجمار لانه قام فى هذه المواضع ودعا فيها وعن النخعى الحرم كله مقام ابراهيم وقرئ واتخذوا بلفظ الماضي عطفا على جعلنا أي واتخذ الناس من مكان ابراهيم الذى وسم به لاهتمامه به واسكان ذريته عنده قبلة يصلون اليها (عهدنا) أمرناهما (أن طهرا بيتي) بان طهرا أو أى طهرا والمعنى طهراه من الاوثان والانجاس وطواف الجنب والحائض والخبائث كلها أو أخلصاه لهؤلاء لا يغشيه غيرهم (والعاكفين) المجاورين الذين عكفوا عنده أى اقاموا لا يبرحون او المعتكفين ويجوز أن يريد العاكفين الواقفين يعنى القائمين في الصلاة كما قال للطائفين والقائمين والركع السجود والمعنى للطائفين والمصلين لان القيام والركوع والسجود هيآت المصلي أى جعل هذا البلد أو هذا المكان (بلدا آمنا) ذا أمن كقوله عيشة راضية او آمنا من فيه كقوله ليل نائم و (من آمن منهم) بدل من اهله يعنى وارزق المؤمنين من اهله خاصة (ومن كفر) عطف على من آمن كما عطف ومن ذريتى على الكاف فى جاعلك (فان قلت) لم خص ابراهيم صلوات الله عليه المؤمنين حتى رد عليه (قلت) قاس الرزق على الامامة فعرف الفرق بينهما لان الاستخلاف استرعاء يختص بمن ينصح للمرعى وأبعد الناس عن النصيحة الظالم بخلاف الرزق فانه قد يكون استدراجا للمرزوق والزاما للحجة له والمعنى وارزق من كفر فامتعه ويجوز ان يكون ومن كفر مبتدا متضمنا معنى الشرط وقوله فامتعه جوابا للشرط أى ومن كفر فانا امتعه وقرئ فامتعه فاضطره فالزه الى عذاب النار لز المضطر الذى لا يملك الامتناع مما اضطر اليه وقرأ أبى فنمتعه قليلا ثم نضطره وقرأ يحيي بن وثاب فاضطره بكسر الهمزة وقرأ ابن عباس فامتعه قليلا ثم اضطره على لفظ الامر والمراد الدعاء من ابراهيم دعا ربه بذلك (فان قلت) فكيف تقدير الكلام على هذه القراءة (قلت) فى قال ضمير ابراهيم أى قال ابراهيم بعد مسئلته اختصاص المؤمنين بالرزق ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره وقرأ ابن محيصن فاطره بادغام الضاد فى الطاء كما قالوا اطجع وهي لغة مرذولة لان الضاد من الحروف الخمسة التي يدغم فيها ما يجاورها ولا تدغم هى فيما يجاورها وهي حروف ضم

عهدى الظالمين واذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى وعهدنا الى ابراهيم واسمعيل ان طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق اهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وبئس المصير

شفر (يرفع) حكاية حال ماضية * و (القواعد) جمع قاعدة وهي الاساس والاصل لما فوقه وهي صفة غالبة ومعناها الثابتة ومنه قعدك الله اى أسال الله ان يقعدك اى يثبتك ورفع الاساس البناء عليها لانها اذا بنى عليها نقلت عن هيئة الانخفاض الى هيئة الارتفاع وتطاولت بعد التقاصر ويجوز ان يكون المراد بها سافات البناء لان كل ساف قاعدة للذى يبنى عليه ويوضع فوقه ومعنى رفع القواعد رفعها بالبناء لانه اذا وضع سافا فوق ساف فقد رفع السافات ويجوز ان يكون المعنى واذ يرفع ابراهيم ما قعد من البيت أى استوطأ يعنى جعل هيئته القاعدة المستوطئة مرتفعة عالية بالبناء وروى انه كان مؤسسا قبل ابراهيم فبنى على الاساس وروى ان الله تعالى أنزل البيت ياقوتة من يواقيت الجنة له بابان من زمرد شرقي وغربي وقال لآدم عليه السلام أهبطت لك ما يطاف به كما يطاف حول عرشى فتوجه آدم من ارض الهند اليه ماشيا وتلقته الملائكة فقالوا بر حجك يا آدم لقد حججنا هذا البيت قبلك بالفى عام وحج آدم اربعين حجة من ارض الهند الى مكة على رجليه فكان على ذلك الى ان رفعه الله ايام الطوفان الى السماء الرابعة فهو البيت المعمور ثم ان الله تعالى امر ابراهيم ببنائه وعرفه جبريل مكانه وقيل بعث الله سحابة أظلته ونودى ان ابن على ظلها لا تزد ولا تنقص وقيل بناه من خمسة أجبل طور سيناء وطور زيتا ولبنان والجودى وأسسه من حراء وجاءه جبريل بالحجر الاسود من السماء وقيل تمخض أبو قبيس فانشق عنه وقد خبئ فيه فى ايام الطوفان وكان ياقوتة بيضاء من الجنة فلما لمسته الحيض فى الجاهلية اسود وقيل كان ابراهيم يبنى واسمعيل يناوله الحجارة (ربنا) أى يقولان ربنا وهذا الفعل فى محل النصب على الحال وقد اظهره عبد الله فى قراءته ومعناه يرفعانها قائلين ربنا (انك انت السميع) لدعائنا (العليم) بضمائرنا ونياتنا (فان قلت) هلا قيل قواعد البيت واى فرق بين العبارتين (قلت) فى ابهام القواعد وتبيينها بعد الابهام ما ليس فى اضافتها لما فى الايضاح بعد الابهام من تفخيم لشان المبين (مسلمين لك) مخلصين لك أوجهنا من قوله أسلم وجهه لله او مستسلمين يقال اسلم له وسلم واستسلم اذا خضع واذعن والمعنى زدنا اخلاصا أو اذعانا لك وقرئ مسلمين على الجمع كأنهما أرادا أنفسهما وهاجر أو أجريا التثنية على حكم الجمع لانها منه (ومن ذريتنا) واجعل من ذريتنا (امة مسلمة لك) ومن للتبعيض أو للتبيين كقوله وعد الله الذين آمنوا منكم (فان قلت) لم خصا ذريتهما بالدعاء (قلت) لانهم احق بالشفقة والنصيحة قوا انفسكم واهليكم نارا ولان اولاد الانبياء اذا صلحوا صلح بهم غيرهم وشايعوهم على الخير الا ترى ان المقدمين من العلماء والكبراء اذا كانوا على السداد كيف يتسببون لسداد من وراءهم وقيل اراد بالامة أمة محمد ﷺ (وأرنا) منقول من رأى بمعنى ابصر او عرف ولذلك لم يتجاوز مفعولين اى وبصرنا متعبداتنا فى الحج أو وعرفناها وقيل مذابحنا وقرئ وارنا بسكون الراء قياسا على فخذ فى فخذ وقد استرذلت لان الكسرة منقولة من الهمزة الساقطة دليل عليها فاسقاطها اجحاف وقرأ أبو عمرو باشمام الكسرة وقرأ عبد الله وأرهم مناسكهم (وتب علينا) ما فرط منا من الصغائر أو استتابا بالذريتهما (وابعث فيهم) فى الامة المسلمة (رسولا منهم) من انفسهم وروى أنه قيل له قد استجيب لك وهو فى آخر الزمان فبعث الله فيهم محمدا ﷺ قال عليه الصلاة والسلام انا دعوة أبي ابراهيم وبشرى أخي عيسى ورؤيا أمى (يتلو عليهم آياتك) يقرأ عليهم ويبلغهم ما يوحى اليه من دلائل وحدانيتك وصدق أنبيائك (ويعلمهم الكتاب) القرآن (والحكمة) الشريعة وبيان الاحكام (ويزكيهم) ويطهرهم من الشرك وسائر الارجاس كقوله ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث (ومن يرغب) انكار واستبعاد لأن يكون فى العقلاء من يرغب عن الحق الواضح الذى هو ملة ابراهيم * و (من سفه) في محل الرفع على البدل من الضمير فى يرغب وصح البدل لان من يرغب غير موجب كقولك هل جاءك أحد الا زيد سفه نفسه امتهنها واستخف بها واصل السفه الخفة ومنه زمام سفيه وقيل انتصاب النفس على التمييز نحو غبن رأيه وألم رأسه ويجوز ان يكون فى شذوذ تعريف المميز نحو قوله ولا بفزارة الشعر الرقابا * أجب الظهر ليس له سنام وقيل معناه سفه فى نفسه فحذف الجار كقولهم زيد ظنى مقيم اى في ظنى والوجه هو الاول وكفى شاهدا له بما جاء فى الحديث الكبر ان تسفه الحق وتغمص الناس وذلك انه اذا

واذ يرفع ابراهيم القواعد من البيت واسمعيل ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وارنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك انت العزيز الحكيم ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه

* قوله تعالى ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه للمؤمنين بمعنى ماشاهدتم الخ) قال احمد رحمه الله وانما اختار على هذا التفسير أن تكون متصلة لانه لو جعلها منقطعة كالاول لكان مضمون الكلام نفى شهود الخاطبين وهم اليهود على هذا التفسير الثاني لوفاة يعقوب والوصية بالاسلام وحينئذ يكون ذلك كاقامة حجتهم على جحد الاسلام وانكار ان يكون الانبياء مسلمين والغرض ضد ذلك وانما كان الكلام يقتضى النفى حينئذ لان الاستفهام من الله تعالى لا يحمل على ظاهره بتعين صرفه الى الانكار لان السياق يقتضيه ولهذا كان نفيا لشهود المسلمين وفاة يعقوب ووصيته على التفسير الاول لاسيما والمعتاد خطاب اليهود المعاصرين للنبي عليه الصلاة والسلام بما خاطب به اوائلهم وتنزيلا لعلمهم ورضاهم منزلة حضورهم وتعاطيهم كقوله تعالى واذ قتلتم نفسا واذ قلتم ياموسى الى اشباه ذلك فاذا كانت أم متصلة والخطاب لليهود فقد جرى الامر في خطابهم على المعتاد واذا كانت منقطعة انعكس الامر.

رغب عما لا يرغب عنه عاقل قط فقد بالغ في اذالة نفسه وتعجيزها حيث خالف بها كل نفس عاقلة (ولقد اصطفيناه) بيان لخطا رأى من رغب عن ملته لان من جمع الكرامة عند الله في الدارين بأن كان صفوته وخيرته في الدنيا وكان مشهودا له بالاستقامة على الخير في الآخرة لم يكن احد أولى بالرغبة في طريقته منه (اذ قال) ظرف لاصطفيناه اى اخترناه في ذلك الوقت أو انتصب باضمار اذكر استشهادا على ماذكر من حاله كأنه قيل اذكر ذلك الوقت لتعلم أنه المصطفى الصالح الذى لا يرغب عن ملة مثله * ومعنى قال (له اسلم) أخطر بباله النظر في الدلائل المؤدية الى المعرفة والاسلام (قال أسلمت) أى فنظر وعرف وقيل أسلم أى أذعن وأطع وروى ان عبد الله بن سلام دعا ابنى اخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما قد علمتما ان الله تعالى قال في التوراة انى باعث من ولد اسمعيل نبيا اسمه احمد فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ومن لم يؤمن به فهو ملعون فاسلم سلمة وابى مهاجر ان يسلم فنزلت * قرئ وأوصي وهي في مصاحف أهل الحجاز والشام * والضمير في (بها) لقوله أسلمت لرب العالمين على تأويل الكلمة والجملة ونحوه رجوع الضمير في قوله وجعلها كلمة باقية الى قوله اننى براء مما تعبدون الا الذى فطرنى وقوله كلمة باقية دليل على ان التأنيث على تأويل الكلمة (ويعقوب) عطف على ابراهيم داخل في حكمه والمعنى ووصى بها يعقوب بنيه أيضا وقرئ ويعقوب بالنصب عطفا على بنيه ومعناه ووصى بها ابراهيم بنيه ونافلته يعقوب (يابنى) على اضمار القول عند البصريين وعند الكوفيين يتعلق بوصى لانه في معنى القول ونحوه قول القائل

رجلان من ضبة اخبرانا * انا رأينا رجلا عريانا

بكسر الهمزة فهو بتقدير القول عندنا وعندهم يتعلق بفعل الاخبار وفي قراءة أبي وابن مسعود أن يابنى (اصطفى لكم الدين) أعطاكم الدين الذى هو صفوة الاديان وهو دين الاسلام ووفقكم للاخذ به (فلا تموتن) معناه فلا يكن موتكم الا على حال كونكم ثابتين على الاسلام فالنهي في الحقيقة عن كونهم على خلاف حال الاسلام اذا ماتوا كقولك لاتصل الا وانت خاشع فلا تنهاه عن الصلاة ولكن عن ترك الخشوع في حال صلاته (فان قلت) فاى نكتة في ادخال حرف النهي على الصلاة وليس بمنهى عنها (قلت) النكتة فيه اظهار ان الصلاة التى لاخشوع فيها كلا صلاة فكانه قال أنهاك عنها اذا لم تصلها على هذه الحالة ألا ترى الى قوله عليه الصلاة والسلام لاصلاة لجار المسجد الا في المسجد فانه كالتصريح بقولك لجار المسجد لا تصل الا في المسجد وكذلك المعنى في الآية اظهار ان موتهم لا على حال الثبات على الاسلام موت لا خير فيه وانه ليس بموت السعداء وأن من حق هذا الموت ان لا يحل فيهم وتقول في الامر أيضا مت وأنت شهيد وليس مرادك الامر بالموت ولكن بالكون على صفة الشهداء اذا مات وانما أمرته بالموت اعتدادا منك بميتته واظهارا لفضلها على غيرها وانها حقيقة بان يحث عليها (أم كنتم شهداء) هي أم المنقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار والشهداء جمع شهيد بمعنى الحاضر اى ما كنتم حاضرين يعقوب عليه السلام اذ حضره الموت اى حين احتضر والخطاب للمؤمنين بمعنى ماشاهدتم ذلك وانما حصل لكم العلم به من طريق الوحي وقيل الخطاب لليهود لانهم كانوا يقولون مامات نبي الا على اليهودية الا انهم لو شهدوه وسمعوا ماقاله لبنيه وماقالوه لظهر لهم حرصه على ملة الاسلام ولما ادعوا عليه اليهودية فالآية منافية لقولهم فكيف يقال لهم أم كنتم شهداء ولكن الوجه أن تكون أم متصلة على ان يقدر قبلها محذوف كانه قيل اتدعون على الانبياء اليهودية أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت يعنى أن أوائلكم من بنى اسرائيل كانوا مشاهدين له اذ اراد بنيه على التوحيد وملة الاسلام وقد علمتم ذلك فما لكم تدعون على الانبياء ماهم منه براء وقرئ حضر بكسر الضاد وهى لغة (ما تعبدون) اى شئ تعبدون وما عام في كل شئ فاذا علم فرق بما ومن وكفاك دليلا قول العلماء من لما يعقل ولو قيل من تعبدون لم يعم الأولى

ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وانتم مسلمون ام كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى

العلم وحدهم و يجوز أن يقال ما تعبدون سؤال عن صفة المعبود كما تقول ما زيد تريد أفقيه أم طبيب أم غير ذلك من الصفات * و (ابراهيم واسمعيل واسحق) عطف بيان لآبائك وجعل اسمعيل وهو عمه من جملة آبائه لان العم أب والخالة أم لانخراطهما في سلك واحد وهو الاخوة لا تفاوت بينهما ومنه قوله عليه السلام عم الرجل صنو ابيه اى لا تفاوت بينهما كما لا تفاوت بين صنوى النخلة وقال عليه الصلاة السلام في العباس هذا بقية آبائي وقال ردوا على ابي فاني اخشى ان تفعل به قريش ما فعلت ثقيف بعروة بن مسعود وقرأ ابي واله ابراهيم بطرح آبائك وقرئ أبيك وفيه وجهان أن يكون واحدا وابراهيم وحده عطف بيان له وأن يكون جمعا بالواو والنون قال وفديننا بالابينا (الها واحدا) بدل من اله آبائك كقوله تعالى بالناصية ناصية كاذبة أو على الاختصاص أى تريد باله آبائك الها واحدا (ونحن له مسلمون) حال من فاعل نعبد أو من مفعوله لرجوع الهاء اليه فى له و يجوز أن تكون جملة معطوفة على نعبد وان تكون جملة اعتراضية مؤكدة اى ومن حالنا أنا له مسلمون مخلصون التوحيد أو مذعنون (تلك) اشارة الى الامة المذكورة التى هى ابراهيم و يعقوب و بنوهما الموحدون * والمعنى ان احدا لا ينفعه كسب غيره متقدما كان او متاخرا فكما ان أولئك لا ينفعهم الا ما اكتسبوا فكذلك انتم لا ينفعكم الا ما اكتسبتم وذلك انهم افتخروا باوائلهم ونحوه قول رسول الله صلى الله عليه وسلم يا بنى هاشم لا يأتينى الناس باعمالهم وتأتونى بانسابكم (ولا تسألون عما كانوا يعملون) ولا تؤاخذون بسيآتهم كما لا تنفعكم حسناتهم بل (ملة ابراهيم) بل نكون ملة ابراهيم اى اهل ملته كقول عدى بن حاتم انى من دين يريد من اهل دين وقيل بل نتبع ملة ابراهيم وقرئ ملة ابراهيم بالرفع اى ملته ملتنا او امرنا ملته او نحن ملته بمعنى اهل ملته و (حنيفا) حال من المضاف اليه كقولك رايت وجه هند قائمة والحنيف المائل عن كل دين باطل الى دين الحق والحنف الميل فى القدمين وتحنف اذا مال وانشد

ولكنا خلقنا اذ خلقنا * حنيفا ديننا عن كل دين

(وما كان من المشركين) تعريض باهل الكتاب وغيرهم لان كلا منهم يدعى اتباع ابراهيم وهو على الشرك (قولوا) خطاب للمؤمنين و يجوز ان يكون خطابا للكافرين اى قولوا لتكونوا على الحق والا فانتم على الباطل وكذلك قوله بل ملة ابراهيم يجوز ان يكون على بل اتبعوا انتم ملة ابراهيم او كونوا اهل ملته * والسبط الحفيد وكان الحسن والحسين سبطي رسول الله صلى الله عليه وسلم (والاسباط) حفدة يعقوب ذرارى ابنائه الاثنى عشر (لا نفرق بين احد منهم) لا نؤمن ببعض ونكفر ببعض كما فعلت اليهود والنصارى واحد فى معنى الجماعة ولذلك صح دخول بين عليه (بمثل ما آمنتم به) من باب التبكيت لان دين الحق واحد لا مثل له وهو دين الاسلام ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه فلا يوجد اذا دين آخر يماثل دين الاسلام فى كونه حقا حتى ان آمنوا بذلك الدين المماثل له كانوا مهتدين فقيل فان آمنوا بكلمة الشك على سبيل الفرض والتقدير اى فان حصلوا دينا آخر مثل دينكم مساويا له فى الصحة والسداد فقد اهتدوا وفيه أن دينهم الذى هم عليه وكل دين سواه مغاير له غير مماثل لانه حق وهدى وما سواه باطل وضلال ونحو هذا قولك للرجل الذى تشير عليه هذا هو الرأى الصواب فان كان عندك رأى أصوب منه فاعمل به وقد علمت ان لا اصوب من رأيك ولكنك تريد تبكيت صاحبك وتوقيفه على أن ما رأيت لا رأي وراءه و يجوز أن لا تكون الباء صلة وتكون باء الاستعانة كقولك كتبت بالقلم وعملت بالقدوم اى فان دخلوا فى الايمان بشهادة مثل شهادتكم التى آمنتم بها وقرأ ابن عباس وابن مسعود بما آمنتم به وقرأ أبي بالذى آمنتم به (وان تولوا) عما تقولون لهم ولم ينصفوا فما هم الا (فى شقاق) اى فى مناواة ومعاندة لا غير وليسوا من طلب الحق فى شيء او وان تولوا عن الشهادة والدخول فى الايمان بها (فسيكفيكهم الله) ضمان من الله لاظهار رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم وقد أنجز وعده بقتل قريظة وسبيهم واجلاء بنى النضير ومعنى السين أن ذلك كائن لا محالة وان تأخر الى حين (وهو السميع العليم) وعيد لهم اى يسمع ما ينطقون به و يعلم ما يضمرون من الحسد والغل وهو معاقبهم عليه او وعد لرسول الله صلى الله عليه وسلم بمعنى يسمع ما تدعو به و يعلم نيتك وما تريده من اظهار دين الحق وهو مستجيب لك وموصلك الى

الجماعة الخ) قال احمد رحمه الله وفيه دليل على ان النكرة الواقعة فى سياق النفى تفيد العموم اطلاحتى يتنزل المفرد فيها منزلة الجمع فى تناوله الآحاد مطابقة لا كما ظنه بعض الاصوليين من ان مدلولها بطريق المطابقة في النفى كمدلولها فى الاثبات وذلك الدلالة على الماهية وانما لزم فيها العموم من حيث ان سلب الماهية يستوجب سلب الافراد لما بين الاعم والاخص من التلازم فى جانب النفى

قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قولوا آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم واسمعيل واسحق و يعقوب والاسباط وما أوتي موسى وعيسى وما اوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون فان آمنوا بمثل ما آمنتم به فقد اهتدوا وان تولوا فانما هم فى شقاق فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم

الى مرادك (صبغة الله) مصدر مؤكد منتصب عن قوله آمنا بالله كما انتصب وعد الله عما تقدمه وهي فعلة من صبغ كالجلسة من جلس وهي الحالة التي يقع عليها الصبغ والمعنى تطهير الله لان الايمان يطهر النفوس والاصل فيه ان النصارى كانوا يغمسون اولادهم في ماء اصفر يسمونه المعمودية ويقولون هو تطهير لهم واذا فعل الواحد منهم بولده ذلك قال الآن صار نصرانيا حقا فامر المسلمون بان يقولوا لهم قولوا آمنا بالله وصبغنا الله بالايمان صبغة لا مثل صبغتنا وطهرنا به تطهيرا لا مثل تطهيرنا أو يقول المسلمون صبغنا الله بالايمان صبغته ولم نصبغ صبغتكم وانما جيء بلفظ الصبغة على طريقة المشاكلة كما تقول لمن يغرس الاشجار اغرس كما يغرس فلان تريد رجلا يصطنع الكرم (ومن أحسن من الله صبغة) يعني انه يصبغ عباده بالايمان ويطهرهم به من اوضار الكفر فلا صبغة احسن من صبغته * وقوله (ونحن له عابدون) عطف على آمنا بالله وهذا العطف يرد قول من زعم ان صبغة الله بدل من ملة ابراهيم او نصب على الاغراء بمعنى عليكم صبغة الله لما فيه من فك النظم واخراج الكلام عن التئامه واتساقه وانتصابها على انها مصدر مؤكد هو الذي ذكره سيبويه والقول ما قالت حذام * قرأ زيد بن ثابت أتحاجونا بادغام النون والمعنى أتجادلوننا في شان الله واصطفائه النبي من العرب دونكم وتقولون لو انزل الله على احد لانزل علينا وترونكم احق بالنبوة منا (وهو ربنا وربكم) نشترك جميعا في أننا عباده وهو ربنا وهو يصيب برحمته وكرامته من يشاء من عباده هم فوضى في ذلك لا يختص به عجمي دون عربي اذا كان اهلا للكرامة (ولنا اعمالنا ولكم اعمالكم) يعني ان العمل هو اساس الامر وبه العبرة وكما ان لكم اعمالا يعتبرها الله في اعطاء الكرامة ومنعها نحن كذلك * ثم قال (ونحن له مخلصون) فجاء بما هو سبب الكرامة اى ونحن له موحدون نخلصه بالايمان فلا تستبعدوا ان يؤهل اهل اخلاصه لكرامته بالنبوة وكانوا يقولون نحن احق بان تكون النبوة فينا لانا اهل كتاب والعرب عبدة اوثان (ام تقولون) يحتمل فيمن قرأ بالتاء ان تكون ام معادلة للهمزة في أتحاجوننا بمعنى أي الامرين تأتون المحاجة في حكمة الله أم ادعاء اليهودية والنصرانية على الانبياء والمراد بالاستفهام عنهما انكارهما معا وان تكون منقطعة بمعنى بل أتقولون والهمزة للانكار ايضا وفيمن قرأ بالياء لا تكون الا منقطعة (قل أأنتم اعلم ام الله) يعني ان الله شهد لهم بملة الاسلام في قوله ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما (ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله) اى كتم شهادة الله التي عنده انه شهد بها وهي شهادته لابراهيم بالحنيفية ويحتمل معنيين احدهما ان اهل الكتاب لا احد اظلم منهم لانهم كتموا هذه الشهادة وهم عالمون بها والثاني انا لو كتمنا هذه الشهادة لم يكن أحد أظلم منا فلا نكتمها وفيه تعريض بكتمانهم شهادة الله لمحمد ﷺ بالنبوة في كتبهم وسائر شهاداته ومن في قوله شهادة عنده من الله مثلها في قولك هذه شهادة مني لفلان اذا شهدت له ومثله براءة من الله ورسوله (سيقول السفهاء) الخفاف الاحلام وهم اليهود لكراهتهم التوجه الى الكعبة وانهم لا يرون النسخ وقيل المنافقون لحرصهم على الطعن والاستهزاء وقيل المشركون قالوا رغب عن قبلة آبائه ثم رجع اليها والله ليرجعن الى دينهم (فان قلت) أى فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه (قلت) فائدته ان مفاجأة المكروه اشد والعلم به قبل وقوعه ابعد من الاضطراب اذا وقع لما يتقدمه من توطين النفس وان الجواب العتيد قبل الحاجة اليه أقطع للخصم وأرد لشغبه وقبل الرمي يراش السهم (ما ولاهم) ما صرفهم (عن قبلتهم) وهي بيت المقدس (لله المشرق والمغرب) أى بلاد المشرق والمغرب والارض كلها (يهدي من يشاء) من أهلها (الى صراط مستقيم) وهو ما توجبه الحكمة والمصلحة من توجيههم تارة الى بيت المقدس وأخرى الى الكعبة) وكذلك جعلناكم ومثل ذلك الجعل العجيب جعلناكم (أمة وسطا) خيارا وهي صفة بالاسم الذي هو وسط الشيء ولذلك استوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث ونحوه قوله عليه السلام وأنطوا الثبجة يريد الوسيطة بين السمينة والعجفاء وصفا بالثبج وهو وسط الظهر الا أنه ألحق تاء التأنيث مراعاة لحق الوصف وقيل للخيار وسط لان الاطراف يتسارع اليها الخلل والاعوار والاوساط محمية محوطة ومنه قول الطائي

صبغة الله ومن احسن من الله صبغة ونحن له عابدون قل أتحاجوننا في الله وهو ربنا وربكم ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم ونحن له مخلصون أم تقولون ان ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا أو نصارى قل أأنتم أعلم أم الله ومن أظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون سيقول السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها قل لله المشرق والمغرب يهدي من يشاء الى صراط مستقيم وكذلك جعلناكم أمة وسطا

اذ سلب الاعم أخص من سلب الاخص فيستلزمه فلو كان لفظا ما لا اشعار له بالتعدد والعموم وضعا امتاز دخول بين عليها * قوله تعالى سيقول السفهاء (قال محمود رحمه الله تعالى أي فائدة في الاخبار بقولهم قبل وقوعه الخ) قال احمد رحمه الله تعالى ولهذه النكتة اجرى من حزو النظار في ادراج مناظراتهم العمل بمقتضى الذي هو كذا السالم عن معارضة كذا فسيقول درء المعارض قبل ذكر الخصم له وهي نكتة بديعة أحسن ما يستدل على صحتها بهذه الآية فتفطن لها فانها من الملح * قوله تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطا (قال محمود رحمه الله وقيل للخيار وسط الخ) قال احمد رحمه الله وهذا انما اقتضى المجاز فيه التعميم

كانت هي الوسط المحمي فاكتنفت * بها الحوادث حتى أصبحت طرفا

وقد اكتريت بمكة جمل أعرابي للحج فقال أعطني من سطاتهنه أراد من خيار الدنانير أوعدولا لان الوسط عدل بين الاطراف ليس الى بعضها أقرب من بعض (لتكونوا شهداء على الناس) روى أن الامم يوم القيامة يجحدون تبليغ الانبياء فيطالب الله الانبياء بالبينة على أنهم قد بلغوا وهو أعلم فيؤتى بامة محمد ﷺ فيشهدون فتقول الامم من أين عرفتم فيقولون علمنا ذلك باخبار الله في كتابه الناطق على لسان نبيه الصادق فيؤتى بمحمد ﷺ فيسئل عن حال أمته فيزكيهم و يشهد بعدالتهم وذلك قوله تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا *(فان قلت) فهلا قيل لكم شهيدا وشهادته لهم لا عليهم (قلت) لما كان الشهيد كالرقيب والمهيمن على المشهود له جيء بكلمة الاستعلاء ومنه قوله تعالى والله على كل شيء شهيد كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد وقيل لتكونوا شهداء على الناس في الدنيا فيما لا يصح الا بشهادة العدول الاخيار (و يكون الرسول عليكم شهيدا) يزكيكم و يعلم بعدالتكم (فان قلت) لم أخرت صلة الشهادة أولا وقدمت آخرا (قلت) لان الغرض في الاول اثبات شهادتهم على الامم وفي الآخر اختصاصهم بكون الرسول شهيدا عليهم (التي كنت عليها) ليست بصفة للقبلة انما هي ثاني مفعولي جعل يريد وما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها وهي الكعبة لان رسول الله ﷺ كان يصلي بمكة الى الكعبة ثم أمر بالصلاة الى صخرة بيت المقدس بعد الهجرة تألفا لليهود ثم حول الى الكعبة فيقول وما جعلنا القبلة التي تحب أن تستقبلها الجهة التي كنت عليها أولا بمكة يعني وما رددناك اليها الا امتحانا للناس وابتلاء (لنعلم) الثابت على الاسلام الصادق فيه ممن هو على حرف ينكص (على عقبيه) لقلقه فيرتد كقوله وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية و يجوز أن يكون بيانا للحكمة في جعل بيت المقدس قبلته يعني ان اصل امرك ان تستقبل الكعبة وان استقبالك بيت المقدس كان أمرا عارضا لغرض وانما جعلنا القبلة الجهة التي كنت عليها قبل وقتك هذا وهي بيت المقدس لنمتحن الناس و ننظر من يتبع الرسول منهم ومن لا يتبعه و ينفر عنه وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت قبلته بمكة بيت المقدس الا انه كان يجعل الكعبة بينه و بينه (فان قلت) كيف قال لنعلم ولم يزل عالما بذلك (قلت) معناه لنعلمه علما يتعلق به الجزاء وهو أن يعلمه موجودا حاصلا ونحوه ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم و يعلم الصابرين وقيل ليعلم رسول الله والمؤمنون وانما أسند علمهم الى ذاته لانهم خواصه وأهل الزلفى عنده وقيل معناه لنميز التابع من الناكص كما قال ليميز الله الخبيث من الطيب فوضع العلم موضع التمييز لان العلم به يقع التمييز به (وان كانت لكبيرة) هي ان المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في كانت لما دل عليه قوله وما جعلنا القبلة التي كنت عليها من الردة او التحويلة او الجعلة و يجوز ان يكون للقبلة لكبيرة لثقيلة شاقة (الا على الذين هدى الله) الا على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول الذين لطف الله بهم وكانوا أهلا للطفه (وما كان الله ليضيع ايمانكم) اي ثباتكم على الايمان وانكم لم تزلوا ولم ترتابوا بل شكر صنيعكم واعد لكم الثواب العظيم و يجوز ان يراد وما كان الله ليترك تحويلكم لعلمه ان تركه مفسدة واضاعة لايمانكم وقيل من كان صلى الى بيت المقدس قبل التحويل فصلاته غير ضائعة عن ابن عباس رضي الله عنه لما وجه رسول الله ﷺ الى الكعبة قالوا كيف بمن مات قبل التحويل من اخواننا فنزلت (لرؤف رحيم) لا يضيع اجورهم ولا يترك ما يصلحهم و يحكى عن الحجاج انه قال للحسن ما رأيك في ابي تراب فقرأ قوله الا على الذين هدى الله ثم قال وعلي منهم وهو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وختنه على ابنته واقرب الناس اليه واحبهم وقرئ الا ليعلم على البناء للمفعول ومعنى العلم المعرفة و يجوز ان يكون من متضمنة لمعنى الاستفهام معلقا عنها العلم كقولك علمت أزيد في الدار أم عمرو وقرأ ابن ابي اسحق على عقبيه بسكون القاف وقرأ اليزيدي لكبيرة بالرفع ووجهها ان تكون كان مزيدة كما في قوله

*وجيران لنا كانوا كرام * والاصل وان هي لكبيرة كقولك ان زيد لمنطلق ثم وان كانت لكبيرة وقرئ

لتكونوا شهداء على الناس و يكون الرسول عليكم شهيدا وما جعلنا القبلة التي كنت عليها الا لنعلم من يتبع الرسول ممن ينقلب على عقبيه وان كانت لكبيرة الا على الذين هدى الله وما كان الله ليضيع ايمانكم ان الله بالناس لرؤف رحيم

احمد رحمه الله ٣ وجه الاستدلال بالآية انه وصف الله تعالى في اولها بالرقيب وفي آخرها بالشهيد على وجه التخصيص اولا ثم التعميم ثانيا وانما ينتظم التعميم والتخصيص مع اتحاد مؤدى الرقيب والشهيد اذ الآية في مثل قول القائل لمن شكره كنت محسنا الي وانت بكل احد محسن وكأنه لما قال كنت انت الرقيب عليهم وكان ذلك مخصصا لرقيبه تعالى على بني اسرائيل اراد ان يصفه بما هو اهله حتى ينفي وهم الخصوصية فقال في التقدير وانت على كل شيء كذلك فوضع شهيدا موضع كذلك المشار به الى رقيبه فلا يتم الاستدلال بها الا على هذا الوجه وفيه غموض على كثير من الافهام والله الموفق (قال محمود رحمه الله فان قلت لم اخرت صلة الشهادة اولا وقدمت آخرا الخ) قال احمد رحمه الله لان المنة عليهم في الطرفين ففي الاول بثبوت كونهم

ليضيع

٣ (قول المحشي وجه الاستدلال بالآية انه وصف الخ) فيه انتقال نظر لا يخفى فليحرر اه مصححه

شهداء وفى الثاني بثبوت كونهم مشهودا لهم بالتزكية خصوصا من هذا الرسول المعظم ولو قدم شهيد ألا نتقل الغرض الى الامتنان على النبي عليه الصلاة والسلام بانه شهيد وسياق الخطاب لهم والامتنان عليهم بإباه وانما اخذ الزمخشري الاختصاص من التقديم لان فيه اشعارا بالاهمية والعناية وكثيرا ما يجرى أي ذلك فى أثناء كلامه وفيه نظر * قوله تعالى قد نرى تقلب وجهك فى السماء (قال محمود رحمه الله معناه كثرة الرؤية الخ) قال أحمد رحمه الله وهذا من المواضع التى تبالغ العرب فيها بالتعبير عن المعنى بضد عبارته ومنه ربما يود الذين كفروا والمراد كثرة مودتهم للاسلام فى القيامة وعند معاينة جزائه وثوابه وكذلك وقد تعلمون أنى رسول الله اليكم ومراده اظهار عنادهم بان علمهم برسالته يقيني مؤكد ومع ذلك يكفرون به قوله تعالى فول وجهك شطر المسجد الحرام (قال محمود رحمه الله الشطر النحو والسمت الخ) قال احمد رحمه الله وقد نقل أصحابنا المالكية خلافا عن المذهب فى الواجب فقيل الجهة وقيل العين ‧ هذا مع البعد وأما حيث تشاهد الكعبة في المسجد الحرام فمن خرج عن السمت ثم لم يصح صلاته قولا واحدا ثم لهم على كل واحد من القولين اشكال اما على قول العين فيلزم ان لا تصح صلاة الصف المستقيم المستطيل زيادة على مسامة الكعبة شرفها الله تعالى لا تعلم بالضرورة وان لم نشاهدان بعضهم يصلى الى عينها اذ لا يفي سمتها بذلك على هذا التقدير لكن الجواز في مثل هذا مع البعد متفق عليه وأما على قول الجهة فيلزم تجويز صلاة الكائن في الشمال مثلا الى الجهات الثلاث لانها كلها جهات الكعبة والسمت غير مراعى على هذا المذهب وانما جاء هذا الخبط من عدم التميز بين مراعاة الجهة والسمت ولقد ميزهما أبو حامد بمثال هندسى في كتاب الاحياء فلا نطول بذكره والتحقيق عند الفتوى ان المعتبر مع البعد الجهة لا السمت * قوله تعالى وما انت بتابع قبلتهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم جاء على التوحيد وهما قبلتان الخ) قال احمد رحمه الله ومثل هذا ما أجيب به عن قوله تعالى لن نصبر على طعام واحد مع انه متعدد وهو المن والسلوى فقيل انهم أرادوا انهما من طعام المترفة وآثروا طعام الفلاحة والاجلاف فلما اتحد الطعامان المذكوران فى الرفاهية جعلوهما طعاما واحدا وهذا المعنى فى انكار الطعام أبلغ لانهم لم يكتفوا فى انكاره بقولهم لن نصبر على طعام حتى أكدوه بقولهم واحد

قد نرى تقلب وجهك فى السماء فلنولينك قبلة ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره وان الذين أوتوا الكتاب ليعلمون أنه الحق من ربهم وما الله بغافل عما يعملون ولئن أتيت الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك وما أنت بتابع قبلتهم وما بعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت أهواءهم من بعد ما جاءك من العلم انك اذا لمن الظالمين

ليضيع بالتشديد (قد نرى) ربما نرى ومعناه كثرة الرؤية كقوله * قد اترك القرن مصفرا انامله * (تقلب وجهك) تردد وجهك وتصرف نظرك فى جهة السماء وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتوقع من ربه ان يحوله الى الكعبة لانها قبلة ابيه ابراهيم وأدعى للعرب الى الايمان لانها مفخرتهم ومزارهم ومطافهم ولمخالفة اليهود فكان يراعي نزول جبريل عليه السلام والوحي بالتحويل (فلنولينك) فلنعطينك ولنمكننك من استقبالها من قولك وليته كذا اذا جعلته واليا له أو فلنجعلنك تلى سمتها دون سمت بيت المقدس (ترضاها) تحبها وتميل اليها لاغراضك الصحيحة التى أضمرتها ووافقت مشيئة الله وحكمته (شطر المسجد الحرام) نحوه قال * واظعن بالقوم شطر الملوك * وقرأ أبي تلقاء المسجد الحرام وعن البراء بن عازب قدم رسول الله ﷺ المدينة فصلى نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا ثم وجه الى الكعبة وقيل كان ذلك فى رجب بعد زوال الشمس قبل قتال بدر بشهرين ورسول الله صلى الله عليه وسلم فى مسجد بنى سلمة وقد صلى باصحابه ركعتين من صلاة الظهر فتحول فى الصلاة واستقبل الميزاب وحول الرجال مكان النساء والنساء مكان الرجال فسمي المسجد مسجد القبلتين وشطر المسجد نصب على الظرف أى اجعل تولية الوجه تلقاء المسجد اى فى جهته وسمته لان استقبال عين القبلة فيه حرج عظيم على البعيد وذكر المسجد الحرام دون الكعبة دليل على ان الواجب مراعاة الجهة دون العين (ليعلمون انه الحق) ان التحويل الى الكعبة هو الحق لانه كان فى بشارة أنبيائهم برسول الله ان يصلى الى القبلتين (يعملون) قرئ بالياء والتاء (ما تبعوا) جواب القسم المحذوف سد مسد جواب الشرط * بكل آية بكل برهان قاطع ان التوجه الى الكعبة هو الحق ما تبعوا (قبلتك) لان تركهم اتباعك ليس عن شبهة تزيلها بايراد الحجة انما هو عن مكابرة وعناد مع علمهم بما فى كتبهم من نعتك أنك على الحق (وما أنت بتابع قبلتهم) حسم لاطماعهم اذ كانوا ماجوا فى ذلك وقالوا لو ثبت على قبلتنا لكنا نرجو ان يكون صاحبنا الذى ننتظره وطمعوا فى رجوعه الى قبلتهم وقرئ بتابع قبلتهم على الاضافة (وما بعضهم بتابع قبلة بعض) يعنى انهم مع اتفاقهم على مخالفتك مختلفون فى شأن القبلة لا يرجي اتفاقهم كما لا ترجى موافقتهم لك وذلك ان اليهود تستقبل بيت المقدس والنصارى مطلع الشمس اخبر عز وجل عن تصلب كل حزب فيما هو فيه وثباته عليه فالمحق منهم لا يزل عن مذهبه لتمسكه بالبرهان والمبطل لا يقلع عن باطله لشدة شكيمته فى عناده * وقوله (ولئن اتبعت اهواءهم) بعد الافصاح عن حقيقة حاله المعلومة عنده فى قوله وما انت بتابع قبلتهم كلام وارد على سبيل الفرض والتقدير بمعنى ولئن اتبعهم مثلا بعد وضوح البرهان والاحاطة بحقيقة الامر (انك اذا لمن الظالمين) المرتكبين الظلم الفاحش وفى ذلك لطف للسامعين وزيادة تحذير واستفظاع لحال من يترك الدليل بعد انارته ويتبع الهوى وتهييج والهاب للثبات على الحق (فان قلت) كيف قال وما أنت بتابع

قبلتهم ولهم قبلتان لليهود قبلة وللنصارى قبلة (قلت) كلتا القبلتين باطلة مخالفة لقبلة الحق فكانتا بحكم الاتحاد في البطلان قبلة واحدة (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم معرفة جلية يميزون بينه وبين غيره بالوصف المعين المشخص (كما يعرفون ابناءهم) لا يشتبه عليهم أبناؤهم وابناء غيرهم وعن عمر رضى الله عنه انه سال عبد الله بن سلام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا أعلم به منى بابنى قال ولم قال لاني لست أشك في محمد انه نبي فأما ولدى فلعل والدته خانت فقبل عمر رأسه وجاز الاضمار وان لم يسبق له ذكر لان الكلام يدل عليه ولا يلتبس على السامع ومثل هذا الاضمار فيه تفخيم واشعار بانه لشهرته وكونه علما معلوم بغير اعلام وقيل الضمير للعلم او القرآن او تحويل القبلة وقوله كما يعرفون ابناءهم يشهد للاول وينصره الحديث عن عبد الله بن سلام (فان قلت) لم اختص الابناء (قلت) لان الذكور أشهر واعرف وهم لصحبة الآباء ألزم وبقلوبهم ألصق وقال (فريق منهم) استثناء لمن آمن منهم او لجهالهم الذين قال فيهم ومنهم أميون لا يعلمون الكتاب (الحق من ربك) يحتمل ان يكون الحق خبر مبتدا محذوف اى هو الحق او مبتدا خبره من ربك وفيه وجهان أن تكون اللام للعهد والاشارة الى الحق الذى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم او الى الحق الذى فى قوله ليكتمون الحق اى هذا الذى يكتمونه هو الحق من ربك وان تكون للجنس على معنى الحق من الله لا من غيره يعني ان الحق ما ثبت انه من الله كالذى انت عليه وما لم يثبت انه من الله كالذى عليه اهل الكتاب فهو الباطل (فان قلت) اذا جعلت الحق خبر مبتدا فما محل من ربك (قلت) يجوز ان يكون خبرا بعد خبر وان يكون حالا وقرا على رضى الله عنه الحق من ربك على الابدال من الاول اى يكتمون الحق الحق من ربك (فلا تكونن من الممترين) الشاكين في كتمانهم الحق مع علمهم او فى انه من ربك (ولكل) من اهل الاديان المختلفة (وجهة) قبلة وفى قراءة أبى ولكل قبلة (هو موليها) وجهه فحذف احد المفعولين وقيل هو الله تعالى اى الله موليها اياه وقرئ ولكل وجهة على الاضافة والمعنى وكل وجهة الله موليها فزيدت اللام لتقدم المفعول كقولك لزيد ضربت ولزيد ابوه ضاربه وقرأ ابن عامر هو مولاها اى هو مولى تلك الجهة قد وليها والمعنى لكل أمة قبلة تتوجه اليها منكم ومن غيركم (فاستبقوا) انتم (الخيرات) واستبقوا اليها غيركم من أمر القبلة وغيره ومعنى آخر وهو ان يراد ولكل منكم يا أمة محمد وجهة اى جهة يصلى اليها جنوبية أو شمالية او شرقية او غربية فاستبقوا الخيرات (اينما تكونوا يأت بكم الله جميعا) للجزاء من موافق ومخالف لا تعجزونه ويجوز ان يكون المعنى فاستبقوا الفاضلات من الجهات وهي الجهات المسامتة للكعبة وان اختلفت اينما تكونوا من الجهات المختلفة يأت بكم الله جميعا يجمعكم ويجعل صلواتكم كانها الى جهة واحدة وكانكم تصلون حاضري المسجد الحرام (ومن حيث خرجت) اى ومن اى بلد خرجت للسفر (فول وجهك شطر المسجد الحرام) اذا صليت (وانه) وان هذا المامور به وقرئ (يعملون) بالتاء والياء وهذا التكرير لتاكيد امر القبلة وتشديده لان النسخ من مظان الفتنة والشبهة وتسويل الشيطان والحاجة الى الفصلة بينه وبين البداء فكرر عليهم ليثبتوا ويعزموا ويجدوا ولانه نيط بكل واحد ما لم ينط بالآخر فاختلفت فوائدها (الا الذين ظلموا) استثناء من الناس ومعناه لئلا يكون حجة لاحد من اليهود الا للمعاندين منهم القائلين ما ترك قبلتنا الى الكعبة الا ميلا الى دين قومه وحبا لبلده ولو كان على الحق لزم قبلة الانبياء (فان قلت) اى حجة كانت تكون للمنصفين منهم لو لم يحول حتى احترز من تلك الحجة ولم يبال بحجة المعاندين (قلت) كانوا يقولون ماله لا يحول الى قبلة ابيه ابراهيم كما هو مذكور فى نعته فى التوراة (فان قلت) كيف اطلق اسم الحجة على قول المعاندين (قلت) لانهم يسوقونه سياق الحجة ويجوز أن يكون المعنى لئلا يكون للعرب عليكم حجة واعتراض فى ترككم التوجه الى الكعبة التي هي قبلة ابراهيم واسمعيل أبى العرب الا الذين ظلموا منهم وهم أهل مكة حين يقولون بدا له فرجع الى قبلة آبائه ويوشك ان يرجع الى دينهم وقرأ زيد بن على رضي الله عنهما الا الذين ظلموا منهم على أن الا للتنبيه ووقف على حجة ثم استانف منبها (فلا تخشوهم) فلا تخافوا مطاعنهم فى قبلتكم فانهم لا يضرونكم (واخشوني) فلا تخالفوا أمرى وما رأيته مصلحة لكم * ومتعلق

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولكل وجهة هو موليها فاستبقوا الخيرات أينما تكونوا يأت بكم الله جميعا ان الله على كل شئ قدير ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وانه للحق من ربك وما الله بغافل عما تعملون ومن حيث خرجت فول وجهك شطر المسجد الحرام وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره لئلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا منهم فلا تخشوهم واخشوني ولأتم نعمتي عليكم ولعلكم تهتدون

وللزمخشري عنه جواب آخر سلف بمكانه قوله تعالى يعرفونه كما يعرفون أبناءهم (قال محمود رحمه الله ان قلت لم خص الابناء ولم يقل اولادهم الخ) قال احمد رحمه الله بنى كلامه هذا على ان الاناث لا يدخلون فى لفظ الابناء كما يدخلون فى لفظ الاولاد وليس الامر كذلك بين اللفظان سواء من شمول الاناث ولذلك يدخلن فى لفظ الواقف اذا وقف على بنيه وبنى بنيه كما يدخلن فى لفظ الاولاد هذا مذهب الامام مالك رضي الله عنه

اللام محذوف معناه ولاتمامى النعمة عليكم وارادتى اهتداءكم أمرتكم بذلك او يعطف على علة مقدرة كأنه قيل واخشونى لأوفقكم ولاتم نعمتى عليكم وقيل هو معطوف على لئلا يكون وفى الحديث تمام النعمة دخول الجنة وعن على رضى الله عنه تمام النعمة الموت على الاسلام (كما ارسلنا) اما ان يتعلق بما قبله اى ولاتم نعمتى عليكم فى الآخرة بالثواب كما أنعمنا عليكم فى الدنيا بارسال الرسول أو بما بعده اى كما ذكرتكم بارسال الرسول (فاذكرونى) بالطاعة (أذكركم) بالثواب (واشكروالى) ما أنعمت به عليكم (ولا تكفرون) ولا تجحدوا نعمائي (أموات بل أحياء) هم اموات بل هم أحياء (ولكن لا تشعرون) كيف حالهم فى حياتهم وعن الحسن ان الشهداء احياء عند الله تعرض أرزاقهم على ارواحهم فيصل اليهم الروح والفرح كما تعرض النار على ارواح آل فرعون غدوة وعشيا فيصل اليهم الوجع وعن مجاهد يرزقون ثمر الجنة ويجدون ريحها وليسوا فيها وقالوا يجوز ان يجمع الله من اجزاء الشهيد جملة فيحييها ويوصل اليها النعيم وان كانت فى حجم الذرة وقيل نزلت في شهداء بدر وكانوا أربعة عشر (ولنبلونكم) ولنصيبنكم بذلك اصابة تشبه فعل المختبر لاحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لامر الله وحكمه ام لا (بشيء) بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه (وبشر الصابرين) المسترجعين عند البلاء لان الاسترجاع تسليم واذعان وعن النبي صلى الله عليه وسلم من استرجع عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفا صالحا يرضاه وروى انه طفئ سراج رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل أمصيبة هي قال نعم كل شيء يؤذى المؤمن فهو له مصيبة وانما قال فى قوله بشيء ليؤذن ان كل بلاء اصاب الانسان وان جل ففوقه ما يقل اليه وليخفف عليهم ويريهم ان رحمته معهم فى كل حال لا تزايلهم وانما وعدهم ذلك قبل كونه ليوطنوا عليه نفوسهم * ونقص عطف على شيء او على الخوف بمعنى وشيء من نقص الاموال والخطاب في وبشر لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل من يتأتى منه البشارة وعن الشافعي رحمه الله الخوف خوف الله والجوع صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات والصدقات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات موت الاولاد وعن النبي ﷺ اذا مات ولد العبد قال الله تعالى للملائكة اقبضتم ولد عبدى فيقولون نعم فيقول اقبضتم ثمرة قلبه فيقولون نعم فيقول الله تعالى ماذا قال عبدى فيقولون حمدك واسترجع فيقول الله تعالى ابنوا لعبدى بيتا فى الجنة وسموه بيت الحمد * والصلاة الحنو والتعطف فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة كقوله تعالى رأفة ورحمة رؤف رحيم والمعنى عليهم رأفة بعد رأفة ورحمة اى رحمة (وأولئك هم المهتدون) لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الامر الله * والصفا والمروة علمان للجبلين كالصمان والمقطم * والشعائر جمع شعيرة وهي العلامة اى من أعلام مناسكه ومتعبداته * والحج القصد * والاعتمار الزيارة فغلبا على قصد البيت وزيارته للنسكين المعروفين وهما فى المعانى كالنجم والبيت فى الاعيان * واصل (يطوف) يتطوف فأدغم وقرئ ان يطوف من طاف (فان قلت) كيف قيل انهما من شعائر الله ثم قيل لا جناح عليه ان يطوف بهما (قلت) كان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة وهما صنمان يروى انهما كانا رجلا وامرأة زنيا في الكعبة فمسخا حجرين فوضعا عليهما ليعتبر بهما فلما طالت المدة عبدا من دون الله فكان اهل الجاهلية اذا سعوا مسحوهما فلما جاء الاسلام وكسرت الاوثان كره المسلمون الطواف بينهما لاجل فعل الجاهلية وان لا يكون عليهم جناح فى ذلك فرفع عنهم الجناح واختلف فى السعي فمن قائل هو تطوع بدليل رفع الجناح وما فيه من التخيير بين الفعل والترك كقوله فلا جناح عليهما ان يتراجعا وغير ذلك ولقوله (ومن تطوع خيرا) كقوله فمن تطوع خيرا فهو خير له ويروى ذلك عن انس وابن عباس وابن الزبير وتنصره قراءة ابن مسعود فلا جناح عليه ان لا يطوف بهما وعن ابى حنيفة رحمه الله انه واجب وليس بركن وعلى تاركه دم وعند الاولين لا شيء عليه وعند مالك والشافعي هو ركن لقوله عليه السلام اسعوا فان الله كتب عليكم

صيام شهر رمضان والنقص من الاموال الزكوات ومن الانفس الامراض ومن الثمرات

كما ارسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم مالم تكونوا تعلمون فاذكروني أذكركم واشكروالى ولا تكفرون يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين ولا تقولوا لمن يقتل فى سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الذين اذا اصابتهم مصيبة قالوا انا لله وانا اليه راجعون أولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وأولئك هم المهتدون ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت أو اعتمر فلا جناح عليه ان يطوف بهما ومن تطوع خيرا فان الله شاكر عليم

موت الاولاد) قال احمد وفى تفسيره هذا نظر لان هذا الابتلاء موعود به فى المستقبل مذكور قبل وقوعه توطنا عليه عند الوقوع واما ما من بلية ذكرها الا وقد تقدمت لهم قبل نزول الآية اذ الخوف من الله تعالى لم يزل مشحونا فى قلوب المؤمنين ويبعد ان يعبر عن الصدقة بالنقص وقد عبر عنها الشرع بالزكاة التي هي النمو ضد النقص وورد ما نقص مال من صدقة ويمكن ان يقال هي نقص حسا وانما سميت زكاة باعتبار ما يؤول اليه حال القيام بها من النمو

قال العوض المرجو من كرم الله خلاف فلما ذكرها الله تعالى في سياق الابتلاء الموعود بها عبر عنها بالزكوة تسهيلا لاخراجها على المكلف لانه اذا استشعر العوض من الله تعالى ونمو

السمي وقرئ ومن يطوع بمعنى ومن يتطوع فأدغم وفي قراءة عبدالله ومن يتطوع بخير (ان الذين يكتمون) من احبار اليهود (ما أنزلنا) في التوراة (من البينات) من الآيات الشاهدة على امر محمد صلى الله عليه وسلم (والهدى) والهداية بوصفه الى اتباعه والايمان به (من بعد ما بيناه) ولخصناه (للناس في الكتاب) في التوراة لم ندع فيه موضع اشكال ولا اشتباه على احد منهم فعمدوا الى ذلك المبين الملخص فكتموه ولبسوا على الناس (أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون) الذين يتأتي منهم اللعن عليهم وهم الملائكة والمؤمنون من الثقلين (وأصلحوا) ما افسدوا من احوالهم وتداركوا ما افرط منهم (وبينوا) ما بينه الله في كتابهم فكتموه او بينوا للناس ما احدثوه من توبتهم ليمحوا اسمة الكفر عنهم ويعرفوا بضد ما كانوا يعرفون به ويقتدى بهم غيرهم من المفسدين (ان الذين كفروا) يعني الذين ماتوا من هؤلاء الكاتمين ولم يتوبوا ذكر لعنتهم احياء ثم لعنتهم امواتا * وقرأ الحسن والملائكة والناس اجمعون بالرفع عطفا على محل اسم الله لانه فاعل في التقدير كقولك عجبت من ضرب زيد وعمرو تريد من ان ضرب زيد وعمرو كانه قيل أولئك عليهم ان لعنهم الله والملائكة (فان قلت) ما معنى قوله والناس اجمعين وفي الناس المسلم والكافر (قلت) أراد بالناس من يعتد بلعنه وهم المؤمنون وقيل يوم القيامة يلعن بعضهم بعضا (خالدين فيها) في اللعنة وقيل في النار الا انها اضمرت تفخيما لشانها وتهويلا (ولا هم ينظرون) من الانظار اي لا يمهلون ولا يؤجلون او لا ينتظرون ليعتذروا او لا ينظر اليهم نظر رحمة (اله واحد) فرد في الالهية لا شريك له فيها ولا يصح ان يسمى غيره الها و (لا اله الا هو) تقرير الوحدانية بنفي غيره واثباته (الرحمن الرحيم) المولى لجميع النعم اصولها وفروعها ولا شيء سواه بهذه الصفة فان كل ما سواه اما نعمة واما منعم عليه * وقيل كان للمشركين حول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فلما سمعوا بهذه الآية تعجبوا وقالوا ان كنت صادقا فأت بآية تعرف بها صدقك فنزلت (ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار) واعتقابهما لان كل واحد منهما يعقب الآخر كقوله جعل الليل والنهار خلفة (بما ينفع الناس) بالذي ينفعهم مما يحمل فيها او ينفع الناس * (فان قلت) قوله (وبث فيها) عطف على انزل ام احيا (قلت) الظاهر انه عطف على انزل داخل تحت حكم الصلة لان قوله فأحيا به الارض عطف على انزل فاتصل به وصارا جميعا كالشيء الواحد فكانه قيل وما انزل في الارض من ماء وبث فيها من كل دابة ويجوز عطفه على احيا على معنى فاحيا بالمطر الارض وبث فيها من كل دابة لانهم ينمون بالخصب ويعيشون بالحيا (وتصريف الرياح) في مهابها قبولا ودبورا وجنوبا وشمالا وفي احوالها حارة وباردة وعاصفة ولينة وعقما ولواقح وقيل تارة بالرحمة وتارة بالعذاب (والسحاب المسخر) سخر للرياح تقلبه في الجو بمشيئة الله يمطر حيث شاء (لآيات لقوم يعقلون) ينظرون بعيون عقولهم ويعتبرون لانها دلائل على عظيم القدرة وباهر الحكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ويل لمن قرأ هذه الآية فمج بها اي لم يتفكر فيها ولم يعتبر بها وقرئ والفلك بضمتين وتصريف الريح على الافراد (أندادا) امثالا من الاصنام وقيل من الرؤساء الذين كانوا يتبعونهم ويطيعونهم وينزلون على أوامرهم ونواهيهم واستدل بقوله اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا * ومعنى (يحبونهم) يعظمونهم ويخضعون لهم تعظيم المحبوب (كحب الله) كتعظيم الله والخضوع له اي كما يحب الله تعالى على انه مصدر من المبني للمفعول وانما استغنى عن ذكر من يحبه لانه غير ملبس وقيل كحبهم الله اي يسوون بينه وبينهم في محبتهم لانهم كانوا يقرون بالله ويتقربون اليه فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين (اشد حبا لله) لانهم لا يعدلون عنه الى غيره بخلاف المشركين فانهم يعدلون عن اندادهم الى الله عند الشدائد فيفزعون اليه ويخضعون له ويجعلونهم وسائط بينهم وبينه فيقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله ويعبدون الصنم زمانا ثم يرفضونه الى غيره او يأكلونه كما أكلت باهلة الههامن حيس عام المجاعة (الذين ظلموا) اشارة الى متخذي الانداد اي ولو يعلم هؤلاء الذين ارتكبوا الظلم العظيم بشركهم ان القدرة كلها لله على كل شيء من العقاب والثواب دون اندادهم ويعلمون شدة عقابه للظالمين اذا عاينوا العذاب يوم القيامة لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة ووقوع العلم بظلمهم وضلالهم فحذف الجواب كما في قوله ولو ترى اذ وقفوا وقولهم لو رأيت فلانا

ان الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون الا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فاولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار أولئك عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون والهكم اله واحد لا اله الا هو الرحمن الرحيم ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيى به الارض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والارض لآيات لقوم يعقلون ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا لله ولو يرى الذين ظلموا اذ يرون العذاب ان القوة لله جميعا وان الله شديد العذاب

ماله بذلك هان عليه بذله وسمحت نفسه لذلك

* قوله تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا الآية (قال محمود رحمه الله يحبونهم كحب الله يعظمونهم والسياط

كما يعظم الله الخ قال احمد فالمصدر على هذا مضاف الى المفعول كالاول ولكن هذا الفاعل مسمى وفعله مبنى للفاعل عند فكه من السبك *قوله تعالى كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم الآية (قال محمود رحمه الله هم ههنا بمنزلتها فى قوله هم يفرشون الخ) قال احمد رحمه الله أشد ما اخفى فى هذه الكلمات معتقد أورب صدره كلمات فهو ينفس عن نفسه خناق الكتمان بما ينفثه منه فى بعض الاحيان وكشف ذلك ان يقال لما استشعر دلالة الآية لأهل السنة على انه لا يخلد فى النار الا الكافر وأما العاصى وان أصر على الكبائر فتوحيده يخرجه منها ولا بد وفاء بالوعد ووجه الدلالة منها على ذلك انه صدر الجملة بضمير مبتدأ ومثل هذا النظم يقتضى الاختصاص والحصر لغة وستمر للزمخشرى مواضع يستدل فيها على الحصر بذلك فقد قال فى قوله تعالى أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون ان معناه لا ينشر الاهم وان المنكر عليهم ما يلزمهم من حصر الالوهية فيهم وكذلك يقول فى امثال قوله وهم بالآخرة هم يوقنون ان معناه الحصر انه لا يوقن بالآخرة الاهم فاذا ابتنى الامر على ذلك لزم حصر نفي الخروج من النار فى هؤلاء الكفار دون غيرهم من الموحدين لكن الزمخشري يابى ذلك فيعمل الحال من معارضة هذه الفائدة بفائدة تتم له على القاعدة فيجعل الضمير المذكور فيها تأكيد نسبة الخلود اليهم لا اختصاصه بهم وهم عنده بهذه المثابة لان العصاة وان خلدوا على زعمه الا ان الكفار أحق بالخلود وأدخل فى استحقاقه منهم فسبحان من امتحنه بهذه المحنة على حذقه وفطنته والله ولى التوفيق

اذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لو ان لنا كرة فنتبرأ منهم كما تبرأوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار يا أيها الناس كلوا مما فى الارض حلالا طيبا ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين انما يامركم بالسوء والفحشاء وان تقولوا على الله مالا تعلمون واذا قيل لهم اتبعوا ما انزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ ولا يهتدون ومثل الذين كفروا كمثل الذى ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء

والسياط تأخذه وقرئ ولو ترى بالتاء على خطاب الرسول او كل مخاطب أى ولو ترى ذلك لرأيت امرا عظيما * وقرئ اذ يرون على البناء للمفعول واذ فى المستقبل كقوله ونادى اصحاب الجنة (اذ تبرأ) بدل من اذ يرون العذاب أي تبرأ المتبوعون وهم الرؤساء من الاتباع *وقرأ مجاهد الاول على البناء للفاعل والثانى على البناء للمفعول اى تبرأ الاتباع من الرؤساء (ورأوا العذاب) الواو للحال أى تبرؤا فى حال رؤيتهم العذاب (وتقطعت) عطف على تبرأ (الاسباب) الوصل التى كانت بينهم من الاتفاق على دين واحد ومن الانساب والمحاب والاتباع والاستتباع كقوله لقد تقطع بينكم (لو) فى معنى التمنى ولذلك أجيب بالفاء الذى يجاب به التمنى كانه قيل ليت لنا كرة فنتبرأ منهم (كذلك) مثل ذلك الاراء الفظيع (يريهم الله اعمالهم حسرات) أى ندامات وحسرات ثالث مفاعيل أرى ومعناه ان اعمالهم تنقلب حسرات عليهم فلا يرون الا حسرات مكان اعمالهم (وماهم بخارجين) هم بمنزلته فى قوله * هم يفرشون اللبد كل طمرة * فى دلالته على قوة امرهم فيما أسند اليهم لا على الاختصاص (حلالا) مفعول كلوا أو حال مما فى الارض (طيبا) طاهرا من كل شبهة (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فتدخلوا فى حرام أو شبهة أو تحريم حلال أو تحليل حرام ومن للتبعيض لان كل ما فى الارض ليس بمأكول * وقرئ خطوات بضمتين وخطوات بضمة وسكون وخطؤات بضمتين وهمزة جعلت الضمة على الطاء كأنها على الواو وخطوات بفتحتين وخطوات بفتحة وسكون والخطوة المرة من الخطو والخطوة ما بين قدمى الخاطى وهما كالغرفة والغرفة والقبضة والقبضة يقال اتبع خطواته ووطئ على عقبه اذا اقتدى به واستن بسنته (مبين) ظاهر العداوة لا خفاء به (انما يأمركم) بيان لوجوب الانتهاء عن اتباعه وظهور عداوته أى لا يأمركم بخير قط انما يأمركم (بالسوء) بالقبيح (والفحشاء) وما يتجاوز الحد فى القبح من العظائم وقيل السوء مالا حد فيه والفحشاء ما يجب الحد فيه (وان تقولوا على الله مالا تعلمون) وهو قولكم هذا حلال وهذا حرام بغير علم ويدخل فيه كل ما يضاف الى الله تعالى مما لا يجوز عليه (فان قلت) كيف كان الشيطان آمرا مع قوله ليس لك عليهم سلطان (قلت) شبه تزيينه وبعثه على الشر بامر الآمر كما تقول أمرتنى نفسى بكذا وتحته رمز الى انكم منه بمنزلة المامورين لطاعتكم له وقبولكم وساوسه ولذلك قال ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله وقال الله تعالى ان النفس لأمارة بالسوء لما كان الانسان يطيعها فيعطيها ما اشتهت (لهم) الضمير للناس وعدل بالخطاب عنهم على طريقة الالتفات للنداء على ضلالهم لانه لا ضال اضل من المقلد كأنه يقول للعقلاء انظروا الى هؤلاء الحمقى ماذا يقولون قيل هم المشركون وقيل هم طائفة من اليهود دعاهم رسول الله ﷺ الى الاسلام فقالوا (بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا) فانهم كانوا خيرا منا واعلم وألفينا بمعنى وجدنا بدليل قوله بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا (اولو كان آباؤهم) الواو للحال والهمزة بمعنى الرد والتعجيب معناه أيتبعونهم ولو كان آباؤهم لا يعقلون شيأ من الدين ولا يهتدون للصواب *لا بد من مضاف محذوف تقديره ومثل داعي الذين كفروا (كمثل الذى ينعق) أو ومثل الذين كفروا كبهائم الذى ينعق والمعنى ومثل داعيهم الى الايمان فى انهم لا يسمعون من الدعاء الا جرس النغمة ودوى الصوت من غير القاء اذهان ولا استبصار كمثل الناعق بالبهائم التى لا تسمع الا دعاء الناعق ونداءه الذى هو تصويت بها وزجرها ولا تفقه شيأ آخر ولا تعي كما يفهم العقلاء ويعون ويجوز ان يراد بما لا يسمع

قوله تعالى ليس البر ان تولوا وجوهكم الآية (قال محمود رحمه الله الخطاب فيه لليهود والنصارى الخ) قال احمد رحمه الله هذا منقول عن المبرد

مصمي بسهام الردفان فيه ايهاما بان اختلاف وجوه القراءة موكول الى الاجتهاد وانه مهما اقتضاه قياس اللغة جازت القراءة به لمن بعد أهلا للاجتهاد في العربية واللغة وهذا خطأ محض

صم بكم عمي فهم لا يعقلون يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم ان الذين يكتمون ما انزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار ذلك بان الله نزل الكتاب بالحق وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب

الاصم الاصلخ الذي لا يسمع من كلام الرافع صوته بكلامه الا النداء والتصويت لا غير من غير فهم للحروف وقيل معناه ومثلهم في اتباعهم آباءهم وتقليدهم لهم كمثل البهائم التي لا تسمع الا ظاهر الصوت ولا تفهم ما تحته فكذلك هؤلاء يتبعونهم على ظاهر حالهم ولا يفقهون أهم على حق أم باطل وقيل معناه ومثلهم في دعائهم الاصنام كمثل الناعق بما لا يسمع الا ان قوله الا دعاء ونداء لا يساعد عليه لان الاصنام لا تسمع شيأ * والنعيق التصويت يقال نعق المؤذن ونعق الراعي بالضأن قال الاخطل

فانعق بضأنك يا جرير فانما * منتك نفسك في الخلاء ضلالا

واما نغق الغراب فبالغين المعجمة (صم) هم صم وهو رفع على الذم (من طيبات ما رزقناكم) من مستلذاته لان كل ما رزقه الله لا يكون الا حلالا (واشكروا الله) الذي رزقكموها (ان كنتم اياه تعبدون) ان صح انكم تخصونه بالعبادة وتقرون انه مولى النعم وعن النبي ﷺ يقول الله تعالى اني والجن والانس في نبأ عظيم أخلق ويعبد غيري وارزق ويشكر غيري * قرئ حرم على البناء للفاعل وحرم على البناء للمفعول وحرم بوزن كرم (أهل به لغير الله) أي رفع به الصوت للصنم وذلك قول اهل الجاهلية باسم اللات والعزى (غير باغ) على مضطر آخر بالاستيثار عليه (ولا عاد) سد الجوعة (فان قلت) في الميتات ما يحل وهو السمك والجراد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أحلت لنا ميتتان ودمان (قلت) قصد ما يتفاهمه الناس ويتعارفونه في العادة الا ترى ان القائل اذا قال أكل فلان ميتة لم يسبق الوهم الى السمك والجراد كما لو قال أكل دما لم يسبق الى الكبد والطحال ولاعتبار العادة والتعارف قالوا من حلف لا يأكل لحما فأكل سمكا لم يحنث وان أكل لحما في الحقيقة قال الله تعالى لتأكلوا منه لحما طريا وشبهوه بمن حلف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث وان سماه الله تعالى دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا (فان قلت) فما له ذكر لحم الخنزير دون شحمه (قلت) لان الشحم داخل في ذكر اللحم لكونه تابعا له وصفة فيه بدليل قولهم لحم سمين يريدون أنه شحيم (في بطونهم) ملء بطونهم يقال أكل فلان في بطنه وأكل في بعض بطنه (الا النار) لانه اذا أكل ما يتلبس بالنار لكونها عقوبة عليه فكأنه أكل النار ومنه قولهم أكل فلان الدم اذا أكل الدية التي هي بدل منه قال

* أكلت دما ان لم أرعك بضرة * وقال * يأكلن كل ليلة اكافا * أراد ثمن الاكاف فسماه اكافا لتلبسه بكونه ثمنا له (ولا يكلمهم الله) تعريض بحرمانهم حال اهل الجنة في تكرمة الله اياهم بكلامه وتزكيتهم بالثناء عليهم وقيل نفي الكلام عبارة عن غضبه عليهم كمن غضب على صاحبه فصرمه وقطع كلامه وقيل لا يكلمهم بما يحبون ولكن بنحو قوله اخسؤا فيها ولا تكلمون (فما أصبرهم على النار) تعجب من حالهم في التباسهم بموجبات النار من غير مبالاة منهم كما تقول لمن يتعرض لما يوجب غضب السلطان ما أصبرك على القيد والسجن تريد انه لا يتعرض لذلك الا من هو شديد الصبر على العذاب وقيل فما أصبرهم فأي شيء صبرهم يقال أصبره على كذا وصبره بمعنى وهذا أصل معنى فعل التعجب والذي روي عن الكسائي أنه قال قال لي قاضي اليمن بمكة اختصم الى رجلان من العرب فحلف أحدهما على حق صاحبه فقال له ما أصبرك على الله فمعناه ما أصبرك على عذاب الله (ذلك بان الله نزل) اي ذلك العذاب بسبب ان الله نزل ما نزل من الكتب بالحق (وان الذين اختلفوا) في كتب الله فقالوا في بعضها حق وفي بعضها باطل وهم أهل الكتاب (لفي شقاق) لفي خلاف (بعيد) عن الحق والكتاب للجنس أو كفرهم ذلك بسبب ان الله نزل القرآن بالحق كما يعلمون وان الذين اختلفوا فيه من المشركين فقال بعضهم سحر وبعضهم شعر وبعضهم أساطير لفي شقاق بعيد يعني ان أولئك لو لم يختلفوا ولم يشاقوا لما جسر هؤلاء ان يكفروا (البر) اسم للخير ولكل فعل مرضي (ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب) الخطاب لاهل الكتاب لان اليهود تصلي قبل المغرب الى بيت المقدس والنصارى قبل المشرق وذلك انهم

اكثروا

فالقراآت سنة متبعة لا مجال فيها للدراية على ان ماقاله وقدرانه الاوجه ليس ببالغ ذروة فصاحة الآية الا على القراآت المستفيضة لان الكلام مصدر بذكر البر الذي هو المصدر قولا واحدا فلو عدل الى ذكر البر الذي هو الوصف لا يفك المطابقة ويفي النظام ولذلك كان تاويل الآية بحذف المضاف من الثاني على تاويل لا بر من آمن أوجه وأحسن وأبقى على السياق ومن ظن انه يشق غبارا أو يتعلق باذيال فصاحة المعجز للفصحاء فقد سولت له نفسه محالا ومنته ضلالا

قوله تعالى كتب عليكم القصاص فى القتلى الآية (قال محمود رحمه الله مذهب مالك والشافعى رضي الله عنهما أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثي الخ) قال احمد رحمه الله وهذا من الزمخشرى وهم على الامامين فانهما يقتصان من الذكر للانثى بلا خلاف عنهما وأما الحر والعبد عندهما هو الذى وهم الزمخشرى عنهما * قوله تعالى فمن عفى له من أخيه شيء (قال محمود رحمه الله معنى الآية فمن عفى له من جهة أخيه الخ) قال أحمد رحمه الله ويقوى هذا التأويل القول بان موجب العمد أحد الامرين من القصاص أو الدية والخيار الى الولى وهو احد القولين فى مذهب مالك رضي الله عنه ومشهورهما اذ لو جعلنا موجب العمد القود على القول الآخر لكان في ذلك تضيق على الولى والآية مشعرة بالتخفيف والسعة وتحتمل الآية وجها آخر وهو عود الضميرين جميعا الى الولى وقالوا على هذا الوجه يكون العفو اعطاء البدل كانه قال فمن أعطى شيئا من أخيه أى بدلا من أخيه ويكون من مثلها في قوله تعالى ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الارض يخلفون ونظيره فى استعمال العفو فى العطاء عندى قوله تعالى الا أن يعفون أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح اذا حمل الذى بيده العقدة على الزوج وهو مذهب الشافعى رضي الله عنه ويقول اصحابه عفوه على احد وجهين اما فى استرجاع النصف الواجب ان كان قد سلم جميع المهر واما على دفع النصف الآخر الذى سقط عنه ان كان لم يسلمه فيكون العفو على هذا مستعملا

ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكوة والموفون بعهدهم اذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء

أكثروا الخوض فى امر القبلة حين حول رسول الله صلي الله عليه وسلم الى الكعبة وزعم كل واحد من الفريقين ان البر التوجه الى قبلته فرد عليهم وقيل ليس البر فيما انتم عليه فانه منسوخ خارج من البر ولكن البر ما نبينه وقيل كثر خوض المسلمين وأهل الكتاب فى امر القبلة فقيل ليس البر العظيم الذى يجب ان تذهلوا بشأنه عن سائر صنوف البر امر القبلة ولكن البر الذى يجب الاهتمام به وصرف الهمة بر من آمن وقام بهذه الاعمال وقرئ وليس البر بالنصب على انه خبر مقدم وقرأ عبد الله بان تولوا على ادخال الباء على الخبر للتأكيد كقولك ليس المنطلق بزيد (ولكن البر من آمن بالله) على تأويل حذف المضاف أى بر من آمن او يتأول البر بمعنى ذى البر او كما قالت * فانما هى اقبال وادبار * وعن المبرد لو كنت ممن يقرأ القرآن لقرأت ولكن البر بفتح الباء وقرئ ولكن البار وقرأ ابن عامر ونافع ولكن البر بالتخفيف (والكتاب) جنس كتب الله او القرآن (على حبه) مع حب المال والشح به كما قال ابن مسعود ان تؤتيه وانت صحيح شحيح تأمل العيش وتخشى الفقر ولا تمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت لفلان كذا ولفلان كذا وقيل على حب الله وقيل على حب الايتاء يريد ان يعطيه وهو طيب النفس باعطائه * وقدم ذوى القربى لانهم احق قال عليه الصلاة والسلام صدقتك على المسكين صدقة وعلى ذى رحمك اثنتان لانها صدقة وصلة وقال عليه الصلاة والسلام افضل الصدقة على ذى الرحم الكاشح واطلق (ذوى القربى واليتامى) والمراد الفقراء منهم لعدم الالباس والمسكين الدائم السكون الى الناس لانه لاشيء له كالمسكير للدائم السكر (وابن السبيل) المسافر المنقطع وجعل ابناء للسبيل لملازمته له كما يقال للص القاطع ابن الطريق وقيل هو الضيف لان السبيل يرعف به (والسائلين) المستطعمين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للسائل حق وان جاء على ظهر فرسه (وفى الرقاب) وفى معاونة المكاتبين حتى يفكوا رقابهم وقيل فى ابتياع الرقاب واعتاقها وقيل فى فك الاسارى * (فان قلت) قد ذكر ايتاء المال في هذه الوجوه ثم قفاه بايتاء الزكاة فهل دل ذلك على أن فى المال حقا سوى الزكاة (قلت) يحتمل ذلك وعن الشعبي أن فى المال حقا سوى الزكاة وتلا هذه الآية ويحتمل أن يكون ذلك بيان مصارف الزكاة أو يكون حثا على نوافل الصدقات والمبار وفي الحديث نسخت الزكاة كل صدقة يعنى وجوبها وروى ليس فى المال حق سوى الزكاة (والموفون) عطف على من آمن * وأخرج (الصابرين) منصوبا على الاختصاص والمدح اظهارا لفضل الصبر فى الشدائد ومواطن القتال على سائر الاعمال وقرئ والصابرون وقرئ والموفين والصابرين و (البأساء) الفقر والشدة (والضراء) المرض والزمانة (صدقوا) كانوا صادقين جادين فى الدين * عن عمر بن عبد العزيز والحسن البصرى وعطاء وعكرمة وهو مذهب مالك والشافعى رحمة الله عليهم أن الحر لا يقتل بالعبد والذكر لا يقتل بالانثى أخذا بهذه الآية ويقولون هي مفسرة لما أبهم فى قوله النفس بالنفس ولان تلك واردة لحكاية ما كتب فى التوراة على أهلها وهذه خوطب بها المسلمون وكتب عليهم ما فيها وعن سعيد بن المسيب والشعبي والنخعي وقتادة والثورى وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه أنها منسوخة بقوله النفس بالنفس والقصاص ثابت بين العبد والحر والذكر والانثى ويستدلون بقوله صلى الله عليه وسلم المسلمون تتكافأ دماؤهم وبان التفاضل غير معتبر فى الانفس بدليل أن جماعة لو قتلوا واحدا اقتلوا به وروى انه كان بين حيين من احياء العرب دماء فى الجاهلية وكان لاحدهما طول على الآخر فاقسموا لنقتلن الحر منكم بالعبد منا والذكر بالانثى والاثنين بالواحد فتحاكموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جاء الله بالاسلام فنزلت وأمرهم ان يتباوؤا (فمن عفى له من اخيه شيء) معناه فمن عفى

له من جهة اخيه شيء من العفو على انه كقولك سير بزيد بعض السير وطائفة من السير ولا يصح ان يكون شيء في معنى المفعول به لان عفا لا يتعدى الى مفعول به الا بواسطة * واخوه هو ولى المقتول وقيل له اخوه لانه لابسه من قبل انه ولى الدم ومطالبه به كما تقول الرجل قل لصاحبك كذا لمن بينه و بينه أدنى ملابسة اوذكره بلفظ الاخوة ليعطف احدهما على صاحبه بذكر ماهو ثابت بينهما من الجنسية والاسلام (فان قلت) ان عفى يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عفى له (قلت) يتعدى بعن الى الجانى والى الذنب فيقال عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى عفا الله عنك وقال عفا الله عنها فاذا تعدى الى الذنب والجانى معا قيل عفوت لفلان عما جنى كما تقول غفرت له ذنبه وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما فى الآية كانه قيل فمن عفى له عن جنايته فاستغنى عن ذكر الجناية (فان قلت) هلا فسرت عفى بترك حتى يكون شيء فى معنى المفعول به (قلت) لان عفا الشيء بمعنى تركه ليس بثبت ولكن أعفاه ومنه قوله عليه الصلاة والسلام وأعفوا اللحى (فان قلت) فقد ثبت قولهم عفا أثره اذا محاه وازاله فهلا جعلت معناه فمن محى له من أخيه شيء (قلت) عبارة قلقة فى مكانها والعفو فى باب الجنايات عبارة متداولة مشهورة فى الكتاب والسنة واستعمال الناس فلا يعدل عنها الى أخرى قلقة نابية عن مكانها وترى كثيرا ممن يتعاطى هذا العلم يجترئ اذا أعضل عليه تخريج وجه المشكل من كلام الله على اختراع لغة وادعاء على العرب مالا تعرفه وهذه جرأة يستعاذ بالله منها (فان قلت) لم قيل شيء من العفو (قلت) للاشعار بانه اذا عفى له طرف من العفو وبعض منه بان يعفى عن بعض الدم أو عفا عنه بعض الورثة تم العفو وسقط القصاص ولم تجب الا الدية (فاتباع بالمعروف) فليكن اتباع أو فالامر اتباع وهذه توصية للمعفو عنه والعافى جميعا يعنى فليتبع الولى القاتل بالمعروف بان لا يعنف به ولا يطالبه الا مطالبة جميلة وليؤد اليه القاتل بدل الدم أداء باحسان بان لا يمطله ولا يبخسه (ذلك) الحكم المذكور من العفو والدية (تخفيف من ربكم ورحمة) لان أهل التوراة كتب عليهم القصاص البتة وحرم العفو وأخذ الدية وعلى أهل الانجيل العفو وحرم القصاص والدية وخيرت هذه الامة بين الثلاث القصاص والدية والعفو توسعة عليهم وتيسيرا (فمن اعتدى بعد ذلك) التخفيف فتجاوز ما شرع له من قتل غير القاتل أو القتل بعد اخذ الدية فقد كان الولى فى الجاهلية يؤمن القاتل بقبوله الدية ثم يظفر به فيقتله (فله عذاب اليم) نوع من العذاب شديد الالم فى الآخرة وعن قتادة العذاب الاليم أن يقتل لامحالة ولا يقبل منه دية لقوله عليه السلام لا أعافى احدا قتل بعد أخذه الدية (ولكم فى القصاص حيوة) كلام فصيح لما فيه من الغرابة وهو أن القصاص قتل وتفويت للحياة وقد جعل مكانا وظرفا للحياة ومن اصابة محز البلاغة بتعريف القصاص وتنكير الحياة لان المعنى ولكم فى هذا الجنس من الحكم الذى هو القصاص حياة عظيمة وذلك أنهم كانوا يقتلون بالواحد الجماعة وكم قتل مهلهل باخيه كليب حتى كاد يفنى بكر بن وائل وكان يقتل بالمقتول غير قاتله فتثور الفتنة ويقع بينهم التناحر فلما جاء الاسلام بشرع القصاص كانت فيه حياة أى حياة او نوع من الحياة وهي الحياة الحاصلة بالارتداع عن القتل لوقوع العلم بالاقتصاص من القاتل لانه اذا هم بالقتل فعلم أنه يقتص منه فارتدع سلم صاحبه من القتل وسلم هو من القود فكان القصاص سبب حياة نفسين وقرأ ابو الجوزاء ولكم فى القصص حياة اى فيما قص عليكم من حكم القتل والقصاص وقيل القصص القرآن اى ولكم فى القرآن حياة للقلوب كقوله تعالى روحا من أمرنا ويحيي من حي عن بينة (لعلكم تتقون) اى أريتكم ما فى القصاص من استبقاء الارواح وحفظ النفوس لعلكم تتقون تعملون عمل أهل التقوى فى المحافظة على القصاص والحكم به وهو خطاب له فضل اختصاص بالائمة (اذا حضر أحدكم الموت) اذا دنا منه وظهرت اماراته (خيرا) مالا كثيرا عن عائشة رضي الله عنها ان رجلا أراد الوصية وله عيال وأربعمائة دينار فقالت ما ارى فيه فضلا واراد آخر أن يوصي فسألته كم مالك فقال

فاتباع بالمعروف واداء اليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب اليم ولكم فى القصاص حياة ياأولى الالباب لعلكم تتقون كتب عليكم اذا حضر احدكم الموت ان ترك خيرا

فى الاعطاء ويقوى هذا الوجه فى انه لا قصاص قوله فاتباع بالمعروف لان المخاطب بالاتباع بالمعروف انما هو الولى فاذا جعلنا الضميرين له انساق الكلام سياقة واحدة الى جهة واحدة وصار المعنى فمن أعطى من الاولياء بدلا من اخيه فليتبع بالمعروف في طلب ما اعطي ولما خاطب الولى عن التقاضى خاطب القاتل بحسن الاداء فلينتظم الكلام موجها الى وجهة واحدة واما على الوجه الذى قرره الزمخشرى فالضميران جميعا راجعان الى القاتل وتقدير الكلام فمن عفى له من القاتلين عن جنايته شيء من العفو فليتبع الولى هذا القاتل المعفو عنه بالمعروف فيكون المخاطب اول الآية القاتل وآخرها الولى بخلاف الوجه الذى قررته والله اعلم وكلا الوجهين حسن جيد * قوله تعالى ولكم فى القصاص حياة (قال محمود رحمه الله كلام صحيح لما فيه من الغرابة الخ) قال احمد رحمه الله قوله جعل احد الضدين محلا للآخر كلام اما وهم فيه او تسامح لان شرط تضاد الحياة والموت اجتماعهما في محل واحد تقديرا ولا تضاد بين حياة غير المقتص منه وموت المقتص والبلاغة التي اوضحها فى الآية بينة بدون هذا الاطلاق

ثلاثة آلاف قالت كم عيالك قال أربعة قالت انما قال الله ان ترك خيرا وان هذا الشيء يسير فاتركه لعيالك وعن علي رضي الله عنه ان مولى له اراد ان يوصي وله سبعمائة فمنعه وقال قال الله تعالى ان ترك خيرا والخير هو المال وليس لك مال والوصية فاعل كتب وذكر فعلها للفاصل ولانها بمعنى ان يوصي ولذلك ذكر الراجع في قوله فمن بدله بعد ما سمعه والوصية للوارث كانت في بدء الاسلام فنسخت بآية المواريث وبقوله عليه السلام ان الله اعطى كل ذي حق حقه ألا لا وصية لوارث وبتلقي الامة اياه بالقبول حتى لحق بالمتواتر وان كان من الآحاد لانهم لا يتلقون بالقبول الا الثبت الذي صحت روايته وقيل لم تنسخ والوارث يجمع له بين الوصية والميراث بحكم الآيتين وقيل ما هي بمخالفة لآية المواريث ومعناها كتب عليكم ما أوصى به الله من توريث الوالدين والاقربين من قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم او كتب على المحتضر ان يوصي الوالدين والاقربين بتوفير ما اوصى به الله لهم عليهم وان لا ينقص من انصبائهم (بالمعروف) بالعدل وهو ان لا يوصي للغني ويدع الفقير ولا يتجاوز الثلث (حقا) مصدر مؤكد أي حق ذلك حقا (فمن بدله) فمن غير الايصاء عن وجهه ان كان موافقا للشرع من الاوصياء والشهود (بعد ما سمعه) وتحققه (فانما اثمه على الذين يبدلونه) فما اثم الايصاء المغير او التبديل الا على مبدليه دون غيرهم من الموصي والموصى له لانهما بريان من الحيف (ان الله سميع عليم) وعيد المبدل (فمن خاف) فمن توقع وعلم وهذا في كلامهم شائع يقولون اخاف ان ترسل السماء يريدون التوقع والظن الغالب الجاري مجرى العلم (جنفا) ميلا عن الحق بالخطأ في الوصية (أو اثما) او تعمدا للحيف (فأصلح بينهم) بين الموصى لهم وهم الوالدان والاقربون باجرائهم على طريق الشرع (فلا اثم عليه) حينئذ لان تبديله تبديل باطل الى حق ذكر من يبدل بالباطل ثم من يبدل بالحق ليعلم ان كل تبديل لا يؤثم (كما كتب على الذين من قبلكم) على الانبياء والامم من لدن آدم الى عهدكم قال علي رضي الله عنه اولهم آدم يعني ان الصوم عبادة قديمة اصلية ما أخلى الله أمة من افتراضها عليهم لم يفرضها عليكم وحدكم (لعلكم تتقون) بالمحافظة عليها وتعظيمها لاصالتها وقدمها أو لعلكم تتقون المعاصي لان الصائم اظلف لنفسه واردع لها من مواقعة السوء قال عليه السلام فعليه بالصوم فان الصوم له وجاء او لعلكم تنتظمون في زمرة المتقين لان الصوم شعارهم وقيل معناه انه كصومهم في عدد الايام وهو شهر رمضان كتب على اهل الانجيل فاصابهم موتان فزادوا عشرا قبله وعشرا بعده فجعلوه خمسين يوما وقيل كان وقوعه في البرد الشديد والحر الشديد فشق عليهم في اسفارهم ومعايشهم فجعلوه بين الشتاء والربيع وزادوا عشرين يوما كفارة لتحويله عن وقته * وقيل الايام المعدودات عاشوراء وثلاثة ايام من كل شهر كتب على رسول الله صلى الله عليه وسلم صيامها حين هاجر ثم نسخت بشهر رمضان وقيل كتب عليكم كما كتب عليهم ان يتقوا المفطر بعد ان يصلوا العشاء وبعد ان يناموا ثم نسخ ذلك بقوله احل لكم ليلة الصيام الآية * ومعنى (معدودات) موقتات بعدد معلوم او قلائل كقوله دراهم معدودة واصله ان المال القليل يقدر بالعدد ويتحكر فيه والكثير يهال هيلا ويحثى حثيا وانتصاب اياما بالصيام كقولك نويت الخروج يوم الجمعة (أو على سفر) او راكب سفر (فعدة) فعليه عدة وقرئ بالنصب بمعنى فليصم عدة وهذا على سبيل الرخصة وقيل مكتوب عليهما ان يفطرا ويصوما عدة (من أيام أخر) واختلف في المرض المبيح للافطار فمن قائل كل مرض لان الله تعالى لم يخص مرضا دون مرض كما لم يخص سفرا دون سفر فكما ان لكل مسافر ان يفطر فكذلك كل مريض وعن ابن سيرين انه دخل عليه في رمضان وهو يأكل فاعتل بوجع اصبعه وسئل مالك عن الرجل يصيبه الرمد الشديد او الصداع المضر وليس به مرض يضجعه فقال انه في سعة من الافطار وقائل هو المرض الذي يعسر معه الصوم ويزيد فيه لقوله تعالى يريد الله بكم اليسر وعن الشافعي لا يفطر حتى يجهده الجهد غير المحتمل واختلف ايضا في القضاء فعامة العلماء على التخيير وعن ابي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه ان الله لم يرخص لكم في فطره وهو يريد ان يشق عليكم في قضائه ان شئت فواتر وان شئت ففرق وعن علي وابن عمر والشعبي وغيرهم أنه يقضي كما فات متتابعا وفي قراءة أبي فعدة من أيام آخر متتابعات (فان قلت) فكيف قيل فعدة على التنكير ولم يقل فعدتها أي فعدة الايام المعدودات (قلت) لما

الوصية للوالدين والاقربين بالمعروف حقا على المتقين فمن بدله بعد ما سمعه فانما اثمه على الذين يبدلونه ان الله سميع عليم فمن خاف من موص جنفا او اثما فاصلح بينهم فلا اثم عليه ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون اياما معدودات فمن كان منكم مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر

قيل فعدة والعدة بمعنى المعدود فامر بان يصوم أياما معدودة مكانها علم أنه لا يؤثر عدد على عددها فأغنى ذلك
عن التعريف بالاضافة (وعلى الذين يطيقونه) وعلى المطيقين للصيام الذين لا عذر بهم ان أفطروا (فدية
طعام مسكين) نصف صاع من بر أو صاع من غيره عند أهل العراق وعند أهل الحجاز مد وكان ذلك فى بدء
الاسلام فرض عليهم الصوم ولم يتعودوه فاشتد عليهم فرخص لهم في الافطار والفدية وقرأ ابن عباس
يطوقونه تفعيل من الطوق اما بمعنى الطاقة أو القلادة أى يكلفونه أو يقلدونه ويقال لهم صوموا وعنه
يتطوقونه بمعنى يتكلفونه أو يتقلدونه ويطوقونه بادغام التاء فى الطاء ويطيقونه ويطيقونه بمعنى يتطوقونه
وأصلها يطيوقونه ويتطيوقونه على أنهما من فيعل وتفيعل من الطوق فادغمت الياء في الواو بعد قلبها ياء
كقولهم تدير المكان وما بها ديار وفيه وجهان أحدهما نحو معنى يطيقونه والثانى يكلفونه أو يتكلفونه على
جهد منهم وعسر وهم الشيوخ والعجائز وحكم هؤلاء الافطار والفدية وهو على هذا الوجه ثابت غير منسوخ
ويجوز أن يكون هذا معنى يطيقونه اى يصومونه جهدهم وطاقتهم ومبلغ وسعهم (فمن تطوع خيرا) فزاد
على مقدار الفدية (فهو خير له) فالتطوع اخير له او الخير وقرئ فمن يطوع بمعنى يتطوع (وان تصوموا)
ايها المطيقون او المطوقون وحملتم على انفسكم وجهدتم طاقتكم (خير لكم) من الفدية وتطوع الخير ويجوز
ان ينتظم فى الخطاب المريض والمسافر ايضا وفى قراءة أبي والصيام خير لكم * الرمضان مصدر رمض
اذا احترق من الرمضاء فاضيف اليه الشهر وجعل علما ومنع الصرف للتعريف والالف والنون كما قيل ابن
داية للغراب باضافة الابن الى داية البعير لكثرة وقوعه عليها اذا دبرت (فان قلت) لم سمى (شهر رمضان)
(قلت) الصوم فيه عبادة قديمة فكأنهم سموه بذلك لارتماضهم فيه من حر الجوع ومقاساة شدته كما سموه ناتقا
لانه كان ينتقهم اى يزعجهم اضجارا بشدته عليهم وقيل لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها
بالازمنة التى وقعت فيها فوافق هذا الشهر ايام رمض الحر (فان قلت) فاذا كانت التسمية واقعة مع المضاف
والمضاف اليه جميعا فما وجه ما جاء فى الاحاديث من نحو قوله عليه الصلاة والسلام من قال صام رمضان ايمانا
واحتسابا من ادرك رمضان فلم يغفر له (قلت) هو من باب الحذف لا من الالباس كما قال بما اعيا النطاسي
حذيما اراد ابن حذيم وارتفاعه على انه مبتدأ خبره (الذى أنزل فيه القرآن) او على انه بدل من الصيام في قوله
كتب عليكم الصيام او على انه خبر مبتدأ محذوف وقرئ بالنصب على صوموا شهر رمضان او على الابدال
من اياما معدودات او على انه مفعول وان تصوموا ومعنى انزل فيه القرآن ابتدئ فيه انزاله وكان ذلك فى ليلة
القدر وقيل انزل جملة الى سماء الدنيا ثم نزل الى الارض نجوما وقيل انزل فى شأنه القرآن وهو قوله كتب عليكم
الصيام كما تقول انزل فى عمر كذا وفى علي كذا وعن النبي عليه السلام نزلت صحف ابراهيم اول ليلة من
رمضان وانزلت التوراة لست مضين والانجيل لثلاث عشرة والقرآن لاربع وعشرين مضين (هدى
للناس وبينات) نصب على الحال اى انزل وهو هداية للناس الى الحق وهو آيات واضحات مكشوفات
مما يهدى الى الحق ويفرق بين الحق والباطل (فان قلت) ما معنى قوله وبينات من الهدى بعد قوله هدى
للناس (قلت) ذكر اولا انه هدى ثم ذكر انه بينات من جملة ما هدى به الله وفرق به بين الحق والباطل من وحيه
وكتبه السماوية الهادية الفارقة بين الهدى والضلال (فمن شهد منكم الشهر فليصمه) فمن كان شاهدا اى حاضرا
مقيما غير مسافر فى الشهر فليصم فيه ولا يفطر والشهر منصوب على الظرف وكذلك الهاء في فليصمه ولا
يكون مفعولا به كقولك شهدت الجمعة لان المقيم والمسافر كلاهما شاهدان للشهر (يريد الله) ان
ييسر عليكم ولا يعسر وقد نفى عنكم الحرج فى الدين وامركم بالحنيفية السمحة التى لا اصر
فيها ومن جملة ذلك ما رخص لكم فيه من اباحة الفطر فى السفر والمرض ومن الناس من
فرض الفطر على المريض والمسافر حتى زعم ان من صام منهما فعليه الاعادة * وقرئ اليسر
والعسر بضمتين * الفعل المعلل محذوف مدلول عليه بما سبق تقديره (ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على
ما هداكم ولعلكم تشكرون) شرع ذلك يعنى جملة ما ذكر من أمر الشاهد بصوم الشهر وأمر المرخص له بمراعاة

وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيرا فهو خير له وان تصوموا خير لكم ان كنتم تعلمون شهر رمضان الذى انزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان فمن شهد منكم الشهر فليصمه ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام أخر يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون

قوله تعالى ولتكملوا العدة الآية (قال محمود رحمه الله الفعل المعلل محذوف تقديره شرع ذلك الخ) قال احمد رحمه الله ولقبه الخاص به في صناعة البديع رد اعجاز الكلام الى صدوره وانقاد حسن الزمخشري في التنقيب عنه فهو منظوم فى سلك حسناته

عدة ما أفطر فيه ومن الترخيص فى اباحة الفطر فقوله لتكملوا علة الامر بمراعاة العدة ولتكبروا علة ما علم من كيفية القضاء والخروج عن عهدة الفطر ولعلكم تشكرون علة الترخيص والتيسير وهذا نوع من اللف لطيف المسلك لا يكاد يهتدي الى تبينه الا النقاب المحدث من علماء البيان وانما عدى فعل التكبير بحرف الاستعلاء لكونه مضمنا معنى الحمد كانه قيل ولتكبروا الله حامدين على ما هداكم ومعنى ولعلكم تشكرون وارادة ان تشكروا * وقرئ ولتكملوا بالتشديد (فان قلت) هل يصح ان يكون ولتكملوا معطوفا على علة مقدرة كأنه قيل لتعلموا ما تعملون ولتكملوا العدة أو على اليسر كانه قيل يريد الله بكم اليسر ويريد بكم لتكملوا كقوله يريدون ليطفئوا (قلت) لا يبعد ذلك والاول أوجه (فان قلت) ما المراد بالتكبير (قلت) تعظيم الله والثناء عليه وقيل هو تكبير يوم الفطر وقيل هو التكبير عند الاهلال (فانى قريب) تمثيل لحاله فى سهولة اجابته لمن دعاه وسرعة انجاحه حاجة من ساله بحال من قرب مكانه فاذا دعي اسرعت تلبيته ونحوه ونحن أقرب اليه من حبل الوريد وقوله عليه الصلاة والسلام هو بينكم وبين اعناق رواحلكم وروى ان اعرابيا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أقريب ربنا فنناجيه أم بعيد فنناديه فنزلت (فليستجيبوا لى) اذا دعوتهم للايمان والطاعة كما انى أجيبهم اذا دعونى لحوائجهم * وقرئ يرشدون ويرشدون بفتح الشين وكسرها كان الرجل اذا أمسي حل له الاكل والشرب والجماع الى ان يصلي العشاء الآخرة أو يرقد فاذا صلاها أو رقد ولم يفطر حرم عليه الطعام والشراب والنساء الى القابلة ثم ان عمر رضى الله عنه واقع أهله بعد صلاة العشاء الآخرة فلما اغتسل أخذ يبكى ويلوم نفسه فاتي النبي صلى الله عليه وسلم وقال يارسول الله انى أعتذر الى الله واليك من نفسي هذه الخاطئة وأخبره بما فعل فقال عليه الصلاة والسلام ما كنت جديرا بذلك يا عمر فقام رجال فاعترفوا بما كانوا صنعوا بعد العشاء فنزلت * وقرئ أحل لكم ليلة الصيام الرفث اى أحل الله وقرأ عبد الله الرفوث وهو الافصاح بما يجب ان يكنى عنه كلفظ النيك وقد أرفث الرجل وعن ابن عباس رضي الله عنه انه أنشد وهو محرم

وهن يمشين بنا هميسا * ان تصدق الطير ننك لميسا

فقيل له أرفثت فقال انما الرفث ما كان عند النساء وقال الله تعالى فلا رفث ولا فسوق فكنى به عن الجماع لانه لا يكاد يخلو من شيء من ذلك (فان قلت) لم كنى عنه ههنا بلفظ الرفث الدال على معنى القبيح بخلاف قوله وقد أفضى بعضكم الى بعض فلما تغشاها باشروهن أو لامستم النساء دخلتم بهن فأتوا حرثكم من قبل ان تمسوهن فما استمتعتم به منهن ولا تقربوهن (قلت) استهجانا لما وجد منهم قبل الاباحة كما سماه اختيانا لانفسهم (فان قلت) لم عدى الرفث بالى قلت لتضمينه معنى الافضاء * لما كان الرجل والمرأة يعتنقان ويشتمل كل واحد منهما على صاحبه فى عناقه شبه باللباس المشتمل عليه قال الجعدى

اذا ما الضجيع ثنى عطفها * تثنت فكانت عليه لباسا

(فان قلت) ما موقع قوله (هن لباس لكم) (قلت) هو استئناف كالبيان لسبب الاحلال وهو انه اذا كانت بينكم وبينهن مثل هذه المخالطة والملابسة قل صبركم عنهن وصعب عليكم اجتنابهن فلذلك رخص لكم فى مباشرتهن (تختانون انفسكم) تظلمونها وتنقصونها حظها من الخير والاختيان من الخيانة كالاكتساب من الكسب فيه زيادة وشدة (فتاب عليكم) حين تبتم مما ارتكبتم من المحظور (وابتغوا ما كتب الله لكم) واطلبوا ما قسم الله لكم وأثبت في اللوح من الولد بالمباشرة اى لا تباشروا لقضاء الشهوة وحدها ولكن لابتغاء ما وضع الله له النكاح من التناسل وقيل هو نهي عن العزل لانه فى الحرائر وقيل وابتغوا المحل الذى كتبه الله لكم وحلله دون ما لم يكتب لكم من المحل المحرم وعن قتادة وابتغوا ما كتب الله لكم من الاباحة بعد الحظر وقرأ ابن عباس واتبعوا وقرأ الاعمش وأتوا وقيل معناه واطلبوا ليلة القدر وما كتب الله لكم من الثواب ان اصبتموها وقمتموها وهو قريب من بدع التفاسير (الخيط الابيض) هو اول ما يبدو من الفجر المعترض في الافق كالخيط الممدود (الخيط الاسود) ما يمتد معه من غبش الليل شبها بخيطين ابيض وأسود وقال

واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداع اذ دعان فليستجيبوا لي وليؤمنوا بى لعلهم يرشدون أحل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الابيض من الخيط الاسود

---

* قوله تعالى احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم (قال محمود رحمه الله كان الرجل اذا امسي حل له الاكل الخ) قال احمد رحمه الله ويشهد لصحة هذا الجواب انه لما استقرت الاباحة فيه قال فالآن باشروهن فكنى عنه الكناية المألوفة فى الكتاب العزيز ويشكل بقوله فلا رفث ولا فسوق ولا جدال فى الحج فان هذه العبارة استعملت ولم ينقل فى الحج ما نقل فى الصوم من سبب نزول الآية وهو مواقعة المكروه ويمكن ان يجاب عنه لما وقع فى آية الحج منهيا عنه اريد الشعبة عندهم كيلا يقعوا فيه فعبر عنه بما هجنه لكون ذلك منفرا لهم عن التورط

من الفجر ثم أتموا الصيام الى الليل ولا تباشروهن وأنتم عاكفون فى المساجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك يبين الله آياته للناس لعلهم يتقون ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها الى الحكام لتاكلوا فريقا من أموال الناس بالاثم

أبوداود فلما أضاءت لنا سدفة * ولاح من الصبح خيط انارا

وقوله (من الفجر) بيان للخيط الابيض واكتفى به عن بيان الخيط الاسود لان بيان احدهما بيان للثانى ويجوز أن تكون من للتبعيض لانه بعض الفجر وأوله (فان قلت) أهذا من باب الاستعارة أم من باب التشبيه (قلت) قوله من الفجر اخرجه من باب الاستعارة كما ان قولك رأيت أسدا مجاز فاذا زدت من فلان رجع تشبيها (فان قلت) فلم زيد من الفجر حتى كان تشبيها وهلا اقتصر به على الاستعارة التى هى ابلغ من التشبيه وأدخل فى الفصاحة (قلت) لان من شرط المستعار أن يدل عليه الحال او الكلام ولو لم يذكر من الفجر لم يعلم ان الخيطين مستعاران فزيد من الفجر فكان تشبيها بليغا وخرج من أن يكون استعارة (فان قلت) فكيف التبس على عدى بن حاتم مع هذا البيان حتى قال عمدت الى عقالين ابيض واسود فجعلتهما تحت وسادتى فكنت اقوم من الليل فانظر اليهما فلا يتبين لى الابيض من الاسود فلما أصبحت غدوت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبرته فضحك وقال ان كان وسادك لعريضا وروى انك لعريض القفا انما ذاك بياض النهار وسواد الليل (قلت) غفل عن البيان ولذلك عرض رسول الله صلى الله عليه وسلم قفاه لانه مما يستدل به على بلاهة الرجل وقلة فطنته وأنشدتنى بعض البدويات لبدوى

عريض القفا ميزانه فى شماله * قد انحص من حسب القرار يطشاربه

(فان قلت) فما تقول فيما روى عن سهل بن سعد الساعدى انها نزلت ولم ينزل من الفجر فكان رجال اذا أرادوا الصوم ربط احدهم فى رجله الخيط الابيض والخيط الاسود فلا يزال يأكل ويشرب حتى يتبينا له فنزل بعد ذلك من الفجر فعلموا انه انما يعنى بذلك الليل والنهار وكيف جاز تاخير البيان وهو يشبه العبث حيث لا يفهم منه المراد اذ ليس باستعارة لفقد الدلالة ولا بتشبيه قبل ذكر الفجر فلا يفهم منه اذن الا الحقيقة وهى غير مرادة (قلت) اما من لا يجوز تاخير البيان وهم اكثر الفقهاء والمتكلمين وهو مذهب ابى على وابى هاشم فلم يصح عندهم هذا الحديث واما من يجوزه فيقول ليس بعبث لان المخاطب يستفيد منه وجوب الخطاب ويعزم على فعله اذا استوضح المراد منه (ثم أتموا الصيام الى الليل) قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار فى صوم رمضان وعلى جواز تاخير الغسل الى الفجر وعلى نفى صوم الوصال (عاكفون فى المساجد) معتكفون فيها والاعتكاف ان يحبس نفسه فى المسجد يتعبد فيه * والمراد بالمباشرة الجماع لما تقدم من قوله احل لكم ليلة الصيام الرفث الى نسائكم فالآن باشروهن وقيل معناه ولا تلامسوهن بشهوة والجماع يفسد الاعتكاف وكذلك اذا لمس أو قبل فانزل وعن قتادة كان الرجل اذا اعتكف خرج فباشر امرأته ثم رجع الى المسجد فنهاهم الله عن ذلك وقالوا فيه دليل على ان الاعتكاف لا يكون الا فى مسجد وانه لا يختص به مسجد دون مسجد وقيل لا يجوز الا فى مسجد نبى وهو احد المساجد الثلاثة وقيل فى مسجد جامع والعامة على انه فى مسجد جماعة وقرأ مجاهد فى المسجد (تلك) الاحكام التى ذكرت (حدود الله فلا تقربوها) فلا تغشوها (فان قلت) كيف قيل فلا تقربوها مع قوله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله (قلت) من كان فى طاعة الله والعمل بشرائعه فهو متصرف فى حيز الحق فنهى ان يتعداه لان من تعداه وقع فى حيز الباطل ثم بولغ فى ذلك فنهى ان يقرب الحد الذى هو الحاجز بين حيزى الحق والباطل لئلا يدانى الباطل وان يكون فى الواسطة متباعدا عن الطرف فضلا عن ان يتخطاه كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل ملك حمى وحمى الله محارمه فمن رتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه فالرتع حول الحمى وقرب حيزه واحد ويجوز ان يريد بحدود الله محارمه ومناهيه خصوصا لقوله ولا تباشروهن وهى حدود لا تقرب * ولا يأكل بعضكم مال بعض (بالباطل) بالوجه الذى لم يبحه الله ولم يشرعه * ولا (تدلوا بها) ولا تلقوا أمرها والحكومة فيها الى الحكام (لتاكلوا) بالتحاكم (فريقا) طائفة (من اموال الناس بالاثم) بشهادة الزور أو باليمين الكاذبة أو بالصلح مع العلم بأن

* قوله تعالى كلوا واشربوا الآية (قال محمود رحمه الله قالوا فيه دليل على جواز النية بالنهار الخ) قال احمد وجه استدلالهم من الآية على الحكم الاول متعذر لان اقتران النية و باول الصوم وجودا غير معتبر باتفاق وتقديمها من الليل وتستصحب معتبر باتفاق فاذن لا تنافى بين الاكل والشرب الى الفجر وبين نية الصوم المستقبل من الليل ووجودها من الليل متقدمة على الصوم مستفاد من دليل دل عليه وانما لم يتم لهم الاستدلال بالآية على اعتبار النية فى النهار لو كان الاكل والشرب ليلا الى الفجر ينافى صحة استصحاب النية وكان اقتضاء الآية لجواز الاكل والشرب الى الفجر يمنع من اعتبار النية من الليل الى الفجر لوجود المنافى لها ولابد منها فيتعين ان يوقع بعد الفجر على هذا التقدير وذلك التقدير كما علمت متفق على بطلانه واما الاستدلال بها على الحكمين الآخرين فصحيح مستقد والله أعلم وانفطن الزمخشرى لبطلان الاستدلال بالآية على الحكم المذكور فسلك سبيل النقل عنهم فقال قالوا لا يقولها الا فى مثل هذا المعنى ولم يسعه

القضى

التنبيه على بطلان الاستدلال لانه على وفق مذهبه * قوله تعالى تلك حدود الله فلا تقربوها الآية (قال محمود رحمه الله تعالى ان قلت كيف قال

المقضي له ظالم وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال للخصمين إنما أنا بشر وأنتم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فأقضي له على نحو ما أسمع منه فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذ منه شيأ فإنما أقضي له قطعة من نار فبكيا وقال كل واحد منهما حقي لصاحبي فقال اذهبا فتوخيا ثم استهما ثم ليحلل كل واحد منكما صاحبه وقيل وتدلوا بها وتلقوا بعضها إلى حكام السوء على وجه الرشوة وتدلوا مجزوم داخل في حكم النهي أو منصوب بإضمار أن كقوله وتكتموا الحق (وأنتم تعلمون) أنكم على الباطل وارتكاب المعصية مع العلم بقبحها أقبح وصاحبه أحق بالتوبيخ * وروي أن معاذ بن جبل وثعلبة بن غنم الأنصاري قالا يا رسول الله ما بال الهلال يبدو دقيقا مثل الخيط ثم يزيد حتى يمتلئ ويستوي ثم لا يزال ينقص حتى يعود كما بدأ لا يكون على حالة واحدة فنزلت (مواقيت) معالم يوقت بها الناس مزارعهم ومتاجرهم ومحال ديونهم وصومهم وفطرهم وعدد نسائهم وأيام حيضهن ومدد حملهن وغير ذلك ومعالم للحج يعرف بها وقته * كان ناس من الأنصار إذا أحرموا لم يدخل أحد منهم حائطا ولا دارا ولا فسطاطا من باب فإذا كان من أهل المدر نقب نقبا في ظهر بيته منه يدخل ويخرج أو يتخذ سلما يصعد فيه وإن كان من أهل الوبر خرج من خلف الخباء فقيل لهم (ليس البر) بتحرجكم من دخول الباب (ولكن البر) بر (من اتقى) ما حرم الله (فإن قلت) ما وجه اتصاله بما قبله (قلت) كأنه قيل لهم عند سؤالهم عن الأهلة وعن الحكمة في نقصانها وتمامها معلوم أن كل ما يفعله الله عز وجل لا يكون إلا حكمة بالغة ومصلحة لعباده فدعوا السؤال عنه وانظروا في واحدة تفعلونها أنتم مما ليس من البر في شيء وأنتم تحسبونها برا ويجوز أن يجري ذلك على طريق الاستطراد لما ذكر أنها مواقيت للحج لأنه كان من أفعالهم في الحج ويحتمل أن يكون هذا تمثيلا لتعكيسهم في سؤالهم وأن مثلهم فيه كمثل من يترك باب البيت ويدخله من ظهره والمعنى ليس البر وما ينبغي أن تكونوا عليه بأن تعكسوا في مسائلكم ولكن البر بر من اتقى ذلك وتجنبه ولم يجسر على مثله ثم قال (وأتوا البيوت من أبوابها) أي وباشروا الأمور من وجوهها التي يجب أن تباشر عليها ولا تعكسوا والمراد وجوب توطين النفوس وربط القلوب على أن جميع أفعال الله حكمة وصواب من غير اختلاج شبهة ولا اعتراض شك في ذلك حتى لا يسأل عنه لما في السؤال من الاتهام بمقارفة الشك لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون * المقاتلة في سبيل الله هو الجهاد لإعلاء كلمة الله وإعزاز الدين (الذين يقاتلونكم) الذين يناجزونكم القتال دون المحاجزين وعلى هذا يكون منسوخا بقوله وقاتلوا المشركين كافة وعن الربيع ابن أنس رضي الله عنه هي أول آية نزلت في القتال بالمدينة فكان رسول الله ﷺ يقاتل من قاتل ويكف عمن كف أو الذين يناصبونكم القتال دون من ليس من أهل المناصبة من الشيوخ والصبيان والرهبان والنساء أو الكفرة كلهم لأنهم جميعا مضادون للمسلمين قاصدون لمقاتلتهم فهم في حكم المقاتلة قاتلوا أو لم يقاتلوا وقيل لما صد المشركون رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية وصالحوه على أن يرجع من قابل فيخلوا له مكة ثلاثة أيام فرجع لعمرة القضاء خاف المسلمون أن لا يفي لهم قريش ويصدوهم ويقاتلوهم في الحرم وفي الشهر الحرام وكرهوا ذلك نزلت وأطلق لهم قتال الذين يقاتلونهم منهم في الحرم والشهر الحرام ورفع عنهم الجناح في ذلك (ولا تعتدوا) بابتداء القتال أو بقتال من نهيتم عن قتاله من النساء والشيوخ والصبيان والذين بينكم وبينهم عهد أو بالمثلة أو بالمفاجأة من غير دعوة (حيث ثقفتموهم) حيث وجدتموهم في حل أو حرم والثقف وجود على وجه الأخذ والغلبة ومنه رجل ثقف سريع الأخذ لأقرانه قال

فإما تثقفوني فاقتلوني * فمن أثقف فليس إلى خلود

(من حيث أخرجوكم) أي من مكة وقد فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمن لم يسلم منهم يوم الفتح (والفتنة أشد من القتل) أي المحنة والبلاء الذي ينزل بالإنسان يتعذب به أشد عليه من القتل وقيل لبعض الحكماء ما أشد من الموت قال الذي يتمنى فيه الموت جعل الإخراج من الوطن من الفتن والمحن التي يتمنى عندها الموت

وأنتم تعلمون يسئلونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين واقتلوهم حيث ثقفتموهم وأخرجوهم من حيث أخرجوكم والفتنة أشد من القتل

فلا تقربوها الخ) قال أحمد رحمه الله تعالى وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله تعالى عنه في سد الذرائع والاحتياط للمحرمات لا يدافع عنه * قوله تعالى يسألونك عن الأهلة الآية (قال محمود رحمه الله فإن قلت ما وجه ايصال هذا الكلام الخ) قال أحمد رحمه الله ومثل هذا من الاستطراد في كتاب الله تعالى قوله وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحما طريا إلى آخر الآية فإنه تعالى بين عدم الاستواء بينهما إلى قوله أجاج وبذلك تم القصد في تمثيل عدم استواء الكافر والمسلم ثم قوله ومن كل تأكلون لا يتقرر به عدم الاستواء بل المفاد به استواؤهما فيما ذكر فهو من إجراء الله الكلام بطريق الاستطراد المذكور وأما مثلت هذا النوع الذي نبه عليه الزمخشري لأنه مفرد عن الاستطراد الذي بوب عليه أهل صناعة البديع والمطابق لما بوبوا عليه سواء

ومنه قول القائل لقتل بحد السيف أهون موقعا * على النفس من قتل بحد فراق

وقيل الفتنة عذاب الآخرة ذوقوا فتنتكم وقيل الشرك أعظم من القتل في الحرم وذلك أنهم كانوا يستعظمون القتل في الحرم ويعيبون به المسلمين فقيل والشرك الذي هم عليه أشد وأعظم مما يستعظمونه ويجوز ان يراد وفتنتهم اياكم بصدكم عن المسجد الحرام أشد من قتلكم اياهم في الحرم أو من قتلهم اياكم ان قتلوكم فلا تبالوا بقتالهم * وقرئ ولا تقتلوهم حتى يقتلوكم فان قتلوكم جعل وقوع القتل في بعضهم كوقوعه فيهم يقال قتلتنا بنو فلان وقال فان تقتلونا نقتلكم (فان انتهوا) عن الشرك والقتال كقوله ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف (حتى لا تكون فتنة) أي شرك (ويكون الدين لله) خالصا ليس للشيطان فيه نصيب (فان انتهوا) عن الشرك (فلا عدوان الا على الظالمين) فلا تعدوا على المنتهين لان مقاتلة المنتهين عدوان وظلم فوضع قوله الا على الظالمين موضع على المنتهين او فلا تظلموا الا الظالمين غير المنتهين سمي جزاء الظالمين ظلما للمشاكلة كقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه او أريد أنكم ان تعرضتم لهم بعد الانتهاء كنتم ظالمين فيسلط عليكم من يعدو عليكم * قاتلهم المشركون عام الحديبية في الشهر الحرام وهو ذو القعدة فقيل لهم عند خروجهم لعمرة القضاء وكراهتهم القتال وذلك في ذي القعدة (الشهر الحرام بالشهر الحرام) أي هذا الشهر بذلك الشهر وهتكه بهتكه يعني تهتكون حرمته عليهم كما هتكوا حرمته عليكم (والحرمات قصاص) أي وكل حرمة يجري فيها القصاص من هتك حرمة أي حرمة كانت اقتص منه بان تهتك له حرمة فحين هتكوا حرمة شهركم فافعلوا بهم نحو ذلك ولا تبالوا وأكد ذلك بقوله (فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله) في حال كونكم منتصرين ممن اعتدى عليكم فلا تعتدوا الى ما لا يحل لكم * الباء في (بايديكم) مزيدة مثلها في أعطي بيده للمنقاد والمعنى ولا تقبضوا التهلكة أيديكم أي لا تجعلوها آخذة بايديكم مالكة لكم وقيل بايديكم بانفسكم وقيل تقديره ولا تلقوا أنفسكم بايديكم كما يقال أهلك فلان نفسه بيده اذا تسبب لهلاكها والمعنى النهي عن ترك الانفاق في سبيل الله لانه سبب الهلاك او عن الاسراف في النفقة حتى يفقر نفسه ويضيع عياله او عن الاستقتال والاخطار بالنفس او عن ترك الغزو الذي هو تقوية للعدو وروي ان رجلا من المهاجرين حمل على صف العدو فصاح به الناس ألقى بيده الى التهلكة فقال ابو أيوب الانصاري نحن اعلم بهذه الآية وانما أنزلت فينا صحبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنصرناه وشهدنا معه المشاهد وآثرناه على أهالينا وأموالنا وأولادنا فلما فشا الاسلام وكثر أهله ووضعت الحرب أوزارها رجعنا الى أهالينا وأولادنا وأموالنا نصلحها ونقيم فيها فكانت التهلكة الاقامة في الاهل والمال وترك الجهاد وحكي ابو علي في الحلبيات عن ابي عبيدة التهلكة والهلاك والهلك واحد قال فدل هذا من قول ابي عبيدة على ان التهلكة مصدر ومثله ما حكاه سيبويه من قولهم التضرة والتسرة ونحوها في الاعيان التنضبة والتتفلة ويجوز ان يقال أصلها التهلكة كالتجربة والتبصرة ونحوها على انها مصدر من هلك فابدلت من الكسرة ضمة كما جاء الجوار في الجوار (وأتموا الحج والعمرة لله) ائتوا بهما تامين كاملين بمناسكهما وشرائطهما لوجه الله من غير توان ولا نقصان يقع منكم فيهما قال تمام الحج ان تقف المطايا * على خرقاء واضعة اللثام

جعل الوقوف عليها كبعض مناسك الحج الذي لا يتم الا به وقيل اتمامهما ان تحرم بهما من دويرة أهلك روي ذلك عن علي وابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم وقيل ان تفرد لكل واحد منهما سفرا كما قال محمد حجة كوفية وعمرة كوفية أفضل وقيل ان تكون النفقة حلالا وقيل ان تخلصوهما للعبادة ولا تشوبوهما بشيء من التجارة والاغراض الدنيوية (فان قلت) هل فيه دليل على وجوب العمرة (قلت) ما هو الا أمر باتمامهما ولا دليل في ذلك على كونهما واجبين او تطوعين فقد يؤمر باتمام الواجب والتطوع جميعا الا ان تقول الامر باتمامهما أمر بادائهما بدليل قراءة من قرأ واقيموا الحج والعمرة والامر للوجوب في اصله الا ان يدل دليل على خلاف الوجوب كما دل في قوله فاصطادوا فانتشروا ونحو ذلك فيقال لك فقد دل

ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه فان قاتلوكم فاقتلوهم كذلك جزاء الكافرين فان انتهوا فان الله غفور رحيم وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين الشهر الحرام بالشهر الحرام والحرمات قصاص فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم واتقوا الله واعلموا أن الله مع المتقين وأنفقوا في سبيل الله ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة واحسنوا ان الله يحب المحسنين وأتموا الحج والعمرة لله

قوله تعالى لا تتولوا قوما غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور فانه ذم اليهود واستطرد بذلك ذم المشركين المنكرين للبعث على نوع من التشبيه لطيف المنزع وفي البديع التمثيل بقوله

اذا ما اتقى الله الفتى واطاعه
فليس به بأس وان كان من جرم

وسيأتي فيه مزيد تقرير ان شاء الله

الدليل على نفي الوجوب وهو ماروى انه قيل يارسول الله العمرة واجبة مثل الحج قال لا ولكن ان تعتمر خير لك وعنه الحج جهاد والعمرة تطوع (فان قلت) فقد روى عن ابن عباس رضي الله عنه انه قال ان العمرة لقرينة الحج وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا قال له اني وجدت الحج والعمرة مكتوبين على أهللت بهما جميعا فقال هديت لسنة نبيك وقد نظمت مع الحج في الامر بالاتمام فكانت واجبة مثل الحج (قلت) كونها قرينة للحج ان القارن يقرن بينهما وأنهما يقترنان في الذكر فيقال حج فلان واعتمر والحجاج والعمار ولانها الحج الاصغر ولا دليل في ذلك على كونها قرينة له في الوجوب وأما حديث عمر رضي الله عنه فقد فسر الرجل كونهما مكتوبين عليه بقوله اهللت بهما واذا أهل بالعمرة وجبت عليه كما اذا كبر بالتطوع من الصلاة والدليل الذي ذكرناه اخرج العمرة من صفة الوجوب فبقي الحج وحده فيها فهما بمنزلة قولك صم شهر رمضان وستة من شوال في انك تأمره بفرض وتطوع وقرأ علي وابن مسعود والشعبي رضي الله عنهم والعمرةُ لله بالرفع كانهم قصدوا بذلك اخراجها عن حكم الحج وهو الوجوب (فان احصرتم) يقال احصر فلان اذا منعه امر من خوف او مرض او عجز قال الله تعالى الذين احصروا في سبيل الله وقال ابن ميادة

وماهجر ليلي ان تكون تباعدت * عليك ولا أن احصرتك شغول

وحصر اذا حبسه عدو عن المضي او سجن ومنه قيل للمحبس الحصير وللملك الحصير لانه محجوب هذا هو الاكثر في كلامهم وهما بمعنى المنع في كل شيء مثل صده واصده وكذلك قال الفراء وأبو عمرو الشيباني وعليه قول أبي حنيفة رحمهم الله تعالى كل منع عنده من عدو كان او مرض او غيرهما معتبر في اثبات حكم الاحصار وعند مالك والشافعي منع العدو وحده وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كسر او عرج فقد حل وعليه الحج من قابل (فما استيسر من الهدي) فما تيسر منه يقال يسر الامر واستيسر كما يقال صعب واستصعب والهدي جمع هدية كما يقال في جدية السرج جدي وقرئ من الهديّ بالتشديد جمع هدية كمطية ومطي يعني فان منعتم من المضي الى البيت وأنتم محرمون بحج او عمرة فعليكم اذا أردتم التحلل ما استيسر من الهدي من بعير أو بقرة او شاة (فان قلت) اين ومتى ينحر هدي المحصر (قلت) ان كان حاجا فبالحرم متى شاء عند ابي حنيفة يبعث به ويجعل للمبعوث على يده يوم أمار وعندهما في ايام النحر وان كان معتمرا فبالحرم في كل وقت عندهم جميعا وما استيسر رفع بالابتداء اى فعليه ما استيسر او نصب على فاهدوا ما استيسر (ولا تحلقوا رؤسكم) الخطاب للمحصرين اى لا تحلوا حتى تعلموا ان الهدي الذي بعثتموه الى الحرم بلغ (محله) اى مكانه الذي يجب نحره فيه ومحل الدين وقت وجوب قضائه وهو ظاهر على مذهب ابي حنيفة رحمه الله (فان قلت) ان النبي صلى الله عليه وسلم نحر هديه حيث أحصر (قلت) كان محصره طرف الحديبية الذي الى أسفل مكة وهو من الحرم وعن الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نحر هديه في الحرم وقال الواقدي الحديبية هي طرف الحرم على تسعة اميال من مكة (فمن كان منكم مريضا) فمن كان به مرض يحوجه الى الحلق (أو به اذى من رأسه) وهو القمل او الجراحة فعليه اذا احتلق فدية (من صيام) ثلاثة ايام (أو صدقة) على ستة مساكين لكل مسكين نصف صاع من بر (أو نسك) وهو شاة وعن كعب ابن عجرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له لعلك اذاك هوامك قال نعم يارسول الله قال احلق رأسك وصم ثلاثة ايام او أطعم ستة مساكين او انسك شاة وكان كعب يقول في نزلت هذه الآية وروى انه مر به وقد قرح رأسه فقال كفى بهذا اذى وأمره ان يحلق و يطعم أو يصوم والنسك مصدر وقيل جمع نسيكة وقرأ الحسن او نسك بالتخفيف (فاذا أمنتم) الاحصار يعني فاذا لم تحصروا وكنتم في حال أمن وسعة (فمن تمتع) اى استمتع (بالعمرة الى الحج) واستمتاعه بالعمرة الى وقت الحج انتفاعه بالتقرب بها الى الله تعالى قبل الانتفاع بتقربه بالحج وقيل اذا حل من عمرته انتفع باستباحة ما كان محرما عليه الى ان يحرم بالحج (فما استيسر من الهدي) هو هدي المتعة وهو نسك عند ابي حنيفة و يأكل منه وعند الشافعي يجري مجرى الجنايات ولا يأكل منه و يذبحه يوم النحر عندنا وعنده يجوز ذبحه اذا احرم بحجته (فمن لم يجد) الهدي (ف) عليه (صيام ثلاثة ايام في الحج) اى في وقته وهو اشهره ما بين الاحرامين

فان احصرتم فما استيسر من الهدى ولا تحلقوا رؤسكم حتى يبلغ الهدى محله فمن كان منكم مريضا او به أذى من رأسه ففدية من صيام اوصدقة اونسك فاذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدى فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام في الحج

* قوله تعالى الحج اشهر معلومات (قال محمود رحمه الله هي شوال وذو القعدة الخ) قال احمد الذي نقله عن مالك أخذ قوليه وليس بالمشهور عنه واما استدلاله لهذا القول بكراهية عمر الاعتمار الى ان يهل الحرم فلا ينهض دليلا لمالك لانه يقول لا تنعقد العمرة في ايام منى خاصة لمن حج مالم يتم الرمي ويحل بالافاضة فتنعقد وجميع السنة ماعدا ما ذكر ميقات للعمرة ولا تظهر فائدة هذا القول عند مالك الا في اسقاط الدم عن مؤخر طواف الافاضة الى آخر ذي

الحجة لا غير هي الفائدة التى نقلها الزمخشري عن عروة ولعمري ان هذا القول حسن دليلا فلا يحتاج الى مزيد ولكن ظاهر الآية ومقتضاها ان جملة الاشهر هي زمان الحج الا ترى ان من قال وعشر من ذي الحجة يحتاج في تنزيل الآية على مذهبه الى تقرير ان بعض الشهر ينزل منزلة جميعه ويستشهد على ذلك بقوله * ثلاثون شهرا في ثلاثة احوال * وانما احوجه الى الاستشهاد خروج مقالته عن ظاهر الآية فالمتمسك بها على ظاهرها في كمال الاشهر الثلاثة واقف مع اقتضائها غير مضطر الى مزيد عليه * قوله تعالى فلا رفث ولا فسوق الآية (قال محمود رحمه الله انما امر باجتناب ذلك في الحج واجتنابه واجب الخ) قال احمد رحمه الله وفيه نكتة تتعلق بعلم البيان وهي ان تخصيص الحج بالنهي عن الرفث فيه والفسوق والجدال يشعر بانها في غير الحج وان كانت منهيا عنها وقبيحة الا ان ذلك القبيح الثابت لها في غير الحج كلا قبح بالنسبة الى وقوعها في الحج فاشتمل هذا التخصيص على هذا النوع من المبالغة البليغة والله اعلم على ان الرفث ان كان التحدث في امر الجماع خاصة فالنهي عنه خاص بالحج وهو جائز في غيره على الوجه الشرعي وقد نبه مالك رضى

احرام العمرة واحرام الحج وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله والافضل ان يصوم يوم التروية وعرفة ويوما قبلهما وان مضى هذا الوقت لم يجزئه الا الدم وعند الشافعي لا تصام الا بعد الاحرام بالحج تمسكا بظاهر قوله (في الحج وسبعة اذا رجعتم) بمعنى اذا نفرتم وفرغتم من افعال الحج عند ابي حنيفة وعند الشافعي هو الرجوع الى أهاليهم وقرأ ابن ابي عبلة وسبعة بالنصب عطفا على محل ثلاثة ايام كانه قيل فصيام ثلاثة ايام كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما * (فان قلت) فما فائدة الفذلكة (قلت) الواو قد تجيء للاباحة في نحو قولك جالس الحسن وابن سيرين الا ترى انه لو جالسهما جميعا او واحدا منهما كان ممتثلا ففذلكت نفيا لتوهم الاباحة وأيضا ففائدة الفذلكة في كل حساب ان يعلم العدد جملة كما علم تفصيلا ليحاط به من جهتين فيتأكد العلم وفي أمثال العرب علمان خير من علم وكذلك (كاملة) تأكيد آخر وفيه زيادة توصية بصيامها وان لا يتهاون بها ولا ينقص من عددها كما تقول للرجل اذا كان لك اهتمام بامر تأمره به وكان منك بمنزل الله الله لا تقصر وقيل كاملة في وقوعها بدلا من الهدي وفي قراءة أبي فصيام ثلاثة ايام متتابعات (ذلك) اشارة الى التمتع عند ابي حنيفة واصحابه لا متعة ولا قران لحاضري المسجد الحرام عندهم ومن تمتع منهم او قرن كان عليه دم وهو دم جناية لا يأكل منه واما القارن والمتمتع من اهل الآفاق فدمهما دم نسك يأكلان منه وعند الشافعي اشارة الى الحكم الذي هو وجوب الهدي او الصيام ولم يوجب عليهم شيأ وحاضر المسجد الحرام وأهل المواقيت فمن دونها الى مكة عند ابي حنيفة وعند الشافعي اهل الحرم ومن كان من الحرم على مسافة لا تقصر فيها الصلاة (واتقوا الله) في المحافظة على حدوده وما امركم به ونهاكم عنه في الحج وغيره (واعلموا ان الله شديد العقاب) لمن خالف ليكون علمكم بشدة عقابه لطفا لكم في التقوى * اي وقت الحج (أشهر) كقولك البرد شهران * والاشهر المعلومات شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة عند ابي حنيفة وعند الشافعي تسع ذي الحجة وليلة يوم النحر وعند مالك ذو الحجة كله (فان قلت) ما فائدة توقيت الحج بهذه الاشهر (قلت) فائدته ان شيأ من افعال الحج لا يصح الا فيها والاحرام بالحج لا ينعقد ايضا عند الشافعي في غيرها وعند ابي حنيفة ينعقد الا انه مكروه (فان قلت) فكيف كان الشهران وبعض الثالث اشهرا (قلت) اسم الجمع يشترك فيه ما وراء الواحد بدليل قوله تعالى فقد صغت قلوبكما فلا سؤال فيه اذن وانما كان يكون موضعا للسؤال لو قيل ثلاثة اشهر معلومات وقيل نزل بعض الشهر منزلة كله كما يقال رأيتك سنة كذا أو على عهد فلان ولعل العهد عشرون سنة أو أكثر وانما رآه في ساعة منها (فان قلت) ما وجه مذهب مالك وهو مروي عن عروة بن الزبير (قلت) قالوا وجهه ان العمرة غير مستحبة فيها عند عمر وابن عمر فكانها مخلصة للحج لا مجال فيها للعمرة وعن عمر رضى الله عنه انه كان يخفق الناس بالدرة وينهاهم عن الاعتمار فيهن وعن عمر رضى الله عنهما انه قال لرجل ان اطعتني انتظرت حتى اذا اهللت المحرم خرجت الى ذات عرق فاهللت منها بعمرة وقالوا لعل من مذهب عروة جواز تأخير طواف الزيارة الى آخر الشهر (معلومات) معروفات عند الناس لا يشكلن عليهم وفيه ان الشرع لم يأت على خلاف ما عرفوه وانما جاء مقررا له (فمن فرض فيهن الحج) فمن ألزمه نفسه بالتلبية او بتقليد الهدي وسوقه عند ابي حنيفة وعند الشافعي بالنية (فلا رفث) فلا جماع لانه يفسده او فلا فحش من الكلام (ولا فسوق) ولا خروج عن حدود الشريعة وقيل هو السباب والتنابز بالالقاب (ولا جدال) ولا مراء مع الرفقاء والخدم والمكارين وانما امر باجتناب ذلك وهو واجب الاجتناب في كل

وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن اهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب الحج أشهر معلومات فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق ولا جدال في الحج

(٣) لعل الصواب حذف الواو اذ لا موقع لها كما لا يخفى اه

الله عنه على انه لا باس للحاج بالسعي في امور النساء الا ان ذلك قد يوقع في الوهم انه يؤدي الى ترك المحظور وهذا يدل على شديد مالك في حظر الرفث للحاج وما يتعلق به والله اعلم وسمعت الشافعية يلهجون بالاعتراض على اسحق في قوله من التنبيه وتحرم الغيبة على الصائم فيقولون وعلى المفطر فلا فائدة في تخصيص الصائم و يعدون ذلك وهما منه وهم بمعزل عن هذه الآية وامثالها فقد اوسعته عذرا في عبارته تلك اذا الكتاب العزيز به تمتحن الفصاحة وصحة العبارات * قوله تعالى فاذا افضتم من عرفات (قال محمود رحمه الله فان قلت هلا منعت عرفات الصرف الخ) قال احمد رحمه الله يلزمه اذا سمى امرأة بمسلمات ان لا يصرفه فيقول هذا مسلمات بغير تنوين وهو قول رديء بل الافصح الصحيح في مسلمات اذا سمي به ان ينون وانما بنى الزمخشري كلامه هذا على ان تنوين عرفات للتمكين لا للمقابلة ولذلك اسقط تنوين المقابلة من انواع التنوين التي عدها في مفصله على انه راجع الى تنوين التمكين

وما تفعلوا من خير يعلمه الله وتزودوا فان خير الزاد التقوى واتقون يا أولي الالباب ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم فاذا افضتم من عرفات

حال لانه مع الحج اسمج كلبس الحرير في الصلاة والتطريب في قراءة القرآن والمراد بالنفي وجوب انتفائها وأنها حقيقة بان لا تكون * وقرئ المنفيات الثلاث بالنصب وبالرفع وقرأ أبو عمرو وابن كثير الاولين بالرفع والآخر بالنصب لانهما حملا الاولين على معنى النهي كانه قيل فلا يكونن رفث ولا فسوق والثالث على معنى الاخبار بانتفاء الجدال كانه قيل ولا شك ولا خلاف في الحج وذلك ان قريشا كانت تخالف سائر العرب فتقف بالمشعر الحرام وسائر العرب يقفون بعرفة وكانوا يقدمون الحج سنة ويؤخرونه سنة وهو النسيء فرد الى وقت واحد ورد الوقوف الى عرفة فاخبر الله تعالى أنه قد ارتفع الخلاف في الحج واستدل على ان المنهي عنه هو الرفث والفسوق دون الجدال بقوله ﷺ من حج فلم يرفث ولم يفسق خرج كهيئة يوم ولدته أمه وأنه لم يذكر الجدال (وما تفعلوا من خير يعلمه الله) حث على الخير عقيب النهي عن الشر وأن يستعملوا مكان القبيح من الكلام الحسن ومكان الفسوق البر والتقوى ومكان الجدال الوفاق والاخلاق الجميلة أو جعل فعل الخير عبارة عن ضبط أنفسهم حتى لا يوجد منهم ما نهوا عنه وينصره قوله تعالى (وتزودوا فان خير الزاد التقوى) أي اجعلوا زادكم الى الآخرة اتقاء القبائح فان خير الزاد اتقاؤها وقيل كان أهل اليمن لا يتزودون ويقولون نحن متوكلون ونحن نحج بيت الله أفلا يطعمنا فيكونون كلا على الناس فنزلت فيهم ومعناه وتزودوا واتقوا الاستطعام وابرام الناس والتثقيل عليهم فان خير الزاد التقوى (واتقون) وخافوا عقابي (يا أولي الالباب) يعني ان قضية اللب تقوى الله ومن لم يتقه من الالباء فكأنه لا لب له (فضلا من ربكم) عطاء منه وتفضلا وهو النفع والربح بالتجارة وكان ناس من العرب يتأثمون أن يتجروا أيام الحج واذا دخل العشر كفوا عن البيع والشراء فلم تقم لهم سوق ويسمون من يخرج بالتجارة الداج ويقولون هؤلاء الداج وليسوا بالحاج وقيل كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقهم في الجاهلية يتجرون فيها في ايام الموسم وكانت معايشهم منها فلما جاء الاسلام تأثموا فرفع عنهم الجناح في ذلك وأبيح لهم وانما يباح ما لم يشغل عن العبادة وعن ابن عمر رضي الله عنه أن رجلا قال له انا قوم نكري في هذا الوجه وان قوما يزعمون أن لا حج لنا فقال سأل رجل رسول الله صلى الله عليه وسلم عما سألت فلم يرد عليه حتى نزل ليس عليكم جناح فدعا به فقال أنتم حجاج وعن عمر رضي الله عنه أنه قيل له هل كنتم تكرهون التجارة في الحج فقال وهل كانت معايشنا الا من التجارة في الحج وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فضلا من ربكم في مواسم الحج * ان تبتغوا في أن تبتغوا (أفضتم) دفعتم بكثرة وهو من افاضة الماء وهو صبه بكثرة وأصله أفضتم أنفسكم فترك ذكر المفعول كما ترك في دفعوا من موضع كذا وصبوا وفي حديث أبي بكر رضي الله عنه صب ٣ في دقران وهو يحرش بعيره بمحجنه ويقال أفاضوا في الحديث وهضبوا فيه * و(عرفات) علم للموقف سمي بجمع كأذرعات (فان قلت) هلا منعت الصرف وفيها السببان التعريف والتأنيث (قلت) لا يخلو التأنيث اما ان يكون بالتاء التي في لفظها واما بتاء مقدرة كما في سعاد فالتي في لفظها ليست للتأنيث وانما هي مع الالف التي قبلها علامة جمع المؤنث ولا يصح تقدير التاء فيها لان هذه التاء لاختصاصها بجمع المؤنث مانعة من تقديرها كما لا يقدر تاء التأنيث في بنت لان التاء التي هي بدل من الواو لاختصاصها بالمؤنث كتاء التأنيث فابت تقديرها وقالوا سميت بذلك لانها وصفت لابراهيم عليه السلام فلما أبصرها عرفها وقيل ان جبريل حين كان يدور به في المشاعر أراه اياها فقال قد عرفت وقيل التقى فيها آدم وحواء فتعارفا وقيل لان الناس يتعارفون فيها والله أعلم بحقيقة ذلك وهي من الاسماء المرتجلة لان العرفة لا تعرف في أسماء الاجناس الا ان تكون جمع عارف وقيل فيه دليل على وجوب الوقوف بعرفة لان

٣ (قوله في دقران) كذا في نسخة بالدال المهملة والقاف وفي نسخة ذفران وكتب عليها بالهامش بالذال المعجمة والفاء المكسورة على فعلان من نهاية ابن الاثير اه وفي القاموس في فصل الدال المهملة مع القاف ودقران كسلمان وادقرب وادي الصفراء وقال في فصل الذال المعجمة مع الفاء وذفران بكسر الفاء وادقرب وادي الصفراء او تصحيف لدقران اه مصححه

فاذكروا الله عند المشعر الحرام واذكروه كما هداكم وان كنتم من قبله لمن الضالين ثم افيضوا من حيث افاض الناس واستغفروا الله ان الله غفور رحيم فاذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا فمن الناس من يقول

الافاضة لا تكون الا بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم الحج عرفة فمن أدرك عرفة فقد أدرك الحج (فاذكروا الله) بالتلبية والتهليل والتكبير والثناء والدعوات وقيل بصلاة المغرب والعشاء * و(المشعر الحرام) قزح وهو الجبل الذي يقف عليه الامام وعليه الميقدة وقيل المشعر الحرام ما بين جبلي المزدلفة من مازمي عرفة الى وادي محسر وليس المازمان ولا وادي محسر من المشعر الحرام والصحيح أنه الجبل لما روى جابر رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لما صلى الفجر يعني بالمزدلفة بغلس ركب ناقته حتى أتى المشعر الحرام فدعا وكبر وهلل ولم يزل واقفا حتى أسفر وقوله تعالى عند المشعر الحرام معناه مما يلي المشعر الحرام قريبا منه وذلك للفضل كالقرب من جبل الرحمة والا فالمزدلفة كلها موقف الا وادي محسر أو جعلت أعقاب المزدلفة لكونها في حكم المشعر ومتصلة به عند المشعر والمشعر المعلم لانه معلم العبادة ووصف بالحرام لحرمته وعن ابن عباس رضي الله عنه أنه نظر الى الناس ليلة جمع فقال لقد ادركت الناس هذه الليلة لا ينامون وقيل سميت المزدلفة وجمعا لان آدم صلوات الله عليه اجتمع فيها مع حواء وازدلف اليها اي دنا منها وعن قتادة لانه يجمع فيها بين الصلاتين ويجوز ان يقال وصفت بفعل أهلها لانهم يزدلفون الى الله أي يتقربون بالوقوف فيها (كما هداكم) ما مصدرية او كافة والمعنى واذكروه ذكرا حسنا كما هداكم هداية حسنة او اذكروه كما علمكم كيف تذكرونه لا تعدلوا عنه (وان كنتم من قبله) من قبل الهدى (لمن الضالين) الجاهلين لا تعرفون كيف تذكرونه وتعبدونه وان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة (ثم أفيضوا) ثم لتكن افاضتكم (من حيث افاض الناس) ولا تكن من المزدلفة وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع على الناس والتعالي عليهم وتعظمهم عن ان يساووهم في الموقف وقولهم نحن أهل الله وقطان حرمه فلا نخرج منه فيقفون بجمع وسائر الناس بعرفات (فان قلت) فكيف موقع ثم (قلت) نحو موقعها في قولك أحسن الى الناس ثم لا تحسن الى غير كريم تأتي بثم لتفاوت ما بين الاحسان الى الكريم والاحسان الى غيره وبعد ما بينهما فكذلك حين امرهم بالذكر عند الافاضة من عرفات قال ثم أفيضوا لتفاوت ما بين الافاضتين وان احداهما صواب والثانية خطأ وقيل ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس وهم الحمس اي من المزدلفة الى منى بعد الافاضة من عرفات وقرئ من حيث أفاض الناس بكسر السين اي الناسي وهو آدم من قوله ولقد عهدنا الى آدم من قبل فنسي يعني ان الافاضة من عرفات شرع قديم فلا تخالفوا عنه (واستغفروا الله) من مخالفتكم في الموقف ونحو ذلك من جاهليتكم (فاذا قضيتم مناسككم) اي فاذا فرغتم من عباداتكم الحجية ونفرتم (فاذكروا الله كذكركم آباءكم) فاكثروا ذكر الله وبالغوا فيه كما تفعلون في ذكر آبائكم ومفاخرهم وايامهم وكانوا اذا قضوا مناسكهم وقفوا بين المسجد بمنى وبين الجبل فيعددون فضائل آبائهم ويذكرون محاسن ايامهم (او أشد ذكرا) في موضع جر عطف على ما أضيف اليه الذكر في قوله كذكركم كما تقول كذكر قريش آباءهم أو قوم أشد منهم ذكرا أو في موضع نصب عطف على آباءكم بمعنى أو أشد ذكرا من آبائكم على أن ذكرا من فعل المذكور (فمن الناس من يقول) معناه أكثروا ذكر الله ودعاءه فان الناس من بين مقل لا يطلب بذكر الله الا اعراض الدنيا ومكثر يطلب خير الدارين فكونوا من

المكاثرين

* قوله تعالى ثم افيضوا من حيث افاض الناس (قال محمود رحمه الله وذلك لما كان عليه الحمس من الترفع في الجاهلية الخ) قال احمد رحمه الله وقد اشتملت الآية على نكتتين احداهما عطف الافاضتين احداهما على الاخرى ومرجعهما واحد وهو الافاضة المامور بها فربما يتوهم متوهم انه من باب عطف الشيء على نفسه فيزال هذا الوهم بان بينهما من التغاير ما بين العام والخاص والمخبر عنه اولا الافاضة من حيث هي غير مقيدة والمامور به ثانيا الافاضة مخصوصة بمساواة الناس والثانية بعد وضوح استقامة العطف كونه وقع بحرف المهلة وذلك يستدعي التراخي مضافا الى التغاير وليس بين الافاضة المطلقة والمقيدة تراخ فالجواب غير ذلك ان التراخي كما يكون باعتبار الزمان قد يكون باعتبار علو المرتبة وبعدها في العلو بالنسبة الى غيرها وهو الذي اجاب به بعد مزيد تنشيط وايضاح * قوله تعالى واذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا (قال محمود رحمه الله اشد معطوف على ما اضيف اليه الذكر الخ) قال احمد رحمه الله فعلى الاول يكون اشد واقعا على المذكور المفعول ومثاله على الاول ان يضرب اثنان زيدا مثلا فيقول ايهما اشد ضربا لزيد فيوقعه على الضارب ومثال الثاني ان يضرب زيد اثنين مثلا فتقول ايهما اشد ضربا فتوقعه على المضروب وعلى الوجه الاول يكون التفضيل على الفاعل وهو القياس وعلى الثاني يكون التفضيل على المفعول وهو خلاف القياس وقد ذكر الزمخشري في مفصله انه شاذ بقولهم أشغل من ذات النحيين وانا أسر منك هذا في امثلة عددها فليت شعري كيف حمل الآية عليه وقد وجد غير ذلك سبيلا وفي الوجهين جميعا يفر من عطف اشد على الذكر الاول لئلا يكون واقعا على الذكر وقد انتصب الذكر تمييزا عنه فيكون الذكر ذاكرا وهو محال لكن أبا الفتح صحح هذا الوجه والحقه بباب قولهم شعر شاعر وجن جنونه ونحوه مما بالغت العرب فيه حتى جعلت للصفة صفة مثلها تمكينا لثبوتها ووضح ذلك ان انتصاب الذكر تمييزا يوجب ان لا يقع أشد عليه ويعين خروجه منه اما بان يقع على الجثة الذاكرة بتأويل جعله ذاكرا على ما صار اليه ابو الفتح

انك لوقلت زيد أكرم أبا لكان زيد من الابناء ولوقلت زيد أكرم أب لكان من الآباء ويحتمل عطفه على الذكر أعني وجها آخر سوى ماذهب اليه ابو الفتح وهو أن يكون من باب ماذكره سيبويه قال ويقولون هو اشجع الناس رجلا وهما خير الناس رجلا وهما خير الناس اثنين فالمجرور هنا بمنزلة التنوين وانتصب الرجل والاثنين كما انتصب الوجه في قولك هو احسن منه وجها ولا يكون الا نكرة كما لا تكون الحال الا نكرة والرجل هو الاسم المبتدأ فانما اراد بذلك ان هذا ليس بمثابة هو اشجع الناس غلاما فان هذا يجوز ان يكون غلاما هو الاسم المبتدا كما في المثال الاول ويجوز ان يكون غيره فالآية على هذا الوجه الذي اوضحته منزلة على المثال الاول فيكون ذكر المنصوب واقعا على اشد كما كان الرجل المنصوب واقعا على اشجع فكأنه قال او اشد الا ذاكر ذكرا فهذه وجوه اربعة كلها مطروقة الا هذا الوجه الذي زدته فان خاطري أبو عذرته كخشية الله أو أشد خشية ولم أقف على كلام الزمخشري فيها

ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار أولئك لهم نصيب مما كسبوا والله سريع الحساب واذكروا الله في أيام معدودات فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه ومن تاخر فلا اثم عليه لمن اتقي

المكثرين (آتنا في الدنيا) اجعل ايتاءنا أي اعطاءنا في الدنيا خاصة (وماله في الآخرة من خلاق) أي من طلب خلاق وهو النصيب أو ماله ذا الداعي في الآخرة من نصيب لان همه مقصور على الدنيا * والحسنتان ماهو طلبة الصالحين في الدنيا من الصحة والكفاف والتوفيق في الخير وطلبتهم في الآخرة من الثواب وعن علي رضي الله عنه الحسنة في الدنيا المرأة الصالحة وفي الآخرة الحوراء وعذاب النار امرأة السوء (أولئك) الداعون بالحسنتين (لهم نصيب مما كسبوا) أي نصيب من جنس ما كسبوا من الاعمال الحسنة وهو الثواب الذي هو المنافع الحسنة أو من أجل ما كسبوا كقوله مما خطيئاتهم أغرقوا أولهم نصيب مما دعوا به نعطيهم منه ما يستوجبونه بحسب مصالحهم في الدنيا واستحقاقهم في الآخرة وسمي الدعاء كسبا لانه من الاعمال والاعمال موصوفة بالكسب بما كسبت أيديكم ويجوز أن يكون أولئك للفريقين جميعا وأن لكل فريق نصيبا من جنس ما كسبوا (والله سريع الحساب) يوشك ان يقيم القيامة ويحاسب العباد فبادروا اكثار الذكر وطلب الآخرة أو وصف نفسه بسرعة حساب الخلائق على كثرة عددهم وكثرة أعمالهم ليدل على كمال قدرته ووجوب الحذر منه روى أنه يحاسب الخلق في قدر حلب شاة وروى في مقدار فواق ناقة وروى في مقدار لمحة * الايام المعدودات أيام التشريق وذكر الله فيها التكبير في ادبار الصلوات وعند الجمار وعن عمر رضي الله عنه أنه كان يكبر في فسطاطه بمنى فيكبر من حوله حتى يكبر الناس في الطريق وفي الطواف (فمن تعجل) فمن عجل في النفر أو استعجل النفر وتعجل واستعجل يجيئان مطاوعين بمعنى عجل يقال تعجل في الامر واستعجل ومتعديين يقال تعجل الذهاب واستعجله والمطاوعة أوفق لقوله ومن تاخر كما هي كذلك في قوله قد يدرك المتاني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

لاجل المتاني (في يومين) بعد يوم النحر يوم القر وهو اليوم الذي يسميه اهل مكة يوم الرؤس واليوم بعده ينفر اذا فرغ من رمي الجمار كما يفعل الناس اليوم وهو مذهب الشافعي ويروى عن قتادة وعند أبي حنيفة وأصحابه ينفر قبل طلوع الفجر (ومن تاخر) حتى رمي في اليوم الثالث والرمي في اليوم الثالث يجوز تقديمه على الزوال عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يجوز * (فان قلت) كيف قال (فلا اثم عليه) عند التعجل والتاخر جميعا (قلت) دلالة على أن التعجل والتاخر مخير فيهما كانه قيل فتعجلوا أو تاخروا (فان قلت) أليس التاخر بافضل (قلت) بلى ويجوز ان يقع التخيير بين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والافطار وان كان الصوم افضل وقيل ان اهل الجاهلية كانوا فريقين منهم من جعل المتعجل آثما ومنهم من جعل المتاخر آثما فورد القرآن بنفي المأثم عنهما جميعا (لمن اتقى) اى ذلك التخيير ونفي الاثم عن المتعجل والمتاخر لاجل الحاج المتقي لئلا يتخالج في قلبه شيء منهما فيحسب ان احدهما يرهق صاحبه آثام في الاقدام عليه

بعد * قوله تعالى فمن تعجل في يومين فلا اثم عليه الآية (قال محمود انما نفى الاثم في الطرفين جميعا ليدل على التخيير بين الامرين الفاضل والافضل كما خير المسافر بين الصوم والفطر وان كان الصوم أفضل) قال أحمد رحمه الله قوله ان التخيير يقع بين الفاضل والافضل غير مستقيم فان التخيير يوجب التساوي في غرض المخير وينافي طلب أحد الطرفين والامر به وكيف يستقيم اجماع مايوجب الطلب والترجيح ومايوجب التساوي والتخيير وقد وقع لامام الحرمين قريب من هذا فانه ميز الوجوب من الندب بان الندب يشتمل على اقتران الامر بخيرة الترك ولا كذلك الوجوب ولم يرضه محققو الفن وانما أخل الزمخشري في تفسيره الآية فلزمه ذلك السؤال الوارد عليه وبيان عدم التطابق بين تفسيره والآية ان مضمونها نفى الاثم عن الطرفين جميعا وهذا القدر مشترك بين الندب والكراهة والاباحة لكن يتميز الندب بترجيح الفعل على الترك وتتميز الكراهة والاباحة بالتخيير بينهما فلا تنافي اذا بين الندب الى التأخير وانه أفضل وبين نفي الاثم عن تاركه الى التعجيل وحينئذ لا يرد السؤال الذي لزمه فاجاب عنه

لان ذا التقوى حذر متحرز من كل ما يريبه ولانه هو الحاج على الحقيقة عند الله ثم قال (واتقوا الله) ليعبأ بكم ويجوز ان يراد ذلك الذى مر ذكره من احكام الحج وغيره * لمن اتقى لانه هو المنتفع به دون من سواه كقوله ذلك خير للذين يريدون وجه الله (من يعجبك قوله) أى يروقك و يعظم في قلبك ومنه الشيء العجيب الذى يعظم في النفس وهو الاخنس بن شريق كان رجلا حلو المنطق اذا لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم ألان له القول وادعى انه يحبه وانه مسلم وقال يعلم الله انى صادق وقيل هو عام في المنافقين كانت تحلولى السنتهم وقلوبهم امر من الصبر * (فان قلت) بم يتعلق قوله (في الحياة الدنيا) (قلت) بالقول اى يعجبك ما يقوله فى معنى الدنيا لان ادعاءه المحبة بالباطل يطلب به حظا من حظوظ الدنيا ولا يريد به الآخرة كما تراد بالايمان الحقيقى والمحبة الصادقة للرسول فكلامه اذن فى الدنيا لا فى الآخرة و يجوز أن يتعلق بيعجبك أى قوله حلو فصيح فى الدنيا فهو يعجبك ولا يعجبك فى الآخرة لما يرهقه فى الموقف من الحبسة و اللكنة أو لانه لا يؤذن له فى الكلام فلا يتكلم حتى يعجبك كلامه (و يشهد الله على ما فى قلبه) أى يحلف و يقول الله شاهد على ما فى قلبي من محبتك ومن الاسلام وقرئ و يشهد الله وفي مصحف أبى و يستشهد الله (وهو الد الخصام) وهو شديد الجدال والعداوة للمسلمين وقيل كان بينه و بين ثقيف خصومة فبيتهم ليلا وأهلك مواشيهم وأحرق زروعهم والخصام المخاصمة واضافة الالد بمعنى فى كقولهم ثبت الغدر أو جعل الخصام الدا على المبالغة وقيل الخصام جمع خصم كصعب وصعاب بمعنى وهو أشد الخصوم خصومة (واذا تولى) عنك وذهب بعد الانة القول واحلاء المنطق (سعى فى الارض ليفسد فيها) كما فعل بثقيف وقيل واذا تولى واذا كان واليا فعل ما يفعله ولاة السوء من الفساد فى الارض باهلاك الحرث والنسل وقيل يظهر الظلم حتى يمنع الله بشؤم ظلمه القطر فيهلك الحرث والنسل وقرئ و يهلك الحرث والنسل على أن الفعل للحرث والنسل والرفع للعطف على سعى وقرأ الحسن بفتح اللام وهي لغة نحو أبى يابي وروى عنه و يهلك على البناء للمفعول (أخذته العزة بالاثم) من قولك أخذته بكذا اذا حملته عليه والزمته اياه اى حملته العزة التى فيه وحمية الجاهلية على الاثم الذى ينهى عنه والزمته ارتكابه وان لا يخلى عنه ضرارا ولجاجا او على رد قول الواعظ (يشرى نفسه) يبيعها اى يبذلها في الجهاد وقيل يامر بالمعروف و ينهى عن المنكر حتي يقتل وقيل نزلت فى صهيب ابن سنان اراده المشركون على ترك الاسلام وقتلوا نفرا كانوا معه فقال لهم انا شيخ كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فخلونى وما انا عليه وخذوا مالى فقبلوا منه ماله واتي المدينة (والله رؤف بالعباد) حيث كلفهم الجهاد فعرضهم لثواب الشهداء (السلم) بكسر السين وفتحها وقرأ الاعمش بفتح السين واللام وهو الاستسلام والطاعة اى استسلموا لله واطيعوه (كافة) لا يخرج احد منكم يده عن طاعته وقيل هو الاسلام والخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا بنبيهم وكتابهم او للمنافقين لانهم آمنوا بالسنتهم و يجوز ان يكون كافة حالا من السلم لانها تؤنث كما تؤنث الحرب قال

السلم تاخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع

على ان المؤمنين امروا بان يدخلوا فى الطاعات كلها وان لا يدخلوا في طاعة دون طاعة او في شعب الاسلام وشرائعه كلها وان لا يخلو بشىء منها وعن عبد الله بن سلام انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقيم على السبت وان يقرأ من التوراة فى صلاته من الليل وكافة من الكف كانهم كفوا ان يخرج منهم احد باجتماعهم (فان زللتم) عن الدخول فى السلم (من بعد ما جاءتكم البينات) اى الحجج والشواهد على ان ما دعيتم الى الدخول فيه هو الحق (فاعلموا ان الله عزيز) غالب لا يعجزه الانتقام منكم (حكيم) لا ينتقم الا بحق وروى ان قارئا قرأ غفور رحيم فسمعه اعرابي فانكره ولم يقرأ القرآن وقال ان كان هذا كلام الله فلا يقول كذا الحكيم لا يذكر الغفران عند الزلل لانه اغراء عليه وقرأ أبو السمال زللتم بكسر اللام وهما لغتان نحو ظللت وظللت * اتيان الله اتيان أمره و باسه كقوله او يأتى أمر ربك فجاءهم بأسنا و يجوز ان يكون المأتي به

واتقوا الله واعلموا أنكم اليه تحشرون ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا و يشهد الله على ما في قلبه وهو الد الخصام واذا تولى سعى فى الارض ليفسد فيها و يهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد واذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالاثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ومن الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضاة الله والله رؤف بالعباد يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين فان زللتم من بعد ما جاءتكم البينات فاعلموا ان الله عزيز حكيم هل ينظرون الا أن يأتيهم الله

* قوله تعالى زين للذين كفروا الحياة الدنيا (قال محمود رحمه الله المزين هو الشيطان الخ) قال احمد رحمه الله وردت اضافة التزيين الى الله تعالى واضافته الى غيره فى مواضع من الكتاب العزيز وهذه الآية تحتمل الوجهين لكن الاضافة الى قدرة الله تعالى حقيقة والاضافة الى غيره مجاز على قواعد السنة والزمخشرى يحمل على عكس هذا فان اضاف الله فعلا من افعاله الى قدرته جعله مجازا وان اضافه الى بعض مخلوقاته جعله حقيقة وسبب هذا التعكيس باتباع الهوى فى القواعد الفاسدة * قوله تعالى ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا الآية (قال محمود رحمه الله لانهم فى عليين من السماء وهم فى سجين الخ) قال احمد رحمه الله وهذا 99 من وضع الظاهر موضع المضمر بصفة اخرى ومثله فى كتاب الله كثير قال الله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا أنفسهم واهليهم يوم القيامة ألا ان الظالمين فى عذاب مقيم وكان الاصل الا انهم الآية فوضع الظاهر موضع المضمر بصفة أخرى وضمنه ذكر صفة الظلم بتلو صفة الخسران وفي كلام الزمخشرى طماح الى قاعدته فى وجوب وعيد العصاة الا تراه كر بك بقوله انه لا يسعد عنده الا المؤمن التقي اشارة الى ان غير المتقي وهو المصر على الكبائر شقي حتما كهؤلاء الذين يسخرون من الذين آمنوا ومنهم من يتمحل فيقول لانه جعل المؤمن عين المتقي ومقتضى قاعدته الفاسدة ان الايمان يستلزم التقوى حتى لا يفرض مؤمن الا متقيا اذ الايمان فيما فسره هو فى تفسيره هذا وفيما فسره أهل بدعته فى كتبهم هو تصديق الاعتقاد الصحيح والنطق به والعمل الصالح والخل عندهم بالعمل اما بالاصرار على كبيرة او بترك مهم من الواجبات فاسق ليس بمؤمن ولا كافر فمقتضى هذا التقرير على ماترى ان كل مؤمن متق وقد علمت من كلامه على هذه الآية ما يأبى ذلك وينقضه

محذوفا بمعنى ان يأتيهم الله بأسه أو بنقمته للدلالة عليه بقوله فان الله عزيز (فى ظلل) جمع ظلة وهي ما اظلك وقرئ ظلال وهي جمع ظلة كقلة وقلال أو جمع ظل * وقرئ والملائكة بالرفع كقوله هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة وبالجر عطف على ظلل او على الغمام (فان قلت) لم يأتيهم العذاب فى الغمام (قلت) لان الغمام مظنة الرحمة فاذا نزل منه العذاب كان الامر أفظع واهول لان الشر اذا جاء من حيث لا يحتسب كان اغم كما ان الخير اذا جاء من حيث لا يحتسب كان أسر فكيف اذا جاء الشر من حيث يحتسب الخير ولذلك كانت الصاعقة من العذاب المستفظع لمجيئها من حيث يتوقع الغيث ومن ثمة اشتد على المتفكرين فى كتاب الله قوله تعالى وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون (وقضى الامر) واتم امر هلاكهم وتدميرهم وفرغ منه وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه وقضاء الامر على المصدر المرفوع عطفا على الملائكة * وقرئ ترجع وترجع على البناء للفاعل والمفعول بالتانيث والتذكير فيهما (سل) أمر للرسول عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وهذا السؤال سؤال تقريع كما تسئل الكفرة يوم القيامة (كم آتيناهم من آية بينة) على ايدى انبيائهم وهي معجزاتهم أو من آية فى الكتب شاهدة على صحة دين الاسلام * و (نعمة الله) آياته وهي اجل نعمة من الله لانها اسباب الهدى والنجاة من الضلالة وتبديلهم اياها ان الله اظهرها ليكون أسباب هداهم فجعلوها أسباب ضلالتهم كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم أو حرفوا آيات الكتب الدالة على دين محمد صلى الله عليه وسلم * (فان قلت) كم استفهامية أم خبرية (قلت) تحتمل الامرين ومعنى الاستفهام فيها للتقرير (فان قلت) مامعنى (من بعد ما جاءته) (قلت) معناه من بعد ما تمكن من معرفتها او عرفها كقوله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه لانه اذا لم يتمكن من معرفتها أو لم يعرفها فكأنها غائبة عنه وقرئ ومن يبدل بالتخفيف * المزين هو الشيطان زين لهم الدنيا وحسنها في اعينهم بوساوسه وحببها اليهم فلا يريدون غيرها ويجوز ان يكون الله قد زينها لهم بان خذلهم حتى استحسنوها واحبوها أو جعل امهال المزين له تزيينا ويدل عليه قراءة من قرأ زين للذين كفروا الحياة الدنيا على البناء للفاعل (ويسخرون من الذين آمنوا) كانت الكفرة يسخرون من المؤمنين الذين لا حظ لهم من الدنيا كابن مسعود وعمار وصهيب وغيرهم أي لا يريدون غيرها وهم يسخرون ممن لا حظ له فيها أو ممن يطلب غيرها (والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة) لانهم فى عليين من السماء وهم فى سجين من الارض أو حالهم عالية لحالهم لانهم فى كرامة وهم فى هوان أو هم عالون عليهم متطاولون يضحكون منهم كما يتطاول هؤلاء عليهم فى الدنيا ويرون الفضل لهم عليهم فاليوم الذين آمنوا من الكفار يضحكون (والله يرزق من يشاء بغير حساب) بغير تقدير يعني انه يوسع على من توجب الحكمة التوسعة عليه كما وسع على قارون وغيره فهذه التوسعة عليكم من جهة الله لما فيها من الحكمة وهي استدراجكم بالنعمة ولو كانت كرامة لكان اولياؤه المؤمنون أحق بها منكم * (فان قلت) لم قال من الذين آمنوا ثم قال والذين اتقوا (قلت) ليريك انه لا يسعد عنده الا المؤمن المتقي وليكون بعثا للمؤمنين على التقوى اذا سمعوا ذلك (كان الناس أمة واحدة) متفقين على دين الاسلام (فبعث الله النبيين) يريد فاختلفوا فبعث الله وانما حذف لدلالة قوله ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه عليه وفي قراءة عبد الله كان الناس أمة واحدة فاختلفوا فبعث الله والدليل عليه قوله عز وعلا وما كان الناس الا أمة

في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الامر والى الله ترجع الامور سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فان الله شديد العقاب زين للذين كفروا الحياة الدنيا ويسخرون من الذين آمنوا والذين اتقوا فوقهم يوم القيامة والله يرزق من يشاء بغير حساب كان الناس امة واحدة فبعث الله النبيين

واحدة فاختلفوا وقيل كان الناس أمة واحدة كفارا فبعث الله النبيين فاختلفوا عليهم والاول الوجه (فان قلت) متى كان الناس أمة واحدة متفقين على الحق (قلت) عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان بين آدم و بين نوح عشرة قرون على شريعة من الحق فاختلفوا وقيل هم نوح ومن كان معه فى السفينة (وانزل معهم الكتاب) يريد الجنس أو مع كل واحد منهم كتابه (ليحكم) الله أو الكتاب أو النبي المنزل عليه (فيما اختلفوا فيه) فى الحق ودين الاسلام الذى اختلفوا فيه بعد الاتفاق (وما اختلف فيه فى الحق (الا الذين أوتوه) الا الذين أوتوا الكتاب المنزل لازالة الاختلاف أى ازدادوا فى الاختلاف لما انزل عليهم الكتاب وجعلوا نزول الكتاب سببا فى شدة الاختلاف واستحكامه (بغيا بينهم) حسدا بينهم وظلما لحرصهم على الدنيا وقلة انصاف منهم و(من الحق) بيان لما اختلفوا فيه اى فهدى الله الذين آمنوا للحق الذى اختلف فيه من اختلف (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها للتقرير وانكار الحسبان واستبعاده ولما ذكر ما كانت عليه الامم من الاختلاف على النبيين بعد مجيء البينات تشجيعا لرسول الله ﷺ والمؤمنين على الثبات والصبر مع الذين اختلفوا عليه من المشركين واهل الكتاب وانكارهم لآياته وعداوتهم له قال لهم على طريقة الالتفات التي هي أبلغ أم حسبتم (ولما) فيها معنى التوقع وهي فى النفي نظيرة قد فى الاثبات والمعنى ان اتيان ذلك متوقع منتظر (مثل الذين خلوا) حالهم التي هي مثل فى الشدة و(مستهم) بيان للمثل وهو استئناف كان قائلا قال كيف كان ذلك المثل فقيل مستهم البأساء (وزلزلوا) وازعجوا ازعاجا شديدا شبيها بالزلزلة بما اصابهم من الاهوال والافزاع (حتى يقول الرسول) الى الغاية التى قال الرسول ومن معه فيها (متى نصر الله) اى بلغ بهم الضجر ولم يبق لهم صبر حتى قالوا ذلك ومعناه طلب الصبر وتمنيه واستطالة زمان الشدة وفى هذه الغاية دليل على تناهي الامر فى الشدة وتماديه فى العظم لان الرسل لا يقادر قدر ثباتهم واصطبارهم وضبطهم لانفسهم فاذا لم يبق لهم صبر حتى ضجوا كان ذلك الغاية فى الشدة التى لا مطمح وراءها (ألا ان نصر الله قريب) على ارادة القول يعنى فقيل لهم ذلك اجابة لهم الى طلبتهم من عاجل النصر وقرئ حتى يقول بالنصب على اضمار ان ومعنى الاستقبال لان أن علم له وبالرفع على انه فى معنى الحال كقولك شربت الابل حتى يجيء البعير يجر بطنه الا أنها حال ماضية محكية * (فان قلت) كيف طابق الجواب السؤال فى قوله (قل ما انفقتم) وهم قد سألوا عن بيان ما ينفقون وأجيبوا ببيان المصرف (قلت) قد تضمن قوله ما انفقتم (من خير) بيان ما ينفقونه وهو كل خير و بنى الكلام على ما هو اهم وهو بيان المصرف لان النفقة لا يعتد بها الا ان تقع موقعها قال الشاعر

ان الصنيعة لا تكون صنيعة * حتى يصاب بها طريق المصنع

وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه جاء عمرو بن الجموح وهو شيخ هم وله مال عظيم فقال ماذا ننفق من اموالنا واين نضعها فنزلت وعن السدي هي منسوخة بفرض الزكاة وعن الحسن هي فى التطوع (وهو كره لكم) من الكراهة بدليل قوله (وعسى ان تكرهوا شيأ) ثم اما ان يكون بمعنى الكراهة على وضع المصدر موضع الوصف مبالغة كقولها * فانما هي اقبال وادبار * كانه فى نفسه كراهة لفرط كراهتهم له واما ان يكون فعلا بمعنى مفعول كالخبز بمعنى المخبوز أى وهو مكروه لكم وقرأ السلمي بالفتح على ان يكون بمعنى المضموم كالضعف والضعف ويجوز ان يكون بمعنى الاكراه على طريق المجاز كانهم أكرهوا عليه لشدة كراهتهم له ومشقته عليهم ومنه قوله تعالى حملته أمه كرها ووضعته كرها * وعلى قوله تعالى (وعسى ان تكرهوا شيأ) جميع ما كلفوه فان النفوس تكرهه وتنفر عنه وتحب خلافه (والله يعلم) ما يصلحكم وما هو خير لكم (وانتم لا تعلمون ذلك * بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جحش على سرية فى جمادى الآخرة قبل قتال بدر بشهرين ليترصد عيرا لقريش فيها عمرو بن عبد الله الحضرمي وثلاثة معه فقتلوه واسروا اثنين واستاقوا العير وفيها من تجارة الطائف وكان ذلك أول يوم من رجب وهم يظنونه من جمادى الآخرة فقالت قريش قد استحل محمد الشهر الحرام شهرا يأمن فيه الخائف ويبذعر فيه الناس الى معايشهم فوقف رسول الله صلى الله

مبشرين ومنذرين وانزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم أم حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله الا ان نصر الله قريب يسئلونك ماذا ينفقون قل ما انفقتم من خير فللوالدين والاقربين واليتامى والمساكين وابن السبيل وما تفعلوا من خير فان الله به عليم كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى ان تكرهوا شيأ وهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيأ وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون يسئلونك عن الشهر الحرام قتال فيه قل

* قوله تعالى يسالونك عن الخمر الآية (قال محمود رحمه الله نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة الخ) قال أحمد ويظهر لي سر واقع مما ذكره في هذا الغرض وذلك ان السؤال الاول من الاسئلة المقرونة بالواو عين السؤال الاول من الاسئلة المجردة عن الواو ولكن وقع جوابه أولا بالمصرف لانه الاهم وان كان المسؤل عنه انما هو المنفق لا وجه مصرفه ثم لم يكن في الجواب الاول تصريح بالمسؤل عنه اعيد السؤال ليجابوا عن المسؤل عنه صريحا فقيل العفو أي الفاضل من النفقة الواجبة على العيال أو نحو ذلك حسبما ورد في تفسيره فتعين اذا اقتران هذا السؤال بالواو ليرتبط بالاول ويحتمل أنهم لما أجيبوا أولا ببيان جهة المصرف ولم يصرح لهم بالجواب على عين المنفق ماهو أعاد السؤال لكي يتلقوا جوابه صريحا فتعين دخول الواو واما السؤال الثاني من الاسئلة المقرونة بالواو فقد وقع عن أحوالهم مع التنافي وهل يجوز لهم مخالطتهم في النفقة والكسوة والسكنى وقد كانوا يتحرجون من ذلك في الجاهلية فلما كان مناسبا السؤال عن الانفاق باعتبار المنفق وباعتبار جهة المصرف عطف عليه ليكمل لهم بيان المشروعية في النفقة وآدابها الدينية بيانا شافيا الا انه قد اجتمع في علمهم ما ينفقون وفيم ينفقون وعلى اى حالة ينفقون من مخالطة اليتيم وانفرادعنه واما السؤال الثالث منها وهو الواقع عن النساء الحيض فقد وردانهم في الجاهلية كانوا يعتزلون الحيض في المؤاكلة والمساكنة يقتدون في ذلك باليهود فسالوا السؤال المذكور كما كانوا يعتزلون اليتامى في المساكنة والمؤاكلة تحرجا جاهليا وكان بين هذين السؤالين تناسب كما ترى فحسن ان يعطف الآخر على ماقبله تنبيها على ما بينهما من المشاكلة والله أعلم واذا اعتبرت الاسئلة المجردة عن الواو لم تجد بينها مداناة ولا مناسبة البتة اذ الاول منها عن النفقة والثاني عن القتال في الشهر الحرام والثالث عن الخمر والميسر فبين هذه الاسئلة من التباين والتقاطع مالا يخفى فذكرت كذلك مرسلة متعاطفة غير مربوطة بعضها ببعض فتنبه لهذا السر فانه بديع لا تجده يراعي الا في الكتاب العزيز لاستيلائه على أسرار البلاغة ونكت الفصاحة ولا تستفاد منه الا بالتنقب في صناعة البيان وعلم اللسان وقد اشتمل جواب الزمخشري المقدم على وهم أنبه عليه وذلك أنه قال الاسئلة الثلاثة الاخيرة وقعت في وقت واحد وكانت في حكم السؤال الواحد فربط بعضها ببعض بالواو وهذا يقتضي كما ترى ان يقترن السؤال الثاني والثالث بالواو خاصة دون الاول اذ الواو وانما يربط ما بعدها بما قبلها فاقترانها بالاول لا يربطه بالثاني وانما يربطه بما قبله وعلى هذا تكون الاسئلة التي وقعت في وقت واحد أربعة أسئلة لا ثلاثة خاصة وقد قال ان الاسئلة المرتبطة الواقعة في وقت واحد هي الثلاثة الاخيرة فهو واهم بلاشك وكل ماخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم

قتال فيه كبير وصد عن سبيل الله وكفر به والمسجد الحرام واخراج أهله منه أكبر عند الله والفتنة أكبر من القتل ولا يزالون يقاتلونكم حتي يردوكم عن دينكم ان استطاعوا ومن يرتدد منكم عن دينه فيمت وهو كافر فاولئك حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة واولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ان الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله والله غفور رحيم يسالونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس

عليه وسلم العير وعظم ذلك على أصحاب السرية وقالوا ما نبرح حتي تنزل توبتنا ورد رسول الله صلي الله عليه وسلم العير والاسارى وعن ابن عباس رضى الله عنه لما نزلت أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم الغنيمة والمعنى يسالك الكفار أو المسلمون عن القتال في الشهر الحرام و(قتال فيه) بدل الاشتمال من الشهر وفي قراءة عبد الله عن قتال فيه على تكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم وقرأ عكرمة قتل فيه قل قتل فيه كبير اى اثم كبير وعن عطاء انه سئل عن القتال في الشهر الحرام فحلف بالله ما يحل للناس ان يغزوا في الحرم ولا في الشهر الحرام الا ان يقاتلوا فيه وما نسخت واكثر الاقاويل على انها منسوخة بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم (وصد عن سبيل الله) مبتدا وأكبر خبره يعني وكبائر قريش من صدهم عن سبيل الله وعن المسجد الحرام وكفرهم بالله واخراج أهل المسجد الحرام وهم رسول الله والمؤمنون (أكبر عند الله) مما فعلته السرية من القتال في الشهر الحرام على سبيل الخطا والبناء على الظن (والفتنة) الاخراج او الشرك * والمسجد الحرام عطف على سبيل الله ولا يجوز ان يعطف على الهاء في به (ولا يزالون يقاتلونكم) اخبار عن دوام عداوة الكفار للمسلمين وأنهم لا ينفكون عنها حتي يردوهم عن دينهم وحتى معناها التعليل كقولك فلان يعبد الله حتى يدخل الجنة اي يقاتلونكم كي يردوكم و(ان استطاعوا) استبعاد لاستطاعتهم كقول الرجل لعدوه ان ظفرت بي فلا تبق علي وهو واثق بأنه لا يظفر به (ومن يرتدد منكم) ومن يرجع عن دينه الى دينهم ويطاوعهم على رده اليه (فيمت) على الردة (فاولئك حبطت اعمالهم في الدنيا والآخرة) لما يفوتهم باحداث الردة مما للمسلمين في الدنيا من ثمرات الاسلام وباستدامتها والموت عليها من ثواب الآخرة وبها احتج الشافعي على ان الردة لا تحبط الاعمال حتى يموت عليها وعند ابي حنيفة انها تحبطها وان رجع مسلما (ان الذين آمنوا والذين هاجروا) روى ان عبد الله بن جحش واصحابه حين قتلوا الحضرمي ظن قوم انهم ان سلموا من الاثم فليس لهم أجر فنزلت (أولئك يرجون رحمة الله) وعن قتادة هؤلاء خيار هذه الامة ثم جعلهم الله أهل رجاء كما تسمعون وانه من رجا طلب ومن خاف هرب * نزلت في الخمر أربع آيات نزلت بمكة ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا فكان المسلمون يشربونها وهي لهم حلال ثم ان عمر ومعاذا ونفرا من الصحابة قالوا يارسول الله أفتنا في الخمر فانها مذهبة للعقل مسلبة للمال فنزلت (فيهما اثم كبير ومنافع للناس)

وإثمهما أكبر من نفعهما ويسئلونك ماذا ينفقون قل العفو كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون

فشربها قوم وتركها آخرون ثم دعا عبد الرحمن بن عوف ناسا منهم فشربوا وسكروا فأم بعضهم فقرأ قل يا أيها الكافرون أعبد ما تعبدون فنزلت لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى فقل من يشربها ثم دعا عتبان بن مالك قوما فيهم سعد بن أبي وقاص فلما سكروا افتخروا وتناشدوا حتى أنشد سعد شعرا فيه هجاء الأنصار فضربه أنصاري بلحى بعير فشجه موضحة فشكا الى رسول الله ﷺ فقال عمر اللهم بين لنا في الخمر بيانا شافيا فنزلت انما الخمر والميسر الى قوله فهل أنتم منتهون فقال عمر رضي الله عنه انتهينا يارب وعن علي رضي الله عنه لو وقعت قطرة في بئر فبنيت مكانها منارة لم أؤذن عليها ولو وقعت في بحر ثم جف ونبت فيه الكلأ لم أرعه وعن ابن عمر رضي الله عنهما لو أدخلت اصبعي فيه لم تتبعني وهذا هو الايمان حقا وهم الذين اتقوا الله حق تقاته والخمر ما غلا واشتد وقذف بالزبد من عصير العنب وهو حرام وكذلك نقيع الزبيب او التمر الذي لم يطبخ فان طبخ حتى ذهب ثلثاه ثم غلا واشتد ذهب خبثه ونصيب الشيطان وحل شربه ما دون السكر اذا لم يقصد بشربه اللهو والطرب عند أبي حنيفة وعن بعض اصحابه لان أقول مرارا هو حلال أحب الي من ان اقول مرة هو حرام ولأن أخر من السماء فاتقطع قطعا احب الي من ان اتناول منه قطرة وعند اكثر الفقهاء هو حرام كالخمر وكذلك كل ما أسكر من كل شراب وسميت خمرا لتغطيتها العقل والتمييز كما سميت سكرا لانها تسكرهما اى تحجزهما وكأنها سميت بالمصدر من خمره خمرا اذا ستره للمبالغة * والميسر القمار مصدر من يسر كالموعد والمرجع من فعلهما يقال يسرته اذا قمرته واشتقاقه من اليسر لانه أخذ مال الرجل بيسر وسهولة من غير كد ولا تعب او من اليسار لانه سلب يساره وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان الرجل في الجاهلية يخاطر على أهله وماله قال * اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * اى يفعلون بي ما يفعل الياسرون بالميسور (فان قلت) كيف صفة الميسر (قلت) كانت لهم عشرة اقداح وهي الازلام والاقلام والفذ والتوأم والرقيب والحلس والنافس والمسبل والمعلى والمنيح والسفيح والوغد لكل واحد منها نصيب معلوم من جزور ينحرونها ويجزؤنها عشرة اجزاء وقيل ثمانية وعشرين الا لثلاثة وهي المنيح والسفيح والوغد ولبعضهم

لي في الدنيا سهام * ليس فيهن ربيح * وأساميهن وغد * وسفيح ومنيح

للفذ سهم وللتوأم سهمان وللرقيب ثلاثة وللحلس اربعة وللنافس خمسة وللمسبل ستة وللمعلى سبعة يجعلونها في الربابة وهي خريطة ويضعونها على يدي عدل ثم يجلجلها ويدخل يده فيخرج باسم رجل رجل قدحا منها فمن خرج له قدح من ذوات الانصباء اخذ النصيب الموسوم به ذلك القدح ومن خرج له قدح مما لا نصيب له لم يأخذ شيأ وغرم ثمن الجزور كله وكانوا يدفعون تلك الانصباء الى الفقراء ولا يأكلون منها ويفتخرون بذلك ويذمون من لم يدخل فيه ويسمونه البرم وفي حكم الميسر انواع القمار من النرد والشطرنج وغيرهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم اياكم وهاتين اللعبتين المشؤمتين فانهما من ميسر العجم وعن علي رضي الله عنه ان النرد والشطرنج من الميسر وعن ابن سيرين كل شيء فيه خطر فهو من الميسر والمعنى يسألونك عما في تعاطيهما بدليل قوله تعالى قل فيهما اثم كبير (واثمهما) وعقاب الاثم في تعاطيهما (أكبر من نفعهما) وهو الالتذاذ بشرب الخمر والقمار والطرب فيهما والتوصل بهما الى مصادقات الفتيان ومعاشراتهم والنيل من مطاعمهم ومشاربهم وأعطياتهم وسلب الاموال بالقمار والافتخار على الابرام وقرئ اثم كثير بالثاء وفي قراءة أبي واثمهما أقرب ومعنى الكثرة أن أصحاب الشرب والقمار يقترفون فيهما الآثام من وجوه كثيرة (العفو) نقيض الجهد وهو ان ينفق ما لا يبلغ انفاقه منه الجهد واستفراغ الوسع قال * خذي العفو مني تستديمي مودتي * ويقال للارض السهلة العفو وقرئ بالرفع والنصب وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا أتاه ببيضة من ذهب أصابها في بعض المغازي فقال خذها مني صدقة فاعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فأتاه من الجانب الايمن فقال مثله فاعرض عنه ثم أتاه من الجانب الايسر فاعرض عنه فقال هاتها مغضبا فاخذها فخذفه بها خذفا لو أصابه لشجه او عقره ثم قال يجيء أحدكم بماله كله يتصدق به ويجلس يتكفف الناس انما

الصدقة عن ظهر غنى (فى الدنيا والآخرة) اما ان يتعلق بتتفكرون فيكون المعنى لعلكم تتفكرون فيما يتعلق بالدارين فتاخذون بما هو أصلح لكم كما بينت لكم أن العفو أصلح من الجهد فى النفقة أو تتفكرون فى الدارين فتؤثرون أبقاهما وأكثرهما منافع ويجوز ان يكون اشارة الى قوله واثمهما أكبر من نفعهما لتتفكروا فى عقاب الاثم فى الآخرة والنفع فى الدنيا حتى لا تختاروا النفع العاجل على النجاة من العقاب العظيم واما أن يتعلق بيبين على معنى يبين لكم الآيات فى أمر الدارين وفيما يتعلق بهما لعلكم تتفكرون لما نزلت ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما اعتزلوا اليتامى وتحاموهم وتركوا مخالطتهم والقيام بأموالهم والاهتمام بمصالحهم فشق ذلك عليهم وكاد يوقعهم فى الحرج فقيل (اصلاح لهم خير) أى مداخلتهم على وجه الاصلاح لهم ولاموالهم خير من مجانبتهم (وان تخالطوهم) وتعاشروهم ولم تجانبوهم (ف) هم (اخوانكم) فى الدين ومن حق الاخ أن يخالط أخاه وقد حملت المخالطة على المصاهرة (والله يعلم المفسد من المصلح) اى لا يخفى على الله من داخلهم بافساد واصلاح فيجازيه على حسب مداخلته فاحذروه ولا تتحروا غير الاصلاح (ولو شاء الله لأعنتكم) لحملكم على العنت وهو المشقة وأحرجكم فلم يطلق لكم مداخلتهم وقرأ طاوس قل اصلاح اليهم ومعناه ايصال الصلاح وقرئ لعنتكم بطرح الهمزة والقاء حركتها على اللام وكذلك فلا اثم عليه (ان الله عزيز) غالب يقدر على ان يعنت عباده ويحرجهم ولكنه (حكيم) لا يكلف الا ما تتسع فيه طاقتهم (ولا تنكحوا) وقرئ بضم التاء اى لا تتزوجوهن او لا تزوجوهن و (المشركات) الحربيات والآية ثابتة وقيل المشركات الحربيات والكتابيات جميعا لان أهل الكتاب من أهل الشرك لقوله تعالى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله الى قوله تعالى سبحانه عما يشركون وهي منسوخة بقوله تعالى والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وسورة المائدة كلها ثابتة لم ينسخ منها شيء قط وهو قول ابن عباس والاوزاعي وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث مرثد بن ابى مرثد الغنوى الى مكة ليخرج منها ناسا من المسلمين وكان يهوى امرأة فى الجاهلية اسمها عناق فاتته وقالت الا تخلو فقال ويحك ان الاسلام قد حال بيننا فقالت فهل لك أن تتزوج بى قال نعم ولكن أرجع الى رسول الله ﷺ فاستامره فاستامره فنزلت (ولأمة مؤمنة خير) ولامرأة مؤمنة حرة كانت او مملوكة وكذلك ولعبد مؤمن لان الناس كلهم عبيد الله واماؤه (ولو أعجبتكم) ولو كان الحال ان المشركة تعجبكم وتحبونها فان المؤمنة خير منها مع ذلك (أولئك) اشارة الى المشركات والمشركين * اى يدعون الى الكفر فحقهم ان لا يوالوا ولا يصاهروا ولا يكون بينهم وبين المؤمنين الا المناصبة والقتال (والله يدعو الى الجنة) يعنى واولياء الله وهم المؤمنون يدعون الى الجنة (والمغفرة) وما يوصل اليهما فهم الذين تجب موالاتهم ومصاهرتهم وأن يؤثروا على غيرهم (باذنه) بتيسير الله وتوفيقه للعمل الذى تستحق به الجنة والمغفرة وقرأ الحسن والمغفرة باذنه بالرفع اى والمغفرة حاصلة بتيسيره (المحيض) مصدر يقال حاضت محيضا كقولك جاء مجيئا وبات مبيتا (قل هو أذى) اى الحيض شيء يستقذر ويؤذى من يقربه نفرة منه وكراهة له (فاعتزلوا النساء) فاجتنبوهن يعنى فاجتنبوا مجامعتهن روى ان أهل الجاهلية كانوا اذا حاضت المرأة لم يؤاكلوها ولم يشاربوها ولم يجالسوها على فرش ولم يساكنوها فى بيت كفعل اليهود والمجوس فلما نزلت أخذ المسلمون بظاهر اعتزالهن فاخرجوهن من بيوتهم فقال ناس من الاعراب يارسول الله البرد شديد والثياب قليلة فان آثرناهن بالثياب هلك سائر أهل البيت وان استأثرنا بها هلكت الحيض فقال عليه الصلاة والسلام انما أمرتم ان تعتزلوا مجامعتهن اذا حضن ولم يأمركم باخراجهن من البيوت كفعل الاعاجم وقيل ان النصارى كانوا يجامعونهن ولا يبالون بالحيض واليهود كانوا يعتزلونهن فى كل شيء فأمر الله بالاقتصاد بين الامرين وبين الفقهاء خلاف فى الاعتزال فابو حنيفة وأبو يوسف يوجبان اعتزال ما اشتمل عليه الازار ومحمد بن الحسن لا يوجب الا اعتزال الفرج وروى محمد حديث عائشة رضي الله عنها أن عبد الله بن عمر سألها هل يباشر الرجل امرأته وهي حائض فقالت تشد ازارها على سفلتها ثم ليباشرها ان شاء وما روى زيد بن أسلم أن رجلا سال النبي

فى الدنيا والآخرة ويسئلونك عن اليتامى قل اصلاح لهم خير وان تخالطوهم فاخوانكم والله يعلم المفسد من المصلح ولو شاء الله لأعنتكم ان الله عزيز حكيم ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ولأمة مؤمنة خير من مشركة ولو أعجبتكم ولا تنكحوا المشركين حتى يؤمنوا ولعبد مؤمن خير من مشرك ولو أعجبكم أولئك يدعون الى النار والله يدعوا الى الجنة والمغفرة باذنه ويبين آياته للناس لعلهم يتذكرون ويسئلونك عن المحيض قل هو اذى فاعتزلوا النساء فى المحيض ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن فأتوهن

صلى الله عليه وسلم مايحل لي من امرأتي وهي حائض قال لتشد عليها ازارها ثم شأنك بأعلاها ثم قال وهذا قول ابي حنيفة وقد جاء ماهو أرخص من هذا عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت يجتنب شعار الدم وله ماسوى ذلك * وقرئ يطهرن بالتشديد أي يتطهرن بدليل قوله فاذا تطهرن وقرأ عبد الله حتى يتطهرن ويطهرن بالتخفيف والتطهر الاغتسال والطهر انقطاع دم الحيض وكلتا القراءتين مما يجب العمل به فذهب ابو حنيفة الى ان له ان يقربها في اكثر الحيض بعد انقطاع الدم وان لم تغتسل وفي اقل الحيض لا يقربها حتى تغتسل أو يمضي عليها وقت صلاة وذهب الشافعي الى انه لا يقربها حتى تطهر وتطهر فتجمع بين الامرين وهو قول واضح ويعضده قوله فاذا تطهرن (من حيث أمركم الله) من المأتي الذي امركم الله به وحلله لكم وهو القبل (ان الله يحب التوابين) مما عسى يندر منهم من ارتكاب مانهوا عنه من ذلك (ويحب المتطهرين) المتنزهين عن الفواحش أو ان الله يحب التوابين الذين يطهرون أنفسهم بطهرة التوبة من كل ذنب ويحب المتطهرين من جميع الاقذار كمجامعة الحائض والطاهر قبل الغسل واتيان ماليس بمباح وغير ذلك (حرث لكم) مواضع حرث لكم وهذا مجاز شبهن بالمحارث تشبيها لما يلقى في ارحامهن من النطف التي منها النسل بالبذور وقوله (فأتوا حرثكم أنى شئتم) تمثيل أي فأتوهن كما تأتون أراضيكم التي تريدون أن تحرثوها من أي جهة شئتم لا تحظر عليكم جهة دون جهة والمعنى جامعوهن من أي شق أردتم بعد أن يكون المأتي واحدا وهو موضع الحرث وقوله هو أذى فاعتزلوا النساء من حيث أمركم الله فأتوا حرثكم أنى شئتم من الكنايات اللطيفة والتعريضات المستحسنة وهذه واشباهها في كلام الله آداب حسنة على المؤمنين أن يتعلموها ويتأدبوا بها ويتكلفوا مثلها في محاوراتهم ومكاتباتهم وروي ان اليهود كانوا يقولون من جامع امرأته وهي مجبية من دبرها في قبلها كان ولدها احول فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فقال كذبت اليهود ونزلت (وقدموا لانفسكم) مايجب تقديمه من الاعمال الصالحة وماهو خلاف مانهيتكم عنه وقيل هو طلب الولد وقيل التسمية على الوطء (واتقوا الله) فلا تجترئوا على المناهي (واعلموا أنكم ملاقوه) فتزودوا مالا تفتضحون به (وبشر المؤمنين) المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات (فان قلت) ماموقع قوله نساؤكم حرث لكم مما قبله (قلت) موقعه موقع البيان والتوضيح لقوله فأتوهن من حيث امركم الله يعني ان المأتي الذي امركم الله به هو مكان الحرث ترجمة له وتفسيرا وازالة للشبهة ودلالة على ان الغرض الاصيل في الاتيان هو طلب النسل لا قضاء الشهوة فلا تأتوهن الا من المأتي الذي يتعلق به هذا الغرض (فان قلت) مابال يسئلونك جاء بغير واو ثلاث مرات ثم مع الواو ثلاثا (قلت) كان سؤالهم عن تلك الحوادث الاول وقع في احوال متفرقة فلم يؤت بحرف العطف لان كل واحد من السؤالات سؤال مبتدأ وسألوا عن الحوادث الاخر في وقت واحد فجيء بحرف الجمع لذلك كأنه قيل يجمعون لك بين السؤال عن الخمر والميسر والسؤال عن الانفاق والسؤال عن كذا وكذا * العرضة فعلة بمعنى مفعول كالقبضة والغرفة وهي اسم ماتعرضه دون الشيء من عرض العود على الاناء فيعترض دونه ويصير حاجزا ومانعا منه تقول فلان عرضة دون الخير والعرضة أيضا المعرض للامر قال * فلا تجعلوني عرضة للوائم * ومعنى الآية على الاولى ان الرجل كان يحلف على بعض الخيرات من صلة رحم أو اصلاح ذات بين أو احسان الى احد أو عبادة ثم يقول اخاف الله أن احنث في يميني فيترك البر ارادة البر في يمينه فقيل لهم (ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم) أي حاجزا لما حلفتم عليه وسمي المحلوف عليه يمينا لتلبسه باليمين كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة اذا حلفت على يمين فرأيت غيرها خيرا منها فأت الذي هو خير وكفر عن يمينك أي على شيء مما يحلف عليه وقوله (أن تبروا وتتقوا وتصلحوا) عطف بيان لايمانكم أي للامور المحلوف عليها التي هي البر والتقوى والاصلاح بين الناس (فان قلت) بم تعلقت اللام في لايمانكم (قلت) بالفعل أي ولا تجعلوا الله لايمانكم برزخا وحجازا ويجوز ان يتعلق بعرضة لما فيها من معنى الاعتراض بمعنى لا تجعلوه شيئا يعترض البر من اعترضني كذا ويجوز ان يكون اللام للتعليل ويتعلق ان تبروا بالفعل أو بالعرضة أي ولا تجعلوا الله لاجل أيمانكم به عرضة لان تبروا ومعناها على الاخرى ولا تجعلوا الله

من حيث امركم الله ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين نساؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم وقدموا لانفسكم واتقوا الله واعلموا أنكم ملاقوه وبشر المؤمنين ولا تجعلوا الله عرضة لايمانكم ان تبروا وتتقوا وتصلحوا بين الناس والله سميع عليم لا يؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم

*قوله تعالى الذين يؤلون من نسائهم الآية (قال محمود رحمه الله وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة الخ) قال احمد رحمه الله وهذا التفسير منزل على مذهب ابي حنيفة لانه لا يرى الفيئة بعد انقضاء الاربعة الاشهر مقيدة اذا وقع الطلاق بنفس مضيها فلا تكون الفيئة معتبرة عنده الا في أربعة الاشهر خاصة (قال محمود رحمه الله فان قلت كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انقضاء مدة التربص الخ) قال احمد رحمه الله هذا جواب عن سؤال موجه على ابي حنيفة رضي الله عنه لانه اذا رأى الفيئة في الاشهر الاربعة خاصة لا فيما بعدها والله تعالى عطف الفيئة على تربص أربعة أشهر بالفاء ومقتضاها كما علمت وقوع ما عطفه بعد ما عطفه عليه فيلزم وقوع الفيئة المعتبرة بعد انقضاء الاشهر الاربعة وابو حنيفة يأباه فلذلك اجاب عنه الزمخشري بجوابه المتقدم والسؤال عندي يندفع

بطريق آخر وهو ان المعطوف

معرضا لايمانكم فتبتذلوه بكثرة الحلف به ولذلك ذم من أنزل فيه ولا تطع كل حلاف مهين باشنع المذام وجعل الحلاف مقدمتها وان تبروا علة للنهي أي ارادة أن تبروا وتتقوا وتصلحوا لان الحلاف مجترئ على الله غير معظم له فلا يكون برا متقيا ولا يثق به الناس فلا يدخلونه في وساطتهم واصلاح ذات بينهم * اللغو الساقط الذي لا يعتد به من كلام وغيره ولذلك قيل لما لا يعتد به في الدية من أولاد الابل لغو واللغو من اليمين الساقط الذي لا يعتد به في الايمان وهو الذي لا عقد معه والدليل عليه ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان بما كسبت قلوبكم واختلف الفقهاء فيه فعند أبي حنيفة وأصحابه هو أن يحلف على الشيء يظنه على ما حلف عليه ثم يظهر خلافه وعند الشافعي هو قول العرب لا والله وبلى والله مما يؤكدون به كلامهم ولا يخطر ببالهم الحلف ولو قيل لواحد منهم سمعتك اليوم تحلف في المسجد الحرام لانكر ذلك ولعله قال لا والله الف مرة وفيه معنيان أحدهما لا يؤاخذكم أي لا يعاقبكم بلغو اليمين الذي يحلفه أحدكم بالظن ولكن يعاقبكم بما كسبت قلوبكم أي اقترفته من اثم القصد الى الكذب في اليمين وهو ان يحلف على ما يعلم أنه خلاف ما يقوله وهي اليمين الغموس والثاني لا يؤاخذكم أي لا يلزمكم الكفارة بلغو اليمين الذي لا قصد معه ولكن يلزمكم الكفارة بما كسبت قلوبكم أي بما نوت قلوبكم وقصدت من الايمان ولم يكن كسب اللسان وحده (والله غفور حليم) حيث لم يؤاخذكم باللغو في ايمانكم * قرأ عبد الله آلوا من نسائهم وقرأ ابن عباس يقسمون من نسائهم (فان قلت) كيف عدي بمن وهو معدى بعلى (قلت) قد ضمن في هذا القسم المخصوص معنى البعد فكأنه قيل يبعدون من نسائهم مؤلين أو مقسمين ويجوز أن يراد لهم (من نسائهم تربص اربعة أشهر) كقوله لي منك كذا والايلاء من المرأة ان يقول والله لا اقربك اربعة اشهر فصاعدا على التقييد بالاشهر او لا اقربك على الاطلاق ولا يكون فيما دون اربعة اشهر الا ما يحكي عن ابراهيم النخعي وحكم ذلك انه اذا فاء اليها في المدة بالوطء ان امكنه او بالقول ان عجز صح الفيء وحنث القادر ولزمته كفارة اليمين ولا كفارة على العاجز وان مضت الاربعة بانت بتطليقة عند ابي حنيفة وعند الشافعي لا يصح الايلاء الا في اكثر من أربعة أشهر ثم يوقف المولى فاما أن يفيء واما ان يطلق وان ابى طلق عليه الحاكم ومعنى قوله (فان فاؤا) فان فاؤا في الاشهر بدليل قراءة عبد الله فان فاؤا فيهن (فان الله غفور رحيم) يغفر للمولين ما عسى يقدمون عليه من طلب ضرار النساء بالايلاء وهو الغالب وان كان يجوز ان يكون على رضا منهن اشفاقا منهن على الولد من الغيل أو لبعض الاسباب لاجل الفيئة التي هي مثل التوبة (وان عزموا الطلاق) فتربصوا الى مضى المدة (فان الله سميع عليم) وعيد على اصرارهم وتركهم الفيئة وعلى قول الشافعي رحمه الله معناه فان فاؤا وان عزموا بعد مضي المدة (فان قلت) كيف موقع الفاء اذا كانت الفيئة قبل انتهاء مدة التربص (قلت) موقع صحيح لان قوله فان فاؤا وان عزموا تفصيل لقوله للذين يؤلون من نسائهم والتفصيل يعقب المفصل كما تقول انا نزيلكم هذا الشهر فان احمدتكم أقمت عندكم الى آخره والا لم اقم الا ريثما أتحول (وان قلت) ما تقول في قوله فان الله سميع عليم

عليه التربص وهو حاصل من أول المدة فوقوع الفيئة في المدة بعد التربص فلا يحتاج الى الجواب بالمثال المذكور وانما أوقع الزمخشري في التزام السؤال تسليمه لتقدم الفيئة في الاربعة الاشهر على تربصها بناء منه على انه لا يصدق قول القائل

والله غفور رحيم للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم وان عزموا الطلاق فان الله سميع عليم

قد تربصت بفلان أربعة أشهر الا اذا انقضت المدة وليس الامر كذلك فانه يصدق من الحاكم ان يقول عند ضرب أجل المولى قد تربصت لك أربعة أشهر كما قال الله تعالى لينظر أيفيء أم لا ويصدق رب الدين في ان يقول لمديانه حالة القرض قد أجلتك بهذا

الدين سنة وان كان المتقضى منها حينئذ دقيقة واحدة فلذلك التربص المعطوف عليه في الآية واقع عند ضرب الاجل المذكور فالفيئة الواقعة في الاجل انما يقع بعده فالفاء على بابها المعروف (قال محمود رحمه الله فان قلت ما القول في قوله فان الله سميع عليم الخ) قال احمد رحمه الله في هذا الجواب اسلاف جواب عن سؤال آخر يتوجه على ابي حنيفة رضي الله عنه فيقال له اذا كان مضي الاربعة الاشهر يوجب عندك وقوع الطلاق بنفسه غير موقوف على ايقاع من احد فما الذي يسمع اذا وهو أمكن من السؤال الذي قدره الزمخشري فان لقائل ان يقول عبر بالعزم عن الايقاع لانه يستلزمه غالبا وفي اثناء كلامه نكتة تحتاج الى التنبيه عند قوله

وعزمهم الطلاق مما يعلم ولا يسمع (قلت) الغالب ان العازم للطلاق وترك الفيئة والضرار لا يخلو من مقاولة ودمدمة ولا بد له من أن يحدث نفسه و يناجيها بذلك وذلك حديث لا يسمعه الا الله كما يسمع وسوسة الشيطان (والمطلقات) اراد المدخول بهن من ذوات الاقراء (فان قلت) كيف جازت ارادتهن خاصة واللفظ يقتضي العموم (قلت) بل اللفظ مطلق فى تناول الجنس صالح لكله و بعضه فجاء فى احد ما يصلح له كالاسم المشترك (فان قلت) فما معنى الاخبار عنهن بالتربص (قلت) هو خبر فى معنى الامر واصل الكلام وليتربص المطلقات واخراج الامر فى صورة الخبر تاكيد للامر واشعار بانه مما يجب ان يتلقي بالمسارعة الى امتثاله فكانهن امتثلن الامر بالتربص فهو يخبر عنه موجودا ونحوه قولهم فى الدعاء رحمك الله اخرج فى صورة الخبر ثقة بالاستجابة كانما وجدت الرحمة فهو يخبر عنها و بناؤه على المبتدأ مما زاده ايضا فضل تأكيد ولو قيل ويتربص المطلقات لم يكن بتلك الوكادة (فان قلت) هلا قيل يتربصن ثلاثة قروء كما قيل تربص أربعة اشهر وما معنى ذكر الانفس (قلت) في ذكر الانفس تهييج لهن على التربص وزيادة بعث لان فيه ما يستنكفن منه فيحملهن على ان يتربصن وذلك ان انفس النساء طوامح الى الرجال فامرن ان يقمعن انفسهن و يغلبنها على الطموح و يجبرنها على التربص * والقروء جمع قرء او قرء وهو الحيض بدليل قوله عليه الصلاة والسلام دعى الصلاة أيام أقرائك وقوله طلاق الامة تطليقتان وعدتها حيضتان ولم يقل طهران وقوله تعالى واللائي يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم فعدتهن ثلاثة اشهر فاقام الاشهر مقام الحيض دون الاطهار ولان الغرض الاصيل فى العدة استبراء الرحم والحيض هو الذى تستبرأ به الارحام دون الطهر ولذلك كان الاستبراء من الامة بالحيضة و يقال اقرأت المرأة اذا حاضت وامراة مقرئ وقال ابو عمرو بن العلاء دفع فلان جاريته الى فلانة تقرئها اى تمسكها عندها حتى تحيض للاستبراء (فان قلت) فما تقول فى قوله تعالى فطلقوهن لعدتهن والطلاق الشرعي انما هو فى الطهر (قلت) معناه مستقبلات لعدتهن كما تقول لقيته لثلاث بقين من الشهر تريد مستقبلا لثلاث وعدتهن الحيض الثلاث (فان قلت) فما تقول فى قول الاعشى * لما ضاع فيها من قروء نسائكا * (قلت) اراد لما ضاع فيها من عدة نسائك لشهرة القروء عندهم فى الاعتداد بهن اى من مدة طويلة كالمدة التي تعتد فيها النساء استطال مدة غيبته عن اهله كل عام لاقتحامه فى الحروب والغارات وانه تمر على نسائه مدة كمدة العدة ضائعة لا يضاجعهن فيها او اراد من اوقات نسائك فان القرء والقارئ جاآ فى معنى الوقت ولم يرد لا حيضا ولا طهرا (فان قلت) فعلام انتصب ثلاثة قروء (قلت) على انه مفعول به كقولك المحتكر يتربص الغلاء اى يتربصن مضى ثلاثة قروء او على انه ظرف اى يتربصن مدة ثلاثة قروء (فان قلت) لم جاء المميز على جمع الكثرة دون القلة التي هي الاقراء (قلت) يتسعون في ذلك فيستعملون كل واحد من الجمعين مكان الآخر لاشتراكهما في الجمعية الا ترى الى قوله بانفسهن وما هي الا نفوس كثيرة ولعل القروء كانت اكثر استعمالا فى جمع قرء من الاقراء فاوثر عليه تنزيلا لقليل الاستعمال منزلة المهمل فيكون مثل قولهم ثلاثة شسوع وقرا الزهرى ثلاثة قرو بغير همزة (ما خلق الله فى ارحامهن) من الولد او من دم الحيض وذلك اذا ارادت المراة فراق زوجها فكتمت حملها لئلا ينتظر بطلاقها ان تضع ولئلا يشفق على الولد فيترك تسريحها اوكتمت حيضها وقالت وهي حائض قد طهرت استعجالا للطلاق و يجوز ان يراد اللاتي يبغين اسقاط ما فى بطونهن من الاجنة فلا يعترفن به و يجحدنه لذلك فجعل كتمان ما فى أرحامهن كناية عن اسقاطه (ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر) تعظيم لفعلهن وان من آمن بالله و بعقابه لا يجترئ على مثله من العظائم * والبعولة جمع بعل والتاء لاحقة لتأنيث الجمع كما فى الحزونة والسهولة و يجوز ان يراد بالبعولة المصدر من قولك بعل حسن البعولة يعنى وأهل بعولتهن (أحق بردهن) برجعتهن وفى قراءة ابي بردتهن (فى ذلك) فى

والعزم مما يعلم ولا يسمع والذى نبه عليه ان قاعدة أهل السنة ان كل موجود يجوز أن يسمع حتى الجواهر والالوان والمعاني بجملتها وكذلك يعتقد ان موسي عليه السلام سمع الكلام القديم وليس بحرف ولا صوت فلا يتوقف السمع عندهم على ان يكون المسموع صوتا ولا نطقا غير ان المعتاد انقسام الموجودات الى مسموع ومرئي وملموس ومشموم ومذوق وهو المعلوم بالحس والى معلوم بغير ذلك وعلي هذا المعتاد جرت عادة خطاب الله تعالى لعبده وان كان الزمخشرى ثابتا فيما قاله علي الامر العرفي معتقدا ما ذكرناه

والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ولا يحل لهن ان يكتمن ما خلق الله فى أرحامهن ان كن يؤمن بالله واليوم الآخر وبعولتهن أحق بردهن فى ذلك

من حيث المعروف وما أراه كذلك فالامر سهل وان كان اخرج كلامه المذكور على قاعدة الاعتزال وهو الظاهر من حاله فى اعتقاد ان ما عدا الاصوات لا يجوز ان يسمع عقلا فالحذر الحذر من هذه القاعدة الفاسدة والله المستعان ثم لا بد لنا فى مسئلة الايلاء من البصر لما يعتقده من مذهب مالك رضى الله عنه ومذهب مالك رضي الله عنه هو الذى اقتفاه الشافعي رضى الله عنه فى المسئلة فنقول مضى أربعة الأشهر بمجرده لا يوجب وقوع الطلاق على الزوج لان الاصل بقاء العصمة وقد جعل الله له الفيئة بعد تربص مدة الاجل المذكور ونحن وان بينا أولا ان الآية لا تأبى وقوع الفيئة فى الاجل وهى أيضا تابي وقوعها بعد الاجل فينتظم من أصليه أعنى بقاء

مدة التربص (فان قلت) كيف جعلوا أحق بالرجعة كان للنساء حقا فيها (قلت) المعنى ان الرجل ان اراد الرجعة وابتها المرأة وجب ايثار قوله على قولها وكان هو أحق منها لا ان لها حقا فى الرجعة (ان أرادوا) بالرجعة (اصلاحا) لما بينهم وبينهن واحسانا اليهن ولم يريدوا مضارتهن (ولهن مثل الذى عليهن) ويجب لهن من الحق على الرجال مثل الذى يجب لهم عليهن (بالمعروف) بالوجه الذى لا ينكر فى الشرع وعادات الناس فلا يكلفنهم ماليس لهن ولا يكلفونهن ماليس لهم ولا يعنف احد الزوجين صاحبه والمراد بالمماثلة مماثلة الواجب فى كونه حسنة لا في جنس الفعل فلا يجب عليه اذا غسلت ثيابه او خبزت له ان يفعل نحو ذلك ولكن يقابله بما يليق بالرجال (درجة) زيادة فى الحق وفضيلة قيل المرأة تنال من اللذة ماينال الرجل وله الفضيلة بقيامه عليها وانفاقه فى مصالحها (الطلاق) بمعنى التطليق كالسلام بمعنى التسليم اى التطليق الشرعي تطليقة بعد تطليقة على التفريق دون الجمع والارسال دفعة واحدة ولم يرد بالمرتين التثنية ولكن التكرير كقوله ثم ارجع البصر كرتين اى كرة بعد كرة لا كرتين اثنتين ونحو ذلك من التثانى التى يراد بها التكرير قولهم لبيك وسعديك وحنانيك وهذاذيك ودواليك * وقوله تعالى (فامساك بمعروف أو تسريح باحسان) تخيير لهم بعد ان علمهم كيف يطلقون بين ان يمسكوا النساء بحسن العشرة والقيام بمواجبهن وبين ان يسرحوهن السراح الجميل الذى علمهم وقيل معناه الطلاق الرجعى مرتان لانه لا رجعة بعد الثلاث فامساك بمعروف اى برجعة او تسريح باحسان اى بان لا يراجعها حتى تبين بالعدة او بأن لا يراجعها مراجعة يريد بها تطويل العدة عليها وضرارها وقيل بان يطلقها الثالثة فى الطهر الثالث وروى ان سائلا سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم اين الثالثة فقال عليه الصلاة والسلام او تسريح باحسان وعند ابي حنيفة وأصحابه الجمع بين التطليقتين والثلاث بدعة والسنة ان لا يوقع عليها الا واحدة فى طهر لم يجامعها فيه لما روى في حديث ابن عمر ان رسول الله ﷺ قال له انما السنة ان تستقبل الطهر استقبالا فتطلقها لكل قرء تطليقة وعند الشافعى لا باس بارسال الثلاث لحديث العجلانى الذى لاعن امرأته فطلقها ثلاثا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينكر عليه * روى ان جميلة بنت عبد الله بن ابى كانت تحت ثابت بن قيس بن شماس وكانت تبغضه وهو يحبها فأتت رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله لا انا ولا ثابت لا يجمع رأسى ورأسه شيء والله ما اعيب عليه في دين ولا خلق ولكني اكره الكفر فى الاسلام ما اطيقه بغضا اني رفعت جانب الخباء فرأيته أقبل في عدة فاذا هو اشدهم سوادا وأقصرهم قامة وأقبحهم وجها فنزلت وكان قد أصدقها حديقة فاختلعت منه بها وهو اول خلع كان فى الاسلام (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ولا يحل لكم ان تأخذوا) ان قلت للازواج لم يطابقه قوله فان خفتم ألا يقيما حدود الله وان قلت للائمة والحكام فهؤلاء ليسوا بآخذين منهن ولا بمؤتيهن (قلت) يجوز الامران جميعا ان يكون أول الخطاب للازواج وآخره للائمة والحكام ونحو ذلك غير عزيز فى القرآن وغيره وان يكون الخطاب كله للائمة والحكام لانهم الذين يامرون بالاخذ والايتاء عند الترافع اليهم فكانهم الآخذون والمؤتون (مما آتيتموهن) مما أعطيتموهن من الصدقات (الا أن يخافا ألا يقيما حدود الله) الا ان يخاف الزوجان ترك اقامة حدود الله فيما يلزمها من مواجب الزوجية لما يحدث من نشوز المرأة وسوء خلقها (فلا جناح عليهما) فلا جناح على الرجل فيما أخذ ولا عليها فيما اعطت (فيما افتدت به) فيما فدت به نفسها واختلعت به من بذل ما أوتيت من المهر والخلع بالزيادة على المهر مكروه وهو جائز فى الحكم وروى أن امراة نشزت على زوجها فرفعت الى عمر رضي الله عنه فاباتها في بيت الزبل ثلاث ليال ثم دعاها فقال كيف وجدت مبيتك قالت مابت منذ كنت عنده أقر لعيني منهن فقال لزوجها اخلعها ولو بقرطها قال قتادة يعني بمالها كله هذا اذا كان النشوز منها فان كان منه كره له ان ياخذ منها شيئا * وقرئ الا ان يخافا على البناء للمفعول وابدال ان لا يقيما من الف الضمير وهو من بدل الاشتمال كقولك خيف زيد تركه اقامة حدود الله ونحوه واسروا النجوى الذين ظلموا او يعضده قراءة عبد الله الا ان تخافوا وفي قراءة ابي الا ان يظنا

ان أرادوا اصلاحا ولهن مثل الذى عليهن بالمعروف وللرجال عليهن درجة والله عزيز حكيم الطلاق مرتان فامساك بمعروف أو تسريح باحسان ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئا الا أن يخافا الا يقيما حدود الله فان خفتم الا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت به تلك حدود الله فلا تعتدوها ومن يتعد حدود الله فاولئك هم الظالمون

العصمة والسلامة من معارضة الآية وقوع البينة المعتبرة بعد الاجل وبقاء العصمة بعد الاجل استصحابا للاصل غير معارض بالآية وهو المطلوب

و يجوز ان يكون الخوف بمعنى الظن يقولون اخاف ان يكون كذا وافرق ان يكون يريدون اظن (فان طلقها) الطلاق المذكور الموصوف بالتكرار في قوله تعالى الطلاق مرتان واستوفي نصابه او فان طلقها مرة ثالثة بعد المرتين (فلا تحل له من بعد) من بعد ذلك التطليق (حتى تنكح زوجا غيره) حتى تتزوج غيره والنكاح يسند الى المراة كما يسند الى الرجل كالتزوج و يقال فلانة ناكح في بني فلان وقد تعلق من اقتصر على العقد في التحليل بظاهره وهو سعيد بن المسيب والذي عليه الجمهور انه لا بد من الاصابة لما روى عروة عن عائشة رضي الله عنها ان امرأة رفاعة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان رفاعة طلقني فبت طلاقي وان عبد الرحمن بن الزبير تزوجني وانما معه مثل هدبة الثوب وانه طلقني قبل ان يمسني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتريدين ان ترجعي الى رفاعة لا حتى تذوقي عسيلته ويذوق عسيلتك وروى انها لبثت ماشاء الله ثم رجعت فقالت انه كان قد مسني فقال لها كذبت في قولك الاول فلن اصدقك في الآخر فلبثت حتى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتت أبا بكر رضي الله عنه فقالت أأرجع الى زوجي الاول فقال قد عهدت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قال لك ما قال فلا ترجعي اليه فلما قبض ابو بكر رضي الله عنه قالت مثله لعمر رضي الله عنه فقال ان أتيتيني بعد مرتك هذه لارجمنك فمنعها (فان قلت) فما تقول في النكاح المعقود بشرط التحليل (قلت) ذهب سفيان والاوزاعي وابو عبيد ومالك وغيرهم الى انه غير جائز وهو جائز عند ابي حنيفة مع الكراهة وعنه انهما ان أضمرا التحليل ولم يصرحا به فلا كراهة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه لعن المحلل والمحلل له وعن عمر رضي الله عنه لا اوتي بمحلل ولا محلل له الا رجمتهما وعن عثمان رضي الله عنه لا الا نكاح رغبة غير مدالسة (فان طلقها) الزوج الثاني (ان يتراجعا) ان يرجع كل واحد منهما الى صاحبه بالزواج (ان ظنا) ان كان في ظنهما انهما يقيمان حقوق الزوجية ولم يقل ان علما انهما يقيمان لان اليقين مغيب عنهما لا يعلمه الا الله عز وجل ومن فسر الظن ههنا بالعلم فقد وهم من طريق اللفظ والمعنى لانك لا تقول علمت ان يقوم زيد ولكن علمت انه يقوم ولان الانسان لا يعلم ما في الغد وانما يظن ظنا (فبلغن اجلهن) اى آخر عدتهن وشارفن منتهاها والاجل يقع على المدة كلها وعلى آخرها يقال لعمر الانسان اجل والموت الذي ينتهي به أجل وكذلك الغاية والامد يقول النحويون من لابتداء الغاية والى لانتهاء الغاية وقال

كل حي مستكمل مدة العمـ * ـر ومود اذا انتهى أمده

و يتسع في البلوغ أيضا فيقال بلغ البلد اذا شارفه وداناه و يقال قد وصلت ولم يصل وانما شارف ولانه قد علم أن الامساك بعد تقضي الاجل لا وجه له لانها بعد تقضيه غير زوجة له وفي غير عدة منه فلا سبيل له عليها (فأمسكوهن بمعروف) فاما أن يراجعها من غير طلب ضرار بالمراجعة (أوسرحوهن بمعروف) واما أن يخليها حتى تنقضي عدتها وتبين من غير ضرار (ولا تمسكوهن ضرارا) كان الرجل يطلق المرأة و يتركها حتى يقرب انقضاء عدتها ثم يراجعها لا عن حاجة ولكن ليطول العدة عليها فهو الامساك ضرارا (لتعتدوا) لتظلموهن وقيل لتلجئوهن الى الافتداء (فقد ظلم نفسه) بتعريضها لعقاب الله (ولا تتخذوا آيات الله هزوا) أي جدوا في الاخذ بها والعمل بما فيها وارعوها حق رعايتها والا فقد اتخذتموها هزوا ولعبا و يقال لمن لم يجد في الامر انما أنت لاعب وهازئ و يقال كن يهوديا والا فلا تلعب بالتوراة وقيل كان الرجل يطلق و يعتق و يتزوج و يقول كنت لاعبا وعن النبي ﷺ ثلاث جدهن جد وهزلهن جد الطلاق والنكاح والرجعة (واذكروا نعمت الله عليكم) بالاسلام و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم (وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة) من القرآن والسنة وذكرها مقابلتها بالشكر والقيام بحقها (يعظكم به) بما أنزل عليكم (فبلغن أجلهن) فلا تعضلوهن اما أن يخاطب به الازواج الذين يعضلون نساءهم بعد انقضاء العدة ظلما وقسرا ولحمية الجاهلية لا يتركونهن يتزوجن من شئن من الازواج والمعنى ان ينكحن ازواجهن الذين يرغبن فيهم و يصلحون لهن واما أن يخاطب به الاولياء في عضلهن أن يرجعن الى أزواجهن روي أنها نزلت في معقل بن

يسار

فان طلقها فلا تحل له من بعد حتى تنكح زوجا غيره فان طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا ان ظنا أن يقيما حدود الله وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فامسكوهن بمعروف أوسرحوهن بمعروف ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا ومن يفعل ذلك فقد ظلم نفسه ولا تتخذوا آيات الله هزوا واذكروا نعمت الله عليكم وما أنزل عليكم من الكتاب والحكمة يعظكم به واتقوا الله واعلموا ان الله بكل شيء عليم واذا طلقتم النساء فبلغن أجلهن فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن

يسار حين عضل أخته أن ترجع الى الزوج الاول وقيل فى جابر بن عبد الله حين عضل بنت عم له والوجه أن يكون خطابا للناس أى لا يوجد فيما بينكم عضل لانه اذا وجد بينهم وهم راضون كانوا فى حكم العاضلين والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت الدجاجة اذا نشب بيضها فلم يخرج وأنشد لابن هرمة

وان قصائدى لك فاصطنعنى * عقائل قد عضلن عن النكاح

وبلوغ الاجل على الحقيقة وعن الشافعى رحمه الله دل سياق الكلامين على افتراق البلوغين (اذا تراضوا) اذا تراضى الخطاب والنساء (بالمعروف) بما يحسن فى الدين والمروأة من الشرائط وقيل بمهر المثل ومن مذهب أبى حنيفة رحمه الله انها اذا زوجت نفسها بأقل من مهر مثلها فللاولياء أن يعترضوا (فان قلت) لمن الخطاب فى قوله (ذلك يوعظ به) (قلت) يجوز ان يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولكل أحد ونحوه ذلك خير لكم وأطهر (أزكى لكم وأطهر) من أدناس الآثام وقيل أزكى واطهر أفضل وأطيب (والله يعلم) ما فى ذلك من الزكاء والطهر (وأنتم لا تعلمونه) أو والله يعلم ما تستصلحون به من الاحكام والشرائع وأنتم تجهلونه (يرضعن) مثل يتربصن فى انه خبر فى معنى الامر المؤكد (كاملين) توكيد كقوله تلك عشرة كاملة لانه مما يتسامح فيه فتقول أقمت عند فلان حولين ولم تستكملهما * وقرأ ابن عباس رضى الله عنهما أن يكمل الرضاعة وقرئ الرضاعة بكسر الراء والرضعة وان تتم الرضاعة وان يتم الرضاعة برفع الفعل تشبيها لان بما لتأخيهما فى التأويل (فان قلت) كيف اتصل قوله لمن أراد بما قبله (قلت) هو بيان لمن توجه اليه الحكم كقوله تعالى هيت لك لك بيان للمهيت به اى هذا الحكم لمن أراد اتمام الرضاع وعن قتادة حولين كاملين ثم أنزل الله اليسر والتخفيف فقال (لمن أراد ان يتم الرضاعة) أراد أنه يجوز النقصان وعن الحسن ليس ذلك بوقت لا ينقص منه بعد أن لا يكون فى انفطام ضرر وقيل اللام متعلقة بيرضعن كما تقول أرضعت فلانة لفلان ولده اى يرضعن حولين لمن أراد ان يتم الرضاعة من الآباء لان الاب يجب عليه ارضاع الولد دون الام وعليه ان يتخذ له ظئرا الا اذا تطوعت الام بارضاعه وهى مندوبة الى ذلك ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الام عند ابى حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة أو معتدة من نكاح وعند الشافعى يجوز فاذا انقضت عدتها جاز بالاتفاق (فان قلت) فما بال الوالدات مأمورات بان يرضعن أولادهن (قلت) اما ان يكون امرا على وجه الندب واما على وجه الوجوب اذا لم يقبل الصبى الا ثدى أمه أو لم توجد له ظئر أو كان الاب عاجزا عن الاستئجار وقيل أراد الوالدات المطلقات وايجاب النفقة والكسوة لاجل الرضاع (وعلى المولود له) وعلى الذى يولد له وهو الوالد وله فى محل الرفع على الفاعلية نحو عليهم فى المغضوب عليهم (فان قلت) لم قيل المولود له دون الوالد (قلت) ليعلم ان الوالدات انما ولدن لهم لان الاولاد للآباء ولذلك ينسبون اليهم لا الى الامهات وأنشد للمأمون بن الرشيد

فانما أمهات الناس أوعية * مستودعات وللآباء أبناء

فكان عليهم ان يرزقوهن ويكسوهن اذا أرضعن ولدهم كالاظآر ألا ترى أنه ذكره باسم الوالد حيث لم يكن هذا المعنى وهو قوله تعالى واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيأ (بالمعروف) تفسيره ما يعقبه وهو ان لا يكلف واحد منهما ما ليس فى وسعه ولا يتضارا * وقرئ لا تكلف بفتح التاء ولا نكلف بالنون * وقرئ لا تضار بالرفع على الاخبار وهو يحتمل البناء للفاعل والمفعول وان يكون الاصل تضارر بكسر الراء وتضارر بفتحها وقرأ لا تضار بالفتح اكثر القراء وقرأ الحسن بالكسر على النهى وهو محتمل للبناءين أيضا ويبين ذلك انه قرئ لا تضارر ولا تضارر بالجزم وفتح الراء الاولى وكسرها وقرأ ابو جعفر لا تضار بالسكون مع التشديد على نية الوقف وعن الاعرج لا تضار بالسكون والتخفيف وهو من ضاره يضيره ونوى الوقف كما نواه ابو جعفر او اختلس الضمة فظنه الراوى سكونا وعن كاتب عمر بن الخطاب لا تضرر والمعنى لا تضار والدة زوجها بسبب ولدها وهو ان تعنف به وتطلب منه ما ليس بعدل من الرزق والكسوة وان تشغل قلبه بالتفريط فى شأن الولد وان تقول بعد ما ألفها الصبى اطلب له ظئرا وما أشبه

اذا تراضوا بينهم بالمعروف ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله واليوم الآخر ذلكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون والوالدات يرضعن اولادهن حولين كاملين لمن اراد ان يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس الا وسعها ولا تضار والدة بولدها

ذلك ولا يضار مولود له امرأته بسبب ولده بأن يمنعها شيأ مما وجب عليه من رزقها وكسوتها ولا يأخذه منها وهي تريد ارضاعه ولا يكرهها على الارضاع وكذلك اذا كان مبنيا للمفعول فهو نهي عن ان يلحق بها الضرار من قبل الزوج وعن ان يلحق الضرار بالزوج من قبلها بسبب الولد ويجوز ان يكون تضار بمعنى تضر وان تكون الباء من صلته اي لا تضر والدة بولدها فلا تسيء غذاءه وتعهده ولا تفرط فيما ينبغي له ولا تدفعه الى الاب بعد ما ألفها ولا يضر الوالد به بأن ينتزعه من يدها او يقصر في حقها فتقصر هي في حق الولد (فان قلت) كيف قيل بولدها وبولده (قلت) لما نهيت المرأة عن المضارة أضيف اليها الولد استعطافا لها عليه وانه ليس بأجنبي منها فمن حقها ان تشفق عليه وكذلك الوالد (وعلى الوارث) عطف على قوله وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن وما بينهما تفسير للمعروف معترض بين المعطوف والمعطوف عليه فكان المعنى وعلى وارث المولود له مثل ما وجب عليه من الرزق والكسوة اي ان مات المولود له لزم من يرثه ان يقوم مقامه في ان يرزقها او يكسوها بالشريطة التي ذكرت من المعروف وتجنب الضرار وقيل هو وارث الصبي الذي لو مات الصبي ورثه واختلفوا فعند ابن ابي ليلي كل من ورثه وعند ابي حنيفة من كان ذا رحم محرم منه وعند الشافعي لا نفقة فيما عدا الولاد وقيل من ورثه من عصبته مثل الجد والاخ وابن الاخ والعم وابن العم وقيل المراد وارث الاب وهو الصبي نفسه وانه ان مات ابوه وورثه وجبت عليه اجرة رضاعه في ماله ان كان له مال فان لم يكن له مال أجبرت الام على ارضاعه وقيل على الوارث على الباقي من الابوين من قوله واجعله الوارث منا (فان أرادا فصالا) صادرا (عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما) في ذلك زادا على الحولين او نقصا وهذه توسعة بعد التحديد وقيل هو في غاية الحولين لا يتجاوز وانما اعتبر تراضيهما في الفصال وتشاورهما اما الاب فلا كلام فيه واما الام فلانها احق بالتربية وهي أعلم بحال الصبي وقرئ فان أراد * استرضع منقول من ارضع يقال ارضعت المرأة الصبي واسترضعتها الصبي فتعديه الى مفعولين كما تقول انجح الحاجة واستنجحته الحاجة والمعنى ان تسترضعوا المراضع اولادكم فحذف احد المفعولين للاستغناء عنه كما تقول استنجحت الحاجة ولا تذكر من استنجحته وكذلك حكم كل مفعولين لم يكن احدهما عبارة عن الاول (اذا سلمتم) الى المراضع (ما آتيتم) ما اردتم ايتاءه كقوله تعالى اذا قمتم الى الصلاة وقرئ ما أتيتم من اتي اليه احسانا اذا فعله ومنه قوله تعالى انه كان وعده مأتيا أي مفعولا وروى شيبان عن عاصم ما أوتيتم أي ما آتاكم الله واقدركم عليه من الاجرة ونحوه وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه وليس التسليم بشرط للجواز والصحة وانما هو ندب الى الاولى ويجوز ان يكون بعثا على ان يكون الشيء الذي تعطاه المرضع من اهنى ما يكون لتكون طيبة النفس راضية فيعود ذلك اصلاحا لشأن الصبي واحتياطا في امره فأمرنا بايتائه ناجزا يدا بيد كانه قيل اذا اديتم اليهن يدا بيد ما اعطيتموهن (بالمعروف) متعلق بسلمتم امروا ان يكونوا عند تسليم الاجرة مستبشري الوجوه ناطقين بالقول الجميل مطيبين لانفس المراضع بما امكن حتى يؤمن تفريطهن بقطع معاذيرهن (والذين يتوفون منكم) على تقدير حذف المضاف اراد وازواج الذين يتوفون منكم يتربصن وقيل معناه يتربصن بعدهم كقولهم السمن منوان بدرهم وقرئ يتوفون بفتح الياء اي يستوفون آجالهم وهي قراءة علي رضي الله عنه والذي يحكى ان ابا الاسود الدؤلي كان يمشي خلف جنازة فقال له رجل من المتوفي بكسر الفاء فقال الله تعالى وكان احد الاسباب الباعثة لعلي رضي الله عنه على ان امره بأن يضع كتابا في النحو تناقضه هذه القراءة (يتربصن بأنفسهن اربعة أشهر وعشرا) يعتددن هذه المدة وهي اربعة اشهر وعشرة ايام وقيل عشرا ذهابا الى الليالي والايام داخلة معها ولا تراهم قط يستعملون التذكير فيه ذاهبين الى الايام تقول صمت عشرا ولو ذكرت خرجت من كلامهم ومن البين فيه قوله تعالى ان لبثتم الا عشرا ثم ان لبثتم الا يوما (فاذا بلغن اجلهن) فاذا انقضت عدتهن (فلا جناح عليكم) ايها الأئمة وجماعة المسلمين (فيما فعلن في انفسهن) من التعرض للخطاب (بالمعروف) بالوجه الذي لا ينكره الشرع والمعنى انهن لو فعلن ما هو منكر كان على الائمة ان يكفوهن وان فرطوا كان عليهم الجناح (فيما عرضتم

ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك فان ارادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما وان اردتم ان تسترضعوا اولادكم فلا جناح عليكم اذا سلمتم ما آتيتم بالمعروف واتقوا الله واعلموا ان الله بما تعملون بصير والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا يتربصن بأنفسهن اربعة اشهر وعشرا فاذا بلغن اجلهن فلا جناح عليكم فيما فعلن في انفسهن بالمعروف والله بما تعملون خبير ولا جناح عليكم فيما عرضتم

* قوله تعالى والذين يتوفون منكم الآية (قال محمود رحمه الله قراها علي رضي الله عنه بفتح الياء الخ) قال احمد رحمه الله ولعل السائل لابي الاسود كان ممن يفهم عنه انه لا فرق عنده بين الكسر والفتح وهو الظاهر وعلى ذلك اجابه ابو الاسود فلا تناقض حينئذ قال محمود رضي الله عنه تقول صمت عشرا الخ) قال احمد رحمه الله ومنه من صام رمضان واتبعه بست من شوال فكانما صام الدهر فغلب الليالي وان كان الصوم غير متصور فيها حتى قالوا ان شرطة النية وزمانها الليل فلهذا جعل لها حظا في الصوم وغلبها

به) هو ان يقول لها انك لجميلة او صالحة او نافقة ومن غرضي ان اتزوج وعسى الله ان ييسر لي امراة صالحة ونحو ذلك من الكلام الموهم انه يريد نكاحها حتى تحبس نفسها عليه ان رغبت فيه ولا يصرح بالنكاح فلا يقول اني اريد ان انكحك او اتزوجك او اخطبك وروى ابن المبارك عن عبد الرحمن بن سليمان عن خالته قالت دخل على أبو جعفر محمد بن علي وانا في عدتي فقال قد علمت قرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وحق جدي علي وقدمي في الاسلام فقلت غفر الله لك أتخطبني في عدتي وانت يؤخذ عنك فقال أوقد فعلت انما أخبرتك بقرابتي من رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضعي قد دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على أم سلمة وكانت عند ابن عمها أبي سلمة فتوفي عنها فلم يزل يذكر لها منزلته من الله وهو متحامل على يده حتى أثر الحصير في يده من شدة تحامله عليها فما كانت تلك خطبة (فان قلت) أي فرق بين الكناية والتعريض (قلت) الكناية ان تذكر الشيء بغير لفظه الموضوع له كقولك طويل النجاد والحمائل لطول القامة وكثير الرماد للمضياف والتعريض ان تذكر شيأ تدل به على شيء لم تذكره كما يقول المحتاج للمحتاج اليه جئتك لاسلم عليك ولأنظر الى وجهك الكريم ولذلك قالوا * وحسبك بالتسليم مني تقاضيا * وكأنه امالة الكلام الى عرض يدل على الغرض ويسمى التلويح لانه يلوح منه ما يريده (أو أكننتم في أنفسكم) او سترتم وأضمرتم في قلوبكم فلم تذكروه بألسنتكم لا معرضين ولا مصرحين (علم الله أنكم ستذكرونهن) لا محالة ولا تنفكون عن النطق برغبتكم فيهن ولا تصبرون عنه وفيه طرف من التوبيخ كقوله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم (فان قلت) أين المستدرك بقوله (ولكن لا تواعدوهن) (قلت) هو محذوف لدلالة ستذكرونهن عليه تقديره علم الله انكم ستذكرونهن فاذكروهن ولكن لا تواعدوهن سرا والسر وقع كناية عن النكاح الذي هو الوطء لانه مما يسر قال الاعشى ولا تقربن جارة ان سرها * عليك حرام فانكحن أو تأبدا ثم عبر به عن النكاح الذي هو العقد لانه سبب فيه كما فعل بالنكاح (الا ان تقولوا قولا معروفا) وهو ان تعرضوا ولا تصرحوا (فان قلت) بم يتعلق حرف الاستثناء (قلت) بلا تواعدوهن أي لا تواعدوهن مواعدة قط الا مواعدة معروفة غير منكرة اولا تواعدوهن الا بأن تقولوا أي لا تواعدوهن الا بالتعريض ولا يجوز ان يكون استثناء منقطعا من سرا لادائه الى قولك لا تواعدوهن الا التعريض وقيل معناه لا تواعدوهن جماعا وهو ان يقول لها ان نكحتك كان كيت وكيت يريد ما يجري بينهما تحت اللحاف الا ان تقولوا قولا معروفا يعني من غير رفث ولا افحاش في الكلام وقيل لا تواعدوهن سرا أي في السر على ان المواعدة في السر عبارة عن المواعدة بما يستهجن لان مسارتهن في الغالب بما يستحيا من المهاجرة به وعن ابن عباس رضي الله عنهما الا ان تقولوا قولا معروفا هو ان يتواثقا ان لا تتزوج غيره (ولا تعزموا عقدة النكاح) من عزم الامر وعزم عليه وذكر العزم مبالغة في النهي عن عقد النكاح في العدة لان العزم على الفعل يتقدمه فاذا نهي عنه كان عن الفعل انهى ومعناه ولا تعزموا عقد عقدة النكاح وقيل معناه ولا تقطعوا عقدة النكاح وحقيقة العزم القطع بدليل قوله عليه السلام لا صيام لمن لم يعزم الصيام من الليل وروى لم يبيت الصيام (حتى يبلغ الكتاب اجله) يعني ما كتب وفرض من العدة (يعلم ما في انفسكم) من العزم على ما يجوز (فاحذروه) ولا تعزموا عليه (غفور حليم) لا يعاجلكم بالعقوبة (لا جناح عليكم) لا تبعة عليكم من ايجاب مهر (ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن) ما لم تجامعوهن (أو تفرضوا لهن فريضة) الا ان تفرضوا لهن فريضة او حتى تفرضوا وفرض الفريضة تسمية المهر وذلك ان المطلقة غير المدخول بها ان سمي لها مهر فلها نصف المسمى وان لم يسم لها فليس لها نصف مهر المثل ولكن المتعة والدليل على ان الجناح تبعة المهر قوله وان طلقتموهن الى قوله فنصف ما فرضتم فقوله فنصف ما فرضتم اثبات للجناح المنفي ثمة والمتعة درع وملحفة وخمار على حسب الحال عند ابي حنيفة الا ان يكون مهر مثلها أقل من ذلك فلها الاقل من نصف مهر المثل ومن المتعة ولا ينقص من خمسة دراهم

الله وقويت دلالة هذا المذكور على ما حذف لان المعتاد في مثل هذه الصيغة ورود الاباحة عقيبها ونظير هذا النظم قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن الآية ولهذا الحذف سر والله اعلم وهو انه اجتنب لان الاباحة لم تنسحب على الذكر مطلقا بل اختصت بوجه واحد من وجوهه وذلك الوجه المباح عسر التمييز عما لم يبح فذكرت مستثناة بقوله الا ان تقولوا قولا معروفا تنبيها على ان المحل ضيق والامر فيه عسر والاصل فيه الحظر ولا كذلك الوطء في زمن ليل الصوم فانه ابيح مطلقا غير مقيد فلذلك صدر الكلام بالاباحة والتوسعة وجاء النهي عن مباشرة المعتكفة في المسجد تلوا للاباحة وتبعا في الذكر لانها حالة قاذة والمنع فيها لم يكن لاجل الصوم ولكن الامر يتعلق به من حيث المصاحب وهو الاعتكاف فتفطن لهذا السر فانه من غرائب النكت

به من خطبة النساء او اكننتم في انفسكم علم الله انكم ستذكرونهن ولكن لا تواعدوهن سرا الا ان تقولوا قولا معروفا ولا تعزموا عقدة النكاح حتى يبلغ الكتاب اجله واعلموا ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه واعلموا ان الله غفور حليم لا جناح عليكم ان طلقتم النساء ما لم تمسوهن او تفرضوا لهن فريضة

* قوله تعالى الا ان يعفون الآية (قال محمود رحمه الله والذي بيده عقدة النكاح الولى الخ) قال احمد رحمه الله هذا النقل وهم فيه الزمخشري عن الشافعي رضي الله عنه فان مذهبه موافق لمذهب ابي حنيفة رضي الله عنه في ان المراد به الزوج وانما ذهب الى ان المراد الولى الامام مالك رضي الله عنه وصدق الزمخشري انه قول ظاهر الصحة عليه رونق الحق وطلاوة الصواب لوجوه * الاول ان الذي بيده عقدة النكاح ثابتة مستقرة هو الولى وأما الزوج فله ذلك حالة العقد المتقدم خاصة ثم هو بعد الطلاق والكلام حينئذ ليس من عقدة النكاح في شيء البتة فان قيل اطلق عليه ذلك بعد الطلاق بتأويل كان مقدرة فلا يخفى على المصنف ما في ذلك من البعد والخروج عن حد اطلاق الكلام وأصله * الثاني ان الخطاب الاول للزوجات اتفاقا بقوله الا ان يعفون وفيهن من لا عفو لها البتة كالامة والبكر فلولا استتمام التقسيم بصرف الثاني الى الولى على ابنته البكر او أمته والا لزم الخروج عن ظاهر عموم الاول وحيث حمل الكلام على الولى صار الكلام بمعنى الا ان يعفون ان كن اهلا للعفو او يعفو لهن ان لم يكن أهلا ولهذا كان الولى الذي يعفو او يعتبر عفوه عند مالك هو الاب في ابنته البكر والسيد في أمته خاصة * الثالث ان الكتاب العزيز جدير بتناسب الاقسام وانتظام اطراف الكلام والامر فيه على هذا المحل بهذه المثابة فان الآية حينئذ مشتملة على خطاب الزوجات ثم الاولياء ثم الازواج بقوله ولا تنسوا الفضل بينكم فتكون على هذا الوجه ملية بالفوائد جامعة للمقاصد * الرابع ان المضاف الى صاحب عقدة النكاح العفو كما هو مضاف الى الزوجات والعفو الاسقاط لغة وهو المراد في الاول اتفاقا اذ المضاف الى الزوجات هو الاسقاط بلا ريب ولو كان المراد بصاحب العقدة الزوج لتعين حمل العفو على تكميل المهر واعطاؤه الفضل مالا يستحق عليه وهذا انما يطابقه من الاسماء التفضل ومن ثم قال في خطاب الازواج ولا تنسوا الفضل بينكم لان المبذول من جهة غير مستحق عليه فهو فضل لا عفو * ولا يقال لعل الزوج تعجل المهر كاملا قبل الطلاق وطلق فيجب استرجاع النصف فيسقطه و يعفو عنه وحينئذ يبقي العفو من جانب الزوج على ظاهره وحقيقته * لانا نقول حسبنا في رد هذا الوجه ما فيه من الكلفة وتقدير ما الاصل خلافه * الخامس ان صدر الآية خطاب للازواج في قوله وان طلقتموهن الى قوله فرضتم فلو جاء قوله او يعفو الذي بيده عقدة النكاح مرادا به الزوج لكان عدولا والتفاتا من الخطاب الى الغيبة وليس هذا من مواضعه ولاجل هذا جاء قوله ولا تنسوا الفضل بينكم على صيغة الخطاب لان المراد به الازواج لخطابهم اولا * السادس ان قوله الا ان يعفون وما عطف عليه استثناء من قوله فنصف ما فرضتم وأصل الكلام فنصف ما فرضتم واجب عليكم الا ان يعفو عنه الزوجات فليس بواجب عليكم اذا فاذا حمل الكلام على الولى استقام أو هم لو كملوا المهر لهن فالنصف واجب عليهم لا يتغير ولا يخالف الحالة المستثناة مما وقع منه الاستثناء فلا يجرى الاستثناء على حقيقته في المخالفة بين الاول والثاني الا ان يقال مقتضى قوله فنصف ما فرضتم واجب عليكم ان النصف الآخر غير مؤدى اليهن لانه ساقط عن الزوج فاذا عفى بمعنى كمل المهر فقد صار النصف الآخر مؤدى اليهن ففي هذا التأويل من الكلفة ما يسقط مؤنة رده

ومتعوهن على الموسع قدره وعلى المقتر قدره متاعا بالمعروف حقا على المحسنين وان طلقتموهن من قبل ان تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم الا ان يعفون او يعفو الذي بيده عقدة النكاح وأن تعفوا أقرب للتقوى

لان اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها و (الموسع) الذي له سعة و (المقتر) الضيق الحال و (قدره) مقداره الذي يطيقه لان ما يطيقه هو الذي يختص به وقرئ بفتح الدال والقدر والقدر لغتان وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لرجل من الانصار تزوج امرأة ولم يسم لها مهرا ثم طلقها قبل ان يمسها امتعتها قال لم يكن عندي شيء قال متعها بقلنسوتك وعند اصحابنا لا تجب المتعة الا لهذه وحدها وتستحب لسائر المطلقات ولا تجب (متاعا) تأكيد لمتعوهن بمعنى تمتيعا (بالمعروف) بالوجه الذي يحسن في الشرع والمروأة (حقا) صفة لمتاعا اى متاعا واجبا عليهم او حق ذلك حقا (على المحسنين) على الذين يحسنون الى المطلقات بالتمتيع وسماهم قبل الفعل محسنين كما قال صلى الله عليه وسلم من قتل قتيلا فله سلبه (الا أن يعفون) يريد المطلقات (فان قلت) اى فرق بين قولك الرجال يعفون والنساء يعفون (قلت) الواو في الاول ضميرهم والنون علم الرفع والواو في الثاني لام الفعل والنون ضميرهن والفعل مبنى لا أثر في لفظه للعامل وهو في محل النصب * ويعفو عطف على محله و (الذي بيده عقدة النكاح) الولى يعني الا ان تعفو المطلقات عن أزواجهن فلا يطالبنهم بنصف المهر وتقول المرأة ما رآني ولا خدمته ولا استمتع بي فكيف آخذ منه شيأ أو يعفو الولى الذي يلي عقد نكاحهن وهو مذهب الشافعي وقيل هو الزوج وعفوه ان يسوق اليها المهر كاملا وهو مذهب أبي حنيفة والاول ظاهر الصحة وتسمية الزيادة على الحق عفوا فيها نظر الا ان يقال كان الغالب عندهم ان يسوق اليها المهر عند التزوج فاذا طلقها استحق ان يطالبها بنصف ما ساق اليها فاذا ترك المطالبة فقد عفا عنها او سماه عفوا على طريق المشاكلة وعن جبير بن مطعم انه تزوج امرأة وطلقها قبل ان يدخل بها فأكمل لها الصداق وقال انا احق بالعفو وعنه انه دخل على سعد بن ابي وقاص فعرض عليه بنتا له فتزوجها فلما خرج طلقها وبعث اليها بالصداق كاملا فقيل له لم تزوجتها فقال عرضها على فكرهت رده قيل فلم بعثت بالصداق قال فأين

الفضل * و (الفضل) التفضل اى ولا تنسوا ان يتفضل بعضكم على بعض وتتمرؤا ولا تستقصوا وقرأ الحسن او يعفو الذي بسكون الواو واسكان الواو والياء فى موضع النصب تشبيه لهما بالالف لانهما أختاها وقرأ أبو نهيك وأن يعفو بالياء وقرئ ولا تنسوا الفضل بكسر الواو (الصلاة الوسطي) أي الوسطي بين الصلوات أو الفضلى من قولهم للافضل الاوسط وانما افردت وعطفت على الصلاة لانفرادها بالفضل وهي صلاة العصر وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال يوم الاحزاب شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر ملأ الله بيوتهم نارا وقال عليه السلام انها الصلاة التى شغل عنها سليمان بن داود حتى توارت بالحجاب وعن حفصة أنها قالت لمن كتب لها المصحف اذا بلغت هذه الآية فلا تكتبها حتي أمليها عليك كما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها فأملت عليه والصلاة الوسطي صلاة العصر وروى عن عائشة وابن عباس رضي الله عنهم والصلاة الوسطى وصلاة العصر بالواو فعلى هذه القراءة يكون التخصيص لصلاتين احداهما الصلاة الوسطي اما الظهر واما الفجر واما المغرب على اختلاف الروايات فيها والثانية العصر وقيل فضلها لما فى وقتها من اشتغال الناس بتجاراتهم ومعايشهم وعن ابن عمر رضي الله عنهما هي صلاة الظهر لانها فى وسط النهار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصليها بالهاجرة ولم تكن صلاة أشد على اصحابه منها وعن مجاهد هي الفجر لانها بين صلاتى النهار وصلاتي الليل وعن قبيصة بن ذؤيب هي المغرب لانها وتر النهار ولا تنقص فى السفر من الثلاث وقرأ عبد الله وعلى الصلاة الوسطي وقرأت عائشة رضى الله عنها والصلاة الوسطي بالنصب على المدح والاختصاص وقرأ نافع الوصطي بالصاد (وقوموا لله) فى الصلاة (قانتين) ذاكرين لله فى قيامكم والقنوت ان تذكر الله قائما وعن عكرمة كانوا يتكلمون فى الصلاة فنهوا وعن مجاهد هو الركود وكف الايدى والبصر وروى انهم كانوا اذا قام أحدهم الى الصلاة هاب الرحمن ان يمد بصره او يلتفت او يقلب الحصا او يحدث نفسه بشيء من أمور الدنيا (فان خفتم) فان كان بكم خوف من عدو او غيره (فرجالا) فصلوا راجلين وهو جمع راجل كقائم وقيام اورجل يقال رجل رجل اى راجل وقرئ فرجالا بضم الراء ورجالا بالتشديد ورجلا وعند ابي حنيفة رحمه الله لا يصلون فى حال المشى والمسايفة مالم يمكن الوقوف وعند الشافعي رحمه الله يصلون فى كل حال والراكب يومى و يسقط عنه التوجه الى القبلة (فاذا أمنتم) فاذا زال خوفكم (فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون) من صلاة الأمن او فاذا أمنتم فاشكروا الله على الامن واذكروه بالعبادة كما أحسن اليكم بما علمكم من الشرائع وكيف تصلون فى حال الخوف وفى حال الامن * تقديره فيمن قرأ وصية بالرفع ووصية الذين يتوفون اوحكم الذين يتوفون وصية لازواجهم أو والذين يتوفون اهل وصية لازواجهم وفيمن قرأ بالنصب والذين يتوفون يوصون وصية كقولك انما أنت سير البريد باضمار تسير اووالزم الذين يتوفون وصية وتدل عليه قراءة عبد الله كتب عليكم الوصية لازواجكم متاعا الى الحول مكان قوله (والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول) وقرأ ابى متاع لازواجهم متاعا وروى عنه فمتاع لازواجهم ومتاعا نصب بالوصية الا اذا اضمرت يوصون فانه نصب بالفعل وعلى قراءة أبي متاعا نصب بمتاع لانه فى معنى التمتيع كقولك الحمد لله حمد الشاكرين واعجبني ضرب لك زيدا ضربا شديدا او (غير اخراج) مصدر مؤكد كقولك هذا القول غير ما تقول او بدل من متاعا او حال من الازواج اى غير مخرجات والمعنى ان حق الذين يتوفون عن ازواجهم ان يوصوا قبل ان يحتضروا بان تمتع ازواجهم بعدهم حولا كاملا اى ينفق عليهن من تركته ولا يخرجن من مساكنهن وكان ذلك فى اول الاسلام ثم نسخت المدة بقوله اربعة اشهر وعشرا وقيل نسخ ما زاد منه على هذا المقدار ونسخت النفقة بالارث الذى هو الربع والثمن واختلف في السكنى فعند ابى حنيفة واصحابه لا سكنى لهن (فيما فعلن فى انفسهن) من التزين والتعرض للخطاب (من معروف) مما ليس بمنكر شرعا (فان قلت) كيف نسخت الآية المتقدمة المتاخرة (قلت) قد تكون الآية متقدمة فى التلاوة وهي متاخرة فى التنزيل كقوله تعالى سيقول

ولا تنسوا الفضل بينكم ان الله بما تعملون بصير
حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى وقوموا لله قانتين فان خفتم فرجالا اوركبانا فاذا امنتم فاذكروا الله كما علمكم مالم تكونوا تعلمون والذين يتوفون منكم ويذرون ازواجا وصية لازواجهم متاعا الى الحول غير اخراج فان خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن فى أنفسهن من معروف والله عزيز حكيم

والمطلقات متاع بالمعروف حقا على المتقين كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ألم تر الى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثر الناس لا يشكرون وقاتلوا في سبيل الله واعلموا ان الله سميع عليم من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له اضعافا كثيرة والله يقبض ويبسط واليه ترجعون ألم تر الى الملإ من بني اسرائيل من بعد موسى اذ قالوا لنبي لهم ابعث لنا ملكا نقاتل في سبيل الله قال هل عسيتم ان كتب عليكم القتال الا تقاتلوا قالوا ومالنا الا نقاتل في سبيل الله وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا فلما كتب عليهم القتال تولوا الا قليلا منهم والله عليم بالظالمين وقال لهم نبيهم ان الله قد بعث لكم طالوت ملكا

السفهاء مع قوله قد نرى تقلب وجهك في السماء (وللمطلقات متاع) عم المطلقات بايجاب المتعة لهن بعد ما اوجبها الواحدة منهن وهي المطلقة غير المدخول بها وقال (حقا على المتقين) كما قال ثمة حقا على المحسنين وعن سعيد بن جبير وابي العالية والزهري انها واجبة لكل مطلقة وقيل قد تناولت التمتيع الواجب والمستحب جميعا وقيل المراد بالمتاع نفقة العدة (ألم تر) تقرير لمن سمع بقصتهم من اهل الكتاب واخبار الاولين وتعجيب من شأنهم ويجوز ان يخاطب به من لم يرولم يسمع لان هذا الكلام جرى مجرى المثل في معنى التعجيب * وروي ان أهل داوردان قرية قبل واسط وقع فيهم الطاعون فخرجوا هاربين فاماتهم الله ثم أحياهم ليعتبروا ويعلموا انه لامفر من حكم الله وقضائه وقيل مر عليهم حزقيل بعد زمان طويل وقد عريت عظامهم وتفرقت اوصالهم فلوى شدقه واصابعه تعجبا مما رأى فأوحي اليه ناد فيهم ان قوموا باذن الله فنادى فنظر اليهم قياما يقولون سبحانك اللهم وبحمدك لا اله الا أنت وقيل هم قوم من بني اسرائيل دعاهم ملكهم الى الجهاد فهربوا حذرا من الموت فأماتهم الله ثمانية ايام ثم احياهم (وهم ألوف) فيه دليل على الالوف الكثيرة واختلف في ذلك فقيل عشرة وقيل ثلاثون وقيل سبعون ومن بدع التفاسير ألوف متآلفون جمع آلف كقاعد وقعود * (فان قلت) ما معنى قوله (فقال لهم الله موتوا) (قلت) معناه فأماتهم وانما جيء به على هذه العبارة للدلالة على انهم ماتوا ميتة رجل واحد بأمر الله ومشيئته وتلك ميتة خارجة عن العادة كانهم امروا بشيء فامتثلوه امتثالا من غير اباء ولا توقف كقوله تعالى انما أمره اذا اراد شيأ ان يقول له كن فيكون وهذا تشجيع للمسلمين على الجهاد والتعرض للشهادة وان الموت اذا لم يكن منه بد ولم ينفع منه مفر فأولى ان يكون في سبيل الله (لذو فضل على الناس) حيث يبصرهم مايعتبرون به ويستبصرون كما بصر أولئك وكما بصركم باقتصاص خبرهم اولذو فضل على الناس حيث احيا اولئك ليعتبروا فيفوزوا ولو شاء لتركهم موتى الى يوم البعث والدليل على انه ساق هذه القصة بعثا على الجهاد ما أتبعه من الامر بالقتال في سبيل الله (واعلموا ان الله سميع) يسمع مايقوله المتخلفون والسابقون (عليم) بما يضمرونه وهو من وراء الجزاء * اقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب به ثوابه والقرض الحسن اما المجاهدة في نفسها واما النفقة في سبيل الله (أضعافا كثيرة) قيل الواحد بسبعمائة وعن السدي كثيرة لا يعلم كنهها الا الله (والله يقبض ويبسط) يوسع على عباده ويقتر فلا تبخلوا عليه بما وسع عليكم لا يبدلكم الضيقة بالسعة (واليه ترجعون) فيجازيكم على ما قدمتم (لنبي لهم) هو يوشع او شمعون او اشمويل (ابعث لنا ملكا) أنهض للقتال معنا أميرا نصدر في تدبير الحرب عن رأيه وننتهي الى أمره طلبوا من نبيهم نحو ما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من التامير على الجيوش التي كان يجهزها ومن امرهم بطاعته وامتثال اوامره وروي انه امر الناس اذا سافروا ان يجعلوا احدهم اميرا عليهم (نقاتل) قرئ بالنون والجزم على الجواب وبالنون والرفع على انه حال اي ابعثه لنا مقدرين القتال او استئناف كانه قال لهم ما تصنعون بالملك فقالوا نقاتل وقرئ يقاتل بالياء والجزم على الجواب وبالرفع على انه صفة لملكا * وخبر عسيتم (ألا تقاتلوا) والشرط فاصل بينهما والمعنى هل قاربتم ان لا تقاتلوا يعني هل الامر كما أتوقعه انكم لا تقاتلون اراد ان يقول عسيتم ان لا تقاتلوا بمعنى اتوقع جبنكم عن القتال فأدخل هل مستفهما عما هو متوقع عنده ومظنون واراد بالاستفهام التقرير وتثبيت ان المتوقع كائن وانه صائب في توقعه كقوله تعالى هل أتى على الانسان معناه التقرير وقرئ عسيتم بكسر السين وهي ضعيفة (ومالنا ألا نقاتل) واي داع لنا الى ترك القتال واي غرض لنا فيه (وقد اخرجنا من ديارنا وابنائنا) وذلك ان قوم جالوت كانوا يسكنون ساحل بحر الروم بين مصر وفلسطين فاسروا من ابناء ملوكهم اربعمائة وأربعين (الا قليلا منهم) قيل كان القليل منهم ثلثمائة وثلاثة عشر على عدد اهل بدر (والله عليم بالظالمين) وعيد لهم على ظلمهم في القعود عن القتال وترك الجهاد (طالوت) اسم اعجمي كجالوت وداود وانما امتنع من الصرف لتعريفه وعجمته وزعموا انه من الطول لما وصف به من البسطة في الجسم ووزنه ان كان

من

من الطول فعلوت منه اصله طولوت الا ان امتناع صرفه يدفع ان يكون منه الا ان يقال هو اسم عبراني وافق عربيا كما وافق حنطا حنطة و بشمالاها رحمانا رخيما بسم الله الرحمن الرحيم فهو من الطول كما لو كان عربيا وكان احد سببيه العجمة لكونه عبرانيا (انى) كيف ومن اين وهو انكار لتملكه عليهم واستبعاد له * (فان قلت) ما الفرق بين الواوين فى ونحن أحق ولم يؤت (قلت) الاولى للحال والثانية لعطف الجملة على الجملة الواقعة حالا قد انتظمتهما معا فى حكم واو الحال والمعنى كيف يتملك علينا والحال انه لا يستحق التملك لوجود من هو احق بالملك وانه فقير ولا بد للملك من مال يعتضد به وانما قالوا ذلك لان النبوة كانت فى سبط لاوى ابن يعقوب والملك فى سبط يهوذا ولم يكن طالوت من أحد السبطين ولانه كان رجلا سقاء او دباغا فقيرا وروي ان نبيهم دعا الله تعالى حين طلبوا منه ملكا فاتي بعصا يقاس بها من يملك عليهم فلم يساوها الا طالوت (قال ان الله اصطفاه عليكم) يريد ان الله هو الذى اختاره عليكم وهو اعلم بالمصالح منكم ولا اعتراض على حكم الله * ثم ذكر مصلحتين انفع مما ذكروا من النسب والمال وهما العلم المبسوط والجسامة والظاهر ان المراد بالعلم المعرفة بما طلبوه لاجله من امر الحرب ويجوز ان يكون عالما بالديانات وبغيرها وقيل قد اوحي اليه ونبئ وذلك ان الملك لا بد ان يكون من اهل العلم فان الجاهل مزدرى غير منتفع به وان يكون جسيما يملأ العين جهارة لانه أعظم فى النفوس وأهيب فى القلوب * والبسطة السعة والامتداد وروى ان الرجل القائم كان يمد يده فينال رأسه (يؤتي ملكه من يشاء) أى الملك له غير منازع فيه فهو يؤتيه من يشاء من يستصلحه للملك (والله واسع) الفضل والعطاء يوسع على من ليس له سعة من المال ويغنيه بعد الفقر (عليم) بمن يصطفيه للملك (التابوت) صندوق التوراة وكان موسي عليه السلام اذا قاتل قدمه فكانت تسكن نفوس بنى اسرائيل ولا يفرون * والسكينة السكون والطمانينة وقيل هى صورة كانت فيه من زبرجد او ياقوت لها راس كراس الهر وذنب كذنبه وجناحان فتئن فيزف التابوت نحو العدو وهم يمضون معه فاذا استقر ثبتوا وسكنوا ونزل النصر وعن على رضى الله عنه كان لها وجه كوجه الانسان وفيها ريح هفافة (وبقية) هي رضاض الالواح وعصا موسي وثيابه وشيء من التوراة وكان رفعه الله تعالى بعد موسى عليه السلام فنزلت به الملائكة تحمله وهم ينظرون اليه فكان ذلك آية لاصطفاء الله طالوت وقيل كان مع موسي ومع انبياء بنى اسرائيل بعده يستفتحون به فلما غيرت بنو اسرائيل غلبهم عليه الكفار فكان فى ارض جالوت فلما اراد الله ان يملك طالوت اصابهم ببلاء حتى هلكت خمس مدائن فقالوا هذا بسبب التابوت بين اظهرنا فوضعوه على ثورين فساقهما الملائكة الى طالوت وقيل كان من خشب الشمشار مموها بالذهب نحوا من ثلاثة اذرع فى ذراعين وقرا ابى وزيد بن ثابت التابوه بالهاء وهي لغة الانصار (فان قلت) ما وزن التابوت (قلت) لا يخلو من ان يكون فعلوتا او فاعولا فلا يكون فاعولا لقلته نحو سلس وقلق ولانه تركيب غير معروف فلا يجوز ترك المعروف اليه فهو اذا فعلوت من التوب وهو الرجوع لانه ظرف توضع فيه الاشياء وتودعه فلا يزال يرجع اليه ما يخرج منه وصاحبه يرجع اليه فيما يحتاج اليه من مودعاته واما من قرا بالهاء فهو فاعول عنده الا فيمن جعل هاءه بدلا من التاء لاجتماعهما فى الهمس وانهما من حروف الزيادة ولذلك ابدلت من تاء التانيث وقرا ابو السمال سكينة بفتح السين والتشديد وهو غريب وقرئ يحمله بالياء (فان قلت) من (آل موسى وآل هرون) (قلت) الانبياء من بنى يعقوب لان عمران هو ابن قاهث ابن لاوى بن يعقوب فكان اولاد يعقوب آلهما ويجوز ان يراد مما تركه موسي وهرون والآل مقحم لتفخيم شأنهما * فصل عن موضع كذا اذا انفصل عنه وجاوزه واصله فصل نفسه ثم كثر محذوف المفعول حتى صار فى حكم غير المتعدى كانفصل وقيل فصل عن البلد فصولا ويجوز ان يكون فصله فصلا وفصل فصولا كوقف وصد ونحوهما والمعنى انفصل عن بلده (بالجنود) روى انه قال لقومه لا يخرج معي رجل بنى بناء لم يفرغ منه ولا تاجر مشتغل بالتجارة ولا رجل متزوج بامراة لم يبن عليها ولا ابتغي الا الشاب النشيط الفارغ فاجتمع اليه مما اختاره ثمانون الفا وكان الوقت

قالوا انى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة فى العلم والجسم والله يؤتى ملكه من يشاء والله واسع عليم وقال لهم نبيهم ان آية ملكه ان يأتيكم التابوت فيه سكينة من ربكم وبقية مما ترك آل موسى وآل هرون تحمله الملائكة ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين فلما فصل طالوت بالجنود

* قوله تعالى قالوا انى يكون له الملك علينا الآية (قال محمود رحمه الله ان قلت ما الفرق بين الواوين الخ) قال احمد رحمه الله وحاصل هذا ان الواو الاولى أفادت جملتها الحالية بنفسها وافادت الجملة الثانية الحالية ايضا لكن بواسطة الواو العاطفة وهذا النظر من السهل الممتنع (قال محمود رحمه الله وزن التابوت فعلوت الخ) قال احمد رحمه الله يريد لان الفاء تاء واللام كذلك والعرب تستثقل ما فاؤه ولامه حرف واحد لانه لوأم التكرار

قوله تعالى فمن شرب منه فليس مني الآية (قال محمود مستثنى من قوله فمن شرب منه فليس مني الخ) تقوية لمن ذهب الى أن الاستثناء المتعقب للجمل لا يتعين عوده الى الاخيرة لاحتمال عوده الى ما قبلها ورد على من منع ذلك محتجا بامتناع الفصل بين المستثنى والمستثنى منه باجنبي من الاستثناء ولذلك حقق عوده الى الاخيرة وتوقف في انعطافه على ما تقدمها فيجوز عنده أن يعود على الجميع مع الاخيرة

وأما عوده على ما قبل الاخيرة دونها فمتعذر

قال ان الله مبتليكم بنهر فمن شرب منه فليس مني ومن لم يطعمه فانه مني الا من اغترف غرفة بيده فشربوا منه الا قليلا منهم فلما جاوزه هو والذين آمنوا معه قالوا لا طاقة لنا اليوم بجالوت وجنوده قال الذين يظنون انهم ملاقوا الله كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم باذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض ولكن الله ذو فضل على العالمين تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وانك لمن المرسلين

قيظا وسلكوا مفازة فسألوا ان يجرى الله لهم نهرا (قال ان الله مبتليكم) بما اقترحتموه من النهر (فمن شرب منه) فمن ابتدأ شربه من النهر بان كرع فيه (فليس مني) فليس بمتصل بي ومتحد معي من قولهم فلان مني كأنه بعضه لاختلاطهما واتحادهما ويجوز أن يراد فليس من جملتي وأشياعي (ومن لم يطعمه) ومن لم يذقه من طعم الشيء اذا ذاقه ومنه طعم الشيء لمذاقه قال * وان شئت لم اطعم نقاخا ولا بردا * ألا ترى كيف عطف عليه البرد وهو النوم ويقال ماذقت غماضا ونحوه من الابتلاء ما ابتلى الله به أهل ايلة من ترك الصيد مع اتيان الحيتان شرعا بل هو أشد منه وأصعب وانما عرف ذلك طالوت باخبار من النبي وان كان نبيا كما يروى عن بعضهم فبالوحي * وقرئ بنهر بالسكون (فان قلت) مم استثنى قوله (الا من اغترف) (قلت) من قوله فمن شرب منه فليس مني والجملة الثانية في حكم المتأخرة الا انها قدمت للعناية كما قدم والصابئون في قوله ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون ومعناه الرخصة في اغتراف الغرفة باليد دون الكروع والدليل عليه قوله (فشربوا منه) أي فكرعوا فيه (الا قليلا منهم) وقرئ غرفة بالفتح بمعنى المصدر وبالضم بمعنى المغروف وقرأ أبي والاعمش الا قليل بالرفع وهذا من ميلهم مع المعنى والاعراض عن اللفظ جانبا وهو باب جليل من علم العربية فلما كان معنى فشربوا منه في معنى فلم يطيعوه حمل عليه كأنه قيل فلم يطيعوه الا قليل منهم ونحوه قول الفرزدق لم يدع * من المال الا مسحت او مجلف * كأنه قال لم يبق من المال الا مسحت أو مجلف وقيل لم يبق مع طالوت الا ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا (والذين آمنوا) يعني القليل (قال الذين يظنون) يعني الخلص منهم الذين نصبوا بين اعينهم لقاء الله وأيقنوه أو الذين تيقنوا أنهم يستشهدون عما قريب ويلقون الله والمؤمنون مختلفون في قوة اليقين ونصوع البصيرة * وقيل الضمير في قالوا لا طاقة لنا للكثير الذين انخزلوا والذين يظنون هم القليل الذين ثبتوا معه كأنهم تقاولوا بذلك والنهر بينهما يظهر أولئك عذرهم في الانخزال ويرد عليهم هؤلاء ما يعتذرون به وروي أن الغرفة كانت تكفي الرجل لشربه وأداوته والذين شربوا منه اسودت شفاههم وغلبهم العطش * وجالوت جبار من العمالقة من أولاد عمليق بن عاد وكانت بيضته فيها ثلثمائة رطل (وثبت أقدامنا) وهب لنا ما نثبت به في مداحض الحرب من قوة القلوب والقاء الرعب في قلب العدو ونحو ذلك من الاسباب * كان ايشى أبو داود في عسكر طالوت مع ستة من بنيه وكان داود سابعهم وهو صغير يرعى الغنم فاوحى الى اشمويل أن داود بن ايشى هو الذي يقتل جالوت فطلبه من أبيه فجاء وقد مر في طريقه بثلاثة أحجار دعاه كل واحد منها أن يحمله وقالت انك تقتل بنا جالوت فحملها في مخلاته ورمى بها جالوت فقتله وزوجه طالوت بنته وروى أنه حسده وأراد قتله ثم تاب (وآتاه الله الملك) في مشارق الارض المقدسة ومغاربها وما اجتمعت بنو اسرائيل على ملك قط قبل داود (والحكمة) والنبوة (وعلمه مما يشاء) من صنعة الدروع وكلام الطير والدواب وغير ذلك (ولولا دفع الله الناس) ولولا ان الله يدفع بعض الناس ببعض ويكف بهم فسادهم لغلب المفسدون وفسدت الارض وبطلت منافعها وتعطلت مصالحها من الحرث والنسل وسائر ما يعمر الارض وقيل ولولا ان الله ينصر المسلمين على الكفار لفسدت الارض بعيث الكفار فيها وقتل المسلمين أو لولم يدفعهم بهم لعم الكفر ونزلت السخطة فاستؤصل أهل الارض (تلك آيات الله) يعني القصص التي اقتصها من حديث الألوف واماتتهم واحيائهم وتمليك طالوت واظهاره بالآية التي هي نزول التابوت من السماء وغلبة الجبابرة على يد صبي (بالحق) باليقين الذي لا يشك فيه اهل الكتاب لانه في كتبهم كذلك (وانك لمن المرسلين) حيث تخبر بها من غير أن تعرف بقراءة كتاب ولا سماع اخبار

عند هذا القائل فلم ينصف في العود الى الاخيرة لهذه الشبهة

وقد بين القاضي ابو بكر صلاحية عوده الى ما قبل الاخيرة دونها رادا على هذا القائل واستشهد بقوله تعالى ولو ردوه الى الرسول والى اولي الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا ووجه استشهاده أن المعنى يأبى انعطاف هذا الاستثناء الى الجملة الاخيرة ويعين عوده الى ما قبلها وسيأتي بيان ذلك عند الكلام على الآية

* قوله تعالى تلك الرسل فضلنا الآية (قال محمود رحمه الله والظاهر انه اراد محمدا عليه الصلاة والسلام الخ) قال احمد وانما اوردت هذا الفصل من كلامه استحسانا له لفظا ومعنى وتبركا باعطاء المصطفى عليه الصلاة والسلام من الفضل بعض حقه واصاب الزمخشري في قوله حيث أوتي الى عليه الصلاة والسلام من الفضل المنبو على سائر ما اوتيه الانبياء على الجميع الصلاة والسلام وليس كما يقال عن بعض اهل العصر من تفضيل النبي عليه الصلاة والسلام على كل واحد واحد من آحاد الانبياء و ينبغي الوقوف عن نسبته له فانه من العلماء الاعلام وعمد دين الاسلام والوجه التوريك بالغلط على النقلة عنه * قوله تعالى ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم الآية (قال محمود رحمه الله كرر ولو شاء الله للتأكيد) قال احمد رحمه الله وراء التاكيد سر أخص منه وهو ان العرب متى ثبت اول كلامها على مقصد ثم اعترضها مقصد آخر وارادت الرجوع الى الاول قصدت ذكره اما بتلك العبارة او بقريب منها وذلك عندهم مهيع من الفصاحة مسلوك وطريق معتمد وكان جدي لأمي أبو العباس احمد بن فارس الفقيه الوزير يعد في كتاب الله تعالى مواضع في هذا المعنى منها قوله تعالى من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا ومنها قوله تعالى ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم ان تطؤهم فتصيبكم منهم معرة بغير علم الى قوله لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم وهذه الآية من هذا النمط لما صدر الكلام بان اقتتالهم كان على وفق المشيئة ثم طال الكلام واريد بيان ان مشيئة الله تعالى كما نفذت في هذا الامر الخاص وهو اقتتال هؤلاء فهي نافذة في كل فعل واقع وهو المعنى المعبر عنه في قوله ولكن الله يفعل ما يريد طرأ ذكر تعلق المشيئة بالاقتتال لتلوه عموم تعلق المشيئة لتناسب الكلام و يعرف كل بشكله فهذا سر ينشرح لبيانه الصدر و يرتاح السر والله الموفق واي قدم يثبت للاعتزال قبالة هذه الآية الدائرة القاطعة الكافلة بالرد على منتحله وناصره ولذلك جوزها الزمخشري لاغتناصها على تاويله ولاعتصامها بالخصوصية من حيله وتحيله

تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وايدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا ولكن الله يفعل ما يريد يا أيها الذين آمنوا أنفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم

أخبار (تلك الرسل) اشارة الى جماعة الرسل التى ذكرت قصصها فى السورة أو التى ثبت علمها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم (فضلنا بعضهم على بعض) لما أوجب ذلك من تفاضلهم فى الحسنات (منهم من كلم الله) منهم من فضله الله بان كلمه من غير سفير وهو موسى عليه السلام وقرئ كلم الله بالنصب وقرأ اليماني كالم الله من المكالمة و يدل عليه قولهم كليم الله بمعنى مكالمه (ورفع بعضهم درجات) أي ومنهم من رفعه على سائر الانبياء فكان بعد تفاوتهم فى الفضل أفضل منهم بدرجات كثيرة والظاهر أنه اراد محمدا صلى الله عليه وسلم لانه هو المفضل عليهم حيث أوتي ما لم يؤته أحد من الآيات المتكاثرة المرتقية الى الف آية او أكثر ولو لم يؤت الا القرآن وحده لكفى به فضلا منيفا على سائر ما أوتي الانبياء لانه المعجزة الباقية على وجه الدهر دون سائر المعجزات وفى هذا الابهام من تفخيم فضله واعلاء قدره ما لا يخفى لما فيه من الشهادة على انه العلم الذى لا يشتبه والمتميز الذى لا يلتبس و يقال للرجل من فعل هذا فيقول احدكم أو بعضكم تريد به الذى تعورف واشتهر بنحوه من الافعال فيكون أفخم من التصريح به وانوه بصاحبه وسئل الحطيئة عن اشعر الناس فذكر زهيرا والنابغة ثم قال ولو شئت لذكرت الثالث أراد نفسه ولو قال ولو شئت لذكرت نفسي لم يفخم مره ويجوز أن يريد ابراهيم ومحمدا وغيرهما من أولى العزم من الرسل وعن ابن عباس رضى الله عنه كنا فى المسجد نتذاكر فضل الانبياء فذكرنا نوحا بطول عبادته وابراهيم بخلته وموسي بتكليم الله اياه وعيسي برفعه الى السماء وقلنا رسول الله أفضل منهم بعث الى الناس كافة وغفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وهو خاتم الانبياء فدخل عليه السلام فقال فيم انتم فذكرنا له فقال لا ينبغي لاحد ان يكون خيرا من يحيي بن زكريا فذكر أنه لم يعمل سيئة قط ولم يهم بها (فان قلت) فلم خص موسى وعيسي من بين الانبياء بالذكر (قلت) لما أوتيا من الآيات العظيمة والمعجزات الباهرة ولقد بين الله وجه التفضيل حيث جعل التكليم من الفضل وهو آية من الآيات فلما كان هذان النبيان قد أوتيا ما أوتيا من عظام الآيات خصا بالذكر في باب التفضيل وهذا دليل بين ان من زيد تفضيلا بالآيات منهم فقد فضل على غيره ولما كان نبينا صلى الله عليه وسلم هو الذى أوتي منها ما لم يؤت أحد فى كثرتها وعظمها كان هو المشهود له باحراز قصبات الفضل غير مدافع اللهم ارزقنا شفاعته يوم الدين (ولو شاء الله) مشيئة الجاء وقسر (ما اقتتل الذين) من بعد الرسل لاختلافهم فى الدين وتشعب مذاهبهم وتكفير بعضهم بعضا (ولكن اختلفوا فمنهم من آمن) لالتزامه دين الانبياء (ومنهم من كفر) لاعراضه عنه (ولو شاء الله ما اقتتلوا) كرره للتأكيد (ولكن الله يفعل ما يريد) من الخذلان والعصمة (أنفقوا مما رزقناكم) اراد الانفاق الواجب لاتصال الوعيد به (من قبل ان يأتي يوم) لا تقدرون فيه على تدارك ما فاتكم من الانفاق

*قوله تعالى من قبل ان يأتي يوم لا بيع الآية (قال محمود رحمه الله ومعناه ان أردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم الخ) قال احمد رحمه الله اما القدرية فقد وطنوا أنفسهم على حرمان الشفاعة وهم جديرون ان يحرموها وادلة أهل السنة على اثباتها للعصاة من المؤمنين أوسع من ان تحصى وما انكرها القدرية الا لايجابهم مجازاة الله تعالى للمطيع على الطاعة وللعاصي على المعصية ايجابا عقليا على زعمهم فهذه الحالة في انكار الشفاعة نتيجة تلك الضلالة وقد تقدم جواب عن التمسك باطلاق مثل هذه الآية في نفي الشفاعة ونعيده فنقول أيام القيامة متعددة والشفاعة في بعضها ثابتة بكل ما ورد مفهما لنفيها حمل على الايام الخالية منها جمعا بين الادلة كما ورد قوله تعالى فاذا نفخ في الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون وورد وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون وورد فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وورد وقفوهم انهم مسؤلون ولا تخلص في أمثال هذه الآي باتفاق الا الحمل على تعدد أوقات القيامة واختلاف احوالها وايامها وكذلك امر الشفاعة سواء رزقنا الله الشفاعة وحشرنا في زمرة السنة والجماعة (قال محمود رحمه الله وفي قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض أربعة أوجه الخ) قال احمد رحمه الله قوله في الوجه الاول ان ذلك تخييل للعظمة سوء أدب في الاطلاق وبعد في الاضمار فان التخييل انما يستعمل في الاباطيل وما ليست له حقيقة صدق فان يكن معنى ما قاله صحيحا فقد اخطأ في التعبير عنه بعبارة موهمة لا مدخل لها في الادب الشرعي وسيأتي له امثالها مما يوجب الادب ان يجتنب عاد كلامه قال فان قلت كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي وما بالها لم تعطف بالواو قلت لانها كلها في حكم البيان والبيان متحد بالمبين فدخول الواو بينهما كما تقول العرب دخول بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لتدبيره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها وقد وردت آثار في تفضيلها منها قوله عليه السلام ما قرئت هذه الآية في دار الا اجتنبتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة يا علي علمها ولدك واهلك وجيرانك فما نزلت آية أعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم على اعواد المنبر يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق أو عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه امنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة أفضل ما في القرآن فقال علي اين أنتم من آية الكرسي ثم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا علي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال طور سيناء وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي وانما فضلت لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى *قال احمد وكان جدي رحمة الله عليه يقول اشتملت آية الكرسي على ما لم يشتمل عليه آية من اسماء الله عز وجل وذلك انها مشتملة على سبعة عشر موضعا فيها اسم الله تعالى ظاهرا في بعضها ومستكنا في بعض ويظهر لكثير من العادين منها ستة عشر الا على بصير حاد البصيرة لدقة استخراجه الاول الله الثاني هو الثالث الحي الرابع القيوم الخامس ضميره لا تأخذه

لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والكافرون هم الظالمون الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه السموات والارض

لانه (لا بيع فيه) حتى تبتاعوا ما تنفقونه (ولا خلة) حتى يسامحكم أخلاؤكم به وان أردتم ان يحط عنكم ما في ذمتكم من الواجب لم تجدوا شفيعا يشفع لكم في حط الواجبات لان الشفاعة ثمة في زيادة الفضل لا غير (والكافرون هم الظالمون) أراد والتاركون الزكاة هم الظالمون فقال والكافرون للتغليظ كما قال في آخر آية الحج ومن كفر مكان ومن لم يحج ولانه جعل ترك الزكاة من صفات الكفار في قوله وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة وقرئ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة بالرفع (الحي) الباقي الذي لا سبيل عليه للفناء وهو على اصطلاح المتكلمين الذي يصح ان يعلم ويقدر و(القيوم) الدائم القيام بتدبير الخلق وحفظه وقرئ القيام والقيم * والسنة ما يتقدم النوم من الفتور الذي يسمى النعاس قال ابن الرقاع العاملي

وسنان أقصده النعاس فرنقت * في عينه سنة وليس بنائم

أي لا يأخذه نعاس ولا نوم وهو تأكيد للقيوم لان من جاز عليه ذلك استحال ان يكون قيوما ومنه حديث موسى انه سأل الملائكة وكان ذلك من قومه كطلب الرؤية أينام ربنا فأوحى الله اليهم ان يوقظوه ثلاثا ولا يتركوه ينام ثم قال خذ بيدك قارورتين مملوأتين فاخذهما والقى الله عليه النعاس فضرب احداهما على الاخرى فانكسرتا ثم أوحي اليه قل لهؤلاء اني امسك السموات والارض بقدرتي فلو أخذني نوم أو نعاس لزالتا (من ذا الذي يشفع عنده) بيان لملكوته وكبريائه وان احدا لا يتمالك ان يتكلم يوم القيامة الا اذا أذن له في الكلام كقوله تعالى لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن (يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم) ما كان قبلهم وما يكون بعدهم والضمير لما في السموات والارض لان فيهم العقلاء أو لما دل عليه من ذا من الملائكة والانبياء (من علمه) من معلوماته (الا بما شاء) الا بما علم * الكرسي ما يجلس عليه ولا يفضل عن مقعد القاعد وفي قوله (وسع كرسيه) اربعة أوجه احدها ان كرسيه لم يضق عن السموات والارض لبسطته وسعته وما هو

الا

الا تصوير لعظمته وتخييل فقط ولا كرسي ثمة ولا قعود ولا قاعد كقوله وماقدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه من غير تصور قبضة وطي ويمين وانما هو تخييل لعظمة شأنه وتمثيل حسي الا ترى الى قوله وماقدروا الله حق قدره والثاني وسع علمه وسمي العلم كرسيا تسمية بمكانه الذي هو كرسي العالم والثالث وسع ملكه تسمية بمكانه الذي هو كرسي الملك والرابع ماروى انه خلق كرسيا هو بين يدي العرش دونه السموات والارض وهو الى العرش كاصغر شيء وعن الحسن الكرسي هو العرش (ولا يؤده) ولا يثقله ولا يشق عليه (حفظهما) حفظ السموات والارض (وهو العلي) الشأن (العظيم) الملك والقدرة (فان قلت) كيف ترتبت الجمل في آية الكرسي من غير حرف عطف (قلت) مامنها جملة الا وهي واردة على سبيل البيان لما ترتبت عليه والبيان متحد بالمبين فلو توسط بينهما عاطف لكان كما تقول العرب بين العصا ولحائها فالاولى بيان لقيامه بتدبير الخلق وكونه مهيمنا عليه غير ساه عنه والثانية لكونه مالكا لما يدبره والثالثة لكبرياء شأنه والرابعة لاحاطته بأحوال الخلق وعلمه بالمرتضي منهم المستوجب للشفاعة وغير المرتضى والخامسة لسعة علمه وتعلقه بالمعلومات كلها او لجلاله وعظم قدره (فان قلت) لم فضلت هذه الآية حتى ورد في فضلها ماورد منه قوله صلى الله عليه وسلم ماقرئت هذه الآية في دار الا اهتجرتها الشياطين ثلاثين يوما ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة اربعين ليلة ياعلي علمها ولدك وأهلك وجيرانك فما نزلت آية اعظم منها وعن علي رضي الله عنه سمعت نبيكم صلى الله عليه وسلم على اعواد المنبر وهو يقول من قرأ آية الكرسي في دبر كل صلاة مكتوبة لم يمنعه من دخول الجنة الا الموت ولا يواظب عليها الا صديق او عابد ومن قرأها اذا أخذ مضجعه أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والابيات حوله وتذاكر الصحابة رضوان الله عليهم أفضل مافي القرآن فقال لهم علي رضي الله عنه اين انتم عن آية الكرسي ثم قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ياعلي سيد البشر آدم وسيد العرب محمد ولا فخر وسيد الفرس سلمان وسيد الروم صهيب وسيد الحبشة بلال وسيد الجبال الطور وسيد الايام يوم الجمعة وسيد الكلام القرآن وسيد القرآن البقرة وسيد البقرة آية الكرسي (قلت) لما فضلت له سورة الاخلاص من اشتمالها على توحيد الله تعالى وتعظيمه وتمجيده وصفاته العظمى ولا مذكور أعظم من رب العزة فما كان ذكرا له كان افضل من سائر الاذكار وبهذا يعلم ان اشرف العلوم واعلاها منزلة عند الله علم اهل العدل والتوحيد ولا يغرنك عنه كثرة اعدائه .

فان العرانين تلقاها محسدة * ولا ترى للئام الناس حسادا

(لا اكراه في الدين) اي لم يجر الله امر الايمان على الاجبار والقسر ولكن على التمكين والاختيار ونحوه قوله تعالى ولو شاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفانت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين اي لو شاء لقسرهم على الايمان ولكنه لم يفعل وبنى الامر على الاختيار (قد تبين الرشد من الغي) قد تميز الايمان من الكفر بالدلائل الواضحة (فمن يكفر بالطاغوت) فمن اختار الكفر بالشيطان او الاصنام والايمان بالله (فقد استمسك بالعروة الوثقى) من الحبل الوثيق المحكم المأمون انفصامها اي انقطاعها وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر والاستدلال بالمشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع كانه ينظر اليه بعينه فيحكم اعتقاده والتيقن به وقيل هو اخبار في معنى النهي اي لا تكرهوا في الدين ثم قال بعضهم هو منسوخ بقوله جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وقيل هو في اهل الكتاب خاصة لانهم حصنوا انفسهم بأداء الجزية وروي انه كان لانصاري من بني سالم بن عوف ابنان فتنصرا قبل ان يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة فلزمهما ابوهما

ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم

السادس ضمير له السابع ضمير عنده الثامن ضمير الا باذنه التاسع ضمير يعلم العاشر ضمير علمه الحادي عشر ضمير شاء الثاني عشر ضمير كرسيه الثالث عشر ضمير ولا يؤده الرابع عشر وهو الخامس عشر العلي السادس عشر العظيم فهذه عدة الاسماء البينة وأما الخفي فالضمير الذي اشتمل عليه المصدر في قوله حفظهما فانه مصدر مضاف الى المفعول وهو الضمير البارز ولا بد له من فاعل وهو الله ويظهر عند فك المصدر فيقول ولا يؤده ان يحفظهما هو وكان الشيخ ابو عبد الله محمد بن أبي الفضل المرسي قد رام الزيادة على هذا العدد لما اخبرته به عن الجد رحمه الله فقال يمكن ان يعد ما في الآية من الاسماء المشتقة كل واحد منها بآيتين لان كل واحد يتحمل ضميرا ضرورة كونه مشتقا وذلك الضمير انما يعود الى الله تعالى وهي باعتبار ظهورها اسم وقد اشتملت على آخر مضمر فيكون جملة العدد على هذا النظر أحدا وعشرين اسما وكنت قد أجريت معه في تعدد الزيادة المذكورة وجها لطيفا وهو ان الاسم المشتق له يتحمل الضمير بعد صيرورته بالتسمية علما على الاصح وهذه الصفات كلها اسماء الله تعالى ثم ولو فرضناها متحملة للضمائر بعد التسمية على سبيل التنزيل فالمشتق انما يقع على موصوفه باعتبار ضميره ألا تراك اذا قلت زيد كريم وجدت كريما انما يقع على زيد لان فيه ضميره حتى لو جردت النظر اليه لم تجده مختصا بزيد بل لك ان توقعه على كل موصوف بالكرم من الناس ولا تجده مختصا بزيد الا باعتبار اشتماله على ضميره فليس المشتق اذا مستقلا بوقوعه على موصوفه الا بضميمة الضمير اليه فلا يمكن ان يجعل له حكم الانفراد عن الضمير مع الحكم برجوعه الى معين ألبتة فرضي الشيخ المذكور عن هذا

البحث وصوبه والله الموفق للصواب * قوله تعالى ألم تر الى الذى حاج ابراهيم الآية (قال محمود ان آتاه متعلق بحاج على وجهين الخ)
قال احمد عفا الله عنه والوجهان قريبان من حيث المعنى الا ان بينهما فى الصناعة فرقا وهو انه استعمل المصدر فى الاول مفعولا من اجله
وفى الثانى ظرفا وقد وقعت المصادر ظروفا فى مثل خفوق النجم ومقدم الحاج وأمثال ذلك وانما وقت محاجته بهذا الظرف لاشتماله على
ايتاء الملك الحامل له على البطر او على وضع كفر النعمة فيه مكان شكرها وهذان المعنيان هما المذكوران فى الوجه الاول بعينهما فلهذا نبهت
على ان الفرق بين الوجهين صناعي لا معنوى والله الموفق لمعانى كلامه (قال محمود فان قلت كيف جاز ان يؤتى الله الملك الكافر قلت ذلك على
وجهين احدهما آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم والاتباع فاما التغليب والتسليط الا الثاني ان يكون ملكه امتحانا لعباده) قال احمد
السؤال مبنى وروده على قاعدة فاسدة وهى اعتقاد وجوب مراعاة ما يتوهمه القدرية صلاحا واصلح على الله تعالى فى افعاله وكل ذلك
من اصول القدرية التى اجتثها البرهان القاطع فما لها من قرار واما ايراد السؤال على صيغة لم آتاه الله الملك وهو كافر او لم فعل كذا وكذا فجواب
رده على الاطلاق فى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون لو سمع الصم البكم والله ولى التوفيق (عاد كلامه) قال ومعنى قوله انا أحيي
وأميت اعفو عن القتل وأقتل وكان للاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم عليه السلام لما سمع جواب الاحمق لم يحاجه فيه

الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ألم تر الى الذى حاج ابراهيم فى ربه أن آتاه الله الملك اذ قال ابراهيم ربي الذى يحيي ويميت قال انا أحيي وأميت قال ابراهيم فان الله يأتي بالشمس من المشرق فأت بها من المغرب فبهت الذى كفر والله لا يهدى القوم الظالمين أوكالذى مر على قرية وهي خاوية على عروشها

وقال والله لا ادعكما حتى تسلما او تأبيا فاختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال الانصارى يا رسول الله
أيدخل بعضى النار وانا انظر فنزلت فخلاهما (الله ولى الذين آمنوا) اى ارادوا ان يؤمنوا يلطف بهم حتى
يخرجهم بلطفه وتأييده من الكفر الى الايمان (والذين كفروا) اى صمموا على الكفر امرهم على عكس
ذلك او الله ولي المؤمنين يخرجهم من الشبه فى الدين ان وقعت لهم بما يهديهم و يوفقهم له من حلها حتى
يخرجوا منها الى نور اليقين (والذين كفروا أولياؤهم) الشياطين (يخرجونهم) من نور البينات التى
تظهر لهم الى ظلمات الشك والشبهه (ألم تر) تعجيب من محاجة نمروذ فى الله وكفره به (ان آتاه الله الملك)
متعلق بحاج على وجهين احدهما حاج لان آتاه الله الملك على معنى ان ايتاء الملك ابطره وأورثه الكبر والعتو
فحاج لذلك او على انه وضع المحاجة فى ربه موضع ما وجب عليه من الشكر على أن آتاه الله الملك فكان
المحاجة كانت لذلك كما تقول عادانى فلان لانى احسنت اليه تريد انه عكس ما كان يجب عليه من الموالاة
لاجل الاحسان ونحوه قوله تعالى وتجعلون رزقكم انكم تكذبون والثاني حاج وقت ان آتاه الله الملك
(فان قلت) كيف جاز ان يؤتى الله الملك الكافر (قلت) فيه قولان آتاه ما غلب به وتسلط من المال والخدم
والاتباع واما التغليب والتسليط فلا وقيل ملكه امتحانا لعباده و(اذ قال) نصب بحاج او بدل من ان آتاه
اذا جعل بمعنى الوقت (انا أحيي وأميت) يريد اعفو عن القتل وأقتل وكان الاعتراض عتيدا ولكن ابراهيم
لما سمع جوابه الاحمق لم يحاجه فيه ولكن انتقل الى ما لا يقدر فيه على نحو ذلك الجواب ليبهته اول شىء وهذا
دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة وقرئ فبهت الذى كفر اى فغلب ابراهيم الكافر وقرأ
ابو حيوة فبهت بوزن قرب وقيل كانت هذه المحاجة حين كسر الاصنام وسجنه نمروذ ثم اخرجه من السجن
ليحرقه فقال له من ربك الذى تدعو اليه فقال ربى الذى يحيي و يميت (اوكالذى) معناه او أرأيت مثل الذى

مر

ولكنه انتقل الى ما لا يقدر فيه على مثل ذلك ليبهته اول شىء وهذا دليل على جواز الانتقال للمجادل من حجة الى حجة * قال احمد
وقد التزم غير واحد من العلماء ان هذا الذى صدر من الخليل عليه الصلاة والسلام ليس بانتقال من الحجة ولكن من المثال وأما الحجة فهي
استدلاله على الوهية الله بتعلق قدرته بما لا يجوز تعلق قدرة الحادث به ثم هذا له امثلة منها الاحياء والاماتة ومنها الاتيان بالشمس من
المشرق والعدول بعد قيام الحجة وتمهيد القاعدة من مثال الى مثال ليس ببدع عند اهل الجدل والله اعلم * قوله تعالى اوكالذى مر الآية
(قال محمود معناه او أرأيت مثل الذى مر الخ) قال احمد ومثل هذا النظم يحذف منه فعل الرؤية كثيرا كقوله

قال لها كلا بها أسرعي * كاليوم مطلوبا ولا طالبا يريد لم أر كاليوم فحذف الفعل وحرف النفى والظاهر حمل الآية على الوجه الاول
لوجود نظيره والله اعلم (عاد كلامه) قال والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد وقيل كان مؤمنا وهو عزيز
والخضر ارادان يعاين الاحياء كما طلبه ابراهيم وقوله يوما بناه على الظن روى انه مات ضحى و بعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس
فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية منها فقال او بعض يوم انتهى كلامه (قال احمد) أما استدلال الزمخشرى على ان المار
كان كافرا بانتظامه مع نمروذ فى سلك واحد فمعارض بانه نظمت قصته مع قصة ابراهيم عليه السلام فى نسق واحد فليس الاستدلال على

كفره باقتران قصته مع قصة نمروذ اولى من الاستدلال على ايمانه بانتظامها أيضا مع قصة ابراهيم الا ان يقول ان قصة هذا المار معطوفة على قصة نمروذ عطف تشريك في الفعل منطوقا به في الاولى ومحذوفا من الثانية مدلولا عليه بذكره اولا ولا كذلك عطف قصة ابراهيم فانها مصدرة بالواو التى لا تدخل فى كثير من احوالها للتشريك ولكن لتحسين النظم حتى تتوسط بين الجمل التى يعلم تعاطفها لذلك الغرض ولا كذلك عطفها في قصة نمروذ فانه بالواو التي لا تستعمل الا مشركة اذ عطف التحسين اللفظي خاص بالواو فيقول اذا انتهي الترجيح الى هذا التدقيق فهو معارض بما بين قصة المار وقصة ابراهيم من التناسب المعنوى لان طلبتهما واحدة اذ المار سأل معاينة الاحياء وكذلك طلبة ابراهيم عليه الصلاة والسلام ثم التناسب المعنوى ارجح من التعلق بامور لفظية ترد الى انحاء مختلفة ويؤيد القول بان المار كان مؤمنا تحريه فى قوله تعالى يوما او بعض يوم فان ظاهره الاحتراز من التحريف فى القول حتى لا يعبر عن جل اليوم باليوم حذرا من ابهام طلبته لجملة اليوم ومثل هذا التحرى لا يصدر عن معطل والله أعلم * ولا يقال انما صدر منه هذا التحرى بعد أن حيي وآمن * لانا نقول انما آمن على القول بكفره بعد ظهور الآيات يدل عليه قوله تعالى فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل ١٢١ شيء قدير واما التحرى المذكور فكان أول القصة قبل الايمان وما قدرت هذا السؤال الا لنكتة يذكرها الزمخشرى الآن تشعر بايراده على الترجيح المذكور * ثم هذه الجراءة التى نقلها الزمخشرى فى خلال كلامه من أنه انما قال أو بعض يوم لما رأى بقية من الشمس لم يكن رآها أول كلامه فاستدرك الامر فيها نظر دقيق لم أقف عليه لاحد ممن أورد الحكاية فى تفسيره وذلك أن الامر اذا كان على ما تضمنته وكلام المار المذكور بنى اولا على الجزم بانه لبث يوما ثم جزم آخرا ان لبثه انما كان بعض يوم لرؤية بقية من الشمس وكان مقتضي التعبير عن حاله ان يقول بل بعض يوم مضربا عن جزمه الاول الى جزمه الثانى لان أو انما تدخل فى الخبر اذا انبنى اوله على الجزم ثم عرض فى آخره شك ولا جزم بالنقيض فالحكاية المذكورة توجب ان يكون الموضع لبل لا لأو اذ موضع بل جزم بنقيض الاول فاذا استقر ذلك فالظاهر من حال المار انه كان اولا جازما ثم شك لا غيرا اتباعا لمقتضي الآية وعدولا عن الحكاية التى لا تثبت الا باسناد قاطع فيضطر الى تاويل فتامل هذا النظر فانه من لطيف النكت والله الموفق (عاد كلامه) قال فان قلت اذا كان المار كافرا الخ * قال أحمد وهذا سؤال عجيب والجواب عنه أعجب منه ومن سلم لهذا السائل ان الله تعالى لا يسوغ ان يكلم الكافر وهل هذا الا خطب بلا أصل اليس ان ابليس رأس الكفر ومدده ومع هذا قال الله تعالى اخرج منها فانك رجيم الى آخر الآية ويقول تعالى للكفار وهم بين اطباقها يعذبون اخسؤا فيها ولا تكلمون ولان هذا الامر متيقن وقوعه فضلا عن جوازه اول العلماء قوله

قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر الى طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر الى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر الى العظام كيف ننشرها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير

مر فحذف لدلالة الم تر عليه لان كلتيهما كلمة تعجيب ويجوز ان يحمل على المعنى دون اللفظ كانه قيل أرأيت كالذى حاج ابراهيم أو كالذى مر على قرية والمار كان كافرا بالبعث وهو الظاهر لانتظامه مع نمروذ فى سلك ولكلمة الاستبعاد التى هى أني يحيي وقيل هو عزيز او الخضر اراد ان يعاين احياء الموتى ليزداد بصيرة كما طلبه ابراهيم عليه السلام وقوله (أنى يحيي) اعتراف بالعجز عن معرفة طريقة الاحياء واستعظام لقدرة المحيي * والقرية بيت المقدس حين خربه بختنصر وقيل هي التى خرج منها الالوف (وهى خاوية على عروشها) تفسيره فيما بعد (يوما او بعض يوم) بناء على الظن روى انه مات ضحى وبعث بعد مائة سنة قبل غيبوبة الشمس فقال قبل النظر الى الشمس يوما ثم التفت فرأى بقية من الشمس فقال او بعض يوم وروى ان طعامه كان تينا وعنبا وشرابه عصيرا أو لبنا فوجد التين والعنب كما جنيا والشراب على حاله (لم يتسنه) لم يتغير والهاء أصلية أوهاء سكت واشتقاقه من السنة على الوجهين لان لامها هاء او واو وذلك ان الشيء يتغير بمرور الزمان وقيل أصله يتسنن من الحمأ المسنون فقلبت نونه حرف علة كتقضي البازى ويجوز ان يكون معنى لم يتسنه لم تمر عليه السنون التى مرت عليه يعنى هو بحاله كما كان كانه لم يلبث مائة سنة وفى قراءة عبد الله فانظر الى طعامك وهذا شرابك لم يتسن وقرأ ابى لم يسنه بادغام التاء فى السين (وانظر الى حمارك) كيف تفرقت عظامه ونخرت وكان له حمار قد ربطه ويجوز ان يراد وانظر اليه سالما فى مكانه كما ربطته وذلك من أعظم الآيات ان يعيشه مائة عام من غير علف ولا ماء كما حفظ طعامه وشرابه من التغير (ولنجعلك آية للناس) فعلنا ذلك يريد احياءه بعد الموت وحفظ ما معه وقيل اتى قومه راكب حماره وقال انا عزير فكذبوه فقال هاتوا التوراة فأخذ يهذها هذا عن ظهر قلبه وهم ينظرون فى الكتاب فما خرم حرفا فقالوا هو ابن الله ولم يقرأ التوراة ظاهرا أحد قبل عزير فذلك كونه آية وقيل رجع الى منزله فرأى اولاده شيوخا وهو شاب فاذا حدثهم بحديث قالوا حديث مائة سنة (وانظر الى العظام) هي عظام الحمار او عظام الموتى الذين تعجب من احيائهم (كيف ننشرها) كيف نحييها وقرأ الحسن ننشرها من نشر الله الموتى بمعنى انشرهم فنشروا وقرئ بالزاى بمعنى نحركها ونرفع بعضها الى بعض للتركيب وفاعل (تبين) مضمر تقديره فلما تبين له ان الله على كل شيء قدير (قال اعلم ان الله على كل شيء قدير) فحذف الاول لدلالة الثاني عليه كما فى قولهم ضربني وضربت زيدا ويجوز فلما تبين له ما أشكل عليه يعنى امر احياء الموتى وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما فلما تبين له على

تعالى ولا يكلمهم الله بمعنى ولا يكلمهم بما يسرهم و ينفعهم هذا وجه تعجبي من السؤال وأما الجواب فقد اسلفت آنفا رده بان ايمان هذا المار على القول بانه كان كافرا انما حصل فى آخر القصة بعد أن تبينت له الآيات وأما كلام الله تعالى فمن اول القصة * قلت الزمخشري كفانا مؤنة هذا الفصل سؤالا وجوابا والله المستعان * قوله تعالى واذ قال ابراهيم رب ارني الى قوله ولكن ليطمئن قلبي. قال محمود ان قلت كيف قال له اولم تؤمن وقد علم الخ) قال احمد الاولى فى هذه الآية ان يذكر فيها المختار فى تفسيرها من المباحث الممتحنة بالفكر المحرر والنكت المفصحة بالراى المخمر فما وافق من كلام المصنف ما يذكره فالحمد لله وما خالفه فالحق فيما ذكرناه والله الموفق فنقول اما سؤال الخليل عليه السلام بقوله له كيف تحيي الموتى فليس عن شك والعياذ بالله فى قدرة الله عن الاحياء ولكنه سؤال عن كيفية الاحياء ولا يشترط فى الايمان الاحاطة بصورتها فانما هي طلب علم ما لا يتوقف الايمان على علمه و يدل على ذلك ورود السؤال بصيغة كيف وموضوعها السؤال عن الحال ونظير هذا السؤال ان يقول القائل كيف يحكم زيد في الناس فهو لا يشك انه يحكم فيهم ولكنه سأل عن كيفية حكمه لا ثبوته ولو كان الوهم قد يتلاعب ببعض الخواطر فيطرق الى ابراهيم شكا من هذه الآية وقد قطع النبي عليه الصلاة والسلام دابر هذا الوهم بقوله نحن احق بالشك من ابراهيم اى ونحن لم نشك فلان لا يشك ابراهيم احرى واولى (فان قلت) اذا كان السؤال مصروفا الى الكيفية التى لا يضر عدم تصورها ومشاهدتها بالايمان ولا تخل به فما موقع قوله تعالى أولم تؤمن (قلت) قد وقعت لبعض الحذاق فيه على لطيفة وهي ان هذه الصيغة تستعمل ظاهرا فى السؤال عن الكيفية كما مر وقد تستعمل فى الاستعجاز مثاله ان يدعى مدع انه يحمل ثقلا من الاثقال وانت جازم بعجزه عن حمله فتقول له ارنى كيف تحمل هذا فلما كانت هذه الصيغة قد يعرض لها هذا الاستعمال الذى احاط علم الله تعالى بان ابراهيم مبرأ منه اراد بقوله اولم تؤمن ان ينطق ابراهيم بقوله بلى آمنت ليدفع عنه ذلك الاحتمال اللفظي فى العبارة الاولى ليكون ايمانه مخلصا نص عليه بعبارة يفهمها كل من يسمعها فهما لا يلحقه فيه شك (فان قلت) قد تبين لى وجه الربط بين الكلام على التقدير المبين فما موقع قول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي وذلك يشعر ظاهرا بانه كان عند السؤال فاقدا للطمانينة (قلت) معناه ولكن ليزول عن قلبي الفكر فى كيفية الحياة لاني اذا شاهدتها سكن قلبي عن الجولان فى كيفياتها المتخيلة وتعينت عندي بالتصوير المشاهد وجاءت الآية مطابقة لسؤاله لانه شاهد صورة حياة الموتي تقديره الذى يحيي ويميت فهذا أحسن ما يجري لى فى تفسير هذه الآية وربك الفتاح العليم وأما قول الزمخشري ان علم الاستدلال يتطرق اليه التشكيك بخلاف العلم الضروري فكلام لم يصدر عن راى منور ولا فكر محرر وذلك ان العلم الموقوف على سبب لا يتصور فيه تشكيك مادام سببه مذكورا فى نفس العالم وانما الذى يقبل التشكيك قبولا مطلقا هو الاعتقاد وان كان صحيحا وسببه باق فى الذكر وبهذا ينحط الاعتقاد الصحيح عن ذروة العلم ولكن للقدماء من القدرية خبط طويل فى تمييز العلم عن الاعتقاد حتى غالى ابو هاشم فقال العلم بالشيء والجهل به مثلان وهذا على الحقيقة جهل حق لحقيقة الجهل والزمخشري فى قواعد العقائدية فو آثار هذا القائل أية سلك فلعله من ثم طرق للعلم النظرى الشك حسب تطرقه الى الاعتقاد الذى يكون مرة جهلا ومرة مطابقا والله الموفق * قوله تعالى فصرهن اليك (قال

واذ قال ابراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن اليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ ثم ادعهن يأتينك سعيا واعلم ان الله عزيز حكيم

البناء للمفعول وقرئ قال اعلم على لفظ الامر وقرأ عبد الله قيل اعلم (فان قلت) فان كان المار كافرا فكيف يسوغ ان يكلمه الله (قلت) كان الكلام بعد البعث ولم يكن اذ ذاك كافرا (أرني) بصرني (فان قلت) كيف قال له (أولم تؤمن) وقد علم انه أثبت الناس ايمانا (قلت) ليجيب بما اجاب به لما فيه من الفائدة الجليلة للسامعين و (بلى) ايجاب لما بعد النفى معناه بلي آمنت (ولكن ليطمئن قلبي) ليزيد سكونا وطمأنينة بمضامة علم الضرورة علم الاستدلال وتظاهر الادلة أسكن للقلوب وأزيد للبصيرة واليقين ولان علم الاستدلال يجوز معه التشكيك بخلاف العلم الضروري فأراد بطمأنينة القلب العلم الذى لا مجال فيه للتشكيك (فان قلت) بم تعلقت اللام فى ليطمئن (قلت) بمحذوف تقديره ولكن سألت ذلك ارادة طمأنينة القلب (فخذ أربعة من الطير) قيل طاوسا وديكا وغرابا وحمامة (فصرهن اليك) بضم الصاد وكسرها بمعنى فأملهن واضممهن اليك قال * ولكن اطراف الرماح تصورها * وقال

وفرع يصير الجيد وحف كانه * على الليت قنوان الكروم الدوالح

وقرأ ابن عباس رضى الله عنه فصرهن بضم الصاد وكسرها وتشديد الراء من صره يصره و يصره اذا جمعه نحو ضره و يضره و يضره وعنه فصرهن من التصرية وهي الجمع أيضا (ثم اجعل على كل جبل منهن جزأ) يريد ثم جزئهن وفرق أجزاءهن على الجبال والمعنى على كل جبل من الجبال التي بحضرتك وفى أرضك قيل كانت أربعة أجبل وعن السدى سبعة (ثم ادعهن) وقل لهن تعالين باذن الله (يأتينك سعيا) ساعيات مسرعات فى طيرانهن او فى مشيهن على أرجلهن (فان قلت) ما معنى امره بضمها الى نفسه بعد ان يأخذها (قلت) ليتأملها و يعرف أشكالها وهيئاتها وحلاها لئلا تلتبس عليه بعد الاحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ولذلك قال يأتينك سعيا وروى انه امر بان يذبحها و ينتف ريشها و يقطعها و يفرق أجزاءها و يخلط ريشها ودماءها ولحومها وان يمسك رؤسها ثم امر ان يجعل أجزاءها على الجبال على كل جبل ربعا من كل طائر ثم يصيح

محمود ان قلت مامعنى امره بضمها الخ) قال احمد يريد ولم يقل طيرا الا انه اذا كانت ساعية كان أثبت لنظره عليها من ان تكون طائرة والله أعلم * قوله تعالى الذين ينفقون اموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا اذى (قال محمود فى نوابغ الكلم صنوان الخ) قال احمد ثم فى أصل وضعها تشعر بتراخي المعطوف بها عن المعطوف عليه فى الزمان وبعدما بينهما والزمخشرى يحملها على التفاوت فى المراتب والتباعد بينهما حيث لا يمكنه حملها على التراخي فى الزمان لسياق يأبى ذلك كهذه الآية وحاصله انها استعيرت من تباعد الازمنة لتباعد المرتبة وعندى فيها وجه آخر محتمل فى هذه الآية ونحوها وهو الدلالة على دوام الفعل المعطوف بها وارخاء الطول فى استصحابه فهي على هذا لم تخرج عن الاشعار ببعد الزمن ولكن معناها الاصلي تراخي زمن وقوع الفعل وحدوثه ومعناها المستعارة اليه دوام وجود الفعل وتراخي زمن بقائه وعليه حمل

مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون قول معروف ومغفرة خير من صدقة يتبعها أذى والله غنى حليم يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كالذى ينفق ماله رئاء الناس ولا يؤمن بالله واليوم الآخر فمثله كمثل صفوان عليه تراب فاصابه وابل فتركه صلدا .

بها تعالين باذن الله فجعل كل جزء يطير الى الآخر حتى صارت جثثا ثم أقبلن فانضممن الى رؤسهن كل جثة الى رأسها وقرئ جزأ بضمتين وجزا بالتشديد ووجهه أنه خفف بطرح همزته ثم شدد كما يشدد فى الوقف اجراء للوصل مجرى الوقف (مثل الذين ينفقون) لا بد من حذف مضاف أى مثل نفقتهم كمثل حبة او مثلهم كمثل باذر حبة * والمنبت هو الله ولكن الحبة لما كانت سببا أسند اليها الانبات كما يسند الى الارض والى الماء ومعنى انباتها سبع سنابل ان تخرج ساقا يتشعب منها سبع شعب لكل واحدة سنبلة وهذا التمثيل تصوير للاضعاف كانها ماثلة بين عيني الناظر (فان قلت) كيف صح هذا التمثيل والممثل به غير موجود (قلت) بل هو موجود فى الدخن والذرة وغيرهما وربما فرخت ساق البرة فى الاراضى القوية المغلة فيبلغ حبها هذا المبلغ ولو لم يوجد لكان صحيحا على سبيل الفرض والتقدير (فان قلت) هلا قيل سبع سنبلات على حقه من التمييز بجمع القلة كما قيل وسبع سنبلات خضر (قلت) هذا لما قدمت عند قوله ثلاثة قروء من وقوع أمثلة الجمع متعاورة مواقعها (والله يضاعف لمن يشاء) أي يضاعف تلك المضاعفة لمن يشاء لا لكل منفق لتفاوت احوال المنفقين أو يضاعف سبع المائة ويزيد عليها اضعافها لمن يستوجب ذلك * المن ان يعتد على من احسن اليه باحسانه ويريه انه اصطنعه وأوجب عليه حقاله وكانوا يقولون اذا صنعتم صنيعة فانسوها ولبعضهم

وان امرأ اسدى الى صنيعة * وذكرنيها مرة للئيم

وفى نوابغ الكلم صنوان من منح سائله ومن ومن منع نائله وضن وفيها طعم الآلاء احلى من المن وهى امر من الآلاء مع المن * والاذى أن يتطاول عليه بسبب ما أزل اليه [٣] ومعنى ثم اظهار التفاوت بين الانفاق وترك المن والاذى وأن تركهما خير من نفس الانفاق كما جعل الاستقامة على الايمان خيرا من الدخول فيه بقوله ثم استقاموا (فان قلت) أى فرق بين قوله لهم أجرهم وقوله فيما بعد فلهم اجرهم (قلت) الموصول لم يضمن ههنا معنى الشرط وضمنه ثمة والفرق بينهما من جهة المعنى ان الفاء فيها دلالة على ان الانفاق به استحق الاجر وطرحها عار عن تلك الدلالة (قول معروف) رد جميل (ومغفرة) وعفو عن السائل اذا وجد منه ما يثقل على المسؤل او ونيل مغفرة من الله بسبب الرد الجميل او وعفو من جهة السائل لانه اذا رده ردا جميلا عذره (خير من صدقة يتبعها اذى) وصح الاخبار عن المبتدا النكرة لاختصاصه بالصفة (والله غنى) لا حاجة به الى منفق يمن ويؤذى (حليم) عن معاجلته بالعقوبة وهذا اسخط منه ووعيد له * ثم بالغ فى ذلك بما اتبعه (كالذى ينفق ماله) اى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى كابطال المنافق الذى ينفق ماله (رئاء الناس) لا يريد بانفاقه رضا الله ولا ثواب الآخرة (فمثله كمثل صفوان) مثله ونفقته التى لا ينتفع بها البتة بصفوان بحجر املس عليه تراب وقرأ سعيد بن المسيب صفوان بوزن كروان (فاصابه وابل) مطر عظيم القطر (فتركه صلدا) اجرد نقيا

قوله تعالى ثم استقاموا أى داموا على الاستقامة دواما متراخيا ممتد الامد وتلك الاستقامة هى المعتبرة لا ما هو منقطع الى ضده من الحيد الى الهوى والشهوات وكذلك قوله ثم لا يتبعون ما انفقوا منا ولا أذى أى يدومون على تناسي الاحسان وعلى ترك الاعتداد به والامتنان ليسوا بتاركيه فى أزمنة الى الاذاية وتقليد المن بسببه ثم يتوبون والله اعلم وقريب من هذا أو مثله ان السين يصحب الفعل لتنفيس زمان وقوعه وتراخيه ثم ورد * قوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام انى ذاهب الى ربي سيهدين وقد حكى الله تعالى فى مثل هذه الآية الذى خلقنى فهو يهدين فليس الى حمل السين على تراخى زمان وقوع الهداية له من سبيل فيتعين المصير الى حملها على الدلالة على تنفس دوام الهداية الحاصلة له وتراخي بقائها وتمادى أمدها ولعل الزمخشرى أشار الى هذا المعنى فى آية ابراهيم عليه السلام فتامل هذا الوجه فهو أوجه مما حمل الزمخشرى عليه آية البقرة وهذه الآية أبقى على الحقيقة وأقرب الى الوضع على أحسن طريقة والله الموفق

٣ قوله بسبب ما أزل اليه كذا فى نسخ وفى أخرى أسدى اليه اه مصححه

من التراب الذي كان عليه ومنه صلد جبين الاصلع اذا برق (لا يقدرون على شيء مما كسبوا) كقوله فجعلناه هباء منثورا ويجوز ان تكون الكاف في محل النصب على الحال اي لا تبطلوا صدقاتكم مماثلين الذي ينفق (فان قلت) كيف قال لا يقدرون بعد قوله كالذي ينفق (قلت) اراد بالذي ينفق الجنس او الفريق الذي ينفق ولان من والذي يتعاقبان فكأنه قيل كمن ينفق (وتثبيتا من انفسهم) وليثبتوا منها ببذل المال الذي هو شقيق الروح وبذله اشق شيء على النفس على سائر العبادات الشاقة وعلى الايمان لان النفس اذا ريضت بالتحامل عليها وتكليفها ما يصعب عليها ذلت خاضعة لصاحبها وقل طمعها في اتباعه لشهواتها وبالعكس فكان انفاق المال تثبيتا لها على الايمان واليقين ويجوز ان يراد وتصديقا للاسلام وتحقيقا للجزاء من اصل انفسهم لانه اذا انفق المسلم ماله في سبيل الله علم ان تصديقه وايمانه بالثواب من اصل نفسه ومن اخلاص قلبه ومن على التفسير الاول للتبعيض مثلها في قولهم هز من عطفه وحرك من نشاطه وعلى الثاني لابتداء الغاية كقوله تعالى حسدا من عند انفسهم ويحتمل ان يكون المعنى وتثبيتا من انفسهم عند المؤمنين انها صادقة الايمان مخلصة فيه وتعضده قراءة مجاهد وتبيينا من انفسهم (فان قلت) فما معنى التبعيض (قلت) معناه ان من بذل ماله لوجه الله فقد ثبت بعض نفسه ومن بذل ماله وروحه معا فهو الذي ثبتها كلها وتجاهدون في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم والمعنى ومثل نفقة هؤلاء في زكائها عند الله (كمثل جنة) وهي البستان (بربوة) بمكان مرتفع وخصها لان الشجر فيها أزكى وأحسن ثمرا (أصابها وابل) مطر عظيم القطر (فآتت أكلها) ثمرتها (ضعفين) مثلي ما كانت تثمر بسبب الوابل (فان لم يصبها وابل فطل) فمطر صغير القطر يكفيها لكرم منبتها أو مثل حالهم عند الله بالجنة على الربوة ونفقتهم الكثيرة والقليلة بالوابل والطل وكما أن كل واحد من المطرين يضعف أكل الجنة فكذلك نفقتهم كثيرة كانت أو قليلة بعد أن يطلب بها وجه الله ويبذل فيها الوسع زاكية عند الله زائدة في زلفاهم وحسن حالهم عنده وقرئ كمثل حبة وبربوة بالحركات الثلاث وأكلها بضمتين * الهمزة في (أيود) للانكار وقرئ له جنات وذرية ضعاف والاعصار الريح التي تستدير في الارض ثم تسطع نحو السماء كالعمود وهذا مثل لمن يعمل الاعمال الحسنة لا يبتغي بها وجه الله فاذا كان يوم القيامة وجدها محبطة فيتحسر عند ذلك حسرة من كانت له جنة من أبهى الجنان وأجمعها للثمار فبلغ الكبر وله أولاد ضعاف والجنة معاشهم ومنتعشهم فهلكت بالصاعقة وعن عمر رضي الله عنه انه سأل عنها الصحابة فقالوا الله أعلم فغضب وقال قولوا نعلم أو لا نعلم فقال ابن عباس رضي الله عنه في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين قال قل يا ابن أخي ولا تحقر نفسك قال ضربت مثلا لعمل قال لأي عمل قال لرجل غني يعمل الحسنات ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله كلها وعن الحسن رضي الله عنه هذا مثل قل والله من يعقله من الناس شيخ كبير ضعف جسمه وكثر صبيانه أفقر ما كان الى جنته وان أحدكم والله أفقر ما يكون الى عمله اذا انقطعت عنه الدنيا (فان قلت) كيف قال جنة من نخيل وأعناب ثم قال له فيها من كل الثمرات (قلت) النخيل والاعناب لما كانا أكرم الشجر وأكثرها منافع خصهما بالذكر وجعل الجنة منهما وان كانت محتوية على سائر الاشجار تغليبا لهما على غيرهما ثم أردفهما ذكر كل الثمرات ويجوز أن يريد بالثمرات المنافع التي كانت تحصل له فيها كقوله وكان له ثمر بعد قوله جنتين من أعناب وحففناهما بنخل (فان قلت) علام عطف قوله وأصابه الكبر (قلت) الواو للحال لا للعطف ومعناه أن تكون له جنة وقد أصابه الكبر وقيل يقال وددت أن يكون كذا ووددت لو كان كذا فحمل العطف على المعنى كأنه قيل أيود أحدكم لو كانت له جنة وأصابه الكبر (من طيبات ما كسبتم) من جياد مكسوباتكم (ومما أخرجنا لكم) من الحب والثمر والمعادن وغيرها (فان قلت) فهلا قيل وما أخرجنا لكم عطفا على ما كسبتم حتى يشتمل الطيب على المكسوب والمخرج من الارض (قلت) معناه ومن طيبات ما أخرجنا لكم الا انه حذف لذكر الطيبات (ولا تيمموا الخبيث) ولا تقصدوا المال الرديء (منه تنفقون) تخصونه بالانفاق وهو في محل الحال وقرأ عبد الله ولا تأمموا وقرأ ابن عباس ولا تيمموا بضم التاء ويممه وتيممه وتأممه سواء في معنى قصده (ولستم بآخذيه)

لا يقدرون على شيء مما كسبوا والله لا يهدي القوم الكافرين ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتا من أنفسهم كمثل جنة بربوة أصابها وابل فآتت أكلها ضعفين فان لم يصبها وابل فطل والله بما تعملون بصير أيود أحدكم أن تكون له جنة من نخيل وأعناب تجري من تحتها الانهار له فيها من كل الثمرات وأصابه الكبر وله ذرية ضعفاء فأصابها اعصار فيه نار فاحترقت كذلك يبين الله لكم الآيات لعلكم تتفكرون يا أيها الذين آمنوا انفقوا من طيبات ما كسبتم ومما أخرجنا لكم من الارض ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه

*قوله تعالى أيود أحدكم ان تكون له جنة الى آخر الآية (قال محمود ان قلت لم ذكر النخيل والاعناب اولا الخ) قال احمد وهذا من باب تثنية ذكر ما يقع الاهتمام به مرتين عموما وخصوصا ومثله فيهما فاكهة ونخل ورمان الا انه في تلك الآية بدأ بالتعميم وفي هذه الآية بدأ بالتخصيص والمقصود هو ما نبهنا عليه والله أعلم

وحالكم

وحالكم انكم لا تأخذونه في حقوقكم (الا ان تغمضوا فيه) الا بان تتسامحوا في أخذه وتترخصوا فيه من قولك أغمض فلان عن بعض حقه اذا غض بصره ويقال للبائع أغمض اى لا تستقص كانك لا تبصر وقال الطرماح

لم يفتنا بالوتر قوم وللضيم * م رجال يرضون بالاغماض

وقرأ الزهري تغمضوا واغمض وغمض بمعنى وعنه تغمضوا بضم الميم وكسرها من غمض يغمض ويغمض وقرأ قتادة تغمضوا على البناء للمفعول بمعنى الا ان تدخلوا فيه وتجذبوا اليه وقيل الا ان توجدوا مغمضين وعن الحسن رضي الله عنه لو وجدتموه في السوق يباع ما اخذتموه حتى يهضم لكم من ثمنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا يتصدقون بحشف التمر وشراره فنهوا عنه *اى يعدكم في الانفاق (الفقر) ويقول لكم ان عاقبة انفاقكم ان تفتقروا وقرئ الفقر بالضم والفقر بفتحتين والوعد يستعمل في الخير والشر قال الله تعالى النار وعدها الله الذين كفروا (ويامركم بالفحشاء) ويغريكم على البخل ومنع الصدقات اغراء الآمر للمامور والفاحش عند العرب البخيل (والله يعدكم) في الانفاق (مغفرة) لذنوبكم وكفارة لها (وفضلا) وان يخلف عليكم أفضل مما أنفقتم أو وثوابا عليه في الآخرة (يؤتي الحكمة) يوفق للعلم والعمل به والحكيم عند الله هو العالم العامل *وقرئ ومن يؤت الحكمة بمعنى ومن يؤته الله الحكمة وهكذا قرأ الاعمش و(خيرا كثيرا) تنكير تعظيم كانه قال فقد اوتي اى خير كثير (وما يذكر الا أولوا الالباب) يريد الحكماء العلماء العمال والمراد به الحث على العمل بما تضمنت الآي في معنى الانفاق (وما أنفقتم من نفقة) في سبيل الله او في سبيل الشيطان (او نذرتم من نذر) في طاعة الله أو في معصيته (فان الله يعلمه) لا يخفى عليه وهو مجازيكم عليه (وما للظالمين) الذين يمنعون الصدقات او ينفقون أموالهم في المعاصي اولا يفون بالنذور او ينذرون في المعاصي (من أنصار) ممن ينصرهم من الله ويمنعهم من عقابه *ما في نعما نكرة غير موصولة ولا موصوفة ومعنى (فنعما هي) فنعم شيأ ابداؤها وقرئ بكسر النون وفتحها (وان تخفوها وتؤتوها الفقراء) وتصيبوا بها مصارفها مع الاخفاء (فهو خير لكم) فالاخفاء خير لكم والمراد الصدقات المتطوع بها فان الافضل في الفرائض ان يجاهر بها وعن ابن عباس رضي الله عنهما صدقات السر في التطوع تفضل علانيتها سبعين ضعفا وصدقة الفريضة علانيتها أفضل من سرها بخمسة وعشرين ضعفا وانما كانت المجاهرة بالفرائض أفضل لنفي التهمة حتى اذا كان المزكي ممن لا يعرف باليسار كان اخفاؤه أفضل والمتطوع ان اراد ان يقتدى به كان اظهاره افضل (ونكفر) قرئ بالنون مرفوعا عطفا على محل ما بعد الفاء او على انه خبر مبتدا محذوف اى ونحن نكفر او على انه جملة من فعل وفاعل مبتداه ومجزوما عطفا على محل الفاء وما بعده لانه جواب الشرط وقرئ ويكفر بالياء مرفوعا والفعل لله او للاخفاء وتكفر بالتاء مرفوعا ومجزوما والفعل للصدقات وقرأ الحسن رضي الله عنه بالياء والنصب باضمار ان ومعناه ان تخفوها يكن خيرا لكم وان يكفر عنكم (ليس عليك هداهم) لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الى الانتهاء عما نهوا عنه من المن والاذى والانفاق من الخبيث وغير ذلك وما عليك الا ان تبلغهم النواهي فحسب (ولكن الله يهدي من يشاء) يلطف بمن يعلم ان اللطف ينفع فيه فينتهي عما نهي عنه (وما تنفقوا من خير) من مال (فلانفسكم) فهو لانفسكم لا ينتفع به غيركم فلا تمنوا به على الناس ولا تؤذوهم بالتطاول عليهم (وما تنفقون) وليست نفقتكم الا لابتغاء وجه الله ولطلب ما عنده فما بالكم تمنون بها وتنفقون الخبيث الذي لا يوجه مثله الى الله (وما تنفقوا من خير يوف اليكم) ثوابه أضعافا مضاعفة فلا عذر لكم في ان ترغبوا عن انفاقه وان يكون على احسن الوجوه واجملها وقيل حجت أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما فأتتها أمها تسألها وهي مشركة فأبت ان تعطيها فنزلت وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه كانوا يتقون ان يرضخوا لقراباتهم من المشركين وروى ان ناسا من المسلمين كانت لهم أصهار في اليهود ورضاع وقد كانوا ينفقون عليهم قبل الاسلام فلما اسلموا كرهوا ان ينفقوهم وعن بعض العلماء لو كان شر خلق الله لكان لك

الا ان تغمضوا فيه واعلموا ان الله غني حميد الشيطان يعدكم الفقر ويامركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا والله واسع عليم يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وما يذكر الا أولوا الالباب وما أنفقتم من نفقة أو نذرتم من نذر فان الله يعلمه وما للظالمين من انصار ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ويكفر عنكم من سيئاتكم والله بما تعملون خبير ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وما تنفقوا من خير فلانفسكم وما تنفقون الا ابتغاء وجه الله وما تنفقوا من خير يوف اليكم وانتم لا تظلمون للفقراء

*قوله تعالى ليس عليك هداهم ولكن الله يهدي من يشاء (قال محمود لا يجب عليك ان تجعلهم مهديين الخ) قال احمد المعتقد الصحيح ان الله هو الذي يخلق الهدى لمن يشاء هداه وذاك هو اللطف لا كما يزعم الزمخشري ان الهدى ليس خلق الله وانما العبد يخلقه لنفسه وان اطلق الله تعالى اضافة الهدى اليه كما في هذه الآية فهو مؤول على زعم الزمخشري بلطف الله الحامل للعبد على ان يخلق هداه ان هذا الاختلاق وهذه النزغة من توابع معتقدهم السيء في خلق الافعال وليس علينا هداهم ولكن الله يهدي من يشاء وهو المسؤل ان لا يزيغ قلوبنا بعد اذ هدانا

*قوله تعالى الذين يأكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس (قال محمود يعني اذا بعثوا من قبورهم الخ) قال أحمد
قوله وتخبط الشيطان من زعمات العرب اى كذباتهم وزخارفهم التي لا حقيقة لها كما يقال في الغول والعنقاء ونحو ذلك وهذا القول على
الحقيقة من تخبط الشيطان بالقدرية في زعماتهم المردودة بقواطع الشرع فقد ورد ما من مولود يولد الا يمسه الشيطان فيستهل صارخا وفي
بعض الطرق الا طعن الشيطان في خاصرته ومن ذلك يستهل صارخا الا مريم وابنها لقول امها اني أعيذها بك وذريتها

من الشيطان الرجيم وقوله عليه السلام اكفتوا صبيانكم أول العشاء فانه وقت انتشار الشياطين وفي حديث مكحول انه مر برجل نائم بعد العصر فركضه برجله وقال لقد دفع عنك الشياطين او لقد عوفيت انها ساعة مخرجهم وفيها ينتشرون وفيها يكون الخبتة قال شمر كان في لسان مكحول لكنة وانما اراد الخبطة من الشيطان اى اصابة مس أو جنون وقد ورد في حديث المفقود الذي اختطفته الشياطين وردته في زمنه عليه الصلاة والسلام انه حدث عن شأنه معهم قال فجاءني طائر كانه جمل فتنثرني فاحتملني على خافية من خوافيه الى غير ذلك مما يطول الكتاب بذكره واعتقاد السلف واهل السنة ان هذه أمور على حقائقها واقعة كما خبر الشرع عنها وانما القدرية خصماء العلانية فلاجرم انهم ينكرون كثيرا مما يزعمونه مخالفا لقواعدهم من ذلك السحر وخبطة الشيطان ومعظم أحوال الجن وان اعترفوا بشيء من ذلك فعلى غير الوجه الذي يعترف به أهل السنة وينبئ عنه ظاهر الشرع في خبط طويل لهم فاحذرهم قاتلهم الله أنى يؤفكون

الذين أحصروا في سبيل الله لا يستطيعون ضربا في الارض يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسئلون الناس الحافا وما تنفقوا من خير فان الله به عليم الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية فلهم اجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين يأكلون الربوا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس

ثواب نفقتك واختلف في الواجب فجوز أبو حنيفة رضي الله عنه صرف صدقة الفطر الى اهل الذمة وأباه
غيره * الجار متعلق بمحذوف والمعنى اعمدوا للفقراء أو اجعلوا ما تنفقون للفقراء كقوله تعالى في تسع آيات
ويجوز ان يكون خبر مبتدأ محذوف اى صدقاتكم للفقراء و(الذين أحصروا في سبيل الله) هم الذين أحصرهم
الجهاد (لا يستطيعون) لاشتغالهم به (ضربا في الارض) للكسب وقيل هم اصحاب الصفة وهم نحو من اربعمائة
رجل من مهاجري قريش لم يكن لهم مساكن في المدينة ولا عشائر فكانوا في صفة المسجد وهي سقيفته
يتعلمون القرآن بالليل ويرضخون النوى بالنهار وكانوا يخرجون في كل سرية يبعثها رسول الله صلى الله عليه
وسلم فمن كان عنده فضل اتاهم به اذا امسى وعن ابن عباس رضي الله عنهما وقف رسول الله صلى الله عليه
وسلم يوما على اصحاب الصفة فرأى فقرهم وجهدهم وطيب قلوبهم فقال ابشروا يا أصحاب الصفة فمن بقي
من أمتي على النعت الذي انتم عليه راضيا بما فيه فانه من رفقائي في الجنة (يحسبهم الجاهل) بحالهم (أغنياء من
التعفف) مستغنين من اجل تعففهم عن المسألة (تعرفهم بسيماهم) من صفرة الوجه ورثاثة الحال * والالحاف
الالحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه من قولهم لحفني من فضل لحافه اى اعطاني من فضل
ما عنده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحب الحيي الحليم المتعفف ويبغض البذي السآل الملحف
ومعناه انهم اذا سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا وقيل هو نفي للسؤال والالحاف جميعا كقوله * على لاحب
لا يهتدى بمناره * يريد نفي المنار والاهتداء به (بالليل والنهار سرا وعلانية) يعمون الاوقات والاحوال
بالصدقة لحرصهم على الخير فكلما نزلت بهم حاجة محتاج عجلوا قضاءها ولم يؤخروه ولم يتعللوا بوقت ولا حال
وقيل نزلت في ابي بكر الصديق رضي الله عنه حين تصدق بأربعين ألف دينار عشرة بالليل وعشرة بالنهار
وعشرة في السر وعشرة في العلانية وعن ابن عباس رضي الله عنهما نزلت في علي رضي الله عنه لم يملك الا اربعة
دراهم فتصدق بدرهم ليلا وبدرهم نهارا وبدرهم سرا وبدرهم علانية وقيل نزلت في علف الخيل وارتباطها
في سبيل الله وعن أبي هريرة رضي الله عنه كان اذا مر بفرس سمين قرأ هذه الآية (الربوا) كتب بالواو على لغة
من يفخم كما كتبت الصلوة والزكوة وزيدت الالف بعدها تشبيها بواو الجمع (لا يقومون) اذا بعثوا من
قبورهم (الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان) اى المصروع وتخبط الشيطان من زعمات العرب يزعمون ان
الشيطان يخبط الانسان فيصرع والخبط الضرب على غير استواء كخبط العشواء فورد على ما كانوا يعتقدون
* والمس الجنون ورجل ممسوس وهذا ايضا من زعماتهم وان الجني يمسه فيختلط عقله وكذلك
جن الرجل معناه ضربته الجن ورأيتهم لهم في الجن قصص وأخبار وعجائب وانكار ذلك عندهم كانكار
المشاهدات (فان قلت) بم يتعلق قوله (من المس) (قلت) بلا يقومون اى لا يقومون من المس الذي بهم
الا كما يقوم المصروع ويجوز ان يتعلق بيقوم اى كما يقوم المصروع من جنونه والمعنى أنهم يقومون يوم القيامة
مخبلين كالمصروعين تلك سيماهم يعرفون بها عند أهل الموقف وقيل الذين يخرجون من الاجداث
يوفضون الا اكلة الربا فانهم ينهضون ويسقطون كالمصروعين لانهم أكلوا الربا فأرباه الله

* قوله تعالى ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا (قال محمود ان قلت لم يقولوا انما الربا مثل البيع الخ) قال احمد وعندي وجه في الجواب عن السؤال الذي أورده غيرما ذكروهوانه متى كان المطلوب التسوية بين المحلين في ثبوت الحكم فللقائل ان يسوى بينهما طردا فيقول مثلا الربا مثل البيع وغرضه من ذلك ان يقول والبيع حلال فالربا حلال وله ان يسوى بينهما في العكس فيقول البيع مثل الربا فلو كان الربا حراما كان البيع حراما ضرورة المماثلة ونتيجته التي دلت قوة الكلام عليها ان يقول ولما كان البيع حلالا اتفاقا غير حرام وجب ان يكون الربا مثله والاول على طريقة قياس الطرد والثاني على طريقة قياس العكس ومآلهما الى مقصد واحد فلا حاجة على هذا التقرير الى خروج عن الظاهر لاجل المبالغة اوغيره وليس الغرض من هذا كله الا بيان هذا الذي تخيلوه على انموذج النظم الصحيح وان كان قياسا فاسد الوضع لاستعماله على مناقضة المعلوم من حكم الله أيضا في تحريم الربا وتحليل البيع وقطع القياس بينهما ولكن اذا استعملت الطريقتين المذكورتين استعمالا صحيحا فقل في الاولى النبيذ مثل الخمر في علة التحريم وهو الاسكار والخمر حرام فالنبيذ حرام وقل في الثانية انما الخمر مثل النبيذ فلو كان النبيذ حلالا لكان الخمر حلالا وليست حلالا [3] اتفاقا فالنبيذ

في بطونهم حتى أثقلهم فلا يقدرون على الايفاض (ذلك) العقاب بسبب قولهم (انما البيع مثل الربوا) (فان قلت) هلا قيل انما الربا مثل البيع لان الكلام لا في الربا في البيع فوجب ان يقال انهم شبهوا الربا بالبيع فاستحلوه وكانت شبهتهم أنهم قالوا لو اشترى الرجل مالا يساوى الا درهما بدرهمين جاز فكذلك اذا باع درهما بدرهمين (قلت) جيء به على طريق المبالغة وهو انه قد بلغ من اعتقادهم في حل الربا انهم جعلوه اصلا وقانونا في الحل حتى شبهوا به البيع وقوله (وأحل الله البيع وحرم الربوا) انكار لتسويتهم بينهما ودلالة على أن القياس يهدمه النص لانه جعل الدليل على بطلان قياسهم احلال الله وتحريمه (فمن جاءه موعظة) فمن بلغه وعظ من الله وزجر بالنهي عن الربا (فانتهي) فتبع النهي وامتنع (فله ماسلف) فلا يؤاخذ بما مضي منه لانه أخذ قبل نزول التحريم (وأمره الى الله) يحكم في شأنه يوم القيامة وليس من أمره اليكم شيء فلا تطالبوه به (ومن عاد) الى الربا (فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون) وهذا دليل بين على تخليد الفساق وذكر فعل الموعظة لان تأنيثها غير حقيقي ولانها في معنى الوعظ وقرأ أبي والحسن فمن جاءته (يمحق الله الربوا) يذهب ببركته ويهلك المال الذي يدخل فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه الربا وان كثر الى قل (ويربي الصدقات) مايتصدق به بان يضاعف عليه الثواب ويزيد المال الذي أخرجت منه الصدقة ويبارك فيه وفي الحديث ما نقصت زكاة من مال قط (كل كفار أثيم) تغليظ في أمر الربا وايذان بانه من فعل الكفار لا من فعل المسلمين * أخذوا ماشرطوا على الناس من الربا وبقيت لهم بقايا فأمروا أن يتركوها ولا يطالبوا بها روى انها نزلت في ثقيف وكان لهم على قوم من قريش مال فطالبوهم عند المحل بالمال والربا وقرأ الحسن رضي الله عنه ما بقي بقلب الياء ألفا على لغة طي وعنه ما بقى بياء ساكنة ومنه قول جرير

هو الخليفة فارضوا ما رضى لكموا * ماضي العزيمة ما في حكمه جنف

(ان كنتم مؤمنين) ان صح ايمانكم يعني ان دليل صحة الايمان وثباته امتثال ما أمرتم به من ذلك (فأذنوا بحرب) فاعلموا بها من أذن بالشيء اذا علم به وقرئ فآذنوا فاعلموا بها غيركم وهو من الاذن وهو الاستماع لانه من طرق العلم وقرأ الحسن فأيقنوا وهو دليل لقراءة العامة (فان قلت) هلا قيل بحرب الله ورسوله (قلت)

ذلك بانهم قالوا انما البيع مثل الربوا وأحل الله البيع وحرم الربوا فمن جاءه موعظة من ربه فانتهى فله ماسلف وأمره الى الله ومن عاد فاولئك أصحاب النار هم فيها خالدون يمحق الله الربوا ويربي الصدقات والله لا يحب كل كفار أثيم ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأقاموا الصلاة وآتوا الزكوة لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربوا ان كنتم مؤمنين فان لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله

كذلك ضرورة المماثلة المذكورة فهذا التوجيه أولى ان تحمل الآية عليه والله أعلم * قوله تعالى ومن عاد فأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون (قال محمود رحمه الله في هذه الآية دليل على تخليد الفساق الخ) قال احمد هو يبني على ان المتوعد عليه بالخلود العود الى فعل الربا خاصة ولا يساعده على ذلك الظاهر الذي استدل به فان الذي وقع العود اليه مسكوت عنه في الآية ألا تراه قال ومن عاد فلم يذكر المعود اليه فيحمل على ما تقدم كانه قال ومن عاد الى ما سلف ذكره فأولئك اصحاب النار هم فيها خالدون والذي سلف ذكره فعل الربا واعتقاد جوازه والاحتجاج عليه بقياسه على البيع ولا شك عندنا أهل السنة والجماعة ان من تعاطى معاملة الربا مستحلا لها مكابرا في تحريمها مستندا احلالها الى معارضة آيات الله البينات بما يتوهمه من الخيالات فقد كفر ثم ازداد كفرا واذ ذاك يكون الموعود بالخلود في الآية من يقال انه كافر مكذب غير مؤمن وهذا لا خلاف فيه فلا دليل للزمخشري اذا على اعتزاله في هذه الآية والله الموفق وانما هو موكل بتحميل الآيات من المعتقدات الباطلة ما لا تحتمله واني له ذلك في الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد

[3] (قول المحشي وليست حلالا الخ) لعل الصواب ان يقول وليس النبيذ حلالا اتفاقا فالخمر كذلك كما هو مقتضى المقابلة اه مصححه

كان هذا أبلغ لان المعنى فأذنوا بنوع من الحرب عظيم من عند الله ورسوله وروى أنها لما نزلت قالت ثقيف لا يدى لنا بحرب الله ورسوله (فان تبتم) من الارتباء (فلكم رؤس أموالكم لا تظلمون) المديونين بطلب الزيادة عليها (ولا تظلمون) بالنقصان منها (فان قلت) هذا حكمهم ان تابوا فما حكمهم لو لم يتوبوا (قلت) قالوا يكون مالهم فيأ للمسلمين وروى المفضل عن عاصم لا تظلمون ولا تظلمون (وان كان ذو عسرة) وان وقع غريم من غرمائكم ذو عسرة اى ذو اعسار وقرأ عثمان رضى الله عنه ذا عسرة على وان كان الغريم ذا عسرة وقرئ ومن كان ذا عسرة (فنظرة) اى فالحكم او فالامر نظرة وهي الانظار وقرئ فنظرة بسكون الظاء وقرأ عطاء فناظره بمعنى فصاحب الحق ناظره اى منتظره أو صاحب نظرته على طريقة النسب كقولهم مكان عاشب وباقل اى ذو عشب وذو بقل وعنه فناظره على الامر بمعنى فسامحه بالنظرة وياسره بها (الى ميسرة) الى يسار وقرئ بضم السين كمقبرة ومقبرة ومشرقة ومشرقة وقرئ بهما مضافين بحذف التاء عند الاضافة كقوله * وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا * قوله تعالى وأقام الصلاة (وأن تصدقوا خير لكم) ندب الى ان يتصدقوا برؤس اموالهم على من اعسر من غرمائهم او ببعضها كقوله تعالى وان تعفوا اقرب للتقوى وقيل أريد بالتصدق الانظار لقوله صلى الله عليه وسلم لا يحل دين رجل مسلم فيؤخره الا كان له بكل يوم صدقة (ان كنتم تعلمون) انه خير لكم فتعملوا به جعل من لا يعمل به وان علمه كأنه لا يعلمه وقرئ تصدقوا بتخفيف الصاد على حذف التاء (ترجعون) قرئ على البناء للفاعل والمفعول وقرئ يرجعون بالياء على طريقة الالتفات وقرأ عبد الله تردون وقرأ أبي تصيرون وعن ابن عباس انها آخر آية نزل بها جبريل عليه السلام وقال ضعها فى رأس المائتين والثمانين من البقرة وعاش رسول الله صلى الله عليه وسلم بعدها احدى وعشرين يوما وقيل احدا وثمانين وقيل سبعة أيام وقيل ثلاث ساعات (اذا تداينتم) اذا داين بعضكم بعضا يقال داينت الرجل اذا عاملته (بدين) معطيا او آخذا كما تقول بايعته اذا بعته او باعك قال رؤبة

داينت أروى والديون تقضى * فمطلت بعضا وأدت بعضا

والمعنى اذا تعاملتم بدين مؤجل فاكتبوه (فان قلت) هلا قيل اذا تداينتم الى أجل مسمى وأى حاجة الى ذكر الدين كما قال داينت أروى ولم يقل بدين (قلت) ذكر ليرجع الضمير اليه فى قوله فاكتبوه اذ لو لم يذكر لوجب ان يقال فاكتبوا الدين فلم يكن النظم بذلك الحسن ولانه ابين لتنويع الدين الى مؤجل وحال (فان قلت) ما فائدة قوله (مسمى) (قلت) ليعلم ان من حق الاجل ان يكون معلوما كالتوقيت بالسنة والاشهر والايام ولو قال الى الحصاد او الدياس او رجوع الحاج لم يجز لعدم التسمية وانما أمر بكتبة الدين لان ذلك أوثق وآمن من النسيان وأبعد من الجحود والامر للندب وعن ابن عباس ان المراد به السلم وقال لما حرم الله الربا أباح السلف وعنه أشهد ان الله أباح السلم المضمون الى أجل معلوم فى كتابه وأنزل فيه أطول آية (بالعدل) متعلق بكاتب صفة له اى كاتب مأمون على ما يكتب يكتب بالسوية والاحتياط لا يزيد على ما يجب ان يكتب ولا ينقص وفيه ان يكون الكاتب فقيها عالما بالشروط حتى يجىء مكتوبه معدلا بالشرع وهو امر للمتداينين بتخير الكاتب وان لا يستكتبوا الا فقيها دينا (ولا يأب كاتب) ولا يمتنع احد من الكتاب وهو معنى تنكير كاتب (ان يكتب كما علمه الله) مثل ما علمه الله كتابة الوثائق لا يبدل ولا يغير وقيل هو كقوله تعالى وأحسن كما أحسن الله اليك أى ينفع الناس بكتابته كما نفعه الله بتعليمها وعن الشعبى هى فرض كفاية وكما علمه الله يجوز ان يتعلق بأن يكتب وبقوله فليكتب (فان قلت) أى فرق بين الوجهين (قلت) ان علقته بأن يكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة المفيدة ثم قيل له فليكتب يعنى فليكتب تلك الكتابة لا يعدل عنها للتوكيد وان علقته بقوله فليكتب فقد نهى عن الامتناع من الكتابة على سبيل الاطلاق ثم أمر بها مقيدة (وليملل الذى عليه الحق) ولا يكن المملى الا من وجب عليه الحق لانه هو المشهود على ثباته فى ذمته واقراره به والاملاء والاملال لغتان قد نطق بهما القرآن فهى تملى عليه (ولا يبخس منه) من الحق (شيأ) والبخس النقص وقرئ شيا بطرح الهمزة وشيا بالتشديد (سفيها) محجورا عليه لتبذيره وجهله بالتصرف (أو ضعيفا) صبيا او شيخا

وان تبتم فلكم رؤس اموالكم لا تظلمون ولا تظلمون وان كان ذو عسرة فنظرة الى ميسرة وان تصدقوا خير لكم ان كنتم تعلمون واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون يا أيها الذين آمنوا اذا تداينتم بدين الى اجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل ولا يأب كاتب ان يكتب كما علمه الله فليكتب وليملل الذى عليه الحق وليتق الله ربه ولا يبخس منه شيا فان كان الذى عليه الحق سفيها او ضعيفا

* قوله تعالى اذا تداينتم بدين الى أجل مسمى فاكتبوه (قال محمود ان قلت هلا قيل اذا تداينتم الخ) قال احمد الاجل المسمى هو المعلوم انتهاؤه ولعلم الانتهاء طرق منها التحديد بنفس الزمان كالسنة والشهر ومنها التحديد بما يعتاد وقوعه فى زمن مخصوص مضبوط بالعرف كالحصاد ومقدم الحاج وكيف ما علم الاجل صح ضربه فمن ثم جاز مالك البيع الى الحصاد لانه معلوم عندهم ثم المعتبر زمان وقوع هذه المسميات لا نفس وقوعها حتى لو حل زمن قدوم الحاج فمنعه مانع من القدوم مثلا لم يكن به عبرة وحكمنا بحلول اجل الدين والله اعلم

مختلا (أولا يستطيع ان يمل هو) أوغيرمستطيع للاملاء بنفسه لعي به اوخرس (فليملل وليه) الذي يلي أمره من وصي ان كان سفيها أو صبيا أو وكيل ان كان غيرمستطيع أو ترجمان يمل عنه وهو يصدقه وقوله تعالى أن يمل هو فيه أنه غيرمستطيع بنفسه ولكن بغيره وهو الذي يترجم عنه (واستشهدوا شهيدين) واطلبوا أن يشهد لكم شهيدان على الدين (من رجالكم) من رجال المؤمنين والحرية والبلوغ شرط مع الاسلام عند عامة العلماء وعن علي رضي الله عنه لا تجوز شهادة العبد في شيء وعند شريح وابن سيرين وعثمان البتي أنها جائزة ويجوز عند أبي حنيفة شهادة الكفار بعضهم على بعض على اختلاف الملل (فان لم يكونا) فان لم يكن الشهيدان (رجلين فرجل وامرأتان) فليشهد رجل وامرأتان وشهادة النساء مع الرجال مقبولة عند أبي حنيفة فيما عدا الحدود والقصاص (ممن ترضون) ممن تعرفون عدالتهم (أن تضل احداهما) ان لا تهتدي احداهما للشهادة بأن تنساها من ضل الطريق اذا لم يهتد له وانتصابه على انه مفعول له أي ارادة ان تضل (فان قلت) كيف يكون ضلالها مراد الله تعالى (قلت) لما كان الضلال سببا للاذكار والاذكار مسببا عنه وهم ينزلون كل واحد من السبب والمسبب منزلة الآخر لالتباسهما واتصالهما كانت ارادة الضلال المسبب عنه الاذكار ارادة للاذكار فكأنه قيل ارادة ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت ونظيره قولهم أعددت الخشبة ان يميل الحائط فادعمه واعددت السلاح ان يجيء عدو فادفعه* وقرىء (فتذكر) بالتخفيف والتشديد وهما لغتان وفتذاكر وقرأ حمزة ان تضل احداهما على الشرط فتذكر بالرفع والتشديد كقوله ومن عاد فينتقم الله منه وقرىء ان تضل احداهما على البناء للمفعول والتانيث ومن بدع التفاسير فتذكر فتجعل احداهما الاخرى ذكرا يعني أنهما اذا اجتمعتا كانتا بمنزلة الذكر (اذا مادعوا) ليقيموا الشهادة وقيل ليستشهدوا وقيل لهم شهداء قبل التحمل تنزيلا لما يشارف منزلة الكائن وعن قتادة كان الرجل يطوف في الحواء العظيم فيه القوم فلا يتبعه منهم احد فنزلت * كنى بالسأم عن الكسل لان الكسل صفة المنافق ومنه الحديث لا يقول المؤمن كسلت و يجوز ان يراد من كثرت مداينا نه فاحتاج ان يكتب لكل دين صغيرا وكبير كتابا فربما مل كثرة الكتب*والضمير في (تكتبوه) للدين أو الحق (صغيرا أو كبيرا) على أي حال كان الحق من صغر أو كبر ويجوز ان يكون الضمير للكتاب وان يكتبوه مختصرا أو مشبعا ولا يخلو بكتابته (الى أجله) الى وقته الذي اتفق الغريمان على تسميته (ذلكم) اشارة الى ان تكتبوه لانه في معنى المصدر أي ذلكم الكتب (اقسط) أعدل من القسط (وأقوم للشهادة) وأعون على اقامة الشهادة (وادنى الا ترتابوا) واقرب من انتفاء الريب (فان قلت) مم بنى أفعلا التفضيل اعني اقسط وأقوم (قلت) يجوز على مذهب سيبويه ان يكونا مبنيين من أقسط واقام وان يكون أقسط من قاسط على طريقة النسب بمعنى ذي قسط وأقوم من قويم وقرىء ولا يسأموا ان يكتبوه بالياء فيهما (فان قلت) ما معنى (تجارة حاضرة) وسواء كانت المبايعة بدين أو بعين فالتجارة حاضرة وما معنى ادارتها بينهم (قلت) أريد بالتجارة ما يتجر فيه من الابدال ومعنى ادارتها بينهم تعاطيهم اياها يدا بيد والمعنى الا ان تتبايعوا بيعا ناجزا يدا بيد فلا بأس ان لا تكتبوه لانه لا يتوهم فيه ما يتوهم في التداين وقرىء تجارة حاضرة بالرفع على كان التامة وقيل هي الناقصة على ان الاسم تجارة حاضرة والخبر تديرونها وبالنصب على الا ان تكون التجارة تجارة حاضرة كبيت الكتاب

بني أسد هل تعلمون بلاءنا * اذا كان يوما ذا كواكب أشنعا

أي اذا كان اليوم يوما (وأشهدوا اذا تبايعتم) أمر بالاشهاد على التبايع مطلقا ناجزا أو كالئا لانه أحوط وأبعد مما عسى يقع من الاختلاف ويجوز ان يراد وأشهدوا اذا تبايعتم هذا التبايع يعني التجارة الحاضرة على ان الاشهاد كاف فيه دون الكتابة وعن الحسن ان شاء اشهد وان شاء لم يشهد وعن الضحاك هي عزيمة من الله ولو على باقة بقل (ولا يضار) يحتمل البناء للفاعل والمفعول والدليل عليه قراءة عمر رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والكسر وقراءة ابن عباس رضي الله عنه ولا يضارر بالاظهار والفتح والمعنى نهي الكاتب والشهيد عن ترك الاجابة الى ما يطلب منهما وعن التحريف والزيادة والنقصان أو النهي عن الضرار بهما بان يعجلا عن

أولا يستطيع ان يمل هو فليملل وليه بالعدل واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى ولا يأب الشهداء اذا ما دعوا ولا تسأموا ان تكتبوه صغيرا أو كبيرا الى اجله ذلكم أقسط عند الله وأقوم للشهادة وأدنى الا ترتابوا الا ان تكون تجارة حاضرة تديرونها بينكم فليس عليكم جناح ألا تكتبوها وأشهدوا اذا تبايعتم ولا يضار كاتب ولا شهيد

*قوله تعالى وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة (قال محمود ان قلت لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر الخ) قال احمد فالتخصيص بالسفر على هذا جرى على وفق الغالب فلا مفهوم له وفي هذه الآية دليل بين لمذهب مالك رضي الله عنه في اقامة الرهن عند التنازع في قدر الدين مقام شاهد للمرتهن الى تمام قيمته حتى لو تنازعا فقال الراهن رهنتكه بمائة وقال المرتهن بل الرهن بمائتين لكان الرهن شاهدا بقيمته خلافا للشافعي رضي الله عنه فانه يرى القول قول الراهن مطلقا لانه غارم ووجه الدليل لمالك رضي الله عنه من الآية ان الله تعالى جعل الرهن في التوثق عوضا من الاشهاد والكتابة وخصه بالسفر لاعوازهما حينئذ ولو كان القول قول الراهن شرعا لم يكن قائما مقام الاشهاد ولا مفيدا فائدته بوجه اذ لو لم يكن الرهن لكان القول قول المديان في قدر الدين فلم يزد وجود الرهن فائدة على عدمه باعتبار نيابته عن الاشهاد ولا يقال ان فائدته الامتياز به على الغرماء لان تلك فائدة الاشهاد حتى يكون نائبا عنه عند تعذره ولا فائدة اذ ذاك الا جعل القول قول المرتهن في قدر الدين عند التخالف وهو مذهب مالك المقدم ذكره ومن ثم يجعله شاهدا الا في قيمته لا فيما زاد عليها معتضدا بالعادة في ان رب الدين لا يقبل في دينه الا ما وفي بقيمته فدعواه ان الدين أكثر من القيمة مردودة بالعادة والمديان ايضا لا يسمح بتسليم ما قيمته أكثر فيما هو اقل فدعواه ان الدين اقل من القيمة مردودة بالعادة ولا يبقى الا النظر في أمر واحد وهو ان المعتبر عند مالك في القيمة يوم الحكم حتى لو تصادقا على ان القيمة كانت يوم الرهن أكثر أو أقل لم يلتفت الى ذلك زادت أو نقصت وانما يعتبر يوم القضاء ولقائل ان يقول اذا جعل الرهن مقام الشاهد عند عدمه لان العادة تقتضي ان الناس انما يرهنون في الديون المساوي قيمته لها فينبغي ان تعتبروا القيمة يوم الرهن غير معرجين على زيادتها ونقصانها يوم القضاء وعند ذلك يتجاذب أطراف الكلام في ان المقتضي لاقامة

مقام الشاهد هو المعنى

وان تفعلوا فانه فسوق بكم واتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم وان كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة فان أمن بعضكم بعضا

المتقدم أو غيره وليس غرضنا الا ان الآية ترشد الى اقامته مقام

منهم ويلزا أو لا يعطي الكاتب حقه من الجعل أو يحمل الشهيد مؤنة مجيئه من بلد وقرأ الحسن ولا يضار بالكسر (وان تفعلوا) وان تضاروا (فانه) فان الضرار (فسوق بكم) وقيل وان تفعلوا شيأ مما نهيتم عنه (على سفر) مسافرين * وقرأ ابن عباس وأبي رضي الله عنهما كتابا وقال ابن عباس أرأيت ان وجدت الكاتب ولم تجد الصحيفة والدواة وقرأ أبو العالية كتبا وقرأ الحسن كتابا جمع كاتب (فرهن) فالذي يستوثق به رهن وقرئ فرهن بضم الهاء وسكونها وهو جمع رهن كسقف وسقف وفرهان (فان قلت) لم شرط السفر في الارتهان ولا يختص به سفر دون حضر وقد رهن رسول الله صلى الله عليه وسلم درعه في غير سفر (قلت) ليس الغرض تجويز الارتهان في السفر خاصة ولكن السفر لما كان مظنة لاعواز الكتب والاشهاد أمر على سبيل الارشاد الى حفظ المال من كان على سفر بأن يقيم التوثق بالارتهان مقام التوثق بالكتب والاشهاد وعن مجاهد والضحاك انهما لم يجوزاه الا في حال السفر أخذا بظاهر الآية * واما القبض فلا بد من اعتباره وعند مالك يصح الارتهان بالايجاب والقبول بدون القبض (فان أمن بعضكم بعضا) فان أمن بعض الدائنين بعض المديونين

الشهادة في الجملة وأما تفاصيل المسئلة فذلك من حظ الفقه (قال محمود وأما القبض فلا بد من اعتباره الخ) قال احمد ليس بين مالك والشافعي خلاف في صحة الارتهان بالايجاب والقبول دون القبض ولكنه عند مالك رضي الله عنه يصح بذلك ويلزم الراهن بالعقد تسليمه للمرتهن وعند الشافعي لا يلزم بالعقد ولكن للقبض عند مالك اعتبار في الابتداء والدوام ولا يشترط الشافعي كثيرا من أحكامه عند مالك وذلك انهما لو تقاررا على القبض ثم قام الغرماء انتفع بالرهن عند الشافعي وامتاز به ولم ينتفع به عند مالك وكان أسوة الغرماء فيه حتى ينضاف الى الشهادة عليهما بالقبض معاينة البينة لذلك لانه يتهمهما بالتواطؤ على اسقاط حق الغرماء فلا يعتبر اقرارهما الا بانضمام المعاينة فالقبض من هذا الوجه أدخل في الاعتبار على رأى مالك منه على رأى الشافعي هذا في الابتداء واما في الدوام فمالك رضي الله عنه يشترط بقاءه في يد المرتهن حتى لو عاد الى يد الراهن بأن أودعه المرتهن اياه أو أجره منه أو أعاره اياه اعارة مطلقة فقد خرج من الرهن ولو قام الغرماء وهو بيد الراهن بوجه من الوجوه المذكورة كان اسوة الغرماء فيه والشافعي رضي الله عنه لا يشترط دوام القبض على هذا الوجه بل للراهن عند الشافعي ان ينتفع بالرهن ولو كره المرتهن اذا لم يكن الانتفاع مضرا بالرهن كسكنى الدار واستخدام العبد وله ان يستوفي منافعه بنفسه على الصحيح عنده المنصوص عليه في الام ولا يؤثر ذلك في الرهن بطلانا ولا خللا فقد علمت ان القبض أدخل في الاعتبار على مذهب مالك ابتداء ودواما والآية تعضده فان الرهن في اللغة هو الدوام أنشد أبو علي

فالخبز واللحم لهم راهن * وقهوة راووقها ساكب ولعل القائل باشتراط دوام الرهن في يد المرتهن تمسك بما في لفظ الرهن من اقتضاء الدوام وله في ذلك متمسك وما طولت في حكاية مذهب مالك في القبض الا لان المفهوم من كلام الزمخشري اطراح القبض عند مالك لانه فهم من قول أصحابه ان القبض لا يشترط في صحة الرهن ولا في لزومه انه غير معتبر عنده بالكلية والله أعلم

المديونين لحسن ظنه به وقرأ ابي فان أومن اي آمنه الناس ووصفوا المديون بالامانة والوفاء والاستغناء عن الارتهان من مثله (فليؤد الذي اؤتمن امانته) حث المديون على ان يكون عند ظن الدائن به وأمنه منه وائتمانه وان يؤدي اليه الحق الذي ائتمنه عليه فلم يرتهن منه وسمي الدين امانة وهو مضمون لائتمانه عليه بترك الارتهان منه والقراءة ان تنطق بهمزة ساكنة بعد الذال او بياء فتقول الذي اؤتمن او الذيتمن وعن عاصم انه قرأ الذي اتمن بادغام الياء في التاء قياسا على اتسر في الافتعال من اليسر وليس بصحيح لان الياء منقلبة عن الهمزة فهي في حكم الهمزة واتزر عامي وكذلك ريا في رؤيا (آثم) خبر ان و (قلبه) رفع بآثم على الفاعلية كانه قيل فانه يأثم قلبه ويجوز ان يرتفع قلبه بالابتداء وآثم خبره مقدم والجملة خبر ان (فان قلت) هلا اقتصر على قوله فانه آثم وما فائدة ذكر القلب والجملة هي الآثمة لا القلب وحده (قلت) كتمان الشهادة هو ان يضمرها ولا يتكلم بها فلما كان آثما مقترفا بالقلب اسند اليه لان اسناد الفعل الى الجارحة التي يعمل بها ابلغ ألا تراك تقول اذا اردت التوكيد هذا مما ابصرته عيني ومما سمعته أذني ومما عرفه قلبي ولان القلب هو رئيس الاعضاء والمضغة التي ان صلحت صلح الجسد كله وان فسدت فسد الجسد كله فكانه قيل فقد تمكن الاثم في اصل نفسه وملك اشرف مكان فيه ولئلا يظن ان كتمان الشهادة من الآثام المتعلقة باللسان فقط وليعلم ان القلب اصل متعلقه ومعدن اقترافه واللسان ترجمان عنه ولان افعال القلوب اعظم من افعال سائر الجوارح وهي لها كالاصول التي تتشعب منها الاترى ان اصل الحسنات والسيآت الايمان والكفر وهما من افعال القلوب فاذا جعل كتمان الشهادة من آثام القلوب فقد شهد له بانه من معاظم الذنوب وعن ابن عباس رضي الله عنهما اكبر الكبائر الاشراك بالله لقوله تعالى فقد حرم الله عليه الجنة وشهادة الزور وكتمان الشهادة وقرئ قلبه بالنصب كقوله سفه نفسه وقرأ ابن ابي عبلة أثم قلبه اي جعله آثما (وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه) يعني من السوء (يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء) لمن استوجب المغفرة بالتوبة مما اظهر منه او أضمره (ويعذب من يشاء) ممن استوجب العقوبة بالاصرار ولا يدخل فيما يخفيه الانسان الوساوس وحديث النفس لان ذلك مما ليس في وسعه الخلو منه ولكن ما اعتقده وعزم عليه وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه تلاها فقال لئن آخذنا الله بهذا لنهلكن ثم بكى حتى سمع نشيجه فذكر لابن عباس فقال يغفر الله لابي عبد الرحمن قد وجد المسلمون منها مثل ما وجد فنزل لا يكلف الله وقرئ فيغفر ويعذب مجزومين عطفا على جواب الشرط ومرفوعين على فهو يغفر ويعذب (فان قلت) كيف يقرأ الجازم (قلت) يظهر الراء ويدغم الباء ومدغم الراء في اللام لاحن مخطئ خطأ فاحشا وراويه عن ابي عمرو مخطئ مرتين لانه يلحن وينسب الى اعلم الناس بالعربية ما يؤذن بجهل عظيم والسبب في نحو هذه الروايات قلة ضبط الرواة والسبب في قلة الضبط قلة الدراية ولا يضبط نحو هذا الا اهل النحو وقرأ الاعمش يغفر بغير فاء مجزوما على البدل من يحاسبكم كقوله

متى تأتنا تلمم بنا في ديارنا * تجد حطبا جزلا ونارا تأججا

ومعنى هذا البدل التفصيل لجملة الحساب لان التفصيل اوضح من المفصل فهو جار مجرى بدل البعض من الكل او بدل الاشتمال كقولك ضربت زيدا رأسه واحب زيدا عقله وهذا البدل واقع في الافعال وقوعه في الاسماء لحاجة القبيلين الى البيان (والمؤمنون) ان عطف على الرسول كان الضمير الذي التنوين نائب عنه في كل راجعا الى الرسول والمؤمنين اي كلهم آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله من المذكورين ووقف عليه وان كان مبتدأ كان الضمير للمؤمنين ووحد ضمير كل في آمن على معنى كل واحد منهم آمن وكان يجوز أن يجمع كقوله وكل أتوه داخرين * وقرأ ابن عباس وكتابه يريد القرآن او الجنس وعنه الكتاب اكثر من الكتب (فان قلت) كيف يكون الواحد اكثر من الجمع (قلت) لانه اذا اريد بالواحد الجنس والجنسية قائمة في وحدان الجنس كلها لم يخرج منه شيء فاما الجمع فلا يدخل تحته الا ما فيه الجنسية من الجموع (لا نفرق) يقولون لا نفرق وعن ابي عمرو يفرق بالياء على ان الفعل لكل وقرأ عبد الله لا يفرقون و (أحد) في معنى الجمع كقوله تعالى فما منكم من احد عنه حاجزين ولذلك دخل عليه بين (سمعنا) اجبنا (غفرانك) منصوب باضمار فعله

فليؤد الذي اؤتمن أمانته وليتق الله ربه ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه والله بما تعملون عليم لله ما في السموات وما في الارض وان تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء والله على كل شيء قدير آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير لا يكلف الله نفسا الا وسعها

* قوله تعالى كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله (قال محمود نقل عن ابن عباس انه قرأ وكتابه الخ) قال احمد وقد قال مالك ان التمر أحرى باستغراق الجنس من التمور فان التمر استرسل على الجنس لا بصيغة لفظية والتمور يرده الى تخيل الوحدان ثم الاستغراق بعده بصيغة الجمع وفي صيغة الجمع مضطرب وهذا الكلام من الامام لو ظفر له بقول ابن عباس هذا لاشتهر الفرصة في الاستشهاد به على صحة مقالته هذه فلا نعيده

يقال غفرانك لا كفرانك أي نستغفرك ولا نكفرك وقرئ وكتبه ورسله بالسكون * الواسع ما يسع الانسان ولا يضيق عليه ولا يحرج فيه اى لا يكلفها الا ما يتسع فيه طوقه ويتيسر عليه دون مدى الطاقة والمجهود وهذا اخبار عن عدله ورحمته كقوله تعالى يريد الله بكم اليسر لانه كان في امكان الانسان وطاقته ان يصلي اكثر من الخمس ويصوم اكثر من الشهر ويحج اكثر من حجة وقرأ ابن ابي عبلة وسعها بالفتح (لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت) ينفعها ما كسبت من خير ويضرها ما اكتسبت من شر لا يؤاخذ بذنبها غيرها ولا يثاب غيرها بطاعتها (فان قلت) لم خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب (قلت) في الاكتساب اعتمال فلما كان الشر مما تشتهيه النفس وهي منجذبة اليه وأمارة به كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه ولما لم تكن كذلك في باب الخير وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال * أي لا تؤاخذنا بالنسيان او الخطأ ان فرطنا (فان قلت) النسيان والخطأ متجاوز عنهما فما معنى الدعاء بترك المؤاخذة بهما (قلت) ذكر النسيان والخطأ والمراد بهما ما هما مسببان عنه من التفريط والاغفال ألا ترى الى قوله وما أنسانيه الا الشيطان والشيطان لا يقدر على فعل النسيان وانما يوسوس فتكون وسوسته سببا للتفريط الذي منه النسيان ولانهم كانوا متقين الله حق تقاته فما كانت تفرط منهم فرطة الا على وجه النسيان والخطأ فكان وصفهم بالدعاء بذلك ايذانا ببراءة ساحتهم عما يؤاخذون به كانه قيل ان كان النسيان والخطأ مما يؤاخذ به فما فيهم سبب مؤاخذة الا الخطأ والنسيان ويجوز ان يدعو الانسان بما علم انه حاصل له قبل الدعاء من فضل الله لاستدامته والاعتداد بالنعمة فيه * والاصر العبء الذي يأصر حامله اي يحبسه مكانه لا يستقل به لثقله استعير للتكليف الشاق من نحو قتل الانفس وقطع موضع النجاسة من الجلد والثوب وغير ذلك وقرئ آصارا على الجمع وفي قراءة أبي ولا تحمل علينا بالتشديد * (فان قلت) اى فرق بين هذه التشديدة والتي في ولا تحملنا (قلت) هذه المبالغة في حمل عليه وتلك لنقل حمله من مفعول واحد الى مفعولين (ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به) من العقوبات النازلة بمن قبلنا طلبوا الاعفاء عن التكليفات الشاقة التي كلفها من قبلهم ثم عما نزل عليهم من العقوبات على تفريطهم في المحافظة عليها وقيل المراد به الشاق الذي لا يكاد يستطاع من التكاليف وهذا تكرير لقوله ولا تحمل علينا اصرا (مولانا) سيدنا ونحن عبيدك او ناصرنا او متولي امورنا (فانصرنا) فمن حق المولى ان ينصر عبيده او فان ذلك عادتك او فان ذلك من امورنا التي عليك توليها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما دعا بهذه الدعوات قيل له عند كل كلمة قد فعلت وعنه عليه السلام من قرأ الآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه وعنه عليه السلام أوتيت خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش لم يؤتهن نبي قبلي وعنه عليه السلام أنزل الله آيتين من كنوز الجنة كتبهما الرحمن بيده قبل ان يخلق الخلق بالفي سنة من قرأهما بعد العشاء الآخرة أجزأتاه عن قيام الليل (فان قلت) هل يجوز ان يقال قرأت سورة البقرة وقرأت البقرة (قلت) لا بأس بذلك وقد جاء في حديث النبي صلى الله عليه وسلم من آخر سورة البقرة وخواتيم سورة البقرة وخواتيم البقرة وعن علي رضي الله عنه خواتيم سورة البقرة من كنز تحت العرش وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما انه رمى الجمرة ثم قال من ههنا والذي لا اله غيره رمى الذي أنزلت عليه سورة البقرة ولا فرق بين هذا وبين قولك سورة الزخرف وسورة الممتحنة وسورة المجادلة واذا قيل قرأت البقرة لم يشكل ان المراد سورة البقرة كقوله واسال القرية وعن بعضهم انه كره ذلك وقال يقال قرأت السورة التي تذكر فيها البقرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم السورة التي تذكر فيها البقرة فسطاط القرآن فتعلموها فان تعلمها بركة وتركها حسرة ولن تستطيعها البطلة قيل وما البطلة قال السحرة

لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين

ولا ورود لهذا السؤال على قواعد أهل السنة لانا نقول انما ارتفعت المؤاخذة بهذين بالسمع كقوله عليه الصلاة والسلام رفع عن أمتي الخطأ والنسيان واذا كان كذلك فلعل رفع المؤاخذة بهما كان اجابة لهذه الدعوة فقد نقل ان الله تعالى قال عند كل دعوة منها قد فعلت وانما التزم الزمخشري ورود السؤال على قواعد القدرية الذاهبين الى استحالة المؤاخذة بالخطا والنسيان عقلا لانه من تكليف مالا يطيق وهو مستحيل عندهم تفريعا على قاعدة التحسين والتقبيح وكلاها قواعد باطلة ومذاهب ماحلة فالله تعالى يجعل لنا من اجابة هذه الدعوات اوفر نصيب ويلهمنا المعتقد الحق والقول المصيب انه سميع مجيب وهو حسبنا ونعم الوكيل

سورة آل عمران مدنية وهي مائتا آية

بسم الله الرحمن الرحيم

* ميم حقها ان يوقف عليها كما وقف على الف ولام وأن يبدأ ما بعدها كما تقول واحد اثنان وهي قراءة عاصم واما فتحها فهي حركة الهمزة القيت عليها حين أسقطت للتخفيف (فان قلت) كيف جاز القاء حركتها عليها وهي همزة وصل لا تثبت فى درج الكلام فلا تثبت حركتها الا ان اثبات حركتها كثباتها (قلت) هذا ليس بدرج لان ميم فى حكم الوقف والسكون والهمزة فى حكم الثابت وانما حذفت تخفيفا والقيت حركتها على الساكن قبلها ليدل عليها ونظيره قولهم واحد اثنان بالقاء حركة الهمزة على الدال (فان قلت) هلا زعمت أنها حركة لالتقاء الساكنين (قلت) لان التقاء الساكنين لا يبالى به فى باب الوقف وذلك قولك هذا ابراهيم وداود واسحق ولو كان التقاء الساكنين فى حال الوقف يوجب التحريك لحرك الميمان فى الف لام ميم لالتقاء الساكنين ولما انتظر ساكن آخر (فان قلت) انما لم يحركوا لالتقاء الساكنين فى ميم لانهم أرادوا الوقف وامكنهم النطق بساكنين فاذا جاء ساكن ثالث لم يمكن الا التحريك فحركوا (قلت) الدليل على ان الحركة ليست لملاقاة الساكن انه كان يمكنهم ان يقولوا واحد اثنان بسكون الدال مع طرح الهمزة فيجمعوا بين ساكنين كما قالوا أصيم ومديق فلما حركوا الدال علم ان حركتها هى حركة الهمزة الساقطة لا غير وليست لالتقاء الساكنين (فان قلت) فما وجه قراءة عمرو بن عبيد بالكسر (قلت) هذه القراءة على توهم التحريك لالتقاء الساكنين وما هى بمقولة * و(التوراة والانجيل) اسمان أعجميان وتكلف اشتقاقهما من الورى والنجل ووزنهما بتفعلة وافعيل انما يصح بعد كونهما عربيين وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة وهو دليل على العجمة لان افعيل بفتح الهمزة عديم في اوزان العرب (فان قلت) لم قيل نزل الكتاب وأنزل التوراة والانجيل (قلت) لان القرآن نزل منجما ونزل الكتابان جملة * وقرأ الاعمش نزل عليك الكتاب بالتخفيف ورفع الكتاب (هدى للناس) أى لقوم موسى وعيسى ومن قال نحن متعبدون بشرائع من قبلنا فسره على العموم * (فان قلت) ما المراد بالفرقان (قلت) جنس الكتب السماوية لان كلها فرقان يفرق بين الحق والباطل أو الكتب التى ذكرها كانه قال بعد ذكر الكتب الثلاثة وأنزل ما يفرق به بين الحق والباطل من كتبه او من هذه الكتب او أراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما قال وآتينا داود زبورا وهو ظاهر أو كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشأنه واظهارا لفضله (بآيات الله) من كتبه المنزلة وغيرها (ذوا نتقام) له انتقام شديد لا يقدر على مثله منتقم (لا يخفى عليه شيء) فى العالم فعبر عنه بالسماء والارض فهو مطلع على كفر من كفر وايمان من آمن وهو مجازيهم عليه (كيف يشاء) من الصور المختلفة المتفاوتة * وقرأ طاوس تصوركم أى صوركم لنفسه ولتعبده كقولك أثلت

بسم الله الرحمن الرحيم
الم الله لا اله الا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان ان الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام ان الله لا يخفى عليه شيء فى الارض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الارحام كيف يشاء لا اله الا هو العزيز الحكيم هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات

*(بسم الله الرحمن الرحيم) * الم الله لا اله الا هو الحى القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه وأنزل التوراة والانجيل من قبل هدى للناس وانزل الفرقان (قال محمود فان قلت لما قيل فى القرآن نزل على صيغة فعل الخ) قال أحمد يريد لان فعل صيغة مبالغة وتكثير فلما كان نزول القرآن منجما كان أكثر تنزيلا من غيره لتفرقه فى مرار عديدة فعبر عنه بصيغة مطابقة لكثرة تنزيلاته وعبر عن الكتابين بصيغة خلية عن المبالغة والتكثير والله أعلم (عاد كلامه) قال والفرقان يحتمل ان يراد به جميع الكتب السماوية لانها تفرق بين الحق والباطل او الكتب التي ذكرها او اراد الكتاب الرابع وهو الزبور كما افرده واخر ذكره في قوله وآتينا داود زبورا او كرر ذكر القرآن بما هو نعت له ومدح من كونه فارقا بين الحق والباطل بعد ما ذكره باسم الجنس تعظيما لشانه واظهارا لفضله والله أعلم * قال احمد وقد جعل الزمخشرى سر التعبير عن نزول القرآن بصيغة فعل تفريقه في التنزيل كما تقدم آنفا ثم حمل الفرقان على أحد تاويلاته على القرآن والتعبير عنه بافعل كغيره فان يكن هذا والله أعلم فالوجه أنه لما عبر أولا عن نزوله الخاص به أتي بعبارة مطابقة لقصد الخصوصية فلما جرى ذكره ثانيا لينعت بصفة زائدة على اسم الجنس عبر عن نزوله من حيث الاطلاق اكتفاء بتميزه أولا واجمالا لذلك فى غير مقصوده ومن العبارة السائرة عن هذا المعنى الكلام يجمل فى غير مقصوده ويفصل فى مقصوده * قوله تعالى ان الله عزيز ذو انتقام (قال محمود معناه له انتقام شديد الخ) قال احمد وانما يلفى هذا التفخيم من التنكير وهو من علاماته مثله فى قوله فقل ربكم ذو رحمة واسعة

قوله تعالى منه آيات محكمات الآية (قال محمود المحكمات التي احكمت عبارتها الخ) قال احمد هذا كما قدمته عنده من تكلفه لتنزيل الآي على وفق ما يعتقده وأعوذ بالله من جعل القرآن تبعا للرأي وذلك ان معتقده احالة رؤية الله تعالى بناء على زعم القدرية من أن الرؤية تستلزم الجسمية والجهة فاذا ورد عليهم النص القاطع الدال على وقوع الرؤية كقوله الى ربها ناظرة مالوا الى جعله من المتشابه حتى يردوه بزعمهم الى الآية التي يدعون أن ظاهرها يوافق رأيهم والآية قوله تعالى لا تدركه الابصار وغرضنا الآن بيان وجوب الجمع بين الآيتين على الوجه الحق فنقول محمل قوله لا تدركه الابصار في دار الدنيا ومحمل الرؤية على الدار الآخرة جمعا بين الادلة او نقول الابصار وان كانت ظاهرة العموم الا ان المراد بها الخصوص اي لا تدركه ابصار الكفار كقوله كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون ونقول لا تعارض بين الآيتين فتقر كل واحدة منهما في نصابها وبيان ذلك أن الابصار عام بالالف واللام الجنسيتين ولا يتم غرض القدرية على زعمهم الا بالموافقة على عمومها وحينئذ يكون في العموم مرادفة لدخول كل لان كلا منهما أعني بالمعرف والجنسي وكلا يفيد الشمول والاحاطة واذا أثبت ذلك فالسلب داخل على الكلية والقواعد مستقرة على ان سلب الكلية جزئي لغة وتعة الا ألا ترى ان القائل اذا قال لا تنفق كل الدراهم كان المفهوم من ذلك الاذن في انفاق البعض ومن حيث المعقول ان الكلية تسلب بسلب بعض الافراد ولو واحدا وحينئذ يكون مقتضى الآية سلب الرؤية عن بعض الابصار وثبوتها لبعض الابصار وهذا بين مذهب أهل السنة لانهم يثبتونها للموحدين ويسلبونها عن الكفار كما انبأ عنه قوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون فقد ثبت ان هذه الآية اما محمولة على اثبات الرؤية واما باقية على ظاهرها دليلا على ثبوتها على وفق السنة * ولا يقال قد ثبت الفرق بين دخول كل على المعرف تعريف الجنس وبين عدم دخولها الا ترى انهم يقولون ان قولنا الانسان كاتب مهمل في قوة الجزئية وان قولنا كل انسان حيوان كلي لا جزئي * لانا نقول انما جارتنا القدرية على ما يلزمهم الموافقة فيه وهم قد وافقوا على تناول الابصار لكل واحد واحد من افراد الجنس ولولا ذلك لما تم لهم مرام ولكفونا مؤنة البحث في ذلك وهذا القدر من الكلية المتفق عليها بين الفريقين لا يثبت لما سماه اهل ذلك الفن مهملا بل هذا هو الكلي عندهم والله الموفق واما الآيتان الاخيرتان اللتان احداهما قوله تعالى ان الله لا يامر بالفحشاء والاخرى التي هي قوله تعالى امرنا مترفيها ففسقوا فيها فلا ينازع الزمخشري في تمثيل المحكم والمتشابه بهما * قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم (قال محمود معناه لا يهتدي الى تاويله الخ) قال احمد قوله لا يهتدي اليه الا الله عبارة قلقة ولم يرد اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى مع ان في هذه اللفظة ايهاما اذ الاهتداء لا يكون في الاطلاق الا عن جهل وضلال جل الله وعز حتى ان الكافر اذا اسلم اطلق اهل العرف عليه فلان المهتدي وذلك مقتضى اللغة فيه فانه مطاوع هدى يقال هديته فاهتدى والاجماع منعقد على ان ما لم يرد اطلاقه وكان موهما لا يجوز اطلاقه على الله عز وجل ولذا انكر على القاضي اطلاقه المعرفة على علم الله تعالى حيث حد مطلق العلم بانه معرفة المعلوم على ما هو عليه فلان ينكر على الزمخشري اطلاق الاهتداء على علم الله تعالى اجدر وما اراها صدرت منه الا وهما حيث اضاف العلم الى الله تعالى في الفعل المذكور والله اعلم

محكمات هن ام الكتاب وأخر متشابهات فاما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تاويله وما يعلم تاويله الا الله والراسخون في العلم

ما لا اذا جعلته أثلة أي اصلا وتأثلته اذا اثلته لنفسك وعن سعيد بن جبير هذا احتجاج على من زعم أن عيسى كان ربا كأنه نبه بكونه مصورا في الرحم على انه عبد كغيره وكان يخفى عليه ما لا يخفى على الله (محكمات) احكمت عبارتها بان حفظت من الاحتمال والاشتباه * متشابهات مشتبهات محتملات (هن أم الكتاب) اي اصل الكتاب تحمل المتشابهات عليها وترد اليها ومثال ذلك لا تدركه الابصار الى ربها ناظرة لا يأمر بالفحشاء امرنا مترفيها (فان قلت) فهلا كان القرآن كله محكما (قلت) لو كان كله محكما لتعلق الناس به لسهولة مأخذه ولاعرضوا عما يحتاجون فيه الى الفحص والتأمل من النظر والاستدلال ولو فعلوا ذلك لعطلوا الطريق الذي لا يتوصل الى معرفة الله وتوحيده الا به ولما في المتشابه من الابتلاء والتمييز بين الثابت على الحق والمتزلزل فيه ولما في تقادح العلماء واتعابهم القرائح في استخراج معانيه ورده الى المحكم من الفوائد الجليلة والعلوم الجمة ونيل الدرجات عند الله ولان المؤمن المعتقد ان لا مناقضة في كلام الله ولا اختلاف اذا رأى فيه ما يتناقض في ظاهره واهمه طلب ما يوفق بينه ويجريه على سنن واحد ففكر وراجع نفسه وغيره ففتح الله عليه وتبين مطابقة المتشابه المحكم ازداد طمانينة الى معتقده وقوة في ايقانه (الذين في قلوبهم زيغ) هم أهل البدع (فيتبعون ما تشابه منه) فيتعلقون بالمتشابه الذي يحتمل ما يذهب اليه المبتدع مما لا يطابق المحكم ويحتمل ما يطابقه من قول اهل الحق (ابتغاء الفتنة) طلب ان يفتنوا الناس عن دينهم ويضلوهم (وابتغاء تأويله) وطلب أن يأولوه التاويل الذي يشتهونه (وما يعلم تأويله الا الله والراسخون في العلم) أي لا يهتدي الى تأويله الحق الذي يجب أن يحمل عليه الا الله وعباده الذين رسخوا في العلم أي ثبتوا فيه وتمكنوا وعضوا فيه بضرس قاطع ومنهم من يقف على قوله الا الله ويبتدئ والراسخون في العلم يقولون ويفسرون المتشابه بما استأثر الله بعلمه وبمعرفة الحكمة فيه من آياته كعدد الزبانية ونحوه

*قوله تعالى ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا (قال محمود ومعناه ربنا لا تبلنا ببلايا الخ) قال أحمد اما اهل السنة فيدعون الله بهذه الدعوة غير محرفة لانهم يوحدون حق التوحيد فيعتقدون ان كل حادث من هدى وزيغ مخلوق لله تعالى

واما القدرية فعندهم ان الزيغ لا يخلقه الله تعالى وانما يخلقه العبد لنفسه فلا يدعون الله تعالى بهذه الدعوة الا محرفة الى غير المراد بها كما أولها المصنف به وان كنا ندعو الله تعالى مضافا الى هذه الدعوة بان لا يبتلينا ولا يمنعنا لطفه أمين لان الكل فعله وخلقه ولا موجود الا هو وافعالنا التي نحن وافعا لنا منها *قوله تعالى يرونهم مثليهم رأى العين (قال محمود معناه يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين الخ) قال أحمد وكذلك آيات الشفاعة المقدمة على رأي اهل السنة

ونحوه والاول هو الوجه *و يقولون كلام مستأنف موضح لحال الراسخين بمعنى هؤلاء العالمون بالتأويل (يقولون آمنا به) اى بالمتشابه (كل من عند ربنا) اى كل واحد منه ومن المحكم من عنده أو بالكتاب كل من متشابهه ومحكمه من عند الله الحكيم الذي لا يتناقض كلامه ولا يختلف كتابه (وما يذكر الا أولو الالباب) مدح للراسخين بالقاء الذهن وحسن التأمل ويجوز ان يكون يقولون حالا من الراسخين *وقرأ عبد الله ان تأويله الا عند الله * وقرأ أبي و يقول الراسخون (لا تزغ قلوبنا) لا تبلنا ببلايا تزيغ فيها قلوبنا (بعد اذ هديتنا) وارشدتنا لدينك أو لا تمنعنا الطافك بعد اذ لطفت بنا (من لدنك رحمة) من عندك نعمة بالتوفيق والمعونة وقرئ لا تزغ قلوبنا بالتاء والياء ورفع القلوب (جامع الناس ليوم) اى تجمعهم لحساب يوم او لجزاء يوم كقوله تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع *وقرئ جامع الناس على الاصل (ان الله لا يخلف الميعاد) معناه ان الالهية تنافي خلف الميعاد كقولك ان الجواد لا يخيب سائله *والميعاد الموعد *قرأ علي رضي الله عنه لن تغني بسكون الياء وهذا من الجد في استثقال الحركة على حروف اللين *من في قوله (من الله) مثله في قوله وان الظن لا يغني من الحق شيأ والمعنى لن تغني عنهم من رحمة الله أو من طاعة الله (شيأ) اي بدل رحمته وطاعته وبدل الحق ومنه ولا ينفع ذا الجد منك الجد اى لا ينفعه جده وحظه من الدنيا بدلك اى بدل طاعتك وعبادتك وما عندك وفي معناه قوله تعالى وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى *وقرئ وقود بالضم بمعنى اهل وقودها *والمراد بالذين كفروا من كفر برسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس هم قريظة والنضير *الداب مصدر دأب في العمل اذا كدح فيه فوضع موضع ما عليه الانسان من شأنه وحاله والكاف مرفوع المحل تقديره دأب هؤلاء الكفرة كدأب من قبلهم من آل فرعون وغيرهم ويجوز ان ينتصب محل الكاف بلن تغني او بالوقود اى لن تغني عنهم مثل ما لم تغن عن أولئك او توقد بهم النار كما توقد بهم تقول انك لتظلم الناس كدأب ابيك تريد كظلم أبيك ومثل ما كان يظلمهم وان فلانا لمحارف كداب أبيه تريد كما حورف أبوه (كذبوا بآياتنا) تفسير لدأبهم مما فعلوا وفعل بهم على انه جواب سؤال مقدر عن حالهم (قل للذين كفروا) هم مشركو مكة (ستغلبون) يعني يوم بدر وقيل هم اليهود لما غلب رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر قالوا هذا والله النبي الامي الذي بشرنا به موسى وهموا باتباعه فقال بعضهم لا تعجلوا حتى ننظر الى وقعة أخرى فلما كان يوم أحد شكوا وقيل جمعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد وقعة بدر في سوق بني قينقاع فقال يا معشر اليهود احذروا مثل ما نزل بقريش وأسلموا قبل ان ينزل بكم ما نزل بهم فقد عرفتم أني نبي مرسل فقالوا لا يغرنك انك لقيت قوما أغمارا لا علم لهم بالحرب فأصبت منهم فرصة لئن قاتلتنا لعلمت انا نحن الناس فنزلت وقرئ سيغلبون و يحشرون بالياء كقوله تعالى قل للذين كفروا ان ينتهوا يغفر لهم على قل لهم قولي لك سيغلبون (فان قلت) اى فرق بين القراءتين من حيث المعنى (قلت) معنى القراءة بالتاء الامر بأن يخبرهم بما سيجري عليهم من الغلبة والحشر الى جهنم فهو اخبار بمعنى سيغلبون و يحشرون وهو الكائن من نفس المتوعد به والذي يدل عليه اللفظ ومعنى القراءة بالياء الامر بان يحكي لهم ما اخبره به من وعيدهم بلفظه كأنه قال أد اليهم هذا القول الذي هو قولي لك سيغلبون ويحشرون (قد كان لكم آية) الخطاب لمشركي قريش (في فئتين التقتا) يوم بدر (يرونهم مثليهم) يرى المشركون المسلمين مثلي عدد المشركين قريبا من ألفين او مثلي عدد المسلمين ستمائة ونيفا وعشرين اراهم الله اياهم مع قلتهم أضعافهم ليهابوهم ويجبنوا عن قتالهم وكان ذلك مددا لهم من الله كما أمدهم بالملائكة والدليل عليه قراءة نافع ترونهم بالتاء اى ترون يا مشركي قريش المسلمين مثلي فئتكم الكافرة او مثلي أنفسهم (فان قلت) فهذا مناقض لقوله في سورة الانفال ويقللكم في أعينهم (قلت) قللوا أولا في أعينهم حتى اجترؤا عليهم فلما لاقوهم كثروا في أعينهم حتى

يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر الا أولو الالباب ربنا لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة انك انت الوهاب ربنا انك جامع الناس ليوم لا ريب فيه ان الله لا يخلف الميعاد ان الذين كفروا لن تغني عنهم اموالهم ولا أولادهم من الله شيأ وأولئك هم وقود النار كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآياتنا فاخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون الى جهنم وبئس المهاد قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم

(عاد كلامه) قال وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين الخ * قال احمد انما قال ذلك لان الخطاب على قراءة نافع يكون للمسلمين اى ترونهم يامسلمون و يكون ضمير المثلين ايضا للمسلمين و قد جاء على لفظ الغيبة فيلزم الخروج فى جملة واحدة من الحضور الى الغيبة والالتفات وان كان سائغا فصيحا الا أنه انما يأتى فى الاغلب فى جملتين وقد جاء ههنا الكلام جملة واحدة لان مثليهم مفعول ثان للرؤية ولو قال القائل ظننتك يقوم على لفظ الغيبة بعد الخطاب لم يكن بذاك فهذا هو الوجه الذى باعد الزمخشرى به بين قراءة نافع و بين هذا التأويل الا انه يلزم مثله على احد وجهيه المتقدمين آنفا لانه قال معناه على قراءة نافع ترون ياشركون المسلمين مثلى عددهم أو مثلى فئتكم الكافرة فعلى هذا الوجه الثانى يلزم الخروج من الخطاب الى الغيبة فى الجملة بعينها كما الزمه هو على ذلك الوجه والله اعلم * قوله تعالى زين للناس حب الشهوات الآية (قال محمود المزين هو الله تعالى الخ) قال احمد التزيين للشهوات يطلق و يراد به خلق حبها فى القلوب وهو بهذا المعنى مضاف الى الله تعالى حقيقة لانه لا خالق الا هو خالق كل شىء من جوهر ومن عرض قائم بالجوهر حب او غيره محمود فى الشرع اولا وقد و يطلق التزيين و يراد به الحض على تعاطى الشهوات والامر بها فهو بهذا الاعتبار لا يضاف الى الله تعالى منه الا الحض على بعض الشهوات المنصوص عليها شرعا كالنكاح المقترن بقصد التناسل واتباع السنة فيه وما يجرى مجراه واما الشهوات المحظوة وتزيينها بهذا المعنى الثانى مضاف الى الشيطان تنزيلا لوسوسته وتحسينه منزلة الامر بها والحض على تعاطيها وكلام الحسن رضى الله عنه محمول على التزيين بالمعنى الثانى لا بالمعنى الاول فانه يحاشا ان ينسب خلق الله الى غير الله وانما الزمخشرى كثيرا ما يورد امثال هذه العبارة المتلبسة تنزيلا لها على قواعد القدرية الفاسدة فتفطن لها و برئ قائلها من السلف الصالح عما يزعم الزمخشرى النقل عنه والله الموفق (عاد كلامه) قال جعل الاعيان التى ذكرها شهوات الخ * قال احمد يريد الحاقها بباب رجل صوم وفطر مما يوضع فيه المعنى موضع الاسم مبالغة

رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء ان فى ذلك لعبرة لاولى الابصار زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد الذين يقولون ربنا اننا آمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار شهد الله أنه لا اله الا هو والملائكة وأولوا العلم

غلبوا فكان التقليل والتكثير فى حالين مختلفين ونظيره من المحمول على اختلاف الاحوال قوله تعالى فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان وقوله تعالى وقفوهم انهم مسؤلون وتقليلهم تارة وتكثيرهم أخرى فى أعينهم ابلغ فى القدرة واظهار الآية وقيل يرى المسلمون المشركين مثلى المسلمين على ما قرر عليه أمرهم من مقاومة الواحد الاثنين فى قوله تعالى فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين بعد ما كلفوا أن يقاوم الواحد العشرة فى قوله تعالى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ولذلك وصف ضعفهم بالقلة لانه قليل بالاضافة الى عشرة الاضعاف وكان الكافرون ثلاثة أمثالهم وقراءة نافع لا تساعد عليه وقرأ ابن مصرف يرونهم على البناء للمفعول بالياء والتاء أى يريهم الله ذلك بقدرته وقرئ فئة تقاتل وأخرى كافرة بالجر على البدل من فئتين وبالنصب على الاختصاص او على الحال من الضمير فى التقتا (رأى العين) يعنى رؤية ظاهرة مكشوفة لا لبس فيها معاينة كسائر المعاينات (والله يؤيد بنصره) كما أيد اهل بدر بتكثيرهم فى عين العدو (زين للناس) المزين هو الله سبحانه وتعالى للابتلاء كقوله انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم و يدل عليه قراءة مجاهد زين للناس على تسمية الفاعل وعن الحسن الشيطان والله زينها لهم لانا لا نعلم احدا أذم لها من خالقها (حب الشهوات) جعل الاعيان التى ذكرها شهوات مبالغة فى كونها مشتهاة محروصا على الاستمتاع بها والوجه ان يقصد تخسيسها فيسميها شهوات لان الشهوة مسترذلة عند الحكماء مذموم من اتبعها شاهد على نفسه بالبهيمية وقال زين للناس حب الشهوات ثم جاء بالتفسير ليقرر أولا فى النفوس ان المزين لهم حبه ما هو الا شهوات لا غير ثم يفسره بهذه الاجناس فيكون أقوى لتخسيسها وأدل على ذم من يستعظمها و يتهالك عليها و يرجح طلبها على طلب ما عند الله * والقنطار المال الكثير قيل ملء مسك ثور وعن سعيد بن جبير مائة ألف دينار ولقد جاء الاسلام يوم جاء و بمكة مائة رجل قد قنطروا و(المقنطرة) مبنية من لفظ القنطار للتوكيد كقولهم الف مؤلفة و بدرة مبدرة و (المسومة) المعلمة من السومة وهى العلامة أو المطهمة أو المرعية من أسام الدابة وسومها و(الانعام) الازواج الثمانية (ذلك) المذكور (متاع الحياة) * (للذين اتقوا عند ربهم جنات) كلام مستأنف فيه دلالة على بيان ما هو خير من ذلكم كما تقول هل أدلك على رجل عالم عندى رجل من صفته كيت وكيت و يجوز أن يتعلق اللام بخير واختص المتقين لانهم هم المنتفعون به * وترتفع (جنات) على هو جنات وتنصره قراءة من قرأ جنات بالجر على البدل من خير (والله بصير بالعباد) يثيب و يعاقب على الاستحقاق او بصير بالذين اتقوا باحوالهم فلذلك اعد لهم الجنات (الذين يقولون) نصب على المدح أو رفع و يجوز الجر صفة للمتقين او للعباد * والواو المتوسطة بين الصفات للدلالة على كمالهم فى كل واحدة منها

وقد مر الكلام في ذلك * وخص الاسحار لانهم كانوا يقدمون قيام الليل فيحسن طلب الحاجة بعده اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وعن الحسن كانوا يصلون في أول الليل حتى اذا كان السحر أخذوا في الدعاء والاستغفار هذا نهارهم وهذا ليلهم * شبهت دلالته على وحدانيته بأفعاله الخاصة التي لا يقدر عليها غيره وبما أوحى من آياته الناطقة بالتوحيد كسورة الاخلاص وآية الكرسي وغيرهما بشهادة الشاهد في البيان والكشف وكذلك اقرار الملائكة وأولى العلم بذلك واحتجاجهم عليه (قائما بالقسط) مقيما للعدل فيما يقسم من الارزاق والآجال ويثيب ويعاقب وما يأمر به عباده من انصاف بعضهم لبعض والعمل على السوية فيما بينهم وانتصابه على انه حال مؤكدة منه كقوله وهو الحق مصدقا (فان قلت) لم جاز افراده بنصب الحال دون المعطوفين عليه ولو قلت جاءني زيد وعمرو راكبا لم يجز (قلت) انما جاز هذا لعدم الالباس كما جاز في قوله ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة ان انتصب نافلة حالا عن يعقوب ولو قلت جاءني زيد وهند راكبا جاز لتميزه بالذكورة أو على المدح (فان قلت) أليس من حق المنتصب على المدح ان يكون معرفة كقولك الحمد لله الحميد انا معشر الانبياء لا نورث انا بني نهشل لا ندعي لاب (قلت) قد جاء نكرة كما جاء معرفة وانشد سيبويه فيما جاء منه نكرة قول الهذلي

ويأوي الى نسوة عطل * وشعثا مراضيع مثل السعالي

(فان قلت) هل يجوز أن يكون صفة للمنفي كانه قيل لا اله قائما بالقسط الا هو (قلت) لا يبعد فقد رأيناهم يتسعون في الفصل بين الصفة والموصوف (فان قلت) قد جعلته حالا من فاعل شهد فهل يصح ان ينتصب حالا عن هو في لا اله الا هو (قلت) نعم لانها حال مؤكدة والحال المؤكدة لا تستدعي ان يكون في الجملة التي هي زيادة في فائدتها عامل فيها كقولك أنا عبد الله شجاعا وكذلك لو قلت لا رجل الا عبد الله شجاعا وهو أوجه من انتصابه عن فاعل شهد وكذلك انتصابه على المدح (فان قلت) هل دخل قيامه بالقسط في حكم شهادة الله والملائكة واولي العلم كما دخلت الوحدانية (قلت) نعم اذا جعلته حالا من هو أو نصبا على المدح منه أو صفة للمنفي كانه قيل شهد الله والملائكة وأولو العلم أنه لا اله الا هو وانه قائم بالقسط * وقرأ عبد الله القائم بالقسط على انه بدل من هو أو خبر مبتدا محذوف وقرأ أبو حنيفة قيما بالقسط (العزيز الحكيم) صفتان مقررتان لما وصف به ذاته من الوحدانية والعدل يعني انه العزيز الذي لا يغالبه اله آخر الحكيم الذي لا يعدل عن العدل في أفعاله (فان قلت) ما المراد بأولي العلم الذين عظمهم هذا التعظيم حيث جمعهم معه ومع الملائكة في الشهادة على وحدانيته وعدله (قلت) هم الذين يثبتون وحدانيته وعدله بالحجج الساطعة والبراهين القاطعة وهم علماء العدل والتوحيد * وقرئ أنه بالفتح وان الدين بالكسر على ان الفعل واقع على أنه بمعنى شهد الله على انه أو بانه وقوله (ان الدين عند الله الاسلام) جملة مستأنفة مؤكدة للجملة الاولى (فان قلت) ما فائدة هذا التوكيد (قلت) فائدته ان قوله لا اله الا هو توحيد وقوله قائما بالقسط تعديل فاذا أردفه قوله ان الدين عند الله الاسلام فقد آذن ان الاسلام هو العدل والتوحيد وهو الدين عند الله وما عداه فليس عنده في شيء من الدين (٣) وفيه أن من ذهب الى تشبيه أو ما يؤدي اليه كاجازة الرؤية او ذهب الى الجبر الذي هو محض الجور لم يكن على دين الله الذي هو الاسلام وهذا بين جلي كما ترى وقرئا مفتوحين على ان الثاني بدل من الاول كانه قيل شهد الله ان الدين عند الله الاسلام والبدل هو المبدل منه في المعنى فكان بيانا صريحا لان دين الله هو التوحيد والعدل وقرئ الاول بالكسر والثاني بالفتح على ان الفعل واقع على ان وما بينهما اعتراض مؤكد وهذا أيضا شاهد على ان دين الاسلام هو العدل والتوحيد فترى القراآت كلها متعاضدة على ذلك وقرأ عبد الله أن لا اله الا هو وقرأ أبي ان الدين عند الله للاسلام وهي مقوية لقراءة من فتح الاولى وكسر الثانية وقرئ شهداء الله بالنصب على انه حال من المذكورين قبله وبالرفع على هم شهداء الله (فان قلت) فعلام عطف على هذه القراءة والملائكة وأولو العلم (قلت) على الضمير في شهداء وجاز لوقوع

قائما بالقسط لا اله الا هو العزيز الحكيم ان الدين عند الله الاسلام وما اختلف

قوله وفيه ان من ذهب الى تشبيه الخ كتب عليه العلامة المحشي ما يشفي الغليل ولكن لعدم امكان وضع ما كتبه بهذه الصحيفة نقلت الى ما بعدها وجعل لها علامة تعلم بها اه

* قوله تعالى شهد الله انه لا اله الا هو الى قوله ان الدين عند الله الاسلام (قال محمود ان قلت ما فائدة تكرار لا اله الا هو الخ) قال احمد وهذا التكرار لما قدمته في نظيره مما صدر الكلام به اذا طال عهده وذلك ان الكلام مصدر بالتوحيد ثم اعقب التوحيد تعداد الشاهدين به ثم قوله قائما بالقسط وهو التنزيه فطال الكلام بذلك فجدد التوحيد تلو التنزيه ليلى قوله ان الدين عند الله الاسلام ولولا هذا التجديد لكان التوحيد المتقدم كالمنقطع فى الفهم مما اريد ايصاله به والله أعلم (٣) قال وفيه ان من ذهب الى تشبيه الخ) * قال احمد هذا تعريض بخروج اهل السنة من ربقة الاسلام بل تصريح وما ينتقم منهم الا ان صدقوا وعد الله عباده المكرمين على لسان نبيهم الكريم صلى الله عليه وسلم بانهم يرون ربهم كالقمر ليلة البدر لا يضامون فى رؤيته ولانهم وحدوا الله حق توحيده فشهدوا ان لا اله الا هو ولا خالق لهم ولا فعالهم الا هو واقتصروا على ان نسبوا الا نفسهم قدرة تقارن فعلهم لا خلق لها ولا تاثير غير التمييز بين افعالهم الاختيارية والاضطرارية وتلك المعبر عنها شرعا بالكسب فى مثل قوله تعالى بما كسبت أيديكم هذا ايمان القوم وتوحيدهم لا كقوم يغبرون فى وجه النصوص فيجحدون الرؤية التى يظهر ان جحدهم لها سبب فى حرمانهم اياها و يجعلون أنفسهم الخسيسة شريكة لله فى مخلوقاته فيزعمون أنهم يخلقون لا نفسهم ما شاؤا من الافعال على خلاف مشيئة ربهم محادة ومعاندة لله فى ملكه ثم بعد ذلك يتسترون بتسمية أنفسهم أهل العدل والتوحيد والله اعلم بمن اتقي ولجبر خير من اشراك ان كان أهل السنة مجبرة فانا أول المجبرين ولو نظرت ايها الزمخشرى بعين الانصاف الى جهالة القدرية وضلالها لانبعثت الى حدائق السنة وظلالها ولخرجت عن مزالق البدع ومزالها ولكن كره الله انبعاثهم ولعلمت أى الفريقين احق بالامن واولى بالدخول فى اولى العلم المقرونين فى التوحيد بالملائكة

الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ماجاءهم العلم بغيا بينهم ومن يكفر بآيات الله فان الله سريع الحساب فان حاجوك فقل اسلمت وجهي لله ومن اتبعن وقل للذين أوتوا الكتاب والاميين أأسلمتم فان اسلموا فقد اهتدوا وان تولوا فانما عليك البلاغ والله بصير بالعباد ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب اليم اولئك الذين حبطت أعمالهم

الفاصل بينهما * (فان قلت) لم كرر قوله لا اله الا هو (قلت) ذكره اولا للدلالة على اختصاصه بالوحدانية وانه لا اله الا تلك الذات المتميزة ثم ذكره ثانيا بعد ما قرن باثبات الوحدانية اثبات العدل للدلالة على اختصاصه بالامرين كانه قال لا اله الا هذا الموصوف بالصفتين ولذلك قرن به قوله العزيز الحكيم لتضمنهما معنى الوحدانية والعدل (الذين اوتوا الكتاب) أهل الكتاب من اليهود والنصارى * واختلافهم أنهم تركوا الاسلام وهو التوحيد والعدل (من بعد ما جاءهم العلم) أنه الحق الذى لا محيد عنه فثلثت النصارى وقالت اليهود عزير ابن الله وقالوا كنا أحق بأن تكون النبوة فينا من قريش لانهم أميون ونحن أهل كتاب وهذا تجوير لله (بغيا بينهم) أى ما كان ذلك الاختلاف وتظاهر هؤلاء بمذهب وهؤلاء بمذهب الا حسدا بينهم وطلبا منهم للرياسة وحظوظ الدنيا واستتباع كل فريق ناسا يطؤن أعقابهم لا شبهة فى الاسلام وقيل هو اختلافهم فى نبوة محمد صلى الله عليه وسلم حيث آمن به بعض وكفر به بعض وقيل هو اختلافهم فى الايمان بالانبياء فمنهم من آمن بموسى ومنهم من آمن بعيسى وقيل هم اليهود واختلافهم ان موسي عليه السلام حين احتضر استودع التوراة سبعين حبرا من بنى اسرائيل وجعلهم أمناء عليها واستخلف يوشع فلما مضى قرن بعد قرن اختلف أبناء السبعين بعد ما جاءهم علم التوراة بغيا بينهم وتحاسدا على حظوظ الدنيا والرياسة وقيل هم النصارى واختلافهم فى أمر عيسى بعد ما جاءهم العلم أنه عبد الله ورسوله (فان حاجوك) فان جادلوك فى الدين (فقل أسلمت وجهي لله) أى أخلصت نفسي وجملتي لله وحده لم اجعل فيها لغيره شركا بأن أعبده وادعوه الها معه يعني ان ديني دين التوحيد وهو الدين القديم الذى ثبتت عندكم صحته كما ثبتت عندى وما جئت بشىء بديع حتى تجادلونى فيه ونحوه قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ فهو دفع للمحاجة بان ما هو عليه ومن معه من المؤمنين هو حق اليقين الذى لا لبس فيه فما معنى المحاجة فيه (ومن اتبعن) عطف على التاء فى أسلمت وحسن للفاصل ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع فيكون مفعولا معه (وقل للذين أوتوا الكتاب) من اليهود والنصارى (والاميين) والذين لا كتاب لهم من مشركى العرب (أأسلمتم) يعنى أنه قد اتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة فهل اسلمتم أم انتم بعد على كفركم وهذا كقولك لمن لخصت له المسئلة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته هل فهمتها لا أم لك ومنه قوله عز وعلا فهل أنتم منتهون بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر وفى هذا الاستفهام استقصار وتعيير بالمعاندة وقلة الانصاف لان المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب أسدادا بينه وبين الاذعان وكذلك فى هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة وفى فهل أنتم منتهون بالتقاعد عن الانتهاء والحرص الشديد على تعاطي المنهى عنه (فان اسلموا فقد اهتدوا) فقد نفعوا انفسهم حيث خرجوا من الضلال الى الهدى ومن الظلمة الى النور (وان تولوا) لم يضروك فانك رسول منبه ما عليك الا ان تبلغ الرسالة

المشرفين بعطفهم على اسم الله عز وجل اللهم الهمنا على اقتفاء السنة شكرك ولا تؤمنا مكرك انه لا يامن من مكر الله الا القوم الخاسرون فليس ينجي من الخوف الا الخوف والله ولي التوفيق * قوله تعالى ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون (قال محمود ذلك التولي والاعراض بسبب طمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت الحشوية والمجبرة

الرسالة وتنبيه على طريق الهدى * قرأ الحسن يقتلون النبيين وقرأ حمزة ويقاتلون الذين يأمرون وقرأ عبد الله وقاتلوا وقرأ أبي يقتلون النبيين والذين يأمرون وهم اهل الكتاب قتل اولوهم الانبياء وقتلوا اتباعهم وهم راضون بما فعلوا وكانوا حول قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين لولا عصمة الله وعن ابي عبيدة بن الجراح قلت يارسول الله اي الناس اشد عذابا يوم القيامة قال رجل قتل نبيا او رجلا امر بمعروف ونهى عن منكر ثم قرأها ثم قال يا ابا عبيدة قتلت بنو اسرائيل ثلاثة واربعين نبيا من اول النهار في ساعة واحدة فقام مائة واثنا عشر رجلا من عباد بني اسرائيل فامروا قاتليهم بالمعروف ونهوهم عن المنكر فقتلوا جميعا من آخر النهار في (الدنيا والآخرة) لان لهم اللعنة والخزي في الدنيا والعذاب في الآخرة * (فان قلت) لم دخلت الفاء في خبر ان (قلت) لتضمن اسمها معنى الجزاء كانه قيل الذين يكفرون فبشرهم بمعنى من يكفر فبشرهم وان لا تغير معنى الابتداء فكان دخولها كلا دخول ولو كان مكانها ليت او لعل لامتنع ادخال الفاء لتغير معنى الابتداء (أوتوا نصيبا من الكتاب) يريد احبار اليهود وانهم حصلوا نصيبا وافرا من التوراة ومن اما للتبعيض واما للبيان او حصلوا من جنس الكتب المنزلة أو من اللوح التوراة وهي نصيب عظيم (يدعون الى كتاب الله) وهو التوراة (ليحكم بينهم) وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل مدارسهم فدعاهم فقال لهم نعيم ابن عمرو والحرث بن زيد على اي دين انت قال على ملة ابراهيم قالا ان ابراهيم كان يهوديا قال لهما ان بيننا وبينكم التوراة فهلموا اليها فأبيا وقيل نزلت في الرجم وقد اختلفوا فيه وعن الحسن وقتادة كتاب الله القرآن لانهم قد علموا انه كتاب الله لم يشكوا فيه (ثم يتولى فريق منهم) استبعاد لتوليهم بعد علمهم بان الرجوع الى كتاب الله واجب (وهم معرضون) وهم قوم لا يزال الاعراض ديدنهم وقرئ ليحكم على البناء للمفعول والوجه ان يراد ما وقع من الاختلاف والتعادي بين من أسلم من احبارهم وبين من لم يسلم وانهم دعوا الى كتاب الله الذي لا اختلاف بينهم في صحته وهو التوراة ليحكم بين المحق والمبطل منهم ثم يتولى فريق منهم وهم الذين لم يسلموا وذلك ان قوله ليحكم بينهم يقتضي ان يكون اختلافا واقعا فيما بينهم لا فيما بينهم وبين رسول الله ﷺ (ذلك) التولي والاعراض بسبب تسهيلهم على انفسهم امر العقاب وطمعهم في الخروج من النار بعد أيام قلائل كما طمعت المجبرة والحشوية (وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) من ان آباءهم الانبياء يشفعون لهم كما غرت أولئك شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم في كبائرهم (فكيف اذا جمعناهم) فكيف يصنعون فكيف تكون حالهم وهو استعظام لما اعد لهم وتهويل لهم وانهم يقعون فيما لا حيلة لهم في دفعه والخلاص منه وان ما حدثوا به انفسهم وسهلوه عليها تعلل بباطل وتطمع بما لا يكون وروي ان اول راية ترفع لاهل الموقف من رايات الكفار راية اليهود فيفضحهم الله على رؤس الاشهاد ثم يأمر بهم الى النار (وهم لا يظلمون) يرجع الى كل نفس على المعنى لانه في معنى كل الناس كما تقول ثلاثة انفس تريد ثلاثة اناسي * الميم في (اللهم) عوض من يا ولذلك لا يجتمعان وهذا بعض خصائص هذا الاسم كما اختص بالتاء في القسم وبدخول حرف النداء عليه وفيه لام التعريف وبقطع همزته في يا الله وبغير ذلك (مالك الملك) اي تملك جنس الملك فتتصرف فيه تصرف الملاك فيما يملكون (تؤتي الملك من تشاء) تعطي من تشاء النصيب الذي قسمت له واقتضته حكمتك من الملك (وتنزع الملك ممن تشاء) النصيب الذي اعطيته منه فالملك الاول عام شامل والملكان الآخران خاصان بعضان من الكل روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين افتتح مكة وعد أمته ملك فارس والروم فقال المنافقون واليهود هيهات هيهات من أين لمحمد ملك فارس والروم هم اعز وأمنع من ذلك وروي ان رسول الله صلى الله

في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ذلك بانهم قالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء

وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون) قال احمد رحمه الله هذا ايضا تعريض باهل السنة في اعتقادهم تفويض العفو عن كبائر المؤمن الموحد الى مشيئة الله تعالى وان مات مصرا عليها ايمانا بقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وتصديقا بالشفاعة لاهل الكبائر وينقم عليهم ذلك حتى يجعلهم أصلا يقيس عليهم اليهود القائلين لن تمسنا النار الا أياما معدودات فانظر اليه كيف اشحن قلبه بغضا لاهل السنة وشقاقا وكيف ملأ الارض من هذه النزغات نفاقا فالحمد لله الذي اهل عبيده الفقير الى التورك عليه لان آخذ من اهل البدعة بثار السنة فاحمي افيدتهم من قواطع البراهين بمقومات الاسنة

عليه وسلم لما خط الخندق عام الاحزاب وقطع لكل عشرة أربعين ذراعا وأخذوا يحفرون خرج من بطن الخندق صخرة كالتل العظيم لم تعمل فيها المعاول فوجهوا سلمان الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبره فأخذ المعول من سلمان فضربها ضربة صدعتها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتيها لكأن مصباحا في جوف بيت مظلم وكبر وكبر المسلمون وقال اضاءت لى منها قصور الحيرة كأنها انياب الكلاب ثم ضرب الثانية فقال اضاءت لى منها القصور الحمر من ارض الروم ثم ضرب الثالثة فقال اضاءت لى قصور صنعاء واخبرني جبريل عليه السلام ان أمتي ظاهرة على كلها فابشروا فقال المنافقون الا تعجبون يمنيكم ويعدكم الباطل ويخبركم انه يبصر من يثرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وانها تفتح لكم وأنتم انما تحفرون الخندق من الفرق لا تستطيعون ان تبرزوا فنزلت * (فان قلت) كيف قال (بيدك الخير) فذكر الخير دون الشر (قلت) لان الكلام انما وقع في الخير الذي يسوقه الى المؤمنين وهو الذي انكرته الكفرة فقال بيدك الخير تؤتيه اولياءك على رغم من اعدائك ولان كل افعال الله تعالى من نافع وضار صادر عن الحكمة والمصلحة فهو خير كله كايتاء الملك ونزعه * ثم ذكر قدرته الباهرة بذكر حال الليل والنهار فى المعاقبة بينهما وحال الحى والميت فى اخراج احدهما من الآخر وعطف عليه رزقه بغير حساب دلالة على ان من قدر على تلك الافعال العظيمة المحيرة للافهام ثم قدر ان يرزق بغير حساب من يشاء من عباده فهو قادر على ان ينزع الملك من العجم ويذلهم ويؤتيه العرب ويعزهم وفى بعض الكتب انا الله ملك الملوك قلوب الملوك ونواصيهم بيدى فان العباد اطاعونى جعلتهم لهم رحمة وان العباد عصونى جعلتهم عليهم عقوبة فلا تشتغلوا بسب الملوك ولكن توبوا الى اعطفهم عليكم وهو معنى قوله عليه السلام كما تكونوا يولى عليكم * نهوا أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم او صداقة قبل الاسلام او غير ذلك من الاسباب التى يتصادق بها ويتعاشر وا وقد كرر ذلك فى القرآن ومن يتولهم منكم فانه منهم لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء لا تجد قوما يؤمنون بالله الآية والمحبة فى الله والبغض فى الله باب عظيم واصل من اصول الايمان (من دون المؤمنين) يعنى ان لكم فى موالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكافرين فلا تؤثروهم عليهم (ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء) ومن يوال الكفرة فليس من ولاية الله فى شيء يقع عليه اسم الولاية يعنى انه منسلخ من ولاية الله رأسا وهذا أمر معقول فان موالاة الولى وموالاة عدوه متنافيان قال

تود عدوى ثم تزعم اننى * صديقك ليس النوك عنك بعازب

(الا ان تتقوا منهم تقاة) الا ان تخافوا من جهتهم امرا يجب اتقاؤه * وقرئ تقية قيل للمتقى تقاة وتقية كقولهم ضرب الامير لمضروبه رخص لهم فى موالاتهم اذا خافوهم والمراد بتلك الموالاة مخالقة ومعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء وانتظار زوال المانع من قشر العصا كقول عيسى صلوات الله عليه كن وسطا وامش جانبا (ويحذركم الله نفسه) فلا تتعرضوا لسخطه بموالاة اعدائه وهذا وعيد شديد ويجوز ان يضمن تتقوا معنى تحذروا وتخافوا فيعدى بمن وينتصب تقاة او تقية على المصدر كقوله تعالى اتقوا الله حق تقاته (ان تخفوا ما فى صدوركم او تبدوه) من ولاية الكفار او غيرها مما لا يرضى الله (يعلمه) ولم يخف عليه وهو الذى (يعلم ما فى السموات وما فى الارض) لا يخفى عليه منه شيء قط فلا يخفى عليه سركم وعلنكم (والله على كل شيء قدير) فهو قادر على عقوبتكم وهذا بيان لقوله ويحذركم الله نفسه لان نفسه وهى ذاته المتميزة من سائر الذوات متصفة بعلم ذاتى لا تختص بمعلوم دون معلوم فهى متعلقة بالمعلومات كلها وبقدرة ذاتية لا تختص بمقدور دون مقدور فهى قادرة على المقدورات كلها فكان حقها ان تحذر وتتقى فلا يجسر احد على قبيح ولا يقصر عن واجب فان ذلك مطلع عليه لا محالة فلاحق به العقاب ولو علم بعض عبيد السلطان انه اراد الاطلاع على احواله فوكل همه بما يورد ويصدر ونصب عليه عيونا وبث من يتجسس عن بواطن اموره لاخذ حذره وتيقظ فى امره واتقى كل ما يتوقع فيه الاسترابة به فما بال من علم ان العالم الذات الذى يعلم السر واخفى مهيمن عليه وهو آمن اللهم انا نعوذ بك من اغترارنا بسترك (يوم تجد) منصوب بتود * والضمير فى بينه لليوم اى يوم القيامة حين

بيدك الخير انك على كل شيء قدير تولج الليل فى النهار وتولج النهار فى الليل وتخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى وترزق من تشاء بغير حساب لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله فى شيء الا ان تتقوا منهم تقاة

تجد كل نفس خيرها وشرها حاضرين تتمنى لو ان بينها و بين ذلك اليوم وهوله أمدا بعيدا و يجوز ان ينتصب يوم تجد بمضمر نحو اذكر و يقع على ما عملت وحده و يرتفع وما عملت على الابتداء و تود خبره اى والذى عملته من سوء تود هي لو تباعد ما بينها و بينه ولا يصح ان تكون ما شرطية لارتفاع تود (فان قلت) فهل يصح ان تكون شرطية على قراءة عبد الله ودت (قلت) لا كلام في صحته ولكن الحمل على الابتداء والخبر اوقع في المعنى لانه حكاية الكائن في ذلك اليوم واثبت لموافقة قراءة العامة و يجوز ان يعطف وما عملت على ما عملت و يكون تود حالا اى يوم تجد عملها محضرا وادة تباعد ما بينها و بين اليوم او عمل السوء محضرا كقوله تعالى ووجدوا ما عملوا حاضرا يعني مكتوبا في صحفهم يقرؤنه ونحوه فينبئهم بما عملوا أحصاه الله ونسوه * والامد المسافة كقوله تعالى ياليت بيني و بينك بعد المشرقين * وكرر قوله (و يحذركم الله نفسه) ليكون على بال منهم لا يغفلون عنه (والله رؤف بالعباد) يعني ان تحذيره نفسه وتعريفه حالها من العلم والقدرة من الرأفة العظيمة بالعباد لانهم اذا عرفوه حق المعرفة وحذروه دعاهم ذلك الى طلب رضاه واجتناب سخطه وعن الحسن من رأفته بهم ان حذرهم نفسه و يجوز ان يريد انه مع كونه محذور العقاب وقدرته مرجو لسعة رحمته كقوله تعالى ان ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم * محبة العباد لله مجاز عن ارادة نفوسهم اختصاصه بالعبادة دون غيره ورغبتهم فيها و محبة الله عباده ان يرضى عنهم و يحمد فعلهم والمعنى ان كنتم مريدين لعبادة الله على الحقيقة (فاتبعوني) حتى يصح ما تدعونه من ارادة عبادته يرض عنكم و يغفر لكم وعن الحسن زعم أقوام على عهد رسول الله ﷺ انهم يحبون الله فاراد ان يجعل لقولهم تصديقا من عمل فمن ادعى محبته وخالف سنة رسوله فهو كذاب وكتاب الله يكذبه واذا رأيت من يذكر محبة الله و يصفق بيديه مع ذكرها و يطرب و ينعر و يصعق فلا تشك في انه لا يعرف ما الله ولا يدري ما محبة الله وما تصفيقه وطربه ونعرته وصعقته الا لانه تصور في نفسه الخبيثة صورة مستملحة معشقة فسماها الله بجهله ودعارته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رأيت المني قد ملأ ازار ذلك المحب عند صعقته وحمقى العامة على حواليه قد ملؤا أردانهم بالدموع لما رققهم من حاله * وقرئ تحبون ويحببكم ويحبكم من حبه يحبه قال

أحب أبا ثروان من حب تمره * واعلم ان الرفق بالجار أرفق

ووالله لولا تمره ما حببته * ولا كان أدنى من عبيد ومشرق

(فان تولوا) يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا و يدخل في جملة ما يقول الرسول لهم (آل ابراهيم) اسمعيل واسحق واولادهما (آل عمران) موسى وهرون ابنا عمران بن يصهر وقيل عيسى ومريم بنت عمران بن ماثان و بين العمرانين ألف وثمانمائة سنة و(ذرية) بدل من آل ابراهيم وآل عمران (بعضها من بعض) يعني ان الآلين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر و يصهر من قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب و يعقوب من اسحق وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشي بن يهوذا بن يعقوب بن اسحق وقد دخل في آل ابراهيم رسول الله ﷺ وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض (والله سميع عليم) يعلم من يصلح للاصطفاء او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع عليم لقول امرأة عمران ونيتها و(اذ) منصوب به وقيل باضمار اذكر * وامرأة عمران هي امرأة عمران بن ماثان أم مريم البتول جدة عيسى عليه السلام وهي حنة بنت فاقوذ وقوله (اذ قالت امرأت عمران) على أثر قوله وآل عمران مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الآخر يرجحه ان موسى يقرن بابراهيم كثيرا في الذكر (فان قلت) كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم أكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران هذا هو ابو مريم البتول دون عمران ابي مريم التي هي أخت موسى وهرون (قلت) كفى بكفالة زكريا دليلا على انه عمران ابو البتول لان زكريا بن آذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع أخت مريم فكان يحيي وعيسى ابني خالة * روى انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا

و يحذركم الله نفسه والى الله المصير قل ان تخفوا ما في صدوركم او تبدوه يعلمه الله و يعلم ما في السموات وما في الارض والله على كل شيء قدير يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها و بينه أمدا بعيدا و يحذركم الله نفسه والله رؤف بالعباد قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله و يغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم قل أطيعوا الله والرسول فان تولوا فان الله لا يحب الكافرين ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم اذ قالت امرأة عمران رب اني نذرت لك ما في بطني

---

* قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين (قال محمود آل عمران موسى وهارون الخ) قال احمد ومما يرجح هذا القول الثاني ان السورة تسمي آل عمران ولم تشرح قصة عيسى ومريم في سورة أبسط من شرحها في هذه السورة واما موسى وهارون فلم يذكر من قصتهما في هذه السورة فدل ذلك على ان عمران المذكور ههنا هو ابو مريم والله أعلم.

قوله تعالى اذ قالت امرأة عمران الى قوله فلما وضعتها (قال محمود الضمير عائد الى ما فى بطنى الخ) قال احمد الضمير فى قوله وضعتها يتناول اذا ما نسب اليها الوضع والانوثة فالحال واقعة عليها من حيث الجهة العامة وتلك الجهة كونها شيأ وضع لا لخصوص نسبة الانوثة اليها وقدمر هذا البحث بعينه عند قوله تعالى فان لم يكونا رجلين (عاد كلامه) قال وانما ارادت بقولها وضعتها انثى التحسر والتأسف الخ قال احمد هذا التاويل على انه من كلام الله تعالى لا حكاية عنها وقد ذكر اهل التفسير تاويلا آخر وهو ان يكون هذا القول قولها حكاه الله تعالى عنها اعنى قوله وليس الذكر كالانثى ويرشد اليه عطف كلامها عليه وهو قوله وانى سميتها مريم الخ ويوردون على هذا الوجه

ان قياس كونه من قولها ان يكون وليست الانثى كالذكر فان مقصودها تنقيص الانثى بالنسبة الى الذكر والعادة فى مثله ان ينفى عن الناقص شبهه بالكامل لا العكس وقد وجد الامر فى ذلك مختلفا فلم يثبت لى عين ما قالوه الا ترى الى قوله تعالى لستن كاحد من النساء فنفى عن الكامل شبه الناقص مع ان الكمال لازواج النبى عليه الصلاة والسلام ثابت بالنسبة الى عموم النساء وعلى ذلك جاءت عبارة امراة عمران والله اعلم ومنه ايضا أفمن يخلق كمن لا يخلق (عاد كلامه) قال وفائدة قولها وانى سميتها مريم ان مريم فى لغتهم العابدة الخ (قال احمد) اما الحديث فمذكور فى الصحاح متفق على صحته فلا محيص له اذا عن تعطيل كلامه عليه السلام بتحميله ما لا يحتمله جنوحا الى اعتزال مفترع فى فلسفة منتزعة فى الحاد ظلمات بعضها فوق بعض وقد قدمت عند قوله تعالى لا يقومون الا كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ما فيه كفاية وما ارى الشيطان الا طعن فى خواصر القدرية حتى بقرها وذكر فى قلوبهم حتى حمل الزمخشرى وامثاله ان يقول فى كتاب الله تعالى وكلام رسوله عليه السلام بما يتخيل كما قال فى هذا الحديث ثم نظره بتخييل ابن الرومى فى شعره جراءة وسوء أدب ولو كان معنى ما قاله صحيحا لكانت هذه العبارة واجبا ان تجتنب ولو كان الصراخ غير واقع من المولود لامكن على بعد ان يكون تمثيلا ولا ما هو واقع مشاهد فلا وجه لحمله على التخييل الا اعتقاد التضليل وارتكاب الهوى الوبيل

محررا فتقبل منى انك انت السميع العليم فلما وضعتها قالت رب انى وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالانثى وانى سميتها مريم وانى اعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم

هى فى ظل شجرة بصرت بطائر يطعم فرخاله فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك على نذرا شكرا ان رزقتنى ولدا أن أتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهى حامل (محررا) معتقا لخدمة بيت المقدس لا يدلى عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشىء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروى انهم كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وبين ان لا يفعل وعن الشعبى محررا مخلصا للعبادة وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير أو طلبت ان ترزق ذكرا (فلما وضعتها) الضمير لما فى بطنى وانما انث على المعنى لان ما فى بطنها كان انثى فى علم الله او على تاويل الحبلة أو النفس او النسمة *(فان قلت) كيف جاز انتصاب (انثى) حالا من الضمير فى وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى (قلت) الاصل وضعته انثى وانما انث لتأنيث الحال لان الحال وذا الحال لشىء واحد كما انث الاسم فى ما كانت امك لتأنيث الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة او النسمة فهو ظاهر كانه قيل انى وضعت الحبلة او النسمة انثى (فان قلت) فلم قالت انى وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول (قلت) قالته تحسرا على ما رأت من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته محررا للسدانة *ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى (والله اعلم بما وضعت) تعظيما لموضوعها وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشىء الذى وضعت وما علق به من عظائم الامور وان يجعله وولده آية للعالمين وهى جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفى قراءة ابن عباس والله اعلم بما وضعت على خطاب الله تعالى لها اى انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شأنه وعلو قدره وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله تعالى فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها *(فان قلت) فما معنى قوله (وليس الذكر كالانثى) (قلت) هو بيان لما فى قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه وليس الذكر الذى طلبت كالانثى التى وهبت لها واللام فيهما للعهد *(فان قلت) علام عطف قوله (وانى سميتها مريم) (قلت) هو عطف على انى وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله تعالى وانه لقسم لو تعلمون عظيم (فان قلت) فلم ذكرت تسميتها مريم لربها (قلت) لان مريم فى لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها من الشيطان واغوائه وما يروى من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان فى اغوائه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان فى صفتهما كقوله تعالى لاغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه ونحوه من التخييل قول ابن الرومى

لما تؤذن الدنيا به من صروفها * يكون بكاء الطفل ساعة يولد

واماحقيقة المس والنخس كما يتوهم أهل الحشو فكلا ولوسلط ابليس على الناس بنخسهم لامتلأت الدنيا صراخا وعياطا مما يبلونا به من نخسه (فتقبلها ربها) فرضي بها في النذر مكان الذكر (بقبول حسن) فيه وجهان أحدهما ان يكون القبول اسم ما تقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام الذكر في النذر ولم يقبل قبلها أنثى في ذلك أو بأن تسلمها من أمها عقيب الولادة قبل ان تنشأ وتصلح للسدانة * وروى ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد ووضعتها عند الاحبار أبناء هرون وهم في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب قربانهم وكانت بنو ماثان رؤس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا أنا أحق بها عندي خالتها فقالوا لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه أقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت أقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن أي بأمر ذي قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقصاه بمعنى استقصاه وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا أخذه باوله وعنفوانه قال القطامي

وخير الأمر ما استقبلت منه * وليس بان تتبعه اتباعا

ومنه المثل خذ الامر بقوابله أي فاخذها في أول أمرها حين ولدت بقبول حسن (وانبتها نباتا حسنا) مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع أحوالها * وقرىء وكفلها زكريا بوزن وعملها (وكفلها زكرياء) بتشديد الفاء ونصب زكرياء الفعل لله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة أبي وأكفلها من قوله تعالى فقال اكفلنيها وقرأ مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك أي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها * قيل بنى لها زكريا محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كأنها وضعت في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب (وجد عندها رزقا) كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء (أنى لك هذا) من اين لك هذا الرزق الذي لا يشبه ارزاق الدنيا وهو آت في غير حينه والابواب مغلقة عليك لا سبيل للداخل به اليك (قالت هو من عند الله) فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسي وهو في المهد وعن النبي صلي الله عليه وسلم أنه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم آثرته بها فرجع بها اليها وقال هلمي يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت أنها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله عليه وسلم أنى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه الصلاة والسلام الحمد لله الذي جعلك شبيهة بسيدة نساء بني اسرائيل ثم جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم على بن ابى طالب والحسن والحسين وجميع أهل بيته فاكلوا عليه حتى شبعوا وبقي الطعام كما هو فاوسعت فاطمة على جيرانها (ان الله يرزق) من جملة كلام مريم عليها السلام أو من كلام رب العزة عز من قائل (بغير حساب) بغير تقدير لكثرته او تفضلا بغير محاسبة ومجازاة على عمل بحسب الاستحقاق (هنالك) في ذلك المكان حيث هو قاعد عند مريم في المحراب او في ذلك الوقت فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان لما رأى حال مريم في كرامتها على الله ومنزلتها رغب في أن يكون له من ايشاع ولد مثل ولد اختها حنة في النجابة والكرامة على الله وان كانت عاقرا عجوزا فقد كانت أختها كذلك وقيل لما رأى الفاكهة في غير وقتها انتبه على جواز ولادة العاقر (ذرية) ولدا والذرية تقع على الواحد والجمع (سميع الدعاء) مجيبه * قرىء فناداه الملائكة وقيل ناداه جبريل عليه السلام وانما قيل الملائكة على قولهم فلان يركب الخيل (ان الله يبشرك) بالفتح على بان الله وبالكسر على ارادة القول أو لان النداء نوع من القول وقرىء يبشرك ويبشرك من بشره وابشره ويبشرك بفتح الباء من بشره * ويحيي ان كان أعجميا وهو الظاهر فمنع صرفه للتعريف والعجمة كموسي وعيسي وان كان عربيا

فتقبلها ربها بقبول حسن وانبتها نباتا حسنا وكفلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أني لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب هنالك دعا زكريا ربه قال رب هب لي من لدنك ذرية طيبة انك سميع الدعاء فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب ان الله يبشرك بيحيي

قوله تعالى هنالك دعا زكريا ربه (قال محمود فقد يستعار هنا وثم وحيث للزمان الخ) قال احمد لا يليق بالنبي أن يقف علمه بجواز ولادة العاقر على مشاهدة مثله فان العقل يقضي بجواز ذلك في قدرة الله تعالى وان لم يقع نظيره وأحسن من هذه العبارة وأسلم أن يقال لما شاهد وقوع هذا الحادث كرامة لمريم امتد امله الى حادث يناسبه كرامة له والله أعلم

فالتعريف ووزن الفعل كيعمر (مصدقا بكلمة من الله) مصدقا بعيسى مؤمنا به قيل هو أول من آمن به وسمي عيسى كلمة لانه لم يوجد الا بكلمة الله وحدها وهي قوله كن من غير سبب آخر وقيل مصدقا بكلمة من الله مؤمنا بكتاب منه وسمي الكتاب كلمة كما قيل كلمة الحويدرة لقصيدته * والسيد الذي يسود قومه اى يفوقهم في الشرف وكان يحيى فائقا لقومه وفائقا للناس كلهم في انه لم يركب سيئة قط ويالها من سيادة * والحصور الذي لا يقرب النساء حصرا لنفسه أى منعا لها من الشهوات وقيل هو الذي لا يدخل مع القوم في الميسر قال الاخطل

وشارب مربح بالكاس نادمني * لا بالحصور ولا فيها بسآر

فاستعير لمن لا يدخل في اللعب واللهو وقد روي انه مر وهو طفل بصبيان فدعوه الى اللعب فقال ما للعب خلقت (من الصالحين) ناشئا من الصالحين لانه كان من أصلاب الانبياء او كائنا من جملة الصالحين كقوله وانه في الآخرة لمن الصالحين (انى يكون لى غلام) استبعاد من حيث العادة كما قالت مريم (وقد بلغني الكبر) كقولهم ادركته السن العالية والمعنى أثر فيّ الكبر فاضعفني وكانت له تسع وتسعون سنة ولامرأته ثمان وتسعون (كذلك) اى يفعل الله ما يشاء من الافعال العجيبة مثل ذلك الفعل وهو خلق الولد بين الشيخ الفاني والعجوز العاقر او كذلك الله مبتدأ وخبر أي على نحو هذه الصفة الله ويفعل ما يشاء بيان له اى يفعل ما يريد من الافاعيل الخارقة للعادات (آية) علامة أعرف بها الحبل لاتلقى النعمة اذا جاءت بالشكر (قال آيتك ان لا) تقدر على تكليم الناس (ثلاثة ايام) وانما خص تكليم الناس ليعلمه انه يحبس لسانه عن القدرة على تكليمهم خاصة مع ابقاء قدرته على التكلم بذكر الله ولذلك قال (واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار) يعني في ايام عجزك عن تكليم الناس وهي من الآيات الباهرة (فان قلت) لم حبس لسانه عن كلام الناس (قلت) ليخلص المدة لذكر الله لا يشغل لسانه بغيره توفرا منه على قضاء حق تلك النعمة الجسيمة وشكرها الذي طلب الآية من اجله كانه لما طلب الآية من اجل الشكر قيل له آيتك ان تحبس لسانك الا عن الشكر واحسن الجواب واوقعه ما كان مشتقا من السؤال ومنتزعا منه (الا رمزا) الا اشارة بيد اوراس او غيرهما واصله التحرك يقال ارتمز اذا تحرك ومنه قيل للبحر الراموز وقرأ يحيى بن وثاب الا رمزا بضمتين جمع رموز كرسول ورسل وقرئ رمزا بفتحتين جمع رامز كخادم وخدم وهو حال منه ومن الناس دفعة كقوله

متى ما تلقني فردين ترجف * روانف اليتيك وتستطارا

بمعنى الا مترامزين كما يكلم الناس الاخرس بالاشارة ويكلمهم * والعشي من حين تزول الشمس الى ان تغيب و(الابكار) من طلوع الفجر الى وقت الضحى وقرئ والابكار بفتح الهمزة جمع بكر كسحر واسحار يقال اتيته بكرا بفتحتين (فان قلت) الرمز ليس من جنس الكلام فكيف استثنى منه (قلت) لما ادى مؤدى الكلام وفهم منه ما يفهم منه سمي كلاما ويجوز ان يكون استثناء منقطعا (يا مريم) روي انهم كلموها شفاها معجزة لزكريا او ارهاصا لنبوة عيسى (اصطفاك) اولا حين تقبلك من امك وربّاك واختصك بالكرامة السنية (وطهرك) مما يستقذر من الافعال ومما قرفك به اليهود (واصطفاك) آخرا (على نساء العالمين) بان وهب لك عيسى من غير اب ولم يكن ذلك لاحد من النساء * امرت بالصلاة بذكر القنوت والسجود لكونهما من هيآت الصلاة واركانها ثم قيل لها (واركعي مع الراكعين) بمعنى ولتكن صلاتك مع المصلين اى في الجماعة او انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عدادهم ولا تكوني في عداد غيرهم ويحتمل ان يكون في زمانها من كان يقوم ويسجد في صلاته ولا يركع وفيه من يركع فامرت بان تركع مع الراكعين ولا تكون مع من لا يركع (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبا زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني ان ذلك من الغيوب التي لم تعرفها الا بالوحي * (فان قلت) لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهة وترك نفي استماع الانباء من حفاظها وهو موهوم (قلت) كان معلوما عندهم علما يقينا انه ليس من اهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي فلم يبق الا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بانه لا سماع له

مصدقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين قال رب اني يكون لي غلام وقد بلغني الكبر وامرأتي عاقر قال كذلك الله يفعل ما يشاء قال رب اجعل لي آية قال آيتك ألا تكلم الناس ثلاثة ايام الا رمزا واذكر ربك كثيرا وسبح بالعشي والابكار واذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي واركعي مع الراكعين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون

*قوله تعالى ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى بن مريم (قال محمود ان قلت لم قيل عيسى بن مريم والخطاب لمريم الخ) قال احمد و يحقق هذا الجواب قولها اني يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر فانه لم يتقدم فى وعد الله لها بالولد ما يدل على انه من غير اب الا انه اسا نسبه اليها دل على انها فهمت من ذلك كونه من غير اب والله اعلم (عاد كلامه) قال فان قلت لم قيل اسمه المسيح عيسى بن مريم الخ

ولا قراءة ونحوه وما كنت بجانب الغربي وما كنت بجانب الطور وما كنت لديهم اذ أجمعوا أمرهم (أقلامهم) أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل هي الاقلام التى كانوا يكتبون بها التوراة اختاروها للقرعة تبركا بها (اذ يختصمون) فى شانها تنافسا فى التكفل بها * (فان قلت) أيهم يكفل بم يتعلق (قلت) بمحذوف دل عليه يلقون اقلامهم كانه قيل يلقونها ينظرون أيهم يكفل أو ليعلموا أو يقولون (المسيح) لقب من الالقاب المشرفة كالصديق والفاروق واصله مشيحا بالعبرانية ومعناه المبارك كقوله وجعلنى مباركا أينما كنت وكذلك (عيسى) معرب من ايشوع ومشتقهما من المسح والعيس كالراقم فى الماء * (فان قلت) اذ قالت بما يتعلق (قلت) هو بدل من واذ قالت الملائكة ويجوز ان يبدل من اذ يختصمون على ان الاختصام والبشارة وقعا في زمان واسع كما تقول لقيته سنة كذا * (فان قلت) لم قيل عيسى ابن مريم والخطاب لمريم (قلت) لان الابناء ينسبون الى الآباء لا الى الامهات فاعلمت بنسبته اليها أنه يولد من غير أب فلا ينسب الا الى أمه وبذلك فضلت واصطفيت على نساء العالمين (فان قلت) لم ذكر ضمير الكلمة (قلت) لان المسمي بها مذكر (فان قلت) لم قيل اسمه المسيح عيسى ابن مريم وهذه ثلاثة أشياء الاسم منها عيسى وأما المسيح والابن فلقب وصفة (قلت) الاسم للمسمي علامة يعرف بها ويتميز من غيره فكانه قيل الذى يعرف به ويتميز ممن سواه مجموع هذه الثلاثة (وجيها) حال من كلمة وكذلك قوله ومن المقربين ويكلم ومن الصالحين أي يبشرك به موصوفا بهذه الصفات وصح انتصاب الحال من النكرة لكونها موصوفة * والوجاهة في الدنيا النبوة والتقدم على الناس وفى الآخرة الشفاعة وعلو الدرجة فى الجنة * وكونه (من المقربين) رفعه الى السماء وصحبته للملائكة * والمهد ما يمهد للصبي من مضجعه سمي بالمصدر و (فى المهد) فى محل النصب على الحال (وكهلا) عطف عليه بمعنى ويكلم الناس طفلا وكهلا ومعناه يكلم الناس فى هاتين الحالتين كلام الانبياء من غير تفاوت بين حال الطفولة وحال الكهولة التي يستحكم فيها العقل ويستنبأ فيها الانبياء * ومن بدع التفاسير ان قولها (رب) نداء لجبريل عليه السلام بمعنى يا سيدى (ونعلمه) عطف على يبشرك او على وجيها او على يخلق او هو كلام مبتدأ وقرأ عاصم ونافع ويعلمه بالياء * (فان قلت) علام تحمل ورسولا ومصدقا من المنصوبات المتقدمة وقوله اني قد جئتكم ولما بين يدى يابي حمله عليها (قلت) هو من المضائق وفيه وجهان أحدهما ان يضمر له وارسلت على ارادة القول تقديره ونعلمه الكتاب والحكمة ويقول ارسلت رسولا بانى قد جئتكم ومصدقا لما بين يدى والثاني ان الرسول والمصدق فيهما معنى النطق فكانه قيل وناطقا بانى قد جئتكم وناطقا باني اصدق ما بين يدى وقرأ اليزيدى ورسول عطفا على كلمة (أني قد جئتكم) اصله ارسلت باني قد جئتكم فحذف الجار وانتصب بالفعل و (انى أخلق) نصب بدل من أنى قد جئتكم أو جر بدل من آية أو رفع على هى أني اخلق لكم وقرئ انى بالكسر على الاستئناف أى أقدر لكم شيا مثل صورة الطير (فانفخ فيه) الضمير للكاف اى في ذلك الشيء المماثل لهيئة الطير (فيكون طيرا) فيصير طيرا كسائر الطيور حيا طيارا وقرأ عبد الله فانفخها قال * كالهبرقي تنحي ينفخ الفحما * وقيل لم يخلق غير الخفاش (الاكمه) الذى ولد اعمي وقيل هو الممسوح العين ويقال لم يكن فى هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة السدوسي صاحب التفسير وروى انه ربما اجتمع عليه خمسون الفا من المرضي من اطاق منهم اتاه ومن لم يطق اتاه عيسى وما كانت مداواته الا بالدعاء وحده * وكرر (باذن الله) دفعا لوهم من توهم فيه اللاهوتية * وروى انه

اقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها فى الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس فى المهد وكهلا ومن الصالحين قالت رب أنى يكون لى ولد ولم يمسسنى بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء اذا قضي أمرا فانما يقول له كن فيكون ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل ورسولا الى بنى اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله وأبرئ الاكمه والابرص وأحيي الموتي باذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ان فى ذلك لآية لكم ان كنتم مؤمنين ومصدقا لما بين يدى من التوراة

(قال أحمد) وفي هذا التقرير خلاص من اشكال يوردونه فيقولون المسيح فى الآية ان اريد به التسمية وهو الظاهر فما موقع قوله عيسى بن مريم والتسمية لا توصف بالنبوة وان اريد بالمسيح المسمى بهذه التسمية لم يلتئم مع قوله اسمه ويجاب عن الاشكال بان المسيح خبر عن قوله اسمه والمراد التسمية واما عيسى بن مريم فخبر مبتدا محذوف تقديره هو عيسى بن مريم ويكون الضمير عائدا الى المسمى بالتسمية المذكورة منقطعا عن قوله المسيح والذى قرره الزمخشرى لا يرد عليه هذا الاشكال وهو حسن جدا والله اعلم

ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله واطيعون ان الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم فلما أحس عيسى منهم الكفر قال من أنصاري الى الله قال الحواريون نحن انصار الله آمنا بالله واشهد بانا مسلمون ربنا آمنا بما أنزلت واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين اذ قال الله يا عيسي اني متوفيك ورافعك الى ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا الى يوم القيامة ثم الى مرجعكم فاحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون فاما الذين كفروا فاعذبهم عذابا شديدا في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين واما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم أجورهم والله لا يحب الظالمين ذلك نتلوه عليك من الآيات والذكر الحكيم ان مثل عيسي عند الله كمثل آدم خلقه من تراب

احيا سام بن نوح وهم ينظرون فقالوا هذا سحر فأرنا آية فقال يافلان أكلت كذا ويافلان خبيء لك كذا *وقرىء تذخرون بالذال والتخفيف (ولأحل) رد على قوله بآية من ربكم أي جئتكم بآية من ربكم ولاحل لكم ويجوز ان يكون مصدقا مردودا عليه أيضا اي جئتكم بآية وجئتكم مصدقا * وما حرم الله عليهم في شريعة موسي الشحوم والثروب ولحوم الابل والسمك وكل ذى ظفر فأحل لهم عيسى بعض ذلك قيل احل لهم من السمك والطير ما لا صيصية له واختلفوا في احلاله لهم السبت وقرىء حرم عليكم على تسمية الفاعل وهو ما بين يدى من التوراة أو الله عزوجل أو موسي عليه السلام لان ذكر التوراة دل عليه ولانه كان معلوما عندهم وقرىء حرم بوزن كرم (وجئتكم بآية من ربكم) شاهدة على صحة رسالتي وهي قوله (ان الله ربي وربكم) لان جميع الرسل كانوا على هذا القول لم يختلفوا فيه وقرىء بالفتح على البدل من آية وقوله فاتقوا الله واطيعون اعتراض (فان قلت) كيف جعل هذا القول آية من ربه (قلت) لان الله تعالى جعله له علامة يعرف بها انه رسول كسائر الرسل حيث هداه للنظر في ادلة العقل والاستدلال ويجوز ان يكون تكريرا لقوله جئتكم بآية من ربكم اى جئتكم بآية بعد اخرى مما ذكرت لكم من خلق الطير والابراء والاحياء والانباء بالخفيات وبغيره من ولادتي بغير أب ومن كلامي في المهد ومن سائر ذلك وقرأ عبد الله وجئتكم بآيات من ربكم فاتقوا الله لما جئتكم به من الآيات وأطيعوني فيما ادعوكم اليه ثم ابتدأ فقال ان الله ربي وربكم ومعنى قراءة من فتح ولان الله ربي وربكم فاعبدوه كقوله لايلاف قريش فليعبدوا ويجوز ان يكون المعنى وجئتكم بآية على ان الله ربي وربكم وما بينهما اعتراض (فلما احس) فلما علم منهم (الكفر) علما لاشبهة فيه كعلم ما يدرك بالحواس و (الى الله) من صلة أنصاري مضمنا معنى الاضافة كانه قيل من الذين يضيفون أنفسهم الى الله ينصرونني كما ينصرني أو يتعلق بمحذوف حالا من الياء أى من أنصاري ذاهبا الى الله ملتجئا اليه (نحن أنصار الله) أي أنصار دينه ورسوله *وحوارى الرجل صفوته وخالصته ومنه قيل للحضريات الحواريات لخلوص ألوانهن ونظافتهن قال

فقل للحواريات يبكين غيرنا * ولا تبكنا الا الكلاب النوابح

وفي وزنه الحوالى وهو الكثير الحيلة *وانما طلبوا اشهادته باسلامهم تأكيدا لايمانهم لان الرسل يشهدون يوم القيامة لقومهم وعليهم (مع الشاهدين) مع الانبياء الذين يشهدون لاممهم أو مع الذين يشهدون بالوحدانية وقيل مع امة محمد صلى الله عليه وسلم لانهم شهداء على الناس (ومكروا) الواو لكفار بني اسرائيل الذين احس منهم الكفر ومكرهم انهم وكلوا به من يقتله غيلة (ومكر الله) ان رفع عيسى الى السماء وألقى شبهه على من أراد اغتياله حتى قتل (والله خير الماكرين) اقواهم مكرا وأنفذهم كيدا واقدرهم على العقاب من حيث لا يشعر المعاقب (اذ قال الله) ظرف لخير الماكرين أو لمكر الله (انى متوفيك) أى مستوفى اجلك ومعناه اني عاصمك من ان يقتلك الكفار ومؤخرك الى اجل كتبته لك ومميتك حتف انفك لا قتلا بايديهم (ورافعك الى) الى سمائي ومقر ملائكتى (ومطهرك من الذين كفروا) من سوء جوارهم وخبث صحبتهم وقيل متوفيك قابضك من الارض من توفيت مالى على فلان اذا استوفيته وقيل مميتك في وقتك بعد النزول من السماء ورافعك الآن وقيل متوفى نفسك بالنوم من قوله والتي لم تمت في منامها ورافعك وأنت نائم حتى لا يلحقك خوف وتستيقظ وأنت في السماء آمن مقرب (فوق الذين كفروا الى يوم القيامة) يعلونهم بالحجة وفي أكثر الاحوال بها وبالسيف ومتبعوه هم المسلمون لانهم متبعوه في اصل الاسلام وان اختلفت الشرائع دون الذين كذبوه وكذبوا عليه من اليهود والنصارى (فاحكم بينكم) تفسير الحكم قوله (فاعذبهم * فنوفيهم اجورهم) وقرىء فيوفيهم بالياء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبا عيسى وغيره وهو مبتدأ خبره (نتلوه) و (من الآيات) خبر بعد خبر او خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون ذلك بمعنى الذى ونتلوه صلته ومن الآيات الخبر ويجوز ان ينتصب ذلك بمضمر يفسره نتلوه (والذكر الحكيم) القرآن وصف بصفة من هو من سببه او كانه ينطق بالحكمة لكثرة حكمه (ان مثل عيسى) ان شان عيسي وحاله الغريبة كشان آدم وقوله (خلقه من تراب)

جملة مفسرة لماله شبه عيسى بآدم أي خلق آدم من تراب ولم يكن ثمة أب ولا أم فكذلك حال عيسى (فان قلت) كيف شبه به وقد وجد هو بغير أب ووجد آدم بغير أب وأم (قلت) هو مثيله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به لان المماثلة مشاركة في بعض الاوصاف ولانه شبه به في انه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة وهما في ذلك نظيران ولان الوجود من غير أب وام أغرب وأخرق للعادة من الوجود من غير أب فشبه الغريب بالاغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو اغرب مما استغربه وعن بعض العلماء انه أسر بالروم فقال لهم لم تعبدون عيسى قالوا لانه لا أب له قال فآدم اولى لانه لا أبوين له قالوا كان يحيي الموتى قال فحزقيل أولى لان عيسى أحيا اربعة نفر وأحيا حزقيل ثمانية آلاف فقالوا كان يبرئ الاكمه والابرص قال فجرجيس أولى لانه طبخ وأحرق ثم قام سالما * خلقه من تراب قدره جسدا من طين (ثم قال له كن) اى انشأه بشرا كقوله ثم أنشأناه خلقا آخر (فيكون) حكاية حال ماضية (الحق من ربك) خبر مبتدا محذوف اى هو الحق كقول اهل خيبر محمد والخميس * ونهيه عن الامتراء وجل رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكون ممتريا من باب التهييج لزيادة الثبات والطمأنينة وان يكون لطفا لغيره (فمن حاجك) من النصارى (فيه) في عيسى (من بعد ما جاءك من العلم) أى من البينات الموجبة للعلم (تعالوا) هلموا والمراد المجيء بالرأي والعزم كما تقول تعال نفكر في هذه المسئلة (ندع أبناءنا وابناءكم) اى يدع كل مني ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة (ثم نبتهل) ثم نتباهل بان نقول بهلة الله على الكاذب منا ومنكم والبهلة بالفتح والضم اللعنة وبهله الله لعنه وأبعده من رحمته من قولك أبهله اذا أهمله وناقة باهل لا صرار عليها واصل الابتهال هذا ثم استعمل في كل دعاء يجتهد فيه وان لم يكن التعانا * وروى انهم لما دعاهم الى المباهلة قالوا حتى نرجع وننظر فلما تخالوا قالوا للعاقب وكان ذا رأيهم يا عبد المسيح ما ترى فقال والله لقد عرفتم يامعشر النصارى أن محمدا نبي مرسل ولقد جاءكم بالفصل من أمر صاحبكم والله ما باهل قوم نبيا قط فعاش كبيرهم ولا نبت صغيرهم ولئن فعلتم لتهلكن فان ابيتم الا الف دينكم والاقامة على ما أنتم عليه فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم فأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد غدا محتضنا الحسين آخذا بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول اذا انا دعوت فأمنوا فقال أسقف نجران يامعشر النصارى اني لأرى وجوها لو شاء الله أن يزيل جبلا من مكانه لازاله بها فلا تباهلوا فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة فقالوا يا أبا القاسم رأينا ان لا نباهلك وان نقرك على دينك ونثبت على ديننا قال فاذا أبيتم المباهلة فأسلموا يكن لكم ما للمسلمين وعليكم ما عليهم فابوا قال فاني أناجزكم فقالوا مالنا بحرب العرب طاقة ولكن نصالحك على ان لا تغزونا ولا تخيفنا ولا تردنا عن ديننا على ان نؤدي اليك كل عام الفي حلة الف في صفر والف في رجب وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك وقال والذي نفسي بيده ان الهلاك قد تدلى على أهل نجران ولو لاعنوا لمسخوا قردة وخنازير ولاضطرم عليهم الوادي نارا ولاستأصل الله نجران وأهله حتى الطير على رؤس الشجر ولما حال الحول على النصارى كلهم حتى يهلكوا وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج وعليه مرط مرجل من شعر اسود فجاء الحسن فادخله ثم جاء الحسين فادخله ثم فاطمة ثم علي ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت (فان قلت) ما كان دعاؤه الى المباهلة الا ليتبين الكاذب منه ومن خصمه وذلك امر يختص به وبمن يكاذبه فما معنى ضم الابناء والنساء (قلت) ذلك آكد في الدلالة على ثقته بحاله واستيقانه بصدقه حيث استجرأ على تعريض أعزته وافلاذ كبده وأحب الناس اليه لذلك ولم يقتصر على تعريض نفسه له وعلى ثقته بكذب خصمه حتى يهلك خصمه مع أحبته وأعزته هلاك الاستئصال ان تمت المباهلة وخص الابناء والنساء لانهم أعز الاهل والصقهم بالقلوب وربما فداهم الرجل بنفسه وحارب دونهم حتى يقتل ومن ثمة كانوا يسوقون مع أنفسهم الظعائن في الحروب لتمنعهم من الهرب ويسمون الذادة عنها بارواحهم حماة الحقائق وقدمهم في الذكر على الانفس لينبه على لطف مكانهم وقرب منزلتهم وليؤذن بانهم مقدمون على الانفس مفدون بها وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل اصحاب

ثم قال له كن فيكون الحق من ربك فلا تكن من الممترين فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابناءنا وابناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين

ان هذا لهو القصص الحق وما من اله الا الله وان الله لهو العزيز الحكيم فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين قل يا اهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون يا أهل الكتاب لم تحاجون فى ابراهيم وما انزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولى المؤمنين ودت طائفة من اهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون الا انفسهم وما يشعرون يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار

الكساء عليهم السلام وفيه برهان واضح على صحة نبوة النبي صلى الله عليه وسلم لانه لم يرو احد من موافق ولا مخالف أنهم أجابوا الى ذلك (ان هذا) الذى قص عليك من نبا عيسي (لهو القصص الحق) قرئ بتحريك الهاء على الاصل وبالسكون لان اللام تنزل من هو منزلة بعضه فخفف كما خفف عضد وهو اما فصل بين اسم ان وخبرها واما مبتدأ والقصص الحق خبره والجملة خبر ان (فان قلت) لم جاز دخول اللام على الفصل (قلت) اذا جاز دخولها على الخبر كان دخولها على الفصل اجوز لانه أقرب الى المبتدا منه وأصلها ان تدخل على المبتدا ومن فى قوله (وما من اله الا الله) بمنزلة البناء على الفتح فى لا اله الا الله في افادة معنى الاستغراق والمراد الرد على النصارى في تثليثهم (فان الله عليم بالمفسدين) وعيد لهم بالعذاب المذكور فى قوله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون (يا أهل الكتاب) قيل هم أهل الكتابين وقيل وفد نجران وقيل يهود المدينة (سواء بيننا وبينكم) مستوية بيننا وبينكم لا يختلف فيها القرآن والتوراة والانجيل وتفسير الكلمة قوله (ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيأ ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) يعنى تعالوا اليها حتى لا نقول عزير ابن الله ولا المسيح ابن الله لان كل واحد منهما بعضنا بشر مثلنا ولا نطيع احبارنا فيما احدثوا من التحريم والتحليل من غير رجوع الى ما شرع الله كقوله تعالى اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا وعن عدي بن حاتم ما كنا نعبدهم يارسول الله قال أليس كانوا يحلون لكم ويحرمون فتاخذون بقولهم قال نعم قال هو ذاك وعن الفضيل لا أبالى اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة * وقرئ كلمة بسكون اللام * وقرأ الحسن سواء بالنصب بمعنى استوت استواء (فان تولوا) عن التوحيد (فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون) اى لزمتكم الحجة فوجب عليكم ان تعترفوا وتسلموا بأنا مسلمون دونكم كما يقول الغالب للمغلوب فى جدال او صراع اوغيرهما اعترف بأني أنا الغالب وسلم لى الغلبة ويجوز ان يكون من باب التعريض ومعناه اشهدوا واعترفوا بأنكم كافرون حيث توليتم عن الحق بعد ظهوره * زعم كل فريق من اليهود والنصارى ان ابراهيم كان منهم وجادلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين فيه فقيل لهم ان اليهودية انما حدثت بعد نزول التوراة والنصرانية بعد نزول الانجيل وبين ابراهيم وموسى ألف سنة وبينه وبين عيسي ألفان فكيف يكون ابراهيم على دين لم يحدث الا بعد عهده بازمنة متطاولة (أفلا تعقلون) حتى لا تجادلوا مثل هذا الجدال المحال (ها أنتم هؤلاء) ها للتنبيه وانتم مبتدا وهؤلاء خبره و(حاججتم) جملة مستأنفة مبينة للجملة الاولى يعنى انتم هؤلاء الاشخاص الحمقى وبيان حماقتكم وقلة عقولكم انكم جادلتم (فيما لكم به علم) مما نطق به التوراة والانجيل (فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم) ولا ذكر له فى كتابيكم من دين ابراهيم وعن الاخفش ها أنتم هو آأنتم على الاستفهام فقلبت الهمزة هاء ومعنى الاستفهام التعجب من حماقتهم وقيل هؤلاء بمعنى الذين وحاججتم صلته (والله يعلم) علم ما حاججتم فيه و(أنتم) جاهلون به * ثم اعلمهم بأنه برئ من دينكم وما كان الا (حنيفا مسلما وما كان من المشركين) كما لم يكن منكم اواراد بالمشركين اليهود والنصارى لاشراكهم به عزيرا والمسيح (ان اولى الناس بابراهيم) ان اخصهم به واقربهم منه من الولى وهو القرب (للذين اتبعوه) فى زمانه وبعده (وهذا النبي) خصوصا (والذين آمنوا) من أمته وقرئ وهذا النبي بالنصب عطفا على الهاء فى اتبعوه اى اتبعوه واتبعوا هذا النبي وبالجر عطفا على ابراهيم (ودت طائفة) هم اليهود دعوا حذيفة وعمارا ومعاذا الى اليهودية (وما يضلون الا انفسهم) وما يعود وبال الاضلال الا عليهم لان العذاب يضاعف لهم بضلالهم واضلالهم او وما يقدرون على اضلال المسلمين وانما يضلون امثالهم من اشياعهم (بآيات الله) بالتوراة والانجيل وكفرهم بها انهم لا يؤمنون بما نطقت به من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيرها وشهادتهم اعترافهم بانها آيات الله اوتكفرون بالقرآن ودلائل نبوة الرسول (وأنتم تشهدون) نعته فى الكتابين اوتكفرون بآيات الله جميعا وانتم تعلمون انها حق * قرئ تلبسون بالتشديد وقرأ يحيي بن وثاب تلبسون بفتح الباء اى تلبسون الحق مع الباطل كقوله كلابس ثوبي زور وقوله * اذا هو بالجدار تردى وتأزرا * (وجه النهار) اوله قال

من كان مسرورا بمقتل مالك * فليأت نسوتنا بوجه نهار

والمعنى اظهروا الايمان بما انزل على المسلمين فى اول النهار (واكفروا) به فى آخره لعلهم يشكون فى دينهم ويقولون ما رجعوا وهم اهل كتاب وعلم الا لامر قد تبين لهم فيرجعون برجوعكم وقيل تواطأ اثنا عشر من احبار يهود خيبر وقال بعضهم لبعض ادخلوا فى دين محمد اول النهار من غير اعتقاد واكفروا به آخر النهار وقولوا انا نظرنا فى كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمدا ليس بذلك المنعوت وظهر لنا كذبه وبطلان دينه فاذا فعلتم ذلك شك اصحابه فى دينهم وقيل هذا فى شان القبلة لما صرفت الى الكعبة قال كعب بن الاشرف لاصحابه آمنوا بما انزل عليهم من الصلاة الى الكعبة وصلوا اليها فى اول النهار ثم اكفروا به فى آخره وصلوا الى الصخرة لعلهم يقولون هم اعلم منا وقد رجعوا فيرجعون (ولا تؤمنوا) متعلق بقوله ان يؤتى احد وما بينهما اعتراض اى ولا تظهروا ايمانكم بأن يؤتى احد مثل ما أوتيتم الا لاهل دينكم دون غيرهم ارادوا أسروا تصديقكم بأن المسلمين قد اوتوا من كتب الله مثل ما أوتيتم ولا تفشوه الا الى اشياعكم وحدهم دون المسلمين لئلا يزيدهم ثباتا ودون المشركين لئلا يدعوهم الى الاسلام (أو يحاجوكم عند ربكم) عطف على ان يؤتى والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع بمعنى ولا تؤمنوا لغير اتباعكم ان المسلمين يحاجونكم يوم القيامة بالحق ويغالبونكم عند الله تعالى بالحجة (فان قلت) فما معنى الاعتراض (قلت) معناه ان الهدى هدى الله من شاء ان يلطف به حتى يسلم او يزيد ثباته على الاسلام كان ذلك ولم ينفع كيدكم وحيلكم وزيكم تصديقكم عن المسلمين والمشركين وكذلك قوله تعالى (قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء) يريد الهداية والتوفيق أو يتم الكلام عند قوله الا لمن تبع دينكم على معنى ولا تؤمنوا هذا الايمان الظاهر وهو ايمانهم وجه النهار الا لمن تبع دينكم الا ان كانوا تابعين لدينكم ممن اسلموا منكم لان رجوعهم كان ارجى عندهم من رجوع من سواهم ولان اسلامهم كان اغيظ لهم وقوله ان يؤتى معناه لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم قلتم ذلك ودبرتموه لا لشىء آخر يعنى ان ما بكم من الحسد والبغى ان يؤتى احد مثل ما اوتيتم من فضل العلم والكتاب دعاكم الى ان قلتم ما قلتم والدليل عليه قراءة ابن كثير أأن يؤتى احد بزيادة همزة الاستفهام للتقرير والتوبيخ بمعنى ألان يؤتى احد (فان قلت) فما معنى قوله او يحاجوكم على هذا (قلت) معناه دبرتم ما دبرتم لان يؤتى احد مثل ما أوتيتم ولما يتصل به عند كفركم به من محاجتهم لكم عند ربكم ويجوز ان يكون هدى الله بدلا من الهدى وان يؤتى احد خبر ان على معنى قل ان هدى الله ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم حتى يحاجوكم عند ربكم فيقرعوا باطلكم بحقهم ويدحضوا حجتكم * وقرئ ان يؤتى احد على ان النافية وهو متصل بكلام اهل الكتاب اى ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم وقولوا لهم ما يؤتى احد مثل ما أوتيتم حتى يحاجوكم عند ربكم يعنى ما يؤتون مثله فلا يحاجونكم ويجوز ان ينتصب ان يؤتى بفعل مضمر يدل عليه قوله ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم كأنه قيل قل ان الهدى هدى الله فلا تنكروا ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم لان قولهم ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم انكار لان يؤتى احد مثل ما أوتوا * عن ابن عباس (من ان تأمنه بقنطار) هو عبد الله بن سلام استودعه رجل من قريش الفا ومائتى اوقية ذهبا فاداه اليه و(من ان تأمنه بدينار) فنحاص بن عازوراء استودعه رجل من قريش دينارا فجحده وخانه وقيل المأمونون على الكثير النصارى لغلبة الامانة عليهم والخائنون فى القليل اليهود لغلبة الخيانة عليهم (الا ما دمت عليه قائما) الا مدة دوامك عليه يا صاحب الحق قائما على راسه متوكلا عليه بالمطالبة والتعنيف او بالرفع الى الحاكم واقامة البينة عليه * وقرئ يؤده بكسر الهاء والوصل وبكسرها بغير وصل وبسكونها وقرأ يحيى بن وثاب تئمنه بكسر التاء ودمت بكسر الدال من دام يدام (ذلك) اشارة الى ترك الاداء الذى دل عليه لم يؤده اى تركهم اداء الحقوق بسبب قولهم (ليس علينا فى الاميين سبيل) اى لا يتطرق علينا عتاب وذم فى شأن الاميين يعنون الذين ليسوا من اهل الكتاب وما فعلنا بهم من حبس اموالهم والاضرار

(قال محمود او يحاجوكم معطوف على ان يؤتى الخ) قال احمد وفى هذا الوجه من الاعراب اشكال وهو وقوع احد فى

واكفروا آخره لعلهم يرجعون ولا تؤمنوا الا لمن تبع دينكم قل ان الهدى هدى الله ان يؤتى احد مثل ما أوتيتم او يحاجوكم عند ربكم قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم * ومن اهل الكتاب من ان تأمنه بقنطار يؤده اليك ومنهم من ان تأمنه بدينار لا يؤده اليك الا ما دمت عليه قائما ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الاميين سبيل

الواجب لان الاستفهام هنا انكار واستفهام الانكار فى مثله اثبات اذ حاصله انه انكر عليهم ووبخهم على ما وقع منهم وهو اخفاء الايمان بان النبوة لا تخص بنى اسرائيل لاجل العلتين المذكورتين فهو اثبات محقق ويمكن ان يقال روعيت صيغة الاستفهام وان لم يكن المراد حقيقة فحسن لذلك دخول احد فى سياقه والله اعلم (قال محمود والضمير فى يحاجوكم لاحد لانه فى معنى الجمع الخ) قال احمد اى حيث كان نكرة فى سياق النفى كما وصفه بالجمع فى قوله فما منكم من احد عنه حاجزين

بهم لانهم ليسوا على ديننا وكانوا يستحلون ظلم من خالفهم ويقولون لم يجعل لهم في كتابنا حرمة وقيل بايع اليهود رجالا من قريش فلما اسلموا تقاضوهم فقالوا ليس لكم علينا حق حيث تركتم دينكم وادعوا انهم وجدوا ذلك في كتابهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال عند نزولها كذب اعداء الله ما من شيء في الجاهلية الا وهو تحت قدمي الا الامانة فانها مؤداة الى البر والفاجر وعن ابن عباس انه سأل رجل فقال انا نصيب في الغزو من اموال اهل الذمة الدجاجة والشاة قال فتقولون ماذا قال نقول ليس علينا في ذلك بأس قال هذا كما قال اهل الكتاب ليس علينا في الاميين سبيل انهم اذا أدوا الجزية لم يحل لكم اكل اموالهم الا بطيبة انفسهم (ويقولون على الله الكذب) بادعائهم ان ذلك في كتابهم (وهم يعلمون) انهم كاذبون (بلى) اثبات لما نفوه من السبيل عليهم في الاميين اي بلى عليهم سبيل فيهم وقوله (من اوفى بعهده) جملة مستأنفة مقررة للجملة التي سدت بلى مسدها والضمير في بعهده راجع الى من اوفى على ان كل من اوفى بما عاهد عليه واتقى الله في ترك الخيانة والغدر فان الله يحبه (فان قلت) فهذا عام يخيل انه لو وفى اهل الكتاب بعهودهم وتركوا الخيانة لاكتسبوا محبة الله (قلت) اجل لانهم اذا وفوا بالعهود وفوا اول شيء بالعهد الاعظم وهو ما اخذ عليهم في كتابهم من الايمان برسول مصدق لما معهم ولو اتقوا الله في ترك الخيانة لاتقوه في ترك الكذب على الله وتحريف كلمه ويجوز ان يرجع الضمير الى الله تعالى على ان كل من وفى بعهد الله واتقاه فان الله يحبه ويدخل في ذلك الايمان وغيره من الصالحات وما وجب اتقاؤه من الكفر واعمال السوء (فان قلت) فاين الضمير الراجع من الجزاء الى من (قلت) عموم المتقين قام مقام رجوع الضمير وعن ابن عباس نزلت في عبد الله بن سلام وبحيرا الراهب ونظرائهما من مسلمة اهل الكتاب (يشترون) يستبدلون (بعهد الله) بما عاهدوه عليه من الايمان بالرسول المصدق لما معهم (وايمانهم) وبما حلفوا به من قولهم والله لنؤمنن به ولننصرنه (ثمنا قليلا) متاع الدنيا من الترؤس والارتشاء ونحو ذلك وقيل نزلت في ابي رافع ولبابة بن ابي الحقيق وحيي بن اخطب حرفوا التوراة وبدلوا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذوا الرشوة على ذلك وقيل جاءت جماعة من اليهود الى كعب بن الاشرف في سنة اصابتهم ممتارين فقال لهم هل تعلمون ان هذا الرجل رسول الله قالوا نعم قال لقد هممت ان اميركم واكسوكم فحرمكم الله خيرا كثيرا فقالوا لعله شبه علينا فرويدا حتى نلقاه فانطلقوا فكتبوا صفة غير صفته ثم رجعوا اليه وقالوا قد غلطنا وليس هو بالنعت الذي نعت لنا ففرح ومارهم وعن الاشعث بن قيس نزلت في كانت بيني وبين رجل خصومة في بئر فاختصمنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال شاهداك او يمينه فقلت اذن يحلف ولا يبالي فقال من حلف على يمين يستحق بها مالا وهو فيها فاجر لقي الله وهو عليه غضبان وقيل نزلت في رجل اقام سلعة في السوق فحلف لقد اعطي بها ما لم يعطه والوجه ان نزولها في اهل الكتاب وقوله بعهد الله يقوي رجوع الضمير في بعهده الى الله (ولا ينظر اليهم) مجاز عن الاستهانة بهم والسخط عليهم تقول فلان لا ينظر الى فلان تريد نفي اعتداده به واحسانه اليه (ولا يزكيهم) ولا يثني عليهم (فان قلت) اي فرق بين استعماله فيمن يجوز عليه النظر وفيمن لا يجوز عليه (قلت) اصله فيمن يجوز عليه النظر الكناية لان من اعتد بالانسان التفت اليه وأعاره نظر عينيه ثم كثر حتى صار عبارة عن الاعتداد والاحسان وان لم يكن ثم نظر ثم جاء فيمن لا يجوز عليه النظر مجردا لمعنى الاحسان مجازا عما وقع كناية عنه فيمن يجوز عليه النظر (لفريقا) هم كعب بن الاشرف ومالك بن الصيف وحيي بن اخطب وغيرهم (يلوون ألسنتهم بالكتاب) يفتلونها بقراءته عن الصحيح الى المحرف وقرأ اهل المدينة يلوون بالتشديد كقوله لووا رؤسهم وعن مجاهد وابن كثير يلون ووجهه انهما قلبا الواو المضمومة همزة ثم خففوها بحذفها والقاء حركتها على الساكن قبلها (فان قلت) الام يرجع الضمير في (لتحسبوه) (قلت) الى ما دل عليه يلوون ألسنتهم بالكتاب وهو المحرف ويجوز ان يراد يعطفون ألسنتهم بشبه الكتاب لتحسبوا ذلك الشبه من الكتاب وقرئ ليحسبوه بالياء بمعنى يفعلون ذلك ليحسبه المسلمون من الكتاب (ويقولون هو من عند الله) تأكيد لقوله هو من الكتاب وزيادة تشنيع عليهم وتسجيل بالكذب ودلالة على انهم لا يعرضون ولا يورون وانما يصرحون بانه في التوراة هكذا

ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون بلى من اوفى بعهده واتقى فان الله يحب المتقين ان الذين يشترون بعهد الله وايمانهم ثمنا قليلا اولئك لا خلاق لهم في الآخرة ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب اليم وان منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ويقولون هو من عند الله وما هو من عند الله ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون

وقد أنزله الله تعالى على موسى كذلك لفرط جراءتهم على الله وقساوة قلوبهم ويأسهم من الآخرة وعن ابن عباس هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الاشرف غيروا التوراة وكتبوا كتابا بدلوا فيه صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أخذت قريظة ما كتبوه فخلطوه بالكتاب الذي عندهم (ما كان لبشر) تكذيب لمن اعتقد عبادة عيسى وقيل ان أبا رافع القرظي والسيد من نصارى نجران قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتريد ان نعبدك ونتخذك ربا وقال معاذ الله ان نعبد غير الله او ان نأمر بعبادة غير الله فما بذلك بعثني ولا بذلك امرني فنزلت وقيل قال رجل يا رسول الله نسلم عليك كما يسلم بعضنا على بعض افلا نسجد لك قال لا ينبغي أن يسجد لاحد من دون الله ولكن اكرموا نبيكم واعرفوا الحق لاهله (والحكم) والحكمة وهي السنة (ولكن كونوا ربانيين) ولكن يقول كونوا والرباني منسوب الى الرب بزيادة الالف والنون كما يقال رقباني ولحياني وهو الشديد التمسك بدين الله وطاعته وعن محمد ابن الحنفية انه قال حين مات ابن عباس اليوم مات رباني هذه الامة وعن الحسن ربانيين علماء فقهاء وقيل علماء معلمين وكانوا يقولون الشارع الرباني العالم العامل المعلم (بما كنتم) بسبب كونكم عالمين و بسبب كونكم دارسين للعلم أوجب أن تكون الربانية التي هي قوة التمسك بطاعة الله مسببة عن العلم والدراسة وكفى به دليلا على خيبة سعي من جهد نفسه وكد روحه في جمع العلم ثم لم يجعله ذريعة الى العمل فكان مثله مثل من غرس شجرة حسناء تونقه بمنظرها ولا تنفعه بثمرها * وقرئ تعلمون من التعليم وتعلمون من التعلم (تدرسون) تقرؤن وقرئ تدرسون من التدريس وتدرسون على ان أدرس بمعنى درس كاكرم وكرم وانزل ونزل وتدرسون من التدرس ويجوز أن يكون معناه ومعنى تدرسون بالتخفيف تدرسونه على الناس كقوله لتقرأه على الناس فيكون معناهما معنى تدرسون من التدريس وفيه ان من علم ودرس العلم ولم يعمل به فليس من الله في شيء وان السبب بينه وبين ربه منقطع حيث لم يثبت النسبة اليه الا للمتمسكين بطاعته * وقرئ ولا يامركم بالنصب عطفا على ثم يقول وفيه وجهان أحدهما ان تجعل لا مزيدة لتاكيد معنى النفي في قوله ما كان لبشر والمعنى ما كان لبشر ان يستنبئه الله وينصبه للدعاء الى اختصاص الله بالعبادة وترك الانداد ثم يامر الناس بان يكونوا عبادا له ويامركم (ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا) كما تقول ما كان لزيد ان اكرمه ثم يهينني ولا يستخف بي والثاني ان تجعل لا غير مزيدة والمعنى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان ينهى قريشا عن عبادة الملائكة واليهود والنصارى عن عبادة عزير والمسيح فلما قالوا انتخذك ربا قيل لهم ما كان لبشر ان يستنبئه الله ثم يامر الناس بعبادته وينهاكم عن عبادة الملائكة والانبياء والقراءة بالرفع على ابتداء الكلام اظهر وتنصرها قراءة عبد الله ولن يامركم والضمير في ولا يامركم وايامركم لبشر وقيل لله والهمزة في ايامركم للانكار (بعد اذ انتم مسلمون) دليل على ان المخاطبين كانوا مسلمين وهم الذين استاذنوه ان يسجدوا له (ميثاق النبيين) فيه غير وجه احدها ان يكون على ظاهره من اخذ الميثاق على النبيين بذلك والثاني ان يضيف الميثاق الى النبيين اضافته الى الموثق لا الى الموثق عليه كما تقول ميثاق الله وعهد الله كانه قيل واذ اخذ الله الميثاق الذي وثقه الانبياء على اممهم والثالث ان يراد ميثاق اولاد النبيين وهم بنو اسرائيل على حذف المضاف والرابع ان يراد اهل الكتاب وان يرد على زعمهم تهكما بهم لانهم كانوا يقولون نحن اولى بالنبوة من محمد لانا اهل الكتاب ومنا كان النبيون وتدل عليه قراءة أبي وابن مسعود واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب * واللام في (لما آتيتكم) لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى الاستحلاف وفي لتؤمنن لام جواب القسم وما يحتمل ان تكون المتضمنة لمعنى الشرط ولتؤمنن ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا وان تكون موصولة بمعنى للذي آتيتكموه لتؤمنن به وقرئ لما آتيناكم وقرأ حمزة لما آتيتكم بكسر اللام ومعناه لاجل ايتائي اياكم بعض الكتاب والحكمة ثم لمجيء رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به على ان ما مصدرية والفعلان معها اعني آتيتكم وجاءكم في معنى المصدرين واللام داخلة للتعليل على معنى اخذ الله ميثاقهم لتؤمنن بالرسول ولتنصرنه لاجل اني آتيتكم الحكمة وان الرسول الذي امركم بالايمان به ونصرته موافق لكم غير مخالف ويجوز ان تكون ما موصولة (فان قلت) كيف

ما كان لبشر ان يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون ولا يامركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم

---

* قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة الى قوله لتؤمنن به (قال محمود اللام في لما آتيتكم لام التوطئة لان اخذ الميثاق في معنى القسم الخ) قال احمد يريد على ان قوله رسول فاعل جاء لانه لا يخلو من الضمير والا فهذا القول صحيح على ان يكون الفاعل مضمرا ورسول خبر الموصول ولم يرد الزمخشري الا الاول وهو ظاهر الآية عاد كلامه قال مجيبا عن السؤال قلت بلى الخ) قال احمد يريد ان الكلام وان خلا من العائد الا انه في معنى كلام يتحقق فيه العائد فيجوز دخوله في الصلة والله اعلم

يجوز ذلك والعطف على آتيتكم وهو قوله ثم جاءكم لا يجوز ان يدخل تحت حكم الصفة لانك لا تقول للذى جاءكم رسول مصدق لما معكم (قلت) بلى لان ما معكم فى معنى ما آتيتكم فكانه قيل للذى آتيتكموه وجاءكم رسول مصدق له وقرأ سعيد بن جبير لما بالتشديد بمعنى حين آتيتكم بعض الكتاب والحكمة ثم جاءكم رسول مصدق له وجب عليكم الايمان به ونصرته وقيل أصله لمن ما فاستثقلوا اجتماع ثلاث ميمات وهي الميمان والنون المنقلبة ميما بادغامها فى الميم فحذفوا احداها فصارت لما ومعناه لمن أجل ما آتيتكم لتؤمنن به وهذا نحو من قراءة حمزة فى المعنى (اصرى) عهدى وقرئ أصرى بالضم وسمي اصرا لانه مما يؤصر أى يشد ويعقد ومنه الاصار الذى يعقد به ويجوز ان يكون المضموم لغة فى اصر كعبر وعبر وان يكون جمع اصار (فاشهدوا) فليشهد بعضكم على بعض بالاقرار (وانا على ذلكم) من اقراركم وتشاهدكم (من الشاهدين) وهذا توكيد عليهم وتحذير من الرجوع اذا علموا بشهادة الله وشهادة بعضهم على بعض وقيل الخطاب للملائكة (فمن تولى بعد ذلك) الميثاق والتوكيد (فاولئك هم الفاسقون) أى المتمردون من الكفار * دخلت همزة الانكار على الفاء العاطفة جملة على جملة والمعنى فأولئك هم الفاسقون فغير دين الله يبغون ثم توسطت الهمزة بينهما ويجوز ان يعطف على محذوف تقديره (أ) يتولون (فغير دين الله يبغون) وقدم المفعول الذى هو غير دين الله على فعله لانه أهم من حيث ان الانكار الذى هو معنى الهمزة متوجه الى المعبود بالباطل وروى ان اهل الكتاب اختصموا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما اختلفوا فيه من دين ابراهيم عليه السلام وكل واحد من الفريقين ادعى انه اولى به فقال ﷺ كلا الفريقين برىء من دين ابراهيم فقالوا ما نرضى بقضائك ولا نأخذ بدينك فنزلت وقرئ يبغون بالياء وترجعون بالتاء وهي قراءة ابي عمرو لان الباغين هم المتولون والراجعون جميع الناس وقرئا بالياء معا وبالتاء معا (طوعا) بالنظر فى الادلة والانصاف من نفسه (وكرها) بالسيف او بمعاينة ما يلجئ الى الاسلام كنتق الجبل على بنى اسرائيل وادراك الغرق فرعون والاشفاء على الموت فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وانتصب طوعا وكرها على الحال بمعنى طائعين ومكرهين * امر رسول الله ﷺ بان يخبر عن نفسه وعمن معه بالايمان فلذلك وحد الضمير فى (قل) وجمع فى (آمنا) ويجوز ان يؤمر بان يتكلم عن نفسه كما يتكلم الملوك اجلالا من الله لقدر نبيه *(فان قلت) لم عدى أنزل في هذه الآية بحرف الاستعلاء وفيما تقدم من مثلها بحرف الانتهاء (قلت) لوجود المعنيين جميعا لان الوحي ينزل من فوق وينتهي الى الرسل فجاء تارة باحد المعنيين واخرى بالآخر ومن قال انما قيل علينا لقوله قل والينا لقوله قولوا تفرقة بين الرسول والمؤمنين لان الرسول يأتيه الوحى على طريق الاستعلاء ويأتيهم على وجه الانتهاء فقد تعسف الا ترى الى قوله بما أنزل اليك وأنزلنا اليك الكتاب والى قوله آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا (ونحن له مسلمون) موحدون مخلصون انفسنا له لا نجعل له شريكا فى عبادتها ثم قال (ومن يبتغ غير الاسلام) يعنى التوحيد واسلام الوجه لله تعالى (دينا فلن يقبل منه * من الخاسرين) من الذين وقعوا فى الخسران مطلقا من غير تقييد للشياع وقرئ ومن يبتغ غير الاسلام بالادغام (كيف يهدى الله قوما) كيف يلطف بهم وليسوا من اهل اللطف لما علم الله من تصميمهم على كفرهم ودل على تصميمهم انهم كفروا بعد ايمانهم وبعد ما شهدوا بان الرسول حق وبعد ما جاءتهم الشواهد من القرآن وسائر المعجزات التي تثبت بمثلها النبوة وهم اليهود كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد ان كانوا مؤمنين به وذلك حين عاينوا ما يوجب قوة ايمانهم من البينات وقيل نزلت فى رهط كانوا اسلموا ثم رجعوا عن الاسلام ولحقوا بمكة منهم طعمة ابن ابيرق ووحوح بن الاسلت والحرث بن سويد بن الصامت * (فان قلت) علام عطف قوله (وشهدوا) (قلت) فيه وجهان ان يعطف على ما فى ايمانهم من معنى الفعل لان معناه بعد ان آمنوا كقوله تعالى فاصدق واكن وقول الشاعر

ليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب

ويجوز ان تكون الواو للحال باضمار قد بمعنى كفروا وقد شهدوا ان الرسول حق (والله لا يهدى) لا يلطف بالقوم الظالمين المعاندين الذين علم ان اللطف لا ينفعهم (الا الذين تابوا من بعد ذلك) الكفر العظيم والارتداد (واصلحوا) ما افسدوا أو ودخلوا فى الصلاح قيل نزلت فى الحرث

اصرى قالوا أقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون افغير دين الله يبغون وله أسلم من فى السموات والأرض طوعا وكرها واليه يرجعون قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وما أوتي موسي وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين احد منهم ونحن له مسلمون ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم وشهدوا ان الرسول حق وجاءهم البينات والله لا يهدى القوم الظالمين اولئك جزاؤهم ان عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون الا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فان الله غفور رحيم ان الذين كفروا بعد ايمانهم

*قوله تعالى ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به (قال محمود ان قلت كيف موقع قوله ولو افتدى به الخ) قال احمد لم يبين تطبيق لفظ الآية على هذا التقدير الذي ذهب اليه بوجه ونحن نبين السبب الباعث له على اخراج الكلام عن ظاهره ثم نقرر وجها يطابق الآية وذلك ان هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطا آخر يعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة في مثل ذلك ان يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الاولى مثاله قولك أكرم زيدا ولو اساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو اساء الا انك نبهت بايجاب اكرامه وان أساء على ان كرامه ان أحسن بطريق الاولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم معناه والله علم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على ما هو اسهل واولى بالوجوب فاذا تبين مقتضى الواو في مثل هذه المواضع وجدت آية آل عمران هذه مخالفة لهذا النمط ظاهرا لان قوله ولو افتدى به يقتضي شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الاولى وهذه الحال المذكورة وهي حالة افتدائهم بملء الارض ذهبا هي حالة أجدر الحالات بقبول الفدية وليس وراءها حالة أخرى يكون أولى بالقبول منها فلذلك قدر الكلام بمعنى لن يقبل من أحدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا حتى تبين حالة أخرى يكون الافتداء الخاص بملء

ابن سويد حين ندم على ردته وارسل الى قومه أن سلوا هل لي من توبة فأرسل اليه أخوه الجلاس بالآية فأقبل الى المدينة فتاب وقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم توبته (ثم ازدادوا كفرا) هم اليهود كفروا بعيسى والانجيل بعد ايمانهم بموسى والتوراة ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد والقرآن أو كفروا برسول الله بعدما كانوا به مؤمنين قبل مبعثه ثم ازدادوا كفرا باصرارهم على ذلك وطعنهم فيه في كل وقت وعداوتهم له ونقضهم ميثاقه وفتنتهم للمؤمنين وصدهم عن الايمان به وسخريتهم بكل آية تنزل وقيل نزلت في الذين ارتدوا ولحقوا بمكة وازديادهم الكفر أن قالوا نقيم بمكة نتربص بمحمد ريب المنون وان اردنا الرجعة نافقنا باظهار التوبة (فان قلت) قد علم ان المرتد كيفما ازداد كفرا فانه مقبول التوبة اذا تاب فما معنى (لن تقبل توبتهم) (قلت) جعلت عبارة عن الموت على الكفر لان الذي لا تقبل توبته من الكفار هو الذي يموت على الكفر كأنه قيل ان اليهود او المرتدين الذين فعلوا ما فعلوا مائتون على الكفر داخلون في جملة من لا تقبل توبتهم (فان قلت) فلم قيل في احدى الآيتين ان تقبل بغير فاء وفي الاخرى فلن يقبل (قلت) قد أوذن بالفاء ان الكلام بنى على الشرط والجزاء وان سبب امتناع قبول الفدية هو الموت على الكفر وبترك الفاء ان الكلام مبتدأ وخبر ولا دليل فيه على التسبيب كما تقول الذي جاءني له درهم لم تجعل المجيء سببا في استحقاق الدرهم بخلاف قولك فله درهم (فان قلت) فحين كان معنى لن تقبل توبتهم بمعنى الموت على الكفر فهلا جعل الموت على الكفر مسببا عن ارتدادهم وازديادهم الكفر لما في ذلك من قساوة القلوب وركوب الرين وجره الى الموت على الكفر (قلت) لانه كم من مرتد مزداد للكفر يرجع الى الاسلام ولا يموت على الكفر (فان قلت) فأي فائدة في هذه الكناية اعني ان كنى عن الموت على الكفر بامتناع قبول التوبة (قلت) الفائدة فيها جليلة وهي التغليظ في شأن أولئك الفريق من الكفار وابراز حالهم في صورة حال الآيسين من الرحمة التي هي أغلظ الاحوال وأشدها ألا ترى ان الموت على الكفر انما يخاف من أجل اليأس من الرحمة (ذهبا) نصب على التمييز وقرأ الاعمش ذهب بالرفع ردا على ملء كما يقال عندي عشرون نفسا رجال * (فان قلت) كيف موقع قوله (ولو افتدى به) (قلت) هو كلام محمول على

ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون ان الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين

الارض ذهبا هو أولى بالقبول منها فاذا انتفى حيث ذات أولى ماست فلان ينتفي فيما عداها هذه الحالة أولى فهذا كله بيان للباعث له على التقدير المذكور وأما تنزيل الآية عليه فسهر جدا فالاولى ذكر وجه يمكن تطبيق الآية عليه على أسهل وجه وأقرب مأخذ ان شاء الله فنقول قبول الفدية التي هي ملء الارض ذهبا يكون على أحوال منها ان يؤخذ منه على وجه القهر فدية عن نفسه كما تؤخذ الدية قهرا من مال القاتل على قول ومنها ان يقول المفتدى في التقدير أفدى نفسي بكذا وقد لا يفعل ومنها ان يقول هذا القول وينجز القدار الذي يفدى به نفسه ويجعله حاضر اعتيدا وقد يسلمه مثلا لمن يأمل منه قبول فديته واذا تعددت الاحوال فالمراد في الآية أبلغ الاحوال واجدرها بالقبول وهو ان نفتدى بملء الارض ذهبا افتداء محققا بان يقدر على هذا الامر العظيم ويسلمه وينجزه اختيارا ومع ذلك لا يقبل منه فمجرد قوله ابذل المال وأقدر عليه أو ما يجرى هذا المجرى بطريق الاولى فيكون دخول الواو والحالة هذه على بابها تنبيها على ان ثم أحوالا أخر لا ينفع فيها القبول بطريق الاولى بالنسبة الى الحالة المذكورة وقد ورد هذا المعنى مكشوفا في قوله تعالى ان الذين كفروا لو أن لهم ما في الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم والله أعلم وهذا كله تسجيل بانه لا محيص ولا مخلص لهم من الوعيد والا فمن المعلوم انهم اعجز عن الفلس في ذلك اليوم ونظير هذا التقدير من الامثلة ان يقول القائل لا أبيعك هذا الثوب بالف دينار ولو سلمتها الى في يدي هذه فتامل هذا النظر فانه من السهل الممتنع والله ولي التوفيق

المعنى كانه قيل فلن تقبل من احدهم فدية ولو افتدى بملء الارض ذهبا ويجوز ان يراد ولو افتدى بمثله كقوله ولو ان للذين ظلموا ما في الارض جميعا ومثله معه والمثل يحذف كثيرا في كلامهم كقولك ضربته ضرب زيد تريد مثل ضربه وأبو يوسف أبو حنيفة تريد مثله ولا هيثم الليلة للمطي وقضية ولا أبا حسن لها تريد ولا مثل هيثم ولا مثل أبي حسن كما أنه يراد في نحو قولهم مثلك لا يفعل كذا تريد أنت وذلك ان المثلين يسد أحدهما مسد الآخر فكانا في حكم شيء واحد وأن يراد فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا كان قد تصدق به ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء الارض ذهبا على البناء للفاعل وهو الله عز وعلا ونصب ملء وملء لرض بتخفيف الهمزتين (لن تنالوا البر) لن تبلغوا حقيقة البر ولن تكونوا ابرارا وقيل لن تنالوا بر الله وهو ثوابه (حتى تنفقوا مما تحبون) حتى تكون نفقتكم من أموالكم التي تحبونها وتؤثرونها كقوله أنفقوا من طيبات ما كسبتم وكان السلف رحمهم الله اذا أحبوا اشيا جعلوه لله وروي أنها لما نزلت جاء ابو طلحة فقال يارسول الله ان احب اموالي الى بيرحا فضعها يارسول الله حيث اراك الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بخ بخ ذاك مال رابح ومال رائح واني ارى ان تجعلها في الاقربين فقال ابو طلحة أفعل يارسول الله فقسمها في اقاربه وجاء زيد بن حارثة بفرس له كان يحبها فقال هذه في سبيل الله فحمل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم أسامة بن زيد فكان زيدا وجد في نفسه وقال انما اردت ان اتصدق به فقال رسول الله ﷺ اما ان الله تعالى قد قبلها منك وكتب عمر رضي الله عنه الى ابي موسى الاشعري ان يبتاع له جارية من سبي جلولاء يوم فتحت مدائن كسرى فلما جاءت اعجبته فقال ان الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون فاعتقها ونزل بابي ذر ضيف فقال للراعي ائتني بخير ابلي فجاء بناقة مهزولة فقال خنتني قال وجدت خير الابل فحلها فذكرت يوم حاجتكم اليه فقال ان يوم حاجتي اليه ليوم اوضع في حفرتي وقرأ عبد الله حتى تنفقوا بعض ما تحبون وهذا دليل على ان من في مما تحبون للتبعيض ونحوه اخذت من المال * ومن في (من شيء) لتبيين ما تنفقوا اي من اي شيء كان طيبا تحبونه او خبيثا تكرهونه (فان الله) عليم بكل شيء تنفقونه فمجازيكم بحسبه (كل الطعام) كل المطعومات او كل انواع الطعام * والحل مصدر يقال حل الشيء حلا كقولك ذلت الدابة ذلا وعز الرجل عزا وفي حديث عائشة رضي الله عنها كنت أطيبه لحله وحرمه ولذلك استوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع قال الله تعالى لا هن حل لهم * والذي حرم اسرائيل وهو يعقوب عليه السلام على نفسه لحوم الابل وألبانها وقيل العروق كان به عرق النسا فنذر ان شفي ان يحرم على نفسه احب الطعام اليه وكان ذلك أحبه اليه فحرمه وقيل أشارت عليه الاطباء باجتنابه ففعل ذلك باذن من الله فهو كتحريم الله ابتداء والمعنى ان المطاعم كلها لم تزل حلالا لبني اسرائيل من قبل انزال التوراة وتحريم ما حرم عليهم منها لظلمهم وبغيهم لم يحرم منها شيء قبل ذلك غير المطعوم الواحد الذي حرمه ابوهم اسرائيل على نفسه فتبعوه على تحريمه وهو رد على اليهود وتكذيب لهم حيث ارادوا براءة ساحتهم مما نعى عليهم في قوله تعالى فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم الى قوله تعالى عذابا أليما وفي قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الى قوله ذلك جزيناهم ببغيهم وجحود ما غاظهم واشمأزوا منه وامتعضوا مما نطق به القرآن من تحريم الطيبات عليهم لبغيهم وظلمهم فقالوا لسنا اول من حرمت عليه وما هو الا تحريم قديم كانت محرمة على نوح وعلى ابراهيم ومن بعده من بني اسرائيل وهلم جرا الى ان انتهى التحريم الينا فحرمت علينا كما حرمت على من قبلنا وغرضهم تكذيب شهادة الله عليهم بالبغي والظلم والصد عن سبيل الله وأكل الربا واخذ أموال الناس بالباطل وما عدد من مساويهم التي كلما ارتكبوا منها كبيرة حرم عليهم نوع من الطيبات عقوبة لهم (قل فاتوا بالتوراة فاتلوها) أمر بان يحاجهم بكتابهم ويبكتهم مما هو ناطق به من ان تحريم ما حرم عليهم تحريم حادث بسبب ظلمهم وبغيهم لا تحريم قديم كما يدعونه فروي انهم لم يجسروا على اخراج التوراة وبهتوا وانقلبوا صاغرين وفي ذلك الحجة البينة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم وعلى جواز النسخ الذي ينكرونه (فمن افترى على الله الكذب) بزعمه ان ذلك كان

محرما

لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فان الله به عليم كل الطعام كان حلا لبني اسرائيل الا ما حرم اسرائيل على نفسه من قبل ان تنزل التوراة قل فاتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك

(عاد كلامه) قال ويجوز ان يكون معنى الكلام ولو افتدى بمثله الخ * قال احمد وعلى هذا النمط يجرى الكلام على التاويل المتقدم لانه نبه بعدم قبول مثلي ملء الارض ذهبا على عدم قبول مائها مرة واحدة بطريق الاولى

محرما على بني اسرائيل قبل انزال التوراة من بعد ما الزمهم من الحجة القاطعة (فاولئك هم الظالمون) المكابرون الذين لا ينصفون من انفسهم ولا يلتفتون الى البينات (قل صدق الله) تعريض بكذبهم كقوله ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون أى ثبت ان الله صادق فيما انزل وأنتم الكاذبون (فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا) وهي ملة الاسلام التى عليها محمد ومن آمن معه حتى تتخلصوا من اليهودية التي ورطتكم في فساد دينكم ودنياكم حيث اضطرتكم الى تحريف كتاب الله لتسوية أغراضكم وألزمتكم تحريم الطيبات التى أحلها الله لابراهيم ولمن تبعه (وضع للناس) صفة لبيت والواضع هو الله عز وجل تدل عليه قراءة من قرأ وضع للناس تسمية الفاعل وهو الله ومعنى وضع الله بيتا للناس انه جعله متعبدا لهم فكانه قال ان اول متعبد للناس الكعبة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سئل عن اول مسجد وضع للناس فقال المسجد الحرام ثم بيت المقدس وسئل كم بينهما قال أربعون سنة وعن على رضي الله عنه ان رجلا قال له أهو اول بيت قال لا قد كان قبله بيوت ولكنه أول بيت وضع للناس مباركا فيه الهدى والرحمة والبركة واول من بناه ابراهيم ثم بناه قوم من العرب من جرهم ثم هدم فبنته العمالقة ثم هدم فبناه قريش وعن ابن عباس هو اول بيت حج بعد الطوفان وقيل هو اول بيت ظهر على وجه الماء عند خلق السماء والارض خلقه قبل الارض بالفي عام وكان زبدة بيضاء على الماء فدحيت الارض تحته وقيل هو اول بيت بناه آدم فى الارض وقيل لما أهبط آدم قالت له الملائكة طف حول هذا البيت فلقد طفنا قبلك بالفي عام وكان فى موضعه قبل آدم بيت يقال له الضراح فرفع فى الطوفان الى السماء الرابعة تطوف به ملائكة السموات (للذى ببكة) البيت الذى ببكة وهى علم للبلد الحرام ومكة وبكة لغتان فيه نحو قولهم النبيط والنميط فى اسم موضع بالدهناء ونحوه من الاعتقاب امر راتب وراتم وحمى مغمطة ومغبطة وقيل مكة البلد وبكة موضع المسجد وقيل اشتقاقها من بكه اذا زحمه لازدحام الناس فيها وعن قتادة يبك الناس بعضهم بعضاً الرجال والنساء يصلي بعضهم بين يدى بعض لا يصلح ذلك الا بمكة كانها سميت ببكة وهي الزحمة قال

اذا الشريب أخذته الاكه ❊ فخله حتى يبك بكه

وقيل تبك أعناق الجبابرة أى تدقهم لم يقصدها جبار الا قصمه الله تعالى (مباركا) كثير الخير لما يحصل لمن حجه واعتمره وعكف عنده وطاف حوله من الثواب وتكفير الذنوب وانتصابه على الحال من المستكن فى الظرف لان التقدير للذي ببكة هو والعامل فيه المقدر في الظرف من فعل الاستقرار (وهدى للعالمين) لانه قبلتهم ومتعبدهم (مقام ابراهيم) عطف بيان لقوله آيات بينات (فان قلت) كيف صح بيان الجماعة بالواحد (قلت) فيه وجهان احدهما ان يجعل وحده بمنزلة آيات كثيرة لظهور شأنه وقوة دلالته على قدرة الله ونبوة ابراهيم من تأثير قدمه فى حجر صلد كقوله تعالى ان ابراهيم كان أمة والثاني اشتماله على آيات لان أثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء عليهم السلام آية لابراهيم خاصة وحفظه مع كثرة أعدائه من المشركين وأهل الكتاب والملاحدة ألوف سنة آية ويجوز أن يراد فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله لان الاثنين نوع من الجمع كالثلاثة والاربعة ويجوز أن تذكر هاتان الآيتان ويطوى ذكر غيرهما دلالة على تكاثر الآيات كانه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثير سواهما ونحوه في طي الذكر قول جرير

كانت حنيفة أثلاثا فثلثهمو ❊ من العبيد وثلث من مواليها

ومنه قوله عليه السلام حبب الى من دنياكم ثلاث الطيب والنساء وقرة عيني فى الصلاة وقرأ ابن عباس وأبي ومجاهد وأبو جعفر المدنى فى رواية قتيبة آية بينة على التوحيد وفيها دليل على أن مقام ابراهيم واقع

فأولئك هم الظالمون قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا ولله على الناس حج البيت

❊ قوله تعالى فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا (قال محمود ان قلت كيف صح بيان الجماعة بالواحد الخ) قال احمد ونظير هذا التأويل ماتقدم لى عند قوله تعالى وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى تلك أمانيهم قال محمود فيما تقدم والذي صدر منهم امنية واحدة لما وجه جمعها وبينت فيها هذا بعينه وهو ان الشيء الواحد متى اريد تمكينه وامتيازه عن غيره من صفة جمع افاد الجمع فيه ذلك وقد لاح لى الآن فى جمع الاماني ثم وجه آخر وذلك ان كل واحد منهم صدرت منه هذه الامنية فجمعها بهذا الاعتبار تنبيها على تعددها بتعددهم والعجب ان الجمع فى مثل هذا هو الاصل وان الافراد انما يقع فيه على نوع ما من الاختصار ومنه كلوا فى بعض بطنكم تصحوا (عاد كلامه) قال الوجه الثاني اشتماله على آيات لان اثر القدم فى الصخرة الصماء آية وغوصه فيها الى الكعبين آية والانة بعض الصخر دون بعض آية وابقاؤه دون سائر آيات الانبياء آية وحفظه مع كثرة عدوه من المشركين واهل الكتاب والملاحدة الوف سنة آية ويجوز ان يريد مقام ابراهيم وأمن من دخله وكثيرا سواهما والله اعلم

من استطاع اليه سبيلا ومن كفر فان الله غني عن العالمين قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله والله شهيد على ما تعملون قل يا أهل الكتاب لم تصدون

وحده عطف بيان (فإن قلت) كيف أجزت ان يكون مقام ابراهيم والامن عطف بيان للآيات وقوله ومن دخله كان آمنا جملة مستأنفة اما ابتدائية واما شرطية (قلت) اجزت ذلك من حيث المعنى لان قوله ومن دخله كان آمنا دل على أمن داخله فكأنه قيل فيه آيات بينات مقام ابراهيم وأمن داخله الا ترى أنك لو قلت فيه آية بينة من دخله كان آمنا صح لانه في معنى قولك فيه آية بينة أمن من دخله (فإن قلت) كيف كان سبب هذا الاثر (قلت) فيه قولان أحدهما انه لما ارتفع بنيان الكعبة وضعف ابراهيم عن رفع الحجارة قام على هذا الحجر فغاصت فيه قدماه وقيل انه جاء زائرا من الشام الى مكة فقالت له امرأة اسمعيل انزل حتى يغسل رأسك فلم ينزل فجاءته بهذا الحجر فوضعته على شقه الايمن فوضع قدمه عليه حتى غسلت شق رأسه ثم حولته الى شقه الايسر حتى غسلت الشق الآخر فبقي أثر قدميه عليه * ومعنى ومن دخله كان آمنا معنى قوله أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم وذلك بدعوة ابراهيم عليه السلام رب اجعل هذا البلد آمنا وكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يطلب وعن عمر رضي الله عنه لو ظفرت فيه بقاتل الخطاب ما مسسته حتى يخرج منه وعند أبي حنيفة من لزمه القتل في الحل بقصاص أو ردة أو زنا فالتجأ الى الحرم لم يتعرض له الا أنه لا يؤوى ولا يطعم ولا يسقى ولا يبايع حتى يضطر الى الخروج وقيل آمنا من النار وعن النبي صلى الله عليه وسلم من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا وعنه عليه الصلاة والسلام الحجون والبقيع يؤخذ بأطرافهما وينثران في الجنة وهما مقبرتا مكة والمدينة وعن ابن مسعود وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على ثنية الحجون وليس بها يومئذ مقبرة فقال يبعث الله من هذه البقعة ومن هذا الحرم كله سبعين الفا وجوههم كالقمر ليلة البدر يدخلون الجنة بغير حساب يشفع كل واحد منهم في سبعين ألفا وجوههم كالقمر ليلة البدر وعن النبي صلى الله عليه وسلم من صبر على حر مكة ساعة من نهار تباعدت منه جهنم مسيرة مائتي عام (من استطاع) بدل من الناس وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم فسر الاستطاعة بالزاد والراحلة وكذا عن ابن عباس وابن عمر وعليه أكثر العلماء وعن ابن الزبير هو على قدر القوة ومذهب مالك أن الرجل اذا وثق بقوته لزمه وعنه ذلك على قدر الطاقة وقد يجد الزاد والراحلة من لا يقدر على السفر وقد يقدر عليه من لا زاد له ولا راحلة وعن الضحاك اذا قدر ان يؤجر نفسه فهو مستطيع وقيل له في ذلك فقال ان كان لبعضهم ميراث بمكة أكان يتركه بل كان ينطلق اليه ولو حبوا فكذلك يجب عليه الحج * والضمير في (اليه) للبيت أو للحج وكل ما أتى الى الشيء فهو سبيل اليه وفي هذا الكلام أنواع من التوكيد والتشديد منها قوله ولله على الناس حج البيت يعني أنه حق واجب لله في رقاب الناس لا ينفكون عن أدائه والخروج من عهدته ومنها أنه ذكر الناس ثم أبدل عنه من استطاع اليه سبيلا وفيه ضربان من التأكيد أحدهما أن الابدال تثنية للمراد وتكرير له والثاني أن الايضاح بعد الابهام والتفصيل بعد الاجمال ايراد له في صورتين مختلفتين ومنها قوله (ومن كفر) مكان ومن لم يحج تغليظا على تارك الحج ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا ونحوه من التغليظ من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنها ذكر الاستغناء عنه وذلك مما يدل على المقت والسخط والخذلان ومنها قوله (عن العالمين) وإن لم يقل عنه وما فيه من الدلالة على الاستغناء عنه ببرهان لانه اذا استغنى عن العالمين تناوله الاستغناء لا محالة ولانه يدل على الاستغناء الكامل فكان أدل على عظم السخط الذي وقع عبارة عنه وعن سعيد بن المسيب نزلت في اليهود فإنهم قالوا الحج الى مكة غير واجب وروى أنه لما نزل قوله ولله على الناس حج البيت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الاديان كلهم فخطبهم فقال ان الله كتب عليكم الحج فحجوا فآمنت به ملة واحدة وهم المسلمون وكفرت به خمس ملل قالوا لا نؤمن به ولا نصلي اليه ولا نحجه فنزل ومن كفر وعن النبي صلى الله عليه وسلم حجوا قبل أن لا تحجوا فانه قد هدم البيت مرتين ويرفع في الثالثة وروى حجوا قبل أن لا تحجوا حجوا قبل أن يمنع البر جانبه وعن ابن مسعود حجوا هذا البيت قبل ان تنبت في البادية شجرة لا تأكل منها دابة الا نفقت وعن عمر رضي الله عنه لو ترك الناس الحج عاما واحدا ما نوظروا وقرئ حج البيت بالكسر (والله شهيد) الواو للحال

* قوله تعالى ولله على الناس حج البيت الآية (قال محمود وفي هذا الكلام انواع من التوكيد منها قوله ولله على الناس اى في رقابهم لا ينفكون عنه الخ) قال أحمد قوله ان المراد بمن كفر من ترك الحج وعبر عنه بالكفر تغليظا عليه فيه نظر فان قاعدة أهل السنة توجب أن تارك الحج لا يكفر بمجرد تركه قولا واحدا فيتعين حمل الآية على تارك الحج جاحد الوجوب به وحينئذ يكون الكفر راجعا الى الاعتقاد لا الى مجرد الترك واما الزمخشري فيستسهل ذلك لان تارك الحج بمجرد الترك يخرج من ربقة الايمان ومن اسمه ومن حكمه لانه عنده غير مؤمن ومخلد تخليد الكفار وعلى قاعدة السنة يتعين المصير الى ما ذكرناه هذا ان كان المراد بمن كفر من ترك الحج ويحتمل ان يكون استئناف وعيد للكافر فيبقى على ظاهره والله أعلم

والمعنى لم تكفرون بآيات الله التي دلتكم على صدق محمد صلى الله عليه وسلم والحال ان الله شهيد على اعمالكم فمجازيكم عليها وهذه الحال توجب ان لا تجسروا على الكفر بآياته * قرأ الحسن تصدون من اصده (عن سبيل الله) عن دين حق علم انه سبيل الله التي أمر بسلوكها وهو الاسلام وكانوا يفتنون المؤمنين ويحتالون لصدهم عنه ويمنعون من اراد الدخول فيه بجهدهم وقيل أتت اليهود الاوس والخزرج فذكروهم ما كان بينهم في الجاهلية من العداوات والحروب ليعودوا لمثله (تبغونها عوجا) تطلبون لها اعوجاجا وميلا عن القصد والاستقامة (فان قلت) كيف تبغونها عوجا وهو محال (قلت) فيه معنيان احدهما انكم تلبسون على الناس حتى توهموهم ان فيها عوجا بقولكم ان شريعة موسى لا تنسخ وبتغييركم صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن وجهها ونحو ذلك والثاني انكم تتعبون انفسكم في اخفاء الحق وابتغاء ما لا يتأتى لكم من وجود العوج فيما هو أقوم من كل مستقيم (وانتم شهداء) انها سبيل الله التي لا يصد عنها الا ضال مضل او وأنتم شهداء بين اهل دينكم عدول يثقون بأقوالكم ويستشهدونكم في عظائم امورهم وهم الاحبار (وما الله بغافل) وعيد ومحل تبغونها نصب على الحال * قيل مر شاش بن قيس اليهودي وكان عظيم الكفر شديد الطعن على المسلمين شديد الحسد لهم عن نفر من الانصار من الاوس والخزرج في مجلس لهم يتحدثون فغاظه ذلك حيث تألفوا واجتمعوا بعد الذي كان بينهم في الجاهلية من العداوة وقال ما لنا معهم اذا اجتمعوا من قرار فامر شابا من اليهود ان يجلس اليهم ويذكرهم يوم بعاث وينشدهم بعض ما قيل فيه من الاشعار وكان يوما اقتتلت فيه الاوس والخزرج وكان الظفر فيه للاوس ففعل فتنازع القوم عند ذلك وتفاخروا وتغاضبوا وقالوا السلاح السلاح فبلغ النبي ﷺ فخرج اليهم فيمن معه من المهاجرين والانصار فقال اتدعون الجاهلية وانا بين اظهركم بعد اذ اكرمكم الله بالاسلام وقطع به عنكم امر الجاهلية وألف بينكم فعرف القوم انها نزغة من الشيطان وكيد من عدوهم فألقوا السلاح وبكوا وعانق بعضهم بعضا ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فما كان يوم اقبح اولا واحسن آخرا من ذلك اليوم (وكيف تكفرون) معنى الاستفهام فيه الانكار والتعجب والمعنى من اين يتطرق اليكم الكفر والحال ان آيات الله وهي القرآن المعجز (تتلى عليكم) على لسان الرسول غضة طرية وبين اظهركم رسول الله صلى الله عليه وسلم ينبهكم ويعظكم ويزيح شبهكم (ومن يعتصم بالله) ومن يتمسك بدينه ويجوز ان يكون حثا لهم على الالتجاء اليه في دفع شرور الكفار ومكايدهم (فقد هدى) فقد حصل له الهدى لا محالة كما تقول اذا جئت فلانا فقد افلحت كأن الهدى قد حصل فهو يخبر عنه حاصلا ومعنى التوقع في قد ظاهر لان المعتصم بالله متوقع للهدى كما ان قاصد الكريم متوقع للفلاح عنده (حق تقاته) واجب تقواه وما يحق منها وهو القيام بالواجب واجتناب المحارم ونحوه فاتقوا الله ما استطعتم يريد بالغ في التقوى حتى لا تتركوا من المستطاع منها شيأ وعن عبد الله هو ان يطاع فلا يعصى ويشكر فلا يكفر ويذكر فلا ينسى وروي مرفوعا وقيل هو ان لا تأخذه في الله لومة لائم ويقوم بالقسط ولو على نفسه او ابنه او ابيه وقيل لا يتقي الله عبد حق تقاته حتى يخزن لسانه والتقاة من اتقى كالتؤدة من اتأد (ولا تموتن) معناه ولا تكونن على حال سوى حال الاسلام اذا أدرككم الموت كما تقول لمن تستعين به على لقاء العدو لا تأتني الا وأنت على حصان فلا تنهاه عن الاتيان ولكنك تنهاه عن خلاف الحال التي شرطت عليه في وقت الاتيان * قولهم اعتصمت بحبله يجوز ان يكون تمثيلا لاستظهاره به ووثوقه بحمايته بامتساك المتدلي من مكان مرتفع بحبل وثيق يأمن انقطاعه وان يكون الحبل استعارة لعهده والاعتصام لوثوقه بالعهد او ترشيحا لاستعارة الحبل بما يناسبه والمعنى واجتمعوا على استعانتكم بالله ووثوقكم به ولا تفرقوا عنه او واجتمعوا على التمسك بعهده الى عباده وهو الايمان والطاعة او بكتابه لقول النبي صلى الله عليه وسلم القرآن حبل الله المتين لا تنقضي عجائبه ولا يخلق عن كثرة الرد من قال به صدق ومن عمل به رشد ومن اعتصم به هدي الى صراط مستقيم (ولا تفرقوا) ولا تتفرقوا عن الحق بوقوع الاختلاف بينكم كما اختلفت اليهود والنصارى او كما كنتم متفرقين في الجاهلية متدابرين يعادي بعضكم بعضا ويحاربه او ولا تحدثوا ما يكون

عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وانتم شهداء وما الله بغافل عما تعملون يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد ايمانكم كافرين وكيف تكفرون وانتم تتلى عليكم آيات الله وفيكم رسوله ومن يعتصم بالله فقد هدى الى صراط مستقيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمت الله عليكم اذ كنتم اعداء فالف بين قلوبكم فاصبحتم بنعمته

---

* قوله تعالى يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا الآية (قال محمود اي تطلبون لها اعوجاجا الخ) قال احمد وفي تقديره الجار مع ضمير المفعول حيث قال تطلبون لها عوجا تنقيص من المعنى واتم من اعرابه معنى ان تجعل الهاء هي المفعول به وعوجا حال وقع فيها المصدر الذي هو عوجا موقع الاسم وفي هذا الاعراب من المبالغة انهم يطلبون ان تكون الطريقة المستقيمة نفس العوج على طريقة المبالغة في مثل رجل صوم ويكون

ذلك ابلغ في ذمهم وتوبيخهم والله اعلم * قوله تعالى وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها (قال محمود الضمير للشفا وهو مذكر وانما انثه للاضافة الخ) قال احمد ويجوز عود الضمير الى الحفرة فلا يحتاج الى تاويله المذكور كما تقول اكرمت غلام هند واحسنت اليها والمعنى على عوده الى الحفرة اتم لانها التي يمتن بالانقاذ منها حقيقة واما الامتنان بالانقاذ من الشفا فلا يستلزمه الكون على الشفا غالبا من الهوى الى الحفرة فيكون الانقاذ من الشفا انقاذا من الحفرة التي يتوقع الهوى فيها فاضافة المنة الى الانقاذ من الحفرة تكون ابلغ واوقع مع ان اكتساب التانيث من المضاف اليه قد عده ابو علي في التعاليق من ضرورة الشعر خلاف رأيه في الايضاح نقله ابن يسعون وما حمل الزمخشري على اعادة الضمير الى الشفا الا انه هو الذي كانوا عليه ولم يكونوا في الحفرة حتى يمتن عليهم بالانقاذ منها وقد بينا في ادراج هذا الكلام ما يسوغ الامتنان عليهم بالانقاذ من الحفرة لانهم كانوا صائرين اليها غالبا لولا الانقاذ الرباني الا ترى الى قوله عليه السلام المرتع حول الحمى يوشك ان يقع فيه والى قوله تعالى أمن اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم وانظر كيف جعل تعالى كون البنيان على الشفا سببا مؤديا الى انهياره في نار جهنم مع تاكيد ذلك بقوله هار والله اعلم * قوله تعالى ولتكن منكم امة الآية (قال محمود

اخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ولا تكونوا

عنه التفرق ويزول معه الاجتماع والالفة التي اتم عليهما اياه جامعكم والمؤلف بينكم وهو اتباع الحق والتمسك بالاسلام كانوا في الجاهلية بينهم الاحن والعداوات والحروب المتواصلة فألف الله بين قلوبهم بالاسلام وقذف فيها المحبة فتحابوا وتوافقوا وصاروا (اخوانا) متراحمين متناصحين مجتمعين على امر واحد قد نظم بينهم وازال الاختلاف وهو الاخوة في الله وقيل هم الاوس والخزرج كانا اخوين لاب وام فوقعت بينهما العداوة وتطاولت الحروب مائة وعشرين سنة الى ان اطفأ الله ذلك بالاسلام وألف بينهم برسول الله صلى الله عليه وسلم (وكنتم على شفا حفرة من النار) وكنتم مشفين على ان تقعوا في نار جهنم لما كنتم عليه من الكفر (فانقذكم منها) بالاسلام والضمير للحفرة او للنار او للشفا وانما أنث لاضافته الى الحفرة وهو منها كما قال * كما شرقت صدر القناة من الدم * وشفا الحفرة وشفتها حرفها بالتذكير والتانيث ولامها واو الا انها في المذكر مقلوبة وفي المؤنث محذوفة ونحو الشفا والشفة الجانب والجانبة (فان قلت) كيف جعلوا على حرف حفرة من النار (قلت) لو ماتوا على ما كانوا عليه وقعوا في النار فمثلت حياتهم التي يتوقع بعدها الوقوع في النار بالقعود على حرفها مشفين على الوقوع فيها (كذلك) مثل ذلك البيان البليغ (يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ارادة ان تزدادوا هدى (ولتكن منكم امة) من للتبعيض لان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر من فروض الكفايات ولانه لا يصلح له الا من علم المعروف والمنكر وعلم كيف يرتب الامر في اقامته وكيف يباشر فان الجاهل ربما نهى عن معروف وأمر بمنكر وربما عرف الحكم في مذهبه وجهله في مذهب صاحبه فنهاه عن غير منكر وقد يغلظ في موضع اللين ويلين في موضع الغلظة وينكر على من لا يزيده انكاره الا تماديا او على من الانكار عليه عبث كالانكار على اصحاب المآصر والجلادين واضرابهم وقيل من للتبيين بمعنى وكونوا أمة تامرون كقوله تعالى كنتم خير امة اخرجت للناس تامرون (وأولئك هم المفلحون) هم الاخصاء بالفلاح دون غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل وهو على المنبر من خير الناس قال آمرهم بالمعروف وانهاهم عن المنكر واتقاهم لله وأوصلهم وعنه عليه السلام من امر بالمعروف ونهى عن المنكر فهو خليفة الله في ارضه وخليفة رسوله وخليفة كتابه وعن علي رضي الله عنه افضل الجهاد الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ومن شنئ الفاسقين وغضب لله غضب الله له وعن حذيفة يأتي على الناس زمان تكون فيهم جيفة الحمار احب اليهم من مؤمن يامرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر وعن سفيان الثوري اذا كان الرجل محببا في جيرانه محمودا

من للتبعيض الخ) قال احمد وفي هذا التبعيض وتنكير أمة تنبيه على قلة العاملين بذلك وانه لا يخاطب به الا الخواص ومن هذا الاسلوب قوله تعالى اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد فانما وجه الخطاب على نفس منكرة تنبيها على قلة الناظر في معاده وكذلك قوله وتعيها اذن واعية حتى ورد في التفسير ان المراد اذن واحدة مخصوصة وهي اذن علي ابن ابي طالب رضي الله عنه (عاد كلامه) قال وقوله يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف وينهون عن المنكر صدر الكلام بالدعاء الخ قال احمد عطف الخاص على العام يؤذن بمزيد اعتناء بالخاص لا محالة اذا اقتصر على بعض متناولات العام كقوله من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكائيل وكقوله فيهما فاكهة ونخل ورمان وكقوله حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وشبه ذلك لان الاقتصار على تخصيص ما يفرد بالذكر يفيده تمييزا عن غيره من بقية المتناولات واما هذه الآية فقد ذكر بعد العام فيها جميع ما يتناوله اذ الخير المدعو اليه اما فعل مامور او ترك منهي لا يعدو واحدا من هذين حتى يكون تخصيصهما يميزها عن بقية المتناولات فالاولى في ذلك ان يقال فائدة هذا التخصيص ذكر الدعاء الى الخير عاما ثم مفصلا وفي تنبيه ان الذكر على وجهين ما لا يخفى من العناية والله اعلم الا ان يثبت عرف يخص الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ببعض انواع الخير فاذ ذاك يتم مراد الزمخشري وما ارى هذا العرف ثابتا والله اعلم

محموداعنداخوانه فاعلم أنه مداهن من الامر بالمعروف تابع للمامور به ان كان واجبا فواجب وان كان ندبا فندب وأما النهي عن المنكر فواجب كله لان جميع المنكر تركه واجب لاتصافه بالقبح (فان قلت) ما طريق الوجوب (قلت) قد اختلف فيه الشيخان فعند ابى على السمع والعقل وعند ابى هاشم السمع وحده (فان قلت) ما شرائط النهي (قلت) ان يعلم الناهي ان ما ينكره قبيح لانه اذا لم يعلم لم يامن من ان ينكر الحسن وان لا يكون ما ينهي عنه واقعا لان الواقع لا يحسن النهي عنه وانما يحسن الذم عليه والنهي عن امثاله وان لا يغلب على ظنه ان المنهي يزيد فى منكراته وان لا يغلب على ظنه ان نهيه لا يؤثر لانه عبث (فان قلت) فما شروط الوجوب (قلت) ان يغلب على ظنه وقوع المعصية نحو ان يرى الشارب قد تهيأ لشرب الخمر باعداد آلاته وان لا يغلب على ظنه انه ان انكر لحقته مضرة عظيمة (فان قلت) كيف يباشر الانكار (قلت) يبتدئ بالاسهل فان لم ينفع ترقي الى الصعب لان الغرض كف المنكر قال الله تعالى فاصلحوا بينهما ثم قال فقاتلوا (فان قلت) فمن يباشره (قلت) كل مسلم تمكن منه واختص بشرائطه وقد أجمعوا ان من رأى غيره تاركا للصلاة وجب عليه الانكار لانه معلوم قبحه لكل احد واما الانكار الذى بالقتال فالامام وخلفاؤه اولى لانهم اعلم بالسياسة ومعهم عدتها (فان قلت) فمن يؤمر وينهى (قلت) كل مكلف وغير المكلف اذا هم بضرر غيره منع كالصبيان والمجانين وينهي الصبيان عن المحرمات حتى لا يتعودوها كما يؤخذون بالصلاة ليمرنوا عليها (فان قلت) هل يجب على مرتكب المنكر ان ينهى عما يرتكبه (قلت) نعم يجب عليه لان ترك ارتكابه وانكاره واجبان عليه فبتركه احد الواجبين لا يسقط عنه الواجب الآخر وعن السلف مروا بالخير وان لم تفعلوا وعن الحسن انه سمع مطرف بن عبد الله يقول لا اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود الشيطان لو ظفر بهذه منكم فلا يامر احد بمعروف ولا ينهى عن منكر (فان قلت) كيف قيل يدعون الى الخير ويامرون بالمعروف (قلت) الدعاء الى الخير عام فى التكاليف من الافعال والتروك والامر بالمعروف والنهى عن المنكر خاص فجيء بالعام ثم عطف عليه الخاص ايذانا بفضله كقوله والصلاة الوسطى (كالذين تفرقوا واختلفوا) وهم اليهود والنصارى (من بعد ما جاءهم البينات) الموجبة للاتفاق على كلمة واحدة وهى كلمة الحق وقيل هم مبتدعو هذه الامة وهم المشبهة والمجبرة والحشوية وأشباههم (يوم تبيض وجوه) نصب بالظرف وهو لهم أو باضمار اذكر وقرئ تبيض وتسود بكسر حرف المضارعة وتبياض وتسواد والبياض من النور والسواد من الظلمة فمن كان من اهل نور الحق وسم ببياض اللون واسفاره واشراقه وابيضت صحيفته واشرقت وسعى النور بين يديه وبيمينه ومن كان من اهل ظلمة الباطل وسم بسواد اللون وكسوفه وكمده واسودت صحيفته واظلمت واحاطت به الظلمة من كل جانب نعوذ بالله وبسعة رحمته من ظلمات الباطل واهله (أكفرتم) فيقال لهم اكفرتم والهمزة للتوبيخ والتعجيب من حالهم والظاهر انهم اهل الكتاب وكفرهم بعد الايمان تكذيبهم برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد اعترافهم به قبل مجيئه وعن عطاء تبيض وجوه المهاجرين والانصار وتسود وجوه بنى قريظة والنضير وقيل هم المرتدون وقيل اهل البدع والاهواء وعن ابي امامة هم الخوارج ولما رآهم على درج دمشق دمعت عيناه ثم قال كلاب النار هؤلاء شر قتلى تحت اديم السماء وخير قتلى تحت اديم السماء الذين قتلهم هؤلاء فقال له ابو غالب أشيء تقوله برايك ام شيء سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بل سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة قال فما شانك دمعت عيناك قال رحمة لهم كانوا من اهل الاسلام فكفروا ثم قرأ هذه الآية ثم اخذ بيده فقال ان بارضك منهم كثير افاعاذك الله منهم وقيل هم جميع الكفار لاعراضهم عما اوجبه الاقرار حين اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى (ففي رحمة الله) ففى نعمته وهي الثواب المخلد * (فان قلت) كيف موقع قوله (هم فيها خالدون) بعد قوله ففي رحمة الله (قلت) موقع الاستئناف كانه قيل كيف يكونون فيها فقيل هم فيها خالدون لا يظعنون عنها ولا يموتون (تلك آيات الله) الواردة فى الوعد والوعيد (نتلوها عليك) ملتبسة (بالحق) والعدل من جزاء المحسن والمسيء بما يستوجبانه (وما الله يريد ظلما) فياخذ احدا بغير جرم او يزيد فى عقاب مجرم او ينقص من ثواب محسن ونكر ظلما وقال (للعالمين) على معنى ما يريد شيا من الظلم لاحد من خلقه فسبحان

كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم يوم تبيض وجوه وتسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففى رحمة الله هم فيها خالدون تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق وما الله يريد ظلما للعالمين ولله ما فى السموات وما فى الارض والى الله ترجع الامور

من يحلم عمن يصفه بارادة القبائح والرضا بها * كان عبارة عن وجود الشيء في زمان ماض على سبيل الابهام وليس فيه دليل على عدم سابق ولا على انقطاع طارئ ومنه قوله تعالى وكان الله غفورا رحيما ومنه قوله تعالى (كنتم خير أمة) كانه قيل وجدتم خير أمة وقيل كنتم في علم الله خير أمة وقيل كنتم في الامم قبلكم مذكورين بانكم خير امة موصوفين به (اخرجت) اظهرت وقوله (تأمرون) كلام مستأنف بين به كونهم خير أمة كما تقول زيد كريم يطعم الناس ويكسوهم ويقوم بما يصلحهم (وتؤمنون بالله) جعل الايمان بكل ما يجب الايمان به ايمانا بالله لان من آمن ببعض ما يجب الايمان به من رسول او كتاب او بعث او حساب او عقاب او ثواب او غير ذلك لم يعتد بايمانه فكانه غير مؤمن بالله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا والدليل عليه قوله تعالى (ولو آمن أهل الكتاب) مع ايمانهم بالله (لكان خيرا لهم) لكان الايمان خيرا لهم مما هم عليه لانهم انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ولو آمنوا لكان لهم من الرياسة والاتباع وحظوظ الدنيا ما هو خير مما آثروا دين الباطل لاجله مع الفوز بما وعدوه على الايمان من ايتاء الاجر مرتين (منهم المؤمنون) كعبد الله بن سلام واصحابه (واكثرهم الفاسقون) المتمردون في الكفر (لن يضروكم الا أذى) الا ضررا مقتصرا على أذى بقول من طعن في الدين او تهديد او نحو ذلك (وان يقاتلوكم يولوكم الادبار) منهزمين ولا يضروكم بقتل او أسر (ثم لا ينصرون) ثم لا يكون لهم نصر من احد ولا يمنعون منكم وفيه تثبيت لمن اسلم منهم لانهم كانوا يؤذونهم بالتلهي بهم وتوبيخهم وتضليلهم وتهديدهم بانهم لا يقدرون ان يتجاوزوا الاذى بالقول الى ضرر يبالى به مع انه وعدهم الغلبة عليهم والانتقام منهم وان عاقبة امرهم الخذلان والذل (فان قلت) هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون (قلت) عدل به عن حكم الجزاء الى حكم الاخبار ابتداء كانه قيل ثم أخبركم انهم لا ينصرون (فان قلت) فاى فرق بين رفعه وجزمه في المعنى (قلت) لو جزم لكان نفي النصر مقيدا بمقاتلتهم كتولية الادبار وحين رفع كان نفي النصر وعدا مطلقا كانه قال ثم شانهم وقصتهم التي اخبركم عنها وأبشركم بها بعد التولية انهم مخذولون منتف عنهم النصر والقوة لا ينهضون بعدها بجناح ولا يستقيم لهم أمر وكان كما اخبر من حال بني قريظة والنضير وبني قينقاع ويهود خيبر (فان قلت) فما الذي عطف عليه هذا الخبر (قلت) جملة الشرط والجزاء كانه قيل أخبركم انهم ان يقاتلوكم ينهزموا ثم أخبركم انهم لا ينصرون (فان قلت) فما معنى التراخي في ثم (قلت) التراخي في المرتبة لان الاخبار بتسليط الخذلان عليهم أعظم من الاخبار بتوليتهم الادبار (فان قلت) ما موقع الجملتين أعني منهم المؤمنون ولن يضروكم (قلت) هما كلامان واردان على طريق الاستطراد عند اجراء ذكر اهل الكتاب كما يقول القائل وعلى ذكر فلان فان من شانه كيت وكيت ولذلك جاآ من غير عاطف (بحبل من الله) في محل النصب على الحال بتقدير الا معتصمين او متمسكين او ملتبسين بحبل من الله وهو استثناء من اعم عام الاحوال والمعنى ضربت عليهم الذلة في عامة الاحوال الا في حال اعتصامهم بحبل الله وحبل الناس يعني ذمة الله وذمة المسلمين اى لا عز لهم قط الا هذه الواحدة وهي التجاؤهم الى الذمة لما قبلوه من الجزية (وباؤا بغضب من الله) استوجبوه (وضربت عليهم المسكنة) كما يضرب البيت على اهله فهم ساكنون في المسكنة غير ظاعنين عنها وهم اليهود عليهم لعنة الله وغضبه (ذلك) اشارة الى ما ذكر من ضرب الذلة والمسكنة والبواء بغضب الله اى ذلك كائن بسبب كفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء ثم قال (ذلك بما عصوا) أى ذلك كائن بسبب عصيانهم لله واعتدائهم لحدوده ليعلم ان الكفر وحده ليس بسبب في استحقاق سخط الله وان سخط الله يستحق بركوب المعاصي كما يستحق بالكفر ونحوه مما خطيئاتهم اغرقوا واخذهم الربا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل * الضمير في (ليسوا) لاهل الكتاب اى ليس اهل الكتاب مستوين * وقوله (من اهل الكتاب امة قائمة) كلام مستأنف لبيان قوله ليسوا سواء كما وقع قوله تأمرون بالمعروف بيانا لقوله كنتم خير امة * أمة قائمة مستقيمة عادلة من قولك اقمت العود فقام بمعنى استقام وهم الذين اسلموا منهم * وعبر عن تهجدهم بتلاوة القرآن في ساعات الليل مع السجود لانه

كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ولو آمن اهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون واكثرهم الفاسقون لن يضروكم الا اذى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون ضربت عليهم الذلة اينما ثقفوا الا بحبل من الله وحبل من الناس وباؤا بغضب من الله وضربت عليهم المسكنة ذلك بانهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ليسوا سواء من اهل الكتاب أمة قائمة

* قوله تعالى وان يقاتلوكم يولوكم الادبار ثم لا ينصرون (قال محمود ان قلت هلا جزم المعطوف في قوله ثم لا ينصرون الخ) قال احمد وهذا من الترقي في الوعد عما هو ادنى الى ما هو اعلى لانهم وعدوا بتولية عدوهم الادبار عند المقابلة ثم ترقى الوعد الى ما هو اتم في النجاح من ان هؤلاء لا ينصرون مطلقا ويزيد هذا الترقي بدخول ثم دون الواو فانها استعمار هنا للتراخي في الرتبة لا في الوجود كانه قال ثم ههنا ما هو اعلى في الامتنان واسمح في رتب

الاحسان وهو ان هؤلاء قوم لا ينصرون ألبته والله أعلم * قوله تعالى مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته و ما ظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون (قال ابو القاسم محمود الصر الريح الباردة الخ) قال احمد كلها اوجه وجيهة وهذا الاخير أحسنها وأوجهها لكن لم يبين الزمخشري وجه الظرفية في الامثلة المذكورة ونحن نبينها فنقول اذا قلت مثلا ان ضيعني زيد ففي عمرو بعد الله كاف فقولك كاف انبت به منكرا مجردا من القيود المشخصة المخصصة ثم جعلت المعين الذي هو عمرو محلا له فشخصت ذلك المطلق المجرد بهذا المعين فهي ظرفية صحيحة اذ كل مقيد ظرف لمطلقه اذ المطلق بعض المقيد فتنبه لهذه النكتة فانها لطيفة والله الموفق (قال محمود فان قلت الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلة جدواه الخ) قال احمد اما ايراد السؤال فلا ترتضي صيغته لما فيها من حيف بالادب اذ جزم السائل المقدر بان كلام الله تعالى غير مطابق لمراده واللائق بالسؤال الوارد عن كتاب الله تعالى ان يذكر بصيغة الاسترشاد الصريحة لا بصيغة الاعتراض المحضة والعبارة الصحيحة ان يقال فما وجه مطابقة الكلام للغرض ولا ينبغي التساهل في ذلك فان أحدنا لو أورد سؤالا على كلام امام معتبر برأى منه ومسمع تحيل في انواع التلطف في ايراده وبعد عن امثال هذه العبارة ولعل الاعتراض على ذلك الامام يكون واردا لا يمكن عنه جواب فكيف يليق التسامح في ايراد الاسئلة على كتاب الله تعالى بصيغ الاعتراضات وانما يسئل عن كلام الله تعالى برأى منه ومسمع على علم بانه كلام لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد فما أجدره أن يتوفر في الاسترشاد وان يتادب

أبين لما يفعلون وأدل على حسن صورة أمرهم وقيل هي صلاة العشاء لان اهل الكتاب لا يصلونها وعن ابن مسعود رضي الله عنه أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ثم خرج الى المسجد فاذا الناس ينتظرون الصلاة فقال أما انه ليس من أهل الاديان أحد يذكر الله هذه الساعة غيركم وقرأ هذه الآية * وقوله (يتلون) و (يؤمنون) في محل الرفع صفتان لامة اي أمة قائمة تالون مؤمنون وصفهم بخصائص ما كانت في اليهود من تلاوة آيات الله بالليل ساجدين ومن الايمان بالله لان ايمانهم به كلا ايمان لاشراكهم به عزيرا وكفرهم ببعض الكتب والرسل دون بعض ومن الايمان باليوم الآخر لانهم يصفونه بخلاف صفته ومن الامر بالمعروف والنهي عن المنكر لانهم كانوا مداهنين ومن المسارعة في الخيرات لانهم كانوا متباطئين عنها غير راغبين فيها * والمسارعة في الخير فرط الرغبة فيه لان من رغب في الامر سارع في توليه والقيام به وآثر الفور على التراخي (وأولئك) الموصوفون بما وصفوا به (من) جملة (الصالحين) الذين صلحت أحوالهم عند الله ورضيهم واستحقوا ثناءه عليهم ويجوز أن يريد بالصالحين المسلمين (فلن تكفروه) لما جاء وصف الله عز وعلا بالشكر في قوله والله شكور حليم في معنى توفية الثواب نفى عنه نقيض ذلك (فان قلت) لم عدى الى مفعولين وشكر وكفر لا يتعديان الا الى واحد تقول شكر النعمة وكفرها (قلت) ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن تحرموه بمعنى فلن تحرموا جزاءه * وقرئ يفعلوا ويكفروه بالياء والتاء (والله عليم بالمتقين) بشارة للمتقين بجزيل الثواب ودلالة على انه لا يفوز عنده الا اهل التقوى * الصر الريح الباردة نحو الصرصر قال

لا تعدلن أتاويين تضربهم * نكباء صر باصحاب المحلات

كما قالت ليلى الاخيلية

ولم تغلب الخصم الالد وتملأ الـ * ـجفان سديفا يوم نكباء صرصر

(فان قلت) فما معنى قوله (كمثل ريح فيها صر) (قلت) فيه أوجه أحدها ان الصر في صفة الريح بمعنى الباردة فوصف بها القرة بمعنى فيها قرة صر كما تقول برد بارد على المبالغة والثاني ان يكون الصر مصدرا في الاصل بمعنى البرد فجيء به على أصله والثالث ان يكون من قوله تعالى لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ومن قولك ان ضيعني فلان ففي الله كاف وكافل قال * وفي الرحمن للضعفاء كاف * شبه ما كانوا ينفقون من أموالهم في المكارم والمفاخر وكسب الثناء وحسن الذكر بين الناس لا يبتغون به وجه الله بالزرع الذي حسه البرد فذهب حطاما وقيل هو ما كانوا يتقربون به الى الله مع كفرهم وقيل ما انفقوا في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فضاع عنهم لانهم لم يبلغوا بانفاقه ما أنفقوه لاجله وشبه بحرث (قوم ظلموا انفسهم) فاهلك عقوبة لهم على معاصيهم لان الاهلاك عن سخط أشد وأبلغ (٣) (فان قلت) الغرض تشبيه ما انفقوا في قلة جدواه

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ان الذين كفروا لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئا وأولئك أصحاب النار هم فيها خالدون مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدنيا كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم ظلموا انفسهم فاهلكته

(٣) (فان قلت) فلم قال ظلموا انفسهم ولم يقتصر بقوله أصابت الحرث او اصابت حرث قوم (قلت) لان الغرض تشبيه ما ينفقون بشيء يذهب على الكلية حتى لا يبقى منه شيء وحرث الكافرين الظالمين هو الذي يذهب على الكلية لا منفعة لهم فيه لا في الدنيا ولا في الآخرة فاما حرث المسلم المؤمن فلا يذهب على الكلية لانه وان كان يذهب صورة الا انه لا يذهب معنى لما فيه من حصول أغراض لهم في الآخرة والثواب بالصبر على الذهاب اه من هامش قال فيه حاشية كتبته باملاء المصنف

فى الايراد ثم نعود الى جواب الزمخشرى الثانى وهو قوله ان المراد مثل اهلاك ماينفقون فنقول لم يكشف الغطاء بهذا الجواب عن المطابقة المسؤل عنها والسؤال باق وذلك ان الريح المشبهة بها ليست الاهلاك وانما هي المهلكة ولا مطابقة بين المصدر والاسم الا بتأويل آخر وحينئذ يبعد هذا الوجه وأقرب منه ان يقول اصل الكلام والله اعلم مثل ماينفقون فى هذه الحياة الدنيا كمثل حرث قوم ظلموا أنفسهم فاصابته ريح فيها صر فاهلكته ولكن خولف هذا النظم فى المثل المذكور لفائدة جليلة وهو تقديم ماهو اهم لان الريح التي هي مثل العذاب ذكرها فى سياق

وماظلمهم الله ولكن انفسهم يظلمون يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يالونكم خبالا ودوا ماعنتم قد بدت البغضاء من افواههم وماتخفى صدورهم أكبر قد بينا لكم الآيات ان كنتم تعقلون ها انتم أولاء تحبونهم ولا يحبونكم وتؤمنون بالكتاب كله واذا لقوكم قالوا آمنا واذا خلوا عضوا عليكم الانامل من الغيظ قل موتوا بغيظكم ان الله عليم بذات الصدور ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها

وضياعه بالحرث الذى ضربته الصر والكلام غير مطابق للغرض حيث جعل ماينفقون ممثلا بالريح (قلت) هو من التشبيه المركب الذى مر فى تفسير قوله كمثل الذى استوقد نارا ويجوز ان يراد مثل اهلاك ماينفقون كمثل اهلاك الريح او مثل ماينفقون كمثل مهلك ريح وهو الحرث وقرئ تنفقون بالتاء (وماظلمهم الله) الضمير للمنفقين على معنى وماظلمهم الله بأن لم يقبل نفقاتهم ولكنهم ظلموا أنفسهم حيث لم يأتوا بها مستحقة للقبول او لاصحاب الحرث الذين ظلموا أنفسهم اى وماظلمهم الله باهلاك حرثهم ولكن ظلموا أنفسهم بارتكاب مااستحقوا به العقوبة وقرئ ولكن بالتشديد بمعنى ولكن أنفسهم يظلمونها هم ولا يجوز ان يراد ولكنه أنفسهم يظلمون على اسقاط ضمير الشأن لانه انما يجوز فى الشعر * بطانة الرجل ووليجته خصيصه وصفيه الذى يفضي اليه بشقوره ثقة به شبه ببطانة الثوب كما يقال فلان شعارى وعن النبى صلى الله عليه وسلم الانصار شعار والناس دثار (من دونكم) من دون أبناء جنسكم وهم المسلمون ويجوز تعلقه بلا تتخذوا وببطانة على الوصف اى بطانة كائنة من دونكم مجاوزة لكم (لا يالونكم خبالا) يقال ألا فى الامر يالو اذا قصر فيه ثم استعمل معدى الى مفعولين فى قولهم لا ألوك نصحا ولا ألوك جهدا على التضمين والمعنى لا أمنعك نصحا ولا أنقصكه والخبال الفساد (ودوا ماعنتم) ودوا عنتكم على ان ما مصدرية والعنت شدة الضرر والمشقة وأصله انهياض العظم بعد جبره اى تمنوا ان يضروكم فى دينكم ودنياكم أشد الضرر وأبلغه (قد بدت البغضاء من افواههم) لانهم لا يتمالكون مع ضبطهم انفسهم وتحاملهم عليها ان ينفلت من ألسنتهم مايعلم به بغضهم المسلمين وعن قتادة قد بدت البغضاء لاوليائهم من المنافقين والكفار لاطلاع بعضهم بعضا على ذلك وفى قراءة عبد الله قد بدا البغضاء (قد بينا لكم الآيات) الدالة على وجوب الاخلاص فى الدين وموالاة اولياء الله ومعاداة أعدائه (ان كنتم تعقلون) مابين لكم فعملتم به (فان قلت) كيف موقع هذه الجمل (قلت) يجوز ان يكون لا يالونكم صفة للبطانة وكذلك قد بدت البغضاء كانه قيل بطانة غير آليكم خبالا بادية بغضاؤهم وأما قد بينا فكلام مبتدأ وأحسن منه وأبلغ ان تكون مستانفات كلها على وجه التعليل للنهى عن اتخاذهم بطانة (ها) للتنبيه و (أنتم) مبتدأ و (أولاء) خبره أى أنتم أولاء الخاطئون فى موالاة منافقى اهل الكتاب وقوله (تحبونهم ولا يحبونكم) بيان لخطئهم فى موالاتهم حيث يبذلون محبتهم لاهل البغضاء وقيل أولاء موصول تحبونهم صلته * والواو فى (وتؤمنون) للحال وانتصابها من لا يحبونكم اى لا يحبونكم والحال انكم تؤمنون بكتابهم كله وهم مع ذلك يبغضونكم فما بالكم تحبونهم وهم لا يؤمنون بشيء من كتابكم وفيه توبيخ شديد بانهم فى باطلهم اصلب منكم فى حقكم ونحوه فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله مالا يرجون * ويوصف المغتاظ والنادم بعض الانامل والبنان والابهام قال الحرث بن ظالم المرى

فاقتل اقواما لئاما أذلة * يعضون من غيظ رؤس الاباهم

(قل موتوا بغيظكم) دعاء عليهم بان يزداد غيظهم حتى يهلكوا به والمراد بزيادة الغيظ زيادة مايغيظهم من قوة الاسلام وعز أهله وما لهم فى ذلك من الذل والخزى والتبار (ان الله عليم بذات الصدور) فهو يعلم مافى صدور المنافقين من الحنق والبغضاء وما يكون منهم فى حال خلو بعضهم ببعض وهو كلام داخل فى جملة المقول او خارج منها (فان قلت) فكيف معناه على الوجهين (قلت) اذا كان داخلا فى جملة المقول فمعناه أخبرهم بما يسرونه من عضهم الانامل غيظا اذا خلوا وقل لهم ان الله عليم بما هو أخفى مما تسرونه بينكم وهو مضمرات الصدور فلا تظنوا ان شيأ من أسراركم يخفى عليه واذا كان خارجا فمعناه قل لهم ذلك يامحمد ولا تتعجب من

الوعيد والتهديد أهم من ذكر الحرث فقدمت عناية بذكرها واعتمادا على ان الافهام الصحيحة تستخرج المطابقة برد الكلام الى اصله على ايسر وجه ومثل هذا فى تحويل النظم لمثل هذه الفائدة قوله تعالى فرجل وامرأتان ممن ترضون من الشهداء ان تضل احداهما الآية ومثله أيضا اعددت هذه الخشبة ان يميل الحائط فادعمه والاصل ان تذكر احداهما الاخرى ان ضلت وان ادعم بها الحائط اذا مال وأمثال ذلك كثيرة والله الموفق

اطلاعى

اطلاعي اياك على ما يسرون فاني اعلم ما هو أخفى من ذلك وهو ما اضمروه في صدورهم ولم يظهروه بالسنتهم ويجوز ان لا يكون ثم قول وان يكون قوله قل موتوا بغيظكم امر الرسول الله صلى الله عليه وسلم بطيب النفس وقوة الرجاء والاستبشار بوعد الله ان يهلكوا غيظا باعزاز الاسلام واذلالهم به كانه قيل حدث نفسك بذلك *الحسنة الرخاء والخصب والنصرة والغنيمة ونحوها من المنافع * والسيئة ما كان ضد ذلك وهذا بيان لفرط معاداتهم حيث يحسدونهم على ما نالهم من الخير ويشمتون بهم فما اصابهم من الشدة (فان قلت) كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة (قلت) المس مستعار لمعنى الاصابة فكان المعنى واحدا الا ترى الى قوله ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا (وان تصبروا) على عداوتهم (وتتقوا) ما نهيتم عنه من موالاتهم او وان تصبروا على تكاليف الدين ومشاقه وتتقوا الله في اجتنابكم محارمه كنتم في كنف الله فلا يضركم كيدهم *وقرئ لا يضركم من ضاره يضيره ويضركم على ان ضمة الراء لاتباع ضمة الضاد كقولك مد يا هذا وروى المفضل عن عاصم لا يضركم بفتح الراء وهذا تعليم من الله وارشاد الى ان يستعان على كيد العدو بالصبر والتقوى وقد قال الحكماء اذا اردت ان تكبت من يحسدك فازدد فضلا في نفسك (ان الله بما تعملون) من الصبر والتقوى وغيرهما (محيط) ففاعل بكم ما انتم اهله وقرئ بالياء بمعنى انه عالم بما يعملون في عداوتكم فمعاقبهم عليه *(و) اذكر (اذ غدوت من اهلك) بالمدينة وهو غدوه الى أحد من حجرة عائشة رضي الله عنها روى ان المشركين نزلوا باحد يوم الاربعاء فاستشار رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ودعا عبد الله بن أبي ابن سلول ولم يدعه قط قبلها فاستشاره فقال عبد الله واكثر الانصار يا رسول الله اقم بالمدينة ولا تخرج اليهم فوالله ما خرجنا منها الى عدو قط الا اصاب منا ولا دخلها علينا الا اصبنا منه فكيف وأنت فينا فدعهم فان أقاموا أقاموا بشر محبس وان دخلوا قاتلهم الرجال في وجوههم ورماهم النساء والصبيان بالحجارة وان رجعوا رجعوا خائبين وقال بعضهم يا رسول الله اخرج بنا الى هؤلاء الاكلب لا يرون انا قد جبنا عنهم فقال صلى الله عليه وسلم اني قد رأيت في منامي بقرا مذبحة حولي فاولتها خيرا ورأيت في ذباب سيفي ثلما فاولته هزيمة ورأيت كاني ادخلت يدي في درع حصينة فاولتها المدينة فان رأيتم ان تقيموا بالمدينة وتدعوهم فقال رجال من المسلمين قد فاتتهم بدر وأكرمهم الله بالشهادة يوم أحد اخرج بنا الى اعدائنا فلم يزالوا به حتى دخل فلبس لامته فلما راوه قد لبس لامته ندموا وقالوا بئسما صنعنا نشير على رسول الله صلى الله عليه وسلم والوحي يأتيه وقالوا اصنع يا رسول الله ما رأيت فقال لا ينبغي لنبي أن يلبس لأمته فيضعها حتى يقاتل فخرج يوم الجمعة بعد صلاة الجمعة واصبح بالشعب من احد يوم السبت للنصف من شوال فمشى على رجليه فجعل يصف اصحابه للقتال كانما يقوم بهم القدح ان رأى صدرا خارجا قال تاخر وكان نزوله في عدوة الوادي وجعل ظهره وعسكره الى احد وأمر عبد الله بن جبير على الرماة وقال لهم انضحوا عنا بالنبل لا يأتونا من ورائنا (تبوئ المؤمنين) تنزلهم وقرأ عبد الله للمؤمنين بمعنى تسوي لهم وتهيئ (مقاعد للقتال) مواطن ومواقف وقد اتسع في قعد وقام حتى اجريا مجرى صار واستعمل المقعد والمقام في معنى المكان ومنه قوله تعالى في مقعد صدق قبل ان تقوم من مقامك من مجالسك وموضع حكمك (والله سميع) لاقوالكم عليم بنياتكم وضمائركم (اذ همت) بدل من اذ غدوت او عمل فيه معنى سميع عليم *والطائفتان حيان من الانصار بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الاوس وهما الجناحان خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في الف وقيل في تسعمائة وخمسين والمشركون في ثلاثة آلاف ووعدهم الفتح ان صبروا فانخزل عبد الله بن ابي بثلث الناس وقال يا قوم علام نقتل انفسنا واولادنا فتبعهم عمرو بن حزم الانصاري فقال انشدكم الله في نبيكم وانفسكم فقال عبد الله لو نعلم قتالا لاتبعناكم فهم الحيان باتباع عبد الله فعصمهم الله فمضوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه اضمروا ان يرجعوا فعزم الله لهم على الرشد فثبتوا والظاهر انهما كانت الا همة وحديث نفس وكما لا تخلو النفس عند الشدة من بعض الهلع ثم يردها صاحبها الى الثبات والصبر ويوطنها على احتمال المكروه كما قال عمرو

وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيأ ان الله بما يعملون محيط وان غدوت من اهلك تبوئ المؤمنين مقاعد للقتال والله سميع عليم اذ همت طائفتان منكم ان تفشلا

*قوله تعالى ان تمسسكم حسنة تسؤهم وان تصبكم سيئة يفرحوا بها (قال محمود ان قلت كيف وصفت الحسنة بالمس والسيئة بالاصابة الخ) قال احمد يمكن ان يقال المس اقل تمكنا من الاصابة وكانه اقل درجاتها فكان الكلام والله اعلم ان تصبكم الحسنة ادنى اصابة تسؤهم ويحسدوكم عليها وان تمكنت الاصابة منكم وانتهى الامر فيها الى الحد الذي يرثي الشامت عنده منها فهم لا يرثون لكم ولا ينفكون عن حسدهم ولا في هذه الحال بل يفرحون ويسرون والله اعلم

ابن الاطنابة أقول لها اذا جشأت وجاست * مكانك تحمدى أو تستريحي

حتى قال معاوية عليكم بحفظ الشعر فقد كدت أضع رجلي في الركاب يوم صفين فما ثبتني الا قول عمرو بن الاطنابة ولو كانت عزيمة لما ثبتت معها الولاية والله تعالى يقول (والله وليهما) و يجوز أن يرادوا الله ناصرها ومتولى أمرها فمالها تفشلان ولا تتوكلان على الله (فان قلت) فما معنى ماروى من قول بعضهم عند نزول الآية والله ما يسرنا أنا لم نهم بالذى هممنا به وقد أخبرنا الله بأنه ولينا (قلت) معنى ذلك فرط الاستبشار بما حصل لهم من الشرف بثناء الله وانزاله فيهم آية ناطقة بصحة الولاية وأن تلك الهمة غير المأخوذ بها لانها لم تكن عن عزيمة وتصميم كانت سببا لنزولها * والفشل الجبن والخور وقرأ عبدالله والله وليهم كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا * أمرهم بان لا يتوكلوا الا عليه ولا يفوضوا أمورهم الا اليه * ثم ذكرهم مايوجب عليهم التوكل مما يسر لهم من الفتح يوم بدر وهم فى حال قلة وذلة * والاذلة جمع قلة والذلان جمع الكثرة وجاء بجمع القلة ليدل على انهم على ذلتهم كانوا قليلا وذلتهم ما كان بهم من ضعف الحال وقلة السلاح والمال والمركوب وذلك أنهم خرجوا على النواضح يعتقب النفر منهم على البعير الواحد وما كان معهم الا فرس واحد وقلتهم أنهم كانوا ثلثمائة وبضعة عشر وكان عدوهم فى حال كثرة زهاء ألف مقاتل ومعهم مائة فرس والشكة والشوكة * و بدر اسم ماء بين مكة والمدينة كان لرجل يسمى بدرا فسمي به (فاتقوا الله) في الثبات مع رسوله (لعلكم تشكرون) بتقواكم ما أنعم به عليكم من نصرته أو لعلكم ينعم الله عليكم نعمة أخرى تشكرونها فوضع الشكر موضع الانعام لانه سبب له (اذ تقول) ظرف لنصركم على أن يقول لهم ذلك يوم بدر أو بدل ثان من اذ غدوت على ان يقوله لهم يوم أحد (فان قلت) كيف يصح أن يقول لهم يوم أحد ولم تنزل فيه الملائكة (قلت) قاله لهم مع اشتراط الصبر والتقوى عليهم فلم يصبروا عن الغنائم ولم يتقوا حيث خالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك لم تنزل الملائكة ولو تموا على ماشرط عليهم لنزلت وانما قدم لهم الوعد بنزول الملائكة لتقوى قلوبهم ويعزموا على الثبات ويثقوا بنصر الله ومعنى (ألن يكفيكم) انكار ان لا يكفيهم الامداد بثلاثة آلاف من الملائكة وانما جيء بلن الذى هو لتأكيد النفى الاشعار بانهم كانوا لقلتهم وضعفهم وكثرة عدوهم وشوكته كالآيسين من النصر و (بلى) ايجاب لما بعد لن بمعنى بلى يكفيكم الامداد بهم فاوجب الكفاية ثم قال (ان تصبروا وتتقوا) يمددكم بأكثر من ذلك العدد مسومين للقتال (ويأتوكم) يعنى المشركين (من فورهم هذا) من قولك قفل من غزوته وخرج من فوره الى غزوة أخرى وجاء فلان ورجع من فوره ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله الامر على الفور لا على التراخي وهو مصدر من فارت القدر اذا غلت فاستعير للسرعة ثم سميت به الحالة التى لا ريث فيها ولا تعريج على شيء من صاحبها فقيل خرج من فوره كما تقول من ساعته لم يلبث والمعنى أنهم ان يأتوكم من ساعتهم هذه (يمددكم ربكم) بالملائكة فى حال اتيانهم لا يتاخر نزولهم عن اتيانهم يريد أن الله يعجل نصرتكم و ييسر فتحكم ان صبرتم واتقيتم * وقرئ منزلين بالتشديد ومنزلين بكسر الزاى بمعنى منزلين النصر ومسومين بفتح الواو وكسرها بمعنى معلمين ومعلمين أنفسهم أو خيلهم قال الكلبي معلمين بعمائم صفر مرخاة على أكتافهم وعن الضحاك معلمين بالصوف الابيض في نواصى الدواب وأذنابها وعن مجاهد مجزوزة أذناب خيلهم وعن قتادة كانوا على خيل بلق وعن عروة بن الزبير كانت عمامة الزبير يوم بدر صفراء فنزلت الملائكة كذلك وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لاصحابه تسوموا فان الملائكة قد تسومت (وما جعله الله) الهاء لان يمدكم اى وما جعل الله امدادكم بالملائكة الا بشارة لكم بانكم تنصرون (ولتطمئن قلوبكم به) كما كانت السكينة لبنى اسرائيل بشارة بالنصر وطمانينة لقلوبهم (وما النصر الا من عند الله) لا من عند المقاتلة اذا تكاثروا ولا من عند الملائكة والسكينة ولكن ذلك مما يقوى به الله رجاء النصرة والطمع فى الرحمة ويربط به على قلوب المجاهدين (العزيز) الذى لا يغالب فى حكمه (الحكيم) الذى يعطي النصر و يمنعه لما يرى من المصلحة (ليقطع طرفا من الذين كفروا) ليهلك طائفة منهم بالقتل والاسر وهو ما كان يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين من رؤساء قريش وصناديدهم (أو يكبتهم)

والله وليهما وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد نصركم الله ببدر وانتم اذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون اذ تقول للمؤمنين الن يكفيكم ان يمدكم ربكم بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين بلى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين وما جعله الله الا بشرى لكم ولتطمئن قلوبكم به وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ليقطع طرفا من الذين كفروا او يكبتهم

أو يخزيهم و يغيظهم بالهزيمة (فينقلبوا خائبين) غير ظافرين بمبتغاهم ونحوه ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا و يقال كبته بمعنى كبده اذا ضرب كبده بالغيظ والحرقة وقيل في قول ابي الطيب

* لاكبت حاسدا وأرى عدوا * هو من الكبد والرئة واللام متعلقة بقوله ولقد نصركم الله او بقوله وما النصر الا من عند الله (او يتوب) عطف على ما قبله * وليس لك من الامر شيء اعتراض والمعنى ان الله مالك امرهم فاما يهلكهم او يهزمهم او يتوب عليهم ان اسلموا او يعذبهم ان اصروا على الكفر وليس لك من امرهم شيء انما انت عبد مبعوث لانذارهم ومجاهدتهم وقيل ان يتوب منصوب باضمار ان وان يتوب في حكم اسم معطوف باو على الامر او على شيء اي ليس لك من امرهم شيء او من التوبة عليهم او من تعذيبهم او ليس لك من امرهم شيء او التوبة عليهم او تعذيبهم وقيل او بمعنى الا ان كقولك لالزمنك او تعطيني حقي على معنى ليس لك من امرهم شيء الا ان يتوب الله عليهم فتفرح بحالهم او يعذبهم فتتشفى منهم وقيل شجه عتبة بن ابي وقاص يوم احد وكسر رباعيته فجعل يمسح الدم عن وجهه وسالم مولى ابي حذيفة يغسل عن وجهه الدم وهو يقول كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم بالدم وهو يدعوهم الى ربهم فنزلت وقيل اراد ان يدعو عليهم فنهاه الله تعالى لعلمه ان فيهم من يؤمن * وعن الحسن (يغفر لمن يشاء) بالتوبة ولا يشاء ان يغفر الا للتائبين (و يعذب من يشاء) ولا يشاء ان يعذب الا المستوجبين للعذاب وعن عطاء يغفر لمن يتوب اليه و يعذب من لقيه ظالما واتباعه قوله او يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون تفسير بين لمن يشاء وانهم المتوب عليهم او الظالمون ولكن اهل الاهواء والبدع يتصامون و يتعامون عن آيات الله فيخبطون خبط عشواء و يطيبون انفسهم بما يفترون على ابن عباس من قولهم يهب الذنب الكبير لمن يشاء و يعذب من يشاء على الذنب الصغير * (لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة) نهي عن الربا مع توبيخ بما كانوا عليه من تضعيفه كان الرجل منهم اذا بلغ الدين محله زاد في الاجل فاستغرق بالشيء الطفيف مال المديون (واتقوا النار التي اعدت للكافرين) كان أبو حنيفة رحمه الله يقول هي اخوف آية في القرآن حيث اوعد الله المؤمنين بالنار المعدة للكافرين ان لم يتقوه في اجتناب محارمه * وقد امد ذلك بما اتبعه من تعليق رجاء المؤمنين لرحمته بتوفرهم على طاعته وطاعة رسوله ومن تامل هذه الآية وأمثالها لم يحدث نفسه بالاطماع الفارغة والتمني على الله تعالى * وفي ذكره تعالى لعل وعسى في نحو هذه المواضع وان قال الناس ما قالوا ما لا يخفى على العارف الفطن من دقة مسلك التقوى وصعوبة اصابة رضا الله وعزة التوصل الى رحمته وثوابه * في مصاحف اهل المدينة والشام سارعوا بغير واو وقرأ الباقون بالواو وتنصره قراءة ابي وعبد الله وسابقوا ومعنى المسارعة الى المغفرة والجنة الاقبال على ما يستحقان به (عرضها السموات والارض) اي عرضها عرض السموات والارض كقوله عرضها كعرض السماء والارض والمراد وصفها بالسعة والبسطة فشبهت باوسع ما علمه الناس من خلقه وابسطه وخص العرض لانه في العادة ادنى من الطول للمبالغة كقوله بطائنها من استبرق وعن ابن عباس رضي الله عنه كسبع سموات وسبع ارضين لو وصل بعضها ببعض في (السراء والضراء) في حال الرخاء واليسر وحال الضيقة والعسر لا يخلون بان ينفقوا في كلتا الحالتين ما قدروا عليه من كثير او قليل كما حكي عن بعض السلف انه ربما تصدق ببصلة وعن عائشة رضي الله عنها انها تصدقت بحبة عنب او في جميع الاحوال لانها لا تخلو من حال مسرة ومضرة لا يمنعهم حال فرح وسرور ولا حال محنة و بلاء من المعروف وسواء عليهم كان الواحد منهم في عرس او في حبس فانه لا يدع الاحسان وافتتح بذكر الانفاق لانه اشق شيء على النفس وادله على الاخلاص ولانه كان في ذلك الوقت اعظم الاعمال للحاجة اليه في مجاهدة العدو ومواساة فقراء المسلمين * كظم القربة اذا ملأها وشد فاها وكظم البعير اذا لم يجتر ومنه كظم الغيظ وهو ان يمسك على ما في نفسه منه بالصبر ولا يظهر له اثرا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كظم غيظا وهو يقدر على انفاذه

فينقلبوا خائبين ليس لك من الامر شيء أو يتوب عليهم او يعذبهم فانهم ظالمون ولله ما في السموات وما في الأرض يغفر لمن يشاء و يعذب من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا الربوا أضعافا مضاعفة واتقوا الله لعلكم تفلحون واتقوا النار التي اعدت للكافرين واطيعوا الله والرسول لعلكم ترحمون وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ .

الكفار ومعتقد اهل السنة ان المغفرة في حقهم مشروطة بالتوبة من الكفر والرجوع الى الايمان وليسوا محل خلاف بين الطائفتين وعندهم ان المؤمن التائب من كفره هو المعنى في قولهم يغفر لمن يشاء كما قاله الزمخشري واما تسلقه من ذلك على تعميم هذا الحكم وتعديته الى الموحدين فمن التعامي والتصام حقيقة والا فهو احذق من ذلك واما نسبته الى اهل السنة التعامي والتصام والهوى والبدعة والافتراء فالله حسيبه في ذلك والسلام

ملأ الله قلبه امنا وايمانا وعن عائشة رضي الله عنها ان خادما لها غاظها فقالت لله در التقوى ما تركت لذي غيظ شفاء (والعافين عن الناس) اذا جنى عليهم أحد لم يؤاخذوه وروى ينادي مناد يوم القيامة اين الذين كانت اجورهم على الله فلا يقوم الا من عفا وعن ابن عيينة انه رواه للرشيد وقد غضب على رجل فخلاه وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان هؤلاء في أمتي قليل الا من عصم الله وقد كانوا كثيرا في الامم التي مضت (والله يحب المحسنين) يجوز أن تكون اللام للجنس فيتناول كل محسن ويدخل تحته هؤلاء المذكورون وان تكون للعهد فتكون اشارة الى هؤلاء (والذين) عطف على المتقين أي اعدت للمتقين وللتائبين وقوله أولئك اشارة الى الفريقين ويجوز ان يكون والذين مبتدأ خبره أولئك (فاحشة) فعلة متزايدة القبح (أو ظلموا انفسهم) او اذنبوا أي ذنب كان مما يؤاخذون به وقيل الفاحشة الزنا وظلم النفس مادونه من القبلة واللمسة ونحوهما وقيل الفاحشة الكبيرة وظلم النفس الصغيرة (ذكروا الله) تذكروا عقابه او وعيده اونهيه اوحقه العظيم وجلاله الموجب للخشية والحياء منه (فاستغفروا لذنوبهم) فتابوا عنها لقبحها نادمين عازمين (ومن يغفر الذنوب الا الله) وصف لذاته بسعة الرحمة وقرب المغفرة وان التائب من الذنب عنده كمن لا ذنب له وانه لا مفزع للمذنبين الا فضله وكرمه وان عدله يوجب المغفرة للتائب لان العبد اذا جاء في الاعتذار والتنصل بأقصى ما يقدر عليه وجب العفو والتجاوز وفيه تطييب لنفوس العباد وتنشيط للتوبة وبعث عليها وردع عن اليأس والقنوط وان الذنوب وان جلت فان عفوه اجل وكرمه أعظم والمعنى انه وحده معه مصححات المغفرة وهذه جملة معترضة بين المعطوف والمعطوف عليه (ولم يصروا) ولم يقيموا على قبيح فعلهم غير مستغفرين وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما اصر من استغفر وان عاد في اليوم سبعين مرة وروى لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار (وهم يعلمون) حال من فعل الاصرار وحرف النفي منصب عليهما معا والمعنى وليسوا ممن يصرون على الذنوب وهم عالمون بقبحها وبالنهي عنها وبالوعيد عليها لانه قد يعذر من لا يعلم قبح القبيح وفي هذه الآيات بيان قاطع ان الذين آمنوا على ثلاث طبقات متقون وتائبون ومصرون وان الجنة للمتقين والتائبين منهم دون المصرين ومن خالف في ذلك فقد كابر عقله وعاند ربه * قال (أجر العاملين) بعد قوله جزاؤهم لانهما في معنى واحد وانما خالف بين اللفظين لزيادة التنبيه على ان ذلك جزاء واجب على عمل واجر مستحق عليه لا كما يقول المبطلون وروى ان الله عزوجل اوحى الى موسى ما اقل حياء من يطمع في جنتي بغير عمل كيف اجود برحمتي على من يبخل بطاعتي وعن شهر بن حوشب طلب الجنة بلا عمل ذنب من الذنوب وانتظار الشفاعة بلا سبب نوع من الغرور وارتجاء الرحمة ممن لا يطاع حمق وجهالة وعن الحسن رضي الله عنه يقول الله تعالى يوم القيامة جوزوا الصراط بعفوي وادخلوا الجنة برحمتي واقتسموها باعمالكم وعن رابعة البصرية رضي الله عنها انها كانت تنشد

ترجو النجاة ولم تسلك مسالكها * ان السفينة لا تجري على اليبس

والمخصوص بالمدح محذوف تقديره ونعم اجر العاملين ذلك يعني المغفرة والجنات (قد خلت من قبلكم سنن) يريد ما سنه الله في الامم المكذبين من وقائعه كقوله وقتلوا تقتيلا سنة الله في الذين خلوا من قبل ثم لا يجدون وليا ولا نصيرا سنة الله التي قد خلت من قبل (هذا بيان للناس) ايضاح لسوء عاقبة ما هم عليه من التكذيب يعني حثهم على النظر في سوء عواقب المكذبين قبلهم والاعتبار بما يعاينون من آثار هلاكهم (وهدى وموعظة للمتقين) يعني انه مع كونه بيانا وتنبيها للمكذبين فهو زيادة تثبيت وموعظة للذين اتقوا من المؤمنين ويجوز ان يكون قوله قد خلت جملة معترضة للبعث على الايمان وما يستحق به ما ذكر من اجر العاملين ويكون قوله هذا بيان اشارة الى ما لخص وبين من امر المتقين والتائبين والمصرين (ولا تهنوا ولا تحزنوا) تسلية من الله سبحانه لرسوله ﷺ وللمؤمنين عما اصابهم يوم احد وتقوية في قلوبهم يعني ولا تضعفوا عن الجهاد لما اصابكم اي لا يورثنكم ذلك وهنا وجبنا ولا تبالوا به ولا تحزنوا على من قتل منكم وجرح (وأنتم الاعلون) وحالكم انكم اعلى منهم واغلب لانكم اصبتم منهم يوم بدرا كثر مما أصابوا منكم يوم احد او وانتم الاعلون

والعافين عن الناس والله يحب المحسنين والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون اولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ونعم اجر العاملين قد خلت من قبلكم سنن فسيروا في الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين ولا تهنوا ولا تحزنوا وانتم الاعلون

شا نالان قتالكم لله ولاعلاء كلمته وقتالهم للشيطان ولاعلاء كلمة الكفر ولان قتلانا كم في الجنة وقتلاهم في النار أوهي بشارة لهم بالعلو والغلبة أي رأنتم الاعلون في العاقبة وان جندنا لهم الغالبون (ان كنتم مؤمنين) متعلق بالنهي بمعنى ولاتهنوا ان صح ايمانكم على ان صحة الايمان توجب قوة القلب والثقة بصنع الله وقلة المبالاة باعدائه أو بالاعلون أي ان كنتم مصدقين بما يعدكم الله و يبشركم به من الغلبة * قرئ قرح بفتح القاف وضمها وهما لغتان كالضعف والضعف وقيل هو بالفتح الجراح و بالضم ألمها وقرأ ابو السمال قرح بفتحتين وقيل القرح والقرح كالطرد والطرد والمعنى ان نالوا منكم يوم أحد فقد نلتم منهم قبله يوم بدر ثم لم يضعف ذلك قلوبهم ولم يثبطهم عن معاودتكم بالقتال فانتم أولى أن لا تضعفوا ونحوه فانهم يألمون كما تألمون وترجون من الله مالا يرجون وقيل كان ذلك يوم أحد فقد نالوا منهم قبل أن يخالفوا أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم (فان قلت) كيف قيل (قرح مثله) وما كان قرحهم يوم أحد مثل قرح المشركين (قلت) بلى كان مثله ولقد قتل يومئذ خلق من الكفار ألا ترى الى قوله تعالى ولقد صدقكم الله وعده اذتحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما أراكم ما تحبون (وتلك الايام) تلك مبتدأ والايام صفته و (نداولها) خبره ويجوز ان يكون تلك الايام مبتدأ وخبرا كما تقول هي الايام تبلي كل جديد والمراد بالايام اوقات الظفر والغلبة نداولها نصرفها بين الناس نديل تارة لهؤلاء وتارة لهؤلاء كقوله وهو من ابيات الكتاب

فيوما علينا ويوما لنا * ويوما نساء ويوما نسر

ومن امثال العرب الحرب سجال وعن أبي سفيان أنه صعد الجبل يوم أحد فمكث ساعة ثم قال ابن ابن ابي كبشة اين ابن ابي قحافة اين ابن الخطاب فقال عمر هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا ابو بكر وها انا عمر فقال ابو سفيان يوم بيوم والايام دول والحرب سجال فقال عمر رضي الله عنه لاسواء قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار فقال انكم تزعمون ذلك فقد خبنا اذن وخسرنا والمداولة مثل المعاورة وقال

يرد المياه فلا يزال مداولا * في الناس بين تمثل وسماع

يقال داولت بينهم الشيء فتداولوه (وليعلم الله الذين آمنوا) فيه وجهان احدهما ان يكون المعلل محذوفا معناه وليتميز الثابتون على الايمان من الذين على حرف فعلنا ذلك وهو من باب التمثيل بمعنى فعلنا ذلك فعل من يريد أن يعلم من الثابت على الايمان منكم من غير الثابت والا فالله عزوجل لم يزل عالما بالاشياء قبل كونها وقيل معناه ليعلمهم علما يتعلق به الجزاء وهو ان يعلمهم موجودا منهم الثبات والثاني ان تكون العلة محذوفة وهذا عطف عليه معناه وفعلنا ذلك ليكون كيت وكيت وليعلم الله وانما حذف للايذان بان المصلحة فيما فعل ليست بواحدة ليسليهم عما جرى عليهم وليبصرهم ان العبد يسوءه ما يجري عليه من المصائب ولا يشعر أن لله في ذلك من المصالح ما هو غافل عنه (ويتخذ منكم شهداء) وليكرم ناسا منكم بالشهادة يريد المستشهدين يوم احد او وليتخذ منكم من يصلح للشهادة على الامم يوم القيامة بما يبتلي به صبركم من الشدائد من قوله تعالى لتكونوا شهداء على الناس (والله لا يحب الظالمين) اعتراض بين بعض التعليل وبعض ومعناه والله لا يحب من ليس من هؤلاء الثابتين على الايمان المجاهدين في سبيل الله الممحصين من الذنوب والتمحيص التطهير والتصفية (ويمحق الكافرين) ويهلكهم يعني ان كانت الدولة على المؤمنين فللتمييز والاستشهاد والتمحيص وغير ذلك مما هو اصلح لهم وان كانت على الكافرين فلمحقهم ومحو آثارهم (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها الانكار (ولما يعلم الله) بمعنى ولما تجاهدوا لان العلم متعلق بالمعلوم فنزل نفي العلم منزلة نفي متعلقه لانه منتف بانتفائه يقول الرجل ما علم الله في فلان خيرا يريد ما فيه خير حتى يعلمه ولما بمعنى لم الا أن فيها ضربا من التوقع فدل على نفي الجهاد فيما مضى وعلى توقعه فيما يستقبل وتقول وعدني ان يفعل كذا ولما تريد ولم يفعل وانا

يعزب عن علمه شيء لعموم تعلقه فاستقام التعبير عن نفي الشيء بنفي تعلق العلم القديم بوجوده المصحح للملازمة ولا كذلك علم آحاد المخلوقين فانه لا يعبر عن نفي شيء بنفي تعلق علم الخلق به لجواز وجود ذلك الشيء غير معلوم للخلق والزمخشري يظهر من كلامه صحة هذا التعبير مطلقا و يعتقد الملازمة المذكورة عامة فلذلك قال في قول فرعون ما علمت لكم من اله غيري انه عبر عن نفي المعلوم بنفي العلم لانه من لوازمه وسيأتي بيان ان الزمخشري وهم في هذا الموضع والا فهو يحاشى عن الوقوع في مثله اعتقادا والله أعلم وانما عبر فرعون بذلك تلبيسا على ملئه وتتميما لدعوى ألوهيته الكاذبة بانه لا يعزب عن علمه شيء فلو كان السواه على دعواه لتعلق علمه به وهذا يعد من حماقات فرعون ودعاويه الفارغة والله الموفق

ان كنتم مؤمنين ان يمسسكم قرح فقد مس القوم قرح مثله وتلك الايام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم

أتوقع فعله وقرئ ولما يعلم الله بفتح الميم وقيل أراد النون الخفيفة ولما يعلمن فحذفها (ويعلم الصابرين) نصب بإضمار أن والواو بمعنى الجمع كقولك لا تأكل السمك وتشرب اللبن وقرأ الحسن بالجزم على العطف وروى عبد الوارث عن أبي عمرو ويعلم بالرفع على أن الواو للحال كأنه قيل ولما تجاهدوا وأنتم صابرون (ولقد كنتم تمنون الموت) خوطب به الذين لم يشهدوا بدرا وكانوا يتمنون أن يحضروا مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليصيبوا من كرامة الشهادة ما نال شهداء بدر وهم الذين ألحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخروج الى المشركين وكان رأيه في الاقامة بالمدينة يعني وكنتم تمنون الموت قبل أن تشاهدوه وتعرفوا شدته وصعوبة مقاساته (فقد رأيتموه وأنتم تنظرون) اي رأيتموه معاينين مشاهدين له حين قتل بين ايديكم من قتل من اخوانكم واقاربكم وشارفتم ان تقتلوا وهذا توبيخ لهم على تمنيهم الموت وعلى ما تسببوا له من خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحاحهم عليه ثم انهزامهم عنه وقلة ثباتهم عنده (فان قلت) كيف يجوز تمني الشهادة وفي تمنيها تمني غلبة الكافر المسلم (قلت) قصد متمني الشهادة الى نيل كرامة الشهداء لا غير ولا يذهب وهمه الى ذلك المتضمن كأن من يشرب دواء الطبيب النصراني قاصد الى حصول المأمول من الشفاء ولا يخطر بباله أن فيه جر منفعة واحسان الى عدو الله وتنفيقا لصناعته ولقد قال عبد الله بن رواحة رضي الله عنه حين نهض الى موتة وقيل له ردكم الله

لكنني اسأل الرحمن مغفرة * وضربة ذات فرغ تقذف الزبدا
او طعنة بيدى حران مجهزة * بحربة تنفذ الاحشاء والكبدا
حتى يقولوا اذا مروا على جدثي * أرشدك الله من غاز وقد رشدا

*لما رمى عبد الله بن قمئة الحارثي رسول الله صلى الله عليه وسلم بحجر فكسر رباعيته وشج وجهه أقبل يريد قتله فذب عنه صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير وهو صاحب الراية يوم بدر ويوم أحد حتى قتله ابن قمئة وهو يرى أنه رسول الله ﷺ فقال قد قتلت محمدا وصرخ صارخ ألا ان محمدا قد قتل وقيل كان الصارخ الشيطان ففشا في الناس خبر قتله فانكفؤا فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو الى عباد الله حتى انحازت اليه طائفة من أصحابه فلامهم على هربهم فقالوا يا رسول الله فديناك بآبائنا وأمهاتنا أتانا خبر قتلك فرعبت قلوبنا فولينا مدبرين فنزلت وروى أنه لما صرخ الصارخ قال بعض المسلمين ليت عبد الله بن أبي يأخذ لنا أمانا من أبي سفيان وقال ناس من المنافقين لو كان نبيا لما قتل ارجعوا الى اخوانكم والى دينكم فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك يا قوم ان كان قتل محمد فان رب محمد حي لا يموت وما تصنعون بالحياة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقاتلوا على ما قاتل عليه وموتوا على ما مات عليه ثم قال اللهم اني اعتذر اليك مما يقول هؤلاء وابرأ اليك مما جاء به هؤلاء ثم شد بسيفه فقاتل حتى قتل وعن بعض المهاجرين أنه مر بانصاري يتشحط في دمه فقال يا فلان اشعرت أن محمدا قد قتل فقال ان كان قتل فقد بلغ قاتلوا على دينكم والمعنى (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل) فسيخلو كما خلوا وكما ان اتباعهم بقوا متمسكين بدينهم بعد خلوهم فعليكم أن تتمسكوا بدينه بعد خلوه لان الغرض من بعثة الرسل تبليغ الرسالة والزام الحجة لا وجوده بين اظهر قومه (أفان مات) الفاء معلقة للجملة الشرطية بالجملة قبلها على معنى التسبيب والهمزة لانكار ان يجعلوا خلو الرسل قبله سببا لانقلابهم على اعقابهم بعد هلاكه بموت او قتل مع علمهم ان خلو الرسل قبله وبقاء دينهم متمسكا به يجب ان يجعل سببا للتمسك بدين محمد صلى الله عليه وسلم لا للانقلاب عنه (فان قلت) لم ذكر القتل وقد علم أنه لا يقتل (قلت) لكونه مجوزا عند المخاطبين (فان قلت) اما علموه من ناحية قوله والله يعصمك من الناس (قلت) هذا مما يختص بالعلماء منهم وذوى البصيرة الا ترى انهم سمعوا بخبر قتله فهربوا على انه يحتمل العصمة من فتنة الناس واذلالهم * والانقلاب على الاعقاب الادبار عما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقوم به من امر الجهاد وغيره وقيل الارتداد وما ارتد احد من المسلمين ذلك اليوم الا ما كان من قول المنافقين ويجوز ان يكون على وجه التغليظ عليهم فيما كان منهم من الفرار والانكشاف

ويعلم الصابرين ولقد كنتم تمنون الموت من قبل ان تلقوه فقد رأيتموه وانتم تنظرون وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه

عن

* قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما اشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا (قال محمود ان قلت أكان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك الخ) قال أحمد مما يرده هذا السؤال لو انهم ظاهر اللفظ ان ثم حجة وليس في ظاهره ما يفهم ذلك ولو كانت

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم واسلامه (فلن يضر الله شيأ) فما ضر الا نفسه لان الله تعالى لا يجوز عليه المضار والمنافع (وسيجزي الله الشاكرين) الذين لم ينقلبوا كانس بن النضر وأضرابه وسماهم شاكرين لانهم شكروا نعمة الاسلام فيما فعلوا *المعنى ان موت الانفس محال ان يكون الا بمشيئة الله فاخرجه مخرج فعل لا ينبغي لاحد ان يقدم عليه الا ان يأذن الله له فيه تمثيلا ولان ملك الموت هو الموكل بذلك فليس له ان يقبض نفسا الا باذن من الله وهو على معنيين أحدهما تحريضهم على الجهاد وتشجيعهم على لقاء العدو باعلامهم ان الحذر لا ينفع وأن احدا لا يموت قبل بلوغ أجله وان خوض المهالك واقتحم المعارك والثاني ذكر ما صنع الله برسوله عند غلبة العدو والتفافهم عليه واسلام قومه له نهزة للمختلس من الحفظ والكلاءة وتأخير الأجل (كتابا) مصدر مؤكد لان المعنى كتب الموت كتابا (مؤجلا) موقتا له أجل معلوم لا يتقدم ولا يتأخر (ومن يرد ثواب الدنيا) تعريض بالذين شغلتهم الغنائم يوم أحد (نؤته منها) اى من ثوابها (وسنجزي) الجزاء المبهم الذين شكروا نعمة الله فلم يشغلهم شيء عن الجهاد وقرئ يؤته وسيجزي بالياء فيهما *قرئ قاتل وقتل وقتل بالتشديد والفاعل ربيون أو ضمير النبي و(معه ربيون) حال عنه بمعنى قتل كائنا معه ربيون والقراءة بالتشديد تنصر الوجه الاول وعن سعيد بن جبير رحمه الله ما سمعنا بنبي قتل في القتال والربيون الربانيون وقرئ بالحركات الثلاث فالفتح على القياس والضم والكسر من تغييرات النسب *وقرئ فما وهنوا بكسر الهاء والمعنى (فما وهنوا) عند قتل النبي (وما ضعفوا) عن الجهاد بعده (وما استكانوا) للعدو وهذا تعريض بما أصابهم من الوهن والانكسار عند الارجاف بقتل رسول الله صلى الله عليه وسلم وبضعفهم عند ذلك عن مجاهدة المشركين واستكانتهم لهم حين أرادوا ان يعتضدوا بالمنافق عبد الله بن أبي في طلب الامان من ابي سفيان (وما كان قولهم الا) هذا القول وهو اضافة الذنوب والاسراف الى انفسهم مع كونهم ربانيين هضما لها واستقصارا والدعاء بالاستغفار منها مقدما على طلب تثبيت الاقدام في مواطن الحرب والنصرة على العدو ليكون طلبهم الى ربهم عن زكاء وطهارة وخضوع أقرب الى الاستجابة (فآتاهم الله ثواب الدنيا) من النصرة والغنيمة والعز وطيب الذكر *وخص ثواب الآخرة بالحسن دلالة على فضله وتقدمه وانه هو المعتد به عنده تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة (ان تطيعوا الذين كفروا) قال علي رضي الله عنه نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة ارجعوا الى اخوانكم وادخلوا في دينهم وعن الحسن رضي الله عنه ان تستنصحوا اليهود والنصارى وتقبلوا منهم لانهم كانوا يستغوونهم ويوقعون لهم الشبه في الدين ويقولون لو كان نبيا حقا لما غلب ولما أصابه وأصحابه ما اصابهم وانما هو رجل حاله كحال غيره من الناس يوما له ويوما عليه وعن السدي ان تستكينوا لابي سفيان واصحابه وتستأمنوهم (يردوكم) الى دينهم وقيل هو عام في جميع الكفار وان على المؤمنين ان يجانبوهم ولا يطيعوهم في شيء ولا ينزلوا على حكمهم ولا على مشورتهم حتى لا يستجروهم الى موافقتهم (بل الله مولاكم) اى ناصركم لا تحتاجون معه الى نصرة أحد وولايته وقرئ بالنصب على بل أطيعوا الله مولاكم (سنلقي) قرئ بالنون والياء *والرعب بسكون العين وضمها قيل قذف الله في قلوب المشركين الخوف يوم احد فانهزموا الى مكة من غير سبب ولهم القوة والغلبة وقيل ذهبوا الى مكة فلما كانوا ببعض الطريق قالوا ما صنعنا شيأ قتلنا منهم ثم تركناهم ونحن قاهرون ارجعوا فاستأصلوهم فلما عزموا على ذلك ألقى الله الرعب في قلوبهم فامسكوا (بما اشركوا) بسبب اشراكهم اى كان السبب في القاء الله الرعب في قلوبهم اشراكهم به (مالم ينزل به سلطانا) آلهة لم ينزل الله باشراكها حجة (فان قلت) كان هناك حجة حتى ينزلها الله فيصح لهم الاشراك (قلت) لم يعن ان هناك حجة الا انها لم تنزل عليهم لان الشرك لا يستقيم ان يقوم عليه حجة

فلن يضر الله شيأ وسيجزي الله الشاكرين وما كان لنفس ان تموت الا باذن الله كتابا مؤجلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين وما كان قولهم الا ان قالوا ربنا اغفر لنا ذنوبنا واسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ان تطيعوا الذين كفروا يردوكم على اعقابكم فتنقلبوا خاسرين بل الله مولاكم وهو خير الناصرين سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين

الآية كقول القائل بما أشركوا بالله مالم ينزل سلطانه باضافة السلطان الى ما اشركوا به لكان للسائل مقال ولكان كقول القائل* على لاحب لا يهتدى بمناره* فانه باضافة المنار اليه يوهم ان فيه منارا فيحتاج الناظر الى حمله على معنى لا منار فيه فيهتدى به ولو اطلق الشاعر فقال على لاحب لا يهتدى فيه بمنار مثلا لاستغنى عن تأويل الكلام وكذلك الآية غنية عن التأويل والله اعلم

وانما المراد نفي الحجة ونزولها جميعا كقوله * ولا ترى الضب بها ينجحر * (ولقد صدقكم الله وعده) وعدهم الله النصر بشرط الصبر والتقوى في قوله تعالى ان تصبروا وتتقوا ويأتوكم من فورهم هذا يمددكم ويجوز ان يكون الوعد قوله تعالى سنلقي في قلوب الذين كفروا الرعب فلما فشلوا وتنازعوا لم يرعبهم وقيل لما رجعوا الى المدينة قال ناس من المؤمنين من اين اصابنا هذا وقد وعدنا الله النصر فنزلت وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل أحدا خلف ظهره واستقبل المدينة واقام الرماة عند الجبل وأمرهم ان يثبتوا في مكانهم ولا يبرحوا كانت الدولة للمسلمين أو عليهم فلما اقبل المشركون جعل الرماة يرشقون خيلهم والباقون يضربونهم بالسيوف حتي انهزموا والمسلمون على آثارهم * يحسونهم أي يقتلونهم قتلا ذريعا * حتى اذا فشلوا والفشل الجبن وضعف الرأي وتنازعوا فقال بعضهم قد انهزم المشركون فما موقفنا ههنا وقال بعضهم لا نخالف أمر رسول الله صلي الله عليه وسلم فمن ثبت مكانه عبد الله بن جبير أمير الرماة في نفر دون العشرة وهم المعنيون بقوله ومنكم من يريد الآخرة ونفر أعقابهم ينهبون وهم الذين ارادوا الدنيا فكر المشركون علي الرماة وقتلوا عبد الله بن جبير رضي الله عنه وأقبلوا على المسلمين وحالت الريح دبورا وكانت صبا حتى هزموهم وقتلوا من قتلوا وهو قوله (ثم صرفكم عنهم ليبتليكم) ليمتحن صبركم علي المصائب وثباتكم على الايمان عندها (ولقد عفا عنكم) لما علم من ندمكم على ما فرط منكم من عصيان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم (والله ذو فضل على المؤمنين) يتفضل عليهم بالعفو او هو متفضل عليهم في جميع الاحوال سواء أديل لهم او أديل عليهم لان الابتلاء رحمة كما ان النصرة رحمة * (فان قلت) اين متعلق حتي اذا (قلت) محذوف تقديره حتي اذا فشلتم منعكم نصره ويجوز ان يكون المعنى صدقكم الله وعده الى وقت فشلكم (اذ تصعدون) نصب بصرفكم او بقوله ليبتليكم او باضمار اذكروا والاصعاد الذهاب في الارض والابعاد فيه يقال صعد في الجبل واصعد في الارض يقال أصعدنا من مكة الى المدينة وقرأ الحسن رضي الله عنه تصعدون يعني في الجبل وتعضد الاولى قراءة ابي اذ تصعدون في الوادي وقرأ ابو حيوة تصعدون بفتح التاء وتشديد العين من تصعد في السلم * وقرأ الحسن رضى الله عنه تلون بواو واحدة وقد ذكرنا وجهها وقرئ يصعدون ويلوون بالياء (والرسول يدعوكم) كان يقول الى عباد الله الى عباد الله أنا رسول الله من يكر فله الجنة * (في أخراكم) في ساقتكم وجماعتكم الاخرى وهي المتاخرة يقال جئت في آخر الناس وأخراهم كما تقول في اولهم واولاهم بتاويل مقدمتهم وجماعتهم الاولى (فأثابكم) عطف على صرفكم اي فجازاكم الله (غما) حين صرفكم عنهم وابتلاكم (ب) سبب (غم) أذقتموه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعصيانكم له او غما مضاعفا غما بعد غم وغما متصلا بغم من الاغتمام بما ارجف به من قتل رسول الله صلي الله عليه وسلم والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر لكيلا تحزنوا لتتمرنوا على تجرع الغموم وتضروا باحتمال الشدائد فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار ويجوز ان يكون الضمير في فأثابكم للرسول اي فآساكم في الاغتمام وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشجة وغيرهما غمه ما نزل بكم فأثابكم غما اغتمه لاجلكم بسبب غم اغتممتموه لاجله ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لامره وانما فعل ذلك ليسليكم وينفس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله ولا على ما اصابكم من غلبة العدو * وأنزل الله الامن على المؤمنين وازال عنهم الخوف الذي كان بهم حتى نعسوا وغلبهم النوم وعن ابي طلحة رضي الله عنه غشينا النعاس ونحن في مصافنا فكان السيف يسقط من يد أحدنا فيأخذه ثم يسقط فيأخذه وما أحد الا ويميل تحت حجفته وعن ابن الزبير رضي الله عنه لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين اشتد علينا الخوف فارسل الله علينا النوم والله اني لاسمع قول معتب بن قشير والنعاس يغشاني لو كان لنا من الامر شيء ما قتلنا ههنا * والامنة الامن وقرئ امنة بسكون الميم كانها المرة من الامن و(نعاسا) بدل من أمنة ويجوز ان يكون هو المفعول وأمنة حالا منه مقدمة عليه كقولك رأيت راكبا رجلا او مفعولا له بمعنى نعستم أمنة ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين بمعنى ذوي أمنة أو على انه جمع آمن كبار وبررة (يغشى) قرئ بالياء والتاء ردا على النعاس او على الامنة (طائفة منكم).

ولقد صدقكم الله وعده اذ تحسونهم باذنه حتى اذا فشلتم وتنازعتم في الامر وعصيتم من بعد ما اراكم ما تحبون منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبتليكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين اذ تصعدون ولا تلوون على احد والرسول يدعوكم في أخراكم فأثابكم غما بغم لكيلا تحزنوا على ما فاتكم ولا ما أصابكم والله خبير بما تعملون ثم أنزل عليكم من بعد الغم أمنة نعاسا يغشى طائفة منكم

هم اهل الصدق واليقين (وطائفة) هم المنافقون (قد أهمتهم انفسهم) ما بهم الا هم انفسهم لا هم الدين ولا هم الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمين او قد اوقعتهم انفسهم وما حل بهم فى الهموم والاشجان فهم فى التشاكى والتباث (غير الحق) فى حكم المصدر ومعناه يظنون بالله غير الظن الحق الذى يجب أن يظن به و(ظن الجاهلية) بدل منه ويجوز أن يكون المعنى يظنون بالله ظن الجاهلية وغير الحق تأكيد ليظنون كقولك هذا القول غير ما تقول وهذا القول لا أقولك وظن الجاهلية كقولك حاتم الجود ورجل صدق يريد الظن المختص بالملة الجاهلية ويجوز ان يراد ظن أهل الجاهلية أى لا يظن مثل ذلك الظن الا أهل الشرك الجاهلون بالله (يقولون) لرسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه (هل لنا من الامر من شىء) معناه هل لنا معاشر المسلمين من أمر الله نصيب قط يعنون النصر والاظهار على العدو (قل ان الامر كله لله) ولاوليائه المؤمنين وهو النصر والغلبة كتب الله لاغلبن انا ورسلى وان جندنا لهم الغالبون (يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك) معناه يقولون لك فيما يظهرون هل لنا من الامر من شىء سؤال المؤمنين المسترشدين وهم فيما يبطنون على النفاق يقولون فى انفسهم أو بعضهم لبعض منكرين لقولك لهم ان الامر كله لله (لو كان لنا من الامر شىء) اى لو كان الامر كما قال محمد ان الامر كله لله ولاوليائه وانهم الغالبون لما غلبنا قط ولما قتل من المسلمين من قتل فى هذه المعركة (قل لو كنتم فى بيوتكم) يعنى من علم الله منه انه يقتل ويصرع فى هذه المصارع وكتب ذلك فى اللوح لم يكن بد من وجوده فلو قعدتم فى بيوتكم (لبرز) من بينكم (الذين) علم الله انهم يقتلون (الى مضاجعهم) وهى مصارعهم ليكون ما علم الله انه يكون والمعنى ان الله كتب فى اللوح قتل من يقتل من المؤمنين وكتب مع ذلك انهم الغالبون لعلمه ان العاقبة فى الغلبة لهم وان دين الاسلام يظهر على الدين كله وان ما ينكبون به فى بعض الاوقات تمحيص لهم وترغيب فى الشهادة وحرصهم على الشهادة مما يحرضهم على الجهاد فتحصل الغلبة وقيل معناه هل لنا من التدبير من شىء يعنون لم نملك شيئا من التدبير حيث خرجنا من المدينة الى احد وكان علينا ان نقيم ولا نبرح كما كان رأى عبد الله بن ابى وغيره ولو ملكنا من التدبير شيئا لما قتلنا فى هذه المعركة قل ان التدبير كله لله يريد ان الله عز وجل قد دبر الامر كما جرى ولو أقمتم بالمدينة ولم تخرجوا من بيوتكم لما نجا من القتل من قتل منكم وقرئ كتب عليهم القتال وكتب عليهم القتل على البناء للفاعل ولبرز بالتشديد وضم الباء (وليبتلى الله) وليمتحن ما فى صدور المؤمنين من الاخلاص ويمحص ما فى قلوبهم من وساوس الشيطان فعل ذلك أو فعل ذلك لمصالح جمة وللابتلاء والتمحيص (فان قلت) كيف مواقع الجمل التى بعد قوله وطائفة (قلت) قد اهمتهم صفة لطائفة ويظنون صفة أخرى أو حال بمعنى قد اهمتهم انفسهم ظانين او استئناف على وجه البيان للجملة قبلها ويقولون بدل من يظنون (فان قلت) كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر بدلا من الاخبار بالظن (قلت) كانت مسئلتهم صادرة عن الظن فلذلك جاز ابداله منه ويخفون حال من يقولون وقل ان الامر كله لله اعتراض بين الحال وذى الحال ويقولون بدل من يخفون والاجود ان يكون استئنافا (استزلهم) طلب منهم الزلل ودعاهم اليه (ببعض ما كسبوا) من ذنوبهم ومعناه ان الذين انهزموا يوم احد كان السبب فى توليهم انهم كانوا اطاعوا الشيطان فاقترفوا ذنوبا فلذلك منعتهم التأييد وتقوية القلوب حتى تولوا وقيل استزلال الشيطان اياهم هو التولى وانما دعاهم اليه بذنوب قد تقدمت لهم لان الذنب يجر الى الذنب كما ان الطاعة تجر الى الطاعة وتكون لطفا فيها وقال الحسن رضى الله عنه استزلهم بقبول ما زين لهم من الهزيمة وقيل ببعض ما كسبوا هو تركهم المركز الذى امرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالثبات فيه فجرهم ذلك الى الهزيمة وقيل ذكرهم تلك الخطايا فكرهوا لقاء الله معها فاخروا الجهاد حتى يصلحوا امرهم ويجاهدوا على حال مرضية (فان قلت) لم قيل ببعض ما كسبوا (قلت) هو كقوله تعالى ويعفو عن كثير (ولقد عفا الله عنهم) لتوبتهم واعتذارهم (ان الله غفور) للذنوب (حليم) لا يعاجل

وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية يقولون هل لنا من الامر من شىء قل ان الامر كله لله يخفون فى انفسهم ما لا يبدون لك يقولون لو كان لنا من الامر شىء ما قتلنا ههنا قل لو كنتم فى بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتل الى مضاجعهم وليبتلى الله ما فى صدوركم وليمحص ما فى قلوبكم والله عليم بذات الصدور ان الذين تولوا منكم يوم التقى الجمعان انما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم ان الله غفور حليم يا أيها الذين آمنوا لا تكونوا كالذين كفروا

---

*قوله تعالى وطائفة قد اهمتهم انفسهم يظنون بالله الآية (قال محمود ان قلت كيف صح ان يقع ما هو مسئلة عن الامر الخ) قال احمد ويلاحظ هذا النظر فى قوله تعالى عن الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء الآية فان هذا السؤال استفهام والاستفهام لا يتصف بما يتصف به الخبر من الصدق ونقيضه ومع ذلك ورد قوله تعالى فى خطابهم انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين يعنى فى قولكم أتجعل فيها من يفسد فيها فأجرى استفهامهم مجرى الخبر لاستلزامه الاخبار بان هذا النوع الانسانى ليس بمعصوم عن الفساد وسفك الدماء الا من عصمه الله تعالى منهم والله اعلم

بالعقوبة (وقالوا لاخوانهم) اى لاجل اخوانهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ومعنى الاخوة اتفاق الجنس او النسب (اذا ضربوا فى الارض) اذا سافروا فيها وابعدوا للتجارة اوغيرها (اوكانوا غزى) جمع غاز كعاف وعفى كقوله عفى الحياض اجون وقرئ بتخفيف الزاى على حذف التاء من غزاة (فان قلت) كيف قيل اذا ضربوا مع قالوا (قلت) هو على حكاية الحال الماضية كقولك حين يضربون فى الارض * (فان قلت) ما متعلق ليجعل (قلت) قالوا اى قالوا ذلك واعتقدوه ليكون (حسرة فى قلوبهم) على ان اللام مثلها فى ليكون لهم عدوا وحزنا اولا تكونوا بمعنى لا تكونوا مثلهم فى النطق بذلك القول واعتقاده ليجعله الله حسرة فى قلوبهم خاصة ويصون منها قلوبكم (فان قلت) ما معنى اسناد الفعل الى الله تعالى (قلت) معناه ان الله عزوجل عند اعتقادهم ذلك المعتقد الفاسد يضع الغم والحسرة فى قلوبهم ويضيق صدورهم عقوبة فاعتقاده فعلهم وما يكون عنده من الغم والحسرة وضيق الصدور فعل الله عزوجل كقوله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد فى السماء ويجوز ان يكون ذلك اشارة الى ما دل عليه النهي اى لا تكونوا مثلهم ليجعل الله انتفاء كونكم مثلهم حسرة فى قلوبهم لان مخالفتهم فيما يقولون ويعتقدون ومضادتهم مما يغمهم ويغيظهم (والله يحيي ويميت) رد لقولهم أى الامر بيده قد يحيي المسافر والغازي ويميت المقيم والقاعد كما يشاء وعن خالد بن الوليد رضي الله عنه أنه قال عند موته ما فى موضع شبر الا وفيه ضربة أو طعنة وها أنا ذا أموت كما يموت العير فلا نامت اعين الجبناء (والله بما تعملون بصير) فلا تكونوا مثلهم وقرئ بالياء يعنى الذين كفروا (لمغفرة) جواب القسم وهو ساد مسد جواب الشرط وكذلك لالى الله تحشرون كذب الكافرين أولا فى زعمهم ان من سافر من اخوانهم اوغزا لو كان بالمدينة لما مات ونهي المسلمين عن ذلك لانه سبب التقاعد عن الجهاد ثم قال لهم ولئن تم عليكم ما تخافونه من الهلاك بالموت والقتل فى سبيل الله فان ما تنالونه من المغفرة والرحمة بالموت (فى سبيل الله خير مما تجمعون) من الدنيا ومنافعها لولم تموتوا وعن ابن عباس رضي الله عنهما خير من طلاع الارض ذهبة حمراء وقرئ بالياء اى يجمع الكفار (لالى الله تحشرون) لالى الرحيم الواسع الرحمة المثيب العظيم الثواب تحشرون ولوقوع اسم الله تعالى هذا الموقع مع تقديمه وادخال اللام على الحرف المتصل به شأن ليس بالخفى * وقرئ متم بضم الميم وكسرها من مات يموت ومات يمات * ما مزيدة للتوكيد والدلالة على ان لينه لهم ما كان الا برحمة من الله ونحوه فبما نقضهم ميثاقهم ومعنى الرحمة ربطه على جاشه وتوفيقه للرفق والتلطف بهم حتى اثابهم غما بغم وآساهم بالمباثة بعد ما خالفوه وعصوا امره وانهزموا وتركوه (ولو كنت فظا) جافيا (غليظ القلب) قاسيه (لانفضوا من حولك) لتفرقوا عنك حتى لا يبقى حولك احد منهم (فاعف عنهم) فيما يختص بك (واستغفر لهم) فيما يختص بحق الله اتماما للشفقة عليهم (وشاورهم فى الامر) يعنى فى امر الحرب ونحوه مما لم ينزل عليك فيه وحي لتستظهر برأيهم ولما فيه من تطييب نفوسهم والرفع من اقدارهم وعن الحسن رضي الله عنه قد علم الله انه ما به اليهم حاجة ولكنه اراد ان يستن به من بعده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما تشاور قوم قط الا هدوا لارشد امرهم وعن ابي هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اكثر مشاورة من اصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم وقيل كان سادات العرب اذا لم يشاوروا فى الامر شق عليهم فامر الله رسوله صلى الله عليه وسلم بمشاورة اصحابه لئلا يثقل عليهم استبداده بالرأى دونهم وقرئ وشاورهم فى بعض الامر (فاذا عزمت) فاذا قطعت الرأى على شيء بعد الشورى (فتوكل على الله) فى امضاء امرك على الارشد الاصلح فان ما هو اصلح لك لا يعلمه الا الله لا انت ولا من تشاور وقرئ فاذا عزمت بضم التاء بمعنى فاذا عزمت لك على شيء وارشدتك اليه فتوكل على ولا تشاور بعد ذلك احدا (ان ينصركم الله) كما نصركم يوم بدر فلا احد يغلبكم (وان يخذلكم) كما خذلكم يوم احد (فمن ذا الذى ينصركم) فهذا تنبيه على ان الامر كله لله وعلى وجوب التوكل عليه ونحوه ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده (من بعده) من بعد خذلانه اوهو من قولك ليس لك من يحسن اليك من بعد فلان تريد اذا جاوزته وقرأ عبيد بن عمير وان يخذلكم من اخذله اذا جعله مخذولا وفيه ترغيب فى الطاعة

وقالوا لاخوانهم اذا ضربوا فى الارض او كانوا غزا لو كانوا عندنا ما ماتوا وما قتلوا ليجعل الله ذلك حسرة في قلوبهم والله يحيي و يميت والله بما تعملون بصير ولئن قتلتم في سبيل الله اومتم لمغفرة من الله ورحمة خير مما يجمعون ولئن متم اوقتلتم لالى الله تحشرون فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الامر فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده

وبما يستحقون به النصر من الله تعالى والتأييد وتحذير من المعصية ومما يستوجبون به العقوبة بالخذلان (وعلى الله) وليخص المؤمنون ربهم بالتوكل والتفويض اليه لعلمهم انه لا ناصر سواه ولان ايمانهم يوجب ذلك ويقتضيه * يقال غل شيأ من المغنم غلولا واغل اغلالا اذا اخذه فى خفية يقال أغل الجازر اذا سرق من اللحم شيأ مع الجلد والغل الحقد الكامن فى الصدر ومنه قوله صلى الله عليه وسلم من بعثناه على عمل فغل شيا جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وقوله صلى الله عليه وسلم هدايا الولاة غلول وعنه ليس على المستعير غير المغل ضمان وعنه لا اغلال ولا اسلال ويقال أغله اذا وجده غالا كقولك أبخلته وأفحمته ومعنى (وما كان لنبي ان يغل) وما صح له ذلك يعنى ان النبوة تنافي الغلول وكذلك من قرأ على البناء للمفعول فهو راجع الى معنى الاول لان معناه وما صح له ان يوجد غالا ولا يوجد غالا الا اذا كان غالا وفيه وجهان احدهما ان يبرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذلك وينزه وينبه على عصمته بان النبوة والغلول متنافيان لئلا يظن به ظان شيا منه وأن لا يسترايب به احد كما روى ان قطيفة حمراء فقدت يوم بدر فقال بعض المنافقين لعل رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها وروى أنها نزلت فى غنائم احد حين ترك الرماة المركز وطلبوا الغنيمة وقالوا نخشى ان يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم من أخذ شيا فهو له وان لا يقسم الغنائم كما لم يقسم يوم بدر فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم ألم أعهد اليكم ان لا تتركوا المركز حتى يأتيكم امرى فقالوا تركنا بقية اخواننا وقوفا فقال صلى الله عليه وسلم بل ظننتم انا نغل ولا نقسم لكم والثانى ان يكون مبالغة فى النهي لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما روى انه بعث طلائع فغنمت غنائم فقسمها ولم يقسم للطلائع فنزلت يعني وما كان لنبي ان يعطي قوما ويمنع آخرين بل عليه ان يقسم بالسوية وسمي حرمان بعض الغزاة غلولا تغليظا وتقبيحا لصورة الامر ولو قرئ ان يغل من أغل بمعنى غل لجاز (يأت بما غل يوم القيامة) يأت بالشيء الذى غله بعينه يحمله كما جاء فى الحديث جاء يوم القيامة يحمله على عنقه وروى ألا لا أعرفن أحدكم يأتي ببعير له رغاء وببقرة لها خوار وبشاة لها ثغاء فينادى يا محمد يا محمد فأقول لا أملك لك من الله شيأ فقد بلغتك وعن بعض جفاة الاعراب انه سرق نافجة مسك فتليت عليه الآية فقال اذا أحملها طيبة الريح خفيفة المحمل ويجوز ان يراد يأت بما احتمل من وباله وتبعته واثمه * (فان قلت) هلا قيل ثم يوفي ما كسب ليتصل به (قلت) جيء بعام دخل تحته كل كاسب من الغال وغيره فاتصل به من حيث المعنى وهو أبلغ وأثبت لانه اذا علم الغال ان كل كاسب خيرا او شرا مجزى فموفي جزاءه علم انه غير متخلص من بينهم مع عظم ما اكتسب (وهم لا يظلمون) اى يعدل بينهم فى الجزاء كل جزاؤه على قدر كسبه (هم درجات) اى هم متفاوتون كما تتفاوت الدرجات كقوله

انصب للمنية تعتريهم * رجالى أم هم درج السيول

وقيل ذوو درجات والمعنى تفاوت منازل المثابين منهم ومنازل المعاقبين او التفاوت بين الثواب والعقاب (والله بصير بما يعملون) عالم باعمالهم ودرجاتها فمجازيهم على حسبها (لقد من الله على المؤمنين) على من آمن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من قومه وخص المؤمنين منهم لانهم هم المنتفعون ببعثه (من انفسهم) من جنسهم عربيا مثلهم وقيل من ولد اسمعيل كما انهم من ولده (فان قلت) فما وجه المنة عليهم فى ان كان من انفسهم (قلت) اذا كان منهم كان اللسان واحدا فسهل أخذ ما يجب عليهم اخذه عنه وكانوا واقفين على احواله فى الصدق والامانة فكان ذلك أقرب لهم الى تصديقه والوثوق به وفى كونه من انفسهم شرف لهم كقوله وانه لذكر لك ولقومك وفى قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقراءة فاطمة رضي الله عنها من انفسهم اى من اشرفهم لان عدنان ذروة ولد اسمعيل ومضر ذروة نزار بن معد بن عدنان وخندف ذروة مضر ومدركة ذروة خندف وقريش ذروة مدركة وذروة قريش محمد صلى الله عليه وسلم وفيما خطب به ابو طالب فى تزويج خديجة رضي الله عنها وقد حضر معه بنو هاشم ورؤساء مضر الحمد لله الذى جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع

وعلي الله فليتوكل المؤمنون وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله ومأواه جهنم وبئس المصير هم درجات عند الله والله بصير بما يعملون لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم

---

*قوله تعالى وما كان لنبي أن يغل ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة (قال محمود فيه توجيهان احدهما ان يكون ذلك تنزيها لرسول الله عليه الصلاة والسلام الخ) قال احمد رحمه الله حمل الآية على الوجه الثانى يشهد له ورود هذه الصيغة كثيرا فى النهي فى امثال قوله تعالى ما كان لنبي أن تكون له أسرى ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله الى غير ذلك على ان الزمخشرى جاف في العبارة اذ يقول عبر عن الحرمان بالغلول تغليظا وتقبيحا وما كان له ان يعبر عن هذا المعنى بهذه العبارة فان عادة لطف الله تعالى برسوله صلى الله عليه وسلم فى التاديب ان يكون ممزوجا بغاية التخفيف والتعطف ألا ترى الى قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم قال بعض العلماء بدأه بالعفو قبل العتب ولو لم يبدأه بالعفو لانفطر قلبه صلى الله عليه وسلم

اسمعيل وضئضئ معد وعنصر مضر وجعلنا حضنة بيته وسواس حرمه وجعل لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا وجعلنا الحكام على الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبد الله من لا يوزن به فتى من قريش الا رجح به وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل * وقرئ لمن من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم وفيه وجهان ان يراد لمن من الله على المؤمنين منه او بعثه اذ بعث فيهم فحذف لقيام الدلالة او يكون اذ فى محل الرفع كاذا فى قولك أخطب ما يكون الامير اذا كان قائما بمعنى لمن من الله على المؤمنين وقت بعثه (يتلوا عليهم آياته) بعدما كانوا أهل جاهلية لم يطرق أسماعهم شيء من الوحي (و يزكيهم) و يطهرهم من دنس القلوب بالكفر ونجاسة سائر الجوارح بملابسة المحرمات وسائر الخبائث وقيل و يأخذ منهم الزكاة (و يعلمهم الكتاب والحكمة) القرآن والسنة بعدما كانوا أجهل الناس وأبعدهم من دراسة العلوم (وان كانوا من قبل) من قبل بعثة الرسول (لفي ضلال) ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها و بين النافية وتقديره وان الشان والحديث كانوا من قبل فى ضلال (مبين) ظاهر لا شبهة فيه (أصابتكم مصيبة) يريد ما أصابهم يوم أحد من قتل سبعين منهم (قد أصبتم مثليها) يوم بدر من قتل سبعين وأسر سبعين * ولما نصب بقلتم وأصابتكم فى محل الجر باضافة لما اليه وتقديره أقلتم حين أصابتكم و (أنى هذا) نصب لانه مقول والهمزة للتقرير والتقريع (فان قلت) علام عطفت الواو هذه الجملة (قلت) على ما مضى من قصة أحد من قوله ولقد صدقكم الله وعده و يجوز ان تكون معطوفة على محذوف كانه قيل أفعلتم كذا وقلتم حينئذ كذا أنى هذا من أين هذا كقوله تعالى انى لك هذا (قل هو من عند أنفسكم) وقوله من عند الله والمعنى أنتم السبب فيما أصابكم لاختياركم الخروج من المدينة أو لتخليتكم المركز وعن علي رضى الله عنه لاخذكم الفداء من أسارى بدر قبل ان يؤذن لكم (ان الله على كل شيء قدير) فهو قادر على النصر وعلى منعه وعلى ان يصيب بكم تارة و يصيب منكم اخرى (وما أصابكم) يوم أحد يوم التقى جمعكم وجمع المشركين (ف) هو كائن (باذن الله) اى بتخليته استعار الاذن لتخليته الكفار وانه لم يمنعهم منهم ليبتليهم لان الآذن مخل بين المأذون له ومراده (وليعلم) وهو كائن ليتميز المؤمنون والمنافقون وليظهر ايمان هؤلاء ونفاق هؤلاء (وقيل لهم) من جملة الصلة عطف على نافقوا وانما لم يقل فقالوا لانه جواب لسؤال اقتضاه دعاء المؤمنين لهم الى القتال كانه قيل فماذا قالوا لهم فقيل قالوا لو نعلم و يجوز ان تقتصر الصلة على نافقوا و يكون وقيل لهم كلاما مبتدأ * قسم الامر عليهم بين أن يقاتلوا للآخرة كما يقاتل المؤمنون و بين ان يقاتلوا ان لم يكن بهم غم الآخرة دفعا عن انفسهم واهليهم واموالهم فابوا القتال وجحدوا القدرة عليه رأسا لنفاقهم ودغلهم وذلك ماروى ان عبد الله بن أبي انخزل مع حلفائه فقيل له فقال ذلك وقيل (أو ادفعوا) العدو بتكثيركم سواد المجاهدين وان لم تقاتلوا لان كثرة السواد مما يروع العدو و يكسر منه وعن سهل بن سعد الساعدى وقد كف بصره لو أمكنني لبعت داري ولحقت بثغر من ثغور المسلمين فكنت بينهم و بين عدوهم قيل وكيف وقد ذهب بصرك قال لقوله او ادفعوا اراد كثروا سوادهم ووجه آخر وهو ان يكون معنى قولهم (لو نعلم قتالا) لو نعلم ما يصح ان يسمى قتالا (لاتبعناكم) يعنون ان ما أنتم فيه لخطأ رأيكم وزللكم عن الصواب ليس بشيء ولا يقال لمثله قتال انما هو القاء بالانفس الى التهلكة لان رأى عبد الله كان فى الاقامة بالمدينة وما كان يستصوب الخروج (هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان) يعني انهم قبل ذلك اليوم كانوا يتظاهرون بالايمان وما ظهرت منهم أمارة تؤذن بكفرهم فلما انخزلوا عن عسكر المؤمنين وقالوا ما قالوا تباعدوا بذلك عن الايمان المظنون بهم واقتربوا من الكفر وقيل هم لاهل الكفر أقرب نصرة منهم لاهل الايمان لان تقليلهم سواد المسلمين بالانخزال تقوية للمشركين (يقولون بافواههم) لا يتجاوز ايمانهم أفواههم ومخارج الحروف منهم ولا تعي قلوبهم منه شيئا وذكر الافواه مع القلوب تصوير لنفاقهم وأن ايمانهم موجود فى افواههم معدوم فى قلوبهم خلاف صفة المؤمنين فى مواطأة قلوبهم لافواههم (والله أعلم بما يكتمون) من النفاق و بما يجرى بعضهم مع بعض من ذم المؤمنين وتجهيلهم وتخطئة رأيهم والشماتة بهم وغير ذلك لانكم تعلمون بعض ذلك علما مجملا بامارات وأنا اعلم كله علم احاطة بتفاصيله وكيفياته (الذين قالوا) فى اعرابه اوجه ان يكون نصبا على الذم

يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين أولما أصابتكم مصيبة قد أصبتم مثليها قلتم أنى هذا قل هو من عند انفسكم ان الله على كل شيء قدير وما أصابكم يوم التقى الجمعان فباذن الله وليعلم المؤمنين وليعلم الذين نافقوا وقيل لهم تعالوا قاتلوا فى سبيل الله او ادفعوا قالوا لو نعلم قتالا لاتبعناكم هم للكفر يومئذ أقرب منهم للايمان يقولون بافواههم ما ليس فى قلوبهم والله اعلم بما يكتمون الذين قالوا

او

*قوله تعالى قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين (قال محمود ان قلت فقد كانوا صادقين في أنهم دفعوا الخ) قال احمد السؤال المذكور انما يرد على معتزلى من مثله فانهم يعتقدون ان الموت قد يكون بحلول الاجل وقد يكون قبله وان المقتول لولا القتل لاستوفى اجله المكتوب له الزائد على ذلك فلاجرم ان الانسان على زعمهم يدفع عن نفسه العارض قبل حلول الاجل بتوقي الاسباب

أو على الرد على الذين نافقوا اورفعا على هم الذين قالوا أو على الابدال من واو يكتمون ويجوز أن يكون مجرورا بدلا من الضمير في بافواههم أو قلوبهم كقوله * على جوده لضن بالماء حاتم * (لاخوانهم) لاجل اخوانهم من جنس المنافقين المقتولين يوم احد أو اخوانهم في النسب وفي سكنى الدار (وقعدوا) اى قالوا وقد قعدوا عن القتال لو اطاعنا اخواننا فيما أمرناهم به من القعود ووافقونا فيه لما قتلوا كما لم نقتل (قل فادرؤا عن انفسكم الموت ان كنتم صادقين) معناه قل ان كنتم صادقين في انكم وجدتم الى دفع القتل سبيلا وهو القعود عن القتال فجدوا الى دفع الموت سبيلا يعنى ان ذلك الدفع غير مغن عنكم لانكم ان دفعتم القتل الذى هو أحد اسباب الموت لم تقدروا على دفع سائر أسبابه المبثوثة ولا بد لكم من ان يتعلق بكم بعضها وروى انه مات يوم قالوا هذه المقالة سبعون منافقا (فان قلت) فقد كانوا صادقين في انهم دفعوا القتل عن انفسهم بالقعود فما معنى قوله ان كنتم صادقين (قلت) معناه ان النجاة من القتل يجوز أن يكون سببها القعود عن القتال وأن يكون غيره لان أسباب النجاة كثيرة وقد يكون قتال الرجل سبب نجاته ولو لم يقاتل لقتل فما يدريكم ان سبب نجاتكم القعود وانكم صادقون في مقالتكم وما انكرتم ان يكون السبب غيره ووجه آخر ان كنتم صادقين في قولكم لو اطاعونا وقعدوا ما قتلوا يعنى انهم لو اطاعوكم وقعدوا لقتلوا قاعدين كما قتلوا مقاتلين وقوله فادرؤا عن انفسكم الموت استهزاء بهم اى ان كنتم رجالا دفاعين لاسباب الموت فادرؤا جميع اسبابه حتى لا تموتوا (ولا تحسبن) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل احد وقرئ بالياء على ولا يحسبن رسول الله صلى الله عليه وسلم او ولا يحسبن حاسب ويجوز أن يكون (الذين قتلوا) فاعلا ويكون التقدير ولا يحسبنهم الذين قتلوا امواتا اى ولا يحسبن الذين قتلوا انفسهم امواتا (فان قلت) كيف جاز حذف المفعول الاول (قلت) هو في الاصل مبتدأ فحذف كما حذف المبتدأ في قوله (احياء) والمعنى هم احياء لدلالة الكلام عليهما وقرئ ولا تحسبن بفتح السين وقتلوا بالتشديد وأحياء بالنصب على معنى بل احسبهم احياء (عند ربهم) مقربون عنده ذوو زلفى كقوله فالذين عند ربك (يرزقون) مثل ما يرزق سائر الاحياء يأكلون ويشربون وهو تأكيد لكونهم احياء ووصف لحالهم التي هم عليها من التنعم برزق الله (فرحين بما آتاهم الله من فضله) وهو التوفيق في الشهادة وما ساق اليهم من الكرامة والتفضيل على غيرهم من كونهم احياء مقربين معجلا لهم رزق الجنة ونعيمها وعن النبي صلى الله عليه وسلم لما أصيب اخوانكم باحد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر تدور في انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب معلقة في ظل العرش (ويستبشرون با) خوانهم المجاهدين (الذين لم يلحقوا بهم) اى لم يقتلوا فيلحقوا بهم (من خلفهم) يريد الذين من خلفهم قد بقوا بعدهم وهم قد تقدموهم وقيل لم يلحقوا بهم لم يدركوا فضلهم ومنزلتهم (ألا خوف عليهم) بدل من الذين والمعنى ويستبشرون بما تبين لهم من حال من تركوا خلفهم من المؤمنين وهو انهم يبعثون آمنين يوم القيامة بشرهم الله بذلك فهم مستبشرون به وفى ذكر حال الشهداء واستبشارهم بمن خلفهم بعث للباقين بعدهم على ازدياد الطاعة والجد في الجهاد والرغبة في نيل منازل الشهداء واصابة فضلهم واحماد لحال من يرى نفسه في خير فيتمنى مثله لاخوانه في الله وبشرى للمؤمنين بالفوز في المآب وكرر (يستبشرون) ليعلق به ماهو بيان لقوله ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون من ذكر النعمة والفضل وان ذلك اجر لهم على ايمانهم يجب في عدل الله وحكمته ان يحصل لهم ولا يضيع * وقرئ وان الله بالفتح عطفا على النعمة والفضل وبالكسر على الابتداء وعلى ان الجملة اعتراض وهي قراءة الكسائي وتعضدها قراءة عبد الله والله لا يضيع (الذين استجابوا) مبتدأ

الموجبة لذلك فعلى ذلك ورد السؤال المذكور واما اهل السنة فمعتقدهم ان كل ميت باجله يموت ويقولون ان الخارجين الى القتال في المعركة لم يكن بد من موتهم في ذلك الوقت وان ذلك الحين هو وقت حينهم في علم الله عز وجل ايمانا بقوله تعالى فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وخلافا للمنافقين والموافقين لهم من المعتزلة في قولهم لو اطاعونا ماماتوا ولعمرى انهم في هذا المعتقد مقلدون لنمروذ في قوله انا احيي واميت فان الاحمق ظن انه يقتل ان شاء فيكون ذلك اماتة ويعفو عن القتل فيكون ذلك احياء وغاب عنه ان الذى عفا عن قتله انما حيي لاستيفاء الاجل الذى كتبه الله له وان الذى قتله انما مات لانه استوفى تلك الساعة اجله والله الموفق

لاخوانهم وقعدوا لو أطاعونا ماقتلوا قل فادرؤا عن أنفسكم الموت ان كنتم صادقين ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون يستبشرون بنعمة من الله وفضل وان الله لا يضيع أجر المؤمنين الذين استجابوا لله والرسول من بعد ما أصابهم القرح

خبره للذين أحسنوا اوصفة للمؤمنين أو نصب على المدح روى ان اباسفيان واصحابه لما انصرفوا من أحد فبلغوا الروحاء ندموا وهموا بالرجوع فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فأراد ان يرهبهم و يريهم من نفسه وأصحابه قوة فندب أصحابه للخروج في طلب ابى سفيان وقال لا يخرجن معنا أحد الا من حضر يومنا بالامس فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم مع جماعة حتى بلغوا حمراء الاسد وهي من المدينة على ثمانية أميال وكان باصحابه القرح فتحاملوا على انفسهم حتى لا يفوتهم الاجر وألقى الله الرعب فى قلوب المشركين فذهبوا فنزلت *ومن فى (للذين أحسنوا منهم) للتبيين مثلها فى قوله تعالى وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان الذين استجابوا لله والرسول قد أحسنوا كلهم واتقوا لا بعضهم وعن عروة بن الزبير قالت لى عائشة رضي الله عنها ان ابويك لمن الذين استجابوا لله والرسول تعني ابابكر والزبير (الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم) روى ان اباسفيان نادى عند انصرافه من احد يامحمد موعدنا موسم بدر لقابل ان شئت فقال النبى صلى الله عليه وسلم ان شاء الله فلما كان القابل خرج ابوسفيان فى أهل مكة حتى نزل مر الظهران فألقى الله الرعب فى قلبه فبدا له ان يرجع فلقى نعيم بن مسعود الاشجعي وقد قدم معتمرا فقال يا نعيم اني واعدت محمدا ان نلتقي بموسم بدر وان هذا عام جدب ولا يصلحنا الا عام نرعى فيه الشجر ونشرب فيه اللبن وقد بدا لى ولكن ان خرج محمد ولم أخرج زاده ذلك جراءة فالحق بالمدينة فثبطهم ولك عندى عشر من الابل فخرج نعيم فوجد المسلمين يتجهزون فقال لهم ماهذا بالرأى أتوكم فى دياركم وقراركم فلم يفلت منكم احد الا شريدا فتريدون ان تخرجوا وقد جمعوا لكم عند الموسم فوالله لا يفلت منكم احد وقيل مر بابى سفيان ركب من عبد القيس يريدون المدينة للميرة فجعل لهم حمل بعير من زبيب ان ثبطوهم فكره المسلمون الخروج فقال صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده لاخرجن ولو لم يخرج معى احد فخرج فى سبعين راكبا وهم يقولون حسبنا الله ونعم الوكيل وقيل هى الكلمة التى قالها ابراهيم عليه السلام حين ألقى فى النار حتى وافوا بدرا وأقاموا بها ثمانى ليال وكانت معهم تجارات فباعوها واصابوا خيرا ثم انصرفوا الى المدينة سالمين غانمين ورجع ابو سفيان الى مكة فسمي أهل مكة جيشه جيش السويق قالوا انما خرجتم لتشربوا السويق فالناس الاولون المثبطون والآخرون ابوسفيان واصحابه (فان قلت) كيف قيل الناس ان كان نعيم هو المثبط وحده (قلت) قيل ذلك لانه من جنس الناس كما يقال فلان يركب الخيل و يلبس البرود وماله الا فرس واحد و برد فرد ولانه حين قال ذلك لم يخل من ناس من أهل المدينة يضامونه و يصلون جناح كلامه و يثبطون مثل تثبيطه (فان قلت) الام يرجع المستكن فى (فزادهم) (قلت) الى المقول الذى هو ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم كانه قيل قالوا لهم هذا الكلام فزادهم ايمانا او الى مصدر قالوا كقولك من صدق كان خيرا له او الى الناس اذا اريد به نعيم وحده (فان قلت) كيف زادهم نعيم او مقوله ايمانا (قلت) لما لم يسمعوا قوله واخلصوا عنده النية والعزم على الجهاد واظهروا حمية الاسلام كان ذلك اثبت ليقينهم واقوى لاعتقادهم كما يزداد الايقان بتناصر الحجج ولان خروجهم على أثر تثبيطه الى وجهة العدو طاعة عظيمة والطاعات من جملة الايمان لان الايمان اعتقاد واقرار وعمل وعن ابن عمر قلنا يارسول الله ان الايمان يزيد وينقص قال نعم يزيد حتى يدخل صاحبه الجنة و ينقص حتى يدخل صاحبه النار وعن عمر رضى الله عنه انه كان ياخذ بيد الرجل فيقول قم بنا نزدد ايمانا وعنه لو وزن ايمان ابى بكر بايمان هذه الامة لرجح به (حسبنا الله) محسبنا أى كافينا يقال أحسبه الشيء اذا كفاه والدليل على انه بمعنى المحسب انك تقول هذا رجل حسبك فتصف به النكرة لان اضافته لكونه فى معنى اسم الفاعل غير حقيقية (ونعم الوكيل) ونعم الموكول اليه هو (فانقلبوا) فرجعوا من بدر (بنعمة من الله) وهى السلامة وحذر العدو منهم (وفضل) هو الربح فى التجارة كقوله ليس عليكم جناح ان تبتغوا فضلا من ربكم (لم يمسسهم سوء) لم يلقوا ما يسوءهم من كيد عدو (واتبعوا رضوان الله) بجرأتهم وخروجهم (والله ذو فضل عظيم) قد تفضل عليهم بالتوفيق فيما فعلوا وفي ذلك تحسير لمن تخلف عنهم واظهار لخطارأيهم حيث حرموا انفسهم ما فاز به هؤلاء وروى انهم قالوا هل يكون هذا غزوا فاعطاهم الله ثواب الغزو ورضي عنهم

للذين أحسنوا منهم واتقوا أجر عظيم الذين قال لهم الناس ان الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم ايمانا وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء واتبعوا رضوان الله والله ذو فضل عظيم انما ذلكم

(الشيطان)

(الشيطان) خبر ذلكم بمعنى انما ذلكم المثبط هو الشيطان و يخوف اولياءه جملة مستانفة بيان لشيطنته او الشيطان صفة لاسم الاشارة و يخوف الخبر والمراد بالشيطان نعيم او أبوسفيان و يجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف بمعنى انما ذلكم قول الشيطان اى قول ابليس لعنه الله (يخوف أولياءه) يخوفكم اولياءه الذين هم ابوسفيان واصحابه وتدل عليه قراءة ابن عباس و ابن مسعود يخوفكم اولياءه فلا تخافوهم وقيل يخوف اولياء القاعدين عن الخروج مع رسول الله صلي الله عليه وسلم (فان قلت) فالام رجع الضمير فى (فلا تخافوهم) على هذا التفسير (قلت) الى الناس فى قوله ان الناس قد جمعوا لكم فلا تخافوهم فتقعدوا عن القتال وتجبنوا (وخافون) فجاهدوا مع رسولى وسارعوا الى ما يامركم به (ان كنتم مؤمنين) يعنى ان الايمان يقتضي ان تؤثروا خوف الله على خوف الناس ولا يخشون احدا الا الله (يسارعون فى الكفر) يقعون فيه سريعا و يرغبون فيه اشد رغبة وهم الذين نافقوا من المتخلفين وقيل هم قوم ارتدوا عن الاسلام * (فان قلت) فما معنى قوله ولا يحزنك ومن حق الرسول ان يحزن لنفاق من نافق وارتداد من ارتد (قلت) معناه لا يحزنوك لخوف ان يضرك و يعينوا عليك الا ترى الى قوله (انهم لن يضروا الله شيا) يعنى انهم لا يضرون بمسارعتهم فى الكفر غير انفسهم وما وبال ذلك عائدا على غيرهم * ثم بين كيف يعود وباله عليهم بقوله (يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة) اى نصيبا من الثواب (ولهم) بدل الثواب (عذاب عظيم) وذلك ابلغ ما ضر به الانسان نفسه (فان قلت) هلا قيل لا يجعل الله لهم حظا فى الآخرة واى فائدة فى ذكر الارادة (قلت) فائدته الاشعار بان الداعى الى حرمانهم وتعذيبهم قد خلص خلوصا لم يبق معه صارف قط حين سارعوا فى الكفر تنبيها على تماديهم فى الطغيان و بلوغهم الغاية فيه حتى ان ارحم الراحمين يريد ان لا يرحمهم (ان الذين اشتروا الكفر بالايمان) اما ان يكون تكرير الذكرهم للتاكيد والتسجيل عليهم بما أضاف اليهم واما ان يكون عاما للكفار والاول خاصا فيمن نافق من المتخلفين او ارتد عن الاسلام او على العكس و (شيا) نصب على المصدر لان المعنى شيا من الضرر و بعض الضرر (الذين كفروا) فيمن قرأ بالتاء نصب و (انما نملى لهم خير لانفسهم) بدل منه اى ولا تحسبن ان ما نملى للكافرين خير لهم وان مع ما فى حيزه ينوب عن المفعولين كقوله ام تحسب ان اكثرهم يسمعون وما مصدرية بمعنى ولا تحسبن ان املاءنا خير وكان حقها فى قياس علم الخط ان تكتب مفصولة ولكنها وقعت فى الامام متصلة فلا يخالف وتتبع سنة الامام فى خط المصاحف (فان قلت) كيف صح مجيء البدل ولم يذكر الا احد المفعولين ولا يجوز الاقتصار بفعل الحسبان على مفعول واحد (قلت) صح ذلك من حيث ان التعويل على البدل والمبدل منه فى حكم المنحي ألا تراك تقول جعلت متاعك بعضه فوق بعض مع امتناع سكوتك على متاعك و يجوز ان يقدر مضاف محذوف على ولا تحسبن الذين كفروا أصحاب ان الاملاء خير لانفسهم او ولا تحسبن حال الذين كفروا ان الاملاء خير لانفسهم وهو فيمن قرأ بالياء رفع والفعل متعلق بان وما فى حيزه والاملاء لهم تخليتهم وشانهم مستعار من املى لفرسه اذا ارخى له الطول ليرعي كيف شاء وقيل هو امهالهم واطالة عمرهم والمعنى ولا تحسبن ان الاملاء خير لهم من منعهم او قطع آجالهم (انما نملي لهم) ما هذه حقها ان تكتب متصلة لانها كافة دون الاولى وهذه جملة مستانفة تعليل للجملة قبلها كانه قيل ما بالهم لا يحسبون الاملاء خيرا لهم فقيل انما نملي لهم ليزدادوا اثما (فان قلت) كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى فى املائه لهم (قلت) هو علة للاملاء وما كل علة بغرض الا تراك تقول قعدت عن الغزو للعجز والفاقة وخرجت من البلد لمخافة الشر وليس شيء منها بغرض لك وانما هي علل واسباب فكذلك ازدياد الاثم جعل علة للامهال وسببا فيه (فان قلت) كيف يكون ازدياد الاثم علة للاملاء كما كان العجز علة للقعود عن الحرب (قلت) لما كان في علم الله المحيط بكل شيء انهم مزدادون اثما فكان الاملاء وقع من اجله و بسببه على طريق المجاز * وقرأ يحيي بن وثاب بكسر الاولى وفتح الثانية ولا يحسبن بالياء على معنى ولا يحسبن الذين كفروا ان املاءنا لازدياد الاثم كما يفعلون وانما هو ليتوبوا و يدخلوا فى الايمان وقوله انما نملى لهم خيرلانفسهم اعتراض بين الفعل ومعموله ومعناه ان املاءنا خير لانفسهم ان عملوا فيه وعرفوا انعام الله

الشيطان يخوف اولياءه فلا تخافوهم وخافون ان كنتم مؤمنين ولا يحزنك الذين يسارعون فى الكفر انهم لن يضروا الله شيا يريد الله الا يجعل لهم حظا فى الآخرة ولهم عذاب عظيم ان الذين اشتروا الكفر بالايمان لن يضروا الله شيا ولهم عذاب اليم ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما

*قوله تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملى لهم خيرا لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما (قال محمود ان قلت كيف جاز ان يكون ازدياد الاثم غرضا لله تعالى في املائه لهم الخ) قال احمد بنى الزمخشرى هذا الجواز على شفا جرف هار فانهار لان معتقده ان الاثم الواقع منهم ليس مرادا لله تعالى بل هو واقع على خلاف الارادة الربانية فلما وردت الآية مشعرة فان ازدياد الاثم مراد الله تعالى اشعارا لا يقبل التاويل اخذ يعمل الحيلة فى وجه من التعطيل التزاما لاتمام الفاسد وضربا فى حديد بارد فجعل ازدياد الاثم سببا وليس بغرض

عليهم بتفسيح المدة وترك المعاجلة بالعقوبة * (فان قلت) فما معنى قوله (ولهم عذاب مهين) على هذه القراءة (قلت) معناه ولا تحسبوا ان املاءنا لزيادة الاثم وللتعذيب والواو للحال كانه قيل ليزدادوا اثما معدا لهم عذاب مهين * اللام لتأكيد النفي على (ما انتم عليه) من اختلاط المؤمنين الخلص والمنافقين (حتى يميز الخبيث من الطيب) حتى يعزل المنافق عن المخلص وقرئ يميز من ميز وفى رواية عن ابن كثير يميز من اماز بمعنى ميز (فان قلت) لمن الخطاب فى انتم (قلت) للمصدقين جميعا من اهل الاخلاص والنفاق كانه قيل ما كان الله ليذر المخلصين منكم على الحال التى انتم عليها من اختلاط بعضكم ببعض وانه لا يعرف مخلصكم من منافقكم لاتفاقكم على التصديق جميعا حتى يميزهم منكم بالوحي الى نبيه واخباره بأحوالكم ثم قال (وما كان الله ليطلعكم على الغيب) اى وما كان الله ليؤتي احدا منكم علم الغيوب فلا تتوهموا عند اخبار الرسول عليه الصلاة والسلام بنفاق الرجل واخلاص الآخر انه يطلع على ما فى القلوب اطلاع الله فيخبر عن كفرها وايمانها (ولكن الله) يرسل الرسول فيوحي اليه ويخبره بان فى الغيب كذا وان فلانا فى قلبه النفاق وفلانا فى قلبه الاخلاص فيعلم ذلك من جهة اخبار الله لا من جهة اطلاعه على المغيبات ويجوز ان يراد لا يترككم مختلطين حتى يميز الخبيث من الطيب بان يكلفكم التكاليف الصعبة التى لا يصبر عليها الا الخلص الذين امتحن الله قلوبهم كبذل الارواح فى الجهاد وانفاق الاموال فى سبيل الله فيجعل ذلك عيارا على عقائدكم وشاهدا بضمائركم حتى يعلم بعضكم ما فى قلب بعض من طريق الاستدلال لا من جهة الوقوف على ذات الصدور والاطلاع عليها فان ذلك مما استأثر الله به وما كان الله ليطلع احدا منكم على الغيب ومضمرات القلوب حتى يعرف صحيحها من فاسدها مطلعا عليها ولكن الله (يجتبي من رسله من يشاء) فيخبره ببعض المغيبات (فآمنوا بالله ورسله) بان تقدروه حق قدره وتعلموه وحده مطلعا على الغيوب وان تنزلوهم منازلهم بان تعلموهم عبادا مجتبين لا يعلمون الا ما علمهم الله ولا يخبرون الا بما اخبرهم الله به من الغيوب وليسوا من علم الغيب فى شىء وعن السدى قال الكافرون ان كان محمد صادقا فليخبرنا من يؤمن منا ومن يكفر فنزلت (ولا تحسبن) من قرأ بالتاء قدر مضافا محذوفا اى ولا تحسبن بخل الذين يبخلون هو خيرا لهم وكذلك من قرأ بالياء وجعل فاعل يحسبن ضمير رسول الله او ضمير احد ومن جعل فاعله الذين يبخلون كان المفعول الاول عنده محذوفا تقديره ولا يحسبن الذين يبخلون بخلهم (هو خيرا لهم) والذى سوغ حذفه دلالة يبخلون عليه وهو فصل وقرأ الاعمش بغير هو (سيطوقون) تفسير لقوله هو شر لهم اى سيلزمون وبال ما بخلوا به الزام الطوق وفى امثالهم تقلدها طوق الحمامة اذا جاء بهنة يسب بها ويذم وقيل يجعل ما بخل به من الزكاة حية يطوقها فى عنقه يوم القيامة تنهشه من قرنه الى قدمه وتنقر رأسه وتقول انا مالك وعن النبي صلى الله عليه وسلم فى مانع الزكاة يطوق بشجاع اقرع وروى بشجاع اسود وعن النخعي سيطوقون بطوق من نار (ولله ميراث السموات والارض) اى وله ما فيهما مما يتوارثه اهلهما من مال وغيره فما لهم يبخلون عليه بملكه ولا ينفقونه فى سبيله ونحوه قوله وانفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه * وقرئ بما تعملون بالتاء والياء فالتاء على طريقة الالتفات وهى ابلغ فى الوعيد والياء على الظاهر * قال ذلك اليهود حين سمعوا قول الله تعالى من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فلا يخلوا اما ان يقولوه عن اعتقاد لذلك او عن استهزاء بالقرآن وأيهما كان فالكلمة عظيمة لا تصدر الا عن متمردين فى كفرهم ومعنى سماع الله له انه لم يخف عليه وانه اعد له كفاءه من العقاب (سنكتب ما قالوا) فى صحائف الحفظة او سنحفظه ونثبته فى علمنا لا ننساه كما يثبت المكتوب (فان قلت) كيف قال لقد سمع الله ثم قال سنكتب وهلا قيل ولقد كتبنا (قلت) ذكر وجود السماع اولا مؤكدا بالقسم ثم قال سنكتب على جهة الوعيد بمعنى لن يفوتنا ابدا اثباته وتدوينه كما لن يفوتنا قتلهم الانبياء وجعل قتلهم الانبياء قرينة له ايذانا بانهما فى العظم اخوان وبان هذا ليس باول ما ركبوه من العظائم وانهم اصلاء فى الكفر ولهم فيه سوابق وان من قتل الانبياء لم يستبعد منه الاجتراء على مثل هذا القول وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب مع ابى بكر رضي الله عنه الى يهود بنى قينقاع يدعوهم الى الاسلام والى اقام الصلاة وايتاء الزكاة وان يقرضوا الله قرضا حسنا

فقال

ولهم عذاب مهين ما كان الله ليذر المؤمنين على ما انتم عليه حتى يميز الخبيث من الطيب وما كان الله ليطلعكم على الغيب ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء فآمنوا بالله ورسله وان تؤمنوا وتتقوا فلكم اجر عظيم ولا يحسبن الذين يبخلون بما آتاهم الله من فضله هو خيرا لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة ولله ميراث السموات والارض والله بما تعملون خبير لقد سمع الله قول الذين قالوا ان الله فقير ونحن اغنياء سنكتب ما قالوا وقتلهم الانبياء بغير حق

ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم وان الله ليس ظلام للعبيد الذين قالوا ان الله عهد الينا ان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بقربان تاكله النار قل قد جاءكم رسل من قبلي بالبينات وبالذى قلتم فلم قتلتموهم ان كنتم صادقين فان كذبوك فقد كذب رسل من قبلك جاؤا بالبينات والزبر والكتاب المنير كل نفس ذائقة الموت وانما توفون أجوركم يوم القيامة فمن زحزح عن النار وادخل الجنة فقد فاز وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور ولتبلون فى اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور

فقال فنحاص اليهودى ان الله فقير حين سالنا القرض فلطمه ابو بكر فى وجهه وقال لولا الذى بيننا وبينكم من العهد لضربت عنقك فشكاه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وجحد ماقاله فنزلت ونحوه قولهم يد الله مغلولة (ونقول) لهم (ذوقوا) وننتقم بان نقول لهم يوم القيامة ذوقوا (عذاب الحريق) كما اذقتم المسلمين الغصص ويقال للمنتقم منه احس وذق وقال ابو سفيان لحمزة رضي الله عنه ذق عقق * وقرأ حمزة سيكتب بالياء على البناء للمفعول ويقول بالياء * وقرا الحسن والاعرج سيكتب بالياء وتسمية الفاعل وقرأ ابن مسعود ويقال ذوقوا (ذلك) اشارة الى ما تقدم من عقابهم * وذكر الايدى لان أكثر الاعمال تزاول بهن فجعل كل عمل كالواقع بالايدى على سبيل التغليب (فان قلت) فلم عطف قوله (وأن الله ليس بظلام للعبيد) على ماقدمت ايديكم وكيف جعل كونه غير ظلام للعبيد شريكا لاجتراحهم السيئات فى استحقاق التعذيب (قلت) معنى كونه غير ظلام للعبيد انه عادل عليهم ومن العدل ان يعاقب المسيء منهم ويثيب المحسن (عهد الينا) امرنا فى التوراة واوصانا بان لا نؤمن لرسول حتى ياتينا بهذه الآية الخاصة وهو ان يرينا قربانا تنزل نار من السماء فتاكله كما كان انبياء بنى اسرائيل تلك آيتهم كان يقرب بالقربان فيقوم النبي فيدعو فتنزل نار من السماء فتاكله وهذه دعوى باطلة وافتراء على الله لان أكل النار القربان لم يوجب الايمان للرسول الآتى به الا لكونه آية ومعجزة فهو اذن وسائر الآيات سواء فلا يجوز ان يعينه الله تعالى من بين الآيات * وقد الزمهم الله ان انبياءهم جاؤهم بالبينات الكثيرة التى اوجبت عليهم التصديق وجاؤهم ايضا بهذه الآية التى اقترحوها فلم قتلوهم ان كانوا صادقين ان الايمان يلزمهم باتيانها * وقرئ بقربان بضمتين ونظيره السلطان (فان قلت) ما معنى قوله (وبالذى قلتم) (قلت) معناه وبمعنى الذى قلتموه من قولكم قربان تاكله النار ومؤداه كقوله ثم يعودون لما قالوا اى لمعنى ما قالوا * فى مصاحف اهل الشام وبالزبر وهى الصحف (والكتاب المنير) التوراة والانجيل والزبور وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم من تكذيب قومه وتكذيب اليهود * وقرأ اليزيدى ذائقة الموت على الاصل وقرأ الاعمش ذائقةَ الموت بطرح التنوين على النصب كقوله * ولا ذاكر الله الا قليلا * (فان قلت) كيف اتصل به قوله (وانما توفون اجوركم) (قلت) اتصاله به على ان كلكم تموتون ولا بد لكم من الموت ولا توفون اجوركم على طاعاتكم ومعاصيكم عقيب موتكم وانما توفونها يوم قيامكم من القبور (فان قلت) فهذا يوهم نفى ما روى أن القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار (قلت) كلمة التوفية تزيل هذا الوهم لان المعنى أن توفية الاجور وتكميلها يكون ذلك اليوم وما يكون قبل ذلك فبعض الاجور * الزحزحة التنحية والابعاد تكرير الزح وهو الجذب بعجلة (فقد فاز) فقد حصل له الفوز المطلق المتناول لكل ما يفاز به ولا غاية للفوز وراء النجاة من سخط الله والعذاب السرمد ونيل رضوان الله والنعيم المخلد اللهم وفقنا لما ندرك به عندك الفوز فى المآب وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو مؤمن بالله واليوم الآخر ويأتى الى الناس ما يحب أن يؤتى اليه وهذا شامل المحافظة على حقوق الله وحقوق العباد * شبه الدنيا بالمتاع الذى يدلس به على المستام ويغر حتى يشتريه ثم يتبين له فساده ورداءته والشيطان هو المدلس الغرور وعن سعيد ابن جبير انما هذا لمن آثرها على الآخرة فاما من طلب الآخرة بها فانها متاع بلاغ * خوطب المؤمنون بذلك ليوطنوا انفسهم على احتمال ما سيلقون من الاذى والشدائد والصبر عليها حتى اذا لقوها لقوها وهم مستعدون لا يرهقهم ما يرهق من تصيبه الشدة بغتة فينكرها وتشمئز منها نفسه * والبلاء فى الانفس القتل والاسر والجراح وما يرد عليها من انواع المخاوف والمصائب * وفى الاموال الانفاق فى سبل الخير وما يقع فيها من الآفات * وما يسمعون من اهل الكتاب المطاعن فى الدين الحنيف وصد من اراد الايمان وتخطئة من آمن وما كان من كعب بن الاشرف من هجائه لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريض المشركين ومن فنحاص ومن بنى قريظة والنضير (فان ذلك) فان الصبر والتقوى (من عزم الامور) من معزومات الامور اى مما يجب العزم عليه من الامور او مما عزم الله ان يكون يعنى ان ذلك عزمة من عزمات

* قوله تعالى كل نفس ذائقة الموت الآية (قال محمود لان المعنى ان توفية الاجور وتكميلها يكون الخ) قال احمد هذا كما ترى صريح فى اعتقاده حصول بعضها قبل يوم القيامة وهو المراد بما يكون فى القبر من نعيم وعذاب والقد احسن الزمخشرى فى مخالفة اصحابه فى هذه العقيدة فانهم يجحدون عذاب القبر وها هو قد اعترف به والله الموفق

الله لا بد لكم أن تصبروا وتتقوا (وإذ أخذ الله) واذكر وقت أخذ الله ميثاق أهل الكتاب (لتبيننه) الضمير للكتاب أكد عليهم ايجاب بيان الكتاب واجتناب كتمانه كما يؤكد على الرجل اذا عزم عليه وقيل له الله لتفعلن (فنبذوه وراء ظهورهم) فنبذوا الميثاق وتأكيده عليهم يعني لم يراعوه ولم يلتفتوا اليه والنبذ وراء الظهر مثل في الطرح وترك الاعتداد ونقيضه جعله نصب عينيه والقاه بين عينيه وكفى به دليلا على انه مأخوذ على العلماء ان يبينوا الحق للناس وما علموه وان لا يكتموا منه شيئا لغرض فاسد من تسهيل على الظلمة وتطييب لنفوسهم واستجلاب لمسارهم او لجر منفعة وحطام دنيا او لتقية مما لا دليل عليه ولا امارة او لبخل بالعلم وغيرة ان ينسب اليه غيرهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من كتم علما عن اهله الجم بلجام من نار وعن طاوس انه قال لوهب اني ارى الله سوف يعذبك بهذه الكتب وقال والله لو كنت نبيا فكتمت العلم كما تكتمه لرأيت أن الله سيعذبك وعن محمد بن كعب لا يحل لاحد من العلماء ان يسكت على علمه ولا يحل للجاهل ان يسكت على جهله حتى يسال وعن علي رضي الله عنه ما أخذ الله على اهل الجهل أن يتعلموا حتى اخذ على أهل العلم أن يعلموا * وقرئ ليبيننه ولا يكتمونه بالياء لانهم غيب وبالتاء على حكاية مخاطبتهم كقوله وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن (لا تحسبن) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم واحد المفعولين (الذين يفرحون) والثاني بمفازة وقوله فلا تحسبنهم تاكيد تقديره لا تحسبنهم فلا تحسبنهم فائزين * وقرئ لا تحسبن فلا تحسبنهم بضم الباء على خطاب المؤمنين ولا يحسبن فلا يحسبنهم بالياء وفتح الباء فيهما على ان الفعل للرسول وقرأ أبو عمرو بالياء وفتح الباء في الاول وضمها في الثاني على ان الفعل للذين يفرحون والمفعول الاول محذوف على لا يحسبنهم الذين يفرحون بمفازة بمعنى لا يحسبن أنفسهم الذين يفرحون فائزين وفلا يحسبنهم تاكيد ومعنى (بما أتوا) بما فعلوا وأتى وجاء يستعملان بمعنى فعل قال الله تعالى انه كان وعده مأتيا لقد جئت شيئا فريا ويدل عليه قراءة أبي يفرحون بما فعلوا وقرئ آتوا بمعنى أعطوا وعن علي رضي الله عنه بما أوتوا ومعنى (بمفازة من العذاب) بمنجاة منه وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سال اليهود عن شيء مما في التوراة فكتموا الحق واخبروه بخلافه واروه انهم قد صدقوه واستحمدوا اليه وفرحوا بما فعلوا فاطلع الله رسوله على ذلك وسلاه بما أنزل من وعيدهم اي لا تحسبن اليهود الذين يفرحون بما فعلوا من تدليسهم عليك ويحبون ان تحمدهم بما لم يفعلوا من اخبارك بالصدق عما سألتهم عنه ناجين من العذاب ومعنى يفرحون بما اوتوا بما اوتوه من علم التوراة وقيل يفرحون بما فعلوا من كتمان نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا من اتباع دين ابراهيم حيث ادعوا ان ابراهيم كان على اليهودية وأنهم على دينه وقيل هم قوم تخلفوا عن الغزو مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قفل اعتذروا اليه بانهم رأوا المصلحة في التخلف واستحمدوا اليه بترك الخروج وقيل هم المنافقون يفرحون بما أتوا من اظهار الايمان للمسلمين ومنافقتهم وتوصلهم بذلك الى اغراضهم ويستحمدون اليهم بالايمان الذي لم يفعلوه على الحقيقة لابطانهم الكفر ويجوز ان يكون شاملا لكل من يأتي بحسنة فيفرح بها فرح اعجاب ويحب ان يحمده الناس ويثنوا عليه بالديانة والزهد بما ليس فيه (ولله ملك السموات والارض) فهو يملك أمرهم * وهو على كل شيء قدير فهو يقدر على عقابهم (لآيات) لادلة واضحة على الصانع وعظيم قدرته وباهر حكمته (لاولي الالباب) الذين يفتحون بصائرهم للنظر والاستدلال والاعتبار ولا ينظرون اليها نظر البهائم غافلين عما فيها من عجائب الفطر وفي النصائح الصغار املأ عينيك من زينة هذه الكواكب وأجلهما في جملة هذه العجائب متفكرا في قدرة مقدرها متدبرا حكمة مدبرها قبل ان يسافر بك القدر ويحال بينك وبين النظر وعن ابن عمر رضي الله عنهما قلت لعائشة رضي الله عنها أخبريني باعجب ما رأيت من رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكت وأطالت ثم قالت كل أمره عجب أتاني في ليلتي فدخل في لحافي حتى ألصق جلده بجلدي ثم قال يا عائشة هل لك أن تأذني لي الليلة في عبادة ربي فقلت يا رسول الله اني لأحب قربك وأحب هواك قد أذنت لك فقام الى قربة من ماء في البيت فتوضأ ولم يكثر من صب الماء ثم قام يصلي فقرأ من القرآن فجعل يبكي حتى بلغ الدموع حقويه ثم جلس فحمد الله وأثنى

وإذ اخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا فبئس ما يشترون لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم ولله ملك السموات والأرض والله على كل شيء قدير ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب

الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السموات والارض ربنا ماخلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ربنا انك من تدخل النار فقد أخزيته وماللظالمين من انصار ربنا اننا سمعنا مناديا ينادى للايمان

عليه وجعل يبكي ثم رفع يديه فجعل يبكى حتى رأيت دموعه قد بلت الارض فأتاه بلال يؤذنه بصلاة الغداة فرآه يبكى فقال له يارسول الله أتبكى وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر فقال يا بلال أفلا أكون عبدا شكورا ثم قال ومالى لا أبكي وقد انزل الله على فى هذه الليلة ان فى خلق السموات والارض ثم قال ويل لمن قرأها ولم يتفكر فيها وروى ويل لمن لاكها بين فكيه ولم يتأملها وعن على رضي الله عنه ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا قام من الليل يتسوك ثم ينظر الى السماء ثم يقول ان في خلق السموات والارض وحكي ان الرجل من بنى اسرائيل كان اذا عبد الله ثلاثين سنة أظلته سحابة فعبدها فتي من فتيانهم فلم تظله فقالت له أمه لعل فرطة فرطت منك في مدتك فقال ما أذكر قالت لعلك نظرت مرة الى السماء ولم تعتبر قال لعل قالت فما أتيت الا من ذاك (الذين يذكرون الله) ذكرا دائبا على اى حال كانوا من قيام وقعود واضطجاع لا يخلون بالذكر فى اغلب احوالهم وعن ابن عمر وعروة بن الزبير وجماعة انهم خرجوا يوم العيد الى المصلى فجعلوا يذكرون الله فقال بعضهم أما قال الله تعالى يذكرون الله قياما وقعودا فقاموا يذكرون الله على اقدامهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من احب ان يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله وقيل معناه يصلون فى هذه الاحوال على حسب استطاعتهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمران بن الحصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلي جنب تومىء ايماء وهذه حجة للشافعى رحمه الله فى اضجاع المريض على جنبه كما في اللحد وعند ابى حنيفة رحمه الله انه يستلقي حتي اذا وجد خفة قعد * ومحل (علي جنوبهم) نصب على الحال عطفا علي ماقبله كانه قيل قياما وقعودا ومضطجعين (ويتفكرون فى خلق السموات والارض) ومايدل عليه اختراع هذه الاجرام العظام وابداع صنعتها وما دبر فيها مما تكل الافهام عن ادراك بعض عجائبه على عظم شان الصانع وكبرياء سلطانه وعن سفيان الثورى انه صلى خلف المقام ركعتين ثم رفع رأسه الى السماء فلما رأى الكواكب غشى عليه وكان يبول الدم من طول حزنه وفكرته وعن النبي صلي الله عليه وسلم بينما رجل مستلق على فراشه اذ رفع رأسه فنظر الى النجوم والى السماء فقال أشهد ان لك ربا وخالقا اللهم اغفر لى فنظر الله اليه فغفر له وقال النبي صلى الله عليه وسلم لاعبادة كالتفكر وقيل الفكرة تذهب الغفلة ويحدث للقلب الخشية كما يحدث الماء للزرع النبات وماجليت القلوب بمثل الاحزان ولا استنارت بمثل الفكرة وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني على يونس بن متى فانه كان يرفع له فى كل يوم مثل عمل اهل الارض قالوا وانما كان ذلك التفكر فى امر الله الذى هو عمل القلب لأن احدا لا يقدر ان يعمل بجوارحه فى اليوم مثل عمل اهل الارض (ماخلقت هذا باطلا) على ارادة القول اى يقولون ذلك وهو فى محل الحال بمعنى يتفكرون قائلين والمعنى ماخلقته خلقا باطلا بغير حكمة بل خلقته لداعى حكمة عظيمة وهو ان تجعلها مساكن للمكلفين وأدلة لهم على معرفتك ووجوب طاعتك واجتناب معصيتك ولذلك وصل به قوله (فقنا عذاب النار) لانه جزاء من عصى ولم يطع * (فان قلت) هذا اشارة الى ماذا (قلت) الى الخلق على ان المراد به المخلوق كانه قيل ويتفكرون فى مخلوق السموات والارض اى فيما خلق منها ويجوز ان يكون اشارة الى السموات والارض لانها فى معنى المخلوق كانه قيل ماخلقت هذا المخلوق العجيب باطلا وفى هذا ضرب من التعظيم كقوله ان هذا القرآن يهدى للتي هي أقوم ويجوز ان يكون باطلا حالا من هذا * وسبحانك اعتراض للتنزيه من العبث وان يخلق شيئا بغير حكمة (فقد أخزيته) فقد أبلغت فى اخزائه وهو نظير قوله فقد فاز ونحوه في كلامهم من ادرك مرعى الصمان فقد ادرك ومن سبق فلانا فقد سبق (وماللظالمين) اللام اشارة الى من يدخل النار واعلام بان من يدخل النار فلا ناصر له بشفاعة ولا غيرها * تقول سمعت رجلا يقول كذا وسمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل علي الرجل وتحذف المسموع لانك وصفته بما يسمع اوجعلته حالا عنه فاغناك عن ذكره ولولا الوصف او الحال لم يكن منه بد وان يقال سمعت كلام فلان اوقوله (فان قلت) فاى فائدة فى الجمع بين المنادى وينادى (قلت) ذكر النداء مطلقا ثم مقيدا بالايمان تفخيما لشان المنادى لانه لا منادى أعظم من مناد ينادى للايمان ونحوه قولك مررت بهاد يهدى للاسلام وذلك ان المنادى اذا أطلق ذهب الوهم الى مناد للحرب او لاطفاء الثائرة

اولاغاثة المكروب اولكفاية بعض النوازل اولبعض المنافع وكذلك الهادى قديطلق على من يهدى الطريق ويهدى لسداد الرأى وغيرذلك فاذا قلت يناشى الايمان ويهدى للاسلام فقد رفعت من شان المنادى والهادى وفخمته ويقال دعاه لكذا والى كذا وندبه له واليه وناداه له واليه ونحوه هداه للطريق واليه وذلك ان معنى انتهاء الغاية ومعنى الاختصاص واقعان جميعا والمنادى هو الرسول ادعوالى الله ادع الى سبيل ربك وعن محمد بن كعب القرآن (أن آمنوا) اى آمنوا او بان آمنوا (ذنوبنا) كبائرنا (سيآتنا) صغائرنا (مع الابرار) مخصوصين بصحبتهم معدودين فى جملتهم والابرار جمع براو باركرب وارباب وصاحب واصحاب (على رسلك) على هذه صلة للوعد كما فى قولك وعدالله الجنة على الطاعة والمعنى ماوعدتنا على تصديق رسلك ألا تراه كيف اتبع ذكر المنادى للايمان وهو الرسول وقوله آمنا وهو التصديق ويجوزان يكون متعلقا بمحذوف اى ماوعدتنا منزلا على رسلك اومحمولا على رسلك لان الرسل محملون ذلك فانما عليه ماحمل وقيل على ألسنة رسلك والموعود هو الثواب وقيل النصرة على الاعداء (فان قلت) كيف دعوا الله بانجاز ماوعد والله لايخلف الميعاد (قلت) معناه طلب التوفيق فيما يحفظ عليهم أسباب انجاز الميعاد وهو باب من اللجا الى الله والخضوع له كما كان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يستغفرون مع علمهم انهم مغفور لهم يقصدون بذلك التذلل لربهم والتضرع اليه واللجا الذى هو سيما العبودية * يقال استجاب له واستجابه * فلم يستجبه عند ذاك مجيب * (أنى لاأضيع) قرئ بالفتح على حذف الياء وبالكسر على ارادة القول وقرئ لاأضيع بالتشديد (من ذكر اوانثى) بيان لعامل (بعضكم من بعض) اى يجمع ذكوركم واناثكم أصل واحد فكل واحد منكم من الآخر اى من أصله او كانه منه لفرط اتصالكم واتحادكم وقيل المراد وصلة الاسلام وهذه جملة معترضة بينت بها شركة النساء مع الرجال فيما وعدالله عباده العاملين وروى ان أم سلمة قالت يارسول الله انى أسمع الله تعالى يذكر الرجال فى الهجرة ولايذكر النساء فنزلت (فالذين هاجروا) تفصيل لعمل العامل منهم على سبيل التعظيم له والتفخيم كانه قال فالذين عملوا على هذه الاعمال السنية الفائقة وهي المهاجرة عن أوطانهم فارين الى الله بدينهم من دار الفتنة واضطروا الى الخروج من ديارهم التى ولدوا فيها ونشؤا بما سامهم المشركون من الخسف (واوذوا فى سبيلى) من أجله وبسببه يريد سبيل الدين (وقاتلوا وقتلوا) وغزوا المشركين واستشهدوا وقرئ وقتلوا بالتشديد وقتلوا وقاتلوا على التقديم بالتخفيف والتشديد وقتلوا وقتلوا على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وقتلوا وقاتلوا على بنائهما للفاعل (ثوابا) فى موضع المصدر المؤكد بمعنى اثابة او تثويبا (من عندالله) لان قوله لاكفرن عنهم ولادخلنهم فى معنى لاثيبنهم وعنده مثل أى يختص به وبقدرته وفضله لايثيبه غيره ولايقدر عليه كما يقول الرجل عندى ماتريد يريد اختصاصه به وبملكه وان لم يكن بحضرته وهذا تعليم من الله كيف يدعى وكيف يبتهل اليه ويتضرع * وتكرير ربنا من باب الابتهال واعلام بما يوجب حسن الاجابة وحسن الاثابة من احتمال المشاق فى دين الله والصبر على صعوبة تكاليفه وقطع لاطماع الكسالى المتمنين عليه وتسجيل على من لايرى الثواب موصولا اليه بالعمل بالجهل والغباوة وروى عن جعفر الصادق رضى الله عنه من حزبه أمر فقال خمس مرات ربنا أنجاه الله مما يخاف وأعطاه ما اراد وقرأ هذه الآية وعن الحسن حكي الله عنهم انهم قالوا خمس مرات ربنا ثم اخبرانه استجاب لهم الا انه اتبع ذلك رافع الدعاء ومايستجاب به فلابد من تقديمه بين يدى الدعاء (لايغرنك) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم او لكل أحد اى لاتنظر الى ماهم عليه من سعة الرزق والمضطرب ودرك العاجل واصابة حظوظ الدنيا ولاتغتر بظاهر ماترى من تبسطهم فى الارض وتصرفهم فى البلاد يتكسبون ويتجرون ويتدهقنون عن ابن عباس هم اهل مكة وقيل هم اليهود وروى ان ناسا من المؤمنين كانوا يرون ماكانوا فيه من الخصب والرخاء ولين العيش فيقولون ان أعداء الله فيما نرى من الخير وقد هلكنا من الجوع والجهد (فان قلت) كيف جازان يغتر رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك حتى ينهي عن الاغترار به (قلت) فيه وجهان احدهما ان مدره القوم ومتقدمهم يخاطب بشىء فيقوم خطابه مقام خطابهم جميعا فكانه قيل لايغرنكم والثاني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان

أن آمنوا بربكم فآمنا ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيآتنا وتوفنا مع الابرار ربنا وآتنا ماوعدتنا على رسلك ولاتخزنا يوم القيامة انك لاتخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أنى لاأضيع عمل عامل منكم من ذكر اوانثى بعضكم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم واوذوا فى سبيلى وقاتلوا وقتلوا لاكفرن عنهم سيآتهم ولادخلنهم جنات تجرى من تحتها الانهار ثوابا من عندالله والله عنده حسن الثواب لايغرنك تقلب الذين كفروا فى البلاد

غير

(القول في سورة النساء) (بسم الله الرحمن الرحيم) يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها (قال محمود معناه فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم أبيكم وعلام عطف الخ) قال احمد وانما قدر المحذوف في الوجه الاول

حيث جعل الخطاب عاما في الجنس لانه لولا التقدير لكان قوله وبث منهما تكرارا لقوله خلقكم اذ مؤداهما واحد وليس على سبيل بيان الاول لانه معطوف

غير مغرور بحالهم فأكد عليه ما كان عليه وثبت على التزامه كقوله ولا تكن من الكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تطع المكذبين وهذا في النهي نظير قوله في الامر اهدنا الصراط المستقيم يا أيها الذين آمنوا آمنوا وقد جعل النهي في الظاهر للتقلب وهو في المعنى للمخاطب وهذا من تنزيل السبب منزلة المسبب لان التقلب لو غره لاغتر به فمنع السبب ليمتنع المسبب * وقرئ لا يغرنك بالنون الخفيفة (متاع قليل) خبر مبتدا محذوف أي ذلك متاع قليل وهو التقلب في البلاد أراد قلته في جنب مافاتهم من نعيم الآخرة او في جنب ما أعد الله للمؤمنين من الثواب أو اراد أنه قليل في نفسه لانقضائه وكل زائل قليل قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما الدنيا في الآخرة الامثل ما يجعل أحدكم اصبعه في اليم فلينظر بم يرجع (وبئس المهاد) وساء ما مهدوا لانفسهم * النزل والنزل ما يقام للنازل قال ابو الشعر الضبي

وكنا اذا الجبار بالجيش ضافنا * جعلنا القنا والمرهفات له نزلا

وانتصابها اما على الحال من جنات لتخصصها بالوصف والعامل اللام ويجوز أن يكون بمعنى مصدر مؤكد كأنه قيل رزقا أو عطاء (من عند الله وما عند الله) من الكثير الدائم (خير للابرار) مما يتقلب فيه الفجار من القليل الزائل وقرأ مسلمة بن محارب والاعمش نزلا بالسكون * وقرأ يزيد بن القعقاع لكن الذين اتقوا بالتشديد (وإن من أهل الكتاب) عن مجاهد نزلت في عبد الله بن سلام وغيره من مسلمة اهل الكتاب وقيل في أربعين من أهل نجران واثنين وثلاثين من الحبشة وثمانية من الروم كانوا على دين عيسى عليه السلام فاسلموا وقيل في أصحمة النجاشي ملك الحبشة ومعنى أصحمة عطية بالعربية وذلك أنه لما مات نعاه جبريل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عليه السلام اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير ارضكم فخرج الى البقيع ونظر الى أرض الحبشة فأبصر سرير النجاشي وصلى عليه واستغفر له فقال المنافقون انظروا الى هذا يصلي على علج نصراني لم يره قط وليس على دينه فنزلت ودخلت لام الابتداء على اسم ان لفصل الظرف بينهما كقوله وان منكم لمن ليبطئن (وما انزل اليكم) من القرآن (وما انزل اليهم) من الكتابين (خاشعين لله) حال من فاعل يؤمن لان من يؤمن في معنى الجمع (لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا) كما يفعل من لم يسلم من أحبارهم وكبارهم (أولئك لهم أجرهم عند ربهم) اي ما يختص بهم من الاجر وهو ما وعدوه في قوله اولئك يؤتون اجرهم مرتين يؤتكم كفلين من رحمته (ان الله سريع الحساب) لنفوذ علمه في كل شيء فهو عالم بما يستوجبه كل عامل من الاجر ويجوز أن يراد انما توعدون لآت قريب بعد ذكر الموعد (اصبروا) على الدين وتكاليفه (وصابروا) أعداء الله في الجهاد اي غالبوهم في الصبر على شدائد الحرب لا تكونوا اقل صبرا منهم وثباتا * والمصابرة باب من الصبر ذكر بعد الصبر على ما يجب الصبر عليه تخصيصا لشدته وصعوبته (ورابطوا) واقيموا في الثغور رابطين خيلكم فيها مترصدين مستعدين للغزو قال الله عز وجل ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من رابط يوما وليلة في سبيل الله كان كعدل صيام شهر وقيامه لا يفطر ولا ينفتل عن صلاته الا لحاجة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة آل عمران أعطى بكل آية منها أمانا على جسر جهنم وعنه عليه الصلاة والسلام من قرأ السورة التي يذكر فيها آل عمران يوم الجمعة صلى الله عليه وملائكته حتى تحجب الشمس

متاع قليل ثم مأواهم جهنم وبئس المهاد لكن الذين اتقوا ربهم لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها نزلا من عند الله وما عند الله خير للابرار وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما انزل اليكم وما انزل اليهم خاشعين لله لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أولئك لهم أجرهم عند ربهم ان الله سريع الحساب يا أيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون

(سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يا ايها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة

(سورة النساء مدنية وهي مائة وخمس وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(يا أيها الناس) يا بني آدم (خلقكم من نفس واحدة) فرعكم من اصل واحد وهو نفس آدم ابيكم (فان

عليه حينئذ واما هو معطوف على المقدر فذاك المقدر واقع صفة مبنية والمعطوف عليه داخل في حكم البيان فاستقام واما الوجه الثاني فالتكرار فيه ليس بلازم اذ المخاطب بقوله خلقكم الذين بعث اليهم النبي عليه الصلاة والسلام وقوله وبث منهما واقع على من عدا المبعوث اليهم من الامم فلا حاجة للتقدير المذكور في الوجه الثاني والله اعلم

قلت علام عطف قوله (وخلق منها زوجها) (قلت) فيه وجهان أحدهما أن يعطف على محذوف كأنه
قيل من نفس واحدة أنشأها أو ابتدأها وخلق منها زوجها وإنما حذف لدلالة المعنى عليه والمعنى شعبكم من
نفس واحدة هذه صفتها وهي أنه أنشأها من تراب وخلق زوجها حواء من ضلع من أضلاعها (وبث منهما)
نوعي جنس الانس وهما الذكور والاناث فوصفها بصفة هي بيان وتفصيل بكيفية خلقهم منها والثاني أن
يعطف على خلقكم ويكون الخطاب في يا أيها الناس للذين بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى
خلقكم من نفس آدم لأنهم من جملة الجنس المفرع منه وخلق منها امكم حواء وبث منهما (رجالا كثيرا ونساء)
غيركم من الامم الفائتة للحصر (فان قلت) الذي يقتضيه سداد نظم الكلام وجزالته أن يجاء عقيب الامر
بالتقوى بما يوجبها او يدعو اليها و يبعث عليها فكيف كان خلقه اياهم من نفس واحدة على التفصيل الذي
ذكره موجبا للتقوى وداعيا اليها (قلت) لان ذلك مما يدل على القدرة العظيمة ومن قدر على نحوه كان قادرا
على كل شيء ومن المقدورات عقاب العصاة فالنظر فيه يؤدي الى أن يتقي القادر عليه ويخشى عقابه ولانه
يدل على النعمة السابغة عليهم فحقهم أن يتقوه في كفرانها والتفريط فيما يلزمهم من القيام بشكرها أو أراد
بالتقوى تقوى خاصة وهي أن يتقوه فيما يتصل بحفظ الحقوق بينهم فلا يقطعوا ما يجب عليهم وصله فقيل
اتقوا ربكم الذي وصل بينكم حيث جعلكم صنوانا مفرعة من أرومة واحدة فيما يجب على بعضكم لبعض
فحافظوا عليه ولا تغفلوا عنه وهذا المعنى مطابق لمعاني السورة * وقرئ وخالق منها زوجها وباث منهما بلفظ
اسم الفاعل وهو خبر مبتدأ محذوف تقديره وهو خالق (تساءلون به) تتساءلون به فادغمت التاء في السين
* وقرئ تساءلون بطرح التاء الثانية أي يسأل بعضكم بعضا بالله وبالرحم فيقول بالله وبالرحم افعل كذا
على سبيل الاستعطاف وأناشدك الله والرحم او تسألون غيركم بالله والرحم فقيل تفاعلون موضع تفعلون
للجمع كقولك رأيت الهلال وتراءيناه وتنصره قراءة من قرأ تسألون به مهموزا وغير مهموز وقرئ والارحام
بالحركات الثلاث فالنصب على وجهين اما على واتقوا الله والارحام أو أن يعطف على محل الجار والمجرور
كقولك مررت بزيد وعمرا وينصره قراءة ابن مسعود تساءلون به وبالارحام والجر على عطف الظاهر على
المضمر وليس بسديد لان الضمير المتصل متصل كاسمه والجار والمجرور كشيء واحد فكانا في قولك مررت
به وزيد وهذا غلامه وزيد شديدي الاتصال فلما اشتد الاتصال لتكرره أشبه العطف على بعض الكلمة
فلم يجز ووجب تكرير العامل كقولك مررت به وبزيد وهذا غلامه وغلام زيد ألا ترى الى صحة قولك رأيتك
وزيدا ومررت بزيد وعمرو لما لم يقو الاتصال لانه لم يتكرر وقد تمحل لصحة هذه القراءة بأنها على تقدير
تكرير الجار ونظيرها فما بك والايام من عجب والرفع على أنه مبتدأ خبره محذوف كأنه قيل والارحام كذلك
على معنى والارحام مما يتقى أو والارحام مما يتساءل به والمعنى أنهم كانوا يقرون بأن لهم خالقا وكانوا يتساءلون
بذكر الله والرحم فقيل لهم اتقوا الله الذي خلقكم واتقوا الذي تتناشدون به واتقوا الارحام فلا تقطعوها او
واتقوا الله الذي تتعاطفون باذكاره وباذكار الرحم وقد آذن عز وجل اذ قرن الارحام باسمه أن صلتها منه بمكان
كما قال أن لا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا وعن الحسن اذا سألك بالله فاعطه واذا سألك بالرحم فاعطه وللرحم
حجنة عند العرش ومعناه ما روي عن ابن عباس رضي الله عنه الرحم معلقة بالعرش فاذا أتاها الواصل بشت
به وكلمته واذا اتاها القاطع احتجبت منه وسئل ابن عيينة عن قوله عليه الصلاة والسلام تخيروا لنطفكم فقال
يقول لاولادكم وذلك أن يضع ولده في الحلال ألم تسمع قوله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام وأول
صلته أن يختار له الموضع الحلال فلا يقطع رحمه ولا نسبه فانما للعاهر الحجر ثم يختار الصحة ويجتنب الدعوة ولا
يضعه موضع سوء يتبع شهوته وهواه بغير هدى من الله اليتامى الذين مات آباؤهم فانفردوا عنهم واليتم الانفراد
ومنه الرملة اليتيمة والدرة اليتيمة وقيل اليتم في الاناسي من قبل الآباء وفي البهائم من قبل الامهات (فان قلت)
كيف جمع اليتيم وهو فعيل كمريض على يتامى (قلت) فيه وجهان أن يجمع على يتمى كأسرى لان اليتم من
وادي الآفات والاوجاع ثم يجمع فعلى على فعالى كأسارى ويجوز أن يجمع على فعائل لجري اليتيم مجرى

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذي تساءلون به والارحام ان الله كان عليكم رقيبا

الاسماء

* قوله تعالى وآتوا اليتامى أموالهم (قال محمود اما ان يراد باليتامى الصغار الخ) قال أحمد والوجه الاول قوى بقوله بعد آيات وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم دل على ان الآية الاولى في الحض على حفظها لهم ليؤتوها عند بلوغهم ورشدهم والثانية في الحض على الايتاء الحقيقي عند حصول البلوغ والرشد ويقويه أيضا قوله عقيب الاولى ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم فهذا كله تاديب للوصي مادام المال بيده واليتيم في حجره واما على الوجه الآخر فيكون مؤدى الآيتين واحدا وهو الامر بالايتاء حقيقة ويخلص عن التكرار بان الاولى كالجملة والثانية كالمبينة لشرط الايتاء من البلوغ وايناس الرشد والله أعلم * قوله تعالى ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم (قال محمود معناه ولا تضموها الى اموالكم الخ) قال احمد وأهل البيان يقولون المنهي متى كان درجات فطريق البلاغة النهي عن ادناها تنبيها على الاعلى كقوله تعالى فلا تقل لهما أف واذا اعتبرت هذا القانون بهذه الآية وجدته باديء الرأي مخالفا لها اذ أعلى درجات أكل مال اليتيم في النهي ان يأكله وهو غني عنه وأدناها ان يأكله وهو فقير اليه فكان مقتضي القانون المذكور ان ينهي عن أكل مال اليتيم من هو فقير اليه حتى يلزم نهي الغني عنه من طريق الاولى وحينئذ فلا بد من تمهيد أمر يوضح فائدة تخصيص الصورة العليا بالنهي في هذه الآية فنقول ابلغ الكلام ما تعددت وجوه افادته ولا شك ان النهي عن الادنى وان افاد النهي عن الاعلى الا ان للنهي عن الاعلى أيضا فائدة أخرى جليلة لا تؤخذ من النهي عن الادنى وذلك ان المنهي كلما كان أقبح كانت النفس عنه أنفر والداعية اليه أبعد ولا شك ان المستقر في النفوس ان أكل مال اليتيم مع الغنى عنه أقبح صور الاكل فخصص بالنهي تشنيعا على من يقع فيه حتى اذا استحكم نفوره من أكل ماله على هذه الصورة الشنعاء دعاه ذلك الى الاحجام عن أكل ماله مطلقا ففيه تدريب للمخاطب على النفور من المحارم ولا تكاد هذه الفائدة تحصل لو خصص النهي باكله مع الفقر اذ ليست الطباع في هذه الصورة معينة على الاجتناب كاعانتها عليه في الصورة الاولى ويحقق مراعاة هذا المعنى تخصيصه الاكل مع ان تناول مال اليتيم على أي وجه كان منهي عنه كان ذلك بالادخار أو بالتباس أو ببذله في لذة النكاح مثلا أو غير ذلك الا ان حكمة تخصيص النهي بالاكل ان العرب كانت تتذام بالاكثار من الاكل وتعد البطنة من البهيمية وتعيب على من اتخذ ديدنه ولا كذلك سائر الملاذ فانهم ربما يتفاخرون بالاكثار من النكاح ويعدونه من زينة الدنيا فلما كان الأكل عندهم أقبح الملاذ خص النهي به حتى اذا نفرت النفس منه بمقتضي طبعها المألوف جرها ذلك الى النفور من صرف مال اليتيم في سائر الملاذ أو غيرها.

وآتوا اليتامى اموالهم ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ولا تأكلوا أموالهم الى اموالكم انه كان حوبا كبيرا وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فانكحوا

الاسماء نحو صاحب وفارس فيقال يتائم ثم يتامى على القلب وحق هذا الاسم ان يقع على الصغار والكبار لبقاء معنى الانفراد عن الآباء الا انه قد غلب أن يسموا به قبل ان يبلغوا مبلغ الرجال فاذا استغنوا بانفسهم عن كافل وقائم عليهم وانتصبوا كفاة يكفلون غيرهم ويقومون عليهم زال عنهم هذا الاسم وكانت قريش تقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم يتيم ابى طالب اما على القياس واما حكاية للحال التي كان عليها صغيرا ناشئا في حجر عمه توضيعا له وأما قوله عليه السلام لا يتم بعد الحلم فما هو الا تعليم شريعة لا لغة يعني انه اذا احتلم لم تجر عليه احكام الصغار (فان قلت) فما معنى قوله (وآتوا اليتامى اموالهم) (قلت) اما ان يراد باليتامى الصغار وباتيانهم الاموال ان لا يطمع فيها الاولياء والاوصياء وولاة السوء وقضاته ويكفوا عنها أيديهم الخاطفة حتى تأتي اليتامى اذا بلغوا سالمة غير محذوفة واما ان يراد الكبار تسمية لهم يتامى على القياس او لقرب عهدهم اذا بلغوا بالصغر كما تسمى الناقة عشراء بعد وضعها على ان فيه اشارة الى ان لا يؤخر دفع أموالهم اليهم عن حد البلوغ ولا يمطلوا ان اونس منهم الرشد وان يؤتوها قبل ان يزول عنهم اسم اليتامى والصغار وقيل هي في رجل من غطفان كان معه مال كثير لابن أخ له يتيم فلما بلغ طلب المال فمنعه عمه فترافعا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت فلما سمعها العم قال أطعنا الله وأطعنا الرسول نعوذ بالله من الحوب الكبير فدفع ماله اليه فقال النبي عليه السلام ومن يوق شح نفسه ويطع ربه هكذا فانه يحل داره يعني جنته فلما قبض ألفتى ماله أنفقه في سبيل الله فقال النبي ﷺ ثبت الاجر ثبت الاجر وبقي الوزر قالوا يا رسول الله قد عرفنا انه ثبت الاجر كيف بقي الوزر وهو ينفق في سبيل الله فقال ثبت أجر الغلام وبقي الوزر على والده (ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب) ولا تستبدلوا الحرام وهو مال اليتامى بالحلال وهو مالكم وما أبيح لكم من المكاسب ورزق الله المبثوث في الارض فتأكلوه مكانه او لا تستبدلوا الامر الخبيث وهو اختزال اموال اليتامى بالامر الطيب وهو حفظها والتورع منها والتفعل بمعنى الاستفعال غير عزيز منه التعجل بمعنى الاستعجال والتأخر بمعنى الاستئخار قال ذو الرمة

فيا كرم السكن الذين تحملوا * عن الدار والمستخلف المتبدل

أراد ويا لؤم ما استخلفته الدار واستبدلته وقيل هو ان يعطي رديأ ويأخذ جيدا وعن السدى ان يجعل شاة مهزولة مكان سمينة وهذا ليس بتبدل وانما هو تبديل الا ان يكارم صديقا له فيأخذ منه عجفاء مكان سمينة من مال الصبي (ولا تأكلوا اموالهم الى اموالكم) ولا تنفقوها معها وحقيقته ولا تضموها اليها في الانفاق حتى

كلا او غيره ومثل هذه الآية في تخصيص النهي بما هو اعلى قوله تعالى لا تاكلوا الربا أضعافا مضاعفة فخص هذه الصورة لأن الطبع على الانتهاء عنها أعون ويقابل هذا النظر في النهي نظر آخر في الامر وهو انه تارة يخص صورة الامر الادني تنبيها على الاعلى وتارة يخص صورة الاعلى لمثل الفائدة المذكورة من التدريب ألا ترى الى قوله تعالى بعد آيات من هذه السورة واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم الآية كيف خص صورة حضورهم وان كانت العليا بالنسبة الى غيبتهم وذلك ان الله تعالى علم شح الانفس على الاموال فلو أمر باسعاف الاقارب واليتامي من المال الموروث ولم يذكر حالة حضورهم القسمة لم تكن الانفس بالمنبعثة الى هذا المعروف كانبعاثها مع حضورهم بخلاف ما اذا حضروا فان النفس يرق طبعها وتنفر من ان تاخذ المال الجزل وذو الرحم حاضر محروم ولا يسعف ولا يساعد فاذا أمرت في هذه الحالة بالاسعاف هان عليها امتثال الامر وائتلافها على امتثال الطبع ثم تدربت بذلك على اسعاف ذي الرحم مطلقا حضر او غاب فمراعاة هذا وأمثاله من الفوائد لا يكاد يلفى الا في الكتاب العزيز ولا يعثر عليه الا الحاذق الفطن المؤيد بالتوفيق نسال الله ان يسلك بنا في هذا النمط فخذ هذا القانون عمدة وهو ان النهي ان خص الادني فلفائدة التنبيه على الاعلى وان خص الاعلى فلفائدة التدريب على الانكفاف عن القبيح مطلقا من الانكفاف عن الاقبح ومثل هذا النظر في جانب الامر والله الموفق * قوله تعالى وان خفتم ألا تقسطوا في اليتامي فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع الآية (قال محمود لما نزلت آية اليتامي خاف الاولياء الخ) قال احمد قد ثبت ان قاعدة القدرية وعقيدتهم ان الكبيرة الواحدة توجب خلود العبد في العذاب وان كان موحدا ما لم يتب عنها فمن ثم يقولون لا تفيد التوبة عن بعض الذنوب واربعا والاصرار على بعضها الا انه بواحدة من الكبائر ساوى الكافر في الخلود في العذاب ولا يفيد توحيده ولا شيء من اعماله هذا هو معتقدهم الفاسد الذي يروم الزمخشري تفسير الآية عليه فاحذره اما اهل السنة فيقولون اذا تاب العبد من بعض الذنوب كان الخطاب بوجوب التوبة من باقيها متوجها عليه وكانه قام ببعض الواجبات وترك القيام ببعضها فافادته التوبة محو المتوب عنه باذن الله ووعده وهو في العهدة فيما لم يتب عنه فان كان تفسير الآية على انهم خوطبوا بالتحرج في حقوق النساء والتوبة من الجور عليهن كما تابوا عن الحيف على اليتامى فلا مز في ذلك منزل على ما بيناه من قواعد السنة والله ولي التوفيق * عاد كلامه (قال محمود وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامي الخ) قال احمد وهذا التاويل الذي أخره جدير بالتقديم وهو الاظهر وتكون الآية معه لبيان حكم اليتامي وتحذيرا من التورط في الجور عليهن وامرا بالاحتياط وفي غيرهن متسع الى الاربع وأصدق شاهد على انه هو المراد قوله تعالى وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن

ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع

لا تفرقوا بين اموالكم واموالهم قلة مبالاة بما لا يحل لكم وتسوية بينه وبين الحلال (فان قلت) قد حرم عليهم أكل مال اليتامى وحده ومع اموالهم فلم ورد النهي عن أكله معها (قلت) لانهم اذا كانوا مستغنين عن اموال اليتامى بما رزقهم الله من مال حلال وهم على ذلك يطمعون فيها كان القبح ابلغ والذم احق ولانهم كانوا يفعلون كذلك فنعي عليهم فعلهم وسمع بهم ليكون أزجر لهم * والحوب الذنب العظيم ومنه قوله عليه السلام ان طلاق ام ايوب لحوب فكانه قيل انه كان ذنبا عظيما كبيرا * وقرأ الحسن حوبا بفتح الحاء وهو مصدر حاب حوبا وقرئ حابا ونظيره الحوب والحاب القول والقال والطرد والطرد * ولما نزلت الآية في اليتامي وما في اكل اموالهم من الحوب الكبير خاف الاولياء ان يلحقهم الحوب بترك الاقساط في حقوق اليتامى واخذوا يتحرجون من ولايتهم وكان الرجل منهم ربما كان تحته العشر من الازواج والثمان والست فلا يقوم بحقوقهن ولا يعدل بينهن فقيل لهم ان خفتم ترك العدل في حقوق اليتامي فتحرجتم منها فخافوا ايضا ترك العدل بين النساء فقللوا عدد المنكوحات لان من تحرج من ذنب او تاب عنه وهو مرتكب مثله فهو غير متحرج ولا تائب لانه انما وجب ان يتحرج من الذنب ويتاب عنه لقبحه والقبح قائم في كل ذنب وقيل كانوا لا يتحرجون من الزنا وهم يتحرجون من ولاية اليتامى فقيل ان خفتم الجور في حق اليتامي فخافوا الزنا فانكحوا ما حل لكم من النساء ولا تحوموا حول المحرمات وقيل كان الرجل يجد اليتيمة لها مال وجمال او يكون وليها فيتزوجها ضنا بها عن غيره فربما اجتمعت عنده عشر منهن فيخاف لضعفهن وفقد من يغضب لهن ان يظلمهن حقوقهن ويفرط فيما يجب لهن فقيل لهم ان خفتم ان لا تقسطوا في يتامى النساء فانكحوا من غيرهن ما طاب لكم ويقال للاناث اليتامى كما يقال للذكور وهو جمع يتيمة على القلب كما قيل أيامي والاصل ايائم ويتائم وقرأ النخعي تقسطوا بفتح التاء على ان لا مزيدة مثلها في لئلا يعلم يريد وان خفتم ان تجوروا (ما طاب) ما حل (لكم من النساء) لان منهن ما حرم كاللاتي في آية التحريم وقيل ما ذهابا الى الصفة ولان الاناث من العقلاء يجرين مجرى غير العقلاء ومنه قوله تعالى او ما ملكت ايمانكم (مثنى وثلاث ورباع) معدولة عن اعداد مكررة وانما منعت الصرف لما فيها من العدلين عدلها عن صيغها وعدلها عن تكررها وهي نكرات يعرفن بلام التعريف تقول فلان ينكح المثنى والثلاث والرباع ومحلهن النصب على الحال مما طاب تقديره فانكحوا الطيبات لكم معدودات هذا العدد ثنتين ثنتين وثلاثا ثلاثا

وأربعا أربعا (فان قلت) الذى أطلق للناكح فى الجمع ان يجمع بين ثنتين او ثلاث اوار بع فما معنى التكرير فى مثنى وثلاث ورباع (قلت) الخطاب للجميع فوجب التكرير ليصيب كل ناكح يريد الجمع ما أراد من العدد الذى أطلق له كما تقول للجماعة اقتسموا هذا المال وهو ألف درهم درهمين درهمين وثلاثة ثلاثة وار بعة ار بعة ولو أفردت لم يكن له معنى (فان قلت) فلم جاء العطف بالواو دون او (قلت) كما جاء بالواو فى المثال الذى حذوته لك ولو ذهبت تقول اقتسموا هذا المال درهمين درهمين او ثلاثة ثلاثة اوار بعة ار بعة أعلمت انه لا يسوغ لهم ان يقتسموه الا على احد انواع هذه القسمة وليس لهم ان يجمعوا بينها فيجعلوا بعض القسم على تثنية و بعضه على تثليث و بعضه على تربيع وذهب معنى تجويز الجمع بين انواع القسمة الذى دلت عليه الواو وتحريره ان الواو دلت على اطلاق ان يأخذ الناكحون من ارادوا نكاحها من النساء على طريق الجمع ان شاؤا مختلفين فى تلك الاعداد وان شاؤا متفقين فيها محظورا عليهم ماوراء ذلك وقرأ ابراهيم وثلث وربع على القصر من ثلاث ورباع (فان خفتم ألا تعدلوا) بين هذه الاعداد كما خفتم ترك العدل فيما فوقها (فواحدة) فالزموا او فاختاروا واحدة وذروا الجمع رأسا فان الامر كله يدور مع العدل فأينما وجدتم العدل فعليكم به وقرئ فواحدة بالرفع على فالمقنع واحدة او فكفت واحدة او فحسبكم واحدة (او ماملكت ايمانكم) سوى فى السهولة واليسر بين الحرة الواحدة و بين الاماء من غير حصر ولا توقيت عدد ولعمرى انهن أقل تبعة وأقصر شغبا واخف مؤنة من المهائر لا عليك اكثرت منهن أم أقللت عدلت بينهن فى القسم أم لم تعدل عزلت عنهن أم لم تعزل وقرا ابن ابى عبلة من ملكت (ذلك) اشارة الى اختيار الواحدة والتسرى (ادنى ألا تعولوا) اقرب من ان لا تميلوا من قولهم عال الميزان عولا اذا مال وميزان فلان عائل وعال الحاكم فى حكمه اذا جار وروى ان اعرابيا حكم عليه حاكم فقال له اتعول على وقد روت عائشة رضي الله عنها عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا تعولوا ان لا تجوروا والذى يحكي عن الشافعى رحمه الله انه فسر ان لا تعولوا ان لا تكثر عيالكم فوجهه ان يجعل من قولك عال الرجل عياله يعولهم كقولهم مانهم يمونهم اذا انفق عليهم لان من كثر عياله لزمه ان يعولهم وفى ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب وكلام مثله من اعلام العلم وأئمة الشرع ورؤس المجتهدين حقيق بالحمل على الصحة والسداد وان لا يظن به تحريف تعيلوا الى تعولوا فقد روى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لا تظنن بكلمة خرجت من فى اخيك سوأ وأنت تجد لها فى الخير محملا وكفى بكتابنا المترجم بكتاب شافى العى من كلام الشافعى شاهدا بأنه كان أعلى كعبا واطول باعا فى علم كلام العرب من ان يخفى عليه مثل هذا ولكن للعلماء طرقا واساليب فسلك فى تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات (فان قلت) كيف يقل عيال من تسرى وفى السرارى نحو ما فى المهائر (قلت) ليس كذلك لان الغرض بالتزوج التوالد والتناسل بخلاف التسرى ولذلك جاز العزل عن السرارى بغير اذنهن فكان التسرى مظنة لقلة الولد بالاضافة الى التزوج كتزوج الواحدة بالاضافة الى تزوج الاربع وقرأ طاوس ان لا تعيلوا من أعال الرجل اذا كثر عياله وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعى رحمه الله من حيث المعنى الذى قصده (صدقاتهن) مهورهن وفى حديث شريح قضى ابن عباس لها بالصدقة وقرئ صدقاتهن بفتح الصاد وسكون الدال على تخفيف صدقاتهن وصدقاتهن بضم الصاد وسكون الدال جمع صدقة بوزن غرفة وقرئ صدقتهن بضم الصاد والدال على التوحيد وهو تثقيل صدقة كقولك فى ظلمة ظلمة (نحلة) من نحله كذا اذا اعطاه اياه ووهبه له عن طيبة من نفسه نحلة ونحلا ومنه حديث ابى بكر رضي الله عنه انى كنت نحلتك جداد عشرين وسقا بالعالية وانتصابها على المصدر لان النحلة والايتاء بمعنى الاعطاء فكانه قيل وانحلوا النساء صدقاتهن نحلة اى اعطوهن مهورهن عن طيبة انفسكم اوعلى الحال من المخاطبين اى آتوهن صدقاتهن ناحلين طيبي النفوس بالاعطاء او من الصدقات اى منحولة معطاة عن طيبة الانفس وقيل نحلة من الله عطية من عنده وتفضلا منه عليهن وقيل النحلة الملة ونحلة الاسلام خير النحل وفلان ينتحل كذا اى يدين به والمعنى آتوهن مهورهن ديانة على انها مفعول لها ويجوز ان يكون حالا من الصدقات أى دينا من الله شرعه

فان خفتم ألا تعدلوا فواحدة او ماملكت ايمانكم ذلك ادنى ألا تعولوا وآتوا النساء صدقاتهن نحلة فان طبن لكم عن شىء

لكم عن شيء منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا (قال محمود نحلة منصوب على المصدر لانها فى معنى الايتاء الخ) قال احمد هذا الفصل بجملته حسن جدا غير ان في حمله تذكير الضمير فى منه على الصداق ثم تنظيره ذلك بقوله فاصدق نظرا وذلك ان المراعي ثم الاصل وهو عدم دخول الفاء والجزم وتقدير ما هو الاصل واعطاؤه حكم الموجود ليس ببدع ولا كذلك افراد الصداق المقدر فانه ليس باصل الكلام بل الاصل الجمع وأما الافراد فقد يأتى فى مثله على سبيل الاختصار استغناء عن الجمع بالاضافة ولا يرد انهم قد راعوا ما ليس باصل في قوله

بدا لى انى لست مدرك مامضى * ولا سابق شيأ اذا كان جائيا

لان دخول الباء وان لم يكن أصلا الا انها قد توطنت بهذا الموضوع وكثر حلولها فيه فصارت كان الاصل دخولها في الخبر والله أعلم والامر فى ذلك قريب

وفرضه والخطاب للازواج وقيل للاولياء لانهم كانوا ياخذون مهور بناتهم وكانوا يقولون هنيئا لك النافجة لمن تولد له بنت يعنون تاخذ مهرها فتنفج به مالك أى تعظمه * الضمير فى منه جار مجرى اسم الاشارة كانه قيل عن شيء من ذلك كما قال الله تعالى قل اؤنبئكم بخير من ذلكم بعد ذكر الشهوات ومن الحجج المسموعة من افواه العرب ماروى عن رؤبة انه قيل له فى قوله * كانه فى الجلد توليع البهق * فقال اردت كان ذاك او يرجع الى ماهو فى معنى الصدقات وهو الصداق لانك لو قلت وآتوا النساء صداقهن لم تخل بالمعنى فهو نحو قوله فاصدق وأكن من الصالحين كانه قيل اصدق * و(نفسا) تمييز وتوحيدها لان الغرض بيان الجنس والواحد يدل عليه والمعنى فان وهبن لكم شيأ من الصداق وتجافت عنه نفوسهن طيبات غير مخبثات بما يضطرهن الى الهبة من شكاسة أخلاقكم وسوء معاشرتكم (فكلوه) فانفقوه قالوا فان وهبت له ثم طلبت منه بعد الهبة علم انها لم تطب عنه نفسا وعن الشعبي ان رجلا أتى مع امرأته شريحا فى عطية أعطتها اياه وهى تطلب ان ترجع فقال شريح رد عليها فقال الرجل أليس قد قال الله تعالى فان طبن لكم قال لو طابت نفسها عنه لما رجعت فيه وعنه أقيلها فيما وهبت ولا أقيله لانهن يخدعن * وحكي ان رجلا من آل ابي معيط أعطته امرأته ألف دينار صداقا كان لها عليه فلبث شهرا ثم طلقها فخاصمته الى عبد الملك بن مروان فقال الرجل أعطتني طيبة بها نفسها فقال عبد الملك فاين الآية التى بعدها فلا تاخذوا منه شيأ اردد عليها وعن عمر رضى الله عنه انه كتب الى قضاته ان النساء يعطين رغبة ورهبة فايما امرأة اعطت ثم ارادت ان ترجع فذلك لها وعن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن هذه الآية فقال اذا جادت لزوجها بالعطية طائعة غير مكرهة لا يقضى به عليكم سلطان ولا يؤاخذكم الله به فى الآخرة وروى ان ناسا كانوا يتأثمون ان يرجع احد منهم فى شيء مما ساق الى امرأته فقال الله تعالى ان طابت نفس واحدة من غير اكراه ولا خديعة فكلوه سائغا هنيا وفى الآية دليل على ضيق المسلك فى ذلك ووجوب الاحتياط حيث بنى الشرط على طيب النفس فقيل فان طبن ولم يقل فان وهبن او سمحن اعلاما بان المراعي هو تجافى نفسها عن الموهوب طيبة وقيل فان طبن لكم عن شيء منه ولم يقل فان طبن لكم عنها بعثا لهن على تقليل الموهوب وعن الليث بن سعد لا يجوز تبرعها الا باليسير وعن الاوزاعي لا يجوز تبرعها مالم تلد او تقم فى بيت زوجها سنة ويجوز ان يكون تذكير الضمير لينصرف الى الصداق الواحد فيكون متناولا بعضه ولو انث لتناول ظاهره هبة الصداق كله لان بعض الصدقات واحدة منها فصاعدا * الهنيء والمريء صفتان من هنؤ الطعام ومرؤ اذا كان سائغا لا تنغيص فيه وقيل الهنيء مايلذه الآكل والمريء مايحمد عاقبته وقيل هو ماينساغ فى مجراه وقيل لمدخل الطعام من الحلقوم الى فم المعدة المريء لمروء الطعام فيه وهو انسياغه وهما وصف للمصدر اى اكلا هنيئا مريئا او حال من الضمير اى كلوه وهو هنيء مريء وقد يوقف على فكلوه ويبتدأ هنيئا مريئا على الدعاء وعلى انهما صفتان اقيمتا مقام المصدرين كانه قيل هنأ مرأ وهذه عبارة عن التحليل والمبالغة في الاباحة وازالة التبعة (السفهاء) المبذرون اموالهم الذين ينفقونها فيما لا ينبغى ولا يدى لهم باصلاحها وتثميرها والتصرف فيها والخطاب للاولياء * واضاف الاموال اليهم لانها من جنس ما يقيم به الناس معايشهم كما قال ولا تقتلوا انفسكم فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والدليل على انه خطاب الاولياء فى اموال اليتامي قوله وارزقوهم فيها واكسوهم (جعل الله لكم قياما) اى تقومون بها وتنتعشون ولو ضيعتموها لضعتم فكانها فى انفسها قيامكم وانتعاشكم وقرئ قيما بمعنى قياما كما جاء عوذا بمعنى عياذا وقرأ عبد الله بن عمر قواما بالواو وقوام الشيء ما يقام به كقولك هو ملاك الامر لما يملك به وكان السلف يقولون المال سلاح المؤمن ولان أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من ان احتاج الى الناس وعن سفيان وكانت له بضاعة يقلبها لولاها لتمندل بى بنو العباس وعن غيره وقيل له انها تدنيك من الدنيا لئن ادنتني من الدنيا لقد صانتني عنها وكانوا يقولون اتجروا واكتسبوا فانكم فى زمان اذا احتاج احدكم كان اول ما ياكل دينه وربما رأوا رجلا فى جنازة فقالوا له اذهب الى دكانك (وارزقوهم فيها) واجعلوها مكانا لرزقهم بان تتجروا فيها وتتربحوا حتى تكون نفقتهم من الارباح لا من

منه نفسا فكلوه هنيئا مريئا ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التي جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم

* قوله تعالى ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى قد جعل الله لكم قياما وارزقوهم فيها واكسوهم وقولوا لهم قولا معروفا (قال محمود المراد اموال السفهاء واضافها الى الاولياء الخ) قال احمد ويؤيد هذا المعنى انه لما امر باضعاف ذوى القربي علي سبيل المواساة قال وارزقوهم منه لان المدفوع اليهم من صلب المال والله اعلم

*قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم (قال محمود معناه اختبروا احوالهم الخ) قال احمد الابتلاء على هذا الوجه مذهب مالك رضي الله عنه غير انه لا يكون عنده الا بعد البلوغ ولا يدفع اليه من ماله شيء قبله وكذلك أحد قولى الشافعى رضى الله عنه وقوله الآخر كمذهب ابي حنيفة غير ان عنه خلافا فى صورته قبل البلوغ على وجهين أحدهما ان يسلم اليه المال ويباشر العقود بنفسه كالبالغ والآخر ان يكون وظيفته ان يساوم وتقرير الثمن اذا بلغ الامر الى العقد باشره الولى دونه وسلم الصبى الثمن فاما الرشد فالمعتبر عند مالك رضي الله عنه فيه هو ان يحرز ماله وينميه وان كان فاسقا فى حاله وعند الشافعى المعتبر صلاح الدين والمال جميعا وغرضنا الآن ان نبين وجه تنزيل مذهب مالك فى هذه الآية والله المستعان فامامنعه من الايتاء قبل البلوغ وان كان ظاهر الآية ان الايتاء قبله من حيث جعل البلوغ وايناس الرشد غاية للايتاء والغاية متاخرة عن المغيا ضرورة فيتبين وقوع الايتاء قبل ولهذه النكتة أثبته ابو حنيفة قبل البلوغ والله اعلم فعلى جعل المجموع من البلوغ وايناس الرشد هو الغاية حينئذ يلزم وقوع الابتلاء قبلها أعنى المجموع وان وقع بعد أحدهما وهو البلوغ لان المجموع من اثنين فصاعدا لا يتحقق الا بوجود كل واحد من مفرديه ويحقق

صلب المال فلا يأكلها الانفاق وقيل هو أمر لكل أحد ان لا يخرج ماله الى أحد من السفهاء قريب أو أجنبى رجل أو امرأة يعلم أنه يضعه فيما لا ينبغي ويفسده (قولا معروفا) قال ابن جريج عدة جميلة ان صلحتم ورشدتم سلمنا اليكم أموالكم وعن عطاء اذا ربحت اعطيتك وان غنمت فى غزاتى جعلت لك حظا وقيل ان لم يكن ممن وجبت عليك نفقته فقل عافانا الله واياك بارك الله فيك وكل ما سكنت اليه النفس وأحبته لحسنه عقلا أو شرعا من قول او عمل فهو معروف وما أنكرته ونفرت منه لقبحه فهو منكر (وابتلوا اليتامى) واختبروا عقولهم وذوقوا أحوالهم ومعرفتهم بالتصرف قبل البلوغ حتى اذا تبينتم منهم رشدا أى هداية دفعتم اليهم اموالهم من غير تأخير عن حد البلوغ * وبلوغ النكاح ان يحتلم لانه يصلح للنكاح عنده ولطلب ماهو مقصود به وهو التوالد والتناسل * والايناس الاستيضاح فاستعير للتبين * واختلف فى الابتلاء والرشد فالابتلاء عند أبي حنيفة وأصحابه ان يدفع اليه ما يتصرف فيه حتى يستبين حاله فيما يجيء منه والرشد التهدى الى وجوه التصرف وعن ابن عباس الصلاح فى العقل والحفظ للمال وعند مالك والشافعى الابتلاء ان يتتبع أحواله وتصرفه فى الاخذ والاعطاء ويتبصر مخايله وميله الى الدين والرشد الصلاح فى الدين لان الفسق مفسدة للمال (فان قلت) فان لم يؤنس منه رشد الى حد البلوغ (قلت) عند ابى حنيفة رحمه الله ينتظر الى خمس وعشرين سنة لان مدة بلوغ الذكر عنده بالسن ثمانى عشرة سنة فاذا زادت عليها سبع سنين وهى مدة معتبرة فى تغير أحوال الانسان لقوله عليه السلام مروهم بالصلاة لسبع دفع اليه ماله أونس منه الرشد اولم يؤنس وعند اصحابه لا يدفع اليه أبدا الا بايناس الرشد (فان قلت) ما معنى تنكير الرشد (قلت) معناه نوعا من الرشد وهو الرشد فى التصرف والتجارة أو طرفا من الرشد ومخيلة من مخايله حتى لا ينتظر به تمام الرشد (فان قلت) كيف نظم هذا الكلام (قلت) ما بعد حتى الى فادفعوا اليهم اموالهم جعل غاية للابتلاء وهي حتى التي تقع بعدها الجمل كالتى فى قوله

فما زالت القتلى تمج دماءها * بدجلة حتى ماء دجلة أشكل

هذا التنزيل انك لو قلت وابتلوا اليتامى بعد البلوغ حتى اذا اجتمع الامران وتضافر البلوغ والرشد فادفعوا اليهم أموالهم لاستقام الكلام والكان البلوغ قبل

قولا معروفا وابتلوا اليتامي حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم أموالهم ولا تأكلوها

الابتلاء وان كان الابتلاء مغيا بالامرين واقعا قبل مجموعهما ونظير هذا النظر توجيه مذهب أبى حنيفة فى قوله ان فيئة المولى انما تعتبر في أجل الايلاء لا بعده.

وتنزيله على قوله تعالى للذين يؤلون من نسائهم تربص اربعة اشهر فان فاؤا فان الله غفور رحيم فجدد به عهدا يتضح لك تناسب النظرين والله أعلم واما اقتصاره رضي الله عنه بالرشد على المال فان كان المولى عليه فاسق الحال فوجه استخراجه من الآية انه علق ايناس الرشد فيها بالابتلاء بدفع مال اليهم ينظر تصرفهم فيه فلو كان المراد اصلاح الدين فقط لم يقف الاختبار فى ذلك على دفع المال اليهم اذ الظاهر من المصلح لدينه انه لا يتفاوت حاله فى حالتى عدمه ويسره ولو كان المراد اصلاح الدين والمال معا كما يقوله الشافعى رضى الله عنه لم يكن اصلاح الدين موقوفا على الاختبار بالمال كما مرآنفا وأيضا فالرشد فى الدين والمال جميعا هو الغاية فى الرشد وليس الجمع بينهما بقيد وتنكير الرشد فى الآية يابى ذلك اذ الظاهر فان آنستم منهم رشدا ما فبادروا بتسليم المال اليهم غير منتظرين بلوغ الغاية فيه والله أعلم (قال محمود فان قلت فاوجه نظم الكلام الواقع بعد حتى الى قوله فادفعوا اليهم اموالهم الخ) قال احمد هو يروم بهذا التقدير تنزيل مذهب أبي حنيفة فى سبق الابتلاء على البلوغ على مقتضى الآية وقد اسلفنا وجه تنزيل مذهب مالك عليها باظهر وجه واقربه والحاصل ان مقتضى النظر الى المجموع من حيث هو ومقتضى مذهب ابي حنيفة النظر الى المفردين والظاهر اعتبار المجموع فان العطف بالفاء يقتضيه والله أعلم

والجملة الواقعة بعدها جملة شرطية لان اذا متضمنة معنى الشرط وفعل الشرط بلغوا النكاح وقوله فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم جملة من شرط وجزاء واقعة جوابا للشرط الاول الذى هو اذا بلغوا النكاح فكانه قيل وابتلوا اليتامى الى وقت بلوغهم فاستحقاقهم دفع اموالهم اليهم بشرط ايناس الرشد منهم وقرأ ابن مسعود فان أحسيتم بمعنى احسستم قال احسنن به فهن اليه شوس وقرئ رشدا بفتحتين ورشدا بضمتين (اسرافا وبدارا) مسرفين ومبادرين كبرهم او لاسرافكم ومبادرتكم كبرهم تفرطون فى انفاقها وتقولون ننفق كما نشتهي قبل ان يكبر اليتامى فينزعوها من ايدينا * ثم قسم الامر بين ان يكون الوصى غنيا وبين ان يكون فقيرا فالغنى يستعف من اكلها ولا يطمع ويقتنع بما رزقه الله من الغنى اشفاقا على اليتيم وابقاء على ماله والفقير يأكل قوتا مقدرا محتاطا فى تقديره على وجه الاجرة او استقراضا على ما في ذلك من الاختلاف ولفظ الاكل بالمعروف والاستعفاف مما يدل على أن للوصي حقا لقيامه عليها وعن النبى صلى الله عليه وسلم أن رجلا قال له ان فى حجرى يتيما أفآكل من ماله قال بالمعروف غير متاثل مالا ولا واق مالك بماله فقال أفاضربه قال مما كنت ضاربا منه ولدك وعن ابن عباس ان ولى اليتيم قال له افاشرب من لبن ابله قال ان كنت تبغي ضالتها وتلوط حوضها وتهنا جرباها وتسقيها يوم وردها فاشرب غير مضر بنسل ولا ناهك فى الحلب وعنه يضرب بيده مع ايديهم فليأكل بالمعروف ولا يلبس عمامة فما فوقها وعن ابراهيم لا يلبس الكتان والحلل ولكن ماسد الجوعة ووارى العورة وعن محمد بن كعب يتقرم تقرم البهيمة وينزل نفسه منزلة الاجير فيما لا بد منه وعن الشعبي يأكل من ماله بقدر ما يعين فيه وعنه كالميتة يتناول عند الضرورة ويقضي وعن مجاهد يستسلف فاذا ايسر أدى وعن سعيد بن جبير ان شاء شرب فضل اللبن وركب الظهر ولبس ما يستره من الثياب واخذ القوت ولا يجاوزه فان ايسر قضاه وان اعسر فهو في حل وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه اني انزلت نفسي من مال الله منزلة والى اليتيم ان استغنيت استعففت وان افتقرت اكلت بالمعروف واذا ايسرت قضيت واستعف ابلغ من عف كانه طالب زيادة العفة (فاشهدوا عليهم) بانهم تسلموها وقبضوها وبرئت عنها ذممكم وذلك ابعد من التخاصم والتجاحد وادخل فى الامانة وبراءة الساحة الا ترى انه اذا لم يشهد فادعي عليه صدق مع اليمين عند ابي حنيفة واصحابه وعند مالك والشافعي لا يصدق الا بالبينة فكان فى الاشهاد الاستحراز من توجه الحلف المفضي الى التهمة او من وجوب الضمان اذا لم يقم البينة (وكفى بالله حسيبا) اى كافيا فى الشهادة عليكم بالدفع والقبض او محاسبا فعليكم بالتصادق واياكم والتكاذب (الاقربون) هم المتوارثون من ذوى القرابات دون غيرهم (مما قل منه او كثر) بدل مما ترك بتكرير العامل و(نصيبا مفروضا) نصب على الاختصاص بمعنى اعنى نصيبا مفروضا مقطوعا واجبا لا بد لهم من ان يحوزوه ولا يستأثر به ويجوز ان ينتصب انتصاب المصدر المؤكد كقوله فريضة من الله كانه قيل قسمة مفروضة روى ان اوس بن الصامت الانصارى ترك امرأته ام كحة وثلاث بنات فزوى ابنا عمه سويد وعرفطة او قتادة وعرفجة ميراثه عنهن وكان اهل الجاهلية لا يورثون النساء والاطفال ويقولون لا يرث الا من طاعن بالرماح وذاد عن الحوزة وحاز الغنيمة فجاءت أم كحة الى رسول الله صلي الله عليه وسلم فى مسجد الفضيخ فشكت اليه فقال ارجعى حتى انظر ما يحدث الله فنزلت فبعث اليهما لا تفرقا من مال أوس شيا فان الله قد جعل لهن نصيبا ولم يبين حتى يبين فنزلت يوصيكم الله فاعطي ام كحة الثمن والبنات الثلثين والباقي ابنى العم (واذا حضر القسمة) اى قسمة التركة (أولوا القربى) ممن لا يرث (فارزقوهم منه) الضمير لما ترك الوالدان والاقربون وهو امر على الندب قال الحسن كان المؤمنون يفعلون ذلك اذا اجتمعت الورثة حضرهم هؤلاء فرضخوا لهم بالشيء من رثة المتاع فحضهم الله على ذلك تاديبا من غير ان يكون فريضة قالوا ولو كان فريضة لضرب له حد ومقدار كما لغيره من الحقوق وروى ان عبد الله بن عبد الرحمن بن ابي بكر رضى الله عنه قسم ميراث ابيه وعائشة رضي الله عنها حية فلم يدع فى الدار احدا الا اعطاه وتلا هذه الآية وقيل هو على الوجوب وقيل هو منسوخ بآيات الميراث كالوصية وعن سعيد بن جبير ان ناسا يقولون نسخت والله ما نسخت ولكنها مما تهاون به الناس * والقول المعروف ان يلطفوا لهم القول

ويقولوا

ومن كان غنيا فليستعفف ومن كان فقيرا فليأكل بالمعروف فاذا دفعتم اليهم اموالهم فاشهدوا عليهم وكفى بالله حسيبا للرجال نصيب مما ترك الوالدان والاقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والاقربون مما قل منه اوكثر نصيبا مفروضا واذا حضر القسمة أولوا القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا ان الذين يأكلون اموال اليتامى

---

* قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف (قال محمود واستعف ابلغ من عف وكانه يطلب زيادة فى العفة من نفسه) قال احمد فى هذا اشارة الى انه من استفعل بمعنى الطلب وليس كذلك فان استفعل الطلبية متعدية وهذه قاصرة والظاهر انه مما جاء فيه فعل واستفعل بمعنى والله اعلم

(قوله اوس الصامت) كذا بالاصل والرواية الصحيحة اوس بن ثابت اه

و يقولوا خذوا بارك الله عليكم و يعتذروا اليهم و يستقلوا ما اعطوهم ولا يستكثروه ولا يمنوا عليهم وعن الحسن والنخعي ادركنا الناس وهم يقسمون على القرابات والمساكين واليتامى من العين يعنيان الورق والذهب فاذا قسم الورق والذهب وصارت القسمة الى الارضين والرقيق وما اشبه ذلك قالوا لهم قولا معروفا كانوا يقولون لهم بورك فيكم * لو مع ما في حيزه صلة للذين والمراد بهم الاوصياء امروا بان يخشوا الله فيخافوا على من فى حجورهم من اليتامى و يشفقوا عليهم خوفهم على ذريتهم لو تركوهم ضعافا وشفقتهم عليهم وان يقدروا ذلك فى انفسهم و يصوروه حتى لا يجسروا على خلاف الشفقة والرحمة و يجوز ان يكون المعنى وليخشوا على اليتامى من الضياع وقيل هم الذين يجلسون الى المريض فيقولون ان ذريتك لا يغنون عنك من الله شيا فقدم مالك فيستغرقه بالوصايا فامروا بان يخشوا ربهم او يخشوا على اولاد المريض و يشفقوا عليهم شفقتهم على اولاد انفسهم لو كانوا و يجوز ان يتصل بما قبله وان يكون امرا بالشفقة للورثة على الذين يحضرون القسمة من ضعفاء اقاربهم واليتامى والمساكين وان يتصوروا انهم لو كانوا اولادهم بقوا خلفهم ضائعين محتاجين هل كانوا يخافون عليهم الحرمان والخيبة (فان قلت) ما معنى وقوع لو تركوا وجوابه صلة للذين (قلت) معناه وليخش الذين صفتهم وحالهم انهم لو شارفوا ان يتركوا خلفهم ذرية ضعافا وذلك عند احتضارهم خافوا عليهم الضياع بعدهم لذهاب كافلهم وكاسبهم كما قال القائل

لقد زاد الحياة الى حبا * بناتي انهن من الضعاف

احاذر ان يرين البؤس بعدى * وان يشربن رنقا بعد صافى

*وقرئ ضعفاء وضعافي وضعافى نحو سكارى وسكارى *والقول السديد من الاوصياء ان لا يؤذوا اليتامى و يكلموهم كما يكلمون اولادهم بالادب الحسن والترحيب و يدعوهم يا بنى و يا ولدى ومن الجالسين الى المريض ان يقولوا له اذا اراد الوصية لا تسرف فى وصيتك فتجحف باولادك مثل قول رسول الله ﷺ لسعد انك ان تترك ولدك اغنياء خير من ان تدعهم عالة يتكففون الناس وكان الصحابة رضى الله عنهم يستحبون ان لا تبلغ الوصية الثلث وان الخمس افضل من الربع والربع من الثلث ومن المتقاسمين ميراثهم ان يلطفوا القول و يجملوه للحاضرين (ظلما) ظالمين اوعلى وجه الظلم من اولياء السوء وقضاته (فى بطونهم) ملء بطونهم يقال اكل فلان فى بطنه وفى بعض بطنه قال *كلوا فى بعض بطنكمو تعفوا* ومعنى يأكلون نارا ما يجر الى النار فكانه نار فى الحقيقة وروى انه يبعث آكل مال اليتيم يوم القيامة والدخان يخرج من قبره ومن فيه وانفه واذنيه وعينيه فيعرف الناس انه كان يأكل مال اليتيم فى الدنيا *وقرئ وسيصلون بضم الياء وتخفيف اللام وتشديدها (سعيرا) نارا من النيران مبهمة الوصف (يوصيكم الله) يعهد اليكم و يأمركم (فى اولادكم) فى شان ميراثهم بما هو العدل والمصلحة وهذا اجمال تفصيله (للذكر مثل حظ الانثيين) (فان قلت) هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر او للانثى نصف حظ الذكر (قلت) ليبدأ ببيان حظ الذكر لفضله كما ضوعف حظه لذلك ولان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قصد الى بيان فضل الذكر وقولك للانثيين مثل حظ الذكر قصد الى بيان نقص الانثى وما كان قصدا الى بيان فضله كان ادل على فضله من القصد الى بيان نقص غيره

ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا وسيصلون سعيرا يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين

*قوله تعالى وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافا خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولا سديدا (قال محمود المراد الاوصياء أمروا بان يخشوا الله الخ) قال احمد وانما الجأه الى تقدير تركوا بقوله شارفوا ان يتركوا الان جوابه قوله خافوا عليهم والخوف عليهم انما يكون قبل تركهم اياهم وذلك فى دار الدنيا فقد دل على ان المراد بالترك الاشراف عليه ضرورة والالزم وقوع الجواب قبل الشرط وهو باطل ونظيره فاذا بلغن اجلهن فامسكوهن بمعروف اوسرحوهن بمعروف اى شارفن بلوغ الأجل ولهذا المجاز فى التعبير عن المشارفة على الترك بالترك سر بديع وهو التخويف بالحالة التى لا يبقى معها مطمع فى الحياة ولا فى الذب عن الذرية الضعاف وهى الحالة التى وان كانت من الدنيا الا انها لقربها من الآخرة ولصوقها بالمفارقة صارت من حيزها ومعبرا عنها بما يعبر به عن الحالة الكائنة بعد المفارقة من الترك والله اعلم * قوله تعالى ان الذين يأكلون اموال اليتامى ظلما انما يأكلون فى بطونهم نارا (قال محمود ومعناه ظالمين اوعلى وجه الظلم الخ) قال احمد ومثله قد بدت البغضاء من افواههم اى شدقوا بها وقالوها بملء افواههم أو يكون المراد بذكر البطون تصوير الاكل للسامع حتى يتأكد عنده بشاعة هذا الجرم بمزيد تصوير ولاجل تاكيد التشنيع على الظالم لليتيم فى ماله خص الاكل لانه ابشع الاحوال التى يتناول مال اليتيم فيها والله اعلم *قوله تعالى يوصيكم الله فى اولادكم للذكر مثل حظ الانثيين (قال محمود ان قلت هلا قيل للانثيين مثل حظ الذكر الخ) قال احمد لان الافضلية حينئذ مدلول عليها بواسطة الاستلزام لا منطوق بها واما على نظم الآية فالافضلية منطوق بها غير محتاجة الى ذلك

* عاد كلامه (قال ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث الخ) قال احمد وعلى مقتضى هذا لا يكون حكم الابن اذا انفرد مذكورا في الآية
لانه حيث ذكره فانما عنى حالة الاجتماع مع الاناث خاصة على تفسير الزمخشري هذا ويمكن خلافه وهو ان المذكور اولا ميراث الذكر
على الاطلاق مجتمعا مع الاناث ومنفردا اما وجه تلقي حكمه حالة الاجتماع فقد قرره الزمخشري واما وجه تلقيه حالة الانفراد فمن حيث
ان الله تعالى جعل له مثل حظ الانثيين فان كانت معه فذاك وان كانت منفردة عنه فقد جعل لها في حال انفرادها النصف فاقتضى ذلك
ان للذكر عند انفراده مثلي نصيبها عند انفرادها وذلك الكامل والله اعلم * عاد كلامه (قال محمود فان قلت لم قيل فان كن نساء ولم يقل وان
كانت امرأة الخ) قال احمد يريد ان حكم البنتين حال اجتماعهما مع الابن مذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وان
حكم البنات منفردات مذكور في قوله فان كن نساء وان حكم البنت منفردة مذكور في قوله وان كانت واحدة فلها النصف وبقي عليه ان ذكر الابن في حال الانفراد مستفاد من قوله للذكر مثل حظ الانثيين اذا ضممته الى

فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك وان كانت واحدة فلها النصف

قوله وان كانت واحدة فلها النصف على التقرير الذي قدمته * عاد كلامه (قال في الجواب اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة الخ) قال احمد وبحز النظر ان ابن عباس اجرى التقييد بالصفة وهي قوله فوق اثنتين على ظاهره من مفهوم
المخالفة غير انه ما كان يقتضي اللفظ ان يقتصر لهما على النصف لاجل تعارض المفهومين اذ مفهوم فلهن ثلثا ما ترك من
ان تكون الانثى اقل من الثلثين ومفهوم فان كانت واحدة فلها النصف ان تكون الانثيين ازيد من النصف فيكون نصيبهما مترددا
فيما بين النصف والثلثين بقدر مجمل واما غيره فاظهر للتقييد فائدة سوى المخالفة وتلك الفائدة دفع الفرق المتوهم بين الانثيين وما فوقهما
ومتى ظهرت للتخصيص فائدة جلية سوى المخالفة وجب المصير اليها وسقط التعلق بالمفهوم وكانه على القول المشهور لما علم ان الانثيين
يستوجبان الثلثين بالطرق المذكورة وكان الوهم قد يسبق الى ان الزائد على الانثيين يستوجبن اكثر من فرض الانثيين لان ذلك مقتضى
القياس رفع هذا الوهم بايجاب الثلثين لما فوق الانثيين كوجوبه لهما والله اعلم

عنه ولانهم كانوا يورثون الذكور دون الاناث وهو السبب لورود الآية فقيل كفى الذكور ان ضوعف لهم
نصيب الاناث فلا يتمادى في حظهن حتى يحرمن مع ادلائهن من القرابة بمثل ما يدلون به (فان قلت) فان حظ
الانثيين الثلثان فكانه قيل للذكر الثلثان (قلت) اريد حال الاجتماع لا الانفراد اي اذا اجتمع الذكر والانثيان
كان له سهمان كما ان لهما سهمين واما في حال الانفراد فالابن يأخذ المال كله والبنتان يأخذان الثلثين
والدليل على ان الغرض حكم الاجتماع انه اتبعه حكم الانفراد وهو قوله فان كن نساء فوق اثنتين فلهن
ثلثا ما ترك والمعنى للذكر منهم اي من اولادكم فحذف الراجع اليه لانه مفهوم كقولهم السمن منوان بدرهم
(فان كن نساء) فان كانت البنات او المولودات نساء خلصا ليس معهن رجل يعني بنات ليس معهن ابن
(فوق اثنتين) يجوز ان يكون خبرا ثانيا لكان وان يكون صفة لنساء اي نساء زائدات على اثنتين (وان كانت
واحدة) وان كانت البنت او المولودة منفردة فذة ليس معها اخرى (فلها النصف) وقرئ واحدة بالرفع على
كان التامة والقراءة بالنصب اوفق لقوله فان كن نساء وقرأ زيد بن ثابت النصف بالضم * والضمير في
ترك للميت لان الآية لما كانت في الميراث علم ان التارك هو الميت (فان قلت) قوله للذكر مثل حظ الانثيين كلام
مسوق لبيان حظ الذكر من الاولاد لا لبيان حظ الانثيين فكيف صح ان يردف قوله فان كن نساء وهو
لبيان حظ الاناث (قلت) وان كان مسوقا لبيان حظ الذكر الا انه لما فقه منه وتبين حظ الانثيين مع اخيهما
كان كانه مسوق للامرين جميعا فلذلك صح ان يقال فان كن نساء (فان قلت) هل يصح ان يكون الضميران
في كن وكانت مبهمين ويكون نساء وواحدة تفسيرا لهما على ان كان تامة (قلت) لا ابعد ذلك (فان قلت) لم
قيل فان كن نساء ولم يقل وان كانت امرأة (قلت) لان الغرض ثمة خلوصهن اناثا لا ذكر فيهن ليميز بين
ما ذكر من اجتماعهن مع الذكور في قوله للذكر مثل حظ الانثيين وبين انفرادهن واريد هنا ان يميز بين كون
البنت مع غيرها وبين كونها وحدها لا قرينة لها (فان قلت) قد ذكر حكم البنتين في حال اجتماعهما مع
الابن وحكم البنات والبنت في حال الانفراد ولم يذكر حكم البنتين في حال الانفراد فما حكمهما وما باله لم يذكر
(قلت) اما حكمهما فمختلف فيه فابن عباس ابى تنزيلهما منزلة الجماعة لقوله تعالى فان كن نساء فوق
اثنتين فاعطاهما حكم الواحدة وهو ظاهر مكشوف واما سائر الصحابة فقد اعطوهما حكم الجماعة والذي
يعلل به قولهم ان قوله للذكر مثل حظ الانثيين قد دل على ان حكم الانثيين حكم الذكر وذلك ان الذكر كما
يحوز الثلثين مع الواحدة فالانثيان كذلك يحوزان الثلثين فلما ذكر ما دل على حكم الانثيين قيل فان كن نساء
فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك على معنى فان كن جماعة بالغات ما بلغن من العدد فلهن ما للانثيين وهو الثلثان
لا يتجاوزنه لكثرتهن ليعلم ان حكم الجماعة حكم الثنتين بغير تفاوت وقيل ان الثنتين أمس رحما بالميت

*قوله تعالى ولابويه لكل واحد منهما السدس (قال محمود لكل واحد منهما بدل من لابويه بتكرير العامل الخ) قال احمد وفى اعرابه بدلا نظر وذلك انه يكون على هذا التقدير من بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة ويكون أصل الكلام والسدس لابويه لكل واحد منهما ومقتضى الاقتصار على المبدل منه التشريك بينهما فى السدس كما قال فان كن نساء فوق اثنتين فلهن ثلثا ما ترك فاقتضى اشتراكهن فيه فيقتضى البدل لو قدر اهدار الاول افراد كل واحد منهما بالسدس وعدم التشريك وهذا يناقض حقيقة هذا النوع من البدل لانه يلزم فى هذا النوع أن يكون مؤدى المبدل والبدل واحدا واما فائدته التاكيد بمجموع الاسمين لا غير بلا زيادة معنى فاذا تحقق ما بينهما من التباين تعذرت البدلية المذكورة وليس من بدل التقسيم أيضا على هذا الاعراب والا لزم زيادة معنى فى البدل فالوجه والله اعلم ان يقدر مبتدأ محذوف كانه قيل ولأبويه الثلث ثم لما ذكر نصيبهما مجملا فصله بقوله لكل واحد منهما السدس وساغ حذف المبتدأ لدلالة التفصيل عليه ضرورة اذ يلزم من استحقاق كل واحد منهما للسدس استحقاقهما معا للثلث والله أعلم ولا يستقيم على هذا الوجه أيضا جعله من بدل التقسيم لانك لو قلت الدار كلها لثلاثة لزيد ولعمرو ولخالد كان هذا بدلا وتقسيما صحيحا لانك لو حذفت المبدل منه فقلت الدار لزيد ولعمرو ولخالد ولم تزد في البدل زيادة استقام فلو قلت الدار لثلاثة لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها لم يستقم بدل تقسيم اذ لو حذفت المبدل منه لصار الكلام الدار لزيد ثلثها ولعمرو ثلثها ولخالد ثلثها فهذا كلام مستأنف لانك زدت فيه معنى تمييزا لكل واحد منهم وذلك لا يعطيه المبدل ولا سبيل فى بدل الشيء من الشيء الى زيادة معنى *عاد كلامه (قال محمود فان قلت قد بين حكم الابوين فى الارث الخ) قال احمد ومذهب ابن عباس ان الاخوة ياخذون السدس الذى حجبوا الام عنه مع وجود الاب فعلى هذا يكون فائدة قوله وورثه أبواه الاحتراز مما لو ورثه الاخوة مع الابوين فان الام لها حينئذ السدس وكانه قيل وورثه ابواه ولم يكن ثم اخوة فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس ولا يمكن جعله على مذهب ابن عباس مقيدا بعدم الزوجين لان ثلث الام عنده لا يتغير بوجود واحد منهما والله الموفق *عاد كلامه (قال محمود ويستوى فى حجب الام اثنان فصاعدا الا عند ابن عباس الخ) قال احمد ولقد احسن فى هذا التقرير ما لم يحسن كثير من حذاق الاصوليين يريده تاتي فى تغاير وصفى الجمع والتثنية اذ الجمع يتناول الاثنين ويتناول أزيد منهما وللك هذا واما التثنية فقاصرة على الاثنين فبينهما على هذا العموم والخصوص فكل تثنية جمع وليس كل جمع تثنية

ولأبويه لكل واحد منهما السدس مما ترك ان كان له ولد فان لم يكن له ولد وورثه أبواه فلامه الثلث فان كان له اخوة فلامه السدس

من الأختين فاوجبوا لهما ما أوجب الله للاختين ولم يروا أن يقصروا بهما عن حظ من هو أبعد رحما منهما وقيل ان البنت لما وجب لها مع أخيها الثلث كانت أحرى أن يجب لها الثلث اذا كانت مع أخت مثلها ويكون لاختها معها مثل ما كان يجب لها ايضا مع اخيها لو انفردت معه فوجب لهما الثلثان (ولأبويه) الضمير للميت (ولكل واحد منهما) بدل من لأبويه بتكرير العامل وفائدة هذا البدل أنه لو قيل ولابويه السدس لكان ظاهره اشتراكهما فيه ولو قيل ولابويه السدسان لاوهم قسمة السدسين عليهما على التسوية وعلى خلافها (فان قلت) فهلا قيل ولكل واحد من أبويه السدس واى فائدة فى ذكر الابوين اولا ثم فى الابدال منهما (قلت) لان فى الابدال والتفصيل بعد الاجمال تأكيدا وتشديدا كالذى تراه في الجمع بين المفسر والتفسير والسدس مبتدأ وخبره لأبويه والبدل متوسط بينهما للبيان وقرأ الحسن ونعيم بن ميسرة السدس بالتخفيف وكذلك الثلث والربع والثمن* والولد يقع على الذكر والانثي ويختلف حكم الاب فى ذلك فان كان ذكرا اقتصر بالاب على السدس وان كانت أنثي عصب مع اعطاء السدس* (فان قلت) قد بين حكم الابوين فى الارث مع الولد ثم حكمهما مع عدمه فهلا قيل فان لم يكن له ولد فلامه الثلث واى فائدة فى قوله وورثه أبواه (قلت) معناه فان لم يكن له ولد وورثه ابواه فحسب فلامه الثلث مما ترك كما قال لكل واحد منهما السدس مما ترك لانه اذا ورثه ابواه مع احد الزوجين كان للام ثلث ما بقى بعد اخراج نصيب الزوج لا ثلث ما ترك الا عند ابن عباس والمعنى ان الابوين اذا خلصا تقاسما الميراث للذكر مثل حظ الانثيين (فان قلت) ما العلة فى ان كان لها ثلث ما بقي دون ثلث المال (قلت) فيه وجهان احدهما ان الزوج انما استحق ما يسهم له بحق العقد لا بالقرابة فاشبه الوصية فى قسمة ما وراءه والثاني ان الاب أقوى في الارث من الام بدليل انه يضعف عليها اذا خلصا ويكون صاحب فرض وعصبة وجامعا بين الامرين فلو ضرب لها الثلث كملا لأدى الى حط نصيبه عن نصيبها ألا ترى ان امرأة لو تركت زوجا وأبوين فصار للزوج النصف وللام الثلث والباقى للاب حازت الام سهمين والاب سهما واحدا فينقلب الحكم الى ان يكون للانثي مثل حظ الذكرين (فان كان له اخوة فلامه السدس) الاخوة يحجبون الام عن الثلث وان كانوا لا يرثون مع الاب فيكون لها السدس وللاب خمسة الاسداس ويستوى فى الحجب الاثنان فصاعدا الا عند ابن عباس وعنه انهم ياخذون السدس الذى حجبوا عنه الام (فان قلت) فكيف صح ان يتناول الاخوة الاخوين والجمع خلاف التثنية (قلت) الاخوة تفيد معنى الجمعية المطلقة بغير كمية والتثنية كالتثليث والتربيع فى افادة الكمية وهذا موضع

* قوله تعالى من بعد وصية يوصى بها أو دين (قال محمود أن قلت لم قدمت الوصية على الدين الخ) قال أحمد الوصية على ضربين لغير معين فلا يطالب بها الا الامام ان عثر عليها ولمعين فله المطالبة ولكن يتباينان في القوة بين مطالبة رب الدين بدينه والموصى له بوصيته لان رب الدين يطالب بحق مستقر في الذمة سبق له به الفضل على مديانه والموصى له انما يطالب بصدقة تفضل بها عليه الميت لاعن استحقاق سابق فاكتفى بما لرب الدين من القوة عن تقديمه في الذكر وعضد ضعف الموصى له بتقديمه في الذكر عونا له على حصول رفق الوصية ويمكن في دفعه طريق آخر فاقول لم يخالف ترتيب الآية الواقع شرعا فلا يرد السؤال وذلك أن أول ما يبدأ به اخراج الدين ثم الوصية ثم اقتسام ذوي الميراث فانظر كيف جاء اخراج الميراث آخرا تلوا اخراج الوصية تلو الدين فوافق قولنا قسمة المواريث بعد الوصية والدين صورة الواقع شرعا ولو سقط ذكر بعد وكان الكلام أخرجوا الميراث والوصية والدين لما أمكن ورود السؤال المذكور والله أعلم

من بعد وصية يوصى بها أو دين آباؤكم وأبناؤكم لا تدرون أيهم أقرب لكم نفعا فريضة من الله ان الله كان عليما حكيما ولكم نصف ما ترك أزواجكم ان لم يكن لهن ولد فان كان لهن ولد فلكم الربع مما تركن من بعد وصية يوصين بها أو دين ولهن الربع مما تركتم ان لم يكن لكم ولد فان كان لكم ولد فلهن الثمن مما تركتم من بعد وصية توصون بها أو دين وان كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فان كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث من بعد وصية يوصى بها أو دين

الدلالة على الجمع المطلق فدل بالاخوة عليه * وقرئ فلامه بكسر الهمزة اتباعا للجرة ألا تراها لا تكسر في قوله وجعلنا ابن مريم وأمه آية (من بعد وصية) متعلق بما تقدمه من قسمة المواريث كلها لا بما يليه وحده كأنه قيل قسمة هذه الأنصبة من بعد وصية يوصى بها * وقرئ يوصي بها بالتخفيف والتشديد ويوصى بها على البناء للمفعول مخففا * (فان قلت) ما معنى أو (قلت) معناها الاباحة وأنه ان كان أحدهما أو كلاهما قدم على قسمة الميراث كقولك جالس الحسن أو ابن سيرين (فان قلت) لم قدمت الوصية على الدين والدين مقدم عليها في الشريعة (قلت) لما كانت الوصية مشبهة للميراث في كونها مأخوذة من غير عوض كان اخراجها مما يشق على الورثة ويتعاظمهم ولا تطيب أنفسهم بها فكان أداؤها مظنة للتفريط بخلاف الدين فان نفوسهم مطمئنة الى أدائه فلذلك قدمت على الدين بعثا على وجوبها والمسارعة الى اخراجها مع الدين ولذلك جيء بكلمة أو للتسوية بينهما في الوجوب ثم أكد ذلك ورغب فيه بقوله (آباؤكم وأبناؤكم) أي لا تدرون من أنفع لكم من آبائكم وأبنائكم الذين يموتون أمن أوصى منهم أم من لم يوص يعني أن من أوصى ببعض ماله فعرضكم لثواب الآخرة بامضاء وصيته فهو أقرب لكم نفعا وأحضر جدوى ممن ترك الوصية فوفر عليكم عرض الدنيا وجعل ثواب الآخرة أقرب وأحضر من عرض الدنيا ذهابا الى حقيقة الامر لان عرض الدنيا وان كان عاجلا قريبا في الصورة الا أنه فان فهو في الحقيقة الابعد الاقصى وثواب الآخرة وان كان آجلا الا أنه باق فهو في الحقيقة الاقرب الادنى وقيل ان الابن ان كان أرفع درجة من أبيه في الجنة سأل أن يرفع أبوه اليه فيرفع وكذلك الاب ان كان أرفع درجة من ابنه سأل أن يرفع اليه ابنه فأنتم لا تدرون في الدنيا أيهم أقرب لكم نفعا وقيل قد فرض الله الفرائض على ما هو عنده حكمة ولو وكل ذلك اليكم لم تعلموا أيهم لكم أنفع فوضعتم أنتم الاموال على غير حكمة وقيل الاب يجب عليه النفقة على الابن اذا احتاج وكذلك الابن اذا كان محتاجا فهما في النفع بالنفقة لا يدرى أيهما أقرب نفعا وليس شيء من هذه الاقاويل بملائم للمعنى ولا مجاوب له لان هذه الجملة اعتراضية ومن حق الاعتراضي أن يؤكد ما اعترض بينه ويناسبه والقول ما تقدم (فريضة) نصبت نصب المصدر المؤكد أي فرض ذلك فرضا (ان الله كان عليما) بمصالح خلقه (حكيما) في كل ما فرض وقسم من المواريث وغيرها (فان كان لهن ولد) منكم أو من غيركم * جعلت المرأة على النصف من الرجل بحق الزواج كما جعلت كذلك بحق النسب والواحدة والجماعة سواء في الربع والثمن (وان كان رجل) يعني الميت و(يورث) من ورث أي يورث منه وهو صفة لرجل و(كلالة) خبر كان أي وان كان رجل موروث منه كلالة أو يجعل يورث خبر كان وكلالة حالا من الضمير في يورث وقرئ يورث ويورث بالتخفيف والتشديد على البناء للفاعل وكلالة حال أو مفعول به (فان قلت) ما الكلالة (قلت) ينطلق على ثلاثة على من لم يخلف ولدا ولا والدا وعلى من ليس بولد ولا والد من المخلفين وعلى القرابة من غير جهة الولد والوالد ومنه قولهم ما ورث المجد عن كلالة كما تقول ما صمت عن عي وما كف عن جبن والكلالة في الاصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الاعياء قال الاعشى * فآليت لا أرثي لها من كلالة * فاستعيرت للقرابة من غير جهة الولد والوالد لانها بالاضافة الى قرابتهما كالة ضعيفة واذا جعل صفة للموروث أو الوارث فبمعنى ذي كلالة كما تقول فلان من قرابتي تريد من ذوي قرابتي ويجوز أن تكون صفة كالهجاجة والفقاقة للاحمق (فان قلت) فان جعلتها اسما للقرابة في الآية فعلام تنصبها (قلت) على أنها مفعول له أي يورث لاجل الكلالة أو يورث غيره لاجلها (فان قلت) فان جعلت يورث على البناء للمفعول من أورث فما وجهه (قلت) الرجل حينئذ هو الوارث

الوارث لا المورث (فان قلت) فالضمير فى قوله فلكل واحد منهما الى من يرجع حينئذ (قلت) الى الرجل والى اخيه او اخته وعلى الاول اليهما (فان قلت) اذا رجع الضمير اليهما أفاد استواءهما فى حيازة السدس من غير مفاضلة الذكر الانثى فهل تبقي هذه الفائدة قائمة فى هذا الوجه (قلت) نعم لانك اذا قلت السدس له او لواحد من الاخ او الاخت على التخيير فقد سويت بين الذكر والانثى وعن ابى بكر الصديق رضى الله عنه انه سئل عن الكلالة فقال اقول فيه برأيي فان كان صوابا فمن الله وان كان خطأ فمنى ومن الشيطان والله منه بريء الكلالة ما خلا الولد والوالد وعن عطاء والضحاك ان الكلالة هو الموروث وعن سعيد بن جبير هو الوارث وقد اجمعوا على ان المراد اولاد الام وتدل عليه قراءة أبي وله اخ او اخت من الام وقراءة سعد بن ابي وقاص وله اخ او اخت من أم وقيل انما استدل على ان الكلالة ههنا الاخوة للام خاصة بما ذكر فى آخر السورة من ان للاختين الثلثين وان للاخوة كل المال فعلم ههنا لما جعل للواحد السدس وللاثنين الثلث ولم يزادوا على الثلث شيا انه يعنى بهم الاخوة للام والا فالكلالة عامة لمن عدا الولد والوالد من سائر الاخوة الاخياف والاعيان واولاد العلات وغيرهم (غير مضار) حال اى يوصى بها وهو غير مضار لورثته وذلك ان يوصى بزيادة على الثلث او يوصى بالثلث فما دونه ونيته مضارة ورثته ومغاضبتهم لا وجه الله تعالى وعن قتادة كره الله الضرار فى الحياة وعند الممات ونهي عنه وعن الحسن المضارة فى الدين ان يوصي بدين ليس عليه ومعناه الاقرار (وصية من الله) مصدر مؤكد اى يوصيكم بذلك وصية كقوله فريضة من الله ويجوز ان تكون منصوبة بغير مضار اى لا يضار وصية من الله وهو الثلث فما دونه بزيادته على الثلث او وصية من الله بالاولاد وان لا يدعهم عالة باسرافه فى الوصية وينصر هذا الوجه قراءة الحسن غير مضار وصية من الله بالاضافة (والله عليم) بمن جار او عدل فى وصيته (حليم) عن الجائر لا يعاجله وهذا وعيد (فان قلت) فى يوصي ضمير الرجل اذا جعلته المورث فكيف تعمل اذا جعلته الوارث (قلت) كما عملت فى قوله تعالى فلهن ثلثا ما ترك لانه علم ان التارك والموصي هو الميت (فان قلت) فاين ذو الحال فيمن قرأ يوصي بها على ما لم يسم فاعله (قلت) يضمر يوصي فينتصب عن فاعله لانه لما قيل يوصي بها علم ان ثم موصيا كما قال يسبح له فيها بالغدو والآصال على ما لم يسم فاعله فعلم ان ثم مسبحا فاضمر يسبح فكما كان رجال فاعل ما يدل عليه يسبح كان غير مضار حالا عما يدل عليه يوصى بها (تلك) اشارة الى الاحكام التي ذكرت فى باب اليتامى والوصايا والمواريث وسماها حدود الان الشرائع كالحدود المضروبة الموقتة للمكلفين لا يجوز لهم ان يتجاوزوها ويتخطوها الى ما ليس لهم بحق (يدخله) قرئ بالياء والنون وكذلك يدخله نارا وقيل يدخله وخالدين حملا على لفظ من ومعناه * وانتصب خالدين وخالدا على الحال (فان قلت) هل يجوز ان يكونا صفتين لجنات ونارا (قلت) لا لانهما جريا على غير من هما له فلا بد من الضمير وهو قولك خالدين هم فيها وخالدا هو فيها (ياتين الفاحشة) يرهقنها يقال اتى الفاحشة وجاءها وغشيها ورهقها بمعنى وفى قراءة ابن مسعود ياتين بالفاحشة والفاحشة الزنا لزيادتها فى القبح على كثير من القبائح (فامسكوهن فى البيوت) قيل معناه فخلدوهن محبوسات فى بيوتكم وكان ذلك عقوبتهن فى اول الاسلام ثم نسخ بقوله تعالى الزانية والزانى الآية ويجوز ان تكون غير منسوخة بان يترك ذكر الحد لكونه معلوما بالكتاب والسنة ويوصى بامساكهن فى البيوت بعد ان يحددن صيانة لهن عن مثل ما جرى عليهن بسبب الخروج من البيوت والتعرض للرجال (او يجعل الله لهن سبيلا) هو النكاح الذى يستغنين به عن السفاح وقيل السبيل هو الحد لانه لم يكن مشروعا ذلك الوقت * (فان قلت) ما معنى يتوفاهن الموت والتوفى والموت بمعنى واحد كانه قيل حتى يميتهن الموت (قلت) يجوز ان يراد حتى يتوفاهن ملائكة الموت كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ان الذين توفاهم الملائكة قل يتوفاكم ملك الموت او حتى ياخذهن الموت ويستوفى ارواحهن (واللذان ياتيانها منكم) يريد الزانى والزانية (فآذوهما) فوبخوهما وذموهما وقولوا لهما اما استحييتما أما خفتما الله (فان تابا واصلحا) وغيرا الحال (فاعرضوا عنهما) واقطعوا التوبيخ والمذمة فان التوبة تمنع استحقاق الذم والعقاب ويحتمل ان يكون خطابا للشهود العاثرين على سرهما ويراد بالايذاء

غير مضار وصية من الله والله عليم حليم تلك حدود الله ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين واللاتي ياتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن اربعة منكم فان شهدوا فامسكوهن فى البيوت حتى يتوفاهن الموت او يجعل الله لهن سبيلا واللذان ياتيانها منكم فآذوهما فان تابا وأصلحا فاعرضوا عنهما ان الله كان توابا رحيما

*قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم الآية (قال محمود يعني انما القبول والغفران واجب على الله الخ) قال احمد وقد تقدم في مواضع ان اطلاق مثل هذا من قول القائل يجب على الله كذا انما نعوذ بالله منه تعالى عن الالزام والايجاب رب الارباب وقاعدة أهل السنة ان الله تعالى مهما تفضل فهو لا عن استحقاق سابق لانهم يقولون ان الافعال التي يتوهم القدرية ان العبد يستحق بها على الله شيأ كلها خلق الله فهو الذي خلق لعبده الطاعة وأثابه عليها وخلق له التوبة وقبلها منه فهو المحسن أولا وآخرا وباطنا وظاهرا الا كالقدرية الذين يزعمون ان العبد خالق لنفسه التوبة بقدرته وحوله ليستوجب على ربه المغفرة بمقتضى حكمته التي توجب عليه على زعمهم المجازاة على الاعمال ايجابا عقليا فلذلك يطلقون بلسان الجراءة هذا الاطلاق وما أبشع ما أكد الزمخشري هذا المعتقد الفاسد بقوله يجب على الله قبول التوبة كما يجب على العبد بعض الطاعات فنظر المعبود بالعبد وقاس الخالق على الخلق وانه لاطلاق يتقيد عنه لسان العاقل و يقشعر جلده استبشاعا لسماعه ويتعثر القلم عند تسطيره على ازمن لطف الله تعالى ان لم يجعل كان حاكي الكفر كافرا ولا حاكي البدعة لضرورة ردها والتحذير منها مبتدعا وما بلغ الزمخشري في هذا الاطلاق الا اغتناما لفرصة التمسك على صحته بصيغة على المشعرة بالوجوب فجعلها ذريعة لاستباحة هذا الاطلاق ولم يجعل الله له فيها مستروحا فانا نقول معاشر اهل السنة قد وعدنا الله قبول التوبة المستجمعة لشرائط الصحة ووقوع هذا الموعود واجب ضرورة صدق الخبر فهما ورد من صيغ الوجوب فمنزل على وجوب صدق الوعد ومعنى قولنا صدق الخبر واجب كمعنى قولنا وجود الله واجب لان احدا لا يستوجب على الله شيأ ألهمنا الله الادب في حق جلاله وعصمنا من زيغ القول وضلاله

انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فاولئك يتوب الله عليهم وكان الله عليما حكيما وليست التوبة للذين يعملون السيآت حتى اذا حضر أحدهم الموت قال اني تبت الآن ولا الذين يموتون وهم كفار أولئك أعتدنا لهم عذابا أليما يا أيها الذين آمنوا

ذمهما او تعنيفهما وتهديدهما بالرفع الى الامام والحد فان تابا قبل الرفع الى الامام فاعرضوا عنهما ولا تتعرضوا لهما وقيل نزلت الاولى في السحاقات وهذه في اللواطين * وقرئ واللذان بتشديد النون واللذان بالهمزة وتشديد النون (التوبة) من تاب الله عليه اذا قبل توبته وغفر له يعني انما القبول والغفران واجب على الله تعالى لهؤلاء (بجهالة) في موضع الحال اي يعملون السوء جاهلين سفهاء لان ارتكاب القبيح مما يدعو اليه السفه والشهوة لا مما تدعو اليه الحكمة والعقل وعن مجاهد من عصى الله فهو جاهل حتى ينزع عن جهالته (من قريب) من زمان قريب والزمان القريب ما قبل حضرة الموت الا ترى الى قوله حتى اذا حضر احدهم الموت فبين ان وقت الاحتضار هو الوقت الذي لا تقبل فيه التوبة فبقي ماوراء ذلك في حكم القريب وعن ابن عباس قبل ان ينزل به سلطان الموت وعن الضحاك كل توبة قبل الموت فهو قريب وعن النخعي مالم يؤخذ بكظمه وروى ابو ايوب عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يقبل توبة العبد مالم يغرغر وعن عطاء ولو قبل موته بفواق ناقة وعن الحسن ان ابليس قال حين اهبط الى الارض وعزتك لا افارق ابن آدم مادام روحه في جسده فقال تعالى وعزتي لا اغلق عليه باب التوبة مالم يغرغر * (فان قلت) ما معنى من في قوله من قريب (قلت) معناه التبعيض اي يتوبون بعض زمان قريب كانه سمي ما بين وجود المعصية و بين حضرة الموت زمانا قريبا ففي اي جزء تاب من اجزاء هذا الزمان فهو تائب من قريب والا فهو تائب من بعيد * (فان قلت) ما فائدة قوله (فاولئك يتوب الله عليهم) بعد قوله انما التوبة على الله لهم (قلت) قوله انما التوبة على الله اعلام بوجوبها عليه كما يجب على العبد بعض الطاعات وقوله فاولئك يتوب الله عليهم عدة بانه يفي بما وجب عليه واعلام بان الغفران كائن لا محالة كما يعد العبد الوفاء بالواجب (ولا الذين يموتون) عطف على الذين يعملون السيآت سوى بين الذين سوفوا توبتهم الى حضرة الموت وبين الذين ماتوا على الكفر في انه لا توبة لهم لان حضرة الموت اول احوال الآخرة فكما ان المائت على الكفر قد فاتته التوبة على اليقين فكذلك المسوف الى حضرة الموت لمجاوزة كل واحد منهما اوان التكليف والاختيار (أولئك اعتدنا لهم) في الوعيد نظير قوله فاولئك يتوب الله عليهم في الوعد ليتبين ان الامرين كائنان لا محالة (فان قلت) من المراد بالذين يعملون السيئات أهم الفساق من أهل القبلة ام الكفار (قلت) فيه وجهان احدهما ان يراد الكفار لظاهر قوله وهم كفار وان يراد الفساق لان الكلام انما وقع في الزانيين والاعراض عنهما ان تابا وأصلحا ويكون قوله وهم كفار واردا على سبيل التغليظ كقوله ومن كفر فان الله غني عن العالمين وقوله فليمت ان شاء يهوديا أو نصرانيا من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر لان من كان مصدقا ومات وهو لا يحدث نفسه بالتوبة حاله قريبة من حال الكافر لانه لا يجترئ على ذلك الا قلب مصمت * كانوا يبلون النساء بضروب من البلايا ويظلمونهن بأنواع من الظلم فزجروا عن ذلك

لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن الا ان يأتين بفاحشة مبينة وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى أن تكرهوا شيأ ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وان أردتم استبدال زوج مكان زوج وآتيتم احداهن قنطارا فلا تأخذوا منه شيئا أتأخذونه بهتانا واثما مبينا وكيف تأخذونه وقد أفضى بعضكم الى بعض وأخذن منكم ميثاقا غليظا ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا

كان الرجل اذا مات له قريب من أب أو اخ أو حميم عن امرأة ألقى ثوبه عليها وقال انا احق بها من كل احد فقيل (لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها) اى أن تاخذوهن على سبيل الارث كما تحاز المواريث وهن كارهات لذلك أو مكرهات وقيل كان يمسكها حتى تموت فقيل لايحل لكم أن تمسكوهن حتي ترثوا منهن وهن غير راضيات بامساككم وكان الرجل اذا تزوج امرأة ولم تكن من حاجته حبسها مع سوء العشرة والقهر لتفتدى منه بمالها وتختلع فقيل ولا تعضلوهن لتذهبوا ببعض ما آتيتموهن والعضل الحبس والتضييق ومنه عضلت المرأة بولدها اذا اختنقت رحمها به فخرج بعضه وبقي بعضه (الا أن ياتين بفاحشة مبينة) وهي النشوز وشكاسة الخلق وايذاء الزوج وأهله بالبذاء والسلاطة أى الا أن يكون سوء العشرة من جهتهن فقد عذرتم في طلب الخلع ويدل عليه قراءة ابي الا أن يفحشن عليكم وعن الحسن الفاحشة الزنا فان فعلت حل لزوجها أن يسالها الخلع وقيل كانوا اذا أصابت امرأته فاحشة أخذ منها ما ساق اليها واخرجها وعن ابي قلابة ومحمد بن سيرين لايحل الخلع حتى يوجد رجل على بطنها وعن قتادة لايحل له أن يحبسها ضرارا حتي تفتدى منه يعنى وان زنت وقيل نسخ ذلك بالحدود وكانوا يسيؤن معاشرة النساء فقيل لهم (وعاشروهن بالمعروف) وهو النصفة في المبيت والنفقة والاجمال في القول (فان كرهتموهن) فلا تفارقوهن لكراهة الانفس وحدها فربما كرهت النفس ما هو اصلح في الدين واحمد وأدنى الى الخير واحبت ما هو بضد ذلك ولكن للنظر في اسباب الصلاح * وكان الرجل اذا طمحت عينه الى استطراف امرأة بهت التي تحته ورماها بفاحشة حتي يلجئها الى الافتداء منه بما اعطاها ليصرفه الى تزوج غيرها فقيل (وان أردتم استبدال زوج) الآية والقنطار المال العظيم من قنطرت الشيء اذا رفعته منه القنطرة لانها بناء مشيد قال

كقنطرة الرومى أقسم ربها * لتكتنفن حتي تشاد بقرمد

وعن عمر رضي الله عنه أنه قام خطيبا فقال أيها الناس لا تغالوا بصداق النساء فلو كانت مكرمة فى الدنيا أو تقوى عند الله لكان أولاكم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اصدق امرأة من نسائه اكثر من اثنى عشر اوقية فقامت اليه امرأة فقالت له يا امير المؤمنين لم تمنعنا حقا جعله الله لنا والله يقول وآتيتم احداهن قنطارا فقال عمر كل أحد اعلم من عمر ثم قال لاصحابه تسمعونني اقول مثل هذا القول فلا تنكرونه على حتى ترد على امرأة ليست من اعلم النساء * والبهتان ان تستقبل الرجل بامر قبيح تقذفه به وهو برىء منه لانه يبهت عند ذلك أى يتحير وانتصب (بهتانا) على الحال اى باهتين وآثمين أو على انه مفعول له وان لم يكن غرضا كقولك قعد عن القتال جبنا * والميثاق الغليظ حق الصحبة والمضاجعة كانه قيل واخذن به منكم ميثاقا غليظا اى بافضاء بعضكم الى بعض ووصفه بالغلظ لقوته وعظمه فقد قالوا صحبة عشرين يوما قرابة فكيف بما يجرى بين الزوجين من الاتحاد والامتزاج وقيل هو قول الولى عند العقد انكحتك على ما فى كتاب الله من امساك بمعروف او تسريح باحسان وعن النبي صلى الله عليه وسلم استوصوا بالنساء خيرا فانهن عوان في ايديكم اخذتموهن بامانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله * وكانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه من ذوى مروآتهم ويسمونه نكاح المقت وكان المولود عليه يقال له المقتي ومن ثم قيل (ومقتا) كانه قيل هو فاحشة في دين الله بالغة فى القبح قبيح ممقوت فى المروءة ولا مزيد على ما يجمع القبحين * وقرىء لا تحل لكم بالتاء على ان ترثوا بمعنى الوارثة وكرها بالفتح والضم من الكراهة والاكراه * وقرىء بفاحشة مبينة من ابانت بمعنى تبينت او بينت كما قرىء مبينة بكسر الياء وفتحها ويجعل الله بالرفع على انه فى موضع الحال وآتيتم احداهن بوصل همزة احداهن كما قرىء فلا اثم عليه * (فان قلت) تعضلوهن ما وجه اعرابه (قلت) النصب عطفا على ان

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لايحل لكم أن ترثوا النساء كرها الى قوله ويجعل الله فيه خيرا كثيرا (قال محمود كان الرجل اذا مات له قريب ألقى ثوبه على امرأته وقال انا أحق بها من كل احد الخ) قال احمد وخص تعالى ذكر من آتى القنطار من المال بالنهى تنبيها بالاعلى على الادنى لانه اذا كان هذا على كثرة ما بذل لامرأته من الاموال منهيا عن استعادة شيء يسير حقير منها على هذا الوجه كان من لم يبذل الا الحقير منهيا عن استعادته بطريق الاولى ومعنى قوله وآتيتم والله أعلم وكنتم آتيتم اذ ارادة الاستبدال فى ظاهر الامر واقعة بعد ايتاء المال واستقرار الزوجية * قوله تعالى ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا (قال محمود فيه كانوا ينكحون روابهم وناس منهم يمقتونه الخ) قال احمد وعندي فى هذا الاستثناء سر آخر وهو ان هذا المنهي عنه لفظاعته وبشاعته عند اكثر الخلق حتى كان ممقوتا قبل ورود الشرع جديرا ان يمتثل النهي فيه فيجتنب فكانه قد امتثل النهي عنه حتي صار مخبرا عن عدم وقوعه وكانه قيل ما يقع نكاح الابناء المنكوحات للآباء ولا يؤخذ منه شيء الا ما قد سلف واما فى المستقبل بعد النهي فلا يقع منه شيء البتة ومثل هذا النظر

جار في مثل قوله وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون الا الله فاجراه مرفوعا على انه خبر وان كان المراد نهيهم عن عبادة غير الله ولكن
لما كان هذا المنهي جديرا بالاجتناب وكانه اجتنب عبر عن النهي فيه بصيغة الخبر ورفع الفعل وقد مضى هذا التقرير بعينه ثم لم يجر
مثله في هذه الآية والله أعلم * قوله تعالى حرمت عليكم أمهاتكم الآية (قال محمود ومعناه تحريم نكاحهن الخ) قال أحمد وهذا تفريع على القول
بعموم المشترك في معانيه فاستقام تعليق الجار المذكور بهما والله أعلم * عاد كلامه (قال ولا يجوز الثاني لان ما يليه

هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول أعلقه بالنساء والربائب أجعل من للاتصال

حرمت عليكم امهاتكم وبناتكم وأخواتكم وعماتكم وخالاتكم وبنات الاخ وبنات الاخت وأمهاتكم اللاتي ارضعنكم وأخواتكم من الرضاعة وامهات نسائكم وربائبكم اللاتي في حجوركم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فان لم تكونوا

ترثوا ولا لتاكيد النفي أي لا يحل لكم أن ترثوا النساء ولا أن تعضلوهن (فان قلت) أي فرق بين تعديته ذهب بالباء وبينها بالهمزة (قلت) اذا عدي بالباء فمعناه الاخذ والاستصحاب كقوله تعالى فلما ذهبوا به وأما الاذهاب فكالازالة * (فان قلت) الا أن يأتين ما هذا الاستثناء (قلت) هو استثناء من أعم عام الظرف او المفعول له كانه قيل ولا تعضلوهن في جميع الاوقات الا وقت ان يأتين بفاحشة او ولا تعضلوهن لعلة من العلل الا لان يأتين بفاحشة * (فان قلت) من اي وجه صح قوله فعسى ان تكرهوا جزاء للشرط (قلت) من حيث ان المعنى فان كرهتموهن فاصبروا عليهن مع الكراهة فلعل لكم فيما تكرهونه خيرا كثيرا ليس فيما تحبونه * (فان قلت) كيف استثنى ما قد سلف مما نكح آباؤكم (قلت) كما استثنى غير أن سيوفهم من قوله ولا عيب فيهم يعني ان أمكنكم أن تنكحوا ما قد سلف فانكحوه فلا يحل لكم غيره وذلك غير ممكن والغرض المبالغة في تحريمه وسد الطريق الى اباحته كما يعلق بالحال في التأبيد في نحو قولهم حتى يبيض القار وحتى يلج الجمل في سم الخياط * معنى (حرمت عليكم امهاتكم) تحريم نكاحهن لقوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ولان تحريم نكاحهن هو الذي يفهم من تحريمهن كما يفهم من تحريم الخمر تحريم شربها ومن تحريم لحم الخنزير تحريم أكله * وقرئ وبنات الاخت بتخفيف الهمزة وقد نزل الله الرضاعة منزلة النسب حتى سمى المرضعة اما للرضيع والمراضعة أختا وكذلك زوج المرضعة ابوه وأبواه جداه واخته عمته وكل ولد ولد له من غير المرضعة قبل الرضاع وبعده فهم اخوته واخواته لابيه وام المرضعة جدته واختها خالته وكل من ولد لها من هذا الزوج فهم اخوته واخواته لابيه وأمه ومن ولد لها من غيره فهم اخوته وأخواته لامه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم يحرم من الرضاع ما يحرم من النسب وقالوا تحريم الرضاع كتحريم النسب الا في مسئلتين احداهما انه لا يجوز للرجل ان يتزوج اخت ابنه من النسب ويجوز ان يتزوج أخت ابنه من الرضاع لان المانع في النسب وطؤه امها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع والثانية لا يجوز ان يتزوج ام اخيه من النسب ويجوز في الرضاع لان المانع في النسب وطء الاب اياها وهذا المعنى غير موجود في الرضاع (من نسائكم) متعلق بربائبكم ومعناه ان الربيبة من المرأة المدخول بها محرمة على الرجل حلال له اذا لم يدخل بها (فان قلت) هل يصح أن يتعلق بقوله وامهات نسائكم (قلت) لا يخلو اما ان يتعلق بهن وبالربائب فتكون حرمتهن وحرمة الربائب غير مبهمتين جميعا واما ان يتعلق بهن دون الربائب فتكون حرمتهن غير مبهمة وحرمة الربائب مبهمة فلا يجوز الاول لان معنى من مع أحد المتعلقين خلاف معناه مع الآخر الا تراك انك اذا قلت وامهات نسائكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فقد جعلت من لبيان النساء وتمييز المدخول بهن من غير المدخول بهن واذا قلت وربائبكم من نسائكم اللاتي دخلتم بهن فانك جاعل من لابتداء الغاية كما تقول بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم من خديجة وليس بصحيح أن يعني بالكلمة الواحدة في خطاب واحد معنيان مختلفان ولا يجوز الثاني لان ما يليه هو الذي يستوجب التعليق به ما لم يعترض امر لا يرد الا ان تقول اعلقه بالنساء والربائب واجعل من للاتصال كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن امهاتهن كما ان الربائب متصلات بامهاتهن لانهن بناتهن هذا وقد اتفقوا على ان تحريم امهات النساء مبهم دون تحريم الربائب على ما عليه ظاهر كلام الله تعالى وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في رجل تزوج امرأة ثم طلقها قبل ان يدخل بها انه قال لا بأس ان يتزوج ابنتها ولا يحل له ان يتزوج

كقوله تعالى المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض فاني لست منك ولست مني ما انا من دد ولا الدد مني وامهات النساء متصلات بالنساء لانهن الخ) قال احمد يعني ان لهذا الاعراب وجها في الصحة وتكون من على هذا مستعملة في معنى واحد من معانيها وهو الاتصال فيستقيم تعلقها بهما وقد نقل ذلك عن ابن
عباس مذهبا ونقل ايضا قراءة علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن امها
وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا انتهى نقل الزمخشري والقول المشهور عن الجمهور ابهام تحريم المرأة وتقييد تحريم الربيبة
بدخول الام كما هو ظاهر الآية ولهذا الفرق سر وحكمة وذلك لان المتزوج بابنة المرأة لا يخلو بعد العقد وقبل الدخول من محاورة بينه وبين
أمها ومخاطبات ومسارات فكانت الحاجة داعية الى تنجيز التحريم ليقطع شوقه من الام فيعاملها معاملة ذوات المحارم ولا كذلك العاقد

على الام فانه بعيد عن مخاطبة ابنتها قبل الدخول بالام فلم تدع الحاجة الى تعجيل نشر الحرمة واما اذا وقع الدخول بالام فقد وجدت مظنة خلطة الربيبة فحينئذ تدعو الحاجة الى نشر الحرمة بينهما والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما فائدة قوله في حجوركم الخ) قال احمد وهذا انما قدمته من تخصيص أعلى صور المنهي عنه بالنهي فان النهي عن نكاح الربيبة المدخول بامها عام في جميع الصور وسواء كانت في حجر الزوج او بائنة عنه في البلاد القاصية ولكن نكاحه لها وهي في حجره أقبح الصور والطبع عنها انفر فخصت بالنهي لتساعد الجبلة على الانقياد لاحكام الملة ثم يكون ذلك تدريبا وتدريجا الى استقباح الحرم في جميع صوره

دخلتم بهن فلا جناح عليكم وحلائل ابنائكم الذين من أصلابكم وان تجمعوا بين الاختين الاما قد سلف ان الله كان غفورا رحيما والمحصنات من النساء الاما ملكت ايمانكم كتاب الله عليكم واحل لكم ماوراء ذلكم ان تبتغوا باموالكم

امها وعن عمرو عمران بن الحصين رضي الله عنهما ان الام تحرم بنفس العقد وعن مسروق هي مرسلة فارسلوا ما ارسل الله وعن ابن عباس ابهموا ما ابهم الله الا ماروى عن علي وابن عباس وزيد وابن عمر وابن الزبير انهم قرؤا وامهات نسائكم اللاتي دخلتم بهن وكان ابن عباس يقول والله ما نزل الا هكذا وعن جابر روايتان وعن سعيد بن المسيب عن زيد اذا ماتت عنده فاخذ ميراثها كره ان يخلف على امها واذا طلقها قبل ان يدخل بها فان شاء فعل اقام الموت مقام الدخول في ذلك كما قام مقامه في باب المهر وسمي ولد المرأة من غير زوجها ربيبا وربيبة لانه يربهما كما يرب ولده في غالب الامر ثم اتسع فيه فسميا بذلك وان لم يربهما * (فان قلت) ما فائدة قوله في حجوركم (قلت) فائدته التعليل للتحريم وانهن لاحتضانكم لهن او لكونهن بصدد احتضانكم وفي حكم التقلب في حجوركم اذا دخلتم بامهاتهن وتمكن بدخولكم حكم الزواج وثبتت الخلطة والالفة وجعل الله بينكم المودة والرحمة وكانت الحال خليقة بان تجروا اولادهن مجرى اولادكم كانكم في العقد على بناتهن عاقدون على بناتكم وعن علي رضي الله عنه انه شرط ذلك في التحريم اخذ داود * (فان قلت) ما معنى (دخلتم بهن) (قلت) هي كناية عن الجماع كقولهم بنى عليها وضرب عليها الحجاب يعني ادخلتموهن الستر والباء للتعدية واللمس ونحوه يقوم مقام الدخول عند ابي حنيفة وعن عمر رضي الله عنه انه خلا بجارية فجردها فاستوهبها ابن له فقال انها لا تحل لك وعن مسروق انه امر ان تباع جاريته بعد موته وقال اما اني لم أصب منها الا ما يحرمها على ولدي من اللمس والنظر وعن الحسن في الرجل يملك الامة فيغمزها لشهوة او يقبلها او يكشفها انها لا تحل لولده بحال وعن عطاء وحماد بن ابي سليمان اذا نظر الى فرج امرأة فلا ينكح امها ولا ابنتها وعن الاوزاعي اذا دخل بالام فعراها ولمسها بيده واغلق الباب وارخى الستر فلا يحل له نكاح ابنتها وعن ابن عباس وطاوس وعمرو بن دينار ان التحريم لا يقع الا بالجماع وحده (الذين من أصلابكم) دون من تبنيتم وقد تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش الاسدية بنت عمته أميمة بنت عبد المطلب حين فارقها زيد بن حارثة وقال عز وجل لكيلا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم (وان تجمعوا) في موضع الرفع عطف على المحرمات اى وحرم عليكم الجمع بين الاختين والمراد حرمة النكاح لان التحريم في الآية تحريم النكاح واما الجمع بينهما في ملك اليمين فعن عثمان وعلي رضي الله عنهما انهما قالا أحلتهما آية وحرمتهما آية يعنيان هذه الآية وقوله او ما ملكت ايمانكم فرجح علي التحريم وعثمان التحليل (الاما قد سلف) ولكن ما مضي مغفور بدليل قوله (ان الله كان غفورا رحيما * والمحصنات) القراءة بفتح الصاد وعن طلحة بن مصرف انه قرأ بكسر الصاد وهن ذوات الازواج لانهن احصن فروجهن بالتزويج فهن محصنات ومحصنات (الا ما ملكت ايمانكم) يريد ما ملكت ايمانهم من اللاتي سبين ولهن ازواج في دار الكفر فهن حلال لغزاة المسلمين وان كن محصنات وفي معناه قول الفرزدق

وذات حليل انكحتها رماحنا * حلال لمن يبني بها لم تطلق

(كتاب الله عليكم) مصدر مؤكد اى كتب الله ذلك عليكم كتابا وفرضه فرضا وهو تحريم ما حرم * (فان قلت) علام عطف قوله (واحل لكم) (قلت) على الفعل المضمر الذي نصب كتاب الله اى كتب الله عليكم تحريم ذلك واحل لكم ماوراء ذلكم ويدل عليه قراءة اليماني كتب الله عليكم واحل لكم وروى عن اليماني كتب الله عليكم على الجمع والرفع اى هذه فرائض الله عليكم ومن قرأ واحل لكم على البناء للمفعول فقد عطفه على حرمت (ان تبتغوا) مفعول له بمعنى بين لكم ما يحل مما يحرم ارادة ان يكون ابتغاؤكم (باموالكم)

والله اعلم * قوله تعالى وان تجمعوا بين الاختين الا ما قد سلف الخ (قال احمد) موقع هذا الاستثناء كموقع نظيره المقدم ذكره عند قوله ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء على الوجه الذي بينت وهو ان هذا النهي لكونه جديرا بان يمثل اجرى مجرى الاخبار عن أمثاله حتى كانه قيل لا يقع شيء من هذه المحرمات الا السالف منها لا غير او على الوجه الذي بينه الزمخشري فيما تقدم وهو ان يكون المراد الا ما قد سلف فانه غير محرم فتماطوه وان كان ممكنا من باب التعليق على المحال ثبتا للتحريم الا ان الزمخشري لم يسلك هذا المسلك ههنا لان قوله ان الله كان غفورا رحيما يرشد الى ان المراد الا ما قد سلف فانه مغفور لاستثنائه في الآية الاولى لانه عقبه ثم بقوله انه كان فاحشة ومقتا وساء سبيلا فقدر في كل آية ما يناسب سياقها والله أعلم

التي جعل الله لكم قياما في حال كونكم (محصنين غير مسافحين) لئلا تضيعوا أموالكم وتفقروا أنفسكم فيما لا يحل لكم فتخسروا دنياكم ودينكم ولا مفسدة أعظم مما يجمع بين الخسرانين والاحصان العفة وتحصين النفس من الوقوع في الحرام والاموال المهور وما يخرج في المناكح (فان قلت) اين مفعول تبتغوا (قلت) يجوز ان يكون مقدرا وهو النساء والاجود ان لا يقدر وكأنه قيل ان تخرجوا أموالكم ويجوز ان يكون ان تبتغوا بدلا من وراء ذلكم * والمسافح الزاني من السفح وهو صب المني وكان الفاجر يقول للفاجرة سافحيني وماذيني من المذي (فما استمتعتم به منهن) فما استمتعتم به من المنكوحات من جماع أو خلوة صحيحة أو عقد عليهن (فآتوهن أجورهن) عليه فاسقط الراجع الى ما لانه لا يلبس كقوله ان ذلك من عزم الامور باسقاط منه ويجوز ان تكون ما في معنى النساء ومن للتبعيض او البيان ويرجع الضمير اليه على اللفظ في به وعلى المعنى في فآتوهن واجورهن مهورهن لان المهر ثواب على البضع (فريضة) حال من الاجور بمعنى مفروضة او وضعت موضع ايتاء لان الايتاء مفروض او مصدر مؤكد اي فرض ذلك فريضة (فيما تراضيتم به من بعد الفريضة) فيما تحط عنه من المهر او تهب له من كله او يزيد لها على مقداره وقيل فيما تراضيا به من مقام او فراق وقيل نزلت في المتعة التي كانت ثلاثة ايام حين فتح الله مكة على رسوله عليه الصلاة والسلام ثم نسخت كان الرجل ينكح المرأة وقتا معلوما ليلة او ليلتين او اسبوعا بثوب او غير ذلك ويقضي منها وطره ثم يسرحها سميت متعة لاستمتاعه بها او لتمتيعه لها بما يعطيها وعن عمر لا اوتى برجل تزوج امرأة الى اجل الا رجمتهما بالحجارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه اباحها ثم اصبح يقول يا أيها الناس اني كنت امرتكم بالاستمتاع من هذه النساء الا ان الله حرم ذلك الى يوم القيامة وقيل ابيح مرتين وحرم مرتين وعن ابن عباس هي محكمة يعني لم تنسخ وكان يقرأ فما استمتعتم به منهن الى اجل مسمى ويروى انه رجع عن ذلك عند موته وقال اللهم اني اتوب اليك من قولي بالمتعة وقولي في الصرف * الطول الفضل يقال لفلان على فلان طول اي زيادة وفضل وقد طاله طولا فهو طائل قال

لقد زادني حبا لنفسي انني * بغيض الى كل امرئ غير طائل

ومنه قولهم ما حلا منه بطائل اي بشيء يعتد به مما له فضل وخطر ومنه الطول في الجسم لانه زيادة فيه كما ان القصر قصور فيه ونقصان والمعنى ومن لم يستطع زيادة في المال وسعة يبلغ بها نكاح الحرة فلينكح امة قال ابن عباس من ملك ثلاثمائة درهم فقد وجب عليه الحج وحرم عليه نكاح الاماء وهو الظاهر وعليه مذهب الشافعي رحمه الله واما ابو حنيفة رحمه الله فيقول الغني والفقير سواء في جواز نكاح الامة ويفسر الآية بان من لم يملك فراش الحرة على ان النكاح هو الوطء فله ان ينكح امة وفي رواية عن ابن عباس انه قال ومما وسع الله على هذه الامة نكاح الامة واليهودية والنصرانية وان كان موسرا وكذلك قوله (من فتياتكم المؤمنات) الظاهر ان لا يجوز نكاح الامة الكتابية وهو مذهب اهل الحجاز وعن اهل العراق يجوز نكاحها ونكاح الامة المؤمنة افضل فحملوه على الفضل لا على الوجوب واستشهدوا على ان الايمان ليس بشرط بوصف الحرائر به مع علمنا انه ليس بشرط فيهن على الاتفاق ولكنه افضل (فان قلت) لم كان نكاح الامة منحطا عن نكاح الحرة (قلت) لما فيه من اتباع الولد الام في الرق ولثبوت حق المولى فيها وفي استخدامها ولانها ممتهنة مبتذلة خراجة ولاجة وذلك كله نقصان راجع الى الناكح ومهانة والعزة من صفات المؤمنين وقوله (من فتياتكم) اي من فتيات المسلمين لا من فتيات غيركم وهم المخالفون في الدين * (فان قلت) فما معنى قوله (والله اعلم بايمانكم) (قلت) معناه ان الله اعلم بتفاضل ما بينكم وبين ارقائكم في الايمان ورجحانه ونقصانه فيهم وفيكم وربما كان ايمان الامة ارجح من ايمان الحرة والمرأة افضل في الايمان من الرجل وحق المؤمنين ان لا يعتبروا الا فضل الايمان لا فضل الاحسان والانساب وهذا تانيس بنكاح الاماء وترك الاستنكاف

قال احمد وعلى هذا يكون الطول عند ابي حنيفة وجود الحرة تحته وهو احد القولين لمالك رضي الله عنه لكن يبعد هذا المعنى لان الطول عند مالك في احد قوليه القدرة بالمال على نكاح الحرة خاصة حتى لو كانت الحرة تحته فاراد نكاح الامة

محصنين غير مسافحين فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن فريضة ولا جناح عليكم فيما تراضيتم به من بعد الفريضة ان الله كان عليما حكيما ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت ايمانكم من فتياتكم المؤمنات والله اعلم بايمانكم

عجز اعن حرة اخرى جاز له ذلك وفي القول الآخر الطول احد الامرين اما القدرة بالمال على نكاح الحرة واما وجود الحرة تحته حتى لا يجوز له نكاح امة على حرة ان كان عاجزا عن حرة اخرى ومقتضى ما نقله المصنف عن ابي حنيفة انه لا يجوز لمن تحته حرة نكاح امة وان يجوز لمن ليست تحته حرة ان ينكح الامة ولو كان غنيا وهو قول لا يساعده ظاهر الآية لان الاستطاعة تثبت وان لم يفعل المستطيع بمقتضاها فالمستطيع لنكاح الحرة ذو الطول وان لم يكن تحته الحرة وتفسير الاستطاعة على مذهب ابي حنيفة بعيد جدا

الاستنكاف منه (بعضكم من بعض) اى انتم وارقاؤكم متواصلون متناسبون لاشتراككم فى الايمان لا يتفضل حر عبد الا برجحان فيه (باذن اهلهن) اشتراط لاذن الموالى فى نكاحهن ويحتج به لقول ابي حنيفة ان لهن ان يباشرن العقد بانفسهن لانه اعتبر اذن الموالى لا عقدهم (وآتوهن اجورهن بالمعروف) وادوا اليهن مهورهن بغير مطل وضرار واحواج الى الاقتضاء واللز (فان قلت) الموالى هم ملاك مهورهن لاهن والواجب اداؤها اليهم لا اليهن فلم قيل وآتوهن (قلت) لانهن وما فى ايديهن مال الموالى فكان اداؤها اليهن اداء الى الموالى او على ان اصله فآتوا مواليهن فحذف المضاف (محصنات) عفائف * والاخدان الاخلاء فى السر كانه قيل غير مجاهرات بالسفاح ولا مسرات له (فان أحصن) بالتزويج وقرئ احصن (نصف ما على المحصنات) اى الحرائر (من العذاب) من الحد كقوله وليشهد عذابهما ويدرأ عنها العذاب ولا رجم عليهن لان الرجم لا يتنصف (ذلك) اشارة الى نكاح الاماء (لمن خشي العنت منكم) لمن خاف الاثم الذى يؤدى اليه غلبة الشهوة وأصل العنت انكسار العظم بعد الجبر فاستعير لكل مشقة وضرر ولا ضرر اعظم من مواقعة المآثم وقيل اريد به الحد لانه اذا هويها خشي ان يواقعها فيحد فيتزوجها (وان تصبروا) فى محل الرفع على الابتداء اى وصبركم عن نكاح الاماء متعففين (خير لكم) وعن النبى صلى الله عليه وسلم الحرائر صلاح البيت والاماء هلاك البيت (يريد الله ليبين لكم) أصله يريد الله ان يبين لكم فزيدت اللام مؤكدة لارادة التبيين كما زيدت فى لا أبا لك لتاكيد اضافة الاب والمعنى يريد الله ان يبين لكم ما هو خفى عنكم من مصالحكم وافاضل اعمالكم وان يهديكم مناهج من كان قبلكم من الانبياء والصالحين والطرق التي سلكوها في دينهم لتقتدوا بهم (ويتوب عليكم) ويرشدكم الى طاعات ان قمتم بها كانت كفارات لسيآتكم فيتوب عليكم ويكفر لكم (والله يريد ان يتوب عليكم) ان تفعلوا ما تستوجبون به ان يتوب عليكم (ويريد) الفجرة (الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما) وهو الميل عن القصد والحق ولا ميل اعظم منه بمساعدتهم وموافقتهم على اتباع الشهوات وقيل هم اليهود وقيل المجوس كانوا يحلون نكاح الاخوات من الاب وبنات الاخ وبنات الاخت فلما حرمهن الله قالوا فانكم تحلون بنت الخالة والعمة والخالة والعمة عليكم حرام فانكحوا بنات الاخ والاخت فنزلت يقول تعالى يريدون ان تكونوا زناة مثلهم (يريد الله ان يخفف عنكم) باحلال نكاح الامة وغيره من الرخص (وخلق الانسان ضعيفا) لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات وعن سعيد بن المسيب ما ايس الشيطان من بنى آدم قط الا اتاهم من قبل النساء فقد اتي على ثمانون سنة وذهبت احدى عينى وانا اعشوا بالاخرى وان اخوف ما اخاف على فتنة النساء * وقرئ ان يميلوا بالياء والضمير للذين يتبعون الشهوات وقرأ ابن عباس وخلق الانسان على البناء للفاعل ونصب الانسان وعنه رضي الله عنه ثمان آيات فى سورة النساء هي خير لهذه الامة مما طلعت عليه الشمس وغربت يريد الله ليبين لكم والله يريد ان يتوب عليكم يريد الله ان يخفف عنكم ان يجتنبوا كبائر ما تنهون عنه ان الله لا يغفر ان يشرك به ان الله لا يظلم مثقال ذرة ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ما يفعل الله بعذابكم (بالباطل) بما لم تبحه الشريعة من نحو السرقة والخيانة والغصب والقمار وعقود الربا (الا ان تكون تجارة) الا ان تقع تجارة وقرئ تجارة على الا ان تكون التجارة تجارة (عن تراض منكم) والاستثناء منقطع معناه ولكن اقصدوا كون تجارة عن تراض منكم او ولكن كون تجارة عن تراض غير منهي عنه وقوله عن تراض صفة لتجارة اى تجارة صادرة عن تراض وخص التجارة بالذكر لان أسباب الرزق اكثرها متعلق بها والتراضى رضا المتبايعين بما تعاقدا عليه فى حال البيع وقت الايجاب والقبول وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله وعند الشافعى رحمه الله تفرقهما عن مجلس العقد متراضيين (ولا تقتلوا انفسكم) من كان من جنسكم من المؤمنين وعن الحسن لا تقتلوا اخوانكم اولا يقتل الرجل نفسه كما يفعله بعض الجهلة وعن عمرو بن العاصي انه تاوله فى التيمم لخوف البرد فلم ينكر عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرأ على رضي الله عنه ولا تقتلوا بالتشديد (ان الله كان بكم رحيما) ما نهاكم عما يضركم الا لرحمته

بعضكم من بعض فانكحوهن باذن أهلهن وآتوهن أجورهن بالمعروف محصنات غير مسافحات ولا متخذات أخدان فاذا احصن فان أتين بفاحشة فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب ذلك لمن خشي العنت منكم وأن تصبروا خير لكم والله غفور رحيم يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات ان تميلوا ميلا عظيما يريد الله ان يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا يا أيها الذين آمنوا لا تاكلوا أموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم ان الله بكم رحيما ومن يفعل

*قوله تعالى فانكحوهن باذن أهلهن (قال محمود هذا اشتراط لاذن الموالى فى نكاحهن الخ (قال احمد وليس فى الآية اشتراط اذن المولى لمن يتولى عقد نكاح امته ومتولى العقد ومباشرته مسكوت عنه فى الآية فيحمل على اذنه لوكيله فى العقد على امته ولا يلزم ان تكون الامة هي المباشرة ولا دليل فى الآية على ذلك والله اعلم

عليكم وقيل معناه انه امر بنى اسرائيل بقتلهم انفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة (ذلك) اشارة الى القتل اى ومن يقدم على قتل الانفس (عدوانا وظلما) لا خطأ ولا اقتصاصا وقرئ عدوانا بالكسر * ونصليه بتخفيف اللام وتشديدها ونصليه بفتح النون من صلاة يصليه ومنه شاة مصلية ويصليه بالياء والضمير لله تعالى او لذلك لكونه سببا للصلى (نارا) اى نارا مخصوصة شديدة العذاب (وكان ذلك على الله يسيرا) لان الحكمة تدعو اليه ولا صارف عنه من ظلم او نحوه (كبائر ما تنهون عنه) وقرئ كبير ما تنهون عنه اى ما كبر من المعاصي التى نهاكم الله عنها والرسول (نكفر عنكم سيآتكم) نميط ما تستحقونه من العقاب فى كل وقت على صغائركم ونجعلها كان لم تكن لزيادة الثواب المستحق على اجتنابكم الكبائر وصبركم عنها على عقاب السيآت والكبيرة والصغيرة انما وصفتا بالكبر والصغر باضافتهما اما الى طاعة او معصية او ثواب فاعلهما والتكفير اماطة المستحق من العقاب بثواب ازيد او بتوبة والاحباط نقيضه وهو اماطة الثواب المستحق بعقاب ازيد او بندم على الطاعة وعن على رضي الله عنه الكبائر سبع الشرك والقتل والقذف والزنا واكل مال اليتيم والفرار من الزحف والتعرب بعد الهجرة وزاد ابن عمر السحر واستحلال البيت الحرام وعن ابن عباس ان رجلا قال له الكبائر سبع فقال هى الى سبعمائة اقرب لانه لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار وروى الى سبعين * وقرئ يكفر بالياء * ومدخلا بضم الميم وفتحها بمعنى المكان والمصدر فيهما (ولا تتمنوا) نهوا عن التحاسد وعن تمنى ما فضل الله به بعض الناس على بعض من الجاه والمال لان ذلك التفضيل قسمة من الله صادرة عن حكمة وتدبير وعلم باحوال العباد وبما يصلح المقسوم له من بسط فى الرزق او قبض ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الارض فعلى كل احد ان يرضي بما قسم له علما بان ما قسم له هو مصلحته ولو كان خلافه لكان مفسدة له ولا يحسد اخاه على حظه (للرجال نصيب مما اكتسبوا) جعل ما قسم لكل من الرجال والنساء على حسب ما عرف الله من حاله الموجبة للبسط او القبض كسبا له (واسئلوا الله من فضله) ولا تتمنوا انصباء غيركم من الفضل ولكن سلوا الله من خزائنه التى لا تنفد وقيل كان الرجال قالوا ان الله فضلنا على النساء فى الدنيا لنا سهمان ولهن سهم واحد فنرجوا ان يكون لنا اجران فى الآخرة على الاعمال ولهن اجر واحد فقالت أم سلمة ونسوة معها ليت الله كتب علينا الجهاد كما كتبه على الرجال فيكون لنا من الاجر مثل مالهم فنزلت (مما ترك) تبيين لكل اى ولكل شيء مما ترك (الوالدان والاقربون) من المال جعلنا موالى وراثا يلونه ويحرزونه او ولكل قوم جعلناهم موالى نصيب مما ترك الوالدان والاقربون على ان جعلنا موالى صفة لكل والضمير الراجع الى كل محذوف والكلام مبتدأ وخبره كما تقول لكل من خلقه الله انسانا من رزق الله اى حظ من رزق الله او ولكل احد جعلنا موالى مما ترك اى وراثا مما ترك على ان من صلة موالى لانهم فى معنى الوراث وفي ترك الضمير كل ثم فسر الموالى بقوله الوالدان والاقربون كانه قيل من هم فقيل الوالدان والاقربون (والذين عاقدت أيمانكم) مبتدأ ضمن معنى الشرط فوقع خبره مع الفاء وهو قوله (فآتوهم نصيبهم) ويجوز ان يكون منصوبا على قولك زيدا فاضربه ويجوز ان يعطف على الوالدان ويكون المضمر فى فآتوهم للموالى والمراد بالذين عاقدت ايمانكم موالى الموالاة كان الرجل يعاقد الرجل فيقول دمى دمك وهدمي هدمك وثارى ثارك وحربي حربك وسلمي سلمك وترثنى وارثك وتطلب بي وأطلب بك وتعقل عنى واعقل عنك فيكون للحليف السدس من ميراث الحليف فنسخ وعن النبي ﷺ انه خطب يوم الفتح فقال ما كان من حلف فى الجاهلية فتمسكوا به فانه لم يزده الاسلام الا شدة ولا تحدثوا حلفا فى الاسلام وعند ابى حنيفة لو اسلم رجل على يد رجل وتعاقدا على ان يتعاقلا ويتوارثا صح عنده وورث بحق الموالاة خلافا للشافعى وقيل المعاقدة التبنى ومعنى عاقدت ايمانكم عاقدتهم ايديكم وماسحتموهم وقرئ عقدت بالتشديد والتخفيف بمعنى عقدت عهودهم ايمانكم (قوامون على النساء) يقومون عليهن آمرين ناهين كما يقوم الولاة على الرعايا وسموا قوما لذلك والضمير فى (بعضهم) للرجال والنساء جميعا يعنى انما كانوا مسيطرين عليهن

ذلك عدوانا وظلما فسوف نصليه نارا وكان ذلك على الله يسيرا ان تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيآتكم وندخلكم مدخلا كريما ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض للرجال نصيب مما اكتسبوا وللنساء نصيب مما اكتسبن واسئلوا الله من فضله ان الله كان بكل شيء عليما ولكل جعلنا موالى مما ترك الوالدان والاقربون والذين عقدت ايمانكم فآتوهم نصيبهم ان الله كان على كل شيء شهيدا الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض

بسبب تفضيل الله بعضهم وهم الرجال على بعض وهم النساء وفيه دليل على ان الولاية انما تستحق بالفضل لا بالتغلب والاستطالة والقهر وقد ذكروا فى فضل الرجال العقل والحزم والعزم والقوة والكتابة فى الغالب والفروسية والرمي وان منهم الانبياء والعلماء وفيهم الامامة الكبرى والصغرى والجهاد والاذان والخطبة والاعتكاف وتكبيرات التشريق عند ابى حنيفة والشهادة فى الحدود والقصاص وزيادة السهم والتعصيب فى الميراث والحمالة والقسامة والولاية فى النكاح والطلاق والرجعة وعدد الازواج واليهم الانتساب وهم أصحاب اللحى والعمائم (وبما أنفقوا) وبسبب ما أخرجوا في نكاحهن من اموالهم في المهور والنفقات وروى ان سعد بن الربيع وكان نقيبا من نقباء الانصار نشزت عليه امرأته حبيبة بنت زيد بن ابي زهير فلطمها فانطلق بها ابوها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال افرشته كريمتى فلطمها فقال لتقتص منه فنزلت فقال صلى الله عليه وسلم اردنا امرا واراد الله امرا والذى اراد الله خير ورفع القصاص واختلف فى ذلك فقيل لاقصاص بين الرجل وامراته فيما دون النفس ولو شجها ولكن يجب العقل وقيل لاقصاص الا فى الجرح والقتل واما اللطمة ونحوها فلا (قانتات) مطيعات قائمات بما عليهن للازواج (حافظات للغيب) الغيب خلاف الشهادة أى حافظات لواجب الغيب اذا كان الازواج غير شاهدين لهن حفظن ما يجب عليهن حفظه فى حال الغيبة من الفروج والبيوت والاموال وعن النبي صلى الله عليه وسلم خير النساء امرأة ان نظرت اليها سرتك وان امرتها أطاعتك واذا غبت عنها حفظتك فى مالها ونفسها وتلا الآية وقيل للغيب لاسرارهم (بما حفظ الله) بما حفظهن الله حين اوصى بهن الازواج فى كتابه وامر رسوله عليه الصلاة والسلام فقال استوصوا بالنساء خيرا او بما حفظهن الله وعصمهن ووفقهن لحفظ الغيب او بما حفظهن حين وعدهن الثواب العظيم على حفظ الغيب واوعدهن بالعذاب الشديد على الخيانة وما مصدرية وقرئ بما حفظ الله بالنصب على ان ما موصولة اى حافظات للغيب بالامر الذى يحفظ حق الله وأمانة الله وهو التعفف والتحصن والشفقة على الرجال والنصيحة لهم * وقرأ ابن مسعود فالصوالح قوانت حوافظ للغيب بما حفظ الله فاصلحوا اليهن * نشوزها ونشوصها ان تعصى زوجها ولا تطمئن اليه واصله الانزعاج (فى المضاجع) فى المراقد اى لا تداخلوهن تحت اللحف اوهى كناية عن الجماع وقيل هو ان يوليها ظهره فى المضجع وقيل فى المضاجع فى بيوتهن التى يبتن فيها اى لا تبايتوهن * وقرئ فى المضجع وفى المضطجع وذلك لتعرف احوالهن وتحقق امرهن في النشوز امر بوعظهن اولا ثم هجرانهن فى المضاجع ثم بالضرب ان لم ينجع فيهن الوعظ والهجران وقيل معناه اكرهوهن على الجماع واربطوهن من هجر البعير اذا شده بالهجار وهذا من تفسير الثقلاء وقالوا يجب ان يكون ضربا غير مبرح لا يجرحها ولا يكسر لها عظما ويجتنب الوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم علق سوطك حيث يراه أهلك وعن أسماء بنت ابى بكر الصديق رضي الله عنه كنت رابعة اربع نسوة عند الزبير بن العوام فاذا غضب على احدانا ضربها بعود المشجب حتى يكسره عليها ويروى عن الزبير ابيات منها * ولولا بنوها حولها لخبطتها * (فلا تبغوا عليهن سبيلا) فأزيلوا عنهن التعرض بالاذى والتوبيخ والتجنى وتوبوا عليهن واجعلوا ما كان منهن كان لم يكن بعد رجوعهن الى الطاعة والانقياد وترك النشوز (ان الله كان عليا كبيرا) فاحذروه واعلموا ان قدرته عليكم أعظم من قدرتكم على من تحت أيديكم ويروى ان ابا مسعود الانصارى رفع سوطه ليضرب غلاما له فبصر به رسول الله ﷺ فصاح به ابا مسعود لله أقدر عليك منك عليه فرمى بالسوط واعتق الغلام او ان الله كان عليا كبيرا وانكم تعصونه على علو شأنه وكبرياء سلطانه ثم تتوبون فيتوب عليكم فانتم احق بالعفو عمن يجنى عليكم اذا رجع (شقاق بينهما) اصله شقاقا بينهما فاضيف الشقاق الى الظرف على طريق الاتساع كقوله بل مكر الليل والنهار واصله بل مكر فى الليل والنهار او على ان جعل البين مشاقا والليل والنهار ماكرين على قولهم نهارك صائم والضمير للزوجين ولم يجر ذكرهما لجرى ذكر ما يدل عليهما وهو الرجال والنساء (حكما من أهله) رجلا مقنعا رضيا يصلح لحكومة العدل والاصلاح بينهما وانما كان بعث الحكمين من اهلهما لان الاقارب اعرف ببواطن الاحوال وأطلب للصلاح

وبما انفقوا من اموالهم فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها

---

* قوله تعالى واللاتي تخافون نشوزهن الآية (قال امر الله تعالى بوعظهن اولا الخ) قال احمد وهذا الترتيب بين هذه الافعال المعطوفة غير متلقى من صيغة لفظه اذ العطف بالواو وهي مسلوبة الدلالة على الترتيب متمحضة الاشعار بالجمعية فقط وانما يتلقى الترتيب المذكور من قرائن خارجة عن اللفظ مفهومة من مقصود الكلام وسياقه * عاد كلامه (قال وقيل معناه اكرهوهن الخ) قال احمد ولعل هذا المفسر يتايد بقوله فان اطعنكم فانه يدل على تقدم اكراه على امر وقرينة المضاجع ترشد الى انه الجماع واطلاق الزمخشرى لما اطلقه في حق هذا المفسر من الافراط

ان يريدا اصلاحا يوفق
الله بينهما ان الله كان
عليما خبيرا واعبدوا
الله ولا تشركوا به
شيأ وبالوالدين
احسانا وبذي القربى
واليتامى والمساكين
والجار ذي القربى
والجار الجنب والصاحب
بالجنب وابن السبيل
وما ملكت ايمانكم ان
الله لا يحب من كان
مختالا فخورا الذين
يبخلون ويأمرون الناس
بالبخل ويكتمون
ما آتاهم الله من فضله
واعتدنا للكافرين
عذابا مهينا والذين
ينفقون اموالهم رئاء
الناس ولا يؤمنون بالله
ولا باليوم الآخر ومن
يكن الشيطان له قرينا

واما تسكن اليهم نفوس الزوجين ويبرزاليهم ما فى ضمائرهما من الحب والبغض وارادة الصحبة والفرقة
وموجبات ذلك ومقتضياته وما يزويانه عن الاجانب ولا يحبان ان يطلعوا عليه (فان قلت) فهل يليان الجمع
بينهما والتفريق ان رأيا ذلك (قلت) قد اختلف فيه فقيل ليس اليهما ذلك الا باذن الزوجين وقيل ذلك اليهما وما
جعلا حكمين الا واليهما بناء الامر على ما يقتضيه اجتهادهما وعن عبيدة السلماني شهدت عليا رضي الله عنه وقد
جاءته امرأة وزوجها ومع كل واحد منهما فئام من الناس فأخرج هؤلاء حكما وهؤلاء حكما فقال علي رضي
الله عنه للحكمين اتدريان ما عليكما ان عليكما ان رأيتما ان تفرقا فرقتما وان رأيتما ان تجمعا جمعتما فقال الزوج اما
الفرقة فلا فقال علي كذبت والله لا تبرح حتى ترضى بكتاب الله لك وعليك فقالت المرأة رضيت بكتاب الله
لي وعلي وعن الحسن يجمعان ولا يفرقان وعن الشعبي ما قضى الحكمان جاز * والالف في (ان يريدا اصلاحا)
للحكمين وفي (يوفق الله بينهما) للزوجين اى ان قصدا اصلاح ذات البين وكانت نيتهما صحيحة وقلوبهما
ناصحة لوجه الله بورك في وساطتهما واوقع الله بطيب نفسهما وحسن سعيهما بين الزوجين الوفاق والالفة
والقى في نفوسهما المودة والرحمة وقيل الضميران للحكمين اى ان قصدا اصلاح ذات البين والنصيحة
للزوجين يوفق الله بينهما فيتفقان على الكلمة الواحدة ويتساندان في طلب الوفاق حتى يحصل الغرض ويتم
المراد وقيل الضميران للزوجين اى ان يريدا اصلاح ما بينهما وطلبا الخير وان يزول عنهما الشقاق يطرح
الله بينهما الالفة وابدلهما بالشقاق وفاقا وبالبغضاء مودة (ان الله كان عليما خبيرا) يعلم كيف يوفق بين
المختلفين ويجمع بين المفترقين لو انفقت ما في الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم
(وبالوالدين احسانا) واحسنوا بهما احسانا (وبذي القربى) وبكل من بينكم وبينه قربى من أخ او عم
او غيرهما (والجار ذي القربى) الذى قرب جواره (والجار الجنب) الذى جواره بعيد وقيل الجار القريب
النسيب والجار الجنب الاجنبي وانشد لبلعاء بن قيس

لا يجتوينا مجاور أبدا * ذو رحم او مجاور جنب

*وقرئ والجار ذا القربى نصبا على الاختصاص كما قرئ حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى تنبيها
على عظم حقه لادلائه بحق الجوار والقربى (والصاحب بالجنب) هو الذى صحبك بان حصل بجنبك اما رفيقا
في سفر واما جارا ملاصقا واما شريكا في تعلم علم او حرفة واما قاعدا الى جنبك في مجلس او مسجد او غير
ذلك من ادنى صحبة التأمت بينك وبينه فعليك ان ترعى ذلك الحق ولا تنساه وتجعله ذريعة الى الاحسان
وقيل الصاحب بالجنب المرأة (وابن السبيل) المسافر المنقطع به وقيل الضيف * والمختال التياه الجهول الذى
يتكبر عن اكرام اقاربه واصحابه ومماليكه فلا يتحفى بهم ولا يلتفت اليهم * وقرئ والجار الجنب بفتح الجيم
وسكون النون (الذين يبخلون) بدل من قوله من كان مختالا فخورا او نصب على الذم ويجوز ان يكون رفعا
عليه وان يكون مبتدأ خبره محذوف كانه قيل الذين يبخلون ويفعلون ويصنعون احقاء بكل ملامة * وقرئ
بالبخل بضم الباء وفتحها وبفتحتين وبضمتين اى يبخلون بذات ايديهم وبما في ايدى غيرهم فيأمرونهم بان
يبخلوا به مقتا للسخاء ممن وجد وفي امثال العرب ابخل من الضنين بنائل غيره قال

وان امرأ ضنت يداه على امرئ * بنيل يد من غيره لبخيل

ولقد رأينا ممن بلي بداء البخل من اذا طرق سمعه ان احدا جاد على احد شخص به وحل حبوته واضطرب
ودارت عيناه في رأسه كأنما نهب رحله وكسرت خزانته ضجرا من ذلك وحسرة على وجوده وقيل هم اليهود
كانوا يأتون رجالا من الانصار يتنصحون لهم ويقولون لا تنفقوا اموالكم فانا نخشى عليكم الفقر ولا تدرون
ما يكون * وقد عابهم الله بكتمان نعمة الله وما آتاهم من فضل الغنى والتفاقر الى الناس وعن النبي صلى
الله عليه وسلم اذا انعم الله على عبد نعمة احب ان ترى نعمته على عبده وبنى عامل للرشيد قصرا حذاء قصره
فنم به عنده فقال الرجل يا امير المؤمنين ان الكريم يسره ان يرى اثر نعمته فاحببت ان اسرك بالنظر الى آثار
نعمتك فأعجبه كلامه وقيل نزلت في شان اليهود الذين كتموا صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم (رئاء الناس)

للفخار وليقال ما اسخاهم وما اجودهم لا ابتغاء وجه الله وقيل نزلت في مشركي مكة المنفقين اموالهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فساء قرينا) حيث حملهم على البخل والرياء وكل شر ويجوز أن يكون وعيدا لهم بان الشيطان يقرن بهم في النار (وماذا عليهم) واى تبعة ووبال عليهم في الايمان والانفاق في سبيل الله والمراد الذم والتوبيخ والا فكل منفعة ومفلحة في ذلك وهذا كما يقال للمنتقم ما ضرك لو عفوت وللعاق ما كان يرزؤك لو كنت بارا وقد علم انه لا مضرة ولا مرزأة في العفو والبر ولكنه ذم وتوبيخ وتجهيل بمكان المنفعة (وكان الله بهم عليما) وعيد * الذرة النملة الصغيرة وفي قراءة عبد الله مثقال نملة وعن ابن عباس انه ادخل يده في التراب فرفعه ثم نفخ فيه فقال كل واحدة من هؤلاء ذرة وقيل كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادنى شيء واصغره او زاده في العقاب لكان ظلما وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة لا لاستحالته في القدرة (وان تك حسنة) وان يك مثقال ذرة حسنة وانما انث ضمير المثقال لكونه مضافا الى مؤنث وقرئ بالرفع على كان التامة (يضاعفها) يضاعف ثوابها لاستحقاقها عنده الثواب في كل وقت من الاوقات المستقبلة غير المتناهية وعن ابي عثمان النهدي انه قال لابي هريرة بلغني عنك انك تقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله تعالى يعطي عبده المؤمن بالحسنة الف الف حسنة قال ابو هريرة لا بل سمعته يقول ان الله تعالى يعطيه الفي الف حسنة ثم تلا هذه الآية والمراد الكثرة لا التحديد (ويؤت من لدنه اجرا عظيما) ويعط صاحبها من عنده على سبيل التفضل عطاء عظيما وسماه اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته وقرئ يضعفها بالتشديد والتخفيف من اضعف وضعف وقرأ ابن هرمز نضاعفها بالنون (فكيف) يصنع هؤلاء الكفرة من اليهود وغيرهم (اذا جئنا من كل أمة بشهيد) يشهد عليهم بما فعلوا وهو نبيهم كقوله وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم (وجئنا بك على هؤلاء) المكذبين (شهيدا) وعن ابن مسعود انه قرأ سورة النساء على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغ قوله وجئنا بك على هؤلاء شهيدا فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال حسبنا (لو تسوى بهم الارض) لو يدفنون فتسوى بهم الارض كما تسوى بالموتى وقيل يودون انهم لم يبعثوا وأنهم كانوا والارض سواء وقيل تصير البهائم ترابا فيودون حالها (ولا يكتمون الله حديثا) ولا يقدرون على كتمانه لان جوارحهم تشهد عليهم وقيل الواو للحال أى يودون ان يدفنوا تحت الارض وانهم لا يكتمون الله حديثا ولا يكذبون في قولهم والله ربنا ما كنا مشركين لانهم اذا قالوا ذلك وجحدوا شركهم ختم الله على افواههم عند ذلك وتكلمت ايديهم وارجلهم بتكذيبهم والشهادة عليهم بالشرك فلشدة الامر عليهم يتمنون ان تسوى بهم الارض * وقرئ تسوى بحذف التاء من تتسوى يقال سويته فتسوى نحو لويته فتلوى وتسوى بادغام التاء في السين كقوله يسمعون وماضيه أسوى كأزكى * روى ان عبد الرحمن بن عوف صنع طعاما وشرابا فدعا نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كانت الخمر مباحة فأكلوا وشربوا فلما ثملوا وجاء وقت صلاة المغرب قدموا احدهم ليصلي بهم فقرأ أعبد ما تعبدون وانتم عابدون ما أعبد فنزلت فكانوا لا يشربون في أوقات الصلوات فاذا صلوا العشاء شربوها فلا يصبحون الا وقد ذهب عنهم السكر وعلموا ما يقولون ثم نزل تحريمها ومعنى (لا تقربوا الصلاة) لا تغشوها ولا تقوموا اليها واجتنبوها كقوله ولا تقربوا الزنا ولا تقربوا الفواحش وقيل معناه ولا تقربوا مواضعها وهي المساجد لقوله عليه الصلاة والسلام جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وقيل هو سكر النعاس وغلبة النوم كقوله ورانوا بسكر سناتهم كل الريون وقرئ سكارى بفتح السين وسكرى على أن يكون جمعا نحو هلكى وجوعى لان السكر علة تلحق العقل او مفردا بمعنى وانتم جماعة سكرى كقولك امرأة سكرى وسكرى بضم السين كحبلى على ان تكون صفة للجماعة وحكى جناح بن حبيش كسلى وكسلى بالفتح والضم (ولا جنبا) عطف على قوله وانتم سكارى لان محل الجملة مع الواو النصب على الحال كأنه قيل لا تقربوا الصلاة سكارى ولا جنبا والجنب يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه اسم جرى مجرى المصدر الذي هو الاجناب (الا عابري سبيل) استثناء من عامة أحوال المخاطبين وانتصابه على الحال (فان قلت) كيف جمع بين هذه الحال والحال التي قبلها (قلت) كأنه قيل لا تقربوا الصلاة في حال الجنابة

فساء قرينا وماذا عليهم لو آمنوا بالله واليوم الآخر وانفقوا مما رزقهم الله وكان الله بهم عليما ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه اجرا عظيما فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا يومئذ يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الارض ولا يكتمون الله حديثا يا ايها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وانتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا الا عابري سبيل حتى تغتسلوا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء أحد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم

* قوله تعالى ان الله لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنة يضاعفها (قال محمود انما انث الضمير وهو للمثقال الخ) قال احمد وقد تقدم له مثل ذلك في قوله وكنتم على شفا حفرة من النار فانقذكم منها وقد بينا ثم ان عوده الى الحفرة جائز بل أولى وكذلك عوده ههنا الى الذرة ولا يمنع ذلك كون المضاف اليه غير مخبر عنه لان عود الضمير لا يستلزم

الاخبار عنه فى الكلام الاول ويجوز كانت دابتك وكل ذلك اسهل من اكتساب المضاف للتأنيث من المضاف اليه فقد نص ابو على فى التعاليق على انه شاذ * قوله تعالى ٢٠٦ فتيمموا صعيدا طيبا (قال محمود الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره الخ) قال احمد هذا اذا كان الضمير عائدا الى الصعيد وثم وجه آخر وهو عود الضمير على الحدث المدلول عليه بقوله وان كنتم مرضى الى آخرها فان المفهوم منه وان كنتم على حدث فى حال من هذه الاحوال سفر اومرض اومجيء من الغائط او ملامسة النساء فلم تجدوا ماء تتطهرون به من الحدث فتيمموا منه يقال تيممت من الجنابة وموقع من على هذا مستعمل متداول وهي على هذا الاعراب اما للتعليل او لابتداء الغاية وكلاهما فيها متمكن والله أعلم

(قال محمود فان قلت كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والجنبين الخ) قال احمد وهذا من ذكر المعتنى به خاصا ومندرجا فى العموم تنبيها بذكره على وجهين مختلفين لان المرض والسفر مندرجان فى عموم المحدثين والجنبين والله اعلم

الا ومعكم حال أخرى تعذرون فيها وهى حال السفر وعبور السبيل عبارة عنه ويجوز أن لا يكون حالا ولكن صفة لقوله جنبا أى ولا تقربوا الصلاة جنبا غير عابرى سبيل اى جنبا مقيمين غير معذورين (فان قلت) كيف تصح صلاتهم على الجنابة لعذر السفر (قلت) أريد بالجنب الذين لم يغتسلوا كأنه قيل لا تقربوا الصلاة غير مغتسلين حتى تغتسلوا الا ان تكونوا مسافرين وقال من فسر الصلاة بالمسجد معناه لا تقربوا المسجد جنبا الا مجتازين فيه اذا كان الطريق فيه الى الماء او كان الماء فيه أو احتلمتم فيه وقيل ان رجالا من الانصار كانت ابوابهم فى المسجد فتصيبهم الجنابة ولا يجدون ممرا الا فى المسجد فرخص لهم وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يأذن لاحد أن يجلس فى المسجد او يمر فيه وهو جنب الا لعلى رضى الله عنه لان بيته كان فى المسجد * (فان قلت) أدخل فى حكم الشرط اربعة وهم المرضى والمسافرون والمحدثون واهل الجنابة فبمن تعلق الجزاء الذى هو الامر بالتيمم عند عدم الماء منهم (قلت) الظاهر انه تعلق بهم جميعا وان المرضى اذا عدموا الماء لضعف حركتهم وعجزهم عن الوصول اليه فلهم ان يتيمموا وكذلك السفر اذا عدموه لبعده والمحدثون واهل الجنابة كذلك اذا لم يجدوه لبعض الاسباب * وقال الزجاج الصعيد وجه الارض ترابا كان أو غيره وان كان صخرا لا تراب عليه لو ضرب المتيمم يده عليه ومسح لكان ذلك طهوره وهو مذهب أبي حنيفة رحمة الله عليه (فان قلت) فما يصنع بقوله تعالى فى سورة المائدة فامسحوا بوجوهكم وأيديكم منه اى بعضه وهذا لا يتأتى فى الصخر الذى لا تراب عليه (قلت) قالوا ان من لابتداء الغاية (فان قلت) قولهم انها لابتداء الغاية قول متعسف ولا يفهم أحد من العرب من قول القائل مسحت برأسه من الدهن ومن الماء ومن التراب الا معنى التبعيض (قلت) هو كما تقول والاذعان للحق احق من المراء (ان الله كان عفوا غفورا) كناية عن الترخيص والتيسير لان من كانت عادته أن يعفو عن الخطائين ويغفر لهم آثر أن يكون ميسرا غير معسر (فان قلت) كيف نظم فى سلك واحد بين المرضى والمسافرين وبين المحدثين والجنبين والمرض والسفر سببان من أسباب الرخصة والحدث سبب لوجوب الوضوء والجنابة سبب لوجوب الغسل (قلت) أراد سبحانه ان يرخص للذين وجب عليهم التطهر وهم عادمون الماء فى التيمم بالتراب فخص اولا من بينهم مرضاهم وسفرهم لانهم المتقدمون فى استحقاق بيان الرخصة لهم بكثرة المرض والسفر وغلبتهما على سائر الاسباب الموجبة للرخصة ثم عم كل من وجب عليه التطهر وأعوزه الماء لخوف عدو أو سبع أو عدم آلة استقاء او ارهاق فى مكان لا ماء فيه وغير ذلك مما لا يكثر كثرة المرض والسفر * وقرئ من غيط قيل هو تخفيف غيط كهين فى هين والغيط بمعنى الغائط (ألم تر) من رؤية القلب وعدى بالى على معنى ألم ينته علمك اليهم أو بمعنى ألم تنظر اليهم (اوتوا نصيبا من الكتاب) حظا من علم التوراة وهم احبار اليهود (يشترون الضلالة) يستبدلونها بالهدى وهو البقاء على اليهودية بعد وضوح الآيات لهم على صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه هو النبى العربى المبشر به فى التوراة والانجيل (ويريدون أن تضلوا) أنتم ايها المؤمنون سبيل الحق كما ضلوه وتنخرطوا فى سلكهم لا تكفيهم ضلالتهم بل يحبون أن يضل معهم غيرهم وقرئ ان يضلوا بالياء بفتح الضاد وكسرها (والله أعلم) منكم (باعدائكم) وقد اخبركم بعداوة هؤلاء واطلعكم على احوالهم وما يريدون بكم فاحذروهم ولا تستنصحوهم فى اموركم ولا تستشيروهم (وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا) فثقوا بولايته ونصرته دونهم اولا تبالوا بهم فان الله ينصركم عليهم ويكفيكم مكرهم (من الذين هادوا) بيان للذين اوتوا نصيبا من الكتاب لانهم يهود ونصارى وقوله والله اعلم وكفى بالله وكفى بالله جمل توسطت بين البيان والمبين على سبيل الاعتراض او بيان لاعدائكم وما بينهما اعتراض اوصلة لنصيرا اى ينصركم من الذين هادوا كقوله ونصرناه من القوم الذين كذبوا ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ على ان يحرفون صفة مبتدأ محذوف تقديره من الذين هادوا قوم يحرفون

ان الله كان عفوا غفورا الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون ان تضلوا السبيل والله اعلم باعدائكم وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا من الذين هادوا

كقوله

قوله تعالى يقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم الآية (قال محمود وغير مسمع حال من المخاطب الخ) قال احمد مراده بذلك أنه لما فسر غير مسمع بالدعاء وهو انشاء وطلب وقد وقعه حالا والحال خبر اراد ان يبين أوجه صحة التعبير عن الخبر بالانشاء بواسطة ان هؤلاء كانوا يظنون دعاءهم مستجابا مخبرا بوقوع المدعو فيه ونظيره ورود الامر بصيغة الخبر تنبيها على تحقق وقوعه (قال محمود ومعناه غير مسمع جوابا الخ) قال احمد والظاهر ان الكلم المحرف انما أريد به في هذه السورة مثل غير مسمع وراعنا ولم يقصد ههنا تبديل الاحكام وتوسطها بين الكلمتين بين قوله يحرفون وبين قوله ليا بألسنتهم والمراد ايضا تحريف مشاهد بين على ان المحرف هما وامثالهما وأما في سورة المائدة فالظاهر والله اعلم ان المراد فيها بالكلم الاحكام وتحريفها تبديلها كتبديلهم الرجم بالجلد ألا تراه عقبه بقوله يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا والاختلاف المراد بالكلم في السورتين قيل في سورة المائدة يحرفون الكلم من بعد مواضعه اى يقلونه عن الموضع الذى وضعه الله فيه فصار وطنه ومستقره الى غير الموضع فبقي كالغريب المتاسف عليه الذي يقال فيه هذا غريب من بعد مواضعه ومقاره ولا يوجد هذا المعنى في مثل راعنا وغير مسمع وان وجد على بعد فليس الوضع اللغوى مما يعبأ بانتقاله عن موضعه كالوضع الشرعى ولولا اشمال هذا النقل

يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بألسنتهم وطعنا في الدين ولو أنهم قالوا سمعنا واطعنا واسمع وانظرنا لكان خيرا لهم واقوم ولكن لعنهم الله بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها

كقوله وما الدهر الا تارتان فمنهما * اموت واخرى ابتغى العيش اكدح

اى فمنهما تارة اموت فيها (يحرفون الكلم عن مواضعه) يميلونه عنها ويزيلونه لانهم اذا بدلوه ووضعوا مكانه كلما غيره فقد أمالوه عن مواضعه التى وضعه الله فيها وازالوه عنها وذلك نحو تحريفهم اسمر ربعة عن موضعه في التوراة بوضعهم آدم طوال مكانه ونحو تحريفهم الرجم بوضعهم الحد بدله (فان قلت) كيف قيل ههنا عن مواضعه وفي المائدة من بعد مواضعه (قلت) اما عن مواضعه فعلى ما فسرناه من ازالته عن مواضعه التي اوجبت حكمة الله وضعه فيها بما اقتضت شهواتهم من ابدال غيره مكانه واما من بعد مواضعه فالمعنى انه كانت له مواضع هو قمن بان يكون فيها فحين حرفوه تركوه كالغريب الذى لا موضع له بعد مواضعه ومقاره والمعنيان متقاربان وقرئ يحرفون الكلام والكلم بكسر الكاف وسكون اللام جمع كلمة تخفيف كلمة * قولهم (غير مسمع) حال من المخاطب اى اسمع وانت غير مسمع وهو قول ذو وجهين يحتمل الذم اى اسمع منا مدعوا عليك بلا سمعت لانه لو أجيبت دعوتهم عليه لم يسمع فكان اصم غير مسمع قالوا ذلك اتكالا على ان قولهم لا سمعت دعوة مستجابة او اسمع غير مجاب الى ما تدعو اليه ومعناه غير مسمع جوابا يوافقك فكانك لم تسمع شيا او اسمع غير مسمع كلاما ترضاه فسمعك عنه ناب ويجوز على هذا ان يكون غير مسمع مفعول اسمع اى اسمع كلاما غير مسمع اياك لان اذنك لا تعيه نبوا عنه ويحتمل المدح اى اسمع غير مسمع مكروها من قولك اسمع فلان فلانا اذا سبه وكذلك قولهم (راعنا) يحتمل راعنا نكلمك اى ارقبنا وانتظرنا ويحتمل شبه كلمة عبرانية او سريانية كانوا يتسابون بها وهي راعينا فكانوا سخرية بالدين وهزؤا برسول الله صلى الله عليه وسلم يكلمونه بكلام محتمل ينوون به الشتيمة والاهانة ويظهرون به التوقير والاكرام (ليا بألسنتهم) فتلا بها وتحريفا اى يفتلون بألسنتهم الحق الى الباطل حيث يضعون راعنا موضع انظرنا وغير مسمع موضع لا اسمعت مكروها او يفتلون بألسنتهم ما يضمرونه من الشتم الى ما يظهرونه من التوقير نفاقا (فان قلت) كيف جاؤا بالقول المحتمل ذى الوجهين بعد ما صرحوا وقالوا سمعنا وعصينا (قلت) جميع الكفرة كانوا يواجهونه بالكفر والعصيان ولا يواجهونه بالسب ودعاء السوء ويجوز ان يقولوه فيما بينهم ويجوز ان لا ينطقوا بذلك ولكنهم لما لم يؤمنوا جعلوا كانهم نطقوا به * وقرأ أبي وأنظرنا من الانظار وهو الامهال (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله (لكان خيرا لهم) (قلت) الى انهم قالوا لان المعنى ولو ثبت قولهم سمعنا واطعنا لكان قولهم ذلك خيرا لهم (واقوم) واعدل واسد (ولكن لعنهم الله بكفرهم) اى خذلهم بسبب كفرهم وابعدهم عن ألطافه (فلا يؤمنون الا) ايمانا (قليلا) اى ضعيفا ركيكا لا يعبأ به وهو ايمانهم بمن خلقهم مع كفرهم بغيره واراد بالقلة العدم كقوله

* قليل التشكي للمهم يصيبه * اى عديم التشكي او الا قليلا منهم قد آمنوا (ان نطمس وجوها) اى نمحو تخطيط صورها من عين وحاجب وانف وفم (فنردها على ادبارها) فنجعلها على هيئة ادبارها وهي الاقفاء مطموسة مثلها والفاء للتسبيب وان جعلتها للتعقيب على انهم توعدوا بعقابين احدهما عقيب الآخر ردها على ادبارها بعد طمسها فالمعنى ان نطمس وجوها فننكسها الوجوه الى خلف والاقفاء الى قدام ووجه آخر وهو أن يراد بالطمس القلب والتغيير كما طمس اموال القبط فقلبها حجارة وبالوجوه رؤسهم ووجهاؤهم اى من قبل ان نغير احوال وجهائهم فنسلبهم اقبالهم ووجاهتهم ونكسوهم صغارهم وادبارهم او نردهم الى حيث جاؤا منه وهي اذرعات الشام يريد اجلاء بنى النضير * (فان قلت) لمن الراجع في قوله أو نلعنهم (قلت) للوجوه ان اريد الوجهاء أو لاصحاب الوجوه لان المعنى من قبل ان نطمس وجوه قوم أو يرجع الى الذين اوتوا الكتاب على

على الهزىء والسخرية لما عظم امره فلذلك جاء هنا يحرفون الكلم عن مواضعه غير مقرون بما قرن به الاول من صورة التاسف والله اعلم

* قوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء (قال محمود ان قلت قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه الخ) قال احمد رحمه الله عقيدة اهل السنة ان الشرك غير مغفور البتة وما دونه من الكبائر مغفور لمن يشاء الله ان يغفر له هذا مع عدم التوبة واما مع التوبة فكلاهما مغفور والآية انما وردت فيمن لم يتب ولم يذكر فيها توبة كما ترى فلذلك اطلق الله تعالى نفى مغفرة الشرك وأثبت مغفرة مادونه مقرونة بالمشيئة كما ترى فهذا اوجه انطباق الآية على عقيدة اهل السنة واما القدرية فانهم يظنون التسوية بين الشرك وبين مادونه من الكبائر فى ان كل واحد

من النوعين لا يغفر بدون التوبة ولا شاء الله ان يغفرهما الا للتائبين فاذا عرض الزمخشري هذا المعتقد على هذه الآية ردته ونبت عنه اذ المغفرة منفية فيها عن الشرك وثابتة لما دونه مقرونة بالمشيئة فاما ان يكون المراد فيهما من لم يتب فلا وجه للتفصيل بينهما بتعليق المغفرة فى احدهما بالمشيئة وتعليقها بالآخر مطلقا اذهما سيان فى استحالة المغفرة واما ان يكون المراد فيهما التائب فقد قال فى الشرك انه لا يغفر والتائب من الشرك مغفور له وعند ذلك اخذ الزمخشري يقطع احدهما عن الآخر فيجعل المراد مع الشرك عدم التوبة ومع الكبائر التوبة حتى تنزل الآية على وفق معتقده فيحملها امرين لا تحمل واحدا منهما

* احدهما اضافة التوبة الى المشيئة وهي غير مذكورة ولا دليل عليها فيما ذكروا يضا لو كانت مرادة لكانت هي السبب الموجب للمغفرة على زعمهم عقلا ولا يمكن تعلق المشيئة بخلافها على ظنهم فى العقل فكيف يليق السكوت عن ذكر ما هو العمدة والموجب وذكر مالا مدخل له على هذا المعتقد الردىء * الثانى انه بعد تقريره التوبة احتكم فقدرها على احد القسمين دون الآخر وما هذا الا من جعل القرآن تبعا للرأى نعوذ بالله من ذلك واما القدرية فهم بهذا المعتقد يقع عليهم المثل السائر السيد يعطي والعبد يمنع لان الله تعالى يصرح كرمه بالمغفرة للمصر على الكبائر ان شاء وهم يدفعون فى وجه هذا التصريح ويحيلون المغفرة بناء على قاعدة الاصلح والصلاح التى هى بالفساد اجدر واحق

طريقة الالتفات (أو نلعنهم) أو نجزيهم بالمسخ كما مسخنا اصحاب السبت (فان قلت) فاين وقوع الوعيد (قلت) هو مشروط بالايمان وقد آمن منهم ناس وقيل هو منتظر ولا بد من طمس ومسخ لليهود قبل يوم القيامة ولان الله عز وجل اوعدهم باحد الامرين بطمس وجوه منهم أو بلعنهم فان كان الطمس تبديل احوال رؤسائهم أو اجلاءهم الى الشام فقد كان احد الامرين وان كان غيره فقد حصل اللعن فانهم ملعونون بكل لسان والظاهر اللعن المتعارف دون المسخ ألا ترى الى قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير (وكان امر الله مفعولا) فلا بد ان يقع أحد الامرين ان لم يؤمنوا * (فان قلت) قد ثبت ان الله عز وجل يغفر الشرك لمن تاب منه وأنه لا يغفر مادون الشرك من الكبائر الا بالتوبة فما وجه قوله تعالى (ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء) (قلت) الوجه ان يكون الفعل المنفى والمثبت جميعا موجهين الى قوله تعالى لمن يشاء كانه قيل ان الله لا يغفر لمن يشاء الشرك ويغفر لمن يشاء مادون الشرك على ان المراد بالاول من لم يتب وبالثانى من تاب ونظيره قولك ان الامير لا يبذل الدينار ويبذل القنطار لمن يشاء تريد لا يبذل الدينار لمن لا يستأهله ويبذل القنطار لمن يستأهله (فقد افترى اثما) اى ارتكبه وهو مفتر مفتعل مالا يصح كونه (الذين يزكون انفسهم) اليهود والنصارى قالوا نحن ابناء الله وأحباؤه وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا او نصارى وقيل جاء رجال من اليهود الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باطفالهم فقالوا هل على هؤلاء ذنب قال لا قالوا والله ما نحن الا كهيئتهم ما عملناه بالنهار كفر عنا بالليل وما عملناه بالليل كفر عنا بالنهار فنزلت ويدخل فيها كل من زكى نفسه ووصفها بزكاء العمل وزيادة الطاعة والتقوى والزلفى عند الله (فان قلت) اما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله انى لامين فى السماء امين فى الارض (قلت) انما قال ذلك حين قال له المنافقون اعدل فى القسمة اكذابا لهم اذ وصفوه بخلاف ما وصفه به ربه وشتان من شهد الله له بالتزكية ومن شهد لنفسه او شهد له من لا يعلم (بل الله يزكى من يشاء) اعلام بان تزكية الله هي التي يعتد بها لا تزكية غيره لانه هو العالم بمن هو اهل للتزكية ومعنى يزكى من يشاء يزكى المرتضين من عباده الذين عرف منهم الزكاء فوصفهم به (ولا يظلمون فتيلا) اى الذين يزكون انفسهم يعاقبون على تزكيتهم انفسهم حق جزائهم او من يشاء يثابون على زكائهم ولا ينقص من ثوابهم ونحوه فلا تزكوا انفسكم هو اعلم بمن اتقى (كيف يفترون على الله الكذب) فى زعمهم انهم عند الله ازكياء (وكفى) بزعمهم هذا (اثما مبينا) من بين سائر آثامهم * الجبت الاصنام وكل ما عبد من دون الله والطاغوت الشيطان وذلك ان حيي بن اخطب وكعب بن الاشرف اليهوديين خرجا الى مكة مع جماعة من اليهود يحالفون قريشا على محاربة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا انتم اهل كتاب وانتم اقرب الى محمد منكم

او نلعنهم كما لعنا اصحاب السبت وكان امر الله مفعولا ان الله لا يغفر ان يشرك به و يغفر مادون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما الم تر الى الذين يزكون انفسهم بل الله يزكى من يشاء ولا يظلمون فتيلا انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به اثما مبينا الم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون

الينا

الينا فلا نامن مكركم فاسجدوا لآلهتنا حتى نطمئن اليكم ففعلوا فهذا ايمانهم (بالجبت والطاغوت) لانهم سجدوا للاصنام وأطاعوا ابليس فيما فعلوا وقال ابو سفيان انحن اهدى سبيلا ام محمد فقال كعب ماذا يقول محمد قالوا يامر بعبادة الله وحده وينهى عن الشرك قال وما دينكم قالوا نحن ولاة البيت ونسقي الحاج ونقري الضيف ونفك العاني وذكروا افعالهم فقال انتم اهدى سبيلا * وصف اليهود بالبخل والحسد وهما شر خصلتين يمنعون ما اوتوا من النعمة ويتمنون ان تكون لهم نعمة غيرهم فقال (ام لهم نصيب من الملك) على ان ام منقطعة ومعنى الهمزة لانكار ان يكون لهم نصيب من الملك ثم قال (فاذا لا يؤتون) اى لو كان لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون احدا مقدار نقير لفرط بخلهم * والنقير النقرة في ظهر النواة وهو مثل في القلة كالفتيل والقطمير والمراد بالملك اما ملك اهل الدنيا واما ملك الله كقوله تعالى قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وهذا اوصف لهم بالشح واحسن لطباقه نظيره من القرآن ويجوز ان يكون معنى الهمزة في ام لانكار انهم قد اوتوا نصيبا من الملك وكانوا اصحاب اموال وبساتين وقصور مشيدة كما تكون احوال الملوك وانهم لا يؤتون احدا مما يملكون شيأ * وقرأ ابن مسعود فاذا لا يؤتوا على اعمال اذا عملها الذي هو النصب وهي ملغاة في قراءة العامة كانه قيل فلا يؤتون الناس نقيرا اذا (ام يحسدون الناس) بل ايحسدون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على انكار الحسد واستقباحه وكانوا يحسدونهم على ما آتاهم الله من النصرة والغلبة وازدياد العز والتقدم كل يوم (فقد آتينا) الزام لهم بما عرفوه من ايتاء الله الكتاب والحكمة (آل ابراهيم) الذين هم اسلاف محمد صلى الله عليه وسلم وانه ليس ببدع ان يؤتيه الله مثل ما آتى أسلافه وعن ابن عباس الملك في آل ابراهيم ملك يوسف وداود وسليمان وقيل استكثروا نساءه فقيل لهم كيف استكثرتم له التسع وقد كان لداود مائة ولسليمان ثلثمائة مهيرة وسبعمائة سرية (فمنهم) فمن اليهود (من آمن به) اى بما ذكر من حديث آل ابراهيم (ومنهم من صد عنه) وانكره مع علمه بصحته او من اليهود من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم ومنهم من انكر نبوته او من آل ابراهيم من آمن بابراهيم ومنهم من كفر كقوله فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون (بدلناهم جلودا غيرها) ابدلناهم اياها (فان قلت) كيف تعذب مكان الجلود العاصية جلود لم تعص (قلت) العذاب للجملة الحساسة وهي التي عصت لا للجلد وعن فضيل يجعل النضيج غير نضيج وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم تبدل جلودهم كل يوم سبع مرات وعن الحسن سبعين مرة يبدلون جلودا بيضا كالقراطيس (ليذوقوا العذاب) ليدوم لهم ذوقه ولا ينقطع كقولك للعزيز اعزك الله اى ادامك على عزك وزادك فيه (عزيزا) لا يمتنع عليه شيء مما يريده بالمجرمين (حكيما) لا يعذب الا بعدل من يستحقه (ظليلا) صفة مشتقة من لفظ الظل لتاكيد معناه كما يقال ليل أليل ويوم أيوم وما اشبه ذلك وهو ما كان فينانا لا جوب فيه ودائما لا تنسخه الشمس وسجسجا لا حر فيه ولا برد وليس ذلك الا ظل الجنة رزقنا الله بتوفيقه ما يزلف اليه التفيؤ تحت ذلك الظل * وفي قراءة عبد الله سيدخلهم بالياء (ان تؤدوا الامانات) الخطاب عام لكل احد في كل امانة وقيل نزلت في عثمان بن طلحة بن عبد الدار وكان سادن الكعبة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين دخل مكة يوم الفتح اغلق عثمان باب الكعبة وصعد السطح وابى ان يدفع المفتاح اليه وقال لو علمت انه رسول الله لم امنعه فلوى علي بن ابي طالب رضي الله عنه يده واخذه منه وفتح ودخل رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى ركعتين فلما خرج سأله العباس ان يعطيه المفتاح ويجمع له السقاية والسدانة فنزلت فامر عليا ان يرده الى عثمان ويعتذر اليه فقال عثمان لعلي أكرهت وآذيت ثم جئت ترفق فقال لقد انزل الله في شانك قرآنا وقرأ عليه الآية فقال عثمان اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فهبط جبريل واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان السدانة في اولاد عثمان ابدا وقيل هو خطاب للولاة باداء الامانات * والحكم بالعدل وقرئ الامانة على التوحيد (نعما يعظكم به) ما اما ان تكون منصوبة موصوفة بيعظكم به واما ان تكون مرفوعة موصولة به كانه قيل نعم شيأ يعظكم به او نعم الشيء الذي يعظكم به والمخصوص بالمدح محذوف اى

بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا اولئك الذين لعنهم الله ومن يلعن الله فلن تجد له نصيرا أم لهم نصيب من الملك فاذا لا يؤتون الناس نقيرا ام يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل ابراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكا عظيما فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه وكفى بجهنم سعيرا ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم نارا كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ان الله كان عزيزا حكيما والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا لهم فيها ازواج مطهرة وندخلهم ظلا ظليلا ان الله يأمركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها واذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ان الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم

نعما يعظكم به ذالك وهو المأمور به من أداء الامانات والعدل في الحكم وقرئ نعما بفتح النون * لما امر الولاة
باداء الامانات الى اهلها وان يحكموا بالعدل امر الناس بان يطيعوهم وينزلوا على قضاياهم والمراد باولى الامر
منكم أمراء الحق لان أمراء الجور الله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على الله ورسوله في وجوب الطاعة لهم
وانما يجمع بين الله ورسوله والامراء الموافقين لهما في ايثار العدل واختيار الحق والامر بهما والنهى عن
اضدادهما كالخلفاء الراشدين ومن تبعهم باحسان وكان الخلفاء يقولون أطيعوني ما عدلت فيكم فان خالفت
فلا طاعة لى عليكم وعن ابى حازم ان مسلمة بن عبد الملك قال له ألستم امرتم بطاعتنا في قوله وأولى الامر منكم
قال أليس قد نزعت عنكم اذا خالفتم الحق بقوله فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول وقيل هم امراء
السرايا وعن النبي صلى الله عليه وسلم من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن يطع اميرى
فقد أطاعني ومن يعص أميرى فقد عصاني وقيل هم العلماء الدينون الذين يعلمون الناس الدين ويامرونهم
بالمعروف وينهونهم عن المنكر (فان تنازعتم في شيء) فان اختلفتم أنتم واولوا الامر منكم في شيء من أمور
الدين * فردوه الى الله ورسوله اى ارجعوا فيه الى الكتاب والسنة وكيف تلزم طاعة أمراء الجور وقد
جنح الله الامر بطاعة اولى الامر بما لا يبقى معه شك وهو ان امرهم اولا بأداء الامانات وبالعدل في الحكم
وأمرهم آخرا بالرجوع الى الكتاب والسنة فيما أشكل وأمراء الجور لا يؤدون أمانة ولا يحكمون بعدل ولا يردون
شيا الى كتاب ولا الى سنة انما يتبعون شهواتهم حيث ذهبت بهم فهم منسلخون عن صفات الذين هم اولوا الامر
عند الله ورسوله وأحق أسمائهم اللصوص المتغلبة (ذلك) اشارة الى الرد أى الرد الى الكتاب والسنة (خير)
لكم وأصلح (وأحسن تاويلا) وأحسن عاقبة وقيل أحسن تاويلا من تاويلكم أنتم * روى ان بشرا المنافق
خاصم يهوديا فدعاه اليهودى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاه المنافق الى كعب بن الاشرف ثم انهما
احتكما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقضى لليهودى فلم يرض المنافق وقال تعال نتحاكم الى عمر بن
الخطاب فقال اليهودى لعمر قضى لنا رسول الله فلم يرض بقضائه فقال للمنافق اكذلك قال نعم فقال عمر
مكانكما حتى أخرج اليكما فدخل عمر فاشتمل على سيفه ثم خرج فضرب به عنق المنافق حتى برد ثم قال هكذا
أقضى لمن لم يرض بقضاء الله ورسوله فنزلت وقال جبريل ان عمر فرق بين الحق والباطل فقال له رسول الله
صلى الله عليه وسلم انت الفاروق * والطاغوت كعب بن الاشرف سماه الله طاغوتا لافراطه في الطغيان وعداوة
رسول الله صلى الله عليه وسلم او على التشبيه بالشيطان والتسمية باسمه او جعل اختيار التحاكم الى غير رسول
الله صلى الله عليه وسلم على التحاكم اليه تحاكما الى الشيطان بدليل قوله (وقد امروا ان يكفروا به ويريد
الشيطان ان يضلهم) * وقرئ بما انزل وما أنزل على البناء للفاعل * وقرأ عباس بن الفضل ان يكفروا بهن ذهابا
بالطاغوت الى الجمع كقوله اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم * وقرأ الحسن تعالوا بضم اللام على انه حذف
اللام من تعاليت تخفيفا كما قالوا ما باليت به بالة وأصلها بالية كعافية وكما قال الكسائى في آية ان أصلها آيية
فاعلة فحذفت اللام فلما حذفت وقعت واو الجمع بعد اللام من تعال فضمت فصار تعالوا نحو تقدموا ومنه قول
اهل مكة تعالى بكسر اللام للمرأة وفي شعر الحمدانى * تعالى أقاسمك الهموم تعالى * والوجه فتح اللام (فكيف)
يكون حالهم وكيف يصنعون يعنى انهم يعجزون عند ذلك فلا يصدرون امرا ولا يوردونه (اذا أصابتهم
مصيبة بما قدمت أيديهم) من التحاكم الى غيرك واتهامهم لك في الحكم (ثم جاؤك) حين يصابون فيعتذرون
اليك (ويحلفون) ما أردنا بتحاكمنا الى غيرك (الا احسانا) لا اساءة (وتوفيقا) بين الخصمين ولم نرد مخالفة
لك ولا تسخطا لحكمك ففرج عنا بدعائك وهذا وعيد لهم على فعلهم وانهم سيندمون عليه حين لا ينفعهم الندم
ولا يغنى عنهم الاعتذار عند حلول باس الله وقيل جاء اولياء المنافق يطلبون بدمه وقد أهدره الله فقالوا ما اردنا
بالتحاكم الى عمر الا ان يحسن الى صاحبنا بحكومة العدل والتوفيق بينه وبين خصمه وما خطر ببالنا انه يحكم
له بما حكم به (فاعرض عنهم) لا تعاقبهم لمصلحة في استبقائهم ولا تزد على كفهم بالموعظة والنصيحة

فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تاويلا ألم تر الى الذين يزعمون انهم آمنوا بما انزل اليك وما انزل من قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به ويريد الشيطان ان يضلهم ضلالا بعيدا واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول رأيت المنافقين يصدون عنك صدودا فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا اولئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم فاعرض عنهم وعظهم

*قوله تعالى فاعرض عنهم وعظهم وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا (قال محمود ان قلت بم تعلق قوله فى انفسهم الخ) قال احمد ولكل من هذه التاويلات شاهد على الصحة اما الاول فلان حاصله امره بتهديدهم على وجه مبلغ صميم قلوبهم وسياق التهديد فى قوله فكيف اذا أصابتهم مصيبة بما قدمت ايديهم ثم جاؤك يشهد له فانه اخبر بما سيقع لهم على سبيل التهديد واما الثانى فيلائمه من السياق قوله اولئك الذين يعلم الله ما فى قلوبهم يعنى ما انطوت عليه من الخبث والمكر والحيل ثم امره بوعظهم والاعراض عن جرائمهم حتى لا يكون مؤاخذتهم بها مانعة من نصحهم ووعظهم ثم جاء قوله وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا كالشرح للوعظ ولذكراهم ما يعظهم فيه وتلك نفوسهم التى علم الله ما انطوت عليه من المذام وعلى هذا يكون المراد الوعظ وما يتعلق به واما الثالث فيشهد له سيرته عليه الصلاة والسلام فى كتم عناد المنافقين والتجافى عن افصاحهم والستر عليهم حتى عد حذيفة رضى الله عنه صاحب سره عليه الصلاة والسلام لتخصيصه اياه بالاطلاع على اعيانهم وتسميتهم له باسمائهم واخباره فى هذا المعنى كثيرة * قوله تعالى ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول الآية (قال محمود وانما لم يقل واستغفرت لهم لانه عدل به الخ) قال احمد وفى هذا النوع من الالتفات خصوصية وهي اشتماله على ذكر صفة مناسبة لما أضيف اليه وذلك زائد على الالتفات بذكر الاعلام الجامدة والله الموفق * قوله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم (قال معناه فوربك ولا مزيدة لتاكيد الخ) قال احمد يشير الى ان لا لما زيدت مع القسم وان لم يكن المقسم به دل ذلك على انها انما تدخل فيه لتاكيد القسم فاذا دخلت حيث يكون المقسم عليه نفيا تعين جعلها لتاكيد القسم طردا للباب والظاهر عنده والله اعلم انها هنا لتوطئة النفى المقسم عليه والزمخشرى لم يذكر ما نعا من ذلك وحاصل ما ذكره مجيئها لغير هذا المعنى فى الاثبات وذلك لا يابى مجيئها فى النفى على الوجه الآخر من التوطئة على ان فى دخولها على القسم المثبت نظرا وذلك انها لم ترد فى الكتاب العزيز الا مع القسم حيث يكون بالفعل مثل لا اقسم بهذا البلد لا أقسم بيوم القيامة فلا اقسم بالخنس فلا اقسم بمواقع النجوم فلا اقسم بما تبصرون وما لا تبصرون ولم تدخل ايضا الا على القسم بغير الله تعالى ولذلك سر يابى كونها فى آية النساء لتاكيد القسم ويعين كونها للتوطئة وذلك ان المراد بها فى جميع الآيات التى عددناها تاكيد تعظيم المقسم به اذ لا يقسم بالشىء الا اعظاما له فكانه بدخولها يقول ان اعظامى لهذه الاشياء بالقسم بها كلا اعظام يعنى انها تستوجب من التعظيم فوق ذلك وهذا التاكيد انما يؤتى به رفعا لتوهم كون هذه الاشياء غير مستحقة للتعظيم والاقسام بها فيزاح هذا الوهم بالتاكيد فى ابراز فعل القسم مؤكدا بالنفى المذكور وقد قرر الزمخشرى هذا المعنى فى دخول لا عند قوله لا اقسم بيوم القيامة على وجه مجمل هذا بسطه وايضاحه فاذا بين ذلك فهذا الوهم الذى يراد ازاحته فى القسم بغير الله مندفع فى الاقسام بالله فلا يحتاج الى دخول لا موكدة للقسم فيتعين حملها على الموطئة ولا تكاد تجدها فى غير الكتاب العزيز داخلة على قسم مثبت واما دخولها فى القسم وجوابه نفى فكثير مثل فلا وأبيك ابنة العامرى * لا يدعي القوم انى أفر وكقوله الا نادت امامة باحتمال * لتحزننى فلا بك ما ابالى وقوله رأى برقا فاوضع فوق بكر * فلا بك ما اسال ولا اقاما وقوله فخالف فلا والله تهبط تلعة * من الارض الا انت للذل عارف وهو اكثر من ان يحصى فتامل هذا الفصل فانه حقيق بالتامل

وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا وما ارسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله ولو انهم اذ ظلموا انفسهم جاؤك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله توابا رحيما فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك

عماهم عليه (وقل لهم فى انفسهم قولا بليغا) بالغ فى وعظهم بالتخويف والانذار (فان قلت) بم تعلق قوله فى انفسهم (قلت) بقوله بليغا اى قل لهم قولا بليغا فى انفسهم مؤثرا فى قلوبهم يغتمون به اغتماما ويستشعرون منه الخوف استشعارا وهو التوعد بالقتل والاستئصال ان نجم منهم النفاق وأطلع قرنه واخبرهم ان ما فى نفوسهم من الدغل والنفاق معلوم عند الله وانه لا فرق بينكم وبين المشركين وما هذه المكافة الا لاظهاركم الايمان واسراركم الكفر واضماره فان فعلتم ما تكشفون به غطاءكم لم يبق الا السيف او يتعلق بقوله قل لهم اى قل لهم فى معنى انفسهم الخبيثة وقلوبهم المطوية على النفاق قولا بليغا وان الله يعلم ما فى قلوبكم لا يخفى عليه فلا يغنى عنكم ابطانه فاصلحوا أنفسكم وطهروا قلوبكم وداووها من مرض النفاق والا انزل الله بكم ما انزل بالمجاهرين بالشرك من انتقامه وشرا من ذلك واغلظ او قل لهم فى انفسهم خاليا بهم ليس معهم غيرهم مسارا لهم بالنصيحة لانها فى السر أنجع وفى الامحاض ادخل قولا بليغا يبلغ منهم ويؤثر فيهم (وما ارسلنا من رسول) وما ارسلنا رسولا قط (الا ليطاع باذن الله) بسبب اذن الله فى طاعته وبانه امر المبعوث اليهم بان يطيعوه ويتبعوه لانه مؤد عن الله فطاعته طاعة الله ومعصيته معصية الله ومن يطع الرسول فقد اطاع الله ويجوز ان يراد بتيسير الله وتوفيقه فى طاعته (ولو انهم اذ ظلموا انفسهم) بالتحاكم الى الطاغوت (جاؤك) تائبين من النفاق متنصلين عما ارتكبوا (فاستغفروا الله) من ذلك بالاخلاص وبالغوا فى الاعتذار اليك من ايذائك برد قضائك حتى انتصبت شفيعا لهم الى الله ومستغفرا (لوجدوا الله توابا) لعلموه توابا اى لتاب عليهم ولم يقل واستغفرت لهم وعدل عنه الى طريقة الالتفات تفخيما لشان رسول الله صلى الله عليه وسلم وتعظيما لاستغفاره وتنبيها على ان شفاعة من اسمه الرسول من الله بمكان فلا وربك معناه فوربك كقوله تعالى فوربك لنسألنهم ولا مزيدة لتاكيد معنى القسم كما زيدت فى لئلا يعلم لتاكيد وجوب العلم و(لا يؤمنون) جواب القسم

(فان قلت) هلا زعمت انها زيدت لتظاهر لا في لا يؤمنون (قلت) يابى ذلك استواء النفي والاثبات فيه وذلك
قوله فلا اقسم بما تبصرون ومالا تبصرون انه لقول رسول كريم (فيما شجر بينهم) فيما اختلف بينهم واختلط
ومنه الشجر لتداخل اغصانه (حرجا) ضيقا اي لا تضيق صدورهم من حكمك وقيل شكا لان الشاك في ضيق
من امره حتى يلوح له اليقين (ويسلموا) وينقادوا ويذعنوا لما تاتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء من قولك
سلم لامر الله واسلم له وحقيقة سلم نفسه له واسلمها اذا جعلها سالمة له خالصة و(تسليما) تاكيد للفعل بمنزلة
تكريره كانه قيل وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم قيل نزلت في شان المنافق واليهودي
وقيل في شان الزبير وحاطب بن ابي بلتعة وذلك انهما اختصما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في شراج من
الحرة كانا يسقيان بها النخل فقال اسق يا زبير ثم ارسل الماء الى جارك فغضب حاطب وقال لان كان ابن
عمتك فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع الى الجدر واستوف
حقك ثم ارسله الى جارك كان قد اشار على الزبير براي فيه السعة له ولخصمه فلما احفظ رسول الله ﷺ استوعب
للزبير حقه في صريح الحكم ثم خرجا فمرا على المقداد فقال لمن كان القضاء فقال الانصاري قضى لابن
عمته ولوى شدقه ففطن يهودي كان مع المقداد فقال قاتل الله هؤلاء يشهدون انه رسول الله ثم يتهمونه في
قضاء يقضي بينهم وايم الله لقد اذنبنا ذنبا مرة في حياة موسى فدعانا الى التوبة منه وقال اقتلوا انفسكم ففعلنا
فبلغ قتلانا سبعين الفا في طاعة ربنا حتى رضي عنا فقال ثابت بن قيس بن شماس اما والله ان الله ليعلم مني
الصدق لو امرني محمد ان اقتل نفسي لقتلتها وروي انه قال ذلك ثابت وابن مسعود وعمار بن ياسر فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ان من امتي رجالا الايمان اثبت في قلوبهم من الجبال الرواسي وروي
عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال والله لو امرنا ربنا لفعلنا والحمد لله الذي لم يفعل بنا ذلك فنزلت الآية في
شان حاطب ونزلت في شان هؤلاء (ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم) اي لو اوجبنا عليهم مثل ما اوجبنا على
بني اسرائيل من قتلهم انفسهم او خروجهم من ديارهم حين استتيبوا من عبادة العجل (ما فعلوه الا) ناس (قليل
منهم) وهذا توبيخ عظيم والرفع على البدل من الواو في فعلوه * وقرئ الا قليلا بالنصب على اصل الاستثناء او
على الا فعلا قليلا (ما يوعظون به) من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته والانقياد لما يراه ويحكم به
لانه الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى (لكان خيرا لهم) في عاجلهم وآجلهم (واشد تثبيتا)
لايمانهم وابعد من الاضطراب فيه (واذا) جواب السؤال المقدر كانه قيل وماذا يكون لهم ايضا بعد التثبيت
فقيل واذا لو ثبتوا (لآتيناهم) لان اذا جواب وجزاء (من لدنا اجرا عظيما) كقوله ويؤت من لدنه اجرا عظيما
في ان المراد العطاء المتفضل به من عنده وتسميته اجرا لانه تابع للاجر لا يثبت الا بثباته (ولهديناهم) ولطفنا
بهم ووفقناهم لازدياد الخيرات * الصديقون افاضل صحابة الانبياء الذين تقدموا في تصديقهم كابي بكر
الصديق رضي الله عنه وصدقوا في اقوالهم وافعالهم وهذا ترغيب للمؤمنين في الطاعة حيث وعدوا مرافقة
اقرب عباد الله الى الله وارفعهم درجات عنده (وحسن اولئك رفيقا) فيه معنى التعجب كانه قيل وما احسن
اولئك رفيقا ولاستقلاله بمعنى التعجب قرئ وحسن بسكون السين يقول المتعجب حسن الوجه وجهك
وحسن الوجه وجهك بالفتح والضم مع التسكين والرفيق كالصديق والخليط في استواء الواحد والجمع فيه
ويجوز ان يكون مفردا بين به الجنس في باب التمييز وروي ان ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم كان
شديد الحب لرسول الله صلى الله عليه وسلم قليل الصبر عنه فاتاه يوما وقد تغير وجهه ونحل جسمه وعرف الحزن
في وجهه فساله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن حاله فقال يا رسول الله ما بي من وجع غير اني اذا لم اراك اشتقت
اليك واستوحشت وحشة شديدة حتى القاك فذكرت الآخرة فخفت ان لا اراك هناك لاني عرفت
انك ترفع مع النبيين وان ادخلت الجنة كنت في منزل دون منزلك وان لم ادخل فذاك حين لا اراك ابدا
فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى اكون احب اليه من نفسه

فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما ولو انا كتبنا عليهم ان اقتلوا انفسكم او اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم ولو انهم فعلوا ما يوعظون به لكان خيرا لهم واشد تثبيتا واذا لآتيناهم من لدنا اجرا عظيما ولهديناهم صراطا مستقيما ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا

*قوله تعالى فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الى قوله ذلك الفضل من الله (قال محمود والمعنى ان ما أعطى المطيعون من الاجر الخ) قال احمد عقيدة اهل السنة ان المطيع لا يستحق على الله بطاعته شيا وانه مهما أثيب به من دخول الجنة والنجاة من النار فذلك فضل من الله لا عن استحقاق ثابت فهم يقرون هذه الآية في رجائها واما القدرية فيزعمون ان المطيع يستوجب على الله ثواب الطاعة وان المقابل لطاعته من الثواب اجر مستحق كالاجرة على العمل في الشاهد ليس بفضل وانما الفضل ما يزاده العبد على حقه من انواع الثواب وصنوف الكرامة فلما وردت هذه الآية ناطقة بان جملة ما يناله عباد الله فضل من الله اضطر الزمخشري الى ردها الى معتقده فجعل الفضل المشار اليه هو الزيادة التابعة للثواب يعني المستحق ثم اتسع في التاويل فذكر وجها آخر وهو ان يكون المشار اليه مزايا هؤلاء المطيعين في طاعتهم وتميزهم باعمالهم وجعل معنى كونها فضلا من الله انه وفقهم لا كتسابها ومكنهم من ذلك لا غير يعني واما احداثها فبقدرهم وهذا من الطراز الاول والحق ان الكل ايضا فضل من الله بكل اعتبار لان معتقدنا معاشر اهل السنة ان الطاعات والاعمال التي يتميز بها هؤلاء الخواص

ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليما يا أيها الذين آمنوا خذوا حذركم فانفروا ثبات او انفروا جميعا وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم أكن معهم شهيدا ولئن أصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما فليقاتل فى سبيل الله الذين يشرون الحيوة الدنيا بالآخرة ومن يقاتل فى سبيل الله فيقتل او يغلب فسوف نؤتيه اجرا عظيما وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله

وابويه واهله وولده والناس أجمعين وحكي ذلك عن جماعة من الصحابة (ذلك) مبتدأ و(الفضل) صفته و(من الله) الخبر ويجوز ان يكون ذلك مبتدأ والفضل من الله خبره والمعنى ان ما اعطي المطيعون من الاجر العظيم وموافقة المنعم عليهم من الله لانه تفضل به عليهم تبعا لثوابهم (وكفى بالله عليما) بجزاء من اطاعه او اراد ان فضل المنعم عليهم ومزيتهم من الله لانهم اكتسبوه بتمكينه وتوفيقه وكفى بالله عليما بعباده فهو يوفقهم على حسب أحوالهم (خذوا حذركم) الحذر والحذر بمعنى كالاثر والاثر يقال اخذ حذره اذا تيقظ واحترز من المخوف كانه جعل الحذر آلته التي يقي بها نفسه ويعصم بها روحه والمعنى احذروا واحترزوا من العدو ولا تمكنوه من أنفسكم (فانفروا) اذا نفرتم الى العدو اما (ثبات) جماعات متفرقة سرية بعد سرية واما (جميعا) اى مجتمعين كوكبة واحدة ولا تتخاذلوا فتلقوا بانفسكم الى التهلكة *وقرئ فانفروا بضم الفاء *اللام فى (لمن) للابتداء بمنزلتها فى قوله ان الله لغفور وفى (ليبطئن) جواب قسم محذوف تقديره وان منكم لمن اقسم بالله ليبطئن والقسم وجوابه صلة من والضمير الراجع منها اليه ما استكن فى ليبطئن والخطاب لعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم والمبطئون منهم المنافقون لانهم كانوا يغزون معهم نفاقا ومعنى ليبطئن ليتثاقلن وليتخلفن عن الجهاد وبطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم اذا ابطأ وقرئ ليبطئن بالتخفيف يقال بطأ على فلان وابطأ على وبطؤ نحو ثقل ويقال ما بطأ بك فيعدى بالباء ويجوز ان يكون منقولا من بطؤ نحو ثقل من ثقل فيراد ليبطئن غيره وليثبطنه عن الغزو وكان هذا ديدن المنافق عبد الله بن أبي وهو الذي ثبط الناس يوم أحد (فان أصابتكم مصيبة) من قتل او هزيمة (فضل من الله) من فتح او غنيمة (ليقولن) وقرأ الحسن ليقولن بضم اللام اعادة للضمير الى معنى من لان قوله لمن ليبطئن في معنى الجماعة وقوله (كان لم تكن بينكم وبينه مودة) اعتراض بين الفعل الذي هو ليقولن وبين مفعوله وهو (ياليتني) والمعنى كان لم تتقدم له معكم موادة لان المنافقين كانوا يوادون المؤمنين ويصادقونهم في الظاهر وان كانوا يبغون لهم الغوائل في الباطن والظاهر أنه تهكم لانهم كانوا أعدى عدو للمؤمنين وأشدهم حسدا لهم فكيف يوصفون بالمودة الا على وجه العكس تهكما بحالهم * وقرئ فافوز بالرفع عطفا على كنت معهم لينتظم الكون معهم والفوز معنى التمني فيكونا متمنيين جميعا ويجوز ان يكون خبر مبتدا محذوف بمعنى فانا افوز فى ذلك الوقت (يشرون) بمعنى يشترون ويبيعون قال ابن مفرغ

خلق الله تعالى وفعله وان قدرهم لا تاثير لها في اعمالهم بل الله عزوجل يخلق على ايديهم الطاعات ويثيبهم عليها فالطاعة اذا من فضله وثوابها من فضله فله الفضل على كل حال والمنة فى الفاتحة والمآل وكفى بقول سيد البشر فى ذلك حجة وقدوة فقد قال عليه أفضل الصلاة والسلام لا يدخل احد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله ورحمته قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا اللهم اختم لنا باقتفاء السنة وادخلنا بفضلك المحض الجنة *قوله تعالى وان منكم لمن ليبطئن فان اصابتكم مصيبة قال قد انعم الله على اذ لم اكن معهم شهيدا ولئن اصابكم فضل من الله ليقولن كان لم تكن بينكم وبينه مودة ياليتني كنت معهم فافوز فوزا عظيما (قال محمود فيه المراد بالمصيبة القتل والهزيمة الخ) قال احمد وفى هذه القراءة نكتة غريبة وهى الاعادة الى لفظ من بعد الاعادة الى معناها وهو مستغرب انكر بعضهم وجوده فى الكتاب العزيز لما يلزم من الاجمال بعد البيان وهو خلاف قانون البلاغة اذ الاعادة الى لفظها ليس بمفصح عن معناها بل تناوله للمعنى مجمل مبهم فوقوعه بعد البيان عسر ومنهم من اثبته وعد موضعين وهذه الآية على هذه القراءة ثالث وسيأتي بيان شاف ان شاء الله تعالى

*قوله تعالى وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود يجوز ان يكون المستضعفين مجرورا الى قوله ومنصوبا الخ) قال احمد وفيه على هذا مبالغة فى الحث على خلاصهم من جهتين احداهما التخصيص بعد التعميم فانه يقتضي اضمار الناصب الذى هو اختص ولولا النصب لكان التخصيص معلوما من افراده بالذكر ولكن اكد هذا المعلوم بطريق اللزوم بان اخرجه الى النطق *قوله تعالى الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها (قال محمود ان قلت لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث الخ) قال احمد ووقفت على نكتة في هذه الآية حسنة وهي ان كل قرية ذكرت في الكتاب العزيز فالظلم اليها ينسب بطريق المجاز كقوله وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة الى قوله فكفرت بانعم الله وقوله وكم اهلكنا من قرية بطرت معيشتها واما هذه القرية فى سورة النساء فينسب الظلم الى اهلها على الحقيقة لان المراد بها مكة فوقرت عن نسبة الظلم اليها تشريفا لها شرفها الله تعالى *قوله تعالى يخشون الناس كخشية الله او اشد خشية (قال محمود قوله تعالى كخشية من اضافة المصدر الخ) قال احمد وقد مر نظير هذه الآية فى الاعراب وهو قوله تعالى فاذكروا الله كذكركم آباءكم او اشد ذكرا وقد قرأ الزمخشري ثم ما اذعن له هنا وهو الجر عطفا على الذكر وبينا ثم جوازه بالتاويل الذى ذكره الزمخشري ههنا وهو الحاقه بباب جد جده واصل هذا الاعراب لابي الفتح وقد بينت جواز الجر عطفا على الذكر من غير احتياج الى التاويل المذكور واجرى مثله ههنا وهو وجه

والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا اخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها واجعل لنا من لدنك وليا واجعل لنا من لدنك نصيرا الذين آمنوا يقاتلون فى سبيل الله والذين كفروا يقاتلون فى سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا ألم تر الى الذين قيل لهم كفوا أيديكم وأقيموا الصلاة وآتوا الزكوة فلما كتب عليهم القتال اذا فريق منهم يخشون الناس كخشية الله او أشد خشية وقالوا ربنا لم كتبت علينا القتال

وشريت بردا ليتني * من بعد برد كنت هامه

فالذين يشترون الحياة الدنيا بالآخرة هم المبطؤن وعظوا بأن يغيروا ما بهم من النفاق ويخلصوا الايمان بالله ورسوله ويجاهدوا فى سبيل الله حق الجهاد والذين يبيعون هم المؤمنون الذين يستحبون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها والمعنى ان صد الذين مرضت قلوبهم وضعفت نياتهم عن القتال فليقاتل الثابتون المخلصون * ووعد المقاتل في سبيل الله اى ظافرا او مظفورا به ايتاء الاجر العظيم على اجتهاده فى اعزاز دين الله (والمستضعفين) فيه وجهان ان يكون مجرورا عطفا على سبيل الله اى فى سبيل الله وفي خلاص المستضعفين ومنصوبا على الاختصاص يعنى واختص من سبيل الله خلاص المستضعفين لان سبيل الله عام فى كل خير وخلاص المستضعفين من المسلمين من ايدى الكفار من أعظم الخير وأخصه والمستضعفون هم الذين اسلموا بمكة وصدهم المشركون عن الهجرة فبقوا بين اظهرهم مستذلين مستضعفين يلقون منهم الاذى الشديد وكانوا يدعون الله بالخلاص ويستنصرونه فيسر الله لبعضهم الخروج الى المدينة وبقى بعضهم الى الفتح حتى جعل الله لهم من لدنه خير ولى وناصر وهو محمد صلى الله عليه وسلم فتولاهم أحسن التولى ونصرهم اقوى النصر ولما خرج استعمل على اهل مكة عتاب بن أسيد فرأوا منه الولاية والنصرة كما ارادوا قال ابن عباس كان ينصر الضعيف من القوى حتى كانوا اعز بها من الظلمة (فان قلت) لم ذكر الولدان (قلت) تسجيلا بافراط ظلمهم حيث بلغ اذاهم الولدان غير المكلفين ارغاما لآبائهم وامهاتهم ومبغضة لهم لمكانهم ولان المستضعفين كانوا يشركون صبيانهم فى دعائهم استنزالا لرحمة الله بدعاء صغارهم الذين لم يذنبوا كما فعل قوم يونس وكما وردت السنة باخراجهم فى الاستسقاء وعن ابن عباس كنت انا وأمى من المستضعفين من النساء والولدان ويجوز ان يراد بالرجال والنساء الاحرار والحرائر وبالولدان العبيد والاماء لان العبد والامة يقال لهما الوليد والوليدة وقيل للولدان والولائد الولدان لتغليب الذكور على الاناث كما يقال الآباء والاخوة *(فان قلت) لم ذكر الظالم وموصوفه مؤنث (قلت) هو وصف للقرية الا انه مسند الى اهلها فاعطي اعراب القرية لانه صفتها وذكر لاسناده الى الاهل كما تقول من هذه القرية التى ظلم اهلها ولو أنث فقيل الظالمة اهلها لجاز لا لتانيث الموصوف ولكن لان الاهل يذكر ويؤنث (فان قلت) هل يجوز من هذه القرية الظالمين اهلها (قلت) نعم كما تقول التى ظلموا اهلها على لغة من يقول اكلونى البراغيث ومنه واسروا النجوى الذين ظلموا * رغب الله المؤمنين ترغيبا وشجعهم تشجيعا باخبارهم انهم انما يقاتلون فى سبيل الله فهو وليهم وناصرهم واعداؤهم يقاتلون فى سبيل الشيطان فلا ولى لهم الا الشيطان وكيد الشيطان للمؤمنين الى جنب كيد الله للكافرين اضعف شيء واوهنه (كفوا ايديكم) اى كفوها عن القتال وذلك ان المسلمين كانوا مكفوفين عن مقاتلة الكفار ما داموا بمكة وكانوا يتمنون ان يؤذن لهم فيه (فلما كتب عليهم القتال) بالمدينة كع فريق منهم لا شكا فى الدين ولا رغبة عنه ولكن نفورا عن الاخطار بالارواح وخوفا من الموت (كخشية الله) من اضافة المصدر الى المفعول (فان قلت) ما محل كخشية الله من الاعراب (قلت) محله النصب على الحال من الضمير فى يخشون اى يخشون الناس مثل اهل خشية الله اى مشبهين لاهل خشية الله (او اشد خشية) بمعنى او اشد خشية من اهل خشية الله وأشد معطوف على الحال (فان قلت) لم عدلت عن الظاهر وهو كونه صفة للمصدر ولم تقدر يخشون خشية مثل خشية الله بمعنى مثل ما يخشى الله (قلت) ابى ذلك قوله او اشد

حسن استنبطته من كتاب سيبويه فان أصبت فمن الله وان أخطأت فمنى والله الموفق الذى ذكر سيبويه جواز قول القائل زيد أشجع الناس رجلا ثم قال سيبويه فرجل واقع على المبتدا ولك أن تجره فتقول زيد اشجع رجل وهو الاصل انتهى المقصود من كلام سيبويه واذا بنيت عليه جاز أن تقول خشى فلان اشد خشية فتنصب الخشية وأنت تريد المصدر كانك قلت خشى فلان خشية أشد خشية فتوقع خشية الثانية على الاولى وان نصبتها فهو كما قلت زيد أشجع رجلا فاوقعت رجلا على زيد وان كنت نصبته فهو على ان الاصل أن تقول أشد خشية فتجرها كما كان الاصل ان تقول زيد اشجع رجل فتجره وما منع الزمخشرى من النصب مع وقوعه على المصدر الا ان مقتضى النصب فى مثله خروج المنصوب عن الاول بخلاف المجرور ألا تراك تقول زيد اكرم ابا فيكون زيد من الأبناء وانت تفضل اباه وتقول زيد اكرم أب فيكون من الآباء وانت تفضله فلو ذهبت توقع اشد على الخشية الاولى وقد نصبت مميزها لزم خروج الثانى عن الاول وهو محال اذ لا تكون الخشية خشية فتحتاج الى التاويل المذكور وهو جعل الخشية الاولى خاشية حتى تخرجها عن المصدر المميز لها وقد بينا فى كلام سيبويه جواز النصب مع وقوع الثاني على الاول كما لو جررت فمثله يجوز فى الآية من غير تاويل والله اعلم وقد مضت وجوه من الاعراب فى آية البقرة يتعذر بعضها ههنا لمنافرة المعنى والله الموفق ومثل هذه الانواع من الاعراب منزل من العربية منزلة اللب الخالص فلا يوصل اليها الا بعد تجاوز جملة القشور وربك الفتاح العليم * قوله تعالى اينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة (قال محمود قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء الخ) قال احمد اما الوجه الذى ألحقه بتوجيه سيبويه فى الشعرين المذكورين ففيه نظر أما قوله ولا ناعب فمختار فان دخول الباء فى خبر ليس امر مطرد غالب والخبر وطن معروف لها فاذا قدرت فيه حيث تسقط روعي هذا التقدير فى المعطوف لما ذكرناه من الغلبة التى تقتضى الحاق دخولها بالاصل الواجب الذى يعتبر نطق به او سكت عنه واما تقدير اينما تكونوا فى معنى كلام آخر يرتفع معه قوله يدرككم فذلك تقدير لم يعهد له نظير ولم يغلب هذا المقدر فيلتحق بغلبة دخول الباء فى الخبر فلا يلزم من مراعاة ما يقتضيه غالب الاستعمال ومعهوده مراعاة مالم يسبق به عهد وأما البيت الآخر لزهير فالمنقول عن سيبويه حمله أو حمل مثله على التقديم والتاخير كقوله يا اقرع بن حابس يا اقرع * انك ان يصرع اخوك تصرع فليس من قبيل ولا ناعب والله الموفق وفى الوجه الاخير الذى ابداه الزمخشرى حجة واضحة على ان القتل فى المعارك والملاحم لا يعترض على الاجل المقدر بنقص وان كل مقتول فباجله مات لا كما يزعمه القدرية والله الموفق

لولا اخرتنا الى اجل قريب قل متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ولا تظلمون فتيلا أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك قل كل من عند الله فمال هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا

خشية لانه وما عطف عليه فى حكم واحد ولو قلت ايخشون الناس اشد خشية لم يكن الا حالا عن ضمير الفريق ولم ينتصب انتصاب المصدر لانك لا تقول خشى فلان اشد خشية فتنصب خشية وأنت تريد المصدر انما تقول أشد خشية فتجرها واذا نصبتها لم يكن اشد خشية الا عبارة عن الفاعل حالا منه اللهم الا أن تجعل الخشية خاشية وذات خشية على قولهم جد جده فتزعم ان معناه يخشون الناس خشية مثل خشية الله او خشية اشد خشية من خشية الله ويجوز على هذا أن يكون محل اشد مجرورا عطفا على خشية الله تريد كخشية الله أو كخشية أشد خشية منها (لولا أخرتنا الى اجل قريب) استزادة فى مدة الكف واستمهال الى وقت آخر كقوله لولا أخرتنى الى أجل قريب فأصدق (ولا تظلمون فتيلا) ولا تنقصون ادنى شيء من اجوركم على مشاق القتال فلا ترغبوا عنه وقرئ ولا يظلمون بالياء * قرئ يدرككم بالرفع وقيل هو على حذف الفاء كانه قيل فيدرككم الموت وشبه بقول القائل * من يفعل الحسنات الله يشكرها * ويجوز أن يقال حمل على ما يقع موقع أينما تكونوا وهو أينما كنتم كما حمل ولا ناعب على ما يقع موقع ليسوا مصلحين وهو ليسوا بمصلحين فرفع كما رفع زهير * يقول لا غائب مالى ولا حرم * وهو قول نحوى سيبوى ويجوز أن يتصل بقوله ولا تظلمون فتيلا أى ولا تنقصون شيئا مما كتب من آجالكم * اينما تكونوا فى ملاحم حروب أو غيرها ثم ابتدأ قوله يدرككم الموت ولو كنتم فى بروج مشيدة والوقف على هذا الوجه على اينما تكونوا * والبروج الحصون * مشيدة مرفعة وقرئ مشيدة من شاد القصر اذا رفعه أو طلاه بالشيد وهو الجص وقرأ نعيم بن ميسرة مشيدة بكسر الياء وصفا لها بفعل فاعلها مجازا كما قالوا قصيدة شاعرة وانما الشاعر قارضها * السيئة تقع على البلية والمعصية * والحسنة على النعمة والطاعة قال الله تعالى وبلوناهم بالحسنات والسيآت لعلهم يرجعون وقال ان الحسنات يذهبن السيآت والمعنى وان تصبهم نعمة من خصب ورخاء نسبوها الى الله وان تصبهم بلية من قحط وشدة اضافوها اليك وقالوا هى من عندك وما كانت الا بشؤمك كما حكى الله عن قوم موسى وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن قوم صالح قالوا اطيرنا بك وبمن معك وروى عن اليهود لعنت انها تشاءمت برسول الله ﷺ فقالوا منذ دخل المدينة نقصت ثمارها وغلت اسعارها فرد الله عليهم (قل كل من عند الله) يبسط الارزاق ويقبضها على حسب المصالح (لا يكادون يفقهون حديثا) فيعلموا ان الله هو الباسط القابض وكل ذلك صادر عن حكمة

* قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الآمن او الخوف اذاعوا به ولوردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الاقليلا (قال محمودهم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال الخ) قال احمدوفى اجتماع الهمزة والباء على التعدية نظر لانهما متعاقبتان وهو الذى اقتضى عند الزمخشرى قوله فى الوجه الثانى فعلوا الاذاعة ليخرجها عن الباء المعاقبة للهمزة ثم فى هذه الآية تاديب لمن يحدث بكل ما يسمع وكفى به كذبا وخصوصا عن مثل السرايا والمناصبين الاعداء والمقيمين فى نحو العدو وما أعظم المفسدة

ما اصابك من حسنة فمن الله وما اصابك من سيئة فمن نفسك وارسلناك للناس رسولا وكفى بالله شهيدا من يطع الرسول فقد اطاع الله ومن تولى فما ارسلناك عليهم حفيظا ويقولون طاعة فاذا برزوا من عندك بيت طائفة منهم غير الذى تقول والله يكتب ما يبيتون فاعرض عنهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا افلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا واذا جاءهم أمر من الامن او الخوف

وصواب ثم قال (ما اصابك) يا انسان خطابا عاما (من حسنة) أى من نعمة واحسان (فمن الله) تفضلا منه واحسانا وامتنانا وامتحانا (وما اصابك من سيئة) أى من بلية ومصيبة فمن عندك لانك السبب فيها بما اكتسبت يداك وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم ويعفو عن كثير وعن عائشة رضى الله عنها ما من مسلم يصيبه وصب ولا نصب حتى الشوكة يشاكها وحتى انقطاع شسع نعله الا بذنب وما يعفو الله اكثر (وارسلناك للناس رسولا) اى رسولا للناس جميعا لست برسول العرب وحدهم انت رسول العرب والعجم كقوله وما ارسلناك الا كافة للناس قل يا ايها الناس انى رسول الله اليكم جميعا (وكفى بالله شهيدا) على ذلك فما ينبغى لاحد ان يخرج عن طاعتك واتباعك (من يطع الرسول فقد اطاع الله) لانه لا يامر الا بما امر الله به ولا ينهى الا عما نهى الله عنه فكانت طاعته فى امتثال ما امر به والانتهاء عما نهى عنه طاعة لله وروى انه قال من احبنى فقد احب الله ومن اطاعنى فقد اطاع الله فقال المنافقون الا تسمعون الى ما يقول هذا الرجل لقد قارف الشرك وهو ينهى أن يعبد غير الله ما يريد هذا الرجل الا أن نتخذه ربا كما اتخذت النصارى عيسى فنزلت (ومن تولى) عن الطاعة فاعرض عنه (فما ارسلناك) الا نذيرا الا حفيظا ومهيمنا عليهم تحفظ عليهم اعمالهم وتحاسبهم عليها وتعاقبهم كقوله وما انت عليهم بوكيل (ويقولون) اذا امرتهم بشىء (طاعة) بالرفع اى أمرنا وشاننا طاعة ويجوز النصب بمعنى اطعناك طاعة وهذا من قول المرتسم سمعا وطاعة وسمع وطاعة ونحوه قول سيبويه وسمعنا بعض العرب الموثوق بهم يقال له كيف اصبحت فيقول حمد الله وثناء عليه كانه قال امرى وشانى حمد الله ولو نصب حمد الله وثناء عليه كان على الفعل والرفع يدل على ثبات الطاعة واستقرارها (بيت طائفة) زورت طائفة وسوت (غير الذى تقول) خلاف ما قلت وما امرت به او خلاف ما قالت وما ضمنت من الطاعة لانهم ابطنوا الرد لا القبول والعصيان لا الطاعة وانما ينافقون بما يقولون ويظهرون والتبييت اما من البيتوتة لانه قضاء الامر وتدبيره بالليل يقال هذا امر بيت بليل واما من ابيات الشعر لان الشاعر يدبرها ويسويها (والله يكتب ما يبيتون) يثبته فى صحائف اعمالهم ويجازيهم عليه على سبيل الوعيد أو يكتبه فى جملة ما يوحى اليك فيطلعك على اسرارهم فلا يحسبوا أن ابطانهم يغنى عنهم (فاعرض عنهم) ولا تحدث نفسك بالانتقام منهم (وتوكل على الله) فى شانهم فان الله يكفيك معرتهم وينتقم لك منهم اذا قوى أمر الاسلام وعز انصاره * وقرئ بيت طائفة بالادغام وتذكير الفعل لان تانيث الطائفة غير حقيقى ولانها فى معنى الفريق والفوج * تدبر الامر تامله والنظر فى ادباره وما يؤول اليه فى عاقبته ومنتهاه ثم استعمل فى كل تامل فمعنى تدبر القرآن تامل معانيه وتبصر ما فيه (لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) لكان الكثير منه مختلفا متناقضا قد تفاوت نظمه وبلاغته ومعانيه فكان بعضه بالغا حد الاعجاز وبعضه قاصرا عنه يمكن معارضته وبعضه اخبارا بغيب قد وافق المخبر عنه وبعضه اخبارا مخالفا للمخبر عنه وبعضه دالا على معنى صحيح عند علماء المعانى وبعضه دالا على معنى فاسد غير ملتئم فلما تجاوب كله بلاغة معجزة فائتة لقوى البلغاء وتناصر صحة معان وصدق اخبار علم انه ليس الا من عند قادر على ما لا يقدر عليه غيره عالم بما لا يعلمه احد سواه (فان قلت) أليس نحو قوله فاذا هى ثعبان مبين كانها جان فوربك لنسألنهم اجمعين فيومئذ لا يسئل عن ذنبه انس ولا جان من الاختلاف (قلت) ليس باختلاف عند المتدبرين * هم ناس من ضعفة المسلمين الذين لم تكن فيهم خبرة بالاحوال ولا استبطان للامور كانوا اذا بلغهم خبر عن سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمن وسلامة او خوف وخلل (اذاعوا به) وكانت اذاعتهم مفسدة ولو ردوا ذلك الخبر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى أولى الامر منهم وهم كبراء الصحابة البصراء بالامور او الذين كانوا يؤمرون منهم (لعلمه) لعلم تدبير ما أخبروا به (الذين يستنبطونه) الذين يستخرجون تدبيره بفطنهم وتجاربهم ومعرفتهم بامور الحرب ومكايدها

فى لهج العامة بكل ما يسمعون من اخبارهم خيرا او غيره ولقد جر بنا ذلك فى زماننا هذا منذ طرق العدو المخذول البلاد طهرها الله من دنسه وصانها عن رجسه ونجسه وعجل للمسلمين الفتح

وانزل عليهم السكينة والنصر * عادكلامه رقال ومعنى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ولولا ارسال الرسل وانزال الكتب الخ) قال احمد وفى تفسير الزمخشري هذا نظر وذلك انه جعل الاستثناء من الجملة التي وليها بناء على ظاهر الاعراب واغفل المعنى وذلك انه يلزم على ذلك جواز ان ينتقل الانسان من الكفر الى الايمان ومن اتباع الشيطان الى عصيانه وخزيه وليس لله عليه فى ذلك فضل ومعاذ الله ان يعتقد ذلك وبيان لزومه ان لولا حرف امتناع لوجود وقد انبأت امتناع اتباع المؤمنين للشيطان فاذا جعلت الاستثناء من الجملة الاخيرة فقد سلبت تأثير فضل الله فى امتناع الاتباع عن البعض المستثنى ضرورة وجعلت هؤلاء المستثنين مستبدين بالايمان وعصيان الشيطان الداعي الى الكفر بانفسهم لا بفضل الله ألا تراك اذا اعلمت لمن تذكره بحقك عليه لولا مساعدتي لك لسلبت اموالك الا قليلا كيف لم تجعل لمساعدتك اثرا فى بقاء القليل للمخاطب وانما منت عليه بتأثير مساعدتك فى بقاء أكثر ماله لا فى كله ومن المحال ان يعتقد موحد مسلم انه عصم فى شيء من الاشياء من اتباع الشيطان الا بفضل الله تعالى عليه أما قواعد اهل السنة فواضح ان كل ما يعد به العبد عاصيا للشيطان من ايمان وعمل خير

ومكايدها وقيل كانوا يقفون من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأولى الامر على أمن ووثوق بالظهور على بعض الاعداء او على خوف واستشعار فيذيعونه فينتشر فيبلغ الاعداء فتعود اذاعتهم مفسدة ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وفوضوه اليهم وكانوا كأن لم يسمعوا لعلم الذين يستنبطون تدبيره كيف يدبرونه وما يأتون ويذرون فيه وقيل كانوا يسمعون من افواه المنافقين شيأ من الخبر عن السرايا مظنونا غير معلوم الصحة فيذيعونه فيعود ذلك وبالا على المؤمنين ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر وقالوا نسكت حتى نسمعه منهم ونعلم هل هو مما يذاع اولا يذاع لعلمه الذين يستنبطونه منهم لعلم صحته وهل هو مما يذاع أولا يذاع وهؤلاء الذين يعلمون هم الذين يستنبطونه من الرسول وأولى الامر اى يتلقونه منهم ويستخرجون علمه من جهتهم يقال اذاع السر واذاع به قال

أذاع به فى الناس حتى كأنه * بعلياء نار أوقدت بثقوب

ويجوز ان يكون المعنى فعلوا به الاذاعة وهو ابلغ من اذاعوه * وقرئ لعلمه باسكان اللام كقوله

قال أسجه يضجر كاضجر بازل * من الادم دبرت صفحتاه وغاربه

والنبط الماء يخرج من البئر اول ما تحفر وانباطه واستنباطه اخراجه واستخراجه فاستعير لما يستخرجه الرجل بفضل ذهنه من المعانى والتدابير فيما يعضل ويهم (ولولا فضل الله عليكم ورحمته) وهو ارسال الرسول وانزال الكتاب والتوفيق (لاتبعتم الشيطان) لبقيتم على الكفر (الا قليلا) منكم اوالا اتباعا قليلا * لما ذكر فى الآى قبلها تثبطهم عن القتال واظهارهم الطاعة واضمارهم خلافها قال (فقاتل فى سبيل الله) ان افردوك وتركوك وحدك (لاتكلف الا نفسك) غير نفسك وحدها ان تقدمها الى الجهاد فان الله هو ناصرك لا الجنود فان شاء نصرك وحدك كما ينصرك وحولك الالوف وقيل دعا الناس فى بدر الصغرى الى الخروج وكان أبو سفيان واعد رسول الله صلى الله عليه وسلم اللقاء فيها فكره بعض الناس ان يخرجوا فنزلت فخرج وما معه الا سبعون لم يلوا على أحد ولو لم يتبعه احد لخرج وحده وقرئ لاتكلف بالجزم على النهي ولا نكلف بالنون وكسر اللام اى لا نكلف نحن الا نفسك وحدها (وحرض المؤمنين) وما عليك فى شأنهم الا التحريض فحسب لا التعنيف بهم (عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا) وهم قريش وقد كف بأسهم فقد بدا لابي سفيان وقال هذا عام مجدب وما كان معهم زاد الا السويق ولا يلقون الا فى عام مخصب فرجع بهم (والله اشد بأسا) من قريش (وأشد تنكيلا) تعذيبا * الشفاعة الحسنة هى التى روعى بها حق مسلم ودفع بها عنه شرا او جلب اليه خيرا وابتغى بها وجه الله ولم تؤخذ عليها رشوة وكانت فى امر جائز لا فى حد من حدود الله ولا فى حق من الحقوق * والسيئة ما كان بخلاف ذلك وعن مسروق انه شفع شفاعة فاهدى اليه المشفوع جارية فغضب وردها وقال لو علمت ما فى قلبك لما تكلمت فى حاجتك ولا أتكلم فيما بقى منها وقيل الشفاعة

مخلوق لله تعالى وواقع بقدرته ومنعم على العبد به واما المنزلة فهو وان ظنوا ان العبد يخلق لنفسه ايمانه وطاعته الا انهم لا يخالفون فى

أذاعوا به ولو ردوه الى الرسول والى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا فقاتل فى سبيل الله لاتكلف الا نفسك وحرض المؤمنين عسى الله ان يكف بأس الذين كفروا والله اشد بأسا واشد تنكيلا من يشفع شفاعة حسنة يكن له نصيب منها ومن يشفع شفاعة سيئة يكن له كفل منها وكان الله على كل شيء

أن فضل الله منسحب عليه فى ذلك لانه خلق له القدرة التى بها خلق العبد ذلك على زعمهم ووفقه

 لارادة الخير فقد وضح لك تعذر الاستثناء من الجملة الاخيرة على تفسير الزمخشري وما اراه الا وهم استرسالا على المألوف فى الاعراب وهو اعادة الاستثناء الى ما يليه من الجمل مهملا للنظر فى المعنى ومن ثم اتخذ القاضي ابو بكر رضى الله عنه الاستثناء فى هذه الآية الى ما قبل الجملة الاخيرة فطنة منه ويقظة ولانه امام مؤيد فى نظره مسدد فى فكره ثم اتخذ القاضي رضى الله عنه هذه الآية وزره فى الرد على من زعم الجزم بعود الاستثناء المتعقب للجمل الى الاخيرة ظنا منه ان ذلك واجب لا يسوغ سواه ثم يقف فى عوده الى ما تقدم خاصة وقد بينت عند قوله تعالى فمن شرب منه فليس منى ومن لم يطعمه فانه منى الا من اغترف غرفة بيده ان الاستثناء فى هذه الآية أيضا

الحسنة هي الدعوة للمسلم لانها فى معنى الشفاعة الى الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم من دعا لاخيه المسلم بظهر الغيب استجيب له وقال له الملك ولك مثل ذلك فذلك النصيب والدعوة على المسلم بضد ذلك (مقيتا) شهيدا حفيظا وقيل مقتدرا واقات على الشيء قال الزبير بن عبد المطلب

وذي ضغن نفيت السوء عنه * وكنت على اساءته مقيتا

وقال السموأل

الى الفضل أم على اذا حو * سبت اني على الحساب مقيت

واشتقاقه من القوت لانه يمسك النفس ويحفظها * الاحسن منها ان تقول وعليكم السلام ورحمة الله اذا قال السلام عليكم وان تزيد وبركاته اذا قال ورحمة الله وروى ان رجلا قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم السلام عليك فقال وعليك السلام ورحمة الله وقال آخر السلام عليك ورحمة الله فقال وعليك السلام ورحمة الله وبركاته وقال آخر السلام عليك ورحمة الله وبركاته فقال وعليك فقال الرجل نقصتني فاين ماقال الله وتلا الآية فقال انك لم تترك لى فضلا فرددت عليك مثله (أو ردوها) أو أجيبوها بمثلها ورد السلام ورجعه جوابه بمثله لان المجيب يرد قول المسلم ويكرره وجواب التسليمة واجب والتخيير انما وقع بين الزيادة وتركها وعن ابي يوسف رحمه الله من قال لآخر أقرىء فلانا السلام وجب عليه ان يفعل وعن النخعى السلام سنة والرد فريضة وعن ابن عباس الرد واجب ومامن رجل يمر على قوم مسلمين فيسلم عليهم ولا يردون عليه الا نزع عنهم روح القدس وردت عليه الملائكة ولا يرد السلام في الخطبة وقراءة القرآن جهرا ورواية الحديث وعند مذاكرة العلم والاذان والاقامة وعن ابي يوسف لا يسلم على لاعب النرد والشطرنج والمغني والقاعد لحاجته ومطير الحمام والعاري من غير عذر فى حمام اوغيره وذكر الطحاوى ان المستحب رد السلام على طهارة وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه تيمم لرد السلام قالوا ويسلم الرجل اذا دخل على امرأته ولا يسلم على اجنبية ويسلم الماشي على القاعد والراكب على الماشي وراكب الفرس على راكب الحمار والصغير على الكبير والاقل على الاكثر واذا التقيا ابتدرا وعن ابى حنيفة لا تجهر بالرد يعنى الجهر الكثير وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم اى وعليكم ماقلتم لانهم كانوا يقولون السام عليكم وروى لا تبتدىء اليهودى بالسلام وان بدأك فقل وعليك وعن الحسن يجوز ان تقول للكافر وعليك السلام ولا تقل ورحمة الله فانها استغفار وعن الشعبي انه قال لنصراني سلم عليه وعليك السلام ورحمة الله فقيل له فى ذلك فقال أليس في رحمة الله يعيش وقد رخص بعض العلماء فى ان يبدأ أهل الذمة بالسلام اذا دعت الى ذلك حادثة تحوج اليهم وروى ذلك عن النخعي وعن ابى حنيفة لا تبدأه بسلام فى كتاب ولا غيره وعن ابي يوسف لا تسلم عليهم ولا تصافحهم واذا دخلت فقل السلام على من اتبع الهدى ولا باس بالدعاء له بما يصلحه فى دنياه (على كل شيء حسيبا) أي يحاسبكم على كل شيء من التحية وغيرها (لا اله الا هو) اما خبر للمبتدا واما اعتراض والخبر ليجمعنكم ومعناه الله والله ليجمعنكم (الى يوم القيامة) اى ليحشرنكم اليه والقيامة والقيام كالطلابة والطلاب وهي قيامهم من القبور اوقيامهم للحساب قال الله تعالى يوم يقوم الناس لرب العالمين (ومن أصدق من الله حديثا) لانه عز وعلا صادق لا يجوز عليه الكذب وذلك أن الكذب مستقل بصارف عن الاقدام عليه وهو قبحه ووجه قبحه الذى هو كونه كذبا واخبارا عن الشيء بخلاف ماهو عليه فمن كذب لم يكذب الا لانه محتاج الى ان يكذب ليجر منفعة او يدفع مضرة اوهو غنى عنه الا أنه يجهل غناه اوهو جاهل بقبحه اوهو سفيه لا يفرق بين الصدق والكذب فى اخباره ولا يبالى بايهما نطق وربما كان الكذب أحلى على حنكه من الصدق وعن بعض السفهاء انه عوتب على الكذب فقال لو غرغرت لهواتك به ما فارقته وقيل لكذاب هل صدقت قط فقال لولا أني صادق فى قولى لا لقلتها فكان الحكيم الغنى الذى لا يجوز عليه الحاجات العالم بكل معلوم منزها عنه كما هو منزه عن سائر القبائح (فئتين) نصب على الحال كقولك مالك قائما روى أن قوما من المنافقين استأذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الخروج الى البدو معتلين باجتواء المدينة فلما خرجوا لم يزالوا راحلين مرحلة مرحلة حتى لحقوا بالمشركين فاختلف المسلمون فيهم فقال بعضهم هم

مقيتا واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها أو ردوها ان الله كان على كل شيء حسيبا الله لا اله الا هو ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه ومن أصدق من الله حديثا فما لكم في المنافقين فئتين

يتعين عوده الى الاولى ويتعذر رده الى الاخيرة لان المعنى يأباه وهي موازرة للقاضى فى الرد على من حتم عود الاستثناء الى الاخيرة والله الموفق

كفار وقال بعضهم هم مسلمون وقيل كانوا قوما هاجروا من مكة ثم بدا لهم فرجعوا وكتبوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انا على دينك وما اخرجنا الا اجتواء المدينة والاشتياق الى بلدنا وقيل هم قوم خرجوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد ثم رجعوا وقيل هم العرنيون الذين اغاروا على السرح وقتلوا يسارا وقيل هم قوم اظهروا الاسلام وقعدوا عن الهجرة ومعناه مالكم اختلفتم فى شان قوم نافقوا نفاقا ظاهرا وتفرقتم فيه فرقتين ومالكم لم تبتوا القول بكفرهم (والله اركسهم) اى ردهم فى حكم المشركين كما كانوا (بما كسبوا) من ارتدادهم ولحوقهم بالمشركين واحتيالهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم او اركسهم فى الكفر بان خذلهم حتى اركسوا فيه لما علم من مرض قلوبهم (أتريدون ان تهدوا) ان تجعلوا من جملة المهتدين (من اضل الله) من جعله من جملة الضلال وحكم عليه بذلك او خذله حتى ضل * وقرئ ركسهم وركسوا فيها (فتكونون) عطف على تكفرون ولو نصب على جواب التمنى لجاز والمعنى ودوا كفركم فكونكم معهم شرعا واحدا فيما هم عليه من الضلال واتباع دين الآباء * فلا تتولوهم وان آمنوا حتى يظاهروا ايمانهم بهجرة صحيحة هي لله ورسوله لا لغرض من اغراض الدنيا مستقيمة ليس بعدها بداء ولا تعرب (فان تولوا) عن الايمان المظاهر بالهجرة الصحيحة المستقيمة فحكمهم حكم سائر المشركين يقتلون حيث وجدوا فى الحل والحرم وجانبوهم مجانبة كلية وان بذلوا لكم الولاية والنصرة فلا تقبلوا منهم (الا الذين يصلون) استثناء من قوله فخذوهم واقتلوهم ومعنى يصلون الى قوم ينتهون اليهم ويتصلون بهم وعن ابى عبيدة هو من الانتساب وصلت الى فلان واتصلت به اذا انتميت اليه وقيل ان الانتساب لا اثر له فى منع القتال فقد قاتل رسول الله صلى الله عليه وسلم من معه من هو من انسابهم * والقوم هم الاسلميون كان بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد وذلك انه وادع وقت خروجه الى مكة هلال بن عويمر الاسلمي على ان لا يعينه ولا يعين عليه وعلى ان من وصل الى هلال ولجأ اليه فله من الجوار مثل الذى لهلال وقيل القوم بنو بكر بن زيد مناة كانوا فى الصلح (او جاؤكم) لا يخلوا من ان يكون معطوفا على صفة قوم كانه قيل الا الذين يصلون الى قوم معاهدين او قوم ممسكين عن القتال لا لكم ولا عليكم او على صلة الذين كانه قيل الا الذين يتصلون بالمعاهدين او الذين لا يقاتلونكم والوجه العطف على الصلة لقوله (فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) بعد قوله فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم فقرر ان كفهم عن القتال احد سببي استحقاقهم لنفى التعرض عنهم وترك الايقاع به (فان قلت) كل واحد من الاتصالين له تاثير فى صحة الاستثناء واستحقاق ازالة التعرض الاتصال بالمعاهدين والاتصال بالمكافين لان الاتصال بهؤلاء او هؤلاء دخول فى حكمهم فهلا جوزت ان يكون العطف على صفة قوم ويكون قوله فان اعتزلوكم تقريرا لحكم اتصالهم بالمكافين واختلاطهم بهم وجريهم على سننهم (قلت) هو جائز ولكن الاول اظهر واجرى على اسلوب الكلام وفي قراءة أبي بينكم وبينهم ميثاق جاؤكم حصرت صدورهم بغير او ووجهه ان يكون جاؤكم بيانا ليصلون او بدلا او استئنافا او صفة بعد صفة لقوم * حصرت صدورهم فى موضع الحال باضمار قد والدليل عليه قراءة من قرأ حصرة صدورهم وحصرات صدورهم وحاصرات صدورهم وجعله المبرد صفة لموصوف محذوف على او جاؤكم قوما حصرت صدورهم وقيل هو بيان لجاؤكم وهم بنو مدلج جاؤا رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مقاتلين والحصر الضيق والانقباض (ان يقاتلوكم) عن ان يقاتلوكم او كراهة ان يقاتلوكم * (فان قلت) كيف يجوز ان يسلط الله الكفرة على المؤمنين (قلت) ما كانت مكافتهم الا لقذف الله الرعب فى قلوبهم ولو شاء لمصلحة يراها من ابتلاء ونحوه لم يقذفه فكانوا متسلطين مقاتلين غير مكافين فذلك معنى التسليط * وقرئ فلقتلوكم بالتخفيف والتشديد (فان اعتزلوكم) فان لم يتعرضوا لكم (والقوا اليكم السلم) اى الانقياد والاستسلام وقرئ بسكون اللام مع فتح السين (فما جعل الله لكم عليهم سبيلا) فما اذن لكم فى اخذهم وقتلهم (ستجدون آخرين) هم قوم من بنى اسد وغطفان كانوا اذا أتوا المدينة أسلموا وعاهدوا ليامنوا المسلمين

والله اركسهم بما كسبوا اتريدون ان تهدوا من اضل الله ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء فلا تتخذوا منهم اولياء حتى يهاجروا في سبيل الله فان تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ولا تتخذوا منهم وليا ولا نصيرا الا الذين يصلون الى قوم بينكم وبينهم ميثاق او جاؤكم حصرت صدورهم ان يقاتلوكم او يقاتلوا قومهم ولو شاء الله لسلطهم عليكم فلقاتلوكم فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم وألقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا ستجدون آخرين يريدون ان يامنوكم ويامنوا قومهم

* قوله تعالى اتريدون ان تهدوا من اضل الله (قال معناه من جعله الخ) قال احمد هو بهذين الوجهين يفر من الحق والحقيقة اما الحق فلان الله هو الذى خلق الضلال لمن ضل اذ لا خالق الا الله واما الحقيقة فلانها أعنى الآية اقتضت نسبة الاضلال الى فعل الله تعالى فالتخييل فى تحريف الفاعلية الى التسبيب عدول عن

فاذا رجعوا الى قومهم كفروا ونكثوا عهودهم (كلما ردوا الى الفتنة) كلما دعاهم قومهم الى قتال المسلمين (أركسوا فيها) قلبوا فيها أقبح قلب وأشنعه وكانوا اشر فيها من كل عدو (حيث ثقفتموهم) حيث تمكنتم منهم (سلطانا مبينا) حجة واضحة لظهور عداوتهم وانكشاف حالهم فى الكفر والغدر واضرارهم باهل الاسلام او تسلطا ظاهرا حيث اذنا لكم فى قتلهم (وما كان لمؤمن) وما صح له ولا استقام ولا لاق بحاله كقوله وما كان لنبي ان يغل وما يكون لنا ان نعود فيها (ان يقتل مؤمنا) ابتداء غير قصاص (الا خطأ) الا على وجه الخطا (فان قلت) بم انتصب خطا (قلت) بانه مفعول له اى ما ينبغي له ان يقتله لعلة من العلل الا للخطا وحده ويجوز ان يكون حالا بمعنى لا يقتله فى حال من الاحوال الا فى حال الخطا وان يكون صفة المصدر الا قتلا خطا والمعنى ان من شان المؤمن ان ينتفي عنه وجود قتل المؤمن ابتداء البتة الا اذا وجد منه خطأ من غير قصد بان يرمي كافرا فيصيب مسلما او يرمي شخصا على انه كافر فاذا هو مسلم * وقرئ خطاء بالمد وخطا بوزن عمي بتخفيف الهمزة وروي ان عياش ابن ابي ربيعة وكان اخا ابي جهل لامه اسلم وهاجر خوفا من قومه الى المدينة وذلك قبل هجرة رسول الله ﷺ فاقسمت امه لا تأكل ولا تشرب ولا يؤويها سقف حتى يرجع فخرج ابو جهل ومعه الحرث بن زيد ابي انيسة فأتياه وهو فى أطم ففتل منه ابو جهل فى الذروة والغارب وقال اليس محمد يحثك على صلة الرحم انصرف وبر أمك وأنت على دينك حتى نزل وذهب معهما فلما فسحا عن المدينة كتفاه وجلده كل واحد مائة جلدة فقال للحرث هذا أخي فمن أنت يا حارث لله على ان وجدتك خاليا ان اقتلك وقدما به على امه فحلفت لا يحل كتافه او يرتد ففعل ثم هاجر بعد ذلك وأسلم وأسلم الحرث وهاجر فلقيه عياش بظهر قباء ولم يشعر باسلامه فانحي عليه فقتله ثم اخبر باسلامه فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال قتلته ولم اشعر باسلامه فنزلت (فتحرير رقبة) فعليه تحرير رقبة والتحرير الاعتاق والحر والعتيق الكريم لان الكرم فى الاحرار كما ان اللؤم فى العبيد ومنه عتاق الخيل وعتاق الطير لكرامها وحر الوجه اكرم موضع منه وقولهم للئيم عبد وفلان عبد الفعل اى لئيم الفعل والرقبة عبارة عن النسمة كما عبر عنها بالرأس فى قولهم فلان يملك كذا رأسا من الرقيق والمراد برقبة مؤمنة كل رقبة كانت على حكم الاسلام عند عامة العلماء وعن الحسن لا تجزئ الا رقبة قد صلت وصامت ولا تجزئ الصغيرة وقاس عليها الشافعى كفارة الظهار فاشترط الايمان وقيل لما اخرج نفسا مؤمنة عن جملة الاحياء لزمه ان يدخل نفسا مثلها فى جملة الاحرار لان اطلاقها من قيد الرق كاحيائها من قبل ان الرقيق ممنوع من تصرف الاحرار (مسلمة الى اهله) مؤداة الى ورثته يقتسمونها كما يقتسمون الميراث لا فرق بينها وبين سائر التركة فى كل شيء يقضي منها الدين وتنفذ الوصية وان لم يبق وارث فهي لبيت المال لان المسلمين يقومون مقام الورثة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وارث من لا وارث له وعن عمر رضي الله عنه انه قضى بدية المقتول فجاءت امرأته تطلب ميراثها من عقله فقال لا اعلم لك شيأ انما الدية للعصبة الذين يعقلون عنه فقام الضحاك ابن سفيان الكلابي فقال كتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يامرني ان أورث امرأة أشيم الضبابي من عقل زوجها أشيم فورثها عمر وعن ابن مسعود يرث كل وارث من الدية غير القاتل وعن شريك لا يقضي من الدية دين ولا تنفذ وصية وعن ربيعة الغرة لام الجنين وحدها وذلك خلاف قول الجماعة (فان قلت) على من تجب الرقبة والدية (قلت) على القاتل الا ان الرقبة فى ماله والدية تتحملها عنه العاقلة فان لم تكن له عاقلة فهي فى بيت المال فان لم يكن ففى ماله (الا ان يصدقوا) الا ان يتصدقوا عليه بالدية ومعناه العفو كقوله الا ان يعفون ونحوه وان تصدقوا خير لكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة وقرأ أبي الا ان يتصدقوا (فان قلت) بم تعلق ان يصدقوا وما محله (قلت) تعلق بعليه أو بمسلمة كانه قيل وتجب عليه الدية او يسلمها الا حين يتصدقون عليه ومحلها النصب على الظرف بتقدير حذف الزمان كقولهم اجلس ما دام زيد جالسا ويجوز ان يكون حالا من اهله بمعنى الا متصدقين (من قوم عدو لكم) من قوم كفار اهل حرب وذلك نحو رجل أسلم فى قومه الكفار وهو بين اظهرهم لم يفارقهم فعلى

كلما ردوا الى الفتنة اركسوا فيها فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا ايديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم واولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا وما كان لمؤمن ان يقتل مؤمنا الا خطأ ومن قتل مؤمنا خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى اهله الا ان يصدقوا فان كان من قوم عدو لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة

الحقيقة الى المجاز وقد علمت الباعث له على هذا المعتقد فلا نعيده

عذابا عظيما (قال في هذه الآية من التهديد والوعيد والابراق الخ) قال احمد وكفى بقوله تعالى في هذه السورة ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر مادون ذلك لمن يشاء دليلا أبلج على ان القاتل الموحد وان لم يتب في المشيئة وامره الى الله ان شاء آخذه وان شاء غفر له وقد مر الكلام على الآية وما بالعهد من قدم واما نسبه اهل السنة

وان كان من قوم بينكم وبينهم ميثاق فدية مسلمة الى اهله وتحرير رقبة مؤمنة فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين توبة من الله وكان الله عليما حكيما ومن يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه جهنم خالدا فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذابا عظيما يا أيها الذين آمنوا اذا ضربتم في سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى اليكم السلام لست مؤمنا تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ان الله كان بما تعملون خبيرا لا يستوى القاعدون من المؤمنين غير أولى الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم

قاتله الكفارة اذا قتله خطأ وليس على عاقلته لاهله شيء لانهم كفار محاربون وقيل كان الرجل يسلم ثم يأتي قومه وهم مشركون فيغزوهم جيش المسلمين فيقتل فيهم خطأ لانهم يظنونه كافرا مثلهم (وان كان من قوم) كفرة لهم ذمة كالمشركين الذين عاهدوا المسلمين واهل الذمة من الكتابيين فحكمه حكم مسلم من مسلمين (فمن لم يجد) رقبة بمعنى لم يملكها ولا ما يتوصل به اليها (ف)عليه (صيام شهرين متتابعين توبة من الله) قبولا من الله ورحمة منه من تاب الله عليه اذا قبل توبته يعني شرع ذلك توبة منه او نقلكم من الرقبة الى الصوم توبة منه * هذه الآية فيها من التهديد والايعاد والابراق والارعاد امر عظيم وخطب غليظ ومن ثم روى عن ابن عباس ما روى من ان توبة قاتل المؤمن عمدا غير مقبولة وعن سفيان كان اهل العلم اذا سئلوا قالوا لا توبة له وذلك محمول منهم على الاقتداء بسنة الله في التغليظ والتشديد والا فكل ذنب ممحو بالتوبة وناهيك بمحو الشرك دليلا وفي الحديث لزوال الدنيا اهون على الله من قتل امرئ مسلم وفيه لو أن رجلا قتل بالمشرق وآخر رضي بالمغرب لأشرك في دمه وفيه ان هذا الانسان بنيان الله ملعون من هدم بنيانه وفيه من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمة جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله والعجب من قوم يقرؤن هذه الآية او يرون ما فيها ويسمعون هذه الاحاديث العظيمة وقول ابن عباس بمنع التوبة ثم لا تدعهم اشعبيتهم وطماعيتهم الفارغة واتباعهم هواهم وما يخيل اليهم مناهم ان يطمعوا في العفو عن قاتل المؤمن بغير توبة افلا يتدبرون القرآن أم على قلوب اقفالها ثم ذكر الله سبحانه وتعالى التوبة في قتل الخطأ لما عسى يقع من نوع تفريط فيما يجب من الاحتياط والتحفظ فيه حسم للاطماع واي حسم ولكن لا حياة لمن تنادى (فان قلت) هل فيها دليل على خلود من لم يتب من اهل الكبائر (قلت) ما ابين الدليل وهو تناول قوله ومن يقتل اي قاتل كان من مسلم او كافر تائب او غير تائب الا ان التائب اخرجه الدليل فمن ادعى اخراج المسلم غير التائب فليأت بدليل مثله (فتبينوا) وقرئ فتثبتوا وهما من التفعل بمعنى الاستفعال اي اطلبوا بيان الامر وثباته ولا تتهوكوا فيه من غير روية * وقرئ السلم والسلام وهما الاستسلام وقيل الاسلام وقيل التسليم الذي هو تحية اهل الاسلام (لست مؤمنا) * وقرئ مؤمنا بفتح الميم من آمنه اي لا نؤمنك واصله ان مرداس بن نهيك رجلا من اهل فدك اسلم ولم يسلم من قومه غيره فغزتهم سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان عليها غالب بن فضالة الليثي فهربوا وبقي مرداس لثقته باسلامه فلما رأى الخيل ألجأ غنمه الى عاقول من الجبل وصعد فلما تلاحقوا وكبروا كبر ونزل وقال لا اله الا الله محمد رسول الله السلام عليكم فقتله اسامة بن زيد واستاق غنمه فاخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد وجدا شديدا وقال قتلتموه ارادة ما معه ثم قرأ الآية على اسامة فقال يا رسول الله استغفر لي قال فكيف بلا اله الا الله قال أسامة فما زال يعيدها حتى وددت اني لم اكن اسلمت الا يومئذ ثم استغفر لي وقال اعتق رقبة (تبتغون عرض الحيوة الدنيا) تطلبون الغنيمة التي هي حطام سريع النفاد فهو الذي يدعوكم الى ترك التثبت وقلة البحث عن حال من تقتلونه (فعند الله مغانم كثيرة) يغنمكموها تغنيكم عن قتل رجل يظهر الاسلام ويتعوذ به من التعرض له لتأخذوا ماله (كذلك كنتم من قبل) اول ما دخلتم في الاسلام سمعت من افواهكم كلمة الشهادة فحصنت دماءكم واموالكم من غير انتظار الاطلاع على مواطاة قلوبكم لالسنتكم (فمن الله عليكم) بالاستقامة والاشتهار بالايمان والتقدم وان صرتم اعلاما فعليكم ان تفعلوا بالداخلين في الاسلام كما فعل بكم وان تعتبروا ظاهر الاسلام في المكافة ولا تقولوا ان تهليل هذا لاتقاء القتل لا لصدق النية فتجعلوه سلما الى استباحة دمه وماله وقد حرمهما الله وقوله (فتبينوا) تكرير للامر بالتبين ليؤكد عليهم (ان الله كان بما تعملون خبيرا) فلا تتهافتوا في القتل وكونوا محترزين محتاطين في ذلك (غير اولى الضرر) قرئ بالحركات الثلاث فالرفع صفة للقاعدون والنصب استثناء منهم او حال عنهم والجر صفة للمؤمنين والضرر المرض او العاهة من عمى او عرج او زمانة او نحوها وعن زيد بن ثابت كنت الى جنب رسول الله صلى الله عليه وسلم فغشيته السكينة فوقعت فخذه على فخذي حتى خشيت ان ترضها ثم سرى عنه فقال اكتب فكتبت في كتف لا يستوى القاعدون من المؤمنين والمجاهدون فقال ابن ام مكتوم وكان اعمى

يارسول الله وكيف بمن لا يستطيع الجهاد من المؤمنين فغشيته السكينة كذلك ثم قال اقرأ يا زيد فقرأت لا يستوي القاعدون من المؤمنين فقال غير اولى الضرر قال زيد انزلها الله وحدها فالحقتها والذي نفسي بيده لكأني انظر الى ملحقها عند صدع في الكتف وعن ابن عباس لا يستوي القاعدون عن بدر والخارجون اليها وعن مقاتل الى تبوك (فان قلت) معلوم ان القاعد بغير عذر والمجاهد لا يستويان فما فائدة نفي الاستواء (قلت) معناه الاذكار بما بينهما من التفاوت العظيم والبون البعيد ليأنف القاعد ويترفع بنفسه عن انحطاط منزلته فيهتز للجهاد ويرغب فيه وفي ارتفاع طبقته ونحوه هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون اريد به التحريك من حمية الجاهل وانفته ليهاب به الى التعلم ولينهض بنفسه عن صفة الجهل الى شرف العلم (فضل الله المجاهدين) جملة موضحة لما نفي من استواء القاعدين والمجاهدين كأنه قيل مالهم لا يستوون فاجيب بذلك والمعنى على القاعدين غير اولى الضرر لكون الجملة بيانا للجملة الاولى المتضمنة لهذا الوصف (وكلا) وكل فريق من القاعدين والمجاهدين (وعد الله الحسنى) اى المثوبة الحسنى وهي الجنة وان كان المجاهدون مفضلين على القاعدين درجة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد خلفتم بالمدينة اقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا الا كانوا معكم وهم الذين صحت نياتهم ونصحت جيوبهم وكانت افئدتهم تهوي الى الجهاد وبهم ما يمنعهم من المسير من ضرر او غيره *(فان قلت) قد ذكر الله تعالى مفضلين درجة ومفضلين درجات فمن هم (قلت) أما المفضلون درجة واحدة فهم الذين فضلوا على القاعدين الاضراء واما المفضلون درجات فالذين فضلوا على القاعدين الذين اذن لهم في التخلف اكتفاء بغيرهم لان الغزو فرض كفاية (فان قلت) لم نصب درجة واجرا ودرجات (قلت) نصب قوله درجة لوقوعها موقع المرة من التفضيل كأنه قيل فضلهم تفضيلة واحدة ونظيره قولك ضربه سوطا بمعنى ضربه ضربة واما اجرا فقد انتصب بفضل لانه في معنى اجرهم اجرا ودرجات ومغفرة ورحمة بدل من اجرا ويجوز ان ينتصب درجات نصب درجة كما تقول ضربه اسواطا بمعنى ضربات كأنه قيل وفضله تفضيلات ونصب اجرا عظيما على انه حال عن النكرة التي هي درجات مقدمة عليها وانتصب مغفرة ورحمة باضمار فعلهما بمعنى وغفر لهم ورحمهم مغفرة ورحمة (توفاهم) يجوز ان يكون ماضيا كقراءة من قرأ توفتهم ومضارعا بمعنى تتوفاهم كقراءة من قرأ توفاهم على مضارع وفيت بمعنى ان الله يوفي الملائكة انفسهم فيتوفونها اى يمكنهم من استيفائها فيستوفونها (ظالمي انفسهم) في حال ظلمهم انفسهم (قالوا) قال الملائكة للمتوفين (فيم كنتم) في اى شيء كنتم من امر دينكم وهم ناس من اهل مكة اسلموا ولم يهاجروا حين كانت الهجرة فريضة *(فان قلت) كيف صح وقوع قوله (كنا مستضعفين في الارض) جوابا عن قولهم فيم كنتم وكان حق الجواب ان يقولوا كنا في كذا او لم نكن في شيء (قلت) معنى فيم كنتم التوبيخ بانهم لم يكونوا في شيء من الدين حيث قدروا على المهاجرة ولم يهاجروا فقالوا كنا مستضعفين اعتذارا مما وبخوا به واعتلالا بالاستضعاف وانهم لم يتمكنوا من الهجرة حتى يكونوا في شيء فبكتتهم الملائكة بقولهم (الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها) ارادوا انكم كنتم قادرين على الخروج من مكة الى بعض البلاد التي لا تمنعون فيها من اظهار دينكم ومن الهجرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم كما فعل المهاجرون الى ارض الحبشة وهذا دليل على ان الرجل اذا كان في بلد لا يتمكن فيه من اقامة امر دينه كما يجب لبعض الاسباب والعوائق عن اقامة الدين لا تنحصر او علم انه في غير بلده اقوم بحق الله وادوم على العبادة حقت عليه المهاجرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجبت له الجنة وكان رفيق ابيه ابراهيم ونبيه محمد عليهما الصلاة والسلام اللهم ان كنت تعلم ان هجرتي اليك لم تكن الا للفرار بديني فاجعلها سببا في خاتمة الخير ودرك المرجو من فضلك والمبتغى من رحمتك وصل جواري لك بعكوفي عند بيتك بجوارك في دار كرامتك ياواسع المغفرة * ثم استثنى من اهل الوعيد المستضعفين الذين لا يستطيعون حيلة في الخروج لفقرهم وعجزهم ولا معرفة لهم بالمسالك وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بهذه الآية الى مسلمي مكة فقال جندب بن ضمرة او ضمرة بن جندب لبنيه احملوني فاني لست من المستضعفين واني

فضل الله المجاهدين باموالهم وانفسهم على القاعدين درجة وكلا وعد الله الحسنى وفضل الله المجاهدين على القاعدين اجرا عظيما درجات منه ومغفرة ورحمة وكان الله غفورا رحيما ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الارض قالوا الم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها فاولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان

الى الاشعبية فذلك لا يضيرهم لانهم انما تطفلوا على الطف اكرم الاكرمين وارحم الراحمين ولم يقنطوا من رحمة الله انه لا يقنط من رحمة الله الا القوم الظالمون * قوله تعالى ان الذين توفاهم الملائكة ظالمي انفسهم الى قوله الا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فأولئك عسى الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا (قال الاستثناء من المتوعدين في قوله اولئك ماواهم جهنم وساءت مصيرا الخ) قال احمد قوله ان المراهقين من الولدان يكلفون الحاقا بالبالغين مردود بقوله عليه الصلاة والسلام رفع القلم عن ثلاث عن الصبي حتى يحتلم

لا اهتدي

لا هتدى الطريق والله لا أبيت الليلة بمكة فحملوه على سرير متوجها الى المدينة وكان شيخا كبيرا فمات بالتنعيم (فان قلت) كيف ادخل الولدان فى جملة المستثنين من أهل الوعيد كانهم كانوا يستحقون الوعيد مع الرجال والنساء لو استطاعوا حيلة واهتدوا سبيلا (قلت) الرجال والنساء قد يكونون مستطيعين مهتدين وقد لا يكونون كذلك وأما الولدان فلا يكونون الا عاجزين عن ذلك فلا يتوجه عليهم وعيد لان سبب خروج الرجال والنساء من جملة أهل الوعيد انما هو كونهم عاجزين فاذا كان العجز متمكنا فى الولدان لا ينفكون عنه كانوا خارجين من جملتهم ضرورة هذا اذا أريد بالولدان الاطفال ويجوز ان يراد المراهقون منهم الذين عقلوا ما يعقل الرجال والنساء فيلحقوا بهم فى التكليف وان اريد بهم العبيد والاماء البالغون فلا سؤال * (فان قلت) الجملة التي هي (لا يستطيعون) ما موقعها (قلت) هى صفة للمستضعفين او للرجال والنساء والولدان وانما جاز ذلك والجمل نكرات لان الموصوف وان كان فيه حرف التعريف فليس لشيء بعينه كقوله * ولقد أمر على اللئيم يسبني * (فان قلت) لم قيل (عسي الله ان يعفو عنهم) بكلمة الاطماع (قلت) للدلالة على ان ترك الهجرة امر مضيق لا توسعة فيه حتى ان المضطر البين الاضطرار من حقه ان يقول عسى الله ان يعفو عنى فكيف بغيره (مراغما) مهاجرا وطريقا يراغم بسلوكه قومه اى يفارقهم على رغم أنوفهم والرغم الذل والهوان واصله لصوق الانف بالرغام وهو التراب يقال راغمت الرجل اذا فارقته وهو يكره مفارقتك لمذلة تلحقه بذلك قال النابغة الجعدى

كطود يلاذ باركانه * عزيز المراغم والمذهب

وقرئ مرغما * قرئ ثم يدركه الموت بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف وقيل رفع الكاف منقول من الهاء كانه أراد ان يقف عليها ثم نقل حركة الهاء الى الكاف كقوله * من عنزى سبنى لم أضربه * وقرئ يدركه بالنصب على اضمار ان كقوله * وألحق بالحجاز فاستريحا * (فقد وقع اجره على الله) فقد وجب ثوابه عليه وحقيقة الوجوب الوقوع والسقوط فاذا وجبت جنوبها ووجبت الشمس سقط قرصها والمعنى فقد علم الله كيف يثيبه وذلك واجب عليه وروى فى قصة جندب بن ضمرة انه لما ادركه الموت اخذ يصفق بيمينه على شماله ثم قال اللهم هذه لك وهذه لرسولك أبايعك على ما بايعك عليه رسولك فمات حميدا فبلغ خبره اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا لو توفى بالمدينة لكان اتم اجرا وقال المشركون وهم يضحكون ما ادرك هذا ما طلب فنزلت وقالوا كل هجرة لغرض دينى من طلب علم او حج او جهاد او فرار الى بلد يزداد فيه طاعة او قناعة وزهدا فى الدنيا او ابتغاء رزق طيب فهي هجرة الى الله ورسوله وان ادركه الموت فى طريقه فأجره واقع على الله * الضرب فى الارض هو السفر وادنى مدة السفر الذى يجوز فيه القصر عند ابي حنيفة مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن سير الابل ومشى الاقدام على القصد ولا اعتبار بابطاء الضارب واسراعه فلو سار مسيرة ثلاثة ايام ولياليهن فى يوم قصر ولو سار مسيرة يوم فى ثلاثة ايام لم يقصر وعند الشافعى ادنى مدة السفر أربعة برد مسيرة يومين وقوله (فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة) ظاهره التخيير بين القصر والاتمام وان الاتمام افضل والى التخيير ذهب الشافعى وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه اتم فى السفر وعن عائشة رضى الله عنها اعتمرت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة الى مكة حتى اذا قدمت مكة قلت يا رسول الله بابي انت وامى قصرت واتممت وصمت وافطرت فقال احسنت يا عائشة وما عاب على وكان عثمان رضى الله عنه يتم ويقصر وعند ابى حنيفة رحمه الله القصر فى السفر عزيمة غير رخصة لا يجوز غيره وعن عمر رضى الله عنه صلاة السفر ركعتان تمام غير قصر على لسان نبيكم وعن عائشة رضى الله عنها اول ما فرضت الصلاة فرضت ركعتين ركعتين فاقرت فى السفر وزيدت فى الحضر (فان قلت) فما تصنع بقوله فليس عليكم جناح ان تقصروا (قلت) كانهم الفوا الاتمام فكانوا مظنة لان يخطر ببالهم ان عليهم نقصانا فى القصر فنفى عنهم الجناح لتطيب انفسهم بالقصر ويطمئنوا اليه وقرئ تقصروا من اقصر وجاء فى الحديث اقصار الخطبة بمعنى تقصيرها وقرأ الزهرى تقصروا بالتشديد * والقصر ثابت بنص الكتاب فى حال

لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا فاولئك عسي الله ان يعفو عنهم وكان الله عفوا غفورا ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الارض مراغما كثيرا وسعة ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله وكان الله غفورا رحيما واذا ضربتم فى الارض فليس عليكم جناح ان تقصروا من الصلاة

فجعل البلوغ نفسه مناط التكليف وهذا مذهب الجماهير ولم يبلغنا خلافه وقال الزمخشرى أراد الحديثى العهد بالصبي وان بلغوا تسمية لهم بالاسم السانف لقرب عهدهم به كما قال وآتوا اليتامى أموالهم فسماهم يتامى وان بلغوا اذ لا تدفع أموالهم حتى يبلغوا لانهم حديثو عهد باليتم والغرض تعجيل دفع الاموال لهم اذا رشدوا وان قرب عهدهم باليتم حتي انهم لذلك يعبر عنهم باليتامى ولا يماطلوا ولو قال الزمخشرى فى الولدان كذلك لكان قولا سديدا والله أعلم * قوله تعالى ومن يخرج من بيته مهاجرا الى الله ورسوله ثم يدركه الموت فقد وقع أجره على الله (قال قرئ يدركه برفع الكاف على انه خبر مبتدا محذوف الخ) قال احمد توجيه الرفع

على اضمار المبتدا فيه عطف الاسمية على الفعلية والاولى خلافه ما وجد عنه سبيل وأما الوجه الثاني من اجراء الوصل مجرى الوقف ففيه شذوذ بين على ان الافصح في الوقف خلاف نقل الحركة وقد زاد شذوذا باجراء الوصل مجرى الوقف فكيف وعندي وجه حسن خالص من الشذوذ مرتفع الذروة في الفصاحة وهو العطف على مايقع موقع من مما يكون الفعل الاول معه مرفوعا كانه قال والذي يخرج من بيته مهاجرا ثم يدركه الموت وهو الذي ذكره الزمخشري عند قوله أينما تكونوا يدرككم الموت فيمن قرأ بالرفع وقال ثم هو وجه نحوي سيبوي واجراؤه ههنا اقرب وأصوب منه ثمة والله أعلم * قوله واذا كنت فيهم فقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا اسلحتهم (قال فيه قيل المأمور باخذ الاسلحة المصلون الخ) قال احمد والظاهر ان المخاطب باخذ الاسلحة المصلون فمن لم يصل انما أعد للحرس فالظاهر الاستغناء عن امرهم بذلك وتنبيههم عليه وهم انما اخروا الصلاة لذلك واما المصلون فهم في مظنة طرح الاسلحة لانهم لم يعتادوا حملها في الصلاة فنبهوا على

ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا ان الكافرين كانوا لكم عدوا مبينا واذا كنت فيهم فقمت لهم الصلاة فلتقم طائفة منهم معك وليأخذوا أسلحتهم فاذا سجدوا فليكونوا من ورائكم ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك وليأخذوا حذرهم واسلحتهم ود الذين كفروا لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم فيميلون عليكم ميلة واحدة ولا جناح عليكم ان كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى ان تضعوا اسلحتكم وخذوا حذركم ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا فاذا قضيتم

الخوف خاصة وهو قوله (ان خفتم ان يفتنكم الذين كفروا) واما في حال الامن فبالسنة وفي قراءة عبدالله من الصلاة ان يفتنكم ليس فيها ان خفتم على انه مفعول له بمعنى كراهة ان يفتنكم والمراد بالفتنة القتال والتعرض بما يكره (واذا كنت فيهم فقمت لهم الصلوة) يتعلق بظاهره من لا يرى صلاة الخوف بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث شرط كونه فيهم وقال من رآها بعده ان الائمة نواب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عصر قوام بما كان يقوم به فكان الخطاب له متناولا لكل امام يكون حاضر الجماعة في حال الخوف عليه ان يؤمهم كما أم رسول الله صلى الله عليه وسلم الجماعات التي كان يحضرها والضمير في فيهم للخائفين (فلتقم طائفة منهم معك) فاجعلهم طائفتين فلتقم احداهما معك فصل بهم (وليأخذوا اسلحتهم) الضمير اما للمصلين واما لغيرهم فان كان للمصلين فقالوا يأخذون من السلاح مالا يشغلهم عن الصلاة كالسيف والخنجر ونحوهما وان كان لغيرهم فلا كلام فيه (فاذا سجدوا فليكونوا) يعني غير المصلين (من ورائكم) يحرسونكم وصفة صلاة الخوف عند ابي حنيفة ان يصلي الامام باحدى الطائفتين ركعة ان كانت الصلاة ركعتين والاخرى بازاء العدو ثم تقف هذه الطائفة بازاء العدو وتأتي الاخرى فيصلي بها ركعة ويتم صلاته ثم تقف بازاء العدو وتأتي الاولى فتؤدي الركعة بغير قراءة وتتم صلاتها ثم تحرس وتأتي الاخرى فتؤدي الركعة بقراءة وتتم صلاتها والسجود على ظاهره عند أبي حنيفة وعند مالك بمعنى الصلاة لان الامام يصلي عنده بطائفة ركعة ويقف قائما حتى تتم صلاتها وتسلم وتذهب ثم يصلي بالثانية ركعة ويقف قاعدا حتى تتم صلاتها ويسلم بهم ويعضده (ولتأت طائفة أخرى لم يصلوا فليصلوا معك) * وقرئ وأمتعاتكم (فان قلت) كيف جمع بين الاسلحة وبين الحذر في الاخذ (قلت) جعل الحذر وهو التحرز والتيقظ آلة يستعملها الغازي فلذلك جمع بينه وبين الاسلحة في الاخذ وجعلا مأخوذين ونحوه قوله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان جعل الايمان مستقرا لهم ومتبوأ لتمكنهم فيه فلذلك جمع بينه وبين الدار في التبوء (فيميلون عليكم) فيشدون عليكم شدة واحدة ورخص لهم في وضع الاسلحة ان ثقل عليهم حملها بسبب ما يبلهم من مطر او يضعفهم من مرض وامرهم مع ذلك باخذ الحذر لئلا يغفلوا فيهجم عليهم العدو * (فان قلت) كيف طابق الامر بالحذر قوله (ان الله أعد للكافرين عذابا مهينا) (قلت) الامر بالحذر من العدو يوهم توقع غلبته واعتزازه فنفى عنهم ذلك الايهام باخبارهم ان الله يهين عدوهم ويخذله وينصرهم عليه لتقوى قلوبهم وليعلموا ان الامر بالحذر ليس لذلك وانما هو تعبد من الله كما قال ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة (فاذا قضيتم الصلاة)

انهم لا ينبغي لهم طرح الاسلحة وان كانوا في الصلاة لضرورة الخوف وخشية الغرة وأيضا فصنيع الآية يعطي ذلك لانه قال فلتقم طائفة منهم معك وعقب ذلك بقوله وليأخذوا اسلحتهم فالظاهر رجوع الضمير اليهم وحيث يعاد الى غير المصلين يحتاج الى تكلف في صحة العود اليهم بدلالة قوة الكلام عليهم وان لم يذكروا * عاد كلامه (قال والمراد بقوله فليكونوا من ورائكم غير المصلين) قال احمد والظاهر ان معنى السجود ههنا الصلاة وقد عبر عنها بالسجود كثيرا والمراد فاذا صلت الطائفة أي أتمت صلاتها فليكونوا من ورائكم وفيه دليل لمشهور مذهب مالك من ان الطائفة الاولى تتم صلاتها والامام منتظر للطائفة الاخرى وقوله ولتأت طائفة أخرى يعني اذا أتمت الاولى صلاتها ووقفت من ورائكم فلتأت الطائفة الاخرى التي لم تصل بعد شيأ فليصلوا معك وفيه دليل بين ايضا لاحد القولين في مذهب مالك من ان الامام ينتظر الثانية حتى تتم صلاتها ويسلم بهم لان ظاهر المعية المطلقة يوجب ذلك اذ لو كانوا يقضون بعد سلامه لم يكونوا مصلين معه على الاطلاق والله اعلم فهذه الآية منطبقة على اكثر مشهور مذهبه في تفاصيل صلاة الخوف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال فان قلت كيف جمع بين الاسلحة الخ) قال احمد وحسن هذا المجاز وبلغ به ذروة الفصاحة عطف الحقيقة عليه

الصلاة) فاذا صليتم فى حال الخوف والقتال (فاذكروا الله) فصلوها (قياما) مسايفين ومقارعين (وقعودا) جاثين على الركب مرامين (وعلى جنوبكم) مثخنين بالجراح (فاذا اطمأننتم) حين تضع الحرب اوزارها وامنتم (فاقيموا الصلاة) فاقضوا ما صليتم فى تلك الاحوال التى هى احوال القلق والانزعاج (ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا) محدودا باوقات لا يجوز اخراجها عن اوقاتها على اى حال كنتم خوف او أمن وهذا ظاهر على مذهب الشافعى رحمه الله فى ايجابه الصلاة على المحارب فى حال المسايفة والمشى والاضطراب فى المعركة اذا حضر وقتها فاذا اطمان فعليه القضاء واما عند ابى حنيفة رحمه الله فهو معذور فى تركها الى أن يطمئن وقيل معناه فاذا قضيتم صلاة الخوف فاديموا ذكر الله مهللين مكبرين مسبحين داعين بالنصرة والتاييد فى كافة احوالكم من قيام وقعود واضطجاع فان ما انتم فيه من خوف وحرب جدير بذكر الله ودعائه واللجا اليه فاذا اطمأننتم فاذا اقمتم فاقيموا الصلاة فأتموها (ولاتهنوا) ولا تضعفوا ولا تتوانوا (فى ابتغاء القوم) فى طلب الكفار بالقتال والتعرض به لهم ثم الزمهم الحجة بقوله (ان تكونوا تالمون) اى ليس ما تكابدون من الالم بالجرح والقتل مختصا بكم انما هو امر مشترك بينكم وبينهم يصيبهم كما يصيبكم ثم انهم يصبرون عليه ويتشجعون فما لكم لا تصبرون مثل صبرهم مع انكم اولى منهم بالصبر لانكم (ترجون من الله ما لا يرجون) من اظهار دينكم على سائر الاديان ومن الثواب العظيم فى الآخرة * وقرأ الاعرج ان تكونوا تالمون بفتح الهمزة بمعنى ولا تهنوا لان تكونوا تالمون * وقوله فانهم يالمون كما تالمون تعليل وقرئ فانهم يياسون كما تيياسون وروى ان هذا فى بدر الصغرى كان بهم جراح فتواكلوا (وكان الله عليما حكيما) لا يكلفكم شيأ ولا يامركم ولا ينهاكم الا لما هو عالم به مما يصلحكم *روى ان طعمة بن ابيرق أحد بنى ظفر سرق درعا من جار له اسمه قتادة بن النعمان فى جراب دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه وخباها عند زيد بن السمين رجل من اليهود فالتمست الدرع عند طعمة فلم توجد وحلف ما اخذها وماله بها علم فتركوه واتبعوا أثر الدقيق حتى انتهى الى منزل اليهودى فاخذوها فقال دفعها الى طعمة وشهد له ناس من اليهود فقالت بنو ظفر انطلقوا بنا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فسالوه ان يجادل عن صاحبهم وقالوا ان لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودى فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يفعل وان يعاقب اليهودى وقيل هم ان يقطع يده فنزلت وروى ان طعمة هرب الى مكة وارتد ونقب حائطا بمكة ليسرق اهله فسقط الحائط عليه فقتله (بما اراك الله) بما عرفك واوحى به اليك وعن عمر رضى الله عنه لا يقولن احدكم قضيت بما ارانى الله فان الله لم يجعل ذلك الا لنبيه صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لان الرأى من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لان الله كان يريه اياه وهو منا الظن والتكلف (ولا تكن للخائنين خصيما) ولا تكن لاجل الخائنين مخاصما للبرآء يعنى لا تخاصم اليهود لاجل بنى ظفر (واستغفر الله) مما هممت به من عقاب اليهودى (يختانون انفسهم) يخونونها بالمعصية كقوله علم الله انكم كنتم تختانون أنفسكم جعلت معصية العصاة خيانة منهم لانفسهم كما جعلت ظلما لها لان الضرر راجع اليهم (فان قلت) لم قيل للخائنين ويختانون انفسهم وكان السارق طعمة وحده (قلت) لوجهين أحدهما ان بنى ظفر شهدوا له بالبراءة ونصروه فكانوا شركاء له فى الاثم والثانى انه جمع ليتناول طعمة وكل من خان خيانته فلا تخاصم لخائن قط ولا تجادل عنه * (فان قلت) لم قيل (خوانا اثيما) على المبالغة (قلت) كان الله عالما من طعمة بالافراط فى الخيانة وركوب المآثم ومن كانت تلك خاتمة امره لم يشك فى حاله وقيل اذا عثرت من رجل على سيئة فاعلم ان لها اخوات وعن عمر رضى الله عنه انه امر بقطع يد سارق فجاءت أمه تبكى وتقول هذه اول سرقة سرقها فاعف عنه فقال كذبت ان الله لا يؤاخذ عبده فى اول مرة (يستخفون) يستترون (من الناس) حياء منهم وخوفا من ضررهم (ولا يستخفون من الله) ولا يستحيون منه (وهو معهم) وهو عالم بهم مطلع عليهم لا يخفى عليه خاف من سرهم وكفى بهذه الآية ناعية على الناس ما هم فيه من قلة الحياء والخشية من ربهم مع علمهم ان كانوا مؤمنين انهم فى حضرته لا سترة ولا غفلة ولا غيبة وليس الا

الصلاة فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم فاذا اطمأننتم فاقيموا الصلاة ان الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا ولا تهنوا فى ابتغاء القوم ان تكونوا تالمون فانهم يالمون كما تالمون وترجون من الله ما لا يرجون وكان الله عليما حكيما انا انزلنا اليك الكتاب بالحق لتحكم بين الناس بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما واستغفر الله ان الله كان غفورا رحيما ولا تجادل عن الذين يختانون أنفسهم ان الله لا يحب من كان خوانا اثيما يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم

الكشف الصريح والافتضاح (يبيتون) يدبرون ويزورون واصله ان يكون بالليل (مالا يرضى من القول) وهو تدبير طعمة ان يرمى بالدرع فى دار زيد ليسرق دونه ويحلف ببراءته (فان قلت) كيف سمى التدبير قولا وانما هو معنى فى النفس (قلت) لما حدث بذلك نفسه سمي قولا على المجاز ويجوز ان يراد بالقول الحلف الكاذب الذى حلف به بعد ان بيته وتوريكه الذنب على اليهودى (ها انتم هؤلاء) ها للتنبيه فى أنتم وأولاء وهما مبتدأ وخبر و(جادلتم) جملة مبينة لوقوع أولاء خبرا كما تقول لبعض الاسخياء أنت حاتم تجود بمالك وتؤثر على نفسك ويجوز ان يكون أولاء اسما موصولا بمعنى الذين وجادلتم صلته والمعنى هبوا انكم خاصمتم عن طعمة وقومه فى الدنيا فمن يخاصم عنهم فى الآخرة اذا اخذهم الله بعذابه * وقرأ عبد الله عنه اى عن طعمة (وكيلا) حافظا ومحاميا من بأس الله وانتقامه (ومن يعمل سوأ) قبيحا متعديا يسوء به غيره كما فعل طعمة بقتادة واليهودى (او يظلم نفسه) بما يختص به كالحلف الكاذب وقيل ومن يعمل سوأ من ذنب دون الشرك اويظلم نفسه بالشرك وهذا بعث لطعمة على الاستغفار والتوبة لتلزمه الحجة مع العلم بما يكون منه او لقومه لما فرط منهم من نصرته والذب عنه (فانما يكسبه على نفسه) اى لا يتعداه ضرره الى غيره فليبق على نفسه من كسب السوء (خطيئة) صغيرة (اوائما) اوكبيرة (ثم يرم به بريئا) كما رمى طعمة زيدا (فقد احتمل بهتانا واثما) لانه بكسب الاثم آثم وبرمى البرىء باهت فهو جامع بين الامرين * وقرأ معاذ بن جبل رضى الله عنه ومن يكسب بكسر الكاف والسين المشددة واصله يكتسب (ولولا فضل الله عليك ورحمته) اى عصمته والطافه وما اوحى اليك من الاطلاع على سرهم (لهمت طائفة منهم) من بنى ظفر (ان يضلوك) عن القضاء بالحق وتوخي طريق العدل مع علمهم بان الجاني هو صاحبهم فقد روى ان ناسا منهم كانوا يعلمون كنه القصة (وما يضلون الا انفسهم) لان وباله عليهم (وما يضرونك من شىء) لانك انما عملت بظاهر الحال وما كان يخطر ببالك ان الحقيقة على خلاف ذلك (وعلمك مالم تكن تعلم) من خفيات الامور وضمائر القلوب او من امور الدين والشرائع ويجوز ان يراد بالطائفة بنو ظفر ويرجع الضمير فى منهم الى الناس وقيل الآية فى المنافقين (لاخير فى كثير من نجواهم) من تناجي الناس (الا من امر بصدقة) الا نجوى من امر على انه مجرور بدل من كثير كما تقول لاخير فى قيامهم الا قيام زيد ويجوز ان يكون منصوبا على الانقطاع بمعنى ولكن من امر بصدقة ففى نجواه الخير * وقيل المعروف القرض وقيل اغاثة الملهوف وقيل هو عام فى كل جميل ويجوز ان يراد بالصدقة الواجب وبالمعروف ما يتصدق به على سبيل التطوع وعن النبى صلى الله عليه وسلم كلام ابن آدم كله عليه لا له الا ما كان من امر بمعروف اونهي عن منكر او ذكر الله وسمع سفيان رجلا يقول ما اشد هذا الحديث فقال الم تسمع الله يقول لاخير فى كثير من نجواهم فهو هذا بعينه اوما سمعته يقول والعصر ان الانسان لفى خسر فهو هذا بعينه * وشرط فى استيجاب الاجر العظيم ان ينوى فاعل الخير عبادة الله والتقرب به اليه وان يبتغى به وجهه خالصا لان الاعمال بالنيات (فان قلت) كيف قال الا من امر ثم قال (ومن يفعل ذلك) (قلت) قد ذكر الامر بالخير ليدل به على فاعله لانه اذا دخل الآمر به فى زمرة الخيرين كان الفاعل فيهم أدخل ثم قال ومن يفعل ذلك فذكر الفاعل وقرن به الوعد بالاجر العظيم ويجوز ان يراد ومن يأمر بذلك فعبر عن الامر بالفعل كما يعبر به عن سائر الافعال * وقرئ يؤتيه بالياء (ويتبع غير سبيل المؤمنين) وهو السبيل الذى هم عليه من الدين الحنيفى القيم وهو دليل على ان الاجماع حجة لا تجوز مخالفتها كما لا تجوز مخالفة الكتاب والسنة لان الله عز وعلا جمع بين اتباع سبيل غير المؤمنين وبين مشاقة الرسول فى الشرط وجعل جزاءه الوعيد الشديد فكان اتباعهم واجبا كموالاة الرسول عليه الصلاة والسلام (نوله ما تولى) نجعله واليا لما تولى من الضلال بان نخذله ونخلى بينه وبين ما اختاره (ونصله جهنم) وقرئ ونصله بفتح النون من صلاه وقيل هى فى طعمة وارتداده وخروجه الى مكة (ان الله لا يغفر ان يشرك به) تكرير للتاكيد وقيل كرر لقصة طعمة وروى انه مات مشركا وقيل جاء شيخ من العرب الى رسول الله ﷺ فقال انى شيخ منهمك فى الذنوب الا انى لم أشرك بالله شيأ منذ عرفته وآمنت به ولم أتخذ من دونه وليا ولم اوقع المعاصى

اذ يبيتون مالا يرضى من القول وكان الله بما يعملون محيطا ها انتم هؤلاء جادلتم عنهم فى الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة ام من يكون عليهم وكيلا ومن يعمل سوأ أو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما ومن يكسب اثما فانما يكسبه على نفسه وكان الله عليما حكيما ومن يكسب خطيئة اواثما ثم يرم به بريئا فقد احتمل بهتانا واثما مبينا ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شىء وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وعلمك مالم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما لاخير فى كثير من نجواهم الا من أمر بصدقة اومعروف او اصلاح بين الناس ومن يفعل ذلك ابتغاء مرضاة الله فسوف نؤتيه اجرا عظيما ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيدا ان يدعون من دونه

*قوله تعالى وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم الآية (قال محمود المراد الاماني الباطلة الخ) قال احمد هو تعريض باهل السنة الذين يعتقدون ان الموحد ذا الكبائر غير التائب امره يرجاء الى الله تعالى والعفو عنه موكول الى مشيئته ايمانا وتصديقا بقوله فى الآية المتبرة فى هذا ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء والعجب ان هذه الآية تكررت فى هذه السورة مرتين على اذن الزمخشرى وهو مع ذلك يتصام عنها و يجعل العقيدة المتلقات منها من جملة الامانى الشيطانية نعوذ بالله من ارسال الرسن فى اتباع الهوى وكذلك ايضا عرض باهل السنة فى اعتقادهم صدق الوعد الصادق بالشفاعة المحمدية وعد ذلك ايضا أمنية شيطانية وما أرى من جحد الشفاعة ينالها فلا حول ولا قوة الا بالله لقد مكر بهذا الفاضل فلا يأمن بعده عاقل انه لا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون.

جرأة على الله ولا مكابرة له وما توهمت طرفة عين انى اعجز الله هربا وانى انا دم تائب مستغفر فما ترى حالى عند الله فنزلت وهذا الحديث ينصر قول من فسر من يشاء بالتائب من ذنبه (الا اناثا) هي اللات والعزى ومناة وعن الحسن لم يكن حى من احياء العرب الا ولهم صنم يعبدونه يسمونه انثى بنى فلان وقيل كانوا يقولون فى اصنامهم هن بنات الله وقيل المراد الملائكة لقولهم الملائكة بنات الله * وقرئ انثا جمع أنيث أو اناث ووثنا وأثنا بالتخفيف والتثقيل جمع وثن كقولك أسد وأسد وأسد وقلب الواوا الفا نحو أجوه فى وجوه وقرأت عائشة رضى الله عنها اوثانا (وان يدعون) وان يعبدون بعبادة الاصنام (الا شيطانا) لانه هو الذى اغراهم على عبادتها فاطاعوه فجعلت طاعتهم له عبادة و (لعنه الله وقال لاتخذن) صفتان بمعنى شيطانا مريدا جامعا بين لعنة الله وهذا القول الشنيع (نصيبا مفروضا) مقطوعا واجبا فرضته لنفسي من قولهم فرض له فى العطاء وفرض الجند رزقه قال الحسن من كل ألف تسعمائة وتسعين الى النار (ولأمنينهم) الامانى الباطلة من طول الاعمار وبلوغ الآمال ورحمة الله للمجرمين بغير توبة والخروج من النار بعد دخولها بالشفاعة ونحو ذلك * وتبتيكهم الآذان فعلهم بالبحائر كانوا يشقون أذن الناقة اذا ولدت خمسة أبطن وجاء الخامس ذكرا وحرموا على انفسهم الانتفاع بها * وتغييرهم خلق الله فقء عين الحامى واعفاؤه عن الركوب وقيل الخصاء وهو فى قول عامة العلماء مباح فى البهائم واما فى بنى آدم فمحظور وعند ابى حنيفة يكره شراء الخصيان وامساكهم واستخدامهم لان الرغبة فيهم تدعو الى خصائهم وقيل فطرة الله التى هى دين الاسلام وقيل للحسن ان عكرمة يقول هو الخصاء فقال كذب عكرمة هو دين الله وعن ابن مسعود هو الوشم وعنه لعن الله الواشرات والمتنمصات والمستوشمات المغيرات خلق الله وقيل التخنث (وعد الله حقا) مصدران الاول مؤكد لنفسه والثانى مؤكد لغيره (ومن اصدق من الله قيلا) توكيد ثالث بليغ (فان قلت) ما فائدة هذه التوكيدات (قلت) معارضة مواعيد الشيطان الكاذبة وأمانيه الباطلة لقرنائه بوعد الله الصادق لاوليائه ترغيبا للعباد فى ايثار ما يستحقون به تنجز وعد الله على ما يتجرعون فى عاقبته غصص اخلاف مواعيد الشيطان * فى (ليس) ضمير وعد الله اى ليس ينال ما وعد الله من الثواب (باما نيكم ولا) بـ (امانى اهل الكتاب) والخطاب للمسلمين لانه لا يتمنى وعد الله الا من آمن به وكذلك ذكر اهل الكتاب معهم لمشاركتهم لهم فى الايمان بوعد الله وعن مسروق والسدى هى فى المسلمين وعن الحسن ليس الايمان بالتمنى ولكن ما وقر فى القلب وصدقه العمل ان قوما ألهتهم امانى المغفرة حتى خرجوا من الدنيا ولا حسنة لهم وقالوا نحسن الظن بالله وكذبوا لو احسنوا الظن بالله لاحسنوا العمل له وقيل ان المسلمين واهل الكتاب افتخروا فقال اهل الكتاب نبينا قبل نبيكم وكتابنا قبل كتابكم وقال المسلمون نحن اولى منكم نبينا خاتم النبيين وكتابنا يقضى على الكتب التى كانت قبله فنزلت ويحتمل ان يكون الخطاب للمشركين لقولهم ان كان الامر كما يزعم هؤلاء لنكونن خيرا منهم واحسن حالا لأوتين مالا وولدا ان لى عنده للحسنى وكان اهل الكتاب يقولون نحن ابناء الله واحباؤه لن تمسنا النار الا اياما معدودة ويعضده تقدم ذكر اهل الشرك قبله وعن مجاهد ان الخطاب للمشركين * قوله (من يعمل سوأ يجز به) وقوله (ومن يعمل من الصالحات) بعد ذكر تمنى أهل الكتاب نحو من قوله بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته وقوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات عقيب قوله وقالوا لن تمسنا النار الا اياما معدودة واذا أبطل الله الامانى وأثبت ان الامر كله معقود بالعمل وان من اصلح عمله فهو الفائز ومن اساء عمله

الا اناثا وان يدعون الا شيطانا مريدا لعنه الله وقال لاتخذن من عبادك نصيبا مفروضا ولاضلنهم ولامنينهم ولآمرنهم فليبتكن آذان الانعام ولآمرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان وليا من دون الله فقد خسر خسرانا مبينا يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان الا غرورا أولئك ماواهم جهنم ولا يجدون عنها محيصا والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا وعد الله حقا ومن اصدق من الله قيلا ليس باما نيكم ولا امانى اهل الكتاب من يعمل سوأ يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا ومن احسن دينا ممن

* قوله تعالى ومن يعمل من الصالحات من ذكر او انثى وهو مؤمن فاولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا (قال) ان قلت كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك قلت فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون

فهو الهالك تبين الامر ووضح ووجب قطع الامانى وحسم المطامع والاقبال على العمل الصالح ولكنه نصح لا تعيه الآذان ولا تلقى اليه الاذهان * (فان قلت) ما الفرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض اراد ومن يعمل بعض الصالحات لان كلا لا يتمكن من عمل كل الصالحات لاختلاف الاحوال وانما يعمل منها ما هو تكليفه وفى وسعه وكم من مكلف لا حج عليه ولا جهاد ولا زكاة وتسقط عنه الصلاة فى بعض الاحوال والثانية لتبيين الابهام فى من يعمل * (فان قلت) كيف خص الصالحون بانهم لا يظلمون وغيرهم مثلهم فى ذلك (قلت) فيه وجهان احدهما ان يكون الراجع فى ولا يظلمون لعمال السوء وعمال الصالحات جميعا والثانى ان يكون ذكره عند احد الفريقين دالا على ذكره عند الآخر لان كلا الفريقين مجزيون باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد فى عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب فكان نفى الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان فى الفضل (اسلم وجهه لله) اخلص نفسه لله وجعلها سالمة له لا تعرف لها ربا ولا معبودا سواه (وهو محسن) وهو عامل للحسنات تارك للسيآت (حنيفا) حال من المتبع او من ابراهيم كقوله بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين وهو الذى تحنف اى مال عن الاديان كلها الى دين الاسلام (واتخذ الله ابراهيم خليلا) مجاز عن اصطفائه واختصاصه بكرامة تشبه كرامة الخليل عند خليله والخليل المخال وهو الذى يخالك اى يوافقك فى خلالك او يسايرك فى طريقك من الخل وهو الطريق فى الرمل او يسد خللك كما تسد خلله او يداخلك خلال منازلك وحجبك (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هى جملة اعتراضية لا محل لها من الاعراب كنحو ما يجيء فى الشعر من قولهم والحوادث جمة فائدتها تاكيد وجوب اتباع ملته لان من بلغ من الزلفى عند الله ان اتخذه خليلا كان جديرا بان تتبع ملته وطريقته ولو جعلتها معطوفة على الجملة قبلها لم يكن لها معنى وقيل ان ابراهيم عليه السلام بعث الى خليل له بمصر فى ازمة اصابت الناس يمتار منه فقال خليله لو كان ابراهيم يطلب الميرة لنفسه لفعلت ولكنه يريدها للاضياف فاجتاز غلمانه ببطحاء لينة فملؤا منها الغرائر حياء من الناس فلما اخبروا ابراهيم عليه السلام ساءه الخبر فحملته عيناه وعمدت امرأته الى غرارة منها فاخرجت احسن حوارى واختبزت واستنبه ابراهيم عليه السلام فاشتم رائحة الخبز فقال من اين لكم فقالت امرأته من خليلك المصرى فقال بل من عند خليلى الله عز وجل فسماه الله خليلا (ولله ما فى السموات وما فى الارض) متصل بذكر العمال الصالحين والصالحين ومعناه ان له ملك اهل السموات والارض فطاعته واجبة عليهم وكان الله بكل شيء محيطا) فكان عالما باعمالهم فمجازيهم على خيرها وشرها فعليهم ان يختاروا الا ما تمسهم ما هو اصلح لها (ما يتلى) فى محل الرفع اى الله يفتيكم والمتلو (فى الكتاب) فى معنى اليتامى يعنى قوله وان خفتم ان لا تقسطوا فى اليتامى وهو من قولك اعجبنى زيد وكرمه ويجوز ان يكون ما يتلى عليكم مبتدأ وفى الكتاب خبره على انها جملة معترضة والمراد بالكتاب اللوح المحفوظ تعظيما للمتلو عليهم وان العدل والنصفة فى حقوق اليتامى من عظائم الامور المرفوعة الدرجات عند الله التى تجب مراعاتها والمحافظة عليها والمخل بها ظالم متهاون بما عظمه الله ونحوه فى تعظيم القرآن وانه فى ام الكتاب لدينا لعلى حكيم ويجوز ان يكون مجرورا على القسم كانه قيل قل الله يفتيكم فيهن واقسم بما يتلى عليكم فى الكتاب والقسم ايضا لمعنى التعظيم وليس بسديد ان يعطف على المجرور فى فيهن لاختلاله من حيث اللفظ والمعنى * (فان قلت) بم تعلق قوله فى (يتامى النساء) (قلت) فى الوجه الاول هو صلة يتلى اى يتلى عليكم فى

أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة ابراهيم حنيفا واتخذ الله ابراهيم خليلا ولله ما فى السموات وما فى الارض وكان الله بكل شيء محيطا و يستفتونك فى النساء قل الله يفتيكم فيهن وما يتلى عليكم فى الكتاب فى يتامى النساء اللاتى

باعمالهم لا تفاوت بينهم ولان ظلم المسيء ان يزاد فى عقابه وارحم الراحمين معلوم انه لا يزيد فى عقاب المجرم فكان ذكره مستغنى عنه واما المحسن فله ثواب وتوابع للثواب من فضل الله هى فى حكم الثواب فجاز ان ينقص من الفضل لانه ليس بواجب وكان نفى الظلم دلالة على انه لا يقع نقصان فى الفضل انتهى كلامه (قلت) مدار هذا التطويل بالسؤال والجواب على بث المعتقد الفاسد فى ان الله تعالى يجب عليه ان يثيب على الطاعات وان الثواب منقسم الى واجب ليس بفضل والى زيادة على الواجب وهى الفضل خاصة وهذا المعتقد هو الذى يصدق عليه ان الشيطان مناه للقدرية حتى زعموا ان لهم على الله واجبا تعالى الله عن ذلك ان الله لغنى عن عمل يوجب عليه حقا جل الله وعز لقد نفخ الشيطان بهذه الامنية فى آذان القدرية اللهم لا عمدة لنا الا فضلك فاجزل نصيبنا منه يا كريم ممناهن

معناهن ويجوز ان يكون في يتامى النساء بدلا من فيهن وأما في الوجهين الآخرين فبدل لاغير (فان قلت) الاضافة في يتامى النساء ماهي (قلت) اضافة بمعنى من كقولك عندي سحق عمامة* وقرئ في ييامى النساء بياءين على قلب همزة أيامى ياء (لا تؤتونهن ما كتب لهن) وقرئ ما كتب الله لهن أي مافرض لهن من الميراث وكان الرجل منهم يضم اليتيمة الى نفسه ومالها فان كانت جميلة تزوجها وأكل المال وان كانت دميمة عضلها عن التزوج حتى تموت فيرثها (وترغبون ان تنكحوهن) يحتمل في ان تنكحوهن لجمالهن وعن ان تنكحوهن لدمامتهن وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان اذا جاءه ولي اليتيمة نظر فان كانت جميلة غنية قال زوجها غيرك والتمس لها من هو خير منك وان كانت دميمة ولا مال لها قال تزوجها فأنت احق بها (والمستضعفين) مجرور معطوف على يتامى النساء وكانوا في الجاهلية انما يورثون الرجال القوام بالامور دون الاطفال والنساء ويجوز ان يكون خطابا للاوصياء كقوله ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب (وان تقوموا) مجرور كالمستضعفين بمعنى يفتيكم في يتامى النساء وفي المستضعفين وفي ان تقوموا ويجوز ان يكون منصوبا بمعنى ويامركم ان تقوموا وهو خطاب للائمة في ان ينظروا لهم ويستوفوا لهم حقوقهم ولا يخلوا احدا يهتضمهم (خافت من بعلها) توقعت منه ذلك لما لاح لها من مخايله وأماراته* والنشوز ان يتجافى عنها بان يمنعها نفسه ونفقته والمودة والرحمة التي بين الرجل والمرأة وان يؤذيها بسب أو ضرب* والاعراض ان يعرض عنها بان يقل محادثتها ومؤانستها وذلك لبعض الاسباب من طعن في سن او دمامة او شيء في خلق او خلق او ملال او طموح عين الى اخرى او غير ذلك* فلا باس بهما في ان يصلحا بينهما وقرئ يصالحا ويصلحا بمعنى يتصالحا ويصطلحا ونحو اصلح اصبر في اصطبر (صلحا) في معنى مصدر كل واحد من الافعال الثلاثة ومعنى الصلح ان يتصالحا على ان تطيب له نفسا عن القسمة او عن بعضها كما فعلت سودة بنت زمعة حين كرهت ان يفارقها رسول الله صلى الله عليه وسلم وعرفت مكان عائشة من قلبه فوهبت لها يومها وكما روي ان امرأة اراد زوجها ان يطلقها لرغبته عنها وكان لها منه ولد فقالت لا تطلقني ودعني أقوم على ولدي وتقسم لي في كل شهرين فقال ان كان هذا يصلح فهو أحب الي فاقرها او تهب له بعض المهر او كله او النفقة فان لم تفعل فليس له الا ان يمسكها باحسان أو يسرحها (والصلح خير) من الفرقة أو من النشوز والاعراض وسوء العشرة او هو خير من الخصومة في كل شيء أو والصلح خير من الخيور كما أن الخصومة شر من الشرور وهذه الجملة اعتراض وكذلك قوله (واحضرت الانفس الشح) ومعنى احضار الانفس الشح ان الشح جعل حاضرا لها لا يغيب عنها ابدا ولا تنفك عنه يعني انها مطبوعة عليه والغرض ان المرأة لا تكاد تسمح بقسمتها و بغير قسمتها والرجل لا تكاد نفسه تسمح بان يقسم لها وان يمسكها اذا رغب عنها وأحب غيرها (وان تحسنوا) بالاقامة على نسائكم وان كرهتموهن وأحببتم غيرهن وتصبروا على ذلك مراعاة لحق الصحبة (وتتقوا) النشوز والاعراض وما يؤدي الى الاذى والخصومة (فان الله كان بما تعملون) من الاحسان والتقوى (خبيرا) وهو يثيبكم عليه وكان عمران بن حطان الخارجي من أدم بني آدم وامرأته من أجملهم فاجالت في وجهه نظرها يوما ثم تابعت الحمد لله فقال لها مالك قالت حمدت الله على اني واياك من أهل الجنة قال كيف قالت لانك رزقت مثلي فشكرت ورزقت مثلك فصبرت وقد وعد الله الجنة عباده الشاكرين والصابرين (وان تستطيعوا) ومحال ان تستطيعوا العدل (بين النساء) والتسوية حتى لا يقع ميل البتة ولا زيادة ولا نقصان فيما يجب لهن فرفع لذلك عنكم تمام العدل وغايته وما كلفتم منه الا ما تستطيعون بشرط ان تبذلوا فيه وسعكم وطاقتكم لان تكليف ما لا يستطاع داخل في حد الظلم وما ربك بظلام للعبيد وقيل معناه ان تعدلوا في المحبة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقسم بين نسائه فيعدل و يقول هذه قسمتي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما تملك ولا أملك يعني المحبة لان عائشة رضي الله عنها كانت أحب اليه وقيل ان العدل بينهن أمر صعب بالغ من الصعوبة حدا يوهم انه غير مستطاع لانه يجب أن يسوي بينهن في القسمة والنفقة والتعهد والنظر والاقبال والممالحة والمفاكهة والمؤانسة وغيرها مما لا يكاد الحصر ياتي من ورائه فهو كالخارج من حد الاستطاعة هذا اذا كن محبوبات كلهن

لا تؤتونهن ما كتب لهن وترغبون أن تنكحوهن والمستضعفين من الولدان وان تقوموا لليتامى بالقسط وما تفعلوا من خير فان الله كان به عليما وان امرأة خافت من بعلها نشوزا أو اعراضا فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحا والصلح خير وأحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم

فلا تميلوا كل الميل
فتذروها كالمعلقة وان
تصلحوا وتتقوا فان الله
كان غفورا رحيما وان
يتفرقا يغن الله كلا من
سعته وكان الله واسعا
حكيما ولله ما في السموات
وما في الارض ولقد
وصينا الذين أوتوا
الكتاب من قبلكم
واياكم ان اتقوا الله وان
تكفروا فان لله ما في
السموات وما في الارض
وكان الله غنيا حميدا ولله
ما في السموات وما في
الارض وكفى بالله
وكيلا ان يشا يذهبكم
ايها الناس ويأت
بآخرين وكان الله على
ذلك قديرا من كان
يريد ثواب الدنيا
فعند الله ثواب الدنيا
والآخرة وكان الله
سميعا بصيرا يا أيها
الذين آمنوا كونوا
قوامين بالقسط شهداء
لله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين
ان يكن غنيا او فقيرا
فالله اولى بهما فلا تتبعوا
الهوى

فكيف اذا مال القلب مع بعضهن (فلا تميلوا كل الميل) فلا تجوروا على المرغوب عنها كل الجور فتمنعوها قسمتها من غير رضي منها يعني ان اجتناب كل الميل مما هو في حد اليسر والسعة فلا تفرطوا فيه ان وقع منكم التفريط في العدل كله وفيه ضرب من التوبيخ (فتذروها كالمعلقة) وهي التي ليست بذات بعل ولا مطلقة قال

هل هي الاحظة او تطليق * اوصلف او بين ذاك تعليق

وفي قراءة ابي فتذروها كالمسجونة وفي الحديث من كانت له امرأتان يميل مع احداهما جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل وروي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعث الى ازواج رسول الله صلى الله عليه وسلم بمال فقالت عائشة رضي الله عنها أإلى كل ازواج رسول الله بعث عمر بمثل هذا قالوا لا بعث الى القرشيات بمثل هذا والى غيرهن بغيره فقالت ارفع رأسك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يعدل بيننا في القسمة بماله ونفسه فرجع الرسول فاخبره فاتم لهن جميعا وكان لمعاذ امرأتان فاذا كان عند احداهما لم يتوضأ في بيت الاخرى فماتتا في الطاعون فدفنهما في قبر واحد (وان تصلحوا) ما مضى من ميلكم وتتداركوه بالتوبة (وتتقوا) فيما يستقبل غفر الله لكم * وقرئ وان يتفارقا بمعنى وان يفارق كل واحد منهما صاحبه (يغن الله كلا) يرزقه زوجا خيرا من زوجه وعيشا أهنا من عيشه والسعة الغنى والمقدرة والواسع الغني المقتدر (من قبلكم) متعلق بوصينا او باوتوا (واياكم) عطف على الذين اوتوا * الكتاب اسم للجنس يتناول الكتب السماوية (ان اتقوا) بان اتقوا وتكون ان المفسرة لان التوصية في معنى القول وقوله (وان تكفروا فان لله) عطف على اتقوا لان المعنى امرناهم وامرناكم بالتقوى وقلنا لهم ولكم ان تكفروا فان لله والمعنى ان لله الخلق كله وهو خالقهم ومالكهم والمنعم عليهم باصناف النعم كلها فحقه ان يكون مطاعا في خلقه غير معصي يتقون عقابه ويرجون ثوابه ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من الامم السالفة ووصيناكم ان اتقوا الله يعني انها وصية قديمة ما زال يوصي الله بها عباده لستم بها مخصوصين لانهم بالتقوى يسعدون عنده وبها ينالون النجاة في العاقبة وقلنا لهم ولكم وان تكفروا فان لله في سمواته وأرضه من الملائكة والثقلين من يوحده ويعبده ويتقيه (وكان الله مع ذلك غنيا) عن خلقه وعن عبادتهم جميعا مستحقا لان يحمد لكثرة نعمه وان لم يحمده احد منهم وتكرير قوله لله ما في السموات وما في الارض تقرير لما هو موجب تقواه ليتقوه فيطيعوه ولا يعصوه لان الخشية والتقوى أصل الخير كله (ان يشا يذهبكم) يفنكم ويعدمكم كما اوجدكم وانشأكم (ويأت بآخرين) ويوجد انسا آخرين مكانكم او خلقا آخرين غير الانس (وكان الله على ذلك) من الاعدام والايجاد (قديرا) بليغ القدرة لا يمتنع عليه شيء اراده وهذا غضب عليهم وتخويف وبيان لاقتداره وقيل هو خطاب لمن كان يعادي رسول الله صلى الله عليه وسلم من العرب اي ان يشا يمتكم ويأت باناس آخرين يوالونه ويروى انها لما نزلت ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده على ظهر سلمان وقال انهم قوم هذا يريد أبناء فارس (من كان يريد ثواب الدنيا) كالمجاهد يريد بجهاده الغنيمة (فعند الله ثواب الدنيا والآخرة) فما له يطلب احدهما دون الآخر والذي يطلبه أخسهما لان من جاهد لله خالصا لم تخطئه الغنيمة وله من ثواب الآخرة ما الغنيمة الى جنبه كلا شيء والمعنى فعند الله ثواب الدنيا والآخرة له ان اراده حتى يتعلق الجزاء بالشرط (قوامين بالقسط) مجتهدين في اقامة العدل حتى لا تجوروا (شهداء الله) تقيمون شهاداتكم لوجه الله كما امرتم باقامتها (ولو على انفسكم) ولو كانت الشهادة على انفسكم او آبائكم أو أقاربكم (فان قلت) الشهادة على الوالدين والاقربين ان تقول أشهد ان لفلان على والدي كذا او على أقاربي فما معنى الشهادة على نفسه (قلت) هي الاقرار على نفسه لانه في معنى الشهادة عليها بالزام الحق لها ويجوز ان يكون المعنى وان كانت الشهادة وبالا على انفسكم او على آبائكم وأقاربكم وذلك ان يشهد على من يتوقع ضرره من سلطان ظالم او غيره (ان يكن) ان يكن المشهود عليه (غنيا) فلا تمنع الشهادة عليه لغناه طلبا لرضاه (او فقيرا) فلا تمنعها ترحما عليه (فالله اولى بهما) بالغني والفقير اي بالنظر لهما وارادة مصلحتهما ولولا ان الشهادة عليهما مصلحة لهما لما شرعها لانه أنظر لعباده من كل ناظر (فان قلت) لم ثنى الضمير في اولى بهما وكان حقه ان يوحد لان قوله ان يكن غنيا او فقيرا في معنى ان يكون احد هذين (قلت)

قوله تعالى ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا (قال محمود نفي للغفران والهداية الخ) قال احمد وليس في هذه الآية ما يخالف ظاهر القاعدة المستقرة على ان التوبة مقبولة على الاطلاق لان آخر ما ذكر من حال هؤلاء ازدياد الكفر ولو كان المذكور في آخر احوالهم التوبة والايمان لاحتيج الى الجمع بين الآية والقاعدة اذا وانما يقع هذا الفصل الذي اورده الزمخشري موقعه في آية آل عمران وهو قوله تعالى ان الذين كفروا بعد ايمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم واولئك هم الضالون وقد ظهر الآن في الجمع بين هذه الآية والقاعدة وجه آخر سوى ما تقدم في آل عمران وهو أن يكون المراد لن يصدر منهم توبة فلن يكون قبول من باب * على لاحب لا يهتدى بمناره * وعلى هذا يكون خبر الاحكما والمخبر عنهم من سبق في علم الله انه لا يتوب من المرتدين والله أعلم وفي قول الزمخشري ان الناكث للتوبة العائد اليها يغلب من حاله انه يموت بشر حال نظر فقد ورد في الحديث المؤمن مفتن تواب قال المروي معناه يقارف الذنب لفتنته ثم يعقبه بالتوبة

أن تعدلوا وان تلووا أو تعرضوا فان الله كان بما تعملون خبيرا يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزل على رسوله والكتاب الذى انزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضل ضلالا بعيدا ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر المنافقين بان لهم عذابا اليما الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة

قد رجع الضمير الى ما دل عليه قوله ان يكن غنيا او فقيرا الا الى المذكور فلذلك ثني ولم يفرد وهو جنس الغنى وجنس الفقير كانه قيل فالله اولى بجنسي الغنى والفقير اى بالاغنياء والفقراء وفي قراءة ابي فالله أولى بهم وهي شاهدة على ذلك * وقرأ عبد الله ان يكن غني أو فقير على كان التامة (أن تعدلوا) يحتمل العدل والعدول كانه قيل فلا تتبعوا الهوى كراهة ان تعدلوا بين الناس أو ارادة ان تعدلوا عن الحق (وان تلووا أو تعرضوا) وان تلووا السنتكم عن شهادة الحق او حكومة العدل او تعرضوا عن الشهادة بما عندكم وتمنعوها * وقرئ وان تلوا أو تعرضوا بمعنى وان وليتم اقامة الشهادة أو اعرضتم عن اقامتها (فان الله كان بما تعملون خبيرا) وبمجازاتكم عليه (يا أيها الذين آمنوا) خطاب للمسلمين ومعنى (آمنوا) اثبتوا على الايمان وداوموا عليه وازدادوه (والكتاب الذى انزل من قبل) المراد به جنس ما أنزل على الانبياء قبله من الكتب والدليل عليه قوله وكتبه وقرئ وكتابه على ارادة الجنس وقرئ نزل وانزل على البناء للفاعل وقيل الخطاب لاهل الكتاب لانهم آمنوا ببعض الكتب والرسل وكفروا ببعض وروى انه لعبد الله بن سلام واسد واسيد ابني كعب وثعلبة بن قيس وسلام ابن أخت عبد الله بن سلام وسلمة بن اخيه ويامين بن يامين أتوا رسول الله ﷺ وقالوا يا رسول الله انا نؤمن بك وبكتابك وموسى والتوراة وعزير ونكفر بما سواه من الكتب والرسل فقال عليه السلام بل آمنوا بالله ورسوله محمد وكتابه القرآن وبكل كتاب كان قبله فقالوا لا نفعل فنزلت فآمنوا كلهم وقيل هو للمنافقين كانه قيل يا أيها الذين آمنوا نفاقا آمنوا اخلاصا (فان قلت) كيف قيل لاهل الكتاب والكتاب الذى انزل من قبل وكانوا مؤمنين بالتوراة والانجيل (قلت) كانوا مؤمنين بهما فحسب وما كانوا مؤمنين بكل ما انزل من الكتب فأمروا أن يؤمنوا بالجنس كله ولان ايمانهم ببعض الكتب لا يصح ايمانا به لان طريق الايمان به هو المعجزة ولا اختصاص لها ببعض الكتب دون بعض فلو كان ايمانهم بما آمنوا به لاجل المعجزة لآمنوا به كله فحين آمنوا ببعضه علم انهم لم يعتبروا المعجزة فلم يكن ايمانهم ايمانا وهذا الذى اراد عز وجل في قوله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا أولئك هم الكافرون حقا (فان قلت) لم قيل نزل على رسوله وانزل من قبل (قلت) لان القرآن نزل مفرقا منجما في عشرين سنة بخلاف الكتب قبله * ومعنى قوله (ومن يكفر بالله) الآية ومن يكفر بشيء من ذلك (فقد ضل) لان الكفر ببعضه كفر بكله ألا ترى كيف قدم الامر بالايمان به جميعا (لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلا) نفي للغفران والهداية وهي اللطف على سبيل المبالغة التى تعطيها اللام والمراد بنفيهما نفي ما يقتضيهما وهو الايمان الخالص الثابت والمعنى ان الذين تكرر منهم الارتداد وعهد منهم ازدياد الكفر والاصرار عليه يستبعد منهم ان يحدثوا ما يستحقون به المغفرة ويستوجبون اللطف من ايمان صحيح ثابت يرضاه الله لان قلوب أولئك الذين هذا ديدنهم قلوب قد ضريت بالكفر ومرنت على الردة وكان الايمان اهون شيء عندهم وادونه حيث يبدو لهم فيه كرة بعد اخرى وليس المعنى أنهم لو اخلصوا الايمان بعد تكرار الردة ونصحت توبتهم لم يقبل منهم ولم يغفر لهم لان ذلك مقبول حيث هو بذل للطاقة واستفراغ للوسع ولكنه استبعاد له واستغراب وأنه امر لا يكاد يكون وهكذا ترى الفاسق الذى يتوب ثم يرجع ثم يتوب ثم يرجع لا يكاد يرجى منه الثبات والغالب انه يموت على شر حال واسمج صورة وقيل هم اليهود آمنوا بالتوراة وبموسى ثم كفروا بالانجيل وبعيسى ثم ازدادوا كفرا بكفرهم بمحمد صلى الله عليه وسلم (بشر المنافقين) وضع بشر مكان اخبر تهكما بهم و(الذين) نصب على الذم أو رفع بمعنى اريد الذين أو هم الذين وكانوا يمايلون الكفرة ويوالونهم ويقول بعضهم

*قوله تعالى الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا ألم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين (قال سمى ظفر المسلمين فتحا تعظيما لشان المسلمين الخ) قال احمد وهذا من محاسن نكت أسرار القرآن فان الذى كان يتفق للمسلمين فيه استئصال لشافة الكفار واستيلاء على أرضهم وديارهم وأموالهم وأرض لم يطؤها وأما ما كان يتفق للكفار فمثل الغلبة والقدرة التي لا يبلغ شانها أن تسمي فتحا فالتفريق بينهما مطابق ايضا للواقع والله اعلم * قوله تعالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا (قال) لانهم انما يصلون رياء مادام من يرقبهم فاذا خلوا بانفسهم لم يصلوا اولا يذكرون الله بالتهليل والتسبيح الا ذكرا قليلا في الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة وما ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفترعنه ولا يجوز ان يراد بالقلة العدم انتهي كلامه (قلت) وانما منع من ان يراد بها العدم لانه خبر فيجب صدقه وقد كانوا يذكرون الله في بعض الاحيان فلا يمكن ان يسلب ذكر الله مطلقا واذا بنيا على ان المراد بالذكر الصلاة وهو الظاهر فالمراد ايضا الصلاة المعتبرة التى يذكر بها الانسان حق الله عليه فينتهي عن الفحشاء والمنكر والصلاة فى هذا الوجه مساوية عن المنافقين مطلقا فيجوز اذا حمل القلة على العدم بهذا التفسير والله اعلم

فان العزة لله جميعا وقد نزل عليكم فى الكتاب أن اذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره انكم اذا مثلهم ان الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعا الذين يتربصون بكم فان كان لكم فتح من الله قالوا ألم نكن معكم وان كان للكافرين نصيب قالوا الم نستحوذ عليكم ونمنعكم من المؤمنين فالله يحكم بينكم يوم القيامة ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا ان المنافقين يخادعون الله وهو خادعهم واذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراؤن الناس ولا يذكرون الله الا قليلا

لبعض لا يتم أمر محمد فتولوا اليهود (فان العزة لله جميعا) يريد لاوليائه الذين كتب لهم العز والغلبة على اليهود وغيرهم وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين (أن اذا سمعتم) هى أن المخففة من الثقيلة والمعنى انه اذا سمعتم اى نزل عليكم أن الشان كذا والشان ما أفادته الجملة بشرطها وجزائها وأن مع ما فى حيزها فى موضع الرفع بنزل اوفي موضع النصب بنزل فيمن قرأ به والمنزل عليهم في الكتاب هو ما نزل عليهم بمكة من قوله واذا رأيت الذين يخوضون فى آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا فى حديث غيره وذلك ان المشركين كانوا يخوضون فى ذكر القرآن فى مجالسهم فيستهزؤن به فنهي المسلمون عن القعود معهم ماداموا خائضين فيه وكان احبار اليهود بالمدينة يفعلون نحو فعل المشركين فنهوا ان يقعدوا معهم كما نهوا عن مجالسة المشركين بمكة وكان الذين يقاعدون الخائضين فى القرآن من الاحبار هم المنافقون * فقيل لهم انكم اذا مثل الاحبار فى الكفر (ان الله جامع المنافقين والكافرين) يعنى القاعدين والمقعود معهم (فان قلت) الضمير فى قوله فلا تقعدوا معهم الى من يرجع (قلت) الى من دل عليه يكفر بها ويستهزأ بها كانه قيل فلا تقعدوا مع الكافرين بها والمستهزئين بها (فان قلت) لم يكونون مثلهم بالمجالسة اليهم فى وقت الخوض (قلت) لانهم اذا لم ينكروا عليهم كانوا راضين والراضي بالكفر كافر (فان قلت) فهلا كان المسلمون بمكة حين كانوا يجالسون الخائضين من المشركين منافقين (قلت) لانهم كانوا لا ينكرون لعجزهم وهؤلاء لم ينكروا مع قدرتهم فكان ترك الانكار لرضاهم (الذين يتربصون) اما بدل من الذين يتخذون واما صفة للمنافقين او نصب على الذم منهم يتربصون بكم اى ينتظرون بكم ما يتجدد لكم من ظفر او اخفاق (ألم نكن معكم) مظاهرين فاسهموا لنا فى الغنيمة (ألم نستحوذ عليكم) الم نغلبكم ونتمكن من قتلكم وأسركم فابقينا عليكم (ونمنعكم من المؤمنين) بان ثبطناهم عنكم وخيلنا لهم ماضعفت به قلوبهم ومرضوا فى قتالكم وتوانينا فى مظاهرتهم عليكم فهاتوا نصيبا لنا مما أصبتم *وقرئ ونمنعكم بالنصب باضمار أن قال الحطيئة

الم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

(فان قلت) لم سمي ظفر المسلمين فتحا وظفر الكافرين نصيبا (قلت) تعظيما لشأن المسلمين وتخسيسا لحظ الكافرين لان ظفر المسلمين امر عظيم تفتح لهم ابواب السماء حتى ينزل على اوليائه واما ظفر الكافرين فما هو الا حظ دنى ولمظة من الدنيا يصيبونها (يخادعون الله) يفعلون ما يفعل المخادع من اظهار الايمان وابطان الكفر (وهو خادعهم) وهو فاعل بهم ما يفعل الغالب فى الخداع حيث تركهم معصومى الدماء والاموال فى الدنيا واعد لهم الدرك الاسفل من النار فى الآخرة ولم يخلهم فى العاجل من فضيحة واحلال باس ونقمة ورعب دائم والخادع اسم فاعل من خادعته فخدعته اذا غلبته وكنت أخدع منه وقيل يعطون على الصراط نورا كما يعطى المؤمنون فيمضون بنورهم ثم يطفأ نورهم ويبقى نور المؤمنين فينادون انظرونا نقتبس من نوركم (كسالى) قرئ بضم الكاف وفتحها جمع كسلان كسكارى فى سكران اى يقومون متثاقلين متقاعسين كما ترى من يفعل شيأ على كره لا عن طيبة نفس ورغبة (يراؤن الناس) يقصدون بصلاتهم الرياء والسمعة (ولا يذكرون الله الا قليلا) ولا يصلون الا قليلا لانهم لا يصلون قط غائبين عن عيون الناس الا ما يجاهرون به

ومايجاهرون به قليل ايضا لانهم ماوجدوا مندوحة من تكلف ماليس فى قلوبهم لم يتكلفوه (ولا يذكرون الله) بالتسبيح والتهليل الا ذكرا قليلا فى الندرة وهكذا ترى كثيرا من المتظاهرين بالاسلام لو صحبته الايام والليالى لم تسمع منه تهليلة ولا تسبيحة ولا تحميدة ولكن حديث الدنيا يستغرق به اوقاته لا يفتر عنه ويجوز ان يراد بالقلة العدم (فان قلت) مامعنى المراآة وهى مفاعلة من الرؤية (قلت) فيها وجهان احدهما ان المرائي يريهم عمله وهم يرونه استحسانه والثانى ان يكون من المفاعلة بمعنى التفعيل فيقال راءى الناس يعنى رآهم كقولك نعمه وناعمه وفنقه وفانقه وعيش مفانق روى ابوزيد رأت المرأة المرأة الرجل اذا أمسكتها لترى وجهه ويدل عليه قراءة ابن ابى اسحق يرأونهم بهمزة مشددة مثل يرعونهم أى يبصرونهم اعمالهم ويراؤنهم كذلك (مذبذبين) اماحال نحو قوله ولا يذكرون عن واو يراؤن اى يراؤنهم غير ذاكرين مذبذبين او منصوب على الذم ومعنى مذبذبين ذبذبهم الشيطان والهوى بين الايمان والكفر فهم مترددون بينهما متحيرون وحقيقة المذبذب الذى يذب عن كلا الجانبين اى يذاد ويدفع فلا يقر فى جانب واحد كما قيل فلان يرمى به الرحوان الا ان الذبذبة فيها تكرير ليس فى الذب كان المعنى كلما مال الى جانب ذب عنه وقرأ ابن عباس مذبذبين بكسر الذال بمعنى يذبذبون قلوبهم اودينهم اورأيهم او بمعنى يتذبذبون كما جاء صلصل وتصلصل بمعنى وفى مصحف عبدالله متذبذبين وعن ابى جعفر مدبدبين بالدال غير المعجمة وكان المعنى اخذبهم تارة فى دبة وتارة فى دبة فليسوا بماضين على دبة واحدة والدبة الطريقة ومنها دبة قريش و (ذلك) اشارة الى الكفر والايمان (لا الى هؤلاء) لامنسوبين الى هؤلاء فيكونون مؤمنين (ولا الى هؤلاء) ولا منسوبين الى هؤلاء فيسمون مشركين (لا تتخذوا الكافرين اولياء) لا تتشبهوا بالمنافقين فى اتخاذهم اليهود وغيرهم من أعداء الاسلام اولياء (سلطانا) حجة بينة يعنى ان موالاة الكافرين بينة على النفاق وعن صعصعة بن صوحان انه قال لابن اخ له خالص المؤمن وخالق الكافر والفاجر فان الفاجر يرضى منك بالخلق الحسن وانه يحق عليك ان تخالص المؤمن (الدرك الاسفل) الطبق الذى فى قعر جهنم والنار سبع دركات سميت بذلك لانها متداركة متتابعة بعضها فوق بعض وقرئ بسكون الراء والوجه التحريك لقولهم ادراك جهنم (فان قلت) لم كان المنافق أشد عذابا من الكافر (قلت) لانه مثله فى الكفر وضم الى كفره الاستهزاء بالاسلام وأهله ومداجاتهم (وأصلحوا) ماافسدوا من اسرارهم واحوالهم فى حال النفاق (واعتصموا بالله) ووثقوا به كما يثق المؤمنون الخلص (وأخلصوا دينهم لله) لا يبتغون بطاعتهم الا وجهه (فأولئك مع المؤمنين) فهم أصحاب المؤمنين ورفقاؤهم فى الدارين (وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما) فيشاركونهم فيه ويساهمونهم (فان قلت) من المنافق (قلت) هو فى الشريعة من اظهر الايمان وابطن الكفر واما تسمية من ارتكب ما يفسق به بالمنافق فللتغليظ كقوله من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر ومنه قوله عليه الصلاة والسلام ثلاث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم من اذا حدث كذب واذا وعد أخلف واذا ائتمن خان وقيل لحذيفة رضي الله عنه من المنافق فقال الذى يصف الاسلام ولا يعمل به وقيل لابن عمر ندخل على السلطان ونتكلم بكلام فاذا خرجنا تكلمنا بخلافه فقال كنا نعده من النفاق وعن الحسن أتى على النفاق زمان وهو مقروع فيه فاصبح وقد عمم وقلد وأعطي سيفا يعنى الحجاج (ما يفعل الله بعذابكم) أيتشفي به من الغيظ أم يدرك به الثار أم يستجلب به نفعا أم يستدفع به ضررا كما يفعل الملوك بعذابهم وهو الغنى الذى لا يجوز عليه شيء من ذلك وانما هو أمر اوجبته الحكمة ان يعاقب المسيء فان قمتم بشكر نعمته وآمنتم به فقد أبعدتم عن انفسكم أستحقاق العذاب (وكان الله شاكرا) مثيبا موفيا اجوركم (عليما) بحق شكركم وايمانكم (فان قلت) لم قدم الشكر على الايمان (قلت) لان العاقل ينظر الى ما عليه من النعمة العظيمة فى خلقه وتعريضه للمنافع فيشكر شكرا مبهما فاذا انتهى به النظر الى معرفة المنعم آمن به ثم شكر شكراً مفصلا فكان الشكر متقدما على الايمان وكانه أصل التكليف ومداره (الا من ظلم) الا جهر من ظلم استثنى من الجهر الذى لا يحبه الله جهر المظلوم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه من السوء وقيل هو ان يبدأ بالشتيمة فيرد على الشاتم ولمن انتصر بعد ظلمه وقيل ضاف رجل

مذبذبين بين ذلك لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين اولياء من دون المؤمنين أتريدون ان تجعلوا لله عليكم سلطانا مبينا ان المنافقين فى الدرك الاسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا الا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فاولئك مع المؤمنين وسوف يؤت الله المؤمنين اجرا عظيما ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وآمنتم وكان الله شاكرا عليما لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعا عليما ان تبدوا خيرا او تخفوه او تعفوا عن سوء

* قوله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم (قال فيه تقديره لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا جهر من ظلم وهو ان يدعو على الظالم ويذكره بما فيه الخ)

قال احمد وجه التغاير ان الظالم لا يندرج في المستثنى منه كما ان الله تعالى مقدس ان يكون في السموات وفي الارض فاستحال دخوله في المستثنى منه وكذا لا يندرج المستثنى في المستثنى منه في قولك ماجاء ني زيد الا عمرو وكلام الزمخشري في هذا الفصل لا يتحقق لي منه ما يسوغ مجازيته فيه لاغلاق عبارته والله أعلم بمراده * قوله تعالى يسألك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فاخذتهم الصاعقة بظلمهم الآية (قال فيه فقد سالوا موسى جواب لشرط مقدر الخ) قال احمد وهذا من المواضع التي استولى عليه فيها الاغفال ولوح به اتباع هواه الى مهواة الضلال لانه بنى على ان الظلم المضاف اليهم لم يكن الا لمجرد كونهم طلبوا الرؤية وهي محال عقلا دينا وآخرة على زعم القدرية فلما يلزم عندهم لو قيل بجوازها من اعتقاد التشبيه فلذلك سمي اهل السنة المعتقدين لجوازها ووقوعها في الآخرة وفاء بالوعد الصادق مشبهة وغفل عن كون اليهود اقترحوا على موسى عليه السلام خصوصية

قوما فلم يطعموه فاصبح شاكيا فعوتب على الشكاية فنزلت وقرئ الا من ظلم على البناء للفاعل للانقطاع اى ولكن الظالم راكب ما لا يحبه الله فيجهر بالسوء ويجوز ان يكون من ظلم مرفوعا كانه قيل لا يحب الله الجهر بالسوء الا الظالم على لغة من يقول ماجاء ني زيد الا عمرو بمعنى ماجاء ني الا عمرو ومنه لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله * ثم حث على العفو وان لا يجهر احد لاحد بسوء وان كان على وجه الانتصار بعد ما اطلق الجهر به وجعله محبوبا حثا على الاحب اليه والافضل عنده والادخل في الكرم والتخشع والعبودية وذكر ابداء الخير واخفاءه تشبيبا للعفو ثم عطفه عليهما اعتدادا به وتنبيها على منزلته وان له مكانا في باب الخير وسيطا والدليل على ان العفو هو الغرض المقصود بذكر ابداء الخير واخفائه قوله (فان الله كان عفوا قديرا) اى يعفو عن الجانين مع قدرته على الانتقام فعليكم ان تقتدوا بسنة الله * جعل الذين آمنوا بالله وكفروا برسله او آمنوا بالله وببعض رسله وكفروا ببعض كافرين بالله ورسله جميعا لما ذكرنا من العلة * ومعنى اتخاذهم بين ذلك سبيلا ان يتخذوا دينا وسطا بين الايمان والكفر كقوله ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا اى طريقا وسطا في القراءة وهو ما بين الجهر والمخافتة وقد أخطؤا فانه لا واسطة بين الكفر والايمان ولذلك قال (اولئك هم الكافرون حقا) اى هم الكاملون في الكفر وحقا تاكيد لمضمون الجملة كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وهو كونهم كاملين في الكفر او هو صفة لمصدر الكافرين اى هم الذين كفروا كفرا حقا ثابتا يقينا لا شك فيه * (فان قلت) كيف جاز دخول بين على احد وهو يقتضي شيئين فصاعدا (قلت) ان احدا عام في الواحد المذكر والمؤنث وتثنيتهما وجمعهما تقول ما رأيت احدا فتقصد العموم ألا تراك تقول الا بنى فلان والا بنات فلان فالمعنى ولم يفرقوا بين اثنين منهم او بين جماعة ومنه قوله تعالى لستن كاحد من النساء (سوف يؤتيهم اجورهم) معناه ان ايتاءها كائن لا محالة وان تاخر فالغرض به توكيد الوعد وتثبيته لا كونه متاخرا * روى ان كعب بن الاشرف وفنحاص بن عازورا وغيرهما قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان كنت نبيا صادقا فأتنا بكتاب من السماء جملة كما أتى به موسى فنزلت وقيل كتابا الى فلان وكتابا الى فلان بانك رسول الله وقيل كتابا نعاينه حين ينزل وانما اقترحوا ذلك على سبيل التعنت قال الحسن ولو سالوه لكي يتبينوا الحق لاعطاهم وفيما آتاهم كفاية (فقد سالوا موسى) جواب لشرط مقدر معناه ان

فان الله كان عفوا قديرا ان الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون ان يتخذوا بين ذلك سبيلا اولئك هم الكافرون حقا واعتدنا للكافرين عذابا مهينا والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم اولئك سوف يؤتيهم اجورهم وكان الله غفورا رحيما يسالك اهل الكتاب ان تنزل عليهم كتابا من السماء فقد سالوا موسى

علقوا ايمانهم بها ولم يعتبروا المعجز من حيث هو كما يجب اعتباره فقالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فهذا الاقتراح والتعنت يكفيهم ظلما الا ترى ان الذين قالوا لن نؤمن لك حتى تنزل علينا كتابا من السماء او حتى تفجر الارض او يكون لك بيت من زخرف كيف هم من اظلم الظلمة وان كانوا انما طلبوا امورا جائزة ولكنهم اقترحوا في الآيات على الله وحقهم ان يسندوا ايمانهم الى اى معجز اختاره الله دل ذلك دلالة بلجا على ان ظلمهم مسبب عن اقتراحهم لا عن كون المقترح ممتنعا عقلا والعجب بتنظيره هذا السؤال لو كان المسؤل جائزا كسؤال ابراهيم عن احياء الموتى على زعم الزمخشري غفلة منه عما انطوى عليه سؤال ابراهيم عليه السلام من صريح الايمان حيث قال له تعالى اولم تؤمن قال بلى وعما انطوى عليه سؤال هؤلاء الملاعين من محض الكفر والاصرار عليه في قولهم لن نؤمن لك فصدروا كلامهم بالجحد والنفي واما دعاء الزمخشري على اهل السنة بالتب والصواعق فالله اعلم اى الفريقين احق بها او يكفيه هذه الغفلة التي تمادى عليه باتباع الهوى الذي يعمي ويصم نسال الله العصمة من الضلالة والغواية

*قوله تعالى فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا (قال) ان قلت بم تعلقت الباء في قوله فبما نقضهم ميثاقهم قلت اما أن تتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما أن تتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم انتهى كلامه (قلت) ولذكر البدل المذكور سر وهو ان الكلام لما طال بعد قوله فبما نقضهم حتى بعد عن متعلقه الذي هو حرمنا قوى ذكره بقوله فبظلم من الذين هادوا حتى يلي متعلقه وجاء النظم به على وجه من الاقتصار فى اجمال ماسبق تفصيله لان جميع ماتقدم من النقض والقتل وقولهم قلوبنا غلف وكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما ودعواهم قتل المسيح بن مريم قد انطوى عليه الاجمال المذكور آخرا انطواء جامعا مع التسجيل على ان جميع افاعيلهم الصادرة منهم ظلم وقد تقدم لهذا التقرير نظائر والله الموفق * عاد كلامه (قال) ان قلت هلا زعمت ان المحذوف الذي تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم قلت لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم ارادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلقها غلفا اى فى اكنة لا يتوصل اليها شىء من الذكر والموعظة كما حكى الله عن المشركين وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها انتهى كلامه (قال احمد) هؤلاء قوم زعموا ان لهم على الله حجة بكونه خلق قلوبهم غير قابلة للحق ولا متمكنة من قبوله فكذبهم الله فى قولهم لانه خلق قلوبهم على الفطرة اى ان الايمان وقبول الحق من جنس مقدورهم كما هو من جنس مقدور المؤمنين وذلك هو المعبر بالتمكن وبخلقهم متيسرين للايمان معاتيا منهم قبول الحق قامت عليهم حجة الله اذ يجد الانسان بالضرورة الفرق بين قبول الحق والدخول فى الايمان وبين طيرانه فى الهواء ومشيه على الماء ويعلم ضرورة ان الايمان ممكن منه كما يعلم ان الطيران غير ممكن منه عادة فقد قامت الحجة وتبلجت ألا لله الحجة البالغة فمن هذا الوجه اتجه الرد عليهم لا كما يزعمه الزمخشرى من ان لهم قدرة على الايمان يلحقونها لانفسهم ويقرونه فى قلوبهم وتلك القدرة موجودة سواء وجد الفعل أولا كالسيف المعد فى يد القاتل للقتل سواء وجد أولا وان هذه القدرة التي هى كالآلة للخلق على زعمه يصرفها العبد حيث شاء فى ايمان وكفر وافق ذكر مشيئة الله أولا وان هؤلاء صرفوا اقدرتهم الى خلق الكفر لانفسهم على خلاف مشيئة الله تعالى فلذلك يعرض الزمخشرى باهل السنة القائلين بأن الله تعالى لوشاء من عبدة الاوثان أن لا يعبدوها لما عبدوها وتسميتهم لذلك مجبرة ويجعل قوله تعالى وقالوا لوشاء الرحمن ما عبدناهم ردا على الاشعرية كما هو رد على الوثنية ويغفل عن النكتة التي نبهنا عليها وهي ان الرد على الوثنية بذلك لم يكن الا لانهم ظنوا ان هذا المقدار يقيم لهم الحجة على الله ولذلك قال تعالى عقيب ذلك قل فلله الحجة البالغة فلوشاء لهداكم اجمعين فاوضح الله تعالى ان الرد عليهم لم يكن لقولهم ان الله لوشاء لهداكم اجمعين ولكن انما كان الرد لظنهم ان ذلك حجة على الله بقوله فلله الحجة البالغة فهذا التقرير هو الايمان المحض والتوحيد الصرف وما عداه من الاشراك الصراح فخزى نعوذ بالله منه

اكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ماجاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطانا مبينا ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم ادخلوا الباب سجدا وقلنا لهم لاتعدوا فى السبت وأخذنا منهم ميثاقا غليظا فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الانبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون الا قليلا

استكبرت ماسألوه منك فقد سألوا موسى (اكبر من ذلك) وانما اسند السؤال اليهم وان وجد من آبائهم فى أيام موسى وهم النقباء السبعون لانهم كانوا على مذهبهم وراضين بسؤالهم ومضاهين لهم فى التعنت (جهرة) عيانا بمعنى أرناه نره جهرة (بظلمهم) بسبب سؤالهم الرؤية ولو طلبوا أمرا جائزا لما سموا ظالمين ولما أخذتهم الصاعقة كما سأل ابراهيم عليه السلام ان يريه احياء الموتى فلم يسمه ظالما ولا رماه بالصاعقة فتبا للمشبهة ورميا بالصواعق (وآتينا موسى سلطانا مبينا) تسلطا واستيلاء ظاهرا عليهم حين امرهم بان يقتلوا أنفسهم حتى يتاب عليهم فاطاعوه واحتبوا بافنيتهم والسيوف تتساقط عليهم فيالك من سلطان مبين (بميثاقهم) بسبب ميثاقهم ليخافوا فلا ينقضوه (وقلنا لهم) والطور مظل عليهم (ادخلوا الباب سجدا) ولا تعدوا فى السبت وقد أخذ منهم الميثاق على ذلك وقولهم سمعنا واطعنا ومعاهدتهم على ان يتموا عليه ثم نقضوه بعد * وقرئ لا تعتدوا ولا تعدوا بادغام التاء فى الدال (فبما نقضهم) فبنقضهم وما مزيدة للتوكيد (فان قلت) بم تعلقت الباء وما معنى التوكيد (قلت) اما ان يتعلق بمحذوف كانه قيل فبما نقضهم ميثاقهم فعلنا بهم ما فعلنا واما ان يتعلق بقوله حرمنا عليهم على ان قوله فبظلم من الذين هادوا بدل من قوله فبما نقضهم ميثاقهم واما التوكيد فمعناه تحقيق أن العقاب أو تحريم الطيبات لم يكن الا بنقض العهد وما عطف عليه من الكفر وقتل الانبياء وغير ذلك (فان قلت) هلا زعمت ان المحذوف الذى تعلقت به الباء مادل عليه قوله بل طبع الله عليها فيكون التقدير فبما

نقضهم ميثاقهم طبع الله على قلوبهم بل طبع الله عليها بكفرهم (قلت) لم يصح هذا التقدير لان قوله بل طبع الله عليها بكفرهم رد وانكار لقولهم قلوبنا غلف فكان متعلقا به وذلك انهم أرادوا بقولهم قلوبنا غلف ان الله خلق قلوبنا غلفا أي في اكنة لا يتوصل اليها شيء من الذكر والموعظة كما حكي الله عن المشركين وقالوا لوشاء الرحمن ماعبدناهم وكمذهب المجبرة اخزاهم الله فقيل لهم بل خذلها الله ومنعها الالطاف بسبب كفرهم فصارت كالمطبوع عليها لا ان تخلق غلفا غير قابلة للذكر ولا متمكنة من قبوله (فان قلت) علام عطف قوله (وبكفرهم) (قلت) الوجه أن يعطف على فبما نقضهم ويجعل قوله بل طبع الله عليها بكفرهم كلاما تبع قوله وقالوا قلوبنا غلف على وجه الاستطراد ويجوز عطفه على ما يليه من قوله بكفرهم (فان قلت) ما معنى المجيء بالكفر معطوفا على ما فيه ذكره سواء عطف على ما قبل حرف الاضراب او على ما بعده وهو قوله وكفرهم بآيات الله وقوله بكفرهم (قلت) قد تكرر منهم الكفر لانهم كفروا بموسى ثم بعيسى ثم بمحمد صلوات الله عليهم فعطف بعض كفرهم على بعض او عطف مجموع المعطوف على مجموع المعطوف عليه كانه قيل فبجمعهم بين نقض الميثاق والكفر بآيات الله وقتل الانبياء وقولهم قلوبنا غلف وجمعهم بين كفرهم وبهتهم مريم وافتخارهم بقتل عيسى عاقبناهم او بل طبع الله عليها بكفرهم وجمعهم بين كفرهم وكذا وكذا * والبهتان العظيم هو التزنية (فان قلت) كانوا كافرين بعيسى عليه السلام أعداء له عامدين لقتله يسمونه الساحر ابن الساحرة والفاعل ابن الفاعلة فكيف قالوا (انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله) (قلت) قالوه على وجه الاستهزاء كقول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون ويجوز ان يضع الله الذكر الحسن مكان ذكرهم القبيح في الحكاية عنهم رفعا لعيسي عما كانوا يذكرونه به وتعظيما لما ارادوا بمثله كقوله ليقولن خلقهن العزيز العليم الذي جعل لكم الارض مهدا * روى ان رهطا من اليهود سبوه وسبوا أمه فدعا عليهم اللهم أنت ربي وبكلمتك خلقتني اللهم العن من سبني وسب والدتي فمسخ الله من سبهما قردة وخنازير فاجتمعت اليهود على قتله فاخبره الله بانه يرفعه الى السماء ويطهره من صحبة اليهود فقال لاصحابه ايكم يرضى ان يلقي عليه شبهي فيقتل ويصلب ويدخل الجنة فقال رجل منهم أنا فالقي الله عليه شبهه فقتل وصلب وقيل كان رجلا ينافق عيسى فلما أرادوا قتله قال أنا أدلكم عليه فدخل بيت عيسى فرفع عيسى والقي شبهه على المنافق فدخلوا عليه فقتلوه وهم يظنون انه عيسى ثم اختلفوا فقال بعضهم انه اله لا يصح قتله وقال بعضهم انه قد قتل وصلب وقال بعضهم ان كان هذا عيسى فاين صاحبنا وان كان هذا صاحبنا فاين عيسى وقال بعضهم رفع الى السماء وقال بعضهم الوجه وجه عيسى والبدن بدن صاحبنا * (فان قلت) (شبه) مسند الى ماذا ان جعلته مسندا الى المسيح فالمسيح مشبه به وليس بمشبه وان اسندته الى المقتول فالمقتول لم يجر له ذكر (قلت) هو مسند الى الجار والمجرور وهو (لهم) كقولك خيل اليه كانه قيل ولكن وقع لهم التشبيه ويجوز أن يسند الى ضمير المقتول لان قوله انا قتلنا يدل عليه كانه قيل ولكن شبه لهم من قتلوه (الا اتباع الظن) استثناء منقطع لان اتباع الظن ليس من جنس العلم يعني ولكنهم يتبعون الظن (فان قلت) قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح احد الجائزين ثم وصفوا بالظن والظن أن يترجح أحدهما فكيف يكونون شاكين ظانين (قلت) أريد انهم شاكون مالهم من علم قط ولكن ان لاحت لهم امارة فظنوا فذاك (وما قتلوه يقينا) وما قتلوه قتلا يقينا او وما قتلوه متيقنين كما ادعوا ذلك في قولهم انا قتلنا المسيح او يجعل يقينا تاكيدا لقوله وما قتلوه كقولك ما قتلوه حقا اى حق انتفاء قتله حقا وقيل هو من قولهم قتلت الشيء علما ونحرته علما اذا تبالغ فيه علمك وفيه تهكم لانه اذا نفى عنهم العلم نفيا كليا بحرف الاستغراق ثم قيل وما علموه علم يقين واحاطة لم يكن الا تهكما بهم (ليؤمنن به) جملة قسمية واقعة صفة لموصوف محذوف تقديره وان من اهل الكتاب احد الا ليؤمنن به ونحوه وما منا الا له مقام معلوم وان منكم الا واردها والمعنى وما من اليهود والنصارى احد الا ليؤمنن قبل موته بعيسى وبانه عبد الله ورسوله يعني اذا عاين قبل أن تزهق روحه حين لا ينفعه ايمانه لانقطاع وقت التكليف وعن شهر بن حوشب

و بكفرهم وقولهم على مريم بهتانا عظيما وقولهم انا قتلنا المسيح عيسي ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته

قوله تعالى وان الذين اختلفوا فيه ٢٣٦ لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن (قال محمود ان قلت قد وصفوا بالشك والشك ان لا يترجح الخ) قال احمد وليس في هذا الجواب شفاء للغليل والظاهر والله أعلم انهم كانوا أغلب احوالهم الشك في امره والتردد فجاءت العبارة الاولى على ما يغلب من حالهم ثم كانوا لا يخلون من ظن في بعض الاحوال وعنده يقفون لا يرقون الى العلم فيه البتة وكيف يعلم الشيء على خلاف ما هو به فجاءت العبارة الثانية على حالهم النادرة في الظن نافية عنهم ما يترقى عن الظن البتة والله اعلم * قوله تعالى وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا (قال محمود يعني اذا عاين قبل أن تزهق روحه الخ) قال احمد كقول فرعون لما عاين الهلاك آمنت انه لا اله الا الذي آمنت به بنو اسرائيل * عاد كلامه (قال وعن شهر بن حوشب قال لي الحجاج آية قال ما قرأتها الخ) قال احمد ويبعد هذا التاويل قوله ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فان ظاهره التهديد ولكن ما أريد بقوله في حق هذه

قال لي الحجاج آية ما قرأتها الا تخالج في نفسي شيء منها يعني هذه الآية وقال اني أوتى بالاسير من اليهود والنصارى فاضرب عنقه فلا أسمع منه ذلك فقلت ان اليهودي اذا حضره الموت ضربت الملائكة دبره ووجهه وقالوا يا عدو الله اتاك عيسى نبيا فكذبت به فيقول آمنت انه عبد نبي وتقول للنصراني اتاك عيسى نبيا فزعمت انه الله او ابن الله فيؤمن انه عبد الله ورسوله حيث لا ينفعه ايمانه قال وكان متكئا فاستوى جالسا فنظر الي وقال ممن قلت حدثني محمد ابن علي بن الحنفية فاخذ ينكت الارض بقضيبه ثم قال لقد اخذتها من عين صافية او من معدنها قال الكلبي فقلت له ما اردت الى ان تقول حدثني محمد بن علي بن الحنفية قال اردت ان اغيظه يعني بزيادة اسم علي لانه مشهور بابن الحنفية وعن ابن عباس انه فسره كذلك فقال له عكرمة فان أتاه رجل فضرب عنقه قال لا تخرج نفسه حتى يحرك بها شفتيه قال وان خر من فوق بيت او احترق او أكله سبع قال يتكلم بها في الهواء ولا تخرج روحه حتى يؤمن به وتدل عليه قراءة ابي الا ليؤمنن به قبل موتهم بضم النون على معنى وان منهم احد الا سيؤمنون به قبل موتهم لان احدا يصلح للجمع (فان قلت) ما فائدة الاخبار بايمانهم بعيسى قبل موتهم (قلت) فائدته الوعيد وليكون علما بانهم لا بد لهم من الايمان به عن قريب عند المعاينة وان ذلك لا ينفعهم بعثا لهم وتنبيها على معاجلة الايمان به في اوان الانتفاع به وليكون الزاما للحجة لهم وكذلك قوله (ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا) يشهد على اليهود بانهم كذبوه وعلى النصارى بانهم دعوه ابن الله وقيل الضميران لعيسى بمعنى وان منهم احد الا ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى وهم اهل الكتاب الذين يكونون في زمان نزوله روي انه ينزل من السماء في آخر الزمان فلا يبقى احد من اهل الكتاب الا يؤمن به حتى تكون الملة واحدة وهي ملة الاسلام ويهلك الله في زمانه المسيح الدجال وتقع الامنة حتى ترتع الاسود مع الابل والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان بالحيات ويلبث في الارض اربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه ويجوز ان يراد انه لا يبقى احد من جميع اهل الكتاب الا ليؤمنن به على ان الله يحييهم في قبورهم في ذلك الزمان ويعلمهم نزوله وما انزل له ويؤمنون به حين لا ينفعهم ايمانهم وقيل الضمير في به يرجع الى الله تعالى وقيل الى محمد صلى الله عليه وسلم (فبظلم من الذين هادوا) فباي ظلم منهم والمعنى ما حرمنا عليهم الطيبات الا لظلم عظيم ارتكبوه وهو ما عدد لهم من الكفر والكبائر العظيمة * والطيبات التي حرمت عليهم ما ذكره في قوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر وحرمت عليهم الالبان وكلما اذنبوا ذنبا صغيرا او كبيرا حرم عليهم بعض الطيبات من المطاعم وغيرها (وبصدهم عن سبيل الله كثيرا) ناسا كثيرا أو صدا كثيرا (بالباطل) بالرشوة التي كانوا ياخذونها من سفلتهم في تحريف الكتاب (لكن الراسخون) يريد من آمن منهم كعبد الله بن سلام واضرابه والراسخون في العلم الثابتون فيه المتقنون المستبصرون (والمؤمنون) يعني المؤمنين منهم او المؤمنون من المهاجرين والانصار وارتفع الراسخون على الابتداء و(يؤمنون) خبره و(المقيمين) نصب على المدح لبيان فضل الصلاة وهو باب واسع قد كسره سيبويه على امثلة وشواهد ولا يلتفت الى ما زعموا من وقوعه لحنا في خط المصحف وربما التفت اليه من لم ينظر في الكتاب ولم يعرف مذاهب العرب وما لهم في النصب على الاختصاص من الافتنان وغبي عليه ان السابقين الاولين الذين مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل كانوا ابعد همة في الغيرة على الاسلام وذب المطاعن عنه من ان يتركوا في كتاب الله ثلمة ليسدها من بعدهم وخرقا يرفوه من يلحق بهم وقيل هو عطف على بما انزل اليك اي يؤمنون بالكتاب وبالمقيمين الصلاة وهم الانبياء وفي مصحف عبد الله والمقيمون بالواو وهي قراءة مالك بن دينار والجحدري وعيسى الثقفي (انا اوحينا اليك) جواب لاهل الكتاب عن سؤالهم رسول الله ﷺ ان ينزل عليهم كتابا من السماء واحتجاج عليهم بان شانه في الوحي اليه كشان سائر الانبياء الذين سلفوا * وقرئ زبورا بضم الزاي جمع زبر وهو الكتاب (ورسلا) نصب بمضمر في معنى اوحينا اليك وهو ارسلنا ونبأنا وما اشبه ذلك او بما فسره قصصناهم وفي قراءة ابي ورسل قد قصصناهم عليك من قبل ورسل لم

ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات احلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا واخذهم الربوا وقد نهوا عنه واكلهم اموال الناس بالباطل واعتدنا للكافرين منهم عذابا اليما لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما انزل اليك وما انزل من قبلك والمقيمين الصلوة والمؤتون الزكوة والمؤمنون بالله واليوم الآخر اولئك سنؤتيهم اجرا عظيما انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده واوحينا الى ابراهيم واسمعيل واسحق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهرون وسليمان وآتينا داود زبورا ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليما

الامة ويكون الرسول عليكم شهيدا والله اعلم

*قوله تعالى وكلم الله موسى تكليما رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل (قال محمود من بدع التفاسير ان كلم من الكلم الخ) قال احمد وانما ينقل هذا التفسير عن بعض المعتزلة لانكارهم الكلام القديم الذى هو صفة الذات اذلا يثبتون الا الحروف والاصوات قائمة بالاجسام لا بذات الله تعالى فيرد عليهم بجحدهم كلام النفس ابطال خصوصية موسى عليه السلام فى التكليم اذلا يثبتونه الا بمعنى سماعه حروفا واصواتا قائمة ببعض الاجرام وذلك مشترك بين موسى و بين كل سامع لهذه الحروف حتى المشرك الذى قال الله فيه حتى يسمع كلام الله فيضطر المعتزلى الى ابطال الخصوصية الموسوية بحمل التكليم على التجريح وصدق الزمخشرى وانصف انه لمن بدع التفاسير التى ينبو عنها الفهم ولا يبين بها الا الوهم والله الموفق * عاد كلامه (قال محمود فان قلت كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل الخ) قال احمد قاعدة المعتزلة فى التحسين والتقبيح العقليين تجرهم وتجرؤهم الى اثبات احكام الله تعالى بمجرد العقل وان لم يبعث رسولا فيوجبون بعقولهم ويحرمون و يبيحون على وفق زعمهم ومما يوجبونه قبل ورود الشرع النظر فى ادلة المعرفة ولا يتوقفون على ورود الشرع الموجب فمن ثم يلزمون بعد خبط وتطويل ان من ترك النظر فى الادلة قبل ورود الشرع فقد ترك واجبا استحق به التعذيب وقد قامت الحجة عليه فى الوجوب وان لم يكن شرع واذا تليت عليهم هذه الآية وهى قوله رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون الناس على الله حجة بعد الرسل وقيل لهم ماهذه الآية تناديكم يامعشر القدرية ان الحجة انما قدمت على الخلق بالاحكام الشرعية المؤدية الى الجزاء بارسال الرسل لا بمجرد العقل فما يقولون فيها صمت حينئذ آذانهم وغبروا فى وجه هذا النص وغيروه عما هو موضوع له فقالوا المراد ان الرسل تتمم حجة الله وتنبه على ماوجب قبل بعثها بالعقل كما أجاب به الزمخشرى وقريبا من هذا التعسف يقولون اذا ورد عليهم قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا وربما يدلس على ضعفة المطالعين لهذا الفصل من كلام الزمخشرى قوله ان ادلة التوحيد والمعرفة منصوبة قبل ارسال الرسل و بذلك تقوم الحجة فتظن ان ذلك جار على سنن الصحة اذ المعرفة باتفاق والتوحيد باجماع انما طريقه العقل لا النقل الذى يلبس عليه النظر فى ادلة التوحيد هو فعل المكلف ليس بالحكم الشرعى بل الحكم وجوب النظر والمعرفة متلقاة من العقل المحض والوجوب متلقى من النقل الصرف و به تقوم الحجة وعليه يرتب الجزاء والله سبحانه ولى التوفيق والمعونة * قوله تعالى لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون (قال محمود فيه ان قلت الاستدراك لا بد له من مستدرك الخ) قال احمد و رود هذا الفصل فى كلامه مما يغتبط به

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما لكن الله يشهد بما انزل اليك انزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله قد ضلوا ضلالا بعيدا ان الذين

نقصصهم وعن ابراهيم ويحيى بن وثاب انهما قرآ وكلم الله بالنصب ومن بدع التفاسير انه من الكلم وان معناه وجرح الله موسى باظفار المحن ومخالب الفتن (رسلا مبشرين ومنذرين) الاوجه ان ينتصب على المدح ويجوز انتصابه على التكرير *(فان قلت) كيف يكون للناس على الله حجة قبل الرسل وهم محجوجون بما نصبه الله من الادلة التى النظر فيها موصل الى المعرفة والرسل فى انفسهم لم يتوصلوا الى المعرفة الا بالنظر فى تلك الادلة ولا عرف انهم رسل الله الا بالنظر فيها (قلت) الرسل منبهون عن الغفلة وباعثون على النظر كما ترى علماء اهل العدل والتوحيد مع تبليغ ماحملوه من تفصيل امور الدين و بيان احوال التكليف وتعليم الشرائع فكان ارسالهم ازاحة للعلة وتتميما لالزام الحجة لئلا يقولوا لولا أرسلت الينا رسولا فيوقظنا من سنة الغفلة و ينبهنا لما وجب الانتباه له *قرأ السلمى لكن الله يشهد بالتشديد (فان قلت) الاستدراك لا بد له من مستدرك فما هو فى قوله لكن الله يشهد (قلت) لما سال اهل الكتاب انزال الكتاب من السماء وتعنتوا بذلك واحتج عليهم بقوله انا اوحينا اليك قال لكن الله يشهد بمعنى انهم لا يشهدون لكن الله يشهد وقيل لما نزل انا اوحينا اليك قالوا ما نشهد لك بهذا فنزل لكن الله يشهد ومعنى شهادة الله بما انزل اليه اثباته لصحته باظهار المعجزات كما تثبت الدعاوى بالبينات *وشهادة الملائكة شهادتهم بانه حق وصدق (فان قلت) بم يجابون لو قالوا بم يعلم ان الملائكة يشهدون بذلك (قلت) يجابون بانه يعلم بشهادة الله لانه لما علم باظهار المعجزات انه شاهد بصحته علم ان الملائكة يشهدون بصحة ما شهد بصحته لان شهادتهم تبع لشهادته *(فان قلت) ما معنى قوله (انزله بعلمه) وما موقعه من الجملة التى قبله (قلت) معناه انزله ملتبسا بعلمه الخاص الذى لا يعلمه غيره وهو تأليفه على نظم وأسلوب يعجز عنه كل بليغ وصاحب بيان وموقعه مما قبله موقع الجملة المفسرة لانه بيان للشهادة وان شهادته بصحته انه انزله بالنظم المعجز الفائت للقدرة وقيل انزله وهو عالم بأنك اهل لانزاله اليك وانك مبلغه وقيل انزله بما علم من مصالح العباد مشتملا عليه و يحتمل انه انزله وهو عالم به رقيب عليه حافظ له من الشياطين برصد من الملائكة والملائكة يشهدون بذلك كما قال فى آخر سورة الجن الا ترى الى قوله تعالى واحاط بما لديهم والاحاطة بمعنى العلم (وكفى بالله شهيدا) وان لم يشهد غيره لان التصديق بالمعجزة هو الشهادة حقا ان

* قوله تعالى ان الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم (قال محمود فيه اى جمعوا بين الكفر والمعاصي الخ) قال احمد يعدل من الظاهر لعله
يتروح الى بث طرف من العقيدة الفاسدة فى وجوب وعيد العصاة وانهم مخلدون تخليد الكفار وقد تكرر ذلك منه وهذه الآية تنبو عن
هذا المعتقد فانه جعل الفعلين أعنى الكفر والظلم كلاهما صلة للموصول المجموع فيلزم وقوع الفعلين جميعا من كل واحد من آحاده ألا ترى
اذا قلت الزيدون قاموا وقعدوا أسندت القيام الى كل واحد من آحاد الجمع فكذلك لو عطفت عليه فعلا آخر لزم فيه ذلك ضرورة والله الموفق
* قوله تعالى لن يستنكف المسيح ان يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون (قال محمود معناه لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة الخ) قال احمد
وقد كثر الاختلاف فى تفضيل الانبياء على الملائكة فذهب جمهور الاشعرية الى تفضيل الانبياء وذهب القاضي أبو بكر

اى شىء اكبر شهادة قل الله (كفروا وظلموا) جمعوا بين الكفر والمعاصى اوكان بعضهم كافرين وبعضهم ظالمين اصحاب كبائر لانه لا فرق بين الفريقين فى انه لا يغفر لهما الا بالتوبة (ولا ليهديهم طريقا) لا يلطف بهم فيسلكون الطريق الموصل الى جهنم اولا يهديهم يوم القيامة طريقا الا طريقها (يسيرا) اى لا صارف له عنه (فآمنوا خيرا لكم) وكذلك انتهوا خيرا لكم انتصابه بمضمر وذلك انه لما بعثهم على الايمان وعلى الانتهاء عن التثليث علم انه يحملهم على امر فقال خيرا لكم اى اقصدوا او ائتوا امرا خيرا لكم مما انتم فيه من الكفر والتثليث وهو الايمان والتوحيد (لا تغلوا فى دينكم) غلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشدة وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه الها (ولا تقولوا على الله الا الحق) وهو تنزيهه عن الشريك والولد * قرأ جعفر بن محمد انما المسيح بوزن السكيت * وقيل لعيسى كلمة الله وكلمة منه لانه وجد بكلمته وأمره لا غير من غير واسطة أب ولا نطفة وقيل له روح الله وروح منه لذلك لانه ذو روح وجد من غير جزء من ذي روح كالنطفة المنفصلة من الاب الحي وانما اخترع اختراعا من عند الله وقدرته خالصة * ومعنى (ألقاها الى مريم) اوصلها اليها وحصلها فيها (ثلاثة) خبر مبتدإ محذوف فان صحت الحكاية عنهم انهم يقولون هو جوهر واحد ثلاثة اقانيم أقنوم الاب وأقنوم الابن وأقنوم روح القدس وانهم يريدون بأقنوم الاب الذات وبأقنوم الابن العلم وبأقنوم روح القدس الحياة فتقديره الله ثلاثة والا فتقديره الآلهة ثلاثة والذى يدل عليه القرآن التصريح منهم بان الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة وان المسيح ولد الله من مريم ألا ترى الى قوله أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقالت النصارى المسيح ابن الله والمشهور المستفيض عنهم انهم يقولون فى المسيح لاهوتية وناسوتية من جهة الاب والام ويدل عليه قوله انما المسيح عيسى بن مريم فاثبت انه ولد لمريم اتصل بها اتصال الاولاد بامهاتها وان اتصاله بالله تعالى من حيث انه رسوله وانه موجود بامره وابتداعه جسدا حيا من غير أب فنفى ان يتصل به اتصال الابناء بالآباء وقوله سبحانه ان يكون له ولد وحكاية الله أوثق من حكاية غيره * ومعنى (سبحانه ان يكون له ولد) سبحه تسبيحا من ان يكون له ولد وقرأ الحسن ان يكون بكسر الهمزة ورفع النون اى سبحانه ما يكون له ولد على ان الكلام جملتان (له ما فى السموات وما فى الارض) بيان لتنزهه عما نسب اليه يعنى ان كل ما فيهما خلقه وملكه فكيف يكون بعض ملكه جزأ منه على ان الجزء انما يصح فى الاجسام وهو متعال عن صفات الاجسام والاعراض (وكفى بالله وكيلا) يكل اليه الخلق كلهم أمورهم فهو الغنى عنهم وهم الفقراء اليه (لن يستنكف المسيح) لن يأنف ولن يذهب بنفسه عزة من نكفت الدمع اذا نحيته عن خدك باصبعك (ولا الملائكة المقربون) ولا من هو اعلى منه قدرا واعظم منه خطرا وهم الملائكة الكروبيون الذين حول العرش كجبريل وميكائيل واسرافيل ومن فى

كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم طريقا الا طريق جهنم خالدين فيها ابدا وكان ذلك على الله يسيرا يا ايها الناس قد جاءكم الرسول بالحق من ربكم فآمنوا خيرا لكم وان تكفروا فان لله ما فى السموات والارض وكان الله عليما حكيما يا أهل الكتاب لا تغلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم انما الله اله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما فى السموات وما فى الارض وكفى بالله وكيلا لن يستنكف المسيح أن يكون عبد الله ولا الملائكة المقربون ومن يستنكف عن عبادته
ويستكبر فسيحشرهم اليه جميعا فاما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله واما الذين استنكفوا واستكبروا
فيعذبهم عذابا اليما ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا

منا والحليمي وجماعة المعتزلة الى تفضيل الملائكة واتخذ المعتزلة هذه الآية عمدتهم فى تفضيل الملائكة من حيث الوجه الذي
استدل به الزمخشري ونحن بعون الله نشبع القول فى المسئلة من حيث الآية فنقول اورد الاشعرية على الاستدلال بها أسئلة
* احدها أن سيدنا محمدا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل من عيسى عليه الصلاة والسلام فلا يلزم من كون الملائكة أفضل من
المسيح ان تكون أفضل من محمد عليه الصلاة والسلام وهذا السؤال انما يتوجه اذ لم يدع مورده ان كل واحد من آحاد الانبياء افضل من
كل واحد من آحاد الملائكة وبين طائفتنا فى هذا الطرف خلاف * السؤال الثانى ان قوله ولا الملائكة المقربون صيغة جمع تتناول مجموع

الملائكة فهذا يقتضي كون مجموع الملائكة افضل من المسيح ولا يلزم أن يكون كل واحد منهم أفضل من المسيح وفي هذا السؤال ايضا نظر لان مورده اذا بنى على ان المسيح افضل من كل واحد من آحاد الملائكة فقد يقال يلزمه القول بانه افضل من الكل كما ان النبي عليه الصلاة والسلام لما كان افضل من كل واحد من آحاد الانبياء كان أفضل من كلهم ولم يفرق بين التفضيل على التفصيل والتفضيل على الجملة أحد ممن صنف في هذا المعنى وقد كان بعض المعاصرين يفصل بين التفضيلين وادعى انه لا يلزم منه على التفصيل تفضيل على الجملة ولم يثبت عنه هذا القول ولو قاله احد فهو مردود بوجه لطيف وهو ان التفضيل المراد جلي اما راته رفع درجة الافضل في الجنة والاحاديث متوافرة بذلك وحينئذ لا يخلو اما أن ترفع درجة واحد من المفضولين على من اتفق على انه افضل من كل واحد منهم اولا ترفع درجة أحد منهم عليه لا سبيل الى الاول لانه يلزم منه رفع المفضول على الافضل فتعين الثاني وهو ارتفاع درجة الافضل على درجات المجموع ضرورة فيلزم ثبوت أفضليته على المجموع من ثبوت افضليته على كل واحد منهم قطعا * الثالث انه عطف الملائكة على المسيح بالواو وهي لا تقتضي ترتيبا واما الاستشهاد بالمثال المذكور على ان الثاني ابدا يكون اعلى رتبة فمعارض بامثلة لا تقتضي ذلك كقول القائل ما عابني على هذا الامر زيد ولا عمرو * قلت وكقولك لا تؤذ مسلما ولا ذميا فان هذا الترتيب وجه الكلام والثاني ادنى واخفض درجة ولو ذهبت تعكس هذا فقلت لا تؤذ ذميا ولا مسلما لجعل الاعلى ثانيا لخرجت عن حد الكلام وقانون البلاغة وهذا المثال بين ما يورد في نقض القانون المقرر لكن الحق أولى من المراء وليس بين المثالين تعارض ونحن نمهد تمهيدا يرفع اللبس ويكشف الغطاء فنقول النكتة في الترتيب في المثالين الموهوم تعارضهما واحدة وهي توجب في مواضع تقديم الاعلى • ٢٤٤ • وفي مواضع تاخيره وتلك النكتة مقتضى البلاغة النائي عن التكرار والسلامة عن النزول

طبقتهم (فان قلت) من اين دل قوله ولا الملائكة المقربون على أن المعنى ولا من فوقه (قلت) من حيث ان علم المعاني لا يقتضي غير ذلك وذلك أن الكلام انما سيق لرد مذهب النصارى وغلوهم في رفع المسيح عن منزلة العبودية فوجب ان يقال لهم لن يترفع عيسى عن العبودية ولا من هو أرفع منه درجة كانه قيل لن يستنكف الملائكة المقربون من العبودية فكيف بالمسيح ويدل عليه دلالة ظاهرة بينة تخصيص المقربين لكونهم أرفع الملائكة درجة وأعلاهم منزلة ومثاله قول القائل

وما مثله ممن يجاود حاتم * ولا البحر ذو الامواج يلتج زاخره

لا شبهة في انه قصد بالبحر ذي الامواج ما هو فوق حاتم في الجود ومن كان له ذوق فليذق مع هذه الآية قوله ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى يعترف بالفرق البين * وقرأ علي رضي الله عنه عبيد الله على التصغير وروي ان وفد نجران قالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم لم تعيب صاحبنا قال ومن صاحبكم قالوا عيسى قال واي شيء اقول قالوا تقول انه عبد الله ورسوله قال انه ليس بعار أن يكون عبد الله قالوا بلى فنزلت أي لا يستنكف عيسى من ذلك فلا تستنكفوا له منه فلو كان موضع استنكاف لكان هو اولى بان يستنكف لان العار الصق به (فان قلت) علام عطف قوله ولا الملائكة (قلت) لا يخلو اما أن يعطف على المسيح

فاذا اعتمدت ذلك فهما أدى الى أن يكون آخر كلامك نزولا بالنسبة الى أوله أو يكون الآخر مندرجا في الاول قد أفاده وأنت مستغن عن الآخر فاعدل عن ذلك الى ما يكون ترقيا من الادنى الى الاعلى واستئنافا لفائدة لم يشتمل عليها الاول مثاله الآية المذكورة فانك لو ذهبت فيها الى ان يكون المسيح افضل من الملائكة واعلى رتبة لكان ذكر الملائكة بعده كالمستغنى عنه لانه اذا كان الافضل وهو المسيح على هذا التقدير عبد الله غير مستنكف من العبودية لزم من ذلك ان من دونه في الفضيلة اولى ان لا يستنكف عن كونه عبد الله وهم الملائكة على هذا التقدير فلم يتجدد اذا بقوله ولا الملائكة المقربون الا ما سلف اول الكلام واذا قدرت المسيح مفضولا بالنسبة الى الملائكة فانك ترقيت من تعظيم الله تعالى بان المفضول لا يستنكف عن كونه عبد الله الى ان الافضل لا يستنكف عن ذلك وليس يلزم من عدم استنكاف المفضول عدم استنكاف الافضل فالحاجة داعية الى ذكر الملائكة اذ لم يستلزم الاول الآخر فصار الكلام على هذا التقدير تتجدد فوائده وتتزايد وما كان كذلك تعين ان يحمل عليه الكتاب العزيز لانه الغاية في البلاغة وبهذه النكتة يجب ان تقول لا تؤذ مسلما ولا ذميا فتؤخر الادنى على عكس الترتيب في الآية لانك اذا نهيته عن ايذاء المسلم فقد يقال ذلك من خواصه احتراما للاسلام فلا يلزم من ذلك نهيه عن الكافر المسلوبة عنه هذه الخصوصية فاذا قلت ولا ذميا فقد جددت فائدة لم تكن في الاول وترقيت من النهي عن بعض انواع الاذى الى النهي عن اكثر منه ولو رتبت هذا المثال كترتيب الآية فقلت لا تؤذ ذميا افهم المنهي ان اذى المسلم ادخل في النهي اذ يساوي الذمي في سبب الاحترام وهو الانسانية مثلا ويمتاز عنه بسبب اجل واعظم وهو الاسلام فيقنعه هذا النهي عن تجديد نهي آخر عن اذى المسلم فان قلت ولا مسلما لم تجدد له فائدة ولم تعلمه غير ما علمه اولا فقد علمت انها نكتة واحدة توجب احيانا تقديم الاعلى واحيانا تاخيره ولا يميز لك ذلك الا السياق وما أشك ان سياق الآية يقتضي تقديم الادنى وتاخير الاعلى ومن البلاغة المرتبة على هذه النكتة قوله تعالى فلا تقل لهما أف استغناء عن نهيه عن ضربهما فما فوقه بتقديم الادنى ولم يلق ببلاغة الكتاب العزيز ان تريد نهيا عن اعلى من التأفيف

و الا نهار لا نه مستغنى عنه رما يحتاج المتدبر لآيات القرآن مع التأييد شاهد اسواها ما فرطنا في الكتاب من شيء ولما اقتضى الانصاف تسليم مقتضى الآية لتفضيل الملائكة وكانت الادلة على تفضيل الانبياء عتيدة عند المعتقد لذلك جمع بين الآية وتلك الادلة بحمل التفضيل في الآية على غير محل الخلاف وذلك ان تفضيل الملائكة في القوة وشدة البطش وسعة التمكن والاقتدار قال وهذا النوع من الفضيلة هو المناسب لسياق الآية لان المقصود الرد على النصارى في اعتقادهم ألوهية عيسى عليه السلام مستندين الى كونه أحيا الموتى وأبرأ الاكمه والابرص وصدرت على يديه آثار عظيمة خارقة فناسب ذلك ان يقال هذا الذى صدرت على يديه هذه الخوارق لا يستنكف عن عبادة الله تعالى بل من هو أكثر خوارق وأظهر آثارا كالملائكة المقربين الذين من جملتهم جبريل عليه السلام وقد بلغ من قوته واقداره الله ان اقتلع المدائن واحتملها على ريشة من جناحه فقلب عاليها سافلها فيكون تفضيل الملائكة اذا بهذا الاعتبار لا خلاف انهم أقوى وابطش وان خوارقهم أكثر وانما الخلاف في التفضيل باعتبار مزيد الثواب والكرامات ورفع الدرجات في دار الجزاء وليس في الآية عليه دليل ولما كان أكثر ما لبس على النصارى في ألوهية عيسى كونه مخلوقا أي موجودا من غير أب انبأنا الله تعالى ان ١ ٤ ٢ هذا الموجود من غير أب لا يستنكف من عبادة الله بل ولا الملائكة المخلوقون من غير أب ولا ام فيكون تاخير ذكرهم لان خلقهم اغرب من خلق عيسى و يشهد لذلك ان الله تعالى نظر عيسى بآدم عليهما السلام فنظر الغريب بالاغرب وشبه العجيب من قدرته

بالاعجب اذ عيسى مخلوق من أم وآدم من غير أم ولا أب ولذلك قال خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ومدار هذا البحث على النكتة التي نبهت عليها في تقرير استقامة اشتمال المذكور أيا ما على فائدة لم يشتمل عليها الاول بأى طريق كان من تفضيل اوغيره من الفوائد فقد استد النظر وطابق صيغة الآية والله أعلم وعلى الجملة فالمسئلة سمعية والقطع فيها معروف بالنص الذى لا يحتمل تأويلا ووجوده عسر صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وما أحسن تأكيد الزمخشري لاستدلاله ببعث الملائكة المعنيين بانهم المقربون ومن ثم ينشئ ظهور من فصل القول في الملائكة والانبياء فلم يعمم التفضيل في الملائكة ولا في الانبياء بل فصل ثم فضل وليس الغرض الا ذكر محامل الآية لا البحث في اختلاف المذاهب والله الموفق قوله تعالى ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر الى قوله ولا يجدون لهم من دون الله وليا ولا نصيرا (قال ان قلت التفصيل غير مطابق للمفصل الخ) قال احمد المراد بالمفصل من لم يستنكف ومن استنكف لسبق ذكرهما ألا ترى ان المسيح والملائكة المقربين ومن دونهم من عباد الله لم يستنكفوا عن عبادة الله وقد جرى ذكرهم ويرشد اليه تأكيد الضمير بقوله جميعا فكأنه قال فسيحشر اليه المقربين وغيرهم جميعا ووقوع الفعل المتصل به الضمير جزاء لقوله ومن يستنكف لا يعين اختصاص الضمير بالمستنكفين لان المصحح لارتباط الكلام قد وجد مندرجا في طي هذا الضمير الشامل لهم ولغيرهم وحينئذ يكون المفصل مشتملا على الفريقين وتفصيله منطبق عليه والله اعلم.

فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به فسيدخلهم في رحمة منه وفضل ويهديهم اليه صراطا مستقيما يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ان امرؤ هلك ليس له ولد وله اخت فلها نصف ما ترك

او على اسم يكون او على المستتر في عبدا لما فيه من معنى الوصف لدلالته على معنى العبادة كقولك مررت برجل عبدا ابوه فالعطف على المسيح هو الظاهر لاداء غيره الى ما فيه بعض انحراف عن الغرض وهو ان المسيح لا يأنف ان يكون هو ولا من فوقه موصوفين بالعبودية او ان يعبد الله هو ومن فوقه (فان قلت) قد جعلت الملائكة وهم جماعة عبدا لله في هذا العطف فما وجهه (قلت) فيه وجهان احدهما ان يراد ولا كل واحد من الملائكة او ولا الملائكة المقربون ان يكونوا عبادا لله فحذف ذلك لدلالة عبد الله عليه ايجازا واما اذا عطفتهم على الضمير في عبدا فقد طاح هذا السؤال * قرئ فسيحشرهم بضم الشين وكسرها وبالنون * (فان قلت) التفصيل غير مطابق للمفصل لانه اشتمل على الفريقين والمفصل على فريق واحد (قلت) هو مثل قولك جمع الامام الخوارج فمن لم يخرج عليه كساه وحمله ومن خرج عليه نكل به وصحة ذلك لوجهين احدهما ان يحذف ذكر احد الفريقين لدلالة التفصيل عليه ولان ذكر احدهما يدل على ذكر الثاني كما حذف احدهما في التفصيل في قوله عقيب هذا (فاما الذين آمنوا بالله واعتصموا به) والثاني وهو ان الاحسان الى غيرهم مما يغمهم فكان داخلا في جملة التنكيل بهم فكأنه قيل ومن يستنكف عن عبادته و يستكبر فسيعذب بالحسرة اذا رأى اجور العاملين وبما يصيبه من عذاب الله * البرهان والنور المبين القرآن او اراد بالبرهان دين الحق او رسول الله صلى الله عليه وسلم وبالنور المبين ما يبينه ويصدقه من الكتاب المعجز (في رحمة منه وفضل) في ثواب مستحق وتفضل (ويهديهم اليه) الى عبادته (صراطا مستقيما) وهو طريق الاسلام والمعنى توفيقهم وتثبيتهم * روى انه آخر ما نزل من الاحكام كان رسول الله صلى الله عليه وسلم في طريق مكة عام حجة الوداع فاتاه جابر بن عبد الله فقال ان لي اختا فكم آخذ من ميراثها ان ماتت وقيل كان مريضا فعاده رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني كلالة فكيف اصنع في مالي فنزلت (ان امرؤ هلك) ارتفع امرؤ بمضمر يفسره الظاهر ومحل (ليس له ولد) الرفع على الصفة لا النصب على الحال اى ان هلك امرؤ غير ذى ولد والمراد بالولد الابن وهو اسم مشترك يجوز ايقاعه على الذكر وعلى الانثى لان الابن يسقط الاخت ولا تسقطها البنت الا

اذ في لفظ من من الابهام مايسوغ وقوعها على الاصناف المختلفة من مذكر ومؤنث وتثنية وجمع ومثل الآية سواء قوله تعالى يحسبون

وهو يرثها ان لم يكن لها ولد فان كانتا اثنتين فلهما الثلثان مما ترك وان كانوا اخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الانثيين يبين الله لكم ان تضلوا والله بكل شيء عليم

في مذهب ابن عباس وبالاخت التي هي لاب وأم دون التي لام لان الله تعالى فرض لها النصف وجعل اخاها عصبة وقال للذكر مثل حظ الانثيين واما الاخت الام فلها السدس في آية المواريث مسوى بينها وبين أخيها (وهو يرثها) واخوها يرثها ان قدر الامر على العكس من موتها وبقائه بعدها (ان لم يكن لها ولد) اى ابن لان الابن يسقط الاخ دون البنت (فان قلت) الابن لا يسقط الاخ وحده فان الاب نظيره في الاسقاط فلم اقتصر على نفي الولد (قلت) بين حكم انتفاء الولد ووكل حكم انتفاء الوالد الى بيان السنة وهو قوله عليه السلام ألحقوا الفرائض باهلها فما بقي فلاولى عصبة ذكر والاب اولى من الاخ وليسا باول حكمين بين احدهما بالكتاب والآخر بالسنة ويجوز ان يدل بحكم انتفاء الولد على حكم انتفاء الوالد لان الولد اقرب الى الميت من الوالد فاذا ورث الاخ عند انتفاء الاقرب فاولى ان يرث عند انتفاء الابعد ولان الكلالة تتناول انتفاء الوالد والولد جميعا فكان ذكر انتفاء احدهما دالا على انتفاء الآخر * (فان قلت) الى من يرجع ضمير التثنية والجمع في قوله (فان كانتا اثنتين) وان كانوا اخوة (قلت) اصله فان كان من يرث بالاخوة اثنتين وان كان من يرث بالاخوة ذكورا واناثا وانما قيل فان كانتا وان كانوا كما قيل من كانت أمك فكما أنث ضمير من لمكان تأنيث الخبر كذلك ثنى وجمع ضمير من يرث في كانتا وكانوا لمكان تثنية الخبر وجمعه * والمراد بالاخوة الاخوة والاخوات تغليبا لحكم الذكورة (ان تضلوا) مفعول له ومعناه كراهة ان تضلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النساء فكأنما تصدق على كل مؤمن ومؤمنة ورث ميراثا واعطي من الاجر كمن اشترى محررا وبرئ من الشرك وكان في مشيئة الله من الذين يتجاوز عنهم

سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية

(سورة المائدة مدنية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

بسم الله الرحمن الرحيم

يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الانعام الا مايتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم ان الله يحكم ما يريد يا أيها الذين آمنوا لا تحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد

* يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه والموفون بعهدهم * والعقد العهد الموثق شبه بعقد الحبل ونحوه قال الحطيئة

قوم اذا عقدوا عقدا لجارهم * شدوا العناج وشدوا فوقه الكربا

وهي عقود الله التي عقدها على عباده وألزمها اياهم من مواجب التكليف وقيل هي ما يعقدون بينهم من عقود الامانات ويتحالفون عليه ويتماسحون من المبايعات ونحوها والظاهر انها عقود الله عليهم في دينه من تحليل حلاله وتحريم حرامه وانه كلام قدم مجملا ثم عقب بالتفصيل وهو قوله (أحلت لكم) ومابعده * البهيمة كل ذات اربع في البر والبحر واضافتها الى الانعام للبيان وهي الاضافة التي بمعنى من كخاتم فضة ومعناه البهيمة من الانعام (الا مايتلى عليكم) الا محرم مايتلى عليكم من القرآن من نحو قوله حرمت عليكم الميتة او الا مايتلى عليكم آية تحريمه * والانعام الازواج الثمانية وقيل بهيمة الانعام الظباء وبقر الوحش ونحوها كأنهم ارادوا ماماثل الانعام ويدانيها من جنس البهائم في الاجترار وعدم الانياب فاضيفت الى الانعام لملابسة الشبه (غير محلي الصيد) نصب على الحال من الضمير في لكم اى احلت لكم هذه الاشياء لا محلين الصيد وعن الاخفش ان انتصابه عن قوله أوفوا بالعقود وقوله (وانتم حرم) حال من محلي الصيد كأنه قيل احللنا لكم بعض الانعام في حال امتناعكم من الصيد وانتم محرمون لئلا نحرج عليكم (ان الله يحكم ما يريد) من الاحكام ويعلم انه حكمة ومصلحة * والحرم جمع حرام وهو المحرم * الشعائر جمع شعيرة وهي اسم ما اشعر اى جعل شعارا وعلما للنسك من مواقف الحج ومرامي الجمار والمطاف والمسعى والافعال التي هي علامات الحاج يعرف بها من الاحرام والطواف والسعي والحلق والنحر * والشهر الحرام شهر الحج * والهدى

كل صيحة عليهم هم العدو وفيمن جعل الجملة مفعولا ثانيا للحسبان فان اصل الكلام هي العدو ذا الضمير على هذا الاعراب للصيحة ولكنه ذكره وجمعه لمكان الخبر والله اعلم

* القول في سورة المائدة * (بسم الله الرحمن الرحيم) ما

يا أيها الذين آمنوا اوفوا بالعقود (قال المصنف يقال وفى بالعهد واوفى به ومنه الموفون بعهدهم) قال احمد ورد في الكتاب العزيز وفى بالتضعيف في قوله تعالى وابراهيم الذي وفى وورد اوفى كثيرا ومنه اوفوا بالعقود واما وفى ثلاثيا فلم يرد الا في قوله تعالى ومن اوفى بعهده

ماأهدي الى البيت وتقرب به الى الله من النسائك وهو جمع هدية كما يقال جدى فى جمع جدية السرج *والقلائد جمع قلادة وهي ماقلد به الهدي من نعل او عروة مزادة اولحاء شجر اوغيره *وآموا المسجد الحرام قاصدوه وهم الحجاج والعمار *واحلال هذه الاشياء ان يتهاون بحرمة الشعائر وان يحال بينها وبين المتنسكين بها وان يحدثوا فى أشهر الحج مايصدون به الناس عن الحج وان يتعرض للهدي بالغصب اوبالمنع من بلوغ محله واما القلائد ففيها وجهان احدهما ان يراد بها ذوات القلائد من الهدي وهي البدن وتعطف على الهدي للاختصاص وزيادة التوصية بها لانها اشرف الهدي كقوله وجبريل وميكال كانه قيل والقلائد منها خصوصا والثاني ان ينهي عن التعرض لقلائد الهدي مبالغة فى النهي عن التعرض للهدي على معنى ولا تحلوا قلائدها فضلا ان تحلوها كما قال ولا يبدين زينتهن فنهي عن ابداء الزينة مبالغة فى النهي عن ابداء مواقعها (لا آمين) ولا تحلوا قوما قاصدين المسجد الحرام (يبتغون فضلا من ربهم) وهو الثواب (ورضوانا) وان يرضي عنهم اى لا تتعرضوا لقوم هذه صفتهم تعظيما لهم واستنكارا ان يتعرض لمثلهم قيل هي محكمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم المائدة من آخر القرآن نزولا فاحلوا حلالها وحرموا حرامها وقال الحسن ليس فيها منسوخ وعن ابى ميسرة فيها ثماني عشرة فريضة وليس فيها منسوخ وقيل هي منسوخة وعن ابن عباس كان المسلمون والمشركون يحجون جميعا فنهي الله المسلمين ان يمنعوا احدا عن حج البيت بقوله لا تحلوا ثم نزل بعد ذلك انما المشركون نجس ما كان للمشركين ان يعمروا مساجد الله وقال مجاهد والشعبي لا تحلوا نسخ بقوله واقتلوهم حيث وجدتموهم *وفسر ابتغاء الفضل بالتجارة وابتغاء الرضوان بان المشركين كانوا يظنون فى انفسهم انهم على سداد من دينهم وان الحج يقربهم الى الله فوصفهم الله بظنهم *وقرأ عبد الله ولا آمي البيت الحرام على الاضافة *وقرأ حميد بن قيس والاعرج تبتغون بالتاء على خطاب المؤمنين (فاصطادوا) اباحة للاصطياد بعد حظره عليهم كانه قيل واذا احللتم فلا جناح عليكم ان تصطادوا وقرئ بكسر الفاء وقيل هو بدل من كسر الهمزة عند الابتداء *وقرئ واذا احللتم يقال حل المحرم وأحل *جرم يجري مجرى كسب فى تعديه الى مفعول واحد واثنين تقول جرم ذنبا نحو كسبه وجرمته ذنبا نحو كسبته اياه ويقال اجرمته ذنبا على نقل المتعدي الى مفعول بالهمزة الى مفعولين كقولهم اكسبته ذنبا وعليه قراءة عبد الله ولا يجرمنكم بضم الياء واول المفعولين على القراءتين ضمير المخاطبين والثاني ان تعتدوا (وأن صدوكم) بفتح الهمزة متعلق بالشنآن بمعنى العلة والشنآن شدة البغض * وقرئ بسكون النون والمعنى ولا يكسبنكم بغض قوم لان صدوكم الاعتداء ولا يحملنكم عليه * وقرئ ان صدوكم على ان الشرطيه وفي قراءة عبد الله ان يصدوكم ومعنى صدهم اياهم عن المسجد الحرام منع اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يوم الحديبية عن العمرة ومعنى الاعتداء الانتقام منهم بالحاق مكروه بهم (وتعاونوا على البر والتقوى) على العفو والاغضاء (ولا تعاونوا على الاثم والعدوان) على الانتقام والتشفي ويجوز ان يراد العموم لكل بر وتقوى وكل اثم وعدوان فيتناول بعمومه العفو والانتصار * كان اهل الجاهلية يأكلون هذه المحرمات البهيمة التي تموت حتف أنفها والفصيد وهو الدم فى المباعر يشوونها ويقولون لم يحرم من فزدله (وما أهل لغير الله به) اى رفع الصوت به لغير الله وهو قولهم باسم اللات والعزى عند ذبحه (والمنخنقة) التي خنقوها حتى ماتت او انخنقت بسبب (والموقوذة) التي اثخنوها ضربا بعصا اوحجر حتى ماتت (والمتردية) التي تردت من جبل اوفى بئر فماتت (والنطيحة) التي نطحتها اخرى فماتت بالنطح (وما اكل السبع) بعضه (الا ماذكيتم) الا ماادركتم ذكاته وهو يضطرب اضطراب المذبوح وتشخب اوداجه * وقرأ عبد الله والمنطوحة وفى رواية عن ابى عمرو السبع بسكون الباء وقرأ ابن عباس وأكيل السبع (وما ذبح على النصب) كانت لهم حجارة منصوبة حول البيت يذبحون عليها ويشرحون اللحم عليها يعظمونها بذلك ويتقربون به اليها تسمي الانصاب والنصب واحد قال الاعشى

وذا النصب المنصوب لا تعبدنه * لعاقبة والله ربك فاعبدا

ولا آمين البيت الحرام يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا واذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم ان صدوكم عن المسجد الحرام ان تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع الا ماذكيتم وما ذبح على النصب

من الله لانه بني أفعل من التفضيل وفى اذلا يبنى الا من ثلاثي

٣قوله فى المباعر اى مواضع البعر وهي الامعاء وقوله فزد بضم الفاء وسكون الزاى آخره دال مهملة ويروى فصد بسكون الصاد تخفيفا اى لم يحرم القرى من فصدت له الراحلة فحظي بدمها وروى قصد بالقاف اى اعطي قصدا أى قليلا اه من القاموس اه مصححه

وقيل هو جمع والواحد نصاب وقرئ النصب بسكون الصاد (وأن تستقسموا بالازلام) وحرم عليكم الاستقسام بالازلام اى بالقداح كان احدهم اذا اراد سفرا اوغزوا اوتجارة اونكاحا اوامرا من معاظم الامور ضرب بالقداح وهي مكتوب على بعضها نهاني ربي وعلى بعضها امرني ربي وبعضها غفل فان خرج الآمر مضي لطيته وان خرج الناهي امسك وان خرج الغفل أجالها عودا فمعنى الاستقسام بالازلام طلب معرفة ماقسم له مما لم يقسم له بالازلام وقيل هو الميسر وقسمتهم الجزور على الانصباء المعلومة (ذلكم فسق) الاشارة الى الاستقسام اوالى تناول ماحرم عليهم لان المعنى حرم عليكم تناول الميتة وكذا وكذا (فان قلت) لم كان استقسام المسافر وغيره بالازلام لتعرف الحال فسقا (قلت) لانه دخول فى علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقال لا يعلم من فى السموات والارض الغيب الا الله واعتقاد ان اليه طريقا والى استنباطه وقوله امرني ربى ونهاني ربي افتراء على الله وما يدريه انه امره اونهاه والكهنة والمنجمون بهذه المثابة وان كان اراد بالرب الصنم فقد روى انهم كانوا يجيلونها عند اصنامهم فأمره ظاهر (اليوم) لم يرد به يوما بعينه وانما اراد به الزمان الحاضر وما يتصل به ويدانيه من الازمنة الماضية والآتية كقولك كنت بالامس شابا وأنت اليوم أشيب فلا تريد بالامس اليوم الذى قبل يومك ولا باليوم يومك ونحوه الآن فى قوله

الآن لما ابيض مسربتي * وعضضت من نابي على جذم

وقيل أريد يوم نزولها وقد نزلت يوم الجمعة وكان يوم عرفة بعد العصر فى حجة الوداع (يئس الذين كفروا من دينكم) يئسوا منه ان يبطلوه وأن ترجعوا محللين لهذه الخبائث بعد ماحرمت عليكم وقيل يئسوا من دينكم ان يغلبوه لان الله عز وجل وفى بوعده من اظهاره على الدين كله (فلا تخشوهم) بعد اظهار الدين وزوال الخوف من الكفار وانقلابهم مغلوبين مقهورين بعدما كانوا غالبين (واخشوني) واخلصوا الى الخشية (أكملت لكم دينكم) كفيتكم امر عدوكم وجعلت اليد العليا لكم كما تقول الملوك اليوم كمل لنا الملك وكمل لنا ما نريد اذا كفوا من ينازعهم الملك ووصلوا الى اغراضهم ومباغيهم أو أكملت لكم ما تحتاجون اليه فى تكليفكم من تعليم الحلال والحرام والتوقيف على الشرائع وقوانين القياس وأصول الاجتهاد (وأتممت عليكم نعمتي) بفتح مكة ودخولها آمنين ظاهرين وهدم منار الجاهلية ومناسكهم وان لم يحج معكم مشرك ولم يطف بالبيت عريان أو أتممت نعمتي عليكم باكمال امر الدين والشرائع كانه قال اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي بذلك لانه لا نعمة اتم من نعمة الاسلام (ورضيت لكم الاسلام دينا) يعني اخترته لكم من بين الاديان وآذنتكم بانه هو الدين المرضي وحده ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ان هذه امتكم أمة واحدة * (فان قلت) بم اتصل قوله (فمن اضطر) (قلت) بذكر المحرمات وقوله ذلكم فسق اعتراض أكد به معنى التحريم وكذلك ما بعده لان تحريم هذه الخبائث من جملة الدين الكامل والنعمة التامة والاسلام المنعوت بالرضا دون غيره من الملل ومعناه فمن اضطر الى الميتة او الى غيرها (فى مخمصة) فى مجاعة (غير متجانف لاثم) غير منحرف اليه كقوله غير باغ ولا عاد (فان الله غفور) لا يؤاخذه بذلك * فى السؤال معنى القول فلذلك وقع بعده (ماذا أحل لهم) كانه قيل يقولون لك ماذا أحل لهم وانما لم يقل ماذا أحل لنا حكاية لما قالوه لان يسألونك بلفظ الغيبة كما تقول اقسم زيد ليفعلن ولو قيل لافعلن وأحل لنا لكان صوابا وماذا مبتدا وأحل لهم خبره كقولك اى شيء أحل لهم ومعناه ماذا أحل لهم من المطاعم كانهم حين تلا عليهم ماحرم عليهم من خبيثات المــآ كل سألوا عما أحل لهم منها فقيل (أحل لكم الطيبات) اى ما ليس بخبيث منها وهو كل ما لم يأت تحريمه فى كتاب اوسنة اوقياس مجتهد (وماعلمتم من الجوارح) عطف على الطيبات اى أحل لكم الطيبات وصيد ما علمتم فحذف المضاف اوتجعل ما شرطية وجوابها فكلوا والجوارح الكواسب من سباع البهائم والطير كالكلب والفهد والنمر والعقاب والصقر والبازى والشاهين * والمكلب مؤدب الجوارح ومضريها بالصيد لصاحبها ورائضها لذلك بما علم من الحيل وطرق التاديب والتثقيف واشتقاقه من الكلب لان التاديب أكثر ما يكون فى الكلاب فاشتق من لفظه لكثرته فى جنسه اولان السبع يسمي

وان تستقسموا بالازلام ذلكم فسق اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا فمن اضطر فى مخمصة غير متجانف لاثم فان الله غفور رحيم يسئلونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح

---

*قوله تعالى وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم الآية (قال وما علمتم عطفا على الطيبات الخ) قال احمد ولقد احسن فى التنبيه على هذا السر الخفي غير ان الحال ياصا لتها منتقلة غير لازمة ومقتضى هذا التقرير جعلها من الصفات اللازمة لمعلم الجوارح التابعة له

عادكلامه (قال وفى قوله تعلمونهن مما علمكم الله فائدة جليلة الخ) قال احمد وفي الآية دليل على ان البهائم لها علم لان تعليمها معناه لغة تحصيل العلم لها بطرقه خلافا لمنكرى ذلك قوله تعالى وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم (قال معناه فلا عليكم ان تطعموهم الخ) قال احمد وقد يستدل بهذه الآية من يرى الكفار مخاطبين بفروع الشريعة لان التحليل حكم وقد علقه بهم فى قوله وطعامكم حل لهم كما علق الحكم بالمؤمنين وهذه الآية ابين في الاستدلال بها من قوله لاهن حل لهم ولاهم يحلون لهن فان لقائل ان يقول فى تلك الآية نفى الحكم ليس بحكم ولا يستطيع ذلك فى آية المائدة هذه لان الحكم فيها مثبت والله اعلم ولما استشعر الزمخشرى دلالتها على ذلك وهو من القائلين بان الكفار يستحيل خطابهم بفروع الشريعة اسلف تاويلها بصرف الخطاب الى المؤمنين اى لا جناح عليكم ايها المسلمون ان تطعموا أهل الكتاب كما رأيته فى كلامه أيضا * قوله تعالى ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة الآية (قال قوله اذا قمتم كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله الخ) قال احمد هذا الكلام يستقيم وروده من السنى كما يستقيم من المعتزلى لانا نقول الفعل يوجد بقدرة العبد ملتبسا بها ومقارنا لها والمعتزلى يقوله و يعنى مخلوقا بها وناشئا عن تاثيرها فالعبارة مستعملة فى المذهبين ولكن باختلاف المعنى والله الموفق

مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما امسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله ان الله سريع الحساب اليوم احل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم اذا آتيتموهن اجورهن محصنين غير مسافحين ولا متخذى اخدان ومن يكفر بالايمان فقد حبط عمله وهو فى الآخرة من الخاسرين ياأيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم

كلبا ومنه قوله عليه السلام اللهم سلط عليه كلبا من كلابك فاكله الاسد او من الكلب الذى هو بمعنى الضراوة يقال هو كلب بكذا اذا كان ضاريا به وانتصاب (مكلبين) على الحال من علمتم (فان قلت) ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بعلمتم (قلت) فائدتها ان يكون من يعلم الجوارح نحريرا فى علمه مدربا فيه موصوفا بالتكليب و (تعلمونهن) حال ثانية او استئناف وفيه فائدة جليلة وهي ان على كل آخذ علما ان لا يأخذه الا من اقتل اهله علما وانحرهم دراية وأغوصهم على لطائفه وحقائقه وان احتاج الى ان يضرب اليه أكباد الابل فكم من آخذ عن غير متقن قد ضيع ايامه وعض عند لقاء النحارير أنامله (مما علمكم الله) من علم التكليب لانه الهام من الله ومكتسب بالعقل او مما عرفكم ان تعلموه من اتباع الصيد بارسال صاحبه وانزجاره بزجره وانصرافه بدعائه وامساك الصيد عليه وان لا يأكل منه * وقرئ مكلبين بالتخفيف وافعل وفعل يشتركان كثيرا * والامساك على صاحبه ان لا يأكل منه لقوله عليه السلام لعدى بن حاتم وان اكل منه فلا تأكل انما أمسك على نفسه وعن على رضي الله عنه اذا أكل البازى فلا تأكل وفرق العلماء فاشترطوا فى سباع البهائم ترك الاكل لانها تؤدب بالضرب ولم يشترطوه فى سباع الطير ومنهم من لم يعتبر ترك الاكل اصلا ولم يفرق بين امساك الكل والبعض وعن سلمان وسعد بن ابى وقاص وابي هريرة رضى الله عنهم اذا أكل الكلب ثلثيه وبقي ثلثه وذكرت اسم الله عليه فكل (فان قلت) الام رجع الضمير فى قوله (واذكروا اسم الله عليه) (قلت) اما ان يرجع الى ما امسكن على معنى وسموا عليه اذا أدركتم ذكاته او الى ما علمتم من الجوارح اى سموا عليه عند ارساله (طعام الذين أوتوا الكتاب) قيل هو ذبائحهم وقيل هو جميع مطاعمهم ويستوى فى ذلك جميع النصارى وعن على رضي الله عنه انه استثنى نصارى بنى تغلب وقال ليسوا على النصرانية ولم يأخذوا منها الا شرب الخمر وبه اخذ الشافعى وعن ابن عباس انه سئل عن ذبائح نصارى العرب فقال لا بأس وهو قول عامة التابعين وبه اخذ ابو حنيفة وأصحابه وحكم الصابئين حكم اهل الكتاب عند ابي حنيفة وقال صاحباه هم صنفان صنف يقرؤن الزبور ويعبدون الملائكة وصنف لا يقرؤن كتابا ويعبدون النجوم فهؤلاء ليسوا من اهل الكتاب واما المجوس فقد سن بهم سنة اهل الكتاب فى اخذ الجزية منهم دون أكل ذبائحهم ونكاح نسائهم وقد روى عن ابن المسيب انه قال اذا كان المسلم مريضا فامر المجوسى ان يذكر اسم الله ويذبح فلا بأس وقال ابو ثور وان امره بذلك فى الصحة فلا بأس وقد اساء (وطعامكم حل لهم) فلا عليكم ان تطعموهم لانه لو كان حراما عليهم طعام المؤمنين لما ساغ لهم اطعامهم (المحصنات) الحرائر او العفائف وتخصيصهن بعث على تخير المؤمنين لنطفهم والاماء من المسلمات يصح نكاحهن بالاتفاق وكذلك نكاح غير العفائف منهن واما الاماء الكتابيات فعند ابى حنيفة هن كالمسلمات وخالفه الشافعى وكان ابن عمر لا يرى نكاح الكتابيات ويحتج بقوله ولا تنكحوا المشركات حتى يؤمن ويقول لا اعلم شركا اعظم من قولها ان ربها عيسى وعن عطاء قد اكثر الله المسلمات وانما رخص لهم يومئذ (محصنين) اعفاء (ولا متخذى اخدان) صدائق والخدن يقع على الذكر والانثى (ومن يكفر بالايمان) بشرائع الاسلام وما احل الله وحرم (اذا قمتم الى الصلوة) كقوله فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله وكقولك اذا ضربت غلامك فهون عليه فى ان المراد ارادة الفعل (فان قلت) لم جاز ان يعبر عن ارادة الفعل بالفعل (قلت) لان الفعل يوجد بقدرة الفاعل

عاد كلامه (قال فان قلت ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الخ) قال أحمد الزمخشري انكر ان يراد بالمشترك كل واحد من معانيه على الجمع وقد سبق له انكار ذلك ومن جوز ارادة جميع المحامل اجاز ذلك في الآية ومن المجوزين لذلك الشافعي رحمه الله تعالى وناهيك بامام الفن وقدوته هذا اذا وقع البناء على ان صيغة افعل مشتركة بين الوجوب والندب صح تناولها في الآية للفريقين المحدثين والمتطهرين وتناولها للمتطهرين من حيث الندب والله اعلم * قوله تعالى وامسحوا برؤسكم وارجلكم (قال فيه قرأ جماعة وارجلكم بالنصب الخ) قال احمد ولم يوجه الجر بما يشفي الغليل والوجه فيه ان الغسل والمسح متقاربان من حيث ان كل واحد منهما امساس بالعضو فيسهل عطف المغسول على الممسوح من ثم كقوله

* متقلدا سيفا ورمحا *

* وعلفتها تبنا وماء باردا *

ونظائره كثيرة وبهذا وجه الحذاق ثم يقال مافائدة هذا التشريك بعلة التقارب وهلا استند الى كل واحد منهما الفعل الخاص به على الحقيقة فيقال فائدته الايجاز والاختصار وتوكيد الفائدة بماذكره الزمخشري وتحقيقه . ان الاصل ان يقال مثلا واغسلوا ارجلكم غسلا خفيفا لا اسراف فيه كما هو المعتاد فاختصرت هذه المقاصد باشراكه الارجل مع الممسوح ونبه بهذا التشريك الذي لا يكون الا في الفعل الواحد او الفعلين المتقاربين جدا على ان الغسل المطلوب في الارجل غسل خفيف يقارب المسح وحسن ادراجه معه تحت صيغة واحدة وهذا تقرير كامل لهذا المقصود والله اعلم (قوله الرابع) كذا بالاصل وصوابه الثالث كما هو واضح اه

الى المرافق وامسحوا برؤسكم وارجلكم الى الكعبين وان كنتم جنبا فاطهروا وان كنتم مرضى او على سفر او جاء احد منكم من الغائط او لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وايديكم منه

عليه وارادته له وهو قصده اليه وميله وخلوص داعيه فكما عبر عن القدرة على الفعل بالفعل في قولهم الانسان لا يطير والاعمى لا يبصر اي لا يقدران على الطيران والابصار ومنه قوله تعالى نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين يعني انا كنا قادرين على الاعادة كذلك عبر عن ارادة الفعل بالفعل وذلك لان الفعل مسبب عن القدرة والارادة فاقيم المسبب مقام السبب للملابسة بينهما ولايجاز الكلام ونحوه من اقامة المسبب مقام السبب قولهم كما تدين تدان عبر عن الفعل المبتدا الذي هو سبب الجزاء بلفظ الجزاء الذي هو مسبب عنه وقيل معنى قمتم الى الصلاة قصدتموها لان من توجه الى شيء وقام اليه كان قاصدا له لا محالة فعبر عن القصد له بالقيام اليه (فان قلت) ظاهر الآية يوجب الوضوء على كل قائم الى الصلاة محدث وغير محدث فما وجهه (قلت) يحتمل ان يكون الامر للوجوب فيكون الخطاب للمحدثين خاصة وان يكون للندب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء بعده انهم كانوا يتوضؤن لكل صلاة وعن النبي ﷺ من توضأ على طهر كتب الله له عشر حسنات وعنه عليه السلام انه كان يتوضأ لكل صلاة فلما كان يوم الفتح مسح على خفيه فصلى الصلوات الخمس بوضوء واحد فقال له عمر صنعت شيئا لم تكن تصنعه فقال عمدا فعلته يا عمر يعني بيانا للجواز (فان قلت) هل يجوز ان يكون الامر شاملا للمحدثين وغيرهم لهؤلاء على وجه الايجاب ولهؤلاء على وجه الندب (قلت) لا لان تناول الكلمة لمعنيين مختلفين من باب الالغاز والتعمية وقيل كان الوضوء لكل صلاة واجبا أول ما فرض ثم نسخ * الى تفيد معنى الغاية مطلقا فاما دخولها في الحكم وخروجها فامر يدور مع الدليل فمما فيه دليل على الخروج قوله فنظرة الى ميسرة لان الاعسار علة الانظار وبوجود الميسرة تزول العلة ولو دخلت الميسرة فيه لكان منتظرا في كلتا الحالتين معسرا وموسرا وكذلك ثم اتموا الصيام الى الليل لو دخل الليل لوجب الوصال ومما فيه دليل على الدخول قولك حفظت القرآن من اوله الى آخره لان الكلام مسوق لحفظ القرآن كله ومنه قوله تعالى من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى لوقوع العلم بانه لا يسرى به الى بيت المقدس من غير ان يدخله وقوله (الى المرافق) والى الكعبين لا دليل فيه على احد الامرين فاخذ كافة العلماء بالاحتياط فحكموا بدخولها في الغسل واخذ زفر وداود بالمتيقن فلم يدخلاها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يدير الماء على مرفقيه (وامسحوا برؤسكم) المراد الصاق المسح بالرأس وماسح بعضه ومستوعبه بالمسح كلاهما ملصق للمسح برأسه وقد اخذ مالك بالاحتياط فاوجب الاستيعاب او اكثره على اختلاف الرواية واخذ الشافعي باليقين فاوجب اقل ما يقع عليه اسم المسح واخذ ابو حنيفة ببيان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ما روى انه مسح على ناصيته وقدر الناصية بربع الرأس * قرأ جماعة وارجلكم بالنصب فدل على ان الارجل مغسولة (فان قلت) فما تصنع بقراءة الجر ودخولها في حكم المسح (قلت) الارجل من بين الاعضاء الثلاثة المغسولة تغسل بصب الماء عليها فكانت مظنة للاسراف المذموم المنهي عنه فعطفت على الرابع الممسوح لا لتمسح ولكن لينبه على وجوب الاقتصاد في صب الماء عليها وقيل (الى الكعبين) فجيء بالغاية اماطة لظن ظان يحسبها ممسوحة لان المسح لم تضرب له غاية في الشريعة وعن علي رضى الله عنه انه اشرف على فتية من قريش فرأى في وضوئهم تجوزا فقال ويل للاعقاب من النار فلما سمعوا جعلوا يغسلونها غسلا ويدلكونها دلكا وعن ابن عمر كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتوضأ قوم واعقابهم بيض تلوح فقال ويل للاعقاب من النار وفي رواية جابر ويل للعراقيب وعن عمر انه رأى رجلا يتوضأ فترك باطن قدميه فامره

ان يعيد الوضوء وذلك للتغليظ عليه وعن عائشة رضي الله عنها لأن تقطعا احب الى من ان امسح على القدمين بغير خفين وعن عطاء والله ما علمت أن احدا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم مسح على القدمين وقد ذهب بعض الناس الى ظاهر العطف فاوجب المسح وعن الحسن انه جمع بين الامرين وعن الشعبي نزل القرآن بالمسح والغسل سنة وقرأ الحسن وارجلكم بالرفع بمعنى وارجلكم مغسولة أو ممسوحة الى الكعبين *وقرئ فاطهروا أي فطهروا أبدانكم وكذلك ليطهركم * وفي قراءة عبد الله فأموا صعيدا (ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج) في باب الطهارة حتى لا يرخص لكم في التيمم (ولكن يريد الله ليطهركم) بالتراب اذ أعوزكم التطهر بالماء (وليتم نعمته عليكم) وليتم برخصه انعامه عليكم بعزائمه (لعلكم تشكرون) نعمته فيثيبكم (واذكروا نعمت الله عليكم) وهي نعمة الاسلام (وميثاقه الذي واثقكم به) أي عاقدكم به عقدا وثيقا وهو الميثاق الذي اخذه على المسلمين حين بايعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم على السمع والطاعة في حال اليسر والعسر والمنشط والمكره فقبلوا وقالوا (سمعنا واطعنا) وقيل هو الميثاق ليلة العقبة وفي بيعة الرضوان *عدي يجرمنكم بحرف الاستعلاء مضمنا معنى فعل يتعدى به كانه قيل ولا يحملنكم ويجوز أن يكون قوله ان تعتدوا بمعنى على ان تعتدوا فحذف مع ان ونحوه قوله عليه السلام من اتبع على ملىء فليتبع لانه بمعنى احيل *وقرئ شنآن بالسكون ونظيره في المصادر ليان والمعنى لا يحملنكم بغضكم للمشركين على ان تتركوا العدل فتعتدوا عليهم بان تنتصروا منهم وتتشفوا بما في قلوبكم من الضغائن بارتكاب ما لا يحل لكم من مثلة أو قذف أو قتل أولاد او نساء او نقض عهد أو ما اشبه ذلك (اعدلوا هو اقرب للتقوى) نهاهم اولا ان تحملهم البغضاء على ترك العدل ثم استانف فصرح لهم بالامر بالعدل تاكيدا وتشديدا ثم استانف فذكر لهم وجه الامر بالعدل وهو قوله هو أقرب للتقوى اي العدل اقرب الى التقوى وادخل في مناسبتها او اقرب الى التقوى لكونه لطفا فيها وفيه تنبيه عظيم على ان وجوب العدل مع الكفار الذين هم اعداء الله اذا كان بهذه الصفة من القوة فما الظن بوجوبه مع المؤمنين الذين هم أولياؤه واحباؤه (لهم مغفرة واجر عظيم) بيان للوعد بعد تمام الكلام قبله كانه قال قدم لهم وعدا فقيل اي شيء وعده لهم فقيل لهم مغفرة واجر عظيم أو يكون على ارادة القول بمعنى وعدهم وقال لهم مغفرة او على اجراء وعد مجرى قال لانه ضرب من القول او يجعل وعد واقعا على الجملة التي هي لهم مغفرة كما وقع تركنا على قوله سلام على نوح كانه قيل وعدهم هذا القول واذا وعدهم من لا يخلف الميعاد هذا القول فقد وعدهم مضمونه من المغفرة والاجر العظيم وهذا القول يتلقون به عند الموت ويوم القيامة فيسرون به ويستروحون اليه ويهون عليهم السكرات والاهوال قبل الوصول الى الثواب * روي أن المشركين رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه قاموا الى صلاة الظهر يصلون معا وذلك بعسفان في غزوة ذي انمار فلما صلوا ندموا ان لا كانوا اكبوا عليهم فقالوا ان لهم بعدها صلاة هي احب اليهم من آبائهم وابنائهم يعنون صلاة العصر وهموا بان يوقعوا بهم اذا قاموا اليها فنزل جبريل بصلاة الخوف * روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتي بني قريظة ومعه الشيخان وعلي رضي الله عنهم يستقرضهم دية مسلمين قتلهما عمرو بن امية الضمري خطأ يحسبهما مشركين فقالوا نعم يا ابا القاسم اجلس حتى نطعمك ونقرضك فاجلسوه في صفة وهموا بالفتك به وعمد عمرو بن جحاش الى رحا عظيمة يطرحها عليه فامسك الله يده ونزل جبريل فاخبره فخرج وقيل نزل منزلا وتفرق الناس في العضاه يستظلون بها فعلق رسول الله صلى الله عليه وسلم سلاحه بشجرة فجاء اعرابي فسل سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم اقبل عليه فقال من يمنعك مني قال الله قالها ثلاثا فشام الاعرابي السيف فصاح رسول الله صلى الله عليه وسلم باصحابه فاخبرهم وابي ان يعاقب يقال بسط اليه لسانه اذا شتمه وبسط اليه يده اذا بطش به ويبسطوا اليكم ايديهم والسنتهم بالسوء ومعنى بسط اليد مدها الى المبطوش به الا ترى الى قولهم فلان بسيط الباع ومديد الباع بمعنى (فكف ايديهم عنكم) فمنعها ان تمد اليكم * لما استقر بنو اسرائيل بمصر بعد هلاك فرعون امرهم الله بالمسير الى اريحاء ارض الشام وكان يسكنها الكنعانيون الجبابرة وقال لهم اني كتبتها لكم دارا وقرارا فاخرجوا اليها وجاهدوا من فيها واني ناصركم وامر

ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم وليتم نعمته عليكم لعلكم تشكرون واذكروا نعمت الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا وأطعنا واتقوا الله ان الله عليم بذات الصدور يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ولا يجرمنكم شنآن قوم على ان لا تعدلوا اعدلوا هو اقرب للتقوى واتقوا الله ان الله خبير بما تعملون وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر عظيم والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك اصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم فكف أيديهم عنكم واتقوا الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون ولقد اخذ الله ميثاق بني اسرائيل وبعثنا منهم اثني عشر نقيبا وقال الله

*قوله تعالى ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم الآية (قال محمود فان قلت فهلا قيل من النصارى الخ) قال احمد وبقيت نكتة في تخصيص هذا الموضع باسناد النصرانية الى دعواهم ولم يتفق ذلك في غيره الاترى الى قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه فالوجه في ذلك والله اعلم انه لما كان المقصود في هذه الآية ذمهم بنقض الميثاق الماخوذ عليهم في نصرة الله تعالى ناسب ذلك ان يصدر الكلام بما يدل على انهم لم ينصروا الله ولم يفوا بما واثقوا عليه من النصرة وما كان حاصل امرهم الا التفوه بدعوى النصرة وقولها دون فعلها والله اعلم

اني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم واقرضتم الله قرضا حسنا لاكفرن عنكم سيآتكم ولادخلنكم جنات تجري من تحتها الانهار فمن كفر بعد ذلك منكم فقد ضل سواء السبيل فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فاغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير

موسى عليه السلام بان ياخذ من كل سبط نقيبا يكون كفيلا على قومه بالوفاء بما أمروا به توثقة عليهم فاختار النقباء وأخذ الميثاق على بني اسرائيل وتكفل لهم به النقباء وسار بهم فلما دنا من أرض كنعان بعث النقباء يتجسسون فرأوا أجراما عظيمة وقوة وشوكة فهابوا ورجعوا وحدثوا قومهم وقد نهاهم موسى عليه السلام ان يحدثوهم فنكثوا الميثاق الا كالب بن يوفنا من سبط يهوذا ويوشع بن نون من سبط افرايم بن يوسف وكانا من النقباء والنقيب الذي ينقب عن احوال القوم ويفتش عنها كما قيل له عريف لانه يتعرفها (اني معكم) أي ناصركم ومعينكم (عزرتموهم) نصرتموهم ومنعتموهم من ايدي العدو ومنه التعزير وهو التنكيل والمنع من معاودة الفساد وقرئ بالتخفيف يقال عزرت الرجل اذا حطته وكنفته والتعزير والتأزير من واد واحد ومنه لانصرنك نصرا مؤزرا أي قويا وقيل معناه ولقد اخذنا ميثاقهم بالايمان والتوحيد وبعثنا منهم اثني عشر ملكا يقيمون فيهم العدل ويامرونهم بالمعروف وينهونهم عن المنكر * واللام في لئن اقمتم موطئة للقسم وفي (لاكفرن) جواب له وهذا الجواب ساد مسد جواب القسم والشرط جميعا (بعد ذلك) بعد ذلك الشرط المؤكد المعلق بالوعد العظيم (فان قلت) من كفر قبل ذلك أيضا فقد ضل سواء السبيل (قلت) اجل ولكن الضلال بعده اظهر واعظم لان الكفر انما عظم قبحه لعظم النعمة المكفورة فاذا زادت النعمة زاد قبح الكفر وتمادى (لعناهم) طردناهم واخرجناهم من رحمتنا وقيل مسخناهم وقيل ضربنا عليهم الجزية (وجعلنا قلوبهم قاسية) خذلناهم ومنعناهم الالطاف حتى قست قلوبهم أو امليناهم ولم نعاجلهم بالعقوبة حتى قست وقرا عبد الله قسية أي ردية مغشوشة من قولهم درهم قسي وهو من القسوة لان الذهب والفضة الخالصين فيهما لين والمغشوش فيه يبس وصلابة والقاسي والقاسح بالحاء أخوان في الدلالة على اليبس والصلابة وقرئ قسية بكسر القاف للاتباع (يحرفون الكلم) بيان لقسوة قلوبهم لانه لا قسوة اشد من الافتراء على الله وتغيير وحيه (ونسوا حظا) وتركوا نصيبا جزيلا وقسطا وافيا (مما ذكروا به) من التوراة يعني أن تركهم واعراضهم عن التوراة اغفال حظ عظيم أو قست قلوبهم وفسدت فحرفوا التوراة وزلت اشياء منها عن حفظهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه قد ينسى المرء بعض العلم بالمعصية وتلا هذه الآية وقيل تركوا نصيب أنفسهم مما أمروا به من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم وبيان نعته (ولا تزال تطلع) اي هذه عادتهم وهجيراهم وكان عليها اسلافهم كانوا يخونون الرسل وهؤلاء يخونونك ينكثون عهودك ويظاهرون المشركين على حربك ويهمون بالفتك بك وأن يسموك (على خائنة) على خيانة أو على فعلة ذات خيانة أو على نفس أو فرقة خائنة ويقال رجل خائنة كقولهم رجل راوية للشعر للمبالغة قال

حدثت نفسك بالوفاء ولم تكن * للغدر خائنة مغل الاصبع

وقرئ على خيانة (منهم الا قليلا منهم) وهم الذين آمنوا منهم (فاعف عنهم) بعث على مخالقتهم وقيل هو منسوخ بآية السيف وقيل فاعف عن مؤمنيهم ولا تؤاخذهم بما سلف منهم (أخذنا ميثاقهم) أخذنا من النصارى ميثاق من ذكر قبلهم من قوم موسى اي مثل ميثاقهم بالايمان بالله والرسل وبافعال الخير أو اخذنا من النصارى ميثاق انفسهم بذلك (فان قلت) فهلا قيل من النصارى (قلت) لانهم انما سموا أنفسهم بذلك ادعاء لنصرة الله وهم الذين قالوا لعيسى نحن انصار الله ثم اختلفوا بعد نسطورية ويعقوبية وملكانية انصارا للشيطان (فاغرينا) فالصقنا والزمنا من غري بالشيء اذا لزمه ولصق به واغراه غيره ومنه الغراء الذي يلصق به (بينهم) بين فرق النصارى المختلفين وقيل بينهم وبين اليهود ونحوه وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا أو يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض (يا اهل الكتاب) خطاب لليهود والنصارى (مما كنتم تخفون) من نحو صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن نحو الرجم (ويعفو عن كثير) مما تخفونه لا يبينه اذا لم تضطر

اليـه

*قوله تعالى وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله وأحباؤه الآية (قال محمود ومعنى قولهم ابناء الله أشياع ابنى الله عزير الخ) قال احمد ومنه قول الملائكة لانهم خواص عباد الله انا أرسلنا الى قوم مجرمين انرسل عليهم الى قوله الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فاضافوا التقدير اليهم وفى الحقيقة المقدر الله وكذلك قول الدابة لانها من خواص آيات الله ان الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون فيمن جعله من قول الدابة والله اعلم
*قوله تعالى بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء (قال محمود يعنى اهل الطاعة ويعذب من يشاء قال يعنى العصاة) قال أحمد رحمه الله ان مشيئة الله تعالى تسع التائب المنيب والعاصي المصر اذا كان موحدا والزمخشرى اخرج هذا التفسير على قاعدته المتكررة فى غير ما موضع وهي القطع بوعيد العصاة المصرين الموحدين وان المغفرة محال * قوله تعالى وا ٢٤٩ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة

قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ويهديهم الى صراط مستقيم لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح ابن مريم قل فمن يملك من الله شيا ان اراد ان يهلك المسيح ابن مريم وامه ومن فى الارض جميعا ولله ملك السموات والارض وما بينهما يخلق ما يشاء والله على كل شيء قدير وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض وما بينهما واليه المصير يا اهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير والله على كل شيء قدير

اليه مصلحة دينية ولم يكن فيه فائدة الا اقتضاء حكم وصفته مما لا بد من بيانه وكذلك الرجم وما فيه احياء الشريعة واماتة بدعة وعن الحسن ويعفو عن كثير منكم لا يؤاخذه (قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين) يريد القرآن لكشفه ظلمات الشرك والشك ولابانته ما كان خافيا عن الناس من الحق اولانه ظاهر الاعجاز (من اتبع رضوانه) من آمن به (سبل السلام) طرق السلامة والنجاة من عذاب الله او سبل الله * قولهم (ان الله هو المسيح) معناه بت القول على ان حقيقة الله هو المسيح لا غير قيل كان فى النصارى قوم يقولون ذلك وقيل ما صرحوا به ولكن مذهبهم يؤدى اليه حيث اعتقدوا أنه يخلق ويحيي ويميت ويدبر امر العالم (فمن يملك من الله شيا) فمن يمنع من قدرته ومشيئته شيا (ان اراد ان يهلك) من دعوه الها من المسيح وأمه دلالة على ان المسيح عبد مخلوق كسائر العباد واراد بعطف من فى الارض على المسيح وامه انهما من جنسهم لا تفاوت بينهما وبينهم فى البشرية (يخلق ما يشاء) اى يخلق من ذكر وأنثى ويخلق من أنثى من غير ذكر كما خلق عيسى ويخلق من غير ذكر وأنثى كما خلق آدم او يخلق ما يشاء كخلق الطير على يد عيسى معجزة له وكاحياء الموتى وابراء الاكمه والابرص وغير ذلك فيجب ان ينسب اليه ولا ينسب الى البشر المجرى على يده (أبناء الله) أشياع ابنى الله عزير والمسيح كما قيل لاشياع ابى خبيب وهو عبد الله بن الزبير الخبيبيون وكما كان يقول رهط مسيلمة نحن ابناء الله ويقول اقرباء الملك وذووه وحشمه نحن الملوك ولذلك قال مؤمن آل فرعون لكم الملك اليوم (فلم يعذبكم بذنوبكم) فان صح انكم ابناء الله واحباؤه فلم تذنبون وتعذبون بذنوبكم فتمسخون وتمسكم النار أياما معدودات على زعمكم ولو كنتم ابناء الله لكنتم من جنس الاب غير فاعلين للقبائح ولا مستوجبين للعقاب ولو كنتم احباءه لما عصيتموه ولما عاقبكم (بل أنتم بشر) من جملة من خلق من البشر (يغفر لمن يشاء) وهم أهل الطاعة (ويعذب من يشاء) وهم العصاة (يبين لكم) اما ان يقدر المبين وهو الدين والشرائع وحذفه لظهور ما ورد الرسول لتبيينه او يقدر ما كنتم تخفون وحذفه لتقدم ذكره او لا يقدر ويكون المعنى يبذل لكم البيان ومحله النصب على الحال اى مبينا لكم و (على فترة) متعلق بجاءكم اى جاءكم على حين فتور من ارسال الرسل وانقطاع من الوحى (ان تقولوا) كراهة ان تقولوا (فقد جاءكم) متعلق بمحذوف اى لا تعتذروا فقد جاءكم وقيل كان بين عيسى ومحمد صلوات الله عليهما خمسمائة وستون سنة وقيل ستمائة وقيل اربعمائة ونيف وستون وعن الكلبي كان بين موسى وعيسى ألف وسبعمائة سنة وألف نبي وبين عيسى ومحمد صلوات الله عليهم اربعة أنبياء ثلاث من بنى اسرائيل وواحد من العرب خالد بن سنان العبسى والمعنى الامتنان عليهم وان الرسول بعث اليهم حين انطمست آثار الوحى احوج ما يكونون اليه ليهشوا اليه ويعدوه أعظم نعمة من الله وفتح باب الى الرحمة وتلزمهم الحجة فلا يعتلوا غدا بانه لم يرسل اليهم من ينبههم عن غفلتهم (جعل فيكم انبياء) لانه لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء (وجعلكم ملوكا) لانه ملكهم بعد فرعون ملكه وبعد الجبابرة ملكهم

(٣٢ — كشاف — اول) وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم

الله عليكم اذ جعل الله فيكم انبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت احدا من العالمين (قال لم يبعث فى أمة ما بعث فى بنى اسرائيل من الانبياء الخ) قال احمد والحامل على تفسير الملك بهذه التفاسير ان الله تعالى انبأ فى ظاهر الكلام انه جعل الجميع ملوكا بقوله وجعلكم ملوكا ولم يقل وجعل فيكم ملوكا كما قال جعل فيكم انبياء فلما عمم الملك فيهم ولا شك ان الملك المعهود وهو الاستيلاء العام لم يثبت لكل احد منهم فيتعين حمل الملك على ما كان ثابتا لجميعهم اولا كثرهم من الابعاض المذكورة هذا هو الباعث على تفسير الملك بذلك والله اعلم وهذا المعنى وان لم يثبت لكل واحد منهم الا انه كان ثابتا لملوكهم وهم منهم اذا اسرائيل الاب الاقرب يجمعهم فلما كانت ملوكهم منهم وهم

اقربائهم واشياعهم وما يسوسون بهم جاز الامتنان عليهم بهذه الصنيعة والمعنى مفهوم وهذا بعينه هو التقرير السالف آنفا في قول اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحباؤه وما بالعهد من قدم (فان قلت) فلم لم يقل اذ جعلكم انبياء لان الانبياء منهم كما قلت في الملوك (قلت) النبوة مزية غير الملك وآحاد الناس يشارك الملك في كثير مما به صار الملك ملكا ولا كذلك النبوة فان درجتها ارفع من ان يشرك من لم تثبت له مع الثابتة نبوته في مزيتها وخصوصيتها ونعتها فهذا هو سر تمييز الانبياء وتعميم الملوك والله اعلم * قوله تعالى قالوا ياموسى

ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها الى قوله فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون

ولان الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الانبياء وقيل كانوا مملوكين في ايدي القبط فانقذهم الله فسمي انقاذهم ملكا وقيل الملك من له مسكن واسع فيه ماء جار وقيل من له بيت وخدم وقيل من له مال لا يحتاج معه الى تكلف الاعمال وتحمل المشاق (ما لم يؤت احدا من العالمين) من فلق البحر واغراق العدو وتظليل الغمام وانزال المن والسلوى وغير ذلك من الامور العظام وقيل اراد عالمي زمانهم (الارض المقدسة) يعني ارض بيت المقدس وقيل الطور وما حوله وقيل الشام وقيل فلسطين ودمشق وبعض الاردن وقيل سماها الله لابراهيم ميراثا لولده حين رفع على الجبل فقيل له انظر فلك ما ادرك بصرك وكان بيت المقدس قرار الانبياء ومسكن المؤمنين (كتب الله لكم) قسمها لكم وسماها او خط في اللوح المحفوظ انها لكم (ولا ترتدوا على ادباركم) ولا تنكصوا على اعقابكم مدبرين من خوف الجبابرة جبنا وهلعا وقيل لما حدثهم النقباء بحال الجبابرة رفعوا اصواتهم بالبكاء وقالوا ليتنا متنا بمصر وقالوا تعالوا نجعل علينا راسا ينصرف بنا الى مصر ويجوز ان يراد لا ترتدوا على ادباركم في دينكم بمخالفتكم امر ربكم وعصيانكم نبيكم * فترجعوا خاسرين ثواب الدنيا والآخرة * الجبار فعال من جبره على الامر بمعنى اجبره عليه وهو العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد (قال رجلان) هما كالب ويوشع (من الذين يخافون) من الذين يخافون الله ويخشونه كانه قيل رجلان من المتقين ويجوز ان تكون الواو لبني اسرائيل والراجع الى الموصول محذوف تقديره من الذين يخافهم بنو اسرائيل وهم الجبارون وهما رجلان منهم (انعم الله عليهما) بالايمان فآمنا قالا لهم ان العمالقة اجسام لا قلوب فيها فلا تخافوهم وازحفوا اليهم فانكم غالبوهم يشجعانهم على قتالهم وقراءة من قرأ يخافون بالضم شاهدة له وكذلك انعم الله عليهما كانه قيل من المخوفين وقيل هو من الاخافة ومعناه من الذين يخوفون من الله بالتذكرة والموعظة او يخوفهم وعيد الله بالعقاب (فان قلت) ما محل انعم الله عليهما (قلت) ان انتظم مع قوله من الذين يخافون في حكم الوصف لرجلان فمرفوع وان جعل كلاما معترضا فلا محل له * (فان قلت) من اين علما انهم غالبون (قلت) من جهة اخبار موسى بذلك وقوله تعالى كتب الله لكم وقيل من جهة غلبة الظن وما تبيناه من عادة الله في نصرة رسله وما عهدا من صنع الله لموسى في قهر اعدائه وما عرفا من حال الجبابرة والباب باب قريتهم (لن ندخلها) نفي لدخولهم في المستقبل على وجه التاكيد المؤيس و (ابدا) تعليق للنفي المؤكد بالدهر المتطاول و (ما داموا فيها) بيان للابد (فاذهب انت وربك) يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن كما تقول كلمته فذهب يجيبني تريد معنى الارادة والقصد للجواب كانهم قالوا اريدا قتالهم والظاهر انهم قالوا ذلك استهانة بالله ورسوله وقلة مبالاة بهما واستهزاء وقصدوا ذهابهما حقيقة بجهلهم وجفاهم وقسوة قلوبهم التي عبدوا بها العجل وسألوا بها رؤية الله عز وجل جهرة والدليل عليه مقابلة ذهابهما بقعودهم ويحكى ان موسى وهرون عليهما السلام خرا لوجوههما قدامهم لشدة ما ورد عليهما فهموا برجمهما ولامر ما قرن الله اليهود بالمشركين وقدمهم عليهم في قوله لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين اشركوا ما عصوه وتمردوا عليه وخالفوه وقالوا ما قالوا من كلمة الكفر ولم يبق معه مطيع موافق يثق به الا هرون (قال رب اني لا املك) لنصرة دينك (الا نفسي واخي) وهذا من

مالم يؤت احدا من العالمين ياقوم ادخلوا الارض المقدسة التي كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فتنقلبوا خاسرين قالوا ياموسى ان فيها قوما جبارين وانا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فان يخرجوا منها فانا داخلون قال رجلان من الذين يخافون انعم الله عليهما ادخلوا عليهم الباب فاذا دخلتموه فانكم غالبون وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين قالوا ياموسى انا لن ندخلها ابدا ما داموا فيها فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون قال رب اني لا املك الا نفسي واخي

(قال يحتمل ان لا يقصدوا حقيقة الذهاب ولكن الخ) قال احمد رحمه الله يريد الزمخشري سألوا رؤية الله جهرة وهي محال عقلا تعنتا منهم وقدم له ذلك وبينا ان تلبيسهم بذلك كان لعدم فهم الايمان له على التعيين البت اقتراحا وتقاعسا عن الحق في قوله لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة * عاد كلامه (قال قال رب اني لا املك الا نفسي لنصرة دينك الخ) قال احمد وفي قول موسى عليه السلام ليلة الاسراء لنبينا عليه الصلاة والسلام اني جربت بني اسرائيل وخبرتهم فارجع الى ربك فاسأله التخفيف فان امتك لا تطيق ذلك وتكريره هذا القول مرارا مصداق لما ذكره الزمخشري واما ان كان المراد بالرجلين غير يوشع وكالب وكانا من العماليق الذين خافهم بنو اسرائيل ويكون معنى يخافون اي يخافهم بنو اسرائيل فالضمير على هذا يرجع الى بني اسرائيل والعائد محذوف

البث والحزن والشكوى الى الله والحسرة ورقة القلب التي بمثلها تستجلب الرحمة وتستنزل النصرة ونحوه قول يعقوب عليه السلام انما اشكو بثي وحزني الى الله وعن علي رضي الله عنه انه كان يدعو الناس على منبر الكوفة الى قتال البغاة فما اجابه الا رجلان فتنفس الصعداء ودعا لهما وقال اين تقعان مما اريد وذكر في اعراب اخي وجوه ان يكون منصوبا عطفا على نفسي او على الضمير في اني بمعنى ولا أملك الا نفسي وان أخي لا يملك الا نفسه ومرفوعا عطفا على محل ان واسمها كانه قيل أنا لا املك الا نفسي وهرون كذلك لا يملك الا نفسه او على الضمير في لا املك وجاز للفصل ومجرورا عطفا على الضمير في نفسي وهو ضعيف لقبح العطف على ضمير المجرور الا بتكرير الجار (فان قلت) أما كان معه الرجلان المذكوران (قلت) كانه لم يثق بهما كل الوثوق ولم يطمئن الى ثباتهما لما ذاق على طول الزمان واتصال الصحبة من احوال قومه وتلونهم وقسوة قلوبهم فلم يذكر الا النبي المعصوم الذي لا شبهة في امره ويجوز ان يقول ذلك لفرط ضجره عند ما سمع منهم تقليلا لمن يوافقه ويجوز ان يريد ومن يؤاخيني على ديني (فافرق) فافصل (بيننا) وبينهم بان تحكم لنا بما نستحق وتحكم عليهم بما يستحقون وهو في معنى الدعاء عليهم ولذلك وصل به قوله فانها محرمة عليهم على وجه التسبيب او فباعد بيننا وبينهم وخلصنا من صحبتهم كقوله ونجني من القوم الظالمين (فانها) فان الارض المقدسة (محرمة عليهم) لا يدخلونها ولا يملكونها (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله التي كتب الله لكم (قلت) فيه وجهان احدهما ان يراد كتبها لكم بشرط ان تجاهدوا اهلها فلما ابوا الجهاد قيل فانها محرمة عليهم والثاني ان يراد فانها محرمة عليهم اربعين سنة فاذا مضت الاربعون كان ما كتب فقد روي ان موسى سار بمن بقي من بني اسرائيل وكان يوشع على مقدمته ففتح اريحاء واقام فيها ما شاء الله ثم قبض صلوات الله عليه وقيل لما مات موسى بعث يوشع نبيا فاخبرهم بانه نبي الله وان الله امره بقتال الجبابرة فصدقوه وبايعوه وسار بهم الى اريحاء وقتل الجبارين وأخرجهم وصار الشام كله لبني اسرائيل وقيل لم يدخل الارض المقدسة احد ممن قال انا لن ندخلها وهلكوا في التيه ونشأت نواشئ من ذرياتهم فقاتلوا الجبارين ودخلوها * والعامل في الظرف اما محرمة واما يتيهون ومعنى (يتيهون في الارض) يسيرون فيها متحيرين لا يهتدون طريقا والتيه المفازة التي يتاه فيها روي أنهم لبثوا أربعين سنة في ستة فراسخ يسيرون كل يوم جادين حتى اذا سئموا وامسوا اذاهم بحيث ارتحلوا عنه وكان الغمام يظلهم من حر الشمس ويطلع لهم عمود من نور بالليل يضيء لهم وينزل عليهم المن والسلوى ولا تطول شعورهم واذا ولد لهم مولود كان عليه ثوب كالظفر يطول بطوله (فان قلت) فلم كان ينعم عليهم بتظليل الغمام وغيره وهم معاقبون (قلت) كما ينزل بعض النوازل على العصاة عركا لهم وعليهم مع ذلك النعمة متظاهرة ومثل ذلك مثل الوالد المشفق يضرب ولده ويؤذيه ليتادب ويتثقف ولا يقطع عنه معروفه واحسانه (فان قلت) هل كان معهم في التيه موسى وهرون عليهما السلام (قلت) اختلف في ذلك فقيل لم يكونا معهم لانه كان عقابا وقد طلب موسى الى ربه ان يفرق بينهما وبينهم وقيل كانا معهم الا انه كان ذلك روحا لهما وسلامة لا عقوبة كالنار لابراهيم وملائكة العذاب وروي ان هرون مات في التيه ومات موسى بعده فيه بسنة ودخل يوشع اريحاء بعد موته بثلاثة اشهر ومات النقباء في التيه بغتة الا كالب ويوشع (فلا تأس) فلا تحزن عليهم لانه ندم على الدعاء عليهم فقيل انهم احقاء لفسقهم بالعذاب فلا تحزن ولا تندم * هما ابنا آدم لصلبه قابيل وهابيل اوحي الله الى آدم ان يزوج كل واحد منهما توأمة الآخر وكانت توأمة قابيل أجمل واسمها اقليما فحسد عليها أخاه وسخط فقال لهما آدم قربا قربانا فمن ايكما تقبل زوجها فقبل قربان هابيل بان نزلت نار فاكلته فازداد قابيل حسدا وسخطا وتوعده بالقتل وقيل هما رجلان من بني اسرائيل (بالحق) تلاوة ملتبسة بالحق والصحة او اتله نبأ ملتبسا بالصدق موافقا لما في كتب الاولين او بالغرض الصحيح وهو تقبيح الحسد لان المشركين وأهل الكتاب كلهم كانوا يحسدون رسول الله ﷺ ويبغون عليه او اتل عليهم وأنت محق صادق و(اذ قربا) نصب بالنبأ اى قصتهم وحديثهم في ذلك الوقت ويجوز ان يكون بدلا من النبأ اى اتل عليهم النبأ نبأ ذلك الوقت على تقدير حذف المضاف والقربان

فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين قال فانها محرمة عليهم اربعين سنة يتيهون في الارض فلا تأس على القوم الفاسقين واتل عليهم نبأ ابني آدم بالحق اذ قربا قربانا فتقبل من احدهما ولم يتقبل من الآخر قال لاقتلنك

وهو المفعول فعلى هذا لا شك ان هذين الرجلين ليسا من بني اسرائيل المكتوب عليهم قتال العمالقة وانما عنى موسى عليه السلام اني لا أملك من بني اسرائيل المفروض عليهم القتال أمر أحد الا نفسي واخي والله أعلم

*قوله تعالى انى اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين (قال ان قلت كيف جاز ان يريد شقاوة اخيه وتعذيبه الخ) قال احمد وهذا من دسه للمعتقد الفاسد في بيان كلامه وانفاسد من هذا اعتقاده ان في الكائنات ماليس مراد الله تعالى وتلك القبائح بجملتها فانها على زعمه واقعة على خلاف المشيئة الربانية وهذا هو اشراك الخفي فاياك ان تحوم حول شركه والعياذ بالله فامااراد ته لاثم اخيه وعقوبته فمعناه اني لا اريد ان اقتلك فاعاقب ولما لم يكن بد من ارادة احد الامرين اما الاثمة بتقدير ان يدفع عن نفسه فيقتل أخاه واما اثم اخيه بتقدير ان يستسلم وكان غير مريد للاول اضطر الى الثاني فلم يرد اذا اثم اخيه لعينه وانما اراد ان الاثم هو بالمدافعة المؤدية الى القتل ولم يكن حينئذ مشروعية ٢٥٢ فلزم من ذلك ارادة اثم اخيه وهذا كما يتمنى الانسان الشهادة ومعناها ان يبوء الكافر بقتله وبما عليه في ذلك من الاثم ولكن لم يقصد هو اثم الكافر لعينه وانما اراد ان يبذل نفسه في سبيل الله رجاء اثم الكافر بقتله ضمنا وتبعا والذى يدل على ذلك انه لافرق في حصول درجة الشهادة وفضيلتها بين ان يموت القاتل على الكفر وبين ان يختم له بالايمان فيحبط عنه اثم القتل الذي به كان الشهيد شهيدا أعني تبوء الاثم على قاتله او حبط عنه اذ ذلك لا ينقص من فضيلة شهادته ولا يزيدها ولو كان اثم الكافر بالقتل مقصودا لاختلف التمني باعتبار بقائه واحباطه فدل على انه امر لازم تبع لا مقصود والله اعلم *عاد كلامه (فان قلت لم جاء الشرط بصيغة الفعل والجزاء باسم الفاعل الخ) قال احمد وانما امتاز اسم الفاعل عن الفعل بهذه الخصوصية من حيث ان صيغة الفعل لا تعطى سوى حدوث معناه عن الفاعل لا غير واما اتصاف الذات به فذاك امر يعطيه اسم الفاعل ومن ثم يقولون قام زيد فهو قائم فيجعلون اتصافه بالقيام ناشئا عن صدوره منه ولهذا المعنى قوله تعالى لتكونن من المرجومين عدولا عن الفعل الذى هو لانرجمنك الى الاسم تغليظا يعنون انهم يجعلون هذه لثبوتها ووقوعها به كالسمة والعلامة الثابتة ولا يقتصرون على مجرد ايقاعها به

قال انما يتقبل الله من المتقين لئن بسطت الى يدك لتقتلني ما انا بباسط يدي اليك لاقتلك اني اخاف الله رب العالمين اني اريد ان تبوء باثمي واثمك فتكون من اصحاب النار وذلك جزاء الظالمين فطوعت له نفسه قتل اخيه فقتله فاصبح من الخاسرين

اسم ما يتقرب به الى الله من نسيكة او صدقة كما ان الحلوان اسم ما يحلى اى يعطي يقال قرب صدقة وتقرب بها لان تقرب مطاوع قرب قال الاصمعي تقربوا قرف القمع فيعدى بالباء حتى يكون بمعنى قرب* (فان قلت) كيف كان قوله (انما يتقبل الله من المتقين) جوابا لقوله لاقتلنك (قلت) لما كان الحسد لاخيه على تقبل قربانه هو الذى حمله على توعده بالقتل قال له انما أتيت من قبل نفسك لانسلاخها من لباس التقوى لا من قبلي فلم تقتلني ومالك لا تعاتب نفسك ولا تحملها على تقوى الله التى هي السبب في القبول فأجابه بكلام حكيم مختصر جامع لمعان وفيه دليل على ان الله تعالى لا يقبل طاعة الا من مؤمن متق فما أنعاه على اكثر العاملين أعمالهم وعن عامر بن عبد الله انه بكى حين حضرته الوفاة فقيل له ما يبكيك فقد كنت وكنت قال اني اسمع الله يقول انما يتقبل الله من المتقين (ما انا بباسط يدى اليك لاقتلك) قيل كان أقوى من القاتل وأبطش منه ولكنه تحرج عن قتل أخيه واستسلم له خوفا من الله لان الدفع لم يكن مباحا في ذلك الوقت قاله مجاهد وغيره (انى اريد ان تبوء باثمى واثمك) ان تحتمل اثم قتلي لك لو قتلتك واثم قتلك لى (فان قلت) كيف يحمل اثم قتله ولا تزر وازرة وزر أخرى (قلت) المراد بمثل اثمي على الاتساع في الكلام كما تقول قرأت قراءة فلان وكتبت كتابته تريد المثل وهو اتساع فاش مستفيض لا يكاد يستعمل غيره ونحوه قوله عليه الصلاة والسلام المستبان ماقالا فعلى البادى مالم يعتد المظلوم على ان البادى عليه اثم سبه ومثل اثم سب صاحبه لانه كان سببا فيه الا ان الاثم محطوط عن صاحبه معفو عنه لانه مكافئ مدافع عن عرضه الا ترى الى قوله مالم يعتد المظلوم لانه اذا خرج من حد المكافأة واعتدى لم يسلم (فان قلت) فحين كف هابيل قتل أخيه واستسلم وتحرج عما كان محظورا في شريعته من الدفع فاين الاثم حتى يتحمل أخوه مثله فيجتمع عليه الاثمان (قلت) هو مقدر فهو يتحمل مثل الاثم المقدر كانه قال انى أريد ان تبوء بمثل اثمي لو بسطت يدى اليك وقيل باثمي باثم قتلي واثمك الذى من اجله لم يتقبل قربانك (فان قلت) فكيف جاز أن يريد شقاوة اخيه وتعذيبه بالنار (قلت) كان ظالما وجزاء الظالم حسن جائز أن يراد الا ترى الى قوله تعالى (وذلك جزاء الظالمين) واذا جاز أن يريده الله جاز أن يريده العبد لانه لا يريد الا ما هو حسن والمراد بالاثم وبال القتل وما يجره من استحقاق العقاب (فان قلت) لم جاء الشرط بلفظ الفعل والجزاء بلفظ اسم الفاعل وهو قوله لئن بسطت ما انا بباسط (قلت) ليفيد انه لا يفعل ما يكتسب به هذا الوصف الشنيع ولذلك اكده بالباء المؤكدة للنفي (فطوعت له نفسه قتل اخيه) فوسعته له ويسرته من طاع له المرتع اذا اتسع وقرأ الحسن فطاوعت وفيه وجهان ان يكون مما جاء من فاعل بمعنى فعل وان يراد ان قتل اخيه كانه دعا نفسه الى الاقدام عليه فطاوعته ولم تمتنع وله لزيادة الربط كقولك حفظت لزيد ماله وقيل قتل وهو ابن عشرين سنة وكان قتله عند عقبة حراء وقيل بالبصرة في موضع المسجد الاعظم (فبعث

(فبعث الله غرابا) روى انه اول قتيل قتل على وجه الارض من بنى آدم ولما قتله تركه بالعراء لا يدرى ما يصنع به فخاف عليه السباع فحمله فى جراب على ظهره سنة حتى اروح وعكفت عليه السباع فبعث الله غرابين فاقتتلا فقتل احدهما الآخر فحفر له بمنقاره ورجليه ثم القاه فى الحفرة (قال يا ويلتا أعجزت ان أكون مثل هذا الغراب) وبروى انه لما قتله اسود جسده وكان ابيض فسأله آدم عن اخيه فقال ما كنت عليه وكيلا فقال بل قتلته ولذلك اسود جسدك وروى ان آدم مكث بعد قتله مائة سنة لا يضحك وانه رثاه بشعر وهو كذب بحت وما الشعر الا منحول ملحون وقد صح ان الانبياء عليهم السلام معصومون من الشعر (ليريه) ليريه الله او ليريه الغراب اي ليعلمه لانه لما كان سبب تعليمه فكانه قصد تعليمه على سبيل المجاز (سوأة اخيه) عورة اخيه وما لا يجوز ان ينكشف من جسده والسوأة الفضيحة لقبحها قال * يا لقوم للسوأة السوآء * اى للفضيحة العظيمة فكنى بها عنها (فأوارى) بالنصب على جواب الاستفهام وقرئ بالسكون على فانا أوارى او على التسكين فى موضع النصب للتخفيف (من النادمين) على قتله لما تعب فيه من حمله وتحيره فى امره وتبين له من عجزه وتلمذه للغراب واسوداد لونه وسخط ابيه ولم يندم ندم التائبين (من أجل ذلك) بسبب ذلك وبعلته وقيل اصله من اجل شرا اذا جناه يأجله اجلا ومنه قوله

واهل خباء صالح ذات بينهم * قد احتربوا فى عاجل انا آجله

كانك اذا قلت من اجلك فعلت كذا أردت من ان جنيت فعلته وأوجبته ويدل عليه قولهم من جراك فعلته اى من ان جررته بمعنى جنيته وذلك اشارة الى القتل المذكور اى من ان جنى ذلك القتل الكتب وجره (كتبنا على بنى اسرائيل) ومن لابتداء الغاية اى ابتدأ والكتب نشأ من اجل ذلك ويقال فعلت كذا لاجل كذا وقد يقال اجل كذا بحذف الجار وايصال الفعل قال * اجل ان الله قد فضلكم * وقرئ من اجل ذلك بحذف الهمزة وفتح النون لالقاء حركتها عليها وقرأ ابو جعفر من اجل ذلك بكسر الهمزة وهى لغة فاذا خفف كسر النون ملقيا الكسرة الهمزة عليها (بغير نفس) بغير قتل نفس لا على وجه الاقتصاص (او فساد) عطف على نفس بمعنى او بغير فساد (فى الارض) وهو الشرك وقيل قطع الطريق (ومن احياها) ومن استنقذها من بعض اسباب الهلكة قتل اوغرق اوحرق اوهدم اوغير ذلك (فان قلت) كيف شبه الواحد بالجميع وجعل حكمه كحكمهم (قلت) لان كل انسان يدلى بما يدلى به الآخر من الكرامة على الله وثبوت الحرمة فاذا قتل فقد أهين ما كرم على الله وهتكت حرمته وعلى العكس فلا فرق اذا بين الواحد والجميع فى ذلك (فان قلت) فما الفائدة فى ذكر ذلك (قلت) تعظيم قتل النفس واحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها لان المتعرض لقتل النفس اذا تصور قتلها بصورة قتل الناس جميعا عظم ذلك عليه فثبطه وكذلك الذى اراد احياءها وعن مجاهد قاتل النفس جزاؤه جهنم وغضب الله والعذاب العظيم ولو قتل الناس جميعا لم يزد على ذلك وعن الحسن يا ابن آدم أرأيت لو قتلت الناس جميعا أكنت تطمع ان يكون لك عمل يوازى ذلك فيغفر لك كلا انه شىء سولته لك نفسك والشيطان فكذلك اذا قتلت واحدا (بعد ذلك) بعد ما كتبنا عليهم وبعد مجىء الرسل بالآيات (لمسرفون) يعنى فى القتل لا يبالون بعظمته (يحاربون الله ورسوله) يحاربون رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحاربة المسلمين فى حكم محاربته (ويسعون فى الارض فسادا) مفسدين اولان سعيهم فى الارض لما كان على طريق الفساد نزل منزلة ويفسدون فى الارض فانتصب فسادا على المعنى ويجوز ان يكون مفعولا له اى للفساد نزلت فى قوم هلال بن عويمر وكان بينه وبين رسول الله ﷺ عهد وقد مر بهم قوم يريدون رسول الله فقطعوا عليهم وقيل فى العرنيين فاوحى اليه ان من جمع بين القتل واخذ المال قتل وصلب ومن افرد القتل قتل ومن افرد اخذ المال قطعت يده لاخذ المال ورجله لاخافة السبيل ومن افرد الاخافة نفى من الارض وقيل هذا حكم كل قاطع طريق كافرا كان او مسلما * ومعناه (ان يقتلوا) من غير صلب ان افردوا القتل (او يصلبوا) مع القتل ان جمعوا بين القتل والاخذ قال ابو حنيفة ومحمد رحمهما الله يصلب حيا ويطعن حتى يموت (او تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف) ان اخذوا المال (او ينفوا

فبعث الله غرابا يبحث فى الارض ليريه كيف يوارى سوأة اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان أكون مثل هذا الغراب فاوارى سوأة اخى فاصبح من النادمين من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل انه من قتل نفسا بغير نفس اوفساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعا ومن احياها فكانما احيا الناس جميعا ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ثم ان كثيرا منهم بعد ذلك فى الارض لمسرفون انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الارض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا أو تقطع ايديهم وارجلهم من خلاف او ينفوا

*قوله تعالى ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم (قال وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا اعمى البصر اعمي القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار الخ) قال احمد فى هذا الفصل من كلامه وتمشدقه بالسفاهة على اهل السنة ورميهم بما لا يقولون به من الاخبار بالكذب والتخليق والافتراء ما يحمى الكبد المملوء بحب السنة واهلها على الانتصاب للانتصاف منه ولسنا بصدد تصحيح هذه الحكاية ولا وقف الله صحة العقيدة على صحتها *قوله تعالى والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما الآية (قال رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كأنه الخ) قال احمد المستقرأ من وجوه القرآت ان العامة لا تتفق فيها ابدا على العدول عن الافصح وجدير بالقرآن ان يجرى على افصح الوجوه وان لا يخلو من الافصح وما يشتمل عليه كلام العرب الذي لم يصل احد منهم الى ذروة فصاحته ولم يتعلق باهدابها وسيبويه يحاشى من اعتقاد عراء القرآن عن الافصح واشتماله على الشاذ الذي لا يعد من القرآن ونحن نورد الفصل من كلام سيبويه على هذه الآية ليتضح لسامعه براءة سيبويه من عهدة هذا النقل قال سيبويه فى ترجمة باب الامر والنهي بعد ان ذكر المواضع التى يختار فيها النصب وملخصها انه متى بنى الاسم على فعل الامر فذاك موضع اختيار النصب ثم قال كالموضح لامتياز هذه الآية عما اختار فيها النصب واما قوله عز وجل والسارق والسارقة فاقطعوا الآية وقوله الزانية والزاني فاجلدوا فان هذا لم يبن على الفعل ولكنه جاء على مثال قوله مثل الجنة التى وعد المتقون ثم قال بعد فيها انهار فيها كذا بر يد سيبويه تمييز هذه الآى عن المواضع التي بين اختيار النصب فيها ووجه التمييز بان الكلام حيث يختار النصب يكون الاسم فيه مبنيا على الفعل واما فى هذه الآى فليس بمبنى عليه فلا يلزم فيه اختيار النصب

من الارض ذلك لهم خزى فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم الا الذين تابوا من قبل ان تقدروا عليهم فاعلموا ان الله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة وجاهدوا فى سبيله لعلكم تفلحون ان الذين كفروا لو ان لهم ما فى الارض جميعا ومثله معه ليفتدوا به من عذاب يوم القيامة ما تقبل منهم ولهم عذاب اليم يريدون ان يخرجوا من النار وما هم بخارجين منها ولهم عذاب مقيم والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما

من الارض) اذا لم يزيدوا على الاخافة وعن جماعة منهم الحسن والنخعي ان الامام مخير بين هذه العقوبات فى كل قاطع طريق من غير تفصيل والنفى الحبس عند ابي حنيفة وعند الشافعي النفى من بلد الى بلد لا يزال يطلب وهو هارب فزعا وقيل ينفى من بلده وكانوا ينفونهم الى دهلك وهو بلد فى اقصى تهامة وناصع وهو بلد من بلاد الحبشة (خزى) ذل وفضيحة (الا الذين تابوا) استثناء من المعاقبين عقاب قطع الطريق خاصة واما حكم القتل والجراح واخذ المال فالى الاولياء ان شاؤا عفوا وان شاؤا استوفوا وعن على رضى الله عنه ان الحرث ابن بدر جاءه تائبا بعدما كان يقطع الطريق فقبل توبته ودرأ عنه العقوبة * الوسيلة كل ما يتوسل به اى يتقرب من قرابة او صنيعة او غير ذلك فاستعيرت لما يتوسل به الى الله تعالى من فعل الطاعات وترك المعاصي وانشد للبيد

اري الناس لا يدرون ما قدر أمرهم * ألا كل ذى لب الى الله واسل

(ليفتدوا به) ليجعلوه فدية لانفسهم وهذا تمثيل للزوم العذاب لهم وانه لا سبيل لهم الى النجاة منه بوجه وعن النبي صلى الله عليه وسلم يقال للكافر يوم القيامة ارأيت لو كان لك ملء الارض ذهبا اكنت تفتدى به فيقول نعم فيقال له قد سئلت ايسر من ذلك ولو مع ما فى حيزه خبر ان (فان قلت) لم وحد الراجع فى قوله ليفتدوا به وقد ذكر شيآن (قلت) هو نحو قوله * فاني وقيار بها لغريب * او على اجراء الضمير مجرى اسم الاشارة كانه قيل ليفتدوا بذلك ويجوز ان يكون الواو فى ومثله بمعنى مع فيتوحد المرجوع اليه (فان قلت) فبم ينتصب المفعول معه (قلت) بما يستدعيه لو من الفعل لان التقدير لو ثبت ان لهم ما فى الارض * قرأ ابو واقد ان يخرجوا بضم الياء من اخرج ويشهد لقراءة العامة قوله بخارجين وما يروى عن عكرمة ان نافع بن الازرق قال لابن عباس يا أعمي البصر اعمي القلب تزعم ان قوما يخرجون من النار وقد قال الله تعالى وما هم بخارجين منها فقال ويحك اقرأ ما فوقها هذا للكفار فما لفقته المجبرة وليس باول تكاذيبهم وفراهم وكفاك بما فيه من مواجهة ابن الازرق ابن عم رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو بين اظهر اعضاده من قريش وانضاده من بنى عبد المطلب وهو حبر الامة وبحرها ومفسرها بالخطاب الذى لا يجسر على مثله احد من اهل الدنيا وبرفعه الى عكرمة دليلين ناصين ان الحديث فرية ما فيها مرية (والسارق والسارقة) رفعهما على الابتداء والخبر محذوف عند سيبويه كانه قيل وفيما فرض عليكم السارق والسارقة اى حكمهما ووجه آخر وهو ان يرتفعا بالابتداء والخبر (فاقطعوا ايديهما) ودخول الفاء لتضمنهما معنى الشرط لان المعنى والذى سرق والتى سرقت فاقطعوا ايديهما والاسم الموصول يضمن معنى الشرط وقرأ عيسى بن عمر بالنصب وفضلها سيبويه على قراءة العامة لاجل الامر لان زيدا فاضربه احسن من زيد فاضربه ايديهما يديهما ونحوه فقد صغت قلوبكما اكتفي بتثنية المضاف اليه عن تثنية المضاف واريد باليدين اليمينان بدليل قراءة عبد الله والسارقون

عاد كلامه قال وانما وضع المثل للحديث الذي ذكر بعده فذكر اخبارا وقصصا فكانه قال ومن القصص مثل الجنة فهو محمول على هذا الاضمار والله اعلم وكذلك الزانية والزاني لما قال جل ثناؤه سورة أنزلناها وفرضناها قال في جملة الفرائض الزانية والزاني ثم جاء فاجلدوا بعد ان مضى فيهما الرفع يريد سيبويه انه لم يكن الاسم مبنيا على الفعل المذكور بعده بل بني على محذوف متقدم وجاء الفعل طارئا عاد كلامه قال كما جاء وقائلة خولان فانكح فتاتهم * نجاء بالفعل بعد ان عمل فيه المضمر وكذلك والسارق والسارقة وفيما فرض عليكم السارق والسارقة فانما دخلت هذه الاسماء بعد قصص واحاديث وقد قرأ ناس السارق والسارقة بالنصب وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة ولكن ابت العامة الا الرفع يريد سيبويه ان قراءة النصب جاء الاسم فيها مبنيا على الفعل غير معتمد على متقدم فكان النصب قويا بالنسبة الى الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل لا على متقدم وليس يعني انه قوي بالنسبة الى الرفع حيث يعتمد الاسم على المحذوف المتقدم فانه قد بين ان ذلك يخرجه من الباب الذي يختار فيه النصب فكيف يفهم عنه ترجيحه عليه والباب مع القراءتين مختلف وانما يقع الترجيح بعد التساوي في الباب فالنصب ارجح من الرفع حيث يبنى الاسم على الفعل والرفع متعين لا اقول أرجح حيث بني الاسم على كلام متقدم ثم حقق سيبويه هذا المقدر بان الكلام واقع بعد قصص وأخبار ولو كان كما ظنه الزمخشري لم يحتج سيبويه الى تقدير بل كان يرفعه على الابتداء ويجعل الامر خبره كما اعربه الزمخشري فالملخص على هذا أن النصب على وجه واحد وهو بناء الاسم على فعل الامر والرفع على وجهين احدهما ضعيف وهو الابتداء وبناء الكلام على الفعل والآخر قوي بالغ كوجه النصب وهو رفعه على خبر ابتداء محذوف دل عليه السياق وحينئذ تعارض للوجهان في الرفع واحدهما قوي والآخر ضعيف تعين حمل القراءة على القوي كما أعربه سيبويه رضي الله عنه والله تعالى اعلم * قوله تعالى الم تعلم ان الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير (قال فان قلت لم قدم التعذيب على المغفرة الخ) قال احمد هو مبني على ان المراد بالمغفور لهم التائبون وبالمعذبين السراق ولا يجعل المغفرة تابعة للمشيئة الا بقيد التوبة لان غير التائب على زعمه لا يجوز ان يشاء الله المغفرة له فلذلك ينزل الاطلاق على المتقدم ذكره ونحن نعتقد ان المغفرة في حق غير التائب من الموحدين تتبع المشيئة حتى ان من جملة ما يدخل في عموم قوله ويغفر لمن يشاء السارق الذي لم يتب وعلى هذا يكون تقديم التعذيب لان السياق للوعيد فناسب ذلك تقديم ما يليق به من الزواجر والله أعلم

جزاء بما كسبا نكالا من الله والله عزيز حكيم فمن تاب من بعد ظلمه واصلح فان الله يتوب عليه ان الله غفور رحيم ألم تعلم أن الله له ملك السموات والارض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء والله على كل شيء قدير يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بافواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك

والسارقون والسارقات فاقطعوا ايمانهم والسارق في الشريعة من سرق من الحرز والمقطع الرسغ وعند الخوارج المنكب والمقدار الذي يجب به القطع عشرة دراهم عند ابي حنيفة وعند مالك والشافعي رحمهما الله ربع دينار وعن الحسن درهم وفي مواعظه احذر من قطع يدك في درهم (جزاء) و (نكالا) مفعول لهما (فمن تاب) من السراق (من بعد ظلمه) من بعد سرقته (واصلح) امره بالتفصي عن التبعات (فان الله يتوب عليه) ويسقط عنه عقاب الآخرة واما القطع فلا تسقطه التوبة عند ابي حنيفة واصحابه وعند الشافعي في احد قوليه تسقطه (من يشاء) من يجب في الحكمة تعذيبه والمغفرة له من المصرين والتائبين وقيل يسقط حد الحربي اذا سرق بالتوبة ليكون ادعى له الى الاسلام وابعد من التنفير عنه ولا يسقطه عن المسلم لان في اقامته الصلاح للمؤمنين والحياة ولكم في القصاص حياة (فان قلت) لم قدم التعذيب على المغفرة (قلت) لانه قوبل بذلك تقدم السرقة على التوبة * قرئ ولا يحزنك بضم الياء ويسرعون والمعنى لا تهتم ولا تبال بمسارعة المنافقين (في الكفر) أي في اظهاره بما يلوح منهم من آثار الكيد للاسلام ومن موالاة المشركين فاني ناصرك عليهم وكافيك شرهم يقال اسرع فيه الشيب واسرع فيه الفساد بمعنى وقع فيه سريعا فكذلك مسارعتهم في الكفر وقوعهم وتهافتهم فيه اسرع شيء اذا وجدوا فرصة لم يخطؤها و (آمنا) مفعول قالوا و (بافواههم) متعلق بقالوا لا بآمنا (ومن الذين هادوا) منقطع مما قبله خبر لسماعون اي ومن اليهود قوم سماعون ويجوز ان يعطف على من الذين قالوا ويرتفع سماعون على هم سماعون والضمير للفريقين او للذين هادوا ومعنى (سماعون للكذب) قابلون لما يفتريه الاحبار ويفتعلونه من الكذب على الله وتحريف كتابه من قولك الملك يسمع كلام فلان ومنه سمع الله لمن حمده (سماعون لقوم آخرين لم يأتوك) يعني اليهود الذين لم يصلوا الى مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم وتجافوا عنه لما افرط فيهم من شدة البغضاء وتبالغ من العداوة اي قابلون من الاحبار ومن اولئك المفرطين في العداوة الذين لا يقدرون ان ينظروا اليك وقيل سماعون الى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاجل ان يكذبوا عليه بان يمسخوا ما سمعوا منه بالزيادة والنقصان والتبديل والتغيير سماعون من رسول الله لاجل قوم آخرين من اليهود وجهوهم عيونا ليبلغوهم ما سمعوا منه وقيل

*قوله تعالى ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيا اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم الآية (قال معناه ومن يرد الله فتنته ومن يرد تركه مفتونا الخ) قال احمد رحمه الله كم يتلجلج والحق ابلج هذه الآية كما تراها منطبقة على عقيدة السنة فى ان الله تعالى اراد الفتنة من المفتونين ولم يرد ان يطهر قلوبهم من دنس الفتنة ووضر الكفر لا كما تزعم المعتزلة من انه تعالى ما أراد الفتنة من احد وأراد من كل احد الايمان وطهارة القلب وان الواقع من الفتن على خلاف ارادته وان غير الواقع من طهارة قلوب الكفار

السماعون بنو قريظة والقوم الآخرون يهود خيبر (يحرفون الكلم) يميلونه و يزيلونه (عن مواضعه) التى وضعه الله تعالى فيها فيهملونه بغير مواضع بعد ان كان ذا مواضع (ان أوتيتم هذا) المحرف المزال عن مواضعه (فخذوه) واعلموا أنه الحق واعملوا به (وان لم تؤتوه) وافتاكم محمد بخلافه (فاحذروا) واياكم واياه فهو الباطل والضلال وروى ان شريفا من خيبر زنى بشريفة وهما محصنان وحدهما الرجم فى التوراة فكرهوا رجمهما لشرفهما فبعثوا رهطا منهم الى بنى قريظة ليسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك وقالوا ان امركم محمد بالجلد والتحميم فاقبلوا وان أمركم بالرجم فلا تقبلوا وارسلوا الزانيين معهم فامرهم بالرجم فابوا ان ياخذوا به فقال له جبريل اجعل بينك و بينهم ابن صوريا فقال هل تعرفون شابا امرد ابيض اعور يسكن فدك يقال له ابن صوريا قالوا نعم وهو اعلم يهودى على وجه الارض ورضوا به حكما فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدك الله الذى لا اله الا هو الذى فلق البحر لموسى ورفع فوقكم الطور وانجاكم واغرق آل فرعون والذى انزل عليكم كتابه وحلاله وحرامه هل تجدون فيه الرجم على من احصن قال نعم فوثب عليه سفلة اليهود فقال خفت أن كذبته ان ينزل علينا العذاب ثم سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن اشياء كان يعرفها من اعلامه فقال اشهد ان لا اله الا الله وانك رسول الله النبى الامى العربى الذى بشر به المرسلون وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالزانيين فرجما عند باب مسجده (ومن يرد الله فتنته) تركه مفتونا وخذلانه (فلن تملك له من الله شيا) فلن تستطيع له من لطف الله وتوفيقه شيا (اولئك الذين لم يرد الله) أن يمنحهم من الطافه ما يطهر به قلوبهم لانهم ليسوا من اهلها لعلمه انها لا تنفع فيهم ولا تنجع ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله كيف يهدى الله قوما كفروا بعد ايمانهم * السحت كل ما لا يحل كسبه وهو من سحته اذا استاصله لانه مسحوت البركة كما قال تعالى يمحق الله الربوا والربا باب منه وقرئ السحت بالتخفيف والتثقيل والسحت بفتح السين على لفظ المصدر من سحته والسحت بفتحتين والسحت بكسر السين وكانوا ياخذون الرشا على الاحكام وتحليل الحرام وعن الحسن كان الحاكم فى بنى اسرائيل اذا اتاه احدهم برشوة جعلها فى كمه فاراها اياه وتكلم بحاجته فيسمع منه ولا ينظر الى خصمه فياكل الرشوة ويسمع الكذب وحكي أن عاملا قدم من عمله فجاءه قومه فقدم اليهم العراضة وجعل يحدثهم بما جرى له فى عمله فقال اعرابى من القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب اكالون للسحت وعن النبى صلى الله عليه وسلم كل لحم انبته السحت فالنار اولى به * قيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مخيرا اذا تحاكم اليه اهل الكتاب بين ان يحكم بينهم و بين ان لا يحكم وعن عطاء والنخعى والشعبى انهم اذا ارتفعوا الى حكام المسلمين فان شاؤا حكموا وان شاؤا اعرضوا وقيل وهو منسوخ بقوله وان احكم بينهم بما انزل الله وعند أبى حنيفة رحمه الله ان احتكموا الينا حملوا على حكم الاسلام وان زنى منهم رجل بمسلمة أو سرق من مسلم شيا اقيم عليه الحد واما اهل الحجاز فانهم لا يرون اقامة الحدود عليهم يذهبون الى انهم قد صولحوا على شركهم وهو اعظم من الحدود و يقولون ان النبى صلى الله عليه وسلم رجم اليهوديين قبل نزول الجزية (فلن يضروك شيا) لانهم كانوا لا يتحاكمون اليه الا لطلب الايسر والاهون عليهم كالجلد مكان الرجم فاذا اعرض عنهم وابى الحكومة لهم شق عليهم وتكرهوا اعراضه عنهم وكانوا خلقاء بان يعادوه و يضاروه فامنه الله سربه (بالقسط) بالعدل والاحتياط كما حكم بالرجم (وكيف يحكمونك) تعجيب من تحكيمهم لمن لا يؤمنون به وبكتابه مع ان الحكم منصوص فى كتابهم الذى يدعون الايمان به (ثم يتولون من بعد ذلك) ثم يعرضون من بعد تحكيمك عن حكمك الموافق لما فى كتابهم لا يرضون به (وما أولئك بالمؤمنين) بكتابهم

يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان اوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيأ اولئك الذين لم يرد الله ان يطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الآخرة عذاب عظيم سماعون للكذب اكالون للسحت فان جاؤك فاحكم بينهم او اعرض عنهم وان تعرض عنهم فلن يضروك شيا وان حكمت فاحكم بينهم بالقسط ان الله يحب المقسطين وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله ثم يتولون من بعد ذلك وما اولئك بالمؤمنين انا انزلنا التوراة فيها

مراد ولكن لم يقع فحسبهم هذه الآية وامثالها لو اراد الله ان يطهر قلوبكم من وضر البدع افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها وما ابشع صرف الزمخشرى هذه الآية كما عن ظاهرها بقوله لم يرد الله ان يمنحهم الطافه لعلمه ان الطافه لا تنجع فيهم ولا تنفع تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا واذا لم تنجع الطاف الله تعالى ولم تنفع فلطف من ينفع وارادة من تنجع * وليس وراء الله للمرء مطمع *

*قوله تعالى انا انزلنا التوراة فيها هدى و نور يحكم بها النبيون الذين اسلموا للذين هادوا و الربانيون والاحبار الآية (قال قوله اسلموا صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح الخ) قال احمد وانما بعثه على حمل هذه الصفة على المدح دون التفصلة والتوضيح ان الانبياء لا يكونون الا متصفين بها فذكر النبوة يستلزم ذكرها فمن ثم حملها على المدح وفيه نظر فان المدح انما يكون غالبا بالصفات الخاصة التي يتميز بها الممدوح عن دونه والاسلام أمر عام يتناول أمم الانبياء ومتبعيهم كما يتناولهم ألا ترى انه لا يحسن في مدح النبي ان يقتصر على كونه رجلا مسلما فان اقل متبعيه كذلك فالوجه والله اعلم ان الصفة قد تذكر للعظم في نفسها ولينوه بها اذا وصف بها عظيم القدر كما يكون ثبوتها بقدر موصوفها فالحاصل انه كما يراد اعظام الموصوف بالصفة العظيمة قد يراد اعظام الصفة بعظم موصوفها وعلى هذا الاسلوب جرى وصف الانبياء بالصلاح في قوله تعالى وبشرناه باسحق نبيا من الصالحين وامثاله تنويها بمقدار الصلاح اذ جعل صفة الانبياء وبعثا لآحاد الناس على الدأب في تحصيل صفته وكذلك قيل في قوله تعالى الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا فاخبر عن الملائكة المقربين بالايمان تعظيما لقدر الايمان وبعثا للبشر على الدخول فيه ليساووا الملائكة المقربين في هذه الصفة والا فمن المعلوم ان الملائكة مؤمنون ليس الا ولهذا قال ويستغفرون للذين آمنوا يعني من البشر

لثبوت حق الاخوة في الايمان بين الطائفتين فكذلك والله اعلم جرى وصف الانبياء في هذه الآية بالاسلام تنويها به ولقد احسن القائل في اوصاف الاشراف والناظم في مدحه عليه الصلاة والسلام

فان مدحت محمدا بقصيدتي * فلقد مدحت قصيدتي بمحمد

والاسلام وان كان من اشرف الاوصاف اذ حاصله معرفة الله تعالى بما يجب له ويستحيل عليه ويجوز في حقه الا ان النبوة أشرف وأجل لاشتمالها على عموم الاسلام مع خواص المواهب التي لا تسعها العبارة فلو لم يذهب الى الفائدة المذكورة في ذكر الاسلام بعد النبوة في سياق المدح لخرجنا عن قانون البلاغة المألوف في الكتاب العزيز وفي كلام العرب الفصيح وهو الترقي من الادنى الى الاعلى لا النزول على العكس الا ترى أبا الطيب كيف تزحزح عن هذا المهيع في قوله

شمس ضحاها هلال ليلتها * در تقاصيرها زبرجدها

فنزل عن الشمس الى الهلال وعن الدر الى الزبرجد في سياق المدح فمضغت الالسن عرض بلاغته ومزقت اديم صيغته فعلينا ان نتدبر الآيات المعجزات حتى يتعلق فهمنا باهداب علوها في البلاغة المعهود لها والله الموفق للصواب

هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والاحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الكافرون وكتبنا عليهم فيها

كما يدعون أو وما أولئك بالكاملين في الايمان على سبيل التهكم بهم * (فان قلت) فيها حكم الله ما موضعه من الاعراب (قلت) اما ان ينتصب حالا من التوراة وهي مبتدأ خبره عندهم واما ان يرتفع خبرا عنها كقولك وعندهم التوراة ناطقة بحكم الله واما ان لا يكون له محل وتكون جملة مبينة لان عندهم ما يغنيهم عن التحكيم كما تقول عندك زيد ينصحك ويشير عليك بالصواب فما تصنع بغيره (فان قلت) لم أنثت التوراة (قلت) لكونها نظيرة لموماة ودوداة ونحوها في كلام العرب (فان قلت) علام عطف ثم يتولون (قلت) على يحكمونك (فيها هدى) يهدي للحق والعدل (ونور) يبين ما استبهم من الاحكام (الذين اسلموا) صفة أجريت على النبيين على سبيل المدح كالصفات الجارية على القديم سبحانه لا للتفصلة والتوضيح وأريد باجرائها التعريض باليهود وانهم بعداء من ملة الاسلام التي هي دين الانبياء كلهم في القديم والحديث وان اليهودية بمعزل منها وقوله الذين اسلموا (للذين هادوا) مناد على ذلك (والربانيون والاحبار) والزهاد والعلماء من ولد هرون الذين التزموا طريقة النبيين وجانبوا دين اليهود (بما استحفظوا من كتاب الله) بما سألهم انبياؤهم حفظه من التوراة اي بسبب سؤال انبيائهم اياهم ان يحفظوه من التغيير والتبديل ومن في من كتاب الله للتبيين (وكانوا عليه شهداء) رقباء لئلا يبدل والمعنى يحكم باحكام التوراة النبيون بين موسى وعيسى وكان بينهما ألف نبي وعيسى للذين هادوا يحملونهم على احكام التوراة لا يتركونهم ان يعدلوا عنها كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم من حملهم على حكم الرجم وارغام أنوفهم وابائه عليهم ما اشتهوه من الجلد وكذلك حكم الربانيون والاحبار المسلمون بسبب ما استحفظهم انبياؤهم من كتاب الله والقضاء باحكامه وبسبب كونهم عليه شهداء ويجوز ان يكون الضمير في استحفظوا للانبياء والربانيين والاحبار جميعا ويكون الاستحفاظ من الله اي كلفهم الله حفظه وان يكونوا عليه شهداء (فلا تخشوا الناس) نهي للحكام عن خشيتهم غير الله في حكوماتهم وادهانهم فيها وامضائها على خلاف ما أمروا به من العدل لخشية سلطان ظالم أو خيفة أذية أحد من القرباء والاصدقاء (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا ولا تستعيضوا (بآيات الله) وأحكامه (ثمنا قليلا) وهو الرشوة وابتغاء الجاه ورضا الناس كما حرف أحبار اليهود كتاب الله وغيروا احكامه رغبة في الدنيا وطلبا للرياسة فهلكوا (ومن لم يحكم بما انزل الله) مستهينا به (فاولئك هم الكافرون) والظالمون والفاسقون وصف لهم بالعتو في كفرهم حين ظلموا آيات الله بالاستهانة وتمردوا بان حكموا بغيرها وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان الكافرين والظالمين والفاسقين أهل

الكتاب وعنه نعم القوم أنتم ما كان من حلو فلكم وما كان من مر فهو لاهل الكتاب من جحد حكم الله كفر ومن لم يحكم به وهو مقر فهو ظالم فاسق وعن الشعبي هذه في أهل الاسلام والظالمون في اليهود والفاسقون في النصارى وعن ابن مسعود هو عام في اليهود وغيرهم وعن حذيفة انتم أشبه الامم سمتا ببني اسرائيل لتركبن طريقهم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة غير اني لا أدري اتعبدون العجل ام لا * في مصحف ابي وانزل الله على بني اسرائيل فيها وفيه وان الجروح قصاص والمعطوفات كلها قرئت منصوبة ومرفوعة والرفع للعطف على محل ان النفس لان المعنى وكتبنا عليهم النفس بالنفس اما لاجراء كتبنا مجرى قلنا واما لان معنى الجملة التي هي قولك النفس بالنفس مما يقع عليه الكتب عليه القراءة تقول كتبت الحمد لله وقرأت سورة انزلناها ولذلك قال الزجاج لو قرئ ان النفس بالنفس بالكسر لكان صحيحا او للاستئناف والمعنى فرضنا عليهم فيها (ان النفس) ماخوذة (بالنفس) مقتولة بها اذا قتلها بغير حق (و) كذلك (العين) مفقوءة (بالعين) (والانف) مجدوع (بالانف والاذن) مصلومة (بالاذن والسن) مقلوعة (بالسن والجروح قصاص) ذات قصاص وهو المقاصة ومعناه ما يمكن فيه القصاص وتعرف المساواة وعن ابن عباس رضي الله عنهما كانوا لا يقتلون الرجل بالمرأة فنزلت (فمن تصدق) من اصحاب الحق (به) بالقصاص وعفا عنه (فهو كفارة له) فالتصدق به كفارة للمتصدق يكفر الله من سيآته ما تقتضيه الموازنة كسائر طاعاته وعن عبد الله وابن عمرو يهدم عنه من ذنوبه بقدر ما تصدق به وقيل فهو كفارة للجاني اذا تجاوز عنه صاحب الحق سقط عنه ما لزمه وفي قراءة أبي فهو كفارة له يعني فالمتصدق كفارته له اي الكفارة التي يستحقها له لا ينقص منها وهو تعظيم لما فعل كقوله تعالى فاجره على الله وترغيب في العفو * قفيته مثل عقبته اذا اتبعته ثم يقال قفيته بفلان وعقبته به فتعديه الى الثاني بزيادة الباء (فان قلت) فاين المفعول الاول في الآية (قلت) هو محذوف والظرف الذي هو (على آثارهم) كالساد مسده لانه اذا قفى به على اثره فقد قفى به اياه والضمير في آثارهم للنبيين في قوله يحكم بها النبيون الذين اسلموا * وقرأ الحسن الانجيل بفتح الهمزة فان صح عنه فلانه أعجمي خرج لعجمته عن زنات العربية كما خرج هابيل وآجر (ومصدقا) عطف على محل فيه هدى ومحله النصب على الحال (وهدى وموعظة) يجوز ان ينتصبا على الحال كقوله مصدقا وأن ينتصبا مفعولا لهما كقوله وليحكم كانه قيل وللهدى والموعظة آتيناه الانجيل وللحكم بما انزل الله فيه من الاحكام (فان قلت) فان نظمت هدى وموعظة في سلك مصدقا فما تصنع بقوله وليحكم (قلت) أصنع به ما صنعت بهدى وموعظة حين جعلتهما مفعولا لهما فاقدر وليحكم اهل الانجيل بما انزل الله آتيناه اياه وقرئ وليحكم على لفظ الامر بمعنى وقلنا ليحكم وروى في قراءة أبي وان ليحكم بزيادة ان مع الامر على أن ان موصولة بالامر كقولك امرته بان قم كانه قيل وآتيناه الانجيل وامرنا بان يحكم أهل الانجيل وقيل ان عيسى عليه السلام كان متعبدا بما في التوراة من الاحكام لان الانجيل مواعظ وزواجر والاحكام فيه قليلة وظاهر قوله وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه يرد ذلك وكذلك قوله لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وان ساغ لقائل ان يقول معناه وليحكموا بما انزل الله فيه من ايجاب العمل باحكام التوراة * (فان قلت) أي فرق بين التعريفين في قوله (وانزلنا اليك الكتاب) وقوله (لما بين يديه من الكتاب) (قلت) الاول تعريف العهد لانه عنى به القرآن والثاني تعريف الجنس لانه عنى به جنس الكتب المنزلة ويجوز ان يقال هو للعهد لانه لم يرد به ما يقع عليه اسم الكتاب على الاطلاق وانما أريد نوع معلوم منه وهو ما نزل من السماء سوى القرآن (ومهيمنا) ورقيبا على سائر الكتب لانه يشهد لها بالصحة والثبات وقرئ ومهيمنا عليه بفتح الميم اى هو من عليه بان حفظ من التغيير والتبديل كما قال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه والذي هيمن عليه الله عز وجل او الحفاظ في كل بلد لو حرف حرف منه او حركة او سكون لتنبه عليه كل احد ولاشمأزوا رادين ومنكرين * ضمن (ولا تتبع) معنى ولا تنحرف فلذلك عدي بعن كانه قيل ولا تنحرف عما جاءك من الحق متبعا اهواءهم (لكل جعلنا منكم) أيها الناس (شرعة) شريعة وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين (ومنهاجا) وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه وقيل هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا

ان النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الظالمون وقفينا على آثارهم بعيسى بن مريم مصدقا لما بين يديه من التوراة وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين وليحكم أهل الانجيل بما انزل الله فيه ومن لم يحكم بما انزل الله فاولئك هم الفاسقون وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم عما جاءك من الحق لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ولو شاء الله

(لجعلكم امة واحدة) جماعة متفقة على شريعة واحدة اوذوى امة واحدة اى دين واحد لا اختلاف فيه (ولكن) اراد (ليبلوكم فيما آتاكم) من الشرائع المختلفة هل تعملون بها مذعنين معتقدين انها مصالح قد اختلفت على حسب الاحوال والاوقات معترفين بان الله لم يقصد باختلافها الا ما اقتضته الحكمة ام تتبعون الشبه وتفرطون فى العمل (فاستبقوا الخيرات) فابتدروها وتسابقوا نحوها (الى الله مرجعكم) استئناف فى معنى التعليل لاستباق الخيرات (فينبئكم) فيخبركم بما لا تشكون معه من الجزاء الفاصل بين محقكم ومبطلكم وعاملكم ومفرطكم فى العمل * (فان قلت) (وان احكم بينهم) معطوف على ماذا (قلت) على الكتاب فى قوله وانزلنا اليك الكتاب كانه قيل وانزلنا اليك ان احكم على ان ان وصلت بالامر لانه فعل كسائر الافعال ويجوز ان يكون معطوفا على بالحق اى انزلناه بالحق وبان احكم (ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك) ان يضلوك عنه ويستزلوك وذلك ان كعب بن اسيد وعبد الله بن صوريا وشاس بن قيس من احبار اليهود قالوا اذهبوا بنا الى محمد نفتنه عن دينه فقالوا يا محمد قد عرفت انا احبار اليهود وانا ان اتبعناك اتبعنا اليهود كلهم ولم يخالفونا وان بيننا وبين قومنا خصومة فنتحاكم اليك فتقضي لنا عليهم ونحن نؤمن بك ونصدقك فابى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (فان تولوا) عن الحكم بما انزل الله اليك واردوا غيره (فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم) يعنى بذنب التولى عن حكم الله وارادة خلافه فوضع ببعض ذنوبهم موضع ذلك واراد ان لهم ذنوبا جمة كثيرة العدد وان هذا الذنب مع عظمه بعضها وواحد منها وهذا الابهام لتعظيم التولى واستسرافهم فى ارتكابه ونحو البعض فى هذا الكلام ما فى قول لبيد * او يرتبط بعض النفوس حمامها * اراد نفسه وانما قصد تفخيم شانها بهذا الابهام كانه قال نفسا كبيرة ونفسا اى نفس وكما ان التنكير يعطي معنى التكبير وهو معنى البعضية فكذلك اذا صرح بالبعض (لفاسقون) لمتمردون في الكفر معتدون فيه يعنى ان التولى عن حكم الله من التمرد العظيم والاعتداء فى الكفر (افحكم الجاهلية يبغون) فيه وجهان احدهما ان قريظة والنضير طلبوا اليه ان يحكم بما كان يحكم به اهل الجاهلية من التفاضل بين القتلى وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهم القتلى بواء فقال بنو النضير نحن لا نرضى بذلك فنزلت والثانى ان يكون تعييرا لليهود بانهم اهل كتاب وعلم وهم يبغون حكم الملة الجاهلية التى هى هوى وجهل لا تصدر عن كتاب ولا ترجع الى وحي من الله تعالى وعن الحسن هو عام في كل من يبغى غير حكم الله والحكم حكمان حكم بعلم فهو حكم الله وحكم بجهل فهو حكم الشيطان وسئل طاوس عن الرجل يفضل بعض ولده على بعض فقرأ هذه الآية وقرئ تبغون بالتاء والياء وقرأ السلمى افحكم الجاهلية يبغون برفع الحكم على الابتداء وايقاع يبغون خبرا واسقاط الراجع عنه كاسقاطه عن الصلة فى أهذا الذى بعث الله رسولا وعن الصفة فى الناس رجلان رجل أهنت ورجل أكرمت وعن الحال فى مررت بهند يضرب زيد وقرأ قتادة أفحكم الجاهلية على ان هذا الحكم الذى يبغونه انما يحكم به افعى نجران او نظيره من حكام الجاهلية فارادوا بسفههم ان يكون محمد خاتم النبيين حكما كاولئك الحكام * اللام فى قوله (لقوم يوقنون) للبيان كاللام فى هيت لك اى هذا الخطاب وهذا الاستفهام لقوم يوقنون فانهم الذين يتيقنون ان لا اعدل من الله ولا احسن حكما منه * لا تتخذوهم اولياء تنصرونهم وتستنصرونهم وتؤاخونهم وتصافونهم وتعاشرونهم معاشرة المؤمنين ثم علل النهي بقوله (بعضهم اولياء بعض) اى انما يوالى بعضهم بعضا لاتحاد ملتهم واجتماعهم في الكفر فما لمن دينه خلاف دينهم ولموالاتهم (ومن يتولهم منكم فانه) من جملتهم وحكمه حكمهم وهذا تغليظ من الله وتشديد فى وجوب مجانبة المخالف في الدين واعتزاله كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تراءى ناراهما ومنه قول عمر رضى الله عنه لابى موسى فى كاتبه النصرانى لا تكرموهم اذ اهانهم الله ولا تأمنوهم اذ خونهم الله ولا تدنوهم اذ اقصاهم الله وروى انه قال له ابو موسى لا قوام البصرة الا به فقال مات النصرانى والسلام يعنى هب انه قد مات فما كنت تكون صانعا حينئذ فاصنعه الساعة واستغن عنه بغيره (ان الله لا يهدى القوم الظالمين) يعنى الذين ظلموا انفسهم بموالاة الكفر يمنعهم الله ألطافه ويخذلهم مقتا لهم (يسارعون فيهم)

لجعلكم امة واحدة ولكن ليبلوكم فيما اتاكم فاستبقوا الخيرات الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وان احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيرا من الناس لفاسقون أفحكم الجاهلية يبغون ومن احسن من الله حكما لقوم يوقنون يأيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى اولياء بعضهم اولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم ان الله لا يهدى القوم الظالمين فترى الذين فى قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة

ينكمشون في موالاتهم و يرغبون فيها و يعتذرون بانهم لا يامنون ان تصيبهم دائرة من دوائر الزمان اى صرف من صروفه ودولة من دوله فيحتاجوا اليهم والى معونتهم وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان لى موالى من يهود كثيرا عددهم واني ابرأ الى الله ورسوله من ولايتهم واوالى الله ورسوله فقال عبد الله بن ابى اني رجل اخاف الدوائر لا ابرأ من ولاية موالى وهم يهود بنى قينقاع (فعسى الله ان ياتي بالفتح) لرسول الله صلى الله عليه وسلم على اعدائه واظهار المسلمين (او امر من عنده) يقطع شافة اليهود ويجليهم عن بلادهم فيصبح المنافقون نادمين على ماحدثوا به انفسهم وذلك انهم كانوا يشكون فى امر رسول الله صلى الله عليه وسلم و يقولون مانظن ان يتم له امر و بالحرى ان تكون الدولة والغلبة لهؤلاء وقيل او أمر من عنده او ان يؤمر النبي صلى الله عليه وسلم باظهار اسرار المنافقين وقتلهم فيندموا على نفاقهم وقيل او امر من عند الله لا يكون فيه للناس فعل كبنى النضير الذين طرح الله فى قلوبهم الرعب فاعطوا بايديهم من غير ان يوجف عليهم بخيل ولا ركاب (و يقول الذين آمنوا) قرئ بالنصب عطفا على ان ياتى و بالرفع على انه كلام مبتدأ اى و يقول الذين آمنوا فى ذلك الوقت وقرئ يقول بغير واو وهى فى مصاحف مكة والمدينة والشام كذلك على انه جواب قائل يقول فماذا يقول المؤمنون حينئذ فقيل يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا (فان قلت) لمن يقول هذا القول (قلت) اماان يقوله بعضهم لبعض تعجبا من حالهم واغتباطا بما من الله عليهم من التوفيق فى الاخلاص (أهؤلاء الذين اقسموا) لكم باغلاظ الايمان انهم اولياؤكم ومعاضدوكم على الكفار واما ان يقولوه لليهود لانهم حلفوا لهم بالمعاضدة والنصرة كما حكى الله عنهم وان قوتلتم لننصرنكم (حبطت اعمالهم) من جملة قول المؤمنين اى بطلت اعمالهم التى كانوا يتكلفونها فى رأى اعين الناس وفيه معنى التعجب كانه قيل ما احبط اعمالهم فما اخسرهم اومن قول الله عز وجل شهادة لهم بحبوط الاعمال وتعجيبا من سوء حالهم * وقرئ من يرتد ومن يرتدد وهو فى الامام بدالين وهو من الكائنات التى اخبر عنها فى القرآن قبل كونها وقيل بل كان اهل الردة احدى عشرة فرقة ثلاث في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم بنو مدلج ورئيسهم ذو الحمار وهو الاسود العنسي وكان كاهنا تنبأ باليمن واستولى على بلاده واخرج عمال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى معاذ ابن جبل والى سادات اليمن فاهلكه الله على يدى فيروز الديلمى بيته فقتله واخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله ليلة قتل فسر المسلمون وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم من الغد وأتى خبره فى آخر شهر ربيع الاول و بنو حنيفة قوم مسيلمة تنبأ وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من مسيلمة رسول الله الى محمد رسول الله اما بعد فان الارض نصفها لى و نصفها لك فاجاب عليه الصلاة والسلام من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب اما بعد فان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين فحاربه ابو بكر رضى الله عنه بجنود المسلمين وقتل على يدى وحشى قاتل حمزة وكان يقول قتلت خير الناس فى الجاهلية وشر الناس في الاسلام اراد فى جاهليتى واسلامى و بنو اسد قوم طليحة ابن خويلد تنبأ فبعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فانهزم بعد القتال الى الشأم ثم اسلم وحسن اسلامه وسبع فى عهد ابي بكر رضي الله عنه فزارة قوم عيينة ابن حصن وغطفان قوم قرة بن سلمة القشيرى و بنو سليم قوم الفجاءة بن عبد ياليل و بنو يربوع قوم مالك بن نويرة و بعض تميم قوم سجاح بنت المنذر المتنبئة التى زوجت نفسها مسيلمة الكذاب وفيها يقول ابو العلاء المعرى فى كتاب استغفر واستغفرى

أمت سجاح ووالاها مسيلمة * كذابة فى بنى الدنيا وكذاب

و كندة قوم الاشعث بن قيس و بنو بكر بن وائل بالبحرين قوم الحطم بن زيد وكفى الله امرهم على يد ابي بكر رضي الله عنه وفرقة واحدة في عهد عمر رضي الله عنه غسان قوم جبلة بن الايهم نصرته اللطمة وسيرته الى بلاد الروم بعد اسلامه (فسوف ياتي الله بقوم) قيل لما نزلت اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى ابي موسى الاشعرى فقال قوم هذا وقيل هم ألفان من النخع وخمسة آلاف من كندة و بجيلة وثلاثة آلاف من افناء

فعسى الله أن ياتى بالفتح او امر من عنده فيصبحوا على ما اسروا فى انفسهم نادمين و يقول الذين آمنوا أهؤلاء الذين أقسموا بالله جهد ايمانهم انهم لمعكم حبطت اعمالهم فاصبحوا خاسرين يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يات الله بقوم

قوله بعث اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خالدا فى ابي السعود ابو بكر وهو الصواب اه مصححه

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا من يرتد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه الآية (قال) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم أحسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضي عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس وأعداهم للعلم وأهله وامقتهم للشرع وأسواهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المراد ان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين منها صعقة موسى يوم دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات انتهى كلامه (قال احمد) لا شك ان تفسير محبة العبد لله بطاعته له على خلاف الظاهر وهو من المجاز الذي يسمى فيه المسبب باسم السبب والمجاز الذي لا يعدل اليه عن الحقيقة الا بعد تعذرها فلنمتحن حقيقة المحبة لغة بالقواعد لينظر أهي ثابتة للعبد متعلقة بالله تعالى ام لا اذ المحبة لغة ميل المتصف بها الى امر ملذ واللذات الباعثة على المحبة منقسمة الى مدرك بالحس كلذة الذوق في المطعوم ولذة النظر واللمس في الصور المستحسنة ولذة الشم في الروائح العطرة ولذة السمع في النغمات الحسنة والى لذة تدرك بالعقل كلذة الجاه والرياسة والعلوم وما يجري مجراها فقد ثبت ان في اللذات الباعثة على المحبة ما لا يدركه الا العقل دون الحس ثم تتفاوت المحبة ضرورة بحسب تفاوت البواعث عليها فليس اللذة برياسة الانسان على اهل قرية كلذته بالرياسة على أقاليم معتبرة واذا تفاوتت المحبة بحسب تفاوت البواعث فلذات العلوم ايضا متفاوتة بحسب تفاوت المعلومات فليس معلوم أكمل ولا اجل من المعبود الحق فاللذة الحاصلة في معرفته تعالى ومعرفة جلاله وكماله تكون اعظم والمحبة المنبعثة عنها تكون أمكن واذا حصلت هذه المحبة بعثت على الطاعات والموافقات فقد تحصل من ذلك ان محبة العبد ممكنة بل واقعة من كل مؤمن فهي من لوازم الايمان

الناس جاهدوا يوم القادسية وقيل هم الانصار وقيل سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فضرب بيده على عاتق سلمان وقال هذا وذووه ثم قال لو كان الايمان معلقا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس (يحبهم ويحبونه) محبة العباد لربهم طاعته وابتغاء مرضاته وان لا يفعلوا ما يوجب سخطه وعقابه ومحبة الله لعباده ان يثيبهم احسن الثواب على طاعتهم ويعظمهم ويثني عليهم ويرضي عنهم واما ما يعتقده اجهل الناس واعداهم للعلم واهله وامقتهم للشرع واسوأهم طريقة وان كانت طريقتهم عند امثالهم من الجهلة والسفهاء شيأ وهم الفرقة المفتعلة المتفعلة من الصوف وما يدينون به من المحبة والعشق والتغني على كراسيهم خربها الله وفي مراقصهم عطلها الله بأبيات الغزل المقولة في المردان الذين يسمونهم شهداء وصعقاتهم التي اين عنها صعقة موسى عند دك الطور فتعالى الله عنه علوا كبيرا ومن كلماتهم كما انه بذاته يحبهم كذلك يحبون ذاته فان الهاء راجعة الى الذات دون النعوت والصفات ومنها الحب شرطه ان تلحقه سكرات المحبة فاذا لم يكن ذلك لم تكن فيه حقيقة (فان قلت) اين الراجع من الجزاء الى الاسم المتضمن لمعنى الشرط (قلت) هو محذوف معناه فسوف

وشروطه والناس فيها متفاوتون بحسب تفاوت ايمانهم واذا كان كذلك وجب تفسير محبة العبد لله

يحبهم ويحبونه

بمعناها الحقيقي لغة وكانت الطاعات والموافقات كالمسبب عنها والمغاير لها ألا ترى الى الاعرابي الذي سال عن الساعة فقال له النبي عليه الصلاة والسلام ما اعددت لها قال ما اعددت لها كبير عمل ولكن حب الله ورسوله فقال عليه الصلاة والسلام انت مع من احببت فهذا الحديث ناطق بان المفهوم من المحبة لله غير الاعمال والتزام الطاعات لان الاعرابي نفاها واثبت الحب وأقره عليه الصلاة والسلام على ذلك ثم اذا ثبت اجراء محبة العبد لله تعالى على حقيقتها لغة فالمحبة في اللغة اذا تأكدت سميت عشقا فمن تأكدت محبته لله تعالى وظهرت آثار تأكدها عليه من استيعاب الاوقات في ذكره وطاعته فلا يمنع ان تسمى محبته عشقا اذ العشق ليس الا المحبة البالغة وما اردت بهذا الفصل الا تخليص الحق والانتصاف لاحباء الله عزوجل من الزمخشري فانه خلط في كلامه الغث بالسمين فاطلق القول كما سمعته بالقدح الفاحش في المتصوفة من غير تحرمنه نسب اليهم ما لا يعبأ بمرتكبه ولا يعد في البهائم فضلا عن خواص البشر ولا يلزم من تسمي طائفة بهذا الاسم غاصبين له من اهله ثم ارتكابهم ما نقل عنهم مما ينافي حال المتسمين به حقيقة ان يؤاخذ الصالح بالطالح ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذا كما ان علماء الدين قد انتسب اليهم قوم سموا أنفسهم باهل العدل والتوحيد ثم خلعوا الربقة فجحدوا صفات الله تعالى وقضاءه وقدره وقالوا ان الامر انف وجعلوا انفسهم شركا في المخلوقات وفعلوا وصنعوا فلا يسوغ لنا ان نقدح في علماء أصول الدين مطلقا لانهم قد انتسب اليهم من لا حيلة لهم في نفيه عن التسمي بنعتهم ولا يكلف الله نفسا الا وسعها ولا شك ان في الناس من أنكر تصور محبة العبد لله الا بمعنى طاعته له لا غير وهو الذي يحاز اليه الزمخشري وقد بينا تصور ذلك وأوضحناه والمعترفون بتصور ذلك وثبوته ينسبون المنكرين الى انهم جهلوا فانكروا كما ان الصبي ينكر على من تعتقد ان وراء اللعب لذة من جماع أو غيره والمنهمك في الشهوات والغرام بالنساء نظن ان ليس وراء ذلك لذة من رياسة او جاه او شبه ذلك وكل طائفة تسخر بمن فوقها وتعتقد انهم مشغولون في غير شيء قال الغزالي والمحبون لله يقولون لمن أنكر عليهم ذلك ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون

يأتي الله بقوم مكانهم او بقوم غيرهم اوما أشبه ذلك (أذلة) جمع ذليل وأما ذلول فجمعه ذلل ومن زعم انه من الذل الذى هو نقيض الصعوبة فقد غبي عنه ان ذلولا لا يجمع على أذلة (فان قلت) هلا قيل أذلة للمؤمنين أعزة على الكافرين (قلت) فيه وجهان احدهما ان يضمن الذل معنى الحنو والعطف كانه قيل عاطفين عليهم على وجه التذلل والتواضع والثانى انهم مع شرفهم وعلو طبقتهم وفضلهم على المؤمنين خافضون لهم أجنحتهم ونحوه قوله عز وجل أشداء على الكفار رحماء بينهم وقرئ أذلة وأعزة بالنصب على الحال (ولا يخافون لومة لائم) يحتمل ان تكون الواو للحال على أنهم يجاهدون وحالهم فى المجاهدة خلاف حال المنافقين فانهم كانوا موالين لليهود لعنت فاذا خرجوا فى جيش المؤمنين خافوا أولياءهم اليهود فلا يعملون شيا مما يعلمون انه يلحقهم فيه لوم من جهتهم واما المؤمنون فكانوا يجاهدون لوجه الله لا يخافون لومة لائم قط وان تكون للعطف على ان من صفتهم المجاهدة فى سبيل الله وانهم صلاب فى دينهم اذا شرعوا فى امر من أمور الدين انكار منكر او أمر بمعروف مضوا فيه كالمسامير المحماة لا يرعبهم قول قائل ولا اعتراض معترض ولا لومة لائم يشق عليه جدهم فى انكارهم وصلابتهم فى امرهم واللومة المرة من اللوم وفيها وفى التنكير مبالغتان كانه قيل لا يخافون شيا قط من لوم احد من اللوام (ذلك) اشارة الى ما وصف به القوم من المحبة والذلة والعزة والمجاهدة وانتفاء خوف اللومة (يؤتيه) يوفق له (من يشاء) ممن يعلم ان له لطفا (واسع) كثير الفواضل والالطاف (عليم) بمن هو من اهلها * عقب النهى عن موالاة من تجب معاداتهم ذكر من تجب موالاتهم بقوله تعالى (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) ومعنى انما وجوب اختصاصهم بالموالاة (فان قلت) قد ذكرت جماعة فهلا قيل انما اولياؤكم (قلت) أصل الكلام انما وليكم الله فجعلت الولاية لله على طريق الاصالة ثم نظم فى سلك اثباتها لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين على سبيل التبع ولو قيل انما أولياؤكم الله ورسوله والذين آمنوا لم يكن فى الكلام أصل وتبع وفى قراءة عبد الله انما مولاكم * (فان قلت) (الذين يقيمون) ما محله (قلت) الرفع على البدل من الذين آمنوا او على هم الذين يقيمون او النصب على المدح وفيه تمييز للخلص من الذين آمنوا نفاقا وواطات قلوبهم ألسنتهم الا أنهم مفرطون فى العمل (وهم راكعون) الواو فيه للحال اى يعملون ذلك فى حال الركوع وهو الخشوع والاخبات والتواضع لله اذا صلوا واذا زكوا وقيل هو حال من يؤتون الزكاة بمعنى يؤتونها فى حال ركوعهم فى الصلاة وانها نزلت فى على كرم الله وجهه حين ساله سائل وهو راكع فى صلاته فطرح له خاتمه كانه كان مرجا فى خنصره فلم يتكلف لخلعه كثير عمل تفسد بمثله صلاته (فان قلت) كيف صح ان يكون لعلي رضى الله عنه واللفظ لفظ جماعة (قلت) جيء به على لفظ الجمع وان كان السبب فيه رجلا واحدا ليرغب الناس فى مثل فعله فينالوا مثل ثوابه ولينبه على ان سجية المؤمنين يجب ان تكون على هذه الغاية من الحرص على البر والاحسان وتفقد الفقراء حتى ان لزهم امر لا يقبل التاخير وهم فى الصلاة لم يؤخروه الى الفراغ منها (فان حزب الله) من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه فانهم هم الغالبون ولكنهم بذلك جعلوا أعلاما لكونهم حزب الله وأصل الحزب القوم يجتمعون لامر حزبهم ويحتمل ان يريد بحزب الله الرسول والمؤمنين ويكون المعنى ومن يتولهم فقد تولى حزب الله واعتضد بمن لا يغالب * روى ان رفاعة بن زيد وسويد بن الحرث كانا قد اظهرا الاسلام ثم نافقا وكان رجال من المسلمين يوادونهما فنزلت * يعنى ان اتخاذهم دينكم هزوا ولعبا لا يصح ان يقابل باتخاذكم اياهم اولياء بل يقابل ذلك بالبغضاء والشنآن والمنابذة * وفصل المستهزئين باهل الكتاب والكفار وان كان أهل الكتاب من الكفار اطلاقا للكفار على المشركين خاصة والدليل عليه قراءة عبد الله ومن الذين أشركوا وقرئ والكفار بالنصب والجر وتعضد قراءة الجر قراءة أبي ومن الكفار (واتقوا الله) فى موالاة الكفار وغيرها (ان كنتم مؤمنين) حقا لان الايمان حقا يابى موالاة أعداء الدين (اتخذوها) الضمير للصلاة أو للمناداة قيل كان رجل من النصارى بالمدينة اذا سمع المؤذن يقول أشهد ان محمدا رسول الله قال حرق الكاذب فدخلت خادمه بنار ذات ليلة وهو نائم فتطايرت منها شرارة فى البيت فاحترق البيت واحترق هو واهله وقيل فيه دليل

اذلة على المؤمنين اعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا يخافون لومة لائم ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة وهم راكعون ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون يايها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هزوا ولعبا من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم والكفار اولياء واتقوا الله ان كنتم مؤمنين واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزوا ولعبا ذلك بانهم قوم

*قوله تعالى ومن يتول الله ورسوله والذين آمنوا فان حزب الله هم الغالبون (قال محمود هذا من اقامة الظاهر مقام المضمر ومعناه الخ) قال احمد ومقابله *قوله تعالى ان الخاسرين الذين خسروا انفسهم واهليهم يوم القيامة الا ان الظالمين فى عذاب مقيم فوضع الظالمين موضع ضمير الاول ليزيدهم سمة الظلم الى الخسران

على ثبوت الاذان بنص الكتاب لا بالمنام وحده (لا يعقلون) لان لعبهم وهزؤهم من افعال السفهاء والجهلة فكأنه لاعقل لهم * قرأ الحسن هل تنقمون بفتح القاف والفصيح كسرها والمعنى هل تعيبون منا وتنكرون الا الايمان بالكتب المنزلة كلها (وان اكثركم فاسقون) (فان قلت) علام عطف قوله وان اكثركم فاسقون (قلت) فيه وجوه منها ان يعطف على ان آمنا بمعنى وما تنقمون منا الا الجمع بين ايماننا وبين تمردكم وخروجكم عن الايمان كانه قيل وما تنكرون منا الا مخالفتكم حيث دخلنا في دين الاسلام وانتم خارجون منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف اى واعتقادنا انكم فاسقون ومنها أن يعطف على المجرور أي وما تنقمون منا الا الايمان بالله وبما انزل وبان اكثركم فاسقون ويجوز أن تكون الواو بمعنى مع اى وما تنقمون منا الا الايمان مع ان اكثركم فاسقون ويجوز ان يكون تعليلا معطوفا على تعليل محذوف كانه قيل وما تنقمون منا الا الايمان لقلة انصافكم وفسقكم واتباعكم الشهوات ويدل عليه تفسير الحسن بفسقكم نقمتم ذلك علينا * وروى انه اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم نفر من اليهود فسالوه عمن يؤمن به من الرسل فقال اومن بالله وما انزل الينا الى قوله ونحن له مسلمون فقالوا حين سمعوا ذكر عيسى عليه السلام ما نعلم اهل دين اقل حظا في الدنيا والآخرة منكم ولا دينا شرا من دينكم فنزلت وعن نعيم بن ميسرة وان اكثركم بالكسر ويحتمل ان ينتصب وان اكثركم بفعل محذوف يدل عليه هل تنقمون اى ولا تنقمون ان اكثركم فاسقون أو يرتفع على الابتداء والخبر محذوف اى وفسقكم ثابت معلوم عندكم لانكم علمتم انا على الحق وانكم على الباطل الا أن حب الرياسة وكسب الاموال لا يدعكم فتنصفوا (ذلك) اشارة الى المنقوم ولا بد من حذف مضاف قبله او قبل من تقديره بشر من اهل ذلك او دين من لعنه الله و(من لعنه الله) في محل الرفع على قولك هو من لعنه الله كقوله تعالى قل افأنبئكم بشر من ذلكم النار او في محل الجر على البدل من شر * وقرئ مثوبة ومثوبة ومثالها مشورة ومشورة (فان قلت) المثوبة مختصة بالاحسان فكيف جاءت في الاساءة (قلت) وضعت المثوبة موضع العقوبة على طريقة قوله * تحية بينهم ضرب وجيع * ومنه فبشرهم بعذاب اليم (فان قلت) المعاقبون من الفريقين هم اليهود فلم شورك بينهم في العقوبة (قلت) كان اليهود لعنوا يزعمون ان المسلمين ضالون مستوجبون للعقاب فقيل لهم من لعنه الله شر عقوبة في الحقيقة واليقين من اهل الاسلام في زعمكم ودعواكم (وعبد الطاغوت) عطف على صلة من كانه قيل ومن عبد الطاغوت وفي قراءة ابي وعبدوا الطاغوت على المعنى وعن ابن مسعود ومن عبدوا وقرئ وعابد الطاغوت عطفا على القردة وعابدي وعباد وعبد وعبد ومعناه الغلو في العبودية كقولهم رجل حذر وفطن للبليغ في الحذر والفطنة قال

ابني لبيني ان امكم * امة وان اباكم عبد

وعبد بوزن حطم وعبيد وعبد بضمتين جمع عبيد وعبدة بوزن كفرة وعبد واصله عبدة فحذفت التاء للاضافة او هو كخدم في جمع خادم وعبد وعباد واعبد وعبد الطاغوت على البناء للمفعول وحذف الراجع بمعنى وعبد الطاغوت فيهم او بينهم وعبد الطاغوت بمعنى صار الطاغوت معبودا من دون الله كقولك امر اذا صار أميرا وعبد الطاغوت بالجر عطفا على من لعنه الله (فان قلت) كيف جاز ان يجعل الله منهم عباد الطاغوت (قلت) فيه وجهان احدهما انه خذلهم حتى عبدوها والثاني انه حكم عليهم بذلك ووصفهم به كقوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الله اناثا وقيل الطاغوت العجل لانه معبود من دون الله ولان عبادتهم للعجل مما زينه لهم الشيطان فكانت عبادتهم له عبادة للشيطان وهو الطاغوت وعن ابن عباس رضي الله عنه اطاعوا الكهنة وكل من اطاع احدا في معصية الله فقد عبده وقرأ الحسن الطواغيت وقيل وجعل منهم القردة اصحاب السبت والخنازير كفار اهل مائدة عيسى وقيل كلا المسخين من اصحاب السبت فشبانهم مسخوا قردة ومشايخهم مسخوا خنازير وروى انها لما نزلت كان المسلمون يعيرون اليهود يقولون يا اخوة القردة والخنازير فينكسون رؤسهم (اولئك) الملعونون الممسوخون (شر مكانا)

لا يعقلون قل يا اهل الكتاب هل تنقمون منا الا أن آمنا بالله وما انزل الينا وما انزل من قبل وأن اكثركم فاسقون قل هل أنبئكم بشر من ذلك من مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكانا واضل عن سواء السبيل واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به والله أعلم بما كانوا يكتمون وترى كثيرا منهم يسارعون في الاثم

* قوله تعالى قل هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت الآية (قال وعبد الطاغوت عطف على صلة من الخ) قال احمد رحمه الله السؤال يلزم القدرية لانهم يزعمون ان الله تعالى انما اراد منهم ان يعبدوه ولا يشركوا به شيا وأن عبادتهم للطاغوت قبيحة والله تعالى لا يريد القبائح بل تقع في الوجود على خلاف مشيئته فلذلك يضطر الزمخشري الى تاويل الجعل بالخذلان أو بالحكم وكذلك أول قوله تعالى وجعلناهم ائمة يدعون الى النار بمعنى حكمنا عليهم بذلك هذا مقتضى قاعدة القدرية واما على عقيدة اهل السنة الموحدين حقا فالآية على ظاهرها والله تعالى هو الذي اشقاهم وخلق في قلوبهم طاعة الطاغوت وعبادته ماشاء الله كان ومالم يشا لم يكن واذا روجع القدري في تحقيق الخذلان او الحكم الذي

يستروح الى التأويل به لم يقدر منه على حقيقة ولم يفسره بغير الخلق ان اعترف بالحق وترك ارتكاب المراء والتذبذب مع الاهواء والله ولى التوفيق * قوله تعالى واذا جاؤكم قالوا آمنا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به (قال المجروران حالان اى دخلوا كافرين الخ) قال احمد وفى تصدير الجملة الثانية بالضمير تاكيد لاتحاد حالهم فى الكفر اى وقد دخلوا بالكفر وخرجوا وهم اولئك على حالهم فى الكفر كما تقول لقيت زيدا بعد عوده من سفره وهو هو اى على حاله وفى المثل وعبد الحميد عبد الحميد اى حالته باقية والله اعلم * قوله تعالى وترى كثيرا منهم يسارعون فى الاثم والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون (قال الاثم الكذب الخ) قال احمد وقوله عن قولهم الاثم يدل على ان الاثم الاول مقول فيحتمل ان يكون المراد الكذب مطلقا ويحتمل ان يراد كلمة الشرك

واستدلال الزمخشرى على ان المراد الكذب لا يتم وانما يدل على انه مقول فيحتمل الامرين والله اعلم * عاد كلامه (قال جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل الخ) قال احمد يعنى انه لما عبر عن الواقع المذموم من مرتكبي المناكير بالعمل

والعدوان واكلهم السحت لبئس ما كانوا يعملون لولا ينهاهم الربانيون والاحبار عن قولهم الاثم واكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان

جعلت الشرارة للمكان وهي لاهله وفيه مبالغة ليست فى قولك أولئك شر واضل لدخوله في باب الكناية التي هي اخت المجاز * نزلت فى ناس من اليهود كانوا يدخلون على رسول الله صلى الله عليه وسلم يظهرون له الايمان نفاقا فاخبره الله تعالى بشانهم وانهم يخرجون من مجلسك كما دخلوا لم يتعلق بهم شيء مما سمعوا به من تذكيرك بآيات الله ومواعظك * وقوله بالكفر وبه حالان اى دخلوا كافرين وخرجوا كافرين وتقديره ملتبسين بالكفر * وكذلك قوله وقد دخلوا وهم قد خرجوا ولذلك دخلت قد تقريبا للماضى من الحال ولمعنى آخر وهو ان امارات النفاق كانت لائحة عليهم وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم متوقعا لاظهار الله ما كتموه فدخل حرف التوقع وهو متعلق بقوله قالوا آمنا اى قالوا ذلك وهذه حالهم * الاثم الكذب بدليل قوله تعالى عن قولهم الاثم (والعدوان) الظلم وقيل الاثم كلمة الشرك وقولهم عزير ابن الله وقيل الاثم ما يختص بهم والعدوان ما يتعداهم الى غيرهم * والمسارعة فى الشيء الشروع فيه بسرعة (لبئس ما كانوا يصنعون) كانهم جعلوا آثم من مرتكبي المناكير لان كل عامل لا يسمى صانعا ولا كل عمل يسمى صناعة حتى يتمكن فيه ويتدرب وينسب اليه وكان المعنى فى ذلك ان مواقع المعصية معه الشهوة التى تدعوه اليها وتحمله على ارتكابها واما الذى ينهاه فلا شهوة معه فى فعل غيره فاذا فرط فى الانكار كان اشد حالا من المواقع ولعمرى ان هذه الآية مما يقذ السامع وينعى على العلماء توانيهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما هي اشد آية فى القرآن وعن الضحاك ما فى القرآن آية اخوف عندى منها * غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود ومنه قوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولا يقصد من يتكلم به اثبات يد ولا غل ولا بسط ولا فرق عنده بين هذا الكلام وبين ما وقع مجازا عنه لانهما كلامان معتقبان على حقيقة واحدة حتى انه يستعمله فى ملك لا يعطي عطاء قط ولا يمنعه الا باشارته من غير استعمال يد وبسطها وقبضها ولو اعطي الاقطع الى المنكب عطاء جزيلا لقالوا ما ابسط يده بالنوال لان بسط اليد وقبضها عبارتان وقعتا متعاقبتين للبخل والجود وقد استعملوهما حيث لا تصح اليد كقوله

جاد الحمي بسط اليدين بوابل * شكرت نداه تلاعه ووهاده

ولقد جعل لبيد للشمال يدا فى قوله * اذ اصبحت بيد الشمال زمامها * ويقال بسط اليأس كفيه فى صدرى فجعلت لليأس الذى هو من المعاني لا من الاعيان كفان ومن لم ينظر فى علم البيان عمي عن تبصر محجة الصواب فى تاويل امثال هذه الآية ولم يتخلص من يد الطاعن اذا عبث به (فان قلت) قد صح ان قولهم (يد الله مغلولة) عبارة عن البخل فما تصنع بقوله (غلت ايديهم) ومن حقه ان يطابق ما تقدمه والا تنافر

الكلام

فى قوله لبئس ما كانوا يعملون وعبر عن ترك الانكار عليهم حيث ذمه بالصناعة فى قوله لبئس ما كانوا يصنعون كان هذا الذم اشد لانه جعل المذموم عليه صناعة لهم وللرؤساء وحرفة لازمة هم فيها امكن من اصحاب المناكير في اعمالهم هذا مراده والله اعلم * قوله تعالى وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان الآية (قال غل اليد وبسطها مجاز عن البخل والجود الخ) قال احمد والنكتة فى استعمال هذا المجاز تصوير الحقيقة المعنوية بصورة حسية تلزمها غالبا ولا شيء اثبت من الصور الحسية فى الذهن فلما كان الجود والبخل معنيين لا يدركان بالحس ويلازمهما صورتان تدركان بالحس وهو بسط اليد للجود وقبضها للبخل عبر عنهما بلازمهما لفائدة الايضاح والانتقال من المعنويات الى المحسوسات والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت قد صح ان قوله يد الله مغلولة عبارة عن البخل الخ) قال احمد لقد نقص فضيلته التي أوردها في هذا الفصل بما ضمنه هذا السؤال والجواب من القاعدة الفاسدة فى ان الله تعالى يستحيل عليه أن يريد من عباده شيئا مما نعاه عليهم وبنى على ذلك استحالة أن يدعو عليهم بالبخل لانه لم يرده منهم ويستحيل أن يريده منهم فوجه هذا النص بالتاويل والتمسك بالاباطيل والحق ان الله يدعو عليهم بالبخل ودعاؤه عبارة عن خلقه الشح فى قلوبهم

والقبض في ايديهم فهو الداعي والخالق لا خالق الا هو يخلق لهم البخل ويتقدس عنه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون فليت الزمخشري لم يتحدث في تفسير القرآن الا من حيث علم البيان فانه فيه افرس الفرسان لا يجارى في ميدانه ولا يمارى في بيانه * عاد كلامه (قال فان قلت لم ثنيت اليد في بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في قولهم يد الله الخ) قال احمد ولما كان المعهود في العطاء أن يكون باحدى اليدين وهي اليمين وكان الغالب على اليهود لعنت اعتقاد الجسمية جاءت عبارتهم عن اليد الواحدة المألوف منها العطاء فبين الله تعالى كذبهم في الامرين في نسبة البخل وفي اضافته الى الواحدة تنزيلا منهم على اعتقاد الجسمية بان ينسب الى ذاته صفة الكرم المعبر عنها بالبسط وبان اضافه الى اليدين جميعا لان كلتا يديه يمين كما ورد في الحديث تنبيها على نفي الجسمية اذ لو كانت ثابتة جل الله عنها لكانت احدى اليدين يمينا والاخرى شمالا ضرورة فلما اثبت ان كلتيهما يمين نفي الجسمية واضاف الكرم اليهما لا كما يضاف في الشاهد الى اليد اليمنى خاصة اذ الاخرى شمال وليست محلا للتكرم والله اعلم

الكلام وتزلزل عن سننه (قلت) يجوز ان يكون معناه الدعاء عليهم بالبخل والنكد ومن ثم كانوا أبخل خلق الله وأنكدهم ونحوه بيت الاشتر

بقيت وفري وانحرفت عن العلا * ولقيت أضيافي بوجه عبوس

ويجوز ان يكون دعاء عليهم بغل الايدي حقيقة يغلون في الدنيا أسارى وفي الآخرة معذبين باغلال جهنم والطباق من حيث اللفظ وملاحظة أصل المجاز كما تقول سبني سب الله دابره اي قطعه لان السب أصله القطع (فان قلت) كيف جاز ان يدعو الله عليهم بما هو قبيح وهو البخل والنكد (قلت) المراد به الدعاء بالخذلان الذي تقسو به قلوبهم فيزيدون بخلا الى بخلهم ونكدا الى نكدهم او بما هو مسبب عن البخل والنكد من لصوق العار بهم وسوء الاحدوثة التي تخزيهم وتمزق أعراضهم (فان قلت) لم ثنيت اليد في قوله تعالى بل يداه مبسوطتان وهي مفردة في يد الله مغلولة (قلت) ليكون رد قولهم وانكاره ابلغ وأدل على اثبات غاية السخاء له ونفي البخل عنه وذلك ان غاية ما يبذله السخي بماله من نفسه ان يعطيه بيديه جميعا فبني المجاز على ذلك * وقرئ ولعنوا بسكون العين وفي مصحف عبد الله بل يداه بسطان يقال يده بسط بالمعروف ونحوه مشية سجح وناقة صرح (ينفق كيف يشاء) تأكيد للوصف بالسخاء ودلالة على انه لا ينفق الا على مقتضى الحكمة والمصلحة روى ان الله تبارك وتعالى كان قد بسط على اليهود حتى كانوا من اكثر الناس مالا فلما عصوا الله في محمد صلى الله عليه وسلم وكذبوه كف الله تعالى ما بسط عليهم من السعة فعند ذلك قال فنحاص بن عازوراء يد الله مغلولة ورضي بقوله الآخرون فاشركوا فيه (وليزيدن) اي يزدادون عند نزول القرآن لحسدهم تماديا في الجحود وكفرا بآيات الله (وألقينا بينهم العداوة) فكلمهم أبدا مختلف وقلوبهم شتى لا يقع اتفاق بينهم ولا تعاضد (كلما اوقدوا نارا) كلما أرادوا محاربة أحد غلبوا وقهروا ولم يقم لهم نصر من الله على احد قط وقد أتاهم الاسلام وهم في ملك المجوس وقيل خالفوا حكم التوراة فبعث الله عليهم بختنصر ثم أفسدوا فسلط الله عليهم فطرس الرومي ثم أفسدوا فسلط الله عليهم المجوس ثم افسدوا فسلط الله عليهم المسلمين وقيل كلما حاربوا رسول الله صلى الله عليه وسلم نصر عليهم وعن قتادة رضي الله عنه لا تلقى اليهود ببلدة الا وجدتهم من أذل الناس (ويسعون) ويجتهدون في الكيد للاسلام ومحو ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم من كتبهم (ولو أن أهل الكتاب) مع ما عددنا من سيئاتهم (آمنوا) برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جاء به وقرنوا ايمانهم بالتقوى التي هي الشرط في الفوز بالايمان (لكفرنا عنهم) تلك السيآت ولم نؤاخذهم بها (ولأدخلناهم) مع المسلمين الجنة وفيه اعلام بعظم معاصي اليهود والنصارى وكثرة سيئاتهم ودلالة على سعة رحمة الله تعالى وفتحه باب التوبة على كل عاص وان عظمت معاصيه وبلغت مبالغ سيئات اليهود والنصارى وان الايمان لا ينجي ولا يسعد الا مشفوعا بالتقوى كما قال الحسن هذا العمود فاين الاطناب (ولو انهم

ينفق كيف يشاء وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا والقينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة كلما اوقدوا نارا للحرب اطفاها الله ويسعون في الارض فسادا والله لا يحب المفسدين ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم ولو انهم

*قوله تعالى ولو ان اهل الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم (قال فيه دليل على ان الايمان لا ينجي الخ) قال احمد هو ينتهز الفرصة من ظاهر هذه الآية فيجعله دليل على قاعدته في ان مجرد الايمان لا ينجي من الخلود في النار حتى ينضاف اليه التقوى لان الله تعالى جعل المجموع في هذه الآية شرطا للتكفير ولادخال الجنة وظاهره انهما ما لم يجتمعا لا يوجد تكفير ولا دخول الجنة واني له ذلك والاجماع والاتفاق من الفريقين اهل السنة والمعتزلة على ان مجرد الايمان يجب ما قبله ويمحوه كما ورد النص فلو فرضنا موت الداخل في الايمان عقيب دخوله فيه لكان كيوم ولدته أمه باتفاق مكفر الخطايا محكوما له بالجنة فدل ذلك على ان اجتماع الامرين ليس بشرط هذا ان كان المراد بالتقوى الاعمال وان كانت التقوى على أصل موضعها الخوف من الله عز وجل فهذا المعنى ثابت لكل مؤمن وان قارف الكبائر وحينئذ لا يتم للزمخشري منه غرض وما هذا الا الحاح ولجاج في مخالفة المعتقد المستفاد من قوله عليه الصلاة والسلام من قال لا اله الا الله دخل الجنة وان زنى وان سرق كررها النبي ﷺ مرارا ثم قال وان رغم أنف ابي ذر لما راجعه

رضي الله عنه في ذلك ونحن نقول وإن رغم أنف القدرية * قوله تعالى يا أيها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين (قال معناه بلغ غير مراقب في التبليغ أحدا ولا خائف ان ينالك مكروه وان لم تفعل معناه وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك فما بلغت رسالته فلم تبلغ اذا ما كلفت من اداء الرسالة ولم تؤد منها شيأ قط وذلك ان بعضها ليس باولى بالاداء من البعض فكانك اغفلت اداءها جميعها كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم الشيء الواحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن الى ان قال فان قلت وقوع قوله فما بلغت رسالته جزاء للشرط ما وجه صحته قلت فيه وجهان احدهما انه اذا لم تمتثل الخ . قال احمد وهذا الاتحاد بين الشرط والجزاء ظاهرا لان حاصله ان لم تبلغ الرسالة لم تبلغ الرسالة باتحاد المبتدأ والخبر حق لا يزيد الخبر عليه شيأ في الظاهر كقوله

أنا أبو النجم وشعري شعري

فجعل الخبر عن المبتدأ بلا مزيد في اللفظ وأراد وشعري شعري المشهور بلاغته والمستفيض فصاحته ولكنه أفهم بالسكوت عن هذه الصفات التي بها تحصل الفائدة انها من لوازم شعره في افهام الناس السامعين لاشتهاره بها وانه غني عن ذكرها انصرفوا لشهرتها وذياعها وكذلك أريد في الآية لأن عدم تبليغ الرسالة امر معلوم عند الناس مستقر في الافهام انه عظيم شنيع ينقم على مرتكبه بل عدم نشر العلم من العالم أمر فظيع فضلا عن كتمان الرسالة من الرسول فاستغنى عن ذكر الزيادات التي يتفاوت بها الشرط والجزاء للصوقها بالجزاء في الافهام وان كل من سمع عدم تبليغ الرسالة فهم ما وراءه من الوعيد والتهديد وحسن هذا الاسلوب في الكتاب العزيز بذكر الشرط عاما بقوله وان لم تفعل ولم يقل فان لم تبلغ الرسالة فما بلغت الرسالة حتى يكون اللفظ متغايرا وهذه المغايرة اللفظية وان كان المعنى واحدا أحسن رونقا واظهر طلاوة من تكرار اللفظ الواحد في الشرط والجزاء وهذه الذروة انحط عنها أبو النجم بذكر المبتدأ بلفظ المظهر وحق له ان تتضاءل فصاحته عند فصاحة المعجز فلا يعاب عليه في ذلك وهذا الفصل كاللباب من علم البيان والله الموفق

أقاموا التوراة والانجيل وما انزل اليهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم منهم أمة مقتصدة وكثير منهم ساء ما يعملون يا أيها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين قل يا أهل الكتاب

أقاموا التوراة والانجيل) أقاموا أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما انزل اليهم) من سائر كتب الله لانهم مكلفون الايمان بجميعها فكأنها انزلت اليهم وقيل هو القرآن لوسع الله عليهم الرزق وكانوا قد قحطوا وقوله (لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم) عبارة عن التوسعة وفيه ثلاثة أوجه ان يفيض عليهم بركات السماء وبركات الارض وان يكثر الاشجار المثمرة والزروع المغلة وان يرزقهم الجنان اليانعة الثمار يجتنون ما تهدل منها من رؤس الشجر ويلتقطون ما تساقط على الارض من تحت أرجلهم (منهم أمة مقتصدة) طائفة حالها امم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هي الطائفة المؤمنة عبدالله بن سلام واصحابه وثمانية وأربعون من النصارى (ساء ما يعملون) فيه معنى التعجب كأنه قيل وكثير منهم ما أسوأ عملهم وقيل هم كعب بن الاشرف وأصحابه والروم (بلغ ما أنزل اليك) جميع ما أنزل اليك وأي شيء أنزل اليك غير مراقب في تبليغه أحدا ولا خائف ان ينالك مكروه (وان لم تفعل) وان لم تبلغ جميعه كما أمرتك (فما بلغت رسالته) وقرئ رسالاته فلم تبلغ اذا ما كلفت من أداء الرسالات ولم تؤد منها شيا قط وذلك ان بعضها ليس بأولي بالاداء من بعض وان لم تؤد بعضها فكأنك أغفلت أداءها جميعا كما ان من لم يؤمن ببعضها كان كمن لم يؤمن بكلها لادلاء كل منها بما يدليه غيرها وكونها كذلك في حكم شيء واحد والشيء الواحد لا يكون مبلغا غير مبلغ مؤمنا به غير مؤمن به وعن ابن عباس رضي الله عنهما ان كتمت آية لم تبلغ رسالاتي وروى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثني الله برسالاته فضقت بها ذرعا فأوحى الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك وضمن لي العصمة فقويت (فان قلت) وقوع قوله فما بلغت رسالاته جزاء للشرط ما وجه صحته (قلت) فيه وجهان أحدهما انه اذا لم يمتثل امر الله في تبليغ الرسالات وكتمها كلها كأنه لم يبعث رسولا كان امرا شنيعا لاخفاء بشناعته فقيل ان لم تبلغ منها أدنى شيء وان كان كلمة واحدة فأنت كمن ركب الامر الشنيع الذي هو كتمان كلها كما عظم قتل النفس بقوله فكأنما قتل الناس جميعا والثاني ان يراد فان لم تفعل فلك ما يوجبه كتمان الوحي كله من العقاب فوضع السبب موضع المسبب ويعضده قوله عليه الصلاة والسلام أوحي الله الي ان لم تبلغ رسالاتي عذبتك (والله يعصمك) عدة من الله بالحفظ والكلاءة والمعنى والله يضمن لك العصمة من أعدائك فما عذرك في مراقبتهم (فان قلت) أين ضمان العصمة وقد شج في وجهه يوم أحد وكسرت رباعيته صلوات عليه (قلت) المراد أنه يعصمه من القتل وفيه ان عليه ان يحتمل كل ما دون النفس في ذات الله فما اشد تكليف الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقيل نزلت بعد يوم أحد والناس الكفار بدليل قوله (ان الله لا يهدي القوم الكافرين) ومعناه أنه لا يمكنهم مما يريدون انزاله بك من الهلاك وعن أنس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت فأخرج رأسه من قبة أدم وقال

*قوله تعالى ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى الآية (قال فيه الصابئون رفع على الابتداء وخبره محذوف الخ) قال احمد صدق لاورود للسؤال بهذا التوجيه ولكن ثم سؤال متوجه وهو ان يقال لو عطف الصابئين ونصبه كما قرأ ابن كثير لافاد أيضا دخولهم في جملة المتوب عليهم ولفهم من تقديم ذكرهم على النصارى ما يفهم من الرفع من ان هؤلاء الصابئين وهم أوغل الناس في الكفر يتاب عليهم فما الظن بالنصارى ولكان الكلام جملة واحدة بليغا مختصرا والعطف افرادى فلم عدل الى الرفع وجعل الكلام جملتين وهل يمتاز بفائدة على النصب والعطف الافرادى ويجاب من هذا السؤال بانه ونصبه وعطفه لم يكن فيه افهام خصوصية

انصرفوا يا أيها الناس فقد عصمني الله من الناس (لستم على شيء) أي على دين يعتد به حتى يسمي شيأ لفساده وبطلانه كما تقول هذا ليس بشيء تريد تحقيره وتصغير شأنه وفي أمثالهم أقل من لاشيء (فلا تأس) فلا تتأسف عليهم لزيادة طغيانهم وكفرهم فان ضرر ذلك راجع اليهم لا اليك وفي المؤمنين غنى عنهم (والصابئون) رفع على الابتداء وخبره محذوف والنية به التأخير عما في حيز ان من اسمها وخبرها كأنه قيل ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى حكمهم كذا والصابئون كذلك وانشد سيبويه شاهدا له

والا فاعلموا أنا وأنتم * بغاة ما بقينا في شقاق

أي فاعلموا أنا بغاة وأنتم كذلك (فان قلت) هلا زعمت أن ارتفاعه للعطف على محل ان واسمها (قلت) لا يصح ذلك قبل الفراغ من الخبر لا تقول ان زيدا وعمرو منطلقان (فان قلت) لم لا يصح والنية به التأخير فكأنك قلت ان زيدا منطلق وعمرو (قلت) لأني اذا رفعته رفعته عطفا على محل ان واسمها والعامل في محلهما هو الابتداء فيجب أن يكون هو العامل في الخبر لان الابتداء ينتظم الجزأين في عمله كما تنتظمهما ان في عملها فلو رفعت الصابئون المنوى به التأخير بالابتداء وقد رفعت الخبر بان لأعملت فيهما رافعين مختلفين (فان قلت) فقوله والصابئون معطوف لا بدله من معطوف عليه فما هو (قلت) هو مع خبره المحذوف جملة معطوفة على جملة قوله ان الذين آمنوا الخ ولا محل لها كما لا محل للتي عطفت عليها (فان قلت) ما التقديم والتأخير الا لفائدة فما فائدة هذا التقديم (قلت) فائدته التنبيه على ان الصابئين يتاب عليهم ان صح منهم الايمان والعمل الصالح فما الظن بغيرهم وذلك ان الصابئين أبين هؤلاء المعدودين ضلالا وأشدهم غيا وما سموا صابئين الا لانهم صبؤا عن الاديان كلها أي خرجوا كما ان الشاعر قدم قوله وأنتم تنبيها على ان المخاطبين اوغل في الوصف بالبغاة من قومه حيث عاجل به قبل الخبر الذي هو بغاة لئلا يدخل قومه في البغي قبلهم مع كونهم أوغل فيه منهم وأثبت قدما (فان قلت) فلو قيل والصابئين وايا كم لكان التقديم حاصلا (قلت) لو قيل هكذا لم يكن من التقديم في شيء لانه لا ازالة فيه عن موضعه وانما يقال مقدم ومؤخر للمزال لا للقار في مكانه ويجرى هذه الجملة مجرى الاعتراض في الكلام *(فان قلت) كيف قال الذين آمنوا ثم قال (من آمن) (قلت) فيه وجهان أحدهما ان يراد بالذين آمنوا الذين آمنوا بألسنتهم وهم المنافقون وأن يراد بمن آمن من ثبت على الايمان واستقام ولم يخالجه ريبة فيه (فان قلت) ما محل من آمن (قلت) اما الرفع على الابتداء وخبره (فلا خوف عليهم) والفاء لتضمن المبتدا معنى الشرط ثم الجملة كما هي خبر ان وأما النصب على البدل من اسم ان وما عطف عليه أو من المعطوف عليهم *(فان قلت) فأين الراجع الى اسم ان (قلت) هو محذوف تقديره من آمن منهم كما جاء في موضع آخر وقرئ والصابيون بياء صريحة وهو من تخفيف الهمزة كقراءة من قرأ يستهزيون والصابون وهو من صبوت لانهم صبوا الى اتباع الهوى والشهوات في دينهم ولم يتبعوا أدلة العقل والسمع وفي قراءة ابي رضي الله عنه والصابئين بالنصب وبها قرأ ابن كثير وقرأ عبد الله يا ايها الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون (لقد أخذنا) ميثاقهم بالتوحيد (وارسلنا اليهم رسلا) ليقفوهم على ما يأتون وما يذرون في دينهم (كلما جاءهم رسول) جملة شرطية وقعت صفة لرسلا والراجع محذوف اى رسول منهم (بما لاتهوى أنفسهم)

لستم على شيء حتى تقيموا التوراة والانجيل وما أنزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما أنزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون لقد أخذنا ميثاق بنى اسرائيل وأرسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لاتهوى انفسهم

لهذا الصنف لان الاصناف كلها معطوف بعضها على بعض عطف المفردات وهذا الصنف من جملتها والخبر عنها واحد واما مع الرفع فينقطع عن العطف الافرادى وتبقى بقية الاصناف مخصصة بالخبر المعطوف به ويكون خبر هذا الصنف المنفرد بمعزل تقديره مثلا والصابئون كذلك فيجيء كأنه مقيس على بقية الاصناف وملحق بها وهو بهذه المثابة لانهم لما استقر بعد الاصناف من قبول التوبة فكانوا أحقاء بجعلهم تبعا وفرعا مشبهين بمن هم اقعد منهم بهذا الخبر وفائدة التقديم على الخبر ان يكون توسط هذا المبتدا المحذوف الخبر بين الجزئين أدل على الخبر المحذوف من ذكره بعد تقضي الكلام وتمامه والله اعلم

* قوله تعالى وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى أنفسهم فريقا كذبوا وفريقا يقتلون (قال ان قلت أين جواب الشرط الخ) قال احمد ومما يدل على حذف الجواب انه جاء ظاهرا فى الآية الاخرى وهى توأمة هذه قوله تعالى افكلما جاءكم رسول بما لا تهوى انفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون فاوقع قوله استكبرتم جوابا ثم فسر استكبارهم وصنيعهم بالانبياء بقتل البعض وتكذيب البعض ولو قدر الزمخشرى ههنا الجواب المحذوف مثل المنطوق به فى أخت الآية فقال وارسلنا اليهم رسلا كلما جاءهم رسول بما لا تهوى انفسهم استكبروا لكان اولى لدلالة مثله عليه * عاد كلامه (قال فان قلت لم جيء باحد الفعلين ماضيا الخ) قال احمد او يكون حالا على حقيقته لانهم داروا حول قتل محمد عليه افضل الصلاة والسلام وقد قيل هذا الوجه فى أخت هذه الآية فى البقرة وقد مضى وجه اقتضاء صيغة الفعل المضارع لاستحضاره دون الماضى وتمثيله بقوله تعالى الم تر ان الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن فأصبحت الى فتصبح تصويرا للحال واستحضارا لها فى ذهن السامع ومنه بانى قد لقيت الغول يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان فآخذه فاضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران

البحر

فريقا كذبوا وفريقا يقتلون وحسبوا ان لا تكون فتنة فعموا وصموا ثم تاب الله عليهم ثم عموا وصموا كثير منهم والله بصير بما يعملون لقد كفر الذين قالوا ان الله هو المسيح بن مريم وقال المسيح يا بنى اسرائيل اعبدوا الله ربى وربكم انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار لقد كفر الذين قالوا ان الله ثالث ثلاثة وما من اله الا اله واحد وان لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم أفلا يتوبون الى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم ما المسيح بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل

بما يخالف هواهم ويضاد شهواتهم من مشاق التكليف والعمل بالشرائع (فان قلت) اين جواب الشرط فان قوله (فريقا كذبوا وفريقا يقتلون) ناب عن الجواب لان الرسول الواحد لا يكون فريقين ولانه لا يحسن أن تقول ان اكرمت أخى أخاك اكرمت (قلت) هو محذوف يدل عليه قوله فريقا كذبوا وفريقا يقتلون كانه قيل كلما جاءهم رسول منهم ناصبوه وقوله فريقا كذبوا جواب مستأنف لقائل يقول كيف فعلوا برسلهم (فان قلت) لم جيء باحد الفعلين ماضيا وبالآخر مضارعا (قلت) جيء يقتلون على حكاية الحال الماضية استفظاعا للقتل واستحضارا لتلك الحال الشنيعة للتعجيب منها * قرئ أن لا يكون بالنصب على الظاهر وبالرفع على أن أن هى المخففة من الثقيلة اصله انه لا يكون فتنة فخففت ان وحذف ضمير الشان (فان قلت) كيف دخل فعل الحسبان على ان التى للتحقيق (قلت) نزل حسبانهم لقوته فى صدورهم منزلة العلم (فان قلت) فاين مفعولا حسب (قلت) سد ما يشتمل عليه صلة ان وأن من المسند والمسند اليه مسد المفعولين والمعنى وحسب بنو اسرائيل انه لا يصيبهم من الله فتنة اى بلاء وعذاب فى الدنيا والآخرة (فعموا) عن الدين (وصموا) حين عبدوا العجل ثم تابوا عن عبادة العجل ف(تاب الله عليهم ثم عموا وصموا) كرة ثانية بطلبهم المحال غير المعقول فى صفات الله وهو الرؤية وقرئ عموا وصموا بالضم على تقدير عماهم الله وصمهم اى رماهم وضربهم بالعمى والصمم كما يقال نزكته اذا ضربته بالنيزك وركبته اذا ضربته بركبتك (كثير منهم) بدل من الضمير او على قولهم أكلونى البراغيث أو هو خبر مبتدأ محذوف اى أولئك كثير منهم * لم يفرق عيسى عليه الصلاة والسلام بينه وبينهم فى انه عبد مربوب كمثلهم وهو احتجاج على النصارى (انه من يشرك بالله) فى عبادته أو فيما هو مختص به من صفاته او افعاله (فقد حرم الله عليه الجنة) التى هى دار الموحدين اى حرمه دخولها ومنعه منه كما يمنع المحرم من المحرم عليه (وما للظالمين من انصار) من كلام الله على انهم ظلموا وعدلوا عن سبيل الحق فيما يقولوا على عيسى عليه السلام فلذلك لم يساعدهم عليه ولم ينصر قولهم وردوه وأنكروه وان كانوا معظمين له بذلك ورافعين من مقداره او من قول عيسى عليه السلام على معنى ولا ينصركم أحد فيما تقولون ولا يساعدكم عليه لاستحالته وبعده عن المعقول أو ولا ينصركم ناصر فى الآخرة من عذاب الله * من فى قوله (وما من اله الا اله واحد) للاستغراق وهى المقدرة مع لا التى لنفى الجنس فى قولك لا اله الا الله والمعنى وما اله قط فى الوجود الا اله موصوف بالوحدانية لا ثانى له وهو الله وحده لا شريك له ومن فى قوله (ليمسن الذين كفروا منهم) للبيان كالتى فى قوله تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان (فان قلت) فهلا قيل ليمسنهم عذاب اليم (قلت) فى اقامة الظاهر مقام المضمر فائدة وهى تكرير الشهادة عليهم بالكفر فى قوله لقد كفر الذين قالوا وفى البيان فائدة أخرى وهى الاعلام فى تفسير الذين كفروا منهم أنهم بمكان من الكفر والمعنى ليمسن الذين كفروا من النصارى خاصة (عذاب اليم) اى نوع شديد الالم من العذاب كما تقول اعطنى عشرين من الثياب تريد من الثياب خاصة لا من غيرها من الاجناس التى يجوز ان يتناولها عشرون ويجوز أن تكون للتبعيض على معنى ليمسن الذين بقوا على الكفر منهم لان كثيرا منهم تابوا من النصرانية (أفلا يتوبون) ألا يتوبون بعد هذه الشهادة المكررة عليهم بالكفر وهذا الوعيد الشديد مما هم عليه وفيه تعجيب من اصرارهم (والله غفور رحيم) يغفر لهؤلاء ان تابوا ولغيرهم (قد خلت من قبله الرسل) صفة لرسول اى ما هو الا رسول من جنس الرسل الذين خلوا من قبله جاء بآيات من الله كما أتوا بأمثالها ان ابرأ الله الابرص وأحيا الموتى على يده فقد احيا العصا وجعلها حية تسعى وفلق بها

و أمثاله كثيرة والله اعلم * قوله تعالى انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون (قال فان قلت مامعنى التراخي في قوله ثم انظر الخ) قال احمد ومنه ثم انتم هؤلاء تقتلون انفسكم وقوله فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر وهي في سائر هذه المواضع منقولة من التراخي الزماني الى التراخي المعنوي في المراتب * قوله تعالى يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا اهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل (قال معناه لا تغلوا في دينكم غلوا باطلا الخ) قال احمد يعني باهل العدل والتوحيد المعتزلة و يعني بغلوهم الذي هو حق عنده انهم غلوا في التوحيد فجحدوا الصفات الالهية وغلوا في

التعديل فنفوا أكثر الافعال بل كلها عن ان تكون مخلوقة لله تعالى لا نطوائها في مفاسد ولان الله تعالى يعاقب على ما هو قبيح منها والعدل عندهم ان لا يعاقب على فعل خلقه فهذا غلوهم في التعديل وهو كما ترى انه كاسد عن التوحيد لانهم جعلوا كل مخلوق من الحيوانات خالقا فالنصارى غلوا فأشركوا ثلاثة والمعتزلة كما رأيت اشركوا كل احد بل غير الآدميين في الخلق الذي هو خاص بالرب و يعني الزمخشري باهل البدع والاهواء من عد الطائفة المذكورة و يعني بغلوهم الباطل اثبات الصفات لله تعالى و توحيده على الحق حتى لا خالق سواه ولا مخلوق الا بقدرته وقد ترضي عن شياعته واخوانه وسكت عن ذكر من عداهم ونحن نقول اللهم ارض عمن هو احق الطوائف برضاك وهذه دعوة ايضا بلا خلاف والله الموفق

وأمه صديقة كانا يا كلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أني يؤفكون قل أتعبدون من دون الله مالا يملك لكم ضرا ولا نفعا والله هو السميع العليم قل يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا وضلوا عن سواء السبيل لعن الذين كفروا من بني اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون

البحر وطمس على يد موسى وان خلقه من غير ذكر فقد خلق آدم من غير ذكر ولا انثى (وامه صديقة) اى وما امه ايضا الا صديقة كبعض النساء المصدقات للانبياء المؤمنات بهم فما منزلتهما الا منزلة بشرين احدهما نبي والآخر صحابي فمن اين اشتبه عليكم امرهما حتى وصفتموهما بما لم يوصف به سائر الانبياء وصحابتهم مع انه لا تميز ولا تفاوت بينهما و بينهم بوجه من الوجوه * ثم صرح ببعدهما عما نسب اليهما في قوله (كانا يا كلان الطعام) لان من احتاج الى الاغتذاء بالطعام وما يتبعه من الهضم والنفض لم يكن الا جسما مركبا من عظم ولحم وعروق وأعصاب واخلاط وأمزجة مع شهوة وقرم وغير ذلك مما يدل على انه مصنوع مؤلف مدبر كغيره من الاجسام (كيف نبين لهم الآيات) اى الاعلام من الادلة الظاهرة على بطلان قولهم (أني يؤفكون) كيف يصرفون عن استماع الحق وتامله * (فان قلت) مامعنى التراخي في قوله ثم انظر (قلت) معناه مابين العجبين يعني انه بين لهم الآيات بيانا عجيبا وان اعراضهم عنها أعجب منه (مالا يملك) هو عيسي اى شيا لا يستطيع ان يضركم بمثل ما يضركم به الله من البلايا والمصائب في الانفس والاموال ولا ان ينفعكم بمثل ما ينفعكم به من صحة الابدان والسعة والخصب ولان كل ما يستطيعه البشر من المضار والمنافع فباقدار الله وتمكينه فكانه لا يملك منه شيا وهذا دليل قاطع على ان امره مناف للربوبية حيث جعله لا يستطيع ضرا ولا نفعا وصفة الرب ان يكون قادرا على كل شيء لا يخرج مقدور عن قدرته (والله هو السميع العليم) متعلق بأتعبدون اى اتشركون بالله ولا تخشونه وهو الذي يسمع ما تقولون و يعلم ما تعتقدون او اتعبدون العاجز والله هو السميع العليم الذي يصح منه ان يسمع كل مسموع و يعلم كل معلوم ولن يكون كذلك الا وهو حي قادر (غير الحق) صفة المصدر اى لا تغلوا في دينكم غلوا غير الحق اى غلوا باطلا لان الغلو في الدين غلوان غلو حق وهو ان يفحص عن حقائقه و يفتش عن أباعد معانيه و يجتهد في تحصيل حججه كما يفعل المتكلمون من اهل العدل والتوحيد رضوان الله عليهم وغلو باطل وهو ان يتجاوز الحق و يتخطاه بالاعراض عن الادلة واتباع الشبه كما يفعل أهل الاهواء والبدع (قد ضلوا من قبل) هم أئمتهم في النصرانية كانوا على الضلال قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم (وأضلوا كثيرا) ممن شايعهم على التثليث (وضلوا) لما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم (عن سواء السبيل) حين كذبوه وحسدوه و بغوا عليه * نزل الله لعنهم في الزبور (على لسان داود) وفي الانجيل على لسان عيسي وقيل ان اهل ايلة لما اعتدوا في السبت قال داود عليه السلام اللهم العنهم واجعلهم آية فمسخوا قردة ولما كفر اصحاب عيسي عليه السلام بعد المائدة قال عيسي عليه السلام اللهم عذب من كفر بعد ما أكل من المائدة عذابا لم تعذب به احدا من العالمين والعنهم كما لعنت أصحاب السبت فاصبحوا خنازير وكانوا خمسة آلاف رجل ما فيهم امرأة ولا صبي (ذلك بما عصوا) اى لم يكن ذلك اللعن الشنيع الذي كان سبب المسخ الا لاجل المعصية والاعتداء لا لشيء آخر ثم فسر المعصية والاعتداء بقوله (كانوا لا يتناهون) لا ينهي بعضهم بعضا (عن منكر فعلوه) ثم قال (لبئس ما كانوا يفعلون) للتعجيب من سوء فعلهم مؤكدا لذلك بالقسم فيا حسرة على المسلمين في اعراضهم عن باب التناهي عن المناكير وقلة عبئهم به كانه ليس من ملة الاسلام

قوله تعالى لعن الذين كفروا من بنى اسرائيل على لسان داود وعيسى بن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (قال ان قلت كيف وقع ترك التناهي الخ) قال احمد وفى هذا التوبيخ الاخبار بامر بن قبيحين أحدهما بانهم كانوا يفعلون المناكر والآخر انهم كانوا تاركين للنهى عنها أى عن أمثالها في المستقبل ولولا زيادة فعلوه لما صرح بوقوعها منهم ولكان المصرح به ترك النهى عن المنكر عند استحقاق النهى وذلك حين الاشراف على تعاطيه وظهور الامارات الدالة عليه فانتظم ثبوت الامرين جميعا على اخصر وجه وابلغه وقد دلت هذه الآية على المذهب الصحيح الاشعرى من ان متعلق النهي فعل وهو الترك خلافا لابى هاشم المعتزلى فى قوله ان متعلقه نفى محض وعدم صرف ووجه دلالة الآية على ان متعلقه فعل انه عبر عن ترك التناهي الذى وقع توبيخهم عليه بالفعل حيث قال لبئس ما كانوا يفعلون اى لبئس الترك للتناهي فعلا كما تقول زيد بئس الرجل فتجعل الرجل واقعا على زيد وقد سمي تركهم للنهي عن المنكر فى الآية السالفة قبل هذه صنعا فقال لولا ينهاهم الربانيون والاحبار الى قوله لبئس ما كانوا يصنعون وذلك أبلغ في الدلالة على ان متعلق النهي امر ثابت اذ الصنع أمكن من الفعل في الدلالة على الاثبات وقد مر هذا التقرير والله الموفق * قوله تعالى لتجدن اشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود الذين اشركوا ولتجدن اقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون (قال وصف الله تعالى شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الخ) قال احمد وانما قال الذين قالوا انا نصارى ولم يقل النصارى تعريضا بصلابة اليهود فى الكفر والامتناع من الامتثال للامر لان اليهود قيل لهم ادخلوا الارض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على ادباركم فقابلوا ذلك بان قالوا فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون والنصارى قالوا نحن انصار الله ومن ثم سموا نصارى وكذلك ايضا ورد اول هذه السورة ومن الذين قالوا انا نصارى اخذنا ميثاقهم فنسوا حظا مما ذكروا به فأسند ذلك الى قولهم والاشارة به الى قولهم نحن انصار الله لكنه ههنا ذكر تنبيها على انهم لم يثبتوا على الميثاق ولا على ما قالوه من انهم انصار الله وفى الآية الثانية ذكر تنبيها على انهم اقرب حالا من اليهود لانهم لما ورد عليهم الامر لم يكافحوه بالرد مكافحة اليهود بل قالوا نحن أنصار الله واليهود قالت فاذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون فهذا سره والله أعلم

ترى كثيرا منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم انفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل اليه ما اتخذوهم اولياء ولكن كثيرا منهم فاسقون لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن اقربهم مودة

فى شيء مع ما يتلون من كلام الله وما فيه من المبالغات فى هذا الباب (فان قلت) كيف وقع ترك التناهي عن المنكر تفسير المعصية والاعتداء (قلت) من قبل ان الله تعالى امر بالتناهي فكان الاخلال به معصية وهو اعتداء لان فى التناهى حسما للفساد فكان تركه على عكسه (فان قلت) مامعنى وصف المنكر بفعلوه ولا يكون النهى بعد الفعل (قلت) معناه لا يتناهون عن معاودة منكر فعلوه او عن مثل منكر فعلوه او عن منكر ارادوا فعله كما ترى امارات الخوض فى الفسق وآلاته تسوى وتهيا فتنكر ويجوز ان يراد لا ينتهون ولا يمتنعون عن منكر فعلوه بل يصبرون عليه ويداومون على فعله يقال تناهي عن الامر وانتهى عنه اذا امتنع منه وتركه (ترى كثيرا منهم) هم منافقوا اهل الكتاب كانوا يوالون المشركين ويصافونهم (أن سخط الله عليهم) هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كانه قيل لبئس زادهم الى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله (ولو كانوا يؤمنون) ايمانا خالصا غير نفاق ما اتخذوا المشركين (أولياء) يعنى ان موالاة المشركين كفى بها دليلا على نفاقهم وان ايمانهم ليس بايمان (ولكن كثيرا منهم فاسقون) متمردون فى كفرهم ونفاقهم وقيل معناه ولو كانوا يؤمنون بالله وموسى كما يدعون ما اتخذوا المشركين اولياء كما لم يوالهم المسلمون * وصف الله شدة شكيمة اليهود وصعوبة اجابتهم الى الحق ولين عريكة النصارى وسهولة ارعوائهم وميلهم الى الاسلام وجعل اليهود قرناء المشركين فى شدة العداوة للمؤمنين بل نبه على تقدم قدمهم فيها بتقديمهم على الذين اشركوا وكذلك فعل فى قوله ولتجدنهم احرص الناس على حياة ومن الذين اشركوا ولعمرى انهم لكذلك واشد وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما خلا يهوديان بمسلم الا هما بقتله * وعلل سهولة مأخذ النصارى وقرب مودتهم للمؤمنين (بان منهم قسيسين ورهبانا) اى علماء وعبادا (وانهم) قوم فيهم تواضع واستكانة ولا كبر فيهم واليهود على خلاف ذلك وفيه دليل بين على ان التعلم انفع شيء واهداه الى الخير وأدله على الفوز حتى علم القسيسين وكذلك غم الآخرة والتحدث بالعاقبة وان كان فى راهب والبراءة من الكبر وان كانت فى نصراني * ووصفهم الله برقة القلوب وانهم يبكون عند استماع القرآن وذلك نحو ما يحكي عن النجاشي رضي الله عنه انه قال لجعفر بن ابى طالب حين اجتمع فى مجلسه المهاجرون الى الحبشة والمشركين لعنوا وهم يغرونه عليهم ويتطلبون عنتهم عنده هل فى كتابكم ذكر مريم قال جعفر فيه سورة تنسب اليها فقرأها الى قوله ذلك عيسى ابن مريم وقرأ سورة طه الى قوله وهل اتاك حديث موسي فبكى النجاشي وكذلك فعل قومه الذين وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم سبعون رجلا حين قرأ عليهم رسول الله صلي الله عليه وسلم سورة يس فبكوا

* عاد كلامه (قال ان قلت ما معنى قوله ترى أعينهم تفيض من الدمع الخ) قال أحمد وهذه العبارة من أبلغ العبارات وأنهاها وهي ثلاث مراتب فالاولى فاض دمع عينه وهذا هو الاصل والثانية محولة من هذه وهي قول القائل فاضت عينه دمعا حولت الفعل الى العين مجازا ومبالغة ثم نبهت على الاصل والحقيقة بنصب ما كان فاعلا على التمييز والثالثة فيها هذا التحويل المذكور وهي الواردة في الآية الا انها أبلغ من الثانية باطراح المنبهة على الاصل وعدم نصب التمييز وابرازه في صورة التعليل والله أعلم وانما كان الكلام مع التعليل أبعد عن الأصل منه مع التمييز لان التمييز في مثله قد استقر كونه فاعلا في الأصل في مثل تصبب زيد عرقا وتفقأ عمرو شحما واشتعل الرأس شيبا وتفجرت الأرض عيونا فاذا قلت فاضت عينه دمعا فهم هذا الأصل في العادة في أمثاله واما التعليل فلم يعهد فيه ذلك الاتراك تقول فاضت عينه من ذكر الله كما تقول فاضت عينه من الدمع فلا يفهم التعليل مايفهم التمييز والله الموفق .

للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وانهم لا يستكبرون واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ..

(فان قلت) بم تعلقت اللام في قوله (للذين آمنوا) (قلت) بعداوة ومودة على ان عداوة اليهود التى اختصت المؤمنين اشد العداوات واظهرها وان مودة النصارى التى اختصت المؤمنين أقرب المودات وأدناها وجودا وأسهلها حصولا ووصف اليهود بالعداوة والنصارى بالمودة مما يؤذن بالتفاوت ثم وصف العداوة والمودة بالاشد والاقرب * (فان قلت) ما معنى قوله (تفيض من الدمع) (قلت) معناه تمتلئ من الدمع حتى تفيض لان الفيض ان يمتلئ الاناء او غيره حتى يطلع ما فيه من جوانبه فوضع الفيض الذى هو من الامتلاء موضع الامتلاء وهو من اقامة المسبب مقام السبب او قصدت المبالغة فى وصفهم بالبكاء فجعلت أعينهم كانها تفيض بأنفسها أى تسيل من الدمع من أجل البكاء من قولك دمعت عينه دمعا (فان قلت) أى فرق بين من ومن فى قوله (مما عرفوا من الحق) (قلت) الاولى لابتداء الغاية على ان فيض الدمع ابتدئ ونشأ من معرفة الحق وكان من أجله وبسببه والثانية لتبيين الموصول الذى هو ما عرفوا وتحتمل معنى التبعيض على أنهم عرفوا بعض الحق فأبكاهم وبلغ منهم فكيف اذا عرفوه كله وقرؤا القرآن وأحاطوا بالسنة * وقرئ ترى أعينهم على البناء للمفعول (ربنا آمنا) المراد به انشاء الايمان والدخول فيه (فاكتبنا مع الشاهدين) مع أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم شهداء على سائر الامم يوم القيامة لتكونوا شهداء على الناس وقالوا ذلك لانهم وجدوا ذكرهم فى الانجيل كذلك (وما لنا لا نؤمن بالله) انكار استبعاد لانتفاء الايمان مع قيام موجبه وهو الطمع فى انعام الله عليهم بصحبة الصالحين وقيل لما رجعوا الى قومهم لاموهم فأجابوهم بذلك أو أرادوا وما لنا لا نؤمن بالله وحده لانهم كانوا مثلثين وذلك ليس بايمان بالله ومحل لا نؤمن النصب على الحال بمعنى غير مؤمنين كقولك مالك قائما والواو فى (ونطمع) واو الحال (فان قلت) ما العامل فى الحال الاولى والثانية (قلت) العامل فى الاولى ما فى اللام من معنى الفعل كانه قيل أى شئ حصل لنا غير مؤمنين وفى الثانية معنى هذا الفعل ولكن مقيدا بالحال الاولى لانك لو أزلتها وقلت وما لنا ونطمع لم يكن كلاما ويجوز ان يكون ونطمع حالا من لا نؤمن على أنهم أنكروا على نفوسهم أنهم لا يوحدون الله ويطمعون مع ذلك ان يصحبوا الصالحين وان يكون معطوفا على لا نؤمن على معنى وما لنا نجمع بين التثليث وبين الطمع فى صحبة الصالحين او على معنى وما لنا لا نجمع بينهما بالدخول فى الاسلام لان الكافر ما ينبغى له ان يطمع في صحبة الصالحين * قرأ الحسن فآتاهم الله (بما قالوا) بما تكلموا به عن اعتقاد واخلاص من قولك هذا قول فلان أى اعتقاده وما يذهب اليه (طيبات ما احل الله لكم) ما طاب ولذ من الحلال ومعنى لا تحرموا لا تمنعوها أنفسكم كمنع التحريم أو لا تقولوا حرمناها على أنفسنا مبالغة منكم فى العزم على تركها تزهدا منكم وتقشفا وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وصف القيامة يوما لاصحابه فبالغ وأشبع الكلام فى الانذار فرقوا واجتمعوا فى بيت عثمان بن مظعون واتفقوا على ان لا يزالوا صائمين قائمين وان لا يناموا على الفرش ولا يأكلوا اللحم والودك ولا يقربوا النساء والطيب ويرفضوا الدنيا ويلبسوا المسوح ويسيحوا فى الارض ويجبوا مذاكيرهم فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم انى لم اومر بذلك ان لانفسكم عليكم حقا فصوموا وأفطروا وقوموا وناموا فانى أقوم وأنام وأصوم وأفطر وآكل اللحم والدسم وآتى النساء فمن رغب عن سنتى فليس منى ونزلت وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل الدجاج والفالوذ وكان يعجبه الحلواء والعسل وقال ان المؤمن حلو يحب الحلاوة وعن ابن مسعود ان رجلا قال له انى حرمت الفراش فتلا هذه الآية وقال نم على فراشك وكفر عن يمينك وعن الحسن أنه دعي الى طعام ومعه فرقد السنجى وأصحابه فقعدوا على المائدة وعليها الالوان من الدجاج المسمن والفالوذ وغير ذلك فاعتزل فرقد ناحية

ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين وكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واتقوا الله الذى انتم به مؤمنون لا يؤاخذكم الله باللغو فى أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدتم الايمان فكفارته اطعام عشرة مساكين من اوسط ما تطعمون اهليكم أوكسوتهم او تحرير رقبة فمن لم يجد فصيام ثلاثة ايام ذلك كفارة ايمانكم اذا حلفتم واحفظوا ايمانكم

فسأل الحسن اهو صائم قالوا لا ولكنه يكره هذه الالوان فأقبل الحسن عليه وقال يا لكع أترى لعاب النحل بلباب البر بخالص السمن يعيبه مسلم وعنه انه قيل له فلان لا يأكل الفالوذ ويقول لا أؤدي شكره قال أفيشرب الماء البارد قالوا نعم قال انه جاهل ان نعمة الله عليه فى الماء البارد أكثر من نعمته عليه فى الفالوذ وعنه ان الله تعالى أدب عباده فأحسن أدبهم قال الله تعالى لينفق ذو سعة من سعته ما عاب الله قوما وسع عليهم الدنيا فتنعموا وأطاعوا ولا عذر قوما زواها عنهم فعصوه (ولا تعتدوا) ولا تتعدوا حدود ما احل الله لكم الى ما حرم عليكم او ولا تسرفوا في تناول الطيبات أوجعل تحريم الطيبات اعتداء وظلما فنهى عن الاعتداء ليدخل تحته النهي عن تحريمها دخولا اوليا لوروده على عقبه او اراد ولا تعتدوا بذلك (وكلوا مما رزقكم الله) اى من الوجوه الطيبة التي تسمى رزقا (حلالا) حال مما رزقكم الله (واتقوا الله) تأكيد للتوصية بما امر به وزاده تأكيدا بقوله (الذى انتم به مؤمنون) لان الايمان به يوجب التقوى فى الانتهاء الى ما امر به وعما نهى عنه * اللغو فى اليمين الساقط الذى لا يتعلق به حكم واختلف فيه فعن عائشة رضى الله عنها انها سئلت عنه فقالت هو قول الرجل لا والله بلى والله وهو مذهب الشافعى وعن مجاهد هو الرجل يحلف على الشيء يرى انه كذلك وليس كما ظن وهو مذهب ابي حنيفة رحمه الله (بما عقدتم الايمان) بتعقيدكم الايمان وهو توثيقها بالقصد والنية وروى ان الحسن رضي الله عنه سئل عن لغو اليمين وكان عنده الفرزدق فقال يا ابا سعيد دعني أجب عنك فقال

ولست بمأخوذ بلغو تقوله * اذا لم تعمد عاقدات العزائم

وقرئ عقدتم بالتخفيف وعاقدتم والمعنى ولكن يؤاخذكم بما عقدتم اذا حنثتم فحذف وقت المؤاخذة لانه كان معلوما عندهم او بنكث ما عقدتم فحذف المضاف (فكفارته) فكفارة نكثه والكفارة الفعلة التي من شأنها ان تكفر الخطيئة اى تسترها (من اوسط ما تطعمون) من اقصده لان منهم من يسرف فى اطعام اهله ومنهم من يقتر وهو عند ابي حنيفة رحمه الله نصف صاع من بر او صاع من غيره لكل مسكين أو يغديهم ويعشيهم وعند الشافعى رحمه الله مد لكل مسكين * وقرأ جعفر بن محمد أهاليكم بسكون الياء والاهالى اسم جمع لاهل كالليالى فى جمع ليلة والاراضى فى جمع أرض وقولهم أهلون كقولهم ارضون بسكون الراء وأما تسكين الياء فى حال النصب فللتخفيف كما قالوا رأيت معديكرب تشبيها للياء بالالف (أوكسوتهم) عطف على محل من أوسط وقرئ بضم الكاف ونحوه قدوة فى قدوة وأسوة في اسوة والكسوة ثوب يغطي العورة وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت العباءة تجزئ يومئذ وعن ابن عمر ازار أو قميص أو رداء او كساء وعن مجاهد ثوب جامع وعن الحسن ثوبان ابيضان وقرأ سعيد بن المسيب واليماني او كاسوتهم بمعنى او مثل ما تطعمون أهليكم اسرافا كان او تقتيرا لا تقصونهم عن مقدار نفقتهم ولكن تساوون بينهم وبينهم (فان قلت) ما محل الكاف (قلت) الرفع تقديره او طعامهم كاسوتهم بمعنى كمثل طعامهم ان لم يطعموهم الاوسط (او تحرير رقبة) شرط الشافعى رحمه الله الايمان قياسا على كفارة القتل واما ابو حنيفة واصحابه فقد جوزوا تحرير الرقبة الكافرة فى كل كفارة سوى كفارة القتل (فان قلت) ما معنى أو (قلت) التخيير وايجاب احدى الكفارات الثلاث على الاطلاق بأيتها اخذ المكفر فقد اصاب (فمن لم يجد) احداها (فصيام ثلاثة ايام) متتابعات عند ابى حنيفة رحمه الله تمسكا بقراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما فصيام ثلاثة ايام متتابعات وعن مجاهد كل صوم متتابع الا قضاء رمضان ويخير فى كفارة اليمين (ذلك) المذكور (كفارة ايمانكم) ولو قيل تلك كفارة ايمانكم لكان صحيحا بمعنى تلك الاشياء أو لتأنيث الكفارة والمعنى (اذا حلفتم) وحنثتم فترك ذكر الحنث لوقوع العلم بان الكفارة انما تجب بالحنث فى الحلف لا بنفس الحلف والتكفير قبل الحنث لا يجوز عند ابى حنيفة واصحابه ويجوز عند الشافعى بالمال اذا لم يعص الحانث (واحفظوا أيمانكم) فبروا فيها ولا تحنثوا اراد الايمان

*قوله تعالى ذلك كفارة أيمانكم اذا حلفتم (قال المشار اليه هو المذكور فيما تقدم ولو قيل الخ) قال احمد بل فى هذه الآية وجه لطيف المأخذ فى الدلالة على صحة وقوع الكفارة بعد اليمين وقبل الحنث وهو المشهور من مذهب مالك وبيان الاستدلال بها انه جعل ما بعد الحلف ظرفا لوقوع الكفارة المعتبرة شرعا حيث اضاف اذا الى مجرد الحلف وليس فى الآية ايجاب الكفارة حتى يقال قد اتفق على انها انما تجب بالحنث فتعين تقديره مضافا الى الحلف بل انما نطقت بشرعية الكفارة ووقوعها على وجه الاعتبار اذ لا يعطي قوله ذلك كفارة ايمانكم ايجابا وانما يعطي صحة واعتبارا والله اعلم وهذا انتصار على من منع التكفير قبل الحنث مطلقا وان كانت اليمين على بر والاقوال الثلاثة فى مذهب مالك الا ان القول المنصور هو المشهور *عاد كلامه (قال واحفظوا ايمانكم اى فبروا فيها الخ) قال احمد وفى هذا التأويل اشعار بأن الشارع فى صورة اليمين بعد تحقق أصلها يشدد عليه ويؤاخذ بالاحوط فارشده الله الى حفظ اليمين لئلا يفضي امره الى التى

ان يلزم في ظاهر الامر على وجه الاحتياط مالم يصدر منه في علم الله تعالى كالذي يحلف بالطلاق و ينسى هل قيده بالثلاث مثلا أو أطلقه فيلزمه الثلاث على المذهب المشهور و يحتمل أن يكون في علم الله تعالى انه انما حلف بالطلاق مطلقا فارشد الى الحنفظ لئلا يجره النسيان الى هذا التشديد و المراد بالايمان كل ماينطلق عليه يمين سواء كان حلفا بالله أو بغيره مما يلزم في الشرع حكما والله اعلم * قوله تعالى انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر

التي الحنث فيها معصية لان الايمان اسم جنس يجوز اطلاقه على بعض الجنس وعلى كله وقيل احفظوها بأن تكفروها وقيل احفظوها كيف حلفتم بها ولا تنسوها تهاونا بها (كذلك) مثل ذلك البيان (يبين الله لكم آياته) اعلام شريعته وأحكامه (لعلكم تشكرون) نعمته فيما يعلمكم و يسهل عليكم المخرج منه * أكد تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها تصدير الجملة بانما ومنها انه قرنهما بعبادة الاصنام ومنه قوله عليه الصلاة والسلام شارب الخمر كعابد الوثن ومنها انه جعلهما رجسا كما قال تعالى فاجتنبوا الرجس من الاوثان ومنها انه جعلهما من عمل الشيطان والشيطان لا يأتي منه الا الشر البحت ومنها أنه امر بالاجتناب ومنها انه جعل الاجتناب من الفلاح واذا كان الاجتناب فلاحا كان الارتكاب خيبة ومحقة ومنها انه ذكر ماينتج منهما من الوبال وهو وقوع التعادي والتباغض من أصحاب الخمر والقمر ومايؤديان اليه من الصد عن ذكر الله وعن مراعاة أوقات الصلاة وقوله (فهل أنتم منتهون) من أبلغ ماينهي به كانه قيل قد تلي عليكم مافيهما من أنواع الصوارف والموانع فهل أنتم مع هذه الصوارف منتهون أم أنتم على ما كنتم عليه كان لم توعظوا ولم تزجروا *(فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله فاجتنبوه (قلت) الى المضاف المحذوف كانه قيل انما شأن الخمر والميسر أو تعاطيهما أو ما اشبه ذلك ولذلك قال رجس من عمل الشيطان (فان قلت) لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب والازلام أولا ثم افردهما آخرا (قلت) لان الخطاب مع المؤمنين وانما نهاهم عما كانوا يتعاطونه من شرب الخمر واللعب بالميسر وذكر الانصاب والازلام لتأكيد تحريم الخمر والميسر واظهار ان ذلك جميعا من أعمال الجاهلية واهل الشرك فوجب اجتنابه باسره وكانه لا مباينة بين من عبد صنما واشرك بالله في علم الغيب و بين من شرب خمرا أو قامر ثم أفردهما بالذكر ليرى ان المقصود بالذكر الخمر والميسر * وقوله وعن الصلاة اختصاص للصلاة من بين الذكر كانه قيل وعن الصلاة خصوصا (واحذروا) وكونوا حذرين خاشين لأنهم اذا حذروا دعاهم الحذر الى اتقاء كل سيئة وعمل كل حسنة و يجوز ان يراد واحذروا ماعليكم في الخمر والميسر اوفي ترك طاعة الله والرسول (فان توليتم فاعلموا) أنكم لم تضروا بتوليكم الرسول لان الرسول ماكلف الا البلاغ المبين بالآيات وانما ضررتم أنفسكم حين أعرضتم عما كلفتم * رفع الجناح عن المؤمنين في أي شيء طعموه من مستلذات المطاعم ومشتهياتها (اذا ما اتقوا) ماحرم عليهم منها (وآمنوا) وثبتوا على الايمان والعمل الصالح وازدادوه (ثم اتقوا وآمنوا) ثم ثبتوا على التقوى والايمان (ثم اتقوا وأحسنوا) ثم ثبتوا على اتقاء المعاصي وأحسنوا أعمالهم أو أحسنوا الى الناس واسوهم بما رزقهم الله من الطيبات وقيل لما نزل تحريم الخمر قالت الصحابة يارسول الله فكيف باخواننا الذين ماتوا وهم يشربون الخمر و يأكلون مال الميسر فنزلت يعني ان المؤمنين لاجناح عليهم في أي شيء طعموه من المباحات اذا ما اتقوا المحارم ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا على معنى ان أولئك كانوا على هذه الصفة ثناء عليهم وحمدا لاحوالهم في الايمان والتقوى والاحسان ومثاله ان يقال لك هل على زيد فيما فعل جناح فتقول وقد علمت ان ذلك أمر مباح ليس على احد جناح في المباح اذا اتقي المحارم وكان مؤمنا محسنا تريد ان زيدا تقي مؤمن محسن وانه غير مؤاخذ بما فعل * نزلت عام

كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والانصاب والازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون انما يريد الشيطان ان يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلوة فهل أنتم منتهون وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا فان توليتم فاعلموا انما على رسولنا البلاغ المبين ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اذا ما اتقوا وآمنوا وعملوا الصالحات ثم اتقوا وآمنوا ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله ايديكم ورماحكم

ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل انتم منتهون (قال أكد الله تحريم الخمر والميسر وجوها من التأكيد منها الخ) قال أحمد و يجوز عود الضمير الى الرجس الذي انطوى على سائر ماذكر والله أعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جمع الخمر والميسر مع الانصاب الخ) قال احمد و يرشد الى ان المقصود الخمر والميسر خاصة لانهم انما كانوا يتعاطونهما خاصة الآية الاخرى وهي قوله يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما اثم كبير ومنافع للناس واثمهما أكبر من نفعهما فخصهما بالذكر ولم يثبت النهي عنهما فلذلك ورد ان قوما تركوها لما فيها من الاثم وقوما بقوا على تعاطيها لما فيها من المنافع ثم نزلت هذه الآية جازمة بالنهي والله اعلم

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم (قال ان قلت ما معنى التقليل والتصغير الخ) قال احمد وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتن العظيمة في قوله تعالى ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التى يستحق الصابر عليها ان يبشر لانه صبر على عظيم فقول الزمخشري اذا انه قلل وصغر تنبيها على ان هذه الفتنة ليست من الفتن العظام مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها والظاهر والله أعلم ان المراد بما شعر به اللفظ من التقليل والتصغير التنبيه على ان جميع مايقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة الى مقدور الله تعالى وانه تعالى قادر على ان يكون مايبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع واهول وانه مهما اندفع عنهم مما هو اعظم في المقدور فانما يدفعه عنهم الى ماهو أخف واسهل لطفا بهم ورحمة ليكون هذا التنبيه باعثا لهم على الصبر وحاملا على الاحتمال والذى يرشد الى ان هذا المراد ان سبق التوعد بذلك لم يكن الا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه فيكون ايضا باعثا على تحمله لان مفاجأة المكروه بغتة اصعب والانذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه وحاصل ذلك لطف

ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم يحكم به ذوا عدل منكم

الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم محرمون وكثر عندهم حتى كان يغشاهم فى رحالهم فيستمكنون من صيده أخذا بايديهم وطعنا برماحهم (ليعلم الله من يخافه بالغيب) ليتميز من يخاف عقاب الله وهو غائب منتظر فى الآخرة فيتقى الصيد ممن لايخافه فيقدم عليه (فمن اعتدى) فصاد (بعد ذلك) الابتلاء فالوعيد لاحق به * (فان قلت) مامعنى التقليل والتصغير فى قوله بشيء من الصيد (قلت) قلل وصغر ليعلم انه ليس بفتنة من الفتن العظام التى تدحض عندها أقدام الثابتين كالابتلاء ببذل الارواح والاموال وانما هو شبيه بما ابتلى به أهل ايلة من صيد السمك وانهم اذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عند ماهو أشد منه * وقرأ ابراهيم يناله بالياء (حرم) محرمون جمع حرام كردح فى جمع رداح * والتعمد ان يقتله وهو ذاكر لاحرامه أوعالم ان مايقتله مما يحرم عليه قتله فان قتله وهو ناس لاحرامه أورمى صيدا وهو يظن أنه ليس بصيد فاذا هو صيد أوقصد برميه غير صيد فعدل السهم عن رميته فأصاب صيدا فهو مخطىء (فان قلت) فمحظورات الاحرام يستوى فيها العمد والخطأ فما بال التعمد مشروطا فى الآية (قلت) لان مورد الآية فيمن تعمد فقد روى انه عن لهم فى عمرة الحديبية حمار وحش فحمل عليه أبو اليسر فطعنه برمحه فقتله فقيل له انك قتلت الصيد وأنت محرم فنزلت ولان الاصل فعل التعمد والخطأ لاحق به للتغليظ ويدل عليه قوله تعالى ليذوق وبال أمره ومن عاد فينتقم الله منه وعن الزهرى نزل الكتاب بالعمد ووردت السنة بالخطأ وعن سعيد بن جبير لا أرى فى الخطأ شيأ أخذا باشتراط العمد فى الآية وعن الحسن روايتان (فجزاء مثل ماقتل) برفع جزاء ومثل جميعا بمعنى فعليه جزاء يماثل ماقتل من الصيد وهو عند أبى حنيفة قيمة الصيد يقوم حيث صيد فان بلغت قيمته ثمن هدى تخير بين أن يهدى من النعم ماقيمته قيمة الصيد وبين أن يشترى بقيمته طعاما فيعطى كل مسكين نصف صاع من بر أو صاعا من غيره وان شاء صام عن طعام كل مسكين يوما فان فضل مالا يبلغ طعام مسكين صام عنه يوما أو تصدق به وعند محمد والشافعى رحمهما الله مثله نظيره من النعم فان لم يوجد له نظير من النعم عدل الى قول أبى حنيفة رحمه الله * (فان قلت) فما يصنع من يفسر المثل بالقيمة بقوله (من النعم) وهو تفسير للمثل وبقوله هديا بالغ الكعبة (قلت) قد خير من اوجب القيمة بين ان يشترى بها هديا أوطعاما او يصوم كما خير الله تعالى فى الآية فكان قوله من النعم بيانا للهدى المشترى بالقيمة فى أحد وجوه التخيير لان من قوم الصيد واشترى بالقيمة هديا فأهداه فقد جزى بمثل ماقتل من النعم على ان التخيير الذى فى الآية بين ان يجزى بالهدى او يكفر بالاطعام او بالصوم انما يستقيم استقامة ظاهرة بغير تعسف اذا قوم ونظر بعد التقويم اى الثلاثة يختار فأما اذا عمد الى النظير وجعله الواجب وحده من غير تخيير فاذا كان شيأ لا نظير له قوم حينئذ ثم يخير بين الاطعام والصوم ففيه نبو عما فى الآية ألا ترى الى قوله تعالى او كفارة طعام مساكين او عدل ذلك صياما كيف خير بين الاشياء الثلاثة ولا سبيل الى ذلك الا بالتقويم * وقرأ عبد الله فجزاؤه مثل ماقتل وقرئ فجزاء مثل ماقتل على الاضافة وأصله فجزاء مثل ماقتل بنصب مثل بمعنى فعليه أن يجزى مثل ماقتل ثم اضيف كما تقول عجبت من ضرب زيدا ثم من ضرب زيد وقرأ السلمى على الأصل وقرأ محمد بن مقاتل فجزاء مثل ماقتل بنصبهما بمعنى فليجز جزاء مثل ماقتل * وقرأ الحسن من النعم بسكون العين استثقل الحركة على حرف الحلق فسكنه (يحكم به) بمثل ماقتل (ذوا عدل منكم) حكمان عادلان من المسلمين قالوا وفيه دليل على ان المثل القيمة لان التقويم مما يحتاج الى النظر والاجتهاد دون الاشياء المشاهدة وعن قبيصة انه أصاب ظبيا وهو محرم فسأل عمر فشاور عبد الرحمن بن عوف ثم أمره بذبح شاة فقال قبيصة لصاحبه والله ماعلم أمير المؤمنين حتى سأل غيره فاقبل عليه ضربا بالدرة وقال أتغمص الفتيا وتقتل الصيد وأنت محرم قال الله تعالى يحكم به

ذوا عدل منكم فاناعمر وهذا عبد الرحمن وقرأ محمد بن جعفر ذو عدل منكم اراد يحكم به من يعدل منكم ولم يرد الوحدة وقيل اراد الامام (هديا) حال عن جزاء فيمن وصفه بمثل لان الصفة خصصته فقربته من المعرفة او بدل عن مثل فيمن نصبه او عن محله فيمن جره ويجوز ان ينتصب حالا عن الضمير في به * ووصف هديا بـ(بالغ الكعبة) لان اضافته غير حقيقية ومعنى بلوغه الكعبة ان يذبح بالحرم فاما التصدق به فحيث شئت عند ابي حنيفة وعند الشافعي في الحرم * (فان قلت) بم يرفع (كفارة) من ينصب جزاء (قلت) يجعلها خبر مبتدا محذوف كانه قيل او الواجب عليه كفارة او يقدر فعليه ان يجزي جزاء او كفارة فيعطفها على ان يجزي *وقرئ او كفارة طعام مساكين على الاضافة وهذه الاضافة مبينة كانه قيل او كفارة من طعام مساكين كقولك خاتم فضة بمعنى خاتم من فضة وقرأ الاعرج او كفارة طعام مسكين وانما وحد لانه واقع موقع التبيين فاكتفى بالواحد الدال على الجنس * وقرئ او عدل ذلك بكسر العين والفرق بينهما ان عدل الشيء ما عادله من غير جنسه كالصوم والاطعام وعدله ما عدل به في المقدار ومنه عدلا الحمل لان كل واحد منهما عدل بالآخر حتى اعتدلا كان المفتوح تسمية بالمصدر والمكسور بمعنى المفعول به كالذبح ونحوه ونحوهما الحمل والحمل و(ذلك) اشارة الى الطعام (وصياما) تمييز للعدل كقولك لي مثله رجلا والخيار في ذلك الى قاتل الصيد عند ابي حنيفة وابي يوسف وعند محمد الى الحكمين (ليذوق) متعلق بقوله فجزاء اي فعليه ان يجازي او يكفر ليذوق سوء عاقبة هتكه لحرمة الاحرام * والوبال المكروه والضرر الذي يناله في العاقبة من عمل سوء لثقله عليه كقوله تعالى فاخذناه اخذا وبيلا ثقيلا والطعام الوبيل الذي يثقل على المعدة فلا يستمرأ (عفى الله عما سلف) لكم من الصيد في حال الاحرام قبل ان تراجعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتسألوه عن جوازه وقيل عما سلف لكم في الجاهلية منه لانهم كانوا متعبدين بشرائع من قبلهم وكان الصيد فيها محرما (ومن عاد) الى قتل الصيد وهو محرم بعد نزول النهي (فينتقم الله منه) ينتقم خبر مبتدا محذوف تقديره فهو ينتقم الله منه ولذلك دخلت الفاء ونحوه فمن يؤمن بربه فلا يخاف يعني ينتقم منه في الآخرة واختلف في وجوب الكفارة على العائد فمن عطاء وابراهيم وسعيد بن جبير والحسن وجوبها وعليه عامة العلماء وعن ابن عباس وشريح انه لا كفارة عليه تعلقا بالظاهر وانه لم يذكر الكفارة (صيد البحر) مصيدات البحر مما يؤكل ومما لا يؤكل (وطعامه) وما يطعم من صيده والمعنى احل لكم الانتفاع بجميع ما يصاد في البحر واحل لكم أكل المأكول منه وهو السمك وحده عند ابي حنيفة وعند ابن ابي ليلى جميع ما يصاد منه على ان تفسير الآية عنده احل لكم صيد حيوان البحر وان تطعموه (متاعا لكم) مفعول له أي احل لكم تمتيعا لكم وهو في المفعول له بمنزلة قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب نافلة في باب الحال لان قوله متاعا لكم مفعول له مختص بالطعام كما ان نافلة حال مختصة بيعقوب يعني احل لكم طعامه تمتيعا لتنائكم ٣ يأكلون طريا ولسيارتكم يتزودونه قديدا كما تزود موسى عليه السلام الحوت في مسيره الى الخضر عليهما السلام * وقرئ وطعمه * وصيد البر ما صيد فيه وهو ما يفرخ فيه وان كان يعيش في الماء في بعض الاوقات كطير الماء عند ابي حنيفة واختلف فيه فمنهم من حرم على المحرم كل شيء يقع عليه اسم الصيد وهو قول عمر وابن عباس وعن ابي هريرة وعطاء ومجاهد وسعيد بن جبير انهم اجازوا للمحرم اكل ما صاده الحلال وان صاده لاجله اذا لم يدل ولم يشر وكذلك ما ذبحه قبل احرامه وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله وعند مالك والشافعي واحمد رحمهم الله لا يباح له ما صيد لاجله (فان قلت) ما يصنع ابو حنيفة بعموم قوله صيد البر (قلت) قد اخذ ابو حنيفة رحمه الله بالمفهوم من قوله (وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما) لان ظاهره انه صيد المحرمين دون صيد غيرهم لانهم هم المخاطبون فكانه قيل وحرم عليكم ما صدتم في البر فيخرج منه مصيد غيرهم ومصيدهم حين كانوا غير محرمين ويدل عليه قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه وحرم عليكم صيد البر اي الله عز وجل وقرئ ما دمتم بكسر الدال فيمن يقول دام يدام (البيت الحرام) عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح

هديا بالغ الكعبة او كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياما ليذوق وبال امره عفى الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعا لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما واتقوا الله الذي اليه تحشرون جعل الله الكعبة البيت الحرام

في القضاء فسبحان اللطيف بعباده واذا فكر العاقل فيما يبتلي به من انواع البلايا وجد المندفع عنه منها أكثر الى ما لا يقف عند غاية فنسأل الله العفو والعافية واللطف في المقدور *قوله تعالى وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حرما (قال اختلف في المراد بالتحريم الخ) قال احمد وتخصيص عموم الآية لازم على كلا الطائفتين لان مالكا رضي الله عنه يجيز أكل المحرم لصيد البر اذا صاده حلال لنفسه او لحلال فلا بد اذا على مذهبه من تخصيص العموم المخصوص غاية ذلك ان صورة التخصيص على مذهب ابي حنيفة

٣(قوله لتنائكم) التناء كرمان المقيمون جمع تانئ من تنأ بالمكان أقام اهـ سيد بزياده

تكون أكثر منها على مذهب مالك لانه يجيز أكل ماصاده الحلال من اجل المحرم كما نقله عنه فيزيد على مذهب مالك بهذه الصورة والله اعلم * قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد الآية (قال معنى قياما للناس انتعاشا لهم فى أمر دينهم ودنياهم الخ) قال احمد فى هذه الآية مايعد تأويله من التأويلات الثلاثة المذكورة فى قوله أول هذه السورة لاتحلوا شعائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهدى ولا القلائد فان حمل القلائد ثم على ظاهرها وتأويل صرف الاحلال الى مواقعها من المقلد كقوله ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها يريد مواقع الزينة والنهى عن احلال القلائد يشبه كأنه قال لاتحلوا قلائدها فضلا عنها معتذر فى هذه الآية لانها وردت فى سياق الامتنان بما جعله الله قياما للناس من هذه الامور المعدودة وقد خص المنة بالبدن فى قوله والبدن جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير الآية ولا يليق بسياق الامتنان الخروج من الاعلى الى الادنى حتى يقع الامتنان بالمقلد ثم بالقلائد فذلك لائق فى سياق النهى ان يخرج من النهى عن الاعلى الى التشديد بالنهى عن الادنى واما التأويل الآخر وهو بقاء القلائد على حقيقتها وصرف الاحلال المنهى عنه اليها حقيقة اى لاتتعرضوا للقلائد ولاتنتفعوا بها كما قال عليه الصلاة والسلام ألق قلائدها فى دمها وخل بين الناس وبينها فمتعذر ايضا بما بعد به الذى قبله واما التأويل الثالث وهو حملها على ذوات القلائد فلائق بالآيتين فيتعين المصير اليه ومن ثم لم يذكر الزمخشرى فى هذه الآية سواه ووجه صلاحيته

قياما للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد ذلك لتعلموا أن الله يعلم ما فى السموات وما فى الارض وأن الله بكل شيء عليم اعلموا أن الله شديد العقاب وان الله غفور رحيم ما على الرسول الا البلاغ والله يعلم ما تبدون وما تكتمون قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو أعجبك كثرة الخبيث فاتقوا الله يا أولى الالباب لعلكم تفلحون يا أيها الذين آمنوا لا تسئلوا عن أشياء ان تبد لكم تسؤكم

كما يجىء الصفة كذلك (قياما للناس) انتعاشا لهم فى امر دينهم ودنياهم ونهوضا الى اغراضهم ومقاصدهم فى معاشهم ومعادهم لما يتم لهم من أمر حجهم وعمرتهم وتجارتهم وانواع منافعهم وعن عطاء بن ابى رباح لو تركوه عاما واحدا لم ينظروا ولم يؤخروا (والشهر الحرام) الشهر الذى يؤدى فيه الحج وهو ذو الحجة لان لاختصاصه من بين الاشهر باقامة موسم الحج فيه شأنا قد عرفه الله تعالى وقيل عنى به جنس الاشهر الحرام (والهدى والقلائد) والمقلد منه خصوصا وهى البدن لان الثواب فيه أكثر وبهاء الحج معه أظهر (ذلك) اشارة الى جعل الكعبة قياما للناس او الى ما ذكر من حفظ حرمة الاحرام بترك الصيد وغيره (لتعلموا ان الله يعلم) كل شيء وهو عالم بما يصلحكم وما ينعشكم مما امركم به وكلفكم (شديد العقاب) لمن انتهك محارمه (غفور رحيم) لمن حافظ عليها (ما على الرسول الا البلاغ) تشديد فى ايجاب القيام بما امر به وان الرسول قد فرغ مما وجب عليه من التبليغ وقامت عليكم الحجة ولزمتكم الطاعة فلا عذر لكم فى التفريط * البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله تعالى وان كان قريبا عندكم فلا تعجبوا بكثرة الخبيث حتى تؤثروا لكثرته على القليل الطيب فان ما تتوهمونه فى الكثرة من الفضل لا يوازى النقصان فى الخبيث وفوات الطيب وهو عام فى حلال المال وحرامه وصالح العمل وطالحه وصحيح المذاهب وفاسدها وجيد الناس ورديهم (فاتقوا الله) وآثروا الطيب وان قل على الخبيث وان كثر ومن حق هذه الآية ان تكفح بها وجوه الجبرة اذا افتخروا بالكثرة كما قيل

وكاثر بسعد ان سعدا كثيرة * ولا ترج من سعد وفاء ولا نصرا

وكما قيل

لا يدهمنك من دهمائهم عدد * فان جلهم بل كلهم بقر

وقيل نزلت فى حجاج اليمامة حين اراد المسلمون ان يوقعوا بهم فنهوا عن الايقاع بهم وان كانوا مشركين * الجملة الشرطية والمعطوفة عليها أعنى قوله (ان تبد لكم تسؤكم وان تسئلوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم) صفة للاشياء والمعنى لا تكثروا مسئلة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى تسألوه عن تكاليف شاقة عليكم ان افتاكم

وظهوره فيهما ان الغرض فى سياق النهى افراده بالذكر وتخصيصه بالنهى بعد ان اندرج مع غيره فى النهى فكأنه نهى عنه مخصوصا بها عنه بخصوصه مرتين والغرض فى سياق الامتنان ايضا ذلك وهو تكرير المنة به مندرجا فى العموم ومخصوصا بالذكر وايضا فيليق فى الامتنان الترقى من الادنى الى الاعلى بخلاف النهى والله اعلم * قوله تعالى قل لا يستوى الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث الآية (قال البون بين الخبيث والطيب بعيد عند الله الخ) قال احمد رحمه الله وقد ثبت شرعا ان اكثر اهل الجنة من هذه الامة وقد اعترف القدرية انهم قليل فيها وشذوذ بالنسبة الى من عداهم من الطوائف والامر بهذه المثابة وهم ايضا يعتقدون انهم الفرقة الناجية الموعودون بالجنة لاغيرهم اذ كل من عداهم على طمعهم الفاسد مخلد فى النار مع الكفار فعلى هذا تكون هذه الطائفة الشاذة القليلة أكثر اهل الجنة وحاشا لله ان يستمر ذلك على عقل عاقل محصل مطلع على ما ورد فى السنن من الآثار المكانحة لهذا الظن الفاسد بالرد والتكذيب ومنهم المعتزلة حتى يترامى طمعهم على هذا الحد وهذا الاستنباط الذى استنبطه الزمخشرى من ان المراد بالطيب هذا النفر المعتزلى من قبيل القول بان المراد فى قوله تعالى لو كنا نسمع او نعقل ما كنا فى أصحاب السعير اهل الحديث واصحاب الرأى يعنى الحقيقة وقد أغلظ فى تفسير هذه الآية على من قال ذلك وعده من البدع وها هو قد ابتدع قريبا منه فى حمله الطيب فى هذه الآية على الفريق المعتزلى بل والله شرا من تلك المقالة لانه حمل الخبيث على من عداهم من الطوائف السنية نعوذ بالله من ذلك ونبرأ من تجريه على السلف والخلف

بها وكلفكم اياها تغمكم وتشق عليكم وتندموا على السؤال عنها وذلك نحو ماروى ان سراقة بن مالك او عكاشة بن محصن قال يارسول الله الحج علينا كل عام فأعرض عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى اعاد مسئلته ثلاث مرات فقال صلى الله عليه وسلم ويحك ما يؤمنك ان أقول نعم والله لو قلت نعم لوجبت ولو وجبت مااستطعتم ولو تركتم لكفرتم فاتركوني ماتركتكم فانما هلك من كان قبلكم بكثرة سؤالهم واختلافهم على انبيائهم فاذا أمرتكم بامر فخذوا منه مااستطعتم واذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه (وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن) وان تسألوا عن هذه التكاليف الصعبة فى زمان الوحي وهو ما دام الرسول بين أظهركم يوحي اليه * تبد لكم تلك التكاليف الصعبة التى تسؤكم وتؤمروا بتحملها فتعرضون انفسكم لغضب الله بالتفريط فيها (عفى الله عنها) عفا الله عما سلف من مسئلتكم فلا تعودوا الى مثلها (والله غفور حليم) لا يعاجلكم فيما يفرط منكم بعقوبته * (فان قلت) كيف قال لا تسألوا عن أشياء ثم قال (قد سألها) ولم يقل قد سأل عنها (قلت) الضمير فى سألها ليس براجع الى اشياء حتى تجب تعديته بعن وانما هو راجع الى المسئلة التى دل عليها لا تسألوا يعنى قد سأل قوم هذه المسئلة من الاولين (ثم اصبحوا بها) اى بمرجوعها او بسببها (كافرين) وذلك ان بنى اسرائيل كانوا يستفتون أنبياءهم عن اشياء فاذا أمروا بها تركوها فهلكوا * كان أهل الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة ابطن آخرها ذكر بحروا أذنها اى شقوها وحرموا ركوبها ولا تطرد عن ماء ولا مرعي واذا لقيها المعيي لم يركبها واسمها البحيرة وكان يقول الرجل اذا قدمت من سفرى او برئت من مرضي فناقتي سائبة وجعلها كالبحيرة فى تحريم الانتفاع بها وقيل كان الرجل اذا اعتق عبدا قال هو سائبة فلا عقل بينهما ولا ميراث واذا ولدت الشاة أنثى فهى لهم وان ولدت ذكرا فهو لآلهتهم فان ولدت ذكرا وأنثى قالوا وصلت أخاها فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم واذا نتجت من صلب الفحل عشرة أبطن قالوا قد حمي ظهره فلا يركب ولا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعي ومعنى (ماجعل) ماشرع ذلك ولا أمر بالتبحير والتسييب وغير ذلك * ولكنهم بتحريمهم ماحرموا (يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) فلا ينسبون التحريم الى الله حتى يفتروا ولكنهم يقلدون فى تحريمها كبارهم * الواو فى قوله (اولو كان آباؤهم) واو الحال قد دخلت عليها همزة الانكار وتقديره أحسبهم ذلك ولو كان آباؤهم (لا يعلمون شيأ ولا يهتدون) والمعنى ان الاقتداء انما يصح بالعالم المهتدى وانما يعرف اهتداؤه بالحجة * كان المؤمنون تذهب أنفسهم حسرة على اهل العتو والعناد من الكفرة يتمنون دخولهم فى الاسلام فقيل لهم (عليكم انفسكم) وما كلفتم من اصلاحها والمشى بها فى طرق الهدى (لا يضركم) الضلال عن دينكم اذا كنتم مهتدين كما قال عز وجل لنبيه عليه الصلاة والسلام فلا تذهب نفسك عليهم حسرات وكذلك من يتأسف على مافيه الفسقة من الفجور والمعاصى ولا يزال يذكر معايبهم ومناكيرهم فهو مخاطب به وليس المراد ترك الامر بالمعروف والنهى عن المنكر فان من تركهما مع القدرة عليهما فليس بمهتد وانما هو بعض الضلال الذين فصلت الآية بينهم وبينه وعن ابن مسعود انها قرئت عنده فقال ان هذا ليس بزمانها انها اليوم مقبولة ولكن يوشك ان يأتي زمان تأمرون فلا يقبل منكم فحينئذ عليكم أنفسكم فهي على هذا تسلية لمن يأمر وينهي فلا يقبل منه وبسط لعذره وعنه ليس هذا زمان تأويلها قيل فمتى قال اذا جعل دونها السيف والسوط والسجن وعن ابى ثعلبة الخشني انه سئل عن ذلك فقال للسائل سألت عنها خبيرا سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقال ائتمروا بالمعروف وتناهوا عن المنكر حتى اذا رأيت شحا مطاعا وهوى متبعا ودنيا مؤثرة واعجاب كل ذى رأى برأيه فعليك نفسك ودع أمر العوام وان من ورائكم أياما الصبر فيهن كقبض على الجمر للعامل منهم مثل اجر خمسين رجلا يعملون مثل عمله وقيل كان الرجل اذا اسلم قالوا له سفهت آباءك ولاموه فنزلت عليكم أنفسكم عليكم من اسماء الفعل بمعنى الزموا اصلاح انفسكم ولذلك جزم جوابه وعن نافع عليكم انفسكم بالرفع * وقرئ لا يضركم وفيه وجهان ان يكون خبرا مرفوعا وتنصره قراءة أبى حيوة لا يضيركم وأن يكون جوابا للامر مجزوما وانما ضمت الراء اتباعا لضمة الضاد المنقولة اليها من الراء المدغمة والاصل لا يضرركم ويجوز ان يكون نهيا ولا يضركم بكسر الضاد وضمها من ضاره يضيره ويضوره * ارتفع اثنان على انه خبر للمبتدا

وان تسألوا عنها حين ينزل القرآن تبد لكم عفى الله عنها والله غفور حليم قد سألها قوم من قبلكم ثم اصبحوا بها كافرين ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون واذا قيل لهم تعالوا الى ما أنزل الله والى الرسول قالوا حسبنا ما وجدنا عليه آباءنا اولو كان آباؤهم لا يعلمون شيا ولا يهتدون يأيها الذين آمنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون يأيها الذين آمنوا

الذى هو (شهادة بينكم) على تقدير شهادة بينكم شهادة اثنين او على انه فاعل شهادة بينكم على معنى فيما فرض عليكم ان يشهد اثنان وقرأ الشعبي شهادة بينكم بالتنوين وقرأ الحسن شهادة بالنصب والتنوين على ليقم شهادة اثنان واذا حضر ظرف للشهادة وحين الوصية بدل منه وفي ابداله منه دليل على وجوب الوصية وانها من الامور اللازمة التى ماينبغي ان يتهاون بها مسلم ويذهل عنها وحضور الموت مشارفته وظهور امارات بلوغ الاجل (منكم) من اقاربكم و (من غيركم) من الاجانب (ان انتم ضربتم فى الارض) يعنى ان وقع الموت فى السفر ولم يكن معكم احد من عشيرتكم فاستشهدوا أجنبيين على الوصية وجعل الاقارب اولى لانهم اعلم باحوال الميت وبما هو أصلح وهم له أنصح وقيل منكم من المسلمين ومن غيركم من اهل الذمة وقيل هو منسوخ لاتجوز شهادة الذمى على المسلم وانما جازت فى اول الاسلام لقلة المسلمين وتعذر وجودهم فى حال السفر وعن مكحول نسخها قوله تعالى وأشهدوا ذوى عدل منكم وروى انه خرج بديل بن ابي مريم مولى عمرو بن العاصى وكان من المهاجرين مع عدى بن زيد وتميم بن أوس وكانا نصرانيين تجارا الى الشام فمرض بديل وكتب كتابا فيه مامعه وطرحه فى متاعه ولم يخبر به صاحبيه وامرهما ان يدفعا متاعه الى اهله ومات ففتشا متاعه فأخذا اناء من فضة فيه ثلثمائة مثقال منقوشا بالذهب فغيباه فاصاب اهل بديل الصحيفة فطالبوهما بالاناء فجحدا فرفعوهما الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (تحبسونهما) تقفونهما وتصبرونهما للحلف (من بعد الصلاة) من بعد صلاة العصر لانه وقت اجتماع الناس وعن الحسن بعد صلاة العصر اوالظهر لان أهل الحجاز كانوا يقعدون للحكومة بعدهما وفى حديث بديل انها لما نزلت صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العصر ودعا بعدى وتميم فاستحلفهما عند المنبر فحلفا ثم وجد الاناء بمكة فقالوا انا اشتريناه من تميم وعدي وقيل هي صلاة اهل الذمة وهم يعظمون صلاة العصر (ان ارتبتم) اعتراض بين القسم والمقسم عليه والمعنى ان ارتبتم فى شأنهما واتهمتموهما فحلفوهما وقيل ان اريد بهما الشاهدان فقد نسخ تحليف الشاهدين وان اريد الوصيان فليس بمنسوخ تحليفهما وعن على رضى الله عنه انه كان يحلف الشاهد والراوى اذا اتهمهما * والضمير في (به) للقسم وفى (كان) للمقسم له يعنى لانستبدل بصحة القسم بالله عرضا من الدنيا اى لانحلف بالله كاذبين لاجل المال ولو كان من نقسم له قريبا منا على معنى ان هذه عادتهم فى صدقهم وامانتهم ابدا وانهم داخلون تحت قوله تعالى كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على انفسكم اوالوالدين والاقربين (شهادة الله) اى الشهادة التى امر الله بحفظها وتعظيمها وعن الشعبي انه وقف على شهادة ثم ابتدأ آلله بالمد على طرح حرف القسم وتعويض حرف الاستفهام منه وروى عنه بغير مد على ماذكر سيبويه ان منهم من يحذف حرف القسم ولا يعوض منه همزة الاستفهام فيقول الله لقد كان كذا * وقرئ لملاثمين بحذف الهمزة وطرح حركتها على اللام وادغام نون من فيها كقوله عادلولى (فان قلت) ماموقع تحبسونهما (قلت) هو استئناف كلام كانه قيل بعد اشتراط العدالة فيهما فكيف نعمل ان ارتبنا بهما فقيل تحبسونهما (فان قلت) كيف فسرت الصلاة بصلاة العصر وهي مطلقة (قلت) لما كانت معروفة عندهم بالتحليف بعدها اغنى ذلك عن التقييد كالوقت فى بعض أئمة الفقه اذا صلى اخذ فى الدرس علم انها صلاة الفجر ويجوز ان تكون اللام للجنس وان يقصد بالتحليف على اثر الصلاة ان تكون الصلاة لطفا فى النطق بالصدق وناهية عن الكذب والزور ان الصلاة تنهي عن الفحشاء والمنكر (فان عثر) فان اطلع (على انهما استحقا اثما) اى فعلا ما اوجب اثما واستوجبا ان يقال انهما لمن الآثمين (فآخران) فشاهدان آخران (يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم) اى من الذين استحق عليهم الاثم ومعناه من الذين جنى عليهم وهم اهل الميت وعشيرته وفى قصة بديل انه لما ظهرت خيانة الرجلين حلف رجلان من ورثته انه اناء صاحبهما وان شهادتهما احق من شهادتهما و (الاوليان) الاحقان بالشهادة لقرابتهما ومعرفتهما وارتفاعهما على هما الاوليان كانه قيل ومن هما فقيل الاوليان وقيل هما بدل من الضمير في يقومان اومن آخران ويجوز ان يرتفعا باستحق اى من الذين استحق عليهم انتداب الاولين منهم للشهادة لاطلاعهم على حقيقة

شهادة بينكم اذا حضر احدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم ان أنتم ضربتم في الارض فاصابتكم مصيبة الموت تحبسونهما من بعد الصلاة فيقسمان بالله ان ارتبتم لا نشترى به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله انا اذا لمن الآثمين فان عثر على انهما استحقا اثما فآخران يقومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان فيقسمان بالله لشهادتنا احق من شهادتهما وما اعتدينا انا اذا لمن الظالمين

الحال

الحال* وقرئ الاولين على انه وصف للذين استحق عليهم مجرور أو منصوب على المدح ومعنى الاولية التقدم على الاجانب في الشهادة لكونهم احق بها وقرئ الاولين على التثنية وانتصابه على المدح وقرأ الحسن الاولان ويحتج به من يرى رد اليمين على المدعي وابو حنيفة واصحابه لا يرون ذلك فوجهه عندهم أن الورثة قد ادعوا على النصرانيين انهما قد اختانا فحلفا فلما ظهر كذبهما ادعيا الشراء فيما كتما فأنكر الورثة فكانت اليمين على الورثة لانكارهم الشراء (فان قلت) فما وجه قراءة من قرأ استحق عليهم الاوليان على البناء للفاعل وهم علي وابي وابن عباس (قلت) معناه من الورثة الذين استحق عليهم الاوليان من بينهم بالشهادة ان يجردوهما للقيام بالشهادة ويظهروا بهما كذب الكاذبين (ذلك) الذي تقدم من بيان الحكم (ادنى) ان يأتي الشهداء على نحو تلك الحادثة (بالشهادة على وجهها او يخافوا أن ترد ايمان) أن تكر ايمان شهود آخرين بعد ايمانهم فيفتضحوا بظهور كذبهم كما جرى في قصة بديل (واسمعوا) سمع اجابة وقبول (يوم يجمع) بدل من المنصوب في قوله واتقوا الله وهو من بدل الاشتمال كانه قيل واتقوا الله يوم جمعه او ظرف لقوله لا يهدي اي لا يهديهم طريق الجنة يومئذ كما يفعل بغيرهم او ينصب على اضمار اذكر او يوم يجمع الله الرسل كان كيت وكيت و(ماذا) منتصب باجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة اجبتم ولو اريد الجواب لقيل بماذا اجبتم (فان قلت) ما معنى سؤالهم (قلت) توبيخ قومهم كما كان سؤال الموؤدة توبيخا للوائد* (فان قلت) كيف يقولون (لا علم لنا) وقد علموا بما اجيبوا (قلت) يعلمون أن الغرض بالسؤال توبيخ اعدائهم فيكلون الامر الى علمه واحاطته بما منوا به منهم وكابدوا من سوء اجابتهم اظهارا للتشكي واللجا الى ربهم في الانتقام منهم وذلك اعظم على الكفرة وأفت في اعضادهم واجلب لحسرتهم وسقوطهم في ايديهم اذا اجتمع توبيخ الله وتشكي انبيائه عليهم ومثاله ان ينكب بعض الخوارج على السلطان خاصة من خواصه نكبة قد عرفها السلطان واطلع على كنهها وعزم على الانتصار له منه فيجمع بينهما ويقول له ما فعل بك هذا الخارجي وهو عالم بما فعل به يريد توبيخه وتبكيته فيقول له انت اعلم بما فعل بي تفويضا للامر الى علم سلطانه واتكالا عليه واظهارا للشكاية وتعظيما لما حل به منه وقيل من هول ذلك اليوم يفزعون ويذهلون عن الجواب ثم يجيبون بعد ما تثوب اليهم عقولهم بالشهادة على أممهم وقيل معناه علمنا ساقط مع علمك ومغمور به لانك علام الغيوب ومن علم الخفيات لم تخف عليه الظواهر التي منها اجابة الامم لرسلهم فكانه لا علم لنا الى جنب علمك وقيل لا علم لنا بما كان منهم بعدنا وانما الحكم للخاتمة وكيف يخفى عليهم امرهم وقد رأوهم سود الوجوه زرق العيون موبخين* وقرئ علام الغيوب بالنصب على ان الكلام قد تم بقوله (انك انت) اي انك الموصوف باوصافك المعروفة من العلم وغيره ثم نصب علام الغيوب على الاختصاص او على النداء او هو صفة لاسم ان (اذ قال الله) بدل من يوم يجمع والمعنى انه يوبخ الكافرين يومئذ بسؤال الرسل عن اجابتهم وبتعديد ما اظهر على ايديهم من الآيات العظام فكذبوهم وسموهم سحرة اوجاوز واحد التصديق الى ان اتخذوهم آلهة كما قال بعض بني اسرائيل فيما اظهر على يد عيسى عليه السلام من البينات والمعجزات هذا سحر مبين واتخذه بعضهم وامه الهين (ايدتك) قويتك وقرئ ايدتك على افعلتك (بروح القدس) بالكلام الذي يحيا به الدين واضافه الى القدس لانه سبب الطهر من اوضار الآثام والدليل عليه قوله تعالى (تكلم الناس) و(في المهد) في موضع الحال لان المعنى تكلمهم طفلا (وكهلا) الا ان في المهد فيه دليل على حد من الطفولة وقيل روح القدس جبريل عليه السلام ايد به لتثبيت الحجة (فان قلت) ما معنى قوله في المهد وكهلا (قلت) معناه تكلمهم في هاتين الحالتين من غير ان يتفاوت كلامك في حين الطفولة وحين الكهولة الذي هو وقت كمال العقل وبلوغ الاشد والحد الذي يستنبأ فيه الانبياء (والتوراة والانجيل) خصا بالذكر مما تناوله الكتاب والحكمة لان المراد بهما جنس الكتاب والحكمة وقيل الكتاب الخط

ذلك ادنى ان يأتوا بالشهادة على وجهها او يخافوا ان ترد ايمان بعد أيمانهم واتقوا الله واسمعوا والله لا يهدي القوم الفاسقين يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب اذ قال الله ياعيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس تكلم الناس في المهد وكهلا واذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل واذ تخلق من الطين

* قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا أجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب (قال يوم يجمع بدل من المنصوب الخ) قال احمد ويكون انتصابه اذا انتصاب المفعول به لا الظرف على حكم المبدل منه* عاد كلامه (قال او ظرف لقوله لا يهدي القوم الفاسقين الخ) قال احمد وهو على هذا ايضا مفعول به *عاد كلامه (قال وماذا منتصب بأجبتم انتصاب مصدره على معنى اي اجابة الخ (قال احمد والتعظيم في هذا نحو التعظيم بالسكوت عن الصلة في مثل ما حصل الا بعد التي واللتيا *عاد كلامه (قال وقيل من الهول والفزع يذهلون عن الجواب الخ) قال احمد وايضا فالمسئول عنه اجابتهم عند دعائهم اياهم الى الله لا ما حدث بعد ذلك مما لا يتعلق به علم الرسل والله اعلم *عاد كلامه (قال وقرئ علام الغيوب بالنصب الخ) قال احمد ويكون هذا من باب * انا ابو النجم وشعري شعري

وقدمر قبل بآيات وانما ذكرت هذه الثلاثة من الاعراب لالتباسها الا على الحذاق وقليل ماهم * قوله تعالى اذ قال الحواريون ياعيسى ابن مريم هل يستطيع ربك بعد ايمانهم واخلاصهم فى قوله واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بى وبرسولى قالوا آمنا واشهد باننا مسلمون (قال قلت ماوصفهم بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما الخ) قال احمد وقيل ان معنى هل يستطيع هل يفعل كما تقول للقادر على القيام هل تستطيع أن تقوم مبالغة فى التقاضي ونقل هذا القول عن الحسن فعلى هذا يكون ايمانهم سالما عن قدح الشك فى القدرة فان استقام التعبير عن الفعل بالاستطاعة

فذاك والله اعلم من باب التعبير عن المسبب بالسبب اذ الاستطاعة من جملة اسباب الايجاد

كهيئة الطير باذني فتنفخ فيها فتكون طيرا باذني وتبرئ الاكمه والابرص باذني واذ تخرج الموتى باذني واذ كففت بني اسرائيل عنك اذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم ان هذا الاسحر مبين واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون اذ قال الحواريون ياعيسي بن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء قال اتقوا الله ان كنتم مؤمنين قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين قال عيسي بن مريم اللهم ربنا انزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيدا لاولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين قال الله اني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فاني اعذبه

والحكمة الكلام المحكم الصواب (كهيئة الطير) هيئة مثل هيئة الطير (باذنى) بتسهيلى (فتنفخ فيها) الضمير للكاف لانها صفة الهيئة التي كان يخلقها عيسى عليه السلام وينفخ فيها ولا يرجع الى الهيئة المضاف اليها لانها ليست من خلقه ولا من نفخه في شيء وكذلك الضمير فى (فتكون * تخرج الموتى) تخرجهم من القبور وتبعثهم قيل أخرج سام بن نوح ورجلين وامرأة وجارية (واذ كففت بنى اسرائيل عنك) يعنى اليهود حين هموا بقتله وقيل لما قال الله تعالى لعيسى اذكر نعمتي عليك كان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولا يدخر شيأ لغد يقول مع كل يوم رزقه لم يكن له بيت فيخرب ولا ولد فيموت أينما أمسى بات (اوحيت الى الحواريين) أمرتهم على ألسنة الرسل (مسلمون) مخلصون من اسلم وجهه لله (عيسى) فى محل النصب على اتباع حركة الابن كقولك يازيد بن عمرو وهى اللغة الفاشية ويجوز أن يكون مضموما كقولك يازيد بن عمرو والدليل عليه قوله

أحار بن عمرو كأنى خمر * ويعدو على المرء ما يأتمر

لان الترخيم لا يكون الا فى المضموم * (فان قلت) كيف قالوا (هل يستطيع ربك) بعد ايمانهم واخلاصهم (قلت) ماوصفهم الله بالايمان والاخلاص وانما حكى ادعاءهم لهما ثم اتبعه قوله اذ قالوا فاذن أن دعواهم كانت باطلة وانهم كانوا شاكين وقوله هل يستطيع ربك كلام لا يرد مثله عن مؤمنين معظمين لربهم *وكذلك قوله عليه السلام لهم معناه اتقوا الله ولا تشكوا فى اقتداره واستطاعته ولا تقترحوا عليه ولا تتحكموا ما تشتهون من الآيات فتهلكوا اذا عصيتموه بعدها (ان كنتم مؤمنين) ان كانت دعواكم للايمان صحيحة * وقرئ هل تستطيع ربك أى هل تستطيع سؤال ربك والمعنى هل تسأله ذلك من غير صارف يصرفك عن سؤاله * والمائدة الخوان اذا كان عليه الطعام وهى من ماده اذا أعطاه ورفده كأنها تميد من تقدم اليه (ونكون عليها من الشاهدين) نشهد عليها عند الذين لم يحضروها من بنى اسرائيل أو نكون من الشاهدين لله بالوحدانية ولك بالنبوة عاكفين عليها على أن عليها فى موضع الحال وكانت دعواهم لارادة ما ذكروا كدعواهم الايمان والاخلاص وانما سأل عيسى واجيب ليلزموا الحجة بكمالها ويرسل عليهم العذاب اذا خالفوا * وقرئ ويعلم بالياء على البناء للمفعول وتعلم وتكون بالتاء والضمير للقلوب (اللهم) أصله يا الله تحذف حرف النداء وعوضت منه الميم و(ربنا) نداء ثان (تكون لنا عيدا) اى يكون يوم نزولها عيدا قيل هو يوم الاحد ومن ثم اتخذه النصارى عيدا وقيل العيد السرور العائد ولذلك يقال يوم عيد فكان معناه تكون لنا سرورا وفرحا وقرأ عبد الله تكن على جواب الامر ونظيرهما يرثنى ويرثنى (لاولنا وآخرنا) بدل من لنا بتكرير العامل اى لمن في زماننا من أهل ديننا ولمن يأتى بعدنا وقيل يأكل منها آخر الناس كما يأكل أولهم ويجوز للمقدمين منا والاتباع وفى قراءة زيد لأولانا وأخرانا والتأنيث بمعنى

وعلى عكسه التعبير عن ارادة الفعل بالفعل تسمية للسبب الذى هو الارادة باسم المسبب الذى الفعل فى مثل قوله اذا قمتم الى الصلاة وقد مضى أول السورة وفى هذا التأويل الحسنى تعضيد لتأويل ابى حنيفة حيث جعل الطول المانع من نكاح الامة وجود الحرة فى العصمة وعدمه ان لا يملك عصمة الحرة وان كان قادرا على ذلك فتباح له حينئذ الامة وحمل قوله ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات على معنى ومن لم يملك منكم وحمل النكاح على الوطء فجعل استطاعة الملك المنفية هي الملك كما ترى حتى ان القادر غير المالك عادم الطول عنده فينكح الامة وقد مضي ذكر مذهبه وكنت استبعد انهاضه لان يكون تأويلا يحتمله اللفظ ويساعده الاستعمال حتى وقفت على تفسير الحسن هذا والله اعلم

* قوله تعالى ماقلت لهم الا ماامرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (قال ان في قوله أن اعبدوا ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر الخ) قال احمد وقد أجاز بعضهم وقوع ان المفسرة بعد لفظ القول ولم يقتصر بها على مافي معناه فيجوز على هذا القول وقوعها تفسيرا لفعل القول وقد ابى الزمخشري في مفصله وقوعها الا بعد فعل في معنى القول كمذهبه ههنا * عاد كلامه (قال واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل الخ) قال احمد و يجوز أيضا هذا الوجه على صرف التفسير الى المعنى كانه حكي معنى قول الله عز وجل له بعبارة أخرى وكان الله تعالى قال له مرهم بعبادتي او قال لهم على لسان عيسى اعبدوا الله رب عيسى وربكم فلما حكاه عيسى عليه السلام قال أعبدوا الله ربي وربكم فكنى عن اسمه الظاهر بضميره كما قال الله تعالى حكاية عن موسى قال علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى الذي جعل لكم الارض مهدا وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به أزواجا من نبات شتى فانظر كيف جاء اول الكلام حكاية لقول موسى وموسى لا يقول

فأخرجنا ولكن فاخرج الله فلما حكاه الله تعالى عن موسى رد الكلام اليه تعالى وأضاف

عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين واذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي ان أقول ما ليس لي بحق ان كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك انك أنت علام الغيوب ماقلت لهم الا ما امرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم

الاخراج الى ذاته على طريقة المتكلم لا الحاكي وكذلك قوله تعالى ليقولن خلقهن العزيز العليم الى قوله فانشرنا به بلدة ميتا ونظائره كثيرة

بمعنى الامة والجماعة (عذابا) بمعنى تعذيبا * والضمير في لا أعذبه للمصدر ولو أريد بالعذاب ما يعذب به لم يكن بد من الباء روي ان عيسى عليه السلام لما اراد الدعاء لبس صوفا ثم قال اللهم أنزل علينا فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين غمامة فوقها وأخرى تحتها وهم ينظرون اليها حتى سقطت بين ايديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلني من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها مثلة وعقوبة وقال لهم ليقم أحسنكم عملا يكشف عنها ويذكر اسم الله عليها ويأكل منها فقال شمعون رأس الحواريين أنت أولى بذلك فقام عيسى فتوضأ وصلى وبكى ثم كشف المنديل وقال بسم الله خير الرازقين فاذا سمكة مشوية بلا فلوس ولا شوك تسيل دسما وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من الوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد منها زيتون وعلى الثاني عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون ياروح الله أمن طعام الدنيا ام من طعام الآخرة فقال ليس منهما ولكنه شيء اخترعه الله بالقدرة العالية كلوا ما سألتم واشكروا يمددكم الله ويزدكم من فضله فقال الحواريون ياروح الله لو أريتنا من هذه الآية آية أخرى فقال ياسمكة احيي باذن الله فاضطربت ثم قال لها عودي كما كنت فعادت مشوية ثم طارت المائدة ثم عصوا بعدها فمسخوا قردة وخنازير وروى انهم لما سمعوا بالشريطة وهي قوله تعالى فمن يكفر بعد منكم فاني أعذبه قالوا لا نريد فلم تنزل وعن الحسن والله ما نزلت ولو نزلت لكان عيدا الى يوم القيامة لقوله وآخرنا والصحيح انها نزلت (سبحانك) من ان يكون لك شريك (ما يكون لي) ما ينبغي لي (ان اقول) قولا لا يحق لي ان اقول (في نفسي) في قلبي والمعنى تعلم معلومي ولا اعلم معلومك ولكنه سلك بالكلام طريق المشاكلة وهو من فصيح الكلام وبينه فقيل (في نفسك) لقوله في نفسي (انك انت علام الغيوب) تقرير للجملتين معا لان ما انطوت عليه النفوس من جملة الغيوب ولان ما يعلمه علام الغيوب لا ينتهي اليه علم أحد * أن في قوله (أن اعبدوا الله) ان جعلتها مفسرة لم يكن لها بد من مفسر والمفسر اما فعل القول واما فعل الامر وكلاهما لا وجه له اما فعل القول فيحكى بعده الكلام من غير ان يتوسط بينهما حرف التفسير لا تقول ما قلت لهم الا أن اعبدوا الله ولكن ما قلت لهم الا اعبدوا الله واما فعل الامر فمسند الى ضمير الله عز وجل فلو فسرته باعبدوا الله ربي وربكم لم يستقم لان الله تعالى لا يقول اعبدوا الله ربي وربكم وان جعلتها موصولة بالفعل لم تخل من ان تكون بدلا من ما امرتني به او من الهاء في به وكلاهما غير مستقيم لان البدل هو الذي يقوم مقام المبدل منه ولا يقال ما قلت لهم الا ان اعبدوا الله بمعنى ما قلت لهم الا عبادته لان العبادة لا تقال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك لو أقمت أن اعبدوا الله مقام الهاء فقلت الا ما امرتني بان

وقد قدمت نحوا من هذا البحث عند قوله تعالى حكاية عن اليهود انا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله لما استبعد الزمخشري ان تصفه اليهود بهذه الصفات المنافية لاعتقادهم فيه * عاد كلامه (قال وان جعلت ان موصولة مع فعل الامر الخ) قال احمد اي فلا يقدر بالعبادة ولكن بالامر بها كانه قيل ما قلت لهم الا الامر بالعبادة والامر مقول اعانت على ان جعل العبادة مقولة ليس ببعيد على طريقة ثم بعودون لما قالوا اي للوطء الذي قالوا فيه يتعلق به وكقوله تعالى ونرثه ما يقول ويأتينا فردا وسيأتي له تصحيح هذا الاستعمال لوروده كثيرا في القرآن الكريم * عاد كلامه (قال وكذلك اذا جعلته بدلا من الهاء لانك الخ) قال احمد وهذا أيضا غير مانع من البدل وانما يواجه المصنف بما لا يسعه انكاره فقد قال في مفصله ما هذا نصه وقولهم ان البدل في حكم تنحية الاول ايذان منهم باستقلاله بنفسه ومفارقته التأكيد والصفة في كونهما تتمين لما يتبعانه لا ان يعنوا اهدار الاول واطراحه الا تراك تقول زيد رأيت غلامه رجلا صالحا فلو ذهبت الى اهدار الاول

لم يسند كلامك فانظر كيف يرد كلامه فى المفصل وهو الحق ما ارتكبه من رد البدل فى هذه الآية للزوم طرح الاول فتخلوا لصلة من الضمير ولم يجعل هذا القدر مانعا فى المثال المذكور مع انك لو طرحت الاول لخلا الخبر من الضمير العائد ولم يسند الكلام فهذه وجوه اربعة منعها فى اعراب ان وكلها مسندة حسب ما بينا وهذه المساجلة فى هذا الاعراب من الغرر والحجول فى صناعة الاعراب وعلم البيان وفرسان هذا المضمار قليل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف يصنع قلت يحمل فعل الخ) قال احمد هذا التأويل لتوقع ان المفسرة بعد فعل في معنى القول وليس قولا صريحا وحمل القول على الامر مما يصحح المذهب الآخر فى اجازة وقوعها بعد القول فانه لولا ما بين القول والامر من التفاوت المعنوى لما جاز اطلاق احدهما وارادة الاخرى والعجب ان الامر قسم من اقسام القول وما بينهما الا عموم وخصوص وليس فى هذا التاويل الذى سلكه الاكلفة لا طائل وراءها ولو كانت العرب تأبي وقوع المفسرة بعد القول لما اوقعتها بعد فعل ليس بقول ثم عبرت عن ذلك الفعل بالقول لان ذلك كالعود الى ما وقع الفرار منه وهم بعداء من ذلك * عاد كلامه (قال ويجوز ان تكون موصولة الخ) قال احمد يريد بجعله عطف بيان أن يسلم من تقدير اطراح الاول في البدل وخلو الصلة حينئذ من العائد وقد بينا ان ذلك غير لازم فى البدل والعجب انه ايضا فى مفصله لم يفصل بين عطف البيان والبدل الا فى مثل قول المرار * أنا ابن التارك البكرى بشر * لانه لو جعله بدلا للزم تكرير العامل واضافة اسم الفاعل المعرف بالالف واللام الى العلم ولم يفصل بينهما فى غير هذا المثال ومن حيث المعنى ان المعتمد فى عطف البيان الاول واما الثانى فللتوضيح والمعتمد فى البدل الثانى ٢٨٢ واما الاول فبساط لذكره لا على انه مطرح مهدر * قوله تعالى ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم

وكنت عليهم شهيدا مادمت فيهم فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم وأنت على كل شىء شهيد ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك أنت العزيز الحكيم قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم لهم جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك الفوز العظيم لله ملك السموات والارض وما فيهن وهو على كل شىء قدير

اعبدوا الله لم يصح لبقاء الموصول بغير راجع اليه من صلته (فان قلت) فكيف يصنع (قلت) يحمل فعل القول على معناه لان معنى ما قلت لهم الا ما أمرتنى به ما امرتهم الا بما امرتنى به حتى يستقيم تفسيره بان اعبدوا الله ربي وربكم ويجوز ان تكون ان موصولة عطف بيان للهاء لا بدلا (وكنت عليهم شهيدا) رقيبا كالشاهد على المشهود عليه أمنعهم من ان يقولوا ذلك ويتدينوا به (فلما توفيتنى كنت انت الرقيب عليهم) تمنعهم من القول به بما نصبت لهم من الادلة وأنزلت عليهم من البينات وأرسلت اليهم من الرسل (ان تعذبهم فانهم عبادك) الذين عرفتهم عاصين جاحدين لآياتك مكذبين لانبيائك (وان تغفر لهم فانك أنت العزيز) القوى القادر على الثواب والعقاب (الحكيم) الذى لا يثيب ولا يعاقب الا عن حكمة وصواب (فان قلت) المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم (قلت) ما قال انك تغفر لهم ولكنه بنى الكلام على ان غفرت فقال ان عذبتهم عدلت لانهم احقاء بالعذاب وان غفرت لهم مع كفرهم لم تعدم فى المغفرة وجه حكمة لان المغفرة حسنة لكل مجرم فى المعقول بل متى كان الجرم اعظم جرما كان العفو عنه احسن * قرئ هذا يوم ينفع بالرفع والاضافة وبالنصب اما على انه ظرف لقال واما على ان هذا مبتدأ والظرف خبر ومعناه هذا الذى ذكرنا من كلام عيسى واقع يوم ينفع ولا يجوز ان يكون فتحا كقوله تعالى يوم لا تملك لانه مضاف الى متمكن وقرأ الاعمش يوم ينفع بالتنوين كقوله تعالى واتقوا يوما لا تجزى نفس * (فان قلت) ما معنى قوله (ينفع الصادقين صدقهم) ان أريد صدقهم فى الآخرة فليست الآخرة بدار عمل وان أريد

صدقهم

فانك انت العزيز الحكيم (قال ان قلت المغفرة لا تكون للكفار فكيف قال وان تغفر لهم الخ) قال احمد رحمه الله تذبذب الزمخشرى فى هذا الموضع فلا الى اهل السنة ولا الى القدرية أما اهل السنة فالمغفرة للكافر جائزة عندهم فى حكم الله تعالى عقلا بل عقاب المتقى المخلص كذلك غير ممتنع عقلا من الله تعالى واذا كان كذلك فهذا الكلام خرج على الجواز العقلى وان كان السمع ورد بتعذيب الكفار وعدم الغفران لهم الا ان ورود السمع بذلك لا يرفع الجواز العقلى واما القدرية فيزعمون ان المغفرة للكافر ممتنعة عقلا لا تجوز على الله تعالى لمناقضتها الحكمة فمن ثم كفحتهم هذه الآية بالرد اذ لو كان لا مركز عمهم لما دخلت كلمة ان المستعملة عند الشك فى وقوع الفعل بعدها لغة فى فعل لا شك فى عدم وقوعه عقلا ولكان ذلك من باب التعليق بالمحال كان يبيض القار واشباهه وليس هذا مكانه فقول الزمخشرى اذا ان يغفر لهم لم يعدم وجها من الحكمة في المغفرة لان العفو عن المجرم حسن عقلا لا يأتلف بقواعد السنة اذ لا يلتفت عندهم الى التحسين العقلي ولا يأتلف أيضا بنزغات القدرية لانهم يجزمون بانه لا وجه من الحكمة فى المغفرة للكافر ويقطعون بمنافاتها الحكمة فكيف يخاطب الله تعالى به فعلم ان عيسي عليه السلام يبرأ الى الله من هذا الاطلاق ومما اشتمل عليه من سوء الادب فان قول القائل لمن يخاطبه ما فعل كذا فلن يعدم فيه عذرا ووجها من المصلحة كلام مبذول وعبارة نازلة عن اوفى مراتب الادب انما يطلقها المتكلم لمن هو دونه عادة فنسأل الله الهام الادب وتجنب ما فى ساءته من مزلات العطب * قوله تعالى قال الله هذا يوم ينفع الصادقين صدقهم (قال ان قلت ما معناه ان اريد صدقهم في الآخرة الخ) قال احمد ولو اجاب بحمل الصادقين على الدنيا وصدقهم على الآخرة حتى يكون التقدير هذا يوم ينفع الصادقين فى الدنيا صدقهم فى الآخرة لكان

صدقهم فى الدنيا فليس بمطابق لما وردفيه لانه فى معنى الشهادة لعيسي عليه السلام بالصدق فيما يجيب به يوم القيامة (قلت) معناه الصدق المستمر بالصادقين فى دنياهم وآخرتهم وعن قتادة متكلمان تكلما يوم القيامة اما ابليس فقال ان الله وعدكم وعد الحق فصدق يومئذ وكان قبل ذلك كاذبا فلم ينفعه صدقه واما عيسى عليه السلام فكان صادقا فى الحياة وبعد الممات فنفعه صدقه * (فان قلت) فى السموات والارض العقلاء وغيرهم فهلا غلب العقلاء فقيل ومن فيهن (قلت) ما يتناول الاجناس كلها تناولا عاما ألا تراك تقول اذا رأيت شبحا من بعيد ماهو قبل ان تعرف أعاقل هو ام غيره فكان اولى بارادة العموم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المائدة اعطى من الاجر عشر حسنات ومحي عنه عشر سيئات ورفع له عشر درجات بعدد كل يهودى ونصراني يتنفس فى الدنيا

﴿ سورة الانعام مكية وعن ابن عباس غير ست آيات وهى مائة وخمس وستون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

جعل يتعدى الى مفعول واحد اذا كان بمعنى أحدث وأنشأ كقوله (وجعل الظلمات والنور) والى مفعولين اذا كان بمعنى صير كقوله وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا والفرق بين الخلق والجعل ان الخلق فيه معنى التقدير وفى الجعل معنى التضمين كانشاء شيء من شيء او تصيير شيء شيأ أو نقله من مكان الى مكان ومن ذلك وجعل منها زوجها وجعل الظلمات والنور لان الظلمات من الاجرام المتكاثفة والنور من النار وجعلنا كم أزواجا أجعل الآلهة الها واحدا (فان قلت) لم أفرد النور (قلت) للقصد الى الجنس كقوله تعالى والملك على أرجائها أو لان الظلمات كثيرة لانه ما من جنس من أجناس الاجرام الا وله ظل وظله هو الظلمة بخلاف النور فانه من جنس واحد وهو النار * (فان قلت) علام عطف قوله (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) (قلت) اما على قوله الحمد لله على معنى ان الله حقيق بالحمد على ما خلق لانه ما خلقه الا نعمة ثم الذين كفروا به يعدلون فيكفرون نعمته واما على قوله خالق السموات على معنى انه خلق ما خلق مما لا يقدر عليه احد سواه ثم هم يعدلون به ما لا يقدر على شيء منه (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) استبعاد ان يعدلوا به بعد وضوح آيات قدرته وكذلك ثم انتم تمترون استبعاد لان يمتروا فيه بعد ما ثبت انه محييهم ومميتهم وباعثهم (ثم قضى أجلا) أجل الموت (وأجل مسمى عنده) أجل القيامة وقيل الاجل الاول ما بين ان يخلق الى ان يموت

(سورة الانعام مكية وهي مائة وخمس وستون آية)

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون هو الذى خلقكم من طين ثم قضى اجلا واجل مسمى عنده ثم انتم تمترون وهو الله

أوضح طباقا لتفسير قتادة وأخرج لابليس وأشباهه من هذا العموم فان ابليس وان صدق فى الآخرة الا انه لم يكن من الصادقين فى الدنيا فلم ينفعه صدقه فى الآخرة والوجهان متقاربان * (القول فى سورة الانعام وهي مكية) * ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾ الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون (قال الفرق بين الجعل والخلق ان الخلق فيه معنى التقدير الخ) قال احمد وقد وردت جعل وخلق موردا واحدا فورد وخلق منها زوجها وورد وجعل منها زوجها وذلك ظاهر فى الترادف الا ان للخاطر ميلا الى الفرق الذى أبداه الزمخشرى ويؤيده ان جعل لم يصحب السموات والارض وانما لزمتهما خلق وفى اضافة الخلق فى هذه الآية الى السموات والارض والجعل الى الظلمات والنور مصداق للمميز بينهما والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم افرد النور قلت للقصد الخ) قال احمد وقد سبق للزمخشرى الاستدلال بجمع الجنس على التكثير واعتقاد انه أدل على الكثرة من الافراد وقد قدمنا ما فى ذلك من النظر وأسلفنا الاستدلال بقول حبر الامة كتابه أكثر من كتبه على خلاف ذلك وهو رأى الامام أبي المعالي ولو قال الزمخشرى ان جمع الظلمات لاختلافها بحسب اختلاف ما ينشأ عنه من اجناس الاجرام وافراد النور لاتحاد الجنس الذى ينشأ عنه وهو النار لكان اولى والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف ثم الذين كفروا بربهم يعدلون الخ) قال احمد وفى هذا الوجه الثانى نظر من حيث ان عطفه على الصلة يوجب دخوله فى حكمها ولو قال الحمد لله الذى الذين كفروا بربهم يعدلون لم يستند لخلو الجملة من العائد ويمكن ان يقال وضع الظاهر الذى هو ربهم موضع المضمر تفخيما وتعظيما وأصل الكلام الذى يعدل به الذين كفروا أو الذى الذين كفروا يعدلون به باتساع وقوعها صلة رعاية لهذا الاصل فهذا نظر من حيث الاعراب ونظيره قوله تعالى واذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم فيمن جعل ما موصولة لا شرطية فان دخول جاءكم وما بعده فى حكم الصلة يستدعي ضميرا عائدا الى الموصول وهو مفقود لفظا لان الظاهر وضع فيه موضع المضمر والاصل ثم جاءكم رسول مصدق له فلستقام عطفه ودخوله فى حكم الصلة بهذه الطريقة لكن بقى فى آية الانعام هذه نظر فى المعنى على الاعراب المذكور وهو انه يصير التقدير الحمد لله الذى الذين كفروا يعدلون ووقوع هذا عقيب الحمد غير مناسب كما ترى فالوجه والله اعلم عطفه على اول الكلام لا على الصلة والله الموفق

*قوله تعالى هو الذي خلقكم من طين ثم قضي أجلا وأجل مسمى عنده (قال ان قلت المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب الخ) قال احمد وليس في ارادة هذا المعنى موجب للتقديم وقد ورد وعنده علم الساعة في سياق التعظيم لها وهو مع ذلك مؤخر عن الخبر في قوله وتبارك الذي له ملك السموات والارض وما بينهما وعنده علم الساعة واليه ترجعون فالظاهر والله اعلم ان التقديم انما كان لان الكلام منقول من كلام آخر وكان الاصل والله اعلم ثم قضي اجلا واجلا مسمى عنده اذ كلاهما مقضي فلما عدل بالكلام عن العطف الافرادي تمييزا بين الاجلين رفع الثاني بالابتداء وأقر بمكانه من التقديم والله أعلم * قوله وهو الله في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون (قال في السموات متعلق بمعني اسم الله الخ) قال احمد وما الآيتان الكريمتان الا توأمتان ان التمدح في آية الزخرف وقع بما وقع التمدح به ههنا من القدرة على الاعادة والاستئثار بعلم الساعة والتوحد في الالوهية وفي كونه تعالى المعبود في السموات والارض * عاد كلامه (قال او هو المعروف بالالوهيه أو هو الذي يقال الله فيهما الخ) قال احمد وهذه الوجوه كلها كان التعبير وقع فيها بالملزوم عن لوازمه المشهورة به كما وقع ذلك في قوله *أنا أبو النجم وشعرى شعرى* أي المعروف المشهور لانه بنى على انه متي ذكر شعره فهم السامع عند ذكره خواصه من الجودة والبلاغة وسلامة النسج لاشتهاره بذلك فاقتصر على قوله شعرى اتكالا على فهم السامع * قوله تعالى ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين (قال لم يقتصر بهم على الرؤية لئلا الخ) قال احمد والظاهر ان فائدة زيادة لمسهم له بايديهم تحقيق القراءة على قرب اى فقرؤه وهو في ايديهم لا بعيد عنهم لما آمنوا والا فالخط لا يدرك باللمس حتى يجعل فائدة زيادته ادراكه بوجهين كما يفهم من كلام الزمخشري

في السموات وفي الارض يعلم سركم وجهركم ويعلم ما تكسبون وما تاتيهم من آية من آيات ربهم الا كانوا عنها معرضين فقد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف ياتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن الم يروا كم اهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم وارسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الانهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان

والثاني ما بين الموت والبعث وهو البرزخ وقيل الاول النوم والثاني الموت (فان قلت) المبتدأ النكرة اذا كان خبره ظرفا وجب تأخيره فلم جاز تقديمه في قوله واجل مسمى عنده (قلت) لانه تخصص بالصفة فقارب المعرفة كقوله ولعبد مؤمن خير من مشرك (فان قلت) الكلام السائر ان يقال عندي ثوب جيد ولي عبد كيس وما أشبه ذلك فما أوجب التقديم (قلت) اوجبه ان المعنى واي اجل مسمى عنده تعظيما لشأن الساعة فلما جرى فيه هذا المعنى وجب التقديم (في السموات) متعلق بمعنى اسم الله كانه قيل وهو المعبود فيها قوله ومنه وهو الذي في السماء اله وفي الارض اله او هو المعروف بالالهية او المتوحد بالالهية فيها او هو الذي يقال له الله فيها لا يشرك به في هذا الاسم ويجوز ان يكون الله في السموات خبرا بعد خبر على معنى انه الله وانه في السموات والارض بمعنى انه عالم بما فيهما لا يخفى عليه منه شيء كان ذاته فيهما * (فان قلت) كيف موقع قوله يعلم (سركم وجهركم) (قلت) ان اردت المتوحد بالالهية كان تقريرا له لان الذي استوى في علمه السر والعلانية هو الله وحده وكذلك اذا جعلت في السموات خبرا بعد خبر والا فهو كلام مبتدأ بمعنى هو يعلم سركم وجهركم او خبر ثالث (ويعلم ما تكسبون) من الخير والشر ويثيب عليه ويعاقب * من في (من آية) للاستغراق وفي (من آيات ربهم) للتبعيض يعني وما يظهر لهم دليل قط من الادلة التي يجب فيها النظر والاستدلال والاعتبار الا كانوا عنه معرضين تاركين للنظر لا يلتفتون اليه ولا يرفعون به رأسا لقلة خوفهم وتدبرهم للعواقب (فقد كذبوا) مردود على كلام محذوف كانه قيل ان كانوا معرضين عن الآيات فقد كذبوا بما هو أعظم آية وأكبرها وهو الحق (لما جاءهم) يعني القرآن الذي تحدوا به على تبالغهم في الفصاحة فعجزوا عنه (فسوف يأتيهم أنباء) الشيء الذي (كانوا به يستهزؤن) وهو القرآن اى اخباره وأحواله بمعنى سيعلمون باى شيء استهزؤا وسيظهر لهم انه لم يكن بموضع استهزاء وذلك عند ارسال العذاب عليهم في الدنيا او يوم القيامة او عند ظهور الاسلام وعلو كلمته * مكن له في الارض جعل له مكانا فيها ونحوه أرض له ومنه قوله انا مكنا له في الارض اولم نمكن لهم واما مكنته في الارض فأثبته فيها ومنه قوله ولقد مكناهم فيما ان مكناكم فيه ولتقارب المعنيين جمع بينهما في قوله (مكناهم في الارض ما لم نمكن لكم) والمعنى لم نعط اهل مكة نحو ما أعطينا عادا وثمودا وغيرهم من البسطة في الاجسام والسعة في الاموال والاستظهار باسباب الدنيا والسماء المظلة لان الماء ينزل منها الى السحاب او السحاب او المطر * والمدرار المغزار * (فان قلت) اى فائدة في ذكر انشاء قرن آخرين بعدهم (قلت) الدلالة على انه لا يتعاظمه ان يهلك قرنا ويخرب بلاده منهم فانه قادر على ان ينشيء مكانهم آخرين يعمر بهم بلاده كقوله تعالى ولا يخاف عقباها (كتابا) مكتوبا (في قرطاس) في ورق (فلمسوه بايديهم) ولم يقتصر بهم على الرؤية لئلا يقولوا سكرت أبصارنا ولا تبقى لهم علة لقالوا (ان

هذا

*قوله تعالى وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون (قال يعني لا ينظرون بعد نزوله طرفة عين الخ) قال احمد لا يحسن أن يجعل سبب مناجزتهم بالهلاك وضوح الآية في نزول الملك فانه ربما يفهم هذا الكلام ان الآيات التي لزمهم الايمان بها دون نزول الملك في الوضوح وليس الامر كذلك فالوجه والله أعلم ان يكون سبب تعجيل عقوبتهم بتقدير نزول الملك وعدم ايمانهم انهم اقترحوا مالا يتوقف وجوب الايمان عليه اذ الذي يتوقف الوجوب عليه المعجز من حيث كونه معجزا لا المعجز الخاص فاذا أجيبوا على وفق مقترحهم فلم ينجع فيهم كانوا حينئذ على غاية من الرسوخ في العناد المناسب لعدم النظرة والله ٢٨٥ اعلم * عاد كلامه (قال) واما لانه بزوال الاختيار الذي قاعدة التكليف مبنية عليه عند نزول الملك فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا الملك في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون (قال احمد) و يقوي هذا الوجه قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا قال ابن عباس ليتمكنوا من رؤيته ولا يهلكوا من مشاهدة صورته * عاد كلامه (قال ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر الخ) قال احمد وهذه النكتة من محاسن تنبيهاته * قوله تعالى قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (قال ان قلت اى فرق بين قوله فانظروا و بين قوله ثم انظروا الخ) قال احمد وأظهر من هذا التأويل ان يجعل الامر بالسير في المكانين واحدا ليكون ذلك سببا في النظر فحيث دخلت الفاء فلاظهار السببية وحيث دخلت ثم فللتنبيه على ان النظر المقصود هو من السير وان السير وسيلة اليه لا غير وشتان بين المقصود والوسيلة والله اعلم

هذا الا سحر مبين) تعنتا وعنادا للحق بعد ظهوره (لقضي الامر) لقضي امر هلاكهم (ثم لا ينظرون) بعد نزوله طرفة عين اما لانهم اذا عاينوا الملك قد نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في صورته وهي آية لا شيء أبين منها وأيقن ثم لا يؤمنون كما قال ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى لم يكن بد من اهلاكهم كما اهلك اصحاب المائدة واما لانه يزول الاختيار الذي هو قاعدة التكليف عند نزول الملائكة فيجب اهلاكهم واما لانهم اذا شاهدوا ملكا في صورته زهقت ارواحهم من هول ما يشاهدون ومعنى ثم بعد ما بين الامرين قضاء الامر وعدم الانظار جعل عدم الانظار أشد من قضاء الامر لان مفاجأة الشدة اشد من نفس الشدة (ولو جعلناه ملكا) ولو جعلنا الرسول ملكا كما اقترحوا لانهم كانوا يقولون لولا انزل على محمد ملك وتارة يقولون ما هذا الا بشر مثلكم ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لجعلناه رجلا) لارسلناه في صورة رجل كما كان ينزل جبريل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في اعم الاحوال في صورة دحية لانهم لا يبقون مع رؤية الملائكة في صورهم (وللبسنا عليهم) ولخلطنا عليهم ما يخلطون على انفسهم حينئذ فانهم يقولون اذا رأوا الملك في صورة انسان هذا انسان وليس بملك فان قال لهم الدليل على اني ملك اني جئت بالقرآن المعجز وهو ناطق باني ملك لا بشر كذبوه كما كذبوا محمدا صلى الله عليه وسلم فاذا فعلوا ذلك خذلوا كما هم مخذولون الآن فهو لبس الله عليهم ويجوز أن يراد وللبسنا عليهم حينئذ مثل ما يلبسون على انفسهم الساعة في كفرهم بآيات الله البينة وقرأ ابن محيصن ولبسنا عليهم بلام واحدة وقرأ الزهري وللبسنا عليهم ما يلبسون بالتشديد (ولقد استهزئ) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يلقي من قومه (فحاق) بهم فأحاط بهم الشيء الذي كانوا يستهزؤن به وهو الحق حيث أهلكوا من اجل الاستهزاء به * (فان قلت) أي فرق بين قوله فانظروا و بين قوله ثم انظروا (قلت) جعل النظر مسببا عن السير في قوله فانظروا فكانه قيل سيروا لاجل النظر ولا تسيروا سير الغافلين وأما قوله (سيروا في الارض ثم انظروا) فمعناه اباحة السير في الارض للتجارة وغيرها من المنافع وايجاب النظر في آثار الهالكين ونبه على ذلك بثم لتباعد ما بين الواجب والمباح (لمن ما في السموات والارض) سؤال تبكيت و (قل لله) تقرير لهم اى هو لله لا خلاف بيني و بينكم ولا تقدرون ان تضيفوا شيأ منه الى غيره (كتب على نفسه الرحمة) أي اوجبها على ذاته في هدايتكم الى معرفته ونصب الادلة لكم على توحيده بما أنتم مقرون به من خلق السموات والارض * ثم أوعدهم على اغفالهم النظر واشراكهم به من لا يقدر على خلق شيء بقوله (ليجمعنكم الى يوم القيامة) فيجازيكم على اشراككم وقوله (الذين خسروا انفسهم) نصب على الذم أو رفع اى اريد الذين خسروا انفسهم أو أنتم الذين خسروا انفسهم * (فان قلت) كيف جعل عدم ايمانهم مسببا عن خسرانهم والامر على العكس (قلت) معناه الذين خسروا انفسهم في علم الله لاختيارهم الكفر فهم لا يؤمنون (وله) عطف على الله (ما سكن في الليل والنهار) من السكنى وتعديه بفي كما في قوله وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم (وهو السميع العليم) يسمع كل مسموع و يعلم كل معلوم فلا يخفى عليه شيء مما يشتمل عليه الملوان * أولي غير الله همزة الاستفهام دون الفعل الذي هو اتخذ لان الانكار

هذا الا سحر مبين وقالوا لولا انزل عليه ملك ولو أنزلنا ملكا لقضي الامر ثم لا ينظرون ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم ما يلبسون ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤن قل سيروا في الارض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين قل لمن ما في السموات والارض قل لله كتب على نفسه الرحمة ليجمعنكم الى يوم القيامة لا ريب فيه الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع العليم قل أغير الله أتخذ وليا فاطر السموات والارض

*قوله تعالى قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين (قال المراد الرحمة العظمى وهي النجاة من النار الخ) قال احمد وانما يلجئ الى تخصيص الرحمة اما بكونها العظمى واما برحمة الثواب انه لو بقيت على اطلاقها ما زاد الجزاء على الشرط اذ من المعلوم ضرورة ان صرف العذاب رحمة ما والعجب ان الزمخشري يصحح تخصيصها برحمة الثواب بان صرف العذاب يستلزم الثواب ولا بد وغيره يصحح هذا التخصيص بأنه لا يلزم من صرف العذاب حصول الثواب لجواز ان يصرف عنه العذاب ولا يثاب فأفاد الجزاء اذا فائدة لم تفهم من الشرط هكذا صححه القرنوي ولعمري ان قاعدة

في اتخاذ غير الله وليا لا في اتخاذ الولي فكان اولى بالتقديم ونحوه أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون آلله أذن لكم * وقرئ فاطر السموات بالجر صفة لله وبالرفع على المدح وقرأ الزهري فطر وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما عرفت ما فاطر السموات والارض حتى أتاني أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما أنا فطرتها اي ابتدعتها (وهو يطعم ولا يطعم) وهو يرزق ولا يرزق كقوله ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون والمعنى ان المنافع كلها من عنده ولا يجوز عليه الانتفاع وقرئ ولا يطعم بفتح الياء وروى ابن المأمون عن يعقوب وهو يطعم ولا يطعم على بناء الاول للمفعول والثاني للفاعل والضمير لغير الله وقرأ الاشهب وهو يطعم ولا يطعم على بنائهما للفاعل وفسر بأن معناه وهو يطعم ولا يستطعم وحكي الازهري أطعمت بمعنى استطعمت ونحوه أفدت ويجوز ان يكون المعنى وهو يطعم تارة ولا يطعم أخرى على حسب المصالح كقولك هو يعطي ويمنع ويبسط ويقدر ويغني ويفقر (أول من اسلم) لان النبي سابق أمته في الاسلام كقوله وبذلك امرت وأنا أول المسلمين وكقول موسى سبحانك تبت اليك وأنا أول المؤمنين (ولا تكونن) وقيل لي لا تكونن (من المشركين) ومعناه أمرت بالاسلام ونهيت عن الشرك و (من يصرف عنه) العذاب (يومئذ فقد رحمه) الله الرحمة العظمى وهي النجاة كقولك ان أطعمت زيدا من جوعه فقد أحسنت اليه تريد فقد أتممت الاحسان اليه او فقد ادخله الجنة لان من لم يعذب لم يكن له بد من الثواب وقرئ من يصرف عنه على البناء للفاعل والمعنى من يصرف الله عنه في ذلك اليوم فقد رحمه بمعنى من يدفع الله عنه ويحفظه وقد علم من المدفوع عنه وترك ذكر المصروف لكونه معلوما او مذكورا قبله وهو العذاب ويجوز ان ينتصب يومئذ بيصرف انتصاب المفعول به أي من يصرف الله عنه ذلك اليوم أي هوله فقد رحمه وينصر هذه القراءة قراءة أبي رضي الله عنه من يصرف الله عنه (وان يمسسك الله بضر) من مرض او فقر او غير ذلك من بلاياه فلا قادر على كشفه الا هو (وان يمسسك بخير) من غنى او صحة (فهو على كل شيء قدير) فكان قادرا على ادامته او ازالته (فوق عباده) تصوير للقهر والعلو بالغلبة والقدرة كقوله وانا فوقهم قاهرون *الشيء أعم العام لوقوعه على كل ما يصح أن يعلم ويخبر عنه فيقع على القديم والجرم والعرض والمحال والمستقيم ولذلك صح ان يقال في الله عز وجل شيء لا كالاشياء كأنك قلت معلوم لا كسائر المعلومات ولا يصح جسم لا كالاجسام *وأراد اي شهيد (اكبر شهادة) فوضع شيأ مقام شهيد ليبالغ في التعميم (قل الله شهيد بيني وبينكم) يحتمل ان يكون تمام الجواب عند قوله قل الله بمعنى الله اكبر شهادة ثم ابتدئ شهيد بيني وبينكم اي هو شهيد بيني وبينكم وان يكون الله شهيد بيني وبينكم هو الجواب لدلالته على ان الله عز وجل اذا كان هو الشهيد بينه وبينهم فاكبر شيء شهادة شهيد له (ومن بلغ) عطف على ضمير المخاطبين من أهل مكة اي لانذركم به وانذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم وقيل من الثقلين وقيل من بلغه الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير من بلغه القرآن فكأنما رأى محمدا صلى الله عليه وسلم (أئنكم لتشهدون) تقرير لهم مع انكار واستبعاد (قل لا أشهد) شهادتكم (الذين آتيناهم الكتاب) يعني اليهود والنصارى (يعرفونه) يعرفون رسول الله صلى الله عليه وسلم بحليته ونعته الثابت في الكتابين معرفة خالصة (كما يعرفون ابناءهم) بحلاهم ونعوتهم لا يخفون

وهو يطعم ولا يطعم قل اني أمرت ان اكون اول من أسلم ولا تكونن من المشركين قل اني أخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه وذلك الفوز المبين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير قل أي شيء أكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم وأوحي الى هذا القرآن لانذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أن مع الله آلهة أخرى قل لا أشهد قل انما هو اله واحد وانني بريء مما تشركون الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم

المعتزلة تلجئ الى ما ذهب اليه الزمخشري لانقسام المكلفين عندهم الى مستوجب للجنة فالعذاب قطعا ويسندون ذلك الى العقل لا الى السمع *قوله تعالى قل اي شيء اكبر شهادة قل الله شهيد بيني وبينكم (قال الشيء اعم العام لوقوعه على كل ما يصح الخ) قال احمد وتفسيره الشيء يخالف الفريقين الاشعرية فانهم فسروه بالموجود ليس الا والمعتزلة فانهم قالوا المعلوم الذي يصح وجوده فاتفقوا على خروج المستحيل وعلى الجملة فهذه المسئلة معدودة من علم الكلام باعتبار ما واما هذا البحث فلغوي والتحاكم فيه لاهل اللغة وظاهر قولهم غضبت من لا شيء واذا رأى غير شيء ظنه رجلا ان الشيء لا ينطلق الا على الموجود اذ لو كان الشيء كل ما يصح أن يعلم عدما كان او وجودا او ممكنا او مستحيلا لما صدق على امر ما انه ليس بشيء والامر في ذلك قريب

* قوله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على أنفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون (قال فتنتهم كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الخ) قال احمد وفي الآية دليل بين على ان الاخبار بالشيء على خلاف ماهو به كذب وان لم يعلم المخبر مخالفة خبره بمخبره الا تراه جعل اخبارهم وتبريهم كذبا مع انه تعالى اخبر انهم ضل عنهم

ما كانوا يفترون أي سلبوا علمه حينئذ دهشا وخبره فلم يرفع ذلك اطلاق الكذب عليهم * قوله تعالى ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا (قال الاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله الخ) قال احمد رحمه الله وهذه الآية حسبنا في رد معتقد القدرية الذين يزعمون ان الله تعالى اراد من هؤلاء المستمعين أن يعوا القرآن ويفقهوه وانه لم يمنعهم من ذلك ومحال على زعمهم ان يمنعهم من ذلك ويريدان لا يفقهوه لان ذلك عندهم قبيح فانظر كيف تكافحهم هذه الآية بالرد وتنادي عليهم بالخطأ اذ قوله أن يفقهوه معناه كراهة ان يفقهوه وبين الارادة على زعمهم والكراهة على ما انبأت عنه الآية بون بعيد والله الموفق

الذين خسروا انفسهم فهم لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته انه لا يفلح الظالمون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا اين شركاؤكم الذين كنتم تزعمون ثم لم تكن فتنتهم الا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين انظر كيف كذبوا على انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ومنهم من يستمع اليك وجعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى اذا جاؤك يجادلونك يقول الذين كفروا

عليهم ولا يلتبسون بغيرهم وهذا استشهاد لاهل مكة بمعرفة اهل الكتاب به وبصحة نبوته ثم قال (الذين خسروا أنفسهم) من المشركين ومن اهل الكتاب الجاحدين (فهم لا يؤمنون) به جمعوا بين أمرين متناقضين فكذبوا على الله بما لا حجة عليه وكذبوا بما ثبت بالحجة البينة والبرهان الصحيح حيث قالوا لو شاء الله ما اشركنا ولا آباؤنا وقالوا والله أمرنا بها وقالوا الملائكة بنات الله وهؤلاء شفعاؤنا عند الله ونسبوا اليه تحريم البحائر والسوائب وذهبوا فكذبوا بالقرآن والمعجزات وسموها سحرا ولم يؤمنوا بالرسول ﷺ (ويوم نحشرهم) ناصبة محذوف تقديره ويوم نحشرهم كان كيت وكيت فترك ليبقى على الابهام الذي هو داخل في التخويف (أين شركاؤكم) اى آلهتكم التي جعلتموها شركاء لله وقوله (الذين كنتم تزعمون) معناه تزعمونهم شركاء فحذف المفعولان * وقرئ يحشرهم ثم يقول بالياء فيهما وانما يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ ويجوز أن يشاهدوهم الا أنهم حين لا ينفعونهم ولا يكون منهم ما رجوا من الشفاعة فكأنهم غيب عنهم وأن يحال بينهم وبينهم في وقت التوبيخ ليفقدوهم في الساعة التي علقوا بهم الرجاء فيها فيروا مكان خزيهم وحسرتهم (فتنتهم) كفرهم والمعنى ثم لم تكن عاقبة كفرهم الذي لزموه اعمارهم وقاتلوا عليه وافتخروا به وقالوا دين آبائنا الا جحوده والتبرؤ منه والحلف على الانتفاء من التدين به ويجوز أن يراد ثم لم يكن جوابهم الا أن قالوا فسمي فتنة لانه كذب * وقرئ تكن بالتاء وفتنتهم بالنصب وانما أنث ان قالوا لوقوع الخبر مؤنثا كقولك من كانت أمك وقرئ بالياء ونصب الفتنة وبالياء والتاء مع رفع الفتنة * وقرئ ربنا بالنصب على النداء (وضل عنهم) وغاب عنهم (ما كانوا يفترون) اى يفترون إلهيته وشفاعته (فان قلت) كيف يصح ان يكذبوا حين يطلعون على حقائق الامور وعلى ان الكذب والجحود لا وجه لمنفعته (قلت) الممتحن ينطق بما ينفعه وبما لا ينفعه من غير تمييز بينهما حيرة ودهشا ألا تراهم يقولون ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون وقد أيقنوا بالخلود ولم يشكوا فيه ونادوا يا مالك ليقض علينا ربك وقد علموا انه لا يقضي عليهم وأما قول من يقول معناه ما كنا مشركين عند انفسنا وما علمنا انا على خطأ في معتقدنا وحمل قوله انظر كيف كذبوا على أنفسهم يعني في الدنيا فتمحل وتعسف وتحريف لافصح الكلام الى ما هو عي وافحام لان المعنى الذي ذهبوا اليه ليس هذا الكلام بمترجم عنه ولا منطبق عليه وهو ناب عنه اشد النبو وما ادري ما يصنع من ذلك تفسيره بقوله تعالى يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون أنهم على شيء الا انهم هم الكاذبون بعد قوله ويحلفون على الكذب وهم يعلمون فشبه كذبهم في الآخرة بكذبهم في الدنيا (ومنهم من يستمع اليك) حين تتلو القرآن روي انه اجتمع ابو سفيان والوليد والنضر وعتبة وشيبة وابو جهل واضرابهم يستمعون تلاوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا للنضر يا أبا قتيلة ما يقول محمد فقال والذي جعلها بيته يعني الكعبة ما ادري ما يقول الا انه يحرك لسانه ويقول أساطير الاولين مثل ما حدثتكم عن القرون الماضية فقال ابو سفيان اني لاراه حقا فقال ابو جهل كلا فنزلت * والاكنة على القلوب والوقر في الآذان مثل في نبو قلوبهم ومسامعهم عن قبوله واعتقاد صحته ووجه اسناد الفعل الى ذاته وهو قوله وجعلنا للدلالة على أنه امر ثابت فيهم لا يزول عنهم كأنهم مجبولون عليه او هي حكاية لما كانوا ينطقون به من قولهم وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب وقرأ طلحة وقرا بكسر الواو (حتى اذا جاؤك يجادلونك) هي حتى التي تقع بعدها الجمل والجملة قوله اذا جاؤك (يقول الذين كفروا) ويجادلونك في موضع الحال ويجوز ان تكون الجارة ويكون اذا جاؤك في محل الجر بمعنى حتى وقت مجيئهم ويجادلونك حال وقوله يقول الذين كفروا تفسير له والمعنى انه

قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون (قال وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمني الخ) قال احمد وكثيرا ما

بلغ تكذيبهم الآيات الى انهم يجادلونك و يناكرون وفسر مجادلتهم بأنهم يقولون (ان هذا الا أساطير الاولين) فيجعلون كلام الله وأصدق الحديث خرافات وأكاذيب وهي الغاية في التكذيب (وهم ينهون) الناس عن القرآن أو عن الرسول عليه الصلاة والسلام واتباعه و يثبطونهم عن الايمان (و ينأون عنه) بانفسهم فيضلون و يضلون (وان يهلكون) بذلك (الا أنفسهم) ولا يتعداهم الضرر الى غيرهم وان كانوا يظنون انهم يضرون رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هو ابو طالب لانه كان ينهى قريشا عن التعرض لرسول الله صلى الله عليه وسلم وينأى عنه ولا يؤمن به وروى أنهم اجتمعوا الى ابى طالب وارادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم سوأ فقال

والله لن يصلوا اليك بجمعهم * حتى أوسد فى التراب دفينا
فاصدع بأمرك ماعليك غضاضة * وابشر بذاك وقر منه عيونا
ودعوتنى وزعمت انك ناصح * ولقد صدقت وكنت ثم امينا
وعرضت دينا لامحالة انه * من خير اديان البرية دينا
لولا الملامة او حذار مسبة * لوجدتنى سمحا بذاك مبينا

فنزلت (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره ولو ترى لرأيت امرا شنيعا (وقفوا على النار) اروها حتى يعاينوها أو اطلعوا عليها اطلاعا هي تحتهم أو أدخلوها فعرفوا مقدار عذابها من قولك وقفته على كذا اذا فهمته وعرفته *وقرئ وقفوا على البناء للفاعل من وقف عليه وقوفا (ياليتنا نرد) ثم تمنيهم ثم ابتدأوا (ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين) واعدين الايمان كانهم قالوا ونحن لا نكذب ونؤمن على وجه الاثبات وشبهه سيبويه بقولهم دعنى ولا أعود بمعنى دعنى وأنا لا اعود تركتنى أو لم تتركنى ويجوز أن يكون معطوفا على نرد أو حالا على معنى ياليتنا نرد غير مكذبين وكائنين من المؤمنين فيدخل تحت حكم التمنى (فان قلت) يدفع ذلك قوله وانهم لكاذبون لان المتمنى لا يكون كاذبا (قلت) هذا تمن قد تضمن معنى العدة فجاز أن يتعلق به التكذيب كما يقول الرجل ليت الله يرزقنى مالا فأحسن اليك واكافئك على صنيعك فهذا متمن فى معنى الواعد فلو رزق مالا ولم يحسن الى صاحبه ولم يكافئه كذب كانه قال ان رزقنى الله مالا كافأتك على الاحسان وقرئ ولا نكذب ونكون بالنصب باضمار أن على جواب التمنى ومعناه ان رددنا لم نكذب ونكن من المؤمنين (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) من قبائحهم وفضائحهم فى صحفهم و بشهادة جوارحهم عليهم فلذلك تمنوا ما تمنوا ضجرا لا أنهم عازمون على أنهم لو ردوا لآمنوا وقيل هو فى المنافقين وانه يظهر نفاقهم الذى كانوا يسرونه وقيل هو فى أهل الكتاب وأنه يظهر لهم ما كانوا يخفونه من صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ولو ردوا) الى الدنيا بعد وقوفهم على النار (لعادوا لما نهوا عنه) من الكفر والمعاصى (وانهم لكاذبون) فيما وعدوا من أنفسهم لا يفون به (وقالوا) عطف على لعادوا أى ولو ردوا لكفروا ولقالوا (ان هى الا حياتنا الدنيا) كما كانوا يقولون قبل معاينة القيامة ويجوز أن يعطف على قوله وانهم لكاذبون على معنى وانهم لقوم كاذبون فى كل شئ وهم الذين قالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وكفى به دليلا على كذبهم (وقفوا على ربهم) مجاز عن الحبس للتوبيخ والسؤال كما يوقف العبد الجانى بين يدى سيده ليعاتبه وقيل وقفوا على جزاء ربهم وقيل عرفوه حق التعريف (قال) مردود على قول قائل قال ماذا قال لهم ربهم اذ وقفوا عليه فقيل قال (أليس هذا بالحق) وهذا تعيير من الله تعالى لهم على التكذيب وقولهم لما كانوا يسمعون من حديث البعث والجزاء ما هو بحق وما هو الا باطل (بما كنتم تكفرون) بكفركم بلقاء الله ببلوغ الآخرة وما يتصل بها وقد حقق الكلام فيه فى مواضع اخر (حتى) غاية لكذبوا لا لخسر لان خسرانهم لا غاية له اى ما زال بهم التكذيب الى حسرتهم وقت مجئ الساعة (فان قلت) أما يتحسرون عند موتهم (قلت) لما كان الموت وقوعا فى أحوال الآخرة

ان هذا الا أساطير الاولين وهم ينهون عنه و ينأون عنه وان يهلكون الا أنفسهم وما يشعرون ولو ترى اذ وقفوا على النار فقالوا ياليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون وقالوا ان هى الا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ولو ترى اذ وقفوا على ربهم قال أليس هذا بالحق قالوا بلى وربنا قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله حتى اذا جاءتهم الساعة

تتناوب صيغة التمنى والخبر الا ترى الى قوله تعالى وبما كانوا يكذبون فى قوله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين الى قوله وبما كانوا يكذبون وهذه المعاهدة انما كانت تمنيا بصيغة الخبر والله أعلم وأبين من ذلك قوله تعالى فى آية اخرى وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذى كنا نعمل فهذا هو التمنى بعينه ولكن بصيغة الوعد والخبر الصريحة والله الموفق ومقدماتها

*قوله تعالى قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله الآية (قال قد في قد نعلم بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله ولكنه قد يهلك المال نائله) قال احمد ومثلها في قوله وقد تعلمون انى رسول الله اليكم فانه يكثر علمهم برسالته ويؤكده بظهور آياته حتى يقيم عليهم الحجة في جمعهم بين متناقضين اذيته ورسوخ علمهم برسالته والله أعلم ومنه ايضا قوله * قد أترك القرن مصفرا أنامله * والغرض التعبير عن المعنى بما يشعر بعكسه تنبيها على انه بلغ الآية التي ما بعدها الا الرجوع الى الضد وذلك من لطائف لغة العرب وغرائبها

ومقدماتها جعل من جنس الساعة وسمي باسمها ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات فقد قامت قيامته اوجعل مجيء الساعة بعد الموت لسرعته كالواقع بغير فترة (بغتة) فجأة وانتصابها على الحال بمعنى باغتة اوعلى المصدر كانه قيل بغتتهم الساعة بغتة (فرطنا فيها) الضمير للحياة الدنيا جيء بضميرها وان لم يجر لها ذكر لكونها معلومة اوللساعة على معنى قصرنا في شأنها وفي الايمان بها كما تقول فرطت في فلان ومنه فرطت في جنب الله (يحملون اوزارهم على ظهورهم) كقوله فبما كسبت أيديكم لانه اعتيد حمل الاثقال على الظهور كما ألف الكسب بالايدي (ساء ما يزرون) بئس شيأ يزرون وزرهم كقوله ساء مثلا القوم * جعل أعمال الدنيا لعبا ولهوا واشتغالا بما لا يعني ولا يعقب منفعة كما تعقب أعمال الآخرة المنافع العظيمة وقوله (للذين يتقون) دليل على ان ماعدى اعمال المتقين لعب ولهو * وقرأ ابن عباس رضي الله عنه ولدار الآخرة * وقرئ تعقلون بالتاء والياء * قد في (قد نعلم) بمعنى ربما الذي يجيء لزيادة الفعل وكثرته كقوله

أخا ثقة لاتهلك الخمر ماله * ولكنه قد يهلك المال نائله

*والهاء في (انه) ضمير الشان (ليحزنك) *قرئ بفتح الياء وضمها و(الذي يقولون) هو قولهم ساحر كذاب (لا يكذبونك) قرئ بالتشديد والتخفيف من كذبه اذا جعله كاذبا في زعمه وأكذبه اذا وجده كاذبا والمعنى ان تكذيبك امر راجع الى الله لانك رسوله المصدق بالمعجزات فهم لا يكذبونك في الحقيقة وانما يكذبون الله بجحود آياته فانه عن حزنك لنفسك وانهم كذبوك وأنت صادق وليشغلك عن ذلك ما هو اهم وهو استعظامك بجحود آيات الله تعالى والاستهانة بكتابه ونحوه قول السيد لغلامه اذا اهانه بعض الناس انهم لم يهينوك وانما اهانوني وفي هذه الطريقة قوله تعالى ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله وقيل فانهم لا يكذبونك بقلوبهم ولكنهم يجحدون بالسنتهم وقيل فانهم لا يكذبونك لانك عندهم الصادق الموسوم بالصدق ولكنهم يجحدون بآيات الله وعن ابن عباس رضي الله عنه كان رسول الله ﷺ يسمى الامين فعرفوا انه لا يكذب في شيء ولكنهم كانوا يجحدون وكان ابو جهل يقول ما نكذبك لانك عندنا صادق وانما نكذب ما جئتنا به وروى ان الاخنس بن شريق قال لابي جهل يا ابا الحكم اخبرني عن محمد اصادق هو ام كاذب فانه ليس عندنا احد غيرنا فقال له والله ان محمدا لصادق وما كذب قط ولكن اذا ذهب بنو قصي باللواء والسقاية والحجابة والنبوة فماذا يكون لسائر قريش فنزلت وقوله (ولكن الظالمين) من اقامة الظاهر مقام المضمر للدلالة على انهم ظلموا في جحودهم (ولقد كذبت) تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا دليل على ان قوله فانهم لا يكذبونك ليس بنفي لتكذيبه وانما هو من قولك لغلامك ما اهانوك ولكنهم اهانوني (على ما كذبوا واوذوا) على تكذيبهم وايذائهم (ولا مبدل لكلمات الله) لمواعيده من قوله ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون (ولقد جاءك من نبأ المرسلين) بعض انبائهم وقصصهم وما كابدوا من مصابرة المشركين *كان يكبر على النبي صلى الله عليه وسلم كفر قومه واعراضهم عما جاء به فنزل لعلك باخع نفسك انك لا تهدي

* عاد كلامه (قال وقرئ يكذبونك بالتشديد والتخفيف من كذبه الى قوله ولكن الظالمين الخ) قال احمد وفي هذا النوع من اقامة الظاهر مقام المضمر فنان من نكت البيان احدهما الاسهاب في ذمهم وهذه النكتة يستقل بها الظاهر من حيث كونه ظاهرا حتى لو كان لقبا جامدا والاخرى زيادة منه تؤكد ذمهم تفهم من اشتقاق الظاهر

بغتة قالوا ياحسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون اوزارهم على ظهورهم ألا ساء ما يزرون وما الحياة الدنيا الا لعب ولهو وللدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدل لكلمات الله ولقد جاءك من نبإ المرسلين

*عاد كلامه (قال وقوله ولقد كذبت رسل من قبلك تسلية الخ) قال احمد رحمه الله ولا دلالة فيه لانه مؤتلف مع نفي التكذيب ايضا وموقعه حينئذ من الفضيلة أبين اي هؤلاء لم يكذبوك فحقك ان تصبر عليهم ولا يحزنك امرهم واذا كان من قبلك من الانبياء قد كذبهم قومهم فصبروا عليهم فانت اذ لم يكذبوك اجدر بالصبر فقد ائتلف كما ترى بالتفسيرين جميعا ولكنه من غير الوجه الذي استدل به فيه تقريب لما اختاره وذلك ان مثل هذه التسلية قد وردت مصرحا بها في نحو قوله وان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك فيسلاه عن تكذيبهم له بتكذيب غيرهم من الامم لانبيائهم وما هو الا تفسير حسن مطابق للواقع مؤيد بالنظائر والله اعلم *قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى الآية

(قال بان يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة فلا تكونن من الجاهلين من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه) قال احمد وهذه الآية ايضا كافلة بالرد على القدرية في زعمهم ان الله تعالى شاء جمع الناس كلهم على الهدى فلم يكن الا ترى ان الجملة مصدرة بلو ومقتضاها امتناع جوابها لامتناع الواقع بعدها فامتناع اجتماعهم على الهدى اذا انما كان لامتناع المشيئة فمن ثم ترى الزمخشري يحمل المشيئة على قهرهم على الهدى بآية ملجئة لا يكون الايمان معها اختياراً حتى يتم له ان هذا الوجه من المشيئة لم يقع وان مشيئة اجتماعهم على الهدى على اختيار منهم ثابتة غير ممتنعة ولكن لم يقع متعلقها وهذه من خباياه ومكامنه فاحذرها والله الموفق * قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء (قال ان قلت هلا قيل وما من دابة ولا طائر الخ) قال احمد ولم يبين وجه زيادتها للتعميم ولقائل ان يقول يلزم من العموم في اجناس الطير دخول كل طائر في الجو في العموم وان لم يذكر في الجو وكذلك يلزم من عموم الدواب في سائر اصنافها أن يندرج في ذلك كل دابة في الارضين وان لم يذكر في الارض فلا بد من بيان وجه الزيادة فنقول موقع قوله في الارض ويطير بجناحيه موقع الوصف العام وصفة العام عامة ضرورة المطابقة فكانه مع زيادة الصفة تظافرت صفتان عامتان والله اعلم

وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض أو سلما في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين انما يستجيب الذين يسمعون والموتى يبعثهم الله ثم اليه يرجعون وقالوا لولا نزل عليه آية من ربه قل ان الله قادر على ان ينزل آية ولكن أكثرهم لا يعلمون وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم الى ربهم يحشرون

من احببت (وان كان كبر عليك اعراضهم فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض) منفذا تنفذ فيه الى ما تحت الارض حتى تطلع لهم آية يؤمنون بها (او سلما في السماء فتأتيهم) منها (بآية) فافعل يعني انك لا تستطيع ذلك والمراد بيان حرصه على اسلام قومه وتهالكه عليه وانه لو استطاع ان يأتيهم بآية من تحت الارض اومن فوق السماء لاتى بها رجاء ايمانهم وقيل كانوا يقترحون الآيات فكان يود ان يجابوا اليها لتمادي حرصه على ايمانهم فقيل له ان استطعت ذلك فافعل دلالة على انه بلغ من حرصه انه لو استطاع ذلك لفعله حتى يأتيهم بما اقترحوا من الآيات لعلهم يؤمنون ويجوز ان يكون ابتغاء النفق في الارض او السلم في السماء هو الاتيان بالآيات كانه قيل لو استطعت النفوذ الى ما تحت الارض اوالرقي الى السماء لفعلت لعل ذلك يكون لك آية يؤمنون عندها وحذف جواب ان كما تقول ان شئت أن تقوم بنا الى فلان نزوره (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) بأن يأتيهم بآية ملجئة ولكنه لا يفعل لخروجه عن الحكمة (فلا تكونن من الجاهلين) من الذين يجهلون ذلك ويرومون ما هو خلافه (انما يستجيب الذين يسمعون) يعني ان الذين تحرص على ان يصدقوك بمنزلة الموتى الذين لا يسمعون وانما يستجيب من يسمع كقوله انك لا تسمع الموتى (والموتى يبعثهم الله) مثل لقدرته على الجائهم الى الاستجابة بانه هو الذي يبعث الموتى من القبور يوم القيامة (ثم اليه يرجعون) للجزاء فكان قادرا على هؤلاء الموتى بالكفر ان يحييهم بالايمان وانت لا تقدر على ذلك وقيل معناه وهؤلاء الموتى يعني الكفرة يبعثهم الله ثم اليه يرجعون فحينئذ يسمعون وأما قبل ذلك فلا سبيل الى استماعهم وقرئ يرجعون بفتح الياء (لولا نزل عليه آية) نزل بمعنى أنزل * وقرئ ان ينزل بالتشديد والتخفيف وذكر الفعل والفاعل مؤنث لان تأنيث آية غير حقيقي وحسن للفصل وانما قالوا ذلك مع تكاثر ما أنزل من الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم لتركهم الاعتداد بما أنزل عليه كانه لم ينزل عليه شيء من الآيات عنادا منهم (قل ان الله قادر على ان ينزل آية) تضطرهم الى الايمان كنتق الجبل على بني اسرائيل ونحوه أو آية ان جحدوها جاءهم العذاب (ولكن اكثرهم لا يعلمون) ان الله قادر على ان ينزل تلك الآية وأن صارفا من الحكمة يصرفه عن انزالها (أمم امثالكم) مكتوبة ارزاقها وآجالها وأعمالها كما كتبت أرزاقكم وآجالكم وأعمالكم (ما فرطنا) ما تركنا وما أغفلنا (في الكتاب) في اللوح المحفوظ (من شيء) من ذلك لم نكتبه ولم نثبت ما وجب ان يثبت مما يختص به (ثم الى ربهم يحشرون) يعني الامم كلها من الدواب والطير فيعوضها وينصف بعضها من بعض كما روي انه يأخذ للجماء من القرناء * (فان قلت) كيف قيل الأمم مع افراد الدابة والطائر (قلت) لما كان قوله تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر دالا على معنى الاستغراق ومغنيا عن ان يقال وما من دواب ولا طير حمل قوله الأمم على المعنى (فان قلت) هلا قيل وما من دابة ولا طائر الا امم امثالكم وما معنى زيادة قوله في الارض ويطير بجناحيه (قلت) معنى ذلك زيادة التعميم والاحاطة كانه قيل وما من دابة قط في جميع الارضين السبع وما من طائر قط في جو السماء من جميع ما يطير بجناحيه الا امم امثالكم محفوظة احوالها غير مهمل أمرها (فان قلت) فما الغرض في ذكر ذلك (قلت) الدلالة على عظم قدرته ولطف علمه وسعة سلطانه وتدبيره تلك الخلائق المتفاوتة الاجناس المتكاثرة الاصناف وهو حافظ

لما

* قوله تعالى من يشأ الله يضلله ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم (قال معنى يضلله يخذله ولم يلطف به الخ) قال أحمد وهذا من تحريفاته للهداية والضلالة اتباعا لمعتقده الفاسد في أن الله تعالى لا يخلق الهدى ولا الضلال وانهما من جملة مخلوقات العباد وكم تخرق عليه هذه العقيدة فيروم أن يرقعها وقد اتسع الخرق على الراقع والله الموفق * قوله تعالى قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله أو أتتكم الساعة أغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون (قال متعلق الاستخبار محذوف تقديره الخ) قال أحمد هو لا يدع أن يحجر واسعا فيوجب على الله رعاته المصالح بناء على القاعدة الفاسدة من مراعاة الصلاح والاصلح

لما لها وما عليها مهيمن على احوالها لا يشغله شأن عن شان وان المكلفين ليسوا بمخصوصين بذلك دون من عداهم من سائر الحيوان * وقرأ ابن أبي عبلة ولا طائر بالرفع على المحل كانه قيل وما من دابة ولا طائر * وقرأ علقمة ما فرطنا بالتخفيف * (فان قلت) كيف أتبعه قوله (والذين كذبوا بآياتنا) قلت لما ذكر من خلائقه وآثار قدرته ما يشهد لربوبيته وينادي على عظمته قال والمكذبون (صم) لا يسمعون كلام المنبه (بكم) لا ينطقون بالحق خابطون في ظلمات الكفر فهم غافلون عن تامل ذلك والتفكر فيه ثم قال ايذانا بانهم من أهل الطبع (من يشأ الله يضلله) اى يخذله ويخله وضلاله لم يلطف به لانه ليس من اهل اللطف (ومن يشأ يجعله على صراط مستقيم) أي يلطف به لان اللطف يجدي عليه (أرأيتكم) اخبروني والضمير الثاني لا محل له من الاعراب لانك تقول أرأيتك زيدا ما شانه فلو جعلت للكاف محلا لكنت كانك تقول ارأيت نفسك زيدا ما شانه وهو خلف من القول ومتعلق الاستخبار محذوف تقديره ان اتاكم عذاب الله (او اتتكم الساعة) من تدعون ثم بكتهم بقوله (اغير الله تدعون) بمعنى اتخصون آلهتكم بالدعوة فيما هو عادتكم اذا اصابكم ضرام تدعون الله دونها (بل اياه تدعون) بل تخصونه بالدعاء دون الآلهة (فيكشف ما تدعون اليه) اى ما تدعونه الى كشفه (ان شاء) ان اراد ان يتفضل عليكم ولم يكن مفسدة (وتنسون ما تشركون) وتتركون آلهتكم اولا تذكرونها في ذلك الوقت لان اذهانكم في ذلك الوقت مغمورة بذكر ربكم وحده اذ هو القادر على كشف الضر دون غيره ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون كانه قيل اغير الله تدعون ان اتاكم عذاب الله * فان (قلت) ان علقت الشرط به فما تصنع بقوله فيكشف ما تدعون اليه مع قوله او اتتكم الساعة وقوارع الساعة لا تكشف عن المشركين (قلت) قد اشترط في الكشف المشيئة وهو قوله ان شاء ايذانا بانه ان فعل كان له وجه من الحكمة الا انه لا يفعل لوجه آخر من الحكمة ارجح منه * البأساء والضراء البؤس والضر وقيل الباساء القحط والجوع والضر المرض ونقصان الاموال والانفس والمعنى ولقد ارسلنا اليهم الرسل فكذبوهم فاخذناهم (لعلهم يتضرعون) يتذللون ويتخشعون لربهم ويتوبون عن ذنوبهم (فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا) معناه نفي التضرع كانه قيل فلم يتضرعوا اذ جاءهم باسنا ولكنه جاء بلولا ليفيد انه لم يكن لهم عذر في ترك التضرع الا عنادهم وقسوة قلوبهم واعجابهم باعمالهم التي زينها الشيطان لهم (فلما نسوا ما ذكروا به) من الباساء والضراء اى تركوا الاتعاظ به ولم ينفع فيهم ولم يزجرهم (فتحنا عليهم ابواب كل شيء) من الصحة والسعة وصنوف النعمة ليزاوج عليهم بين نوبتي الضراء والسراء كما يفعل الاب المشفق بولده يخاشنه تارة ويلاطفه اخرى طلبا لصلاحه (حتى اذا فرحوا بما اوتوا) من الخير والنعم لم يزيدوا على الفرح والبطر من غير انتداب لشكر ولا تصد لتوبة واعتذار (اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون) واجمون متحسرون آيسون (فقطع دابر القوم) آخرهم لم يترك منهم احد قد استؤصلت شافتهم

والذين كذبوا بآياتنا صم وبكم في الظلمات من يشا الله يضلله ومن يشا يجعله على صراط مستقيم قل ارايتكم ان اتاكم عذاب الله او اتتكم الساعة اغير الله تدعون ان كنتم صادقين بل اياه تدعون فيكشف ما تدعون اليه ان شاء وتنسون ما تشركون ولقد ارسلنا الى امم من قبلك فاخذناهم بالباساء والضراء لعلهم يتضرعون فلولا اذ جاءهم باسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ما كانوا يعملون فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا

عاد كلامه قال وتنسون ما تشركون اى وتتركون آلهتكم الخ) قال احمد وانما يلفي الاختصاص حيث يقول معناه اتخصون آلهتكم ثم قال بل تخصون الله بالدعاء من حيث تقدم المفعول على الفعل في قوله أغير الله تدعون وقوله بل اياه تدعون وتقديم المفعول عنده يفيد الاختصاص والحصر وقوله تعالى اياك نعبد في قوة قولك لا نعبد الا اياك وقد مضى الكلام عليه * عاد كلامه (قال ويجوز ان يتعلق الاستخبار بقوله اغير الله تدعون الخ) قال احمد ولقد سدد النظر لولا أنه نغص ذلك بما يفهم وجوب مراعاة المصالح وان مشيئة الله تعالى تابعة للمصلحة وقد تقدم آنفا فاحذره وعليك بما سواه فانه من بديع النظر والله الموفق

*قوله تعالى فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فاذاهم مبلسون فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين (قال الحمد ههنا ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الخ) قال أحمد ونظيرها قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا فساء مطر المنذرين قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى فيمن وقف ههنا وجعل الحمد على اهلاك المتقدم ذكرهم من الطاغين ومنهم من وقف على المنذرين وجعل الحمد متصلا بما بعده من اقامة البراهين على وحدانية الله تعالى وانه جل جلاله خير مما يشركون فعلى الاول يكون الحمد ختما وعلى الثاني فاتحة وهو مستعمل فيهما شرعا ولكنه فى آية النمل أظهر فى كونه مفتتحا لما بعده وفى آية الانعام ختم لما تقدمه حتما اذلا يقتضى السياق غير ذلك والله اعلم *قوله تعالى قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان أتبع الا مايوحي الى قل هل يستوى الاعمى والبصير أفلا تتفكرون الآية (قال أى لا أدعي مايستبعد فى العقول الخ) قال احمد رحمه الله هو ينبني على القاعدة المتقدمة له فى تفضيل الملائكة على الانبياء ولعمري ان ظاهر هذه الآية يؤيده فلذلك انتهز الفرصة فى الاستدلال بها وللمخالف ان يقول انما وردت الآية ردا على الكفار فى قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي فى الاسواق لولا انزل عليه ملك فيكون معه نذيرا او يلقي اليه كنز الآية فرد قولهم مالهذا الرسول يأكل الطعام بانه بشر وذلك شأن البشر ولم يدع انه ملك حتى يتعجب من أكله للطعام وحينئذ لا يلزم منها تفضيل الملائكة على الانبياء لانه لا خلاف ان الانبياء يأكلون الطعام وان الملائكة ليسوا كذلك فالتفرقة بهذا الوجه متفق عليها ولا يوجب ذلك اتفاقا على ان الملائكة افضل من الانبياء وكذلك رد قولهم او يلقي اليه كنز بانه لا يملك خزائن

والحمد لله رب العالمين قل ارأيتم ان اخذ الله سمعكم وابصاركم وختم على قلوبكم من اله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الايات ثم هم يصدفون قل أرأيتكم ان أتاكم عذاب الله بغتة اوجهرة هل يهلك الا القوم الظالمون وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم اني ملك ان اتبع الا مايوحي الى قل هل يستوى الاعمى والبصير . المستقيم

(والحمد لله رب العالمين) ايذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وانه من اجل النعم واجزل القسم * وقرئ فتحنا بالتشديد (ان اخذ الله سمعكم وأبصاركم) بان يصمكم ويعميكم (وختم على قلوبكم) بان يغطي عليها مايذهب عنده فهمكم وعقلكم (يأتيكم به) اى يأتيكم بذاك اجراء للضمير مجرى اسم الاشارة او بما اخذ وختم عليه (يصدفون) يعرضون عن الآيات بعد ظهورها * لما كانت البغتة ان يقع الامر من غير أن يشعر به وتظهر اماراته قيل (بغتة اوجهرة) وعن الحسن ليلا اونهارا وقرئ بغتة اوجهرة (هل يهلك) اى مايهلك هلاك تعذيب وسخط الا الظالمون * وقرئ هل يهلك بفتح الياء (مبشرين ومنذرين) من آمن بهم وبما جاؤا به وأطاعهم ومن كذبهم وعصاهم ولم يرسلهم ليتلهى بهم ويقترح عليهم الآيات بعد وضوح امرهم بالبراهين القاطعة (وأصلح) مايجب عليه اصلاحه مما كلف * جعل العذاب ماسا كانه حي يفعل بهم مايريد من الآلام ومنه قولهم لقيت منه الامرين والاقورين حيث جمعوا جمع العقلاء وقوله اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا * اى لا أدعي مايستبعد فى العقول ان يكون لبشر من ملك خزائن الله وهي قسمة بين الخلق وأرزاقه وعلم الغيب وانى من الملائكة الذين هم اشرف جنس خلقه الله تعالى وأفضله وأقربه منزلة منه اى لم ادع الهية ولا ملكية لانه ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة حتى تستبعدوا دعواى وتستنكروها وانما ادعي ما كان مثله لكثير من البشر وهو النبوة (هل يستوى الاعمى والبصير) مثل للضال والمهتدى ويجوز ان يكون مثلا لمن اتبع مايوحي اليه ومن لم يتبع اولمن ادعى

الله تعالى حتى يأتيهم بكنز منها على وفق مقترحهم ولا قال لهم ذلك حتى يقام عليه الحجة به وهذه الآية جاء الترتيب فيها مخالفا الترتيب قوله لن يستنكف المسيح ان يكون عبدا لله ولا الملائكة المقربون قال الزمخشري لانهم اعلى من الانبياء وقد اخرههنا دعوى الملكية عن دعوى الالهية اذ الالهية اجل واعلى والملكية ادنى ولا محل لذلك الا التمهيد الذي اسلفته وقد جعلت الامر فى التقديم والتأخير تبعا للسياق فقد تقتضي البلاغة فى بعضه عكس ماتقتضيه فى الآخر ولم يحسن الزمخشري فى قوله ليس بعد الالهية منزلة ارفع من منزلة الملائكة فانه جعل الالهية من جملة المنازل كالملكية ومثل هذا الاطلاق لا يسوغ والمنزلة عبارة عن المحل الذي ينزل الله فيه العبد من علو وغيره فاطلاقها على الالهية تحريف والله الموفق للصواب * عاد كلامه (قال والاعمى والبصير مثل للضال والمهتدى الخ) قال احمد قوله اوادعى المحال يعني المستحيل ولذلك قابله بالمستقيم يريد الممكن وذلك مسبب عن دعوى الالهية اذادعاؤها لا يجوز عقلا واما مدعى الملكية فلا يقاس بمدعي الالهية فى الاستحالة العقلية ويجوز فى القدرة ان يجعل البشر ملكا والملك بشرا كما يجوز ان يجعل البشر انبياء ويدل على هذا الجواز قوله ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا هذا مع ان العقل يجيزه فى قدرة الله تعالى لان الجواهر متماثلة والمعانى القائمة ببعضها يجوز ان تقوم بكلها

المستقيم وهو النبوة والمحال وهو الالهية او الملكية (افلا تتفكرون) فلا تكونوا ضالين اشباه العميان أو فتعلموا أني ما ادعيت ما لا يليق بالبشر أو فتعلموا ان اتباع ما يوحي الى مما لا بد لى منه (فان قلت) أعلم الغيب محله من الاعراب (قلت) النصب عطفا على قوله عندي خزائن الله لانه من جملة المقول كانه قال لا أقول لكم هذا القول ولا هذا القول (وأنذر به) الضمير راجع الى قوله ما يوحي الى (الذين يخافون ان يحشروا) اما قوم داخلون فى الاسلام مقرون بالبعث الا انهم مفرطون فى العمل فينذرهم بما يوحي اليه (لعلهم يتقون) أي يدخلون في زمرة المتقين من المسلمين واما اهل الكتاب لانهم مقرون بالبعث واما ناس من المشركين علم من حالهم انهم يخافون اذا سمعوا بحديث البعث ان يكون حقا فيهلكوا فهم ممن يرجى ان ينجع فيهم الانذار دون المتمردين منهم فامر ان ينذر هؤلاء * وقوله ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع فى موضع الحال من يحشروا بمعنى يخافون ان يحشروا غير منصورين ولا مشفوعا لهم ولا بد من هذه الحال لان كلا محشور فالخوف انما هو الحشر على هذه الحال * ذكر غير المتقين من المسلمين وأمر بانذارهم ليتقوا ثم اردفهم ذكر المتقين منهم وأمره بتقريبهم واكرامهم وأن لا يطيع فيهم من ارادبهم خلاف ذلك وأثنى عليهم بانهم يواصلون دعاء ربهم اى عبادته ويواظبون عليها * والمراد بذكر الغداة والعشى الدوام وقيل معناه يصلون صلاة الصبح والعصر ووسمهم بالاخلاص فى عبادتهم بقوله (يريدون وجهه) والوجه يعبر به عن ذات الشيء وحقيقته روى ان رؤسا من المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم لو طردت عنا هؤلاء الاعبد يعنون فقراء المسلمين وهم عمار وصهيب وبلال وخباب وسلمان وأضرابهم رضوان الله عليهم وأرواح جبابهم وكانت عليهم جباب من صوف جلسنا اليك وحادثناك فقال عليه الصلاة والسلام ما انا بطارد المؤمنين فقالوا فاقمهم عنا اذا جئنا فاذا اقمنا فأقعدهم معك ان شئت فقال نعم طمعا فى ايمانهم وروى ان عمر رضى الله عنه قال له لو فعلت حتى ننظر الى ما يصيرون قال فاكتب بذلك كتابا فدعا بصحيفة وبعلي رضى الله عنه ليكتب فنزلت فرمى بالصحيفة واعتذر عمر من مقالته قال سلمان وخباب فينا نزلت فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقعد معنا ويدنو منا حتى تمس ركبتنا ركبته وكان يقوم عنا اذا اراد القيام فنزلت واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم فترك القيام عنا الى ان نقوم عنه وقال الحمد لله الذي لم يمتني حتى امرني ان اصبر نفسي مع قوم من أمتي معكم المحيا ومعكم الممات (ما عليك من حسابهم من شيء) كقوله ان حسابهم الا على ربي وذلك أنهم طعنوا فى دينهم واخلاصهم فقال ما عليك من حسابهم من شيء بعد شهادته لهم بالاخلاص وبارادة وجه الله فى اعمالهم على معنى وان كان الامر على ما يقولون عند الله فما يلزمك الا اعتبار الظاهر والاتسام بسيمة المتقين وان كان لهم باطن غير مرضي فحسابهم عليهم لازم لهم لا يتعداهم اليك كما ان حسابك عليك لا يتعداك اليهم كقوله ولا تزر وازرة وزر أخرى (فان قلت) أما كفى قوله ما عليك من حسابهم من شيء حتى ضم اليه (وما من حسابك عليهم من شيء) (قلت) قد جعلت الجملتان بمنزلة جملة واحدة وقصد بهما مؤدي واحد وهو المعنى فى قوله ولا تزر وازرة وزر أخرى ولا يستقل بهذا المعنى الا الجملتان جميعا كانه قيل لا تؤاخذ أنت ولا هم بحساب صاحبه وقيل الضمير للمشركين والمعنى لا يؤاخذون بحسابك ولا أنت بحسابهم حتى يهمك ايمانهم ويحركك الحرص عليه الى ان تطرد المؤمنين (فتطردهم) جواب النفى (فتكون من الظالمين) جواب النهي

افلا تتفكرون وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين

فالمعانى التي بها كان الملك ملكا يجوز ان يخلقها الله تعالى للبشر وبالعكس وعدم وقوعه لا يأبى استقامته وامكانه والله الموفق * قوله تعالى وأنذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم ليس لهم من دونه ولى ولا شفيع لعلهم يتقون (قال الذين يخافون اما قوم آمنوا الا انهم مفرطون الخ) قال احمد وانما كانت هذه الحال لازمة لو قيل وانذر به الذين يحشرون لانه لولا الحال لعم الامر بالانذار كل احد والمقصود تخصيصه بالبعض واما وقد قيل وانذر به الذين يخافون ان يحشروا الى ربهم فهذا الكلام مستقل برأسه ومضمونه تخصيص الانذار المامور به بالقوم الخائفين من البعث اما لانهم مقرون به واما لانهم يحتاطون لانفسهم فيحملهم الخوف على النظر المفضي الى اليقين دون العتاة المصممين على الجحد وليس كل خائف من البعث لا شفيع له فان الموحدين اجمعين خائفون وهم مشفوع لهم وان عنى باللازمة التي لا ينفك ذو الحال عنها كالتي فى قوله وهو الحق مصدقا فانما هو حينئذ يبنى على قاعدته فى انكار الشفاعة فكل خائف عنده لا شفيع له اذ لا يخاف الا اصحاب الكبائر غير التائبين او الكفار والكل عنده سواء لا شفيع لهم وحيث اثبت الشفاعة جعلها خاصة بزيادة الثواب فلا ينالها الا من يستوجب على زعمه الثواب بعمله الصالح وتكون الشفاعة مفيدة للمزيد على ما يرضيه فهذا عنده لا يخاف من البعث لانه يستوجب الجنة فمن ثم جعل الحال لازمة اذ الناس قسمان غير خائف فلا تتناوله الآية وخائف فذاك انما خاف لانه استوجب العقاب فلا شفاعة تناله وهذه من دفائنه الخفية ومكامنه المزوية فتفطن لها والله الموفق برحمته

ويجوز أن يكون عطفا على فتطردهم على وجه التسبيب لان كونه ظالما مسبب عن طردهم * وقرئ بالغدوة والعشي (وكذلك فتنا) ومثل ذلك الفتن العظيم فتنا بعض الناس ببعض أي ابتليناهم بهم وذلك ان المشركين كانوا يقولون للمسلمين (أهؤلاء) الذين (من الله عليهم من بيننا) أي أنعم عليهم بالتوفيق لاصابة الحق ولما يسعدهم عنده من دوننا ونحن المقدمون والرؤساء وهم العبيد والفقراء انكارا لان يكون أمثالهم على الحق وممنونا عليهم من بينهم بالخير ونحوه أألقي الذكر عليه من بيننا لو كان خيرا ماسبقونا اليه ومعنى فتناهم ليقولوا ذلك خذلناهم فافتتنوا حتى كان افتتانهم سببا لهذا القول لانه لا يقول مثل قولهم هذا الا مخذول مفتون (أليس الله بأعلم بالشاكرين) أي الله اعلم بمن يقع منه الايمان والشكر فيوفقه للايمان وبمن يصمم على كفره فيخذله ويمنعه التوفيق (فقل سلام عليكم) اما أن يكون امرا بتبليغ سلام الله اليهم واما أن يكون امرا بأن يبدأهم بالسلام اكراما لهم وتطييبا لقلوبهم وكذلك قوله (كتب ربكم على نفسه الرحمة) من جملة مايقول لهم ليسرهم ويبشرهم بسعة رحمة الله وقبوله التوبة منهم * وقرئ انه فانه بالكسر على الاستئناف كأن الرحمة استفسرت فقيل (انه من عمل منكم) وبالفتح على الابدال من الرحمة (بجهالة) في موضع الحال أي عمله وهو جاهل وفيه معنيان احدهما انه فاعل فعل الجهلة لان من عمل مايؤدي الى الضرر في العاقبة وهو عالم بذلك أو ظان فهو من اهل السفه والجهل لا من اهل الحكمة والتدبير ومنه قول الشاعر

على انها قالت عشية زرتها * جهلت على عمد ولم تك جاهلا

والثاني انه جاهل بما يتعلق به من المكروه والمضرة ومن حق الحكيم ان لا يقدم على شيء حتى يعلم حاله وكيفيته وقيل انها نزلت في عمر رضي الله عنه حين اشار باجابة الكفرة الى ماسألوا ولم يعلم انها مفسدة * وقرئ (ولتستبين) بالتاء والياء مع رفع السبيل لانها تذكر وتؤنث وبالتاء على خطاب الرسول مع نصب السبيل يقال استبان الامر وتبين واستبنته وتبينته والمعنى ومثل ذلك التفصيل البين نفصل آيات القرآن ونلخصها في صفة أحوال المجرمين من هو مطبوع على قلبه لا يرجى اسلامه ومن يرى فيه امارة القبول وهو الذي يخاف اذا سمع ذكر القيامة ومن دخل في الاسلام الا أنه لا يحفظ حدوده ولتستوضح سبيلهم فتعامل كلا منهم بما يجب ان يعامل به فصلنا ذلك التفصيل (نهيت) صرفت وزجرت بما ركب في من أدلة العقل وبما أوتيت من ادلة السمع عن عبادة ما تعبدون (من دون الله) وفيه استجهال لهم ووصف بالاقتحام فيما كانوا فيه على غير بصيرة (قل لا أتبع اهواءكم) اى لا أجري في طريقتكم التي سلكتموها في دينكم من اتباع الهوى دون اتباع الدليل وهو بيان للسبب الذي منه وقعوا في الضلال وتنبيه لكل من اراد اصابة الحق ومجانبة الباطل (قد ضللت اذا) أي ان اتبعت اهواءكم فأنا ضال وما أنا من الهدى في شيء يعني أنكم كذلك ولما نفى ان يكون الهوى متبعا نبه على ما يجب اتباعه بقوله (قل اني على بينة من ربي) ومعنى قوله اني على بينة من ربي وكذبتم به اني من معرفة ربي وانه لا معبود سواه على حجة واضحة وشاهد صدق (وكذبتم به) انتم حيث أشركتم به غيره يقال انا على بينة من هذا الامر وأنا على يقين منه اذا كان ثابتا عندك بدليل * ثم عقبه بما دل على استعظام تكذيبهم بالله وشدة غضبه عليهم لذلك وانهم احقاء بأن يغافصوا بالعذاب المستأصل فقال (ماعندي ما تستعجلون به) يعني العذاب الذي استعجلوه في قولهم فأمطر علينا حجارة من السماء (ان الحكم الا لله) في تأخير عذابكم (يقص الحق) أي القضاء الحق في كل ما يقضي من التأخير والتعجيل في أقسامه (وهو خير الفاصلين) أي القاضين وقرئ يقص الحق اي يتبع الحق والحكمة فيما يحكم به ويقدره من قص اثره (لو ان عندي) اي في قدرتي وامكاني (ما تستعجلون به) من العذاب (لقضي الامر بيني وبينكم) لاهلكتكم عاجلا غضبا لربي وامتعاضا من تكذيبكم به ولتخلصت منكم سريعا (والله أعلم بالظالمين) وبما يجب في الحكمة من كنه عقابهم وقيل على بينة من ربي على حجة من جهة ربي وهي القرآن وكذبتم به اي بالبينة وذكر الضمير على تأويل البيان او القرآن * (فان قلت) بم انتصب الحق (قلت) بانه صفة لمصدر يقضي اي يقضي القضاء الحق ويجوز ان يكون مفعولا به من قولهم قضى الدرع اذا صنعها اي يصنع الحق ويدبره وفي قراءة عبدالله يقضي بالحق

وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة انه من عمل منكم سوأ بجهالة ثم تاب من بعده واصلح فانه غفور رحيم وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل اني نهيت ان اعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع اهواءكم قد ضللت اذا وما انا من المهتدين قل اني على بينة من ربي وكذبتم به ماعندي ما تستعجلون به ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين قل لو ان عندي ما تستعجلون به لقضي الامر بيني وبينكم والله اعلم بالظالمين وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة في ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس

* (قوله تعالى وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها الا هو ويعلم ما فى البر والبحر وما تسقط من ورقة الا يعلمها ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس الا فى كتاب مبين (قال المفاتح استعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى المخازن الخ) قال أحمد اطلاق التوصل على الله تعالى ليس سديدا فانه يوهم تجدد وصول بعد تباعد اذ قول القائل توصل زيد الى كذا يفهم انه وصل بعد تكلف وبعد والله تعالى مقدس عن ذلك والغائب كالحاضر فى علمه والعلم بالكائن هو العلم بما سيكون لا يتغاير ولا يختلف وليس لنا ان نطلق مثل هذا الاطلاق الا عن ثبت والله الموفق * عاد كلامه

(فان قلت) لم أسقطت الياء فى الخط (قلت) اتباعا للخط اللفظ وسقوطها فى اللفظ لالتقاء الساكنين * جعل للغيب مفاتح على طريق الاستعارة لان المفاتح يتوصل بها الى ما فى المخازن المتوثق منها بالأغلاق والأقفال ومن علم مفاتحها وكيف تفتح توصل اليها فاراد أنه هو المتوصل الى المغيبات وحده لا يتوصل اليها غيره كمن عنده مفاتح أقفال المخازن ويعلم فتحها فهو المتوصل الى ما فى المخازن والمفاتح جمع مفتح وهو المفتاح وقرئ مفاتيح وقيل هى جمع مفتح بفتح الميم وهو المخزن * ولا حبة ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها كانه قيل وما يسقط من شيء من هذه الاشياء الا يعلمه وقوله (الا فى كتاب مبين) كالتكرير لقوله الا يعلمها لان معنى الا يعلمها ومعنى الا فى كتاب مبين واحد والكتاب المبين علم الله تعالى او اللوح * وقرئ ولا حبة ولا رطب ولا يابس بالرفع وفيه وجهان ان يكون عطفا على محل من ورقة وان يكون رفعا على الابتداء وخبره الا فى كتاب مبين كقولك لا رجل منهم ولا امرأة الا فى الدار (وهو الذى يتوفاكم بالليل) الخطاب للكفرة اى أنتم منسدحون الليل كله كالجيف (ويعلم ما جرحتم بالنهار) ما كسبتم من الآثام فيه (ثم يبعثكم فيه) ثم يبعثكم من القبور فى شأن ذلك الذى قطعتم به أعماركم من النوم بالليل وكسب الآثام بالنهار ومن اجله كقولك فيم دعوتنى فتقول فى أمر كذا (ليقضى أجل مسمى) وهو الاجل الذى سماه وضربه لبعث الموتى وجزائهم على اعمالهم (ثم اليه مرجعكم) وهو المرجع الى موقف الحساب (ثم ينبئكم بما كنتم تعملون) فى ليلكم ونهاركم (حفظة) ملائكة حافظين لاعمالكم وهم الكرام الكاتبون وعن ابى حاتم السجستانى انه كان يكتب عن الاصمعى كل شيء يلفظ به من فوائد العلم حتى قال فيه أنت شبيه الحفظة تكتب لغط اللفظة فقال ابو حاتم وهذا أيضا مما يكتب (فان قلت) الله تعالى غنى بعلمه عن كتبة الملائكة فما فائدتها (قلت) فيها لطف للعباد لانهم اذا علموا ان الله رقيب عليهم والملائكة الذين هم أشرف خلقه موكلون بهم يحفظون عليهم اعمالهم ويكتبونها فى صحائف تعرض على رؤس الاشهاد فى مواقف القيامة كان ذلك أزجر لهم عن القبيح وأبعد من السوء (توفته رسلنا) اى استوفت روحه وهم ملك الموت وأعوانه وعن مجاهد جعلت الارض له مثل الطست يتناول من يتناوله وما من أهل بيت الا ويطوف عليهم فى كل يوم مرتين وقرئ توفاه ويجوز ان يكون ماضيا ومضارعا بمعنى تتوفاه و (يفرطون) بالتشديد والتخفيف فالتفريط التوانى والتأخير عن الحد والافراط مجاوزة الحد أى لا ينقصون مما أمروا به اولا يزيدون فيه (ثم ردوا الى الله) اى الى حكمه وجزائه (مولاهم) مالكهم الذى يلى عليهم أمورهم (الحق) العدل الذى لا يحكم الا بالحق (ألا له الحكم) يومئذ لا حكم فيه لغيره (وهو أسرع الحاسبين) لا يشغله حساب عن حساب وقرئ الحق بالنصب على المدح كقولك الحمد لله الحق (ظلمات البر والبحر) مجاز عن مخاوفهما واهوالهما يقال لليوم الشديد يوم مظلم ويوم ذو كواكب اى اشتدت ظلمته حتى عاد كالليل ويجوز ان يراد ما يشفون عليه من الخسف فى البر والغرق فى البحر بذنوبهم فاذا دعوا وتضرعوا كشف الله عنهم الخسف والغرق فنجوا من ظلماتهما (لئن انجيتنا) على ارادة القول (من هذه) من هذه الظلمة الشديدة * وقرئ ينجيكم بالتشديد والتخفيف وانجانا وخفية بالضم والكسر (هو القادر) هو الذى عرفتموه قادرا وهو الكامل القدرة (عذابا من فوقكم)

الا فى كتاب مبين وهو الذى يتوفاكم بالليل ويعلم ما جرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى أجل مسمى ثم اليه مرجعكم ثم ينبئكم بما كنتم تعملون وهو القاهر فوق عباده ويرسل عليكم حفظة حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم لا يفرطون ثم ردوا الى الله مولاهم الحق ألا له الحكم وهو اسرع الحاسبين قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعا وخفية لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين قل الله ينجيكم منها ومن كل كرب ثم أنتم تشركون قل هو القادر على أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم

(قال ولا حبة فى ظلمات الارض ولا رطب ولا يابس عطف على ورقة وداخل فى حكمها الخ) قال أحمد وفائدة هذا التكرير التطرية لما بعد عهده لانه لما عطف على ورقة بعد ان سلف الايجاب المقصود للعلم فى قوله الا يعلمها وكانت هذه المعطوفات داخلة فى ايجاب العلم وهو المقصود وطالت وبعد ارتباط آخرها بالايجاب السالف كان ذلك جديرا بتجديد العهد بالمقصود ثم كان اللائق بالبلاغة المألوفة فى القرآن التجديد بعبارة اخرى ليتلقاها السامع غضة جديدة غير مملولة بالتكرير وهذا السر مما ينقب عنه المسيطر فى علم البيان ونكت اللبان والله الموفق

* قوله تعالى واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين (قال معناه وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي الخ) قال احمد وهذا التأويل الثاني يروم تنزيله على قاعدة التحسين والتقبيح بالعقل وانه كاف وان لم يرد شرع في التحريم وغيره من الاحكام اذا كانت واضحة للعقل كمجالسة المستهزئين فان قبحها بين بالعقل فهو مستقل بتحريمها وحيث ورد الشرع بذلك فهو كاشف لحكمها ومبنية عليه لا منشئ فيها حكما وقد علمت فساد هذه القاعدة ومخالفتها للعقائد السنية على ان الآية تنبو عنه فانه لو كان النسيان المراد ههنا نسيان الحكم الذي يدل عليه العقل اذا قبل ورود هذا النهي لما عبر بالمستقبل في قوله واما ينسينك فاما وقد ورد بصيغة الاستقبال فلا وجه لحمله على الماضي والله الموفق

اومن تحت ارجلكم او يلبسكم شيعا ويذيق بعضكم باس بعض انظر كيف نصرف الآيات لعلهم يفقهون وكذب به قومك وهو الحق قل لست عليكم بوكيل لكل نبإ مستقر وسوف تعلمون واذا رايت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره واما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا وغرتهم الحياة الدنيا وذكر به ان تبسل نفس بما كسبت ليس لها من دون الله ولي ولا شفيع

كما امطر على قوم لوط وعلى اصحاب الفيل الحجارة وأرسل على قوم نوح الطوفان (اومن تحت ارجلكم) كما أغرق فرعون وخسف بقارون وقيل من فوقكم من قبل اكابركم وسلاطينكم ومن تحت أرجلكم من قبل سفلتكم وعبيدكم وقيل هو حبس المطر والنبات (او يلبسكم شيعاً) او يخلطكم فرقا مختلفين على اهواء شتى كل فرقة منكم مشايعة لامام ومعنى خلطهم ان ينشب القتال بينهم فيختلطوا ويشتبكوا في ملاحم القتال من قوله

وكتيبة لبستها بكتيبة * حتى اذا التبست نفضت لها يدي

وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم سألت الله ان لا يبعث على امتي عذابا من فوقهم اومن تحت ارجلهم فأعطاني ذلك وسألته ان لا يجعل باسهم بينهم فمنعني واخبرني جبريل ان فناء امتي بالسيف وعن جابر بن عبد الله لما نزل من فوقكم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعوذ بوجهك فلما نزل اومن تحت ارجلكم أو يلبسكم شيعا قال هاتان أهون ومعنى الآية الوعيد باحد اصناف العذاب المعدودة * والضمير في قوله (وكذب به) راجع الى العذاب (وهو الحق) اى لا بد ان ينزل بهم (قل لست عليكم بوكيل) بحفيظ وكل الى امركم امنعكم من التكذيب اجبارا انما انا منذر (لكل نبا) لكل شيء ينبا به يعني انباءهم بانهم يعذبون وايعادهم به (مستقر) وقت استقرار وحصول لا بد منه وقيل الضمير في به للقرآن (يخوضون في آياتنا) في الاستهزاء بها والطعن فيها وكانت قريش في انديتهم يفعلون ذلك (فاعرض عنهم) فلا تجالسهم وقم عنهم (حتى يخوضوا في حديث غيره) فلا باس ان تجالسهم حينئذ (واما ينسينك الشيطان) وان شغلك بوسوسته حتى تنسى النهي عن مجالستهم (فلا تقعد) معهم (بعد الذكرى) بعد ان تذكر النهي * وقرئ ينسينك بالتشديد ويجوز ان يراد وان كان الشيطان ينسينك قبل النهي قبح مجالسة المستهزئين لانها مما تنكره العقول فلا تقعد بعد الذكرى بعد ان ذكرناك قبحها ونبهناك عليه معهم (وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء) وما يلزم المتقين الذين يجالسونهم شيء مما يحاسبون عليه من ذنوبهم (ولكن) عليهم ان يذكروهم (ذكرى) اذا سمعوهم يخوضون بالقيام عنهم واظهار الكراهة لهم وموعظتهم (لعلهم يتقون) لعلهم يجتنبون الخوض حياء او كراهة لمساءتهم ويجوز ان يكون الضمير للذين يتقون اى يذكرونهم ارادة ان يثبتوا على تقواهم ويزدادوها وروى ان المسلمين قالوا لئن كنا نقوم كلما استهزؤا بالقرآن لم نستطع ان نجلس في المسجد الحرام وان نطوف فرخص لهم (فان قلت) ما محل ذكرى (قلت) يجوز ان يكون نصبا على ولكن يذكرونهم ذكرى اى تذكيرا ورفعا على ولكن عليهم ذكرى ولا يجوز أن يكون عطفا على محل من شيء كقولك ما في الدار من احد ولكن زيد لان قوله من حسابهم يأبى ذلك (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) اى دينهم الذي كان يجب ان يأخذوا به لعبا ولهوا وذلك ان عبادة الاصنام وما كانوا عليه من تحريم البحائر والسوائب وغير ذلك من باب اللعب واللهو واتباع هوى النفس والعمل بالشهوة ومن جنس الهزل دون الجد او اتخذوا ما هو لعب ولهو من عبادة الاصنام وغيرها دينا لهم أو اتخذوا دينهم الذي كلفوه ودعوا اليه وهو دين الاسلام لعبا ولهوا حيث سخروا به واستهزؤا وقيل جعل الله لكل قوم عيدا يعظمونه ويصلون فيه ويعمرونه بذكر الله والناس كلهم من المشركين واهل الكتاب اتخذوا عيدهم لعبا ولهوا غير المسلمين فانهم اتخذوا عيدهم كما شرعه الله * ومعنى ذرهم اعرض عنهم ولا تبال بتكذيبهم واستهزائهم ولا تشغل قلبك بهم (وذكر به) اى بالقرآن (ان تبسل نفس) مخافة ان تسلم الى الهلكة والعذاب وترتهن بسوء كسبها واصل الابسال المنع لان المسلم اليه يمنع المسلم قال

وابسالي بني بغير جرم * بعوناه ولا بدم مراق

ومنه هذا عليك بسل اى حرام محظور والباسل الشجاع لامتناعه من قرنه اولانه شديد البسور يقال بسر الرجل

*قوله تعالى وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها (قال معناه وان تفد كل فداء والعدل الفدية الخ) قال أحمد وهذا أيضا من عيون اعرابه ونكت اغرابه التي طالما ذهل عنها غيره وهو من جنس تدقيقه في منع عود الضمير من قوله فتنفخ فيها الى الهيئة من قوله كهيئة الطير مع أنه السابق الى الذهن وانما حمله على القول بان عدل ههنا مصدر ان الفعل تعدى اليه بغير واسطة ولو كان المراد المفدى به لكان مفعولا به فلم يتعد اليه الفعل الا بالباء وكان وجه الكلام وان تعدل بكل عدل فلما عدل عنه علم انه مصدر والله اعلم *قوله تعالى قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له اصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين وان أقيموا الصلاة واتقوه وهو الذي اليه تحشرون (قال نزلت في ابي بكر رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان الخ) قال احمد ومن أنكر الجن واستيلاءها على بعض الاناسي بقدرة الله تعالى حتى يحدث من ذلك الخبطة والصرع ونحوهما فهو ممن استهوته الشياطين في مهامه الضلال الفلسفي حيران له اصحاب من الموحدين يدعونه الى الهدى الشرعي ائتنا وهو راكب في ضلالة التعاسيف لا يلوي عليهم ولا يلتفت اليهم ثم يقول ان الوارد في الشرع من ذلك تخييل كما تقدم في سورة البقرة ومرة يعده من زعمات العرب وزخارفها وقد أسلفنا ذلك في البقرة وفي آل عمران قولا شافيا

اذا اشتد عبوسه فاذا زاد قالوا ابتسل والعابس منقبض الوجه (وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها) وان تفد كل فداء والعدل الفدية لان الفادي يعدل المفدى بمثله وكل عدل نصب على المصدر وفاعل يؤخذ قوله منها لا ضمير العدل لان العدل ههنا مصدر فلا يسند اليه الاخذ واما في قوله تعالى ولا يؤخذ منها عدل فبمعنى المفدى به فصح اسناده اليه (أولئك) اشارة الى المتخذين دينهم لعبا ولهوا *قيل نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه حين دعاه ابنه عبد الرحمن الى عبادة الاوثان (قل اندعوا) أنعبد (من دون الله) الضار النافع مالا يقدر على نفعنا ولا مضرتنا (ونرد على أعقابنا) راجعين الى الشرك بعد اذ انقذنا الله منه وهدانا للاسلام (كالذي استهوته الشياطين) كالذي ذهبت به مردة الجن والغيلان (في الارض) المهمه (حيران) تائها ضالا عن الجادة لا يدري كيف يصنع (له) أي لهذا المستهوى (أصحاب) رفقة (يدعونه الى الهدى) الى ان يهدوه الطريق المستوى أو سمي الطريق المستقيم بالهدى *يقولون له (ائتنا) وقد اعتسف المهمه تابعا للجن لا يجيبهم ولا يأتيهم وهذا مبني على ما تزعمه العرب وتعتقده ان الجن تستهوي الانسان والغيلان تستولى عليه كقوله كالذي يتخبطه الشيطان من المس فشبه الضال عن طريق الاسلام التابع لخطوات الشيطان والمسلمون يدعونه اليه فلا يلتفت اليهم (قل ان هدى الله) وهو الاسلام (هو الهدى) وحده وما وراءه ضلال وغي ومن يبتغ غير الاسلام دينا فماذا بعد الحق الا الضلال * (فان قلت) فما محل الكاف في قوله كالذي استهوته (قلت) النصب على الحال من الضمير في نرد على أعقابنا أي أننكص مشبهين من استهوته الشياطين * (فان قلت) ما معنى استهوته (قلت) هو استفعال من هوى في الارض اذا ذهب فيها كأن معناه طلبت هويه وحرصت عليه *(فان قلت) ما محل (أمرنا) (قلت) النصب عطفا على محل قوله ان هدى الله هو الهدى على أنهما مقولان كأنه قيل قل هذا القول وقل أمرنا لنسلم (فان قلت) ما معنى اللام في (لنسلم) (قلت) هي تعليل للامر بمعنى أمرنا وقيل لنا أسلموا لاجل أن نسلم (فان قلت) فاذا كان هذا واردا في شأن ابي بكر الصديق رضي الله عنه فكيف

بليغا فجدد به عهدا

وان تعدل كل عدل لا يؤخذ منها أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون قل أندعو من دون الله مالا ينفعنا ولا يضرنا ونرد على اعقابنا بعد اذ هدانا الله كالذي استهوته الشياطين في الارض حيران له أصحاب يدعونه الى الهدى ائتنا قل ان هدى الله هو الهدى وامرنا لنسلم لرب العالمين

والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت اذا كان هذا واردا في ابي بكر فكيف قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل اندعوا من دون الله الخ) قال احمد هو مبني على ان الامر هو الارادة او من لوازمه ارادة المأمور به وهذا الاعراب منزل على معتقده هذا وأما أهل السنة فكما علمت ان الامر عندهم غير الارادة ولا يستلزمها وقولهم في هذه اللام كقولهم في وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون من نفي كونها تعليلا والوجه في ذلك انهم لما أوضحت لهم الآيات البينات وأزيحت عنهم العلل وتمكنوا من الاسلام والعبادة امتثالا للامر جعلوا بمثابة من أريد منهم ذلك تمكينا لحضهم على الامتثال وقطع أعذارهم اذ فعل بهم فعل المراد منهم ذلك وما شأن المريد للشيء اذا كان قادرا على حصوله أن يزيح العلل ويرفع الموانع وكذلك فعل مع المكلفين وان لم تكن الطاعة مرادة من جميعهم وأما اذا كانت اللام هي التي تصحب المصدر كما يقول الزجاج تقديره الامر للاسلام وكذلك يقول في قوله تعالى يريد الله ليبين لكم الارادة للبيان وهي اللام التي تصحب المفعول عند تقدمه في قولك لزيد ضربت فهي على هذا الوجه غير محتاجة للتأويل وقد قيل انها بمعنى ان كأنه قيل وأمرنا ان نسلم قال هذا القائل وكي ولام كي في امرت واردت خاصة بمعنى ان لا على بابها من التعليل والغرض من دخولها افادة الاستقبال على وجه اوثق وابلغ اذ لا يتعلق هذان المعنيان أعني الامر والارادة الا بمستقبل وقد جمع بين الثلاثة اللام وكي وان في قوله أردت لكيما ان يطير البيت وهذا الوجه أيضا سالم لمعنى من الخلل الذي يعتقده الزمخشري والمحافظة على العقيدة وقد وجدنا السبيل الى ذلك بحمد الله متعينة والله الموفق .

*عاد كلامه (قال فان قلت علام عطف قوله وأن أقيموا الخ) قال أحمد وهذا مصداق للقول بان لنسلم معناه أن نسلم وان اللام فيه رديفة أن لا يراد عطفها عليها فذلك هو الوجه الصحيح ان شاء الله وفى ورود أقيموا الصلاة محكيا بصيغته وورود نسلم محكيا بمعناه اذ الاصل المطابق لاقيموا أسلموا مصداق لما قدمته عند قوله تعالى ماقلت لهم الا ما أمرتنى به أن اعبدوا الله ربى وربكم وبينت ثم ان ذلك جائز على ان يكون عيسى عليه السلام حكي قول الله تعالى اعبدوا الله ربكم ورب عيسى بمعناه فقال اعبدوا الله ربى وربكم فهذا مثله في حكاية المعنى دون اللفظ والله أعلم *قوله تعالى ٢٩٨ وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا الآية (قال قوله فلما جن عليه الليل عطف على قال ابراهيم لابيه الخ) قال احمد وفى الاعتراض بهذه الجملة تنويه بما سيأتى من استدلال ابراهيم عليه السلام وانه تبصير له من الله تعالى وتسديد *عاد كلامه (قال وكان ابوه آزر وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب الخ) قال أحمد والتعريض بضلالهم ثانيا أصرح وأقوى من قوله أولا لا احب الآفلين وانما ترقى الى ذلك لان الخصوم قد أقامت عليه الاستدلال الاول حجة فانسوا بالقدح فى معتقدهم ولو قيل هذا فى الاول فلعلهم كانوا ينفرون ولا يصغون الى الاستدلال فما عرض صلوات الله عليه بانهم فى ضلالة الا بعد ان وثق باصغائهم الى تمام المقصود واستماعهم الى آخره والدليل على ذلك انه ترقى فى النوبة الثالثة الى التصريح بالبراءة منهم والتقريع بأنهم على شرك حين قيام الحجة عليهم وتبلج الحق وبلغ من الظهور غاية المقصود والله اعلم

وان اقيموا الصلاة واتقوه وهو الذى اليه تحشرون وهو الذى خلق السموات والارض بالحق ويوم يقول كن فيكون قوله الحق وله الملك يوم ينفخ فى الصور عالم الغيب والشهادة وهو الحكيم الخبير واذ قال ابراهيم لابيه آزر اتتخذ اصناما آلهة انى اراك وقومك فى ضلال مبين وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل راى كوكبا قال هذا ربي فلما افل قال لاأحب الآفلين فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي فلما افل قال لئن لم يهدنى ربى لاكونن من القوم الضالين فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي

قيل للرسول عليه الصلاة والسلام قل أندعو (قلت) للاتحاد الذى كان بين رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين خصوصا بينه وبين الصديق أبى بكر رضي الله تعالى عنه *(فان قلت) علام عطف قوله (وان اقيموا) (قلت) على موضع لنسلم كأنه قيل وأمرنا أن نسلم وأن أقيموا ويجوز أن يكون التقدير وأمرنا لان نسلم ولان اقيموا اى للاسلام ولاقامة الصلاة (قوله الحق) مبتدا ويوم يقول خبره مقدما عليه وانتصابه بمعنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال واليوم بمعنى الحين والمعنى أنه خلق السموات والارض قائما بالحق والحكمة وحين يقول لشىء من الاشياء كن فيكون ذلك الشيء قوله الحق والحكمة اى لا يكون شيأ من السموات والارض وسائر المكونات الا عن حكمة وصواب و (يوم ينفخ) ظرف لقوله (وله الملك) كقوله لمن الملك اليوم ويجوز ان يكون قوله الحق فاعل يكون على معنى وحين يقول لقوله الحق أى لقضائه الحق كن فيكون قوله الحق وانتصاب اليوم لمحذوف دل عليه قوله بالحق كانه قيل وحين يكون ويقدر يقوم بالحق (عالم الغيب) هو عالم الغيب وارتفاعه على المدح (آزر) اسم أبى ابراهيم عليه السلام وفى كتب التواريخ أن اسمه بالسريانية تارح والاقرب أن يكون وزن آزر فاعل مثل تارح وعابر وعازر وشالخ وفالغ وما أشبهها من أسمائهم وهو عطف بيان لابيه وقرئ آزر بالضم على النداء وقيل آزر اسم صنم فيجوز ان ينبز به للزومه عبادته كما نبز ابن قيس بالرقيات اللاتى كان يشبب بهن فقيل ابن قيس الرقيات وفى شعر بعض المحدثين

أدعى بأسماء نبزا فى قبائلها * كان اسماء أضحت بعض اسمائى

أو أريد عابد آزر فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه *وقرئ أأزر تتخذ اصناما آلهة بفتح الهمزة وكسرها بعد همزة الاستفهام وزاى ساكنة وراء منصوبة منونة وهو اسم صنم ومعناه أتعبد أزرا على الانكار ثم قال تتخذ اصناما آلهة تثبيتا لذلك وتقريرا وهو داخل فى حكم الانكار لانه كالبيان له (فلما جن عليه الليل) عطف على قال ابراهيم لابيه *وقوله وكذلك نرى ابراهيم جملة معترض بها بين المعطوف والمعطوف عليه والمعنى ومثل ذلك التعريف والتبصير نعرف ابراهيم ونبصره *ملكوت السموات والارض يعنى الربوبية والالهية ونوفقه لمعرفتها ونرشده بما شرحنا صدره وسددنا نظره وهديناه لطريق الاستدلال *وليكون من الموقنين فعلنا ذلك ونرى حكاية حال ماضية وكان أبوه وقومه يعبدون الاصنام والشمس والقمر والكواكب فأراد أن ينبههم على الخطا فى دينهم وأن يرشدهم الى طريق النظر والاستدلال ويعرفهم ان النظر الصحيح مؤد الى أن شيأ منها لا يصح أن يكون الها لقيام دليل الحدوث فيها وان وراءها محدثا احدثها وصانعا صنعها ومدبرا دبر طلوعها وأفولها وانتقالها ومسيرها وسائر احوالها (هذا ربي) قول من ينصف خصمه مع علمه بانه مبطل فيحكى قوله كما هو غير متعصب لمذهبه لان ذلك أدعى الى الحق وانجى من الشغب ثم يكر عليه بعد حكايته فيبطله بالحجة (لا احب الآفلين) لا احب عبادة الارباب المتغيرين عن حال الى حال المتنقلين من مكان الى مكان المحتجبين بستر فان ذلك من صفات الاجرام (بازغا) مبتدئا فى الطلوع (لئن لم يهدنى ربي) تنبيه لقومه

على

*عاد كلامه (قال وقوله هذا اكبر من باب استعمال النصفة أيضا مع الخصوم الخ) قال احمد وصدق الزمخشري بل ذلك متعين وقد ورد الحديث الوارد في الشفاعة انهم يأتون ابراهيم عليه السلام فيلتمسون منه الشفاعة فيقول نفسي نفسي لا أسأل احدا غيري ويذكر كذباته الثلاث ويقول لست لها يريد قوله لسارة هي أختي وانما عنى في الاسلام وقوله اني سقيم وانما عنى همه بقومه وبشركهم والمؤمن يسقمه ذلك وقوله بل فعله كبيرهم وقد ذكرت فيه وجوه من التعريض فاذا عد صلوات الله عليه وسلامه على نفسه هذه الكلمات مع العلم بانه غير مؤاخذ بها دل ذلك على انها اعظم ما صدر منه فلو كان الامر على ما يقال من ان هذا الكلام محكى عنه على انه نظره لنفسه لكان أولى ان يعده وأعظم مما ذكرناه لانه حينئذ يكون شكا بل جزما على ان الصحيح ان الانبياء قبل النبوة معصومون من ذلك * عاد كلامه (قال فان قلت لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال الخ) قال احمد وهذه ايضا من عيون نكته ووجوه حسناته * قوله تعالى وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ماتشركون به الا

ان يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما

على ان من اتخذ القمر الها وهو نظير الكوكب في الافول فهو ضال وأن الهداية الى الحق بتوفيق الله ولطفه (هذا أكبر) من باب استعمال النصفة ايضا مع خصومه (اني بريء مما تشركون) من الاجرام التي تجعلونها شركاء لخالقها (اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض) اي للذي دلت هذه المحدثات عليه وعلى أنه مبتدؤها ومبتدعها وقيل هذا كان نظره واستدلاله في نفسه فحكاه الله والاول اظهر لقوله لئن لم يهدني ربي وقوله ياقوم اني بريء مما تشركون (فان قلت) لم احتج عليهم بالافول دون البزوغ وكلاهما انتقال من حال الى حال (قلت) الاحتجاج بالافول أظهر لانه انتقال مع خفاء واحتجاب (فان قلت) ما وجه التذكير في قوله هذا ربي والاشارة للشمس (قلت) جعل المبتدأ مثل الخبر لكونهما عبارة عن شيء واحد كقولهم ماجاءت حاجتك ومن كانت أمك ولم تكن فتنتهم الا ان قالوا وكان اختيار هذه الطريقة واجبا لصيانة الرب عن شبهة التأنيث الا تراهم قالوا في صفة الله علام ولم يقولوا علامة وان كان العلامة أبلغ احترازا من علامة التأنيث * وقرئ ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض بالتاء ورفع الملكوت ومعناه تبصره دلائل الربوبية (وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله) وكانوا حاجوه في توحيد الله ونفي الشركاء عنه منكرين لذلك (وقد هدان) يعني الى التوحيد (ولا أخاف ما تشركون به) وقد خوفوه ان معبوداتهم تصيبه بسوء (الا أن يشاء ربي شيأ) الا وقت مشيئة ربي شيأ يخاف فحذف الوقت يعني لا أخاف معبوداتكم في وقت قط لانها لا تقدر على منفعة ولا مضرة الا اذا شاء ربي ان يصيبني بمخوف من جهتها ان أصبت ذنبا أستوجب به انزال المكروه مثل ان يرجمني بكوكب او بشقة من الشمس او القمر او يجعلها قادرة على مضرتي (وسع ربي كل شيء علما) اى ليس بعجب ولا مستبعد أن يكون في علمه انزال المخوف بي من جهتها (افلا تتذكرون) فتميزوا بين الصحيح والفاسد والقادر والعاجز (وكيف اخاف) لتخويفكم شيأ مأمون الخوف لا يتعلق به ضرر بوجه (و) أنتم (لا تخافون) ما يتعلق به كل مخوف وهو اشراككم بالله مالم ينزل باشراكه (سلطانا) اى حجة لان الاشراك لا يصح ان يكون عليه حجة كأنه قال وما لكم تنكرون على الامن في موضع الامن ولا تنكرون على انفسكم الامن في موضع الخوف * ولم يقل فاينا احق بالامن أنا ام أنتم احترازا من تزكيته نفسه فعدل عنه الى قوله (فاى الفريقين) يعني

هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم اني بريء مما تشركون اني وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض حنيفا وما انا من المشركين وحاجه قومه قال أتحاجوني في الله وقد هدان ولا أخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شيء علما أفلا تتذكرون وكيف أخاف ما اشركتم ولا تخافون انكم اشركتم بالله ما لم ينزل به عليكم سلطانا فأي الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون

افلا تتذكرون وكيف أخاف ما اشركتم ولا تخافون أنكم اشركتم بالله مالم ينزل به عليكم سلطانا فاى الفريقين أحق بالامن ان كنتم تعلمون (قال الا ان يشاء معناه الا وقت مشيئة ربي شيأ فحذف الوقت الخ) قال احمد هو بمعنى يجعلها قادرة على ان المضرة خلق قدرة يخلق بها المضرة لمن يريد بناء على قاعدته وقد علمت ان عقيدة أهل السنة ان ذلك لا يجوز عقلا لا يخلق غير الله ولا يقدر قدرة مؤثرة في المقدور الا هو وان كان الزمخشري لم يصرح ههنا من عقيدته فانما يعني حيث يصرح او يكنى بما يلائمها او يتنزل عليها وغاية خوف ابراهيم منها المعلق على مشيئة الله لذلك خوف الضرر عندها بقدرة الله تعالى لا بها وكأنه في الحقيقة لم يخف الا من الله لان الخوف الذي أثبته منها معلق بمشيئة الله وقدرته وهو كلا خوف منها والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى كيف أخاف ما اشركتم الخ ما لكم تنكرون على الامن الخ) قال احمد ويحتمل ان يكون العدول الى ذلك ليعم بالامن كل موحد وبالخوف كل مشرك ويندرج هو في حكم الموحدين وقومه في حكم المشركين واحسن الجواب ما افاد وزاد

(قال والمراد بقوله ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس) قال احمد وقد ورد ان الآية لما نزلت عظمت على الصحابة وقالوا أينا لم يظلم نفسه فقال عليه الصلاة والسلام انما هو الظلم فى قول لقمان ان الشرك لظلم عظيم وانما هو يروم بذلك تنزيله على معتقده فى وجوب وعيد العصاة وانهم لا حظ لهم في الامن كالكفار ويجعل هذه الآية تقتضى تخصيص الامن بالجامعين الامرين الايمان . والبراءة من المعاصي ونحن نسلم ذلك ولا يلزم ان يكون الخوف اللاحق للعصاة هو الخوف

الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم أولئك لهم الامن وهم مهتدون وتلك حجتنا آتيناها ابراهيم على قومه نرفع درجات من نشاء ان ربك حكيم عليم ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا ونوحا هدينا من قبل ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسي وهرون وكذلك نجزى المحسنين وزكريا ويحيي وعيسي والياس كل من الصالحين واسمعيل واليسع ويونس ولوطا وكلا فضلنا على العالمين ومن آبائهم وذرياتهم واخوانهم واجتبيناهم وهديناهم الى صراط مستقيم ذلك هدى الله يهدى به من يشاء من عباده ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون أولئك الذين آتيناهم الكتاب والحكم والنبوة فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما ليسوا بها بكافرين أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده قل لا أسألكم عليه أجرا ان هو ذكرى للعالمين وما قدروا الله حق قدره اذ قالوا ما انزل الله على بشر من شيء قل من أنزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا وعلمتم مالم تعلموا أنتم ولا آباؤكم

فريقي المشركين والموحدين * ثم استأنف الجواب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم) اى لم يخلطوا ايمانهم بمعصية تفسقهم وأبى تفسير الظلم بالكفر لفظ اللبس (وتلك) اشارة الى جميع ما احتج به ابراهيم عليه السلام على قومه من قوله فلما جن عليه الليل الى قوله وهم مهتدون * ومعنى (آتيناها) أرشدناه اليها ووفقناه لها (نرفع درجات من نشاء) يعنى فى العلم والحكمة وقرئ بالتنوين (ومن ذريته) الضمير لنوح او لابراهيم و(داود) عطف على نوحا اى وهدينا داود (ومن آبائهم) فى موضع النصب عطفا على كلا بمعنى وفضلنا بعض آبائهم (ولو اشركوا) مع فضلهم وتقدمهم وما رفع لهم من الدرجات لكانوا كغيرهم فى حبوط اعمالهم كما قال تعالى وتقدس لئن اشركت ليحبطن عملك (آتيناهم الكتاب) يريد الجنس (فان يكفر بها) بالكتاب والحكمة والنبوة أو بالنبوة (هؤلاء) يعنى أهل مكة (قوما) هم الانبياء المذكورون ومن تابعهم بدليل قوله (أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده) وبدليل وصل قوله فان يكفر بها هؤلاء بما قبله وقيل هم أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم وكل من آمن به وقيل كل مؤمن من بنى آدم وقيل الملائكة وادعى الانصار انها لهم وعن مجاهد هم الفرس ومعنى توكيلهم بها انهم وفقوا للايمان بها والقيام بحقوقها كما يوكل الرجل بالشيء ليقوم به ويتعهده ويحافظ عليه * والباء فى بها صلة كافرين * وفى بكافرين تأكيد النفى * فبهداهم اقتده فاختص هداهم بالاقتداء ولا تقتد الا بهم وهذا معنى تقديم المفعول والمراد بهداهم طريقتهم فى الايمان بالله وتوحيده واصول الدين دون الشرائع فانها مختلفة وهي هدى مالم تنسخ فاذا نسخت لم تبق هدى بخلاف أصول الدين فانها هدى أبدا والهاء فى اقتده للوقف تسقط فى الدرج واستحسن ايثار الوقف لثبات الهاء فى المصحف (وما قدروا الله حق قدره) وما عرفوه حق معرفته فى الرحمة على عباده واللطف بهم حين أنكروا بعثة الرسل والوحي اليهم وذلك من أعظم رحمته وأجل نعمته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين أو ما عرفوه حق معرفته فى سخطه على الكافرين وشدة بطشه بهم ولم يخافوه حين جسروا على تلك المقالة العظيمة من انكار النبوة * والقائلون هم اليهود بدليل قراءة من قرأ تجعلونه بالتاء وكذلك تبدونها وتخفون وانما قالوا ذلك مبالغة فى انكار انزال القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فالزموا مالا بد لهم من الاقرار به من انزال التوراة على موسي عليه السلام وأدرج تحت الالزام توبيخهم وأن نعى عليهم سوء جهلهم لكتابهم وتحريفهم وابداء بعض واخفاء بعض فقيل (جاء به موسى) وهو نور وهدى للناس حتى غيروه ونقصوه وجعلوه قراطيس مقطعة وورقات مفرقة ليتمكنوا مما راموا من الابداء والاخفاء وروى ان مالك بن الصيف من أحبار اليهود ورؤسائهم قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنشدك بالذى أنزل التوراة على موسي هل تجد فيها ان الله يبغض الحبر السمين فانت الحبر السمين قد سمنت من مالك الذى يطعمك اليهود فضحك القوم فغضب ثم التفت الى عمر فقال ما انزل الله على بشر من شيء فقال له قومه ويلك ما هذا الذى بلغنا عنك قال انه أغضبنى فنزعوه وجعلوا مكانه كعب بن الاشرف وقيل القائلون قريش وقد الزموا انزال التوراة لانهم كانوا يسمعون من اليهود بالمدينة ذكر موسي والتوراة وكانوا يقولون لو أنا أنزل علينا الكتاب لكنا اهدى منهم (وعلمتم مالم تعلموا انتم ولا آباؤكم) الخطاب لليهود اى علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم مما أوحي اليه مالم تعلموا أنتم وأنتم حملة

اللاحق للكفار لان العصاة من المؤمنين انما يخافون العذاب المؤقت وهم آمنون من الخلود وأما الكفار فغير آمنين بوجه ما والله الموفق * قوله تعالى قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسي نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا (قال وأدرج تحت الالزام توبيخهم وان نعى عليهم الخ) قال احمد وهذا ايضا من دقة نظره فى الكتاب العزيز والتعمق فى آثاره ومعادنه وابراز محاسنه

التوراة ولم تعلمه آباؤكم الاقدمون الذين كانوا اعلم منكم ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وقيل الخطاب لمن آمن من قريش كقوله تعالى لتنذر قوما ما أنذر آباؤهم (قل الله) اى أنزله الله فانهم لا يقدرون ان يناكروك (ثم ذرهم فى خوضهم) فى باطلهم الذى يخوضون فيه ولا عليك بعد الزام الحجة * ويقال لمن كان فى عمل لا يجدى عليه انما انت لاعب و(يلعبون) حال من ذرهم او من خوضهم ويجوز ان يكون فى خوضهم حالا من يلعبون وان يكون صلة لهم أو لذرهم (مبارك) كثير المنافع والفوائد (ولتنذر) معطوف على مادل عليه صفة الكتاب كانه قيل أنزلناه للبركات وتصديق ما تقدمه من الكتب والانذار وقرئ ولينذر بالياء والتاء * وسميت مكة (أم القرى) لانها مكان اول بيت وضع للناس ولانها قبلة اهل القرى كلها ومحجهم ولانها اعظم القرى شانا ولبعض المجاورين

فمن يلق فى بعض القريات رحله * فأم القرى ملقى رحالى ومنتابى

(والذين يؤمنون بالآخرة) يصدقون بالعاقبة ويخافونها (يؤمنون) بهذا الكتاب وذلك ان اصل الدين خوف العاقبة فمن خافها لم يزل به الخوف حتى يؤمن * وخص الصلاة لانها عماد الدين ومن حافظ عليها كانت لطفا فى المحافظة على اخواتها (افترى على الله كذبا) فزعم ان الله بعثه نبيا (او قال أوحى الى ولم يوح اليه شىء) وهو مسيلمة الحنفى الكذاب او كذاب صنعاء الاسود العنسى وعن النبى صلى الله عليه وسلم رأيت فيما يرى النائم كان فى يدى سوارين من ذهب فكبرا على واهماني فأوحى الله الي ان انفخهما فنفختهما فطارا عنى فأولتهما الكذابين اللذين انا بينهما كذاب اليمامة مسيلمة وكذاب صنعاء الاسود العنسى (ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله) هو عبد الله بن سعد بن أبي سرح القرشى كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكان اذا املى عليه سميعا عليما كتب هو عليما حكيما واذا قال عليما حكيما كتب غفورا رحيما فلما نزلت ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين الى آخر الآية عجب عبد الله من تفصيل خلق الانسان فقال تبارك الله احسن الخالقين فقال عليه الصلاة والسلام اكتبها فكذلك نزلت فشك عبد الله وقال لئن كان محمد صادقا لقد أوحي الى مثل ما اوحى اليه ولئن كان كاذبا فلقد قلت كما قال فارتد عن الاسلام ولحق بمكة ثم رجع مسلما قبل فتح مكة وقيل هو النضر بن الحرث والمستهزؤن (ولو ترى) جوابه محذوف اى لرأيت امرا عظيما (اذ الظالمون) يريد الذين ذكرهم من اليهود والمتنبئة فتكون اللام للعهد ويجوز ان تكون للجنس فيدخل فيه هؤلاء لاشتماله * وغمرات الموت شدائده وسكراته واصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة الغالبة (باسطوا أيديهم) يبسطون اليهم أيديهم يقولون هاتوا أرواحكم اخرجوها الينا من اجسادكم وهذه عبارة عن العنف فى السياق والالحاح والتشديد فى الارهاق من غير تنفيس وامهال وانهم يفعلون بهم فعل الغريم المسلط يبسط يده الى من عليه الحق ويعنف عليه فى المطالبة ولا يمهله ويقول له اخرج الى مالى عليك الساعة ولا أريم مكانى حتى انزعه من احداقك وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب (اخرجوا انفسكم) خلصوها من ايدينا اى لا تقدرون على الخلاص (اليوم تجزون) يجوز أن يريدوا وقت الاماتة وما يعذبون به من شدة النزع وأن يريدوا الوقت الممتد المتطاول الذى يلحقهم فيه العذاب فى البرزخ والقيامة * والهون الهوان الشديد واضافة العذاب اليه كقولك رجل سوء يريد العراقة فى الهوان والتمكن فيه (عن آياته تستكبرون) فلا تؤمنون بها (فرادى) منفردين عن اموالكم وأولادكم وما حرصتم عليه وآثرتموه من دنياكم وعن اوثانكم التى زعمتم انها شفعاؤكم وشركاء لله (كما خلقناكم اول مرة) على الهيئة التى ولدتم عليها فى الانفراد (وتركتم ما خولناكم) ما تفضلنا به عليكم فى الدنيا فشغلتم به عن الآخرة (وراء ظهوركم) لم ينفعكم ولم تحتملوا منه نقيرا ولا قدمتموه لانفسكم (فيكم شركاء) فى استعبادكم لانهم حين دعوهم آلهة وعبدوها فقد جعلوها لله شركاء فيهم وفى استعبادهم * وقرئ فرادى بالتنوين وفراد مثل ثلاث وفردى نحو سكرى (فان قلت) كما خلقناكم

كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون (قال أصل الغمرة ما يغمر من الماء فاستعيرت للشدة

قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون وهذا كتاب انزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون ومن اظلم ممن افترى على الله الكذب أو قال أوحي الى ولم يوح اليه شىء ومن قال سأنزل مثل ما أنزل الله ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم انهم فيكم شركاء لقد

الغالبة الخ) قال احمد هو يجعله من مجاز التمثيل ولا حاجة الى ذلك والظاهر انهم يفعلون معهم هذه الامور حقيقة على الصور المحكية واذا أمكن البقاء على الحقيقة فلا معدل عنها * عاد كلامه (وقيل معناه باسطوا أيديهم عليهم بالعذاب الخ) قال احمد ومثله ويبسطوا اليكم ايديهم وألسنتهم بالسوء

* قوله تعالى ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم (قال معناه فالق الحب والنوى بالنبات والشجر الخ) قال أحمد رحمه الله وقد وردا جميعا بصيغة الفعل كثيرا في قوله يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ويحيي الارض بعد موتها وكذلك تخرجون وقوله أمن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي فعطف احد القسمين على الآخر كثيرا دليل على انهما توأمان مقترنان وذلك يبعد قطعه عنه في آية الانعام هذه ورده الى فالق الحب والنوى فالوجه والله أعلم ان يقال كان الاصل وروده بصيغة اسم الفاعل اسوة أمثاله من الصفات المذكورة في هذه الآية من قوله فالق الحب وفالق الاصباح وجاعل الليل ومخرج الحي من الميت الا انه عدل عن اسم الفاعل الى الفعل المضارع في هذا الوصف وحده وهو قوله يخرج الحي من الميت ارادة لتصوير اخراج الحي من الميت واستحضاره في ذهن السامع وهذا التصوير والاستحضار انما يتمكن في أدائهما الفعل المضارع دون اسم الفاعل والماضي وقد مضى تمثيل ذلك بقوله تعالى ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة فعدل عن الماضي المطابق لقوله انزل لهذا المعنى ومنه ما في قوله وانى قد لقيت الغول يسعى * بسهب كالصحيفة صحصحان الاصباح فآخذه فاضربه فخرت * صريعا لليدين وللجران فعدل الى المضارع ارادة لتصوير شجاعته واستحضارها لذهن السامع ومنه انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة فعدل عن مسبحات وان كان مطابقا لمحشورة لهذا السبب والله اعلم ثم هذا المقصد انما يجيء فيما يكون العناية به اقوى ولا شك ان اخراج الحي من الميت اشهر في القدرة من عكسه وهو ايضا اول الحالين والنظر اول ما يبدأ فيه ثم القسم الآخر وهو اخراج الميت من الحي بأن عنه فكان الاول جديرا بالتصدير والتأكيد في النفس ولذلك هو مقدم ابدا على القسم الآخر في الذكر على حسب ترتيبهما في الواقع وسهل عطف الاسم على الفعل وحسنه ان اسم الفاعل في معنى الفعل المضارع فكل واحد منهما يقدر بالآخر فلا جناح في عطفه عليه والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت ما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق الخ) قال

تقطع بينكم وضل عنكم ماكنتم تزعمون ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحي من الميت ومخرج الميت من الحي ذلكم الله فاني تؤفكون فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا

في اي محل هو (قلت) في محل النصب صفة لمصدر جئتمونا أي مجيئا مثل خلقنا لكم (لقد تقطع بينكم) وقع التقطع بينكم كما تقول جمع بين الشيئين تريد أوقع الجمع بينهما على اسناد الفعل الى مصدره بهذا التاويل ومن رفع فقد اسند الفعل الى الظرف كما تقول قوتل خلفكم وأمامكم وفي قراءة عبد الله لقد تقطع ما بينكم (فالق الحب والنوى) بالنبات والشجر وعن مجاهد أراد الشقين اللذين في النواة والحنطة (يخرج الحي من الميت) اي الحيوان والنامي من النطف والبيض والحب والنوى (ومخرج) هذه الاشياء الميتة من الحيوان والنامي * (فان قلت) كيف قال مخرج الميت من الحي بلفظ اسم الفاعل بعد قوله يخرج الحي من الميت (قلت) عطفه على فالق الحب والنوى لا على الفعل ويخرج الحي من الميت موقعه موقع الجملة المبينة لقوله فالق الحب والنوى لان فلق الحب والنوى بالنبات والشجر الناميين من جنس اخراج الحي من الميت لان النامي في حكم الحيوان الا ترى الى قوله يحيي الارض بعد موتها (ذلكم الله) اي ذلكم المحيي والمميت هو الله الذي تحق له الربوبية (فأنى تؤفكون) فكيف تصرفون عنه وعن توليه الى غيره (الاصباح) مصدر سمي به الصبح وقرأ الحسن بفتح الهمزة جمع صبح وأنشد قوله

أفنى رياحا وبني رياح * تناسخ الامساء والاصباح

بالكسر والفتح مصدرين وجمع مساء وصبح (فان قلت) فما معنى فلق الصبح والظلمة هي التي تنفلق عن الصبح كما قال

تردت به ثم انفرى عن اديمها * تفري ليل عن بياض نهار

(قلت) فيه وجهان أحدهما ان يراد فالق ظلمة الاصباح وهي الغبش في آخر الليل ومنقضاه الذي يلي الصبح والثاني ان يراد فالق الاصباح الذي هو عمود الفجر عن بياض النهار واسفاره وقالوا انشق عمود الفجر وانصدع الفجر وسموا الفجر فلقا بمعنى مفلوق قال الطائي

وأزرق الفجر يبدو قبل أبيضه * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

* وقرئ فالق الاصباح وجاعل الليل سكنا بالنصب على المدح وقرأ النخعي فلق الاصباح وجعل الليل * السكن ما يسكن اليه الرجل ويطمئن استئناسا به واسترواحا اليه من زوج او حبيب ومنه قيل للنار سكن لانه يستأنس بها الا تراهم سموها المؤنسة والليل يطمئن اليه التعب بالنهار لاستراحته فيه وجمامه ويجوز ان يراد وجعل الليل مسكونا فيه من قوله لتسكنوا فيه (والشمس والقمر) قرئا بالحركات الثلاث فالنصب على اضمار فعل دل عليه جاعل الليل اي وجعل الشمس والقمر حسبانا او يعطفان على محل الليل (فان قلت) كيف يكون لليل محل والاضافة حقيقية لان اسم الفاعل المضاف اليه في معنى المضي ولا تقول زيد ضارب عمرا امس (قلت) ما هو في معنى المضي وانما هو دال على جعل مستمر في الازمنة المختلفة وكذلك فالق الحب وفالق

أحمد وقيل الخالق والفالق بمعنى فيكون المراد خالق الاصباح والاظهر ما فسره عليه المصنف والله أعلم * قوله تعالى وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي أنشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون (قال ان قلت لم قيل مع ذكر النجوم يعلمون الخ) قال أحمد لا يتحقق هذا التفاوت ولا سبيل الى الحقيقة وما هذا الجواب الاصناعي والتحقيق انه لما أريد فصل كليهما بفاصلة تنبيها على استقلال كل واحدة منهما بالمقصود من الحجة كره فصلهما بفاصلتين متساويتين في اللفظ لما في ذلك من التكرار فعدل الى فاصلة مخالفة تحسينا للنظم واتساما في البلاغة ويحتمل وجها آخر في تخصيص الاولى بالعلم والثانية بالفقه وهو انه لما كان المقصود التعريض بمن لا يتدبر آيات الله ولا يعتبر بمخلوقاته وكانت الآيات المذكورة أولا خارجة عن أنفس النظار ومنافية لها اذ النجوم والنظر فيها وعلم الحكمة الالهية في تدبيرها أمر خارج عن نفس الناظر ولا كذلك النظر في انشائهم من نفس واحدة وتقلباتهم في أطوار مختلفة وأحوال متغايرة فانه نظر لا يعدو نفس الناظر ولا يتجاوزها فاذا تمهد ذلك فجهل الانسان بنفسه وبأحواله وعدم النظر فيها والتفكر أبشع من جهله بالامور الخارجة عنه كالنجوم والافلاك ومقادير سيرها وتقلبها

فلما كان الفقه أدنى درجات العلم اذ هو عبارة عن الفهم من أبشع

القبيلين جهلا وهم الذين لا يتبصرون في انفسهم ونفي الادنى

أبشع من نفي الاعلى درفخص به أسوأ الفريقين حالا و يفقهون ههنا مضارع فقه الشيء بكسر القاف اذا فهمه ولو ادنى فهم وليس من فقه بضم القاف لان تلك درجة عالية ومعناه صار فقيها قاله الهروي في معرض الاستدلال على ان فقه أنزل من علم وفي حديث سلمان انه قال وقد سأله امرأة جاءته فقهت أي فهمت كالمتعجب من فهم المرأة عنه واذا قيل فلان لا يفقه شيأ كان أذم في العرف من قولك فلان لا يعلم شيأ وكان معنى قولك لا يفقه شيأ ليست له أهلية الفهم وان فهم وأما قولك لا يعلم شيأ فغايته نفي حصول العلم له وقد يكون له اهلية الفهم والعلم لو يعلم والذي يدل على ان التارك للفكرة في نفسه اجهل واسوأ حالا من التارك للفكرة في غيره قوله تعالى وفي الارض آيات للموقنين وفي انفسكم أفلا تبصرون فخص التبصر في النفس بعد اندراجها فيما في الارض من الآيات وانكر على من لا يتبصر في نفسه انكارا مستأنفا وقولنا في ادراج الكلام انه نفي العلم عن احد الفريقين ونفي الفقه عن الآخر يعني بطريق التعريض حيث خص العلم بالآيات المفصلة والفقه فيها بقوم فأشعر ان قوما غيرهم لا علم عندهم ولا فقه والله الموفق فتامل هذا الفصل وان طال بعض الطول فالنظر في الحسن غير مملول

ذلك تقدير العزيز العليم وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون وهو الذي انشأكم من نفس واحدة فمستقر ومستودع قد فصلنا الآيات لقوم يفقهون وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية

الاصباح كما تقول الله قادر عالم فلا تقصد زمانا دون زمان والجر عطف على لفظ الليل والرفع على الابتداء والخبر محذوف تقديره والشمس والقمر مجعولان حسبانا او محسوبان حسبانا ومعنى جعل الشمس والقمر حسبانا جعلهما على حسبان لان حساب الاوقات يعلم بدورهما وسيرهما والحسبان بالضم مصدر حسب كما ان الحسبان بالكسر مصدر حسب ونظيره الكفران والشكران (ذلك) اشارة الى جعلهما حسبانا اي ذلك التسيير بالحساب المعلوم (تقدير العزيز) الذي قهرهما وسخرهما (العليم) بتدبيرهما وتدويرهما (في ظلمات البر والبحر) في ظلمات الليل بالبر والبحر وأضافها اليهما لا بستها لهما أو شبه مشتبهات الطرق بالظلمات * من فتح قاف المستقر كان المستودع اسم مكان مثله أو مصدرا ومن كسرها كان اسم فاعل والمستودع اسم مفعول والمعنى فلكم مستقر في الرحم ومستودع في الصلب أو مستقر فوق الأرض ومستودع تحتها او فمنكم مستقر ومنكم مستودع * (فان قلت) لم قيل (يعلمون) مع ذكر النجوم و (يفقهون) مع ذكر انشاء بني آدم (قلت) كان انشاء الانس من نفس واحدة وتصريفهم بين احوال مختلفة ألطف وأدق صنعة وتدبيرا فكان ذكر الفقه الذي هو استعمال فطنة وتدقيق نظر مطابقا له (فأخرجنا به) بالماء (نبات كل شيء) نبت كل صنف من اصناف النامي يعني ان السبب واحد وهو الماء والمسببات صنوف مفتنة كما قال تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل (فاخرجنا منه) من النبات (خضرا) شيأ غضا أخضر يقال أخضر وخضر كاعور وعور وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة (نخرج منه) من الخضر (حبا متراكبا) وهو السنبل و (قنوان) رفع بالابتداء ومن النخل خبره ومن طلعها بدل منه كأنه قيل وحاصلة من طلع النخل قنوان ويجوز ان يكون الخبر محذوفا لدلالة اخرجنا عليه تقديره ومخرجة من طلع النخل قنوان ومن قرأ يخرج منه حب متراكب كان قنوان عنده معطوفا على حب والقنوان جمع قنو ونظيره صنو وصنوان وقرئ بضم القاف وبفتحها على انه اسم جمع كركب لان فعلان ليس من زيادة التكسير (دانية) سهلة المجتنى معرضة للقاطف كالشيء الداني القريب المتناول ولان النخلة وان كانت صغيرة ينالها القاعد فانها تأتي بالثمر لا تنتظر الطول وقال الحسن دانية قريب بعضها من بعض وقيل ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة

لان النعمة فيها أظهر أودل بذكر القريبة على ذكر البعيدة كقوله سرابيل تقيكم الحر وقوله (وجنات من
أعناب) فيه وجهان احدهما اى يراد وثم جنات من اعناب اى مع النخل والثاني ان يعطف على قنوان على
معنى وحاصلة او ومخرجة من النخل قنوان وجنات من أعناب أي من نبات أعناب وقرئ وجنات بالنصب
عطفا على نبات كل شيء اى وأخرجنا به جنات من أعناب وكذلك قوله (والزيتون والرمان) والاحسن
أن ينتصبا على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة لفضل هذين الصنفين (مشتبها وغير متشابه) يقال اشتبه
الشيئان وتشابها كقولك استويا وتساويا والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا وقرئ متشابها وغير متشابه
وتقديره والزيتون متشابها وغير متشابه والرمان كذلك كقوله * كنت منه ووالدي بريا * والمعنى بعضه متشابها
وبعضه غير متشابه في القدر واللون والطعم وذلك دليل على التعمد دون الاهمال (انظروا الى ثمره اذا أثمر
اذا أخرج ثمره كيف يخرجه ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به * وانظروا الى حال ينعه ونضجه كيف يعود شيأ جامعا
لمنافع وملاذ نظر اعتبار واستبصار واستدلال على قدرة مقدرة ومدبرة وناقله من حال الى حال وقرئ وينعه
بالضم يقال ينعت الثمرة ينعا وينعا وقرأ ابن محيصن ويانعه وقرئ وثمره بالضم * ان جعلت (لله شركاء)
مفعولي جعلوا نصبت الجن بدلا من شركاء وان جعلت لله لغوا كان شركاء الجن مفعولين قدم ثانيهما على
الاول (فان قلت) فما فائدة التقديم (قلت) فائدته استعظام ان يتخذ لله شريك من كان ملكا أو جنيا او انسيا
او غير ذلك ولذلك قدم اسم الله على الشركاء * وقرئ الجن بالرفع كانه قيل من هم فقيل الجن وبالجر على
الاضافة التي للتبيين والمعنى اشركوهم في عبادته لانهم اطاعوهم كما يطاع الله وقيل هم الذين زعموا ان الله خالق
الخير وكل نافع وابليس خالق الشر وكل ضار (وخلقهم) وخلق الجاعلين لله شركاء ومعناه وعلموا ان الله خالقهم
دون الجن ولم يمنعهم علمهم ان يتخذوا من لا يخلق شريكا للخالق وقيل الضمير للجن وقرئ وخلقهم أي
اختلاقهم الافك يعني وجعلوا لله خلقهم حيث نسبوا قبائحهم الى الله في قولهم والله أمرنا بها (وخرقوا له)
وخلقوا له اى افتعلوا له (بنين وبنات) وهو قول اهل الكتابين في المسيح وعزير وقول قريش في الملائكة
يقال خلق الافك وخرقه واختلقه واخترقه بمعنى وسئل الحسن عنه فقال كلمة عربية كانت العرب تقولها
كان الرجل اذا كذب كذبة في نادي القوم يقول له بعضهم قد خرقها والله ويجوز ان يكون من خرق الثوب
اذا شقه اى اشتقوا له بنين وبنات وقرئ وخرقوا بالتشديد للتكثير لقوله بنين وبنات وقرأ ابن عمر وابن
عباس رضي الله عنهما وحرفوا له بمعنى وزوروا له اولادا لان المزور محرف مغير للحق الى الباطل (بغير علم) من
غير ان يعلموا حقيقة ما قالوه من خطأ أو صواب ولكن رميا بقول عن عمى وجهالة من غير فكر وروية (بديع
السموات) من اضافة الصفة المشبهة الى فاعلها كقولك فلان بديع الشعر أي بديع شعره او هو بديع في
السموات والارض كقولك فلان ثبت الغدر أي ثابت فيه والمعنى أنه عديم النظير والمثل فيها وقيل البديع
بمعنى المبدع وارتفاعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو هو مبتدأ وخبره (أنى يكون له ولد) أو فاعل تعالى وقرئ
بالجر ردا على قوله وجعلوا لله او على سبحانه وبالنصب على المدح وفيه ابطال الولد من ثلاثة اوجه أحدها ان
مبتدع السموات والارض وهي أجسام عظيمة لا يستقيم أن يوصف بالولادة لان الولادة من صفات الاجسام
ومخترع الاجسام لا يكون جسما حتى يكون والدا والثاني أن الولادة لا تكون الا بين زوجين من جنس واحد
وهو متعال عن مجانس فلم يصح أن تكون له صاحبة فلم تصح الولادة والثالث انه ما من شيء الا وهو خالقه
والعالم به ومن كان بهذه الصفة كان غنيا عن كل شيء والولد انما يطلبه المحتاج * وقرئ ولم يكن له صاحبة
بالياء وانما جاز للفصل * كقوله لقد ولد الاخيطل أم سوء * (ذلكم) اشارة الى الموصوف بما تقدم من الصفات
وهو مبتدأ وما بعده أخبار مترادفة وهي (الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء) أي ذلكم الجامع لهذه الصفات
(فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة على معنى أن من استجمعت له هذه الصفات كان هو الحقيق بالعبادة
فاعبدوه ولا تعبدوا من دونه من بعض خلقه ثم قال (وهو على كل شيء وكيل) يعني وهو مع تلك الصفات

وجنات من اعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا الى ثمره اذا اثمر وينعه ان في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون بديع السموات والارض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شيء فاعبدوه وهو على كل شيء وكيل لا تدركه الابصار

*قوله تعالى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير (قال البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله تعالى فى حاسة النظر به تدرك الخ) قال احمد وقد سلف الكلام على هذه الآية فى غير موضعها الان المصنف تعجل الكلام عليها قبل والذى يريده الآن ان الادراك عبارة عن الاحاطة ومنه فلما ادركه الغرق اى احاط به وانا لمدركون اى محاط بنا فالمنفى اذاً عن الابصار احاطتها به عز وعلا لا بمجرد الرؤية ثم اما ان يقتصر على ان الآية لا تدل على مخالفتنا او تزيد فنقول يدل لنا ان تخصيص الاحاطة بالنفى يشعر بطريق المفهوم بثبوت ما هو ادني من ذلك واقله مجرد الرؤية كما انا نقول لا تحيط به الافهام وان كانت المعرفة بمجردها حاصلة لكل مؤمن فالاحاطة للعقل منفية كنفى الاحاطة للحس وما دون الاحاطة من المعرفة للعقل والرؤية للحس ثابت غير منتفي ولم يذكر الزمخشرى على احالة الرؤية عقلا دليلا ولا شبهة فيحتاج الى القدح فيه ثم معارضته بأدلة الجواز ولكنه اقتصر على استبعاد ان يكون المرئي لا فى جهة فيقتصر معه على الزامه استبعاد ان يكون الموجود لا فى جهة اذ اتباع الوهم يبعدهما جميعا والانقياد الى العقل يبطل هذا الوهم ويجيزهما معا وهذا القدر كاف بحسب ما أورده فى هذا الوضع والله الموفق

وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير قد جاءكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما انا عليكم بحفيظ وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون اتبع ما أوحى اليك من ربك لا اله الا هو وأعرض عن المشركين ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا وما أنت عليهم بوكيل ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوا

مالك لكل شيء من الارزاق والآجال رقيب على الاعمال *البصر هو الجوهر اللطيف الذى ركبه الله فى حاسة النظر به تدرك المبصرات فالمعنى ان الابصار لا تتعلق به ولا تدركه لانه متعال ان يكون مبصرا فى ذاته لان الابصار انما تتعلق بما كان فى جهة أصلا أو تبعا كالاجسام والهيآت (وهو يدرك الابصار) وهو للطف ادراكه المدركات يدرك تلك الجواهر اللطيفة التى لا يدركها مدرك (وهو اللطيف) يلطف عن ان تدركه الابصار (الخبير) بكل لطيف فهو يدرك الابصار لا تلطف عن ادراكه وهذا من باب اللطف (قد جاءكم بصائر من ربكم) هو وارد على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم لقوله وما أنا عليكم بحفيظ والبصيرة نور القلب الذى به يستبصر كما ان البصر نور العين الذى به تبصر اى جاءكم من الوحي والتنبيه على ما يجوز على الله وما لا يجوز ما هو للقلوب كالبصائر (فمن أبصر) الحق وآمن (فلنفسه) ابصر واياها نفع (ومن عمى) عنه فعلى نفسه عمي واياها ضر بالعمي (وما انا عليكم بحفيظ) احفظ اعمالكم وأجازيكم عليها انما انا منذر والله هو الحفيظ عليكم (وليقولوا) جوابه محذوف تقديره وليقولوا درست نصرفها ومعنى (درست) قرأت وتعلمت وقرئ دارست اى دارست العلماء ودرست بمعنى قدمت هذه الآيات وعفت كما قالوا أساطير الاولين ودرست بضم الراء مبالغة فى درست اي اشتد دروسها ودرست على البناء للمفعول بمعنى قرئت او عفيت ودارست وفسروها بدارست اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم وجاز الاضمار لان الشهرة بالدراسة كانت لليهود عندهم ويجوز ان يكون الفعل للآيات وهو لاهلها اى دارس اهل الآيات وحملتها محمدا وهم اهل الكتاب ودرس اى درس محمد ودارسات على هى دارسات اى قديمات أو ذات دروس كعيشة راضية *(فان قلت) اى فرق بين اللامين فى ليقولوا ولنبينه (قلت) الفرق بينهما ان الاولى مجاز والثانية حقيقة وذلك ان الآيات صرفت للتبيين ولم تصرف ليقولوا دارست ولكن لانه حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل التبيين شبه به فسيق مساقه وقيل ليقولوا كما قيل لنبينه (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (ولنبينه) (قلت) الى الآيات لانها فى معنى القرآن كانه قيل وكذلك نصرف القرآن او الى القرآن وان لم يجر له ذكر لكونه معلوما او الى التبيين الذى هو مصدر الفعل كقولهم ضربته زيدا او يجوز ان يراد فيمن قرأ درست ودارست درست الكتاب ودارسته فيرجع الى الكتاب المقدر (لا اله الا هو) اعتراض أكد به ايجاب اتباع الوحي لا محل له من الاعراب ويجوز ان يكون حالا من ربك وهي حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (ولا تسبوا) الآلهة (الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله) وذلك انهم قالوا عند نزول قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم لتنتهين عن سب آلهتنا او لنهجون الهك وقيل كان المسلمون يسبون آلهتهم فنهوا لئلا يكون سبهم سببا لسب الله (فان قلت) سب الآلهة حق وطاعة فكيف صح النهى عنه وانما يصح النهى عن المعاصى (قلت) رب طاعة علم انها تكون مفسدة فتخرج عن ان تكون طاعة فيجب النهي عنها لانها معصية لا لانها طاعة كالنهى عن المنكر هو من اجل الطاعات فاذا علم انه يؤدى الى زيادة الشر انقلب معصية ووجب النهي عن ذلك النهي كما يجب النهي عن المنكر (فان قلت) فقد روى عن الحسن وابن سيرين انهما حضرا جنازة فرأى محمد نساء فرجع فقال الحسن لو تركنا الطاعة لاجل المعصية لاسرع ذلك فى ديننا (قلت) ليس هذا مما نحن بصدده لان حضور الرجال الجنازة طاعة وليس بسبب لحضور النساء فانهن يحضرنها حضر الرجال أو لم يحضروا بخلاف سب الآلهة وانما خيل الى محمد انه مثله حتى نبه عليه الحسن (عدوا) ظلما وعدوانا وقرئ عدوا بضم العين وتشديد الواو بمعناه يقال عدا فلان عدوا وعدوا وعدوانا وعداء وعن ابن كثير عدوا

*قوله تعالى وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون (قال يعني ان الله تعالى قادر على ان ينزل الآيات ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة الخ) قال احمد وتحرير النظر في الآية يتضح بمثال فنقول اذا قال لك القائل اكرم فلانا فانه يكافئك وكنت انت تعلم منه عدم المكافأة فاذا انكرت على المشير باكرامه قلت وما يدريك انى اذا اكرمته يكافئنى فانكرت عليه اثباته المكافأة وانت تعلم نفيها فان انعكس الامر فقال لك لا تكرمه فانه لا يكافئك وكنت تعلم منه المكافأة فانكرت على المشير بحرمانه قلت وما يدريك انه لا يكافئنى تريد وانا اعلم منه المكافأة فكان مقتضى الانكار على المؤمنين الذين احسنوا الظن بالمعاندين فاعتقدوا انهم يؤمنون عند نزول الآية المقترحة ان يقال وما يدريكم انها اذا جاءت لا يؤمنون كما تقول فى المثال منكرا على من أثبت المكافأة وأنت تعلم خلافها وما يدريك انه يكافئنى باسقاط لا وان أثبتها انعكس المعنى الى ان المعلوم لك الثبوت وأنت تنكر على من نفى فلما جاءت الآية تفهم ببادئ الرأى ان الله تعالى علم الايمان منهم وأنكر على المؤمنين نفيهم له والواقع على خلاف ذلك اختلاف العلماء فحمل بعضهم لا على الزيادة و بعضهم اول ان بهل و بعضهم جعل الكلام جواب قسم محذوف وقد تفتح ان بعد القسم فقال التقدير والله (الا انها اذا جاءت لا يؤمنون وأما الزمخشرى فتفطن لبقاء الآية على ظاهرها وقرارها فى نصابها من غير حذف ولا تأويل فقال قوله السالف ونحن نوضح اطراده فى المثال المذكور ليتضح بوجهيه فى الآية فنقول اذا حرمت زيدا لعلمك بعدم مكافأته فأشير عليك بالاكرام بناء على ان المشير يظن المكافأة فلك معه حالتان حالة تنكر عليه ادعاء العلم بما يعلم خلافه وحالة تعذره فى عدم العلم بما أحطت به علما فان انكرت عليه قلت وما يدريك انه يكافئ وان عذرته فى عدم علمه بانه لا يكافئ قلت وما يدريك انه لا يكافئ يعنى ومن أين تعلم انت ما علمته انا من عدم مكافأته وأنت لم تخبر أمره خبرى فكذلك الآية انما ورد فيها الكلام اقامة عذر للمؤمنين فى عدم علمهم بالمغيب فى علم الله تعالى وهو عدم ايمان هؤلاء فاستقام دخول لا وتعين وتبين ان سبب الاضطراب التباس الانكار باقامة الاعذار والله الموفق للصواب

عدوا بغير علم كذلك زينا لكل امة عملهم ثم الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون وأقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها اذا جاءت لا يؤمنون ونقلب أفئدتهم وابصارهم كما لم يؤمنوا به أول مرة ونذرهم فى طغيانهم يعمهون ولو أننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شىء قبلا ما كانوا ليؤمنوا

بفتح العين بمعنى أعداء (بغير علم) على جهالة بالله وبما يجب ان يذكر به (كذلك زينا لكل أمة) مثل ذلك التزيين زينا لكل أمة من امم الكفار سوء عملهم أى خليناهم وشأنهم ولم نكفهم حتى حسن عندهم سوء عملهم او أمهلنا الشيطان حتى زين لهم او زيناه فى زعمهم وقولهم ان الله امرنا بهذا وزينه لنا (فينبئهم) فيوبخهم عليه ويعاتبهم ويعاقبهم (لئن جاءتهم آية) من مقترحاتهم (ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله) وهو قادر عليها ولكنه لا ينزلها الا على موجب الحكمة او انما الآيات عند الله لا عندى فكيف اجيبكم اليها وآتيكم بها (وما يشعركم) وما يدريكم (أنها) ان الآية التى تقترحونها (اذا جاءت لا يؤمنون) بها يعنى انا اعلم انها اذا جاءت لا يؤمنون بها وأنتم لا تدرون بذلك وذلك ان المؤمنين كانوا يطمعون فى ايمانهم اذا جاءت تلك الآية ويتمنون مجيئها فقال عز وجل وما يدريكم انهم لا يؤمنون على معنى انكم لا تدرون ما سبق علمى به من انهم لا يؤمنون به الا ترى الى قوله كما لم يؤمنوا به اول مرة وقيل انها بمعنى لعلها من قول العرب ائت السوق انك تشترى لحما وقال امرؤ القيس

عوجا على الطلل المحيل لاننا * نبكى الديار كما بكى ابن خذام

وتقويها قراءة ابى لعلها اذا جاءت لا يؤمنون وقرئ بالكسر على ان الكلام قد تم قبله بمعنى وما يشعركم ما يكون منهم الاثم اخبرهم بعلمه فيهم فقال انها اذا جاءت لا يؤمنون البتة ومنهم من جعل لا مزيدة فى قراءة الفتح وقرئ وما يشعرهم انها اذا جاءتهم لا يؤمنون اى يحلفون بأنهم يؤمنون عند مجيئها وما يشعرهم ان تكون قلوبهم حينئذ كما كانت عند نزول القرآن وغيره من الآيات مطبوعا عليها فلا يؤمنوا بها (ونقلب افئدتهم*ونذرهم) عطف على لا يؤمنون داخل فى حكم وما يشعركم بمعنى وما يشعركم انهم لا يؤمنون وما يشعركم انا نقلب افئدتهم وابصارهم اى نطبع على قلوبهم وابصارهم فلا يفقهون ولا يبصرون الحق كما كانوا عند نزول آياتنا اولا لا يؤمنون بها لكونهم مطبوعا على قلوبهم وما يشعركم انا نذرهم فى طغيانهم اى نخليهم وشأنهم لا نكفهم عن الطغيان حتى يعمهوا فيه وقرئ ويقلب ويذرهم بالياء اى الله عز وجل وقرأ الاعمش وتقلب افئدتهم وابصارهم على البناء للمفعول (ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة) كما قالوا لولا أنزل علينا الملائكة (وكلمهم الموتى) كما قالوا فأتوا بآبائنا (وحشرنا عليهم كل شىء قبلا) كما قالوا أو تأتى بالله والملائكة قبيلا قبلا كفلاء بصحة ما بشرنا به وانذرنا او جماعات وقيل قبلا مقابلة وقرئ قبلا اى عيانا

* قوله تعالى ولو اننا نزلنا اليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شئ قبلا ما كانوا ليؤمنوا الا أن يشاء الله (قال معناه الا ان يشاء الله مشيئة اكراه واضطراب) قال أحمد بل المراد الا أن يشاء الله منهم اختيار الايمان فانه تعالى لو شاء منهم اختيارهم للايمان لاختاروه وآمنوا حتما ماشاء الله كان والزمخشري بنى على القاعدة الفاسدة فى اعتقاده ان الله تعالى شاء منهم الايمان اختيارا فلم يؤمنوا اذ لا يجب على زعم طائفته نفوذ المشيئة ولا يطلقون القول كما أطلقه سلف هذه الامة وحملة شريعتها من ٣٠٧ قولهم ماشاء الله كان ومالم يشأ لم يكن

(الا أن يشاء الله) مشيئة اكراه واضطرار (ولكن أكثرهم يجهلون) فيقسمون بالله جهد أيمانهم على مالا يشعرون من حال قلوبهم عند نزول الآيات أو ولكن أكثر المسلمين يجهلون أن هؤلاء لا يؤمنون الا أن يضطرهم فيطمعون فى ايمانهم اذا جاءت الآية المقترحة (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) وكما خلينا بينك وبين أعدائك كذلك فعلنا بمن قبلك من الانبياء واعدائهم لم نمنعهم من العداوة لما فيه من الامتحان الذى هو سبب ظهور الثبات والصبر وكثرة الثواب والاجر * انتصب (شياطين) على البدل من عدوا أو على انهما مفعولان كقوله وجعلوا لله شركاء الجن (يوحي بعضهم الى بعض) يوسوس شياطين الجن الى شياطين الانس وكذلك بعض الجن الى بعض وبعض الانس الى بعض وعن مالك بن دينار ان شيطان الانس أشد علي من شيطان الجن لاني اذا تعوذت بالله ذهب شيطان الجن عني وشيطان الانس يجيئني فيجرني الى المعاصي عيانا (زخرف القول) مايزينه من القول والوسوسة والاغراء على المعاصي ويموهه (غرورا) خدعا وأخذا على غرة (ولوشاء ربك مافعلوه) مافعلوا ذلك اى ماعادوك اوما اوحى بعضهم الى بعض زخرف القول بان يكفهم ولا يخليهم وشأنهم (ولتصغى) جوابه محذوف تقديره وليكون ذلك جعلنا لكل نبي عدوا على ان اللام لام الصيرورة وتحقيقها ماذكر والضمير فى (اليه) يرجع الى مارجع اليه الضمير فى فعلوه أي ولتميل الى ماذكر من عداوة الانبياء ووسوسة الشياطين (افئدة) الكفار (وليرضوه) لانفسهم (وليقترفوا ماهم مقترفون) من الآثام (افغير الله ابتغى حكما) على ارادة القول اى قل يامحمد افغير الله اطلب حاكما يحكم بيني وبينكم ويفصل المحق منا من المبطل (وهو الذى انزل اليكم الكتاب) المعجز (مفصلا) مبينا فيه الفصل بين الحق والباطل والشهادة لى بالصدق وعليكم بالافتراء * ثم عضد الدلالة على ان القرآن حق بعلم اهل الكتاب انه حق لتصديقه ماعندهم وموافقته له (فلا تكونن من الممترين) من باب التهييج والالهاب كقوله تعالى ولا تكونن من المشركين اوفلا تكونن من الممترين فى ان اهل الكتاب يعلمون انه منزل بالحق ولا يريبك جحود اكثرهم وكفرهم به ويجوزان يكون فلا تكونن خطابا لكل احد على معنى انه اذا تعاضدت الادلة على صحته وصدقه فما ينبغي ان يمتري فيه احد وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم خطاب لامته (وتمت كلمات ربك) اى تم كل ما اخبر به وأمر ونهى ووعد وأوعد (صدقا وعدلا لامبدل لكلماته) لا احد يبدل شيئا من ذلك بما هو اصدق واعدل وصدقا وعدلا نصب على الحال وقرئ كلمة ربك اى ماتكلم به وقيل هي القرآن (وان تطع أكثر من فى الارض) من الناس اضلوك لان الاكثر فى غالب الامر يتبعون هواهم ثم قال (ان يتبعون الا الظن) وهوظنهم ان آباءهم كانوا على الحق فهم يقلدونهم (وان هم الا يخرصون) يقدرون انهم على شئ او يكذبون في ان الله حرم كذا واحل كذا * وقرئ من يضل بضم الياء اى يضله الله (فكلوا) مسبب عن انكار اتباع المضلين الذين يحلون الحرام ويحرمون الحلال وذلك انهم كانوا يقولون للمسلمين انكم تزعمون انكم تعبدون الله فما قتل الله احق ان تأكلوا مما قتلتم انتم فقيل للمسلمين ان كنتم متحققين بالايمان فكلوا (مما ذكر اسم الله عليه) خاصة دون ماذكر عليه اسم غيره من آلهتهم اومات حتف انفه وماذكر اسم الله عليه هو المذكى بسم الله (ومالكم ألا تأكلوا) واى غرض لكم فى ان لا تأكلوا (وقد فصل لكم) وقد بين لكم (ماحرم عليكم) مما لم يحرم وهو قوله حرمت عليكم الميتة وقرئ فصل لكم ماحرم عليكم على تسمية الفاعل وهو

الا ان يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون. وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا ولوشاء ربك ما فعلوه فذرهم وما يفترون ولتصغى اليه افئدة الذين لا يؤمنون بالآخرة وليرضوه وليقترفوا ماهم مقترفون أفغير الله أبتغي حكما وهو الذى انزل اليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته وهو السميع العليم وان تطع أكثر من فى الارض يضلوك عن سبيل الله ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون ان ربك هو اعلم من يضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين فكلوا مما ذكر اسم الله عليه ان كنتم بآياته مؤمنين وما لكم الا تاكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ماحرم عليكم

بل يقولون ان اكثر ماشاءه لم يقع اذشاء الايمان والصلاح من جميع الخلق فلم يؤمن ويعمل الصالح الا القليل وقليل ماهم وهذا كله مما يتعالى الله عنه علوا كبيرا فاذا صدمهم مثل هذه الآية بالردتحيلوا فى المدافعة بحمل المشيئة المنفية على مشيئة القسر والاضطرار وانما لم يتم لهم ذلك ان لوكان القرآن يتبع الآراء واما وهو القدوة والمتبوع فما خالفه حينئذ وتزحزح عنه فالى النار وما بعد الحق الا الضلال والله الموفق

للصواب * قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (قال ان قلت قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد الخ) قال أحمد مذهب مالك وأبي حنيفة سواء في ان متروك التسمية عمدا لا يؤكل سواء كان تهاونا أو غير تهاون ولأشهب قول شاذ بجواز غير المتهاون في ترك تسميته والآية تساعد مذهب الامامين مساعدة بينة فانه ذكر عقيب غير المسمى عليه قوله وانه لفسق وذلك ان كان عبارة عن فعل المكلف وهو اهمال التسمية أو تسمية غير الله فلا يدخل النسيان لان الناسي غير مكلف فلا يكون فعله فسقا ولا هو فاسق وان كان نفس الفسق الذبيحة التي لم يسم عليها ولم يكن مصدرا فانما تسمى الذبيحة فسقا نقلا لهذا الاسم من المصدر الى الذات فالذبيحة التي تركت التسمية عليها نسيانا لا يصح ان تسمى فسقا اذ الفعل الذي ينقل منه هذا الاسم ليس بفسق فاذا تمهد ذلك فاما أن يقول لا دليل في الآية على تحريم منسي التسمية فبقي على أصل الاباحة أو يقول فيها دليل على اباحته من حيث مفهوم تخصيص النهي بما هو فسق فما ليس بفسق ليس بحرام وهذا النظر يستد اذا لم تكن الميتة متناولة في هذه الآية وأما اذا ثبت انها مرادة تعين صرف الفسق الى الآكل والمأكول وكان الضمير من قوله وانه عائدا الى المصدر المنهي عنه أو الى الموصول وحينئذ يندرج

الا ما اضطررتم اليه وان كثيرا ليضلون بأهوائهم بغير علم ان ربك هو أعلم بالمعتدين وذروا ظاهر الاثم وباطنه ان الذين يكسبون الاثم سيجزون بما كانوا يقترفون ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق وان الشياطين ليوحون الى أوليائهم ليجادلوكم وان أطعتموهم انكم لمشركون أومن كان ميتا فأحييناه وجعلنا له نورا يمشي به في الناس كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها كذلك زين للكافرين ما كانوا يعملون وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها ليمكروا فيها

الله عز وجل (الا ما اضطررتم اليه) مما حرم عليكم فانه حلال لكم في حال الضرورة (وان كثيرا ليضلون) قرئ بفتح الياء وضمها أي يضلون فيحرمون ويحللون (بأهوائهم) وشهواتهم من غير تعلق بشريعة (ظاهر الاثم وباطنه) ما أعلنتم منه وما أسررتم وقيل ما عملتم وما نويتم وقيل ظاهره الزنا في الحوانيت وباطنه الصديقة في السر (وانه لفسق) الضمير راجع الى مصدر الفعل الذي دخل عليه حرف النهي يعني وان الاكل منه لفسق أو الى الموصول على وان أكله لفسق أو جعل ما لم يذكر اسم الله عليه في نفسه فسقا (فان قلت) قد ذهب جماعة من المجتهدين الى جواز أكل ما لم يذكر اسم الله عليه بنسيان او عمد (قلت) قد تأوله هؤلاء بالميتة وبما ذكر غير اسم الله عليه كقوله أو فسقا أهل لغير الله به (ليوحون) ليوسوسون (الى أوليائهم) من المشركين (ليجادلوكم) بقولهم ولا تأكلون مما قتله الله وبهذا يرجح تأويل من تأوله بالميتة (انكم لمشركون) لان من اتبع غير الله تعالى في دينه فقد أشرك به ومن حق ذي البصيرة في دينه ان لا يأكل مما لم يذكر اسم الله عليه كيفما كان لما يرى في الآية من التشديد العظيم وان كان ابو حنيفة رحمه الله مرخصا في النسيان دون العمد ومالك والشافعي رحمهما الله فيهما * مثل الذي هداه الله بعد الضلالة ومنحه التوفيق لليقين الذي يميز به بين الحق والمبطل والمهتد والضال بمن كان ميتا فأحياه الله وجعل له نورا يمشي به في الناس مستضيئا به فيميز بعضهم من بعض ويفصل بين حلاهم ومن بقي على الضلالة بالخابط في الظلمات لا ينفك منها ولا يتخلص ومعنى قوله (كمن مثله في الظلمات ليس بخارج منها) كمن صفته هذه وهي قوله في الظلمات ليس بخارج منها بمعنى هو في الظلمات ليس بخارج منها كقوله تعالى مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار أي صفتها هذه وهي قوله فيها انهار (زين للكافرين) أي زينه الشيطان او الله عز وعلا على قوله زينا لهم اعمالهم ويدل عليه قوله (وكذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها) يعني وكما جعلنا في مكة صناديدها ليمكروا فيها كذلك جعلنا في كل قرية أكابر مجرميها لذلك ومعناه خليناهم ليمكروا وما كففناهم عن المكر وخص الاكابر لانهم هم الحاملون على الضلال والماكرون بالناس كقوله امرنا مترفيها وقرئ أكبر مجرميها على قولك هم أكبر قومهم

المنسي في النهي ولا يستقيم على أن الميتة مندرجة كاندراج المنسي لان الوجه الذي به تندرج الميتة هو الوجه الذي به يندرج المنسي اذ يكون الفسق اما للآكل واما للمأكول نقلا من الاكل ولا ينصرف الى غير ذلك لان الميتة لم يفعل المكلف فيها فعلا يسمى فسقا سوى الاكل والمنسي تسميتها لا يستقيم ان يسمى الذبح فيها فسقا لاجل النسيان فيتعين صرفه الى الاكل ومن ثم قوي عند الزمخشري تعميم التحريم حتى في المنسي لانه يرى أن الميتة مرادة من الآية ولا بد اذ هي سبب نزول الآية والتحقيق ان العام الظاهر متى ورد على سبب خاص كان نصا في السبب ظاهرا باقيا على ظهوره فيما عداه واذا ثبت اندراج الميتة لزم اندراج المنسي كما تقدم وحينئذ يضطر مبيح المنسي الى تخصيص فيتمسك بقوله عليه الصلاة والسلام ذكر الله على قلب كل مؤمن سمى أولم يسم وكان الناسي ذاكرا حكما وان لم يكن ذاكرا وجودا وهذا عند التحقيق ليس بتخصيص ولكن منع لاندراج الناسي في العموم وسنده الحديث المذكور ويؤيد بان العام الوارد على سبب خاص وان قوي تناوله للسبب حتى ينهض الظاهر فيه نصا الا أنه ضعيف التناول لما عداه حتى ينحط عن أمثالي الظواهر فيه ويكتفى من معارضته بما لا يكتفى به منه لولا السبب وهذا البحث متطلع بفنون شتى على نكت بديعة والله الموفق للصواب * قوله تعالى قال النار مثواكم خالدين فيها الا ما شاء الله ان ربك حكيم عليم

(قال معنى هذا الاستثناء انهم يخلدون في عذاب النار الابد كله الخ) قال احمد قد ثبت خلود الكفار في العذاب ثبوتا قطعيا فمن ثم اعتنى العلماء بالكلام على الاستثناء في هذه الآية وفي اختها في سورة هود فذهب بعضهم الى انها شاملة لعصاة الموحدين وللكفار والمستثنى العصاة لانهم لايخلدون وهذا تأويل اهل السنة وقد غلط الزمخشري في انكاره في آية هود وتناهى الى ما نعوذ بالله منه فقدح في عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنه راوى الحديث الشاهد لهذا التأويل ونحن نبرأ الى الله من القدح في مثل عبد الله وهو من جملة الصحابة رضوان الله عليهم وفقهائهم وزهادهم وذهب بعضهم الى ان هذا الاستثناء محدود بمشيئة رفع العذاب اى يخلدون الا ان يشاء الله لو شاء وفائدته اظهار القدرة والاعلان بان خلودهم انما كان لان الله تعالى قد شاءه وكان من الجائز العقلي في مشيئته ان لا يعذبهم ولو عذبهم لا يخلدهم وان ذلك ليس بامر واجب عليه وانما هو بمقتضى مشيئته وارادته عز وجل وفيها على هذا الوجه دفع في صدر المعتزلة الذين يزعمون ان تخليد الكفار

وما يمكرون الا بانفسهم وما يشعرون واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله الله اعلم حيث يجعل رسالته سيصيب الذين اجرموا صغار عند الله وعذاب شديد بما كانوا يمكرون فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصعد في السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون وهذا صراط ربك مستقيما قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون لهم دار السلام عند ربهم وهو وليهم بما كانوا يعملون ويوم نحشرهم جميعا يامعشر الجن قد استكثرتم من الانس وقال اولياؤهم من الانس ربنا استمتع بعضنا ببعض وبلغنا اجلنا الذي اجلت لنا قال النار مثواكم خالدين فيها الا ماشاء الله

قومهم واكابر قومهم (وما يمكرون الا بانفسهم) لان مكرهم يحيق بهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتقديم موعد بالنصرة عليهم * روى ان الوليد بن المغيرة قال لو كانت النبوة حقا لكنت اولى بها منك لاني اكبر منك سنا واكثر منك مالا وروى ان اباجهل قال زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتى اذا صرنا كفرسى رهان قالوا منا نبي يوحى اليه والله لا نرضى به ولا نتبعه ابدا الا ان يأتينا وحي كما يأتيه فنزلت ونحوها قوله تعالى بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشرة (الله اعلم) كلام مستأنف للانكار عليهم وان لا يصطفى للنبوة الا من علم انه يصلح لها وهو اعلم بالمكان الذي يضعها فيه منهم (سيصيب الذين اجرموا) من اكابرها (صغار) وقماءة بعد كبرهم وعظمتهم (وعذاب شديد) في الدارين من الاسر والقتل وعذاب النار (فمن يرد الله ان يهديه) ان يلطف به ولا يريد ان يلطف الا بمن له لطف (يشرح صدره للاسلام) يلطف به حتى يرغب في الاسلام وتسكن اليه نفسه ويحب الدخول فيه (ومن يرد ان يضله) ان يخذله ويخليه وشأنه وهو الذي لا لطف له (يجعل صدره ضيقا حرجا) يمنعه الطافه حتى يقسو قلبه وينبو عن قبول الحق وينسد فلا يدخله الايمان وقرئ ضيقا بالتخفيف والتشديد حرجا بالكسر وحرجا بالفتح وصفا بالمصدر (كانما يصعد في السماء) كانما يزاول امرا غير ممكن لان صعود السماء مثل فيما يمتنع ويبعد من الاستطاعة وتضيق عنه المقدرة وقرئ يصعد واصله يتصعد وقرأ عبد الله يتصعد ويصاعد واصله يتصاعد ويصعد من صعد ويصعد من اصعد (يجعل الله الرجس) يعني الخذلان ومنع التوفيق وصفه بنقيض ما يوصف به التوفيق من الطيب او اراد الفعل المؤدي الى الرجس وهو العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (وهذا صراط) ربك وهذا طريقه الذي اقتضته الحكمة وعادته في التوفيق والخذلان (مستقيما) عادلا مطردا وانتصابه على انه حال مؤكدة كقوله وهو الحق مصدقا (لهم) لقوم يذكرون (دار السلام) دار الله يعني الجنة اضافها الى نفسه تعظيما لها او دار السلامة من كل آفة وكدر (عند ربهم) في ضمانه كما تقول لفلان عندي حق لا ينسى او ذخيرة لهم لا يعلمون كنهها كقوله فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين (وهو وليهم) مواليهم ومحبهم او ناصرهم على اعدائهم (بما كانوا يعملون) بسبب اعمالهم او متوليهم بجزاء ما كانوا يعملون (ويوم نحشرهم) منصوب بمحذوف اى واذكر يوم نحشرهم او ويوم نحشرهم قلنا (يامعشر الجن) او ويوم نحشرهم وقلنا يامعشر الجن كان مالا يوصف لفظاعته والضمير لمن يحشر من الثقلين وغيرهم والجن هم الشياطين (قد استكثرتم من الانس) اضللتم منهم كثيرا او جعلتموهم اتباعكم فحشر معكم منهم الجم الغفير كما تقول استكثر الامير من الجنود واستكثر فلان من الاشياع (وقال اولياؤهم من الانس) الذين اطاعوهم واستمعوا الى وسوستهم (ربنا استمتع بعضنا ببعض) اى انتفع الانس بالشياطين حيث دلوهم على الشهوات وعلى اسباب التوصل اليها وانتفع الجن بالانس حيث اطاعوهم وساعدوهم على مرادهم وشهوتهم في اغوائهم وقيل استمتاع الانس بالجن ما في قوله وانه كان رجال من الانس يعوذون برجال من الجن وان الرجل كان اذا انزل واديا وخاف قال أعوذ برب هذا الوادي يعني به كبير الجن واستمتاع الجن بالانس اعتراف الانس لهم بانهم يقدرون على الدفع عنهم واجارتهم لهم (وبلغنا اجلنا الذي أجلت لنا) يعنون يوم البعث وهذا الكلام اعتراف بما كان منهم من طاعة الشياطين واتباع الهوى والتكذيب بالبعث واستسلام لربهم وتحسر على حالهم (خالدين فيها الا ماشاء الله) اى يخلدون في عذاب النار الأبد كله الا ماشاء الله

واجب على الله تعالى بمقتضي الحكمة وانه لا يجوز في العقل ان يشاء خلاف ذلك وذهب الزجاج الى وجه لطيف انما يظهر بالبسط فقال المراد والله اعلم الا ما شاء من زيادة العذاب ولم يبين وجه استقامة الاستثناء والمستثنى على هذا التأويل لم يغاير المستثنى منه في الحكم ونحن نبينه فنقول العذاب والعياذ بالله على درجات متفاوتة فكان المراد انهم مخلدون في حبس العذاب الا ما شاء ربك من زيادة تبلغ الغاية وتنتهي الى اقصى النهاية حتى تكاد لبلوغها الغاية ومباينتها لانواع العذاب في الشدة تعد ليس من جنس العذاب

ان ربك حكيم عليم وكذلك نولى بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون يامعشر الجن والانس ألم ياتكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا شهدنا على انفسنا وغرتهم الحياة الدنيا وشهدوا على انفسهم انهم كانوا كافرين ذلك ان لم يكن ربك مهلك القرى بظلم وأهلها غافلون ولكل درجات مما عملوا وما ربك بغافل عما تعملون وربك الغني ذو الرحمة ان يشا يذهبكم ويستخلف من بعدكم مايشاء كما أنشأكم من ذرية قوم آخرين ان ما توعدون لآت وما أنتم بمعجزين قل ياقوم

الا الاوقات التي ينقلون فيها من عذاب النار الى عذاب الزمهرير فقد روى انهم يدخلون واديا فيه من الزمهرير ما يميز بعض أوصالهم من بعض فيتعاوون ويطلبون الرد الى الجحيم أو يكون من قول الموتور الذي ظفر بواتره ولم يزل يحرق عليه أنيابه وقد طلب اليه ان ينفس عن خناقه أهلكني الله ان نفست عنك الا اذا شئت وقد علم انه لا يشاء الا التشفي منه باقصي ما يقدر عليه من التعنيف والتشديد فيكون قوله الا اذا شئت من اشد الوعيد مع تهكم بالموعد لخروجه في صورة الاستثناء الذي فيه اطماع (ان ربك حكيم) لا يفعل شيئا الا بموجب الحكمة (عليم) بأن الكفار يستوجبون عذاب الابد (نولي بعض الظالمين بعضا) نخليهم حتى يتولى بعضهم بعضا كما فعل الشياطين وغواة الانس أو يجعل بعضهم أولياء بعض يوم القيامة وقرناءهم كما كانوا في الدنيا (بما كانوا يكسبون) بسبب ما كسبوا من الكفر والمعاصي * يقال لهم يوم القيامة على جهة التوبيخ (ألم يأتكم رسل منكم) واختلف في ان الجن هل بعث اليهم رسل منهم فتعلق بعضهم بظاهر الآية ولم يفرق بين مكلفين ومكلفين ان يبعث اليهم رسول من جنسهم لانهم به آنس وله آلف وقال آخرون الرسل من الانس خاصة وانما قيل رسل منكم لانه لما جمع الثقلان في الخطاب صح ذلك وان كان من أحدهما كقوله يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وقيل اراد رسل الرسل من الجن اليهم كقوله تعالى ولوا الى قومهم منذرين وعن الكلبي كانت الرسل قبل ان يبعث محمد صلى الله عليه وسلم يبعثون الى الانس ورسول الله صلى الله عليه وسلم بعث الى الانس والجن (قالوا شهدنا على انفسنا) حكاية لتصديقهم وايجابهم قوله ألم يأتكم لان الهمزة الداخلة على نفي اتيان الرسل للانكار فكان تقريرا لهم وقولهم شهدنا على أنفسنا اقرار منهم بان حجة الله لازمة لهم وانهم محجوجون بها (فان قلت) مالهم مقرين في هذه الآية جاحدين في قوله والله ربنا ما كنا مشركين (قلت) تتفاوت الاحوال والمواطن في ذلك اليوم المتطاول فيقرون في بعضها ويجحدون في بعضها أو أريد شهادة ايديهم وارجلهم وجلودهم حين يختم على افواههم * (فان قلت) لم كرر ذكر شهادتهم على انفسهم (قلت) الاولى حكاية لقولهم كيف يقولون ويعترفون والثانية ذم لهم وتخطئة لرأيهم ووصف لقلة نظرهم لانفسهم وانهم قوم غرتهم الحياة الدنيا واللذات الحاضرة وكان عاقبة أمرهم ان اضطروا الى الشهادة على انفسهم بالكفر والاستسلام لربهم واستيجاب عذابه وانما قال ذلك تحذيرا للسامعين من مثل حالهم (ذلك) اشارة الى ما تقدم من بعثة الرسل اليهم وانذارهم سوء العاقبة وهو خبر مبتدا محذوف أي الامر ذلك (أن لم يكن ربك مهلك القرى) تعليل اي الامر ما قصصناه عليك لانتفاء كون ربك مهلك القرى بظلم على ان أن هي التي تنصب الافعال ويجوز ان تكون مخففة من الثقيلة على معنى لان الشأن والحديث لم يكن ربك مهلك القرى بظلم ولك ان تجعله بدلا من ذلك كقوله وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هؤلاء مقطوع (بظلم) بسبب ظلم قدموا عليه أو ظالما على انه لو أهلكهم وهم غافلون لم ينبهوا برسول وكتاب لكان ظلما وهو متعال عن الظلم وعن كل قبيح (ولكل) من المكلفين (درجات) منازل (مما عملوا) من جزاء اعمالهم (وما ربك بغافل عما تعملون) بساه عنه يخفى عليه مقاديره واحواله وما يستحق عليه من الاجر (وربك الغني) عن عباده وعن عبادتهم (ذو الرحمة) يترحم عليهم بالتكليف ليعرضهم للمنافع الدائمة (ان يشا يذهبكم) ايها العصاة (ويستخلف من بعدكم ما يشاء) من الخلق المطيع كما انشأكم من ذرية قوم آخرين (من أولاد قوم آخرين لم يكونوا على مثل صفتكم وهم اهل سفينة نوح عليه السلام * المكانة تكون مصدرا يقال مكن مكانة اذا تمكن ابلغ التمكن وبمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة وقوله

وخارجة عنه والشيء اذا بلغ الغاية عندهم عبروا عنه بالضد كما تقدم في التعبير عن كثرة الفعل برب وقد وهما موضوعان لضرر الكثرة من القلة وذلك امر يعتاد في لغة العرب وقد حام أبو الطيب حوله فقال

لقد جدت حتى كاد يبخل حاتم * الى المنتهي ومن السرور يكاد فكان هؤلاء اذا بلغوا الى غاية العذاب ونهاية الشدة فقد وصلوا الى الحد الذي يكادان يخرج من اسم العذاب المطلق حتى يسوغ معاملته في التعبير بمعاملة المغاير وهو وجه حسن لا يكاد يفهم من كلام الزجاج الا بعد هذا

البسط وفى تفسير ابن عباس رضي الله عنه مايؤيده والله الموفق * قوله تعالى وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم الآية (قال المعنى ان شركاءهم من الشياطين اومن سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم الخ) قال احمد رحمه الله لقد ركب المصنف في هذا الفصل متن عمياء وتاه في تيهاء وانا أبرأ الى الله وابرئ حملة كتابه وحفظة كلامه مما رماهم به فانه تخيل ان القراء أئمة الوجوه السبعة اختار كل منهم حرفا قرأ به اجتهادا لا نقلا وسماعا فلذلك غلط ابن عامر فى قراءته هذه وأخذ يبين وجه غلطه رؤيته الياء ثابتة فى شركائهم فاستدل بذلك على انه مجرور وتعين عنده نصب اولادهم بالقياس اذ لا يضاف المصدر الى امرين معا فقرأه منصوبا قال المصنف وكانت له مندوحة عن نصبه الى جره بالاضافة وابدال الشركاء منه وكان ذلك اولى مما ارتكبه يعني ابن عامر من الفصل بين المضاف والمضاف اليه الذى يسمج فى الشعر فضلا عن النثر فضلا عن المعجز فهذا كله كما ترى ظن من الزمخشرى ان ابن عامر قرأ قراءته هذه رأيا منه وكان الصواب خلافه والفصيح سواه ولم يعلم الزمخشرى ان هذه القراءة بنصب الاولاد والفصل بين المضاف والمضاف اليه بها يعلم ضرورة ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها على جبريل كما انزلها عليه كذلك ثم تلاها النبي صلى الله عليه وسلم على عدد التواتر من الائمة ولم يزل عدد التواتر يتداولونها ويقرؤن بها خلفا عن سلف الى ان انتهت الى ابن عامر فقرأها ايضا كما سمعها فهذا معتقد اهل الحق فى جميع الوجوه السبعة أنها متواترة جملة وتفصيلا عن افصح من نطق بالضاد صلى الله عليه وسلم فاذا علمت العقيدة الصحيحة فلا مبالاة بعدها بقول الزمخشرى ولا بقول امثاله ممن لحن ابن عامر فان المنكر عليه انما انكر ما ثبت انه برىء منه قطعا وضرورة ولولا عذران المنكر ليس من أهل الشأنين أعنى علم القراءة وعلم الاصول ولا يعد من ذوى الفنين المذكورين لخيف عليه الخروج من ربقة الدين وانه على هذا العذر لفي عهدة خطرة وزلة منكرة تزيد على زلة من ظن ان تفاصيل الوجوه السبعة فيها ما ليس متواترا فان هذا القائل لم يثبتها بغير النقل وغايته انه ادعى ان نقلها لا يشترط فيه التواتر واما الزمخشرى فظن انها تثبت بالرأى غير موقوفة على النقل وهذا لم يقل به احد من المسلمين وما حمله على هذا الخيال الا التغالى فى اعتقاد اطراد الاقيسة النحوية فظنها قطعية حتى يرد ما خالفها ثم اذا تنزل معه على اطراد القياس الذى ادعاه مطردا فقراءة ابن عامر هذه لا تخالفه وذلك ان الفصل بين المضاف والمضاف اليه وان كان عسرا الا ان المصدر اذا أضيف الى معموله فهو مقدر بالفعل وبهذا التقدير عمل وهو وان لم تكن اضافته غير محضة الا انه شبيه بما اضافته غير محضة حتى قال بعض النحاة ان اضافته ليست محضة لذلك فالحاصل ان اتصاله بالمضاف اليه ليس كاتصال غيره وقد جاء الفصل بين المضاف غير المصدر وبين المضاف اليه بالظرف فلا أقل من ان يتميز المصدر على غيره لما بيناه من انفكاكه فى التقدير وعدم توغله فى الاتصال بان يفصل بينه وبين المضاف اليه بما ليس أجنبيا عنه

اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار انه لا يفلح الظالمون وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون وكذلك زين لكثير من المشركين قتل اولادهم شركاؤهم

(اعملوا على مكانتكم) يحتمل اعملوا على تمكنكم من امركم واقصى استطاعتكم وامكانكم أو اعملوا على جهتكم وحالكم التي انتم عليها يقال للرجل اذا امر ان يثبت على حاله على مكانتك يا فلان اى اثبت على ما انت عليه لا تنحرف عنه (اني عامل) اى عامل على مكانتى التى انا عليها والمعنى اثبتوا على كفركم وعداوتكم لى فاني ثابت على الاسلام وعلى مصابرتكم (فسوف تعلمون) اينا تكون له العاقبة المحمودة وطريقة هذا الامر طريقة قوله اعملوا ما شئتم وهى التخلية والتسجيل على المأمور بانه لا يأتي منه الا الشر فكأنه مأمور به وهو واجب عليه حتم ليس له ان يتفصى عنه ويعمل بخلافه (فان قلت) ما موضع (من) قلت الرفع اذا كان بمعنى اى وعلق عنه فعل العلم او النصب اذا كان بمعنى الذى و(عاقبة الدار) العاقبة الحسنى التي خلق الله تعالى هذه الدار لها وهذا طريق من الانذار لطيف المسلك فيه انصاف فى المقال وأدب حسن مع تضمن شدة الوعيد والوثوق بان المنذر محق والمنذر مبطل * كانوا يعينون اشياء من حرث ونتاج لله وأشياء منها لآلهتهم فاذا رأوا ما جعلوه لله زاكيا ناميا يزيد فى نفسه خيرا رجعوا فجعلوه للآلهة واذا زكا ما جعلوه للاصنام تركوه لها واعتلوا بان الله غنى وانما ذاك لحبهم آلهتهم وايثارهم لها وقوله (مما ذرأ) فيه ان الله كان اولى بان يجعل له الزاكى لانه هو الذى ذرأه وزكاه ولا يرد الى ما لا يقدر على ذرء ولا تزكية (بزعمهم) وقرئ بالضم اى قد زعموا أنه لله والله لم يأمرهم بذلك ولا شرع لهم تلك القسمة التى هي من الشرك لانهم اشركوا بين الله وبين اصنامهم فى القربة (فلا يصل الى الله) اى لا يصل الى الوجوه التى كانوا يصرفونه اليها من قرى الضيفان والتصدق على المساكين (فهو يصل الى شركائهم) من انفاق عليها بذبح نسائك عندها والاجراء على سدنتها ونحو ذلك (ساء ما يحكمون) فى ايثار آلهتهم على الله تعالى وعملهم ما لم يشرع لهم (وكذلك) ومثل ذلك التزيين وهو تزيين الشرك فى قسمة القربان بين الله تعالى والآلهة أو ومثل ذلك التزيين البليغ الذى هو علم من الشياطين والمعنى ان شركاءهم من الشياطين أو من سدنة الاصنام زينوا لهم قتل اولادهم بالوأد أو بنحرهم للآلهة

وكأنه بالتقدير فكه بالفعل ثم قدم المفعول على الفاعل وأضافه الى الفاعل وبقي المفعول مكانه حين الفك ويسهل ذلك ايضا تغاير حال المصدر اذ تارة يضاف الى الفاعل وتارة يضاف الى المفعول وقد التزم بعضهم اختصاص الجواز بالفصل بالمفعول بينه وبين الفاعل لوقوعه في غير مرتبته اذ ينوى به التاخير فكانه لم يفصل كما جاز تقدم المضمر على الظاهر اذا حل في غير رتبته لان النية به التاخير وأنشد ابو عبيدة

* فداسهم دوس الحصاد الدائس * وأنشد ايضا يفركن حب السنبل الكنافج * بالقاع فرك القطن المحالج

ففصل كما ترى بين المصدر وبين الفاعل بالمفعول ومما يقوى عدم توغله في الاضافة جواز العطف على موضع مخفوضه رفعا ونصبا فهذه كلها نكت مؤيدة بقواعد منظرة بشواهد من أقيسة العربية تجمع شمل القوانين النحوية لهذه القراءة وليس غرضنا تصحيح القراءة بقواعد العربية بل تصحيح قواعد العربية بالقراءة وهذا القدر كاف ان شاء الله في الجمع بينهما

والله الموفق وما اجريناه في ادراج الكلام من تقريب اضافة المصدر من غير المحضة انما اردنا انضمامه الى غيره من الوجوه التي يدل

ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولوشاء الله ما فعلوه فذرهم وما يفترون وقالوا هذه انعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وانعام حرمت ظهورها وانعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة

وكان الرجل في الجاهلية يحلف لئن ولد له كذا غلاما لينحرن احدهم كما حلف عبد المطلب * وقرئ زين على البناء للفاعل الذي هو شركاؤهم ونصب قتل اولادهم وزين على البناء للمفعول الذي هو القتل ورفع شركاؤهم باضمار فعل دل عليه زين كانه قيل لما قيل زين لهم قتل اولادهم من زينه فقيل زينه لهم شركاؤهم واما قراءة ابن عامر قتل اولادهم شركائهم برفع القتل ونصب الاولاد وجر الشركاء على اضافة القتل الى الشركاء والفصل بينهما بغير الظرف فشيء لو كان في مكان الضرورات وهو الشعر لكان سمجا مردودا كما سمج ورد * زج القلوص ابي مزاده * فكيف به في الكلام المنثور فكيف به في القرآن المعجز بحسن نظمه وجزالته والذي حمله على ذلك ان رأى في بعض المصاحف شركائهم مكتوبا بالياء ولو قرأ بجر الاولاد والشركاء لان الاولاد شركاؤهم في اموالهم لوجد في ذلك مندوحة عن هذا الارتكاب (ليردوهم) ليهلكوهم بالاغواء (وليلبسوا عليهم دينهم) وليخلطوه عليهم ويشبهوه ودينهم ما كانوا عليه من دين اسمعيل عليه السلام حتى زلوا عنه الى الشرك وقيل دينهم الذي وجب ان يكونوا عليه وقيل معناه وليوقعوهم في دين ملتبس (فان قلت) ما معنى اللام (قلت) ان كان التزيين من الشياطين فهي على حقيقة التعليل وان كان من السدنة فعلى معنى الصيرورة (ولوشاء الله) مشيئة قسر (ما فعلوه) لما فعل المشركون ما زين لهم من القتل او لما فعل الشياطين او السدنة التزيين او الارداء او اللبس أو جميع ذلك ان جعلت الضمير جاريا مجرى اسم الاشارة (وما يفترون) وما يفترونه من الافك او وافتراءهم (حجر) فعل بمعنى مفعول كالذبح والطحن ويستوى في الوصف به المذكر والمؤنث والواحد والجمع لان حكمه حكم الاسماء غير الصفات وقرأ الحسن وقتادة حجر بضم الحاء وقرأ ابن عباس حرج وهو من التضييق وكانوا اذا عينوا اشياء من حرثهم وانعامهم لآلهتهم قالوا (لا يطعمها الا من نشاء) يعنون خدم الاوثان والرجال دون النساء (وانعام حرمت ظهورها) وهي البحائر والسوائب والحوامى (وانعام لا يذكرون اسم الله عليها) في الذبح وانما يذكرون عليها اسماء الاصنام وقيل لا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها والمعنى انهم قسموا أنعامهم فقالوا هذه انعام حجر وهذه انعام محرمة الظهور وهذه أنعام لا يذكر عليها اسم الله فجعلوها أجناسا بهواهم ونسبوا ذلك التجنيس الى الله (افتراء عليه) اى فعلوا ذلك كله على جهة الافتراء تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وانتصابه على انه مفعول له او حال أو مصدر مؤكد لان قولهم ذلك في معنى الافتراء * كانوا يقولون في أجنة البحائر والسوائب ما ولد منها حيا فهو خالص للذكور لا تأكل منه الاناث وما ولد منها ميتا اشترك فيه الذكور والاناث وانث (خالصة) للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة وذكر محرم للحمل على اللفظ ونظيره ومنهم من يستمع اليك

باجتماعها على ان الفصل غير منكر في اضافته ولا مستبعد من القياس ولم نفرده في الدلالة المذكورة اذ المتفق على عدم تمحضها لا يسوغ فيها الفصل فلا يمكن استقلال الوجه المذكور بالدلالة والله الموفق

حتى

* قوله تعالى وقالوا ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (قال فيه وأنث خالصة للحمل على المعنى لان ما في معنى الاجنة الخ) قال احمد ليسا سواء لانه في الآية الاولى رجوع الى اللفظ بعد المعنى وفيه اجمال وبينهما بون اقتضى ان انكر جماعة من متأخرى الفن وقوعه في الكتاب العزيز وادعوا ان جميع ما ورد فيه يعود على المعنى بعد اللفظ وقد التزم غيرهم اجازة ذلك وعدوا في الكتاب العزيز منه موضعين يمكن صرف الكلام فيهما الى غير الموصول وعلى الجملة فالحمل على اللفظ بعد المعنى قليل وغيره اولى ما وجد اليه سبيل وقد ذكر المصنف وجهين آخرين سوى ذلك فقال ويجوز ان تكون الهاء للمبالغة مثلها في راوية الشعر وان يكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعافية اى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله لذكورنا هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله ولقد احسن في الاحتراز بمنع الحال من المجرور حتى يتعين المصدر

حتي اذا خرجوا من عندك ويجوز ان تكون التاء للمبالغة مثلها فى راوية الشعر وأن تكون مصدرا وقع موقع الخالص كالعاقبة اى ذو خالصة ويدل عليه قراءة من قرأ خالصة بالنصب على ان قوله (لذكورنا) هو الخبر وخالصة مصدر مؤكد ولا يجوز ان يكون حالا متقدمة لان المجرور لا يتقدم عليه حاله وقرأ ابن عباس خالصة على الاضافة وفى مصحف عبد الله خالص (وان يكن ميتة) وان يكن مافى بطونها ميتة وقرئ ان تكن بالتأنيث على وان تكن الاجنة ميتة وقرأ اهل مكة وان تكن ميتة بالتأنيث والرفع على كان التامة وتذكير الضمير فى قوله (فهم فيه شركاء) لان الميتة لكل ميت ذكر أو أنثى فكأنه قيل وان يكن ميت فهم فيه شركاء (سيجزيهم وصفهم) اى جزاء وصفهم الكذب على الله فى التحليل والتحريم من قوله تعالى وتصف السنتهم الكذب هذا حلال وهذا حرام * نزلت فى ربيعة ومضر والعرب الذين كانوا يئدون بناتهم مخافة السبي والفقر (سفها بغير علم) لخفة احلامهم وجهلهم بان الله هو رازق اولادهم لاهم * وقرئ قتلوا بالتشديد (مارزقهم الله) من البحائر والسوائب وغيرها (انشأ جنات) من الكروم (معروشات) مسموكات (وغير معروشات) متروكات على وجه الارض لم تعرش وقيل المعروشات مافى الارياف والعمران مما غرسه الناس واهتموا به فعرشوه وغير معروشات مما انبته الله وحشيا فى البرارى والجبال فهو غير معروش يقال عرشت الكرم اذا جعلت له دعائم وسمكا تعطف عليه القضبان وسقف البيت عرشه (مختلفا أكله) فى اللون والطعم والحجم والرائحة وقرئ أكله بالضم والسكون وهو ثمره الذى يؤكل والضمير للنخل والزرع داخل فى حكمه لكونه معطوفا عليه ومختلفا حال مقدرة لانه لم يكن وقت الانشاء كذلك كقوله تعالى فادخلوها خالدين * وقرئ ثمره بضمتين * (فان قلت) ما فائدة قوله (اذا اثمر) وقد علم انه اذا لم يثمر لم يؤكل منه (قلت) لما أبيح لهم الاكل من ثمره قيل اذا أثمر ليعلم أن اول وقت الاباحة وقت اطلاع الشجر الثمر لئلا يتوهم انه لا يباح الا اذا ادرك وأينع (وآتوا حقه يوم حصاده) الآية مكية والزكاة انما فرضت بالمدينة فأريد بالحق ما كان يتصدق به على المساكين يوم الحصاد وكان ذلك واجبا حتى نسخه افتراض العشر ونصف العشر وقيل مدنية والحق هو الزكاة المفروضة ومعناه واعزموا على ايتاء الحق واقصدوه واهتموا به يوم الحصاد حتى لا تؤخروه عن اول وقت يمكن فيه الايتاء (ولا تسرفوا) فى الصدقة كما روى عن ثابت بن قيس بن شماس انه صرم خمسمائة نخلة ففرق ثمرها كله ولم يدخل منه شيئا الى منزله ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (حمولة وفرشا) عطف على جنات اى وأنشأ من الانعام ما يحمل الاثقال وما يفرش للذبح او ينسج من وبره وصوفه وشعره الفرش وقيل الحمولة الكبار التى تصلح للحمل والفرش الصغار كالفصلان والعجاجيل والغنم لانها دانية من الارض للطافة أجرامها مثل الفرش المفروش عليها (ولا تتبعوا خطوات الشيطان) فى التحليل والتحريم من عند انفسكم كما فعل اهل الجاهلية (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا (اثنين) زوجين اثنين يريد الذكر والانثى كالجمل والناقة والثور والبقرة والكبش والنعجة والتيس والعنز والواحد اذا كان وحده فهو فرد فاذا كان معه غيره من جنسه سمى كل واحد منهما زوجا وهما زوجان بدليل قوله خلق الزوجين الذكر والانثى والدليل عليه قوله تعالى ثمانية أزواج فسرها بقوله من الضأن اثنين ومن المعز اثنين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين ونحو تسميتهم الفرد بالزوج بشرط ان يكون معه آخر من جنسه تسميتهم الزجاجة كاسا بشرط ان يكون فيها خمر * والضأن والمعز جمع ضائن وماعز كتاجر وتجر وقرئا بفتح العين وقرأ أبي ومن المعزى * وقرئ اثنان على الابتداء * الهمزة فى (آلذكرين) للانكار والمراد بالذكرين الذكر من الضان والذكر من المعز * وبالانثيين الانثى من الضان والانثى من المعز على طريق الجنسية والمعنى انكار أن يحرم الله تعالى من جنسي الغنم ضانها ومعزها شيئا من نوعي ذكورها واناثها ولا مما تحمل اناث الجنسين وكذلك الذكران من جنسى الابل والبقر والانثيان منهما وما تحمل اناثهما وذلك انهم كانوا يحرمون ذكورة الانعام تارة وأناثها تارة واولادها كيفما كانت ذكورا وأناثا او مختلطة تارة وكانوا يقولون قد حرمها الله فانكر ذلك عليهم (نبئونى بعلم) أخبرونى بامر معلوم من جهة الله تعالى يدل على تحريم ما حرمتم (ان كنتم صادقين) فى ان الله حرمه (ام كنتم شهداء) بل

لذكورنا ومحرم على ازواجنا وان يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم انه حكيم عليم قد خسر الذين قتلوا اولادهم سفها بغير علم وحرموا ما رزقهم الله افتراء على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين وهو الذى انشا جنات معروشات وغير معروشات والنخل والزرع مختلفا اكله والزيتون والرمان متشابها وغير متشابه كلوا من ثمره اذا اثمر وآتوا حقه يوم حصاده ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين ومن الانعام حمولة وفرشا كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان انه لكم عدو مبين ثمانية أزواج من الضان اثنين ومن المعز اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين أما اشتملت عليه ارحام الانثيين نبئوني بعلم ان كنتم صادقين ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم ام الانثيين اما اشتملت عليه ارحام الانثيين ام كنتم شهداء اذ وصاكم الله بهذا

* قوله تعالى ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذورحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين (قال معناه ذلك الجزاء جزيناهم ببغيهم بسبب ظلمهم الخ) قال أحمد هذه الآية وردت فيمن كفر وافترى على الله ووعيد الكافر باتفاق واقع به غير مردود عنه وأهل السنة وان قالوا يجوز العفو عن العاصي الموحد فلا يقولون ان ذلك حتم ولا يلزمهم ذلك لان الله تعالى حيث توعد المؤمنين العصاة علق حلول الوعيد بهم بالمشيئة وأخبر انه يغفر لمن يشاء منهم فمن ثم اعتقدنا أن كل موحد عاص في المشيئة وحيث أطلق وعيدهم في بعض الظواهر فهو محمول على القيد فلا يلزمهم حينئذ اعتقاد الخلف في الخبر والزمخشري انما يدندن حول الزامهم ذلك وأنى له به

*قوله تعالى فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا ليضل الناس بغير علم ان الله لا يهدي القوم الظالمين قل لا أجد فيما أوحي الي محرما على طاعم يطعمه الا أن يكون ميتة اودما مسفوحا اولحم خنزير فانه رجس اوفسقا أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان ربك غفور رحيم وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما الا ماحملت ظهورهما اوالحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وانا لصادقون فان كذبوك فقل ربكم ذورحمة واسعة ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين سيقول الذين أشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء

أكنتم شهداء ومعنى الهمزة الانكار يعني أم شاهدتم ربكم حين أمركم بهذا التحريم وذكر المشاهدة على مذهبهم لانهم كانوا لا يؤمنون برسول وهم يقولون الله حرم هذا الذي نحرمه فتهكم بهم في قوله أم كنتم شهداء على معنى اعرفتم التوصية به مشاهدين لانكم لا تؤمنون بالرسل (فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا) فنسب اليه تحريم مالم يحرم (ليضل الناس) وهو عمرو بن لحي بن قمعة الذي بحر البحائر وسيب السوائب (فان قلت) كيف فصل بين بعض المعدود وبعضه ولم يوال بينه (قلت) قد وقع الفاصل بينهما اعتراضا غير اجنبي من المعدود وذلك ان الله عز وجل من على عباده بانشاء الانعام لمنافعهم وباباحتها لهم فاعترض بالاحتجاج على من حرمها والاحتجاج على من حرمها تأكيد وتسديد للتحليل والاعتراضات في الكلام لا تساق الا للتوكيد (فيما أوحي الي) تنبيه على ان التحريم انما يثبت بوحي الله تعالى وشرعه لا بهوى الانفس (محرما) طعاما محرما من المطاعم التي حرمتموها (الا ان يكون ميتة) الا ان يكون الشيء المحرم ميتة (أودما مسفوحا) أي مصبوبا سائلا كالدم في العروق لا كالكبد والطحال وقد رخص في دم العروق بعد الذبح (اوفسقا) عطف على المنصوب قبله سمى ما أهل به لغير الله فسقا لتوغله في باب الفسق ومنه قوله تعالى ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق واهل صفة له منصوبة المحل ويجوز ان يكون مفعولا له من اهل اي اهل لغير الله به فسقا *(فان قلت) فعلام تعطف (اهل) والام يرجع الضمير في (به) على هذا القول (قلت) يعطف على يكون ويرجع الضمير الى مايرجع اليه المستكن في يكون (فمن اضطر) فمن دعته الضرورة الى اكل شيء من هذه المحرمات (غير باغ) على مضطر مثله تارك لمواساته (ولا عاد) متجاوز قدر حاجته من تناوله (فان ربك غفور رحيم) لا يؤاخذه *ذو الظفر ماله اصبع من دابة او طائر وكان بعض ذوات الظفر حلالا لهم فلما ظلموا حرم ذلك عليهم فعم التحريم كل ذي ظفر بدليل قوله فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم * وقوله (ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما) كقولك من زيد أخذت ماله تريد بالاضافة زيادة الربط والمعنى انه حرم عليهم لحم كل ذي ظفر وشحمه وكل شيء منه وترك البقر والغنم على التحليل لم يحرم منهما الا الشحوم الخالصة وهي الثروب وشحوم الكلي وقوله (الا ماحملت ظهورهما) يعني الا ما اشتمل على الظهور والجنوب من السحفة (أو الحوايا) او اشتمل على الامعاء (أوما اختلط بعظم) وهو شحم الالية وقيل الحوايا عطف على شحومهما او بمنزلتها في قولهم جالس الحسن او ابن سيرين (ذلك) الجزاء (جزيناهم) وهو تحريم الطيبات (ببغيهم) بسبب ظلمهم (وانا لصادقون) فيما أوعدنا به العصاة لا نخلفه كما لا نخلف ما وعدناه اهل الطاعة فلما عصوا وبغوا الحقنا بهم الوعيد واحللنا بهم العقاب (فان كذبوك) في ذلك وزعموا ان الله واسع الرحمة وأنه لا يؤاخذ بالبغي ويخلف الوعيد جودا وكرما (فقل) لهم (ربكم ذورحمة واسعة) لاهل طاعته (ولا يرد بأسه) مع سعة رحمته (عن القوم المجرمين) فلا تغتر برجاء رحمته عن خوف نقمته (سيقول الذين أشركوا) اخبار بما سوف يقولونه ولما قالوه قال وقال الذين أشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم وتمردهم ان شركهم وشرك آبائهم وتحريمهم

سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا آباؤنا ولا حرمنا من شيء كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون

(قال فيه هذا الاخبار بما سوف يقولونه الخ) قال أحمد وفائدته توطين النفس على الجواب ومكافحتهم بالرد واعداد الحجة قبل اوانها كما قال سيقول السفهاء من الناس *عاد كلامه (قال فلما وقع ذلك منهم قال وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيء يعنون بكفرهم الخ) قال احمد رحمه الله قد تقدم ايضا الكلام على هذه الآية واوضحنا ان الرد عليهم انما كان لاعتقادهم انهم مسلوبون اختيارهم وقدرتهم وان اشراكهم انما صدر منهم على وجه الاضطرار وزعموا انهم يقيمون الحجة على الله ورسله بذلك فرد الله قولهم وكذبهم في دعواهم عدم الاختيار لانفسهم وشبههم بمن اغتر قبلهم بهذا الخيال فكذب الرسل وأشرك بالله

واعتمد على انه انما يفعل ذلك كله بمشيئة الله ورام افحام الرسل بهذه الشبهة ثم بين الله تعالى انهم لا حجة لهم في ذلك وأن الحجة البالغة لله لا لهم بقوله ألا لله الحجة البالغة ثم اوضح تعالى ان كل واقع بمشيئته وانه لم يشأ منهم الا ما صدر عنهم وانه لو شاء منهم الهداية لاهتدوا أجمعون بقوله فلو شاء لهداكم أجمعين والمقصود من ذلك ان يتمحض وجه الرد عليهم ويتخلص عقيدة نفوذ المشيئة وعموم تعلقها بكل كائن عن الرد وينصرف الرد الى دعواهم بسلب الاختيار لانفسهم والى اقامتهم الحجة بذلك خاصة واذا تدبرت هذه وجدتها كافية في الرد على من زعم من أهل القبلة ان العبد لا اختيار له ولا قدرة البتة بل هو مجبور على افعاله مقهور عليها وهم الفرقة المعروفون بالجبرية والمصنف يغالط في الحقائق فيسمى أهل السنة مجبرة وان أثبتوا للعبد اختيارا وقدرة لانهم يسلبون تأثير قدرة العبد ويجعلونها مقارنة لافعاله الاختيارية مميزة بينها وبين افعاله القسرية فمن هذه الجهة سوى بينهم وبين الجبرية ويجعله لقبا عاما لاهل السنة وجماع الرد على الجبرة الذين ميزناهم عن أهل السنة في قوله تعالى سيقول الذين اشركوا الى قوله قل فلله الحجة البالغة وتتمة الآية رد صراح على طائفة الاعتزال القائلين بان الله تعالى شاء الهداية منهم اجمعين فلم تقع من اكثرهم ووجه الرد ان لو اذا دخلت على فعل مثبت نفته فيقتضي ذلك ان الله تعالى لما قال فلو شاء لم يكن الواقع انه شاء هدايتهم ولو شاءها لوقعت فهذا تصريح ببطلان زعمهم وحل عقدهم فاذا ثبت اشتمال الآية على رد عقيدة الطائفتين المذكورتين الجبرة في اولها والمعتزلة في آخرها فاعلم انها جامعة لعقيدة السنة منطبقة عليها فان اولها كما بينا يثبت للعبد اختيارا وقدرة على وجه يقطع حجته وعذره في المخالفة والعصيان وآخرها يثبت نفوذ مشيئة الله في العبد وان جميع افعاله على وفق المشيئة الالهية خيرا او غيره وذلك عين عقيدتهم فانهم كما يثبتون للعبد مشيئة وقدرة يسلبون تأثيرها ويعتقدون ان ثبوتهما قاطع لحجته ملزم له بالطاعة على وفق اختياره ويثبتون نفوذ مشيئة الله أيضا وقدرته في افعال عباده فهم كما رأيت تبع للكتاب العزيز يثبتون ما اثبت وينفون ما نفى مؤيدون بالعقل والنقل والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل الخ) قال احمد رحمه الله ووجه مناقضته له انه لو قيل على خلاف المنزل وهو قوله هلم بشهداء يشهدون يفهم ان الطالب للشهداء ليس على تحقيق من ان ثم شهداء كما يقول الحاكم للمدعي هات بينة تشهد بذلك فهو لا يتحقق أن للمدعي بينة ثم يكون قوله فان شهدوا تحقيقا لان ثم شهداء فالجمع بينهما متناقض كما ترى والله الموفق

كذلك كذب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الا الظن وان انتم الا تخرصون قل فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين قل هلم شهداءكم الذين يشهدون أن الله حرم هذا فان شهدوا فلا تشهد معهم ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون قل تعالوا اتل

وتحريمهم ما احل الله بمشيئة الله وارادته ولولا مشيئته لم يكن شيء من ذلك كمذهب المجبرة بعينه (كذلك كذب الذين من قبلهم) اى جاؤا بالتكذيب المطلق لان الله عز وجل ركب في العقول وانزل في الكتب ما دل على غناه وبراءته من مشيئة القبائح وارادتها والرسل اخبروا بذلك فمن علق وجود القبائح من الكفر والمعاصي بمشيئة الله وارادته فقد كذب التكذيب كله وهو تكذيب الله وكتبه ورسله ونبذ ادلة العقل والسمع وراء ظهره (حتى ذاقوا بأسنا) حتى انزلنا عليهم العذاب بتكذيبهم (قل هل عندكم من علم) من امر معلوم يصح الاحتجاج به فيما قلتم (فتخرجوه لنا) وهذا من التهكم والشهادة بان مثل قولهم محال ان يكون له حجة (ان تتبعون الا الظن) في قولكم هذا (وان انتم الا تخرصون) تقدرون ان الامر كما تزعمون او تكذبون * وقرئ كذلك كذب الذين من قبلهم بالتخفيف (قل فلله الحجة البالغة) يعني فان كان الامر كما زعمتم أن ما أنتم عليه بمشيئة الله فلله الحجة البالغة عليكم على قود مذهبكم (فلو شاء لهداكم اجمعين) منكم ومن مخالفيكم في الدين فان تعليقكم دينكم بمشيئة الله يقتضي ان تعلقوا دين من يخالفكم أيضا بمشيئته فتوالوهم ولا تعادوهم وتوافقوهم ولا تخالفوهم لان المشيئة تجمع بين ما انتم عليه وبين ما هم عليه (هلم) يستوي فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث عند الحجازيين وبنو تميم تؤنث وتجمع والمعنى هاتوا شهداءكم وقربوهم (فان قلت) كيف أمرهم باستحضار شهدائهم الذين يشهدون ان الله حرم ما زعموه محرما ثم أمره بان لا يشهد معهم (قلت) أمرهم باستحضارهم وهم شهداء بالباطل ليلزمهم الحجة ويلقمهم الحجر ويظهر للمشهود لهم بانقطاع الشهداء أنهم ليسوا على شيء لتساوي أقدام الشاهدين والمشهود لهم في انهم لا يرجعون الى ما يصح التمسك به وقوله (فلا تشهد معهم) يعني فلا تسلم لهم ما شهدوا به ولا تصدقهم لانه اذا سلم لهم فكأنه شهد معهم مثل شهادتهم وكان واحدا منهم (ولا تتبع اهواء الذين كذبوا بآياتنا) من وضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على ان من كذب بآيات الله وعدل به غيره فهو متبع للهوى لا غير لانه لو اتبع الدليل لم يكن الا مصدقا بالآيات موحدا لله تعالى (فان قلت) هلا قيل قل هلم شهداء يشهدون ان الله حرم هذا وأي فرق بينه وبين المنزل (قلت) المراد ان يحضروا شهداءهم الذين علم انهم يشهدون لهم وينصرون قولهم وكان المشهود لهم يقلدونهم ويثقون بهم ويعتضدون بشهادتهم ليهدم ما يقومون به فيحق الحق ويبطل الباطل فأضيفت الشهداء لذلك وجيء بالذين للدلالة على انهم شهداء

معروفون موسومون بالشهادة لهم وبنصرة مذهبهم والدليل عليه قوله تعالى فان شهدوا فلا تشهد معهم ولو قيل
هلم شهداء يشهدون لكان معناه هاتوا أناسا يشهدون بتحريم ذلك فكان الظاهر طلب شهداء بالحق وذلك
ليس بالغرض ويناقضه قوله تعالى وان شهدوا فلا تشهد معهم * تعال من الخاص الذى صار عاما وأصله ان
يقوله من كان فى مكان عال لمن هو أسفل منه ثم كثر واتسع فيه حتى عم و (ماحرم) منصوب بفعل التلاوة
اى اتل الذى حرمه ربكم او يحرم بمعنى اقل اى شيء حرم ربكم لان التلاوة من القول وان فى (الا تشركوا)
مفسرة ولا للنهي (فان قلت) هلا قلت هي التي تنصب الفعل وجعلت ان لا تشركوا بدلا من ما حرم (قلت)
وجب ان يكون لا تشركوا ولا تقربوا ولا تقتلوا ولا تتبعوا السبل نواهي لانعطاف الاوامر عليها وهي قوله
وبالوالدين احسانا لان التقدير وأحسنوا بالوالدين احسانا واوفوا واذا قلتم فاعدلوا وبعهد الله أوفوا
(فان قلت) فما تصنع بقوله وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه فيمن قرأ بالفتح وانما يستقيم عطفه على ان لا
تشركوا اذا جعلت ان هي الناصبة للفعل حتى يكون المعنى أتل عليكم نفي الاشراك والتوحيد واتل عليكم ان
هذا صراطي مستقيما (قلت) اجعل قوله وان هذا صراطي مستقيما علة للاتباع بتقدير اللام كقوله تعالى
وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا بمعنى ولان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه والدليل عليه القراءة بالكسر
كانه قيل واتبعوا صراطي لانه مستقيم اوواتبعوا صراطي انه مستقيم (فان قلت) اذا جعلت ان مفسرة لفعل
التلاوة وهو معلق بما حرم ربكم وجب ان يكون ما بعده منهيا عنه محرما كله كالشرك وما بعده مما دخل عليه
حرف النهي فما تصنع بالاوامر (قلت) لما وردت هذه الاوامر مع النواهي وتقدمهن جميعا فعل التحريم
واشتركن فى الدخول تحت حكمه علم ان التحريم راجع الى اضدادها وهى الاساءة الى الوالدين وبخس
الكيل والميزان وترك العدل فى القول ونكث عهد الله (من املاق) من اجل فقر ومن خشيته كقوله تعالى
خشية املاق (ماظهر منها وما بطن) مثل قوله ظاهر الاثم وباطنه (الا بالحق) كالقصاص والقتل على الردة
والرجم (الا بالتي هي احسن) الا بالخصلة التى هى احسن ما يفعل بمال اليتيم وهي حفظه وتثميره والمعنى
احفظوه عليه حتى يبلغ اشده فادفعوه اليه (بالقسط) بالسوية والعدل (لا نكلف نفسا الا وسعها) الا ما يسعها
ولا تعجز عنه وانما أتبع الامر بايفاء الكيل والميزان ذلك لان مراعاة الحد من القسط الذى لا زيادة فيه ولا
نقصان مما يجرى فيه الحرج فامر ببلوغ الوسع وان ما وراءه معفو عنه (ولو كان ذا قربي) ولو كان المقول له
او عليه فى شهادة او غيرها من اهل قرابة القائل فما ينبغي ان يزيد فى القول او ينقص كقوله ولو على انفسكم
او الوالدين والاقربين * وقرئ وان هذا صراطي مستقيما بتخفيف ان وأصله وانه هذا صراطي على ان الهاء
ضمير الشأن والحديث وقرأ الاعمش وهذا صراطي وفي مصحف عبد الله وهذا صراط ربكم وفى مصحف ابي
وهذا صراط ربك (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية والمجوسية وسائر البدع
والضلالات (فتفرق بكم) فتفرقكم ايادي سبا (عن سبيله) عن صراط الله المستقيم وهو دين الاسلام * وقرئ
فتفرق بادغام التاء وروى ابو وائل عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خط خطا ثم قال هذا سبيل
الرشد ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطا ثم قال هذه سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو اليه ثم تلا هذه
الآية وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه وعن ابن عباس رضي الله عنهما هذه الآيات محكمات لم ينسخهن
شيء من جميع الكتب وقيل انهن أم الكتاب من عمل بهن دخل الجنة ومن تركهن دخل النار وعن كعب
الاحبار والذى نفس كعب بيده ان هذه الآيات لاول شيء فى التوراة (فان قلت) علام عطف قوله ثم آتينا
موسى الكتاب (قلت) على وصاكم به (فان قلت) كيف صح عطفه عليه بثم والايتاء قبل التوصية بدهر
طويل (قلت) هذه التوصية قديمة لم تزل توصاها كل امة على لسان نبيهم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
محكمات لم ينسخهن شيء من جميع الكتب فكانه قيل ذلكم وصاكم به يا بني آدم قديما وحديثا (ثم) أعظم
من ذلك انا (آتينا موسى الكتاب) وانزلنا هذا الكتاب المبارك وقيل هو معطوف على ما تقدم قبل شطر
السورة من قوله تعالى ووهبنا له اسحق ويعقوب (تماما على الذى أحسن) تماما للكرامة والنعمة على الذى

ماحرم ربكم عليكم الا
تشركوا به شيأ وبالوالدين
احسانا ولا تقتلوا
اولادكم من املاق
نحن نرزقكم واياهم ولا
تقربوا الفواحش ماظهر
منها وما بطن ولا تقتلوا
النفس التى حرم الله الا
بالحق ذلكم وصاكم به
لعلكم تعقلون ولا
تقربوا مال اليتيم الا
بالتى هي احسن حتى
يبلغ اشده واوفوا الكيل
والميزان بالقسط
لا يكلف نفسا الا وسعها
واذا قلتم فاعدلوا ولو كان
ذا قربي وبعهد الله
اوفوا ذلكم وصاكم به
لعلكم تذكرون وان
هذا صراطي مستقيما
فاتبعوه ولا تتبعوا السبل
فتفرق بكم عن سبيله
ذلكم وصاكم به لعلكم
تتقون ثم آتينا موسي
الكتاب تماما على الذى
احسن وتفصيلا لكل
شيء وهدى ورحمة لعلهم
بلقاء ربهم يؤمنون وهذا
كتاب انزلناه مبارك
فاتبعوه واتقوا لعلكم
ترحمون

احسن

* قوله تعالى يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في أيمانهم خيرا (قال فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت الخ) قال احمد رحمه الله هو يروم الاستدلال على صحة عقيدته في ان الكافر والعاصي سواء في الخلود بهذه الآية اذ سوى بينهما عدم الانتفاع بما يستدركانه بعد ظهور الآيات ولا يتم له ذلك فان

ان تقولوا انما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا وان كنا عن دراستهم لغافلين أو تقولوا لو انا أنزل علينا الكتاب لكنا أهدى منهم فقد جاءكم بينة من ربكم وهدى ورحمة فمن أظلم ممن كذب بآيات الله وصدف عنها سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب بما كانوا يصدفون هل ينظرون الا ان تأتيهم الملائكة او يأتي ربك او يأتي بعض آيات ربك يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا ايمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في ايمانها خيرا قل انتظروا انا منتظرون ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء انما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون من جاء بالحسنة فله

أحسن على من كان محسنا صالحا يريد جنس المحسنين وتدل عليه قراءة عبد الله على الذين أحسنوا أو أراد به موسى عليه السلام اي تتمة للكرامة على العبد الذي احسن الطاعة في التبليغ وفي كل ما أمر به او تماما على الذي أحسن موسى من العلم والشرائع من احسن الشيء اذا أجاد معرفته اي زيادة على علمه على وجه التتميم وقرأ يحيى بن يعمر على الذي احسن بالرفع اى على الذي هو احسن بحذف المبتدا كقراءة من قرأ مثلا ما بعوضة بالرفع اى على الدين الذي هو احسن دين وارضاه او آتينا موسى الكتاب تماما اى تاما كاملا على احسن ما تكون عليه الكتب اى على الوجه والطريق الذي هو احسن وهو معنى قول الكلبي أتم له الكتاب على أحسنه (أن تقولوا) كراهة ان تقولوا (على طائفتين) يريدون اهل التوراة واهل الانجيل (وان كنا) هي أن المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بينها وبين النافية والاصل وانه كنا عن دراستهم غافلين على ان الهاء ضمير الشأن (عن دراستهم) عن قراءتهم أي لم نعرف مثل دراستهم (لكنا أهدى منهم) لحدة أذهاننا وثقابة افهامنا وغزارة حفظنا لايام العرب ووقائعها وخطبها وأشعارها وأسجاعها وأمثالها على أنا أميون * وقرئ ان يقولوا او يقولوا بالياء (فقد جاءكم بينة من ربكم) تبكيت لهم وهو على قراءة من قرأ يقولوا على لفظ الغيبة احسن لما فيه من الالتفات والمعنى ان صدقتكم فيما كنتم تعدون من انفسكم فقد جاءكم بينة من ربكم فحذف الشرط وهو من أحاسن الحذوف (فمن اظلم ممن كذب بآيات الله) بعد ما عرف صحتها وصدقها او تمكن من معرفة ذلك (وصدف عنها) الناس فضل واضل (سنجزي الذين يصدفون عن آياتنا سوء العذاب) كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب * الملائكة ملائكة الموت أو العذاب (أو يأتي ربك) أو يأتي كل آيات ربك بدليل قوله (أو يأتي بعض آيات ربك) يريد آيات القيامة والهلاك الكلي وبعض الآيات اشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها وغير ذلك وعن البراء بن عازب كنا نتذاكر الساعة اذ أشرف علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما تتذاكرون فقلنا نتذاكر الساعة قال انها لا تقوم حتى تروا قبلها عشر آيات الدخان ودابة الارض وخسفا بالمغرب وخسفا بالمشرق وخسفا بجزيرة العرب والدجال وطلوع الشمس من مغربها ويأجوج ومأجوج ونزول عيسى ونارا تخرج من عدن (لم تكن آمنت من قبل) صفة لقوله نفسا وقوله (اوكسبت في ايمانها خيرا) عطف على آمنت والمعنى ان اشراط الساعة اذا جاءت وهي آيات ملجئة مضطرة ذهب اوان التكليف عندها فلم ينفع الايمان حينئذ نفسا غير مقدمة ايمانها من قبل ظهور الآيات أو مقدمة الايمان غير كاسبة في ايمانها خيرا فلم يفرق كما ترى بين النفس الكافرة اذا آمنت في غير وقت الايمان وبين النفس التي آمنت في وقته ولم تكتسب خيرا ليعلم ان قوله الذين آمنوا وعملوا الصالحات جمع بين قرينتين لا ينبغي ان تنفك احداهما عن الاخرى حتى يفوز صاحبهما ويسعد والا فالشقوة والهلاك (قل انتظروا انا منتظرون) وعيد * وقرئ ان يأتيهم الملائكة بالياء والتاء * وقرأ ابن سيرين لا تنفع بالتاء لكون الايمان مضافا الى ضمير المؤنث الذي هو بعضه كقولك ذهبت بعض اصابعه (فرقوا دينهم) اختلفوا فيه كما اختلفت اليهود والنصارى وفي الحديث افترقت اليهود على احدى وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وهي الناجية وافترقت النصارى ثنتين وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في الهاوية الا واحدة وقيل فرقوا دينهم فآمنوا ببعض وكفروا ببعض وقرئ فارقوا دينهم أي تركوه (وكانوا شيعا) فرقا كل فرقة تشيع امامها (لست منهم في شيء) أي من السؤال

هذا الكلام اشتمل على النوع المعروف من علم البيان والبلاغة باللف واصل الكلام يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفسا لم تكن مؤمنة قبل ايمانها بعد ولا نفسا لم تكسب في ايمانها خيرا قبل ما تكسبه من الخير بعد الا انه لف الكلامين فجعلهما كلاما واحدا بلاغة واختصارا واعجازا أراد يثبت ان ذلك هو الاصل فهو غير مخالف لقواعد السنة فانا نقول لا ينفع بعد ظهور الآيات اكتساب الخير وان نفع الايمان المتقدم في السلامة من الخلود فهذا بان يدل على رد الاعتزال اجدر من ان يدل له والله الموفق

(القول في سورة الاعراف) (بسم الله الرحمن الرحيم) *المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه الآية (قال الحرج الشك الخ) قال أحمد ويشهد له قوله تعالى فلا تكونن من الممترين ولهذه النكتة ميز امام الحرمين بين العلم والاعتقاد الصحيح بان العقد ربط الفكر بمعتقد والاعتقاد افتعال منه والعلم يشعر بانحلال العقود وهي الانشراح والتبلج والثقة وما أحسن تنبيهه بقوله والاعتقاد افتعال منه يريد اذا كان العقد مباينا للعلم فما ظنك بالاعتقاد لان صيغة الافتعال أبلغ معنى ومنه الاعتماد والاحتمال ومن ثم ورد في الخير كسب وفي نقيضها اكتسب لان النفوس في الشهوات والمخالفات واتباع الاهواء أجدر منها في الطاعات وقمع الاغراض وعلى ذلك جاء لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وان كان العلم من الاعلم المأخوذ من العلمة بالتحريك وهو انشراح الشفة وانشقاقها فالذي ذكره الامام حينئذ نهاية في نوعه والله الموفق * عاد كلامه (قال أو ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له الخ) قال احمد ويشهد لهذا التاويل قوله تعالى فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل اليه كنز او جاء معه ملك الآية

عشر امثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وانا اول المسلمين قل أغير الله ابغي ربا وهو رب كل شيء ولا تكسب كل نفس الا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى ثم الى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون وهو الذي جعلكم خلائف الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات ليبلوكم فيما آتاكم ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم

عنهم وعن تفرقهم وقيل من عقابهم وقيل هي منسوخة بآية السيف (عشر أمثالها) على اقامة صفة الجنس المميز مقام الموصوف تقديره عشر حسنات امثالها وقرئ عشر امثالها برفعهما جميعا على الوصف وهذا أقل ما وعد من الاضعاف وقد وعد بالواحد سبعمائة ووعد ثوابا بغير حساب ومضاعفة الحسنات فضل ومكافأة السيآت عدل (وهم لا يظلمون) لا ينقص من ثوابهم ولا يزاد على عقابهم (دينا) نصب على البدل من محل الى صراط لان معناه هداني صراطا بدليل قوله ويهديكم صراطا مستقيما * والقيم فيعل من قام كسيد من ساد وهو ابلغ من القائم وقرئ قيما والقيم مصدر بمعنى القيام وصف به و(ملة ابراهيم) عطف بيان و(حنيفا) حال من ابراهيم (قل ان صلاتي ونسكي) وعبادتي وتقربي كله وقيل وذبحي وجمع بين الصلاة والذبح كما في قوله فصل لربك وانحر وقيل صلاتي وحجي من مناسك الحج (ومحياي ومماتي) وما آتيه في حياتي وما أموت عليه من الايمان والعمل الصالح (لله رب العالمين) خالصة لوجهه (وبذلك) من الاخلاص (امرت وانا أول المسلمين) لان اسلام كل نبي متقدم لاسلام امته (قل أغير الله أبغي ربا) جواب عن دعائهم له الى عبادة آلهتهم والهمزة للانكار اي منكر ان أبغي ربا غيره (وهو رب كل شيء) فكل من دونه مربوب ليس في الوجود من له الربوبية غيره كما قال قل أفغير الله تأمروني اعبد (ولا تكسب كل نفس الا عليها) جواب عن قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم (جعلكم خلائف الارض) لان محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين فخلفت أمته سائر الامم او جعلهم يخلف بعضهم بعضا أو هم خلفاء الله في ارضه يملكونها ويتصرفون فيها (ورفع بعضكم فوق بعض درجات) في الشرف والرزق (ليبلوكم فيما آتاكم) من نعمة المال والجاه كيف تشكرون تلك النعمة وكيف يصنع الشريف بالوضيع والحر بالعبد والغني بالفقير (ان ربك سريع العقاب) لمن كفر نعمته (وانه لغفور رحيم) لمن قام بشكرها ووصف العقاب بالسرعة لان ما هو آت قريب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنزلت على سورة الانعام جملة واحدة يشيعها سبعون الف ملك لهم زجل بالتسبيح والتحميد فمن قرأ الانعام صلى الله عليه واستغفر له أولئك السبعون الف ملك بعدد كل آية من سورة الانعام يوما وليلة

(سورة الاعراف مكية غير ثمان آيات واسئلهم عن القرية الى واذ نتقنا الجبل وهي مائتان وخمس آيات)

(سورة الاعراف مكية وهي مائتان وخمس آيات)

بسم الله الرحمن الرحيم

(كتاب) خبر مبتدأ محذوف أي هو كتاب و(أنزل اليك) صفة له والمراد بالكتاب السورة (فلا يكن في صدرك حرج منه) أي شك منه كقوله فان كنت في شك مما أنزلنا اليك وسمي الشك حرجا لان الشاك ضيق الصدر حرجه كما ان المتيقن منشرح الصدر منفسحه أي لا تشك في أنه منزل من الله ولا تحرج من تبليغه لانه كان يخاف قومه وتكذيبهم له واعراضهم عنه وآذاهم فكان يضيق صدره من الاداء ولا ينبسط له فامنه الله ونهاه عن المبالاة بهم * (فان قلت) بم تعلق قوله (لتنذر) (قلت) بأنزل أي أنزل اليك لانذارك به أو بالنهي لانه اذا لم يخفهم أنذرهم وكذلك اذا أيقن انه من عند الله شجعه اليقين على الانذار لان صاحب اليقين جسور متوكل على ربه متكل على عصمته * (فان قلت) فما محل (ذكرى) (قلت) يحتمل الحركات الثلاث النصب

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المص كتاب أنزل اليك فلا يكن في صدرك حرج منه لتنذر به وذكرى للمؤمنين

باضمار

*عاد كلامه (قال فان قلت النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه قلت هو من قولهم لا أرينك ههنا) قال احمد يريد ان الحرج منهي في الآية ظاهرا والمراد النهي عنه والله اعلم *عاد كلامه (قال وقوله هم قائلون حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم الخ) قال احمد الاكتفاء بالضمير في الجملة الاسمية الواقعة حالا ضعيف والافصح دخول الواو كما اختاره الزمخشري واما الزجاج وغيره فيجعلون احد الامرين كافيا في الاسمية اما الواو واما الضمير واما قول الزمخشري ان الجملة المعطوفة انما حذفت منها واو الحال كراهية لاجتماعها وهي واو عطف ايضا مع مثلها ففيه نظر وذلك ان واو الحال لا بد ان تمتاز عن واو العطف بمزية الا تراها تصحب الجملة الاسمية عقيب الفعلية في قولك جاءني زيد وهو راكب ولو كانت عاطفة مجردة لاستقبح توسطها بين المغايرين وان لم يكن قبيحا فالافصح خلافه فلما رأيتها تتوسط بينهما والكلام حينئذ هو الافصح او المتعين علمت انها ممتازة بمعنى وخاصية عن واو العطف واذا ثبت امتيازها عن العاطفة فلا غرو في اجتماعها معها وان كان فيها معنى العطف مضافا الى تلك الخاصية فاما ان تسليه حينئذ لاغناء العاطف عنها او تستمر عليه كما تجمع الواو ولكن لما فيها من زيادة معنى الاستدراك في مثل قوله ولكن لا يشعرون فعلى هذا كان من الممكن ان تجتمع واو الحال مع العاطف بلا كراهية والذي يدل على ذلك انك لو قلت سبح الله وانت راكع او وانت ساجد لكان فصيحا لا خبث فيه ولا كراهة فالتحقيق والله اعلم في الجملة المعطوفة على الحال ان المصحح لوقوعها حالا من غير واو هو العاطف اذ يقتضي مشاركة الجملة الثانية لما عطفت عليه في الحال فيستغنى عن واو الحال كما انك تعطف على المقسم به فتدخله في حكم القسم من غير واو موقعة في مثل والليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى وفي مثل فلا اقسم بالخنس الجوار الكنس والليل اذا عسعس ولو قلت في غير التلاوة وبالليل اذا عسعس لجاز ولكن يستغنى عن تكرار حرف القسم لنيابة العاطف منابه فهذا والله اعلم سبب استغناء الجملة المعطوفة على الحال عن الواو المصححة للحالية فالحاصل من هذا انك ان أتيت بواو الحال مصاحبا للعاطف لم تخرج عن حد الفصاحة الى الاستثقال بل أفدت تأكيدا وان لم تأت بها فكذلك في الفصاحة مع افادة الاختصار والله الموفق للصواب

اتبعوا ما انزل اليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه اولياء قليلا ما تذكرون وكم من قرية اهلكناها فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون فما كان دعواهم اذ جاءهم بأسنا الا ان قالوا انا كنا ظالمين فلنسألن الذين أرسل اليهم ولنسألن المرسلين

بإضمار فعلها كانه قيل لتنذر به وذكر تذكيرا لان الذكرى اسم بمعنى التذكير والرفع عطفا على كتاب او بانه خبر مبتدا محذوف والجر للعطف على محل ان تنذر اى للانذار والذكرى *(فان قلت) النهي في قوله فلا يكن متوجه الى الحرج فما وجهه (قلت) هو من قولهم لا أرينك ههنا (اتبعوا ما انزل اليكم) من القرآن والسنة (ولا تتبعوا من دونه) من دون الله (اولياء) اى ولا تتولوا من دونه من شياطين الجن والانس فيحملوكم على عبادة الاوثان والاهواء والبدع ويضلوكم عن دين الله وما انزل اليكم وامركم باتباعه وعن الحسن يا ابن آدم امرت باتباع كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم والله ما نزلت آية الا وهو يحب ان تعلم فيم نزلت وما معناها *وقرأ مالك بن دينار ولا تبتغوا من الابتغاء ومن يبتغ غير الاسلام دينا *ويجوز ان يكون الضمير في من دونه لما انزل على ولا تتبعوا من دون دين الله دين اولياء (قليلا ما تذكرون) حيث تتركون دين الله وتتبعون غيره وقرئ تذكرون بحذف التاء ويتذكرون بالياء وقليلا نصب بتذكرون اى تذكرون تذكرا قليلا وما مزيدة لتوكيد القلة (فجاءها) فجاء اهلها (بياتا) مصدر واقع موقع الحال بمعنى بائتين يقال بات بياتا حسنا وبيتة حسنة وقوله (هم قائلون) حال معطوفة على بياتا كانه قيل فجاءهم بأسنا بائتين او قائلين (فان قلت) هل يقدر حذف المضاف الذي هو الاهل قبل قرية او قبل الضمير في اهلكناها (قلت) انما يقدر المضاف للحاجة ولا حاجة فان القرية تهلك كما يهلك اهلها وانما قدرناه قبل الضمير في فجاءها لقوله او هم قائلون (فان قلت) لا يقال جاءني زيد هو فارس بغير واو فما بال قوله هم قائلون (قلت) قدر بعض النحويين الواو محذوفة ورده الزجاج وقال لو قلت جاءني زيد راجلا او هو فارس او جاءني زيد هو فارس لم يحتج فيه الى واو لان الذكر قد عاد الى الاول والصحيح انها اذا عطفت على حال قبلها حذفت الواو استثقالا لاجتماع حرفي عطف لان واو الحال هي واو العطف استعيرت للوصل فقولك جاءني زيد راجلا او هو فارس كلام فصيح وارد على حده واما جاءني زيد هو فارس فخبيث (فان قلت) فما معنى قوله اهلكناها فجاءها باسنا والاهلاك انما هو بعد مجيء البأس (قلت) معناه اردنا اهلاكها كقوله اذا قمتم الى الصلاة وانما خص هذان الوقتان وقت البيات ووقت القيلولة لانهما وقت الغفلة والدعة فيكون نزول العذاب فيهما أشد وأفظع وقوم لوط أهلكوا بالليل وقت السحر وقوم شعيب وقت القيلولة (فما كان دعواهم) ما كانوا يدعونه من دينهم وينتحلونه من مذهبهم الا اعترافهم ببطلانه وفساده وقولهم (انا كنا ظالمين) فيما كنا عليه ويجوز فما كان استغاثتهم الا قولهم هذا لانه لا مستغاث من الله بغيره من قولهم دعواهم يا لكعب ويجوز فما كان دعواهم ربهم الا اعترافهم لعلمهم ان الدعاء لا ينفعهم وان لات حين دعاء فلا يزيدون على ذم أنفسهم وتحسرهم على ما كان منهم ودعواهم نصب خبر لكان وان قالوا رفع اسم له ويجوز العكس (فلنسألن الذين ارسل اليهم) ارسل مسند الى الجار والمجرور

قوله تعالى قال انظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين (قال فان قلت لم أجيب الى استنظاره وانما استنظره ليفسد عباده الخ) قال احمد وهذا السؤال انما يورده ويلتزم الجواب عنه القدرية الذين يوجبون على الله تعالى رعاية المصالح في افعاله واما اهل السنة فقد أصغوا حق الاصغاء الى قوله تعالى لا يسئل عما يفعل

وهم يسئلون فلا يورد أحد منهم هذا السؤال ولا يجيب عنه من يورده والله الموفق قوله تعالى قال فبما أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم (قال والمعنى فبسبب

فلنقصن عليهم بعلم وما كنا غائبين والوزن يومئذ الحق فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا انفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون ولقد مكناكم في الارض وجعلنا لكم فيها معايش قليلا ما تشكرون ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس لم يكن من الساجدين قال ما منعك ألا تسجد اذ أمرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين قال أنظرني الى يوم يبعثون قال انك من المنظرين

وهو اليهم ومعناه فلنسألن المرسل اليهم وهم الامم يسألهم عما أجابوا عنه رسلهم كما قال ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين ويسأل المرسلين عما أجيبوا به كما قال يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا اجبتم (فلنقصن عليهم) على الرسل والمرسل اليهم ما كان منهم (بعلم) عالمين باحوالهم الظاهرة والباطنة واقوالهم وافعالهم (وما كنا غائبين) عنهم وعما وجد منهم (فان قلت) فاذا كان عالما بذلك وكان يقصه عليهم فما معنى سؤالهم (قلت) معناه التوبيخ والتقريع والتقرير اذا فاهوا به بالسنتهم وشهد عليهم انبياؤهم (والوزن يومئذ الحق) يعني وزن الاعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها ورفعه على الابتداء وخبره يومئذ والحق صفته اي والوزن يوم يسأل الله الامم ورسلهم الوزن الحق اي العدل وقرئ القسط واختلف في كيفية الوزن فقيل توزن صحف الاعمال بميزان له لسان وكفتان تنظر اليه الخلائق تأكيدا للحجة واظهارا للنصفة وقطعا للمعذرة كما يسألهم عن اعمالهم فيعترفون بها بالسنتهم وتشهد بها عليهم ايديهم وارجلهم وجلودهم وتشهد عليهم الانبياء والملائكة والاشهاد وكما تثبت في صحائفهم فيقرؤنها في موقف الحساب وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل (فمن ثقلت موازينه) جمع ميزان اوموزون اي فمن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر وهي الحسنات اوما توزن به حسناتهم وعن الحسن وحق لميزان توضع فيه الحسنات ان يثقل وحق لميزان توضع فيه السيآت ان يخف (بآياتنا يظلمون) يكذبون بها ظلما كقوله فظلموا بها (مكناكم في الارض) جعلنا لكم فيها مكانا وقرارا اوملكناكم فيها واقدرناكم على التصرف فيها (وجعلنا لكم فيها معايش) جمع معيشة وهي ما يعاش به من المطاعم والمشارب وغيرها اوما يتوصل به الى ذلك والوجه تصريح الياء وعن ابن عامر انه همز على التشبيه بصحائف (ولقد خلقناكم ثم صورناكم) يعني خلقنا أباكم آدم طينا غير مصور ثم صورناه بعد ذلك الا ترى الى قوله (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) الآية (من الساجدين) ممن سجد لآدم (الا تسجد) لا في ان لا تسجد صلة بدليل قوله ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي ومثلها لئلا يعلم اهل الكتاب بمعنى ليعلم (فان قلت) ما فائدة زيادتها (قلت) توكيد معنى الفعل الذي تدخل عليه وتحقيقه كأنه قيل ليتحقق علم اهل الكتاب وما منعك ان تحقق السجود وتلزمه نفسك (اذ أمرتك) لان امري لك بالسجود اوجبه عليك ايجابا وحتمه عليك حتما لا بد لك منه (فان قلت) لم سأله عن المانع من السجود وقد علم ما منعه (قلت) للتوبيخ ولاظهار معاندته وكفره وكبره وافتخاره باصله وازدرائه باصل آدم وانه خالف امر ربه معتقدا انه غير واجب عليه لما رأى ان سجود الفاضل للمفضول خارج من الصواب * (فان قلت) كيف يكون قوله (انا خير منه) جوابا لما منعك وانما الجواب ان يقول منعني كذا (قلت) قد استأنف قصة اخبر فيها عن نفسه بالفضل على آدم وبعلة فضله عليه وهو ان اصله من نار واصل آدم من طين فعلم منه الجواب وزيادة عليه وهي انكار للامر واستبعاد ان يكون مثله مأمورا بالسجود لمثله كأنه يقول من كان على هذه الصفة كان مستبعدا ان يؤمر بما أمر به (فاهبط منها) من السماء التي هي مكان المطيعين المتواضعين من الملائكة الى الارض التي هي مقر العاصين المتكبرين من الثقلين (فما يكون لك) فما يصح لك (ان تتكبر فيها) وتعصى (فاخرج انك من الصاغرين) من اهل الصغار والهوان على الله وعلى اوليائه لتكبرك كما تقول للرجل قم صاغرا اذا اهنته وفي ضده قم راشدا وذلك انه لما اظهر الاستكبار ألبس الصغار وعن عمر رضي الله عنه من تواضع لله رفع الله حكمته وقال انتعش نعشك الله ومن تكبر وعدا طوره وهصه الله الى الارض * (فان قلت) لم اجيب الى استنظاره وانما استنظر ليفسد عباده

وقوعي في الغي لاجتهدن في اغوائهم حتى يفسدوا بسببي الخ) قال احمد تحت كلام الزمخشري هذا نزغتان من الاعتزال خفيتان * احداهما تحريفه الاغواء الى التكليف لانه يعتقد ان الله تعالى لم يغوه اي لم يخلق ويغويهم له الغي بناء على قاعدة التحسين والتقبيح والصلاح والاصلح فيضطره اعتقاده الى حمل الاغواء على تكليفه بالسجود لانه كان سببا في غيه وكثيرا ما يؤول أفعال الله تعالى اذا اسندها الى ذاته حقيقة الى التسبب ويجعل ذلك من مجاز السببية لان الفعل له ملابسات بالفاعل والمفعول

والزمان والمكان والسبب فاسناده الى الفاعل حقيقة واسناده الى بقيتها مجاز و يجعل الفعل مسندا الى الله تعالى لانه سببه لا انه فاعله وقد استدل على ذلك فيما سلف بقول مالك بن دينار لرجل رآه مقيدا محبوسا في مال عليه هذه وضعت القيود فى رجليك واشار الى سلة فيها أخبصة وألوان مختلفة رآها عند المسجون اى اعتناؤك بهذه الاطعمة كان سببا فى تبذير المال الذى آل بك الى وضع القيود فى رجليك فعلى هذا يروم حمل هذه الآية يعنى بما كلفتنى من التكليف الذى كان سببا فى خلق الغي فى نفسي لأقعدن فيجعل ابليس هو الفاعل فى الحقيقة واما اسناد الفعل الى الله تعالى فمجاز هذه احدى النزغتين * والاخرى جعله التكليف من جملة الافعال لانه يزعم ان كلام الله تعالى محدث من جملة افعاله لا صفة من صفاته والتكليف من الكلام فهاتان زلتان جمع القدرية بينهما وابليس لعنه الله لم يرض واحدة منهما لانه نسب الاغواء الى الله تعالى اذ هو خالق كل شيء فما الظن بطائفة ترضى لنفسها من خفي الشرك

و يغويهم (قلت) لما فى ذلك من ابتلاء العباد وفى مخالفته من اعظم الثواب وحكمه حكم ما خلق فى الدنيا من صنوف الزخارف وانواع الملاذ والملاهى وما ركب فى الانفس من الشهوات ليمتحن بها عباده (فبما أغويتنى) فبسبب اغوائك اياى لاقعدن لهم وهو تكليفه اياه ما وقع به فى الغي ولم يثبت كما ثبتت الملائكة مع كونهم أفضل منه ومن آدم انفسا ومناصب وعن الاصم امرتنى بالسجود فحملنى الانف على معصيتك والمعنى فبسبب وقوعي فى الغي لاجتهدن فى اغوائهم حتى يفسدوا بسببي كما فسدت بسببهم (فان قلت) بم تعلقت الباء فان تعلقها بلاقعدن يصد عنه لام القسم لا تقول والله بزيد لامرن (قلت) تعلقت بفعل القسم المحذوف تقديره فبما اغويتنى اقسم بالله لاقعدن اى فبسبب اغوائك اقسم و يجوز ان تكون الباء للقسم اى فاقسم باغوائك لاقعدن وانما اقسم بالاغواء لانه كان تكليفا والتكليف من احسن افعال الله لكونه تعريضا لسعادة الابد فكان جديرا بان يقسم به * ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا الرجل فقيه فقال ابليس افقه منه قال رب بما اغويتنى وهذا يقول أنا اغوى نفسي وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين وقيل ما للاستفهام كانه قيل باى شيء أغويتنى ثم ابتدأ لاقعدن واثبات الالف اذا أدخل حرف الجر على ما الاستفهامية قليل شاذ وأصل الغي الفساد ومنه غوى الفصيل اذا بشم والبشم فساد فى المعدة (لأقعدن لهم صراطك المستقيم) لاعترضن لهم على طريق الاسلام كما يعترض العدو على الطريق ليقطعه على السابلة وانتصابه على الظرف كقوله * كما عسل الطريق الثعلب * وشبهه الزجاج بقولهم ضرب زيد الظهر والبطن اى على الظهر والبطن وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشيطان قعد لابن آدم بأطرقة قعد له بطريق الاسلام فقال له تدع دين آبائك فعصاه فأسلم ثم قعد له بطريق الهجرة فقال له تدع ديارك وتتغرب فعصاه فهاجر ثم قعد له بطريق الجهاد فقال له تقاتل فتقتل فيقسم مالك وتنكح امرأتك فعصاه فقاتل (ثم لآتينهم من بين ايديهم) من الجهات الاربع التى يأتى منها العدو فى الغالب وهذا مثل لوسوسته اليهم وتسويله ما أمكنه وقدر عليه كقوله واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك * (فان قلت) كيف قيل (من بين ايديهم ومن خلفهم) بحرف الابتداء (وعن أيمانهم وعن شمائلهم) بحرف المجاوزة (قلت)

ما لم يسبق به ابليس نعوذ بالله من التعرض لسخط الله * عاد كلامه (قال) ومن تكاذيب المجبرة ما حكوه عن طاوس انه كان فى المسجد الحرام فجاء رجل من كبار الفقهاء يرمى بالقدر فجلس اليه فقال له طاوس تقوم او تقام فقام الرجل فقيل له اتقول هذا لرجل فقيه فقال ابليس أفقه منه قال رب بما اغويتنى وهذا يقول انا اغوى نفسي انتهى كلام طاوس على زعمهم وما ظنك بقوم بلغ من تهالكهم على اضافة القبائح الى الله سبحانه وتعالى ان لفقوا الاكاذيب على الرسول والصحابة والتابعين انتهى كلامه (قال أحمد) وانما اوردت مثل هذا من كلامه وان كان غير محتاج الى التنبيه على فساده وحيده عن العقائد الصحيحة لتبلج الحجة فى وجوب الرد عليه وتعينه على من هداه الله اليه ولقد صدق طاوس رضى الله عنه واما قول الزمخشرى فى أهل السنة الذين سماهم مجبرة انهم يتهالكون فى نسبة القبائح الى الله سبحانه وتعالى فحاصله انهم يخلصون التوحيد حتى لا يؤمنوا بخالق غير الله ولكي يصدقوا قوله تعالى متمدحا الله خالق كل شيء لا كالقدرية الذين هم يتهالكون حتى هم يشركون ويحرفون الكلم عن مواضعه فيؤولون الفاعل بالمسبب فاى الفريقين احق بالامن ان كنتم تعلمون والله الموفق للصواب

قال فبما اغويتنى لأقعدن لهم صراطك المستقيم ثم لآتينهم من بين ايديهم ومن خلفهم وعن ايمانهم وعن شمائلهم

*قوله تعالى فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين اوتكونا من الخالدين وقاسمهما انى لكما لمن الناصحين الآية (قال فيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور الخ) قال احمد وفى هذه الكلمات ايضا جنوح الى قاعدة الاعتزال فى امرين احدهما قوله ان كشف العورة لم يزل مستقبحا فى العقول فانه ينشا عن اعتقاده ان التقبيح والتحسين بالعقل وان جاز ان يصدر هذا الكلام من المعتقد لعقيدة السنة الا انه لا يريد به ظاهره اذ التحسين والتقبيح انما يدركان بالشرع والسمع

لا بالعقل ومعنى هذا الاطلاق لو صدر من سنى ان العقل يدرك المعنى الذى لاجله حسن الشرع الستر وقبح الكشف الامر الثاني استدلاله على تفضيل الملائكة على الانبياء وقدمضي ان ذلك معتقد المعتزلة

ولا تجد أكثرهم شاكرين قال اخرج منها مذؤما مدحورا لمن تبعك منهم لأملان جهنم منكم اجمعين ويا آدم اسكن انت وزوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين *فوسوس لهما الشيطان ليبدى لهما ماووري عنهما من سوآتهما وقال مانهاكما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين وقاسمهما اني لكما لمن الناصحين

المفعول فيه عدى اليه الفعل نحو تعديته الى المفعول به فكما اختلفت حروف التعدية فى ذاك اختلفت فى هذا وكانت لغة تؤخذ ولا تقاس وانما يفتش عن صحة موقعها فقط فلما سمعناهم يقولون جلس عن يمينه وعلى يمينه وعن شماله وعلى شماله قلنا معنى على يمينه انه تمكن من جهة اليمين تمكن المستعلى من المستعلى عليه ومعنى عن يمينه انه جلس متجافيا عن صاحب اليمين منحرفا عنه غير ملاصق له ثم كثر حتى استعمل فى التجافى وغيره كما ذكرنا فى تعال ونحوه من المفعول به قولهم رميت عن القوس وعلى القوس ومن القوس لان السهم يبعد عنها ويستعليها اذا وضع على كبدها الرمي ويبتدأ الرمى منها وكذلك قالوا جلس بين يديه وخلفه بمعنى فيه لانهما ظرفان للفعل ومن بين يديه ومن خلفه لان الفعل يقع فى بعض الجهتين كما تقول جئته من الليل تريد بعض الليل وعن شقيق مامن صباح الا قعدلى الشيطان على اربع مراصد من بين يدى ومن خلفى وعن يمينى وعن شمالى امامن بين يدى فيقول لا تخف فان الله غفور رحيم فأقرأ واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وأمامن خلفى فيخوفنى الضيعة على مخلفى فأقرأ ومامن دابة فى الارض الا على الله رزقها وامامن قبل يمينى فياتينى من قبل الثناء فأقرأ والعاقبة للمتقين وامامن قبل شمالى فياتينى من قبل الشهوات فأقرأ وحيل بينهم وبين مايشتهون (ولا تجد اكثرهم شاكرين) قاله تظنينا بدليل قوله ولقد صدق عليهم ابليس ظنه وقيل سمعه من الملائكة باخبار الله تعالى لهم (مذؤما) من ذأمه اذا ذمه * وقرأ الزهرى مذوما بالتخفيف مثل مسول فى مسؤل * واللام فى (لمن تبعك) موطئة للقسم و (لأملان) جوابه وهو ساد مسد جواب الشرط (منكم) منك ومنهم فغلب ضمير المخاطب كما في قوله انكم قوم تجهلون وروى عصمة عن عاصم لمن تبعك بكسر اللام بمعنى لمن تبعك منهم هذا الوعيد وهو قوله لأملأن جهنم منكم اجمعين على ان لأملأن فى محل الابتداء ولمن تبعك خبره (ويا آدم) وقلنا يا آدم * وقرئ هذى الشجرة والاصل الياء والهاء بدل منها * ويقال وسوس اذا تكلم كلاما خفيا يكرره ومنه وسوس الحلي وهو فعل غير متعد كولولت المراة ووعوع الذئب ورجل موسوس بكسر الواو ولا يقال موسوس بالفتح ولكن موسوس له وموسوس اليه وهو الذى تلقى اليه الوسوسة ومعنى وسوس له فعل الوسوسة لاجله ووسوس اليه القاها اليه (ليبدى) جعل ذلك غرضا له ليسوءهما اذا رأيا مايؤثران ستره وان لا يطلع عليه مكشوفا وفيه دليل على ان كشف العورة من عظائم الامور وانه لم يزل مستهجنا فى الطباع مستقبحا فى العقول * (فان قلت) ما للواو المضمومة فى (ووري) لم تقلب همزة كما في أويصل (قلت) لان الثانية مدة كالف وارى وقد جاء في قراءة عبد الله أورى بالقلب (الا ان تكونا ملكين) الا كراهة ان تكونا ملكين وفيه دليل على ان الملكية بالمنظر الاعلى وان البشرية تلمح مرتبتها كلا ولا وقرئ ملكين بكسر اللام كقوله وملك لا يبلي (من الخالدين) من الذين لا يموتون ويبقون فى الجنة ساكنين * وقرئ من سوتهما بالتوحيد وسواتهما بالواو المشددة (وقاسمهما) واقسم لهما (اني لكما لمن الناصحين) (فان قلت) المقاسمة ان تقسم لصاحبك ويقسم لك تقول قاسمت فلانا حالفته وتقاسما تحالفا ومنه قوله تعالى تقاسموا بالله لنبيتنه (قلت) كانه قال لهما اقسم لكما اني لمن الناصحين وقالا له اتقسم بالله انك لمن الناصحين فجعل ذلك مقاسمة

وان كان بعض اهل السنة قد مال اليه والجواب ممن يعتقد تفضيل الانبياء انه لا يلزم من اعتقاد ابليس لذلك ووسوسته بان الملائكة أفضل ان يكون الامر كذلك فى علم الله تعالى الا ترى ابليس لعنه الله قد اخبر ان الله تعالى منعهما من الشجرة حتى لا يخلدا ولا يكونا ملكين وهو فى ذلك كاذب مبطل فلا دليل فيه اذا وليس فى الآية مايوجب تقرير الله تعالى لابليس على ذلك ولا تصديقه فيه بل ختمت الآية بما يدل على انه كذب لهما وغرهما اذ قال الله تعالى عنه فدلاهما بغرور فلعل تفضيلة الملائكة على النبوة من جملة غروره والله اعلم *عاد كلامه (قال فان قلت المقاسمة ان يقسم لصاحبك ويقسم لك الخ) قال احمد ويكون فى الكلام حينئذ لف لان آدم وحواء عليهما السلام لا يقسمان له بلفظ المتكلم ولكن بالخطاب فجعل القسم من الجانبين كلاما واحدا مضافا لابليس بينهم

*عاد كلامه (قال او اقسم لهما على النصيحة واقسامه على قبولها) قال احمد وهذا التأويل يتم لوجود المقاسمة عن ذكر المقسم عليه واما حيث جعل المقسم عليه هو النصيحة لاغير فيبعد التأويل المذكور الاان يحمل الامر على انه سمى قبول النصيحة نصيحة للمشاكلة والمقابلة كما قيل فى قوله تعالى وواعدنا موسى انه سمى التزام موسى للوفاء والحضور للميعاد ميعادا فاسند التعبير بالمفاعلة والله اعلم

* قوله تعالى قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين (قال

فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما ان الشيطان لكما عدو مبين قالا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين قال اهبطوا بعضكم لبعض عدو ولكم فى الارض مستقر ومتاع الى حين قال فيها تحيون وفيها تموتون ومنها تخرجون يابنى آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا ولباس التقوى ذلك خير

بينهم أو أقسم لهما بالنصيحة وأقسماله بقبولها أو أخرج قسم ابليس على زنة المفاعلة لانه اجتهد فيه اجتهاد المقاسم (فدلاهما) فنزلهما الى الاكل من الشجرة (بغرور) بما غرهما به من القسم بالله وعن قتادة وانما يخدع المؤمن بالله وعن ابن عمر رضي الله عنه انه كان اذا رأى من عبده طاعة وحسن صلاة أعتقه فكان عبيده يفعلون ذلك طلبا للعتق فقيل له انهم يخدعونك فقال من خدعنا بالله انخدعنا له (فلما ذاقا الشجرة) وجدا طعمها آخذين فى الاكل منها وقيل الشجرة هي السنبلة وقيل شجرة الكرم (بدت لهما سوآتهما) اى تهافت عنهما اللباس فظهرت لهما عوراتهما وكانا لايريانها من انفسهما ولا أحدهما من الآخر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت منه ولا رأى مني وعن سعيد بن جبير كان لباسهما من جنس الاظفار وعن وهب كان لباسهما نورا يحول بينهما وبين النظر * ويقال طفق يفعل كذا بمعنى جعل يفعل كذا وقرأ ابو السمال وطفقا بالفتح (يخصفان) ورقة فوق ورقة على عوراتهما ليستترا بها كما يخصف النعل بان تجعل طرقة على طرقة وتوثق بالسيور وقرأ الحسن يخصفان بكسر الخاء وتشديد الصاد وأصله يختصفان * وقرأ الزهرى يخصفان من أخصف وهو منقول من خصف اى يخصفان أنفسهما وقرئ يخصفان من خصف بالتشديد (من ورق الجنة) قيل كان ورق التين (ألم أنهكما) عتاب من الله تعالى وتوبيخ وتنبيه على الخطا حيث لم يتحذرا ما حذرهما الله من عداوة ابليس وروى انه قال لآدم ألم يكن لك فيما منحتك من شجر الجنة مندوحة عن هذه الشجرة فقال بلى وعزتك ولكن ما ظننت ان احدا من خلقك يحلف بك كاذبا قال فبعزتى لاهبطنك الى الارض ثم لاتنال العيش الا كدا فاهبط وعلم صنعة الحديد وأمر بالحرث فحرث وسقى وحصد وداس وذرى وطحن وعجن وخبز * وسميا ذنبهما وان كان صغيرا مغفورا ظلما لانفسهما وقالا (لنكونن من الخاسرين) على عادة الاولياء والصالحين في استعظامهم الصغير من السيئات واستصغارهم العظيم من الحسنات (اهبطوا) الخطاب لآدم وحواء وابليس و (بعضكم لبعض عدو) فى موضع الحال اى متعادين يعاديهما ابليس ويعاديانه (مستقر) استقرار أو موضع استقرار (ومتاع الى حين) وانتفاع بعيش الى انقضاء آجالكم وعن ثابت البنانى لما أهبط آدم وحضرته الوفاة أحاطت به الملائكة فجعلت حواء تدور حولهم فقال لها خلى ملائكة ربي فانما أصابنى الذى أصابنى فيك فلما توفى غسلته الملائكة بماء وسدر وترا وحنطته وكفنته فى وتر من الثياب وحفروا له ولحدوه ودفنوه بسرنديب بارض الهند وقالوا لبنيه هذه سنتكم بعده * جعل ما فى الارض منزلا من السماء لانه قضي ثم وكتب ومنه وأنزل لكم من الانعام ثمانية أزواج * والريش لباس الزينة استعير من ريش الطير لانه لباسه وزينته اى أنزلنا عليكم لباسين لباسا يوارى سوآتكم ولباسا يزينكم لان الزينة غرض صحيح كما قال لتركبوها وزينة ولكم فيها جمال وقرأ عثمان رضي الله عنه ورياشا جمع ريش كشعب وشعاب (ولباس التقوى) ولباس الورع والخشية من الله تعالى وارتفاعه على الابتداء وخبره اما الجملة التي هي (ذلك خير) كانه قيل ولباس التقوى هو خير لان اسماء الاشارة تقرب من الضمائر فيما يرجع الى عود الذكر واما المفرد الذى هو خير وذلك صفة للمبتدأ كانه قيل ولباس التقوى المشار اليه خير ولا تخلو الاشارة من أن يراد بها تعظيم لباس التقوى أو أن تكون اشارة الى اللباس المواري للسوأة لان مواراة السوأة من التقوى تفضيلا له على لباس الزينة وقيل لباس التقوى خبر مبتدا محذوف أى وهو لباس التقوى ثم قيل ذلك خير وفى قراءة عبد الله وأبى ولباس التقوى خير وقيل المراد بلباس التقوى ما يلبس من الدروع والجواشن والمغافر وغيرها مما يتقي فى الحروب وقرئ ولباس التقوى بالنصب

سميا ذنبهما ظلما وان كان صغيرا مغفورا الخ) قال احمد وهذا ايضا اعتزال خفى لانهم يزعمون ان اجتناب الكبائر يوجب تكفير الصغائر وان لم يتب العبد منها فهذا معنى قول الزمخشرى وان كان صغيرا مغفورا وانما وسمت هذا الاعتزال بالخفاء لان هذا الكلام يستقيم وروده عن أهل السنة لكنهم يعنون بكونه مغفورا ان الله تعالى تفضل بغفرانه ولوشاء لآخذ به وان كان الانبياء معصومين من الكبائر لا كما يزعمه المعتزلة من وجوب مغفرته والله الموفق

*قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم (قال وفيه دليل بين انهم لا يرون الخ) قال احمد أين يذهب به عما ورد في الحديث الصحيح من اعتراض ابليس رأسهم ومقدمهم للنبي صلى الله عليه وسلم يروم ان يشغله عن صلاته حتى أمكنه الله منه فاخذه عليه الصلاة والسلام فدعته وأراد ان يربطه الى سارية من سوارى المسجد يلعب به الصبيان حتى ذكر دعوة سليمان عليه السلام فتركه واذا جاز ذلك للنبي عليه الصلاة والسلام كان جائزا لاولياء الله والمتبعين لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم كرامة لكن الزمخشري يصده عن ذلك جحده لكرامة الاولياء لانه عقيدة اخوانه اذ الكرامة انما يؤتاها الولى الصادق فكيف ينالها من يشك في اسلامه فانهم لفي عذر من جحدها والتكذيب بها رزقنا الله الايمان بالكرامات ان لم نكن لها اهلا والله الموفق *قوله تعالى واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء اتقولون على الله ما لا تعلمون (قال وكلاهما باطل من العذر لان احدهما الخ) قال احمد وهذا ايضا من الاعتزال الخفي وغرضه ان يمهد قاعدة التحسين والتقبيح ومراعاة الصلاح والاصلح واستحالة مخالفة ذلك على الله تعالى ولا يتم من ذلك غرض لان المنكر عليهم دعواهم ان الله تعالى امرهم بالفحشاء وهم كاذبون في هذه الدعوى ولا يلزم من سلب الامر الارادة لان الله تعالى.

ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون يا بنى آدم لا يفتننكم الشيطان كما أخرج ابويكم من الجنة ينزع عنهما لباسهما ليريهما سوآتهما انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء أتقولون على الله ما لا تعلمون قل امر ربى بالقسط واقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون فريقا هدى وفريقا حق عليهم الضلالة انهم اتخذوا الشياطين اولياء من دون الله ويحسبون انهم مهتدون يا بنى آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد

عطفا على لباسا وريشا (ذلك من آيات الله) الدالة على فضله ورحمته على عباده يعنى انزال اللباس (لعلهم يذكرون) فيعرفوا عظم النعمة فيه وهذه الآية واردة على سبيل الاستطراد عقيب ذكر بدو السوآت وخصف الورق عليها اظهارا للمنة فيما خلق من اللباس ولما في العرى وكشف العورة من المهانة والفضيحة واشعارا بان التستر باب عظيم من أبواب التقوى (لا يفتننكم الشيطان) لا يمتحننكم بان لا تدخلوا الجنة *كما محن أبويكم بان أخرجهما منها (ينزع عنهما لباسهما) حال اى أخرجهما نازعا لباسهما بان كان سببا فى أن نزع عنهما (انه يراكم هو) تعليل للنهي وتحذير من فتنته بانه بمنزلة العدو المداجي يكيدكم ويغتالكم من حيث لا تشعرون وعن مالك بن دينار ان عدوا يراك ولا تراه لشديد المؤنة الا من عصم الله (وقبيله) وجنوده من الشياطين وفيه دليل بين ان الجن لا يرون ولا يظهرون للانس وأن اظهارهم أنفسهم ليس فى استطاعتهم وأن زعم من يدعي رؤيتهم زور ومخرقة (انا جعلنا الشياطين أولياء للذين لا يؤمنون) اى خلينا بينهم وبينهم لم نكفهم عنهم حتى تولوهم وأطاعوهم فيما سولوا لهم من الكفر والمعاصي وهذا تحذير آخر أبلغ من الاول (فان قلت) علام عطف وقبيله (قلت) على الضمير في يراكم المؤكد بهو والضمير في انه للشأن والحديث وقرأ اليزيدي وقبيله بالنصب وفيه وجهان ان يعطفه على اسم ان وان تكون الواو بمعنى مع واذا عطفه على اسم ان وهو الضمير في انه كان راجعا الى ابليس * الفاحشة ما تبالغ فى قبحه من الذنوب اى اذا فعلوها اعتذروا بان آباءهم كانوا يفعلونها فاقتدوا بهم وبأن الله تعالى أمرهم بان يفعلوها وكلاهما باطل من العذر لان احدهما تقليد والتقليد ليس بطريق للعلم والثاني افتراء على الله والحاد فى صفاته كانوا يقولون لو كره الله منا ما نفعله لنقلنا عنه وعن الحسن ان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى العرب وهم قدرية مجبرة يحملون ذنوبهم على الله وتصديقه قول الله تعالى (واذا فعلوا فاحشة قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها قل ان الله لا يأمر بالفحشاء) لان فعل القبيح مستحيل عليه لعدم الداعي ووجود الصارف فكيف يأمر بفعله (أتقولون على الله ما لا تعلمون) انكار لاضافتهم القبيح اليه وشهادة على ان مبنى قولهم على الجهل المفرط وقيل المراد بالفاحشة طوافهم بالبيت عراة (بالقسط) بالعدل وبما قام فى النفوس انه مستقيم حسن عند كل مميز وقيل بالتوحيد (وأقيموا وجوهكم) وقل أقيموا وجوهكم اى اقصدوا عبادته مستقيمين اليها غير عادلين الى غيرها (عند كل مسجد) فى كل وقت سجود او فى كل مكان سجود وهو الصلاة (وادعوه) واعبدوه (مخلصين له الدين) اى الطاعة مبتغين بها وجه الله خالصا (كما بدأكم تعودون) كما انشأكم ابتداء يعيدكم احتج عليهم في انكارهم الاعادة بابتداء الخلق والمعنى انه يعيدكم فيجازيكم على اعمالكم فاخلصوا له العبادة (فريقا هدى) وهم الذين اسلموا أى وفقهم للايمان (وفريقا حق عليهم الضلالة) اى كلمة الضلالة وعلم الله أنهم يضلون ولا يهتدون وانتصاب قوله وفريقا بفعل مضمر يفسره ما بعده كأنه قيل وخذل فريقا حق عليهم الضلالة (انهم) ان الفريق الذى حق عليهم الضلالة (اتخذوا الشياطين اولياء) اى تولوهم بالطاعة فيما أمروهم به وهذا دليل على ان علم الله لا أثر له فى ضلالهم وأنهم هم الضالون باختيارهم وتوليهم الشياطين دون الله (خذوا زينتكم) اى ريشكم ولباس زينتكم (عند كل مسجد) كلما صليتم أو طفتم وكانوا يطوفون عراة وعن طاوس لم يأمرهم بالحرير والديباج وانما كان احدهم يطوف عريانا ويدع ثيابه وراء المسجد

وان طاف وهي عليه ضربوا وانتزعت عنه لانهم قالوا لا نعبد الله في ثياب أذنبنا فيها وقيل تفاؤلا ليتعروا من الذنوب كما تعروا من الثياب وقيل الزينة المشط وقيل الطيب والسنة أن يأخذ الرجل أحسن هيئته للصلاة وكان بنو عامر في أيام حجهم لا يأكلون الطعام الا قوتا ولا يأكلون دسما يعظمون بذلك حجهم فقال المسلمون فانا أحق أن نفعل فقيل لهم (وكلوا واشربوا ولا تسرفوا) وعن ابن عباس رضي الله عنه كل ما شئت والبس ما شئت ما أخطأتك خصلتان سرف ومخيلة ويحكى ان الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين بن واقد ليس في كتابكم من علم الطب شيء والعلم علمان علم الابدان وعلم الاديان فقال له قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابه قال وما هي قال قوله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا فقال النصراني ولا يؤثر من رسولكم شيء في الطب فقال قد جمع رسولنا صلى الله عليه وسلم الطب في ألفاظ يسيرة قال وما هي قال قوله المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء واعط كل بدن ما عودته فقال النصراني ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طبا (زينة الله) من الثياب وكل ما يتجمل به (والطيبات من الرزق) المستلذات من المآكل والمشارب ومعنى الاستفهام في من انكار تحريم هذه الاشياء قيل كانوا اذا أحرموا حرموا الشاة وما يخرج منها من لحمها وشحمها ولبنها (قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا) غير خالصة لهم لان المشركين شركاؤهم فيها (خالصة) لهم (يوم القيامة) لا يشركهم فيها احد (فان قلت) هلا قيل هي للذين آمنوا ولغيرهم (قلت) لينبه على أنها خلقت للذين آمنوا على طريق الاصالة وان الكفرة تبع لهم كقوله تعالى ومن كفر فامتعه قليلا ثم اضطره الى عذاب النار وقرئ خالصة بالنصب على الحال وبالرفع على انها خبر بعد خبر (الفواحش) ما تفاحش قبحه اي تزايد وقيل هي ما يتعلق بالفروج (والاثم) عام لكل ذنب وقيل شرب الخمر (والبغي) الظلم والكبر افرده بالذكر كما قال وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي (ما لم ينزل به سلطانا) فيه تهكم لانه لا يجوز ان ينزل برهانا بان يشرك به غيره (وان تقولوا على الله) وان تتقولوا عليه وتفتروا الكذب من التحريم وغيره (ولكل امة اجل) وعيد لاهل مكة بالعذاب النازل في اجل معلوم عند الله كما نزل بالامم * وقرئ فاذا جاء آجالهم وقال (ساعة) لانها اقل الاوقات في استعمال الناس يقول المستعجل لصاحبه في ساعة يريد اقصر وقت واقربه (اما يأتينكم) هي ان الشرطية ضمت اليها ما مؤكدة لمعنى الشرط ولذلك لزمت فعلها النون الثقيلة او الخفيفة (فان قلت) فما جزاء هذا الشرط (قلت) الفاء وما بعده من الشرط والجزاء والمعنى فمن اتقى واصلح منكم والذين كذبوا منكم وقرئ تأتينكم بالتاء (فمن اظلم) فمن اشنع ظلما ممن تقول على الله ما لم يقله او كذب ما قاله (اولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب) اى مما كتب لهم من الارزاق والاعمار (حتى اذا جاءتهم رسلنا) حتى غاية لنيلهم نصيبهم واستيفائهم له اى الى وقت وفاتهم وهي حتى التي يبتدأ بعدها الكلام والكلام ههنا الجملة الشرطية وهي اذا جاءتهم رسلنا قالوا و(يتوفونهم) حال من الرسل اى متوفيهم والرسل ملك الموت واعوانه * وما وقعت موصولة بأين في خط المصحف وكان حقها ان تفصل لانها موصولة بمعنى اين الآلهة الذين تدعون (ضلوا عنا) غابوا عنا فلا نراهم ولا ننتفع بهم اعترافا منهم بانهم لم يكونوا على شيء فيما كانوا عليه وانهم لم يحمدوه في العاقبة (قال ادخلوا) اى يقول الله تعالى يوم القيامة لأولئك الذين قال فيهم فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته وهم كفار العرب (في امم) في موضع الحال اى كائنين في جملة امم وفي غمارهم مصاحبين لهم اى ادخلوا في النار مع امم (قد خلت من قبلكم) وتقدم زمانهم زمانكم (لعنت اختها) التي ضلت بالاقتداء بها (حتى اذا اداركوا فيها) اى تداركوا بمعنى تلاحقوا واجتمعوا في النار

وكلوا واشربوا ولا تسرفوا انه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل انما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله ما لا تعلمون ولكل أمة أجل فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون يا بني آدم اما يأتينكم رسل منكم يقصون عليكم آياتي فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون والذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بآياته أولئك ينالهم نصيبهم من الكتاب حتى اذا جاءتهم رسلنا يتوفونهم قالوا اينما كنتم تدعون من دون الله قالوا ضلوا عنا وشهدوا على أنفسهم انهم كانوا كافرين قال ادخلوا في أمم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا اداركوا فيها جميعا

لان الكلام جرى مجرى ما له سلطان الا انه لم ينزل لانه انما نفي تنزيل السلطان به ولم ينف ان يكون به سلطان وكان اصل الكلام وان تشركوا بالله ما لا سلطان به فينزل فيكون على طريقة * على لاحب لا يهتدى بمناره *

* قوله تعالى وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا ان تلكموا الجنة أورثتموه بما كنتم تعملون (قال اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم الخ) قال أحمد وهذه تكنخ وجوه القدرية بالرد فانها شاهدة شهادة تامة مؤكدة باللام على ان المهتدى من خلق الله له الهدى وان غير ذلك محال ان يكون فلا يهتدى الا من هدى الله ولو لم يهده لم يهتد وأما القدرية فيزعمون ان كل مهتد خالق لنفسه الهدى فهو اذا امهتدوان لم يهده الله اذ هدى الله للعبد خالق الهدى له وفى

قالت أخراهم لأولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذابا ضعفا من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون ان الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتي يلج الجمل فى سم الخياط وكذلك نجزى المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش وكذلك نجزى الظالمين والذين آمنوا وعملوا الصالحات لا نكلف نفسا الا وسعها أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون ونزعنا ما فى صدورهم من غل تجرى من تحتهم الانهار وقالوا الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله

(قالت اخراهم) منزلة وهى الاتباع والسفلة (لاولاهم) منزلة وهى القادة والرؤس ومعنى لاولاهم لاجل اولاهم لان خطابهم مع الله لا معهم (عذابا ضعفا) مضاعفا (لكل ضعف) لان كلا من القادة والاتباع كانوا ضالين مضلين (ولكن لا تعلمون) قرئ بالياء والتاء (فما كان لكم علينا من فضل) عطفوا هذا الكلام على قول الله تعالى للسفلة لكل ضعف أى فقد ثبت ان لا فضل لكم علينا وأنا متساوون فى استحقاق الضعف (فذوقوا العذاب) من قول القادة أو من قول الله لهم جميعا (لا تفتح لهم أبواب السماء) لا يصعد لهم عمل صالح اليه يصعد الكلم الطيب كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وقيل ان الجنة فى السماء فالمعنى لا يؤذن لهم فى صعود السماء ولا يطرق لهم اليها ليدخلوا الجنة وقيل لا تصعد أرواحهم اذا ماتوا كما تصعد أرواح المؤمنين وقيل لا تنزل عليهم البركة ولا يغاثون ففتحنا أبواب السماء وقرئ لا تفتح بالتشديد ولا يفتح بالياء ولا تفتح بالتاء والبناء للفاعل ونصب الأبواب على ان الفعل للآيات وبالياء على ان الفعل لله عز وجل * وقرأ ابن عباس الجمل بوزن القمل وسعيد بن جبير الجمل بوزن النغر وقرئ الجمل بوزن القفل والجمل بوزن النصب والجمل بوزن الحبل ومعناها القلس الغليظ لانه حبال جمعت وجعلت جملة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه ان الله أحسن تشبيها من ان يشبه بالجمل يعنى ان الحبل مناسب للخيط الذى يسلك فى سم الابرة والبعير لا يناسبه الا ان قراءة العامة أوقع لان سم الابرة مثل فى ضيق المسلك يقال اضيق من خرت الابرة وقالوا الدليل الماهر خريت للاهتداء به فى المضايق المشبهة باخرات الابر والجمل مثل فى عظم الجرم قال

* جسم الجمال واحلام العصافير * ان الرجال ليسوا بجزر تراد منهم الاجسام فقيل لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون ابدا من ولوج هذا الحيوان الذى لا يلج الا فى باب واسع فى ثقب الابرة وعن ابن مسعود أنه سئل عن الجمل فقال زوج الناقة استجهالا للسائل واشارة الى ان طلب معنى آخر تكلف * وقرئ فى سم بالحركات الثلاث * وقرأ عبد الله فى سم المخيط والخياط والمخيط كالحزام والمحزم ما يخاط به وهو الابرة (وكذلك) ومثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى المجرمين) ليؤذن أن الاجرام هو السبب الموصل الى العقاب وان كل من اجرم عوقب وقد كرره فقال و (كذلك نجزى الظالمين) لان كل مجرم ظالم لنفسه (مهاد) فراش (غواش) أغطية وقرئ غواش بالرفع كقوله تعالى وله الجوار المنشآت فى قراءة عبد الله (لا نكلف نفسا الا وسعها) جملة معترضة بين المبتدا والخبر للترغيب فى اكتساب ما لا يكتنهه وصف الواصف من النعيم الخالد مع التعظيم بما هو فى الوسع وهو الامكان الواسع غير الضيق من الايمان والعمل الصالح وقرأ الاعمش لا تكلف نفس * من كان فى قلبه غل على أخيه فى الدنيا نزع منه فسلمت قلوبهم وطهرت ولم يكن بينهم الا التواد والتعاطف وعن على رضي الله عنه اني لارجو ان أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير منهم (هدانا لهذا) أى وفقنا لموجب هذا الفوز العظيم وهو الايمان والعمل الصالح (وما كنا لنهتدى) اللام لتوكيد النفى يعنون وما كان يستقيم ان نكون مهتدين لولا هداية الله وتوفيقه وفي مصاحف اهل الشام ما كنا لنهتدى

زعمهم ان الله تعالى لم يخلق لاحد من المهتدين الهدى ولا يتوقف ذلك على خلقه تعالى الله بغير
عما يقولون ولما فطن الزمخشرى ذلك جرى على عادته في تحريف الهدى من الله تعالى الى اللطف الذى بسببه يخلق العبد الاهتداء لنفسه فانصف من نفسك واعرض قول القائل المهتدى من اهتدى بنفسه من غير ان يهديه الله أي يخلق له الهدى على قوله تعالى حكاية عن قول الموحدين فى دار الحق وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله وانظر تباين هذين القولين أعنى قول المعتزلى فى الدنيا وقول الموحد فى الآخرة فى مقعد صدق واختر لنفسك أى الفريقين نقتدى به وما اراك والخطاب لكل عاقل تعدل بهذا القول المحكى عن أولياء الله فى دار السلام منوها به فى الكتاب العزيز قول قدرى ضال تذبذب مع هواه وتعصبه فى دار الغرور والزوال نسأل الى حسن المآب والمآل

* عاد كلامه (قال وقوله تعالى ونودوا ان تلكم الجنة اورثتموها بما كنتم تعملون المراد بسبب أعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة) قال أحمد يعني بالمبطلة قوما سمعوا قوله عليه الصلاة والسلام لا يدخل أحد منكم الجنة بعمله ولكن بفضل الله وبرحمته قيل ولا انت يارسول الله قال ولا أنا الا ان يتغمدني الله بفضل منه ورحمة فقالوا واصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهؤلاء هم اهل السنة قيل لهم فما معنى قوله تعالى وتلك الجنة التي أورثتموها بما كنتم تعملون قالوا الله تفضل بان جعل الجنة جزاء العمل فضلا منه ورحمة لا أن ذلك مستحق عليه وواجب للعبادة وجوب الديون التي لا اختيار في أدائها جمعا بين الدليلين على وجه يطابق دليل العقل الدال على ان الله تعالى يستحيل ان يجب عليه شيء فانظر ايها المنصف هل تجد في هذا الكلام من الباطل ما وجب ان يلقب اصحابه بالمبطلة وحاكم لنفسك اليهم اذا وضح لك انهم يروا في هذا البر فاعرضه على قوم زعموا انهم يستحقون على الله تعالى حقا باعمالهم التي لا ينتفع بوجودها ولا يتضرر بتركها

بغيروا وعلى أنها جملة موضحة للاولى (لقد جاءت رسل ربنا بالحق) فكان لنا لطفا وتنبيها على الاهتداء فاهتدينا يقولون ذلك سرورا واغتباطا بما نالوا وتلذذا بالتكلم به لا تقربا وتعبدا كما ترى من رزق خيرا في الدنيا يتكلم بنحو ذلك ولا يملك ان لا يقوله للفرح لا للقربة (ان تلكم الجنة) ان مخففة من الثقيلة تقديره ونودوا بانه تلكم الجنة (أورثتموها) والضمير ضمير الشأن والحديث او تكون بمعنى أي لان المناداة من القول كأنه قيل وقيل لهم اي تلكم الجنة أورثتموها (بما كنتم تعملون) بسبب اعمالكم لا بالتفضل كما تقول المبطلة * ان في (ان قد وجدنا) يحتمل ان تكون مخففة من الثقيلة وان تكون مفسرة كالتي سبقت آنفا وكذلك (ان لعنة الله على الظالمين) وانما قالوا لهم ذلك اغتباطا بحالهم وشماتة باصحاب النار وزيادة في غمهم ولتكون حكايته لطفا لمن سمعها وكذلك قول المؤذن بينهم لعنة الله على الظالمين وهو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار وقرئ ان لعنة الله بالتشديد والنصب وقرأ الاعمش ان لعنة الله بكسر ان على ارادة القول او على اجراء أذن مجرى قال * (فان قلت) هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا ربنا (قلت) حذف ذلك تخفيفا لدلالة وعدنا عليه ولقائل أن يقول اطلق ليتناول كل ما وعد الله من البعث والحساب والثواب والعقاب وسائر احوال القيامة لانهم كانوا مكذبين بذلك اجمع ولان الموعود كله مما ساءهم وما نعيم أهل الجنة الا عذاب لهم فاطلق لذلك (وبينهما حجاب) يعني بين الجنة والنار او بين الفريقين وهو السور المذكور في قوله تعالى فضرب بينهم بسور (وعلى الاعراف) وعلى اعراف الحجاب وهو السور المضروب بين الجنة والنار وهي أعاليه جمع عرف استعير من عرف الفرس وعرف الديك (رجال) من المسلمين من آخرهم دخولا في الجنة لقصور أعمالهم كأنهم المرجون لامر الله يحبسون بين الجنة والنار الى ان ياذن الله لهم في دخول الجنة (يعرفون كلا) من زمر السعداء والاشقياء (بسيماهم) بعلامتهم التي اعلمهم الله تعالى بها يلهمهم الله ذلك أو تعرفهم الملائكة * اذا نظروا الى اصحاب الجنة نادوهم بالتسليم عليهم (واذا صرفت ابصارهم تلقاء اصحاب النار) ورأوا ما هم فيه من العذاب استعاذوا بالله وفزعوا الى رحمته أن لا يجعلهم معهم * ونادوا رجالا من رؤس الكفرة يقولون لهم (أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة) اشارة لهم الى اهل الجنة الذين كان الرؤساء يستهينون بهم ويحتقرونهم لفقرهم وقلة حظوظهم من الدنيا وكانوا يقسمون أن الله لا يدخلهم الجنة (أدخلوا الجنة) يقال لاصحاب الاعراف أدخلوا الجنة وذلك بعد ان يحبسوا على الاعراف وينظروا الى الفريقين ويعرفوهم بسيماهم ويقولوا ما يقولون وفائدة ذلك بيان ان الجزاء على قدر الاعمال وأن التقدم والتأخر على حسبها وأن احدا لا يسبق عند الله الا بسبقه في العمل ولا يتخلف عنده الا بتخلفه فيه وليرغب السامعون

لقد جاءت رسل ربنا بالحق ونودوا أن تلكم الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون وبينهما حجاب وعلى الاعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم لم يدخلوها وهم يطمعون واذا صرفت أبصارهم تلقاء أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ونادى أصحاب الاعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون أهؤلاء الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة ادخلوا الجنة

تعالى وتقدس عن ذلك ويطلقون القول بلسان الجراءة ان الجنة ونعيمها اقطاعهم بحق مستحق على الله تعالى لا تفضل له عليهم فيه بل هو بمثابة دين تقاضاه بعض الناس من مديانه وانظر اي الفريقين المذكورين أحق بلقب المبطلة والسلام * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قيل ما وعدكم ربكم كما قيل ما وعدنا الخ) قال احمد ولقائل ان يقول ولو ذكر المفعول حسب ذكره في الاول فقيل فهل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا لكان الفعل مطلقا ايضا باعتبار الموعود به لانه لم يذكر فكان يتناول كل موعود به من البعث والحساب والعقاب الذي هو أنواع من جملتها التحسر على نعيم أهل الجنة فليس ذلك خاصا بحذف المفعول الواقع على الموعودين فالوجه ان حذفه ايجاز وتخفيف واستغناء عنه بالاول والله اعلم * قوله تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية انه لا يحب المعتدين

(قال التضرع تفعل من الضراعة وهى الذل الخ) قال احمد وحسبك فى تعين الاسرار فى الدعاء اقترانه بالتضرع فى الآية فالاخلال به كالاخلال بالضراعة الى الله فى الدعاء وان دعاء لا تضرع فيه ولا خشوع لقليل الجدوى فكذلك دعاء لا خفية ولا وقار يصحبه وترى كثيرا من أهل زمانك يعتمدون الصراخ والصياح فى الدعاء خصوصا فى الجوامع حتى يعظم اللغط ويشتد وتستد المسامع وتستد وبهذا الداعي

لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة ان أفيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون هل ينظرون الا تأويله يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا او نرد فنعمل غير الذى كنا نعمل قد خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة ايام ثم استوى على العرش يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره ألا له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين ادعوا ربكم تضرعا وخفية

فى حال السابقين ويحرصوا على احراز قصبتهم وليتصوروا ان كل احد يعرف ذلك اليوم بسيماه التى استوجب أن يوسم بها من اهل الخير والشر فيرتدع المسيء عن اساءته ويزيد المحسن فى احسانه وليعلم ان العصاة يوبخهم كل أحد حتى أقصر الناس عملا وقوله واذا صرفت ابصارهم فيه ان صارفا يصرف أبصارهم لينظروا فيستعيذوا ويوبخوا * وقرأ الاعمش واذا قلبت أبصارهم * وقرئ أدخلوا الجنة على البناء للمفعول وقرأ عكرمة دخلوا الجنة * (فان قلت) كيف لاءم هذا بين القراءتين قوله (لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون) (قلت) تأويله ادخلوا أو دخلوا الجنة مقولا لهم لا خوف عليكم ولا انتم تحزنون * فان قلت ما محل قوله لم يدخلوها وهم يطمعون (قلت) لا محل له لانه استئناف كان سائلا سأل عن حال اصحاب الاعراف فقيل لم يدخلوها وهم يطمعون يعنى حالهم ان دخولهم الجنة استأخر عن دخول اهل الجنة فلم يدخلوها لكونهم محبوسين وهم يطمعون لم ييأسوا ويجوز ان يكون له محل بان يقع صفة لرجال * ما أغنى عنكم جمعكم المال او كثرتكم واجتماعكم * وما كنتم تستكبرون واستكباركم عن الحق وعلى الناس وقرئ تستكثرون من الكثرة (أفيضوا علينا) فيه دليل على ان الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من غيره من الاشربة لدخوله فى حكم الافاضة ويجوز ان يراد او الفواعلينا مما رزقكم الله من الطعام والفاكهة كقوله * علفتها تبنا وماء باردا * وانما يطلبون ذلك مع يأسهم من الاجابة اليه حيرة فى أمرهم كما يفعل المضطر الممتحن (حرمهما على الكافرين) منعهم شراب الجنة وطعامها كما يمنع المكلف ما يحرم عليه ويحظر كقوله * حرام على عينى ان تطعم الكرى * (فاليوم ننساهم) نفعل بهم فعل الناسين الذين ينسون عبيدهم من الخير لا يذكرونهم به (كما نسوا لقاء يومهم هذا) كما فعلوا بلقائه فعل الناسين فلم يخطروه ببالهم ولم يهتموا به (فصلناه على علم) عالمين كيف نفصل احكامه ومواعظه وقصصه وسائر معانيه حتى جاء حكيما قيما غير ذى عوج وقرأ ابن محيصن فضلناه بالضاد المعجمة بمعنى فضلناه على جميع الكتب عالمين انه أهل للتفضيل عليها او (هدى ورحمة) حال من منصوب فصلناه كما ان على علم حال من مرفوعه (الا تأويله) الا عاقبة امره وما يؤول اليه من تبين صدقه وظهور صحة ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) اى تبين وصح انهم جاؤا بالحق (نرد) جملة معطوفة على الجملة التى قبلها داخلة معها فى حكم الاستفهام كانه قيل هل لنا من شفعاء او هل نرد ورافعه وقوعه موقعا يصلح للاسم كما تقول ابتداء هل يضرب زيد ولا يطلب له فعل آخر يعطف عليه فلا يقدر هل يشفع لنا شافع او نرد وقرأ ابن أبى اسحق أو نرد بالنصب عطفا على فيشفعوا لنا أو تكون او بمعنى حتى ان اى يشفعوا لنا حتى نرد فنعمل وقرأ الحسن بنصب نرد ورفع فنعمل بمعنى فنحن نعمل (يغشى الليل النهار يطلبه حثيثا) وقرئ يغشى بالتشديد اى يلحق الليل بالنهار والنهار بالليل يحتملهما جميعا والدليل على الثانى قراءة حميد بن قيس يغشى الليل النهار بفتح الياء ونصب الليل ورفع النهار أى يدرك النهار الليل ويطلبه حثيثا حسن الملاءمة لقراءة حميد (بامره) بمشيئته وتصريفه وهو متعلق بمسخرات اى خلقهن جاريات بمقتضى حكمته وتدبيره وكما يريد ان يصرفها سمى ذلك امرا على التشبيه كانهن مأمورات بذلك * وقرئ والشمس والقمر والنجوم مسخرات بالرفع * ولما ذكر انه خلقهن مسخرات بأمره قال (ألا له الخلق والامر) اى هو الذى خلق الاشياء كلها وهو الذى صرفها على حسب ارادته (تضرعا وخفية) نصب على الحال اى ذوى تضرع وخفية * وكذلك خوفا وطمعا والتضرع تفعل من الضراعة وهو الذل اى تذللا وتملقا * وقرئ وخفية وعن الحسن رضى الله عنه ان الله يعلم القلب التقى والدعاء الخفى ان كان الرجل لقد جمع القرآن وما يشعر به جاره وان كان الرجل لقد فقه الفقه

بالناس ولا يعلم انه جمع بين بدعتين رفع الصوت فى الدعاء وفى المسجد وربما حصلت للعوام حينئذ رقة لا تحصل مع خفض الصوت ورعاية سمت الوقار وسلوك السنة الثابتة بالآثار وما هى الارقة شبيهة بالرقة العارضة للنساء والاطفال ليست خارجة عن صميم الفؤاد لانها لو كانت من اصل لكانت عند اتباع السنة فى الدعاء وفى خفض الصوت به أوفر وأوفى وازكى فما اكثر التباس الباطل بالحق على

الكثير ولا يشعر الناس به وان كان الرجل ليصلي الصلاة الطويلة وعنده الزور وما يشعرون به ولقد ادركنا
اقواما ما كان على الارض من عمل يقدرون على أن يعملوه فى السر فيكون علانية ابدا ولقد كان المسلمون
يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت ان كان الا همسا بينهم وبين ربهم وذلك ان الله تعالى يقول ادعوا ربكم
تضرعا وخفية وقد اثنى على زكريا فقال اذ نادى ربه نداء خفيا وبين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون
ضعفا (انه لا يحب المعتدين) اى المجاوزين ما امروا به فى كل شىء من الدعاء وغيره وعن ابن جريج هو رفع
الصوت بالدعاء وعنه الصياح فى الدعاء مكروه وبدعة وقيل هو الاسهاب فى الدعاء وعن النبي صلى الله
عليه وسلم سيكون قوم يعتدون فى الدعاء وحسب المرء ان يقول اللهم انى أسألك الجنة وما قرب اليها من قول
وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل ثم قرأ قوله تعالى انه لا يحب المعتدين (ان رحمة الله
قريب من المحسنين) كقوله وانى لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا وانما ذكر قريب على تاويل الرحمة
بالرحم او الترحم اولانه صفة موصوف محذوف اى شىء قريب او على تشبيهه بفعيل الذى هو بمعنى مفعول
كما شبه ذاك به فقيل قتلاء وأسراء او على انه بزنة المصدر الذى هو النقيض والضغيب اولان تانيث الرحمة
غير حقيقي * قرئ نشرا وهو مصدر نشر وانتصابه اما لان ارسل ونشر متقاربان فكانه قيل نشرها نشرا
واما على الحال بمعنى منتشرات ونشرا جمع نشور ونشرا بالتخفيف نشر كرسل ورسل وقرأ مسروق نشرا بمعنى
منشورات فعل بمعنى مفعول كنقض وحسب ومنه قولهم ضم نشره وبشرا جمع بشير وبشرا بتخفيفه وبشرا
بفتح الباء مصدر من بشره بمعنى بشره اى باشرات وبشرى (بين يدى رحمته) امام رحمته وهى الغيث الذى
هو من أنم النعم واجلها واحسنها أثرا (أقلت) حملت ورفعت واشتقاق الاقلال من القلة لان الرافع المطيق
يرى الذى يرفعه قليلا (سحابا ثقالا) سحائب ثقالا بالماء جمع سحابة (سقناه) الضمير للسحاب على اللفظ
ولو حمل على المعنى كالثقال لانث كما لو حمل الوصف على اللفظ لقيل ثقيلا (لبلد ميت) لاجل بلد ليس فيه حيا
ولسقيه وقرئ ميت (فانزلنا به) بالبلد او بالسحاب او بالسوق وكذلك (فاخرجنا به * كذلك) مثل ذلك
الاخراج وهو اخراج الثمرات (نخرج الموتى لعلكم تذكرون) فيؤديكم التذكر الى انه لا فرق بين الاخراجين
اذ كل واحد منهما اعادة للشىء بعد انشائه (والبلد الطيب) الارض العذاة الكريمة التربة (والذى خبث)
الارض السبخة التي لا تنبت ما ينتفع به * باذن ربه بتيسيره وهو فى موضع الحال كانه قيل يخرج نباته
حسنا وافيا لانه واقع فى مقابلة (نكدا) والنكد الذى لا خير فيه * وقرئ يخرج نباته اى يخرجه البلد
وينبته وقوله والذى خبث صفة للبلد ومعناه والبلد الخبيث لا يخرج نباته الا نكدا فحذف المضاف الذى هو
النبات واقيم المضاف اليه الذى هو الراجع الى البلد مقامه الا انه كان مجرورا بارزا فانقلب مرفوعا مستكنا
لوقوعه موقع الفاعل او يقدر ونبات الذى خبث * وقرئ نكدا بفتح الكاف على المصدر أى ذا نكد
ونكدا باسكانها للتخفيف كقوله نزه عن الريب بمعنى نزه وهذا مثل لمن ينجع فيه الوعظ والتنبيه من
المكلفين ولمن لا يؤثر فيه شىء من ذلك وعن مجاهد آدم وذريته منهم خبيث وطيب وعن قتادة المؤمن سمع كتاب
الله فوعاه بعقله وانتفع به كالارض الطيبة أصابها الغيث فانبتت والكافر بخلاف ذلك وهذا التمثيل واقع
على اثر ذكر المطر وانزاله بالبلد الميت واخراج الثمرات به على طريق الاستطراد (كذلك) مثل ذلك
التصريف (نصرف الآيات) نرددها ونكررها (لقوم يشكرون) نعمة الله وهم المؤمنون ليفكروا فيها
ويعتبروا بها وقرئ يصرف بالياء اى يصرفها الله (لقد أرسلنا نوحا) جواب قسم محذوف (فان قلت)
ما لهم لا يكادون ينطقون بهذه اللام الا مع قد وقل عنهم نحو قوله * حلفت لها بالله حلفة فاجر *
لناموا (قلت) انما كان ذلك لان الجملة القسمية لا تساق الا تاكيدا للجملة المقسم عليها التى هي جوابها
فكانت مظنة لمعنى التوقع الذى هو معنى قد عند استماع المخاطب كلمة القسم قيل ارسل نوح عليه السلام
وهو ابن خمسين سنة وكان نجارا وهو نوح بن لمك بن متوشلخ بن اخنوخ واخنوخ اسم ادريس النبي عليه
السلام * وقرئ غيره بالحركات الثلاث فالرفع على المحل كانه قيل مالكم اله غيره والجر على اللفظ

انه لا يحب المعتدين ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها وادعوه خوفا وطمعا ان رحمت الله قريب من المحسنين وهو الذى يرسل الرياح بشرا بين يدى رحمته حتى اذا اقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فانزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذى خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الآيات لقوم يشكرون لقد ارسلنا نوحا الى قومه فقال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره انى اخاف عليكم عذاب يوم عظيم

عقول كثير من الخلق اللهم ارنا الحق حقا وارزقنا اتباعه وارنا الباطل باطلا وارزقنا اجتنابه

* قوله تعالى قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين (قال ان قلت لم قال ليس بى ضلالة ولم يقل ضلال الخ) قال احمد تعليله كون نفيها ابلغ من نفى الضلال بانها اخص منه غير مستقيم والله اعلم فان نفى الاخص اعم من نفى الاعم فلا يستلزمه ضرورة ان الاعم لا يستلزم الاخص بخلاف العكس الا تراك اذا قلت هذا ليس بانسان لم يستلزم ذلك ان لا يكون حيوانا ولو قلت هذا ليس بحيوان لاستلزم ان لا يكون انسانا فنفى الاعم كما ترى ابلغ من نفى الاخص والتحقيق فى الجواب ان يقال الضلالة ادنى من الضلال واقل لانها لا تطلق الا على الفعلة الواحدة منه واما الضلال فينطلق على القليل والكثير من جنسه ونفى الادنى أبلغ من نفي الاعلى لا من حيث كونه أخص بل هو من باب التنبيه بالادنى على الاعلى والله أعلم *

والنصب على الاستثناء بمعنى ما لكم من اله الا اياه كقولك ما فى الدار من احد الا زيدا وغير زيد (فان قلت) فما موقع الجملتين بعد قوله اعبدوا الله (قلت) الاولى بيان لوجه اختصاصه بالعبادة والثانية بيان للداعى الى عبادته لانه هو المحذور عقابه دون ما كانوا يعبدونه من دون الله * واليوم العظيم يوم القيامة او يوم نزول العذاب عليهم وهو الطوفان (الملأ) الاشراف والسادة وقيل الرجال ليس معهم نساء (فى ضلال) فى ذهاب عن طريق الصواب والحق * ومعنى الرؤية رؤية القلب * (فان قلت) لم قال (ليس بى ضلالة) ولم يقل ضلال كما قالوا (قلت) الضلالة اخص من الضلال فكانت ابلغ فى نفى الضلال عن نفسه كانه قال ليس بي شئ من الضلال كما لو قيل لك الك تمر فقلت مالى تمرة * (فان قلت) كيف وقع قوله (ولكنى رسول) استدراكا للانتفاء عن الضلالة (قلت) كونه رسولا من الله مبلغا رسالاته ناصحا فى معنى كونه على الصراط المستقيم فصح لذلك ان يكون استدراكا للانتفاء عن الضلالة * وقرئ ابلغكم بالتخفيف (فان قلت) كيف موقع قوله ابلغكم (قلت) فيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا بيانا لكونه رسول رب العالمين والثاني ان يكون صفة لرسول (فان قلت) كيف جاز ان يكون صفة والرسول لفظه لفظ الغائب (قلت) جاز ذلك لان الرسول وقع خبرا عن ضمير المخاطب وكان معناه كما قال * انا الذي سمتن امى حيدره * (رسالات ربى) ما أوحي الى فى الاوقات المتطاولة او فى المعاني المختلفة من الاوامر والنواهى والمواعظ والزواجر والبشائر والنذائر ويجوز ان يريد رسالاته اليه والى الانبياء قبله من صحف جده ادريس وهى ثلاثون صحيفة ومن صحف شيث وهي خمسون صحيفة (وانصح لكم) يقال نصحته ونصحت له وفى زيادة اللام مبالغة ودلالة على امحاض النصيحة وانها وقعت خالصة للمنصوح له مقصودا بها جانبه لا غير فرب نصيحة ينتفع بها الناصح فيقصد النفعين جميعا ولا نصيحة امحض من نصيحة الله تعالى ورسله عليهم السلام (وأعلم من الله ما لا تعلمون) اى من صفات الله واحواله يعنى قدرته الباهرة وشدة بطشه على اعدائه وان بأسه لا يرد عن القوم المجرمين وقيل لم يسمعوا بقوم حل بهم العذاب قبلهم فكانوا آمنين لا يعلمون ما علمه نوح بوحي الله اليه اواراد واعلم من جهة الله اشياء لا علم لكم بها قد اوحى الى بها (اوعجبتم) الهمزة للانكار والواو للعطف والمعطوف عليه محذوف كانه قيل اكذبتم وعجبتم (ان جاءكم) من ان جاءكم (ذكر) موعظة (من ربكم على رجل منكم) على لسان رجل منكم كقوله ما وعدتنا على رسلك وذلك انهم كانوا يتعجبون من نبوة نوح عليه السلام ويقولون ما سمعنا بهذا في آبائنا الاولين يعنون ارسال البشر ولو شاء ربنا لانزل ملائكة (لينذركم ولتتقوا) ليحذركم عاقبة الكفر وليوجد منكم التقوى وهى الخشية بسبب الانذار (ولعلكم ترحمون) ولترحموا بالتقوى ان وجدت منكم (والذين معه) قيل كانوا اربعين رجلا واربعين امرأة وقيل تسعة بنوه سام وحام ويافث وستة ممن آمن به * (فان قلت) (فى الفلك) بم يتعلق (قلت) هو متعلق بمعه كانه قيل والذين استقروا معه فى الفلك او صحبوه فى الفلك ويجوز ان يتعلق بفعل الانجاء اى انجيناهم فى السفينة من الطوفان (عمين) عمى القلوب غير مستبصرين وقرئ عامين والفرق بين العمي والعامى ان العمي يدل على عمى ثابت

قال الملأ من قومه انا لنراك فى ضلال مبين قال ياقوم ليس بى ضلالة ولكنى رسول من رب العالمين أبلغكم رسالات ربى وانصح لكم واعلم من الله ما لا تعلمون اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم ولتتقوا ولعلكم ترحمون فكذبوه فانجيناه والذين معه فى الفلك وأغرقنا الذين كذبوا بآياتنا انهم كانوا قوما عمين والى عاد

قوله تعالى ولكنى رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي الآية (قال ان قلت كيف موقع قوله أبلغكم قلت فيه وجهان الخ) قال أحمد وقد استدرك ابن جنى قوله ابي الطيب * انا الذى نظر الاعمى الى ادبى * عدولا عن لفظ الغيبة لو كان الى ادبه وهذه الآية والرجز العلوى كفيلان بتحسين ما ارتكبه ابو الطيب

(قال فان قلت لم حذف العاطف من قوله تعالى في قصة هود وهذه قال ياقوم ولم يقل فقال قلت لانه اخرج الكلام جوابا عن سؤال سائل كانه قيل فما قال هود حينئذ قيل قال ياقوم وكذلك قال الملأ) قال احمد وحذف العاطف من

ثابت والعامى على عمى حادث ونحوه قوله وضائق به صدرك (أخاهم) واحدا منهم من قولك يا أخا العرب للواحد منهم وانما جعل واحدا منهم لانهم أفهم عن رجل منهم واعرف بحاله فى صدقه وامانته وهو هود بن شالخ بن ارفخشذ بن سام بن نوح واخاهم عطف على نوحا و(هودا) عطف بيان له * (فان قلت) لم حذف العاطف من قوله (قال ياقوم) ولم يقل فقال كما فى قصة نوح (قلت) هو على تقدير سؤال سائل قال فما قال لهم هود فقيل قال ياقوم اعبدوا الله وكذلك (قال الملأ) (فان قلت) لم وصف الملأ (الذين كفروا) دون الملأ من قوم نوح (قلت) كان في اشراف قوم هود من آمن به منهم مرثد بن سعد الذى اسلم وكان يكتم اسلامه فاريدت التفرقة بالوصف ولم يكن في اشراف قوم نوح مؤمن ونحوه قوله تعالى وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة ويجوز ان يكون وصفا واردا للذم لا غير (فى سفاهة) فى خفة حلم وسخافة عقل حيث تهجر دين قومك الى دين آخر وجعلت السفاهة ظرفا على طريق المجاز ارادوا انه متمكن فيها غير منفك عنها وفى اجابة الانبياء عليهم السلام من نسبهم الى الضلال والسفاهة بما أجابوهم به من الكلام الصادر عن الحلم والاغضاء وترك المقابلة بما قالوا لهم مع علمهم بان خصومهم اضل الناس واسفههم ادب حسن وخلق عظيم وحكاية الله عز وجل ذلك تعليم لعباده كيف يخاطبون السفهاء وكيف يغضون عنهم ويسلبون اذيالهم على مايكون منهم (ناصح امين) اى عرفت فيما بينكم بالنصح والامانة فما حقى ان اتهم او انا لكم ناصح فيما ادعوكم اليه امين على ما اقول لكم لا اكذب فيه (خلفاء من بعد قوم نوح) اى خلفتموهم فى الارض او جعلكم ملوكا فى الارض قد استخلفكم فيها بعدهم (فى الخلق بسطة) فيما خلق من اجرامكم ذهابا فى الطول والبدانة قيل كان اقصرهم ستين ذراعا واطولهم مائة ذراع (فاذكروا آلاء الله) فى استخلافكم وبسطة اجرامكم وماسواهما من عطاياه وواحد الآلاء الى ونحوه انى وآناء وضلع واضلاع وعنب واعناب * (فان قلت) اذ فى قوله اذ جعلكم خلفاء ماوجه انتصابه (قلت) هو مفعول به وليس بظرف اى اذكروا وقت استخلافكم (اجئتنا لنعبد الله وحده) انكروا واستبعدوا اختصاص الله وحده بالعبادة وترك دين الآباء فى اتخاذ الاصنام شركاء معه حبا لما نشؤا عليه والفا لما صادفوا آباءهم يتدينون به (فان قلت) مامعنى المجيء فى قوله اجئتنا (قلت) فيه اوجه ان يكون لهود عليه السلام مكان معتزل عن قومه يتحنث فيه كما كان يفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء قبل المبعث فلما اوحى اليه جاء قومه يدعوهم وان يريدوا به الاستهزاء لانهم كانوا يعتقدون ان الله تعالى لا يرسل الا الملائكة فكانهم قالوا أجئتنا من السماء كما يجيء الملك وان لا يريدوا حقيقة المجيء ولكن التعرض بذلك والقصد كما يقال ذهب يشتمني ولا يراد حقيقة الذهاب كانهم قالوا أقصدتنا لنعبد الله وحده وتعرضت لنا بتكليف ذلك (فاتنا بما تعدنا) استعجال منهم للعذاب (قد وقع عليكم) اى حق عليكم ووجب او قد نزل عليكم جعل المتوقع الذى لا بد من نزوله بمنزلة الواقع ونحوه قولك لمن طلب اليك بعض المطالب قد كان ذلك وعن حسان ان ابنه عبد الرحمن لسعه زنبور وهو طفل فجاء يبكي فقال له يا بني مالك قال لسعني طوير كانه ملتف في بردي حبرة فضمه الى صدره وقال له يا بني قد قلت الشعر * والرجس العذاب من الارتجاس وهو الاضطراب (فى أسماء سميتموها) فى أشياء مافيها الا أسماء ليس تحتها مسميات لانكم تسمونها آلهة ومعنى الالهية فيها معدوم محال وجوده وهذا كقوله تعالى ماتدعون من دونه من شيء ومعنى سميتموها سميتم بها من سميته زيدا * وقطع دابرهم استئصالهم وتدميرهم عن آخرهم وقصتهم ان عادا قد تبسطوا فى البلاد ما بين عمان وحضرموت وكانت لهم اصنام يعبدونها صداء وصمود والهباء فبعث الله اليهم هودا نبيا وكان من اوسطهم وافضلهم حسبا فكذبوه وازدادوا عتوا وتجبرا فامسك الله عنهم القطر ثلاث سنين حتى جهدوا وكان الناس اذا نزل بهم بلاء

أخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره افلا تتقون قال الملأ الذين كفروا من قومه انا لنراك فى سفاهة وانا لنظنك من الكاذبين قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رسول من رب العالمين ابلغكم رسالات ربي وانا لكم ناصح امين اوعجبتم ان جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم لينذركم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد قوم نوح وزادكم في الخلق بسطة فاذكروا آلاء الله لعلكم تفلحون قالوا أجئتنا لنعبد الله وحده ونذر ما كان يعبد آباؤنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال قد وقع عليكم من ربكم رجس وغضب اتجادلونني في اسماء سميتموها انتم وآباؤكم ما نزل الله بها من سلطان فانتظروا انى معكم من المنتظرين فانجيناه والذين معه برحمة منا وقطعنا دابر الذين كذبوا بآياتنا

المقاولة الاترى قوله فى سورة الشعراء حكاية عن تقاول موسى عليه السلام وفرعون كيف أسقط ذكر العاطف منه على كثرة الاقوال المعددة فيها والسر فى ذلك والله أعلم ان العاطف ينتظم الجمل حتى يصيرها كالجملة الواحدة فاجتنب لارادة استقلال كل واحدة منها فى معناها والله اعلم

طلبوا الى الله تعالى الفرج منه عند بيته المحرم مسلمهم ومشركهم وأهل مكة اذ ذاك العماليق أولاد عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح وسيدهم معاوية بن بكر فجهزت عاد الى مكة من اماثلهم سبعين رجلا منهم قيل بن عنز ومرثد بن سعد الذى كان يكتم اسلامه فلما قدموا نزلوا على معاوية بن بكر وهو بظاهر مكة خارجا عن الحرم فانزلهم واكرمهم وكانوا اخواله واصهاره فاقاموا عنده شهرا يشربون الخمر وتغنيهم الجرادتان قينتان كانتا لمعاوية فلما رأى طول مقامهم وذهولهم باللهو عما قدموا له اهمه ذلك وقال قد هلك اخوالى واصهارى وهؤلاء على ماهم عليه وكان يستحى ان يكلمهم خيفة ان يظنوا به ثقل مقامهم عليه فذكر ذلك للقينتين فقالتا قل شعرا نغنيهم به لا يدرون من قاله فقال معاوية

ألا ياقيل ويحك قم فهينم * لعل الله يسقينا غماما
فيسقى ارض عاد ان عادا * قد امسوا ما يبينون الكلاما

فلما غنتا به قالوا ان قومكم يتغوثون من البلاء الذى نزل بهم وقد ابطأتم عليهم فادخلوا الحرم واستسقوا لقومكم فقال لهم مرثد بن سعد والله لا تسقون بدعائكم ولكن ان اطعتم نبيكم وتبتم الى الله سقيتم واظهر اسلامه فقالوا لمعاوية احبس عنا مرثدا لا يقدمن معنا مكة فانه قد اتبع دين هود وترك ديننا ثم دخلوا مكة فقال قيل اللهم اسق عادا ما كنت تسقيهم فانشا الله تعالى سحابا ثلاثا بيضاء وحمراء وسوداء ثم ناداه مناد من السماء يا قيل اختر لنفسك ولقومك فقال اخترت السوداء فانها اكثرهن ماء فخرجت على عاد من واد لهم يقال له المغيث فاستبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا فجاءتهم منها ريح عقيم فاهلكتهم ونجا هود والمؤمنون معه فاتوا مكة فعبدوا الله فيها حتى ماتوا * (فان قلت) ما فائدة نفى الايمان عنهم فى قوله (وما كانوا مؤمنين) مع اثبات التكذيب بآيات الله (قلت) هو تعريض بمن آمن منهم كمرثد بن سعد ومن نجا مع هود عليه السلام كانه قال وقطعنا دابر الذين كذبوا منهم ولم يكونوا مثل من آمن منهم ليؤذن ان الهلاك خص المكذبين ونجى الله المؤمنين * قرئ والى ثمود بمنع الصرف بتأويل القبيلة والى ثمود بالصرف بتأويل الحي او باعتبار الاصل لانه اسم ابيهم الاكبر وهو ثمود بن عابر بن ارم بن سام بن نوح وقيل سميت ثمود لقلة مائها من الثمد وهو الماء القليل وكانت مساكنهم الحجر بين الشام والحجاز الى وادى القرى (قد جاءتكم بينة) آية ظاهرة وشاهد على صحة نبوتي * وكانه قيل ما هذه البينة فقال (هذه ناقة الله لكم آية) وآية نصب على الحال والعامل فيها مادل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل كانه قيل أشير اليها آية ولكم بيان لمن هي له آية موجبة عليه الايمان خاصة وهم ثمود لانهم عاينوها وسائر الناس اخبروا عنها وليس الخبر كالمعاينة كانه قال لكم خصوصا وانما اضيفت الى اسم الله تعظيما لها وتفخيما لشانها وانها جاءت من عنده مكونة من غير فحل وطروقة آية من آياته كما تقول آية الله وروى ان عادا لما اهلكت عمرت ثمود بلادها وخلفوهم فى الارض وكثروا وعمروا اعمارا طوالا حتى ان الرجل كان يبنى المسكن المحكم فينهدم فى حياته فنحتوا البيوت من الجبال وكانوا فى سعة ورخاء من العيش فعتوا على الله وافسدوا فى الارض وعبدوا الاوثان فبعث الله تعالى اليهم صالحا عليه السلام وكانوا قوما عربا وصالح من اوسطهم نسبا فدعاهم الى الله تعالى فلم يتبعه الا قليل منهم مستضعفون فحذرهم وانذرهم فسالوه آية فقال أية آية تريدون قالوا تخرج معنا الى عيدنا فى يوم معلوم لهم من السنة فتدعو الهك وندعو آلهتنا فان استجيب لك اتبعناك وان استجيب لنا اتبعتنا فقال صالح نعم فخرج معهم ودعوا اوثانهم وسالوها الاستجابة فلم تجبهم ثم قال سيدهم جندع بن عمرو واشار الى صخرة منفردة فى ناحية الجبل يقال لها الكاثبة اخرج لنا من هذه الصخرة ناقة مخترجة جوفاء وبراء والمخترجة التى شاكلت البخت فان فعلت صدقناك واجبناك فاخذ صالح عليه السلام عليهم المواثيق لئن فعلت ذلك لتؤمنن ولتصدقن قالوا نعم فصلى ودعا ربه فتمخضت الصخرة تمخض النتوج بولدها فانصدعت عن ناقة عشراء جوفاء وبراء كما وصفوا لا يعلم ما بين جنبيها الا الله تعالى وعظماؤهم ينظرون ثم نتجت ولدا مثلها فى العظم فآمن به جندع ورهط من قومه ومنع اعقابهم ناس من رؤسهم أن يؤمنوا فمكثت الناقة مع ولدها ترعى الشجر وتشرب الماء وكانت ترد غبا

وما كانوا مؤمنين والى ثمود أخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية

تأكل فى أرض الله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم واذكروا اذ جعلكم خلفاء من بعد عاد وبوأكم فى الارض تتخذون من سهولها قصورا وتنحتون من الجبال بيوتا فاذكروا آلاء الله ولا تعثوا فى الارض مفسدين قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم أتعلمون أن صالحا مرسل من ربه قالوا انا بما أرسل به مؤمنون قال الذين استكبروا انا بالذى آمنتم به كافرون فعقروا الناقة

فاذا كان يومها وضعت رأسها فى البئر فما ترفعه حتى تشرب كل ماء فيها ثم تتفحج فيحتلبون ماشاؤا حتى تمتلئ اوانيهم فيشربون ويدخرون قال ابو موسى الاشعرى اتيت ارض ثمود فذرعت مصدر الناقة فوجدته ستين ذراعا وكانت الناقة اذا وقع الحر تصيفت بظهر الوادى فتهرب منها انعامهم فتهبط الى بطنه واذا وقع البرد تشتت بطن الوادى فتهرب مواشيهم الى ظهره فشق ذلك عليهم وزينت عقرها لهم امرأتان عنيزة ام غنم وصدقة بنت المختار لما اضرت به من مواشيهما وكانتا كثيرتي المواشي فعقروها واقتسموا لحمها وطبخوه فانطلق سقبها حتى رقى جبلا اسمه قارة فرغى ثلاثا وكان صالح قال لهم ادركوا الفصيل عسى أن يرفع عنكم العذاب فلم يقدروا عليه وانفجت الصخرة بعد رغائه فدخلها فقال لهم صالح تصبحون غدا ووجوهكم مصفرة وبعد غد ووجوهكم محمرة واليوم الثالث ووجوهكم مسودة ثم يصبحكم العذاب فلما رأوا العلامات طلبوا أن يقتلوه فانجاه الله الى ارض فلسطين ولما كان اليوم الرابع وارتفع الضحى تحنطوا بالصبر وتكفنوا بالانطاع فأتتهم صيحة من السماء فتقطعت قلوبهم فهلكوا (تأكل فى ارض الله) اى الارض ارض الله والناقة ناقة الله فذروها تأكل فى ارض ربها فليست الارض لكم ولا مافيها من النبات من انباتكم (ولا تمسوها بسوء) لا تضربوها ولا تطردوها ولا تريبوها بشيء من الاذى اكراما لآية الله ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مر بالحجر فى غزوة تبوك قال لاصحابه لا يدخلن احد منكم القرية ولا تشربوا من مائها ولا تدخلوا على هؤلاء المعذبين الا ان تكونوا باكين ان يصيبكم مثل الذى اصابهم وقال صلى الله عليه وسلم ياعلى أتدرى من اشقى الاولين قال الله ورسوله اعلم قال عاقر ناقة صالح أتدرى من أشقى الآخرين قال الله ورسوله أعلم قال قاتلك وقرأ ابو جعفر فى رواية تأكل فى ارض الله وهو فى موضع الحال بمعنى آكلة (وبوأكم) ونزلكم والمباءة المنزل (فى الارض) فى ارض الحجر بين الحجاز والشام (من سهولها قصورا) اى تبنونها من سهولة الارض بما تعملون منها من الرهص واللبن والآجر * وقرأ الحسن وتنحتون بفتح الحاء وتنحاتون باشباع الفتحة كقوله * ينباع من ذفرى أسيل حرة * (فان قلت) علام انتصب (بيوتا) (قلت) على الحال كما تقول خذ هذا الثوب قميصا وابر هذه القصبة قلما وهى من الحال المقدرة لان الجبل لا يكون بيتا فى حال النحت ولا الثوب ولا القصبة قميصا وقلما فى حال الخياطة والبرى وقيل كانوا يسكنون السهول فى الصيف والجبال فى الشتاء (للذين استضعفوا) للذين استضعفهم رؤساء الكفار واستذلوهم و(لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (فان قلت) الضمير فى منهم راجع الى ماذا (قلت) الى قومه او الى الذين استضعفوا (فان قلت) هل لاختلاف المرجعين اثر فى اختلاف المعنى (قلت) نعم وذلك أن الراجع اذا رجع الى قومه فقد جعل من آمن مفسرا لمن استضعف منهم فدل أن استضعافهم كان مقصورا على المؤمنين واذا رجع الى الذين استضعفوا لم يكن الاستضعاف مقصورا عليهم ودل أن المستضعفين كانوا مؤمنين وكافرين (أتعلمون ان صالحا مرسل من ربه) شيء قالوه على سبيل الطنز والسخرية كما تقول المجسمة أتعلمون أن الله فوق العرش * (فان قلت) كيف صح قولهم (انا بما ارسل به مؤمنون) جوابا عنه (قلت) سألوهم عن العلم بارساله فجعلوا ارساله أمرا معلوما مكشوفا مسلما لا يدخله ريب كأنهم قالوا العلم بارساله وبما أرسل به مما لا كلام فيه ولا شبهة تدخله لوضوحه وانارته وانما الكلام فى وجوب الايمان به فنخبركم أنا به مؤمنون ولذلك كان جواب الكفرة (انا بالذى آمنتم به كافرون) فوضعوا آمنتم به موضع أرسل ردا لما جعله المؤمنون معلوما واخذوه مسلما (فعقروا الناقة) أسند العقر الى جميعهم لانه كان برضاهم وان لم يباشره الا بعضهم وقد يقال

* قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم (قال ان قلت الضمير فى منهم راجع الى ماذا قلت الى قومه الخ) قال أحمد فقوله لمن على الاول بدل الشيء من الشيء وهما لعين واحدة وعلى الثانى بدل بعض من كل * عاد كلامه (قال فان قلت كيف وقع قولهم انا بما أرسل به مؤمنون جوابا الخ) قال أحمد وقولهم انا به مؤمنون ليس اخبارا عن وجوب الايمان به بل عن امتثال الواجب والعمل به ونحن قد امتثلنا * عاد كلامه (قال ولذلك كان جواب الكفرة انا بالذى الخ) قال أحمد ولو طابقوا بين الكلامين لكان مقتضى المطابقة أن يقولوا انا بما ارسل به كافرون ولكن أبوا ذلك حذرا مما فى ظاهره من اثباتهم لرسالته وهم يجحدونها وقد يصدر مثل ذلك على سبيل التهكم كما قال فرعون ان رسولكم الذى أرسل اليكم لمجنون فاثبت ارساله تهكما وليس هذا موضع التهكم فان الغرض اخبار كل واحد من الفريقين المؤمنين والمكذبين عن حاله فلهذا خلص الكافرون قولهم عن اشعار الايمان بالرسالة احتياطا للكفر وغلوا فى الاصرار

للقبيلة الضخمة انتم فعلتم كذا وما فعله الا واحد منهم (وعتوا عن امر ربهم) وتولوا عنه واستكبروا عن امتثاله عاتين وامر ربهم ما امر به على لسان صالح عليه السلام من قوله فذروها تاكل في ارض الله او شان ربهم وهو دينه ويجوز ان يكون المعنى وصدر عتوهم عن امر ربهم كان امر ربهم بتركها كان هو السبب في عتوهم ونحو عن هذه ما في قوله وما فعلته عن امري (ائتنا بما تعدنا) ارادوا من العذاب وانما جاز الاطلاق لانه كان معلوما واستعجالهم له لتكذيبهم به ولذلك علقوه بما هم به كافرون وهو كونه من المرسلين (الرجفة) الصيحة التي زلزلت لها الارض واضطربوا لها (في دارهم) في بلادهم او في مساكنهم (جاثمين) هامدين لا يتحركون موتي يقال الناس جثم اى قعود لا حراك بهم ولا ينبسون نبسة ومنه المجثمة التي جاء النهي عنها وهي البهيمة تربط وتجمع قوائمها لترمى وعن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم لما مر بالحجر قال لا تسالوا الآيات فقد سالها قوم صالح فاخذتهم الصيحة فلم يبق منهم الا رجل واحد كان في حرم الله قالوا من هو قال ذاك ابو رغال فلما خرج من الحرم أصابه ما أصاب قومه وروى أن صالحا كان بعثه الى قوم فخالف امره وروى أنه عليه السلام مر بقبر ابي رغال فقال أتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم فذكر قصة ابي رغال وأنه دفن ههنا ودفن معه غصن من ذهب فابتدروه وبحثوا عنه باسيافهم فاستخرجوا الغصن (فتولى عنهم) الظاهر انه كان مشاهدا لما جرى عليهم وأنه تولى عنهم بعدما ابصرهم جاثمين تولى مغتم متحسر على مافاته من ايمانهم يتحزن لهم ويقول (ياقوم لقد) بذلت فيكم وسعي ولم آل جهدا في ابلاغكم والنصيحة لكم ولكنكم (لا تحبون الناصحين) ويجوز ان يتولى عنهم تولي ذاهب عنهم منكر لاصرارهم حين رأى العلامات قبل نزول العذاب وروى ان عقرهم الناقة كان يوم الاربعاء ونزل بهم العذاب يوم السبت وروى انه خرج في مائة وعشرة من المسلمين وهو يبكي فالتفت فرأى الدخان ساطعا فعلم انهم قد هلكوا وكانوا الفا وخمسمائة دار وروى انه رجع بمن معه فسكنوا ديارهم (فان قلت) كيف صح خطاب الموتي وقوله ولكن لا تحبون الناصحين (قلت) قد يقول الرجل لصاحبه وهو ميت وكان قد نصحه حيا فلم يسمع منه حتى القى بنفسه في التهلكة يا اخي كم نصحتك وكم قلت لك فلم تقبل مني وقوله ولكن لا تحبون الناصحين حكاية حال ماضية (ولوطا) وارسلنا لوطا و(اذ) ظرف لارسلنا او واذكر لوطا واذ بدل منه بمعنى واذكر وقت (قال لقومه اتاتون الفاحشة) اتفعلون السيئة المتمادية في القبح (ماسبقكم بها) ما عملها قبلكم والباء للتعدية من قولك سبقته بالكرة اذا ضربتها قبله ومنه قوله عليه السلام سبقك بها عكاشة (من احد من العالمين) من الاولى زائدة لتوكيد النفي وافادة معنى الاستغراق والثانية للتبعيض (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) هي جملة مستانفة انكر عليهم اولا بقوله اتاتون الفاحشة ثم وبخهم عليها فقال انتم اول من عملها او على انه جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا لم لا ناتيها فقال ماسبقكم بها احد فلا تفعلوا ما لم تسبقوا به (ائنكم لتاتون الرجال) بيان لقوله اتاتون الفاحشة والهمزة مثلها في اتاتون للانكار والتعظيم وقرئ انكم على الاخبار المستانف لتاتون الرجال من اتى المرأة اذا غشيها (شهوة) مفعول له اى للاشتهاء لا حامل لكم عليه الا مجرد الشهوة من غير داع آخر ولا ذم اعظم منه لانه وصف لهم بالبهيمية وانه لا داعي لهم من جهة العقل البتة كطلب النسل ونحوه او حال بمعنى مشتهين تابعين للشهوة غير ملتفتين الى السماجة (بل انتم قوم مسرفون) اضرب عن الانكار الى الاخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعو الى اتباع الشهوات وهو انهم قوم عادتهم الاسراف وتجاوز الحدود في كل شيء فمن ثم اسرفوا في باب قضاء الشهوة حتى تجاوزوا المعتاد الى غير المعتاد ونحوه بل انتم قوم عادون (وما كان جواب قومه الا أن قالوا) يعني ما اجابوه بما يكون جوابا عما كلمهم به لوط عليه السلام من انكار الفاحشة وتعظيم امرها ووسمهم بسمة الاسراف الذي هو اصل الشر كله ولكنهم جاؤا بشيء آخر لا يتعلق بكلامه ونصيحته من الامر باخراجه ومن معه من المؤمنين من قريتهم ضجرا بهم وبما يسمعونهم من وعظهم ونصحهم وقولهم (انهم اناس يتطهرون) سخرية بهم ويتطهرهم من الفواحش وافتخار بما كانوا فيه من القذارة كما يقول الشطار من الفسقة لبعض الصلحاء اذا وعظهم ابعدوا عنا هذا المتقشف وارحونا من هذا المتزهد (واهله) ومن يختص به من ذويه او من المؤمنين (من الغابرين) من الذين غبروا في ديارهم اى بقوا فهلكوا

وعتوا عن امر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا ان كنت من المرسلين فاخذتهم الرجفة فاصبحوا في دارهم جاثمين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالة ربي ونصحت لكم ولكن لا تحبون الناصحين ولوطا اذ قال لقومه اتاتون الفاحشة ماسبقكم بها من احد من العالمين ائنكم لتاتون الرجال شهوة من دون النساء بل انتم قوم مسرفون وما كان جواب قومه الا ان قالوا اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون فانجيناه واهله الا امرأته كانت من الغابرين

والتذكير

وامطرنا عليهم مطرا فانظر كيف كان عاقبة المجرمين والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم فاوفوا الكيل والميزان ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تفسدوا فى الارض بعد اصلاحها ذلكم خير لكم ان كنتم مؤمنين ولا تقعدوا بكل صراط توعدون وتصدون عن سبيل الله من آمن به

والتذكير لتغليب الذكور على الاناث وكانت كافرة موالية لاهل سدوم وروى أنها التفتت فاصابها حجر فماتت * وقيل كانت المؤتفكة خمس مدائن وقيل كانوا اربعة آلاف بين الشام والمدينة فامطر الله عليهم الكبريت والنار وقيل خسف بالمقيمين منهم وامطرت الحجارة على مسافريهم وشذاذهم وقيل امطر عليهم ثم خسف بهم وروى ان تاجرا منهم كان في الحرم فوقف له الحجر اربعين يوما حتي قضى تجارته وخرج من الحرم فوقع عليه * (فان قلت) اى فرق بين مطر وامطر (قلت) يقال مطرتهم السماء وواد ممطور وفى نوابغ الكلم حرى غير ممطور حري ان يكون غير ممطور ومعنى مطرتهم أصابتهم بالمطر كقولهم غاثتهم ووبلتهم وجادتهم ورهمتهم ويقال أمطرت عليهم كذا بمعنى ارسلته عليهم ارسال المطر فامطر علينا حجارة من السماء وامطرنا عليهم حجارة من سجيل ومعنى (وامطرنا عليهم مطرا) وارسلنا عليهم نوعا من المطر عجيبا يعنى الحجارة الاترى الى قوله فساء مطر المنذرين * كان يقال لشعيب عليه السلام خطيب الانبياء لحسن مراجعته قومه وكانوا اهل بخس للمكاييل والموازين (قد جاءتكم بينة من ربكم) معجزة شاهدة بصحة نبوتي اوجبت عليكم الايمان بي والاخذ بما آمركم به والانتهاء عما انهاكم عنه فاوفوا ولا تبخسوا (فان قلت) ما كانت معجزته (قلت) قد وقع العلم بانه كانت له معجزة لقوله قد جاءتكم بينة من ربكم ولانه لا بد لمدعي النبوة من معجزة تشهد له وتصدقه والا لم تصح دعواه وكان متنبئا لا نبيا غير ان معجزته لم تذكر في القرآن كما لم تذكر أكثر معجزات نبينا صلى الله عليه وسلم فيه ومن معجزات شعيب عليه السلام ماروى من محاربة عصي موسى عليه السلام التنين حين دفع اليه غنمه وولادة الغنم الدرع خاصة حين وعده ان تكون له الدرع من أولادها ووقوع عصي آدم عليه السلام على يده فى المرات السبع وغير ذلك من الآيات لان هذه كلها كانت قبل أن يستنبأ موسي عليه السلام فكانت معجزات لشعيب * (فان قلت) كيف قيل (الكيل والميزان) وهلا قيل المكيال والميزان كما فى سورة هود عليه السلام (قلت) أريد بالكيل آلة الكيل وهو المكيال اوسمى مايكال به بالكيل كما قيل العيش لما يعاش به اوارايد فأوفوا الكيل ووزن الميزان ويجوز ان يكون الميزان كالميعاد والميلاد بمعنى المصدر * ويقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس وفى امثالهم تحسبها حمقاء وهي باخس وقيل (أشياءهم) لانهم كانوا يبخسون الناس كل شيء فى مبايعاتهم اوكانوا مكاسين لا يدعون شيأ الا مكسوه كما يفعل امراء الجرمين وروى أنهم كانوا اذا دخل الغريب بلدهم اخذوا دراهمه الجياد وقالوا هي زيوف فقطعوها قطاعا ثم اخذوها بنقصان ظاهر واعطوه بدلها زيوفا (بعد اصلاحها) بعد الاصلاح فيها اى لا تفسدوا فيها بعد ما أصلح فيها الصالحون من الانبياء وأتباعهم العاملين بشرائعهم واضافته كاضافة قوله بل مكر الليل والنهار بمعنى بل مكركم في الليل والنهار او بعد اصلاح اهلها على حذف المضاف (ذلكم) اشارة الى ماذكر من الوفاء بالكيل والميزان وترك البخس والافساد في الارض اوالى العمل بما امرهم به ونهاهم عنه ومعنى (خير لكم) يعني في الانسانية وحسن الاحدوثة وما تطلبونه من التكسب والتربح لان الناس ارغب فى متاجرتكم اذا عرفوا امنكم الامانة والسوية (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم مصدقين لى فى قولى ذلكم خير لكم (ولا تقعدوا بكل صراط) ولا تقتدوا بالشيطان في قوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فتقعدوا بكل صراط اى بكل منهاج من مناهج الدين والدليل على أن المراد بالصراط سبيل الحق قوله (وتصدون عن سبيل الله) * ومحل توعدون وما عطف عليه النصب على الحال اى ولا تقعدوا موعدين وصادين عن سبيل الله وباغيها عوجا (فان قلت) صراط الحق واحد وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله فكيف قيل بكل صراط (قلت) صراط الحق واحد ولكنه يتشعب الى معارف وحدود وأحكام كثيرة مختلفة فكانوا اذا رأوا أحدا يشرع فى شيء منها اوعدوه وصدوه * (فان قلت) الام يرجع الضمير فى (آمن به) (قلت) الى كل صراط تقديره توعدون من آمن به وتصدون عنه فوضع الظاهر الذى هو سبيل الله موضع الضمير زيادة فى تقبيح امرهم ودلالة على عظم مايصدون عنه وقيل كانوا يجلسون على الطرق والمراصد فيقولون لمن مر بهم ان شعيبا كذاب فلا يفتننكم

* قوله تعالى وامطرنا عليهم مطرا (قال يقال مطرتهم السماء وواد ممطور الخ) قال احمد مقصود المصنف الرد على من يقول مطرت السماء فى الخير وأمطرت فى الشر ويتوهم انها تفرقة وضعية فبين ان أمطرت معناه أرسلت شيئا على نحو المطر وان لم يكن ماء حتى لو أرسل الله من السماء انواعا من الخيرات والارزاق مثلا كالمن والسلوى لجاز ان يقال فيه أمطرت السماء خيرات أى ارسلتها ارسال المطر فليس للشر خصوصية فى هذه الصيغة الرباعية ولكن اتفق ان السماء لم ترسل شيأ سوى المطر الا وكان عذابا فظن الواقع اتفاقا مقصودا فى الوضع فنبه على تحقيق الامر فيه واحسن واجمل

قوله تعالى قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا الآيات (قال ان قلت كيف خاطبوا شعيبا بصيغة العود الخ) قال احمد والزمخشرى بنى هذا الكلام على أن صيغة العود تستدعي رجوع العائد الى حال كان عليها قبل والتحقيق فى الجواب عن السؤال المذكور مع اقتضاء العود لذلك ان هذا الفعل وان استعمل كذلك الا أنه كثيرا ما يرد بمعنى صار وحينئذ يجوز ان يكون الحال كان ولا يستدعى الرجوع الى حالة سابقة بل عكس ذلك وهو الانتقال من حال سابقة الى حالة مؤتنفة مثل صار وكانهم قالوا والله اعلم لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتصيرن كفارا مثلنا وحينئذ يندفع السؤال او يسلم استعمال العود بمعنى الرجوع الى أمر سابق ويجاب عن ذلك بمثل الجواب عن قوله تعالى الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور الى الظلمات والاخراج يستدعى دخولا سابقا فيما وقع الاخراج منه ونحن نعلم ان المؤمن الناشئ فى الايمان لم يدخل قط فى ظلمة الكفر ولا كان فيها وكذلك الكافر الاصلي لم يدخل قط فى نور الايمان ولا كان فيه ولكن لما كان الايمان والكفر من الافعال الاختيارية التى خلق الله العبد متيسرا لكل واحد منهما متمكنا منه لو اراده فعبر عن تمكن المؤمن من الكفر ثم عدوله عنه الى الايمان اختيارا بالاخراج من الظلمات الى النور توفيقا من الله ولطفا به وبالعكس فى حق الكافر وقد مضى نظير هذا النظر عند قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى وهو من المجاز المعبر فيه عن السبب بالمسبب وفائدة اختياره فى هذه المواضع تحقيق التمكن والاختيار لاقامة حجة الله على عباده والله اعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وما يكون لنا أن نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا (قال ان قلت الله تعالى مقدس عن ان يشاء ردة المؤمنين وعودهم الى الكفر الخ) قال احمد وهذا السؤال كما ترى مفرع على القاعدة الفاسدة فى اعتقاد وجوب رعاية الصلاح والاصلح وهو غير موجه على قاعدة السنة فظاهر الآية هو المعول عليه لا يجوز تاويله ولا تبديله واما استدلال الزمخشرى على صحة تاويله بقوله وسع ربنا كل شئ علما فمن اختيالاته فى التاويلات الباطلة يعضدها ويتبع الشبه ويلفقها وموقع قوله وسع ربنا كل شئ علما الاعتراف بالقصور عن علم العاقبة والاطلاع على الامور الغائبة فان العود الى الكفر جائز فى قدرة الله ان يقع من العبد ولو وقع فبقدرة الله ومشيئته المغيبة عن خلقه فالحذر قائم والخوف لازم ولكن لمن وفقه الله تعالى للعقيدة الصحيحة والايمان السالم والله الموفق ونظيره قول ابراهيم عليه السلام ولا اخاف ما تشركون به الا ان يشاء ربي شيأ وسع ربي كل شئ علما لما رد الامر الى المشيئة وهي مغيبة بحمد الله تعالى

وتبغونها عوجا واذكروا اذ كنتم قليلا فكثركم وانظروا كيف كان عاقبة المفسدين وان كان طائفة منكم آمنوا بالذى أرسلت به وطائفة لم يؤمنوا فاصبروا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك من قريتنا او لتعودن فى ملتنا قال أولو كنا كارهين قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله ربنا

عن دينكم كما كان يفعل قريش بمكة وقيل كانوا يقطعون الطرق وقيل كانوا عشارين (وتبغونها عوجا) وتطلبون لسبيل الله عوجا اى تصفونها للناس بانها سبيل معوجة غير مستقيمة لتصدوهم عن سلوكها والدخول فيها او يكون تهكما بهم وأنهم يطلبون لها ما هو محال لان طريق الحق لا يعوج (واذكروا اذ كنتم قليلا) اذ مفعول به غير ظرف اى واذكروا على جهة الشكر وقت كونكم قليلا عددكم (فكثركم الله) ووفر عددكم قيل ان مدين بن ابراهيم تزوج بنت لوط فولدت فرمى الله فى نسلها بالبركة والنماء فكثروا وفشوا ويجوز اذ كنتم مقلين فقراء فكثركم فجعلكم مكثرين موسرين او كنتم أقلة أذلة فاعزكم بكثرة العدد والعدد (عاقبة المفسدين) آخر امر من أفسد قبلكم من الامم كقوم نوح وهود وصالح ولوط وكانوا اقرب العهد مما أصاب المؤتفكة (فاصبروا) فتربصوا وانتظروا (حتى يحكم الله بيننا) اى بين الفريقين بان ينصر المحقين على المبطلين ويظهرهم عليهم وهذا وعيد للكافرين بانتقام الله منهم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون او هو عظة للمؤمنين وحث على الصبر واحتمال ما كان يلحقهم من أذى المشركين الى ان يحكم الله بينهم وينتقم لهم منهم ويجوز ان يكون خطابا للفريقين اى ليصبر المؤمنون على أذى الكفار وليصبر الكفار على ما يسوءهم من ايمان من آمن منهم حتى يحكم الله فيميز الخبيث من الطيب (وهو خير الحاكمين) لان حكمه حق وعدل لا يخاف فيه الحيف * اى ليكونن احد الامرين اما اخراجكم واما عودكم فى الكفر (فان قلت) كيف خاطبوا شعيبا عليه السلام بالعود فى الكفر فى قولهم (او لتعودن فى ملتنا) وكيف اجابهم بقوله (ان عدنا فى ملتكم بعد اذ أنجانا الله منها وما يكون لنا أن نعود فيها) والانبياء عليهم السلام لا يجوز عليهم من الصغائر الا ما ليس فيه تنفير فضلا عن الكبائر فضلا عن الكفر (قلت) لما قالوا لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك فعطفوا على ضميره الذين دخلوا فى الايمان منهم بعد كفرهم قالوا لتعودن فغلبوا الجماعة على الواحد فجعلوهم عائدين جميعا اجراء للكلام على حكم التغليب وعلى ذلك أجرى شعيب عليه السلام جوابه فقال ان عدنا فى ملتكم بعد اذ نجانا الله منها وهو بريد عود قومه الا أنه نظم نفسه فى جملتهم وان كان بريئا من ذلك اجراء لكلامه على حكم التغليب * (فان قلت) فما معنى قوله وما يكون لنا أن نعود فيها (الا أن يشاء الله) والله تعالى متعال أن يشاء ردة المؤمنين وعودهم فى الكفر (قلت) معناه الا أن يشاء الله خذلاننا

خذلانا ومنعنا الالطاف لعلمه انها لا تنفع فينا وتكون عبثا والعبث قبيح لا يفعله الحكيم والدليل عليه قوله
(وسع ربنا كل شيء علما) اى هو عالم بكل شيء مما كان وما يكون فهو يعلم أحوال عباده كيف تتحول وقلوبهم
كيف تتقلب وكيف تقسو بعد الرقة وتمرض بعد الصحة وترجع الى الكفر بعد الايمان (على الله توكلنا)
فى أن يثبتنا على الايمان ويوفقنا لازدياد الايقان ويجوز ان يكون قوله الا ان يشاء الله حسما لطمعهم فى
العود لان مشيئة الله لعودهم فى الكفر محال خارج عن الحكمة * أولو كنا كارهين الهمزة للاستفهام
والواو واو الحال تقديره اتعيدوننا فى ملتكم فى حال كراهتنا ومع كوننا كارهين وما يكون لنا وما ينبغى لنا وما
يصح لنا (ربنا افتح بيننا) احكم بيننا والفتاحة الحكومة او اظهر أمرنا حتى ينفتح ما بيننا (وبين قومنا)
وينكشف بان تنزل عليهم عذابا يتبين معه انهم على الباطل (وانت خير الفاتحين) كقوله وهو خير الحاكمين
(فان قلت) كيف اسلوب قوله قد افترينا على الله كذبا ان عدنا فى ملتكم (قلت) هو اخبار مقيد بالشرط
وفيه وجهان احدهما ان يكون كلاما مستأنفا فيه معنى التعجب كأنهم قالوا ما اكذبنا على الله ان عدنا
فى الكفر بعد الاسلام لان المرتد أبلغ فى الافتراء من الكافر لان الكافر مفتر على الله الكذب حيث يزعم
ان لله ندا ولا ند له والمرتد مثله فى ذلك وزائد عليه حيث يزعم انه قد تبين له ما خفى عليه من التمييز بين
الحق والباطل والثانى ان يكون قسما على تقدير حذف اللام بمعنى والله لقد افترينا على الله كذبا (وقال
الملأ الذين كفروا من قومه) اى اشرافهم الذين دونهم يثبطونهم عن الايمان (لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا
لخاسرون) لاستبدالكم الضلالة بالهدى كقوله تعالى أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت
تجارتهم وقيل تخسرون باتباعه فوائد البخس والتطفيف لانه ينهاكم عنهما ويحملكم على الايفاء والتسوية
(فان قلت) ما جواب القسم الذى وطأته اللام فى لئن اتبعتم شعيبا وجواب الشرط (قلت) قوله انكم اذا
لخاسرون ساد مسد الجوابين (الذين كذبوا شعيبا) مبتدأ خبره (كان لم يغنوا فيها) وكذلك (كانوا هم
الخاسرين) وفى هذا الابتداء معنى الاختصاص كانه قيل الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون بان اهلكوا
واستؤصلوا كان لم يقيموا فى دارهم لان الذين اتبعوا شعيبا قد انجاهم الله الذين كذبوا شعيبا هم المخصوصون
بالخسران العظيم دون اتباعه فانهم الرابحون وفى هذا الاستئناف والابتداء وهذا التكرير مبالغة فى رد مقالة الملأ
لاشياعهم وتسفيه لرأيهم واستهزاء بنصحهم لقومهم واستعظام لما جرى عليهم * الاسى شدة الحزن قال العجاج
* وانحلبت عيناه من فرط الاسى * اشتد حزنه على قومه ثم انكر على نفسه فقال فكيف يشتد حزنى على قوم
ليسوا باهل للحزن عليهم لكفرهم واستحقاقهم ما نزل بهم ويجوز ان يريد لقد اعذرت اليكم فى الابلاغ
والنصيحة والتحذير مما حل بكم فلم تسمعوا قولى ولم تصدقونى فكيف آسى عليكم يعنى انه لا يأسى عليهم لانهم
ليسوا احقاء بالاسى * وقرأ يحيى بن وثاب فكيف ايسى بكسر الهمزة (الا اخذنا اهلها بالباساء) بالبؤس
والفقر (والضراء) بالضر والمرض لاستكبارهم عن اتباع نبيهم وتعززهم عليه (لعلهم يضرعون) ليتضرعوا
ويتذللوا ويحطوا اردية الكبر والعزة (ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة) اى اعطيناهم بدل ما كانوا فيه من البلاء
والمحنة الرخاء والصحة والسعة كقوله وبلوناهم بالحسنات والسيئات (حتى عفوا) كثروا ونموا فى انفسهم
واموالهم من قولهم عفا النبات وعفا الشحم والوبر اذا كثرت ومنه قوله صلى الله عليه وسلم واعفوا اللحى وقال
الحطيئة * بمستأسد القريان عاف نباته * وقال

ولكنا نعض السيف منها * باسوق عافيات الشحم كوم

(وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) يعنى وأبطرتهم النعمة واشروا فقالوا هذه عادة الدهر يعاقب فى
الناس بين الضراء والسراء وقد مس آباءنا نحو ذلك وما هو بابتلاء من الله لعباده فلم يبق بعد ابتلائهم بالسيئات
والحسنات الا ان ناخذهم بالعذاب (فأخذناهم) اشد الاخذ وافظعه وهو أخذهم فجاءة من غير شعور منهم
* اللام فى القرى اشارة الى القرى التى دل عليها قوله وما ارسلنا فى قرية من نبى كانه قال ولو ان أهل تلك
القرى الذين كذبوا وأهلكوا (آمنوا) بدل كفرهم (واتقوا) المعاصى مكان ارتكابها (لفتحنا عليهم بركات

وسع ربنا كل شيء علما على الله توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين وقال الملأ الذين كفروا من قومه لئن اتبعتم شعيبا انكم اذا لخاسرون فاخذتهم الرجفة فاصبحوا فى دارهم جاثمين الذين كذبوا شعيبا كان لم يغنوا فيها الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد أبلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسي على قوم كافرين وما أرسلنا فى قرية من نبي الا أخذنا أهلها بالبأساء والضراء لعلهم يضرعون ثم بدلنا مكان السيئة الحسنة حتى عفوا وقالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء فاخذناهم بغتة وهم لا يشعرون ولو ان أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات

بالانفراد بعلم الغائبات والله أعلم * عاد كلامه (قال ويجوز ان يكون المراد حسم طمعهم الخ) قال أحمد وهذا من الطراز الاول فالحقه به وسحقا سحقا

* قوله تعالى أولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم (قال ان قلت بم يتعلق قوله ونطبع على قلوبهم الخ) قال أحمد بل يجوز والله عطفه عليه ولا يلزم ان يكون المخاطبون موصوفين بالطبع ولا يضرهم ان كانوا كفارا ومقترفين للذنوب فليس الطبع من لوازم اقتراف الذنب ولا بد اذ الطبع هو التمادي على الكفر والاصرار والغلو في التصميم حتى يكون الموصوف به مايوسا من قبوله للحق ولا يلزم ان يكون كل كافر بهذه المثابة بلى ان الكافر يهدده من تماديه على كفره بان يطبع الله على قلبه فلا يؤمن ابدا وهو مقتضى العطف على اصبناهم فتكون الآية قد هددتهم بامرين احدهما الاصابة ببعض ذنوبهم والآخر الطبع على قلوبهم وهذا الثاني اشد من الاول وهو ايضا نوع من الاصابة بالذنوب او العقوبة عليها ولكنه انكى انواع العذاب وابلغ صنوف العقاب وكثيرا ما يعاقب الله على الذنب بالايقاع في ذنب اكبر منه وعلى الكفر بزيادة التصميم عليه والغلو فيه كما قال تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم كما زادت المؤمنين ايمانا الى ايمانهم وهذا النوع من الثواب والعقاب مناسب لما كان سببا فيه وجزاء عليه فثواب الايمان ايمان وثواب الكفر كفر وانما الزمخشري يحاذر من هذا الوجه دخول الطبع في مشيئة الله تعالى وذلك عنده محال لانه قبيح والله عنه متعال وأبى يتم الفرار من الحق وكم من آية صرحت بوقوع الطبع من الله فضلا عن تعلق المشيئة به

يجيء

من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون افامن أهل القرى ان ياتيهم باسنا بياتا وهم نائمون اوأمن اهل القرى ان ياتيهم باسنا ضحى وهم يلعبون افامنوا مكر الله فلا يامن مكر الله الا القوم الخاسرون اولم يهد للذين يرثون الارض من بعد اهلها ان لو نشاء اصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل

من السماء والأرض) لآتيناهم بالخير من كل وجه وقيل اراد المطر والنبات (ولكن كذبوا فاخذناهم) بسوء كسبهم ويجوز ان تكون اللام في القرى للجنس (فان قلت) مامعنى فتح البركات عليهم (قلت) تيسيرها عليهم كما ييسر أمر الابواب المستغلقة بفتحها ومنه قولهم فتحت على القارئ اذا تعذرت عليه القراءة فيسرتها عليه بالتلقين * البيات يكون بمعنى البيتوتة يقال بات بياتا ومنه قوله تعالى فجاءها باسنا بياتا او هم قائلون وقد يكون بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم يقال بيته العدو بياتا فيجوز ان يراد ان ياتيهم باسنا بائتين أو وقت بيات او مبيتا او مبيتين او يكون بمعنى تبييتا كانه قيل ان يبيتهم باسنا بياتا و(ضحى) نصب على الظرف يقال أتانا ضحى وضحيا وضحاء والضحى في الاصل اسم لضوء الشمس اذا أشرقت وارتفعت * والفاء والواو في أفامن وأوأمن حرفا عطف دخلت عليهما همزة الانكار (فان قلت) ما المعطوف عليه ولم عطفت الاولى بالفاء والثانية بالواو (قلت) المعطوف عليه قوله فاخذناهم بغتة وقوله ولو ان أهل القرى الى يكسبون وقع اعتراضا بين المعطوف والمعطوف عليه وانما عطف بالفاء لان المعنى فعلوا وصنعوا فاخذناهم بغتة ابعد ذلك من أهل القرى ان يأتيهم باسنا بياتا وأمنوا ان ياتيهم باسنا ضحى * وقرئ او أمن على العطف باو (وهم يلعبون) يشتغلون بما لا يجدي عليهم كانهم يلعبون * (فان قلت) فلم رجع فعطف بالفاء قوله افامنوا مكر الله) (قلت) هو تكرير لقوله افامن اهل القرى ومكر الله استعارة لاخذه العبد من حيث لا يشعر ولاستدراجه فعلى العاقل ان يكون في خوفه من مكر الله كالمحارب الذي يخاف من عدوه الكمين والبيات والغيلة وعن الربيع بن خثيم ان ابنته قالت له مالي ارى الناس ينامون ولا اراك تنام فقال يا بنتاه ان اباك يخاف البيات اراد قوله ان ياتيهم باسنا بياتا * اذا قرئ أولم يهد بالياء كان ان لو نشاء مرفوعا بانه فاعله بمعنى اولم يهد للذين يخلفون من خلا قبلهم في ديارهم ويرثون ارضهم هذا الشان وهو انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم كما اصبنا من قبلهم واهلكنا الوارثين كما اهلكنا المورثين واذا قرئ بالنون فهو منصوب كانه قيل اولم يهد الله للوارثين هذا الشان بمعنى اولم نبين لهم انا لو نشاء اصبناهم بذنوبهم) كما اصبنا من قبلهم وانما عدى فعل الهداية باللام لانه بمعنى التبيين (فان قلت) بم تعلق قوله تعالى (ونطبع على قلوبهم) (قلت) فيه اوجه ان يكون معطوفا على مادل عليه معنى اولم يهد كانه قيل يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم او على يرثون الارض او يكون منقطعا بمعنى ونحن نطبع على قلوبهم (فان قلت) هل يجوز ان يكون ونطبع بمعنى وطبعنا كما كان لو نشاء بمعنى لو شئنا ويعطف على اصبناهم (قلت) لا يساعد عليه المعنى لان القوم كان مطبوعا على قلوبهم موصوفين بصفة من قبلهم من اقتراف الذنوب والاصابة بها وهذا التفسير يؤدي الى خلوهم عن هذه الصفة وان الله تعالى لو شاء لاتصفوا بها (تلك القرى نقص عليك من أنبائها) كقوله هذا بعلي شيخا في انه مبتدأ وخبر وحال ويجوز ان يكون القرى صفة لتلك ونقص خبرا وان يكون القرى نقص خبرا بعد خبر (فان قلت) مامعنى تلك القرى حتى يكون كلاما مفيدا (قلت) هو مفيد ولكن بشرط التقييد بالحال كما يفيد بشرط التقييد بالصفة في قولك هو الرجل الكريم (فان قلت) مامعنى الاخبار عن القرى بنقص عليك من انبائها (قلت) معناه ان تلك القرى المذكورة نقص عليك بعض انبائها ولها انباء غيرها لم نقصها عليك (فما كانوا ليؤمنوا) عند مجيء الرسل بالبينات بما كذبوه من آيات الله من قبل

* قوله تعالى اني رسول من رب العالمين حقيق على أن لا أقول على الله الا الحق (قال فيه اربع قراءات المشهورة وحقيق على أن لا أقول الخ) قال احمد القلب يستعمل في اللغة على وجهين احدهما قلب الحقيقة الى المجاز لوجه من المبالغة كقوله

* وتشقى الرياح بالضياطرة الحمر * وكقوله قد صرح السر عن كتمان وابتذلت * وضع المحاجن بالمهرية الدقن

فالحقيقة ان الضياطرة تشقى بالرماح والمهرية تبتذل بالمحاجن فعدل عن ذلك تنبيها على ان الرماح قد تنفصل وتتقصف في أجوافهم فعبر عن ذلك بالشقاء وان المحاجن كثيرا ما ترفع وتوضع وتستعمل في ضرب المهرية وربما تمزقت عن ٣٣٩ ذلك فجعل ذلك ابتذالا لها وقد حام ابو الطيب حول هذا النوع كثيرا في أمثال

كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا أكثرهم لفاسقين ثم بعثنا من بعدهم موسى بآياتنا الى فرعون وملئه فظلموا بها فانظر كيف كان عاقبة المفسدين وقال موسى يافرعون اني رسول من رب العالمين حقيق على ان لا أقول على الله الا الحق قد جئتكم ببينة من ربكم فارسل معي بني اسرائيل قال ان كنت جئت بآية فات بها ان كنت من الصادقين فالقى عصاه فاذا هي

مجيء الرسل اوفما كانوا ليؤمنوا الى آخر اعمارهم بما كذبوا به اولا حين جاءتهم الرسل اى استمروا على التكذيب من لدن مجيء الرسل اليهم الى ان ماتوا مصرين لا يرعون ولا تلين شكيمتهم في كفرهم وعنادهم مع تكرر المواعظ عليهم وتتابع الآيات ومعنى اللام تأكيد النفي وان الايمان كان منافيا لحالهم في التصميم على الكفر وعن مجاهد هو كقوله ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه (كذلك) مثل ذلك الطبع الشديد نطبع على قلوب الكافرين (وما وجدنا لاكثرهم من عهد) الضمير للناس على الاطلاق أي وما وجدنا لاكثر الناس من عهد يعني ان اكثرهم نقض عهد الله وميثاقه في الايمان والتقوى (وان وجدنا) وان الشان والحديث وجدنا أكثرهم فاسقين خارجين عن الطاعة مارقين والآية اعتراض ويجوز ان يرجع الضمير الى الامم المذكورين وأنهم كانوا اذا عاهدوا الله في ضر ومخافة لئن أنجيتنا لنؤمنن ثم نجاهم نكثوا كما قال قوم فرعون لموسى عليه السلام لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك الى قوله اذاهم ينكثون والوجود بمعنى العلم من قولك وجدت زيدا ذا الحفاظ بدليل دخول ان المخففة واللام الفارقة ولا يسوغ ذلك الا في المبتدا والخبر والافعال الداخلة عليهما (من بعدهم) الضمير للرسل في قوله ولقد جاءتهم رسلهم أو للامم (فظلموا بها) فكفروا بآياتنا أجرى الظلم مجرى الكفر لانهما من واد واحد ان الشرك لظلم عظيم أو فظلموا الناس بسببها حين أوعدوهم وصدوهم عنها وآذوا من آمن بها ولانه اذا وجب الايمان بها فكفروا بدل الايمان كان كفرهم بها ظلما فلذلك قيل فظلموا بها أي كفروا بها واضعين الكفر غير موضعه وهو موضع الايمان * يقال لملوك مصر الفراعنة كما يقال لملوك فارس الاكاسرة فكانه قال ياملك مصر وكان اسمه قابوس وقيل الوليد ابن مصعب بن الريان (حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق) فيه اربع قراآت المشهورة وحقيق على أن لا أقول وهي قراءة نافع وحقيق ان لا اقول وهي قراءة عبد الله وحقيق بان لا اقول وهي قراءة ابى وفى المشهورة اشكال ولا تخلو من وجوه احدها ان تكون مما يقلب من الكلام لامن الالباس كقوله

* وتشقى الرماح بالضياطرة الحمر * ومعناه وتشقى الضياطرة بالرماح وحقيق على ان لا اقول وهي قراءة نافع والثاني ان ما لزمك فقد لزمته فلما كان قول الحق حقيقا عليه كان هو حقيقا على قول الحق اى لازماله والثالث ان يضمن حقيق معنى حريص كما ضمن هيجني معنى ذكرني في بيت الكتاب والرابع وهو الاوجه الادخل في نكت القرآن ان يغرق موسى في وصف نفسه بالصدق في ذلك المقام لا سيما وقد روى ان عدو الله فرعون قال له لما قال اني رسول من رب العالمين كذبت فيقول انا حقيق على قول الحق اى واجب على قول الحق ان اكون انا قائله والقائم به ولا يرضى الا بمثلي ناطقا به (فارسل معي بني اسرائيل) فخلهم حتى يذهبوا معي راجعين الى الارض المقدسة التي هي وطنهم ومولد آبائهم وذلك ان يوسف عليه السلام لما توفي وانقرضت الاسباط غلب فرعون نسلهم واستعبدهم فانقذهم الله بموسى عليه السلام وكان بين اليوم الذي دخل يوسف مصر واليوم الذي دخله موسى اربعمائة عام * (فان قلت) كيف قال له (فات بها)

قوله والسيف يشقى كما تشقى الضلوع به * وللسيوف كما للناس آجال والمراد بشقاء السيف انقطاعه في اضلاع المضروب كما صرح بذلك في قوله طوال الردينيات يقصفها دمي * وبيض السريجيات يقطعها لحمي الوجه الثاني قلب معرى عن هذا المعنى البليغ ولذلك لا يستفصح كقولهم خرق الثوب المسمار واشباهه وعلى الوجه الاول الافصح جاءت الآية على هذه القراءة وهو الوجه الرابع من وجوه الزمخشري وفي طيه من المبالغة ما نبهت عليه واما الوجه الثاني وهو ان ما لزمك فقد لزمته ففيه نظر من حيث ان اللزوم قد يكون من احد الطرفين دون الآخر ولزوم موسى عليه السلام لقول الحق من هذا النمط واما الوجه الثالث فلا يلائم بين القراءتين وقد ذكر لها وجه خامس وهو ان يكون على بمعنى الباء ونقل رميت على القوس بمعنى رميت بالقوس وهو وجه حسن يلائم والله اعلم ويشهد له قراءة ابي حقيق بان لا اقول

بعد قوله ان كنت جئت بآية (قلت) معناه ان كنت جئت من عند من أرسلك بآية فأتني بها وأحضرها عندي لتصح دعواك و يثبت صدقك (ثعبان مبين) ظاهر أمره لا يشك في أنه ثعبان وروى أنه كان ثعبانا ذكرا أشعر فاغرا فاه بين لحييه ثمانون ذراعا وضع لحيه الاسفل في الارض ولحيه الاعلى على سور القصر ثم توجه نحو فرعون ليأخذه فوثب فرعون من سريره وهرب وأحدث ولم يكن أحدث قبل ذلك وهرب الناس وصاحوا وحمل على الناس فانهزموا فمات منهم خمسة وعشرون ألفا قتل بعضهم بعضا ودخل فرعون البيت وصاح ياموسى خذه وأنا أومن بك وأرسل معك بني اسرائيل فاخذه موسى فعاد عصى * (فان قلت) بم يتعلق (للناظرين) (قلت) يتعلق ببيضاء والمعنى فاذا هي بيضاء للنظارة ولا تكون بيضاء للنظارة الا اذا كان بياضها بياضا عجيبا خارجا عن العادة يجتمع الناس للنظر اليه كما تجتمع النظارة للعجائب وذلك ما يروى أنه أرى فرعون يده وقال ما هذه قال يدك ثم أدخلها جيبه وعليه مدرعة صوف ونزعها فاذا هي بيضاء بياضا نورانيا غلب شعاعها شعاع الشمس وكان موسى عليه السلام آدم شديد الادمة (ان هذا لساحر عليم) أي عالم بالسحر ماهر فيه قد أخذ عيون الناس بخدعة من خدعه حتى خيل اليهم العصى حية والآدم أبيض (فان قلت) قد عزى هذا الكلام الى فرعون في سورة الشعراء وأنه قاله للملا وعزى ههنا اليهم (قلت) قد قاله هو وقالوه هم فحكي قوله ثم وقولهم ههنا او قاله ابتداء فتلقنه منه الملا فقالوا لاعقابهم او قالوه عنه للناس على طريق التبليغ كما يفعل الملوك يرى الواحد منهم الرأى فيكلم به من يليه من الخاصة ثم تبلغه الخاصة العامة والدليل عليه انهم اجابوا في قولهم (ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم) وقرئ سحار اى يأتوك بكل ساحر مثله في العلم والمهارة او بخير منه وكانت هذه مؤامرة مع القبط وقولهم فماذا تأمرون من أمرته فأمرني بكذا اذا شاورته فأشار عليك برأي وقيل فماذا تأمرون من كلام فرعون قاله للملا لما قالوا له ان هذا الساحر عليم يريد ان يخرجكم كأنه قيل فماذا تأمرون قالوا ارجئه واخاه ومعنى ارجئه واخاه اخرهما واصدرهما عنك حتى ترى رأيك فيهما وتدبر أمرهما وقيل احبسهما وقرئ ارجئه بالهمزة وارجه من ارجاه وارجاه * (فان قلت) هلا قيل وجاء السحرة فرعون فقالوا (قلت) هو على تقدير سائل سأل ما قالوا اذ جاؤه فاجيب بقوله (قالوا ائن لنا لاجرا) اى جعلا على الغلبة وقرئ ان لنا الاجرا على الاخبار واثبات الاجر العظيم وايجابه كأنهم قالوا لا بد لنا من اجر والتنكير للتعظيم كقول العرب ان له لابلا وان له لغنما يقصدون الكثرة * (فان قلت) (وانكم لمن المقربين) ما الذي عطف عليه (قلت) هو معطوف على محذوف سد مسده حرف الايجاب كأنه قال ايجابا لقولهم ان لنا لاجرا نعم ان لكم لاجرا وانكم لمن المقربين اراد اني لا اقتصر بكم على الثواب وحده وان لكم مع الثواب ما يقل معه الثواب وهو التقريب والتعظيم لان المثاب انما يتهنأ بما يصل اليه و يغتبط به اذا نال معه الكرامة والرفعة وروى انه قال لهم تكونون اول من يدخل وآخر من يخرج وروى انه دعا برؤساء السحرة ومعلميهم فقال لهم ما صنعتم قالوا قد عملنا سحرا لا يطيقه سحرة اهل الارض الا ان يكون امر من السماء فانه لا طاقة لنا به وروى انهم كانوا ثمانين الفا وقيل سبعين الفا وقيل بضعة وثلاثين الفا واختلفت الروايات فمن مقل ومن مكثر وقيل كان يعلمهم مجوسيان من اهل نينوى وقيل قال فرعون لا نغالب موسى الا بما هو منه يعني السحر * تخييرهم اياه ادب حسن راعوه معه كما يفعل اهل الصناعات اذا التقوا كالمتناظرين قبل ان يتخاوضوا في الجدال والمتصارعين قبل ان يتآخذوا للصراع وقولهم (واما ان نكون نحن الملقين) فيه ما يدل على رغبتهم في ان يلقوا قبله من تأكيد ضميرهم المتصل بالمنفصل وتعريف الخبر او تعريف الخبر واقحام الفصل وقد سوغ لهم موسى ما تراغبوا فيه ازدراء لشأنهم وقلة مبالاة بهم وثقة بما كان بصدده من التأييد السماوي وان المعجزة لن يغلبها سحر ابدا (سحروا اعين الناس) اروها بالحيل والشعوذة وخيلوا اليها ما الحقيقة بخلافه كقوله تعالى يخيل اليه من سحرهم انها تسعى وروى

ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم فماذا تأمرون قالوا ارجه واخاه وارسل في المدائن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجاء السحرة فرعون قالوا ان لنا لاجرا ان كنا نحن الغالبين قال نعم وانكم لمن المقربين قالوا ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين قال القوا فلما القوا سحروا اعين الناس

* قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم (قال معناه أروها بالحيل والشعوذة قائم) قال أحمد معتقد المعتزلة انكار وجود السحر والشياطين والجن في خبط طويل لهم ومعتقد اهل السنة اقرارها لظواهر على ماهي عليه لان العقل لا يحيل وجود ذلك وقد ورد السمع بوقوعه فوجب الاقرار بوجوده ولا يمنع عند اهل السنة ان يرقى الساحر في الهواء ويستدق فيتولج في الكوة الضيقة ولا يمتنع ان يفعل الله عند ارشاد الساحر ما يستأثر الاقتدار عليه وذلك واقع بقدرة الله تعالى عند ارشاد الساحر هذا هو الحق والمعتقد الصدق وانما اجريت هذا الفصل لان كلام الزمخشري لا يخلو من رمز الى انكاره الا ان هذا النص القاطع بوقوعه يلجمه عن التصريح انهم بالدفاع وكشف القناع ولا يدعه التصميم على اعتقاد المعتزلة من التنفيس عما في نفسه فيسميه شعوذة وحيلة و بالقطع يعلم ان الشعوذة والحيلة

انهم الفوا حبالا غلاظا وخشبا طوالا فاذا هي امثال الحيات قد ملات الارض وركب بعضها بعضا (واسترهبوهم) وأرهبوهم ارهابا شديدا كانهم استدعوا رهبتهم (بسحر عظيم) في باب السحر روي انهم لونوا حبالهم وخشبهم وجعلوا فيها مايوهم الحركة قيل جعلوا فيها الزئبق (ما يافكون) ما موصولة اومصدرية بمعنى مايافكونه أي يقلبونه عن الحق الى الباطل ويزورونه اوافكهم تسمية للمافوك بالافك روى انها لما تلقفت ملء الوادى من الخشب والحبال ورفعها موسى فرجعت عصي كما كانت واعدم الله بقدرته تلك الاجرام العظيمة اوفرقها اجراء لطيفة قالت السحرة لوكان هذا سحرا لبقيت حبالنا وعصينا (فوقع الحق) فحصل وثبت ومن بدع التفاسير فوقع قلوبهم اى فاثر فيها من قولهم قاس وقيع (وانقلبوا صاغرين) وصاروا أذلاء مبهوتين (والقى السحرة) وخروا سجدا كانما القاهم ملق لشدة خرورهم وقيل لم يتمالكوا مما رأوا فكانهم القوا عن قتادة كانوا اول النهار كفارا سحرة وفى آخره شهداء بررة وعن الحسن تراه ولد فى الاسلام ونشا بين المسلمين يبيع دينه بكذا وكذا وهؤلاء كفار نشؤا فى الكفر بذلوا أنفسهم لله (آمنتم به) على الاخبار اى فعلتم هذا الفعل الشنيع توبيخا لهم وتقريعا وقرئ أآمنتم بحرف الاستفهام ومعناه الانكار والاستبعاد (ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة) ان صنعكم هذه لحيلة احتلتموها أنتم وموسى فى مصر قبل ان تخرجوا منها الى هذه الصحراء قد تواطأتم على ذلك لغرض لكم وهو ان تخرجوا منها القبط وتسكنوها بنى اسرائيل وكان هذا الكلام من فرعون تمويها على الناس لئلا يتبعوا السحرة فى الايمان وروى ان موسى عليه السلام قال للساحر الاكبر اتؤمن بي ان غلبتك قال لآتين بسحر لا يغلبه سحر وان غلبتني لاومنن بك وفرعون يسمع فلذلك قال ماقال (فسوف تعلمون) وعيد اجمله ثم فصله بقوله (لاقطعن) وقرئ لاقطعن بالتخفيف وكذلك ثم لاصلبنكم (من خلاف) من كل شق طرفا وقيل ان اول من قطع من خلاف وصلب لفرعون (انا الى ربنا منقلبون) فيه اوجه ان يريدوا انا لانبالى بالموت لانقلابنا الى لقاء ربنا ورحمته وخلاصنا منك ومن لقائك او ننقلب الى الله يوم الجزاء فيثيبنا على شدائد القطع والصلب وانا جميعا يعنون انفسهم وفرعون ننقلب الى الله فيحكم بيننا او انا لامحالة ميتون منقلبون الى الله فما تقدر ان تفعل بنا الا ما لابد لنا منه (وما تنقم منا الا ان آمنا) وما تعيب منا الا الايمان بآيات الله ارادوا وما تعيب منا الا ما هو اصل المناقب والمفاخر كلها وهو الايمان ومنه قوله * ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم * (افرغ علينا صبرا) هب لنا صبرا واسعا وأكثره علينا حتى يفيض علينا ويغمرنا كما يفرغ الماء فراغا وعن بعض السلف ان احدكم ليفرغ على اخيه ذنوبا ثم يقول قد مازحتك اى يغمره بالحياء والخجل اوصب علينا مايطهرنا من اوضار الآثام وهو الصبر على ماتوعدنا به فرعون لانهم علموا انهم اذا استقاموا وصبروا كان ذلك مطهرة لهم (وتوفنا مسلمين) ثابتين على الاسلام (ويذرك) عطف على يفسدوا لانه اذا تركهم ولم يمنعهم وكان ذلك مؤديا الى ما دعوه فسادا والى تركه وترك آلهته فكانه تركهم لذلك اوهو جواب الاستفهام بالواو كما يجاب بالفاء نحو قول الحطيئة

ألم أك جاركم ويكون بيني * وبينكم المودة والاخاء

والنصب باضمار ان تقديره أيكون منك ترك موسى ويكون تركه اياك وآلهتك وقرىء ويذرك وآلهتك بالرفع عطفا على أتذر موسى بمعنى أتذره وأيذرك يعنى تطلق له ذلك أو يكون مستانفا اوحالا على معنى اتذره وهو يذرك وآلهتك وقرأ الحسن ويذرك بالجزم كانه قيل يفسدوا كما قرئ وأكن من الصالحين كانه قيل اصدق وقرأ أنس رضى الله عنه ونذرك بالنون والنصب اى يصرفنا عن عبادتك فنذرها وقرئ ويذرك والاهتك اى عبادتك وروي انهم قالوا له ذلك لانه وافق السحرة على الايمان ستمائة الف نفس فارادوا بالفساد فى الارض ذلك وخافوا ان يغلبوا على الملك وقيل صنع فرعون لقومه اصناما وأمرهم ان يعبدوها تقربا اليه كما يعبد عبدة الاصنام الاصنام ويقولون ليقربونا الى الله زلفى ولذلك قال أنا ربكم الاعلى (سنقتل ابناءهم) يعني سنعيد عليهم ما كانوا محناهم به من قتل الابناء ليعلموا انا على ما كنا عليه من الغلبة والقهر وانهم مقهورون تحت ايدينا كما كانوا وان غلبة موسى لا أثر لها فى ملكنا واستيلائنا ولئلا يتوهم العامة انه هو المولود الذى أخبر

واسترهبوهم وجاؤا بسحر عظيم واوحينا الى موسى ان الق عصاك فاذا هي تلقف مايافكون فوقع الحق وبطل ما كانوا يعملون فغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين والقي السحرة ساجدين قالوا آمنا برب العالمين رب موسى وهارون قال فرعون آمنتم به قبل ان آذن لكم ان هذا لمكر مكرتموه فى المدينة لتخرجوا منها أهلها فسوف تعلمون لاقطعن ايديكم وارجلكم من خلاف ثم لاصلبنكم أجمعين قالوا انا الى ربنا منقلبون وما تنقم منا الا ان آمنا بآيات ربنا لما جاءتنا ربنا أفرغ علينا صبرا وتوفنا مسلمين وقال الملا من قوم فرعون اتذر موسي وقومه ليفسدوا في الارض ويذرك وآلهتك قال سنقتل ابناءهم ونستحيي نساءهم وانا فوقهم قاهرون

لا تسلم فى يد ابن عمر رضي الله عنه حتي بكوعها ولا تؤثر فى سيد البشر حتي يخيل اليه انه ياتى نساءه وهو لا ياتيهن وقد ورد ذلك وأمثاله مستفيضا وانما فالعمدة ان كل واقع فبقدرة الله تعالى فلا يمتنع ان يوقع تعالى بقدرته عند ارشاد الساحر أعاجيب يضل بها من يشاء ويهدى من يشاء والله الموفق

* قوله تعالى ولقد أخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون الى قوله يعلمون (قال فيه معنى لعلهم يذكرون يتنبهون لان ذلك كان لاصرارهم الخ) قال أحمد دلت اللام على دعواهم استحقاق الحسنة وأما دعوى اختصاصها بهم حتى لا يشركهم فيها أحد فدل عليه تقديم الخبر الذى هو لنا وقد علمت طريقة المصنف فى اسناده الحصر من تقديم ما حقه أن يؤخر كالمفعول والخبر ونحوه * عاد كلامه (قال فان قلت كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة الخ) قال أحمد وقد ورد وان تصبهم حسنة يقولوا هذه من عند الله وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك فلم يراع فرق ما بينهما ولعل بين سياق الآيتين اختلافا اوجب فى كل واحد منهما ماذكر فيه *قوله تعالى وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين (قال مهما هي ما المتضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء الخ) قال احمد والذى عده اولا من ما كلام سيبويه وسنذكره قال سيبويه وسألت الخليل عن مهما فقال هي ما ادخلت معها ما لغوا بمنزلتها مع متى اذا قلت متى ما تأتني آتك انتهى كلام سيبويه وكان هذا القائل والله اعلم اغتر بتشبيه الخليل لها بمتى ما فظنها فى معناها وانما شبه الخليل بالثانية من مهما فى لحاقها زائدة

قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين قالوا اوذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم ان يهلك عدوكم ويستخلفكم فى الارض فينظر كيف تعملون ولقد اخذنا آل فرعون بالسنين ونقص من الثمرات لعلهم يذكرون فاذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه الا انما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون وقالوا مهما تأتنا به

المنجمون والكهنة بذهاب ملكنا على يده فيثبطهم ذلك عن طاعتنا ويدعوهم الى اتباعه وانه منتظر بعد (قال موسى لقومه استعينوا بالله) قال لهم ذلك حين قال فرعون سنقتل أبناءهم فجزعوا منه وتضجروا يسكنهم ويسليهم ويعدهم النصرة عليهم ويذكر لهم ما وعد الله بني اسرائيل من اهلاك القبط وتوريثهم أرضهم وديارهم (فان قلت) لم أخليت هذه الجملة عن الواو وأدخلت على التى قبلها (قلت) هي جملة مبتدأة مستأنفة وأما وقال الملأ فمعطوفة على ما سبقها من قوله قال الملأ من قوم فرعون * وقوله (ان الارض لله) يجوز أن تكون اللام للعهد ويراد أرض مصر خاصة كقوله وأورثنا الارض وأن تكون للجنس فيتناول أرض مصر لانها من جنس الارض كما قال ضمرة انما المرء بأصغريه فاراد بالمرء الجنس وغرضه أن يتناوله تناولا أوليا (والعاقبة للمتقين) بشارة بان الخاتمة المحمودة للمتقين منهم ومن القبط وأن المشيئة متناولة لهم وقرأ والعاقبة للمتقين بالنصب ابي وابن مسعود عطفا على الارض (اوذينا من قبل ان تأتينا ومن بعد ما جئتنا) يعنون قتل ابنائهم قبل مولد موسى عليه السلام الى ان استنبئ واعادته عليهم بعد ذلك وما كانوا يستعبدون به ويمتهنون فيه من انواع الخدم والمهن ويمسون به من العذاب (عسى ربكم ان يهلك عدوكم) تصريح بما رمز اليه من البشارة قبل وكشف عنه وهو اهلاك فرعون واستخلافهم بعده فى أرض مصر (فينظر كيف تعملون) فيرى الكائن منكم من العمل حسنه وقبيحه وشكر النعمة وكفرانها ليجازيكم على حسب ما يوجد منكم وعن عمرو ابن عبيد رحمه الله انه دخل على المنصور قبل الخلافة وعلى مائدته رغيف او رغيفان فطلب زيادة لعمرو فلم توجد فقرأ عمرو هذه الآية ثم دخل عليه بعد ما استخلف فذكر له ذلك وقال قد بقي فينظر كيف تعملون (بالسنين) بسني القحط والسنة من الاسماء الغالبة كالدابة والنجم ونحو ذلك وقد اشتقوا منها فقالوا أسنت القوم بمعنى اقحطوا وقال ابن عباس رضى الله عنه اما السنون فكانت لباديتهم واهل مواشيهم واما نقص الثمرات فكان فى امصارهم وعن كعب يأتى على الناس زمان لا تحمل النخلة الا ثمرة (لعلهم يذكرون) فيتنبهوا على ان ذلك لاصرارهم على الكفر وتكذيبهم لآيات الله ولان الناس فى حال الشدة اضرع خدودا والين اعطافا وارق افئدة وقيل عاش فرعون اربعمائة سنة ولم ير مكروها فى ثلثمائة وعشرين سنة ولو اصابه فى تلك المدة وجع اوجوع اوحمى لما ادعى الربوبية (فاذا جاءتهم الحسنة) من الخصب والرخاء (قالوا لنا هذه) اى هذه مختصة بنا ونحن مستحقوها ولم نزل فى النعمة والرفاهية واللام مثلها فى قولك الجل للفرس (وان تصبهم سيئة) من ضيقة وجدب (يطيروا بموسى ومن معه) يتطيروا بهم ويتشاءموا ويقولوا هذه بشؤمهم ولولا مكانهم لما اصابتنا كما قالت الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذه من عندك (فان قلت) كيف قيل فاذا جاءتهم الحسنة باذا وتعريف الحسنة وان تصبهم سيئة بان وتنكير السيئة (قلت) لان جنس الحسنة وقوعه كالواجب لكثرته واتساعه واما السيئة فلا تقع الا فى الندرة ولا يقع الا شيء منها ومنه قول بعضهم قد عددت ايام البلاء فهل عددت ايام الرخاء (طائرهم عند الله) اى سبب خيرهم وشرهم عند الله وهو حكمه ومشيئته والله هو الذى يشاء ما يصيبهم من الحسنة والسيئة وليس شؤم احد ولا يمنه بسبب فيه كقوله تعالى قل كل من عند الله ويجوز ان يكون معناه الا انما سبب شؤمهم عند الله وهو عملهم المكتوب عنده الذى يجرى عليهم ما يسوءهم لاجله ويعاقبون له بعد موتهم بما وعدهم الله فى قوله سبحانه النار يعرضون عليها الآية ولا طائر اشأم من هذا وقرأ الحسن انما طيركم عند الله وهو اسم لجمع طائر غير تكسير ونظيره التجر والركب وعند ابي الحسن هو تكسير (مهما) هي ما المتضمنة معنى الجزاء ضمت اليها ما المزيدة المؤكدة للجزاء فى قولك متى

مؤكدة للاولى بما الاخرة التي عاد كلام سيبويه قال ولكنهم استقبحوا تكرير لفظ واحد فا بدلوا الهاء من الالف التي في الاولى انتهى نقله عن الخليل قال سيبويه ويجوز ان تكون كاذ ضمت اليها ما انتهى كلامه * قال أحمد ومعنى تشبيه سيبويه لها باذ ما ان الجزاء بجملة الكلمة لا بالجزء الاول منها خاصة والالكان عين مذهب الخليل والذي يحقق ذلك أن سيبويه قال اول هذا الباب واما حيث واذ فلا يجازى بهما حتى يضم اليهما ما فتصير اذ مع ما بمنزلة انما وكانما وليست ما فيهما بلغو ولكن كل واحدة منهما مع ما بمنزلة حرف واحد فانظر قوله وليست ما فيهما بلغو يعني ليست زائدة مؤكدة ولكن لها حظ في اقتضاء الجزاء حتى لا يفيده الا اجتماع جزئى الكلمة ويبقى وراء ذلك نظر في أن سيبويه هل أراد ان ما ضمت الى مه التي هي الصوت اوالى ما الجزائية والظاهر من مراده ان انضمامها الى الصوت لانها لو كانت منضمة الى ما الجزائية لكانت مستقلة بافادة الجزاء قبل انضمام ما اليها ولا تكون مثل اذ وحيث ولا يكون تنظير سيبويه مطابقا وهذا الذى فهمه ابن طاهر وتبعه فيه تلميذه ابن خروف وعزا ابن خروف هذا المذهب الى سيبويه ورد قول ابن

من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم

بابشاذ ان هذا المذهب للخليل خاصة وقد تواطا ابن بابشاذ والزمخشرى على نفى هذا المذهب عن سيبويه واعزائه الى غيره وأظهر ماقوى به مذهب الخليل والله أعلم ان هذه الكلمة استعملت في الاستفهام حسب استعمالها في الجزاء وانشدوا

مهمالى الليلة مهماليه * اودى بنعلى وسر باليه

ارادما لى الليلة ولا اشكال ههنا انها ما الاستفهامية كررت تاكيدا كما يقولون لا لا ونعم نعم ثم استكره تكرار اللفظ بعينه فقلبت الف الاولى هاء وقد جاء قلب الاستفهامية وان لم يكن تكرار فهو لمه اجدر واذا وضح ان مهما الواقعة في الاستفهام اصلها ما مكررة كان ذلك اوضح دليل على ان الواقعة في الجزاء كذلك والاستشهاد بالنظائر اميز حجج العربية والله اعلم واما ارد الزمخشرى على من زعم انها بمعنى متى ما فرد صحيح والآية اصدق شاهد على رده فان الضمير المجرور فيها عائد الى مهما حتما وقد اتصل به مفسر الله قوله من آية دل ان الضمير واقع على الآية فلزم وقوع مهما عليها ضرورة اتحاد المرجع في المضمر ومظهره فذهاب هذا القائل الى ايقاع مهما على الوقت زاعما انها بمعنى متى ما ذهاب عن الصواب وعذر الزمخشرى واضح في الرد على تسجيله واغلاظ النكير عليه ونفوذ سهام التشنيع اليه فتامل هذا الفصل ففيه انارة للسبيل وشفاء للغليل والله الموفق

ما تخرج أخرج أينما تكونوا يدرككم الموت فما نذهبن بك الا ان الالف قلبت هاء استثقالا لتكرير المتجانسين وهو المذهب السديد البصرى ومن الناس من زعم أن مه هى الصوت الذى يصوت به الكاف وما للجزاء كانه قيل كف ما تاتنا به (من آية لتسحرنا بها فما نحن ذلك بمؤمنين) (فان قلت) ما محل مهما (قلت) الرفع بمعنى ايما شيء تاتنا به اوالنصب بمعنى ايما شيء تحضرنا تاتنا به ومن آية تبيين لمهما والضميران في به وبها راجعان الى مهما الا ان احدهما ذكر على اللفظ والثاني انث على المعنى لانه في معنى الآية ونحوه قول زهير

ومهما يكن عند امرئ من خليقة * وان خالها تخفى على الناس تعلم

وهذه الكلمة فى عداد الكلمات التى يحرفها من لا يد له فى علم العربية فيضعها غير موضعها ويحسب مهما بمعنى متى ما ويقول مهما جئتنى اعطيتك وهذا من وضعه وليس من كلام واضع العربية فى شيء ثم يذهب فيفسر مهما تاتنا به من آية بمعنى الوقت فيلحد فى آيات الله وهو لا يشعر وهذا وامثاله مما يوجب الجثو بين يدى الناظر فى كتاب سيبويه (فان قلت) كيف سموها آية ثم قالوا لتسحرنا بها (قلت) ما سموها آية لاعتقادهم انها آية وانما سموها اعتبار التسمية موسى وقصدوا بذلك الاستهزاء والتلهى (الطوفان) ما طاف بهم وغلبهم من مطر او سيل قيل طغى الماء فوق حروثهم وذلك انهم مطروا ثمانية ايام فى ظلمة شديدة لا يرون شمسا ولا قمرا ولا يقدر احدهم ان يخرج من داره وقيل ارسل الله عليهم السماء حتى كادوا يهلكون وبيوت بنى اسرائيل وبيوت القبط مشتبكة فامتلات بيوت القبط ماء حتى قاموا في الماء الى تراقيهم فمن جلس غرق ولم تدخل بيوت بنى اسرائيل قطرة وفاض الماء على وجه ارضهم وركد فمنعهم من الحرث والبناء والتصرف ودام عليهم سبعة ايام وعن ابي قلابة الطوفان الجدرى وهو اول عذاب وقع فيهم فبقى فى الارض وقيل هو الموتان وقيل الطاعون فقالوا لموسى ادع لنا ربك يكشف عنا ونحن نؤمن بك فدعا فرفع عنهم فما آمنوا فنبتت لهم تلك السنة من الكلأ والزرع ما لم يعهد بمثله فاقاموا شهرا فبعث الله عليهم الجراد فاكلت عامة زروعهم وثمارهم ثم اكلت كل شيء حتى الابواب وسقوف البيوت والثياب ولم يدخل بيوت بنى اسرائيل منها شيء ففزعوا الى موسي ووعدوا التوبة فكشف عنهم بعد سبعة ايام خرج موسي عليه السلام الى الفضاء فاشار بعصاه نحو المشرق والمغرب فرجع الجراد الى النواحي التي جاء منها فقالوا ما نحن بتاركى ديننا فاقاموا شهرا فسلط الله عليهم القمل وهو الحمنان فى قول ابى عبيدة كبار القردان وقيل الدبا وهو اولاد الجراد قبل نبات اجنحتها وقيل البراغيث وعن سعيد بن جبير السوس فاكل ما ابقاه الجراد ولحس الارض وكان يدخل بين ثوب احدهم وبين جلده فيمصه وكان يا كل احدهم طعاما فيمتلئ قملا وكان يخرج احدهم عشرة اجربة الى الرحي فلا يرد منها الا يسيرا وعن سعيد بن جبير انه كان الى جنبهم كثيب اعفر فضربه موسى بعصاه فصار قملا

فاخذت فى ابشارهم واشعارهم واشفار عيونهم وحواجبهم ولزم جلودهم كانه الجدرى فصاحوا وصرخوا وفزعوا الى موسى فرفع عنهم فقالوا قد تحققنا الآن انك ساحر وعزة فرعون لا نصدقك ابدا فارسل الله عليهم بعد شهر الضفادع فدخلت بيوتهم وامتلأت منها آنيتهم واطعمتهم ولا يكشف احد شيء من ثوب ولا طعام ولا شراب الا وجد فيه الضفادع وكان الرجل اذا اراد ان يتكلم وثبت الضفدع الى فيه وكانت تمتلئ منها مضاجعهم فلا يقدرون على الرقاد وكانت تقذف بانفسها فى القدور وهي تغلى وفى التنانير وهي تفور فشكوا الى موسى وقالوا ارحمنا هذه المرة فما بقى الا ان نتوب التوبة النصوح ولا نعود فاخذ عليهم العهود ودعا فكشف الله عنهم ثم نقضوا العهد فارسل الله عليهم الدم فصارت مياههم دما فشكوا الى فرعون فقال انه سحركم فكان يجمع بين القبطى والاسرائيلى على اناء واحد فيكون مايلى الاسرائيلى ماء ومايلى القبطى دما و يستقيان من ماء واحد فيخرج للقبطى الدم وللاسرائيلى الماء حتى ان المرأة القبطية تقول لجارتها الاسرائيلية اجعلى الماء فى فيك ثم مجيه فى فى فيصير الماء فى فيها دما وعطش فرعون حتى اشفى على الهلاك فكان يمص الاشجار الرطبة فاذا مضغها صار ماؤها الطيب ملحا أجاجا وعن سعيد بن المسيب سال عليهم النيل دما وقيل سلط الله عليهم الرعاف وروى ان موسى عليه السلام مكث فيهم بعد ماغلب السحرة عشرين سنة يريهم هذه الآيات وروى انه لما اراهم اليد والعصا ونقص النفوس والثمرات قال يارب ان عبدك هذا قد علا فى الارض فخذه بعقوبة تجعلها له ولقومه نقمة ولقومى عظة ولمن بعدى آية فحينئذ بعث الله عليهم الطوفان ثم الجراد ثم ما بعده من النقم * وقرأ الحسن والقمل بفتح القاف وسكون الميم يريد القمل المعروف (آيات مفصلات) نصب على الحال ومعنى مفصلات مبينات ظاهرات لا يشكل على عاقل أنها من آيات الله التى لا يقدر عليها غيره وانها عبرة لهم ونقمة على كفرهم او فصل بين بعضها وبعض بزمان تمتحن فيه احوالهم وينظر ايستقيمون على ما وعدوا من انفسهم ام ينكثون الزاما للحجة عليهم (بما عهد عندك) ما مصدرية والمعنى بعهده عندك وهو النبوة والباء اما ان تتعلق بقوله ادع لنا ربك على وجهين احدهما اسعفنا الى ما نطلب اليك من الدعاء لنا بحق ما عندك من عهد الله وكرامته بالنبوة او ادع الله لنا متوسلا اليه بعهده عندك واما ان يكون قسما مجابا بلنؤمنن اى اقسمنا بعهد الله عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (الى اجل هم بالغوه) الى حد من الزمان هم بالغوه لا محالة فمعذبون فيه لا ينفعهم ما تقدم لهم من الامهال وكشف العذاب الى حلوله (اذاهم ينكثون) جواب لما يعنى فلما كشفنا عنهم فاجؤا النكث وبادروا ولم يؤخروه ولكن كما كشف عنهم نكثوا (فانتقمنا منهم) فاردنا الانتقام منهم (فاغرقناهم) * واليم البحر الذى لا يدرك قعره وقيل هو لجة البحر ومعظم مائه واشتقاقه من التيمم لان المستنفعين به يقصدونه (بانهم كذبوا باياتنا) اى كان اغراقهم بسبب تكذيبهم بالآيات وغفلتهم عنها وقلة فكرهم فيها (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو اسرائيل كان يستضعفهم فرعون وقومه * والارض ارض مصر والشام ملكها بنو اسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة وتصرفوا كيف شاؤا فى اطرافها ونواحيها الشرقية والغربية (باركنا فيها) بالخصب وسعة الارزاق (كلمت ربك الحسنى) قوله ونريد ان نمن على الذين استضعفوا فى الارض الى قوله ما كانوا يحذرون والحسنى تأنيث الاحسن صفة للكلمة ومعنى تمت على بنى اسرائيل مضت عليهم واستمرت من قولك تم على الامر اذا مضى عليه (بما صبروا) بسبب صبرهم وحسبك به حاثا على الصبر ودالا على ان من قابل البلاء بالجزع وكله الله اليه ومن قابله بالصبر وانتظار النصر ضمن الله له الفرج وعن الحسن عجبت ممن خف كيف خف وقد سمع قوله وتلا الآية ومعنى خف طاش جزعا وقلة صبر ولم يرزن رزانة اولى الصبر * وقرأ عاصم فى رواية وتمت كلمات ربك الحسنى ونظيره من آيات ربه الكبرى (ما كان يصنع فرعون وقومه) ما كانوا يعملون ويسوون من العمارات وبناء القصور (وما كانوا يعرشون) من الجنات وهو الذى انشأ جنات معروشات او وما كانوا يرفعون من الابنية المشيدة فى السماء كصرح هامان وغيره وقرئ يعرشون بالكسر والضم وذكر اليزيدى ان الكسر افصح وبلغنى انه قرأ بعض الناس يغرسون من غرس الاشجار وما احسبه الا تصحيفا منه

آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين ولما وقع عليهم الرجز قالوا يا موسى ادع لنا ربك بما عهد عندك لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك ولنرسلن معك بنى اسرائيل فلما كشفنا عنهم الرجز الى اجل هم بالغوه اذا هم ينكثون فانتقمنا منهم فاغرقناهم فى اليم بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين واورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها التى باركنا فيها وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى اسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وما كانوا يعرشون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر

* قوله تعالى ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه الآية (قال معناه كلمه بغير واسطة الخ) قال أحمد وهذا تصريح منه بخلق الكلام كما هو معتقد المعتزلة والذي يخص هذه الآية من وجوه الرد عليه انها سيقت مساق الامتنان على موسى باصطفاء الله له وتخصيصه اياه بتكليمه وكذلك قال تعالى بعد آيات منها انى اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين فلو كان تكليم الله بمعنى خلق الحروف والاصوات فى بعض الاجرام واستماع موسى لذلك لكان كل أحد يساوي موسى عليه السلام فى ذلك بل كان آحاد اصحاب النبي عليه الصلاة والسلام آثر بهذه المزية واحق بالخصوصية من موسى عليه السلام لانهم سمعوا الكلام على الوجه المذكور من افضل الاجرام وازكاها خلقا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت مزيتهم اظهر وخصوصيتهم اوفر ونحن نعلم

* وهذا آخر ما اختص الله من نبا فرعون والقبط وتكذيبهم بآيات الله وظلمهم ومعاصيهم ثم اتبعه اقتصاص نبا بني اسرائيل وما احدثوا بعد انقاذهم من ملكة فرعون واستعباده ومعاينتهم الآيات العظام ومجاوزتهم البحر من عبادة البقر وطلب رؤية الله جهرة وغير ذلك من انواع الكفر والمعاصي ليعلم حال الانسان وانه كما وصفه ظلوم كفار جهول كنود الا من عصمه الله وقليل من عبادي الشكور وليسلي رسول الله صلى الله عليه وسلم مما رأى من بني اسرائيل بالمدينة وروى انه عبر بهم موسى يوم عاشوراء بعد ما أهلك الله تعالى فرعون وقومه فصاموه شكرا لله تعالى (فاتوا على قوم) فمروا عليهم (يعكفون على اصنام لهم) يواظبون على عبادتها ويلازمونها قال ابن جريج كانت تماثيل بقر وذلك اول شان العجل وقيل كانوا قوما من لخم وقيل كانوا من الكنعانيين الذين أمر موسى عليه السلام بقتالهم * وقرىء وجوزنا بمعنى اجزنا يقال اجاز المكان وجوزه وجاوزه بمعنى جازه كقولك اعلاه وعلاه وعالاه * وقرىء يعكفون بضم الكاف وكسرها (اجعل لنا الها) صنما نعكف عليه (كما لهم آلهة) اصنام يعكفون عليها وما كافة للكاف ولذلك وقعت الجملة بعدها وعن علي رضي الله عنه ان يهوديا قال له اختلفتم بعد نبيكم قبل ان يجف ماؤه فقال قلتم اجعل لنا الها قبل ان تجف اقدامكم (انكم قوم تجهلون) تعجب من قولهم على أثر ما رأوا من الآية العظمى والمعجزة الكبرى فوصفهم بالجهل المطلق واكده لانه لا جهل اعظم مما رأى منهم ولا اشنع (ان هؤلاء) يعني عبدة تلك التماثيل (متبر ما هم فيه) مدمر مكسر ما هم فيه من قولهم اناء متبر اذا كان فضاضا ويقال لكسار الذهب التبر أي يتبر الله ويهدم دينهم الذي هم عليه على يدي ويحطم اصنامهم هذه ويتركها رضاضا (وباطل ما كانوا يعملون) اي ما عملوا شيأ من عبادتها فيما سلف الا وهو باطل مضمحل لا ينتفعون به وان كان فى زعمهم تقربا الى الله كما قال تعالى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورا وفي ايقاع هؤلاء اسما لان وتقديم خبر المبتدا من الجملة الواقعة خبرا لها وسم لعبدة الاصنام بانهم هم المعرضون للتبار وانه لا يعدوهم البتة وانه لهم ضربة لازب ليحذرهم عاقبة ما طلبوا ويبغض اليهم ما احبوا (أغير الله ابغيكم الها) أغير المستحق للعبادة اطلب لكم معبودا وهو فعل بكم ما فعل دون غيره من الاختصاص بالنعمة التي لم يعطها احدا غيركم لتختصوه بالعبادة ولا تشركوا به غيره ومعنى الهمزة الانكار والتعجب من طلبتهم مع كونهم مغمورين فى نعمة الله عبادة غير الله (يسومونكم سوء العذاب) يبغونكم شدة العذاب من سام السلعة اذا طلبها (فان قلت) ما محل يسومونكم (قلت) هو استئناف لا محل له ويجوز ان يكون حالا من المخاطبين او من آل فرعون و (ذلكم) اشارة الى الانجاء او الى العذاب * والبلاء النعمة او المحنة * وقرىء يقتلون بالتخفيف * وروى ان موسى عليه السلام وعد بني اسرائيل وهو بمصر ان اهلك الله عدوهم اتاهم بكتاب من عند الله فيه بيان ما يأتون وما يذرون فلما هلك فرعون سال موسى ربه الكتاب فامره بصوم ثلاثين يوما وهو شهر ذي القعدة فلما أتم الثلاثين انكر خلوف فيه فتسوك فقالت الملائكة كنا نشم من فيك رائحة المسك فافسدته بالسواك وقيل اوحى الله تعالى اليه اما علمت ان خلوف فم الصائم اطيب عندي من ريح المسك فامره الله تعالى ان يزيد عليها عشرة ايام من ذي الحجة لذلك وقيل امره الله ان يصوم ثلاثين يوما وان يعمل فيها بما يقربه من الله ثم أنزلت عليه التوراة فى العشر وكلم فيها ولقد اجمل ذكر الاربعين فى سورة البقرة وفصلها ههنا و (ميقات ربه) ما وقته له من الوقت وضربه له و (اربعين ليلة) نصب على الحال اي تم بالغا هذا العدد و (هرون) عطف بيان لاخيه وقرىء بالضم على النداء (اخلفني في قومي) كن خليفتي فيهم (واصلح) وكن مصلحا او واصلح ما يجب ان يصلح من امور بني اسرائيل * ومن دعاك منهم الى الافساد فلا تتبعه ولا تطعه (لميقاتنا) لوقتنا الذي وقتناه وحددناه ومعنى اللام الاختصاص فكانه قيل واختص مجيئه بميقاتنا كما تقول اتيته لعشر خلون من الشهر (وكلمه ربه) من غير واسطة كما يكلم الملك وتكليمه

فاتوا على قوم يعكفون على اصنام لهم قالوا يا موسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون ان هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون قال أغير الله ابغيكم الها وهو فضلكم على العالمين واذ انجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب يقتلون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفى ذلكم بلاء من ربكم عظيم وواعدنا موسى ثلاثين ليلة وأتممناها بعشر فتم ميقات ربه أربعين ليلة وقال موسى لاخيه هرون اخلفني فى قومي واصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه قال رب

ضرورة من سياق هذه الآية تمييز موسى عليه الصلاة والسلام بهذه المزية فلا يجمل لذلك الا اعتقاد انه سمع الكلام القديم القائم بذات الله سبحانه وتعالى بلا واسطة دليل عليه من حروف ولا غيرها وكما جزنا من المعقول ان ترى ذات الباري سبحانه وتعالى وان لم يكن جسما فكذلك تجيزان يسمع كلامه وان لم يكن حرفا ولا صوتا والكلام في هذه العقيدة طويل والشوط بطين وهذه النكتة هي الخاصة بهذه الآية والله الموفق * عاد كلامه (قال وقوله أرني انظر اليك محذوف المفعول الاول مذكور الثاني والتقدير أرني نفسك انظر اليك الخ) قال احمد ما اشد ما اضطرب كلامه في هذه الآية لان غرضه ان يدحض الحق بالضلالة ويشين بكفه وجه الغزالة هيهات قد تبين الصبح لذي عينين فالحق أبلج لا يمازجه ريب الا عند ذي رين اما حظ المعقول من اجازة رؤية الله تعالى فوظيفة علم الكلام واخصر وجه في اجادة ذلك ان الوجود مصحح الرؤية بدليل ان جواز الرؤية حكم يستدعي مصححا وقد شمل الجواز الجوهر والعرض ولا جامع بينهما يمكن جعله مصححا سوى الوجود واذا كان الوجود هو المصحح فقد صحت رؤيته تعالى لوجوده واما استبعاد ان يرى ما ليس في جهة فاصروهي مثله عرض للمعطلة فعميت بصائرهم حتى انكروا موجودا الا في جهة ومن اتبع الاوهام اغنسق مهامه الضلال وهام ولو كانت الرؤية تتوقف على جهة المرئي لكانت المعرفة تتوقف على جهة المعروف ولا خلاف انه سبحانه يعرف لا في جهة فكذلك يرى لا في جهة فالحق ان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية ٣٤٦ لنفسه لعلمه بجواز ذلك على الله تعالى والقدرية يجبرهم الطمع ويجرؤهم حتى يرموا ان يجعلوا موسى عليه السلام كان على معتقدهم وما هم حينئذ الا ممن آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها واما قوله عليه السلام اتهلكنا بما فعل السفهاء منا تبريا من افاعيلهم وسفيها لهم وتضليلا لرأيهم

فلا راحة للقدرية في الاستشهاد به على انكار موسى عليه السلام لجواز الرؤية فان الذي كان الاهلاك بسببه انما هو عبادة العجل في قول اكثر المفسرين ثم وان كان السبب طلبهم للرؤية فليس لانها غير جائزة على الله ولكن لان الله تعالى اخبر انها لا تقع في دار الدنيا والخبر صدق وذلك بعد سؤال موسى للرؤية فلما سألوا وقد سمعوا الخبر بعدم وقوعها كان طلبهم خلاف المعلوم تكذيبا للخبر فمن ثم سفههم موسى عليه السلام وتبرأ من طلب ما اخبر الله انه لا يقع ثم ولو كان سؤالهم الرؤية قبل اخبار الله تعالى بعدم وقوعها فانما سفههم موسى عليه السلام لاقتراحهم على الله هذه الآية الخاصة وتوقيفهم الايمان عليها حيث قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة الا ترى ان قولهم لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا انما سألوا فيه جائزا ومع ذلك قرعوا به لاقتراحهم على الله ما لا يتوقف وجوب الايمان عليه فهذه المباحث الثلاثة توضح لك سوء نظر الزمخشري بعين الهوى وعمايته عن سبيل الهدى والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت هلا قال ارهم ينظروا اليك الخ) قال احمد وهذا الكلام الآخر من الطراز الاول واقرب شاهد على رده انه لو كان طلب الرؤية لهم حتى اذا سمعوا امتنع الله تعالى لها ايقنوا انها ممتنعة لكان طلبها عبثا غير مفيد لهذا الغرض لان هؤلاء لا يخلوا امرهم اما ان يكونوا مؤمنين بموسى او كفارا به فان كانوا مؤمنين به فاخباره اياهم بان الله تعالى لا يرى ولا يجوز عليه ذلك كاف في حصول المقصود في غير حاجة الى ان يسأل موسى عليه السلام من الله ان يريه ذاته على علم بان ذلك محال وان كانوا كفارا بموسى عليه السلام فلا يحصل الغرض من ذلك ايضا لان الله تعالى اذا منعه مسؤله من الرؤية فانما يثبت ذلك لهم بقول موسى عن الله تعالى انه منعه ذلك وهم كفار بموسى عليه السلام فكيف يفيدهم غيره عن الله بامتناع ذلك فهذا اوضح مصداق لان موسى عليه السلام انما طلب الرؤية لنفسه اعتقادا لجوازها على الله تعالى فاخبره الله ان ذلك لا يقع في الدنيا وان كان جائزا

أرني انظر اليك قال لن تراني

ان يخلق الكلام منطوقا به في بعض الاجرام كما خلقه مخطوطا في اللوح وروي ان موسى عليه السلام كان يسمع ذلك الكلام من كل جهة وعن ابن عباس رضي الله عنه كلمه أربعين يوما واربعين ليلة وكتب له الالواح وقيل انما كلمه في اول الاربعين (أرني انظر اليك) ثاني مفعولي ارني محذوف اي ارني نفسك انظر اليك (فان قلت) الرؤية عين النظر فكيف قيل ارني انظر اليك (قلت) معنى ارني نفسك اجعلني متمكنا من رؤيتك بان تتجلى لي فانظر اليك وأراك * (فان قلت) فكيف قال (لن تراني) ولم يقل لن تنظر الي لقوله انظر اليك (قلت) لما قال ارني بمعنى اجعلني متمكنا من الرؤية التي هي الادراك علم ان الطلبة هي الرؤية لا النظر الذي لا ادراك معه فقيل لن تراني ولم يقل لن تنظر الي (فان قلت) كيف طلب موسى عليه السلام ذلك وهو من اعلم الناس بالله وصفاته وما يجوز عليه وما لا يجوز وبتعاليه عن الرؤية التي هي ادراك ببعض الحواس وذلك انما يصح فيما كان في جهة وما ليس بجسم ولا عرض فمحال ان يكون في جهة ومنع المجبرة احالته في المعقول غير لازم لانه ليس باول مكابرتهم وارتكابهم وكيف يكون طالبه وقد قال حين اخذت الرجفة الذين قالوا أرنا الله جهرة اتهلكنا بما فعل السفهاء منا الى قوله تضل بها من تشاء فتبرأ من فعلهم ودعاهم سفهاء وضلالا (قلت) ما كان طلب الرؤية الا ليبكت هؤلاء الذين دعاهم سفهاء وضلالا وتبرأ من فعلهم وليلقمهم الحجر وذلك انهم حين طلبوا الرؤية انكر عليهم واعلمهم الخطأ ونبههم على الحق فلجوا وتمادوا في لجاجهم وقالوا لا بد ولن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاراد ان يسمعوا النص من عند الله باستحالة ذلك وهو قوله لن تراني ليتيقنوا وينزاح عنهم ما دخلهم من الشبهة فلذلك قال رب ارني انظر اليك (فان قلت) فهلا قال أرهم ينظروا اليك (قلت) لان

ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسي صعقا

الله سبحانه انما كلم موسي عليه السلام وهم يسمعون فلما سمعوا كلام رب العزة أرادوا أن يرى موسي ذاته فيبصروه معه كما أسمعه كلامه فسمعوه معه ارادة مبنية على قياس فاسد فلذلك قال موسي أرني أنظر اليك ولانه اذا زجر عما طلب وانكر عليه في نبوته واختصاصه وزلفته عند الله تعالى وقيل له لن يكون ذلك كان غيره اولى بالانكار ولان الرسول امام امته فكان مايخاطب به اومايخاطب راجعا اليهم وقوله انظر اليك ومافيه من معنى المقابلة التي هي محض التشبيه والتجسيم دليل على انه ترجمة عن مقترحهم وحكاية لقولهم وحل صاحب الجمل أن يجعل الله منظورا اليه مقابلا بحاسة النظر فكيف بمن هو اعرق في معرفة الله تعالى من واصل بن عطاء وعمرو بن عبيد والنظام وابي الهذيل والشيخين وجميع المتكلمين (فان قلت) مامعنى لن (قلت) تأكيد النفي الذي تعطيه لا وذلك أن لا تنفي المستقبل تقول لا افعل غدا فاذا أكدت فيها قلت لن افعل غدا والمعنى ان فعله ينافي حالي كقوله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له فقوله لا تدركه الابصار نفي للرؤية فيما يستقبل ولن تراني تأكيد وبيان لان المنفي مناف لصفاته (فان قلت) كيف اتصل الاستدراك في قوله (ولكن انظر الى الجبل) بماقبله (قلت) اتصل به على معنى ان النظر الى محال فلا تطلبه ولكن عليك بنظر آخر وهو ان تنظر الى الجبل الذي يرجف بك وبمن طلبت الرؤية لاجلهم كيف أفعل به وكيف اجعله دكا بسبب طلبك الرؤية لتستعظم ما اقدمت عليه بما اريك من عظم اثره كانه عز وعلا حقق عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد اليه في قوله وتخر الجبال هدا أن دعوا للرحمن ولدا (فان استقر مكانه) كما كان مستقرا ثابتا ذاهبا في جهاته (فسوف تراني) تعليق لوجود الرؤية بوجود مالا يكون من استقرار الجبل مكانه حين يدكه دكا ويسويه بالارض وهذا كلام مدمج بعضه في بعض وارد على اسلوب عجيب ونمط بديع الا ترى كيف تخلص من النظر الى النظر بكلمة الاستدراك ثم كيف بنى الوعيد بالرجفة الكائنة بسبب طلب النظر على الشريطة في وجود الرؤية اعني قوله فان استقر مكانه فسوف تراني (فلما تجلي ربه للجبل) فلما ظهر له اقتداره وتصدى له امره وارادته (جعله دكا) اى مدكوكا مصدر بمعنى مفعول كضرب الامير والدك والدق اخوان كالشك والشق وقرئ دكاء والدكاء اسم للرابية الناشزة من الارض كالدكة اوارضا دكاء مستوية ومنه قولهم ناقة دكاء متواضعة السنام وعن الشعبي قال لي الربيع بن خثيم ابسط يدك دكاء اى مدها مستوية وقرأ يحيي بن وثاب دكا اى قطعا دكا جمع دكاء (وخر موسى صعقا) من هول ماراى وصعق من باب فعلته ففعل يقال صعقته فصعق واصله من

* عاد كلامه (قال وقوله أنظر اليك وما فيه من معنى المقابلة الخ) قال أحمد ودعواه ان النظر يستلزم الجسمية قد سلف ردها وأما تنزيهه موسي عليه السلام بنسبة اعتقاد استحالة الرؤية اليه فهو غني عنه واما اقناعه في تفضيله برجحانه عليه السلام في العلم بالله وبصفاته على واصل بن عطا وعمرو بن عبيد والنظام وأبي الهذيل والشيخين فهو نقص عن منصبه العلي واقل العوام المقلدين لاهل السنة راجح عند الله على أصحاب البدع والأهواء وان ملؤا الارض نفاقا وشحنوا مصنفاتهم عنادا لاهل السنة وشقاقا فكيف بكليم الله عليه افضل الصلاة والسلام * عاد كلامه (قال فان قلت مامعنى لن قلت تأكيد النفي الذي تعطيه لا الخ) قال احمد لن كما قال تشارك لا في النفي وتمتاز بمزية تأكيده واما استنباط الزمخشري من ذلك منافاة الرؤية لحال الباري عز وجل ثم اطلاق الحال على الله تعالى مما يستحرز عنه واستشهاده على ان لن تشعر باستحالة المنفي بها عقلا مردود كثيرا بكثير من الآي كقوله تعالى قل لن تخرجوا معي ابدا فذلك لا يحيل خروجهم عقلا ولن يؤمن من قومك الا من قد آمن ان تتبعونا فهذه كلها جائزات عقلا لولا ان الخبر منع من وقوعها فالرؤية كذلك * عاد كلامه (قال ثم حقق تعالى عند طلب الرؤية ما مثله عند نسبة الولد الخ) قال احمد نسبة جواز الرؤية الى الله تعالى عند الزمخشري كنسبة الولد اليه وهذا مفرع على المعتقد السالف بطلانه وليس له في هذا الفصل وظيفة الا تتبع الشبه لامتناع الرؤية تلقفها من كل فج والحق ان دك الجبل انما كان لان الله عز وجل اظهر له آية من ملكوت السماء ولا تستقر الدنيا لاظهار شيء من ملكوت السماء وهذا هو المأثور عن السلف في هذه الآية ومعناه عند ابي الحسن رحمه الله فعل فعلا سماه تجليا او كان الغضب اما لانهم طلبوا رؤية جسمانية في جهة واما لانهم كتموا الخبر بانه لا يرى في الدنيا واما لانهم كفروا بالاقتراح او بالمجموع * عاد كلامه (قال ومعنى فان استقر مكانه فان ثبت كما كان ذاهبا الخ) قال احمد وهذا من حيل القدرية في احالة الرؤية يقولون قد علقها الله على شرط محال وهو استقرار الجبل حال دكه والمعلق على المحال محال وهذه حيلة باطلة فان المعلق عليه استقرار الجبل من حيث هو استقرار وذلك ممكن جائز وتعلق العلم بانه لا يستقر لا يرفع امكان استقراره وتعلق العلم لا يغير المعلوم ولا ينقل حكمه من امكان الى امتناع ولا العكس وحينئذ يتوجه دليلا لاهل السنة فنقول استقرار الجبل ممكن وقد علق عليه وقوع الرؤية والمعلق على الممكن ممكن والمعتزلة يعتقدون ان خلاف المعلوم لا يجوز ان يكون مقدورا ونحن نقول مقدور ولكن ماتعلقت المشيئة بايجاده وقـ لنا اقعد بالآداب واسعد بالاجلال فى الخطاب

* عاد كلامه (قال ومعنى وخر موسى صعقا وخر مغشيا عليه غشية كالموت وروى ان الملائكة مرت عليه الخ) قال أحمد وهذه حكاية انما يوردها من يتعسف لامتناع الرؤية فيتخذ ها عونا وظهرا على المعتقد الفاسد والوجه التورك بالغلط على ناقلها وتنزيه الملائكة عليهم السلام من اهانة موسى كليم الله بالوكز بالرجل والغمص في الخطاب * عاد كلامه (قال قال قلت ان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب الخ) قال احمد أمادك الجبل فقد سلف الكلام على سره وأما تسبيح موسي عليه السلام فلما تبين له من أن العلم قد سبق بعدم وقوع الرؤية في الدنيا والله تعالى ٣٤٨ مقدس عن وقوع خلاف معلومه وعن الخلف في خبره الحق وقوله الصدق فلما تبين ان مطلوبه كان خلاف المعلوم سبح الله وقدس علمه وخبره عن الخلاف وأما التوبة في حق الانبياء فلا تستلزم كونها عن ذنب لان منصبهم الجليل ينبغي أن يكون منزها مبرأ من كل ما ينحط به ولا شك ان التوقف في سؤال الرؤية على الاذن كان اكمل وقد ورد سيئات المقربين حسنات الابرار * عاد كلامه (قال ثم اعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين باهل السنة والجماعة الخ) قال احمد رحمه الله وقد انتقل الزمخشري في هذا الفصل الى ما تسمعه من هجاء اهل السنة ولولا الاستنان بحسان بن ثابت الانصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدل وشاعره والمنافح عنه وروح القدس معه لقلنا لهؤلاء المتلقبين بالعدلية وبالناجين سلاما ولكن كما نافح حسان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداءه فنحن نناقح عن اصحاب سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم اعداءهم فنقول

وجماعة كفروا برؤية ربهم * حقا ووعد الله ما لن يخلفه وتلقبوا عدلية قلنا اجل * عدلوا بربهم فحسبهم سفه
وتلقبوا الناجين كلا انهم * ان لم يكونوا في لظى فعلى شفه

الصاعقة ويقال لها الصاقعة من صقعه اذا ضربه على رأسه ومعناه خر مغشيا عليه غشية كالموت وروى أن الملائكة مرت عليه وهو مغشي عليه فجعلوا يلكزونه بارجلهم ويقولون يا ابن النساء الحيض أطمعت في رؤية رب العزة (فلما أفاق) من صعقته (قال سبحانك) أنزهك مما لا يجوز عليك من الرؤية وغيرها (تبت اليك) من طلب الرؤية (وأنا أول المؤمنين) بأنك لست بمرئي ولا مدرك بشيء من الحواس (فان قلت) فان كان طلب الرؤية للغرض الذي ذكرته فمم تاب (قلت) من اجرائه تلك المقالة العظيمة وان كان لغرض صحيح على لسانه من غير اذن فيه من الله تعالى فانظر الى اعظام الله تعالى امر الرؤية في هذه الآية وكيف ارجف الجبل بطالبيها وجعله دكا وكيف أصعقهم ولم يخل كليمه من نفيان ذلك مبالغة في اعظام الامر وكيف سبح ربه ملتجئا اليه وتاب من اجراء تلك الكلمة على لسانه وقال أنا اول المؤمنين ثم تعجب من المتسمين بالاسلام المتسمين بأهل السنة والجماعة كيف اتخذوا هذه العظيمة مذهبا ولا يغرنك تسترهم بالبلكفة فانه من منصوبات اشياخهم والقول ما قال بعض العدلية فيهم

لجماعة سموا هواهم سنة * وجماعة حمر لعمري موكفه
قد شبهوه بخلقه وتخوفوا * شنع الورى فتستروا بالبلكفه

وتفسير آخر وهو ان يريد بقوله أرني انظر اليك عرفني نفسك تعريفا واضحا جليا كأنها اراءة في جلائها بآية مثل آيات القيامة التي تضطر الخلق الى معرفتك أنظر اليك اعرفك معرفة اضطرار كأني أنظر اليك كما جاء في الحديث سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر بمعنى ستعرفونه معرفة جلية هي في الجلاء كابصاركم القمر اذا امتلأ واستوى قال لن تراني اي لن تطيق معرفتي على هذه الطريقة ولن تحتمل قوتك تلك الآية المضطرة ولكن انظر الى الجبل فاني اورد عليه واظهر له آية من تلك الآيات فان ثبت لتجليها واستقر مكانه ولم يتضعضع فسوف تثبت لها وتطيقها فلما تجلى ربه للجبل فلما ظهرت له آية من آيات قدرته وعظمته جعله دكا وخر موسى صعقا لعظم ما رأى فلما افاق قال سبحانك تبت اليك مما اقترحت وتجاسرت وأنا اول المؤمنين بعظمتك وجلالك وان شيأ لا يقوم لبطشك وباسك (اصطفيتك على الناس) اخترتك على اهل زمانك وآثرتك عليهم (برسالاتي) وهي اسفار التوراة (وبكلامي) وتكليمي اياك (فخذ ما آتيتك) ما اعطيتك من شرف النبوة والحكمة (وكن من الشاكرين) على النعمة في ذلك فهي من اجل النعم وقيل خر موسى صعقا يوم عرفة واعطي التوراة يوم النحر (فان قلت) كيف قيل اصطفيتك على الناس وكان هرون مصطفى مثله ونبيا (قلت) اجل ولكنه كان تابعا له وردا ووزيرا والكليم هو موسى عليه السلام والاصيل في حمل الرسالة * ذكروا في عدد الالواح وفي جوهرها وطولها أنها كانت عشرة الواح وقيل سبعة وقيل لوحين وانها كانت من زمرد جاء بها جبريل عليه السلام وقيل من زبرجدة خضراء وياقوتة حمراء وقيل امر الله موسى بقطعها من صخرة صماء لينها له فقطعها بيده وشققها باصابعه وعن الحسن كانت من خشب نزلت من السماء فيها التوراة وان طولها كان عشرة اذرع وقوله (من كل شيء) في محل النصب مفعول كتبنا و (موعظة) و (تفصيلا)

فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وانا اول المؤمنين قال ياموسى اني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء

بدل منه والمعنى كتبنا له كل شيء كان بنو اسرائيل محتاجين اليه في دينهم من المواعظ وتفصيل الاحكام وقيل انزلت التوراة وهي سبعون وقر بعير يقرأ الجزء منه في سنة لم يقرأها الا اربعة نفر موسى ويوشع وعزير وعيسي عليهم السلام وعن مقاتل كتب في الالواح اني انا الله الرحمن الرحيم لا تشركوا بي شيأ ولا تقطعوا السبيل ولا تحلفوا باسمي كاذبين فان من حلف باسمي كاذبا فلا أزكيه ولا تقتلوا ولا تزنوا ولا تعقوا الوالدين (فخذها) فقلنا له خذها عطفا على كتبنا ويجوز ان يكون بدلا من قوله فخذ ما آتيتك والضمير في خذها للالواح او لكل شيء لانه في معنى الاشياء او للرسالات او للتوراة ومعنى (بقوة) بجد وعزيمة فعل أولي العزم من الرسل (يأخذوا باحسنها) أي فيها ما هو حسن واحسن كالاقتصاص والعفو والانتصار والصبر فمرهم ان يحملوا على انفسهم في الاخذ بما هو أدخل في الحسن وأكثر للثواب كقوله تعالى واتبعوا أحسن ما أنزل اليكم من ربكم وقيل يأخذوا بما هو واجب او ندب لانه أحسن من المباح ويجوز ان يراد يأخذوا بما أمروا به دون ما نهوا عنه على قولك الصيف أحر من الشتاء (سأريكم دار الفاسقين) يريد دار فرعون وقومه وهي مصر كيف أقفرت منهم ودمروا لفسقهم لتعتبروا فلا تفسقوا مثل فسقهم فينكل بكم مثل نكالهم وقيل منازل عاد وثمود والقرون الذين أهلكهم الله لفسقهم في ممركم عليها في اسفاركم وقيل دار الفاسقين نار جهنم وقرأ الحسن ساوريكم وهي لغة فاشية بالحجاز يقال اورني كذا واوريته ووجهه ان تكون من اوريت الزند كان المعنى بينه لي وأنره لاستبينه وقرئ ساورثكم وهي قراءة حسنة يصححها قوله وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون (سأصرف عن آياتي) بالطبع على قلوب المتكبرين وخذلانهم فلا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها غفلة وانهماكا فيما يشغلهم عنها من شهواتهم وعن الفضيل بن عياض ذكر لنا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا عظمت امتي الدنيا نزع عنها هيبة الاسلام واذا تركوا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر حرمت بركة الوحي وقيل سأصرفهم عن ابطالها وان اجتهدوا كما اجتهد فرعون ان يبطل آية موسى بان جمع لها السحرة فابي الله الا علو الحق وانتكاس الباطل ويجوز سأصرفهم عنها وعن الطعن فيها والاستهانة بها وتسميتها سحرا باهلاكهم وفيه انذار للمخاطبين من عاقبة الذين يصرفون عن الآيات لتكبرهم وكفرهم بها لئلا يكونوا مثلهم فيسلك بهم سبيلهم (بغير الحق) فيه وجهان ان يكون حالا بمعنى يتكبرون غير محقين لان التكبر بالحق لله وحده وان يكون صلة لفعل التكبر أي يتكبرون بما ليس بحق وما هم عليه من دينهم (وان يروا كل آية) من الآيات المنزلة عليهم (لا يؤمنوا بها) وقرأ مالك بن دينار وان يروا بضم الياء * وقرئ سبيل الرشد والرشد والرشاد كقولهم السقم والسقم والسقام وما أسفه من ركب المفازة فان رأى طريقا مستقيما أعرض عنه وتركه وان رأى معتسفا مرديا أخذ فيه وسلكه ففاعل نحو ذلك في دينه أسفه (ذلك) في محل الرفع او النصب على معنى ذلك الصرف بسبب تكذيبهم او صرفهم الله ذلك الصرف بسببه (ولقاء الآخرة) يجوز ان يكون من اضافة المصدر الى المفعول به أي ولقائهم الآخرة ومشاهدتهم أحوالها ومن اضافة المصدر الى الظرف بمعنى ولقاء ما وعد الله في الآخرة (من بعده) من بعد فراقه اياهم الى الطور (فان قلت) لم قيل واتخذ قوم موسى عجلا والمتخذ هو السامري (قلت) فيه وجهان احدهما ان ينسب الفعل اليهم لان رجلا منهم باشره ووجد فيما بين ظهرانيهم كما يقال بنو تميم قالوا كذا وفعلوا كذا والقائل والفاعل واحد ولانهم كانوا مريدين لاتخاذه راضين به فكانهم اجمعوا عليه والثاني ان يراد واتخذوه الها وعبدوه * وقرئ من حليهم بضم الحاء والتشديد جمع حلي كثدي وثدي ومن حليهم بالكسر للاتباع كدلي ومن حليهم على التوحيد والحلي اسم لما يتحسن به من الذهب والفضة (فان قلت) لم قال من حليهم ولم يكن الحلي لهم انما كانت عواري في ايديهم (قلت) الاضافة تكون بادني ملابسة وكونها عواري في ايديهم كفى به ملابسة على أنهم قد ملكوها بعد المهلكين كما ملكوا غيرها من املاكهم الا ترى الى قوله عز وعلا فاخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم كذلك واورثناها بني اسرائيل (جسدا) بدنا ذا لحم ودم كسائر الاجساد * والخوار صوت البقر قال الحسن ان السامري قبض قبضة من تراب من اثر فرس جبريل

فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا باحسنها سأريكم دار الفاسقين سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الارض بغير الحق وان يروا كل آية لا يؤمنوا بها وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الآخرة حبطت أعمالهم هل يجزون الا ما كانوا يعملون واتخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلا جسدا له خوار

عليه السلام يوم قطع البحر فقذفه في في العجل فكان عجلا له خوار وقرأ علي رضي الله عنه جؤار بالجيم والهمزة من جار اذا صاح وانتصاب جسدا على البدل من عجلا (ألم يروا) حين اتخذوه الها انه لا يقدر على كلام ولا على هداية سبيل حتى لا يختاروه على من لو كان البحر مدادا لكلماته لنفد البحر قبل ان تنفد كلماته وهو الذي هدى الخلق الى سبل الحق ومناهجه بما ركز في العقول من الادلة وبما أنزل في كتبه ثم ابتدأ فقال (اتخذوه) أي اقدموا على ما اقدموا عليه من الامر المنكر (وكانوا ظالمين) واضعين كل شيء في غير موضعه فلم يكن اتخاذ العجل بدعا منهم ولا اول مناكيرهم (ولما سقط في ايديهم) ولما اشتد ندمهم وحسرتهم على عبادة العجل لان من شان من اشتد ندمه وحسرته ان يعض يده غما فتصير يده مسقوطا فيها لان فاه قد وقع فيها وسقط مسند الى في ايديهم وهو من باب الكناية وقرأ ابو السميفع سقط في ايديهم على تسمية الفاعل اي وقع العض فيها وقال الزجاج معناه سقط الندم في ايديهم اي في قلوبهم وأنفسهم كما يقال حصل في يده مكروه وان كان محالا ان يكون في اليد تشبيها لما يحصل في القلب وفي النفس بما يحصل في اليد ويرى بالعين (ورأوا انهم قد ضلوا) وتبينوا ضلالهم تبينا كأنهم ابصروه بعيونهم * وقرئ لئن لم ترحمنا وتغفر لنا بالتاء وربنا بالنصب على النداء وهذا كلام التائبين كما قال آدم وحواء عليهما السلام وان لم تغفر لنا وترحمنا * الاسف الشديد الغضب فلما آسفونا انتقمنا منهم وقيل هو الحزين (خلفتموني) قمتم مقامي وكنتم خلفائي من بعدي وهذا الخطاب اما ان يكون لعبدة العجل من السامري واشياعه او لوجوه بني اسرائيل وهم هرون عليه السلام والمؤمنون معه ويدل عليه قوله اخلفني في قومي والمعنى بئس ما خلفتموني حيث عبدتم العجل مكان عبادة الله وحيث لم تكفوا من عبد غير الله (فان قلت) اين ما تقتضيه بئس من الفاعل والمخصوص بالذم (قلت) الفاعل مضمر يفسره ما خلفتموني والمخصوص بالذم محذوف تقديره بئس خلافة خلفتمونيها من بعد خلافتكم (فان قلت) اي معنى لقوله (من بعدي) بعد قوله خلفتموني (قلت) معناه من بعد ما رأيتم مني من توحيد الله ونفي الشركاء عنه واخلاص العبادة له او من بعد ما كنت احمل بني اسرائيل على التوحيد واكفهم عما طمحت نحوه ابصارهم من عبادة البقر حين قالوا اجعل لنا الها كما لهم آلهة ومن حق الخلفاء ان يسيروا بسيرة المستخلف من بعده ولا يخالفوه ونحوه فخلف من بعدهم خلف اي من بعد اولئك الموصوفين بالصفات الحميدة * يقال عجل عن الامر اذا تركه غير تام ونقيضه تم عليه واعجله عنه غيره ويضمن معنى سبق فيعدى تعديته فيقال عجلت الامر والمعنى اعجلتم عن امر ربكم وهو انتظار موسى حافظين لعهده وما وصاكم به فبنيتم الامر على ان الميعاد قد بلغ آخره ولم ارجع اليكم فحدثتم انفسكم بموتي فغيرتم كما غيرت الامم بعد انبيائهم وروي ان السامري قال لهم حين اخرج لهم العجل وقال هذا الهكم واله موسى ان موسى لن يرجع وانه قد مات وروي انهم عدوا عشرين يوما بلياليها فجعلوها اربعين ثم احدثوا ما احدثوا (وألقى الالواح) وطرحها لما لحقه من فرط الدهش وشدة الضجر عند استماعه حديث العجل غضبا لله وحمية لدينه وكان في نفسه حديدا شديد الغضب وكان هرون الين منه جانبا ولذلك كان احب الى بني اسرائيل من موسى وروي ان التوراة كانت سبعة اسباع فلما القى الالواح تكسرت فرفع منها ستة اسباعها وبقي منها سبع واحد وكان فيما رفع تفصيل كل شيء وفيما بقي الهدى والرحمة (واخذ برأس اخيه) اي بشعر رأسه (يجره اليه) بذؤابته وذلك لشدة ما ورد عليه من الامر الذي استفزه وذهب بفطنته وظنا باخيه انه فرط في الكف (ابن أم) قرئ بالفتح تشبيها بخمسة عشر وبالكسر على طرح ياء الاضافة وابن امي بالياء وابن ام بكسر الهمزة والميم وقيل كان اخاه لابيه وامه فان صح فانما اضافه الى الام اشارة الى انهما من بطن واحد وذلك ادعى الى العطف والرقة واعظم للحق الواجب ولانها كانت مؤمنة فاعتد بنسبها ولانها هي التي قاست فيه المخاوف والشدائد فذكره بحقها (ان القوم استضعفوني) يعني انه لم يال جهدا في كفهم بالوعظ والانذار وبما بلغته طاقته من بذل القوة في مضادتهم حتى قهروه واستضعفوه ولم يبق الا ان يقتلوه (فلا تشمت بي الاعداء) فلا تفعل بي ما هو امنيتهم من الاستهانة بي والاساءة الي وقرئ فلا تشمت بي الاعداء على نهي الاعداء عن الشماتة والمراد ان لا يحل به ما يشمتون به لاجله (ولا تجعلني مع القوم الظالمين)

ألم يروا انه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلا اتخذوه وكانوا ظالمين ولما سقط في ايديهم ورأوا انهم قد ضلوا قالوا لئن لم يرحمنا ربنا ويغفر لنا لنكونن من الخاسرين ولما رجع موسى الى قومه غضبان اسفا قال بئسما خلفتموني من بعدي اعجلتم امر ربكم والقى الالواح واخذ برأس اخيه يجره اليه قال ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الاعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين

ولا

ولا تجعلني في موجدتك على وعقوبتك لى قرينالهم وصاحبا اوولا تعتقداني واحدمن الظالمين مع براءتي منهم ومن ظلمهم * لما اعتذر اليه أخوه وذكر شماتة الاعداء (قال رب اغفرلى ولاخى) ليرضي اخاه و يظهر لاهل الشماتة رضاه عنه فلاتتم لهم شماتتهم واستغفر لنفسه مما فرط منه الى اخيه ولاخيه ان عسي فرط في حسن الخلافة وطلب ان لا يتفرقا عن رحمته ولاتزال منتظمة لهما فى الدنيا والآخرة (غضب من ربهم وذلة) الغضب ما امروا به من قتل أنفسهم والذلة خروجهم من ديارهم لان ذل الغربة مثل مضروب وقيل هو ما نال ابناءهم وهم بنو قريظة والنضير من غضب الله تعالى بالقتل والجلاء ومن الذلة بضرب الجزية (المفترين) المتكذبين على الله ولا فرية أعظم من قول السامرى هذا الهكم واله موسى و يجوز ان يتعلق فى الحياة الدنيا بالذلة وحدها و يراد سينالهم غضب فى الآخرة وذلة فى الحياة الدنيا وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤا بغضب من الله (و لذين عملوا السيآت) من الكفر والمعاصي كلها (ثم تابوا) ثم رجعوا (من بعدها) الى الله واعتذروا اليه (وآمنوا) واخلصوا الايمان (ان ربك من بعدها) من بعد تلك العظائم (لغفور) لستور عليهم محاء لما كان منهم (رحيم) منعم عليهم بالجنة وهذا حكم عام يدخل تحته متخذو العجل ومن عداهم عظم جناياتهم أولا ثم اردفها تعظيم رحمته ليعلم ان الذنوب وان جلت وعظمت فان عفوه وكرمه أعظم واجل ولكن لا بدمن حفظ الشريطة وهى وجوب التوبة والانابة وما وراءه طمع فارغ واشعبية باردة لا يلتفت اليها حازم (ولما سكت عن موسى الغضب) هذا مثل كان الغضب كان يغريه على ما فعل و يقول له قل لقومك كذا والق الالواح وجر برأس اخيك اليك فترك النطق بذلك وقطع الاغراء ولم يستحسن هذه الكلمة ولم يستفصحها كل ذى طبع سليم وذوق صحيح الالذلك ولانه من قبيل شعب البلاغة والا فما لقراءة معاوية بن قرة ولما سكن عن موسي الغضب لا تجد النفس عندها شيأ من تلك الهزة وطرفا من تلك الروعة وقرئ ولما سكت واسكت اى اسكته الله او اخوه باعتذاره اليه وتنصله والمعنى ولما طفىء غضبه (أخذ الالواح) التى القاها (وفى نسختها) وفيما نسخ منها اى كتب والنسخة فعلة بمعنى مفعول كالخطبة (لربهم يرهبون) دخلت اللام لتقدم المفعول لان تاخر الفعل عن مفعوله يكسبه ضعفا ونحوه للرؤيا تعبرون وتقول لك ضربت (واختار موسي قومه) أى من قومه فحذف الجار واوصل الفعل كقوله

* منا الذى اختير الرجال سماحة *

قيل اختار من اثنى عشر سبطا من كل سبط ستة حتى تناموا اثنين وسبعين فقال ليتخلف منكم رجلان فتشاحوا فقال ان لمن قعد منكم مثل أجر من خرج فقعد كالب و يوشع وروى انه لم يصب الاستين شيخا فاوحى الله تعالى اليه ان تختار من الشبان عشرة فاختارهم فاصبحوا شيوخا وقيل كانوا أبناء ما عدا العشرين ولم يتجاوزوا الاربعين قد ذهب عنهم الجهل والصبا فامرهم موسي ان يصوموا و يتطهروا و يطهروا ثيابهم ثم خرج بهم الى طور سينا لميقات ربه وكان أمره ربه ان يأتيه فى سبعين من بنى اسرائيل فلما دنا موسي من الجبل وقع عليه عمود الغمام حتي تغشي الجبل كله ودنا موسي ودخل فيه وقال للقوم ادنوا فدنوا حتي اذا دخلوا فى الغمام وقعوا سجدا فسمعوه وهو يكلم موسى يامره و ينهاه افعل ولا تفعل ثم انكشف الغمام فاقبلوا اليه فطلبوا الرؤية فوعظهم وزجرهم وأنكر عليهم فقالوا ياموسى لن نؤمن لك حتي نرى الله جهرة فقال رب أرنى انظر اليك يريد ان يسمعوا الرد والانكار من جهته فاجيب بلن ترانى ورجف بهم الجبل فصعقوا * ولما كانت الرجفة (قال) موسى (رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى) وهذا تمن منه للاهلاك قبل أن يرى ما رأى من تبعة طلب الرؤية كما يقول النادم على الامر اذا رأى سوء المغبة لو شاء الله

قال رب اغفرلى ولاخي وادخلنا فى رحمتك وأنت ارحم الراحمين ان الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة فى الحياة الدنيا وكذلك نجزى المفترين والذين عملوا السيآت ثم تابوا من بعدها وآمنوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ولما سكت عن موسي الغضب اخذ الالواح وفى نسختها هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون واختار موسي قومه سبعين رجلا لميقاتنا فلما اخذتهم الرجفة قال رب لو شئت اهلكتهم من قبل واياى

* قوله تعالى والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها الآية (قال عظم جناية متخذى العجل اولا ثم اردفها بحكم عام الخ) قال احمد يعرض بوجوب وعيد الفساق وان مغفرة الذنب بدون التوبة منه من المحال الممتنع وقد تقدم عد ذلك من الاهواء والبدع بل الحق ان المغفرة لما عدا الشرك موكولة الى المشيئة غير ممتنعة عقلا ثم واقعة نقلا والله الموفق * قوله تعالى ولما سكت عن موسى الغضب الآية (قال هذا مثل كان الغضب كان يغريه على مافعل و يقول له قل لقومك كذا والق الالواح وخذ برأس اخيك الخ) قال احمد وهو من النمط الذى قدمته من قلب الحقيقة الى المجاز وكان الاصل ولما سكت موسى عن الغضب ولذلك عده بعض أهل العربية من المقلوب وسلكه في نمط خرق الثوب المسمار والتحقيق انه ليس منه وان هذا القلب اشرف وافصح لانه بساله على معنى بليغ وهو ان الغضب كان متمكنا من موسى حتى كان كانه يصرفه فى اوامره وكل ما وقع منه حينئذ فمن الغضب صادر حتي كانه هو الذى امره به ومثل هذه النكتة الحسناء لا تلفى فى خرق الثوب المسمار بل هي موجودة فى قوله تعالى حقيق على ان لا اقول على الله الا الحق على خلاف

لاهلكني قبل هذا (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أتهلكنا جميعا يعني نفسه وإياهم لانه انما طلب الرؤية زجرا للسفهاء وهم طلبوها سفها وجهلا (ان هي الا فتنتك) اى محنتك وابتلاؤك حين كلمتني وسمعوا كلامك فاستدلوا بالكلام على الرؤية استدلالا فاسدا حتى افتتنوا وضلوا (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) تضل بالمحنة الجاهلين غير الثابتين فى معرفتك وتهدى العالمين بك الثابتين بالقول الثابت وجعل ذلك اضلالا من الله وهدى منه لان محنته لما كانت سببا لان ضلوا واهتدوا فكانه اضلهم بها وهداهم على الاتساع فى الكلام (أنت ولينا) مولانا القائم بامورنا (واكتب لنا) واثبت لنا واقسم (فى هذه الدنيا حسنة) عافية وحياة طيبة وتوفيقا فى الطاعة (وفى الآخرة) الجنة (هدنا اليك) تبنا اليك وهاد اليه يهود اذا رجع وتاب والهود جمع هائد وهو التائب ولبعضهم

يا راكب الذنب هدهد * واسجد كانك هدهد

وقرأ ابو وجرة السعدى هدنا اليك بكسر الهاء من هاده يهيده اذا حركه وامالة ويحتمل أمرين ان يكون مبنيا للفاعل والمفعول بمعنى حركنا اليك انفسنا واملناها او حركنا اليك وامِلْنا على تقدير فعلنا كقولك عدت يا مريض بكسر العين فعلت من العيادة ويجوز عدت بالاشمام وعدت باخلاص الضمة فيمن قال عود المريض وقول القول ويجوز على هذه اللغة ان يكون هدنا بالضم فعلنا من هاده يهيده (عذابي) من حاله وصفته اني (اصيب به من اشاء) اى من وجب على فى الحكمة تعذيبه ولم يكن فى العفو عنه مساغ لكونه مفسدة * واما رحمتى فمن حالها وصفتها انها واسعة تبلغ كل شىء مامن مسلم ولا كافر ولا مطيع ولا عاص الا وهو متقلب فى نعمتى * وقرأ الحسن من اساء من الاساءة * فسأكتب هذه الرحمة كتبة خاصة منكم يا بنى اسرائيل للذين يكونون فى آخر الزمان من أمة محمد صلى الله عليه وسلم الذين هم بجميع آياتنا وكتبنا يؤمنون لا يكفرون بشىء منها (الذين يتبعون الرسول) الذى نوحى اليه كتابا مختصا به وهو القرآن (النبى) صاحب المعجزات (الذى يجدونه) يجد نعته اولئك الذين يتبعونه من بنى اسرائيل (مكتوبا عندهم فى التوراة والانجيل * ويحل لهم الطيبات) ماحرم عليهم من الاشياء الطيبة كالشحوم وغيرها اوماطاب فى الشريعة والحكم مما ذكر اسم الله عليه من الذبائح وماخلى كسبه من السحت (ويحرم عليهم الخبائث) مايستخبث من نحو الدم والميتة ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به اوماخبث فى الحكم كالربا والرشوة وغيرهما من المكاسب الخبيثة * الاصر الثقل الذى يأصر صاحبه اى يحبسه من الحراك لثقله وهو مثل لثقل تكليفهم وصعوبته نحو اشتراط قتل الانفس فى صحة توبتهم * وكذلك الاغلال مثل لما كان فى شرائعهم من الاشياء الشاقة نحو بت القضاء بالقصاص عمدا كان او خطأ من غير شرع الدية وقطع الاعضاء الخاطئة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب واحراق الغنائم وتحريم العروق فى اللحم وتحريم السبت وعن عطاء كانت بنو اسرائيل اذا قامت تصلى لبسوا المسوح وغلوا ايديهم الى اعناقهم وربما ثقب الرجل ترقوته وجعل فيها طرف السلسلة واوثقها الى السارية يحبس نفسه على العبادة وقرىء آصارهم على الجمع (وعزروه) ومنعوه حتى لا يقوى عليه عدو وقرىء بالتخفيف وأصل العزر المنع ومنه التعزير للضرب دون الحد لانه منع عن معاودة القبيح ألا ترى الى تسمية الحد والحد هو المنع و (النور) القرآن (فان قلت) مامعنى قوله (أنزل معه) وانما انزل مع جبريل (قلت) معناه أنزل مع نبوته لان استنباءه كان مصحوبا بالقرآن مشفوعا به ويجوز ان يعلق باتبعوا اى واتبعوا القرآن المنزل مع اتباع النبى والعمل بسنته وبما امر به ونهى عنه او واتبعوا القرآن كما اتبعه مصاحبين له فى اتباعه (فان قلت) كيف انطبق هذا الجواب على قول موسى عليه السلام ودعائه (قلت) لما دعا لنفسه ولبنى اسرائيل اجيب بما هو منطو على توبيخ بنى اسرائيل على استجازتهم الرؤية على الله تعالى وعلى كفرهم بآيات الله العظام التى اجراها على يد موسى وعرض بذلك فى قوله والذين هم بآياتنا يؤمنون واراد ان يكون استمتاع اوصاف اعقابهم الذين آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به كعبد الله بن سلام وغيره من اهل الكتابين لطفا لهم وترغيبا فى اخلاص الايمان والعمل الصالح وفى ان يحشروا معهم ولا يفرق

اتهلكنا بما فعل السفهاء
منا ان هي الا فتنتك تضل
بها من تشاء وتهدي من
تشاء انت ولينا فاغفر لنا
وارحمنا وانت خير
الغافرين واكتب لنا
في هذه الدنيا حسنة
وفى الآخرة انا هدنا
اليك قال عذابي اصيب
به من اشاء ورحمتي وسعت
كل شيء فسأكتبها
للذين يتقون ويؤتون
الزكوة والذين هم
بآياتنا يؤمنون الذين
يتبعون الرسول النبي
الامى الذى يجدونه
مكتوبا عندهم فى
التوراة والانجيل يامرهم
بالمعروف وينهاهم عن
المنكر ويحل لهم
الطيبات ويحرم عليهم
الخبائث ويضع عنهم
اصرهم والاغلال التى
كانت عليهم فالذين
آمنوا به وعزروه ونصروه
واتبعوا النور الذى انزل
معه اولئك هم المفلحون
قل يا أيها الناس

قراءة نافع وقد تقدم
ذلك آنفا والله الموفق

بينهم و بين اعقابهم عن رحمة الله التي وسعت كل شيء (اني رسول الله اليكم جميعا) قيل بعث كل رسول الى قومه خاصة و بعث محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الانس وكافة الجن وجميعا نصب على الحال من اليكم * (فان قلت) (الذى له ملك السموات والارض) ما محله (قلت) الاحسن أن يكون منتصبا باضمار أعنى وهو الذى يسمي النصب على المدح ويجوز أن يكون جرا على الوصف وان حيل بين الصفة والموصوف بقوله اليكم جميعا وقوله (لا اله الا هو) بدل من الصلة التي هى له ملك السموات والارض وكذلك (يحيي ويميت) وفى لا اله الا هو بيان للجملة قبلها لان من ملك العالم كان هو الاله على الحقيقة وفي يحيي ويميت بيان لاختصاصه بالالهية لانه لا يقدر على الاحياء والاماتة غيره (وكلماته) وما أنزل عليه وعلى من تقدمه من الرسل من كتبه ووحيه وقرئ وكلمته على الافراد وهي القرآن اوارادجنس ما كلم به وعن مجاهد اراد عيسي بن مريم وقيل هى الكلمة التى تكون عنها عيسي وجميع خلقه وهي قوله كن وانما قيل ان عيسي كلمة الله فخص بهذا الاسم لانه لم يكن لكونه سبب غير الكلمة ولم يكن من نطفة تمنى (لعلكم تهتدون) ارادة أن تهتدوا (فان قلت) هلا قيل فآمنوا بالله وبي بعد قوله انى رسول الله اليكم (قلت) عدل عن المضمر الى الاسم الظاهر لتجرى عليه الصفات التي اجريت عليه ولما في طريقة الالتفات من مزية البلاغة وليعلم أن الذى وجب الايمان به واتباعه هو هذا الشخص المستقل بأنه النبي الامي الذى يؤمن بالله وكلماته كائنا من كان أنا اوغيرى اظهار اللنصفة وتفاديا عن العصبية لنفسه (ومن قوم موسى أمة) هم المؤمنون التائبون من بنى اسرائيل لما ذكر الذين تزلزلوا منهم في الدين وارتابوا حتي أقدموا على العظيمتين عبادة العجل واستجازة رؤية الله تعالى ذكر أن منهم امة موقنين ثابتين يهدون الناس بكلمة الحق ويدلونهم على الاستقامة ويرشدونهم * وبالحق يعدلون بينهم فى الحكم لا يجورون اواراد الذين وصفهم ممن ادرك النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به من اعقابهم وقيل ان بنى اسرائيل لما قتلوا انبياءهم وكفروا وكانوا اثنى عشر سبطا تبرأ سبط منهم مما صنعوا واعتذروا وسألوا الله أن يفرق بينهم وبين اخوانهم ففتح الله لهم نفقا في الارض فساروا فيه سنة ونصفا حتى خرجوا من وراء الصين وهم هنالك حنفاء مسلمون يستقبلون قبلتنا وذكر عن النبي صلى الله عليه وسلم ان جبريل ذهب به ليلة الاسراء نحوهم فكلمهم فقال لهم جبريل هل تعرفون من تكلمون قالوا لا قال هذا محمد النبي الامي فآمنوا به وقالوا يا رسول الله ان موسي اوصانا من ادرك منكم احمد فليقرأ عليه مني السلام فرد محمد على موسى عليهما السلام السلام ثم أقرأهم عشر سور من القرآن نزلت بمكة ولم تكن نزلت فريضة غير الصلاة والزكاة وامرهم أن يقيموا مكانهم وكانوا يسبتون فامرهم ان يجمعوا ويتركوا السبت وعن مسروق قرئ بين يدى عبد الله فقال رجل اني منهم فقال عبد الله يعنى لمن كان فى مجلسه من المؤمنين وهل يزيد صلحاؤكم عليهم شيا من يهدى بالحق وبه يعدل وقيل لو كانوا فى طرف من الدنيا متمسكين بشريعة ولم يبلغهم نسخها كانوا معذورين وهذا من باب الفرض والتقدير والا فقد طار الخبر بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم الى كل افق وتغلغل في كل نفق ولم يبق الله اهل مدر ولا وبر ولا سهل ولا جبل ولا بر ولا بحر فى مشارق الارض ومغاربها الا وقد ألقاه اليهم وملا به مسامعهم وألزمهم به الحجة وهو سائلهم عنه يوم القيامة (وقطعناهم) وصيرناهم قطعا اى فرقا وميزنا بعضهم من بعض لقلة الالفة بينهم وقرئ وقطعناهم بالتخفيف (اثنتى عشرة أسباطا) كقولك اثنتى عشرة قبيلة والاسباط اولاد الولد جمع سبط وكانوا اثنتي عشرة قبيلة من اثنى عشر ولدا من ولد يعقوب عليه السلام (فان قلت) مميز ماعدا العشرة مفرد فما وجه مجيئه مجموعا وهلا قيل اثنى عشر سبطا (قلت) لو قيل ذلك لم يكن تحقيقا لان المراد وقطعناهم اثنتى عشرة قبيلة وكل قبيلة اسباط لا سبط فوضع أسباطا موضع قبيلة ونظيره * بين رماحي مالك ونهشل *و (أمما) بدل من اثنتى عشرة بمعنى وقطعناهم امما لان كل اسباط كانت أمة عظيمة وجماعة كثيفة العدد وكل واحدة كانت تؤم خلاف ما تؤمه الاخرى لا تكاد تأتلف * وقرئ اثنتى عشرة بكسر الشين (فانبجست) فانفجرت والمعنى واحد وهو الانفتاح بسعة وكثرة قال العجاج * وكيف غربي دالج تبجسا * (فان قلت) فهلا قيل فضرب فانبجست (قلت) لعدم الالباس وليجعل

اني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والارض لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الامى الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون ومن قوم موسي أمة يهدون بالحق وبه يعدلون وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما واوحينا الى موسي اذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم

الانبجاس مسببا عن الايحاء بضرب الحجر للدلالة على ان الموحى اليه لم يتوقف عن اتباع الامر وانه من انتفاء الشك عنه بحيث لاحاجة الى الافصاح به وقوله (كل اناس) نظير قوله اثنتى عشرة اسباطا يريد كل امة من تلك الامم الثنتى عشرة والاناس اسم جمع غير تكسير نحو رخال وتناء وتوام واخوات لها ويجوز أن يقال ان الاصل الكسر والتكسير والضمة بدل من الكسرة كما أبدلت فى نحو سكارى وغيارى من الفتحة (وظللنا عليهم الغمام) وجعلناه ظليلا عليهم فى التيه و (كلوا) على ارادة القول (وماظلمونا) ومارجع الينا ضرر ظلمهم بكفرانهم النعم * ولكن كانوا يضرون أنفسهم ويرجع وبال ظلمهم اليهم (واذقيل لهم) واذكر اذقيل لهم * والقرية بيت المقدس (فان قلت) كيف اختلفت العبارة ههنا وفى سورة البقرة (قلت) لا بأس باختلاف العبارتين اذا لم يكن هناك تناقض ولا تناقض بين قوله اسكنوا هذه القرية وكلوا منها وبين قوله فكلوا لانهم اذا سكنوا القرية فتسببت سكناهم للاكل منها فقد جمعوا فى الوجود بين سكناها والاكل منها وسواء قدموا الحطة على دخول الباب او اخروها فهم جامعون فى الايجاد بينهما وترك ذكر الرغد لا يناقض اثباته وقوله (نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين) موعد بشيئين بالغفران وبالزيادة وطرح الواو لا يخل بذلك لانه استئناف مرتب على تقدير قول القائل وماذا بعد الغفران فقيل له سنزيد المحسنين * وكذلك زيادة منهم زيادة بيان * وارسلنا وأنزلنا و (يظلمون) ويفسقون من وادواحد * وقرئ يغفر لكم خطيئاتكم ونغفر لكم خطاياكم وخطيئتكم وخطيئتكم على البناء للمفعول (وسلهم) وسل اليهود وقرئ واسألهم وهذا السؤال معناه التقرير والتقريع بقديم كفرهم وتجاوزهم حدود الله والاعلام بان هذا من علومهم التى لا تعلم الا بكتاب اووحي فاذا اعلمهم به من لم يقرأ كتابهم علم أنه من جهة الوحى ونظيره همزة الاستفهام التى يراد بها التقرير فى قولك أعدوتم فى السبت * والقرية أيلة وقيل مدين وقيل طبرية والعرب تسمى المدينة قرية وعن أبى عمرو بن العلاء مارأيت قرويين افصح من الحسن والحجاج يعنى رجلين من أهل المدن (حاضرة البحر) قريبة منه راكبة لشاطئه (اذ يعدون فى السبت) اذ يتجاوزون حد الله فيه وهو اصطيادهم فى يوم السبت وقدنهوا عنه وقرئ يعدون بمعنى يعتدون أدغمت التاء فى الدال ونقلت حركتها الى العين ويعدون من الاعداد وكانوا يعدون آلات الصيد يوم السبت وهم مأمورون بان لا يشتغلوا فيه بغير العبادة والسبت مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها بترك الصيد والاشتغال بالتعبد فمعناه يعدون فى تعظيم هذا اليوم وكذلك قوله (يوم سبتهم) معناه يوم تعظيمهم امر السبت ويدل عليه قوله (ويوم لا يسبتون) وقراءة عمر بن عبد العزيز يوم اسباتهم * وقرئ لا يسبتون بضم الباء وقرأ على لا يسبتون بضم الياء من اسبتوا وعن الحسن لا يسبتون على البناء للمفعول اى لا يدار عليهم السبت ولا يؤمرون بان يسبتوا * (فان قلت) اذ يعدون واذ تأتيهم ما محلهما من الاعراب (قلت) اما الاول فمجرور بدل من القرية والمراد بالقرية اهلها كأنه قيل واسألهم عن اهل القرية وقت عدوانهم فى السبت وهو من بدل الاشتمال ويجوز أن يكون منصوبا بكانت او بحاضرة واما الثانى فمنصوب بيعدون ويجوز أن يكون بدلا بعد بدل * والحيتان السمك واكثر ما تستعمل العرب الحوت فى معنى السمكة (شرعا) ظاهرة على وجه الماء وعن الحسن تشرع على ابوابهم كأنها الكباش البيض يقال شرع علينا فلان اذا دنا منا وأشرف علينا وشرعت على فلان فى بيته فرأيته يفعل كذا (كذلك نبلوهم) اى مثل ذلك البلاء الشديد نبلوهم بسبب فسقهم (واذقالت) معطوف على اذ يعدون وحكمه حكمه فى الاعراب (امة منهم) جماعة من اهل القرية من صلحائهم الذين ركبوا الصعب والذلول فى موعظتهم حتى أيسوا من قبولهم لآخرين كانوا لا يقلعون عن وعظهم (لم تعظون قوما الله مهلكهم) اى مخترمهم ومطهر الارض منهم (اومعذبهم عذابا شديدا) لتماديهم فى الشر وانما قالوا ذلك لعلمهم أن الوعظ لا ينفع فيهم (قالوا معذرة الى ربكم) اى موعظتنا ابلاء عذر الى الله ولئلا ننسب فى النهي عن المنكر الى بعض التفريط (ولعلهم يتقون) ولطمعنا فى أن يتقوا بعض الاتقاء * وقرئ معذرة بالنصب اى وعظناهم معذرة الى ربكم اواعتذرنا معذرة (فلما نسوا) يعنى اهل القرية فلما تركوا ماذكرهم به الصالحون ترك الناسى لما ينساه

كل اناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات مارزقناكم وماظلمونا ولكن كانوا انفسهم يظلمون واذقيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطاياكم سنزيد المحسنين فبدل الذين ظلموا منهم قولا غير الذى قيل لهم فارسلنا عليهم رجزا من السماء بما كانوا يظلمون واسئلهم عن القرية التى كانت حاضرة البحر اذ يعدون فى السبت اذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون واذ قالت امة منهم لم تعظون قوما الله مهلكهم اومعذبهم عذابا شديدا قالوا معذرة الى ربكم ولعلهم يتقون فلما نسوا ماذكروا به

(أنجينا الذين ينهون عن السوء وأخذنا) الظالمين الراكبين للمنكر (فان قلت) الامة الذين قالوا لم تعظون من اى الفريقين هم امن فريق الناجين ام المعذبين (قلت) من فريق الناجين لانهم من فريق الناهين وماقالوا ماقالوا الاسائلين عن علة الوعظ والغرض فيه حيث لم يروا فيه غرضا صحيحا لعلمهم بحال القوم واذا علم الناهي حال المنهي وان النهي لا يؤثر فيه سقط عنه النهي وربما وجب الترك لدخوله في باب العبث الاترى انك لو ذهبت الى المكاسين القاعدين على المآصر والجلادين المرتبين للتعذيب لتعظهم وتكفهم عما هم فيه كان ذلك عبثا منك ولم يكن الا سببا للتلهي بك واما الآخرون فانما لم يعرضوا عنهم امالان يأسهم لم يستحكم كما استحكم يأس الأولين ولم يخبروهم كما خبروهم او لفرط حرصهم وجدهم في أمرهم كما وصف الله تعالى رسوله عليه الصلاة والسلام في قوله فلعلك باخع نفسك وقيل الامة هم الموعوظون لما وعظوا قالوا للواعظين لم تعظون منا قوما تزعمون ان الله مهلكهم او معذبهم وعن ابن عباس رضى الله عنه انه قال ياليت شعرى ما فعل بهؤلاء الذين قالوا لم تعظون قوما قال عكرمة فقلت جعلني الله فداك الاترى أنهم كرهوا ماهم عليه وخالفوهم وقالوا لم تعظون قوما الله مهلكهم فلم أزل به حتى عرفته انهم قد نجوا وعن الحسن نجت فرقتان وهلكت فرقة وهم الذين أخذوا الحيتان وروى ان اليهود امروا باليوم الذى امرنا به وهو يوم الجمعة فتركوه واختاروا يوم السبت فابتلوا به وحرم عليهم فيه الصيد وأمروا بتعظيمه فكانت الحيتان تأتيهم يوم السبت شرعا بيضا سمانا كأنها المخاض لا يرى الماء من كثرتها ويوم لا يسبتون لا تأتيهم فكانوا كذلك برهة من الدهر ثم جاءهم ابليس فقال لهم انما نهيتم عن أخذها يوم السبت فاتخذوا حياضا تسوقون الحيتان اليها يوم السبت فلا تقدر على الخروج منها وتأخذونها يوم الاحد واخذ رجل منهم حوتا وربط في ذنبه خيطا الى خشبة في الساحل ثم شواه يوم الاحد فوجد جاره ريح السمك فتطلع في تنوره فقال له اني ارى الله سيعذبك فلما لم يره عذب اخذ في السبت القابل حوتين فلما رأوا ان العذاب لا يعاجلهم صادوا واكلوا وملحوا وباعوا وكانوا نحوا من سبعين الفا فصار أهل القرية اثلاثا ثلث نهوا وكانوا نحوا من اثني عشر الفا وثلث قالوا لم تعظون قوما وثلث هم اصحاب الخطيئة فلما لم ينتهوا قال المسلمون انا لا نساكنكم فقسموا القرية بجدار للمسلمين باب وللمعتدين باب ولعنهم داود عليه السلام فاصبح الناهون ذات يوم في مجالسهم ولم يخرج من المعتدين احد فقالوا ان للناس شأنا فعلوا الجدار فنظروا فاذاهم قردة ففتحوا الباب ودخلوا عليهم فعرفت القرود انسباءها من الانس والانس لا يعرفون انسباءهم من القرود فجعل القرد يأتي نسيبه فيشم ثيابه ويبكي فيقول ألم ننهك فيقول برأسه بلى وقيل صار الشباب قردة والشيوخ خنازير وعن الحسن اكلوا والله اوخم اكلة اكلها اهلها أثقلها خزيا في الدنيا واطولها عذابا في الآخرة هاه وايم الله ماحوت أخذه قوم فاكلوه أعظم عند الله من قتل رجل مسلم ولكن الله جعل موعدا والساعة ادهى وامر (بئيس) شديد يقال بؤس يبؤس باسا اذا اشتد فهو بئيس وقرئ بئس بوزن حذر وبئس على تخفيف العين ونقل حركتها الى الفاء كما يقال كبد في كبد وبيس على قلب الهمزة ياء كذيب في ذئب وبيئس على فيعل بكسر الهمزة وفتحها وبيس بوزن ريس على قلب همزة بئيس ياء وادغام الياء فيها وبيس على تخفيف بيس كهين في هين وبائس على فاعل (فلما عتوا عما نهوا عنه) فلما تكبروا عن ترك مانهوا عنه كقوله وعتوا عن امر ربهم (قلنا لهم كونوا قردة) عبارة عن مسخهم قردة كقوله انما امره اذا اراد شيئا ان يقول له كن فيكون والمعنى ان الله تعالى عذبهم اولا بعذاب شديد فعتوا بعد ذلك فمسخهم وقيل فلما عتوا تكرير لقوله فلما نسوا والعذاب البئيس هو المسخ (تاذن ربك) عزم ربك وهو تفعل من الايذان وهو الاعلام لان العازم على الامر يحدث نفسه به ويؤذنها بفعله واجرى مجرى فعل القسم كعلم الله وشهد الله ولذلك اجيب بما يجاب به القسم وهو قوله (ليبعثن) والمعنى واذ حتم ربك وكتب على نفسه ليبعثن على اليهود (الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب) فكانوا يؤدون الجزية الى المجوس الى ان بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فضربها عليهم فلا تزال مضروبة عليهم الى آخر الدهر ومعنى ليبعثن عليهم ليسلطن عليهم كقوله بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد (وقطعناهم في الارض امما) وفرقناهم فيها فلا يكاد يخلو بلد من فرقة منهم (منهم الصالحون) الذين

انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا بعذاب بئيس بما كانوا يفسقون فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين واذ تاذن ربك ليبعثن عليهم الى يوم القيامة من يسومهم سوء العذاب ان ربك لسريع العقاب وانه لغفور رحيم وقطعناهم في الارض امما منهم الصالحون

آمنوا منهم بالمدينة او الذين وراء الصين (ومنهم دون ذلك) ومنهم ناس دون ذلك الوصف منحطون عنه وهم الكفرة والفسقة (فان قلت) ما محل دون ذلك (قلت) الرفع وهو صفة لموصوف محذوف معناه ومنهم ناس منحطون عن الصلاح ونحوه ومامنا الا له مقام معلوم بمعنى ومامنا أحد الا له مقام (و بلوناهم بالحسنات والسيئات) بالنعم والنقم (لعلهم) ينتهون فينيبون (فخلف) من بعد المذكورين (خلف) وهم الذين كانوا في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم (ورثوا الكتاب) التوراة بقيت في ايديهم بعد سلفهم يقرؤنها و يقفون على مافيها من الاوامر والنواهي والتحليل والتحريم ولا يعملون بها (ياخذون عرض هذا الادنى) اى حطام هذا الشيء الادنى يريد الدنيا وما يتمتع به منها وفى قوله هذا الادنى تخسيس وتحقير والادنى اما من الدنو بمعنى القرب لانه عاجل قريب واما من دنو الحال وسقوطها وقلتها والمراد ما كانوا ياخذونه من الرشا فى الاحكام على تحريف الكلم للتسهيل على العامة (و يقولون سيغفر لنا) لا يؤاخذنا الله بما أخذنا وفاعل سيغفر الجار والمجرور وهو لنا و يجوز ان يكون الاخذ الذى هو مصدر ياخذون (وان ياتهم عرض مثله ياخذوه) الواو للحال اى يرجون المغفرة وهم مصرون عائدون الى مثل فعلهم غير تائبين وغفران الذنوب لا يصح الا بالتوبة والمصر لا غفران له (ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب) يعنى قوله فى التوراة من ارتكب ذنبا عظيما فانه لا يغفر له الا بالتوبة (ودرسوا ما فيه) فى الكتاب من اشتراط التوبة فى غفران الذنوب والذى عليه المجبرة هو مذهب اليهود بعينه كما ترى وعن مالك بن دينار رحمه الله يأتي على الناس زمان ان قصروا عما امروا به قالوا سيغفر لنا لانا لم نشرك بالله شيأ كل امرهم الى الطمع خيارهم فيهم المداهنة فهؤلاء من هذه الامة اشباه الذين ذكرهم الله وتلا الآية (والدار الآخرة خير) من ذلك العرض الخسيس (للذين يتقون) الرشا ومحارم الله * وقرئ ورثوا الكتاب و الا تقولوا بالتاء وادارسوا بمعنى تدارسوا وافلا تعقلون بالياء والتاء * (فان قلت) ما موقع قوله الا يقولوا على الله الا الحق (قلت) هو عطف بيان لميثاق الكتاب ومعنى ميثاق الكتاب الميثاق المذكور فى الكتاب وفيه ان اثبات المغفرة بغير توبة خروج عن ميثاق الكتاب وافتراء على الله وتقول عليه ماليس بحق وان فسر ميثاق الكتاب بما تقدم ذكره كان ان لا يقولوا مفعولا له ومعناه لئلا يقولوا و يجوز ان تكون أن مفسرة ولا تقولوا نهيا كانه قيل ألم يقل لهم لا تقولوا على الله الا الحق (فان قلت) علام عطف قوله ودرسوا ما فيه (قلت) على ألم يؤخذ عليهم لانه تقرير فكانه قيل اخذ عليهم ميثاق الكتاب ودرسوا ما فيه (والذين يمسكون بالكتاب) فيه وجهان احدهما ان يكون مرفوعا بالابتداء وخبره (انا لا نضيع اجر المصلحين) والمعنى انا لا نضيع اجرهم لان المصلحين فى معنى الذين يمسكون بالكتاب كقوله ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع اجر من احسن عملا والثانى ان يكون مجرورا عطفا على الذين يتقون و يكون قوله انا لا نضيع اعتراضا * وقرئ يمسكون بالتشديد وتنصره قراءة ابي والذين مسكوا بالكتاب (فان قلت) التمسك بالكتاب يشتمل على كل عبادة ومنها اقامة الصلاة فكيف افردت (قلت) اظهارا لمزية الصلاة لكونها عماد الدين وفارقة بين الكفر والايمان * وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه والذين استمسكوا بالكتاب (واذ نتقنا الجبل فوقهم) قلعناه ورفعناه كقوله ورفعنا فوقهم الطور ومنه نتق السقاء اذا نفضه ليقتلع الزبدة منه * والظلة كل ما أظلك من سقيفة او سحاب وقرئ بالطاء من اطل عليه اذا اشرف (وظنوا انه واقع بهم) وعلموا انه ساقط عليهم وذلك انهم ابوا ان يقبلوا احكام التوراة لغلظها وثقلها فرفع الله الطور على رؤسهم مقدار عسكرهم وكان فرسخا فى فرسخ وقيل لهم ان قبلتموها بما فيها والا ليقعن عليكم فلما نظروا الى الجبل خر كل رجل منهم ساجدا على حاجبه الايسر وهو ينظر بعينه اليمنى الى الجبل فرقا من سقوطه فلذلك لا ترى يهوديا يسجد الا على حاجبه الايسر و يقولون هي السجدة التى رفعت عنا بها العقوبة ولما نشر موسى الالواح وفيها كتاب الله لم يبق جبل ولا شجر ولا حجر الا اهتز فلذلك لا ترى يهوديا تقرأ عليه التوراة الا اهتز وانغض لها رأسه (خذوا ما آتيناكم) على ارادة القول اى وقلنا خذوا ما آتيناكم او قائلين خذوا ما آتيناكم من الكتاب (بقوة) وعزم على احتمال مشاقه وتكاليفه (واذكروا ما فيه) من الاوامر والنواهي

ومنهم دون ذلك و بلوناهم بالحسنات والسيئات لعلهم يرجعون فخلف من بعدهم خلف ورثوا الكتاب ياخذون عرض هذا الادنى و يقولون سيغفر لنا وان ياتهم عرض مثله ياخذوه ألم يؤخذ عليهم ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله الا الحق ودرسوا ما فيه والدار الآخرة خير للذين يتقون أفلا تعقلون والذين يمسكون بالكتاب واقاموا الصلوة انا لا نضيع اجر المصلحين واذ نتقنا الجبل فوقهم كانه ظلة وظنوا انه واقع بهم خذوا ما آتيناكم بقوة

ولا تنسوه اوواذكروا مافيه من التعريض للثواب العظيم فارغبوا فيه ويجوز أن يراد خذوا ما آتيناكم من الآية العظيمة بقوة ان كنتم تطيقونه كقوله ان استطعتم أن تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا (واذكروا مافيه) من الدلالة على القدرة الباهرة والانذار (لعلكم تتقون) ما انتم عليه * وقرأ ابن مسعود وتذكروا وقرئ واذكروا بمعنى وتذكروا (من ظهورهم) بدل من بنى آدم بدل البعض من الكل ومعنى أخذ ذرياتهم من ظهورهم اخراجهم من اصلابهم نسلا واشهادهم على انفسهم وقوله (الست بربكم قالوا بلى شهدنا) من باب التمثيل والتخييل ومعنى ذلك أنه نصب لهم الادلة على ربوبيته ووحدانيته وشهدت بها عقولهم وبصائرهم التى ركبها فيهم وجعلها مميزة بين الضلالة والهدى فكانه اشهدهم على انفسهم وقررهم وقال لهم الست بربكم وكانهم قالوا بلى أنت ربنا شهدنا على انفسنا واقررنا بوحدانيتك وباب التمثيل واسع فى كلام الله تعالى ورسوله عليه السلام وفى كلام العرب ونظيره قوله تعالى انما قولنا لشيء اذا أردناه أن نقول له كن فيكون فقال لها وللارض ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله * اذ قالت الانساع للبطن الحق * قالت له ريح الصبا قرقار * ومعلوم أنه لا قول ثم وانما هو تمثيل وتصوير للمعنى (ان تقولوا) مفعول له اى فعلنا ذلك من نصب الادلة الشاهدة على صحتها العقول كراهة أن تقولوا (يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين) لم ننبه عليه (او) كراهة أن (تقولوا انما أشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم) فاقتدينا بهم لان نصب الادلة على التوحيد وما نبهوا عليه قائم معهم فلا عذر لهم فى الاعراض عنه والاقبال على التقليد والاقتداء بالآباء كما لا عذر لآبائهم فى الشرك وادلة التوحيد منصوبة لهم (فان قلت) بنو آدم وذرياتهم من هم (قلت) عنى ببنى آدم اسلاف اليهود الذين اشركوا بالله حيث قالوا عزير ابن الله وبذرياتهم الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اخلافهم المقتدين بآبائهم والدليل على انها فى المشركين واولادهم قوله او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل والدليل على انها فى اليهود الآيات التى عطفت عليها هى والتى عطفت عليها وهى على نمطها واسلوبها وذلك قوله واسألهم عن القرية واذ قالت امة منهم لم تعظون واذ تأذن ربك واذ نتقنا الجبل فوقهم واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا (افتهلكنا بما فعل المبطلون) اى كانوا السبب فى شركنا لتأسيسهم الشرك وتقدمهم فيه وتركه سنة لنا (وكذلك) ومثل ذلك التفصيل البليغ (نفصل الآيات) لهم (ولعلهم يرجعون) وارادة ان يرجعوا عن شركهم نفصلها * وقرئ ذريتهم على التوحيد وان يقولوا بالياء (واتل عليهم) على اليهود (نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) هو عالم من علماء بنى اسرائيل وقيل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء اوتى علم بعض كتب الله فانسلخ منها من الآيات بان كفر بها ونبذها وراء ظهره (فاتبعه الشيطان) فلحقه الشيطان وادركه وصار قرينا له اوفاتبعه خطواته وقرئ فاتبعه بمعنى فتبعه (فكان من الغاوين) فصار من الضالين الكافرين روى ان قومه طلبوا اليه ان يدعو على موسى ومن معه فابى وقال كيف ادعو على من معه الملائكة فالحوا عليه ولم يزالوا به حتى فعل (ولو شئنا لرفعناه بها) لعظمناه ورفعناه الى منازل الابرار من العلماء بتلك الآيات (ولكنه اخلد الى الارض) مال الى الدنيا ورغب فيها وقيل مال الى السفالة (فان قلت) كيف علق رفعه بمشيئة الله تعالى ولم يعلق بفعله الذى يستحق به الرفع (قلت) المعنى ولو لزم العمل بالآيات ولم ينسلخ منها لرفعناه بها وذلك ان مشيئة الله تعالى رفعه تابعة للزومه الآيات فذكرت المشيئة والمراد ما هى تابعة له ومسببة عنه كانه قيل ولو لزمها لرفعناه بها الا ترى الى قوله ولكنه اخلد الى الارض فاستدرك المشيئة باخلاده الذى هو فعله فوجب ان يكون ولو شئنا فى معنى ما هو فعله ولو كان الكلام على ظاهره لوجب ان يقال ولو شئنا لرفعناه ولكنا لم نشأ (فمثله كمثل الكلب) فصفته التى هى مثل فى الخسة

واذكروا مافيه لعلكم تتقون واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون وكذلك نفصل الآيات ولعلهم يرجعون واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد الى الارض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث اوتتركه يلهث

* قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على انفسهم الآية (قال هذا من باب التمثيل والتخييل الخ) قال احمد اطلاق التمثيل أحسن وقد ورد الشرع به واما اطلاقه التخييل على كلام الله تعالى فمردود ولم يرد به سمع وقد كثر انكارنا عليه لهذه اللفظة ثم ان القاعدة مستقرة على ان الظاهر ما لم يخالف المعقول يجب اقراره على ما هو عليه فكذلك أقره الاكثرون على ظاهره وحقيقته ولم يجعلوه مثالا وأما كيفية الاخراج والمخاطبة فالله أعلم بذلك * عاد كلامه (قال فان قلت بنو آدم وذرياتهم من هم الخ) قال احمد والاظهر انها شاملة لجملة بنى آدم فتدخل اليهود فى عمومها لان كل واحد من بنى آدم يصدق عليه الامران جميعا انه ابن آدم وانه ذريته ولا يخرج من هذا الا آدم عليه السلام وانما لم يذكر لظهوره ولا يخلو الكلام عن النوع المسمى فى فن البلاغة باللف اختصارا وايجازا

* قوله تعالى ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون (قال معنى الحسنى التي هى احسن الاسماء الخ) قال احمد اي مما يجوز عليه وان لم يرد اطلاقه شرعا كالشريف والعارف ونحو ذلك * عاد كلامه (قال كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم الخ) قال احمد وفي هذا التأويل بعد لان ترك الدعاء ببعض الاسماء لا يطلق عليه الحاد في العرف وانما يطلق على فعل لا على ترك ولكن يتميز عن الوجه السالف بانه اضاف الاسماء الملحد فيها الى ذاته وهذا أدل على الرحمن منه على مثل ابيض الوجه ونحوه فان هذا ليس من اسمائه الا ان يقال اضافه اليه تنزيلا على زعمهم * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى وهي الوصف بالعدل والخير الخ) قال احمد لايدع بحشو العقائد الفاسدة في غير موضع يسعها فان يكن المراد الاوصاف فالحسنى منها وصف الله بعموم القدرة وهي والانفراد بالمخلوقات حتى لا يشرك معه عباده في خلق افعالهم ويعظم الله تعالى بانه لا يسأل عما يفعل وان كل قضائه عدل وانه لا يجب عليه رعاية ما يتوهمه الخلق مصلحة بعقولهم وان وعده الصدق وقوله الحق وقد وعد رؤيته فوجب وقوعها الى غير ذلك من اوصافه

ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وانفسهم كانوا يظلمون من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فاولئك هم الخاسرون ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا من الجن والانس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم اعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون فى اسمائه سيجزون ما كانوا يعملون

والضعة كصفة الكلب في اخس احواله واذلها * وهي حال دوام اللهث به واتصاله سواء حمل عليه اي شد عليه وهيج فطرد او ترك غير متعرض له بالحمل عليه وذلك ان سائر الحيوان لا يكون منه اللهث الا اذا هيج منه وحرك والا لم يلهث والكلب يتصل لهثه في الحالتين جميعا وكان حق الكلام ان يقال ولو شئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض فحططناه ووضعنا منزلته فوضع قوله فمثله كمثل الكلب موضع حططناه ابلغ حط لان تمثيله بالكلب في اخس احواله واذلها في معنى ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه الكلب منقطع الفؤاد يلهث ان حمل عليه اولم يحمل عليه وقيل معناه ان وعظته فهو ضال وان لم تعظه فهو ضال كالكلب ان طردته فسعى لهث وان تركته على حاله لهث (فان قلت) ما محل الجملة الشرطية (قلت) النصب على الحال كانه قيل كمثل الكلب ذليلا دائم الذلة لاهثا في الحالتين وقيل لما دعا بلعم على موسى عليه السلام خرج لسانه فوقع على صدره وجعل يلهث كما يلهث الكلب (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) من اليهود بعد ماقرؤا نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة وذكر القرآن المعجز ومافيه وبشروا الناس باقتراب مبعثه وكانوا يستفتحون به (فاقصص) قصص بلعم الذى هو نحو قصصهم (لعلهم يتفكرون) فيحذرون مثل عاقبته اذا ساروا نحو سيرته وزاغوا شبه زيغه ويعلمون انك علمته من جهة الوحي فيزدادوا ايقانا بك وتزداد الحجة لزوما لهم (ساء مثلا القوم) اى مثل القوم اوساء اصحاب مثل القوم وقرأ الجحدري ساء مثل القوم (وأنفسهم كانوا يظلمون) اما ان يكون معطوفا على كذبوا فيدخل في حيز الصلة بمعنى الذين جمعوا بين التكذيب بآيات الله وظلم انفسهم واما ان يكون كلاما منقطعا عن الصلة بمعنى وما ظلموا الا انفسهم بالتكذيب وتقديم المفعول به للاختصاص كانه قيل وخصوا أنفسهم بالظلم لم يتعدها الى غيرها (فهو المهتدى) حمل على اللفظ و (فاولئك هم الخاسرون) حمل على المعنى (كثيرا من الجن والانس) هم المطبوع على قلوبهم الذين علم الله انه لا لطف لهم * وجعلهم في انهم لا يلقون اذهانهم الى معرفة الحق ولا ينظرون باعينهم الى ماخلق الله نظر اعتبار ولا يسمعون مايتلى عليهم من آيات الله سماع تدبر كانهم عدموا فهم القلوب وابصار العيون واستماع الآذان وجعلهم لاعراقهم في الكفر وشدة شكائمهم فيه وانه لا يأتي منهم الا افعال أهل النار مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار ومنه كتاب عمر رضى الله عنه الى خالد بن الوليد بلغني ان أهل الشام اتخذوا لك دلوكا عجن بخمر واني لاظنكم آل المغيرة ذرء النار ويقال لمن كان عريقا في بعض الامور ماخلق فلان الا لكذا والمراد وصف حال اليهود في عظم ماأقدموا عليه من تكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم أنه النبي الموعود وانهم من جملة الكثير الذين لا يكاد الايمان يتأتى منهم كانهم خلقوا للنار (أولئك كالانعام) في عدم الفقه والنظر للاعتبار والاستماع للتدبر (بل هم أضل) من الانعام عن الفقه والاعتبار والتدبر (أولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة وقيل الانعام تبصر منافعها ومضارها فتلزم بعض ماتبصره وهؤلاء أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار (ولله الاسماء الحسنى) التى هى أحسن الاسماء لانها تدل على معان حسنة من تمجيد وتقديس وغير ذلك (فادعوه بها) فسموه بتلك الاسماء (وذروا الذين يلحدون فى اسمائه) واتركوا تسمية الذين يميلون عن الحق والصواب فيها فيسمونه بغير الاسماء الحسنى وذلك ان يسموه بما لا يجوز عليه كما سمعنا البدو يقولون بجهلهم ياأبا المكارم ياأبيض الوجه يانخي أو أن يأبوا تسميته ببعض اسمائه الحسنى نحو أن يقولوا ياالله ولا يقولوا يارحمن وقد قال الله تعالى قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ويجوز أن يراد ولله الاوصاف الحسنى

وهي الوصف بالعدل والخير والاحسان وانتفاء شبه الخلق فصفوه بها وذروا الذين يلحدون اوصافه فيصفونه بمشيئة القبائح وخلق الفحشاء والمنكر و بما يدخل في التشبيه كالرؤية ونحوها وقيل الحادهم في اسمائه تسميتهم الاصنام آلهة واشتقاقهم اللات من الله والعزى من العزيز * لما قال ولقد ذرأنا لجهنم كثيرا فاخبران كثيرا من الثقلين عاملون باعمال اهل النار اتبعه قوله (وممن خلقنا امة يهدون بالحق) وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول اذا قرأها هذه لكم وقد اعطي القوم بين ايديكم مثلها ومن قوم موسى امة يهدون بالحق وعنه صلى الله عليه وسلم ان من امتي قوما على الحق حتى ينزل عيسى عليه السلام وعن الكلبي هم الذين آمنوا من اهل الكتاب وقيل هم العلماء والدعاة الى الدين * الاستدراج استفعال من الدرجة بمعنى الاستصعاد او الاستنزال درجة بعد درجة قال الاعشى

فلو كنت في جب ثمانين قامة * ورقيت اسباب السماء بسلم
ليستدرجنك القول حتى تهره * وتعلم اني عنكم غير مفحم

ومنه درج الصبي اذا قارب بين خطاه وادرج الكتاب طواه شيئا بعد شيء ودرج القوم مات بعضهم في اثر بعض ومعنى (سنستدرجهم) سنستدنيهم قليلا قليلا الى ما يهلكهم و يضاعف عقابهم (من حيث لا يعلمون) ما يراد بهم وذلك ان يواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم في الغي فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية فيتدرجون في المعاصي بسبب ترادف النعم ظانين ان مواترة النعم اثرة من الله وتقريب وانما هي خذلان منه وتبعيد فهو استدراج الله تعالى نعوذ بالله منه (واملي لهم) عطف على سنستدرجهم وهو داخل في حكم السين (ان كيدي متين) سماه كيدا لانه شبيه بالكيد من حيث انه في الظاهر احسان وفي الحقيقة خذلان (ما بصاحبهم) بمحمد صلى الله عليه وسلم (من جنة) من جنون وكانوا يقولون شاعر مجنون وعن قتادة ان النبي صلى الله عليه وسلم علا الصفا فدعاهم فخذا فخذا يحذرهم باس الله فقال قائلهم ان صاحبكم هذا لمجنون بات يهوت الى الصباح (اولم ينظروا) نظر استدلال (في ملكوت السموات والارض) فيما تدلان عليه من عظم الملك والملكوت الملك العظيم (وما خلق الله من شيء) وفيما خلق الله مما يقع عليه اسم الشيء من اجناس لا يحصرها العدد ولا يحيط بها الوصف (وان عسي) ان مخففة من الثقيلة والاصل وانه عسى على ان الضمير ضمير الشان والمعنى اولم ينظروا في ان الشان والحديث عسي (ان يكون قد اقترب اجلهم) ولعلهم يموتون عما قريب فيسارعوا الى النظر وطلب الحق وما ينجيهم قبل مغافصة الاجل وحلول العقاب ويجوز ان يراد باقتراب الاجل اقتراب الساعة ويكون من كان التي فيها ضمير الشان * (فان قلت) بم يتعلق قوله (فبأي حديث بعده يؤمنون) (قلت) بقوله عسى ان يكون قد اقترب اجلهم كانه قيل لعل اجلهم قد اقترب فما لهم لا يبادرون الى الايمان بالقرآن قبل الفوت وماذا ينتظرون بعد وضوح الحق وباي حديث احق منه يريدون ان يؤمنوا * قرئ و يذرهم بالياء والنون والرفع على الاستئناف و يذرهم بالياء والجزم عطفا على محل فلا هادي له كانه قيل من يضلل الله لا يهده احد و يذرهم (يسئلونك) قيل ان قوما من اليهود قالوا يا محمد اخبرنا متى الساعة ان كنت نبيا فانا نعلم متى هي وكان ذلك امتحانا منهم مع علمهم ان الله تعالى قد استاثر بعلمها وقيل السائلون قريش * والساعة من الاسماء الغالبة كالنجم للثريا وسميت القيامة بالساعة لوقوعها بغتة اولسرعة حسابها اوعلى العكس لطولها اولانها عند الله على طولها كساعة من الساعات عند الخلق (ايان) بمعنى متى وقيل اشتقاقه من اى فعلان منه لان معناه اى وقت واى فعل من اويت اليه لان البعض آوالى الكل متساند اليه قاله ابن جني وابى ان يكون من اين لانه زمان واين مكان وقرأ السلمي إيان بكسر الهمزة (مرساها) ارساؤها او وقت ارسائها اى اثباتها واقرارها وكل شيء ثقيل رسوه ثباته واستقراره ومنه رسى الجبل وارسى السفينة والمرسى الانجر الذي ترسى به ولا اثقل من الساعة بدليل قوله ثقلت في السموات والارض والمعنى متى يرسيها الله (انما علمها) اى علم وقت ارسائها عنده قد استاثر به لم يخبر به احدا من ملك مقرب ولا نبي مرسل يكاد يخفيها من نفسه ليكون ذلك ادعى الى

ومن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون والذين كذبوا بآياتنا سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملي لهم ان كيدي متين اولم يتفكروا ما بصاحبهم من جنة ان هو الا نذير مبين اولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء وان عسي ان يكون قد اقترب أجلهم فبأي حديث بعده يؤمنون من يضلل الله فلا هادي له ويذرهم في طغيانهم يعمهون يسئلونك عن الساعة أيان مرساها قل انما علمها عند ربي

الجليلة وذروا الذين يلحدون في اوصافه فيجحدونها انهم يزعمون انه لا يشمل قدرته المخلوقات بل هي مقسومة بينه وبين عباده و يوجبون عليه رعاية ما يتوهمونه مصلحة و يحجرون واسعا من مغفرته وعفوه وكرمه على الخاطئين من موحديه الى غير ذلك من الالحاد المعروف بالطائفة المتلقبين عدلية المزكين لا نفسهم وهو اعلم بمن اتقى * عاد كلامه (قال وقيل الحادهم في أسمائه تسميتهم الخ) قال احمد وهذا تفسير حسن ملائم والله اعلم

* قوله تعالى يسالونك كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن أكثر الناس لا يعلمون (قال معناه كانك بليغ فى السؤال عنها الخ) قال أحمد وفى هذا النوع من التكرير نكتة لا تلفى الا فى هذا الكتاب العزيز وهو أجل من ان يشاركه فيها وذلك ان المعهود فى امثال هذا التكرير ان الكلام اذا بنى على مقصد واعترض فى اثنائه عارض فاريد الرجوع لتتميم المقصد الاول وقد بعد عهده طرى بذكر المقصد الاول لتتصل نهايته ببدايته وقد تقدم لذلك فى الكتاب العزيز أمثال وسيأتي وهذا منها فانه لما ابتدأ الكلام بقوله يسئلونك عن الساعة أيان مرساها ثم اعترض ذكر الجواب المضمن فى قوله قل انما علمها عند ربي الى قوله بغتة أريد تتميم سؤالهم عنها بوجه من الانكار عليهم وهو المضمن في قوله كانك حفى عنها ٣٦٠ وهو شديد التعلق بالسؤال وقد بعد عهده فطرى ذكره تطرية عامة ولا تراه ابدا يطرى الا بنوع من الاجمال كالتذكرة للاول مستغني عن تفصيله بما تقدم فمن ثم قيل يسالونك ولم يذكر المسؤل عنه وهو الساعة اكتفاء بما تقدم فلما كرر السؤال لهذه الفائدة كرر الجواب ايضا مجملا فقال قل انما علمها عند الله و يلاحظ هذا فى تلخيص الكلام بعد بسطه ومن ادق ما وقفت عليه العرب في هذا النمط من التكرير لاجل بعد العهد تطرية للذكر قوله

عجل لنا هذا وألحقنا بذا ال * الشحم انا قد مللناه بجل

وحده اى فقط فذكر الالف واللام خاتمة الاول من الرجزين ثم لما استفتح الرجز الثانى استبعد العهد بالاولى فطرى ذكرها وابقى الاولى فى مكانها ومن ثم استدل ابن جنى على ان ما كان من الرجز على ثلاثة اجزاء فهو بيت كامل وليس بنصف كما ذهب اليه ابو الحسن قال ولو كان بيتا واحدا لم يكن عهد الاولى متباعدا فلم يكن محتاجا الى تكريرها الا ترى ان عبيدا لما جاء بقصيدة طويلة الابيات وجعل آخر المصراع الاول ال لم يعدها اول المصراع الثاني لانها بيت واحد فلم ير عهدها بعيدا وذلك قوله

يا خليلي اربعا واستخبرا ال * منزل الدارس من اهل الحلال

مثل سحق البرد عفى بعدك ال * قطر مغناه وتأويب الشمال

ثم استرسل فيها كذلك بضعة عشر بيتا فانظر هذه النكتة كيف بلغت العرب فى رعايتها حتى عدت القريب بعيدا والمتقاصر مديدا فتاملها فانها تحفة انما تنفق عند الحذاق الاعيان في صناعتي العربية والبيان والله المستعان

لا يجليها لوقتها الا هو ثقلت فى السموات والارض لا تاتيكم الا بغتة يسئلونك كانك حفى عنها قل انما علمها عند الله ولكن اكثر الناس لا يعلمون قل لا املك لنفسي نفعا ولا ضرا الا ما شاء الله ولو كنت اعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء ان انا الا نذير و بشير لقوم يؤمنون هو الذى خلقكم

الطاعة وأزجر عن المعصية كما اخفى الاجل الخاص وهو وقت الموت لذلك (لا يجليها لوقتها الا هو) اى لا تزال خفية لا يظهر امرها ولا يكشف خفاء علمها الا هو وحده اذا جاء بها فى وقتها بغتة لا يجليها بالخبر عنها قبل مجيئها أحد من خلقه لاستمرار الخفاء بها على غيره الى وقت وقوعها (ثقلت فى السموات والارض) اى كل من أهلها من الملائكة والثقلين أهمه شان الساعة و يوده ان يتجلى له علمها وشق عليه خفاؤها وثقل عليه او ثقلت فيها لان اهلها يتوقعونها ويخافون شدائدها واهوالها اولان كل شيء لا يطيقها ولا يقوم لها فهى ثقيلة فيها (الا بغتة) الا فجاة على غفلة منكم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان الساعة تهيج بالناس والرجل يصلح حوضه والرجل يسقي ماشيته والرجل يقوم سلعته في سوقه والرجل يخفض ميزانه و يرفعه (كانك حفى عنها) كانك عالم بها وحقيقته كانك بليغ فى السؤال عنها لان من بالغ في المسئلة عن الشيء والتنقير عنه استحكم علمه فيه ورصن وهذا التركيب معناه المبالغة ومنه احفاء الشارب واحتفاء البقل استئصاله واحفى فى المسئلة اذا الحف وحفى بفلان وتحفى به بالغ فى البر به وعن مجاهد استحفيت عنها السؤال حتى علمت وقرأ ابن مسعود كانك حفى بها اى عالم بها بليغ فى العلم بها وقيل عنها متعلق بيسئلونك اى يسئلونك عنها كانك حفي اى عالم بها وقيل أن قريشا قالوا له ان بيننا و بينك قرابة فقل لنا متي الساعة فقيل يسئلونك عنها كانك حفى تتحفي بهم فتختصهم بتعليم وقتها لاجل القرابة وتزوى علمها عن غيرهم ولو اخبرت بوقتها لمصلحة عرفها الله فى اخبارك به لكنت مبلغه القريب والبعيد من غير تخصيص كسائر ما أوحي اليك وقيل كانك حفى بالسؤال عنها تحبه وتؤثره يعنى أنك تكره السؤال عنها لانها من علم الغيب الذى استاثر الله به ولم يؤته أحدا من خلقه (فان قلت) لم كرر يسئلونك وانما علمها عند الله (قلت) للتاكيد ولما جاء به من زيادة قوله كانك حفى عنها وعلى هذا تكرير العلماء الحذاق فى كتبهم لا يخلون المكرر من فائدة زائدة منهم محمد ابن الحسن صاحب أبي حنيفة رحمهما الله (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انه العالم بها وانه المختص بالعلم بها (قل لا أملك لنفسى) هو اظهار للعبودية والانتفاء عما يختص بالربوبية من علم الغيب اى أنا عبد ضعيف لا أملك لنفسي اجتلاب نفع ولا دفع ضر كالمماليك والعبيد (الا ما شاء) ربي وما لكي من النفع لي والدفع عني (ولو كنت أعلم الغيب) لكانت حالى على خلاف ما هي عليه من استكثار الخير واستغزار المنافع واجتناب السوء والمضار حتي لا يمسني شيء منها ولم أكن غالبا مرة ومغلوبا اخرى فى الحروب ورابحا وخاسرا فى التجارات ومصيبا ومخطئا فى التدابير (ان انا الا) عبد أرسلت نذيرا و بشيرا وما من شاني اني اعلم الغيب (لقوم يؤمنون) يجوز ان يتعلق بالنذير والبشير جميعا لان النذارة والبشارة انما تنفعان فيهم او يتعلق بالبشير

*قوله تعالى هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها الى قوله تعالى فتعالى الله عما يشركون (قال الضمير في آتيتنا ولنكونن لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما الخ) قال أحمد وأسلم من هذين التفسيرين واقرب والله أعلم ان يكون المراد جنسي الذكر والانثي لا يقصد فيه الى معين وكان المعنى والله اعلم خلقكم جنسا واحدا وجعل ازواجكم منكم ايضا لتسكنوا اليهن فلما تغشي الجنس الذي هو الذكر الجنس الآخر الذي هو الانثي جرى من هذين الجنسين كيت وكيت وانما نسب هذه المقالة الى الجنس وان كان فيهم الموحدون لان المشركين منهم أئذا مامت لسوف أخرج حيا وقتل الانسان ما أكفره ان الانسان لفى خسر كما انه كذلك على التفسير الاول أضاف الشرك الى اولاد آدم وحواء وهو واقع من بعضهم وعلى التفسير الثانى اضافه الى قصي وعقبه والمراد البعض فهذا السؤال وارد على التأويلات الثلاثة ونجوا به واحد ويسلم هذا الثالث من حذف المضاف المضطر اليه فى التأويل الاول ومما ينصرف الى التأويل الثاني من استبعاد تخصيص قصي بهذا الامر المشترك في الجنس وهو جعل زوجته منه وكون المراد بذلك ان يسكن اليها لان ذلك عام فى الجنس والله اعلم

وحده ويكون المتعلق بالنذير محذوفا اى الا نذير للكافرين وبشير لقوم يؤمنون (من نفس واحدة) وهي نفس آدم عليه السلام (وجعل منها زوجها) وهي حواء خلقها من جسد آدم من ضلع من اضلاعه او من جنسها كقوله جعل لكم من انفسكم ازواجا (ليسكن اليها) ليطمئن اليها ويميل ولا ينفر لان الجنس الى الجنس اميل وبه آنس واذا كانت بعضا منه كان السكون والمحبة ابلغ كما يسكن الانسان الى ولده ويحبه محبة نفسه لكونه بضعة منه وقال ليسكن فذكر بعدما انث في قوله واحدة منها زوجها ذهابا الى معنى النفس ليبين ان المراد بها آدم ولان الذكر هو الذي يسكن الى الانثي ويتغشاها فكان التذكير احسن طباقا للمعنى *والتغشي كناية عن الجماع وكذلك الغشيان والاتيان (حملت حملا خفيفا) خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحبالى من حملهن من الكرب والاذى ولم تستثقله كما يستثقلنه وقد تسمع بعضهن تقول فى ولدها ما كان اخفه على كبدي حين حملته (فمرت به) فمضت به الى وقت ميلاده من غير اخداج ولا ازلاق وقيل حملت حملا خفيفا يعني النطفة فمرت به فقامت به وقعدت وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاستمرت به وقرأ يحيي بن يعمر فمرت به بالتخفيف وقرأ غيره فمارت من المرية كقوله افتمارونه وأفتمرونه ومعناه فوقع فى نفسها ظن الحمل فارتابت به (فلما أثقلت) حان وقت ثقل حملها كقولك أقربت وقرئ أثقلت على البناء المفعول اى اثقلها الحمل دعوا الله ربهما دعا آدم وحواء ربهما ومالك امرهما الذي هو الحقيق بان يدعى ويلتجأ اليه فقالا (لئن آتيتنا) لئن وهبت لنا (صالحا) ولدا سويا قد صلح بدنه وبرئ وقيل ولدا ذكرا لان الذكورة من الصلاح والجودة والضمير فى آتيتنا و(لنكونن) لهما ولكل من يتناسل من ذريتهما (فلما آتاهما) ما طلباه من الولد الصالح السوي (جعلا له شركاء) اى جعل اولادهما له شركاء على حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه وكذلك (فيما آتاهما) اى آتي اولادهما وقد دل على ذلك بقوله (فتعالى الله عما يشركون) حيث جمع الضمير وآدم وحواء بريئان من الشرك ومعنى اشراكهم فيما آتاهم الله تسميتهم اولادهم بعبد العزى وعبد مناة وعبد شمس وما اشبه ذلك مكان عبد الله وعبد الرحمن وعبد الرحيم ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب لقريش الذين كانوا فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم آل قصي الا ترى الى قوله فى قصة أم معبد

فيا لقصي ما زوى الله عنكم * به من فخار لا يبارى وسودد

ويراد هو الذي خلقكم من نفس قصي وجعل من جنسها زوجها عربية قرشية ليسكن اليها فلما آتاهما ما طلبا من الولد الصالح السوي جعلا له شركاء فيما آتاهما حيث سميا اولادهما الاربعة بعبد مناف وعبد العزى وعبد قصي وعبد الدار وجعل الضمير فى يشركون لهما ولاعقابهما الذين اقتدوا بهما فى الشرك وهذا تفسير حسن لا اشكال فيه *وقرئ شركا اى ذوي شرك وهم الشركاء او احدثا لله شركا فى الولد *اجريت الاصنام مجرى اولى العلم فى قوله (وهم يخلقون) بناء على اعتقادهم فيها وتسميتهم اياها آلهة والمعنى ايشركون ما لا يقدر على خلق شيء كما يخلق الله وهم مخلوقون لان الله عز وجل خالقهم او لا يقدر على اختلاق شيء لانه جماد وهم يخلقون لان عبدتهم يختلقونهم فهم اعجز من عبدتهم (ولا يستطيعون لهم) لعبدتهم (نصرا ولا انفسهم ينصرون) فيدفعون عنها ما يعتريها من الحوادث بل عبدتهم هم الذين يدفعون عنهم ويحامون عليهم (وان تدعوهم) وان تدعوا هذه الاصنام (الى الهدى) اى الى ما هو هدى ورشاد او الى ان يهدوكم والمعنى وان تطلبوا منهم كما تطلبون من الله الخير والهدى لا يتبعوكم الى مرادكم وطلبتكم ولا يجيبوكم كما يجيبكم الله ويدل عليه قوله فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين (سواء عليكم ادعوتموهم) ام صمتم عن دعائهم فى

من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به فلما اثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحا لنكونن من الشاكرين فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما فتعالى الله عما يشركون ايشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون ولا يستطيعون لهم نصرا ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يتبعوكم سواء عليكم ادعوتموهم ام أنتم صامتون

ان الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم فادعوهم فليستجيبوا لكم ان كنتم صادقين ألهم ارجل يمشون بها أم لهم ايد يبطشون بها ام لهم اعين يبصرون بها ام لهم آذان يسمعون بها قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون ان ولي الله الذي نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين والذين تدعون من دونه لا يستطيعون نصركم ولا انفسهم ينصرون وان تدعوهم الى الهدى لا يسمعوا وتراهم ينظرون اليك وهم لا يبصرون خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون واخوانهم يمدونهم فى الغي ثم لا يقصرون واذا لم تاتهم بآية قالوا

انه لا فلاح معهم (فان قلت) هلا قيل ام صمتم ولم وضعت الجملة الاسمية موضع الفعلية (قلت) لانهم كانوا اذا حزبهم امر دعوا الله دون اصنامهم كقوله واذا مس الناس ضر فكانت حالهم المستمرة ان يكونوا صامتين عن دعوتهم فقيل ان دعوتموهم لم تفترق الحال بين احداثكم دعاءهم و بين ما انتم عليه من عادة صمتكم عن دعائهم (ان الذين تدعون من دون الله) اى تعبدونهم وتسمونهم آلهة من دون الله (عباد أمثالكم) وقوله عباد امثالكم استهزاء بهم اى قصارى امرهم ان يكونوا احياء عقلاء فان ثبت ذلك فهم عباد امثالكم لا تفاضل بينكم ثم ابطل ان يكونوا عبادا أمثالهم فقال (ألهم ارجل يمشون بها) وقيل عباد امثالكم مملوكون امثالكم وقرأ سعيد بن جبير ان الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم بتخفيف ان ونصب عبادا أمثالكم والمعنى ما الذين تدعون من دون الله عبادا أمثالكم على اعمال ان النافية عمل ما الحجازية (قل ادعوا شركاءكم) واستعينوا بهم فى عداوتي (ثم كيدون) جميعا انتم وشركاؤكم (فلا تنظرون) فانى لا ابالى بكم ولا يقول هذا الا واثق بعصمة الله وكانوا قد خوفوه آلهتهم فامر ان يخاطبهم بذلك كما قال قوم هود له ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء فقال لهم انى برىء مما تشركون من دونه فكيدونى جميعا ثم لا تنظرون (ان ولي الله) اى ناصرى عليكم الله (الذى نزل الكتاب) الذى اوحى الى كتابه واعزنى برسالته (وهو يتولى الصالحين) ومن عادته ان ينصر الصالحين من عباده وانبيائه ولا يخذلهم (ينظرون اليك) يشبهون الناظرين اليك لانهم صوروا اصنامهم بصورة من قلب حدقته الى الشيء ينظر اليه (وهم لا يبصرون) وهم لا يدركون المرئي (العفو) ضد الجهد اى خذ ما عفا لك من افعال الناس واخلاقهم وما اتى منهم وتسهل من غير كلفة ولا تداقهم ولا تطلب منهم الجهد وما يشق عليهم حتى لا ينفروا كقوله صلى الله عليه وسلم يسروا ولا تعسروا وقال

خذ العفو منى تستديمى مودتى * ولا تنطقى فى سورتى حين اغضب

وقيل خذ الفضل وما تسهل من صدقاتهم وذلك قبل نزول آية الزكاة فلما نزلت امر ان ياخذهم بها طوعا اوكرها * والعرف المعروف والجميل من الافعال (واعرض عن الجاهلين) ولا تكافىء السفهاء بمثل سفههم ولا تمارهم واحلم عنهم واغض على ما يسوءك منهم وقيل لما نزلت الآية سال جبريل فقال لا ادرى حتى اسال ثم رجع فقال يا محمد ان ربك امرك ان تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتعفو عمن ظلمك وعن جعفر الصادق امر الله نبيه عليه الصلاة والسلام بمكارم الاخلاق وليس فى القرآن آية اجمع لمكارم الاخلاق منها (واما ينزغنك من الشيطان نزغ) واما ينخسنك منه نخس بان يحملك بوسوسته على خلاف ما امرت به (فاستعذ بالله) ولا تطعه والنزغ والنسغ الغرز والنخس كانه ينخس الناس حين يغريهم على المعاصي وجعل النزغ نازغا كما قيل جد جده وروى انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يارب والغضب فنزل واما ينزغنك من الشيطان نزغ ويجوز ان يراد بنزغ الشيطان اعتراء الغضب كقول ابى بكر رضى الله عنه ان لى شيطانا يعتريني (طيف من الشيطان) لمة منه مصدر من قولهم طاف به الخيال يطيف طيفا قال

انى الم بك الخيال يطيف * او هو تخفيف طيف فيعل من طاف يطيف كلين او من طاف يطوف كهين وقرىء طائف وهو يحتمل الامرين ايضا وهذا تاكيد وتقرير لما تقدم من وجوب الاستعاذة بالله عند نزغ الشيطان وان المتقين هذه عادتهم اذا أصابهم ادنى نزغ من الشيطان والمام بوسوسته (تذكروا) ما أمر الله به ونهى عنه فابصروا السداد ودفعوا ما وسوس به اليهم ولم يتبعوه انفسهم * واما اخوان الشياطين الذين ليسوا بمتقين فان الشياطين يمدونهم فى الغي اى يكونون مددا لهم فيه ويعضدونهم * وقرىء يمدونهم من الامداد ويمادونهم بمعنى يعاونونهم (ثم لا يقصرون) ثم لا يمسكون عن اغوائهم حتى يصروا ولا يرجعوا وقوله واخوانهم يمدونهم كقوله * قوم اذا الخيل جالوا فى كواثبها * فى ان الخبر جار على غير ما هو له ويجوز ان يراد بالاخوان الشياطين ويرجع الضمير المتعلق به الى الجاهلين فيكون الخبر جاريا على ما هو له والاول اوجه لان اخوانهم فى مقابلة الذين اتقوا (فان قلت) لم جمع الضمير فى اخوانهم والشيطان مفرد (قلت) المراد به الجنس كقوله اولياؤهم الطاغوت * اجتبى الشيء بمعنى جباه لنفسه اى جمعه كقولك اجتمعه او جبى اليه فاجتباه اى اخذه

كقولك جليت اليه العروس فاجتلاها ومعنى (لولا اجتبيتها) هلا اجتمعتها افتعالا من عند نفسك لانهم كانوا يقولون ان هذا الا افك مفترى او هلا أخذتها منزلة عليك مقترحة (قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى) ولست بمفتعل للآيات او لست بمقترح لها (هذا بصائر) هذا القرآن بصائر (من ربكم) اى حجج بينة يعود المؤمنون بها بصراء بعد العمى اوهو بمنزلة بصائر القلوب (واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا) ظاهره وجوب الاستماع والانصات وقت قراءة القرآن فى صلاة وغير صلاة وقيل كانوا يتكلمون فى الصلاة فنزلت ثم صار سنة فى غير الصلاة أن ينصت القوم اذا كانوا فى مجلس يقرأ فيه القرآن وقيل معناه واذا تلا عليكم الرسول القرآن عند نزوله فاستمعوا له وقيل معنى فاستمعوا له فاعملوا بما فيه ولا تجاوزوه (واذكر ربك فى نفسك) هو عام فى الاذكار من قراءة القرآن والدعاء والتسبيح والتهليل وغير ذلك (تضرعا وخيفة) متضرعا وخائفا (ودون الجهر) ومتكلما كلاما دون الجهر لان الاخفاء ادخل فى الاخلاص واقرب الى حسن التفكر (بالغدو والآصال) لفضل هذين الوقتين او أراد الدوام ومعنى بالغدو بأوقات الغدو وهى الغدوات وقرئ والايصال من آصل اذا دخل فى الاصيل كاقصر واعتم وهو مطابق للغدو (ولا تكن من الغافلين) من الذين يغفلون عن ذكر الله و يلهون عنه (ان الذين عند ربك) هم الملائكة صلوات الله عليهم ومعنى عند دنو الزلفة والقرب من رحمة الله تعالى وفضله لتوفرهم على طاعته وابتغاء مرضاته (وله يسجدون) ويختصونه بالعبادة لا يشركون به غيره وهو تعريض بمن سواهم من المكلفين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الاعراف جعل الله يوم القيامة بينه و بين ابليس سترا وكان آدم شفيعا له يوم القيامة

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* النفل الغنيمة لانها من فضل الله تعالى وعطائه قال لبيد * ان تقوى ربنا خير نفل * والنفل ما ينفله الغازى اى يعطاه زائدا على سهمه من المغنم وهو ان يقول الامام تحريضا على البلاء فى الحرب من قتل قتيلا فله سلبه او قال لسرية ما أصبتم فهو لكم او فلكم نصفه اوربعه ولا يخمس النفل و يلزم الامام الوفاء بما وعده منه وعند الشافعى رحمه الله فى احد قوليه لا يلزم وانما وقع الاختلاف بين المسلمين فى غنائم بدر وفى قسمتها فسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف تقسم ولمن الحكم فى قسمتها أللمهاجرين أم للانصار ام لهم جميعا فقيل له قل لهم هى لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الحاكم فيها خاصة يحكم فيها ما شاء ليس لاحد غيره فيها حكم وقيل شرط لمن كان له بلاء فى ذلك اليوم ان ينفله فتسارع شبانهم حتى قتلوا سبعين وأسروا سبعين فلما يسر الله الفتح اختلفوا فيما بينهم وتنازعوا فقال الشبان نحن المقاتلون وقال الشيوخ والوجوه الذين كانوا عند الرايات كنا ردأ لكم وفئة تنحازون اليها ان انهزمتم وقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم المغنم قليل والناس كثير وان تعط هؤلاء ما شرطت لهم حرمت أصحابك فنزلت وعن سعد بن أبى وقاص قتل اخى عمير يوم بدر فقتلت به سعيد بن العاص وأخذت سيفه فاعجبنى فجئت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الله قد شفى صدرى من المشركين فهب لى هذا السيف فقال ليس هذا لى ولا لك اطرحه فى القبض فطرحته و بى ما لا يعلمه الا الله تعالى من قتل اخى واخذ سلبى فما جاوزت الا قليلا حتى جاءنى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أنزلت سورة الانفال فقال يا سعد انك سألتنى السيف وليس لى وانه قد صار لى فاذهب فخذه وعن عبادة بن الصامت نزلت فينا يا معشر أصحاب بدر حين اختلفنا فى النفل وساءت فيه اخلاقنا فنزعه الله من ايدينا فجعله لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمه بين المسلمين على السواء وكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله واصلاح ذات البين * وقرأ ابن محيصن يسألونك علنفال بحذف الهمزة والقاء حركتها على اللام وادغام نون عن فى اللام وقرأ ابن مسعود يسألونك الانفال اى يسألك الشبان ما شرطت لهم من الانفال * (فان قلت) ما معنى الجمع بين ذكر الله والرسول فى قوله (قل الانفال لله والرسول) (قلت) معناه ان حكمها مختص بالله

لولا اجتبيتها قل انما اتبع ما يوحى الى من ربى هذا بصائر من ربكم وهدى ورحمة لقوم يؤمنون واذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولا تكن من الغافلين ان الذين عند ربك لا يستكبرون عن عبادته ويسبحونه وله يسجدون

(سورة الانفال مدنية وهى ست وسبعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

يسألونك عن الانفال قل الانفال لله والرسول

ورسوله يأمر الله بقسمتها على ما تقتضيه حكمته و يمتثل الرسول أمر الله فيها وليس الامر في قسمتها مفوضا الى رأى احد والمراد ان الذى اقتضته حكمة الله وامر به رسوله أن يواسي المقاتلة المشروط لهم التنفيل الشيوخ الذين كانوا عند الرايات فيقاسموهم على السوية ولا يستأثروا بما شرط لهم فانهم ان فعلوا لم يؤمن ان يقدح ذلك فيما بين المسلمين من التحاب والتصافى (فاتقوا الله) فى الاختلاف والتخاصم وكونوا متحدين متآخين فى الله (واصلحوا ذات بينكم) وتآسوا وتساعدوا فيما رزقكم الله وتفضل به عليكم وعن عطاء كان الاصلاح بينهم ان دعاهم وقال اقسموا غنائمكم بالعدل فقالوا قد أكلنا وانفقنا فقال ليرد بعضكم على بعض (فان قلت) ما حقيقة قوله ذات بينكم (قلت) أحوال بينكم يعنى ما بينكم من الاحوال حتى تكون احوال الفة ومحبة واتفاق كقوله بذات الصدور وهى مضمراتها لما كانت الاحوال ملابسة للبين قيل لها ذات البين كقولهم اسقنى ذا انائك يريدون ما فى الاناء من الشراب وقد جعل التقوى واصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله من لوازم الايمان وموجباته ليعلمهم ان كمال الايمان موقوف على التوفر عليها ومعنى قوله (ان كنتم مؤمنين) ان كنتم كاملى الايمان واللام فى قوله (انما المؤمنون) اشارة اليهم اى انما الكاملون الايمان من صفتهم كيت وكيت والدليل عليه قوله اولئك هم المؤمنون حقا (وجلت قلوبهم) فزعت وعن ام الدرداء الوجل فى القلب كاحتراق السعفة أما تجد له قشعريرة قال بلى قالت فادع الله فان الدعاء يذهبه يعنى فزعت لذكره استعظاما له وتهيبا من جلاله وعزة سلطانه وبطشه بالعصاة وعقابه وهذا الذكر خلاف الذكر فى قوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله لان ذلك ذكر رحمته ورأفته وثوابه وقيل هو الرجل يريد ان يظلم او يهم بمعصية فيقال له اتق الله فينزع وقرئ وجلت بالفتح وهى لغة نحو وبق فى وبق وفى قراءة عبد الله فرقت (زادتهم ايمانا) ازدادوا بها يقينا وطمأنينة نفس لان تظاهر الادلة اقوى للمدلول عليه واثبت لقدمه وقد حمل على زيادة العمل وعن أبى هريرة رضى الله عنه الايمان سبع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ان للايمان سننا وفرائض وشرائع فمن استكملها استكمل الايمان ومن لم يستكملها لم يستكمل الايمان (وعلى ربهم يتوكلون) ولا يفوضون أمورهم الى غير ربهم لا يخشون ولا يرجون الا اياه * جمع بين اعمال القلوب من الخشية والاخلاص والتوكل وبين اعمال الجوارح من الصلاة والصدقة (حقا) صفة للمصدر المحذوف اى اولئك هم المؤمنون ايمانا حقا او هو مصدر مؤكد للجملة التى هى أولئك هم المؤمنون كقولك هو عبد الله حقا اى حق ذلك حقا وعن الحسن ان رجلا سأله امؤمن أنت قال الايمان ايمانان فان كنت تسألنى عن الايمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والجنة والنار والبعث والحساب فانا مؤمن وان كنت تسألنى عن قوله انما المؤمنون فوالله لا ادرى أمنهم انا ام لا وعن الثورى من زعم انه مؤمن بالله حقا ثم لم يشهد انه من أهل الجنة فقد آمن بنصف الآية وهذا الزام منه يعنى كما لا يقطع انه من اهل ثواب المؤمنين حقا فلا يقطع بانه مؤمن حقا وبهذا تعلق من يستثنى فى الايمان وكان ابو حنيفة رضى الله عنه ممن لا يستثنى فيه وحكى عنه انه قال لقتادة لم تستثنى فى ايمانك قال اتباعا لابراهيم عليه السلام فى قوله والذى اطمع ان يغفر لى خطيئتى يوم الدين فقال له هلا اقتديت به فى قوله اولم تؤمن قال بلى (درجات) شرف وكرامة وعلو منزلة (ومغفرة) وتجاوز لسيئاتهم (ورزق كريم) نعيم الجنة يعنى لهم منافع حسنة دائمة على سبيل التعظيم وهذا معنى الثواب (كما اخرجك ربك) فيه وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف على انه خبر مبتدأ محذوف تقديره هذه الحال كحال اخراجك يعنى ان حالهم فى كراهة ما رأيت من تنفيل الغزاة مثل حالهم فى كراهة خروجك للحرب والثانى ان ينتصب على انه صفة مصدر الفعل المقدر فى قوله الانفال لله والرسول اى الانفال استقرت لله والرسول وثبتت مع كراهتهم ثباتا مثل ثبات اخراج ربك اياك من بيتك وهم كارهون و (من

بيتك

فاتقوا الله واصلحوا ذات بينكم واطيعوا الله ورسوله ان كنتم مؤمنين انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلوة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم كما اخرجك ربك من

لكارهون (قال فى كما وجهان احدهما ان يرتفع محل الكاف الخ) قال احمد وكان جدى ابو العباس احمد الفقيه الوزير رحمه الله يذكر فى معنى الآية وجها اوجه من هذين وهو ان المراد تشبيه اختصاصه عليه السلام بالانفال وتفويض امرها الى حكمه من حيث الاثابة والجزاء باخراجه من بيته مطيعا لله تعالى سامعا لامره راضيا بحكمه على كراهة المؤمنين لذلك فى الطاعة فشبه الله تعالى ثوابه بهذه المزية بطاعته المرضية فكما بلغت طاعته الغاية فى نوع الطاعات فكذلك بلغت اثابة الله له الغاية في جنس المثوبات وجماع هذا المعنى هو المشار اليه بقوله عليه الصلاة والسلام الاجر على قدر النصب ولك على هذا المعنى ان تجعل الكاف مرفوعة ومنصوبة على حسب التقدير والله الموفق

بيتك) يريد بيته بالمدينة او المدينة نفسها لانها مهاجره ومسكنه فهي في اختصاصها به كاختصاص البيت بساكنه (بالحق) اي اخراجا ملتبسا بالحكمة والصواب الذي لا محيد عنه (وان فريقا من المؤمنين لكارهون) في موضع الحال اي اخرجك في حال كراهتهم وذلك ان عير قريش اقبلت من الشام فيها تجارة عظيمة ومعها اربعون راكبا منهم ابو سفيان وعمرو بن العاص وعمرو بن هشام فاخبر جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبر المسلمين فاعجبهم تلقي العير لكثرة الخير وقلة القوم فلما خرجوا بلغ اهل مكة خبر خروجهم فنادى ابو جهل فوق الكعبة يا اهل مكة النجاء النجاء على كل صعب وذلول عيركم اموالكم ان اصابها محمد لن تفلحوا بعدها ابدا وقد رأت أخت العباس بن عبد المطلب رؤيا فقالت لاخيها اني رأيت عجبا رأيت كان ملكا نزل من السماء فاخذ صخرة من الجبل ثم حلق بها فلم يبق بيت من بيوت مكة الا اصابه حجر من تلك الصخرة فحدث بها العباس فقال ابو جهل ما يرضى رجالهم ان يتنبؤا حتى تتنبأ نساؤهم فخرج ابو جهل بجميع اهل مكة وهم النفير في المثل السائر لا في العير ولا في النفير فقيل له ان العير اخذت طريق الساحل ونجت فارجع بالناس الى مكة فقال لا والله لا يكون ذلك ابدا حتى ننحر الجزور ونشرب الخمور ونقيم القينات والمعازف ببدر فيتسامع جميع العرب بمخرجنا وان محمدا لم يصب العير وانا قد اعضضناه فمضى بهم الى بدر وبدر ماء كانت العرب تجتمع فيه لسوقهم يوما في السنة فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد ان الله وعدكم احدى الطائفتين اما العير واما قريشا فاستشار النبي صلى الله عليه وسلم اصحابه وقال ما تقولون ان القوم قد خرجوا من مكة على كل صعب وذلول فالعير احب اليكم ام النفير قالوا بل العير احب الينا من لقاء العدو فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ردد عليهم فقال ان العير قد مضت على ساحل البحر وهذا ابو جهل قد اقبل فقالوا يا رسول الله عليك بالعير ودع العدو فقام عند غضب النبي صلى الله عليه وسلم ابو بكر وعمر رضي الله عنهما فاحسنا ثم قام سعد بن عبادة فقال انظر امرك فامض فوالله لو سرت الى عدن ابين ما تخلف عنك رجل من الانصار ثم قال المقداد بن عمرو يا رسول الله امض لما امرك الله فانا معك حيث ما احببت لا نقول لك كما قال بنو اسرائيل لموسى اذهب انت وربك فقاتلا انا ههنا قاعدون ولكن اذهب انت وربك فقاتلا انا معكما مقاتلون ما دامت عين منا تطرف فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اشيروا على ايها الناس وهو يريد الانصار لانهم قالوا له حين بايعوه على العقبة انا برآء من ذمامك حتى تصل الى ديارنا فاذا وصلت الينا فانت في ذمامنا نمنعك مما نمنع منه آباءنا ونساءنا فكان النبي صلى الله عليه وسلم يتخوف ان لا تكون الانصار لا ترى عليهم نصرته الا على عدو دهمه بالمدينة فقام سعد بن معاذ فقال لكأنك تريدنا يا رسول الله قال اجل قال قد آمنا بك وصدقناك وشهدنا ان ما جئت به هو الحق واعطيناك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة فامض يا رسول الله لما اردت فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد وما نكره ان تلقى بنا عدونا انا لصبر عند الحرب صدق عند اللقاء ولعل الله يريك منا ما تقربه عينك فسر بنا على بركة الله ففرح رسول الله صلى الله عليه وسلم وبسطه قول سعد ثم قال سيروا على بركة الله وابشروا فان الله وعدني احدى الطائفتين والله لكأني الآن انظر الى مصارع القوم وروى انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين فرغ من بدر عليك بالعير ليس دونها شيء فناداه العباس وهو في وثاقه لا يصلح فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لم قال لان الله وعدك احدى الطائفتين وقد اعطاك ما وعدك وكانت الكراهة من بعضهم لقوله وان فريقا من المؤمنين لكارهون * والحق الذي جادلوا فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم تلقي النفير لايثارهم عليه تلقي العير (بعد ما تبين) بعد اعلام رسول الله صلى الله عليه وسلم بانهم ينصرون *وجدالهم قولهم ما كان خروجنا الا للعير وهلا قلت لنا لنستعد ونتاهب وذلك لكراهتهم القتال * ثم شبه حالهم في فرط فزعهم ورعبهم وهم يسار بهم الى الظفر والغنيمة بحال من يعتل الى القتل ويساق على الصغار الى الموت المتيقن وهو مشاهد لاسبابه ناظر اليها لا يشك فيها وقيل كان خوفهم لقلة العدد وانهم كانوا رجالة وروى انه ما كان فيهم الا فارسان (اذ) منصوب باضمار اذكر (انها لكم) بدل من احدى الطائفتين

بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعد ما تبين كانما يساقون الى الموت وهم ينظرون واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان

والطائفتان العير والنفير و (غير ذات الشوكة) العير لانه لم يكن فيها الا اربعون فارسا والشوكة كانت فى النفير لعددهم وعدتهم والشوكة الحدة مستعارة من واحدة الشوك ويقال شوك القنا لشباها ومنها قولهم شاك السلاح اى تتمنون ان تكون لكم العير لانها الطائفة التى لا حدة لها ولا شدة ولا تريدون الطائفة الاخرى (ان يحق الحق ان يثبته ويعليه (بكلماته) بآياته المنزلة فى محاربة ذات الشوكة وبما امر الملائكة من نزولهم للنصرة وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم فى قليب بدر * والدابر الآخر فاعل من دبر اذا ادبر ومنه دابرة الطائر وقطع الدابر عبارة عن الاستئصال يعنى انكم تريدون الفائدة العاجلة وسفساف الامور وان لا تلقوا ما يرزؤكم فى ابدانكم واحوالكم والله عز وجل يريد معالى الامور وما يرجع الى عمارة الدين ونصرة الحق وعلو الكلمة والفوز فى الدارين وشتان ما بين المرادين ولذلك اختار لكم الطائفة ذات الشوكة وكسر قوتهم بضعفكم وغلب كثرتهم بقلتكم وأعزكم واذلهم وحصل لكم ما لا تعارض ادناه العير وما فيها * وقرئ بكلمته على التوحيد * (فان قلت) بم يتعلق قوله (ليحق الحق) (قلت) بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك ما فعله الا لهما وهو اثبات الاسلام واظهاره وابطال الكفر ومحقه (فان قلت) أليس هذا تكريرا (قلت) لا لان المعنيين متباينان وذلك ان الاول تمييز بين الارادتين وهذا بيان لغرضه فيما فعل من اختيار ذات الشوكة على غيرها لهم ونصرتهم عليها وانه ما نصرهم ولا خذل اولئك الا لهذا الغرض الذى هو سيد الاغراض ويجب ان يقدر المحذوف متأخرا حتى يفيد معنى الاختصاص فينطبق عليه المعنى وقيل قد تعلق بيقطع * (فان قلت) بم يتعلق (اذ تستغيثون) (قلت) هو بدل من اذ يعدكم وقيل بقوله ليحق الحق ويبطل الباطل واستغاثتهم انهم لما علموا انه لا بد من القتال طفقوا يدعون الله ويقولون اى ربنا انصرنا على عدوك يا غياث المستغيثين أغثنا وعن عمر رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نظر الى المشركين وهم الف والى اصحابه وهم ثلثمائة فاستقبل القبلة ومد يديه يدعو اللهم انجز لى ما وعدتنى اللهم ان تهلك هذه العصابة لا تعبد فى الارض فما زال كذلك حتى سقط رداؤه فاخذه ابو بكر رضى الله عنه فالقاه على منكبه والتزمه من ورائه وقال يا نبى الله كفاك مناشدتك ربك فانه سينجز لك ما وعدك (انى ممدكم) اصله بانى ممدكم فحذف الجار وسلط عليه استجاب فنصب محله وعن ابى عمرو انه قرأ انى ممدكم بالكسر على ارادة القول او على اجراء استجاب مجرى قال لان الاستجابة من القول (فان قلت) هل قاتلت الملائكة يوم بدر (قلت) اختلف فيه فقيل نزل جبريل فى يوم بدر فى خمسمائة ملك على الميمنة وفيها ابو بكر وميكائيل فى خمسمائة على الميسرة وفيها على ابن ابى طالب فى صورة الرجال عليهم ثياب بيض وعمائم بيض وقد ارخوا اذنابها بين اكتافهم فقاتلت وقيل قاتلت يوم بدر ولم تقاتل يوم الاحزاب ويوم حنين وعن ابى جهل انه قال لابن مسعود من اين كان ذلك الصوت الذى كنا نسمع ولا نرى شخصا قال من الملائكة فقال ابو جهل هم غلبونا لا انتم وروى ان رجلا من المسلمين بينما هو يشتد فى اثر رجل من المشركين اذ سمع صوت ضربة بالسوط فوقه فنظر الى المشرك قد خر مستلقيا وشق وجهه فحدث الانصارى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدقت ذاك من مدد السماء وعن ابى داود المازنى تبعت رجلا من المشركين لاضربه يوم بدر فوقع رأسه بين يدى قبل ان يصل اليه سيفى وقيل لم يقاتلوا وانما كانوا يكثرون السواد ويثبتون المؤمنين والا فملك واحد كاف فى اهلاك اهل الدنيا كلهم فان جبريل عليه السلام اهلك بريشة من جناحه مدائن قوم لوط واهلك بلاد ثمود وقوم صالح بصيحة واحدة *وقرئ مردفين بكسر الدال وفتحها من قولك ردفه اذا تبعه ومنه قوله تعالى ردف لكم بعض الذى تستعجلون بمعنى ردفكم واردفته اياه اذا اتبعته ويقال اردفته كقولك اتبعته اذا جئت بعده فلا يخلو المكسور الدال من ان يكون بمعنى متبعين او متبعين فان كان بمعنى متبعين فلا يخلو من ان يكون بمعنى متبعين بعضهم بعضا او متبعين بعضهم لبعض او بمعنى متبعين اياهم المؤمنين اى يتقدمونهم فيتبعونهم انفسهم او متبعين لهم يشيعونهم ويقدمونهم بين ايديهم وهم على ساقتهم ليكونوا على اعينهم وحفظهم او بمعنى متبعين انفسهم ملائكة آخرين او متبعين غيرهم من الملائكة ويعضد هذا الوجه قوله تعالى فى سورة آل عمران بثلاثة

غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون اذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم انى ممدكم بالف من الملائكة مردفين

*قوله تعالى ويريد الله ان يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين ليحق الحق ويبطل الباطل ولو كره المجرمون قال يعنى انكم تريدون العاجلة وسفساف الامور الخ) قال احمد والتحقيق فى التمييز بين الكلامين ان الاول ذكر الارادة فيه مطلقة غير مقيدة بالواقعة الخاصة كانه قيل وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم ومن شان الله تعالى ارادة تحقيق الحق وتمحيق الكفر على الاطلاق ولارادته ان يحق الحق ويبطل الباطل خصكم بذات الشوكة فبين الكلامين عموم وخصوص واطلاق وتقييد وفى ذلك ما لا يخفى من المبالغة فى تاكيد المعنى بذكره على وجهين اطلاق وتقييد والله اعلم

* قوله تعالى اذ يغشاكم النعاس أمنة منه (قال وقرئ اذ يغشيكم بالتخفيف والتشديد الخ) قال احمد ومثل هذا النظر يجري عند قوله تعالى هو الذي يريكم البرق خوفا وطمعا لان فاعل الاراءة هو الله عز وجل وفاعل الخوف والطمع هم وقد انتصبا لهما فالجواب انه لما كان الله تعالى اذا أراهم البرق رأوه كانوا فاعلين في المعنى وكان المعنى وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا فهذا مثل آية الانفال فان المفعول في المعنى فاعل وسيأتي مزيد بحث في هذه النكتة وقد جرى القلم بتعجيلها ههنا وذلك ان لقائل ان يقول فاعل يغشي النعاس ايهم هو الله تعالى وهو فاعل الامنة ايضا وخالقها وحينئذ يتحد فاعل الفعل والعلة فيرتفع السؤال ويزول الاشكال

وماجعله الله الا بشرى ولتطمئن به قلوبكم وما النصر الا من عند الله ان الله عزيز حكيم اذ يغشيكم النعاس أمنة منه وينزل عليكم من السماء ماء ليطهركم به ويذهب عنكم رجز الشيطان وليربط على قلوبكم ويثبت به الاقدام

آلاف من الملائكة منزلين بخمسة آلاف من الملائكة مسومين ومن قرأ مردفين بالفتح فهو بمعنى متبعين اومتبعين * وقرئ مردفين بكسر الراء وضمها وتشديد الدال واصله مرتدفين اى مترادفين او متبعين من ارتدفه فادغمت تاء الافتعال في الدال فالتقى ساكنان فحركت الراء بالكسر على الاصل او على اتباع الدال وبالضم على اتباع الميم وعن السدي بآلاف من الملائكة على الجمع ليوافق ما في سورة آل عمران (فان قلت) فيم يعتذر لمن قرأ على التوحيد ولم يفسر المردفين بارداف الملائكة ملائكة آخرين والمردفين بارتدافهم غيرهم (قلت) بان المراد بالالف من قاتل منهم اوالوجوه منهم الذين من سواهم اتباع لهم * (فان قلت) الام يرجع الضمير في (وماجعله) (قلت) الى قوله اني ممدكم لان المعنى فاستجاب لكم بامدادكم (فان قلت) ففيمن قرأ بالكسر (قلت) الى قوله اني ممدكم لانه مفعول القول المضمر فهو في معنى القول ويجوز أن يرجع الى الامداد الذي يدل عليه ممدكم (الا بشرى) الا بشارة لكم بالنصر كالسكينة لبني اسرائيل يعني انكم استغثتم وتضرعتم لقلتكم وذلتكم فكان الامداد بالملائكة بشارة لكم بالنصر وتسكينا منكم وربطا على قلوبكم (وما النصر الا من عند الله) يريد ولا تحسبوا النصر من الملائكة فان الناصر هو الله لكم وللملائكة اووما النصر بالملائكة وغيرهم من الاسباب الا من عند الله والمنصور من نصره الله (اذ يغشاكم) بدل ثان من اذ يعدكم اومنصوب بالنصر او بما في من عند الله من معنى الفعل او بما جعله الله او باضمار اذكر وقرئ يغشيكم بالتخفيف والتشديد ونصب النعاس والضمير لله عز وجل و (أمنة) مفعول له (فان قلت) اما وجب ان يكون فاعل الفعل المعلل والعلة واحدا (قلت) بلى ولكن لما كان معنى يغشاكم النعاس تنعسون انتصب امنة على ان النعاس والامنة لهم والمعنى اذ تنعسون امنة بمعنى امنا اى لامنكم و (منه) صفة لها اى امنة حاصلة لكم من الله عز وجل (فان قلت) فعلى غير هذه القراءة (قلت) يجوزان تكون الامنة بمعنى الايمان اى ينعسكم ايمانا منه اوعلى يغشيكم النعاس فتنعسون امنا (فان قلت) هل يجوزان ينتصب على ان الامنة للنعاس الذي هو فاعل يغشاكم اى يغشاكم النعاس لامنه على ان اسناد الامن الى النعاس اسناد مجازي وهو لاصحاب النعاس على الحقيقة اوعلى انه انامكم في وقت كان من حق النعاس في مثل ذلك الوقت المخوف ان لا يقدم على غشيانكم وانما غشيكم أمنة حاصلة من الله لولاها لم يغشكم على طريقة التمثيل والتخييل (قلت) لا تبعد فصاحة القرآن عن احتماله وله فيه نظائر وقد ألم به من قال

يهاب النوم أن يغشى عيونا * تهابك فهو نفار شرود

وقرىء أمنة بسكون الميم ونظيرامن امنة حيي حياة ونحو امن امنة رحم رحمة والمعنى ان ما كان بهم من الخوف كان يمنعهم من النوم فلما طامن الله قلوبهم وامنهم رقدوا وعن ابن عباس رضي الله عنه النعاس في القتال امنة من الله وفي الصلاة وسوسة من الشيطان (وينزل) قرىء بالتخفيف والتثقيل * وقرأ الشعبي ما ليطهركم به قال ابن جني ما موصولة وصلتها حرف الجر بما جره فكأنه قال ما للطهور و (رجز الشيطان) وسوسته اليهم وتخويفه اياهم من العطش وقيل الجنابة لانها من تخييله وقرئ رجس الشيطان وذلك ان ابليس تمثل لهم وكان المشركون قد سبقوهم الى الماء ونزل المسلمون في كثيب اعفر تسوخ فيه الاقدام على غير ماء وناموا فاحتلم اكثرهم فقال لهم انتم يا اصحاب محمد تزعمون انكم على الحق وانكم تصلون على غير وضوء وعلى الجنابة وقد عطشتم ولوكنتم على حق ما غلبكم هؤلاء على الماء وما ينتظرون بكم الا ان يجهدكم العطش فاذا قطع العطش اعناقكم مشوا اليكم فقتلوا من أحبوا وساقوا بقيتكم الى مكة فحزنوا حزنا شديدا واشفقوا

على قواعد السنة التي تقتضي نسبة افعال الخلق الى الله تعالى على انه خالقها ومبدعها وللمورد السؤال ان يقول المعتبر ان يكون فاعل الفعل متصفا بالعلة كما هو متصف بالفعل والباري عز وجل وان كان خالق الامنة للعبد وكان بها آمنا فالعبد هو الفاعل اللغوي وان كان الله تعالى هو الفاعل حقيقة وعقيدة وحينئذ يفتقر السؤال الى الجواب السالف والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فعلى غير هذه القراءة قلت كذلك الخ) قال احمد وجه حسن بشرط الادب في اسقاط لفظة التخييل وقد تقدمت له أمثالها

اذ يوحي ربك الى الملائكة اني معكم فثبتوا الذين آمنوا سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الاعناق واضربوا منهم كل بنان ذلك بانهم شاقوا الله ورسوله ومن يشاقق الله ورسوله فان الله شديد العقاب ذلكم فذوقوه وان للكافرين عذاب النار يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير

فانزل الله عزوجل المطر فمطروا ليلا حتى جرى الوادي واتخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه الحياض
على عدوة الوادي وسقوا الركاب واغتسلوا وتوضؤوا وتلبد الرمل الذي كان بينهم وبين العدو حتى ثبتت
عليه الاقدام وزالت وسوسة الشيطان وطابت النفوس والضمير في به للماء ويجوز ان يكون للربط لان
القلب اذا تمكن فيه الصبر والجراءة ثبتت القدم في مواطن القتال (اذ يوحي) يجوز ان يكون بدلا ثانيا من اذ
يعدكم وان ينتصب بيثبت (اني معكم) مفعول يوحي وقرئ اني بالكسر على ارادة القول او على اجراء يوحي
مجرى يقول كقوله اني ممدكم والمعنى اني معينكم على التثبيت فثبتوهم وقوله (سالقي * فاضربوا) يجوز ان
يكون تفسيرا لقوله اني معكم فثبتوا ولا معونة أعظم من القاء الرعب في قلوب الكفرة ولا تثبيت ابلغ من
ضرب اعناقهم واجتماعهما غاية النصرة ويجوز ان يكون غير تفسير وان يراد بالتثبيت ان يخطروا ببالهم
ما تقوى به قلوبهم وتصح عزائمهم ونياتهم في القتال وان يظهروا ما يتيقنون به انهم ممدون بالملائكة وقيل
كان الملك يتشبه بالرجل الذي يعرفون وجهه فيأتي فيقول اني سمعت المشركين يقولون والله لئن حملوا علينا
لننكشفن ويمشي بين الصفين فيقول ابشروا فان الله ناصركم لانكم تعبدونه وهؤلاء لا يعبدونه * وقرئ
الرعب بالتثقيل (فوق الاعناق) اراد اعالي الاعناق التي هي المذابح لانها مفاصل فكان ايقاع الضرب فيها
حزا وتطييرا للرؤس وقيل اراد الرؤس لانها فوق الاعناق يعني ضرب الهام قال * واضرب هامة البطل
المشيح * و غشيته وهو في جاواء باسلة * عضبا اصاب سواء الرأس فانفلقا
* والبنان الاصابع يريد الاطراف والمعنى فاضربوا المقاتل والشوى لان الضرب اما واقع على مقتل او غير
مقتل فامرهم بان يجمعوا عليهم النوعين معا ويجوز ان يكون قوله سالقي الى قوله كل بنان عقيب قوله فثبتوا
الذين آمنوا تلقينا للملائكة ما يثبتونهم به كانه قال قولوا لهم قولي سالقي في قلوب الذين كفروا الرعب او
كانهم قالوا كيف نثبتهم فقيل قولوا لهم قولي سالقي فالضاربون على هذا هم المؤمنون (ذلك) اشارة الى ما اصابهم
من الضرب والقتل والعقاب العاجل ومحله الرفع على الابتداء و(بانهم) خبره اي ذلك العقاب وقع عليهم
بسبب مشاقتهم والمشاقة مشتقة من الشق لان كلا المتعاديين في شق خلاف شق صاحبه وسئلت في المنام
عن اشتقاق المعاداة فقلت لان هذا في عدوة وذاك في عدوة كما قيل المخاصمة والمشاقة لان هذا في خصم اي في
جانب وذاك في خصم وهذا في شق وذاك في شق والكاف في ذلك لخطاب الرسول عليه السلام او لخطاب
كل واحد وفي (ذلكم) للكفرة على طريقة الالتفات ومحل ذلكم الرفع على ذلكم العقاب او العقاب ذلكم
(فذوقوه) ويجوز ان يكون نصبا على عليكم ذلكم فذوقوه كقولك زيدا فاضرب به (وان للكافرين) عطف
على ذلكم وفي وجهيه او نصب على ان الواو بمعنى مع والمعنى ذوقوا هذا العذاب العاجل مع الآجل الذي لكم
في الآخرة فوضع الظاهر موضع الضمير وقرأ الحسن وان للكافرين بالكسر (زحفا) حال من الذين كفروا
والزحف الجيش الدهم الذي يرى لكثرته كانه يزحف اي يدب دبيبا من زحف الصبي اذا دب على استه
قليلا قليلا سمي بالمصدر والجمع زحوف والمعنى اذا لقيتموهم للقتال وهم كثير جم وانتم قليل فلا تفروا فضلا ان
تدانوهم في العدد او تساووهم او حال من الفريقين اي اذا لقيتموهم متزاحفين هم وانتم او حال من المؤمنين
كانهم اشعروا بما كان سيكون منهم يوم حنين حين تولوا مدبرين وهم زحف من الزحوف اثنا عشر الفا
وتقدمة نهي لهم عن الفرار يومئذ وفي قوله ومن يولهم يومئذ امارة عليه (الا متحرفا لقتال) هو الكر بعد
الفر يخيل عدوه انه منهزم ثم يعطف عليه وهو باب من خدع الحرب ومكايدها (او متحيزا) او منحازا
(الى فئة) الى جماعة اخرى من المسلمين سوى الفئة التي هو فيها وعن ابن عمر رضي الله عنه خرجت سرية وانا
فيهم ففروا فلما رجعوا الى المدينة استحيوا فدخلوا البيوت فقلت يا رسول الله نحن الفرارون فقال بل انتم
العكارون وانا فئتكم وانهزم رجل من القادسية فأتى المدينة الى عمر رضي الله عنه فقال يا أمير المؤمنين
هلكت فررت من الزحف فقال عمر رضي الله عنه انا فئتك وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الفرار من

الزحف من اكبر الكبائر (فان قلت) بم انتصب الا متحرفا (قلت) على الحال والا لغو او على الاستثناء من المولين اى ومن يولهم الا رجلا منهم متحرفا او متحيزا * وقرأ الحسن دبره بالسكون ووزن متحيز متفيعل لا متفعل لانه من حاز يحوز فبناء متفعل منه متحوز * لما كسروا أهل مكة وقتلوا وأسروا واقبلوا على التفاخر فكان القائل يقول قتلت وأسرت ولما طلعت قريش قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه قريش قد جاءت بخيلائها وفخرها يكذبون رسلك اللهم انى اسالك ما وعدتني فاتاه جبريل عليه السلام فقال خذ قبضة من تراب فارمهم بها فقال لما التقى الجمعان لعلي رضي الله عنه أعطني قبضة من حصباء الوادي فرمى بها في وجوههم وقال شاهت الوجوه فلم يبق مشرك الا شغل بعينيه فانهزموا وردفهم المؤمنون يقتلونهم و يأسرونهم فقيل لهم (فلم تقتلوهم) والفاء جواب شرط محذوف تقديره ان افتخرتم بقتلهم فانتم لم تقتلوهم (ولكن الله قتلهم) لانه هو الذى أنزل الملائكة والقى الرعب فى قلوبهم وشاء النصر والظفر وقوى قلوبكم وأذهب عنها الفزع والجزع (وما رميت) انت يا محمد (اذ رميت ولكن الله رمى) يعنى ان الرمية التي رميتها لم ترمها انت على الحقيقة لانك لو رميتها لما بلغ أثرها الا ما يبلغه أثر رمى البشر ولكنها كانت رمية الله حيث أثرت ذلك الاثر العظيم فاثبت الرمية لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان صورتها وجدت منه ونفاها عنه لان أثرها الذى لا تطيقه البشر فعل الله عز وجل فكان الله هو فاعل الرمية على الحقيقة وكانها لم توجد من الرسول عليه السلام اصلا وقرئ ولكن الله قتلهم ولكن الله رمى بتخفيف لكن ورفع ما بعده (وليبلي المؤمنين) وليعطيهم (بلاء حسنا) عطاء جميلا قال زهير * فابلاهما خير البلاء الذى يبلو * والمعنى وللاحسان الى المؤمنين فعل ما فعل وما فعله الا لذلك (ان الله سميع) لدعائهم (عليم) باحوالهم (ذلكم) اشارة الى البلاء الحسن ومحله الرفع اى الغرض ذلكم (وان الله موهن) معطوف على ذلكم يعنى ان الغرض ابلاء المؤمنين وتوهين كيد الكافرين وقرئ موهن بالتشديد وقرئ على الاضافة وعلى الاصل الذى هو التنوين والاعمال (ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح) خطاب لاهل مكة على سبيل التهكم وذلك انهم حين ارادوا أن ينفروا تعلقوا باستار الكعبة وقالوا اللهم انصر اقرانا للضيف واوصلنا للرحم وافكنا للعانى ان كان محمد على حق فانصره وان كنا على حق فانصرنا وروى انهم قالوا اللهم انصر اعلى الجندين وأهدى الفئتين واكرم الحزبين وروى ان ابا جهل قال يوم بدر اللهم اينا كان أهجر واقطع للرحم فاحنه اليوم اى فاهلكه وقيل ان تستفتحوا خطاب للمؤمنين (وان تنتهوا) خطاب للكافرين يعنى وان تنتهوا عن عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (فهو خير لكم) وأسلم (وان تعودوا) لمحاربته (نعد) لنصرته عليكم (وان الله) قرئ بالفتح على ولان الله معين المؤمنين كان ذلك وقرئ بالكسر وهذه اوجه ويعضدها قراءة ابن مسعود والله مع المؤمنين * وقرئ ولن يغنى عنكم بالياء للفصل (ولا تولوا) وقرئ بطرح احدى التاءين وادغامها والضمير فى (عنه) لرسول الله صلى الله عليه وسلم لان المعنى وأطيعوا رسول الله كقوله والله ورسوله أحق ان يرضوه ولان طاعة الرسول وطاعة الله شيء واحد من يطع الرسول فقد اطاع الله فكان رجوع الضمير الى احدهما كرجوعهما اليه كقولك الاحسان والاجمال لا ينفع فى فلان و يجوز ان يرجع الى الامر بالطاعة اى ولا تولوا عن هذا الامر وامتثاله وأنتم تسمعونه او ولا تتولوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تخالفوه (وأنتم تسمعون) اى تصدقون لانكم مؤمنون لستم كالصم المكذبين من الكفرة (ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا) اى ادعوا السماع (وهم لا يسمعون) لانهم ليسوا بمصدقين فكانهم غير سامعين والمعنى انكم تصدقون بالقرآن والنبوة فاذا توليتم عن طاعة الرسول فى بعض الامور من قسمة الغنائم وغيرها كان تصديقكم كلا تصديق واشبه سماعكم سماع من لا يؤمن * ثم قال (ان شر الدواب) اى ان شر من يدب على وجه الارض او ان شر البهائم الذين هم صم عن الحق لا يعقلونه

فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وليبلي المؤمنين منه بلاء حسنا ان الله سميع عليم ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح وان تنتهوا فهو خير لكم وان تعودوا نعد ولن تغنى عنكم فئتكم شيأ ولو كثرت وان الله مع المؤمنين يأيها الذين آمنوا اطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ان شر الدواب عند الله الصم البكم الذين الذين لا يعقلون

* قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى (قال ولما جاءت قريش قال عليه الصلاة والسلام هذه قريش جاءت الخ) قال أحمد اوضح مصداق في التمييز بين الحقيقة والمجاز الا تراك تقول للبليد ليس بحمار و يصدق عليه مع صدق قولك فيه على سبيل التجاوز انه حمار فاذا ثبت لك ان من مميزات المجاز صدق سلبه بخلاف الحقيقة فافهم ان هذه الآية تكفح وجوه القدرية بالرد وذلك ان الله تعالى أثبت الفعل للخلق ونفاه عنهم ولا محمل لذلك الا ان ثبوته لهم مجاز والفاعل والخالق حقيقة هو الله تعالى فاثبته لهم مجازا ونفاه عنهم حقيقة واياك ان تعرج على تعكيس الزمخشري فى تاويل الآية فانه نظر اعوج وباطل لجلج والحق ابلج والله الموفق بكرمه

* قوله تعالى ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون (قال يعني ولو علم الله ان اللطف ينفع في هؤلاء الخ) قال احمد رحمه الله اطلاق القول بان الله تعالى يلطف بالعبد فلا ينفع لطفه مردود فان اللطف هو اسداء الجميل والالطاف به واسمه اللطيف من ذلك فاذا اسدى الجميل الى العبد بان اسمعه اسماع لطف به فتلك الغاية المرجوة ومعنى اللطف به على هذا ان يخلق في قلبه قبول الحق وحسن الاصغاء اليه والاهتداء به ولكن لا يتم ذلك على عقيدة الاعتزال والرأى الفاسد في خلق الافعال لان مقتضاها ان العبد هو الذي يخلق لنفسه قبول الحق والهداية ٣٧٠ وحسن الاستماع والاصغاء وان الله تعالى لا يشارك العبد في خلق ذلك بل الذي ينسب الى الله تعالى ارادة الهداية من جميع الخلق ولا يلزم حصول مراده على العموم تعالى الله عما يقولون ثم ولو تنزل متنزل على هذه القاعدة لما استقام تاويل الزمخشري ايضا فان حاصله ولو علم الله فيهم خير اللطف بهم ولو لطف بهم لما انتفعوا باللطف فيلزم عدم انتفاعهم باللطف على تقدير علم الله الخير فيهم وهذا غير مستقيم لما يلزم عليه من وقوع خلاف المعلوم لله تعالى وذلك محال عقلا فلا يرتفع الاشكال الا بتقدير الاسماع الواقع جوابا اولا خلاف الاسماع الواقع شرطا ثانيا كيلا يتكرر الوسط فيلزم المحال المذكور واقرب وجه في اختلاف الاسماعين ان يراد بالاول ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم اسماعا يخلق لهم به الهداية والقبول ولو اسمعهم لا على انه يخلق لهم الاهتداء بل اسماعا مجردا من ذلك لتولوا وهم معرضون فهذا هو الوجه في تاويل الآية والله الموفق * قوله تعالى واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه (قال معناه انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها الخ) قال احمد رحمه الله نعم هذا معتقد اهل السنة الذي استعار لهم لقب الجبرة وهو العقد الحق المؤسس على التقوى وتفويض المخلوقات كلها الى الواحد الحق خالق الخلق فان كان ذلك ظلما فانا برءاء من الطائفة المتسمية بالعدلية اصرارا على هذا الرأى الباطل والمعتقد الماحل والله الموفق

ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو اسمعهم لتولوا وهم معرضون يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه وانه اليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا ان الله شديد العقاب واذكروا

جعلهم من جنس البهائم ثم جعلهم شرها (ولو علم الله) في هؤلاء الصم البكم (خيرا) اي انتفاعا باللطف (لاسمعهم) للطف بهم حتى يسمعوا سماع المصدقين ثم قال (ولو اسمعهم لتولوا) عنه يعني ولو لطف بهم لما نفع فيهم اللطف فلذلك منعهم الطافه او ولو لطف بهم فصدقوا لارتدوا بعد ذلك وكذبوا ولم يستقيموا وقيل هم بنو عبد الدار بن قصي لم يسلم منهم الا رجلان مصعب بن عمير وسويد بن حرملة كانوا يقولون نحن صم بكم عمي عما جاء به محمد لا نسمعه ولا نجيبه فقتلوا جميعا باحد وكانوا أصحاب اللواء وعن ابن جريج هم المنافقون وعن الحسن أهل الكتاب (اذا دعاكم) وحد الضمير كما وحده فيما قبله لان استجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كاستجابته وانما يذكر احدهما مع الآخر للتوكيد والمراد بالاستجابة الطاعة والامتثال وبالدعوة البعث والتحريض وروى أبو هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم مر على باب أبي بن كعب فناداه وهو في الصلاة فعجل في صلاته ثم جاء فقال ما منعك عن اجابتي قال كنت اصلي قال الم تخبر فيما اوحي الي استجيبوا لله وللرسول قال لا جرم لا تدعوني الا اجبتك وفيه قولان احدهما ان هذا مما اختص به رسول الله صلى الله عليه وسلم والثاني ان دعاءه كان لامر لم يحتمل التاخير واذا وقع مثله للمصلي فله ان يقطع صلاته (لما يحييكم) من علوم الديانات والشرائع لان العلم حياة كما ان الجهل موت ولبعضهم

لا تعجبن الجهول حلته * فذاك ميت وثوبه كفن

وقيل لمجاهدة الكفار لانهم لو رفضوها لغلبوهم وقتلوهم كقوله ولكم في القصاص حياة وقيل للشهادة لقوله بل احياء عند ربهم (واعلموا ان الله يحول بين المرء وقلبه) يعني انه يميته فتفوته الفرصة التي هو واجدها وهي التمكن من اخلاص القلب ومعالجة ادوائه وعلله ورده سليما كما يريده الله فاغتنموا هذه الفرصة واخلصوا قلوبكم لطاعة الله ورسوله (واعلموا انكم اليه تحشرون) فيثيبكم على حسب سلامة القلوب واخلاص الطاعة وقيل معناه ان الله قد يملك على العبد قلبه فيفسخ عزائمه ويغير نياته ومقاصده ويبدله بالخوف أمنا وبالامن خوفا وبالذكر نسيانا وبالنسيان ذكرا وما اشبه ذلك مما هو جائز على الله تعالى فاما ما يثاب عليه العبد ويعاقب من افعال القلوب فلا واما المجبرة فعلى انه يحول بين المرء والايمان اذا كفر وبينه وبين الكفر اذا آمن تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقيل معناه انه يطلع على كل ما يخطره المرء بباله لا يخفى عليه شيء من ضمائره فكانه بينه وبين قلبه * وقرئ بين المر بتشديد الراء ووجهه انه قد حذف الهمزة والقى حركتها على الراء كالخب ثم نوى الوقف على لغة من يقول مررت بعمر (فتنة) ذنبا قيل هو اقرار المنكر بين اظهرهم وقيل افتراق الكلمة وقيل فتنة عذابا وقوله (لا تصيبن) لا يخلو من ان يكون جوابا للامر او نهيا بعد امر او صفة لفتنة فاذا كان جوابا فالمعنى ان اصابتكم لا تصب الظالمين منكم خاصة ولكنها تعمكم وهذا كما يحكى ان علماء بني اسرائيل نهوا عن المنكر تعذيرا فعمهم الله بالعذاب واذا كانت نهيا بعد امر فكانه قيل واحذروا ذنبا او عقابا ثم قيل لا تتعرضوا للظلم فيصيب العقاب او اثر الذنب ووباله من ظلم منكم خاصة وكذلك اذا جعلته صفة على

ارادة القول كانه قيل واتقوا فتنة مقولا فيها لا تصيبن ونظيره قوله

حتى اذا جن الظلام واختلط * جاؤا بمذق هل رأيت الذئب قط

اى بمذق مقول فيه هذا القول لانه سمار فيه لون الورقة التى هي لون الذئب ويعضد المعنى الاخير قراءة ابن مسعود لتصيبين على جواب القسم المحذوف وعن الحسن نزلت في على وعمار وطلحة والزبير وهو يوم الجمل خاصة قال الزبير نزلت فينا وقرأناها زمانا وما أرانا من اهلها فاذا نحن المعنيون بها وعن السدى نزلت فى أهل بدر فاقتتلوا يوم الجمل وروى ان الزبير كان يساير النبي صلى الله عليه وسلم يوما اذ أقبل على رضي الله عنه فضحك اليه الزبير فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف حبك لعلي فقال يارسول الله بابى انت وامى انى أحبه كحبي لولدى اوأشد حبا قال فكيف انت اذا سرت اليه تقاتله (فان قلت) كيف جاز ان تدخل النون المؤكدة في جواب الامر (قلت) لان فيه معنى النهي اذا قلت انزل عن الدابة لا تطرحك فلذلك جاز لا تطرحنك ولا تصيبن ولا يحطمنكم (فان قلت) فما معنى من فى قوله الذين ظلموا منكم (قلت) التبعيض على الوجه الاول والتبيين على الثانى لان المعنى لا تصيبنكم خاصة على ظلمكم لان الظلم أقبح منكم من سائر الناس (اذ أنتم) نصبه على انه مفعول به مذكور لا ظرف اى اذكروا وقت كونكم اقلة أذلة مستضعفين (فى الارض) ارض مكة قبل الهجرة تستضعفكم قريش (تخافون ان يتخطفكم الناس) لان الناس كانوا جميعا لهم اعداء منافين مضادين (فآواكم) الى المدينة (وأيدكم بنصره) بمظاهرة الانصار وبامداد الملائكة يوم بدر (ورزقكم من الطيبات) من الغنائم (لعلكم تشكرون) ارادة ان تشكروا هذه النعم وعن قتادة كان هذا الحي من العرب اذل الناس وأشقاهم عيشا واعراهم جلدا وابينهم ضلالا يؤكلون ولا ياكلون فمكن الله لهم فى البلاد ووسع لهم فى الرزق والغنائم وجعلهم ملوكا * معنى الخون النقص كما ان معنى الوفاء التمام ومنه تخونه اذا تنقصه ثم استعمل فى ضد الامانة والوفاء لانك اذا خنت الرجل فى شىء فقد ادخلت عليه النقصان فيه وقد استعير فقيل خان الدلو الكرب وخان المشتار السبب لانه اذا انقطع به فكانه لم يف له ومنه قوله تعالى وتخونوا أماناتكم والمعنى لا تخونوا الله بان تعطلوا فرائضه ورسوله بان لا تستنوا به و (أماناتكم) فيما بينكم بان لا تحفظوها (وانتم تعلمون) تبعة ذلك ووباله وقيل وانتم تعلمون انكم تخونون يعنى ان الخيانة توجد منكم عن تعمد لا عن سهو وقيل وانتم علماء تعلمون قبح القبيح وحسن الحسن وروى ان نبي الله صلى الله عليه وسلم حاصر يهود بنى قريظة احدى وعشرين ليلة فسألوا الصلح كما صالح اخوانهم بنى النضير على ان يسيروا الى اذرعات واريحاء من ارض الشام فابى رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان ينزلوا على حكم سعد بن معاذ فابوا وقالوا ارسل الينا ابا لبابة مروان بن عبد المنذر وكان مناصحا لهم لان عياله وماله فى ايديهم فبعثه اليهم فقالوا له ما ترى هل ننزل على حكم سعد فاشار الى حلقه انه الذبح قال ابو لبابة فما زالت قدماى حتى علمت انى قد خنت الله ورسوله فنزلت فشد نفسه على سارية من سوارى المسجد وقال والله لا اذوق طعاما ولا شرابا حتى اموت او يتوب الله على فمكث سبعة ايام حتى خر مغشيا عليه ثم تاب الله عليه فقيل له قد تيب عليك فحل نفسك فقال لا والله لا احلها حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذى يحلنى فجاءه فحله بيده فقال ان من تمام توبتى ان اهجر دار قومى التى اصبت فيها الذنب وان انخلع من مالى فقال صلى الله عليه وسلم يجزيك الثلث ان تتصدق به وعن المغيرة نزلت فى قتل عثمان بن عفان رضي الله عنه وقيل اماناتكم ما ائتمنكم الله عليه من فرائضه وحدوده * (فان قلت) وتخونوا اجزم هو ام نصب (قلت) يحتمل ان يكون جزما داخلا في حكم النهي وان يكون نصبا باضمار ان كقوله وتكتموا الحق وقرأ مجاهد وتخونوا امانتكم على التوحيد * جعل الاموال والاولاد فتنة لانهم سبب الوقوع فى الفتنة وهي الاثم او العذاب او محنة من الله ليبلوكم كيف تحافظون فيهم على حدوده والله عنده أجر عظيم فعليكم ان تنوطوا بطلبه وبما تؤدى اليه هممكم وتزهدوا في الدنيا ولا تحرصوا على جمع المال وحب الولد حتى تورطوا أنفسكم من أجلهما كقوله المال والبنون الآية وقيل هى من جملة ما نزل فى ابي لبابة وما فرط منه لاجل ماله وولده (فرقانا) نصرا لانه يفرق بين الحق والباطل وبين الكفر

اذ أنتم قليل مستضعفون في الارض تخافون ان يتخطفكم الناس فآواكم وايدكم بنصره ورزقكم من الطيبات لعلكم تشكرون يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا اماناتكم وانتم تعلمون واعلموا انما اموالكم واولادكم فتنة وان الله عنده اجر عظيم يا أيها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا ويكفر عنكم سيآتكم ويغفر لكم والله ذو الفضل العظيم واذ يمكر بك الذين كفروا

ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا اساطير الاولين واذ قالوا اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة من السماء او ائتنا بعذاب اليم وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم وما كان الله معذبهم

باذلال حزبه والاسلام باعزاز اهله ومنه قوله تعالى يوم الفرقان او بيانا وظهورا يشهر امركم ويبث صيتكم وآثاركم فى اقطار الارض من قولهم بت افعل كذا حتى سطع الفرقان اى طلع الفجر او مخرجا من الشبهات وتوفيقا وشرحا للصدور او تفرقة بينكم وبين غيركم من اهل الاديان وفضلا ومزية في الدنيا والآخرة * لما فتح الله عليه ذكره مكر قريش به حين كان بمكة ليشكر نعمة الله عز وجل فى نجاته من مكرهم واستيلائه عليهم وما اتاح الله له من حسن العاقبة والمعنى واذ كر اذ يمكرون بك وذلك ان قريشا لما أسلمت الانصار وبايعوه فرقوا ان يتفاقم امره فاجتمعوا في دار الندوة متشاورين فى امره فدخل عليهم ابليس فى صورة شيخ وقال انا شيخ من نجد ما انا من تهامة دخلت مكة فسمعت باجتماعكم فاردت ان احضركم ولن تعدموا مني رأيا ونصحا فقال ابو البختري رأيى ان تحبسوه فى بيت وتشدوا وثاقه وتسدوا بابه غير كوة تلقون اليه طعامه وشرابه منها وتتربصوا به ريب المنون فقال ابليس بئس الرأى يأتيكم من يقاتلكم من قومه ويخلصه من ايديكم فقال هشام بن عمرو رأيى ان تحملوه على جمل وتخرجوه من بين اظهركم فلا يضركم ما صنع واسترحتم فقال ابليس بئس الرأى يفسد قوما غيركم ويقاتلكم بهم فقال ابو جهل انا أرى ان تاخذوا من كل بطن غلاما وتعطوه سيفا صارما فيضربوه ضربة رجل واحد فيتفرق دمه فى القبائل فلا يقوى بنو هاشم على حرب قريش كلهم فاذا طلبوا العقل عقلناه واسترحنا فقال الشيخ لعنه الله صدق هذا الفتى هو اجودكم رأيا فتفرقوا على راى ابي جهل مجتمعين على قتله فاخبر جبريل عليه السلام رسول الله صلى الله عليه وسلم وامره ان لا يبيت فى مضجعه واذن الله له فى الهجرة فامر عليا رضي الله عنه فنام فى مضجعه وقال له اتشح ببردتى فانه لن يخلص اليك امر تكرهه وباتوا مترصدين فلما اصبحوا ثاروا الى مضجعه فابصروا عليا فبهتوا وخيب الله عز وجل سعيهم واقتصوا اثره فابطل الله مكرهم (ليثبتوك) ليسجنوك او يوثقوك او يثخنوك بالضرب والجرح من قولهم ضربوه حتى اثبتوه لا حراك به ولا براح وفلان مثبت وجعا وقرئ ليثبتوك بالتشديد وقرا النخعى ليبيتوك من البيات وعن ابن عباس ليقيدوك وهو دليل لمن فسره بالايثاق (ويمكرون) ويخفون المكايد له (ويمكر الله) ويخفى الله ما اعد لهم حتى يأتيهم بغتة (والله خير الماكرين) اى مكره انفذ من مكر غيره وابلغ تاثيرا ولانه لا ينزل الا ما هو حق وعدل ولا يصيب الا بما هو مستوجب (لو نشاء لقلنا مثل هذا) نفاجة منهم وصلف تحت الراعدة فانهم لم يتوانوا في مشيئتهم لو ساعدتهم الاستطاعة والا فما منعهم ان كانوا مستطيعين ان يشاؤا غلبة من تحداهم وقرعهم بالعجز حتى يفوزوا بالقدح المعلى دونه مع فرط انفتهم واستنكافهم ان يغلبوا فى باب البيان خاصة وان يماتنهم واحد فيتعللوا بامتناع المشيئة ومع ما علم وظهر ظهور الشمس من حرصهم على ان يقهروا رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهالكهم على ان يغمروه وقيل قائله النضر بن الحرث المقتول صبرا حين سمع اقتصاص الله احاديث القرون لو شئت لقلت مثل هذا وهو الذى جاء من بلاد فارس بنسخة حديث رستم واسفنديار فزعم ان هذا مثل ذلك وانه من جملة تلك الاساطير وهو القائل (ان كان هذا هو الحق) وهذا اسلوب من الجحود بليغ يعنى ان كان القرآن هو الحق فعاقبنا على انكاره بالسجيل كما فعلت باصحاب الفيل او بعذاب آخر ومراده نفى كونه حقا واذا انتفى كونه حقا لم يستوجب منكره عذابا فكان تعليق العذاب بكونه حقا مع اعتقاد انه ليس بحق كتعليقه بالمحال فى قولك ان كان الباطل حقا فامطر علينا حجارة وقوله هو الحق تهكم بمن يقول على سبيل التخصيص والتعيين هذا هو الحق وقرا الاعمش هو الحق بالرفع على ان هو مبتدا غير فصل وهو فى القراءة الاولى فصل * ويقال امطرت السماء كقولك انجمت واسبلت ومطرت كقولك هتنت وهتلت وقد كثر الامطار فى معنى العذاب * (فان قلت) ما فائدة قوله (من السماء) والامطار لا تكون الا منها (قلت) كانه اريد ان يقال فامطر علينا السجيل وهي الحجارة المسومة للعذاب فوضع حجارة من السماء موضع السجيل كما تقول صب عليه مسرودة من حديد تريد درعا (بعذاب أليم) اى بنوع آخر من جنس العذاب الاليم يعنى ان امطار السجيل بعض العذاب الاليم فعذبنا به او بنوع آخر من انواعه وعن معاوية انه قال لرجل من سبأ ما اجهل قومك حين ملكوا عليهم

امراة

امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين دعاهم الى الحق ان كان هذا هو الحق من عندك فامطر علينا حجارة ولم يقولوا ان كان هذا هو الحق فاهدنا له * اللام لتأكيد النفي والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم فى الحكمة لان عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب استئصال مادام نبيهم بين أظهرهم وفيه اشعار بانهم مرصدون بالعذاب اذا هاجر عنهم والدليل على هذا الاشعار قوله ومالهم ألا يعذبهم الله وانما يصح هذا بعد اثبات التعذيب كأنه قال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وهو معذبهم اذا فارقتهم ومالهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) فى موضع الحال ومعناه نفي الاستغفار عنهم أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم كقوله وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون ولا يتوقع ذلك منهم وقيل معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين ومالهم أن لا يعذبهم الله وأي شيء لهم فى انتفاء العذاب عنهم يعني لا حظ لهم فى ذلك وهم معذبون لا محالة * وكيف لا يعذبون وحالهم أنهم يصدون عن المسجد الحرام كما صدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية واخراجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين من الصد وكانوا يقولون نحن ولاة البيت والحرم فنصد من نشاء وندخل من نشاء (وما كانوا أولياءه) وما استحقوا مع اشراكهم وعداوتهم للدين أن يكونوا ولاة أمره وأربابه (ان أولياؤه الا المتقون) من المسلمين ليس كل مسلم أيضا ممن يصلح لان يلي أمره انما يستأهل ولايته من كان برا تقيا فكيف بالكفرة عبدة الاصنام (ولكن أكثرهم لا يعلمون) كأنه استثنى من كان يعلم وهو يعاند ويطلب الرياسة أو أراد بالاكثر الجميع كما يراد بالقلة العدم * المكاء فعال بوزن الثغاء والرغاء من مكا يمكو اذا صفر ومنه المكاء كأنه سمي بذلك لكثرة مكائه وأصله الصفة نحو الوضاء والقراء وقرئ مكا بالقصر ونظيرهما البكي والبكاء * والتصدية التصفيق تفعلة من الصدى أو من صد يصد اذا قومك منه يصدون * وقرأ الاعمش وما كان صلاتهم بالنصب على تقديم خبر كان على اسمه (فان قلت) ما وجه هذا الكلام (قلت) هو نحو من قوله

وما كنت أخشى ان يكون عطاؤه * أداهم سودا أو محدرجة سمرا

والمعنى أنه وضع القيود والسياط موضع العطاء ووضعوا المكاء والتصدية موضع الصلاة وذلك أنهم كانوا يطوفون بالبيت عراة الرجال والنساء وهم مشبكون بين أصابعهم يصفرون فيها ويصفقون وكانوا يفعلون نحو ذلك اذا قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صلاته يخلطون عليه (فذوقوا) عذاب القتل والاسر يوم بدر بسبب كفركم وأفعالكم التي لا يقدم عليها الا الكفرة * قيل نزلت فى المطعمين يوم بدر كان يطعم كل واحد منهم كل يوم عشر جزائر وقيل قالوا لكل من كان له تجارة فى العير أعينوا بهذا المال على حرب محمد لعلنا ندرك منه ثارنا بما أصيب منا ببدر وقيل نزلت فى أبي سفيان وقد استأجر ليوم أحد ألفين من الاحابيش سوى من استجاش من العرب وأنفق عليهم أربعين أوقية والاوقية اثنان وأربعون مثقالا (ليصدوا عن سبيل الله) أي كان غرضهم فى الانفاق الصد عن اتباع محمد وهو سبيل الله وان لم يكن عندهم كذلك (ثم تكون عليهم حسرة) أي تكون عاقبة انفاقها ندما وحسرة فكأن ذاتها تصير ندما وتنقلب حسرة (ثم يغلبون) آخر الامر وان كانت الحرب بينهم وبين المؤمنين سجالا قبل ذلك فيرجعون طلقاء كتب الله لاغلبن أنا ورسلي (والذين كفروا) والكافرون منهم (الى جهنم يحشرون) لان منهم من أسلم وحسن اسلامه (ليميز الله الخبيث) الفريق الخبيث من الكفار (من) الفريق (الطيب) من المؤمنين * فيجعل الفريق (الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا) عبارة عن الجمع والضم حتى يتراكبوا كقوله تعالى كادوا يكونون عليه لبدا يعني لفرط ازدحامهم (أولئك) اشارة الى الفريق الخبيث وقيل ليميز المال الخبيث الذى أنفقه المشركون فى عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال الطيب الذى أنفقه المسلمون كأبي بكر وعثمان فى نصرته فيركمه فيجعله فى جهنم فى جملة ما يعذبون به كقوله فتكوى بها جباههم وجنوبهم الآية واللام على هذا متعلقة بقوله ثم تكون عليهم حسرة وعلى الاول بيحشرون وأولئك اشارة الى الذين كفروا * وقرئ ليميز على التخفيف (قل للذين

وهم يستغفرون ومالهم ألا يعذبهم الله وهم يصدون عن المسجد الحرام وما كانوا أولياءه ان أولياؤه الا المتقون ولكن أكثرهم لا يعلمون وما كان صلوتهم عند البيت الا مكاء وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ان الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون والذين كفروا الى جهنم يحشرون ليميز الله الخبيث من الطيب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله فى جهنم أولئك هم الخاسرون قل للذين كفروا

كفروا) من أبي سفيان وأصحابه أي قل لاجلهم هذا القول وهو (ان ينتهوا) ولو كان بمعنى خاطبهم به لقيل ان تنتهوا يغفر لكم وهي قراءة ابن مسعود ونحوه وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه خاطبوا به غيرهم لاجلهم ليسمعوه أي ان ينتهوا عما هم عليه من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقتاله بالدخول في الاسلام (يغفر لهم ما قد سلف) لهم من العداوة (وان يعودوا) لقتاله (فقد مضت سنت الاولين) منهم الذين حاق بهم مكرهم يوم بدر أو فقد مضت سنة الذين تحزبوا على أنبيائهم من الامم فدمروا فليتوقعوا مثل ذلك ان لم ينتهوا وقيل معناه أن الكفار اذا انتهوا عن الكفر وأسلموا غفر لهم ما قد سلف لهم من الكفر والمعاصي وخرجوا منها كما تنسل الشعرة من العجين ومنه قوله عليه الصلاة والسلام الاسلام يجب ما قبله وقالوا الحربي اذا أسلم لم يبق عليه تبعة قط وأما الذمي فلا يلزمه قضاء حقوق الله وتبقى عليه حقوق الآدميين و به احتج أبو حنيفة رحمه الله في أن المرتد اذا أسلم لم يلزمه قضاء العبادات المتروكة في حال الردة وقبلها وفسر وان يعودوا بالارتداد *وقرئ يغفر لهم على أن الضمير لله عز وجل (وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة) الى أن لا يوجد فيهم شرك قط (ويكون الدين كله لله) ويضمحل عنهم كل دين باطل و يبقى فيهم دين الاسلام وحده (فان انتهوا) عن الكفر وأسلموا (فان الله بما يعملون بصير) يثيبهم على توبتهم واسلامهم وقرئ تعملون بالتاء فيكون المعنى فان الله بما تعملون من الجهاد في سبيله والدعوة الى دينه والاخراج من ظلمة الكفر الى نور الاسلام بصير يجازيكم عليه أحسن الجزاء (وان تولوا) ولم ينتهوا (فان الله مولاكم) أي ناصركم ومعينكم فثقوا بولايته ونصرته (أنما غنمتم) ما موصولة و (من شيء) بيانه قيل من شيء حتى الخيط والمخيط (فان لله) مبتدأ خبره محذوف تقديره فحق أو فواجب أن لله خمسه وروى الجعفي عن أبي عمرو فان لله بالكسر وتقويه قراءة النخعي فلله خمسه والمشهورة آكد وأثبت للايجاب كأنه قيل فلا بد من ثبات الخمس فيه ولا سبيل الى الاخلال به والتفريط فيه من حيث انه اذا حذف الخبر واحتمل غير واحد من المقدرات كقولك ثابت واجب حق لازم وما أشبه ذلك كان أقوى لايجابه من النص على واحد وقرئ خمسه بالسكون (فان قلت) كيف قسمة الخمس (قلت) عند أبي حنيفة رحمه الله أنها كانت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم على خمسة أسهم سهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وسهم لذوي قرباه من بني هاشم و بني المطلب دون بني عبد شمس وبني نوفل استحقوه حينئذ بالنصرة والمظاهرة لما روي عن عثمان وجبير بن مطعم رضي الله عنهما أنهما قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم هؤلاء اخوتك بنو هاشم لا ننكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله منهم أرأيت اخواننا بني المطلب أعطيتهم وحرمتنا وانما نحن وهم بمنزلة واحدة فقال صلى الله عليه وسلم انهم لم يفارقونا في جاهلية ولا اسلام انما بنو هاشم و بنو المطلب شيء واحد وشبك بين أصابعه وثلاثة أسهم لليتامى والمساكين وابن السبيل وأما بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فسهمه ساقط بموته وكذلك سهم ذوي القربى وانما يعطون لفقرهم فهم اسوة سائر الفقراء ولا يعطى أغنياؤهم فيقسم على اليتامى والمساكين وابن السبيل وأما عند الشافعي رحمه الله فيقسم على خمسة أسهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم يصرف الى ما كان يصرفه اليه من مصالح المسلمين كعدة الغزاة من السلاح والكراع ونحو ذلك وسهم لذوي القربى من أغنيائهم وفقرائهم يقسم بينهم للذكر مثل حظ الانثيين والباقي للفرق الثلاث وعند مالك بن أنس رحمه الله الامر فيه مفوض الى اجتهاد الامام ان رأى قسمة بين هؤلاء وان رأى أعطاه بعضهم دون بعض وان رأى غيرهم اولى واهم فغيرهم (فان قلت) ما معنى ذكر الله عز وجل وعطف الرسول وغيره عليه (قلت) يحتمل ان يكون معنى لله وللرسول لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله والله ورسوله احق ان يرضوه وان يراد بذكره ايجاب سهم سادس يصرف الى وجه من وجوه القرب وان يراد بقوله فان لله خمسه ان من حق الخمس ان يكون متقربا به اليه لا غير ثم خص من وجوه القرب هذه الخمسة تفضيلا لها على غيرها كقوله تعالى وجبريل وميكال

عليه الخ) قال احمد لان مالكا رضي الله عنه لا يرى ذكر الوجوه المذكورة لبيان انه لا يصرف فيهما سواها وليس لان يتملكاها ولا على التحديد حتى لا يجوز الاقتصار على بعض الوجوه دون بعض بل الامر عنده موكول الى نظر الامام فيصرف الخمس في مصالح المسلمين ومن جملتها قرابته عليه الصلاة والسلام ولا تحديد عنده في ذلك البتة وهذا التاويل الثالث ينطبق على مذهبه وبيان ذلك ان المراد حينئذ بذكر الله تعالى بيان ان الخمس يصرف في وجوه التقربات لله تعالى غير مقيد ثم تخصيص الوجوه المذكورة بعد ليس تحديدا ولكن تنبيها على فضلها والتخصيص لقصد التفصيل بعد التعميم لا يرفع حكم العموم الاول بل هو قار على حاله كما ان العموم ثابت للملائكة وان خص جبريل وميكال بعده والله تعالى أعلم

ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف وان يعودوا فقد مضت سنة الاولين وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله فان انتهوا فان الله بما يعملون بصير وان تولوا فاعلموا ان الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير واعلموا انما غنمتم من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل

وميكال فعلى الاحتمال الاول مذهب الامامين وعلى الثاني ماقال ابو العالية انه يقسم على ستة اسهم سهم لله تعالى يصرف الى رتاج الكعبة وعنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ياخذ الخمس فيضرب بيده فيه فيأخذ منه قبضة فيجعلها للكعبة وهو سهم الله تعالى ثم يقسم ما بقى على خمسة وقيل ان سهم الله تعالى لبيت المال وعلى الثالث مذهب مالك بن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنه انه كان على ستة اسهم لله وللرسول سهمان وسهم لاقاربه حتى قبض فاجرى أبو بكر رضى الله عنه الخمس على ثلاثة وكذلك روى عن عمر ومن بعده من الخلفاء وروى ان أبا بكر رضي الله عنه منع بنى هاشم الخمس وقال انما لكم ان يعطي فقيركم ويزوج أيمكم ويخدم من لاخادم له منكم فاما الغني منكم فهو بمنزلة ابن سبيل غنى لا يعطي من الصدقة شيا ولا يتيم موسر وعن زيد بن علي رضي الله عنه كذلك قال ليس لنا ان نبني منه قصورا ولا ان نركب منه البراذين وقيل الخمس كله للقرابة وعن على رضي الله عنه انه قيل له ان الله تعالى قال واليتامى والمساكين فقال ايتامنا ومساكيننا وعن الحسن رضي الله عنه فى سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم انه لولى الامر من بعده وعن الكلبي رضي الله عنه ان الآية نزلت ببدر وقال الواقدى كان الخمس فى غزوة بنى قينقاع بعد بدر بشهر وثلاثة ايام للنصف من شوال على رأس عشرين شهرا من الهجرة (فان قلت) بم تعلق قوله (ان كنتم آمنتم بالله) (قلت) بمحذوف يدل عليه واعلموا المعنى ان كنتم آمنتم بالله فاعلموا ان الخمس من الغنيمة يجب التقرب به فاقطعوا عنه أطماعكم واقتنعوا بالاخماس الاربعة وليس المراد بالعلم المجرد ولكنه العلم المضمن بالعمل والطاعة لامر الله تعالى لان العلم المجرد يستوى فيه المؤمن والكافر (وما أنزلنا) معطوف على بالله أى ان كنتم آمنتم بالله وبالمنزل (على عبدنا) وقرئ عبدنا كقوله وعبد الطاغوت بضمتين (يوم الفرقان) يوم بدر و (الجمعان) الفريقان من المسلمين والكافرين والمراد ما أنزل عليه من الآيات والملائكة والفتح يومئذ (والله على كل شىء قدير) يقدر على ان ينصر القليل على الكثير والذليل على العزيز كما فعل بكم ذلك اليوم (اذ) بدل من يوم الفرقان * والعدوة شط الوادى بالكسر والضم والفتح وقرئ بهن وبالعدية على قلب الواو ياء لان بينها وبين الكسرة حاجزا غير حصين كما فى الصبية * والدنيا والقصوى تأنيث الادنى والاقصى (فان قلت) كلتاهما فعلى من بنات الواو فلم جاءت احداهما بالياء والثانية بالواو (قلت) القياس هو قلب الواو ياء كالعليا وأما القصوى فكالقود فى مجيئه على الاصل وقد جاء القصيا الا ان استعمال القصوى اكثر كما كثر استعمال استصوب مع مجىء استصاب واغيلت مع اغالت والعدوة الدنيا مما يلى المدينة والقصوى مما يلى مكة (والركب اسفل منكم) يعنى الركب الاربعين الذين كانوا يقودون العير أسفل منكم بالساحل وأسفل نصب على الظرف معناه مكانا أسفل من مكانكم وهو مرفوع المحل لانه خبر للمبتدا (فان قلت) ما فائدة هذا التوقيت وذكر مراكز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم (قلت) الفائدة فيه الاخبار عن الحال الدالة على قوة شان العدو وشوكته وتكامل عدته وتمهد اسباب الغلبة له وضعف شان المسلمين والتياث امرهم وان غلبتهم فى مثل هذه الحال ليست الا صنعا من الله سبحانه ودليلا على ان ذلك امر لم يتيسر الا بحوله وقوته وباهر قدرته وذلك ان العدوة القصوى التى اناخ بها المشركون كان فيها الماء وكانت ارضا لا باس بها ولا ماء بالعدوة الدنيا وهي خبار تسوخ فيها الارجل ولا يمشي فيها الا بتعب ومشقة وكانت العير وراء ظهور العدو مع كثرة عددهم فكانت الحماية دونها تضاعف حميتهم وتشحذ فى المقاتلة عنها نياتهم ولهذا كانت العرب تخرج الى الحرب بظعنهم وأموالهم ليبعثهم الذب عن الحريم والغيرة على الحرم على بذل جهيداهم فى القتال وان لا يتركوا وراءهم ما يحدثون أنفسهم بالانحياز اليه فيجمع ذلك قلوبهم ويضبط هممهم ويوطن نفوسهم على ان لا يبرحوا مواطنهم ولا يخلوا مراكزهم ويبذلوا منتهى نجدتهم وقصارى شدتهم وفيه تصوير ما دبر سبحانه من امر وقعة بدر ليقضي امرا كان مفعولا من اعزاز دينه واعلاء كلمته حين وعد المسلمين احدى الطائفتين مبهمة غير مبينة حتى خرجوا ليأخذوا العير راغبين فى الخروج وشخص بقريش مرعوبين مما بلغهم من تعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم لاموالهم حتى نفروا ليمنعوا عيرهم وسبب الاسباب

ان كنتم آمنتم بالله وما انزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شىء قدير اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم

* قوله تعالى اذ انتم بالعدوة الدنيا وهم بالعدوة القصوى والركب اسفل منكم ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد (قال ان قلت ما فائدة ذكر مركز الفريقين وان العير كانت اسفل منهم الخ) قال احمد وهذا الفصل من خواص حسنات الزمخشري وتنقيبه عن اسرار الكتاب العزيز

ولو تواعدتم لاختلفتم فى الميعاد ولكن ليقضى الله امرا كان مفعولا ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة وان الله لسميع عليم اذ يريكهم الله فى منامك قليلا ولو اراكهم كثيرا لفشلتم ولتنازعتم فى الامر ولكن الله سلم انه عليم بذات الصدور واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم ليقضى الله امرا كان مفعولا والى الله ترجع الامور يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون واطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تكونوا

حتى اناخ هؤلاء بالعدوة الدنيا وهؤلاء بالعدوة القصوى ووراءهم العير يحامون عليها حتى قامت الحرب على ساق وكان ما كان (ولو تواعدتم) انتم واهل مكة وتواضعتم بينكم على موعد تلتقون فيه للقتال لخالف بعضكم بعضا فثبطكم قلتكم وكثرتهم على الوفاء بالموعد وثبطهم ما فى قلوبهم من تهيب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين فلم يتفق لكم من التلاقى ما وفقه الله وسبب له (ليقضى) متعلق بمحذوف اى ليقضى امرا كان واجبا ان يفعل وهو نصر اوليائه وقهر اعدائه دبر ذلك وقوله (ليهلك) بدل منه واستعير الهلاك والحياة للكفر والاسلام اى ليصدر كفر من كفر عن وضوح بينة لا عن مخالجة شبهة حتى لا تبقى له على الله حجة ويصدر اسلام من اسلم ايضا عن يقين وعلم بانه دين الحق الذى يجب الدخول فيه والتمسك به وذلك ان ما كان من وقعة بدر من الآيات الغر المحجلة التى من كفر بعدها كان مكابرا لنفسه مغالطا لها * وقرئ ليهلك بفتح اللام وحيى باظهار التضعيف (لسميع عليم) يعلم كيف يدبر اموركم ويسوى مصالحكم او لسميع عليم بكفر من كفر وعقابه وبايمان من آمن وثوابه (اذ يريكهم الله) نصبه باضمار اذكر او هو بدل ثان من يوم الفرقان او متعلق بقوله لسميع عليم اى يعلم المصالح اذ يقللهم فى عينك (فى منامك) فى رؤياك وذلك ان الله عز وجل اراه اياهم فى رؤياه قليلا فاخبر بذلك اصحابه فكان تثبيتا لهم وتشجيعا على عدوهم وعن الحسن فى منامك فى عينك لانها مكان النوم كما قيل للقطيفة المنامة لانه ينام فيها وهذا تفسير فيه تعسف وما احسب الرواية صحيحة فيه عن الحسن وما يلائم علمه بكلام العرب وفصاحته (لفشلتم) لجبنتم وهبتم الاقدام (ولتنازعتم) فى الرأى وتفرقت فيما تصنعون كلمتكم وترجحتم بين الثبات والفرار (ولكن الله سلم) اى عصم وانعم بالسلامة من الفشل والتنازع والاختلاف (انه عليم بذات الصدور) يعلم ما سيكون فيها من الجراءة والجبن والصبر والجزع (واذ يريكموهم) الضميران مفعولان يعنى واذ يبصركم اياهم و(قليلا) نصب على الحال وانما قللهم فى اعينهم تصديقا لرؤيا رسول الله صلى الله عليه وسلم وليعاينوا ما اخبرهم به فيزداد يقينهم ويجدوا ويثبتوا قال ابن مسعود رضى الله عنه لقد قللوا فى اعيننا حتى قلت لرجل الى جنبى اتراهم سبعين قال اراهم مائة فاسرنا رجلا منهم فقلنا له كم كنتم قال الفا (ويقللكم فى اعينهم) حتى قال قائل منهم انما هم اكلة جزور (فان قلت) الغرض فى تقليل الكفار فى اعين المؤمنين ظاهر فما الغرض فى تقليل المؤمنين فى اعينهم (قلت) قد قللهم فى اعينهم قبل اللقاء ثم كثرهم فيها بعده ليجترئوا عليهم قلة مبالاة بهم ثم تفجؤهم الكثرة فيبهتوا ويهابوا وتفل شوكتهم حين يرون ما لم يكن فى حسابهم وتقديرهم وذلك قوله يرونهم مثليهم رأى العين ولئلا يستعدوا لهم وليعظم الاحتجاج عليهم باستيضاح الآية البينة من قلتهم اولا وكثرتهم اخرا (فان قلت) باى طريق يبصرون الكثير قليلا (قلت) بان يستر الله عنهم بعضه بساتر او يحدث فى عيونهم ما يستقلون به الكثير كما احدث فى اعين الحول ما يرون به الواحد اثنين قيل لبعضهم ان الاحول يرى الواحد اثنين وكان بين يديه ديك واحد فقال مالى لا ارى هذين الديكين اربعة (اذا لقيتم فئة) اذا حاربتم جماعة من الكفار ترك ان يصفها لان المؤمنين ما كانوا يلقون الا الكفار واللقاء اسم للقتال غالب (فاثبتوا) لقتالهم ولا تفروا (واذكروا الله كثيرا) فى مواطن الحرب مستظهرين بذكره مستنصرين به داعين له على عدوكم اللهم اخذلهم اللهم اقطع دابرهم (لعلكم تفلحون) لعلكم تظفرون بمرادكم من النصرة والمثوبة وفيه اشعار بان على العبد ان لا يفتر عن ذكر ربه اشغل ما يكون قلبا واكثر ما يكون هما وان تكون نفسه مجتمعة لذلك وان كانت متوزعة عن غيره وناهيك بما فى خطب امير المؤمنين عليه السلام فى ايام صفين وفى مشاهده مع البغاة والخوارج من البلاغة والبيان ولطائف المعانى وبليغات المواعظ والنصائح دليلا على انهم كانوا لا يشغلهم عن ذكر الله شاغل وان تفاقم الامر (ولا تنازعوا) قرئ بتشديد التاء (فتفشلوا) منصوب باضمار ان او مجزوم لدخوله فى حكم النهى وتدل على التقديرين قراءة من قرأ

* قوله تعالى واذ يريكموهم اذ التقيتم فى اعينكم قليلا ويقللكم فى اعينهم (قال ان قلت باى طريق يبصرون الكثير قليلا الخ) قال احمد وفى هذا دليل بين على ان الله تعالى هو الذى يخلق الادراك فى الحاسة غير موقوف على سبب من مقابلة او قرب او ارتفاع حجب اوغير ذلك اذ لو كانت هذه الاسباب موجبة للرؤية عقلا لما امكن ان يستتر عنهم البعض وقد ادركوا البعض والسبب الموجب مشترك فعلى هذا يجوز ان يخلق الله الادراك مع اجتماعها فلا ربط اذا بين الرؤية ونفيها فى مقدرة الله تعالى وهى زيادة على القدرية المنكرين لرؤية الله تعالى بناء على اعتبار هذه الاسباب فى حصول الادراك عقلا وانها تستلزم الجسمية اذ المقابلة والقرب وارتفاع الحجب انما تتاتى فى جسم فهذه الآية حسبهم فى ابطال زعمهم ولكنهم يمرون عليها وهم عنها معرضون والله الموفق

وتذهب

وتذهب ريحكم بالتاء والنصب وقراءة من قرأ ويذهب ريحكم بالياء والجزم * والريح الدولة شبهت فى نفوذ امرها وتمشيه بالريح وهبوبها فقيل هبت رياح فلان اذا دالت له الدولة ونفذ امره ومنه قوله

ياصاحبي الا لاحى بالوادى * الا عبيد قعود بين أذواد
أتنظران قليلا ريث غفلتهم * ام تعدوان فان الريح للعادى

وقيل لم يكن نصر قط الا بريح يبعثها الله تعالى وفى الحديث نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور * حذرهم بالنهى عن التنازع واختلاف الرأى نحو ما وقع لهم باحد لمخالفتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من فشلهم وذهاب ريحهم (كالذين خرجوا من ديارهم) هم أهل مكة حين خرجوا لحماية العير فاتاهم رسول ابى سفيان وهم بالجحفة ان ارجعوا فقد سلمت عيركم فابى ابو جهل وقال حتى نقدم بدرا نشرب بها الخمور وتعزف علينا القيان ونطعم بها من حضرنا من العرب فذلك بطرهم ورئاؤهم الناس باطعامهم فوافوها فسقوا كؤس المنايا مكان الخمر وناحت عليهم النوائح مكان القيان فنهاهم ان يكونوا امثالهم بطرين طربين مرائين باعمالهم وان يكونوا من أهل التقوى والكآبة والحزن من خشية الله عز وجل مخلصين أعمالهم لله * (و) اذكر (اذ زين لهم الشيطان أعمالهم) التى عملوها فى معاداة رسول الله صلى الله عليه وسلم ووسوس اليهم انهم لا يغلبون ولا يطاقون واوهمهم ان اتباع خطوات الشيطان وطاعته مما يجيرهم * فلما تلاقى الفريقان نكص الشيطان وتبرأ منهم اى بطل كيده حين نزلت جنود الله وكذا عن الحسن رحمه الله كان ذلك على سبيل الوسوسة ولم يتمثل لهم وقيل لما اجتمعت قريش على السير ذكرت الذى بينها وبين بنى كنانة من الحرب فكاد ذلك يثنيهم فتمثل لهم ابليس فى صورة سراقة بن مالك بن جعشم الشاعر الكنانى وكان من اشرافهم فى جند من الشياطين معه راية وقال لا غالب لكم اليوم وانى مجيركم من بنى كنانة فلما رأى الملائكة تنزل نكص وقيل كانت يده فى يد الحرث بن هشام فلما نكص قال له الحرث الى اين اتخذ لنا فى هذه الحال فقال انى ارى ما لا ترون ودفع فى صدر الحرث وانطلق وانهزموا فلما بلغوا مكة قالوا هزم الناس سراقة فبلغ ذلك سراقة فقال والله ما شعرت بمسيركم حتى بلغتنى هزيمتكم فلما اسلموا علموا انه الشيطان وفى الحديث وما رؤى ابليس يوما اصغر ولا ادحر ولا اغيظ من يوم عرفة لما يرى من نزول الرحمة الا ما رؤى يوم بدر (فان قلت) هلا قيل لا غالبا لكم كما يقال لا ضاربا زيدا عندنا (قلت) لو كان لكم مفعولا لغالب بمعنى لا غالبا اياكم لكان الامر كما قلت لكنه خبر تقديره لا غالب كائن لكم (اذ يقول المنافقون) بالمدينة (والذين فى قلوبهم مرض) يجوز ان يكون من صفة المنافقين وان يراد الذين هم على حرف ليسوا بثابتى الاقدام فى الاسلام وعن الحسن هم المشركون (غر هؤلاء دينهم) يعنون ان المسلمين اغتروا بدينهم وانهم يتقوون به وينصرون من أجله فخرجوا وهم ثلاثمائة وبضعة عشر الى زهاء الف ثم قال جوابا لهم (ومن يتوكل على الله فان الله عزيز) غالب يسلط القليل الضعيف على الكثير القوى (ولو ترى) ولو عاينت وشاهدت لان لو ترد المضارع الى معنى الماضى كما ترد ان الماضى الى معنى الاستقبال و(اذ) نصب على الظرف * وقرئ يتوفى بالياء والتاء و(الملائكة) رفعها بالفعل و (يضربون) حال منهم ويجوز ان يكون فى يتوفى ضمير الله عز وجل والملائكة مرفوعة بالابتداء ويضربون خبر * وعن مجاهد وادبارهم استاههم ولكن الله كريم يكنى وانما خصوهما بالضرب لان الخزى والنكال فى ضربهما اشد وبلغنى عن اهل الصين ان عقوبة الزانى عندهم ان يصبر ثم يعطى الرجل القوى البطش شيئا عمل من حديد كهيئة الطبق فيه رزانة وله مقبض فيضرب به على دبره ضربة واحدة بقوته فيجمد فى مكانه وقيل يضربون ما اقبل منهم وما ادبر (وذوقوا) معطوف على يضربون على ارادة القول اى ويقولون ذوقوا (عذاب الحريق) اى مقدمة عذاب النار او وذوقوا عذاب الآخرة بشارة لهم به وقيل كانت معهم مقامع من حديد كلما ضربوا بها التهبت النار او ويقال لهم يوم القيامة ذوقوا وجواب لو محذوف اى لرايت امرا فظيعا منكرا (ذلك بما قدمت ايديكم) يحتمل ان يكون من كلام الله ومن كلام الملائكة وذلك رفع بالابتداء وبما قدمت خبره (وان الله) عطف عليه اى ذلك العذاب بسببين بسبب كفركم ومعاصيكم وبان

كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله والله بما يعملون محيط واذ زين لهم الشيطان اعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وانى جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال انى برئ منكم انى ارى ما لا ترون انى اخاف الله والله شديد العقاب اذ يقول المنافقون والذين فى قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فان الله عزيز حكيم ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت ايديكم وان الله

الله (ليس بظلام للعبيد) لان تعذيب الكفار من العدل كاثابة المؤمنين وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد اولان العذاب من العظم بحيث لولا الاستحقاق لكان المعذب بمثله ظلاما بليغ الظلم متفاقمه * الكاف فى محل الرفع اى داب هؤلاء مثل دأب آل فرعون ودأبهم عادتهم وعملهم الذى دابوا فيه اى داوموا عليه وواظبوا و(كفروا) تفسير لداب آل فرعون و(ذلك) اشارة الى ماحل بهم يعنى ذلك العذاب اوالانتقام بسبب ان الله لم ينبغ له ولم يصح فى حكمته ان يغير نعمته عند قوم (حتى يغيروا ما) بهم من الحال (فان قلت) فما كان من تغيير آل فرعون ومشركى مكة حتى غير الله نعمته عليهم ولم تكن لهم حال مرضية فيغيروها الى حال مسخوطة (قلت) كما تغير الحال المرضية الى المسخوطة تغير الحال المسخوطة الى اسخط منها واولئك كانوا قبل بعثة الرسول اليهم كفرة عبدة اصنام فلما بعث اليهم بالآيات البينات فكذبوه وعادوه وتحزبوا عليه ساعين فى اراقة دمه غيروا حالهم الى أسوأ مما كانت فغير الله ما انعم به عليهم من الامهال وعاجلهم بالعذاب (وان الله سميع) لما يقول مكذبو الرسل (عليم) بما يفعلون (كدأب آل فرعون) تكرير للتاكيد وفى قوله (بآيات ربهم) زيادة دلالة على كفران النعم وجحود الحق * وفى ذكر الاغراق بيان للاخذ بالذنوب (وكل كانوا ظالمين) وكلهم من غرقى القبط وقتلى قريش كانوا ظالمين انفسهم بالكفر والمعاصى (الذين كفروا فهم لا يؤمنون) اى أصروا على الكفر ولجوا فيه فلا يتوقع منهم ايمان وهم بنى قريظة عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يمالئوا عليه فنكثوا بان اعانوا مشركى مكة بالسلاح وقالوا نسينا واخطأنا ثم عاهدهم فنكثوا ومالوا معهم يوم الخندق وانطلق كعب بن الاشرف الى مكة فحالفهم (الذين عاهدت منهم) بدل من الذين كفروا أى الذين عاهدتهم من الذين كفروا جعلهم شر الدواب لان شر الناس الكفار وشر الكفار المصرون منهم وشر المصرين الناكثون للعهود (وهم لا يتقون) لا يخافون عاقبة الغدر ولا يبالون مافيه من العار والنار (فاما تثقفنهم فى الحرب) فاما تصادفنهم وتظفرن بهم (فشرد بهم من خلفهم) ففرق عن محاربتك ومناصبتك بقتلهم شر قتلة والنكاية فيهم من وراءهم من الكفرة حتى لا يجسر عليك بعدهم احد اعتبارا بهم واتعاظا بحالهم وقرأ ابن مسعود رضى الله عنه فشرذ بالذال المعجمة بمعنى ففرق وكأنه مقلوب شذر من قولهم ذهبوا شذر مذر ومنه الشذر الملتقط من المعدن لتفرقه وقرأ ابو حيوة من خلفهم ومعناه فافعل التشريد من ورائهم لانه اذا شرد الذين وراءهم فقد فعل التشريد فى الوراء واوقعه فيه لان الوراء جهة المشردين فاذا جعل الوراء ظرفا للتشريد فقد دل على تشريد من فيه فلم يبق فرق بين القراءتين (لعلهم يذكرون) لعل المشردين من ورائهم يتعظون (واما تخافن من قوم) معاهدين (خيانة) ونكثا بامارات تلوح لك (فانبذ اليهم) فاطرح اليهم العهد (على سواء) على طريق مستو قصد وذلك ان تظهر لهم نبذ العهد وتخبرهم اخبارا مكشوفا بينا انك قطعت ما بينك وبينهم ولا تناجزهم الحرب وهم على توهم بقاء العهد فيكون ذلك خيانة منك (ان الله لا يحب الخائنين) فلا يكن منك اخفاء نكث العهد والخداع وقيل على استواء فى العلم بنقض العهد وقيل على استواء فى العداوة والجار والمجرور فى موضع الحال كأنه قيل فانبذ اليهم ثابتا على طريق قصد سوى او حاصلين على استواء فى العلم او العداوة على انها حال من النابذ والمنبوذ اليهم معا (سبقوا) فاتوا وافلتوا من ان يظفر بهم (انهم لا يعجزون) انهم لا يفوتون ولا يجدون طالبهم عاجزا عن ادراكهم وقرئ أنهم بالفتح بمعنى لانهم كل واحدة من المكسورة والمفتوحة تعليل الا ان المكسورة على طريقة الاستئناف والمفتوحة تعليل صريح وقرئ يعجزون بالتشديد وقرأ ابن محيصن يعجزن بكسر النون * وقرأ الاعمش ولا تحسب الذين كفروا بكسر الباء وبفتحها على حذف النون الخفيفة وقرأ حمزة ولا يحسبن بالياء على ان الفعل للذين كفروا وقيل فيه اصله ان سبقوا فحذفت ان كقوله ومن آياته يريكم البرق واستدل عليه بقراءة ابن مسعود رضى الله عنه انهم سبقوا وقيل وقع الفعل على انهم لا يعجزون على ان لا صلة وسبقوا فى محل الحال بمعنى سابقين اى مفلتين هاربين وقيل معناه ولا يحسبنهم الذين كفروا سبقوا فحذف الضمير لكونه مفهوما وقيل ولا يحسبن قبيل المؤمنين الذين كفروا سبقوا وهذه الاقاويل كلها متمحلة وليست هذه القراءة التى تفرد بها حمزة بنيرة وعن الزهرى انها نزلت فيمن افلت من

آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فاخذهم الله بذنوبهم ان الله قوى شديد العقاب ذلك بان الله لم يك مغيرا نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بانفسهم وان الله سميع عليم كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فاهلكناهم بذنوبهم واغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم فى كل مرة وهم لا يتقون فاما تثقفنهم فى الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون واما تخافن من قوم خيانة فانبذ اليهم على سواء ان الله لا يحب الخائنين ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا انهم لا يعجزون واعدوا لهم ما استطعتم

* قوله تعالى وان الله ليس بظلام للعبيد (قال وقيل ظلام للتكثير لاجل العبيد الخ) قال احمد وبهذه النكتة يجاب عن قول القائل نفى الادنى ابلغ من نفى الاعلى فلم عدل عن الابلغ والمراد تنزيه الله تعالى وهو جدير بالمبالغة فهذان الجوابان عتيدان فى هذا السؤال

فل المشركين (من قوة) من كل ما يتقوى به في الحرب من عددها وعن عقبة بن عامر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر ألا ان القوة الرمي قالها ثلاثا ومات عقبة عن سبعين قوسا في سبيل الله وعن عكرمة هي الحصون * والرباط اسم للخيل التي تربط في سبيل الله ويجوز أن يسمي بالرباط الذي هو بمعنى المرابطة ويجوز أن يكون جمع ربيط كفصيل وفصال وقرأ الحسن ومن ربط الخيل بضم الباء وسكونها جمع رباط ويجوز أن يكون قوله (ومن رباط الخيل) تخصيصا للخيل من بين ما يتقوى به كقوله وجبريل وميكال وعن ابن سيرين رحمه الله أنه سئل عمن أوصى بثلث ماله في الحصون فقال يشتري به الخيل فترابط في سبيل الله ويغزى عليها فقيل له انما أوصى في الحصون فقال ألم تسمع قول الشاعر

* ان الحصون الخيل لا مدر القرى * (ترهبون) قرئ بالتخفيف والتشديد وقرأ ابن عباس ومجاهد رضي الله عنهما تخزون والضمير في (به) راجع الى ما استطعتم (عدو الله وعدوكم) هم أهل مكة (وآخرين من دونهم) هم اليهود وقيل المنافقون وعن السدي هم اهل فارس وقيل كفرة الجن وجاء في الحديث ان الشيطان لا يقرب صاحب فرس ولا دارا فيها فرس عتيق وروي ان صهيل الخيل يرهب الجن * جنح له واليه اذا مال * والسلم تؤنث تأنيث نقيضها وهي الحرب قال

السلم تأخذ منها ما رضيت به * والحرب يكفيك من انفاسها جرع

وقرئ بفتح السين وكسرها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله وعن مجاهد بقوله فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم والصحيح ان الامر موقوف على ما يرى فيه الامام صلاح الاسلام واهله من حرب او سلم وليس بحتم ان يقاتلوا ابدا او يجابوا الى الهدنة ابدا * وقرأ الاشهب العقيلي فاجنح بضم النون (وتوكل على الله) ولا تخف من ابطانهم المكر في جنوحهم الى السلم فان الله كافيك وعاصمك من مكرهم وخديعتهم قال مجاهد يريد قريظة (فان حسبك الله) فان محسبك الله قال جرير

اني وجدت من المكارم حسبكم * ان تلبسوا خز الثياب وتشبعوا

(وألف بين قلوبهم) التأليف بين قلوب من بعث اليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم من الآيات الباهرة لان العرب لما فيهم من الحمية والعصبية والانطواء على الضغينة في أدنى شيء والقائه بين أعينهم الى أن ينتقموا لا يكاد يأتلف منهم قلبان ثم التفت قلوبهم على اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم واتحدوا وأنشؤا يرمون عن قوس واحدة وذلك لما نظم الله من ألفتهم وجمع من كلمتهم وأحدث بينهم من التحاب والتواد وأماط عنهم من التباغض والتماقت وكلفهم من الحب في الله والبغض في الله ولا يقدر على ذلك الا من يملك القلوب فهو يقلبها كما شاء ويصنع فيها ما اراد وقيل هم الاوس والخزرج كان بينهم من الحروب والوقائع ما اهلك ساداتهم ورؤساءهم ودق جماجمهم ولم يكن لبغضائهم أمد ومنتهى وبينهما التجاور الذي يهيج الضغائن ويديم التحاسد والتنافس وعادة كل طائفتين كانتا بهذه المثابة ان تتجنب هذه ما آثرته اختها وتكرهه وتنفر عنه فانساهم الله تعالى ذلك كله حتى اتفقوا على الطاعة وتصافوا وصاروا انصارا وعادوا اعوانا وما ذاك الا بلطيف صنعه وبليغ قدرته (ومن اتبعك) الواو بمعنى مع وما بعده منصوب تقول حسبك وزيدا درهم ولا تجر لان عطف الظاهر المجرور على المكني ممتنع قال * فحسبك والضحاك عضب مهند * والمعنى كفاك وكفى تباعك من المؤمنين الله ناصرا او يكون في محل الرفع اي كفاك الله وكفاك المؤمنون وهذه الآية نزلت بالبيداء في غزوة بدر قبل القتال وعن ابن عباس رضي الله عنه نزلت في اسلام عمر رضي الله عنه وعن سعيد ابن جبير انه اسلم مع النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة وثلاثون رجلا وست نسوة ثم اسلم عمر فنزلت * التحريض المبالغة في الحث على الامر من الحرض وهو ان ينهكه المرض ويتبالغ فيه حتى يشفي على الموت او ان تسميه حرضا وتقول له ما اراك الا حرضا في هذا الامر وممرضا فيه ليهيجه ويحرك منه ويقال حركه وحرضه وحرصه وحرشه وحربه بمعنى * وقرئ حرص بالصاد غير المعجمة حكاها الاخفش من الحرص * وهذه عدة من الله وبشارة بان الجماعة من المؤمنين ان صبروا غلبوا عشرة امثالهم من الكفار بعون الله تعالى وتأييده ثم قال (بانهم قوم لا يفقهون) اي بسبب ان الكفار قوم

من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم وما تنفقوا من شيء في سبيل الله يوف اليكم وانتم لا تظلمون وان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله انه هو السميع العليم وان يريدوا ان يخدعوك فان حسبك الله هو الذي ايدك بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلوبهم ولكن الله الف بينهم انه عزيز حكيم يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين وان يكن منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا بانهم قوم لا يفقهون

---

*قوله تعالى وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل (قال القوة الرمي روى عقبة بن عامر انها الرمي الخ) قال أحمد والمطابق للرمي ان يكون الرباط على بابه مصدرا والله أعلم وهو حسبي ونعم الوكيل

الآن خفف الله عنكم وعلم ان فيكم ضعفا فان يكن منكم مائة صابرة يغلبوا مائتين وان يكن منكم ألف يغلبوا ألفين باذن الله والله مع الصابرين ما كان لنبي ان يكون له اسرى حتى يثخن فى الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما اخذتم عذاب عظيم

جهلة يقاتلون على غير احتساب وطلب ثواب كالبهائم فيقل ثباتهم و يعدمون لجهلهم بالله نصرته و يستحقون
خذلانه خلاف من يقاتل على بصيرة ومعه ما يستوجب به النصر و الاظهار من الله تعالى وعن ابن جريج كان
عليهم أن لا يفروا ويثبت الواحد منهم للعشرة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث حمزة رضي الله عنه فى
ثلاثين راكبا فلقى أباجهل في ثلاثمائة راكب قيل ثم ثقل عليهم ذلك وضجوا منه وذلك بعد مدة طويلة فنسخ
وخفف عنهم بمقاومة الواحد الاثنين وقيل كان فيهم قلة فى الابتداء ثم لما كثروا بعد نزل التخفيف * وقرئ ضعفا
بالفتح والضم كالمكث والمكث والفقر والفقر وضعفاء جمع ضعيف * قرئ للفعل المسند الى المائة بالتاء والياء
فى الموضعين والمراد بالضعف الضعف فى البدن وقيل فى البصيرة والاستقامة فى الدين وكانوا متفاوتين فى
ذلك (فان قلت) لم كرر المعنى الواحد وهو مقاومة الجماعة لاكثر منها مرتين قبل التخفيف و بعده (قلت)
للدلالة على ان الحال مع القلة والكثرة واحدة لا تتفاوت لان الحال قد تتفاوت بين مقاومة العشرين المائتين
والمائة الالف وكذلك بين مقاومة المائة المائتين والالف الالفين * وقرئ النبي على التعريف وأسارى ويثخن
بالتشديد ومعنى الاثخان كثرة القتل والمبالغة فيه من قولهم اثخنته الجراحات اذا اثبتته حتى تثقل عليه الحركة
واثخنه المرض اذا اثقله من الثخانة التى هي الغلظ والكثافة يعنى حتى يذل الكفر و يضعفه باشاعة القتل فى
أهله ويعز الاسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ثم الاسر بعد ذلك ومعنى (ما كان) ما صح له وما استقام وكان هذا
يوم بدر فلما كثر المسلمون نزل فاما منا بعد واما فداء وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى بسبعين اسيرا
فيهم العباس عمه وعقيل بن ابي طالب فاستشار ابا بكر رضي الله عنه فيهم فقال قومك واهلك استبقهم لعل الله
ان يتوب عليهم وخذ منهم فدية تقوى بها اصحابك وقال عمر رضى الله عنه كذبوك واخرجوك فقدمهم
واضرب اعناقهم فان هؤلاء ائمة الكفر وان الله اغناك عن الفداء مكن عليا من عقيل وحمزة من العباس ومكنى
من فلان لنسيب له فلنضرب اعناقهم فقال صلى الله عليه وسلم ان الله ليلين قلوب رجال حتى تكون الين من اللبن
وان الله ليشدد قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة وان مثلك يا ابابكر مثل ابراهيم قال فمن تبعنى فانه منى
ومن عصانى فانك غفور رحيم ومثلك يا عمر مثل نوح قال رب لا تذر على الارض من الكافرين ديارا ثم قال
لاصحابه أنتم اليوم عالة فلا يفلتن احد منهم الا بفداء او ضرب عنق وروى انه قال لهم ان شئتم قتلتموهم وان
شئتم فاديتموهم واستشهد منكم بعدتهم فقالوا بل نأخذ الفداء فاستشهدوا باحد وكان فداء الاسارى عشرين
أوقية وفداء العباس اربعين اوقية وعن محمد بن سيرين كان فداؤهم مائة أوقية والاوقية اربعون درهما وستة
دنانير وروى انهم لما اخذوا الفداء نزلت الآية فدخل عمر على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو وابوبكر
يبكيان فقال يا رسول الله اخبرني فان وجدت بكاء بكيت وان لم اجد بكاء تباكيت فقال ابكى على اصحابك فى
اخذهم الفداء ولقد عرض على عذابهم ادنى من هذه الشجرة لشجرة قريبة منه وروى انه قال لو نزل عذاب
من السماء لما نجا منه غير عمر وسعد بن معاذ رضي الله عنهما لقوله كان الاثخان فى القتل احب الى (عرض
الدنيا) حطامها سمي بذلك لانه حدث قليل اللبث يريد الفداء (والله يريد الآخرة) يعنى ما هو سبب الجنة
من اعزاز الاسلام بالاثخان فى القتل * وقرئ يريدون بالياء وقرأ بعضهم والله يريد الآخرة بجر الآخرة على
حذف المضاف وابقاء المضاف اليه على حاله كقوله

أكل امرئ تحسبين امرأ * ونار توقد بالليل نارا

ومعناه والله يريد عرض الآخرة على التقابل يعنى ثوابها (والله عزيز) يغلب اولياءه على اعدائه و يتمكنون
منهم قتلا وأسرا ويطلق لهم الفداء ولكنه (حكيم) يؤخر ذلك الى ان يكثروا ويعزوا وهم يعجلون (لولا كتاب
من الله سبق) لولا حكم منه سبق اثباته فى اللوح وهو انه لا يعاقب أحدا بخطأ وكان هذا خطأ فى الاجتهاد
لانهم نظروا فى ان استبقاءهم ربما كان سببا فى اسلامهم وتوبتهم وان فداءهم يتقوى به على الجهاد فى سبيل
الله وخفي عليهم ان قتلهم اعز للاسلام واهيب لمن وراءهم وأفل لشوكتهم وقيل كتابه انه سيحل لهم
الفدية التي اخذوها وقيل ان اهل بدر مغفور لهم وقيل انه لا يعذب قوما الا بعد تأكيد الحجة وتقديم النهي

ولم يتقدم نهي عن ذلك (فكلوا مما غنمتم) روي أنهم أمسكوا عن الغنائم ولم يمدوا أيديهم اليها فنزلت وقيل هو اباحه للفداء لانه من جملة الغنائم (واتقوا الله) فلا تقدموا على شيء لم يعهد اليكم فيه (فان قلت) ما معنى الفاء (قلت) التسبيب والسبب محذوف معناه قد أبحت لكم الغنائم فكلوا مما غنمتم * وحلالا نصب على الحال من المغنوم أو صفة للمصدر أي أكلا حلالا وقوله (ان الله غفور رحيم) معناه أنكم اذا اتقيتموه بعد ما فرط منكم من استباحة الفداء قبل ان يؤذن لكم فيه غفر لكم ورحمكم وتاب عليكم (فى ايديكم) فى ملكتكم كان ايديكم قابضة عليهم * وقرئ من الاسرى (فى قلوبكم خيرا) خلوص ايمان وصحة نية (يؤتكم خيرا مما اخذ منكم) من الفداء اما ان يخلفكم فى الدنيا اضعافه او يثيبكم فى الآخرة وفى قراءة الاعمش يثبكم خيرا وعن العباس رضي الله عنه انه قال كنت مسلما لكنهم استكرهوني فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يكن ما تذكره حقا فالله يجزيك فاما ظاهر امرك فقد كان علينا وكان احد الذين ضمنوا اطعام اهل بدر وخرج بالذهب لذلك وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس افد ابني اخيك عقيل ابن ابي طالب ونوفل بن الحرث فقال يا محمد تركتني اتكفف قريشا ما بقيت فقال له فاين الذهب الذى دفعته الى ام الفضل وقت خروجك من مكة وقلت لها لا ادري ما يصيبني فى وجهي هذا فان حدث بي حدث فهو لك ولعبد الله وعبيد الله والفضل فقال العباس وما يدريك قال اخبرني به ربي قال العباس فانا اشهد انك صادق وان لا اله الا الله وانك عبده ورسوله والله لم يطلع عليه احد الا الله ولقد دفعته اليها فى سواد الليل ولقد كنت مرتابا فى امرك فاما اذا اخبرتني بذلك فلا ريب قال العباس رضي الله عنه فابدلني الله خيرا من ذلك لي الآن عشرون عبدا ان ادناهم ليضرب فى عشرين الفا واعطاني زمزم ما احب ان لي بها جميع اموال اهل مكة وانا انتظر المغفرة من ربي وروى انه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم مال البحرين ثمانون الفا فتوضأ لصلاة الظهر وما صلى حتى فرقه وامر العباس ان يأخذ منه فاخذ ما قدر على حمله وكان يقول هذا خير مما اخذ مني وارجو المغفرة وقرأ الحسن وشيبة مما اخذ منكم على البناء للفاعل (وان يريدوا خيانتك) نكث ما بايعوك عليه من الاسلام والردة واستحباب دين آبائهم (فقد خانوا الله من قبل) فى كفرهم به ونقض ما اخذ على كل عاقل من ميثاقه (فامكن منهم) كما رأيتم يوم بدر فسيمكن منهم ان اعادوا الخيانة وقيل المراد بالخيانة منع ما ضمنوا من الفداء * الذين هاجروا اي فارقوا اوطانهم وقومهم حبا لله ورسوله هم المهاجرون * والذين آووهم الى ديارهم ونصروهم على اعدائهم هم الانصار (بعضهم اولياء بعض) اي يتولى بعضهم بعضا فى الميراث وكان المهاجرون والانصار يتوارثون بالهجرة والنصرة دون ذوى القرابات حتى نسخ ذلك بقوله تعالى وأولو الارحام بعضهم اولى ببعض * وقرئ من ولايتهم بالفتح والكسر اي من توليهم فى الميراث ووجه الكسر ان تولى بعضهم بعضا شبه بالعمل والصناعة كانه بتوليه صاحبه يزاول امرا او يباشر عملا (فعليكم النصر) فواجب عليكم ان تنصروهم على المشركين (الا على قوم) منهم (بينكم وبينهم) عهد فانه لا يجوز لكم نصرهم عليهم لانهم لا يبتدؤن بالقتال اذ الميثاق مانع من ذلك (والذين كفروا بعضهم اولياء بعض) ظاهره اثبات الموالاة بينهم كقوله تعالى فى المسلمين اولئك بعضهم اولياء بعض ومعناه نهي المسلمين عن موالاة الذين كفروا وموارثتهم وايجاب مباعدتهم ومصارمتهم وان كانوا اقارب وان يتركوا يتوارثون بعضهم بعضا ثم قال (الا تفعلوه) اى الا تفعلوا ما امرتكم به من تواصل المسلمين وتولى بعضهم بعضا حتى فى التوارث تفضيلا لنسبة الاسلام على نسبة القرابة ولم تقطعوا العلائق بينكم وبين الكفار ولم تجعلوا اقرابتهم كلا قرابة تحصل فتنة في الارض ومفسدة عظيمة لان المسلمين ما لم يصيروا يدا واحدة على الشرك كان الشرك ظاهرا والفساد زائدا * وقرئ كثير بالثاء (اولئك هم المؤمنون حقا) لانهم صدقوا ايمانهم وحققوه بتحصيل مقتضياته من هجرة الوطن ومفارقة الاهل والانسلاخ من المال لاجل الدين وليس بتكرار لان هذه الآية واردة للثناء عليهم والشهادة لهم مع الموعد الكريم والاولى للامر بالتواصل (والذين آمنوا من بعد) يريد اللاحقين بعد السابقين الى الهجرة كقوله والذين جاؤا من بعدهم

فكلوا مما غنمتم حلالا طيبا واتقوا الله ان الله غفور رحيم يا ايها النبي قل لمن فى ايديكم من الاسرى ان يعلم الله فى قلوبكم خيرا يؤتكم خيرا مما اخذ منكم ويغفر لكم والله غفور رحيم وان يريدوا خيانتك فقد خانوا الله من قبل فامكن منهم والله عليم حكيم ان الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا باموالهم وانفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك بعضهم اولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وان استنصروكم فى الدين فعليكم النصر الا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير والذين كفروا بعضهم أولياء بعض الا تفعلوه تكن فتنة في الارض وفساد كبير والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا فى سبيل الله والذين آووا ونصروا اولئك هم المؤمنون حقا لهم مغفرة ورزق كريم والذين آمنوا من بعد وهاجروا وجاهدوا معكم فاولئك منكم

الذى عاهدتم به المشركين الخ) قال احمد ووراء ماذكره من آخره هو المرعي والله اعلم وذلك ان نسبة العهد الى الله ورسوله فى مقام نسب اليه النبذ من المشركين لا تحسن شرعا الا ترى الى وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم لامراء السرايا حيث يقول لهم واذا انزلت بحصن فطلبوا النزول على حكم الله فانزلهم على حكمك فانك لا تدرى اصادفت حكم الله فيهم اولا وان طلبوا ذمة الله فانزلهم عن ذمتك فلا ن تخفر ذمتك خير من ان تخفر ذمة الله فانظر الى امره عليه الصلاة والسلام بتوقير ذمة الله مخافة ان تخفر وان كان لم يحصل بعد ذلك الامر المتوقع فتوقير عهد الله وقد تحقق من المشركين النكث وقد تبرأ من الله ورسوله بان لا ينسب العهد المنبوذ الى الله احرى واجدر فلذلك نسب العهد الى المسلمين دون البراءة منه والله أعلم

وأولوا الارحام بعضهم اولى ببعض فى كتاب الله ان الله بكل شيء عليم

(سورة التوبة مدنية وهى مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية)

براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الارض اربعة اشهر واعلموا انكم

يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان الحقهم بهم وجعلهم منهم تفضلا منه وترغيبا (واولوا الارحام) اولو القرابات اولى بالتوارث وهو نسخ للتوارث بالهجرة والنصرة (فى كتاب الله) تعالى فى حكمه وقسمته وقيل في اللوح وقيل فى القرآن وهو آية المواريث وقد استدل به اصحاب ابي حنيفة رحمه الله على توريث ذوى الارحام عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الانفال و براءة فانا شفيع له يوم القيامة وشاهد انه بريء من النفاق واعطى عشر حسنات بعدد كل منافق ومنافقة وكان العرش وحملته يستغفرون له ايام حياته فى الدنيا

سورة التوبة مدنية وهي مائة وثلاثون وقيل تسع وعشرون آية

لها عدة اسماء براءة التوبة المقشقشة المبعثرة المشردة المخزية الفاضحة المثيرة الحافرة المنكلة المدمدمة سورة العذاب لان فيها التوبة على المؤمنين وهي تقشقش من النفاق اى تبرئ منه وتبعثر عن اسرار المنافقين تبحث عنها وتثيرها وتحفر عنها وتفضحهم وتنكلهم وتشرد بهم وتخزيهم وتدمدم عليهم وعن حذيفة رضي الله عنه انكم تسمونها سورة التوبة وانما هى سورة العذاب والله ما تركت احدا الا نالت منه (فان قلت) هلا صدرت بآية التسمية كما في سائر السور (قلت) سال عن ذلك ابن عباس عثمان رضى الله عنهما فقال ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا نزلت عليه السورة والآية قال اجعلوها في الموضع الذي يذكر فيه كذا وكذا وتوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبين لنا اين نضعها وكانت قصتها شبيهة بقصتها فلذلك قرنت بينهما وكانتا تدعيان القرينتين وعن ابى بن كعب انما توهموا ذلك لان فى الانفال ذكر العهود وفى براءة نبذ العهود وسئل ابن عيينة رضى الله عنه فقال اسم الله سلام وامان فلا يكتب في النبذ والمحاربة قال الله تعالى ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمنا قيل فان النبي صلى الله عليه وسلم قد كتب الى اهل الحرب بسم الله الرحمن الرحيم قال انما ذلك ابتداء يدعوهم ولم ينبذ اليهم الا تراه يقول سلام على من اتبع الهدى فمن دعى الى الله عز وجل فاجاب ودعي الى الجزية فاجاب فقد اتبع الهدى واما النبذ فانما هو البراءة واللعنة واهل الحرب لا يسلم عليهم ولا يقال لا تفرق ولا تخف ومترس ولا باس هذا امان كله وقيل سورة الانفال والتوبة سورة واحدة كلتاهما نزلت فى القتال تعدان السابعة من الطول وهي سبع وما بعدها المئون وهذا قول ظاهر لانهما معا مائتان وست فهما بمنزلة احدى الطول وقد اختلف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم الانفال و براءة سورة واحدة وقال بعضهم هما سورتان فتركت بينهما فرجة لقول من قال هما سورتان وتركت بسم الله الرحمن الرحيم لقول من قال هما سورة واحدة (براءة) خبر مبتدا محذوف اى هذه براءة و(من) لابتداء الغاية متعلق بمحذوف وليس بصلة كما فى قولك برئت من الدين والمعنى هذه براءة واصلة من الله ورسوله (الى الذين عاهدتم) كما يقال كتاب من فلان الى فلان ويجوز ان يكون براءة مبتدا لتخصيصها بصفتها والخبر الى الذين عاهدتم كما تقول رجل من بني تميم فى الدار * وقرئ براءة بالنصب على اسمعوا براءة * وقرأ اهل نجران من الله بكسر النون والوجه الفتح مع لام التعريف لكثرته والمعنى ان الله ورسوله قد برئا من العهد الذى عاهدتم به المشركين وانه منبوذ اليهم (فان قلت) لم علقت البراءة بالله ورسوله والمعاهدة بالمسلمين (قلت) قد اذن الله فى معاهدة المشركين اولا فاتفق المسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعاهدوهم فلما نقضوا العهد اوجب الله تعالى النبذ اليهم فخوطب المسلمون بما تجدد من ذلك فقيل لهم اعلموا ان الله ورسوله قد برئا مما عاهدتم به المشركين * روى انهم عاهدوا المشركين من اهل مكة وغيرهم من العرب فنكثوا الا ناسا منهم وهم بنو ضمرة وبنو كنانة فنبذ العهد الى الناكثين وأمروا ان يسيحوا فى الارض اربعة اشهر آمنين اين شاؤا لا يتعرض لهم وهى الاشهر الحرم فى قوله فاذا انسلخ الاشهر الحرم وذلك لصيانة

الاشهر

الاشهر الحرم من القتل والقتال فيها وكان نزولها سنة تسع من الهجرة وفتح مكة سنة ثمان وكان الامير
فيها عتاب بن اسيد فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم ابابكر رضي الله عنه على موسم سنة تسع ثم اتبعه عليا
رضي الله عنه راكب العضباء ليقرأها على اهل الموسم فقيل له لو بعثت بها الى ابى بكر رضي الله عنه فقال
لا يؤدى عنى الا رجل منى فلما دنا على سمع ابو بكر الرغاء فوقف وقال هذا رغاء ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما لحقه قال أمير او مامور قال مامور وروى ان ابابكر لما كان ببعض الطريق هبط جبريل عليه السلام
فقال يا محمد لا يبلغن رسالتك الا رجل منك فارسل عليا فرجع ابو بكر رضي الله عنهما الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله اشىء نزل من السماء قال نعم فسر وانت على الموسم وعلى ينادى بالآى فلما
كان التروية خطب ابو بكر رضى الله عنه وحدثهم عن مناسكهم وقام على رضى الله عنه يوم النحر عند جمرة
العقبة فقال يا ايها الناس انى رسول رسول الله اليكم فقالوا بماذا فقرأ عليهم ثلاثين او اربعين آية وعن مجاهد
رضي الله عنه ثلاث عشرة اية ثم قال امرت باربع ان لا يقرب البيت بعد هذا العام مشرك ولا يطوف بالبيت
عريان ولا يدخل الجنة الا كل نفس مؤمنة وان يتم الى كل ذى عهد عهده فقالوا عند ذلك يا على ابلغ ابن عمك
انا قد نبذنا العهد وراء ظهورنا وانه ليس بيننا وبينه عهد الا طعن بالرماح وضرب بالسيوف وقيل انما امر
ان لا يبلغ عنه الا رجل منه لان العرب عادتها فى نقض عهودها ان يتولى ذلك على القبيلة رجل منها فلو تولاه
ابو بكر رضى الله عنه لجاز ان يقولوا هذا خلاف ما يعرف فينا في نقض العهود فازيحت علتهم بتولية ذلك عليا
رضي الله عنه * (فان قلت) الاشهر الاربعة ماهي (قلت) عن الزهرى رضى الله عنه ان براءة نزلت فى شوال
فهى اربعة اشهر شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم وقيل هى عشرون من ذى الحجة والمحرم وصفر وشهر
ربيع الاول وعشر من شهر ربيع الآخر وكانت حرما لانهم أومنوا فيها وحرم قتلهم وقتالهم او على التغليب لان
ذا الحجة والمحرم منها وقيل لعشر من ذى القعدة الى عشر من ربيع الاول لان الحج فى تلك السنة كان فى ذلك
الوقت للنسيء الذى كان فيهم ثم صار فى السنة الثانية فى ذى الحجة (فان قلت) ماوجه اطباق اكثر العلماء على
جواز مقاتلة المشركين فى الاشهر الحرم وقد صانها الله تعالى عن ذلك (قلت) قالوا قد نسخ وجوب الصيانة
وأبيح قتال المشركين فيها (غير معجزى الله) لا تفوتونه وان امهلكم * وهو مخزيكم اى مذلكم فى الدنيا بالقتل
وفى الآخرة بالعذاب (واذان) ارتفاعه كارتفاع براءة على الوجهين ثم الجملة معطوفة على مثلها ولا وجه لقول
من قال انه معطوف على براءة كما لا يقال عمرو معطوف على زيد فى قولك زيد قائم وعمرو قاعد والاذان
بمعنى الايذان وهو الاعلام كما ان الامان والعطاء بمعنى الايمان والاعطاء (فان قلت) اى فرق بين معنى الجملة
الاولى والثانية (قلت) تلك اخبار بثبوت البراءة وهذه اخبار بوجوب الاعلام بما ثبت (فان قلت) لم علقت
البراءة بالذين عوهدوا من المشركين وعلق الاذان بالناس (قلت) لان البراءة مختصة بالمعاهدين والناكثين
منهم واما الاذان فعام لجميع الناس من عاهد ومن لم يعاهد ومن نكث من المعاهدين ومن لم ينكث (يوم الحج
الاكبر) يوم عرفة وقيل يوم النحر لان فيه تمام الحج ومعظم افعاله من الطواف والنحر والحلق والرمى وعن
على رضي الله عنه ان رجلا أخذ بلجام دابته فقال ما الحج الاكبر قال يومك هذا خل عن دابتى وعن ابن عمر
رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف يوم النحر عند الجمرات فى حجة الوداع فقال هذا يوم
الحج الاكبر ووصف الحج بالاكبر لان العمرة تسمى الحج الاصغر او جعل الوقوف بعرفة هو الحج الاكبر لانه
معظم واجباته لانه اذا فات فات الحج وكذلك ان اريد به يوم النحر لان ما يفعل فيه معظم افعال الحج فهو الحج
الاكبر وعن الحسن رضي الله عنه سمى يوم الحج الاكبر لاجتماع المسلمين والمشركين فيه وموافقته لاعياد
اهل الكتاب ولم يتفق ذلك قبله ولا بعده فعظم فى قلب كل مؤمن وكافر * حذفت الباء التى هى صلة الاذان
تخفيفا وقرئ ان الله بالكسر لان الاذان فى معنى القول (ورسوله) عطف على المنوى فى برىء او على محل ان
المكسورة واسمها وقرئ بالنصب عطفا على اسم ان او لان الواو بمعنى مع اى برىء معه منهم وبالجر على الجوار
وقيل على القسم كقوله لعمرك ويحكى ان اعرابيا سمع رجلا يقرأها فقال ان كان الله برىء من رسوله فانا

غير معجزى الله وان الله مخزى الكافرين وأذان من الله ورسوله الى الناس يوم الحج الاكبر ان الله برىء من المشركين ورسوله فان تبتم

* قوله تعالى الا الذين عاهدتم (قال ان قلت مم هذا الاستثناء قلت وجهه ان يكون مستثنى الخ) قال احمد ويجوز ان يكون قوله فسيحوا خطابا من الله تعالى للمشركين غير مضمر قبله القول ويكون الاستثناء على هذا من قوله الى الذين عاهدتم كانه قيل براءة من الله ورسوله الى المعاهدين لا الباقين على العهد فاتموا اليهم ايها المسلمون عهدهم ويكون فيه خروج من خطاب المسلمين في قوله الى الذين عاهدتم الى خطاب المشركين في قوله فسيحوا ثم التفات من التكلم الى الغيبة بقوله واعلموا انكم غير معجزي الله وان الله واصله واعلموا أنكم غير معجزي وانى في هذا الالتفات بعد الالتفات الاول افتنان في اساليب البلاغة وتفخيم للشان وتعظيم الامر ثم يتلو هذا الالتفات العود الى خطاب المسلمين بقوله الا الذين عاهدتم ثم لم ينقصوكم فاتموا وكل هذا من حسنات الفصاحة وانما بعث الزمخشري على تقدير القول قبل فسيحوا مراعاة ان يطابق قوله فاتموا اذ المخاطب على هذا التقدير المسلمون اولا وثانيا ولا يكون فيه شيء من الالتفاتات المبنية على التاويل ويطلع الذي ذكرناه وكلا الوجهين ممتاز بنوع من البلاغة وطرف من الفصاحة والله أعلم * قوله تعالى واقعدوا لهم كل مرصد (قال فيه المرصد المجاز والممر الخ) قال احمد يكون انتصابه بدون جره من الاتساع لان المرصد ظرف مختص والاصل قصور الفعل عن نصبه ويكون مثل قوله في الاتساع * كما عسل الطريق الثعلب * ويحتمل والله اعلم ان يكون مرصد مصدرا لان صيغة اسم الزمان والمكان والمصدر من فعله واحد فعلى هذا يكون منصوبا نصبا أصليا لان اقعدوا في معنى ارصدوا كانه قيل وارصدوهم كل مرصد الا ان الظرفية يقويها قوله حيث وجدتموهم فيقتضيها قصد المطابقة بين ظرفي المكان والله اعلم

فهو خير لكم وان توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب اليم الا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيأ ولم يظاهروا عليكم احدا فاتموا اليهم عهدهم الى مدتهم ان الله يحب المتقين فاذا انسلخ الاشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فان تابوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكوة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم وان احد من المشركين استجارك فاجره حتى يسمع كلام الله

منه بريء فلببه الرجل الى عمر فحكى الاعرابي قراءته فعندها امر عمر رضي الله عنه بتعلم العربية (فان تبتم) من الكفر والغدر (فهو خير لكم وان توليتم) عن التوبة او ثبتم على التولي والاعراض عن الاسلام والوفاء فاعلموا انكم غير سابقين الله تعالى ولا فائتين اخذه وعقابه * (فان قلت) مم استثنى قوله (الا الذين عاهدتم) (قلت) وجهه ان يكون مستثنى من قوله فسيحوا في الارض لان الكلام خطاب للمسلمين ومعناه براءة من الله ورسوله الى الذين عاهدتم من المشركين فقولوا لهم سيحوا الا الذين عاهدتم منهم ثم لم ينقضوا فاتموا اليهم عهدهم والاستثناء بمعنى الاستدراك كانه قيل بعد أن أمروا في الناكثين ولكن الذين لم ينكثوا فاتموا اليهم عهدهم ولا تجروهم مجراهم ولا تجعلوا الوفي كالغادر * ان الله يحب المتقين يعني ان قضية التقوى أن لا يسوى بين القبيلين فاتقوا الله في ذلك (لم ينقصوكم شيا) لم يقتلوا منكم أحدا ولم يضروكم قط (ولم يظاهروا) ولم يعاونوا (عليكم) عدوا كما عدت بنو بكر على خزاعة عيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وظاهرتهم قريش بالسلاح حتى وفد عمرو بن سالم الخزاعي على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنشد

لاهم اني ناشد محمدا * حلف أبينا وأبيك الا تلدا
ان قريشا أخلفوك الموعدا * ونقضوا ذمامك المؤكدا
هم بيتونا بالحطيم هجدا * وقتلونا ركعا وسجدا

فقال عليه الصلاة والسلام لا نصرت ان لم أنصركم * وقرئ لم ينقضوكم بالضاد معجمة أي لم ينقضوا عهدكم ومعنى (فاتموا اليهم) فادوه اليهم تاما كاملا قال ابن عباس رضي الله عنه بقي لحي من كنانة من عهدهم تسعة أشهر فاتم اليهم عهدهم * انسلخ الشهر كقولك انجرد الشهر وسنة جرداء و (الاشهر الحرم) التي أبيح فيها للناكثين أن يسيحوا (فاقتلوا المشركين) يعني الذين نقضوكم وظاهروا عليكم (حيث وجدتموهم) من حل أو حرم (وخذوهم) وأسروهم والاخيذ الاسير (واحصروهم) وقيدوهم وامنعوهم من التصرف في البلاد وعن ابن عباس رضي الله عنه حصرهم أن يحال بينهم وبين المسجد الحرام (كل مرصد) كل ممر ومجتاز ترصدونهم به وانتصابه على الظرف كقوله لأقعدن لهم صراطك المستقيم (فخلوا سبيلهم) فاطلقوا عنهم بعد الاسر والحصر أو فكفوا عنهم ولا تتعرضوا لهم كقوله * خل السبيل لمن يبني المنار به * وعن ابن عباس رضي الله عنه دعوهم وإتيان المسجد الحرام (ان الله غفور رحيم) يغفر لهم ما سلف من الكفر والغدر (أحد) مرتفع بفعل الشرط مضمرا يفسره الظاهر تقديره وان استجارك أحد استجارك ولا يرتفع بالابتداء لان ان من عوامل الفعل لا تدخل على غيره والمعنى وان جاءك أحد من المشركين بعد انقضاء الاشهر لا عهد بينك وبينه ولا ميثاق فاستأمنك ليسمع ما تدعو اليه من التوحيد والقرآن وتبين ما بعثت له فامنه (حتى يسمع كلام الله) ويتدبره

و يطلع على حقيقة الامر (ثم ابلغه) بعد ذلك داره التي يا من فيها ان لم يسلم ثم قاتله ان شئت من غير غدر ولا خيانة وهذا الحكم ثابت في كل وقت وعن الحسن رضى الله عنه هي محكمة الى يوم القيامة وعن سعيد بن جبير جاء رجل من المشركين الى على رضى الله عنه فقال ان اراد الرجل منا ان يأتي محمدا بعد انقضاء هذا الاجل يسمع كلام الله او يأتيه لحاجة قتل قال لا لان الله تعالى يقول وان احد من المشركين استجارك الآية وعن السدى والضحاك رضى الله عنهما هي منسوخة بقوله تعالى فاقتلوا المشركين (ذلك) اى ذلك الامر يعنى الامر بالاجارة فى قوله فاجره (بـ) سبب (انهم) قوم جهلة (لا يعلمون) ما الاسلام وما حقيقة ما تدعو اليه فلا بد من اعطائهم الامان حتى يسمعوا ويفهموا الحق (كيف) استفهام فى معنى الاستنكار والاستبعاد لان يكون للمشركين عهد عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم اضداد وغرة صدورهم يعنى محال ان يثبت لهؤلاء عهد فلا تطمعوا فى ذلك ولا تحدثوا به نفوسكم ولا تفكروا فى قتلهم * ثم استدرك ذلك بقوله (الا الذين عاهدتم) اى ولكن الذين عاهدتم منهم (عند المسجد الحرام) ولم يظهر منهم نكث كبنى كنانة وبنى ضمرة فتربصوا امرهم ولا تقاتلوهم (فما استقاموا لكم) على العهد (فاستقيموا لهم) على مثله (ان الله يحب المتقين) يعنى ان التربص بهم من اعمال المتقين (كيف) تكرار لاستبعاد ثبات المشركين على العهد وحذف الفعل لكونه معلوما كما قال

وخبرتماني انما الموت بالقرى * فكيف وهاتا هضبة وقليب

يريد فكيف مات اى كيف يكون لهم عهد (و) حالهم انهم (ان يظهروا عليكم) بعد ما سبق لهم من تأكيد الايمان والمواثيق لم ينظروا فى حلف ولا عهد ولم يبقوا عليكم (لا يرقبوا فيكم الا) لا يراعوا حلفا وقيل قرابة وانشد لحسان رضى الله عنه

لعمرك ان الك من قريش * كال السقب من رأل النعام

وقيل الا الها وقرئ ايلا بمعناه وقيل جبرئيل وجبرال من ذلك وقيل منه اشتق الال بمعنى القرابة كما اشتقت الرحم من الرحمن والوجه ان اشتقاق الاول بمعنى الحلف لانهم اذا تماسحوا وتحالفوا رفعوا به اصواتهم وشهروه من الال وهو الجؤار وله اليل اى انين يرفع به صوته ودعت الليها اذا ولولت ثم قيل لكل عهد وميثاق ال وسميت به القرابة لان القرابة عقدت بين الرجلين ما لا يعقده الميثاق (يرضونكم) كلام مبتدأ فى وصف حالهم من مخالفة الظاهر الباطن مقرر لاستبعاد الثبات منهم على العهد * واباء القلوب مخالفة ما فيها من الاضغان لما يجرونه على السنتهم من الكلام الجميل (واكثرهم فاسقون) متمردون خلعاء لا مروءة تزعهم ولا شمائل مرضية تردعهم كما يوجد ذلك فى بعض الكفرة من التفادى عن الكذب والنكث والتعفف عما يثلم العرض ويجر احدوثة السوء (اشتروا) استبدلوا (بآيات الله) بالقرآن والاسلام (ثمنا قليلا) وهو اتباع الاهواء والشهوات (فصدوا عن سبيله) فعدلوا عنه او صرفوا غيرهم وقيل هم الاعراب الذين جمعهم ابو سفيان واطعمهم (هم المعتدون) المجاوزون الغاية فى الظلم والشرارة (فان تابوا) عن الكفر ونقض العهد (فاخوانكم فى الدين) فهم اخوانكم على حذف المبتدا كقوله تعالى فان لم تعلموا آباءهم فاخوانكم (ونفصل الآيات) ونبينها وهذا اعتراض كانه قيل وان من تأمل تفصيلها فهو العالم بعثا وتحريضا على تأمل ما فصل من احكام المشركين المعاهدين وعلى المحافظة عليها (وطعنوا فى دينكم) وثلبوه وعابوه (فقاتلوا ائمة الكفر) فقاتلوهم فوضع ائمة الكفر موضع ضميرهم اشعارا بانهم اذا نكثوا فى حال الشرك تمردا وطغيانا وطرحا لعادات الكرام الاوفياء من العرب ثم آمنوا واقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وصاروا اخوانا للمسلمين في الدين ثم رجعوا فارتدوا عن الاسلام ونكثوا ما بايعوا عليه من الايمان والوفاء بالعهود وقعدوا يطعنون فى دين الله ويقولون ليس دين محمد بشىء فهم ائمة الكفر وذوو الرياسة والتقدم فيه لا يشق كافر غبارهم وقالوا اذا طعن الذمى فى دين الاسلام طعنا ظاهرا جاز قتله لان العهد معقود معه على ان لا يطعن فاذا طعن فقد نكث عهده وخرج من الذمة (انهم لا ايمان لهم) جمع يمين وقرئ لا ايمان لهم اى لا اسلام لهم او لا يعطون الامان بعد الردة والنكث ولا سبيل اليه (فان قلت) كيف اثبت لهم الايمان فى قوله وان نكثوا ايمانهم ثم نفاها عنهم (قلت) اراد

ثم ابلغه مأمنه ذلك بانهم قوم لا يعلمون كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة يرضونكم بافواههم وتأبى قلوبهم واكثرهم فاسقون اشتروا بآيات الله ثمنا قليلا فصدوا عن سبيله انهم ساء ما كانوا يعملون لا يرقبون فى مؤمن الا ولا ذمة واولئك هم المعتدون فان تابوا واقاموا الصلوة وآتوا الزكوة فاخوانكم في الدين ونفصل الآيات لقوم يعلمون وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا فى دينكم فقاتلوا ائمة الكفر انهم لا ايمان لهم

---

* قوله تعالى كيف يكون للمشركين عهد عند الله وعند رسوله الا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام فما استقاموا لكم فاستقيموا لهم ان الله يحب المتقين كيف وان يظهروا عليكم لا يرقبوا فيكم الا ولا ذمة الآية (قال كيف تكرار لاستبعاد ثبات الخ) قال احمد السر فى تكرار كيف والله اعلم

لعلهم ينتهون ألا تقاتلون قوما نكثوا ايمانهم وهموا باخراج الرسول وهم بدؤكم اول مرة اتخشونهم فالله احق ان تخشوه ان كنتم مؤمنين قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم و يخزهم و ينصركم عليهم و يشف صدور قوم مؤمنين و يذهب غيظ قلوبهم و يتوب الله على من يشاء و الله عليم حكيم ام حسبتم ان تتركوا و لما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ولم يتخذوا من دون الله ولا رسوله ولا المؤمنين وليجة والله خبير بما تعملون ما كان للمشركين ان يعمروا مسجد الله شاهدين على انفسهم بالكفر اولئك

ايمانهم التي اظهروها ثم قال لا ايمان لهم على الحقيقة وايمانهم ليست بايمان و به استشهد ابو حنيفة رحمه الله على ان يمين الكافر لا تكون يمينا وعند الشافعي رحمه الله يمينهم يمين وقال معناه انهم لا يوفون بها بدليل انه وصفها بالنكث (لعلهم ينتهون) متعلق بقوله فقاتلوا ائمة الكفر اي ليكن غرضكم في مقاتلتهم بعد ما وجد منهم ما وجد من العظائم ان تكون المقاتلة سببا في انتهائهم عما هم عليه وهذا من غاية كرمه وفضله وعوده على المسيء بالرحمة كلما عاد (فان قلت) كيف لفظ ائمة (قلت) همزة بعدها همزة بين بين اي بين مخرج الهمزة والياء وتحقيق الهمزتين قراءة مشهورة وان لم تكن بمقبولة عند البصريين واما التصريح بالياء فليس بقراءة ولا يجوز ان تكون قراءة ومن صرح بها فهو لاحن محرف (الا تقاتلون) دخلت الهمزة على لا تقاتلون تقريرا بانتفاء المقاتلة ومعناه الحض عليها على سبيل المبالغة (نكثوا ايمانهم) التي حلفوها في المعاهدة (وهموا باخراج الرسول) من مكة حين تشاوروا في امره بدار الندوة حتى اذن الله تعالى له في الهجرة فخرج بنفسه (وهم بدؤكم اول مرة) اي وهم الذين كانت منهم البداءة بالمقاتلة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءهم اولا بالكتاب المنير وتحداهم به فعدلوا عن المعارضة لعجزهم عنها الى القتال فهم البادؤن بالقتال والبادئ اظلم فما يمنعكم من ان تقاتلوهم بمثله وان تصدموهم بالشر كما صدموكم وبخهم بترك مقاتلتهم وحضهم عليها ثم وصفهم بما يوجب الحض عليها ويقرر ان من كان في مثل صفاتهم من نكث العهد واخراج الرسول والبدء بالقتال من غير موجب حقيق بان لا تترك مصادمته وان يوبخ من فرط فيها (اتخشونهم) تقرير بالخشية منهم وتوبيخ عليها (فالله احق ان تخشوه) فقاتلوا اعداءه (ان كنتم مؤمنين) يعني ان قضية الايمان الصحيح ان لا يخشى المؤمن الا ربه ولا يبالي بمن سواه كقوله تعالى ولا يخشون احدا الا الله * لما وبخهم الله على ترك القتال جرد لهم الامر به فقال (قاتلوهم) * ووعدهم ليثبت قلوبهم ويصحح نياتهم انه يعذبهم بايديهم قتلا ويخزيهم اسرا ويوليهم النصر والغلبة عليهم (ويشف صدور) طائفة من المؤمنين وهم خزاعة قال ابن عباس رضي الله عنه هم بطون من اليمن وسبا قدموا مكة فاسلموا فلقوا من اهلها اذى شديدا فبعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يشكون اليه فقال ابشروا فان الفرج قريب (ويذهب غيظ قلوبهم) لما لقيتم منهم من المكروه وقد حصل الله لهم هذه المواعيد كلها فكان ذلك دليلا على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحة نبوته (ويتوب الله على من يشاء) ابتداء كلام واخبار بان بعض اهل مكة يتوب عن كفره وكان ذلك ايضا فقد اسلم ناس منهم وحسن اسلامهم وقرئ ويتوب بالنصب باضمار ان ودخول التوبة في جملة ما اجيب به الامر من طريق المعنى (والله عليم) يعلم ما سيكون كما يعلم ما قد كان (حكيم) لا يفعل الا ما اقتضته الحكمة (أم) منقطعة ومعنى الهمزة فيها التوبيخ على وجود الحسبان والمعنى انكم لا تتركون على ما انتم عليه حتى يتبين المخلص منكم وهم الذين جاهدوا في سبيل الله لوجه الله ولم يتخذوا وليجة اي بطانة من الذين يضادون رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين رضوان الله عليهم (ولما) معناها التوقع وقد دلت على ان تبين ذلك وايضاحه متوقع كائن وان الذين لم يخلصوا دينهم لله يميز بينهم وبين المخلصين وقوله (ولم يتخذوا) معطوف على جاهدوا داخل في حيز الصلة كانه قيل ولما يعلم الله المجاهدين منكم والمخلصين غير المتخذين وليجة من دون الله والوليجة فعيلة من ولج كالدخيلة من دخل والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كقول القائل ما علم الله مني ما قيل في يريد ما وجد ذلك مني (ما كان للمشركين) ما صح لهم وما استقام (ان يعمروا مسجد الله) يعني المسجد الحرام لقوله وعمارة المسجد الحرام واما القراءة بالجمع ففيها وجهان احدهما ان يراد المسجد الحرام وانما قيل مساجد لانه قبلة المساجد كلها وامامها فعامره كعامر جميع المساجد ولان كل بقعة منه مسجد والثاني ان يراد جنس المساجد واذا لم يصلحوا لان يعمروا جنسها دخل تحت ذلك ان لا يعمروا المسجد الحرام الذي هو صدر الجنس ومقدمته وهو آكد لان طريقته طريقة الكناية كما لو قلت فلان لا يقرأ كتب الله كنت انفى لقراءته القرآن من تصريحك بذلك و(شاهدين) حال من الواو في يعمروا والمعنى ما استقام لهم ان يجمعوا بين امرين متنافيين عمارة متعبدات الله مع الكفر بالله وبعبادته ومعنى شهادتهم

انه لما ذه اولا لاستبعاد ثبات عهدهم عند الله ولم يذكر اذ ذاك سبب البعد للغاية باستثناء الباقين على العهد وطال الكلام اعيدت كيف تطرية للذكر وليأخذ بعض الكلام بحجزة بعض فلم يقصد مجرد التكرار بل هذا السر الذي انطوى عليه وقد تقدمت له امثال والله الموفق

على أنفسهم بالكفر ظهور كفرهم وأنهم نصبوا أصنامهم حول البيت وكانوا يطوفون عراة ويقولون لا نطوف عليها بثياب قد أصبنا فيها المعاصي وكلما طافوا بها شوطا سجدوا لها وقيل هو قولهم لبيك لا شريك لك الا شريك هو لك تملكه وما ملك وقيل قد أقبل المهاجرون والانصار على أسارى بدر فعيروهم بالشرك فطفق على ابن أبي طالب رضي الله عنه يوبخ العباس بقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم وقطيعة الرحم وأغلظ له في القول فقال العباس تذكرون مساوينا وتكتمون محاسننا فقال أولكم محاسن قالوا نعم ونحن أفضل منكم أجرا انا لنعمر المسجد الحرام ونحجب الكعبة ونسقي الحجيج ونفك العاني فنزلت (حبطت أعمالهم) التي هي العمارة والحجابة والسقاية وفك العناة واذا هدم الكفر أو الكبيرة الاعمال الثابتة الصحيحة اذا تعقبها فما ظنك بالمقارن والى ذلك أشار في قوله شاهدين حيث جعله حالا عنهم ودل على انهم قارنون بين العمارة والشهادة بالكفر على أنفسهم في حال واحدة وذلك محال غير مستقيم (انما يعمر مساجد الله) وقرئ بالتوحيد أي انما تستقيم عمارة هؤلاء وتكون معتدا بها والعمارة تتناول رم ما استرم منها وقمها وتنظيفها وتنويرها بالمصابيح وتعظيمها واعتيادها للعبادة والذكر ومن الذكر درس العلم بل هو أجله وأعظمه وصيانتها مما لم تبن له المساجد من أحاديث الدنيا فضلا عن فضول الحديث وعن النبي صلى الله عليه وسلم يأتي في آخر الزمان ناس من أمتي يأتون المساجد فيقعدون فيها حلقا ذكرهم وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة وفي الحديث الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش وقال عليه السلام قال الله تعالى ان بيوتي في أرضي المساجد وان زواري فيها عمارها فطوبى لعبد تطهر في بيته ثم زارني في بيتي فحق على المزور أن يكرم زائره وعنه عليه السلام من ألف المسجد ألفه الله وقال عليه السلام اذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان وعن أنس رضي الله عنه من أسرج في مسجد سراجا لم تزل الملائكة وحملة العرش تستغفر له ما دام في ذلك المسجد ضوءه * (فان قلت) هلا ذكر الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم (قلت) لما علم وشهر ان الايمان بالله تعالى قرينته الايمان بالرسول عليه السلام لاشتمال كلمة الشهادة والاذان والاقامة وغيرها عليهما مقترنين مزدوجين كأنهما شيء واحد غير منفك أحدهما عن صاحبه انطوى تحت ذكر الايمان بالله تعالى الايمان بالرسول عليه السلام وقيل دل عليه بذكر اقامة الصلاة وايتاء الزكاة * (فان قلت) كيف قيل (ولم يخش الا الله) والمؤمن يخشى المحاذير ولا يتمالك ان لا يخشاها (قلت) هي الخشية والتقوى في أبواب الدين وأن لا يختار على رضا الله رضا غيره لتوقع مخوف واذا اعترضه أمران أحدهما حق الله والآخر حق نفسه ان يخاف الله فيؤثر حق الله على حق نفسه وقيل كانوا يخشون الاصنام ويرجونها فاريد نفي تلك الخشية عنهم (فعسى أولئك ان يكونوا من المهتدين) تبعيد للمشركين عن مواقف الاهتداء وحسم لاطماعهم من الانتفاع بأعمالهم التي استعظموها وافتخروا بها وأملوا عاقبتها بان الذين آمنوا وضموا الى ايمانهم العمل بالشرائع مع استشعار الخشية والتقوى اهتداؤهم دائر بين عسى ولعل فما بال المشركين يقطعون أنهم مهتدون ونائلون عند الله الحسنى وفي هذا الكلام ونحوه لطف للمؤمنين في ترجيح الخشية على الرجاء ورفض الاغترار بالله تعالى * السقاية والعمارة مصدران من سقى وعمر كالصيانة والوقاية ولا بد من مضاف محذوف تقديره (أجعلتم) أهل (سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله) وتصدقه قراءة ابن الزبير وأبي وجزة السعدي وكان من القراء سقاة الحاج وعمرة المسجد الحرام والمعنى انكار ان يشبه المشركون بالمؤمنين وأعمالهم المحبطة بأعمالهم المثبتة وأن يسوى بينهم * وجعل تسويتهم ظلما بعد ظلمهم بالكفر وروي ان المشركين قالوا لليهود نحن سقاة الحجيج وعمار المسجد الحرام أفنحن أفضل أم محمد وأصحابه فقالت لهم اليهود أنتم افضل وقيل ان عليا رضي الله عنه قال للعباس يا عم الا تهاجرون الا تلحقون برسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ألست في أفضل من الهجرة أسقي حاج بيت الله وأعمر المسجد الحرام فلما نزلت قال العباس ما أراني الا تارك سقايتنا فقال عليه السلام أقيموا على سقايتكم فان لكم فيها خيرا

حبطت أعمالهم وفى النار هم خالدون انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلوة وآتي الزكاة ولم يخش الا الله فعسي أولئك ان يكونوا من المهتدين أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله لا يستوون عند الله والله لا يهدى القوم الظالمين الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وأنفسهم

---

* قوله تعالى ما كان المشركين ان يعمروا مساجد الله شاهدين على أنفسهم بالكفر أولئك حبطت أعمالهم الآية (قال اذا هدم الكفر او الكبيرة الاعمال الخ) قال أحمد كلام صحيح الا قوله ان الكبيرة تهدم الاعمال فانه تفريع على قاعدة المعتزلة والحق خلافها

*قوله تعالى انما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله فعسي أولئك ان يكونوا من المهتدين (قال في هذه الآية تبعيد المشركين الخ) قال احمد وأكثرهم يقول ان عسي من الله واجبة بناء منهم على ان استعمالها غير مصروفة للمخاطبين

والحق فيما قال الزمخشري ولكن الخطاب مصروف اليهم اى فحال هؤلاء المؤمنين حال مرجوة والعاقبة عند الله معلومة ولله عاقبة الامور * قوله تعالى لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ (قال مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها الخ) قال احمد لا مانع والله اعلم من عطف الظرفين المكاني والزماني احدهما على الآخر وناصبهما واحد كعطف احد المفعولين على الآخر والفعل واحد اذ يجوز ان تقول ضرب زيدا عمرا ٣٨٨ فى المسجد ويوم الجمعة كما تقول ضربت زيدا وعمرا ولا يحتاج الى اضمار فعل جديد

اعظم درجة عند الله واولئك هم الفائزون يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها ابدا ان الله عنده اجر عظيم يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم واخوانكم اولياء ان استحبوا الكفر على الايمان ومن يتولهم منكم فاولئك هم الظالمون قل ان كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بامره والله لا يهدى القوم الفاسقين لقد نصركم الله فى مواطن كثيرة ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيأ وضاقت عليكم الارض بما رحبت

(اعظم درجة عند الله) من اهل السقاية والعمارة عندكم (واولئك هم الفائزون) لا أنتم والمختصون بالفوز دونكم * قرئ يبشرهم بالتخفيف والتثقيل * وتنكير المبشر به لوقوعه وراء صفة الواصف وتعريف المعرف وعن ابن عباس رضي الله عنه هي في المهاجرين خاصة * كان قبل فتح مكة من آمن لم يتم ايمانه الا بان يهاجر ويصارم اقاربه الكفرة ويقطع موالاتهم فقالوا يا رسول الله ان نحن اعتزلنا من خالفنا فى الدين قطعنا آباءنا وابناءنا وعشائرنا وذهبت تجاراتنا وهلكت اموالنا وخربت ديارنا وبقينا ضائعين فنزلت فهاجروا فجعل الرجل يأتيه ابنه او ابوه او اخوه او بعض اقاربه فلا يلتفت اليه ولا ينزله ولا ينفق عليه ثم رخص لهم بعد ذلك وقيل نزلت فى التسعة الذين ارتدوا ولحقوا بمكة فنهى الله تعالى عن موالاتهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا يطعم احدكم طعم الايمان حتى يحب فى الله ويبغض فى الله حتى يحب فى الله ابعد الناس ويبغض فى الله اقرب الناس اليه * وقرئ وعشيراتكم وقرأ الحسن وعشائركم (فتربصوا حتى يأتي الله بامره) وعيد عن ابن عباس هو فتح مكة وعن الحسن هي عقوبة عاجلة او آجلة وهذه آية شديدة لا ترى اشد منها كأنها تنعى على الناس ما هم عليه من رخاوة عقد الدين واضطراب حبل اليقين فلينصف اورع الناس واتقاهم من نفسه هل يجد عنده من التصلب فى ذات الله والثبات على دين الله ما يستحب له دينه على الآباء والابناء والاخوان والعشائر والمال والمساكن وجميع حظوظ الدنيا ويتجرد منها لاجله ام يزوي الله عنه احقر شيء منها لمصلحته فلا يدري اى طرفيه اطول ويغويه الشيطان عن اجل حظ من حظوظ الدين فلا يبالي كأنما وقع على انفه ذباب فطيره * مواطن الحرب مقاماتها ومواقفها قال

وكم موطن لولاي طحت كما هوى * باجرامه من قلة النيق منهوى

وامتناعه من الصرف لانه جمع وعلى صيغة لم يأت عليها واحد والمواطن الكثيرة وقعات بدر وقريظة والنضير والحديبية وخيبر وفتح مكة * (فان قلت) كيف عطف الزمان على المكان وهو (يوم حنين) على المواطن (قلت) معناه وموطن يوم حنين او فى ايام مواطن كثيرة ويوم حنين ويجوز ان يراد بالموطن الوقت كمقتل الحسين على ان الواجب ان يكون يوم حنين منصوبا بفعل مضمر لا بهذا الظاهر وموجب ذلك ان قوله (اذ اعجبتكم) بدل من يوم حنين فلو جعلت ناصبه هذا الظاهر لم يصح لان كثرتهم لم تعجبهم فى جميع تلك المواطن ولم يكونوا كثيرا فى جميعها فبقي ان يكون ناصبه فعلا خاصا به الا اذا نصبت اذ باضمار اذكر وحنين واد بين مكة والطائف كانت فيه الوقعة بين المسلمين وهم اثنا عشر الفا الذين حضروا فتح مكة منضما اليهم الفان من الطلقاء وبين هوازن وثقيف وهم اربعة آلاف فيمن ضامهم من امداد سائر العرب فكانوا الجم الغفير فلما التقوا قال رجل من المسلمين لن نغلب اليوم من قلة فساءت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل قائلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل ابو بكر رضى الله عنه وذلك قوله اذ اعجبتكم كثرتكم فاقتتلوا قتالا شديدا وادركت المسلمين كلمة الاعجاب بالكثرة وزل عنهم ان الله هو الناصر لا كثرة الجنود فانهزموا حتى بلغ فلهم مكة وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وحده وهو ثابت فى مركزه لا يتحلحل ليس معه الا عمه العباس رضى الله عنه آخذا بلجام دابته وابو سفيان بن الحرث بن عمه وناهيك بهذه الواحدة شهادة صدق على تناهى شجاعته

غير الاول هذا مع انه لا بد من تغاير الفعلين الواقعين بالمفعولين فى الحقيقة فانك اذا قلت اضرب زيدا اليوم وعمرا غدا لم يشك فى ان الضربين متغايران بتغاير الظرفين ومع ذلك الفعل واحد فى الصناعة فعلى هذا يجوز فى الآية والله اعلم بقاء كل واحد من الظرفين على حاله غير مؤول الى الآخر على ان الزمخشري اوجب تعدد الفعل وتقدير ناصب لظرف الزمان غير الفعل الاول وان كانا عنده جميعا زمانين لعلة ان كثرتهم لم تكن ثابتة فى جميع المواطن يريد ولو ذهبت الى اتحاد الناصب للزم ذلك وهذا غير لازم الا ترى انك لو قلت اضرب زيدا حين يقوم وحين يقعد لكان الناصب للظرفين واحدا وهما متغايران وانما يمتنع عمل الفعل الواحد فى ظرفى زمان مختلفين عند عدم العطف المتوسط بينهما والله اعلم

شجاعته ورباطة جاشه صلى الله عليه وسلم وماهي الا من آيات النبوة وقال يارب ائتني بما وعدتني وقال صلى الله عليه وسلم للعباس وكان صيتا صيح بالناس فنادى الانصار فخذا فخذا ثم نادى يا اصحاب الشجرة يا اصحاب البقرة فكروا عنقا واحدا وهم يقولون لبيك لبيك ونزلت الملائكة عليهم الثياب البياض على خيول بلق فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى قتال المسلمين فقال هذا حين حمي الوطيس ثم اخذ كفا من تراب فرماهم به ثم قال انهزموا ورب الكعبة فانهزموا قال العباس لكانى انظر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض خلفهم على بغلته (بما رحبت) ما مصدرية والباء بمعنى مع اي مع رحبها وحقيقته ملتبسة برحبها على ان الجار والمجرور في موضع الحال كقولك دخلت عليه بثياب السفر اي ملتبسا بها لم احلها تعني مع ثياب السفر والمعنى لا تجدون موضعا تستصلحونه لهربكم اليه ونجاتكم لفرط الرعب فكانها ضاقت عليكم (ثم وليتم مدبرين) ثم انهزمتم (سكينته) رحمته التي سكنوا بها وآمنوا (وعلى المؤمنين) الذين انهزموا وقيل هم الذين ثبتوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حين وقع الهرب (وأنزل جنودا) يعني الملائكة وكانوا ثمانية آلاف وقيل خمسة آلاف وقيل ستة عشر الفا (وعذب الذين كفروا) بالقتل والاسر وسبي النساء والذراري (ثم يتوب الله) اي يسلم بعد ذلك ناس منهم وروى ان ناسا منهم جاؤا فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام وقالوا يارسول الله انت خير الناس وأبر الناس وقد سبي اهلونا واولادنا واخذت اموالنا قيل سبي يومئذ ستة آلاف نفس واخذ من الابل والغنم مالا يحصى فقال ان عندي ما ترون ان خير القول اصدقه اختاروا اما ذراريكم ونساءكم واما اموالكم قالوا ما كنا نعدل بالاحساب شيئا فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان هؤلاء جاؤا مسلمين وانا خيرناهم بين الذراري والاموال فلم يعدلوا بالاحساب شيأ فمن كان بيده شيء وطابت نفسه ان يرده فشأنه ومن لا فليعطنا وليكن قرضا علينا حتى نصيب شيأ فنعطيه مكانه قالوا رضينا وسلمنا فقال انى لا ادرى لعل فيكم من لا يرضى فمروا عرفاءكم فليرفعوا ذلك الينا فرفعت اليه العرفاء ان قد رضوا * النجس مصدر يقال نجس نجسا وقذر قذرا ومعناه ذوو نجس لان معهم الشرك الذي هو بمنزلة النجس ولانهم لا يتطهرون ولا يغتسلون ولا يجتنبون النجاسات فهي ملابسة لهم او جعلوا كأنهم النجاسة بعينها مبالغة في وصفهم بها وعن ابن عباس رضي الله عنه اعيانهم نجسة كالكلاب والخنازير وعن الحسن من صافح مشركا توضأ واهل المذاهب على خلاف هذين القولين وقرئ نجس بكسر النون وسكون الجيم على تقدير حذف الموصوف كأنه قيل انما المشركون جنس نجس او ضرب نجس واكثر ما جاء تابعا لرجس وهو تخفيف نجس نحو كبد في كبد (فلا يقربوا المسجد الحرام) فلا يحجوا ولا يعتمروا كما كانوا يفعلون في الجاهلية (بعد عامهم هذا) بعد حج عامهم هذا وهو عام تسع من الهجرة حين امر ابو بكر على الموسم وهو مذهب ابي حنيفة واصحابه ويدل عليه قول علي كرم الله وجهه حين نادى ببراءة ألا لا يحج بعد عامنا هذا مشرك ولا يمنعون من دخول الحرم والمسجد الحرام وسائر المساجد عندهم وعند الشافعي يمنعون من المسجد الحرام خاصة وعند مالك يمنعون منه ومن غيره من المساجد وعن عطاء رضي الله عنه ان المراد بالمسجد الحرام الحرم وان على المسلمين ان لا يمكنوهم من دخوله ونهي المشركين ان يقربوه راجع الى نهي المسلمين عن تمكينهم منه وقيل المراد ان يمنعوا من تولي المسجد الحرام والقيام بمصالحه ويعزلوا عن ذلك (وان خفتم عيلة) اي فقرا بسبب منع المشركين من الحج وما كان لكم في قدومهم عليكم من الارفاق والمكاسب (فسوف يغنيكم الله من فضله) من عطائه او من تفضله بوجه آخر فارسل السماء عليهم مدرارا فاغزر بها خيرهم واكثر ميرهم واسلم اهل تبالة وجرش فحملوا الى مكة الطعام وما يعاش به فكان ذلك اعود عليهم مما خافوا العيلة لفواته وعن ابن عباس رضي الله عنه القى الشيطان في قلوبهم الخوف وقال من اين تأكلون فامرهم الله بقتال اهل الكتاب واغناهم بالجزية وقيل بفتح البلاد والغنائم * وقرئ عائلة بمعنى المصدر كالعافية او حالا عائلة ومعنى قوله (ان شاء) الله ان اوجبت الحكمة اغناءكم وكان مصلحة لكم في دينكم (ان الله عليم) باحوالكم (حكيم) لا يعطي ولا يمنع الا عن حكمة

ثم وليتم مدبرين ثم انزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وانزل جنودا لم تروها وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء والله غفور رحيم يا أيها الذين آمنوا انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا وان خفتم عيلة فسوف يغنيكم الله من فضله ان شاء ان الله عليم حكيم قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق

قوله تعالى انما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا (قال هذا النهي راجع الى نهي المسلمين من تمكينهم منه) قال احمد وقد يستدل به من يقول ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وخصوصا بالمناهي فان ظاهر الآية توجه النهي الى المشركين الا انه بعيد لان المعلوم من المشركين انهم لا ينزجرون بهذا النهي والمقصود تطهير المسجد الحرام بابعادهم عنه فلا يحصل هذا المقصود الا بنهي المسلمين عن

وصواب (من الذين اوتوا الكتاب) بيان للذين مع ما في حيزه نفى عنهم الايمان بالله لان اليهود مثنية والنصارى مثلثة وايمانهم باليوم الآخر لانهم فيه على خلاف ما يجب وتحريم ما حرم الله ورسوله لانهم لا يحرمون ما حرم في الكتاب والسنة وعن ابي روق لا يعملون بما في التوراة والانجيل وان يدينوا دين الحق وان يعتقدوا دين الاسلام الذي هو الحق وما سواه الباطل وقيل دين الله يقال فلان يدين بكذا اذا اتخذه دينه ومعتقده * سميت جزية لانها طائفة مما على أهل الذمة ان يجزوه اي يقضوه او لانهم يجزون بها من من عليهم بالاعفاء عن القتل (عن يد) اما ان يراد يد المعطي او الآخذ فمعناه على ارادة يد المعطي حتى يعطوها عن يد اي عن يد مؤاتية غير ممتنعة لان من ابي وامتنع لم يعط يده بخلاف المطيع المنقاد ولذلك قالوا اعطي بيده اذا انقاد واصحب الا ترى الى قولهم نزع يده عن الطاعة كما يقال خلع ربقة الطاعة عن عنقه او حتى يعطوها عن يد الى يد نقدا غير نسيئة لا مبعوثا على يد احد ولكن عن يد المعطي الى يد الآخذ واما على ارادة يد الآخذ فمعناه حتي يعطوها عن يد قاهرة مستولية او عن انعام عليهم لان قبول الجزية منهم وترك ارواحهم لهم نعمة عظيمة عليهم (وهم صاغرون) اى تؤخذ منهم على الصغار والذل وهو ان يأتي بها بنفسه ماشيا غير راكب ويسلمها وهو قائم والمتسلم جالس وان يتلتل تلتلة ويؤخذ بتلبيبه ويقال له اد الجزية وان كان يؤديها ويزخ في قفاه وتسقط بالاسلام عند ابي حنيفة ولا يسقط به خراج الارض واختلف فيمن تضرب عليه فعند أبي حنيفة تضرب علي كل كافر من ذمي ومجوسي وصابئ وحربي الا على مشركي العرب وحدهم روى الزهري ان رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح عبدة الاوثان على الجزية الا من كان من العرب وقال لاهل مكة هل لكم في كلمة اذا قلتموها دانت لكم بها العرب وادت اليكم العجم الجزية وعند الشافعي لا تؤخذ من مشركي العجم والمأخوذ عند ابي حنيفة في اول كل سنة من الفقير الذي له كسب اثنا عشر درهما ومن المتوسط في الغنى ضعفها ومن المكثر ضعف الضعف ثمانية واربعون ولا تؤخذ من فقير لا كسب له وعند الشافعي يؤخذ في آخر السنة من كل واحد دينار فقيرا كان او غنيا كان له كسب او لم يكن (عزير ابن الله) مبتدأ وخبر كقوله المسيح ابن الله وعزير اسم اعجمي كعازر وعيزار وعزرائيل ولعجمته وتعريفه امتنع صرفه ومن نون فقد جعله عربيا واما قول من قال سقوط التنوين لالتقاء الساكنين كقراءة من قرأ احد الله او لان الابن وقع وصفا والخبر محذوف وهو معبودنا فتمحل عنه مندوحة وهو قول ناس من اليهود ممن كان بالمدينة وما هو بقول كلهم عن ابن عباس رضى الله عنه جاء رسول الله صلي الله عليه وسلم سلام بن مشكم ونعمان بن اوفي وشاش بن قيس ومالك ابن الصيف فقالوا ذلك وقيل قاله فنحاص وسبب هذا القول ان اليهود قتلوا الانبياء بعد موسي عليه السلام فرفع الله عنهم التوراة ومحاها من قلوبهم فخرج عزير وهو غلام يسيح في الارض فاتاه جبريل عليه السلام فقال له الى اين تذهب قال اطلب العلم فحفظه التوراة فاملاها عليهم عن ظهر لسانه لا يخرم حرفا فقالوا ما جمع الله التوراة في صدره وهو غلام الا لانه ابنه والدليل على ان هذا القول كان فيهم ان الآية تليت عليهم فما انكروا ولا كذبوا مع تهالكهم على التكذيب * (فان قلت) كل قول يقال بالفم فما معنى قوله (ذلك قولهم بافواههم) (قلت) فيه وجهان احدهما ان يراد انه قول لا يعضده برهان فما هو الا لفظ يفوهون به فارغ من معنى تحته كالالفاظ المهملة التي هي اجراس ونغم لا تدل على معان وذلك ان القول الدال على معنى لفظه مقول بالفم ومعناه مؤثر في القلب وما لا معنى له مقول بالفم لا غير والثاني ان يراد بالقول المذهب كقولهم قول ابي حنيفة يريدون مذهبه وما يقول به كانه قيل ذلك مذهبهم ودينهم بافواههم لا بقلوبهم لانه لا حجة معه ولا شبهة حتى يؤثر في القلوب وذلك انهم اذا اعترفوا انه لا صاحبة له لم تبق شبهة في انتفاء الولد (يضاهون) لا بد فيه من حذف مضاف تقديره يضاهي قولهم قولهم ثم حذف المضاف واقيم الضمير المضاف اليه مقامه فانقلب مرفوعا والمعنى ان الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى يضاهي قولهم قول قدمائهم يعني انه كفر قديم فيهم غير مستحدث او يضاهي قول المشركين الملائكة بنات الله تعالى الله عنه وقيل الضمير للنصارى اى يضاهي قولهم المسيح ابن الله قول اليهود عزير ابن الله لانهم اقدم منهم وقرئ

يضاهئون

من الذين أوتوا الكتاب حتي يعطوا الجزية عن يدوهم صاغرون وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بافواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل

تمكينهم من قربانه ويرشد الى ان الخاطب في الحقيقة المسلمين تصدير الكلام بخطابهم في قوله يا أيها الذين آمنوا وتضمينه نصا بخطابهم بقوله وان خفتم عيلة وكثيرا ما يتوجه النهي على من المراد خلافه وعلى ما المراد خلافه اذا كانت ثم ملازمة كقوله لا ارينك ههنا ولا تموتن الا وانتم مسلمون والله اعلم * قوله تعالى حتى يعطوا الجزية عن يد (قال اما ان يراد به المعطي او الآخذ الخ) قال أحمد فيكون كاليد في قوله عليه السلام لا تبيعوا الذهب الى قوله الا يدا بيد * عاد كلامه (قال وان اريد به الآخذ فمعناه حتى يعطوها الخ) قال احمد وهذا الوجه املى بالفائدة والله اعلم

يضاهئون بالهمز من قولهم امرأة ضهيأ على فعيل وهي التي ضاهأت الرجال في انها لا تحيض وهمزتها مزيدة كما في غرقىء (قاتلهم الله) اي هم احقاء بان يقال لهم هذا تعجبا من شناعة قولهم كما يقال لقوم ركبوا شنعاء قاتلهم الله ما أعجب فعلهم (انى يؤفكون) كيف يصرفون عن الحق * اتخاذهم اربابا انهم اطاعوهم في الامر بالمعاصي وتحليل ما حرم الله وتحريم ما حلله كما تطاع الارباب في اوامرهم ونحوه وتسمية اتباع الشيطان فيما يوسوس به عبادة بل كانوا يعبدون الجن يا أبت لا تعبد الشيطان وعن عدي بن حاتم رضي الله عنه انتهيت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي عنقي صليب من ذهب فقال اليسوا يحرمون ما احل الله فتحرمونه ويحلون ما حرمه فتحلونه قلت بلى قال فتلك عبادتهم وعن فضيل رضي الله عنه ما ابالي اطعت مخلوقا في معصية الخالق او صليت لغير القبلة واما المسيح فحين جعلوه ابنا لله فقد اهلوه للعبادة الا ترى الى قوله قل ان كان للرحمن ولد فانا اول العابدين (وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا) امرتهم بذلك ادلة العقل والنصوص في الانجيل والمسيح عليه السلام انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة (سبحانه) تنزيه له عن الاشراك به واستبعاد له ويجوز ان يكون الضمير في وما امروا للمتخذين اربابا اي وما امر هؤلاء الذين هم عندهم ارباب الا ليعبدوا الله ويوحدوه فكيف يصح ان يكونوا اربابا وهم مامورون مستعبدون مثلهم * مثل حالهم في طلبهم ان يبطلوا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بالتكذيب بحال من يريد ان ينفخ في نور عظيم منبث في الآفاق يريد الله ان يزيده ويبلغه الغاية القصوى في الاشراق والاضاءة ليطفئه بنفخه ويطمسه (ليظهره) ليظهر الرسول عليه السلام (على الدين كله) على اهل الاديان كلهم او ليظهر دين الحق على كل دين * (فان قلت) كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت او ابغضت الا زيدا (قلت) قد اجرى ابى مجرى لم يرد الا ترى كيف قوبل يريدون ان يطفئوا بقوله ويابى الله وكيف اوقع موقع ولا يريد الله الا ان يتم نوره * معنى اكل الاموال على وجهين اما ان يستعار الاكل للاخذ الا ترى الى قولهم اخذ الطعام وتناوله واما على ان الاموال يؤكل بها فهي سبب الاكل ومنه قوله

ان لنا احمرة عجافا * يأكلن كل ليلة اكافا

يريد علفا يشترى بثمن اكاف ومعنى اكلهم بالباطل انهم كانوا ياخذون الرشا في الاحكام والتخفيف والمسامحة في الشرائع (والذين يكنزون) يجوز ان يكون اشارة الى الكثير من الاحبار والرهبان للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم اخذ البراطيل وكنز الاموال والضن بها عن الانفاق في سبيل الخير ويجوز ان يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى تغليظا ودلالة على ان من ياخذ منهم السحت ومن لا يعطي منكم طيب ماله سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الاليم وقيل نسخت الزكاة آية الكنز وقيل هي ثابتة وانما عنى بترك الانفاق في سبيل الله منع الزكاة وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما ادى زكاته فليس بكنز وان كان باطنا وما بلغ ان يزكى فلم يزك فهو كنز وان كان ظاهرا وعن عمر رضي الله عنه ان رجلا ساله عن ارض له باعها فقال احرز مالك الذي اخذت احفر له تحت فراش امرأتك قال اليس بكنز قال ما أدى زكاته فليس بكنز وعن ابن عمر رضي الله عنه كل ما اديت زكاته فليس بكنز وان كان تحت سبع ارضين وما لم تؤد زكاته فهو الذي ذكر الله تعالى وان كان على ظهر الارض (فان قلت) فما تصنع بما روى سالم بن الجعد رضي الله عنه انها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تبا للذهب تبا للفضة قالها ثلاثا فقالوا له اي مال نتخذ قال لسانا ذاكرا وقلبا خاشعا وزوجة تعين احدكم على دينه وبقوله عليه الصلاة والسلام من ترك صفراء او بيضاء كوى بها وتوفى رجل فوجد في مئزره دينار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كية وتوفي آخر فوجد في مئزره ديناران فقال كيتان قلت كان هذا قبل ان تفرض الزكاة فاما بعد فرض الزكاة فالله اعدل واكرم من ان يجمع عبده مالا من حيث اذن له فيه ويؤدي عنه ما اوجب عليه فيه ثم يعاقبه ولقد كان كثير من الصحابة كعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله وعبيد الله رضي الله عنهم يقتنون الاموال ويتصرفون فيها وما عابهم احد ممن اعرض عن القنية لان الاعراض اختيار للافضل والادخل في

قاتلهم الله انى يؤفكون اتخذوا احبارهم ورهبانهم اربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما امروا الا ليعبدوا الها واحدا لا اله الا هو سبحانه عما يشركون يريدون ان يطفؤا نور الله بافواههم ويابى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون هو الذي ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون يا أيها الذين آمنوا ان كثيرا من الاحبار والرهبان ليأكلون اموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم يوم

* قوله تعالى ويابى الله الا ان يتم نوره (قال ان قلت كيف جاز ابى الله الا كذا ولا يقال كرهت الخ) قال احمد ولا يقال على هذا ان الاباء عدم الارادة فكما صح الايجاب بعد نفي الارادة فينبغي ان يصح بعد ما هو في معناها مطلقا لانا نقول لوجود حرف النفي اثر في تصحيح مجيء حرف الايجاب بعد فلا يلزم ذلك والله اعلم

الورع والزهد فى الدنيا والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شيء حد وما روى عن علي رضي الله عنه اربعة آلاف فما دونها نفقة فما زاد فهو كنز كلام فى الافضل (فان قلت) لم قيل ولا ينفقونها وقد ذكر شيآن (قلت) ذهابا بالضمير الى المعنى دون اللفظ لان كل واحد منهما جملة وافية وعدة كثيرة ودنانير ودراهم فهو كقوله وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا وقيل ذهب به الى الكنوز وقيل الى الاموال وقيل معناه ولا ينفقونها والذهب كما ان معنى قوله * فانى وقيار بها لغريب * وقيار كذلك (فان قلت) لم خصا بالذكر من بين سائر الاموال (قلت) لانهما قانون التمول واثمان الاشياء ولا يكنزهما الا من فضلا عن حاجته ومن كثر عنده حتى يكنزهما لم يعدم سائر اجناس المال فكان ذكر كنزهما دليلا على ما سواهما (فان قلت) مامعنى قوله (يحمى عليها) وهلا قيل تحمى من قولك حمى الميسم واحميته ولا تقول أحميت على الحديد (قلت) معناه ان النار تحمى عليها اى توقد ذات حمى وحر شديد من قوله نار حامية ولو قيل يوم تحمى لم يعط هذا المعنى (فان قلت) فاذا كان الاحماء للنار فلم ذكر الفعل (قلت) لانه مسند الى الجار والمجرور اصله يوم تحمى النار عليها فلما حذفت النار قيل يحمى عليها لانتقال الاسناد عن النار الى عليها كما تقول رفعت القصة الى الامير فان لم تذكر القصة قلت رفع الى الامير وعن ابن عامر انه قرا تحمى بالتاء * وقرأ ابو حيوة فيكوى بالياء (فان قلت) لم خصت هذه الاعضاء (قلت) لانهم لم يطلبوا باموالهم حيث لم ينفقوها فى سبيل الله الا الاغراض الدنيوية من وجاهة عند الناس وتقدم وان يكون ماء وجوههم مصونا عندهم يتلقون بالجميل ويحيون بالاكرام ويبجلون ويحتشمون ومن اكل طيبات يتضلعون منها وينفخون جنوبهم ومن لبس ناعمة من الثياب يطرحونها على ظهورهم كما ترى اغنياء زمانك هذه اغراضهم وطلباتهم من اموالهم لا يخطرون ببالهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب اهل الدثور بالاجور وقيل لانهم كانوا اذا أبصروا الفقير عبسوا واذا ضمهم واياه مجلس ازوروا عنه وتولوا باركانهم وولوه ظهورهم وقيل معناه يكوون على الجهات الاربع مقاديمهم وماآخيرهم وجنوبهم (هذا ما كنزتم) على ارادة القول وقوله (لانفسكم) اى كنزتموه لتنتفع به نفوسكم وتتلذذ وتحصل لها الاغراض التى حامت حولها وما علمتم انكم كنزتموه لتستضر به انفسكم وتتعذب هو تو بيخ لهم (فذوقوا ما كنتم تكنزون) وقرئ تكنزون بضم النون اى وبال المال الذى كنتم تكنزونه او وبال كونكم كانزين (فى كتاب الله) فيما أثبته واوجبه من حكمه ورآه حكمة وصوابا وقيل فى اللوح (اربعة حرم) ثلاثة سرد ذو القعدة وذو الحجة والمحرم وواحد فرد وهو رجب ومنه قوله عليه السلام فى خطبته فى حجة الوداع الا ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السموات والارض السنة اثنا عشر شهرا منها اربعة حرم ثلاث متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذى بين جمادى وشعبان والمعنى رجعت الاشهر الى ما كانت عليه وعاد الحج فى ذى الحجة وبطل النسيء الذى كان فى الجاهلية وقد وافقت حجة الوداع ذا الحجة وكانت حجة ابي بكر رضي الله عنه قبلها فى ذى القعدة (ذلك الدين القيم) يعنى ان تحريم الاشهر الاربعة هو الدين المستقيم دين ابراهيم واسمعيل وكانت العرب قد تمسكت به وراثة منهما وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ويحرمون القتال فيها حتى لو لقي الرجل قاتل ابيه او اخيه لم يهجه وسموا رجبا الاصم ومنصل الاسنة حتى احدثت النسيء فغيروا (فلا تظلموا فيهن) فى الحرم (انفسكم) أى لا تجعلوا حرامها حلالا وعن عطاء تالله ما يحل للناس ان يغزوا فى الحرم ولا فى الاشهر الحرم الا ان يقاتلوا وما نسخت وعن عطاء الخراسانى رضي الله عنه احلت القتال فى الاشهر الحرم براءة من الله ورسوله وقيل معناه لا تأثموا فيهن بيانا لعظم حرمتهن كما عظم اشهر الحج بقوله تعالى فمن فرض فيهن الحج فلا رفث ولا فسوق الآية وان كان ذلك محرما فى سائر الشهور (كافة) حال من الفاعل او المفعول (مع المتقين) ناصرهم حثهم على التقوى بضمان النصر لاهلها * والنسيء تاخير حرمة الشهر الى شهر آخر وذلك انهم كانوا أصحاب حروب وغارات فاذا جاء الشهر الحرام وهم محاربون شق عليهم ترك المحاربة فيحلونه ويحرمون مكانه شهرا آخر حتى رفضوا تخصيص الاشهر الحرم بالتحريم فكانوا يحرمون من شق شهور العام اربعة اشهر وذلك قوله تعالى (ليواطؤا عدة ما حرم الله) اى

يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لانفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها اربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن انفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا ان الله مع المتقين انما النسيء زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله

قوله تعالى يوم يحمى عليها فى نار جهنم (قال ان قلت هلا قيل تحمى كما يقال حمى الميسم واحميته الخ) قال احمد وفى هذا الفصل دقائق اعراب يشوب حسنها اغراب والله الموفق

ليواطئوا العدة التي هي الاربعة ولا يخالفوها وقد خالفوا التخصيص الذي هو احد الواجبين وربما زادوا في عدد الشهور فيجعلونها ثلاثة عشر او اربعة عشر ليتسع لهم الوقت ولذلك قال عز وعلا ان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا يعني من غير زيادة زادوها * والضمير في يحلونه ويحرمونه للنسيء اي اذا احلوا شهرا من الاشهر الحرم عاما رجعوا فحرموه في العام القابل يروى انه حدث ذلك في كنانة لانهم كانوا فقراء محاويج الى الغارة وكان جنادة بن عوف الكناني مطاعا في الجاهلية وكان يقوم على جمل في الموسم فيقول باعلى صوته ان آلهتكم قد احلت لكم المحرم فاحلوه ثم يقوم في القابل فيقول ان آلهتكم قد حرمت عليكم المحرم فحرموه * جعل النسيء زيادة في الكفر لان الكافر كلما احدث معصية ازداد كفرا فزادتهم رجسا الى رجسهم كما ان المؤمن اذا احدث الطاعة ازداد ايمانا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون وقرئ يضل على البناء للمفعول ويضل بفتح الياء والضاد ويضل على ان الفعل لله عز وجل * وقرأ الزهري ليوطئوا بالتشديد * والنسيء مصدر نسأه اذا اخره يقال نسأه نسأ ونساء ونسيأ كقولك مسه مسا ومساسا ومسيسا وقرئ بهن جميعا وقرئ النسي بوزن الندي والنسي بوزن النهي وهما تخفيف النسيء والنسء * (فان قلت) ما معنى قوله (فيحلوا ما حرم الله) (قلت) معناه فيحلوا بمواطأة العدة وحدها من غير تخصيص ما حرم الله من القتال او من ترك الاختصاص للاشهر بعينها (زين لهم سوء اعمالهم) خذلهم الله فحسبوا اعمالهم القبيحة حسنة (والله لا يهدي) اي لا يلطف بهم بل يخذلهم وقرئ زين لهم سوء اعمالهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل (اثاقلتم) تثاقلتم وبه قرأ الاعمش اي تباطأتم وتقاعستم وضمن معنى الميل والاخلاد فعدي بالى والمعنى ملتم الى الدنيا وشهواتها وكرهتم مشاق السفر ومتاعبه ونحوه اخلد الى الارض واتبع هواه وقيل ملتم الى الاقامة بارضكم ودياركم وقرئ أثاقلتم على الاستفهام الذي معناه الانكار والتوبيخ (فان قلت) فما العامل في اذا وحرف الاستفهام مانعة ان يعمل فيه (قلت) ما دل عليه قوله اثاقلتم او ما في ما لكم من معنى الفعل كأنه قيل ما تصنعون اذا قيل لكم كما تعمله في الحال اذا قلت ما لك قائما وكان ذلك في غزوة تبوك في سنة عشر بعد رجوعهم من الطائف استنفروا في وقت عسرة وقحط وقيظ مع بعد الشقة وكثرة العدو فشق عليهم وقيل ما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الا ورى عنها بغيرها الا في غزوة تبوك ليستعد الناس تمام العدة (من الآخرة) اي بدل الآخرة كقوله لجعلنا منكم ملائكة (في الآخرة) في جنب الآخرة (الا تنفروا) سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم بعذاب اليم مطلق يتناول عذاب الدارين وانه يهلكهم ويستبدل بهم قوما آخرين خيرا منهم واطوع وانه غني عنهم في نصرة دينه لا يقدح تثاقلهم فيها شيئا وقيل الضمير للرسول اي ولا تضروه لان الله وعده ان يعصمه من الناس وان ينصره ووعد الله كائن لا محالة وقيل يريد بقوله قوما غيركم أهل اليمن وقيل ابناء فارس والظاهر مستغن عن التخصيص * (فان قلت) كيف يكون قوله فقد (نصره الله) جوابا للشرط (قلت) فيه وجهان احدهما الا تنصروه فسينصره من نصره حين لم يكن معه الا رجل واحد ولا اقل من الواحد فدل بقوله فقد نصره الله على انه ينصره في المستقبل كما نصره في ذلك الوقت والثاني انه اوجب له النصرة وجعله منصورا في ذلك الوقت فلن يخذل من بعده وأسند الاخراج الى الكفار كما أسنده اليهم في قوله من قريتك التي اخرجتك لانهم حين أهموا باخراجه أذن الله له في الخروج فكأنهم اخرجوه (ثاني اثنين) احد اثنين كقوله ثالث ثلاثة وهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق رضي الله عنه يروى ان جبريل عليه السلام لما امره بالخروج قال من يخرج معي قال ابو بكر وانتصابه على الحال وقرئ ثاني اثنين بالسكون و(اذهما) بدل من اذ اخرجه * والغار نقب في اعلى ثور وهو جبل في يمين مكة على مسيرة ساعة مكثا فيه ثلاثا (اذ يقول) بدل ثان قيل طلع المشركون فوق الغار فاشفق ابو بكر رضي الله عنه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان تصب اليوم ذهب دين الله فقال عليه الصلاة والسلام ما ظنك باثنين الله ثالثهما وقيل لما دخلا الغار بعث الله تعالى حمامتين فباضتا في اسفله والعنكبوت فنسجت عليه وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اعم ابصارهم فجعلوا يترددون حول الغار ولا يفطنون قد أخذ الله بابصارهم

فيحلوا ما حرم الله زين لهم سوء اعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين يا أيها الذين آمنوا ما لكم اذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الى الارض أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شيء قدير الا تنصروه فقد نصره الله اذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين اذ هما في الغار اذ يقول لصاحبه لا تحزن ان الله معنا فانزل الله

*قوله الا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيا والله على كل شيء قدير (قال في هذه الآية سخط عظيم على المتثاقلين حيث اوعدهم عذابا اليما الخ) قال أحمد ويقرب اعادة الضمير الى الرسول ان الضمير في قوله الا تنصروه عقيب ذلك عائد اليه اتفاقا والله اعلم

* قوله تعالى عفا الله عنك لم أذنت لهم (قال هذا كناية عن الجناية لان العفو رادف لها الخ) قال احمد رحمه الله ليس له ان يفسر هذه الآية بهذا التفسير وهو بين احد امرين اما ان لا يكون هو المراد واما ان يكون هو المراد ولكن قد اجل الله نبيه الكريم عن مخاطبته بصريح العتب وخصوصا في حق المصطفى عليه الصلاة والسلام فالزمخشري على كلا التقديرين ذاهل عما يجب من حقه عليه الصلاة والسلام ولقد احسن من قال في هذه الآية ان من لطف الله تعالى بنبيه ان بدأه بالعفو قبل العتب ولو قال له ابتداء لم أذنت لهم لتفطر قلبه عليه الصلاة والسلام فمثل هذا الادب يجب احتذاؤه في حق سيد البشر عليه افضل الصلاة والسلام

سكينته عليه وايده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا باموالكم وانفسكم في سبيل الله ذلكم خير لكم ان كنتم تعلمون لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون انفسهم والله يعلم انهم لكاذبون عفا الله عنك لم اذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر

* عاد كلامه (قال) وقوله لا يستاذنك الذين يؤمنون بالله الى قوله انما يستاذنك الذين لا يؤمنون بالله الآية

عنه وقالوا من انكر صحبة أبي بكر رضي الله عنه فقد كفر لانكار كلام الله وليس ذلك لسائر الصحابة (سكينته) ما ألقى في قلبه من الامنة التي سكن عندها وعلم انهم لا يصلون اليه * والجنود الملائكة يوم بدر والاحزاب وحنين * وكلمة الذين كفروا دعوتهم الى الكفر (وكلمة الله) دعوته الى الاسلام وقرئ وكلمة الله بالنصب والرفع اوجه و (هي) فصل او مبتدأ وفيها تأكيد فضل كلمة الله في العلو وانها المختصة به دون سائر الكلم (خفافا وثقالا) خفافا في النفور لنشاطكم له وثقالا عنه لمشقته عليكم او خفافا لقلة عيالكم واذيالكم وثقالا لكثرتها او خفافا من السلاح وثقالا منه او ركبانا ومشاة او شبابا وشيوخا او مهازيل وسمانا او صحاحا ومراضا وعن ابن ام مكتوم انه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم أعلي ان انفر قال نعم حتى نزل قوله ليس على الاعمى حرج وعن ابن عباس نسخت بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى وعن صفوان بن عمرو كنت واليا على حمص فلقيت شيخا كبيرا قد سقط حاجباه من أهل دمشق على راحلته يريد الغزو فقلت يا عم لقد اعذر الله اليك فرفع حاجبيه وقال يا ابن أخي استنفرنا الله خفافا وثقالا الا انه من يحبه الله يبتله وعن الزهري خرج سعيد ابن المسيب الى الغزو وقد ذهبت احدى عينيه فقيل له انك عليل صاحب ضرر فقال استنفرنا الله الخفيف والثقيل فان لم يمكني الحرب كثرت السواد وحفظت المتاع (وجاهدوا باموالكم وانفسكم) ايجاب للجهاد بهما ان امكن او باحدهما على حسب الحال والحاجة * العرض ما عرض لك من منافع الدنيا يقال الدنيا عرض حاضر يأكل منه البر والفاجر أي لو كان ما دعوا اليه غنما قريبا سهل المنال (وسفرا قاصدا) وسطا مقاربا (الشقة) المسافة الشاطة الشاقة وقرأ عيسى بن عمر بعدت عليهم الشقة بكسر العين والشين ومنه قوله

يقولون لا تبعدوهم يدفنونه * ولا بعد الا ما توارى الصفائح

(بالله) متعلق بسيحلفون او هو من جملة كلامهم والقول مراد في الوجهين اي سيحلفون يعني المتخلفين عند رجوعك من غزوة تبوك معتذرين يقولون بالله (لو استطعنا لخرجنا معكم) او سيحلفون بالله يقولون لو استطعنا وقوله لخرجنا سد مسد جوابي القسم ولو جميعا والاخبار بما سوف يكون بعد القفول من حلفهم واعتذارهم وقد كان من جملة المعجزات ومعنى الاستطاعة استطاعة العدة او استطاعة الابدان كأنهم تمارضوا وقرئ لو استطعنا بضم الواو تشبيها لها بواو الجمع في قوله فتمنوا الموت (يهلكون انفسهم) اما ان يكون بدلا من سيحلفون او حالا بمعنى مهلكين والمعنى انهم يوقعونها في الهلاك بحلفهم الكاذب وما يحلفون عليه من التخلف ويحتمل ان يكون حالا من قوله لخرجنا اي لخرجنا معكم وان اهلكنا انفسنا والقيناها في التهلكة بما نحملها من المسير في تلك الشقة وجاء به على لفظ الغائب لانه مخبر عنهم ألا ترى انه لو قيل سيحلفون بالله لو استطاعوا لخرجوا لكان سديدا يقال حلف بالله ليفعلن ولافعلن فالغيبة على حكم الاخبار والتكلم على الحكاية (عفا الله عنك) كناية عن الجناية لان العفو رادف لها ومعناه أخطأت وبئس ما فعلت و (لم اذنت لهم) بيان لما كنى عنه بالعفو ومعناه مالك اذنت لهم في القعود عن الغزو حين استأذنوك واعتلوا لك بعللهم وهلا استأنيت بالاذن (حتى يتبين لك) من صدق في عذره ممن كذب فيه وقيل شيئان فعلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يؤمر بهما اذنه للمنافقين وأخذه من الاسارى فعاتبه الله تعالى (لا يستاذنك) ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا وكان الخلص من المهاجرين والانصار يقولون لا نستاذن النبي ابدا ولنجاهدن ابدا

قال معناه ليس من عادة المؤمنين ان يستاذنوك في ان يجاهدوا الخ (قال احمد) وهذا الادب يجب ان يقتفى مطلقا معه

فلا يليق بالمرء ان يستاذن اخاه في ان يسدي اليه معروفا ولا بالمضيف ان يستاذن ضيفه في ان يقدم اليه طعاما فان الاستئذان في امثال هذه المواطن امارة التكلف والتكره وصلوات الله على خليله وسلامه لقد بلغ من كرمه وادبه مع ضيوفه انه كان لا يتعاطى شيئا من اسباب التهيؤ للضيافة بمرأى منهم فلذلك مدحه الله تعالى على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم بهذه الخلة الجميلة والآداب الجليلة فقال تعالى فراغ

الى أهله فجاء بعجل سمين اى ذهب على خفاء منهم كيلا يشعروا به والمهتم يامر ضيفه برأى منه ربما يعد كالمستأذن فى الضيافة فهذا من الآداب التي ينبغي ان يتمسك بها ذوو المروأة وأولو القوة وأشد من الاستئذان فى الخروج للجهاد ونصرة الدين التثاقل عن المبادرة اليه بعد الحض عليه والمناداة وأسوأ أحوال المتثاقل وقد دعي الناس الى الغزاة ان يكون متمسكا بشعبة من النفاق نعوذ بالله من التعرض لسخطه

* قوله تعالى ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين (قال ان قلت كيف جاز ان يوقع الله فى نفوسهم كراهة الخروج للغزو الخ) قال احمد وهذا الفصل من كلامه مبنى على قاعدتين فاسدتين ايجاب مراعاة المصالح على الله تعالى والتحسين والتقبيح وقد تكرر بطلان ذلك فاحذره واعلم ان معتقد السنة ان الله تعالى ألقى كراهة الخروج فى قلوبهم لانه اراد شقاوتهم وانضاف الى ذلك ارادة راحة المخلصين من مرافقتهم اذ الامر ليس شرطا في نفوذ المشيئة والله الموفق * عاد كلامه (قال فان قلت فما معنى قوله مع القاعدين الخ) قال أحمد وهذا من تنبيهاته الحسنة ونزيده بسطا فنقول لو قيل اقعدوا مقتصرا عليه لم يفد سوى امرهم بالقعود وكذلك كونوا مع القاعدين ولا تحصل هذه الفائدة من الحاقهم بهؤلاء الاصناف الموصوفين عند الناس بالتخلف والتقاعد الموسومين بهذه السمة الا من عبارة الآية ولعن الله فرعون لقد بالغ فى توعيد موسى عليه السلام بقوله لاجعلنك من المسجونين ولم يقل لاجعلنك مسجونا لمثل هذه النكتة من المبالغة

ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم والله عليم بالمتقين انما يستأذنك الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر وارتابت قلوبهم فهم فى ريبهم يترددون ولو أرادوا الخروج لاعدوا له عدة ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم وقيل اقعدوا مع القاعدين ولو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا ولا اوضعوا خلالكم يبغونكم الفتنة

معه باموالنا وأنفسنا ومعنى (ان يجاهدوا) فى ان يجاهدوا أو كراهة ان يجاهدوا (والله عليم بالمتقين) شهادة لهم بالانتظام فى زمرة المتقين وعدة لهم باجزل الثواب (انما يستأذنك) يعنى المنافقين وكانوا تسعة وثلاثين رجلا (يترددون) عبارة عن التحير لان التردد ديدن المتحير كما ان الثبات والاستقرار ديدن المستبصر * قرئ عده بمعنى عدته فعل بالعدة ما فعل بالعدة من قال وأخلفوك عد الامر الذى وعدوا من حذف تاء التانيث وتعويض المضاف اليه منها وقرئ عدة بكسر العين بغير اضافة وعده باضافة * (فان قلت) كيف موقع حرف الاستدراك (قلت) لما كان قوله ولو ارادوا الخروج معطيا معنى نفى خروجهم واستعدادهم للغزو قيل (ولكن كره الله انبعاثهم) كانه قيل ما خرجوا ولكن تثبطوا عن الخروج لكراهة انبعاثهم كما تقول ما احسن الى زيد ولكن أساء الى (فثبطهم) فكسلهم وخذلهم وضعف رغبتهم فى الانبعاث (وقيل اقعدوا) جعل القاء الله فى قلوبهم كراهة الخروج أمرا بالقعود وقيل هو قول الشيطان بالوسوسة وقيل هو قولهم لانفسهم وقيل هو اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم في القعود (فان قلت) كيف جاز ان يوقع الله تعالى في نفوسهم كراهة الخروج الى الغزو وهي قبيحة وتعالى الله عن الهام القبيح (قلت) خروجهم كان مفسدة لقوله لو خرجوا فيكم ما زادوكم الا خبالا فكان ايقاع كراهة ذلك الخروج في نفوسهم حسنا ومصلحة (فان قلت) فلم خطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الاذن لهم فيما هو مصلحة (قلت) لان اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم لم يكن للنظر فى هذه المصلحة ولا علمها الا بعد القفول باعلام الله تعالى ولكن لانهم استاذنوه فى ذلك واعتذروا اليه فكان عليه ان يتفحص عن كنه معاذيرهم ولا يتجوز فى قبولها فمن ثم اتاه العتاب ويجوز ان يكون فى ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم الاذن لهم مع تثبيط الله اياهم مصلحة اخرى فباذنه لهم فقدت تلك المصلحة وذلك انه اذا ثبطهم الله فلم ينبعثوا وكان قعودهم بغير اذن من رسول الله صلى الله عليه وسلم قامت عليهم الحجة ولم تبق لهم معذرة ولقد تدارك الله ذلك حيث هتك استارهم وكشف اسرارهم وشهد عليهم بالنفاق وانهم لا يؤمنون بالله واليوم الآخر * (فان قلت) ما معنى قوله (مع القاعدين) (قلت) هو ذم لهم وتعجيز والحاق بالنساء والصبيان والزمنى الذين شانهم القعود والجثوم فى البيوت وهم القاعدون والخالفون والخوالف ويبينه قوله تعالى رضوا بان يكونوا مع الخوالف (الا خبالا) ليس من الاستثناء المنقطع فى شيء كما يقولون لان الاستثناء المنقطع هو ان يكون المستثنى من غير جنس المستثنى منه كقولك ما زادوكم خيرا الا خبالا والمستثنى منه فى هذا الكلام غير مذكور واذا لم يذكر وقع الاستثناء من اعم العام الذى هو الشيء فكان استثناء متصلا لان الخبال بعض أعم العام كانه قيل ما زادوكم شيئا الا خبالا والخبال الفساد والشر (ولا أوضعوا خلالكم) ولسعوا بينكم بالتضريب والنمائم وافساد ذات البين يقال وضع البعير وضعا اذا أسرع واوضعته انا والمعنى ولأوضعوا ركائبهم بينكم والمراد الاسراع بالنمائم لان الراكب اسرع من الماشي وقرأ ابن الزبير رضى الله عنه ولا رقصوا من رقصت الناقة رقصا اذا أسرعت وارقصتها قال * والراقصات الى منى فالغبغب * وقرئ ولا وفضوا (فان قلت) كيف خط فى المصحف ولا اوضعوا بزيادة الف (قلت) كانت الفتحة تكتب الفا قبل الخط العربى والخط العربى اخترع قريبا من نزول القرآن وقد بقي من ذلك الالف اثر فى الطباع فكتبوا صورة الهمزة الفا وفتحتها الفا أخرى ونحوه اولا اذبحنه (يبغونكم الفتنة) يحاولون ان يفتنوكم بان يوقعوا الخلاف فيما بينكم ويفسدوا نياتكم فى

وفيكم سماعون لهم والله عليم بالظالمين لقد ابتغوا الفتنة من قبل وقلبوا لك الامور حتى جاء الحق وظهر امر الله وهم كارهون ومنهم من يقول ائذن لي ولا تفتني الا في الفتنة سقطوا وان جهنم لمحيطة بالكافرين ان تصبك حسنة تسؤهم وان تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا امرنا من قبل و يتولوا وهم فرحون قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المؤمنون قل هل تربصون بنا الا احدى الحسنيين ونحن نتربص بكم ان يصيبكم الله بعذاب من عنده او بايدينا فتربصوا انا معكم متربصون قل انفقوا طوعا او كرها لن يتقبل منكم

مغزاكم (وفيكم سماعون لهم) اى نمامون يسمعون حديثكم فينقلونه اليهم اوفيكم قوم يسمعون المنافقين و يطيعونهم (لقد ابتغوا الفتنة) أي العنت و نصب الغوائل والسعي في تشتيت شملك و تفريق أصحابك عنك كما فعل عبد الله ابن ابي يوم أحد حين انصرف بمن معه وعن ابن جريج رضي الله عنه وقفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الثنية ليلة العقبة وهم اثنا عشر رجلا ليفتكوا به (من قبل) من قبل غزوة تبوك (وقلبوا لك الامور) ودبروا لك الحيل والمكايد ودوروا الآراء في ابطال امرك وقرئ وقلبوا بالتخفيف (حتى جاء الحق) وهو تاييدك ونصرك (وظهر أمر الله) وغلب دينه وعلا شرعه (ائذن لي) في القعود (ولا تفتني) ولا توقعني في الفتنة وهي الاثم بان لا تأذن لي فاني ان تخلفت بغير اذنك اثمت وقيل ولا تلقني في الهلكة فاني اذا خرجت معك هلك مالي وعيالي وقيل قال الجد بن قيس قد علمت الانصار اني مستهتر بالنساء فلا تفتني ببنات الاصفر يعني نساء الروم ولكني اعينك بمال فاتركني وقرئ ولا تفتني من أفتنه (ألا في الفتنة سقطوا) اى ان الفتنة هي التي سقطوا فيها وهي فتنة التخلف وفي مصحف ابي رضي الله عنه سقط لان من موحد اللفظ مجموع المعنى (لمحيطة بالكافرين) يعني انها تحيط بهم يوم القيامة اوهي محيطة بهم الآن لان اسباب الاحاطة معهم فكانهم في وسطها (ان تصبك) في بعض الغزوات (حسنة) ظفر وغنيمة (تسؤهم وان تصبك مصيبة) نكبة وشدة في بعضها نحو ما جرى في يوم احد يفرحوا بحالهم في الانحراف عنك و (يقولوا قد اخذنا امرنا) اى امرنا الذى نحن متسمون به من الحذر والتيقظ والعمل بالحزم (من قبل) من قبل ما وقع * و تولوا عن مقام التحدث بذلك والاجتماع له الى أهاليهم (وهم فرحون) مسرورون وقيل تولوا اعرضوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم * قرأ ابن مسعود رضي الله عنه قل هل يصيبنا وقرأ طلحة رضي الله عنه هل يصيبنا بتشديد الياء ووجهه ان يكون يفيعل لا يفعل لانه من بنات الواو كقولهم الصواب وصاب السهم يصوب ومصاوب في جمع مصيبة فحق يفعل منه يصوب الا ترى الى قولهم صوب رأيه الا ان يكون من لغة من يقول صاب السهم يصيب ومن قوله اسهمي الصائبات والصيب واللام في قوله (الا ما كتب الله لنا) مفيدة معنى الاختصاص كانه قيل لن يصيبنا الا ما اختصنا الله باثباته وايجابه من النصرة عليكم اوالشهادة الا ترى الى قوله (هو مولانا) اى الذى يتولانا ونتولاه فذلك بان الله مولى الذين آمنوا وان الكافرين لا مولى لهم (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) وحق المؤمنين ان لا يتوكلوا على غير الله فليفعلوا ما هو حقهم (الا احدى الحسنيين) الا احدى العاقبتين اللتين كل واحدة منهما هي حسنى العواقب وهما النصرة والشهادة (ونحن نتربص بكم) احدى السوأتين من العواقب اما (ان يصيبكم الله بعذاب من عنده) وهو قارعة من السماء كما نزلت على عاد وثمود (او بعذاب (بايدينا) وهو القتل على الكفر (فتربصوا) بنا ما ذكرنا من عواقبنا (انا معكم متربصون) ما هو عاقبتكم فلا بد ان يلقى كلنا ما يتربصه لا يتجاوزه (انفقوا) يعني في سبيل الله ووجوه البر (طوعا اوكرها) نصب على الحال اى طائعين اومكرهين (فان قلت) كيف امرهم بالانفاق ثم قال (لن يتقبل منكم) (قلت) هو امر في معنى الخبر كقوله تبارك وتعالى قل من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن مدا ومعناه لن يتقبل منكم انفقتم طوعا اوكرها ونحوه قوله تعالى استغفر لهم اولا تستغفر لهم وقوله

* أسيئي بنا او أحسني لا ملومة * اى لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم ولا نلومك أسأت الينا ام احسنت (فان قلت) متى يجوز نحو هذا (قلت) اذا دل الكلام عليه كما جاز عكسه في قولك رحم الله زيدا وغفر له (فان قلت) لم فعل ذلك (قلت) لنكتة فيه وهي ان كثيرا كانه يقول لعزة امتحني لطف محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة كنت اومحسنة وفي معناه قول القائل

أخوك الذي ان قمت بالسيف عامدا * لتضربه لم يستغشك في الود

وكذلك المعنى انفقوا وانظروا هل يتقبل منكم واستغفر لهم اولا تستغفر لهم وانظر هل ترى اختلافا بين حال الاستغفار وتركه (فان قلت) ما الغرض في نفي التقبل أهو ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم

تقبله منهم ورده عليهم ما يبذلون منه أم هو كونه غير مقبول عنه الله تعالى ذاهبا هباء لا ثواب له (قلت) يحتمل الامرين جميعا وقوله طوعا او كرها معناه طائعين من غير الزام من الله ورسوله او ملزمين وسمى الالزام اكراها لانهم منافقون فكان الزامهم الانفاق شاقا عليهم كالاكراه او طائعين من غير اكراه من رؤسائكم لان رؤساء اهل النفاق كانوا يحملون على الانفاق لما يرون من المصلحة فيه او مكرهين من جهتهم وروى انها نزلت فى الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالى اعينك به فاتركنى (انكم) تعليل لرد انفاقهم * والمراد بالفسق التمرد والعتو (انهم) فاعل منع وهم وان تقبل مفعولاه * وقرئ ان تقبل بالتاء والياء على البناء للمفعول ونفقاتهم ونفقتهم على الجمع والتوحيد وقرأ السلمي ان يقبل منهم نفقاتهم على ان الفعل لله عز وجل (كسالى) بالضم والفتح جمع كسلان نحو سكارى وغيارى فى جمع سكران وغيران وكسلهم لانهم لا يرجون بصلاتهم ثوابا ولا يخشون بتركها عقابا فهي ثقيلة عليهم كقوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين وقرأت فى بعض الاخبار ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كره للمؤمن ان يقول كسلت كانه ذهب الى هذه الآية فان الكسل من صفات المنافقين فما ينبغي ان يسنده المؤمن الى نفسه * (فان قلت) الكراهية خلاف الطواعية وقد جعلهم الله تعالى طائعين فى قوله طوعا ثم وصفهم بانهم لا ينفقون الا وهم كارهون (قلت) المراد بطوعهم انهم يبذلونه من غير الزام من رسول الله صلى الله عليه وسلم او من رؤسائهم وما طوعهم ذاك الا عن كراهية واضطرار لا عن رغبة واختيار * الاعجاب بالشيء ان يسر به سرور راض به متعجب من حسنه والمعنى فلا تستحسن ولا افتتن بما أوتوا من زينة الدنيا كقوله تعالى ولا تمدن عينيك فان الله تعالى انما اعطاهم ما اعطاهم للعذاب بان عرضه للتغنم والسبي وبلاهم فيه بالآفات والمصائب وكلفهم الانفاق منه فى ابواب الخير وهم كارهون له على رغم انوفهم واذاقهم انواع الكلف والمجاشم فى جمعه واكتسابه وفى تربية اولادهم * (فان قلت) ان صح تعليق التعذيب بارادة الله تعالى فما بال زهوق انفسهم (وهم كارهون) (قلت) المراد الاستدراج بالنعم كقوله تعالى انما نملي لهم ليزدادوا اثما كانه قيل ويريد ان يديم عليهم نعمته الى ان يموتوا وهم كافرون ملتهون بالتمتع عن النظر للعاقبة (لمنكم) لمن جملة المسلمين (يفرقون) يخافون القتل وما يفعل بالمشركين فيتظاهرون بالاسلام تقية (ملجأ) مكانا يلجؤن اليه متحصنين به من رأس جبل اوقلعة اوجزيرة (او مغارات) اوغيرانا وقرئ بضم الميم من اغار الرجل وغار اذا دخل الغور وقيل هو تعدية غار الشيء واغرته انا يعنى امكنة يغيرون فيها اشخاصهم ويجوز ان يكون من اغار الثعلب اذا اسرع بمعنى مهارب ومفار (او مدخلا) او نفقا يندسون فيه وينجحرون وهو مفتعل من الدخول * وقرئ مدخلا من دخل ومدخلا من ادخل مكانا يدخلون فيه أنفسهم وقرأ أبي بن كعب رضى الله عنه متدخلا وقرئ لوألوا اليه لالتجؤا اليه (يجمحون) يسرعون اسراعا لا يردهم شيء من الفرس الجموح وهو الذى اذا حمل لم يرده اللجام وقرأ أنس رضي الله عنه يجمزون فسئل فقال يجمحون ويجمزون ويشتدون واحد (يلمزك) يعيبك فى قسمة الصدقات ويطعن عليك قيل هم المؤلفة قلوبهم وقيل هو ابن ذى الخويصرة رأس الخوارج كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقسم غنائم حنين فقال اعدل يا رسول الله فقال صلوات الله عليه وسلامه ويلك ان لم اعدل فمن يعدل وقيل هو أبو الجواظ من المنافقين قال الا ترون الى صاحبكم انما يقسم صدقاتكم فى رعاة الغنم وهو يزعم انه يعدل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أبا لك اما كان موسى راعيا اما كان داود راعيا فلما ذهب قال عليه الصلاة والسلام احذروا هذا واصحابه فانهم منافقون وقرئ يلمزك بالضم ويلمزك ويلامزك التثقيل والبناء على المفاعلة مبالغة فى اللمز * ثم وصفهم بان رضاهم وسخطهم لانفسهم لا للدين وما فيه صلاح اهله لان رسول الله صلى الله عليه وسلم استعطف قلوب أهل مكة يومئذ بتوفير الغنائم عليهم فضجر المنافقون منه * واذا للمفاجاة اى وان لم يعطوا منها فاجؤا السخط * جواب لو محذوف تقديره ولو انهم رضوا لكان خيرا لهم والمعنى ولو انهم رضوا ما اصابهم به الرسول من الغنيمة وطابت به نفوسهم وان قل نصيبهم وقالوا كفانا فضل الله وصنعه وحسبنا

انكم كنتم قوما فاسقين وما منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة الا وهم كسالى ولا ينفقون الا وهم كارهون فلا تعجبك اموالهم ولا اولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق انفسهم وهم كافرون ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون لو يجدون ملجأ او مغارات او مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون ومنهم من يلمزك فى الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون ولو انهم رضوا ما آتاهم الله ورسوله وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله من فضله ورسوله انا الى الله راغبون

* قوله تعالى انما الصدقات للفقراء الآية الى آخرها (قال هذا قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها الخ) قال احمد وهو مذهب مالك رضي الله عنه والقول بوجوب صرفها الى جميع الاصناف حتى لا يجوز ترك صنف واحد منها اخذا من اشعار اللام بالتمليك كما ذهب اليه الشافعي لا يسعده السياق فان الآية مصدرة بكلمة الحصر الدالة على ان غيرهم لا يستحق فيها نصيبا فهذا هو الغرض الذي سيقت له فلا اقتضاء فيها لما سواه والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة الخ) قال احمد وثم سر آخر هو اظهر واقرب وذلك ان الاصناف الاربعة الاوائل ملاك لما عساه يدفع اليهم وانما يأخذونه ملكا فكان دخول اللام لائقا بهم واما الاربعة الاواخر فلا يملكون ما يصرف نحوهم بل ولا يصرف اليهم ولكن في مصالح تتعلق بهم فالمال الذي يصرف في الرقاب انما يتناوله السادة المكاتبون والبائعون فليس نصيبهم مصروفا الى ايديهم حتى يعبر عن ذلك باللام المشعرة بتملكهم لما يصرف نحوهم

انما الصدقات للفقراء والمساكين والعاملين عليها والمؤلفة قلوبهم وفي الرقاب والغارمين وفي سبيل الله وابن السبيل فريضة من الله والله عليم حكيم ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم يحلفون بالله لكم ليرضوكم والله ورسوله احق ان يرضوه ان كانوا مؤمنين الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله فان له

ما قسم لنا سيرزقنا الله غنيمة اخرى فيؤتينا رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر مما آتانا اليوم (انا الى الله) في ان يغنمنا ويخولنا فضله لراغبون (انما الصدقات للفقراء) قصر لجنس الصدقات على الاصناف المعدودة وانها مختصة بها لا تتجاوزها الى غيرها كانه قيل انما هي لهم لا لغيرهم ونحوه قولك انما الخلافة لقريش تريد لا تتعداهم ولا تكون لغيرهم فيحتمل ان تصرف الى الاصناف كلها وان تصرف الى بعضها وعليه مذهب ابي حنيفة رضي الله عنه وعن حذيفة وابن عباس وغيرهما من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أنهم قالوا في اي صنف منها وضعتها اجزأك وعن سعيد بن جبير رضي الله عنه لو نظرت الى اهل بيت من المسلمين فقراء متعففين فجبرتهم بها كان احب الي وعند الشافعي رضي الله عنه لا بد من صرفها الى الاصناف الثمانية وعن عكرمة رضي الله عنه انها تفرق في الاصناف الثمانية وعن الزهري انه كتب لعمر بن عبد العزيز تفريق الصدقات على الاصناف الثمانية (والعاملين عليها) السعاة الذين يقبضونها (والمؤلفة قلوبهم) اشراف من العرب كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستألفهم على ان يسلموا فيرضخ لهم شيأ منها حين كان في المسلمين قلة * والرقاب المكاتبون يعانون منها وقيل الاسارى وقيل تبتاع الرقاب فتعتق (والغارمين) الذين ركبتهم الديون ولا يملكون بعدها ما يبلغ النصاب وقيل الذين تحملوا الحمالات فتداينوا فيها وغرموا (وفي سبيل الله) فقراء الغزاة والحجيج المنقطع بهم (وابن السبيل) المسافر المنقطع عن ماله فهو فقير حيث هو غني حيث ماله (فريضة من الله) في معنى المصدر المؤكد لان قوله انما الصدقات للفقراء معناه فرض الله الصدقات لهم وقرئ فريضة بالرفع على تلك فريضة (فان قلت) لم عدل عن اللام الى في في الاربعة الاخيرة (قلت) للايذان بانهم ارسخ في استحقاق التصدق عليهم ممن سبق ذكره لان في للوعاء فنبه على انهم احقاء بان توضع فيهم الصدقات ويجعلوا مظنة لها ومصبا وذلك لما في فك الرقاب من الكتابة او الرق او الاسر وفي فك الغارمين من الغرم من التخليص والانقاذ ولجمع الغازي الفقير او المنقطع في الحج بين الفقر والعبادة وكذلك ابن السبيل جامع بين الفقر والغربة عن الاهل والمال وتكرير في في قوله وفي سبيل الله وابن السبيل فيه فضل ترجيح لهذين على الرقاب والغارمين (فان قلت) فكيف وقعت هذه الآية في تضاعيف ذكر المنافقين ومكايدهم (قلت) دل بكون هذه الاصناف مصارف الصدقات خاصة دون غيرهم على انهم ليسوا منهم حسما لاطماعهم واشعارا باستيجابهم الحرمان وانهم بعداء عنها وعن مصارفها فما لهم وما لها وما سلطهم

وانما هم محال لهذا الصرف والمصلحة المتعلقة به وكذلك العاملون انما يصرف نصيبهم لارباب ديونهم على تخليص الذممهم لا لهم واما سبيل الله فواضح فيه ذلك واما ابن السبيل فكانه كان مندرجا في سبيل الله وانما افرد بالذكر تنبيها على خصوصيته مع انه مجرد من الحرفين جميعا وعطفه على المجرور باللام ممكن ولكنه على القريب منه اقرب والله اعلم وكان جدي ابو العباس احمد بن فارس الفقيه الوزير استنبط من تغاير الحرفين المذكورين وجها في الاستدلال لمالك على ان الغرض بيان المصرف واللام لذلك لام الملك فيقول متعلق الجار الواقع خبرا عن الصدقات محذوف فيتعين تقديره فاما ان يكون التقدير انما الصدقات مصروفة للفقراء كقول مالك او مملوكة للفقراء كقول الشافعي لكن الاول متعين لانه تقدير يكتفى به في الحرفين جميعا يصح تعلق اللام به وفي معا فيصح ان تقول هذا الشيء مصروف في كذا بخلاف تقديره مملوكة فانه انما يلتئم مع اللام وعند الانتهاء الى في يحتاج الى تقدير مصروفة ليلتئم بها فتقديره من اللام عام التعلق شامل الصحة متعين والله الموفق

على التكلم فيها ولمزقاسمها صلوات الله عليه وسلامه * الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع و يقبل قول كل احد سمي بالجارحة التي هي آلة السماع كان جملته اذن سامعة ونظيره قولهم للر بيئة عين * وايذاؤهم له هو قولهم فيه هواذن * واذن خير كقولك رجل صدق تريد الجودة والصلاح كانه قيل نعم هو اذن ولكن نعم الاذن ويجوز ان يريد هو اذن فى الخير والحق وفيما يجب سماعه وقبوله وليس باذن فى غير ذلك ودل عليه قراءة حمزة ورحمة بالجر عطفا عليه اى هو اذن خير ورحمة لا يسمع غيرهما ولا يقبله * ثم فسر كونه أذن خير بانه يصدق بالله لما قام عنده من الادلة و يقبل من المؤمنين الخلص من المهاجرين والانصار وهو رحمة لمن آمن منكم اى اظهر الايمان أيها المنافقون حيث يسمع منكم و يقبل ايمانكم الظاهر ولا يكشف اسراركم ولا يفضحكم ولا يفعل بكم ما فعل بالمشركين مراعاة لما رأى الله من المصلحة فى الابقاء عليكم فهو اذن كما قلتم الا انه اذن خير لكم لا اذن سوء فسلم لهم قولهم فيه الا انه فسر بما هو مدح له وثناء عليه وان كانوا قصدوا به المذمة والتقصير بفطنته وشهامته وانه من اهل سلامة القلوب والغرة وقيل ان جماعة منهم ذموه صلوات الله عليه وسلامه وبلغه ذلك فاشتغلت قلوبهم فقال بعضهم لا عليكم فانما هو اذن سامعة قد سمع كلام المبلغ فاذن ونحن نأتيه ونعتذر اليه فيسمع عذرنا ايضا فيرضي فقيل هو اذن خير لكم وقرئ اذن خير لكم على ان اذن خبر مبتدا محذوف وخير كذلك اى هو اذن هو خير لكم يعني ان كان كما تقولون فهو خير لكم لانه يقبل معاذيركم ولا يكافئكم على سوء دخلتكم وقرأ نافع بتخفيف الذال * (فان قلت) لم عدى فعل الايمان بالباء الى الله تعالى والى المؤمنين باللام (قلت) لانه قصد التصديق بالله الذى هو نقيض الكفر به فعدى بالباء وقصد السماع من المؤمنين وان يسلم لهم ما يقولونه و يصدقه لكونهم صادقين عنده فعدى باللام الا ترى الى قوله وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين ما أنباه عن الباء ونحوه فما آمن لموسى الا ذرية من قومه انؤمن لك واتبعك الارذلون آمنتم له قبل ان آذن لكم (فان قلت) ما وجه قراءة ابن أبي عبلة ورحمة بالنصب (قلت) هي علة معللها محذوف تقديره ورحمة لكم يأذن لكم فحذف لان قوله اذن خير لكم يدل عليه (لكم ليرضوكم) الخطاب للمسلمين وكان المنافقون يتكلمون بالمطاعن او يتخلفون عن الجهاد ثم يأتونهم فيعتذرون اليهم و يؤكدون معاذيرهم بالحلف ليعذروهم و يرضوا عنهم فقيل لهم ان كنتم مؤمنين كما تزعمون فاحق من أرضيتم الله ورسوله بالطاعة والوفاق * وانما وحد الضمير لانه لا تفاوت بين رضا الله ورضا رسوله صلى الله عليه وسلم فكانا فى حكم مرضي واحد كقولك احسان زيد واجماله نعشني وجبر مني او والله أحق ان يرضوه ورسوله كذلك * المحادة مفاعلة من الحد كالمشاقة من الشق (فان له) على حذف الخبر اى فحق ان له (نار جهنم) وقيل معناه فله وان تكرير لان في قوله انه تأكيدا و يجوز ان يكون فان له معطوفا على انه على ان الجواب محذوف تقديره الم يعلموا انه من يحادد الله ورسوله يهلك فان له نار جهنم وقرئ الم تعلموا بالتاء * كانوا يستهزؤن بالاسلام واهله وكانوا يحذرون ان يفضحهم الله بالوحي فيهم حتى قال بعضهم والله لا ارانا الا شر خلق الله لوددت انى قدمت فجلدت مائة جلدة وان لا ينزل فينا شيء يفضحنا * والضمير في عليهم و تنبئهم للمؤمنين وفى قلوبهم للمنافقين وصح ذلك لان المعنى يقود اليه و يجوز ان تكون الضمائر للمنافقين لان السورة اذا نزلت فى معناهم فهي نازلة عليهم ومعنى تنبئهم بما فى قلوبهم كانها تقول لهم فى قلوبكم كيت وكيت يعني انها تذيع اسرارهم عليهم حتى يسمعوها مذاعة منتشرة فكانها تخبرهم بها وقيل معنى يحذر الامر بالحذر اى ليحذر المنافقون (فان قلت) الحذر واقع على انزال السورة فى قوله (يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة) فما معنى قوله (مخرج ما تحذرون) (قلت) معناه محصل مبرز انزال السورة او ان الله مظهر ما كنتم تحذرونه اى تحذرون اظهاره من نفاقكم بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى غزوة تبوك وركب من المنافقين يسيرون بين يديه فقالوا انظروا الى هذا الرجل يريد ان يفتتح قصور الشام وحصونه هيهات هيهات فاطلع الله نبيه عليه السلام على ذلك فقال احبسوا على الركب فأتاهم فقال قلتم كذا وكذا فقالوا يا نبي الله لا والله ما كنا فى شيء من

نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزى العظيم يحذر المنافقون ان تنزل عليهم سورة تنبئهم بما فى قلوبهم قل استهزؤا ان الله مخرج ما تحذرون ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل

* قوله تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي و يقولون هو اذن قل اذن خير لكم يؤمن بالله يؤمن للمؤمنين (قال الاذن الرجل الذى يصدق كل ما يسمع سمى الرجل بالجارحة التي هي آلة السماع الخ) قال احمد لا شيء ابلغ من الرد عليهم بهذا الوجه لانه فى الاول اطماع لهم بالموافقة ثم كر على طمعهم بالحسم واعقبهم في تنقصه باليأس منه و يضاهى هذا من مستعملات الفقهاء القول بالموجب لان فى اوله اطماعا للخصم بالتسليم ثم بتا للطمع على قرب ولا شيء اقطع من الاطماع ثم اليأس يتلوه و يعقبه والله الموفق

أبالله وآياته ورسوله كنتم
تستهزؤن لا تعتذروا
قد كفرتم بعد ايمانكم
ان نعف عن طائفة منكم
نعذب طائفة بانهم كانوا
مجرمين المنافقون
والمنافقات بعضهم من
بعض يامرون بالمنكر
وينهون عن المعروف
ويقبضون ايديهم نسوا
الله فنسيهم ان المنافقين
هم الفاسقون وعد الله
المنافقين والمنافقات
والكفار نار جهنم
خالدين فيها هي حسبهم
ولعنهم الله ولهم عذاب
مقيم كالذين من قبلكم
كانوا اشد منكم قوة
وأكثر اموالا واولادا
فاستمتعوا بخلاقهم
فاستمتعتم بخلاقكم كما
استمتع الذين من قبلكم
بخلاقهم وخضتم كالذي
خاضوا اولئك حبطت
اعمالهم في الدنيا
والآخرة واولئك هم
الخاسرون الم ياتهم نبا
الذين من قبلهم قوم
نوح وعاد وثمود وقوم
ابراهيم واصحاب مدين
والمؤتفكات اتتهم
رسلهم بالبينات

امرك ولا من امر أصحابك ولكن كنا فى شيء مما يخوض فيه الركب ليقصر بعضنا على بعض السفر (أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن) لم يعبا باعتذارهم لانهم كانوا كاذبين فيه فجعلوا كانهم معترفون باستهزائهم وبانه موجود منهم حتى وبخوا باخطائهم موقع الاستهزاء حيث جعل المستهزأ به يلي حرف التقرير وذلك انما يستقيم بعد وقوع الاستهزاء وثبوته (لا تعتذروا) لا تشتغلوا باعتذاراتكم الكاذبة فانها لا تنفعكم بعد ظهور سركم (قد كفرتم) قد ظهر كفركم باستهزائكم (بعد ايمانكم) بعد اظهاركم الايمان (ان نعف عن طائفة منكم) باحداثهم التوبة واخلاصهم الايمان بعد النفاق (نعذب طائفة بانهم كانوا مجرمين) مصرين على النفاق غير تائبين منه اوان نعف عن طائفة منكم لم يؤذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يستهزؤا فلم نعذبهم فى العاجل نعذب فى العاجل طائفة بانهم كانوا مجرمين مؤذين لرسول الله صلى الله عليه وسلم مستهزئين * وقرأ مجاهد ان تعف عن طائفة على البناء للمفعول مع التانيث والوجه التذكير لان المسند اليه الظرف كما تقول سير بالدابة ولا تقول سيرت بالدابة ولكنه ذهب الى المعنى كانه قيل ان ترحم طائفة فانث لذلك وهو غريب والجيد قراءة العامة ان يعف عن طائفة بالتذكير وتعذب طائفة بالتانيث * وقرئ ان يعف عن طائفة يعذب طائفة على البناء للفاعل وهو الله عزوجل (بعضهم من بعض) اريد به نفي ان يكونوا من المؤمنين وتكذيبهم فى قولهم ويحلفون بالله انهم لمنكم وتقرير قوله وما هم منكم ثم وصفهم بما يدل على مضادة حالهم لحال المؤمنين (يامرون بالمنكر) بالكفر والمعاصي (وينهون عن المعروف) عن الايمان والطاعات (ويقبضون ايديهم) شحا بالمبار والصدقات والانفاق فى سبيل الله (نسوا الله) اغفلوا ذكره (فنسيهم) فتركهم من رحمته وفضله (هم الفاسقون) هم الكاملون فى الفسق الذى هو التمرد فى الكفر والانسلاخ عن كل خير وكفى المسلم زاجرا ان يلم بما يكسبه هذا الاسم الفاحش الذى وصف الله به المنافقين حين بالغ فى ذمهم واذا كره رسول الله صلى الله عليه وسلم للمسلم ان يقول كسلت لان المنافقين وصفوا بالكسل فى قوله كسالى فما ظنك بالفسق (خالدين فيها) مقدرين الخلود (هى حسبهم) دلالة على عظم عذابها وانه لا شيء ابلغ منه وانه بحيث لا يزاد عليه نعوذ بالله من سخطه وعذابه (ولعنهم الله) واهانهم مع التعذيب وجعلهم مذمومين ملحقين بالشياطين الملاعين كما عظم أهل الجنة والحقهم بالملائكة المكرمين (ولهم عذاب مقيم) ولهم نوع من العذاب سوى الصلى بالنار مقيم دائم كعذاب النار ويجوز ان يريد ولهم عذاب مقيم معهم فى العاجل لا ينفكون عنه وهو ما يقاسونه من تعب النفاق والظاهر المخالف للباطن خوفا من المسلمين وما يحذرونه ابدا من الفضيحة ونزول العذاب ان اطلع على اسرارهم * الكاف محلها رفع على انتم مثل الذين من قبلكم او نصب على فعلتم مثل ما فعل الذين من قبلكم وهو انكم استمتعتم وخضتم كما استمتعوا وخاضوا ونحوه قول النمر * كاليوم مطلوبا ولا طلبا * باضمار لم ار وقوله (كانوا اشد منكم قوة) تفسير لتشبيههم بهم وتمثيل فعلهم بفعلهم * والخلاق النصيب وهو ما خلق للانسان اى قدر من خير كما قيل له قسم لانه قسم ونصيب لانه نصب اى اثبت * والخوض الدخول فى الباطل واللهو (كالذى خاضوا) كالفوج الذى خاضوا او كالخوض الذى خاضوه (فان قلت) اى فائدة فى قوله فاستمتعوا بخلاقهم وقوله كما استمتع الذين من قبلكم بخلاقهم مغن عنه كما اغنى قوله كالذى خاضوا عن ان يقال وخاضوا فخضتم كالذى خاضوا (قلت) فائدته ان يذم الاولين بالاستمتاع بما اوتوا من حظوظ الدنيا ورضاهم بها والتهائهم بشهواتهم الفانية عن النظر فى العاقبة وطلب الفلاح فى الآخرة وان يخسس امر الاستمتاع ويهجن امر الراضي به ثم يشبه بعد ذلك حال المخاطبين بحالهم كما تريد ان تنبه بعض الظلمة على سماجة فعله فتقول انت مثل فرعون كان يقتل بغير جرم ويعذب ويعسف وانت تفعل مثل فعله واما وخضتم كالذى خاضوا فمعطوف على ما قبله مستند اليه مستغن باستناده اليه عن تلك التقدمة (حبطت اعمالهم فى الدنيا والآخرة) نقيض قوله وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الآخرة لمن الصالحين (واصحاب مدين) واهل مدين وهم قوم شعيب (والمؤتفكات) مدائن قوم لوط وقيل

قريات قوم لوط وهود وصالح وائتفا كهن انقلاب أحوالهن عن الخير الى الشر (فما كان الله ليظلمهم) فما صح منه ان يظلمهم وهو حكيم لا يجوز عليه القبيح وان يعاقبهم بغير جرم ولكن ظلموا أنفسهم حيث كفروا به فاستحقوا عقابه (بعضهم أولياء بعض) في مقابلة قوله في المنافقين بعضهم من بعض (سيرحمهم الله) السين مفيدة وجود الرحمة لا محالة فهي تؤكد الوعد كما تؤكد الوعيد في قولك سانتقم منك يوما تعني انك لا تفوتني وان تباطأ ذلك ونحوه سيجعل لهم الرحمن ودا ولسوف يعطيك ربك فترضى سوف يؤتيهم أجورهم (عزيز) غالب على كل شيء قادر عليه فهو يقدر على الثواب والعقاب (حكيم) واضع كلا موضعه على حسب الاستحقاق (ومساكن طيبة) عن الحسن قصورا من اللؤلؤ والياقوت الاحمر والزبرجد * وعدن علم بدليل قوله جنات عدن التي وعد الرحمن ويدل عليه ما روى ابو الدرداء رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عدن دار الله التي لم ترها عين ولم تخطر على قلب بشر لا يسكنها غير ثلاثة النبيون والصديقون والشهداء يقول الله تعالى طوبى لمن دخلك وقيل هي مدينة في الجنة وقيل نهر جناته على حافاته (ورضوان من الله أكبر) وشيء من رضوان الله أكبر من ذلك كله لان رضاه هو سبب كل فوز وسعادة ولانهم ينالون برضاه عنهم تعظيمه وكرامته والكرامة اكبر اصناف الثواب ولان العبد اذا علم ان مولاه راض عنه فهو أكبر في نفسه مما وراءه من النعم وانما تتهنأ له برضاه كما اذا علم بسخطته تنغصت عليه ولم يجد لها لذة وان عظمت وسمعت بعض اولي الهمة البعيدة والنفس المرة من مشايخنا يقول لا تطمح عيني ولا تنازع نفسي الى شيء مما وعد الله في دار الكرامة كما تطمح وتنازع الى رضاه عني وان أحشر في زمرة المهذبين المرضيين عنده (ذلك) اشارة الى ما وعد الله او الى الرضوان اي هو (الفوز العظيم) وحده دون ما يعده الناس فوزا وروى ان الله عز وجل يقول لاهل الجنة هل رضيتم فيقولون وما لنا لا نرضى وقد اعطيتنا ما لم تعط احدا من خلقك فيقول انا اعطيكم افضل من ذلك قالوا واي شيء أفضل من ذلك قال ادخل عليكم رضواني فلا اسخط عليكم ابدا (جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) في الجهادين جميعا ولا تحابهم وكل من وقف منه على فساد في العقيدة فهذا الحكم ثابت فيه يجاهد بالحجة وتستعمل معه الغلظة ما امكن منها عن ابن مسعود ان لم يستطع بيده فبلسانه فان لم يستطع فليكفهر في وجهه فان لم يستطع فبقلبه يريد الكراهة والبغضاء والتبرأ منه وقد حمل الحسن جهاد المنافقين على اقامة الحدود عليهم اذا تعاطوا اسبابها * اقام رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك شهرين ينزل عليه القرآن ويعيب المنافقين المتخلفين فيسمع من معه منهم منهم الجلاس بن سويد فقال الجلاس والله لئن كان ما يقول محمد حقا لاخواننا الذين خلفناهم وهم ساداتنا واشرافنا فنحن شر من الحمير فقال عامر بن قيس الانصاري للجلاس اجل والله ان محمدا الصادق وانت شر من الحمار وبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستحضر فحلف بالله ما قال فرفع عامر يده فقال اللهم أنزل على عبدك ونبيك تصديق الكاذب وتكذيب الصادق فنزلت (يحلفون بالله ما قالوا) فقال الجلاس يا رسول الله لقد عرض الله على التوبة والله لقد قلته وصدق عامر فتاب الجلاس وحسنت توبته (وكفروا بعد اسلامهم) واظهروا كفرهم بعد اظهارهم الاسلام (وهموا بما لم ينالوا) وهو الفتك برسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك عند مرجعه من تبوك تواثق خمسة عشر منهم على أن يدفعوه عن راحلته الى الوادي اذا تسنم العقبة بالليل فاخذ عمار بن ياسر بخطام راحلته يقودها وحذيفة خلفها يسوقها فبينما هما كذلك اذ سمع حذيفة بوقع اخفاف الابل وبقعقعة السلاح فالتفت فاذا قوم متلثمون فقال اليكم اليكم يا اعداء الله فهربوا وقيل هم المنافقون بقتل عامر لرده على الجلاس وقيل ارادوا ان يتوجوا عبد الله بن ابي وان لم يرض رسول الله صلى الله عليه وسلم (وما نقموا) وما انكروا وما عابوا (الا ان اغناهم الله) وذلك انهم كانوا حين قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة في ضنك من العيش لا يركبون الخيل ولا يحوزون الغنيمة فاثروا بالغنائم وقتل للجلاس مولى فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بديته اثني عشر الفا فاستغنى (فان يتوبوا) هي الآية التي تاب عندها الجلاس (في الدنيا والآخرة) بالقتل والنار * روى ان ثعلبة ابن حاطب قال يا رسول الله ادع الله ان يرزقني مالا فقال صلى الله عليه وسلم يا ثعلبة قليل تؤدي شكره خير من

فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون والمؤمنون والمؤمنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلوة ويؤتون الزكوة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله ان الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز العظيم يايها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وماواهم جهنم وبئس المصير يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا بعد اسلامهم وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا ان اغناهم الله ورسوله من فضله فان يتوبوا يك خيرا لهم وان يتولوا يعذبهم الله عذابا اليما في الدنيا والآخرة وما لهم في الارض من ولي ولا نصير ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله لنصدقن ولنكونن

* قوله تعالى يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم (قال معناه جاهد الكفار بالسيف والمنافقين بالحجة الخ)

قال احمد والحمد لله الذي انطقه بالحجة لنا في اغلاط عليه احيانا والله الموفق * قوله تعالى استغفر لهم اولا تستغفر لهم الخ (قال قد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر الخ) قال أحمد وما يدعيه الزمخشري في هذا وامثاله من محذوف هو المقصود بالامر وهذا واقع موقعه كقول كثير عزة * أسيء بنا او أحسني لاملومة * كانه يقول لها امتحني محلك عندي وقوة محبتي لك وعامليني بالاساءة والاحسان وانظري هل يتفاوت حالي معك مسيئة او محسنة وكذلك معنى الآية استغفر لهم اولا تستغفر لهم وانظر هل يغفر لهم في حالتي الاستغفار وتركه وهل يتفاوت الحالان اولا قال احمد وقد ورد بصيغة الخبر في الآية الاخرى في قوله تعالى سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم عاد كلامه (قال فان قلت كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح من نطق بالضاد الخ) قال احمد وقد انكر القاضي رضي الله عنه حديث الاستغفار ولم يصححه وتغالى قوم في قبوله حتى انهم اتخذوه عمدة في مفهوم المخالفة وبنوه على انه عليه السلام فهم من تحديد نفي الغفران بالسبعين ثبوت الغفران بالزائد عليه وذلك سبب انكار القاضي عليهم وتمثيلا نه

من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون فاعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون ألم يعلموا ان الله يعلم سرهم ونجواهم وان الله علام الغيوب الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب اليم استغفر لهم اولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بانهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين فرح

كثيرا لا تطيقه فراجعه وقال والذي بعثك بالحق لئن رزقني الله مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له فاتخذ غنما فنمت كما ينمي الدود حتى ضاقت بها المدينة فنزل واديا وانقطع عن الجماعة والجمعة فسال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقيل كثر ماله حتى لا يسعه واد فقال يا ويح ثعلبة فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقين لاخذ الصدقات فاستقبلهما الناس بصدقاتهم ومرا بثعلبة فسالاه الصدقة وأقرآه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي فيه الفرائض فقال ما هذه الا جزية ما هذه الا أخت الجزية وقال ارجعا حتى ارى رأيي فلما رجعا قال لهما رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل ان يكلماه يا ويح ثعلبة مرتين فنزلت فجاءه ثعلبة بالصدقة فقال ان الله منعني ان أقبل منك فجعل التراب على رأسه فقال هذا عملك قد أمرتك فلم تطعني فقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء بها الى ابي بكر رضي الله عنه فلم يقبلها وجاء بها الى عمر رضي الله عنه في خلافته فلم يقبلها وهلك في زمان عثمان رضي الله عنه * وقرئ لنصدقن ولنكونن بالنون الخفيفة فيهما (من الصالحين) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد الحج (فاعقبهم) عن الحسن وقتادة رضي الله عنهما ان الضمير للبخل يعني فاورثهم البخل (نفاقا) متمكنا (في قلوبهم) لانه كان سببا فيه وداعيا اليه والظاهر ان الضمير لله عز وجل والمعنى فخذلهم حتى نافقوا وتمكن في قلوبهم نفاقهم فلا ينفك عنها الى ان يموتوا بسبب اخلافهم ما وعدوا الله من التصدق والصلاح وكونهم كاذبين ومنه جعل خلف الوعد ثلث النفاق * وقرئ يكذبون بالتشديد والم تعلموا بالتاء عن علي رضي الله عنه (سرهم ونجواهم) ما اسروه من النفاق والعزم على اخلاف ما وعدوه وما يتناجون به فيما بينهم من المطاعن في الدين وتسمية الصدقة جزية وتدبير منعها (الذين يلمزون) محله النصب او الرفع على الذم ويجوز ان يكون في محل الجر بدلا من الضمير في سرهم ونجواهم وقرئ يلمزون بالضم (المطوعين) المتطوعين المتبرعين روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم حث على الصدقة فجاء عبد الرحمن بن عوف باربعين اوقية من ذهب وقيل باربعة آلاف درهم وقال كان لي ثمانية آلاف فاقرضت ربي أربعة وامسكت اربعة لعيالي فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم بارك الله لك فيما اعطيت وفيما امسكت فبارك الله له حتى صولحت تماضر امرأته عن ربع الثمن على ثمانين الفا وتصدق عاصم بن عدي بمائة وسق من تمر وجاء ابو عقيل الانصاري رضي الله عنه بصاع من تمر فقال بت ليلتي أجر بالجرير على صاعين فتركت صاعا لعيالي وجئت بصاع فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينثره على الصدقات فلمزهم المنافقون وقالوا ما اعطى عبد الرحمن وعاصم الا رياء وان كان الله ورسوله لغنيين عن صاع ابي عقيل ولكنه أحب ان يذكر بنفسه ليعطى من الصدقات فنزلت (الا جهدهم) الا طاقتهم قرئ بالفتح والضم (سخر الله منهم) كقوله الله يستهزئ بهم في انه خبر غير دعاء الا ترى الى قوله (ولهم عذاب اليم) * سال عبد الله ابن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رجلا صالحا ان يستغفر لابيه في مرضه ففعل فنزلت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قد رخص لي فسازيد على السبعين فنزلت سواء عليهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وقد ذكرنا ان هذا الامر في معنى الخبر كانه قيل لن يغفر الله لهم استغفرت لهم ام لم تستغفر لهم وان فيه معنى الشرط وذكرنا النكتة في المجيء به على لفظ الامر والسبعون جار مجرى المثل في كلامهم للتكثير قال علي بن أبي طالب عليه السلام * لاصبحن العاص وابن العاصي * سبعين الفا عاقدي النواصي * (فان قلت) كيف خفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو افصح العرب واخبرهم باساليب الكلام

وتمثيلاته والذى يفهم من ذكر هذا العدد كثرة الاستغفار كيف وقد تلاه بقوله ذلك بانهم كفروا الآية فبين الصارف عن المغفرة لهم حتى قال قد رخص لى ربي فساز يد على السبعين (قلت) لم يخف عليه ذلك ولكنه خيل بما قال اظهارا لغاية رحمته ورأفته على من بعث اليه كقول ابراهيم عليه السلام ومن عصاني فانك غفور رحيم وفى اظهار النبي صلى الله عليه وسلم الرأفة والرحمة لطف لامته ودعاء لهم الى ترحم بعضهم على بعض (المخلفون) الذين استاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من المنافقين فاذن لهم وخلفهم فى المدينة فى غزوة تبوك او الذين خلفهم كسلهم ونفاقهم والشيطان (بمقعدهم) بقعودهم عن الغزو (خلاف رسول الله) خلفه يقال اقام خلاف الحي بمعنى بعدهم ظعنوا ولم يظعن معهم وتشهد له قراءة ابي حيوة خلف رسول الله وقيل هو بمعنى المخالفة لانهم خالفوه حيث قعدوا ونهض وانتصابه على انه مفعول له او حال اى قعدوا لمخالفته او مخالفين له (ان يجاهدوا باموالهم وانفسهم) تعريض بالمؤمنين وبتحملهم المشاق العظام لوجه الله تعالى وبما فعلوا من بذل اموالهم وارواحهم فى سبيل الله تعالى وايثارهم ذلك على الدعة والخفض وكره ذلك المنافقون وكيف لا يكرهونه ومافيهم مافى المؤمنين من باعث الايمان وداعي الايقان (قل نار جهنم اشد حرا) استجهال لهم لان من تصون من مشقة ساعة فوقع بسبب ذلك التصون فى مشقة الابد كان اجهل من كل جاهل ولبعضهم

مسرة احقاب تلقيت بعدها * مساءة يوم اريها شبه الصاب
فكيف بان تلقي مسرة ساعة * وراء تقضيها مساءة احقاب

*معناه فسيضحكون قليلا ويبكون كثيرا (جزاء) الا انه اخرج على لفظ الامر للدلالة على انه حتم واجب لا يكون غيره يروى ان اهل النفاق يبكون فى النار عمر الدنيا لا يرقالهم دمع ولا يكتحلون بنوم *وانما قال (الى طائفة منهم) لان منهم من تاب عن النفاق وندم على التخلف او اعتذر بعذر صحيح وقيل لم يكن المخلفون كلهم منافقين فاراد بالطائفة المنافقين منهم (فاستاذنوك للخروج) يعنى الى غزوة بعد غزوة تبوك و (اول مرة) هي الخرجة الى غزوة تبوك وكان اسقاطهم عن ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم الذى علم الله انه لم يدعهم اليه الا النفاق بخلاف غيرهم من المتخلفين (مع الخالفين) قدمر تفسيره وقرأ مالك بن دينار رحمه الله مع الخلفين على قصر الخالفين (فان قلت) مرة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل فلم ذكر اسم التفضيل المضاف اليها وهو دال على واحدة من المرات (قلت) اكثر اللغتين عند اكبر النساء وهي اكبرهن ثم ان قولك هى كبرى امرأة لا تكاد تعثر عليه ولكن هي اكبر امرأة واول مرة وآخر مرة وعن قتادة ذكر لنا انهم كانوا اثنى عشر رجلا قيل فيهم ماقيل * روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم على قبور المنافقين ويدعو لهم فلما مرض رأس النفاق عبد الله بن ابى بعث اليه لياتيه فلما دخل عليه قال اهلكك حب اليهود فقال يا رسول الله بعثت اليك لتستغفر لى لا لتؤنبني وساله ان يكفنه فى شعاره الذى يلي جلده ويصلى عليه فلما مات دعاه ابنه حباب الى جنازته فساله عن اسمه فقال انت عبد الله بن عبد الله الحباب اسم شيطان فلما هم بالصلاة عليه قال له عمر اتصلى على عدو الله فنزلت وقيل اراد ان يصلى عليه فجذبه جبريل (فان قلت) كيف جازت له تكرمة المنافق وتكفينه فى قميصه (قلت) كان ذلك مكافاة له على صنيع سبق له وذلك ان العباس رضي الله عنه عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اخذ اسيرا ببدر لم يجدوا له قميصا وكان رجلا طوالا فكساه عبد الله قميصه وقال له المشركون يوم الحديبية انا لا ناذن لمحمد ولكنا ناذن لك فقال لا ان لى فى رسول الله صلى الله عليه وسلم اسوة حسنة فشكر رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذلك واجابة له الى مسئلته اياه فقد كان عليه الصلاة والسلام لا يرد سائلا وكان يتوفر على دواعي المروءة ويعمل بعادات الكرام واكراما لابنه الرجل الصالح فقد روى انه قال له اسالك ان تكفنه فى بعض قمصانك وان تقوم على قبره لا يشمت به الاعداء وعلما بان تكفينه فى قميصه لا ينفعه مع كفره فلا فرق بينه وبين غيره من الاكفان وليكون الباسه اياه لطفا لغيره فقد روى انه قيل له لم وجهت اليه بقميصك وهو كافر فقال ان قميصي لن يغنى عنه من الله شيا وانى اؤمل من الله ان يدخل فى الاسلام كثير بهذا السبب فيروى انه اسلم الف من الخزرج لما راوه طلب الاستشفاء بثوب

المخلفون بمقعدهم خلاف
رسول الله وكرهوا ان
يجاهدوا باموالهم
وانفسهم فى سبيل الله
وقالوا لا تنفروا فى الحر
قل نار جهنم اشد حرا لو
كانوا يفقهون فليضحكوا
قليلا وليبكوا كثيرا
جزاء بما كانوا يكسبون
فان رجعك الله الى طائفة
منهم فاستاذنوك للخروج
فقل لن تخرجوا معى
ابدا ولن تقاتلوا معى
عدوا انكم رضيتم
بالقعود اول مرة فاقعدوا
مع الخالفين ولا تصل
على احد منهم مات
ابدا ولا تقم على قبره

انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون ولا تعجبك اموالهم واولادهم انما يريد الله ان يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون واذا انزلت سورة ان آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استاذنك اولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين رضوا بان يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون لكن الرسول والذين آمنوا معه جاهدوا باموالهم وانفسهم واولئك لهم الخيرات واولئك هم المفلحون اعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب اليم ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه تولوا واعينهم تفيض من الدمع حزنا الا يجدوا ما ينفقون انما السبيل على الذين يستاذنونك

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك ترحمه واستغفاره كان للدعاء الى التراحم والتعاطف لانهم اذا رأوه يترحم على من يظهر الايمان و باطنه على خلاف ذلك دعا المسلم الى ان يعطف على من واطأ قلبه لسانه ورآه حتما عليه (فان قلت) فكيف جازت الصلاة عليه (قلت) لم يتقدم نهي عن الصلاة عليهم وكانوا يجرون مجرى المسلمين لظاهر ايمانهم لما في ذلك من المصلحة وعن ابن عباس رضي الله عنه ما ادري ما هذه الصلاة الا اني اعلم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخادع (مات) صفة لاحد وانما قيل مات وماتوا بلفظ الماضي والمعنى على الاستقبال على تقدير الكون والوجود لانه كائن موجود لا محالة (انهم كفروا) تعليل للنهي وقواعيد قوله (ولا تعجبك) لان تجدد النزول له شان في تقرير ما نزل له وتاكيده وارادة ان يكون على بال من المخاطب لا ينساه ولا يسهو عنه وان يعتقد ان العمل به مهم يفتقر الى فضل عناية به لاسيما اذا تراخى ما بين النزولين فاشبه الشيء الذي اهم صاحبه فهو يرجع اليه في اثناء حديثه ويتخلص اليه وانما اعيد هذا المعنى لقوته فيما يجب ان يحذر منه * يجوز ان يراد السورة بتمامها وان يراد بعضها في قوله (واذا أنزلت سورة) كما يقع القرآن والكتاب على كله وعلى بعضه وقيل هي براءة لان فيها الامر بالايمان والجهاد (ان آمنوا) هي ان المفسرة (اولوا الطول) ذووا الفضل والسعة من طال عليه طولا (مع القاعدين) مع الذين لهم علة وعذر في التخلف (فهم لا يفقهون) ما في الجهاد من الفوز والسعادة وما في التخلف من الشقاء والهلاك (لكن الرسول) اي ان تخلف هؤلاء فقد نهد الى الغزو من هو خير منهم واخلص نية ومعتقدا كقوله فان يكفر بها هؤلاء فقد وكلنا بها قوما فان استكبروا فالذين عند ربك (الخيرات) تتناول منافع الدارين لاطلاق اللفظ وقيل الحور لقوله فيهن خيرات (المعذرون) من عذر في الامر اذا قصر فيه وتوانى ولم يجد وحقيقته ان يوهم ان له عذرا فيما يفعل ولا عذر له او المعتذرون بادغام التاء في الذال ونقل حركتها الى العين ويجوز في العربية كسر العين لالتقاء الساكنين وضمها لاتباع الميم ولكن لم تثبت بهما قراءة وهم الذين يعتذرون بالباطل كقوله يعتذرون اليكم اذا رجعتم اليهم وقرئ المعذرون بالتخفيف وهو الذي يجتهد في العذر ويحتشد فيه قيل هم اسد وغطفان قالوا ان لنا عيالا وان بنا جهدا فائذن لنا في التخلف وقيل هم رهط عامر بن الطفيل قالوا ان غزونا معك اغارت اعراب طي على اهالينا ومواشينا فقال صلى الله عليه وسلم سيغنيني الله عنكم وعن مجاهد نفر من غفار اعتذروا فلم يعذرهم الله تعالى وعن قتادة اعتذروا بالكذب وقرئ المعذرون بتشديد العين والذال من تعذر بمعنى اعتذر وهذا غير صحيح لان التاء لا تدغم في العين ادغامها في الطاء والزاي والصاد في المطوعين وازكى واصدق وقيل اريد المعتذرون بالصحة وبه فسر المعذرون والمعذرون على قراءة ابن عباس رضي الله عنه الذين لم يفرطوا في العذر (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم منافقو الاعراب الذين لم يجيؤا ولم يعتذروا وظهر بذلك انهم كذبوا الله ورسوله في ادعائهم الايمان وقرأ ابي كذبوا بالتشديد (سيصيب الذين كفروا منهم) من الاعراب (عذاب اليم) في الدنيا بالقتل وفي الآخرة بالنار (الضعفاء) الهرمى والزمنى * والذين لا يجدون الفقراء قيل هم مزينة وجهينة وبنو عذرة * والنصح لله ورسوله الايمان بهما وطاعتهما في السر والعلن وتوليهما والحب والبغض فيهما كما يفعل الموالي الناصح بصاحبه (على المحسنين) على المعذورين الناصحين ومعنى لا سبيل عليهم لا جناح عليهم ولا طريق للعاتب عليهم (قلت لا اجد) حال من الكاف في اتوك وقد قبله مضمرة كما قيل في قوله او جاؤكم حصرت صدورهم اي اذا ما اتوك قائلا لا اجد (تولوا) ولقد حصر الله المعذورين في التخلف الذين ليس لهم في ابدانهم استطاعة والذين عدموا آلة الخروج والذين سألوا المعونة فلم يجدوها وقيل المستحملون ابو موسى الاشعري واصحابه وقيل البكاؤن وهم ستة نفر من الانصار (تفيض من الدمع) كقولك تفيض دمعا وهو ابلغ من يفيض دمعها لان العين جعلت كأن كلها دمع فائض ومن للبيان كقولك افديك من رجل ومحل الجار والمجرور النصب على التمييز (الا يجدوا) لئلا يجدوا ومحله نصب على انه مفعول له وناصبه المفعول له الذي هو حزنا * (فان قلت) (رضوا) ما موقعه (قلت) هو استئناف كأنه قيل ما بالهم استاذنوا وهم اغنياء فقيل رضوا بالدناءة والضعة والانتظام في جملة الخوالف (وطبع الله على قلوبهم) يعني

*قوله تعالى ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء (قال دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه الخ) قال احمد وفى آية براءة مزيد على مناسبة الدعاء لحال المدعو عليهم واقوالهم وذلك ان الذى نسب اليهم تربص الدوائر مطلقا والذى دعي عليهم به دائرة السوء على التقييد باسوأ الدوائر لا على الاطلاق والله الموفق

*قوله تعالى وصلوات الرسول

لن نؤمن لكم قد نبأنا الله من اخباركم وسيرى الله عملكم ورسوله ثم تردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون سيحلفون بالله لكم اذا انقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فاعرضوا عنهم انهم رجس وماواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فان الله لا يرضي عن القوم الفاسقين الأعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم ومن الاعراب من يتخذ ما ينفق مغرما و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء والله سميع عليم ومن الاعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر و يتخذ ما ينفق قربات عند الله وصلوات الرسول ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته ان الله غفور رحيم والسابقون الاولون من المهاجرين

ان السبب فى استئذانهم رضاهم بالدناءة وخذلان الله تعالى اياهم (فان قلت) فهل يجوز ان يكون قوله قلت لا أجد استئنافا مثله كانه قيل اذا ما أتوك لتحملهم تولوا فقيل مالهم تولوا باكين فقيل قلت لا أجد ما أحملكم عليه الا انه وسط بين الشرط والجزاء كالاعتراض (قلت) نعم و يحسن (لن نؤمن لكم) علة للنهى عن الاعتذار لان غرض المعتذر ان يصدق فيما يعتذر به فاذا علم انه مكذب وجب عليه الاخلال وقوله (قد نبأنا الله من أخباركم) علة لانتفاء تصديقهم لان الله عزوجل اذا اوحي الى رسوله الاعلام باخبارهم واحوالهم وما في ضمائرهم من الشر والفساد لم يستقم مع ذلك تصديقهم فى معاذيرهم (وسيرى الله عملكم) اتنيبون ام تثبتون على كفركم (ثم تردون) اليه وهو عالم كل غيب وشهادة وسر وعلانية فيجازيكم على حسب ذلك (لتعرضوا عنهم) فلا توبخوهم ولا تعاتبوهم (فاعرضوا عنهم) فاعطوهم طلبتهم (انهم رجس) تعليل لترك معاتبتهم يعنى ان المعاتبة لا تنفع فيهم ولا تصلحهم انما يعاتب الاديم ذو البشرة والمؤمن يوبخ على زلة تفرط منه ليطهره التوبيخ بالحمل على التوبة والاستغفار واما هؤلاء فارجاس لا سبيل الى تطهيرهم (وماواهم جهنم) يعنى وكفتهم النار عتابا وتوبيخا فلا تتكلفوا عتابهم (لترضوا عنهم) اى غرضهم فى الحلف بالله طلب رضاكم لينفعهم ذلك فى دنياهم (فان ترضوا عنهم) فان رضاكم وحدكم لا ينفعهم اذا كان الله ساخطا عليهم وكانوا عرضة لعاجل عقوبته وآجلها وقيل انما قيل ذلك لئلا يتوهم متوهم ان رضاء المؤمنين يقتضي رضا الله عنهم قيل هم جد بن قيس ومعتب بن قشير واصحابهما وكانوا ثمانين رجلا منافقين فقال النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة لا تجالسوهم ولا تكلموهم وقيل جاء عبد الله بن ابي يحلف ان لا يتخلف عنه ابدا (الاعراب) اهل البدو (أشد كفرا ونفاقا) من اهل الحضر لجفائهم وقسوتهم وتوحشهم ونشئهم فى بعد من مشاهدة العلماء ومعرفة الكتاب والسنة (واجدر الا يعلموا) واحق بجهل حدود الدين وما انزل الله من الشرائع والاحكام ومنه قوله صلى الله عليه وسلم ان الجفاء والقسوة فى الفدادين (والله عليم) يعلم حال كل أحد من أهل الوبر والمدر (حكيم) فيما يصيب مسيئهم ومحسنهم مخطئهم ومصيبهم من عقابه وثوابه (مغرما) غرامة وخسرانا والغرامة ما ينفقه الرجل وليس يلزمه لانه لا ينفق الا تقية من المسلمين ورياء لا لوجه الله عز وجل وابتغاء المثوبة عنده (ويتربص بكم الدوائر) دوائر الزمان دوله وعقبه لتذهب غلبتكم عليه ليتخلص من اعطاء الصدقة (عليهم دائرة السوء) دعاء معترض دعي عليهم بنحو ما دعوا به كقوله عزوجل وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وقرئ السوء بالضم وهو العذاب كما قيل له سيئة والسوء بالفتح وهو ذم للدائرة كقولك رجل سوء فى نقيض قولك رجل صدق لان من دارت عليه ذام لها (والله سميع) لما يقولون اذا توجهت عليهم الصدقة (عليم) بما يضمرون وقيل هم اعراب اسد وغطفان وتميم (قربات) مفعول ثان ليتخذ والمعنى ان ما ينفقه سبب لحصول القربات عند الله (وصلوات الرسول) لان الرسول كان يدعوا للمتصدقين بالخير والبركة و يستغفر لهم كقوله اللهم صلي على آل أبي اوفى وقال تعالى وصل عليهم فلما كان ما ينفق سببا لذلك قيل يتخذ ما ينفق قربات وصلوات (الا انها) شهادة من الله للمتصدق بصحة ما اعتقد من كون نفقته قربات وصلوات وتصديق لرجائه على طريق الاستئناف مع حرفى التنبيه والتحقيق المؤذنين بثبات الامر وتمكنه وكذلك (سيدخلهم) وما فى السين من تحقيق الوعد وما ادل هذا الكلام على رضا الله تعالى عن المتصدقين وان الصدقة منه بمكان اذا خلصت النية من صاحبها * وقرئ قربة بضم الراء وقيل هم عبد الله ذو البجادين ورهطه (السابقون الاولون من المهاجرين) هم الذين صلوا الى القبلتين وقيل الذين شهدوا بدرا وعن الشعبي من بايع

ألا انها قربة لهم سيدخلهم الله فى رحمته الآية (قال ما أدل هذا الكلام على ان الصدقة من الله بمكان الخ) قال أحمد وللقدرية كما علمت مذهب فى ان الفاسق ليس بمؤمن ولا كافر وأنه مخلد فى النار وان كان موحدا وغرض الزمخشري أن يجعل الفسق الذى وسم به المنافق هو الذى يوسم به الموحد حتى يكون استحقاقهما للخلود واحدا فاحذره والله اعلم

* قوله تعالى وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم (قال معناه انه مع شهامتك وفطنتك وصدق فراستك يخفون حالهم عليك الخ) قال احمد وكان قوله تعالى مردوا على النفاق توطئة لتقرير خفاء حالهم عنه عليه الصلاة والسلام لما لهم من الخبرة في النفاق ٤٠٦ والضراوة به والله اعلم * قوله تعالى وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا

بالحديبية وهي بيعة الرضوان ما بين الهجرتين (و) من (الانصار) اهل بيعة العقبة الاولى وكانوا سبعة نفر واهل العقبة الثانية وكانوا سبعين والذين آمنوا حين قدم عليهم ابو زرارة مصعب بن عمير فعلمهم القرآن وقرأ عمر رضي الله عنه والانصار بالرفع عطفا على السابقون * وعن عمر انه كان يرى ان قوله والذين اتبعوهم باحسان بغير واو صفة للانصار حتى قال له زيد انه بالواو فقال ائتوني بابي فقال تصديق ذلك في اول الجمعة وآخرين منهم واوسط الحشر والذين جاؤا من بعدهم وآخر الانفال والذين آمنوا من بعد وروى انه سمع رجلا يقرؤه بالواو فقال من اقرأك قال ابي فدعاه فقال اقرأنيه رسول الله صلى الله عليه وسلم وانك لتبيع القرظ بالبقيع قال صدقت وان شئت قلت شهدنا وغبتم ونصرنا وخذلتم وآوينا وطردتم ومن ثم قال عمر لقد كنت ارانا رفعنا رفعة لا يبلغها احد بعدنا وارتفع السابقون بالابتداء وخبره (رضي الله عنهم) ومعناه رضي عنهم لاعمالهم (ورضوا عنه) لما افاض عليهم من نعمته الدينية والدنيوية * وفي مصاحف اهل مكة تجري من تحتها وهي قراءة ابن كثير وفي سائر المصاحف تحتها بغير من (وممن حولكم) يعني حول بلدتكم وهي المدينة (منافقون) وهم جهينة واسلم واشجع وغفار كانوا نازلين حولها (ومن اهل المدينة) عطف على خبر المبتدا الذي هو ممن حولكم ويجوز ان يكون جملة معطوفة على المبتدا والخبر اذا قدرت ومن اهل المدينة قوم مردوا على النفاق على ان مردوا صفة الموصوف محذوف كقوله انا ابن جلا وعلى الوجه الاول لا يخلو من ان يكون كلاما مبتدأ او صفة لمنافقون فصل بينها وبينه بمعطوف على خبره (مردوا على النفاق) تمهروا فيه من مرن فلان عمله ومرد عليه اذا درب به وضرى حتى لان عليه ومهر فيه ودل على مرانهم عليه ومهارتهم فيه بقوله (لا تعلمهم) اي يخفون عليك مع فطنتك وشهامتك وصدق فراستك لفرط تنوقهم في تحامي ما يشككك في امرهم ثم قال (نحن نعلمهم) اي لا يعلمهم الا الله ولا يطلع على سرهم غيره لانهم يبطنون الكفر في سويداوات قلوبهم ابطانا ويبرزون لك ظاهرا كظاهر المخلصين من المؤمنين لا تشك معه في ايمانهم وذلك انهم مردوا على النفاق وضروا به فلهم فيه اليد الطولى (سنعذبهم مرتين) قيل هما القتل وعذاب القبر وقيل الفضيحة وعذاب القبر وعن ابن عباس رضي الله عنه انهم اختلفوا في هاتين المرتين فقال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا يوم الجمعة فقال اخرج يا فلان فانك منافق اخرج يا فلان فانك منافق فاخرج ناسا وفضحهم فهذا العذاب الاول والثاني عذاب القبر وعن الحسن اخذ الزكاة من اموالهم ونهك ابدانهم (الى عذاب عظيم) الى عذاب النار (اعترفوا بذنوبهم) اي لم يعتذروا من تخلفهم بالمعاذير الكاذبة كغيرهم ولكن اعترفوا على انفسهم بانهم بئس ما فعلوا متذممين نادمين وكانوا ثلاثة ابو لبابة مروان بن عبد المنذر واوس بن ثعلبة ووديعة ابن حزام وقيل كانوا عشرة فسبعة منهم اوثقوا انفسهم بلغهم ما نزل في المتخلفين فايقنوا بالهلاك فاوثقوا انفسهم على سواري المسجد فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل المسجد فصلى ركعتين وكانت عادته صلى الله عليه وسلم كلما قدم من سفر فرآهم موثقين فسأل عنهم فذكر له انهم اقسموا ان لا يحلوا انفسهم حتى يكون رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الذي يحلهم فقال وانا اقسم ان لا احلهم حتى أومر فيهم فنزلت فاطلقهم وعذرهم فقالوا يا رسول الله هذه اموالنا التي خلفتنا عنك فتصدق بها وطهرنا فقال ما امرت ان آخذ من اموالكم شيأ فنزلت خذ من اموالهم (عملا صالحا) خروجا الى الجهاد (وآخر سيئا) تخلفا عنه عن الحسن وعن الكلبي التوبة والاثم (فان قلت) قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به (قلت) كل واحد منهما مخلوط ومخلوط به لان المعنى خلط كل واحد منهما بالآخر كقولك خلطت الماء واللبن تريد خلطت كل واحد

والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم وممن حولكم من الاعراب منافقون ومن اهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يردون الى عذاب عظيم وآخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا عسى الله

عسى الله ان يتوب عليهم (قال ان قلت قد جعل كل واحد منهما مخلوطا فما المخلوط به الخ) قال احمد والتحقيق في هذا انك اذا قلت خلطت الماء باللبن فالمصرح به في هذا الكلام ان الماء المخلوط واللبن مخلوط به والمدلول عليه لزوما لا تصريحا كون الماء مخلوطا به واللبن مخلوطا واذا قلت خلطت الماء واللبن فالمصرح به جعل كل واحد منهما مخلوطا واما ما خلط به كل واحد منهما فغير مصرح به بل من اللازم ان كل واحد منهما مخلوط به يحتمل ان يكون قرينة او غيره فقول الزمخشري ان قولك خلطت منهما الماء واللبن يفيد ما يفيده مع الباء وزيادة ليس كذلك فالظاهر في الآية والله اعلم ان العدول عن الباء انما كان لتضمين الخلط معنى العمل كانه قيل عملوا عملا صالحا وآخر سيئا ثم انضاف الى العمل معنى الخلط فعبر عنهما معا به والله أعلم

منهما بصاحبه وفيه ما ليس في قولك خلطت الماء باللبن لانك جعلت الماء مخلوطا واللبن مخلوطا به واذا قلته بالواو جعلت الماء واللبن مخلوطين ومخلوطا بهما كانك قلت خلطت الماء باللبن واللبن بالماء ويجوز ان يكون من قولهم بعت الشاء شاة ودرهما بمعنى شاة بدرهم * (فان قلت) كيف قيل (ان يتوب عليهم) وماذكرت توبتهم (قلت) اذا ذكر اعترافهم بذنوبهم وهو دليل على التوبة فقد ذكرت توبتهم (تطهرهم) صفة لصدقة وقرئ تطهرهم من اطهره بمعنى طهره وتطهرهم بالجزم جوابا للامر * ولم يقرأ وتزكيهم الا باثبات الياء والتاء في تطهرهم للخطاب اولغيبة المؤنث والتزكية مبالغة في التطهير وزيادة فيه او بمعنى الانماء والبركة في المال (وصل عليهم) واعطف عليهم بالدعاء لهم وترحم والسنة ان يدعو المصدق لصاحب الصدقة اذا اخذها وعن الشافعي رحمه الله احب ان يقول الوالي عند اخذ الصدقة اجرك الله فيما اعطيت وجعله طهورا وبارك لك فيما ابقيت * وقرئ ان صلوتك على التوحيد (سكن لهم) يسكنون اليه وتطمئن قلوبهم بان الله قد تاب عليهم (والله سميع) يسمع اعترافهم بذنوبهم ودعائهم (عليم) بما في ضمائرهم والغم من الندم لما فرط منهم * قرئ (الم يعلموا) بالياء والتاء وفيه وجهان احدهما ان يراد المتوب عليهم يعني الم يعلموا قبل ان يتاب عليهم وتقبل صدقاتهم (ان الله هو يقبل التوبة) اذا صحت ويقبل الصدقات اذا صدرت عن خلوص النية وهو للتخصيص والتاكيد وان الله تعالى من شانه قبول توبة التائبين وقيل معنى التخصيص في هو ان ذلك ليس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم انما الله سبحانه هو الذي يقبل التوبة ويردها فاقصدوه بها ووجهوها اليه (وقل) لهؤلاء التائبين (اعملوا) فان عملكم لا يخفى خيرا كان اوشرا على الله وعباده كما رأيتم وتبين لكم والثاني ان يراد غير التائبين ترغيبا لهم في التوبة فقد روي انهم لما تيب عليهم قال الذين لم يتوبوا هؤلاء الذين تابوا كانوا بالامس معنا لا يكلمون ولا يجالسون فما لهم فنزلت (فان قلت) فما معنى قوله ويأخذ الصدقات (قلت) هو مجاز عن قبوله لها وعن ابن مسعود رضي الله عنه ان الصدقة تقع في يد الله تعالى قبل ان تقع في يد السائل والمعنى انه يتقبلها ويضاعف عليها وقوله (فسيرى الله) وعيد لهم وتحذير من عاقبة الاصرار والذهول عن التوبة * قرئ مرجون ومرجؤن من ارجيته وارجاته اذا اخرته ومنه المرجئة يعني وآخرون من المتخلفين موقوف امرهم (اما يعذبهم) ان بقوا على الاصرار ولم يتوبوا (واما يتوب عليهم) ان تابوا وهم ثلاثة كعب بن مالك وهلال بن امية ومرارة بن الربيع امر رسول الله صلى الله عليه وسلم اصحابه ان لا يسلموا عليهم ولا يكلموهم ولم يفعلوا كما فعل ابو لبابة واصحابه من شد انفسهم على السواري واظهار الجزع والغم فلما علموا ان احدا لا ينظر اليهم فوضوا امرهم الى الله تعالى واخلصوا نياتهم ونصحت توبتهم فرحمهم الله (والله عليم حكيم) وفي قراءة عبد الله غفور رحيم واما للعباد اي خافوا عليهم العذاب وارجوا لهم الرحمة * في مصاحف اهل المدينة والشام الذين اتخذوا بغير واو لانها قصة على حيالها وفي سائرها بالواو على عطف قصة مسجد الضرار الذي احدثه المنافقون على سائر قصصهم روي ان بني عمرو بن عوف لما بنوا مسجد قباء بعثوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ياتيهم فاتاهم فصلى فيه فحسدتهم اخوتهم بنو غنم بن عوف وقالوا نبني مسجدا ونرسل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيه ويصلي فيه ابو عامر الراهب اذا قدم من الشام ليثبت لهم الفضل والزيادة على اخوتهم وهو الذي سماه رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاسق وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد لا اجد قوما يقاتلونك الا قاتلتك معهم فلم يزل يقاتله الى يوم حنين فلما انهزمت هوازن خرج هاربا الى الشام وارسل الى المنافقين ان استعدوا بما استطعتم من قوة وسلاح فاني ذاهب الى قيصر وآت بجنود ومخرج محمدا واصحابه من المدينة فبنوا مسجدا بجنب مسجد قباء وقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بنينا مسجد الذي العلة والحاجة والليلة المطيرة والشاتية ونحن نحب ان تصلي لنا فيه وتدعو لنا بالبركة فقال صلى الله عليه وسلم اني على جناح سفر وحال شغل واذا قدمنا ان شاء الله صلينا فيه فلما قفل من غزوة تبوك سالوه اتيان المسجد فنزلت عليه فدعا بمالك بن الدخشم ومعن بن عدي وعامر بن السكن ووحشي قاتل حمزة فقال لهم انطلقوا الى هذا المسجد الظالم اهله فاهدموه واحرقوه ففعل وامر ان يتخذ مكانه كناسة تلقى فيها الجيف

ان يتوب عليهم ان الله غفور رحيم خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلوتك سكن لهم والله سميع عليم الم يعلموا ان الله هو يقبل التوبة عن عباده ويأخذ الصدقات وان الله هو التواب الرحيم وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون وآخرون مرجون لامر الله اما يعذبهم واما يتوب عليهم والله عليم حكيم والذين اتخذوا مسجدا

قوله واما للعباد كتب عليه يعني اما للشك وهو لا يجوز على الله فهو اذن للعباد كاو في او يزيدون ولعل في لعله يتذكر اه كتبه المصحح

والقمامة ومات ابوعامر بالشام بقنسرين (ضرارا) مضارة لاخوانهم اصحاب مسجد قباء ومعازة (وكفرا) وتقوية للنفاق (وتفريقا بين المؤمنين) لانهم كانوا يصلون مجتمعين في مسجد قباء فيغتص بهم فارادوا ان يتفرقوا عنه وتختلف كلمتهم (وارصادا) واعدادا (لـ) اجل (من حارب الله ورسوله) وهو الراهب اعدوه له ليصلي فيه ويظهر على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كل مسجد بني مباهاة اوريا. وسمعة اولغرض سوى ابتغاء وجه الله او بمال غير طيب فهو لاحق بمسجد الضرار وعن شقيق انه لم يدرك الصلاة في مسجد بني عامر فقيل له مسجد بني فلان لم يصلوا فيه بعد فقال لا احب ان اصلي فيه فانه بني على ضرار وكل مسجد بني على ضرار اوريا. اوسمعة فان اصله ينتهي الى المسجد الذي بني ضرارا وعن عطاء لما فتح الله تعالى الامصار على يد عمر رضي الله عنه امر المسلمين ان يبنوا المساجد وان لا يتخذوا في مدينة مسجدين يضار احدهما صاحبه (فان قلت) والذين اتخذوا ماحله من الاعراب (قلت) محله النصب على الاختصاص كقوله والمقيمين الصلاة وقيل هو مبتدأ خبره محذوف معناه وفيمن وصفنا الذين اتخذوا كقوله والسارق والسارقة * (فان قلت) بم يتصل قوله (من قبل) (قلت) بإتخذوا اى اتخذوا مسجدا من قبل ان ينافق هؤلاء بالتخلف (ان اردنا) ما اردنا ببناء هذا المسجد (الا) الخصلة (الحسنى) او الارادة الحسنى وهي الصلاة وذكر الله والتوسعة على المصلين (لمسجد اسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء اسسه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى فيه ايام مقامه بقباء وهي يوم الاثنين والثلاثاء والاربعاء والخميس وخرج يوم الجمعة وهو اولى لان الموازنة بين مسجد قباء اوقع وقيل هو مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وعن ابي سعيد الخدري سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المسجد الذي اسس على التقوى فاخذ حصباء فضرب بها الارض وقال هو مسجدكم هذا مسجد المدينة (من اول يوم) من اول يوم من ايام وجوده (فيه رجال يحبون ان يتطهروا) قيل لما نزلت مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه المهاجرون حتى وقف على باب مسجد قباء فاذا الانصار جلوس فقال أمؤمنون انتم فسكت القوم ثم اعادها فقال عمر يارسول الله انهم لمؤمنون وانا معهم فقال صلى الله عليه وسلم أترضون بالقضاء قالوا نعم قال اتصبرون على البلاء قالوا نعم قال اتشكرون في الرخاء قالوا نعم قال صلى الله عليه وسلم مؤمنون ورب الكعبة فجلس ثم قال يامعشر الانصار ان الله عزوجل قد اثنى عليكم فما الذي تصنعون عند الوضوء وعند الغائط فقالوا يارسول الله نتبع الغائط الاحجار الثلاثة ثم نتبع الاحجار الماء فتلا النبي صلى الله عليه وسلم رجال يحبون ان يتطهروا وقرىء ان يطهروا بالادغام وقيل هو عام في التطهر من النجاسات كلها وقيل كانوا لاينامون الليل على الجنابة ويتبعون الماء اثر البول وعن الحسن هو التطهر من الذنوب بالتوبة وقيل يحبون ان يتطهروا بالحمى المكفرة لذنوبهم فحموا عن آخرهم (فان قلت) مامعنى المحبتين (قلت) محبتهم للتطهر انهم يؤثرونه ويحرصون عليه حرص المحب للشيء المشتهى له على ايثاره ومحبة الله تعالى اياهم انه يرضى عنهم ويحسن اليهم كما يفعل المحب بمحبوبه * قرىء اسس بنيانه واسس بنيانه على البناء للفاعل والمفعول واسس بنيانه جمع اساس على الاضافة واساس بنيانه بالفتح والكسر جمع أس وآساس بنيانه على افعال جمع أس ايضا وأس بنيانه والمعنى افمن اسس بنيان دينه على قاعدة قوية محكمة وهي الحق الذي هو تقوى الله ورضوانه (خير أم من) اسسه على قاعدة هي اضعف القواعد وارخاها واقلها بقاء وهو الباطل والنفاق الذي مثله مثل (شفا جرف هار) في قلة الثبات والاستمساك وضع شفا الجرف في مقابلة التقوى لانه جعل مجازا عما ينافي التقوى * (فان قلت) فما معنى قوله (فانهار به في نار جهنم) (قلت) لما جعل الجرف الهائر مجازا عن الباطل قيل فانهار به في نار جهنم على معنى فطاح به الباطل في نار جهنم الا انه رشح المجاز فجيء بلفظ الانهيار الذي هو للجرف وليصور ان المبطل كانه اسس بنيانا على شفا جرف من اودية جهنم فانهار به ذلك الجرف فهوى في قعرها والشفا الحرف والشفير وجرف الوادي جانبه الذي يتحفر اصله بالماء وتجرفه السيول فيبقى واهيا والهار الهائر وهو المتصدع الذي اشفى على التهدم والسقوط ووزنه فعل قصر عن فاعل كخلف من خالف ونظيره شاك وصات في شائك

ضرارا وكفرا وتفريقا بين المؤمنين وارصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن ان اردنا الا الحسنى والله يشهد انهم لكاذبون لاتقم فيه ابدا لمسجد أسس على التقوى من اول يوم احق ان تقوم فيه فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين افمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في نار جهنم والله لايهدي القوم الظالمين

وصائت

وصائت والفه ليست بالف فاعل انما هي عينه واصله هور وشوك وصوت ولا ترى ابلغ من هذا الكلام ولا ادل على حقيقة الباطل وكنه امره * وقرئ جرف بسكون الراء (فان قلت) فما وجه ماروى سيبويه عن عيسى بن عمر على تقوى من الله بالتنوين (قلت) قد جعل الالف للالحاق لا للتانيث كتترى فيمن نون ألحقها بجعفر وفي مصحف أبي فانهارت به قواعده وقيل حفرت بقعة من مسجد الضرار فرؤى الدخان يخرج منه وروى أن مجمع بن حارثة كان امامهم في مسجد الضرار فكلم بنو عمرو بن عوف أصحاب مسجد قباء عمر بن الخطاب في خلافته ان يأذن لمجمع فيؤمهم في مسجدهم فقال لا ولا نعمة عين أليس بامام مسجد الضرار فقال يا أمير المؤمنين لا تعجل على فوالله لقد صليت بهم والله يعلم اني لا أعلم ما أضمروا فيه ولو علمت ما صليت معهم فيه كنت غلاما قارئا للقرآن وكانوا شيوخا لا يقرؤن من القرآن شيئا فعذره وصدقه وأمره بالصلاة بقومه * ريبة شكا في الدين ونفاقا وكان القوم منافقين وانما حملهم على بناء ذلك المسجد كفرهم ونفاقهم كما قال عز وجل ضرارا وكفرا فلما هدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم ازدادوا لما غاظهم من ذلك وعظم عليهم تصميما على النفاق ومقتا للاسلام فمعنى قوله (لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم) لا يزال هدمه سبب شك ونفاق زائد على شكهم ونفاقهم لا يزول وسمه عن قلوبهم ولا يضمحل أثره (الا أن تقطع قلوبهم) قطعا وتفرق اجزاء فحينئذ يسلون عنه واما مادامت سالمة مجتمعة فالريبة باقية فيها متمكنة فيجوز ان يكون ذكر التقطيع تصويرا لحال زوال الريبة عنها ويجوز ان يراد حقيقة تقطيعها وما هو كائن منه بقتلهم او في القبور او في النار وقرئ يقطع بالياء وتقطع بالتخفيف وتقطع بفتح التاء بمعنى تتقطع وتقطع قلوبهم على ان الخطاب للرسول اى الا ان تقطع انت قلوبهم بقتلهم وقرأ الحسن الى ان وفي قراءة عبد الله ولو قطعت قلوبهم وعن طلحة ولو قطعت قلوبهم على خطاب الرسول او كل مخاطب وقيل معناه الا ان يتوبوا توبة تتقطع بها قلوبهم ندما وأسفا على تفريطهم * مثل الله اثابتهم بالجنة على بذلهم انفسهم واموالهم في سبيله بالشروى وروى تاجرهم فاغلى لهم الثمن وعن عمر رضى الله عنه فجعل لهم الصفقتين جميعا وعن الحسن أنفسا هو خلقها واموالا هو رزقها وروى ان الانصار حين بايعوه على العقبة قال عبد الله بن رواحة اشترط لربك ولنفسك ما شئت قال اشترط لربي ان تعبدوه ولا تشركوا به شيأ واشترط لنفسي ان تمنعوني مما تمنعون منه انفسكم قال فاذا فعلنا ذلك فما لنا قال لكم الجنة قالوا ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل ومر برسول الله صلى الله عليه وسلم اعرابي وهو يقرأها فقال كلام من قال كلام الله قال بيع والله مربح لا نقيله ولا نستقيله فخرج الى الغزو فاستشهد (يقاتلون) فيه معنى الامر كقوله تجاهدون في سبيل الله باموالكم وانفسكم * وقرئ فيقتلون ويقتلون على بناء الاول للفاعل والثاني للمفعول وعلى العكس (وعدا) مصدر مؤكد أخبر بان هذا الوعد الذي وعده للمجاهدين في سبيله وعد ثابت قد اثبته (في التوراة والانجيل) كما اثبته في القرآن ثم قال (ومن أوفى بعهده من الله) لان اخلاف الميعاد قبيح لا يقدم عليه الكرام من الخلق مع جوازه عليهم لحاجتهم فكيف بالغني الذي لا يجوز عليه القبيح قط ولا ترى ترغيبا في الجهاد أحسن منه وأبلغ (التائبون) رفع على المدح اى هم التائبون يعني المؤمنين المذكورين ويدل عليه قراءة عبد الله وابي رضي الله عنهما التائبين بالياء الى والحافظين نصبا على المدح ويجوز ان يكون جرا صفة للمؤمنين وجوز الزجاج ان يكون مبتدأ خبره محذوف أي التائبون العابدون من اهل الجنة ايضا وان لم يجاهدوا كقوله وكلا وعد الله الحسنى وقيل هو رفع على البدل من الضمير في يقاتلون ويجوز ان يكون مبتدأ وخبره العابدون وما بعده خبر بعد خبر اى التائبون من الكفر على الحقيقة الجامعون لهذه الخصال وعن الحسن هم الذين تابوا من الشرك وتبرؤا من النفاق و (العابدون) الذين عبدوا الله وحده وأخلصوا له العبادة وحرصوا عليها و (السائحون) الصائمون شبهوا بذوي السياحة في الارض في امتناعهم من شهواتهم وقيل هم طلبة العلم يسيحون في الارض يطلبونه في مظانه * قيل قال صلى الله عليه وسلم لعمه ابي طالب انت أعظم الناس على حقا واحسنهم عندي يدا فقل كلمة تجب لك بها شفاعتي فابي فقال لا أزال أستغفر لك ما لم انه عنه فنزلت وقيل لما افتتح مكة سال اى ابويه أحدث به

لا يزال بنيانهم الذي بنوا ريبة في قلوبهم الا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم وأموالهم بان لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والانجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين

ما كان للنبي والذين آمنوا ان يستغفروا للمشركين ولو كانوا اولى قربى من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم وما كان استغفار ابراهيم لابيه الاعن موعدة وعدها اياه فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه ان ابراهيم لاواه حليم وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ان الله بكل شيء عليم ان الله له ملك السموات والارض يحيي ويميت وما لكم من دون الله من ولي ولا نصير لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الذين اتبعوه في ساعة العسرة من بعد ما كاد يزيغ قلوب فريق منهم ثم تاب عليهم انه بهم رؤف رحيم وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى اذا ضاقت عليهم الارض

عهدا فقيل أمك آمنة فزار قبرها بالابواء ثم قام مستعبرا فقال اني استأذنت ربي في زيارة قبر أمي فاذن لي واستأذنته في الاستغفار لها فلم يأذن لي فنزلت وهذا أصح لان موت ابي طالب كان قبل الهجرة وهذا آخر ما نزل بالمدينة وقيل استغفر لابيه وقيل قال المسلمون ما يمنعنا ان نستغفر لآبائنا وذوي قراباتنا وقد استغفر ابراهيم لابيه وهذا محمد يستغفر لعمه (ما كان للنبي) ماصح له الاستغفار في حكم الله وحكمته (من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم) لانهم ماتوا على الشرك * قرأ طلحة وما استغفر ابراهيم لابيه وعنه وما يستغفر ابراهيم على حكاية الحال الماضية (الاعن موعدة وعدها اياه) اي وعدها ابراهيم أباه وهو قوله لاستغفرن لك ويدل عليه قراءة الحسن وحماد الراوية وعدها أباه (فان قلت) كيف خفي على ابراهيم ان الاستغفار للكافر غير جائز حتى وعده (قلت) يجوز ان يظن انه مادام يرجى منه الايمان جاز الاستغفار له على ان امتناع جواز الاستغفار للكافر انما علم بالوحي لان العقل يجوز ان يغفر الله للكافر الا ترى الى قوله عليه السلام لعمه لاستغفرن لك مالم أنه وعن الحسن قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان فلانا يستغفر لآبائه المشركين فقال ونحن نستغفر لهم فنزلت وعن علي رضي الله عنه رأيت رجلا يستغفر لابويه وهما مشركان فقلت له فقال أليس قد استغفر ابراهيم (فان قلت) فما معنى قوله (فلما تبين له انه عدو لله تبرأ منه) (قلت) معناه فلما تبين له من جهة الوحي انه لن يؤمن وانه يموت كافرا وانقطع رجاؤه عنه قطع استغفاره فهو كقوله من بعد ما تبين لهم انهم اصحاب الجحيم * اواه فعال من أوه كلأل من اللؤلؤ وهو الذي يكثر التأوه ومعناه انه لفرط ترحمه ورقته وحلمه كان يتعطف على ابيه الكافر ويستغفر له مع شكاسته عليه وقوله لارجمنك * يعني ما أمر الله باتقائه واجتنابه كالاستغفار للمشركين وغيره مما نهي عنه وبين انه محظور لا يؤاخذ به عباده الذين هداهم للاسلام ولا يسميهم ضلالا ولا يخذلهم الا اذا أقدموا عليه بعد بيان حظره عليهم وعلمهم بانه واجب الاتقاء والاجتناب واما قبل العلم والبيان فلا سبيل عليهم كما لا يؤاخذون بشرب الخمر ولا ببيع الصاع بالصاعين قبل التحريم وهذا بيان لعذر من خاف المؤاخذة بالاستغفار للمشركين قبل ورود النهي عنه وفي هذه الآية شديدة ما ينبغي ان يغفل عنها وهي ان المهدي للاسلام اذا أقدم على بعض محظورات الله داخل في حكم الاضلال * والمراد بما يتقون ما يجب اتقاؤه للنهي فاما ما يعلم بالعقل كالصدق في الخبر ورد الوديعة فغير موقوف على التوقيف (تاب الله على النبي) كقوله ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وهو بعث للمؤمنين على التوبة وانه ما من مؤمن الا وهو محتاج الى التوبة والاستغفار حتى النبي والمهاجرون والانصار وابانة لفضل التوبة ومقدارها عند الله وان صفة التوابين الاوابين صفة الانبياء كما وصفهم بالصالحين ليظهر فضيلة الصلاح وقيل معناه تاب الله عليه من اذنه للمنافقين في التخلف عنه كقوله عفا الله عنك (في ساعة العسرة) في وقتها والساعة مستعملة في معنى الزمان المطلق كما استعملت الغداة والعشية واليوم

* غداة طفت علماء بكر بن وائل * وكنا حسبناكل بيضاء شحمة * عشية قارعنا جذام وحميرا
اذا جاء يوما وارثي يبتغي الغنى * يجد جمع كف غير ملأى ولا صفرا

والعسرة حالهم في غزوة تبوك كانوا في عسرة من الظهر يعتقب العشرة على بعير واحد وفي عسرة من الزاد تزودوا التمر المدود والشعير المسوس والاهالة الزنخة وبلغت بهم الشدة ان اقتسم التمرة اثنان وربما مصها الجماعة ليشربوا عليها الماء وفي عسرة من الماء حتى نحروا الابل واعتصروا فروثها وفي شدة زمان من حمارة القيظ ومن الجدب والقحط والضيقة الشديدة (كاد تزيغ قلوب فريق منهم) عن الثبات على الايمان اوعن اتباع الرسول في تلك الغزوة والخروج معه وفي كاد ضمير الشأن وشبهه سيبويه بقولهم ليس خلق الله مثله وقرئ يزيغ بالياء وفي قراءة عبد الله من بعد ما زاغت قلوب فريق منهم يريد المتخلفين من المؤمنين كابي لبابة وأمثاله (ثم تاب عليهم) تكرير للتوكيد ولا يجوز ان يكون الضمير للفريق تاب عليهم لكيدودتهم (الثلاثة) كعب بن مالك ومرارة بن الربيع وهلال بن أمية ومعنى (خلفوا) خلفوا عن الغزو وقيل عن أبي لبابة وأصحابه حيث تيب عليهم بعدهم وقرئ خلفوا أي خلفوا الغازين بالمدينة او فسدوا من الخالفة

* قوله تعالى وما كان الله ليضل قوما بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون (قال فاما ما يدرك حظره بالعقل الخ) قال احمد هذا تفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وان العقل حاكم لا الشرع كاشف لما غمض عليه تابع لمقتضاه وهذه القاعدة قد سبق بطلانها في غير ما موضع والله الموفق

وخلوف الفم وقرأ جعفر الصادق رضي الله عنه خالفوا وقرأ الاعمش وعلى الثلاثة المخالفين (بما رحبت) برحبها اى مع سعتها وهو مثل للحيرة في امرهم كانهم لا يجدون فيها مكانا يقرون فيه قلقا وجزعا مما هم فيه (وضاقت عليهم انفسهم) اى قلوبهم لا يسعها انس ولا سرور لانها حرجت من فرط الوحشة والغم (وظنوا) وعلموا (ان لا ملجا من) سخط (الله الا) الى استغفاره (ثم تاب عليهم ليتوبوا) ثم رجع عليهم بالقبول والرحمة كرة بعد اخرى ليستقيموا على توبتهم ويثبتوا وليتوبوا ايضا فيما يستقبل ان فرطت منهم خطيئة علما منهم ان الله تواب على من تاب ولو عاد في اليوم مائة مرة روى ان ناسا من المؤمنين تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم من بدا له وكره مكانه فلحق به عن الحسن بلغني انه كان لاحدهم حائط كان خيرا من مائة الف درهم فقال يا حائطاه ما خلفني الا ظلك وانتظار ثمرك اذهب فاذنت في سبيل الله ولم يكن لآخر الا اهله فقال يا اهلاه ما بطانى ولا خلفني الا الضن بك لا جرم والله لا كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فركب ولحق به ولم يكن لآخر الا نفسه لا اهل ولا مال فقال يا نفس ما خلفني الا حب الحياة لك والله لا كابدن الشدائد حتى الحق برسول الله فتابط زاده ولحق به قال الحسن كذلك والله المؤمن يتوب من ذنوبه ولا يصر عليها وعن ابي ذر الغفاري ان بعيره ابطا به فحمل متاعه على ظهره واتبع اثر رسول الله صلى الله عليه وسلم ماشيا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى سواده كن ابا ذر فقال الناس هو ذاك فقال رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده وعن ابي خيثمة انه بلغ بستانه وكانت له امرأة حسناء فرشت له في الظل وبسطت له الحصير وقربت اليه الرطب والماء البارد فنظر فقال ظل ظليل ورطب يانع وماء بارد وامرأة حسناء ورسول الله صلى الله عليه وسلم في الضح والريح ما هذا بخير فقام فرحل ناقته واخذ سيفه ورمحه ومر كالريح فمد رسول الله صلى الله عليه وسلم طرفه الى الطريق فاذا براكب يزهاه السراب فقال كن ابا خيثمة فكانه ففرح به رسول الله صلى الله عليه وسلم واستغفر له ومنهم من بقي لم يلحق به منهم الثلاثة قال كعب لما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم سلمت عليه فرد علي كالمغضب بعد ما ذكرني وقال ليت شعري ما خلف كعبا فقيل له ما خلفه الاحسن برديه والنظر في عطفيه فقال معاذ الله ما اعلم الا فضلا واسلاما ونهى عن كلامنا ايها الثلاثة فتنكر لنا الناس ولم يكلمنا احد من قريب ولا بعيد فلما مضت اربعون ليلة امرنا ان نعتزل نساءنا ولا نقربهن فلما تمت خمسون ليلة اذا انا بنداء من ذروة سلع ابشر يا كعب بن مالك فخررت ساجدا وكنت كما وصفني ربي وضاقت عليهم الارض بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وتتابعت البشارة فلبست ثوبي وانطلقت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا هو جالس في المسجد وحوله المسلمين فقام الى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صافحني وقال لتهنك توبة الله عليك فلن انساها لطلحة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يستنير استنارة القمر ابشر يا كعب بخير يوم مر عليك منذ ولدتك امك ثم تلا علينا الآية وعن ابي بكر الوراق انه سئل عن التوبة النصوح فقال ان تضيق على التائب الارض بما رحبت وتضيق عليه نفسه كتوبة كعب بن مالك وصاحبيه (مع الصادقين) وقرئ من الصادقين وهم الذين صدقوا في دين الله نية وقولا وعملا او الذين صدقوا في ايمانهم ومعاهدتهم لله ورسوله على الطاعة من قوله رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقيل هم الثلاثة اى كونوا مثل هؤلاء في صدقهم وثباتهم وعن ابن عباس رضي الله عنه الخطاب لمن آمن من اهل الكتاب اى كونوا مع المهاجرين والانصار ووافقوهم وانتظموا في جملتهم واصدقوا مثل صدقهم وقيل لمن تخلف من الطلقاء عن غزوة تبوك وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يصلح الكذب في جد ولا هزل ولا ان يعد احدكم صبيه ثم لا ينجزه اقرؤا ان شئتم وكونوا مع الصادقين فهل فيها من رخصة (ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه) امروا بان يصحبوه على البأساء والضراء وان يكابدوا معه الاهوال برغبة ونشاط واغتباط وان يلقوا انفسهم من الشدائد ما تلقاه نفسه علما بانها اعز نفس عند الله واكرمها عليه فاذا تعرضت مع كرامتها وعزتها للخوض في شدة وهول وجب على سائر الانفس ان تتهافت فيما تعرضت له ولا يكترث لها اصحابها ولا يقيموا لها وزنا وتكون اخف شيء عليهم واهونه فضلا عن ان يربئوا بانفسهم عن متابعتها ومصاحبتها ويضنوا بها على

بما رحبت وضاقت عليهم انفسهم وظنوا ان لا ملجا من الله الا اليه ثم تاب عليهم ليتوبوا ان الله هو التواب الرحيم يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بانفسهم عن نفسه

* قوله تعالى وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون (قال معناه ان نفير الكافة لطلب العلم غير ممكن الخ) قال احمد قوله وما كان المؤمنون لينفروا كافة على التفسير الاول امر لا نهى وعلى الثاني خبر والمراد به النهي لانه في الاول راجع الى تنفير اهل البوادي الى المدينة للتفقه وهذا لو أمكن الجميع فعله لكان جائزا أو واجبا وان لم يكن وجب على بعضهم القيام عن باقيهم على طريق وجوب الكفاية واما في الثاني فلان المؤمنين نفروا من المدينة للجهاد أجمعين وكان ذلك ممكنا بل واقعا فنهوا عن اطراح التفقه بالكلية وامروا به أمر كفاية والله اعلم * قال أحمد ولا أجد في تأخري عن حضور الغزاة عذرا الا صرف الهمة لتحذير هذا المصنف فاني تفقهت في اصل الدين وقواعد العقائد مؤيدا بآيات الكتاب العزيز مع ما اشتمل عليه من صيانة تحوزتها من مكايد اهل البدع والاهواء وانا مع ذلك ارجو من الله حسن التوجه بلغنا الله الخير ووفقنا لما يرضيه وجعل اعمالنا خالصة لوجهه الكريم

ذلك بانهم لا يصيبهم ظما ولا نصب ولا مخمصة في سبيل الله ولا يطؤن موطئا يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلا الا كتب لهم به عمل صالح ان الله لا يضيع اجر المحسنين ولا ينفقون نفقة صغيرة ولا كبيرة ولا يقطعون واديا الا كتب لهم ليجزيهم الله احسن ما كانوا يعملون وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون يا ايها الذين آمنوا قاتلوا الذين

ما سمح بنفسه عليه وهذا نهي بليغ مع تقبيح لامرهم وتوبيخ لهم عليه وتهييج لمتابعته بانفة وحمية (ذلك) اشارة الى ما دل عليه قوله ما كان لهم ان يتخلفوا من وجوب مشايعته كانه قيل ذلك الوجوب (بـ)سبب (انهم لا يصيبهم) شيء من عطش ولا تعب ولا مجاعة في طريق الجهاد ولا يدوسون مكانا من امكنة الكفار بحوافر خيولهم واخفاف رواحلهم وارجلهم ولا يتصرفون في ارضهم تصرفا يغيظهم ويضيق صدورهم (ولا ينالون من عدو نيلا) ولا يرزؤنهم شيئا بقتل او اسر او غنيمة او هزيمة او غير ذلك (الا كتب لهم به عمل صالح) واستوجبوا الثواب ونيل الزلفى عند الله وذلك مما يوجب المشايعة ويجوز ان يراد بالوطء الايقاع والابادة لا الوطء بالاقدام والحوافر كقوله عليه السلام آخر وطأة وطئها الله بوج والموطئ اما مصدر كالمورد واما مكان فان كان مكانا فمعنى يغيظ الكفار يغيظهم وطؤه والنيل ايضا يجوز ان يكون مصدرا مؤكدا وان يكون بمعنى المنيل ويقال نال منه اذا رزأه ونقصه وهو عام في كل ما يسوءهم وينكبهم ويلحق بهم ضررا وفيه دليل على ان من قصد خيرا كان سعيه فيه مشكورا من قيام وقعود ومشي وكلام وغير ذلك وكذلك الشر وبهذه الآية استشهد اصحاب ابي حنيفة ان المدد القادم بعد انقضاء الحرب يشارك لنا الجيش في الغنيمة لان وطء ديارهم مما يغيظهم وينكي فيهم ولقد اسهم النبي صلى الله عليه وسلم لابني عامر وقد قدما بعد تقضي الحرب وأمد أبو بكر الصديق رضي الله عنه المهاجر بن أبي امية وزياد بن أبي لبيد بعكرمة بن ابي جهل مع خمسمائة نفس فلحقوا بعد ما فتحوا فاسهم لهم وعند الشافعي لا يشارك المدد الغانمين * وقرأ عبيد بن عمير ظماء بالمد يقال ظمئ ظماءة وظماء (ولا ينفقون نفقة صغيرة) ولو تمرة ولو علاقة سوط (ولا كبيرة) مثل ما انفق عثمان رضي الله عنه في جيش العسرة (ولا يقطعون واديا) اي ارضا في ذهابهم ومجيئهم والوادي كل منفرج بين جبال وآكام يكون منفذا للسيل وهو في الاصل فاعل من ودي اذا سال ومنه الودي وقد شاع في استعمال العرب بمعنى الارض يقولون لا تصل في وادي غيرك (الا كتب لهم) ذلك من الانفاق وقطع الوادي ويجوز ان يرجع الضمير فيه الى عمل صالح وقوله (ليجزيهم) متعلق بكتب اي اثبت في صحائفهم لاجل الجزاء * اللام لتاكيد النفي ومعناه ان نفير الكافة عن اوطانهم لطلب العلم غير صحيح ولا ممكن وفيه انه لو صح وامكن ولم يؤد الى مفسدة لوجب لوجوب التفقه على الكافة ولان طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة (فلولا نفر) فحين لم يمكن نفير الكافة ولم يكن مصلحة فهلا نفر (من كل فرقة * طائفة) اي من كل جماعة كثيرة جماعة قليلة منهم يكفونهم النفير (ليتفقهوا في الدين) ليتكلفوا الفقاهة فيه ويتجشموا المشاق في اخذها وتحصيلها (ولينذروا قومهم) وليجعلوا غرضهم ومرمى همتهم في التفقه انذار قومهم وارشادهم والنصيحة لهم لا ما ينتحيه الفقهاء من الاغراض الخسيسة ويؤمونه من المقاصد الركيكة من التصدر والترؤس والتبسط في البلاد والتشبه بالظلمة في ملابسهم ومراكبهم ومنافسة بعضهم بعضا وفشو داء الضرائر بينهم وانقلاب حماليق احدهم اذا لمح ببصره مدرسة لآخر او شرذمة جثوا بين يديه وتهالكه على ان يكون موطأ العقب دون الناس كلهم فما ابعد هؤلاء من قوله عز وجل لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا (لعلهم يحذرون) ارادة ان يحذروا الله فيعملوا عملا صالحا ووجه آخر وهو ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان اذا بعث بعثا بعد غزوة تبوك وبعد ما أنزل في المتخلفين من الآيات الشداد استبق المؤمنون عن آخرهم الى النفير وانقطعوا جميعا عن استماع الوحي والتفقه في الدين فامروا ان ينفر من كل فرقة منهم طائفة الى الجهاد ويبقى اعقابهم يتفقهون حتى لا ينقطعوا عن التفقه الذي هو الجهاد الاكبر لان الجدال بالحجة اعظم اثرا من الجلاد بالسيف وقوله ليتفقهوا الضمير فيه للفرق الباقية

* قوله تعالى يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة (قال القتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم و بعيدهم الخ) قال احمد يتعين القتال على أحد فريقين اما من نزل بهم عدو وفيهم قوة عليه ثم على من قرب منهم حتى يكتفوا واما من عينهم الامام لذلك وان بعدت بهم الدار واذا اوجب الله على هذه الامة القتال وازعاج العدو من دياره واخراجه من قراره فوجوبه وقد نزل العدو بدار الاسلام أجدر * قوله تعالى واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من أحد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم (قال معناه تغامزوا بالعيون انكارا للوحي الخ) قال احمد يحتمل الدعاء كما فسره و يحتمل الاخبار بان الله صرف قلوبهم اى منعها من تلقي الحق بالقبول و لكن الزمخشري يفر من جعله خبرا لان صرف القلوب عن الحق لا يجوز على الله تعالى عنده بناء على قاعدة الصلاح والاصلح ولا يزال يؤول الظاهر اذا اقتضى ذلك كما مر له في قوله ختم الله على قلوبهم فلما احتملت هذه الآية الدعاء و الخبر على حد سواء تعين عنده جعلها دعاء ثم في هذا الدعاء مناسبة للفعل الصادر منهم وهو الانصراف كقوله وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت ايديهم وكقوله و يتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السوء

يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين واذا ما أنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون واما الذين في قلوبهم مرض فزادتهم رجسا الى رجسهم وماتوا وهم كافرون اولا يرون انهم يفتنون في كل عام مرة اومرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون واذا ما انزلت سورة نظر بعضهم الى بعض هل يراكم من احد ثم انصرفوا صرف الله قلوبهم بأنهم قوم لا يفقهون لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ماعنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤف رحيم فان تولوا فقل حسبي الله لا اله الا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم

الباقية بعد الطوائف النافرة من بينهم و لينذروا قومهم ولينذر الفرق الباقية قومهم النافرين اذا رجعوا اليهم بما حصلوا في أيام غيبتهم من العلوم وعلى الاول الضمير للطائفة النافرة الى المدينة للتفقه (يلونكم) يقربون منكم والقتال واجب مع كافة الكفرة قريبهم و بعيدهم ولكن الاقرب فالاقرب اوجب ونظيره وانذر عشيرتك الاقربين وقد حارب رسول الله صلى الله عليه وسلم قومه ثم غيرهم من عرب الحجاز ثم غزا الشام وقيل هم قريظة والنضير وفدك وخيبر وقيل الروم لانهم كانوا يسكنون الشام والشام أقرب الى المدينة من العراق وغيره وهكذا المفروض على اهل كل ناحيه ان يقاتلوا من وليهم مالم يضطر اليهم أهل ناحية أخرى وعن ابن عمر رضي الله عنه انه سئل عن قتال الديلم فقال عليك بالروم * وقرىء غلظة بالحركات الثلاث فالغلظة كالشدة والغلاظة كالضغطة والغلظة كالسخطة ونحوه واغلظ عليهم ولا تهنوا وهو يجمع الجرأة والصبر على القتال وشدة العداوة والعنف في القتل والاسر ومنه ولا تاخذكم بهما رأفة في دين الله (مع المتقين) ينصر من اتقاه فلم يترأف على عدوه (فمنهم من يقول) فمن المنافقين من يقول بعضهم لبعض (ايكم زادته هذه) السورة (ايمانا) انكارا واستهزاء بالمؤمنين واعتقادهم زيادة الايمان بزيادة العلم الحاصل بالوحي والعمل به وايكم مرفوع بالابتداء وقرأ عبيد بن عمير ايكم بالفتح على اضمار فعل يفسره زادته تقديره ايكم زادت زادته هذه ايمانا (فزادتهم ايمانا) لانها ازيد لليقين والثبات واثلج للصدر او فزادتهم عملا فان زيادة العمل زيادة في الايمان لان الايمان يقع على الاعتقاد والعمل (فزادتهم رجسا الى رجسهم) كفرا مضموما الى كفرهم لانهم كلما جددوا بتجديد الله الوحي كفرا ونفاقا ازداد كفرهم واستحكم وتضاعف عقابهم * قرىء اولا يرون بالياء والتاء (يفتنون) يبتلون بالمرض والقحط وغيرهما من بلاء الله ثم لا ينتهون ولا يتوبون عن نفاقهم ولا يذكرون ولا يعتبرون ولا ينظرون في امرهم او يبتلون بالجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم و يعاينون امره وما ينزل الله عليه من نصرته و تاييده او يفتنهم الشيطان فيكذبون و ينقضون العهود مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقتلهم و ينكل بهم ثم لا ينزجرون (نظر بعضهم الى بعض) تغامزوا بالعيون انكارا للوحي وسخرية به قائلين (هل يراكم من أحد) من المسلمين لننصرف فانا لا نصبر على استماعه و يغلبنا الضحك فنخاف الافتضاح بينهم او ترامقوا يتشاورون في تدبير الخروج والانسلال لواذا يقولون هل يراكم من احد وقيل معناه واذا ما انزلت سورة في عيب المنافقين (صرف الله قلوبهم) دعاء عليهم بالخذلان و بصرف قلوبهم عما في قلوب اهل الايمان من الانشراح (بانهم) بسبب انهم (قوم لا يفقهون) لا يتدبرون حتى يفقهوا (من أنفسكم) من جنسكم ومن نسبكم عربي قرشي مثلكم ثم ذكر ما يتبع المجانسة والمناسبة من النتائج بقوله (عزيز عليه ماعنتم) اى شديد عليه شاق لكونه بعضا منكم عنتكم ولقاؤكم المكروه فهو يخاف عليكم سوء العاقبة والوقوع في العذاب (حريص عليكم) حتى لا يخرج احد منكم عن اتباعه والاستسعاد بدين الحق الذي جاء به (بالمؤمنين) منكم ومن غيركم (رؤف رحيم) * وقرىء من انفسكم اى من اشرفكم وافضلكم وقيل هي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفاطمة وعائشة رضي الله عنهما وقيل لم يجمع الله اسمين من اسمائه لاحد غير رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله رؤف رحيم (فان تولوا) فان اعرضوا عن الايمان بك وناصبوك فاستعن وفوض اليه فهو كافيك معرتهم ولا يضرونك وهو ناصرك عليهم * وقرىء العظيم بالرفع وعن ابن عباس رضي الله عنه

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

الر تلك آيات الكتاب الحكيم أكان للناس عجبا أن أوحينا الى رجل منهم أن أنذر الناس وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم قال الكافرون ان هذا لسحر مبين ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر مامن شفيع الامن بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعا وعد الله

العرش لا يقدر أحد قدره وعن ابي بن كعب آخر آية نزلت لقد جاءكم رسول من انفسكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما نزل على القرآن الا آية آية وحرفا حرفا ما خلا سورة براءة وقل هو الله أحد فانهما انزلتا على ومعهما سبعون ألف صف من الملائكة

﴿سورة يونس مكية وهي مائة وتسع آيات﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

(الر) تعديد للحروف على طريق التحدي و(تلك آيات الكتاب) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات والكتاب السورة و(الحكيم) ذو الحكمة لاشتماله عليها ونطقه بها او وصف بصفة محدثه قال الاعشى

وغريبة تاتي الملوك حكيمة * قد قلتها ليقال من ذا قالها

الهمزة لانكار التعجب والتعجيب منه و(ان اوحينا) اسم كان وعجبا خبرها وقرأ ابن مسعود عجب فجعله اسما وهو نكرة وان اوحينا خبرا وهو معرفة كقوله * يكون مزاجها عسل وماء * والاجود ان تكون كان تامة وان اوحينا بدلا من عجب (فان قلت) فما معنى اللام في قوله أكان للناس عجبا وما الفرق بينه وبين قولك أكان عند الناس عجبا (قلت) معناه أنهم جعلوه لهم أعجوبة يتعجبون منها ونصبوه علما لهم يوجهون نحوه استهزاءهم وانكارهم وليس في عند الناس هذا المعنى والذي تعجبوا منه ان يوحى الى بشر وان يكون رجلا من أفناء رجالهم دون عظيم من عظمائهم فقد كانوا يقولون العجب ان الله لم يجد رسولا يرسله الى الناس الا يتيم ابي طالب وان يذكر لهم البعث وينذر بالنار ويبشر بالجنة وكل واحد من هذه الامور ليس بعجب لان الرسل المبعوثين الى الامم لم يكونوا الا بشرا مثلهم وقال الله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا وارسال الفقير او اليتيم ليس بعجب أيضا لان الله تعالى انما يختار من استحق الاختيار لجمعه أسباب الاستقلال بما اختير له من النبوة والغنى والتقدم في الدنيا ليس من تلك الاسباب في شيء وما اموالكم ولا اولادكم التي تقربكم عندنا زلفى والبعث للجزاء على الخير والشر هو الحكمة العظمى فكيف يكون عجبا انما العجب العجيب والمنكر في العقول تعطيل الجزاء (ان انذر الناس) ان هي المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول ويجوز ان تكون المخففة من الثقيلة واصله انه انذر الناس على معنى ان الشان قولنا انذر الناس و(ان لهم) الباء معه محذوف (قدم صدق عند ربهم) اى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة (فان قلت) لم سميت السابقة قدما (قلت) لما كان السعي والسبق بالقدم سميت المسعاة الجميلة والسابقة قدما كما سميت النعمة يدا لانها تعطى باليد وباعا لان صاحبها يبوع بها فقيل لفلان قدم في الخير واضافته الى صدق دلالة على زيادة فضل وانه من السوابق العظيمة وقيل مقام صدق (ان هذا) ان هذا الكتاب وماجاء به محمد (لسحر) ومن قرأ لساحر فهذا اشارة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل عجزهم واعترافهم به وان كانوا كاذبين في تسميته سحرا وفي قراءة ابي ماهذا الا سحر (يدبر) يقضي ويقدر على حسب مقتضى الحكمة ويفعل ما يفعل المتحرى للصواب الناظر في ادبار الامور وعواقبها لئلا يلقاه ما يكره آخرا و(الامر) امر الخلق كله وامر ملكوت السموات والارض والعرش (فان قلت) ما موقع هذه الجملة (قلت) قد دل بالجملة قبلها على عظمة شانه وملكه بخلق السموات والارض مع بسطها واتساعها في وقت يسير وبالاستواء على العرش واتبعها هذه الجملة لزيادة الدلالة على العظمة وانه لا يخرج امر من الامور من قضائه وتقديره وكذلك قوله (مامن شفيع الامن بعد اذنه) دليل على العزة والكبرياء كقوله يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الامن اذن له الرحمن و(ذلكم) اشارة الى المعلوم بتلك العظمة اى ذلك العظيم الموصوف بما وصف به هو ربكم وهو الذي يستحق منكم العبادة (فاعبدوه) وحده ولا تشركوا به بعض خلقه من ملك او انسان فضلا عن جماد لا يضر ولا ينفع (افلا تذكرون) فان ادنى التفكر والنظر ينبهكم على الخطأ فيما انتم عليه (اليه مرجعكم جميعا) اى لا ترجعون في العاقبة الا اليه فاستعدوا للقائه (وعد الله) مصدر مؤكد لقوله اليه مرجعكم

و(حقا)

(القول في سورة يونس)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

*قوله تعالى وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم (قال أى سابقة وفضلا ومنزلة رفيعة الخ) قال أحمد ولم يرد في سابقة السوء تسميتها قدما اما لان المجاز لا يطرد واما ان يكون مطردا ولكن غلب العرف على قصرها كما يغلب في الحقيقة والله اعلم

* قوله تعالى ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم (قال معناه يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة الخ) قال احمد هو يقرر بذلك زعمه فى ان شرط دخول الجنة العمل الصالح وان من لم يعمل مخلد فى النار كالكافر وانى له ذلك وقد جعل الله سبب الهداية الى الجنة مطلق الايمان فقال يهديهم ربهم بايمانهم وقول الزمخشرى ان المراد اضافة العمل

حقا انه يبدؤ الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط والذين كفروا لهم شراب من حميم وعذاب اليم بما كانوا يكفرون هو الذى جعل الشمس ضياء والقمر نورا وقدره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب ماخلق الله ذلك الا بالحق يفصل الآيات لقوم يعلمون ان فى اختلاف الليل والنهار وماخلق الله فى السموات والارض لآيات لقوم يتقون ان الذين لا يرجون لقاءنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آياتنا غافلون أولئك مأواهم النار بما كانوا يكسبون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهديهم ربهم بايمانهم تجرى من تحتهم الانهار فى جنات النعيم دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين

و (حقا) مصدر مؤكد لقوله وعد الله (انه يبدؤ الخلق ثم يعيده) استئناف معناه التعليل لوجوب المرجع اليه وهو ان الغرض ومقتضى الحكمة بابتداء الخلق واعادته هو جزاء المكلفين على اعمالهم وقرئ انه يبدؤ الخلق بمعنى لانه او هو منصوب بالفعل الذى نصب وعد الله اى وعد الله وعدا بدأ الخلق ثم اعادته والمعنى اعادة الخلق بعد بدئه * وقرئ وعد الله على لفظ الفعل ويبدئ من أبدأ ويجوز ان يكون مرفوعا بما نصب حقا اى حق حقا بدأ الخلق كقوله

أحقا عباد الله ان لست جائيا * ولا ذاهبا الا على رقيب

* وقرئ حق انه يبدؤ الخلق كقولك حق ان زيدا منطلق (بالقسط) بالعدل وهو متعلق بيجزى والمعنى ليجزيهم بقسطه ويوفيهم اجورهم او بقسطهم وبما اقسطوا وعدلوا ولم يظلموا حين آمنوا وعملوا الصالحات لان الشرك ظلم قال الله تعالى ان الشرك لظلم عظيم والعصاة ظلام لانفسهم وهذا اوجه لمقابلة قوله بما كانوا يكفرون * الياء فى (ضياء) منقلبة عن واو ضوء لكسرة ماقبلها وقرئ ضئاء بهمزتين بينهما الف على القلب بتقديم اللام على العين كما قيل فى عاق عقا والضياء اقوى من النور (وقدره) وقدر القمر والمعنى وقدر مسيره (منازل) او قدره ذا منازل كقوله تعالى والقمر قدرناه منازل (والحساب) وحساب الاوقات من الشهور والايام والليالى (ذلك) اشارة الى المذكور اى ماخلقه الا ملتبسا بالحق الذى هو الحكمة البالغة ولم يخلقه عبثا * وقرئ يفصل بالياء * خص المتقين لانهم يحذرون العاقبة فيدعوهم الحذر الى النظر والتدبر (لا يرجون لقاءنا) لا يتوقعونه اصلا ولا يخطرونه ببالهم لغفلتهم المستولية عليهم المذهلة باللذات وحب العاجل عن التفطن للحقائق او لا يأملون حسن لقائنا كما يأمله السعداء او لا يخافون سوء لقائنا الذى يجب ان يخاف (ورضوا بالحياة الدنيا) من الآخرة وآثروا القليل الفانى على الكثير الباقى كقوله تعالى ارضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة (واطمأنوا بها) وسكنوا فيها سكون من لا يزعج عنها فبنوا شديدا واملوا بعيدا (يهديهم ربهم بايمانهم) يسددهم بسبب ايمانهم للاستقامة على سلوك السبيل المؤدى الى الثواب ولذلك جعل (تجرى من تحتهم الانهار) بيانا له وتفسيرا لان التمسك بسبب السعادة كالوصول اليها ويجوز ان يريد يهديهم فى الآخرة بنور ايمانهم الى طريق الجنة كقوله تعالى يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم ومنه الحديث ان المؤمن اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة حسنة فيقول له انا عملك فيكون له نورا وقائدا الى الجنة والكافر اذا خرج من قبره صور له عمله فى صورة سيئة فيقول له انا عملك فينطلق به حتى يدخله النار (فان قلت) فلقد دلت هذه الآية على ان الايمان الذى يستحق به العبد الهداية والتوفيق والنور يوم القيامة هو ايمان مقيد وهو الايمان المقرون بالعمل الصالح والايمان الذى لم يقرن بالعمل الصالح فصاحبه لا توفيق له ولا نور (قلت) الامر كذلك ألا ترى كيف اوقع الصلة مجموعا فيها بين الايمان والعمل كانه قال ان الذين جمعوا بين الايمان والعمل الصالح ثم قال بايمانهم اى بايمانهم هذا المضموم اليه العمل الصالح وهو بين واضح لا شبهة فيه (دعواهم) دعاؤهم لان اللهم نداء لله ومعناه اللهم انا نسبحك كقول القانت فى دعاء القنوت اللهم اياك نعبد ولك نصلى ونسجد ويجوز ان يراد بالدعاء العبادة وأعتزلكم وما تدعون من دون الله على معنى ان لا تكليف فى الجنة ولا عبادة وما عبادتهم الا ان يسبحوا الله ويحمدوه وذلك ليس بعبادة انما يلهمونه فينطقون به تلذذا بلا كلفة كقوله تعالى وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصدية (وآخر دعواهم) وخاتمة دعائهم الذى هو التسبيح (ان) يقولوا (الحمد لله رب العالمين) * ومعنى وتحيتهم فيها سلام ان بعضهم يحيى بعضا

لا ينتهض عن حيز الدعوى فان الله لم يعلل بغير الايمان وان جرى لغيره ذكر اولا فلا يلزم اجراؤه ثانيا ولا يحوج اليه وشبهته ان الايمان المجعول سببا مضاف الى ضمير الصالحين فيلزم اخذ الصلاح قيدا فى التسبب وهو ممنوع فان الضمير انما يعود على الذوات لا باعتبار الصفات وقد تقدمت لهذه المباحثة امثال واشكال والله الموفق

* قوله تعالى ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير الآية قال أحمد وهذا ايضا من تنبيهات الزمخشري الحسنة التي تقوم على دقة نظره شاهدة وبينة ولا يكاد وضع المصدر مؤكدا أو مقارنا لغير فعله في الكتاب العزيز يخلو من مثل هذه الفائدة الجليلة والنحاة غايتهم ان يقولوا في قوله تعالى والله أنبتكم من الارض نباتا انه اجرى المصدر على الفعل مقدرا عدم الزيادة او هذا المصدر لفعل دل عليه المذكور تقديره نبتم نباتا ولا يزيدون على ذلك واذا رجع الفطن قريحته وناجى فكرته هل قرن المصدر في كتاب الله بغير فعله لفائدة او لا تسور بلطف النظر على مثل هذه الفوائد العلية مراتبها فالفائدة والله أعلم في اقتران قوله نباتا بقوله أنبتكم التنبيه على جتم نفوذ القدرة في المقدور وسرعة امضاء حكمها حتى كان انبات الله لهم نفس نباتهم اى اذا وجد من الله الانبات وجد لهم النبات حتما فكان احد الامرين عين الآخر فقرن به والله أعلم * قوله تعالى ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون (قال فيه ان قلت كيف جاز النظر على الله تعالى الخ) قال احمد وكنت احسب ان الزمخشري يقتصر على انكار رؤية العبد لله تعالى فضم الى ذلك انكار رؤية الله والجمع بين هذين النزغتين عقيدة طائفة من القدرية يقولون ان الله لا يرى ولا يرى تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد تقدم ابطال دعواهم ان النظر يستلزم المقابلة والجسمية فلا نعيده والله الموفق

ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضي اليهم اجلهم فنذر الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون واذا مس الانسان الضر دعانا لجنبه او قاعدا او قائما فلما كشفنا عنه ضره مر كان لم يدعنا الى ضر مسه كذلك زين للمسرفين ما كانوا يعملون ولقد اهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي القوم المجرمين ثم جعلناكم خلائف في الارض من بعدهم لننظر كيف تعملون واذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين لا يرجون لقاءنا

بالسلام وقيل هي تحية الملائكة اياهم اضافة للمصدر الى المفعول وقيل تحية الله لهم وان هي المخففة من الثقيلة وأصله انه الحمد لله على ان الضمير للشان كقوله * ان هالك كل من يحفى وينتعل * وقرئ ان الحمد لله بالتشديد ونصب الحمد * اصله (ولو يعجل الله للناس الشر) تعجيله لهم الخير فوضع (استعجالهم بالخير) موضع تعجيله لهم الخير اشعارا بسرعة اجابته لهم واسعافه بطلبتهم حتى كان استعجالهم بالخير تعجيل لهم والمراد أهل مكة وقولهم فامطر علينا حجارة من السماء يعني ولو عجلنا لهم الشر الذي دعوا به كما نعجل لهم الخير ونجيبهم اليه (لقضي اليهم اجلهم) لاميتوا واهلكوا وقرئ لقضي اليهم اجلهم على البناء للفاعل وهو الله عز وجل وتنصره قراءة عبد الله لقضينا اليهم اجلهم * (فان قلت) فكيف اتصل به قوله (فنذر الذين لا يرجون لقاءنا) وما معناه (قلت) قوله ولو يعجل الله متضمن معنى نفي التعجيل كانه قيل ولا نعجل لهم الشر ولا نقضي اليهم اجلهم فنذرهم (في طغيانهم) اى فنمهلهم ونفيض عليهم النعمة مع طغيانهم الزاما للحجة عليهم (لجنبه) في موضع الحال بدليل عطف الحالين عليه اى دعانا مضطجعا (او قاعدا او قائما) (فان قلت) فما فائدة ذكر هذه الاحوال (قلت) معناه ان المضرور لا يزال داعيا لا يفتر عن الدعاء حتى يزول عنه الضر فهو يدعونا في حالاته كلها كان منبطحا عاجز النهض متخاذل النوء او كان قاعدا لا يقدر على القيام او كان قائما لا يطيق المشي والمضطرب الى ان يخف كل الخفة ويرزق الصحة بكمالها والمسحة بتمامها ويجوز ان يراد ان من المضرورين من هو اشد حالا وهو صاحب الفراش ومنهم من هو اخف وهو القادر على القعود ومنهم المستطيع للقيام وكلهم لا يستغنون عن الدعاء واستدفاع البلاء لان الانسان للجنس (مر) اى مضي على طريقته الاولى قبل مس الضر ونسي حال الجهد او مر عن موقف الابتهال والتضرع لا يرجع اليه كانه لا عهد له به (كان لم يدعنا) كانه لم يدعنا فخفف وحذف ضمير الشان قال * كان ثدياه حقان * (كذلك) مثل ذلك التزيين (زين للمسرفين) زين الشيطان بوسوسته او الله بخذلانه وتخليته (ما كانوا يعملون) من الاعراض عن الذكر واتباع الشهوات (لما) ظرف لاهلكنا والواو في (وجاءتهم) للحال اى ظلموا بالتكذيب وقد جاءتهم رسلهم بالحجج والشواهد على صدقهم وهي المعجزات وقوله (وما كانوا ليؤمنوا) يجوز ان يكون عطفا على ظلموا وان يكون اعتراضا واللام لتاكيد النفي يعني وما كانوا يؤمنوا حقا تاكيد النفي ايمانهم وان الله قد علم منهم انهم يصرون على كفرهم وان الايمان مستبعد منهم والمعنى ان السبب في اهلاكهم تكذيبهم الرسل وعلم الله انه لا فائدة في امهالهم بعد ان الزموا الحجة ببعثة الرسل (كذلك) مثل ذلك الجزاء يعني الاهلاك (نجزي) كل مجرم وهو وعيد لاهل مكة على اجرامهم بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقرئ يجزي بالياء (ثم جعلناكم) الخطاب للذين بعث اليهم محمد صلى الله عليه وسلم اى استخلفناكم في الارض بعد القرون التي اهلكناها (لننظر) اتعملون خيرا أم شرا فنعاملكم على حسب عملكم و (كيف) في محل النصب بتعملون لا بننظر لان معنى الاستفهام فيه يحجب ان يتقدم عليه عامله (فان قلت) كيف جاز النظر على الله تعالى وفيه معنى المقابلة (قلت) هو مستعار للعلم المحقق الذي هو العلم بالشيء موجودا شبه بنظر الناظر وعيان المعاين في تحققه * غاظهم ما في القرآن

من ذم عبادة الاوثان والوعيد للمشركين فقالوا (ائت بقرآن) آخر ليس فيه ما يغيظنا من ذلك نتبعك (او بدله) بان تجعل مكان آية عذاب آية رحمة وتسقط ذكر الآلهة وذم عبادتها * فامر بان يجيب عن التبديل لانه داخل تحت قدرة الانسان وهو ان يضع مكان آية عذاب آية رحمة مما أنزل وان يسقط ذكر الآلهة واما الاتيان بقرآن آخر فغير مقدور عليه للانسان (ما يكون لى) ما ينبغي لى وما يحل كقوله تعالى ما يكون لى ان اقول ما ليس لى بحق (ان ابدله من تلقاء نفسي) من قبل نفسي وقرئ بفتح التاء من غير ان يامرني بذلك ربي (ان اتبع الا ما يوحى الى) لا آتي ولا أذر شيئا من نحو ذلك الا متبعا لوحي الله واوامره ان نسخت آية تبعت النسخ وان بدلت آية مكان آية تبعت التبديل وليس الى تبديل ولا نسخ (اني أخاف ان عصيت ربي) بالتبديل والنسخ من عند نفسي (عذاب يوم عظيم) (فان قلت) اما ظهر وتبين لهم العجز عن الاتيان بمثل القرآن حتى قالوا ائت بقرآن غير هذا (قلت) بلى ولكنهم كانوا لا يعترفون بالعجز وكانوا يقولون لو نشاء لقلنا مثل هذا او يقولون افترى على الله كذبا فينسبونه الى الرسول ويزعمونه قادرا عليه وعلى مثله مع علمهم بان العرب مع كثرة فصحائها وبلغائها اذا عجزوا عنه كان الواحد منهم أعجز (فان قلت) لعلهم ارادوا ائت بقرآن غير هذا او بدله من جهة الوحي كما اتيت بالقرآن من جهته واراد بقوله ما يكون لى ما يتسهل لى وما يمكنني ان ابدله (قلت) يرده قوله اني اخاف ان عصيت ربي (فان قلت) فما كان غرضهم وهم ادهى الناس وانكرهم فى هذا الاقتراح (قلت) الكيد والمكر اما الاقتراح ابدال قرآن بقرآن ففيه انه من عندك وانك قادر على مثله فابدل مكانه آخر واما اقتراح التبديل والتغيير فللطمع ولاختبار الحال وانه ان وجد منه تبديل فاما ان يهلكه الله فينجوا منه او لا يهلكه فيسخروا منه ويجعلوا التبديل حجة عليه وتصحيحا لافترائه على الله (لو شاء الله ما تلوته عليكم) يعني ان تلاوته ليست الا بمشيئة الله واحداثه امرا عجيبا خارجا عن العادات وهو ان يخرج رجل امي لم يتعلم ولم يستمع ولم يشاهد العلماء ساعة من عمره ولا نشا فى بلد فيه علماء فيقرأ عليكم كتابا فصيحا يبهر كل كلام فصيح ويعلو على كل منثور ومنظوم مشحونا بعلوم من علوم الاصول والفروع واخبارا مما كان وما يكون ناطقا بالغيوب التي لا يعلمها الا الله وقد بلغ بين ظهرانيكم أربعين سنة تطلعون على احواله ولا يخفى عليكم شيء من اسراره وما سمعتم منه حرفا من ذلك ولا عرفه به احد من اقرب الناس منه والصقهم به (ولا ادراكم به) ولا اعلمكم به على لساني وقرأ الحسن ولا ادراتكم به على لغة من يقول اعطاته وارضاته فى معنى اعطيته وارضيته وتعضده قراءة ابن عباس ولا انذرتكم به ورواه الفراء ولا ادرأتكم به بالهمز وفيه وجهان احدهما ان تقلب الالف همزة كما قيل لبأت بالحج ورثأت الميت وحلأت السويق وذلك لان الالف والهمزة من واد واحد الا ترى ان الالف اذا مستها الحركة انقلبت همزة والثاني ان يكون من درأته اذا دفعته وادرأته اذا جعلته دارئا والمعنى ولا جعلتكم بتلاوته خصماء تدرؤنني بالجدال وتكذبونني وعن ابن كثير ولأدراكم به بلام الابتداء لاثبات الادراء ومعناه لو شاء الله ما تلوته انا عليكم ولا علمكم به على لسان غيري ولكنه يمن على من يشاء من عباده فخصني بهذه الكرامة ورآني لها اهلا دون سائر الناس (فقد لبثت فيكم عمرا) وقرئ عمرا بالسكون يعني فقد اقمت فيما بينكم يافعا وكهلا فلم تعرفوني متعاطيا شيئا من نحوه ولا قدرت عليه ولا كنت متواصفا بعلم وبيان فتتهموني باختراعه (افلا تعقلون) فتعلموا انه ليس الا من الله لا من مثلي وهذا جواب عما دسوه تحت قولهم ائت بقرآن غير هذا من اضافة الافتراء اليه (ممن افترى على الله كذبا) يحتمل ان يريد افتراء المشركين على الله فى قولهم انه ذو شريك وذو ولد وان يكون تفاديا مما اضافوه اليه من الافتراء (ما لا يضرهم ولا ينفعهم) الاوثان التي هي جماد لا تقدر على نفع ولا ضر وقيل ان عبدوها لم تنفعهم وان تركوا عبادتها لم تضرهم ومن حق المعبود ان يكون مثيبا على الطاعة معاقبا على المعصية وكان اهل الطائف يعبدون اللات واهل مكة العزى ومناة وهبل واسافا ونائلة (و) كانوا يقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وعن النضر بن الحرث اذا كان يوم القيامة شفعت لى اللات والعزى (اتنبؤن الله بما لا يعلم) اتخبرونه بكونهم شفعاء عنده وهو انباء بما ليس بمعلوم لله واذا لم يكن معلوما له وهو العالم الذات المحيط بجميع المعلومات

ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لى ان ابدله من تلقاء نفسي ان اتبع الا ما يوحى الى اني اخاف ان عصيت ربي عذاب يوم عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا او كذب بآياته انه لا يفلح المجرمون ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبؤن الله بما لا يعلم

* قوله تعالى هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف الآية (قال ان قلت كيف جعل الكون في الفلك غاية الخ) قال احمد وهذه ايضا من نكته التي لا يكتنه حسنها وقد مر لي قبل الوقوف عليها مثل هذا النظر بعينه في توأمتها وذلك عند قوله تعالى وابتلوا اليتامى حتى اذا بلغوا النكاح فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقد استدل الزمخشري بها لابي حنيفة في ان الصغير يبتلي قبل البلوغ ان يسلم اليه قدر من المال يمتحن فيه خلافا لمالك فانه لا يرى الابتلاء قبل البلوغ

قال الزمخشري ووجه الاستدلال ان الله تعالى جعل البلوغ غاية الابتلاء فيلزم وقوع الابتلاء قبله ضرورة كونه مغيا به واعترضت

في السموات ولا في الارض سبحانه وتعالى عما يشركون وما كان الناس الا امة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما فيه يختلفون ويقولون لولا انزل عليه آية من ربه فقل انما الغيب لله فانتظروا اني معكم من المنتظرين واذا اذقنا الناس رحمة من بعد ضراء مستهم اذا لهم مكر في آياتنا قل الله اسرع مكرا ان رسلنا يكتبون ما تمكرون هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى اذا كنتم في الفلك

لم يكن شيا لان الشيء ما يعلم و يخبر عنه فكان خبرا ليس له مخبر عنه (فان قلت) كيف انبؤا الله بذلك (قلت) هو تهكم بهم و بما ادعوه من المحال الذي هو شفاعة الاصنام واعلام بان الذي انبؤا به باطل غير منطو تحت الصحة فكانهم يخبرونه بشيء لا يتعلق به علمه كما يخبر الرجل الرجل بما لا يعلمه وقرئ اتنبئون بالتخفيف وقوله (في السموات ولا في الارض) تاكيد لنفيه لان ما لم يوجد فيهما فهو منتف معدوم (تشركون) قرئ بالتاء والياء وما موصولة او مصدرية اي عن الشركاء الذين يشركونهم به او عن اشراكهم (وما كان الناس الا امة واحدة) حنفاء متفقين على ملة واحدة من غير ان يختلفوا بينهم وذلك في عهد آدم الى ان قتل قابيل هابيل وقيل بعد الطوفان حين لم يذر الله من الكافرين ديارا (ولولا كلمة سبقت من ربك) وهو تاخير الحكم بينهم الى يوم القيامة (لقضي بينهم) عاجلا فيما اختلفوا فيه وليميز المحق من المبطل وسبق كلمته بالتاخير لحكمة اوجبت ان تكون هذه الدار دار تكليف وتلك دار ثواب وعقاب وقالوا (لولا انزل عليه آية من ربه) ارادوا آية من الآيات التي كانوا يقترحونها وكانوا لا يعتدون بما انزل عليه من الآيات العظام المتكاثرة التي لم ينزل على احد من الانبياء مثلها وكفى بالقرآن وحده آية باقية على وجه الدهر بديعة غريبة في الآيات دقيقة المسلك من بين المعجزات وجعلوا نزولها كلا نزول وكانه لم ينزل عليه آية قط حتى قالوا لولا انزل عليه آية واحدة من ربه وذلك لفرط عنادهم وتماديهم في التمرد وانهماكهم في الغي (فقل انما الغيب لله) اي هو المختص بعلم الغيب المستاثر به لا علم لي ولا لاحد به يعني ان الصارف عن انزال الآيات المقترحة امر مغيب لا يعلمه الا هو (فانتظروا) نزول ما اقترحتموه (اني معكم من المنتظرين) لما يفعل الله بكم لعنادكم وجحودكم الآيات * سلط الله القحط سبع سنين على اهل مكة حتى كادوا يهلكون ثم رحمهم بالحيا فلما رحمهم طفقوا يطعنون في آيات الله ويعادون رسول الله صلى الله عليه وسلم ويكيدونه واذا الاولى للشرط والآخرة جوابها وهي للمفاجاة والمكر اخفاء الكيد وطيه من الجارية الممكورة المطوية الخلق ومعنى (مستهم) خالطتهم حتى احسوا بسوء اثرها فيهم * (فان قلت) ما وصفهم بسرعة المكر فكيف صح قوله (اسرع مكرا) (قلت) بل دلت على ذلك كلمة المفاجاة كانه قال واذا رحمناهم من بعد ضراء فاجؤا وقوع المكر منهم وسارعوا اليه قبل ان يغسلوا رؤسهم من مس الضراء ولم يتلبثوا ريثما يسيغون غصتهم والمعنى ان الله تعالى دبر عقابكم وهو موقعه بكم قبل ان تدبروا كيف تعملون في اطفاء نور الاسلام (ان رسلنا يكتبون) اعلام بان ما تظنونه خافيا مطويا لا يخفى على الله وهو منتقم منكم * وقرئ يمكرون بالتاء والياء وقيل مكرهم قولهم سقينا بنوء كذا وعن ابي هريرة ان الله ليصبح القوم بالنعمة و يمسيهم بها فتصبح طائفة منهم بها كافرين يقولون مطرنا بنوء كذا * قرأ زيد ابن ثابت ينشركم ومثله قوله فانتشروا في الارض ثم اذا انتم بشر تنتشرون (فان قلت) كيف جعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر والتسيير في البحر انما هو بالكون في الفلك (قلت) لم يجعل الكون في الفلك غاية للتسيير في البحر ولكن مضمون الجملة الشرطية الواقعة بعد حتى بما في حيزها كانه قيل يسيركم حتى اذا وقعت هذه الحادثة وكان كيت وكيت من مجيء الريح العاصف وتراكم الامواج والظن للهلاك والدعاء بالانجاء * (فان قلت) ما جواب اذا (قلت) جاءتها * (فان قلت) فدعوا (قلت) بدل من ظنوا لان دعاءهم من لوازم ظنهم الهلاك فهو ملتبس به (فان قلت) ما فائدة صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة (قلت) المبالغة

هذا الاستدلال فيما سلف بان المجعول غاية هو جملة ما في حيز حتى من البلوغ مقرونا بايناس الرشد وهذا المجموع هو الذي يلزم وقوعه بعد الابتلاء ولا يلزم من ذلك ان يقع كل واحد من مفرديه بعد الابتلاء بل من الممكن ان يقع احدهما قبل والآخر بعد فلا يحصل المجموع الا بعد الابتلاء و يوضح ذلك هذه الآية فانه تعالى جعل غاية تسييرهم في الفلك كونهم فيها مضافا الى ما ذكر معه ونحن نعلم ان كونهم في الفلك وذلك احد ما جعل غاية متقدم على التسيير وان كان المجموع واقعا كوقوع الحادثة بجملتها بعد الكون في الفلك والله اعلم كانه وانما بسطت القول ههنا لفواته ثم فجدد بما مضى عهدا

وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن انجيتنا من هـذه لنكونن من الشاكرين فلما انجاهم اذاهم يبغون فى الارض بغير الحق ياأيها الناس انما بغيكم على انفسكم متاع الحياة الدنيا ثم الينا مرجعكم فننبئكم بما كنتم تعملون انما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض مما يأكل الناس والانعام حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت وظن اهلها انهم قادرون عليها اتاها أمرنا ليلا اونهارا فجعلناها حصيدا كأن لم تغن بالامس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون والله يدعوا الى دار السلام ويهدى من يشاء الى صراط مستقيم للذين احسنوا الحسنى وزيادة

كانه يذكر لغيرهم حالهم ليعجبهم منها ويستدعى منهم الانكار والتقبيح (فان قلت) ماوجه قراءة ام الدرداء فى الفلكى بزيادة ياء النسب (قلت) قيل هما زائدتان كما فى الخارجى والاحمرى ويجوز ان يراد به اللج والماء الغمر الذى لاتجرى الفلك الا فيه والضمير فى (جرين) للفلك لانه جمع فلك كالاسد فى فعل أخى فعل وفى قراءة ام الدرداء للفلك ايضا لان الفلكى يدل عليه (جاءتها) جاءت الريح الطيبة اى تلقتها وقيل الضمير للفلك من كل مكان من جميع امكنة الموج (احيط بهم) اى اهلكوا جعل احاطة العدو بالحى مثلا فى الهلاك (مخلصين له الدين) من غير اشراك به لانهم لا يدعون حينئذ غيره معه (لئن انجيتنا) على ارادة القول اولان دعوا من جملة القول (يبغون فى الارض) يفسدون فيها ويعبثون مترامين فى ذلك ممعنين فيه من قولك بغى الجرح اذا ترامى الى الفساد (فان قلت) فما معنى قوله (بغير الحق) والبغى لا يكون بحق (قلت) بلى وهو استيلاء المسلمين على ارض الكفرة وهدم دورهم واحراق زروعهم وقطع اشجارهم كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ببنى قريظة * قرئ متاع الحياة الدنيا بالنصب (فان قلت) ماالفرق بين القراءتين (قلت) اذا رفعت كان المتاع خبرا للمبتدا الذى هو بغيكم وعلى انفسكم صلته كقوله فبغى عليهم ومعناه انما بغيكم على أمثالكم والذين جنسهم جنسكم يعنى بغى على بعض منفعة الحياة الدنيا لابقاء لها واذا نصبت فعلى انفسكم خبر غير صلة معناه انما بغيكم وبال على انفسكم ومتاع الحياة الدنيا فى موضع المصدر المؤكد كأنه قيل تتمتعون متاع الحياة الدنيا ويجوز ان يكون الرفع على هو متاع الحياة الدنيا بعد تمام الكلام وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال لاتمكر ولا تعن ماكرا ولا تبغ ولا تعن باغيا ولا تنكث ولا تعن ناكثا وكان يتلوها وعنه عليه الصلاة والسلام اسرع الخير ثوابا صلة الرحم واعجل الشر عقابا البغى واليمين الفاجرة وروى ثنتان يعجلهما الله تعالى فى الدنيا البغى وعقوق الوالدين وعن ابن عباس رضى الله عنه لو بغى جبل على جبل لدك الباغى وكان المأمون يتمثل بهذين البيتين فى اخيه

ياصاحب البغى ان البغى مصرعة * فاربع فخير فعال المرء اعدله
فلو بغى جبل يوما على جبل * لاندك منه اعاليه واسفله

وعن محمد بن كعب ثلاث من كن فيه كن عليه البغى والنكث والمكر قال الله تعالى انما بغيكم على انفسكم * هذا من التشبيه المركب شبهت حال الدنيا فى سرعة تقضيها وانقراض نعيمها بعد الاقبال بحال نبات الارض فى جفافه وذهابه حطاما بعد ما التف وتكاثف وزين الارض بخضرته ورفيفه (فاختلط به) فاشتبك بسببه حتى خالط بعضه بعضا (اخذت الارض زخرفها وازينت) كلام فصيح جعلت الارض آخذة زخرفها على التمثيل بالعروس اذا اخذت الثياب الفاخرة من كل لون فاكتستها وتزينت بغيرها من الوان الزين واصل ازينت تزينت فادغم وبالاصل قرأ عبد الله وقرئ وأزينت على افعلت من غير اعلال الفعل كاغيلت اى صارت ذات زينة وازيانت بوزن ابياضت (قادرون عليها) متمكنون من منفعتها محصلون لثمرتها رافعون لغلتها (اتاها امرنا) وهو ضرب زرعها ببعض العاهات بعد امنهم واستيقانهم انه قد سلم (فجعلناها) فجعلنا زرعها (حصيدا) شبيها بما يحصد من الزرع فى قطعه واستئصاله (كأن لم تغن) كأن لم يغن زرعها اى لم ينبت على حذف المضاف فى هذه المواضع لابد منه والا لم يستقم المعنى وقرا الحسن كأن لم يغن بالياء على ان الضمير للمضاف المحذوف الذى هو الزرع وعن مروان انه قرأ على المنبر كأن لم تتغن بالامس من قول الاعشى * طويل الثواء طويل التغنى * والامس مثل فى الوقت القريب كأنه قيل كأن لم تغن آنفا (دار السلام) الجنة اضافها الى اسمه تعظيما لها وقيل السلام السلامة لان اهلها سالمون من كل مكروه وقيل لفشو السلام بينهم وتسليم الملائكة عليهم الاقيلا سلاما سلاما (ويهدى) ويوفق (من يشاء) وهم الذين علم ان اللطف يجدى عليهم لان مشيئته تابعة لحكمته ومعناه يدعو العباد كلهم الى دار السلام ولا يدخلها الا المهديون (الحسنى) المثوبة الحسنى (وزيادة) وما يزيد على المثوبة وهى التفضل ويدل عليه قوله تعالى ويزيدهم من فضله وعن على رضى الله عنه الزيادة غرفة من لؤلؤة واحدة وعن ابن عباس رضى الله عنه الحسنى الحسنة

* قوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (ذكر) فى الزيادة تفاسير كثيرة ثم قال وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى الخ

ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة أولئك أصحاب الجنة هم فيها خالدون والذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعا من الليل مظلما اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويوم نحشرهم جميعا ثم نقول للذين أشركوا مكانكم انتم وشركاؤكم فزيلنا بينهم وقال شركاؤهم ما كنتم ايانا تعبدون فكفى بالله شهيدا بيننا وبينكم ان كنا عن عبادتكم لغافلين هنالك تبلوا كل نفس ما اسلفت وردوا الى الله مولاهم

والزيادة عشر امثالها وعن الحسن رضي الله عنه عشر امثالها الى سبعمائة ضعف وعن مجاهد رضى الله عنه الزيادة مغفرة من الله ورضوان وعن يزيد بن شجرة الزيادة ان تمر السحابة باهل الجنة فتقول ما تريدون ان أمطركم فلا يريدون شيئا الا امطرتهم وزعمت المشبهة والمجبرة ان الزيادة النظر الى وجه الله تعالى وجاءت بحديث مرفوع اذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا ان يا أهل الجنة فيكشف الحجاب فينظرون اليه فوالله ما أعطاهم الله شيئا هو أحب اليهم منه (ولا يرهق وجوههم) لا يغشاها (قتر) غبرة فيها سواد (ولا ذلة) ولا أثر هوان وكسوف بال والمعنى لا يرهقهم ما يرهق أهل النار اذ كارا بما ينقذهم منه برحمته الا ترى الى قوله تعالى ترهقها قترة وترهقهم ذلة * (فان قلت) ما وجه قوله (والذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها) وكيف يتلاءم (قلت) لا يخلو اما ان يكون والذين كسبوا معطوفا على قوله للذين أحسنوا كانه قيل وللذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها واما ان يقدر وجزاء الذين كسبوا السيآت جزاء سيئة بمثلها على معنى جزاؤهم ان تجازى سيئة واحدة بسيئة مثلها لا يزاد عليها وهذا اوجه من الاول لان فى الاول عطفا على عاملين وان كان الاخفش يجيزه وفى هذا دليل على أن المراد بالزيادة الفضل لانه دل بترك الزيادة على السيئة على عدله ودل ثمة باثبات الزيادة على المثوبة على فضله وقرئ يرهقهم ذلة بالياء (من الله من عاصم) أى لا يعصمهم احد من سخط الله وعذابه ويجوز ما لهم من جهة الله ومن عنده من يعصمهم كما يكون للمؤمنين (مظلما) حال من الليل ومن قرأ قطعا بالسكون من قوله بقطع من الليل جعله صفة له وتعضده قراءة ابي بن كعب كانما يغشى وجوههم قطع من الليل مظلم (فان قلت) اذا جعلت مظلما حالا من الليل فما العامل فيه (قلت) لا يخلو اما أن يكون أغشيت من قبل ان من الليل صفة لقوله قطعا فكان افضاؤه الى الموصوف كافضائه الى الصفة واما ان يكون معنى الفعل فى من الليل (مكانكم) الزموا مكانكم لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل بكم و(أنتم) أكد به الضمير فى مكانكم لسده مسد قوله الزموا (وشركاؤكم) عطف عليه وقرئ وشركاءكم على ان الواو بمعنى مع والعامل فيه ما فى مكانكم من معنى الفعل (فزيلنا بينهم) ففرقنا بينهم وقطعنا أقرانهم والوصل التي كانت بينهم فى الدنيا اوفباعدنا بينهم بعد الجمع بينهم فى الموقف * وتبرؤ شركائهم منهم ومن عبادتهم كقوله تعالى ثم قيل لهم اينما كنتم تشركون من دون الله قالوا ضلوا عنا وقرئ فزايلنا بينهم كقولك صاعر خده وصعره وكالمته وكلمته (ما كنتم ايانا تعبدون) انما كنتم تعبدون الشياطين حيث أمروكم ان تتخذوا لله أندادا فاطعتموهم (ان كنا) هي المخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية وهم الملائكة والمسيح ومن عبدوه من دون الله من أولى العقل وقيل الاصنام ينطقها الله عز وجل فتشافههم بذلك مكان الشفاعة التي زعموها وعلقوا بها أطماعهم (هنالك) فى ذلك المقام وفى ذلك الموقف او فى ذلك الوقت على استعارة اسم المكان للزمان (تبلوا كل نفس) تختبر وتذوق (ما أسلفت) من العمل فتعرف كيف هو أقبيح أم حسن أنافع أم ضار أمقبول أم مردود كما يختبر الرجل الشىء ويتعرفه ليكتنه حاله ومنه قوله تعالى يوم تبلى السرائر وعن عاصم نبلو كل نفس بالنون ونصب كل أى نختبرها باختبار ما أسلفت من العمل فنعرف حالها بمعرفة حال عملها ان كان حسنا فهي سعيدة وان كان سيأ فهى شقية والمعنى نفعل بها كما فعل الخابر كقوله تعالى ليبلوكم أيكم أحسن عملا ويجوز أن يراد نصيب بالبلاء وهو العذاب كل نفس عاصية بسبب ما أسلفت من الشر وقرئ تتلو أى تتبع ما أسلفت لان عمله هو الذى يهديه الى طريق الجنة او الى طريق النار أو تقرأ فى صحيفتها ما قدمت من خير أو شر (مولاهم

(قال) أحمد نسبة تفسير الزيادة برؤية الله تعالى الى زعم اهل السنة الملقبين عنده بالمشبهة والجبرة مرور على ديدنه المعروف فى التكذيب بما لم يحط به علما وهذا التفسير مستفيض منقول عن جملة الصحابة والحديث المروى فيه مدون فى الصحاح متفق على صحته وقد جعل أهل السنة جاؤا به من عند أنفسهم ومن قبل قال المصرون على الكفر لسيد البشر وصاحب السنة ائت بقرآن غير هذا او بدله حملا له على انه جاء به من عنده فلاهل السنة اذا اسوة بصاحبها ولقد كان لكم فى رسول الله اسوة حسنة فابتلاء الحق بالباطل قديم والله الموفق وان فى قوله تعالى على أثر ذلك ولا يرهق وجوههم قتر ولا ذلة مصداقا لصحة (الحق)
هذا التفسير فان فيه تنبيها على اكرام وجوههم بالنظر الى وجه الله تعالى فجدير بهم ان لا يرهق وجوههم قتر البعد ولا ذلة الحجاب عكس المحرومين المحجوبين فان وجوههم مرهقة بقتر الطرد وذلة البعد نسأل الله الكفاية فاولئك يغشي وجوههم انوار المشاهدة وهؤلاء يغشي وجوههم كقطع الليل المظلم منهم شقي وسعيد

قال احمد وهذه الآية كافحة لوجوه القدرية

الحق وضل عنهم ما كانوا يفترون قل من يرزقكم من السماء والارض امن يملك السمع والابصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الامر فسيقولون الله فقل افلا تتقون فذلكم الله ربكم الحق فماذا بعد الحق الا الضلال فاني تصرفون كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا انهم لا يؤمنون قل هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده فاني تؤفكون قل هل من شركائكم من يهدى الى الحق قل الله يهدى للحق افمن يهدى الى الحق أحق ان يتبع امن لا يهدى الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون ومايتبع اكثرهم الا ظنا ان الظن لا يغني من الحق شيأ ان الله عليم بما يفعلون وما كان هذا القرآن ان يفترى من دون الله ولكن تصديق الذي بين يديه

الحق) ربهم الصادق ربوبيته لانهم كانوا يتولون ماليس لربوبيته حقيقة اوالذي يتولى حسابهم وثوابهم العدل الذي لا يظلم احدا وقرئ الحق بالفتح على تاكيد قوله ردوا الى الله كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل او على المدح كقولك الحمد لله اهل الحمد (وضل عنهم ما كانوا يفترون) وضاع عنهم ما كانوا يدعون انهم شركاء لله او بطل عنهم ما كانوا يختلقون من الكذب وشفاعة الآلهة (قل من يرزقكم من السماء والارض) اى يرزقكم منهما جميعا لم يقتصر برزقكم على جهة واحدة ليفيض عليكم نعمته ويوسع رحمته (من يملك السمع والابصار) من يستطيع خلقهما وتسويتهما على الحد الذي سوياعليه من الفطرة العجيبة اومن يحميهما ويحصنهما من الآفات مع كثرتها في المدد الطوال وهما لطيفان يؤذيهما ادنى شيء بكلاءته وحفظه (ومن يدبر الامر) ومن يلي تدبير امر العالم كله جاء بالعموم بعد الخصوص (افلا تتقون) افلا تقون انفسكم ولا تحذرون عليها عقابه فيما انتم بصدده من الضلال (ذلكم) اشارة الى من هذه قدرته وافعاله (ربكم الحق) الثابت ربوبيته ثباتا لاريب فيه لمن حقق النظر (فماذا بعد الحق الا الضلال) يعني ان الحق والضلال لا واسطة بينهما فمن تخطى الحق وقع في الضلال (فاني تصرفون) عن الحق الى الضلال وعن التوحيد الى الشرك وعن السعادة الى الشقاء (كذلك) مثل ذلك الحق (حقت كلمت ربك) اى كما حق وثبت ان الحق بعده الضلال او كما حق انهم مصروفون عن الحق فكذلك حقت كلمة ربك (على الذين فسقوا) اى تمردوا في كفرهم وخرجوا الى الحد الاقصى فيه و (انهم لا يؤمنون) بدل من الكلمة اى حق عليهم انتفاء الايمان وعلم الله منهم ذلك او حق عليهم كلمة الله انهم من اهل الخذلان وان ايمانهم غير كائن اواراد بالكلمة العدة بالعذاب وانهم لا يؤمنون تعليل بمعنى لانهم لا يؤمنون * (فان قلت) كيف قيل لهم (هل من شركائكم من يبدؤ الخلق ثم يعيده) وهم غير معترفين بالاعادة (قلت) قد وضعت اعادة الخلق لظهور برهانها موضع ما ان دفعه دافع كان مكابرا رادا للظاهر البين الذي لا مدخل للشبهة فيه دلالة على انهم في انكارهم لها منكرون امرا مسلما معترفا بصحته عند العقلاء وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل الله يبدؤ الخلق ثم يعيده) فامره بان ينوب عنهم في الجواب يعني انه لا يدعهم لجاجهم ومكابرتهم ان ينطقوا بكلمة الحق فكلم عنهم * يقال هداه للحق والى الحق فجمع بين اللغتين * ويقال هدى بنفسه بمعنى اهتدى كما يقال شرى بمعنى اشترى ومنه قوله (أمن لا يهدى) وقرئ لا يهدى بفتح الهاء وكسرها مع تشديد الدال والاصل يهتدي فادغم وفتحت الهاء بحركة التاء او كسرت لالتقاء الساكنين وقد كسرت الياء لاتباع ما بعدها * وقرئ الا ان يهدى من هداه وهداه للمبالغة ومنه قولهم تهدى ومعناه ان الله وحده هو الذي يهدي للحق بما ركب في المكلفين من العقول واعطاهم من التمكين للنظر في الادلة التي نصبها لهم وبما لطف بهم ووفقهم والهمهم واخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع فهل من شركائكم الذين جعلتم انداد الله احد من اشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي الى الحق مثل هداية الله * ثم قال افمن يهدي الى الحق هذه الهداية احق بالاتباع ام الذي لا يهدي اى لا يهتدي بنفسه او لا يهدى غيره الا ان يهديه الله وقيل معناه ام من لا يهتدي من الاوثان الى مكان فينتقل اليه (الا ان يهدى) الا ان ينقل او لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء الا ان ينقله الله من حاله الى ان يجعله حيوانا مكلفا فيهديه (فما لكم كيف تحكمون) بالباطل حيث تزعمون انهم انداد الله (وما يتبع اكثرهم) في اقرارهم بالله (الا ظنا) لانه قول غير مستند الى برهان عندهم (ان الظن) في معرفة الله (لا يغني من الحق) وهو العلم (شيا) وقيل وما يتبع اكثرهم في قولهم للاصنام انها آلهة وانها شفعاء عند الله الا الظن والمراد بالاكثر الجميع (ان الله عليم) وعيد على ما يفعلون من اتباع الظن وتقليد الآباء * وقرئ تفعلون بالتاء (وما كان هذا القرآن) افتراء (من دون الله ولكن) كان (تصديق الذي بين يديه) وهو ما تقدمه من الكتب المنزلة لانه معجز دونها فهو عيار عليها وشاهد لصحتها كقوله تعالى هو الحق مصدقا لما بين يديه وقرئ ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل الكتاب

الزاعمين ان الارزاق منقسمة فمنها ما رزقه الله للعبد وهو الحلال ومنها ما رزقه العبد لنفسه وهو الحرام وهذه الآية ناعية عليهم هذا الشرك الخفي لو سمعوا أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون

فيه من رب العالمين ام يقولون افتراه قل فاتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتيهم تاويله كذلك كذب الذين من قبلهم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين ومنهم من يؤمن به ومنهم من لا يؤمن به وربك اعلم بالمفسدين وان كذبوك فقل لي عملي ولكم عملكم انتم بريؤن مما اعمل وانا بريء مما تعملون ومنهم من يستمعون اليك أفانت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون ومنهم من ينظر اليك افانت تهدى العمي ولو كانوا لا يبصرون ان الله لا يظلم الناس شيا ولكن الناس انفسهم يظلمون و يوم نحشرهم كان لم يلبثوا

على ولكن هو تصديق وتفصيل ومعنى وما كان ان يفترى وما صح وما استقام وكان محالا ان يكون مثله فى علو امره واعجازه مفترى (وتفصيل الكتاب) وتبيين ما كتب وفرض من الاحكام والشرائع من قوله كتاب الله عليكم * (فان قلت) بم اتصل قوله (لا ريب فيه من رب العالمين) (قلت) هو داخل في حيز الاستدراك كانه قال ولكن كان تصديقا وتفصيلا منتفيا عنه الريب كائنا من رب العالمين و يجوز ان يراد ولكن كان تصديقا من رب العالمين وتفصيلا منه لا ريب فى ذلك فيكون من رب العالمين متعلقا بتصديق وتفصيل و يكون لا ريب فيه اعتراضا كما تقول زيد لا شك فيه كريم (ام يقولون افتراه) بل أيقولون اختلقه على ان الهمزة تقرير لالزام الحجة عليهم او انكار لقولهم واستبعاد والمعنيان متقاربان (قل) ان كان الامر كما تزعمون (فاتوا) أنتم على وجه الافتراء (بسورة مثله) فانتم مثلى فى العربية والفصاحة ومعنى بسورة مثله اى شبيهة به فى البلاغة وحسن النظم وقرىء بسورة مثله على الاضافة اى بسورة كتاب مثله (وادعوا) من دون الله (من استطعتم) من خلقه للاستعانة به على الاتيان بمثله يعنى ان الله وحده هو القادر على ان ياتى بمثله لا يقدر على ذلك احد غيره فلا تستعينوه وحده ثم استعينوا بكل من دونه (ان كنتم صادقين) انه افتراه (بل كذبوا) بل سارعوا الى التكذيب بالقرآن وفاجؤه فى بديهة السماع قبل ان يفقهوه و يعلموا كنه امره وقبل ان يتدبروه و يقفوا على تاويله ومعانيه وذلك لفرط نفورهم عما يخالف دينهم وشرادهم عن مفارقة دين آبائهم كالناشىء على التقليد من الحشوية اذا احس بكلمة لا توافق ما نشا عليه والفه وان كانت اضوأ من الشمس في ظهور الصحة و بيان الاستقامة انكرها فى اول وهلة واشمأز منها قبل ان يحس ادراكها بحاسة سمعه من غير فكر فى صحة او فساد لانه لم يشعر قلبه الا صحة مذهبه وفساد ما عداه من المذاهب * (فان قلت) ما معنى التوقع فى قوله (ولما يأتيهم تاويله) (قلت) معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل تقليدا للآباء وكذبوه بعد التدبر تمردا وعنادا فذمهم بالتسرع الى التكذيب قبل العلم به وجاء بكلمة التوقع ليؤذن انهم علموا بعد علو شانه واعجازه لما كرر عليهم التحدى ورازوا قواهم فى المعارضة واستيقنوا عجزهم عن مثله فكذبوا به بغيا وحسدا (كذلك) اى مثل ذلك التكذيب (كذب الذين من قبلهم) يعنى قبل النظر فى معجزات الانبياء وقبل تدبرها من غير انصاف من انفسهم ولكن قلدوا الآباء وعاندوا وقيل هو فى الذين كذبوا وهم شاكون و يجوز ان يكون معنى ولما يأتيهم تاويله ولم يأتهم بعد تاويل ما فيه من الاخبار بالغيوب اى عاقبته حتى يتبين لهم أهو كذب ام صدق يعنى انه كتاب معجز من جهتين من جهة اعجاز نظمه ومن جهة ما فيه من الاخبار بالغيوب فتسرعوا الى التكذيب به قبل ان ينظروا فى نظمه و بلوغه حد الاعجاز وقبل ان يخبروا اخباره بالمغيبات وصدقه وكذبه (ومنهم من يؤمن به) يصدق به فى نفسه و يعلم انه حق ولكنه يعاند بالتكذيب * ومنهم من شك فيه لا يصدق به او يكون للاستقبال اى ومنهم من سيؤمن به ومنهم من سيصر (وربك اعلم بالمفسدين) بالمعاندين او المصرين (وان كذبوك) وان تموا على تكذيبك و يئست من اجابتهم فتبرأ منهم وخلهم فقد اعذرت كقوله تعالى فان عصوك فقل اني بريء وقيل هى منسوخة بآية السيف (ومنهم من يستمعون اليك) معناه ومنهم ناس يستمعون اليك اذا قرأت القرآن وعلمت الشرائع ولكنهم لا يعون ولا يقبلون وناس ينظرون اليك و يعاينون أدلة الصدق واعلام النبوة ولكنهم لا يصدقون * ثم قال أتطمع انك تقدر على اسماع الصم ولو انضم الى صممهم عدم عقولهم لان الاصم العاقل ربما تفرس واستدل اذا وقع فى صماخه دوى الصوت فاذا اجتمع سلب السمع والعقل جميعا فقد تم الامر * واتحسب انك تقدر على هداية العمي ولو انضم الى العمى وهو فقد البصر فقد البصيرة لان الاعمى الذى له فى قلبه بصيرة قد يحدس و يتظنن واما العمي مع الحمق فجهد البلاء يعنى انهم فى الياس من ان يقبلوا و يصدقوا كالصم والعمي الذين لا بصائر لهم ولا عقول وقوله (أفانت * أفانت) دلالة على انه لا يقدر على اسماعهم وهدايتهم الا الله عز وجل بالقسر والالجاء كما لا يقدر على رد الاصم والاعمى المسلوبي العقل حديدى السمع والبصر راجحي العقل الا هو وحده (ان الله لا يظلم الناس شيا) اى لا ينقصهم شيا مما يتصل بمصالحهم من بعثة الرسل وانزال الكتب * ولكنهم

قوله تعالى بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولم يأتهم تاويله (قال معناه انهم كذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التاويل الخ) قال احمد وكان التكذيب قبل الاحاطة بعلمه ربما يوهم عذرا للمكذب فجاءت كلمة لما مشعرة بانهم قد احاطوا بعلمه حتى تنحسم اعذارهم ويتحقق شقاؤهم والله اعلم

يظلمون

يظلمون انفسهم بالكفر والتكذيب ويجوز ان يكون وعيدا للمكذبين يعني ان ما يلحقهم يوم القيامة من العذاب لاحق بهم على سبيل العدل والاستيجاب ولا يظلمهم الله به ولكنهم ظلموا أنفسهم باقتراف ما كان سببا فيه (الا ساعة من النهار) يستقربون وقت لبثهم في الدنيا وقيل في القبور لهول ما يرون (يتعارفون بينهم) يعرف بعضهم بعضا كأنهم لم يتفارقوا الا قليلا وذلك عند خروجهم من القبور ثم ينقطع التعارف بينهم لشدة الامر عليهم (فان قلت) كان لم يلبثوا و يتعارفون كيف موقعهما (قلت) اما الاولى فحال من هم اى يحشرهم مشبهين بمن لم يلبث الا ساعة وأما الثانية فاما أن تتعلق بالظرف واما أن تكون مبينة لقوله كان لم يلبثوا الا ساعة لان التعارف لا يبقي مع طول العهد و ينقلب تناكرا (قد خسر) على ارادة القول أى يتعارفون بينهم قائلين ذلك او هي شهادة من الله تعالى على خسرانهم والمعنى انهم وضعوا في تجارتهم و بيعهم الايمان بالكفر (وما كانوا مهتدين) للتجارة عارفين بها وهو استئناف فيه معنى التعجب كانه قيل ما اخسرهم (فالينا مرجعهم) جواب نتوفينك وجواب نرينك محذوف كانه قيل واما نرينك بعض الذى نعدهم في الدنيا فذاك او نتوفينك قبل ان نريكه فنحن نريكه في الآخرة * (فان قلت) الله شهيد على ما يفعلون في الدارين فما معنى ثم (قلت) ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها ونتيجتها وهو العقاب كانه قال ثم الله معاقب على ما يفعلون وقرأ ابن ابي عبلة ثم بالفتح اى هنالك و يجوز ان يراد ان الله مؤد شهادته على افعالهم يوم القيامة حين ينطق جلودهم والسنتهم وايديهم وارجلهم شاهدة عليهم (ولكل امة رسول) يبعث اليهم لينبههم على التوحيد و يدعوهم الى دين الحق (فاذا جاء) هم (رسولهم) بالبينات فكذبوه ولم يتبعوه (قضى بينهم) اى بين النبي ومكذبيه (بالقسط) بالعدل فانجي الرسول وعذب المكذبون كقوله وما كنا معذبين حتي نبعث رسولا او ولكل أمة من الامم يوم القيامة رسول تنسب اليه وتدعي به فاذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والايمان كقوله تعالى وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق (متى هذا الوعد) استعجال لما وعدوا من العذاب استبعادا له (لا أملك لنفسى ضرا) من مرض او فقر (ولا نفعا) من صحة او غنى (الا ماشاء الله) استثناء منقطع اى ولكن ما شاء الله من ذلك كائن فكيف املك لكم الضر وجلب العذاب (لكل امة اجل) يعني ان عذابكم له اجل مضروب عند الله وحد محدود من الزمان (اذا جاء) ذلك الوقت انجز وعدكم لا محالة فلا تستعجلوا وقرأ ابن سيرين فاذا جاء آجالهم (بياتا) نصب على الظرف بمعنى وقت بيات (فان قلت) هلا قيل ليلا او نهارا (قلت) لانه أريد ان اتاكم عذابه وقت بيات فبيتكم وانتم ساهون نائمون لا تشعرون كما يبيت العدو المباغت والبيات بمعنى التبييت كالسلام بمعنى التسليم وكذلك قوله (نهارا) معناه في وقت انتم فيه مشتغلون بطلب المعاش والكسب ونحوه بياتا وهم نائمون ضحى وهم يلعبون الضمير في (منه) للعذاب والمعنى ان العذاب كله مكروه مر المذاق موجب للنفار فاى شيء يستعجلون منه وليس شيء منه يوجب الاستعجال و يجوز ان يكون معناه التعجب كانه قيل اى شيء هول شديد يستعجلون منه و يجب ان تكون من للبيان في هذا الوجه وقيل الضمير في منه لله تعالى (فان قلت) بم تعلق الاستفهام واين جواب الشرط (قلت) تعلق بارأيتم لان المعنى اخبروني ماذا يستعجل منه المجرمون وجواب الشرط محذوف وهو تندموا على الاستعجال او تعرفوا الخطأ فيه (فان قلت) فهلا قيل ماذا تستعجلون منه (قلت) أريدت الدلالة على موجب ترك الاستعجال وهو الاجرام لان من حق المجرم ان يخاف التعذيب على أجرامه و يهلك فزعا من مجيئه وان ابطأ فضلا ان يستعجله و يجوز ان يكون ماذا يستعجل منه المجرمون جوابا للشرط كقولك ان اتيتك ماذا تطعمني ثم تتعلق الجملة بارأيتم وان يكون (اثم اذا ما وقع آمنتم به) جواب الشرط وماذا يستعجل منه المجرمون اعتراضا والمعنى ان اتاكم عذابه آمنتم به بعد وقوعه حين لا ينفعكم الايمان ودخول حرف الاستفهام على ثم كدخوله على الواو والفاء في قوله افامن اهل القرى اوامن اهل القرى (آلآن) على ارادة القول اى قيل لهم اذا آمنوا بعد وقوع العذاب آلآن آمنتم به (وقد كنتم به تستعجلون) يعني وقد كنتم به تكذبون لان استعجالهم كان على جهة التكذيب والانكار وقرىء آلان بحذف الهمزة التي بعد اللام والقاء حركتها على

الا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين واما نرينك بعض الذى نعدهم او نتوفينك فالينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون ولكل امة رسول فاذا جاء رسولهم قضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون و يقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله لكل امة أجل اذا جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قل ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون اثم اذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون

* قوله تعالى قل ارأيتم ان اتاكم عذابه بياتا او نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون (قال ان قلت هلا قيل ماذا تستعجلون منه الخ) قال احمد وفي هذا النوع البليغ نكتتان احداهما وضع الظاهر مكان المضمر والاخرى ذكر الظاهر بصيغة زائدة مناسبة للمصدر وكلاهما مستقل بوجه من البلاغة والمبالغة والله اعلم

ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون الا بما كنتم تكسبون و يستنبؤنك احق هو قل اى وربي انه لحق وما انتم بمعجزين ولوان لكل نفس ظلمت ما في الارض لافتدت به واسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط وهم لا يظلمون ألا ان لله ما في السموات والارض ألا ان وعد الله حق ولكن اكثرهم لا يعلمون هو يحيي و يميت واليه ترجعون يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين قل بفضل الله و برحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون قل ارأيتم ما انزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلالا قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون وما ظن الذين يفترون على الله الكذب يوم القيامة ان الله لذو فضل على الناس ولكن اكثرهم لا يشكرون وما تكون في شان وما تتلوا

اللام (ثم قيل للذين ظلموا) عطف على قيل المضمر قبل آلآن (و يستنبؤنك) و يستخبرونك فيقولون (احق هو) وهو استفهام على جهة الانكار والاستهزاء وقرأ الاعمش آلحق هو وهو ادخل في الاستهزاء لتضمنه معنى التعريض بانه باطل وذلك ان اللام للجنس فكانه قيل اهو الحق لا الباطل اوهو الذي سميتموه الحق والضمير للعذاب الموعود (اى) بمعنى نعم في القسم خاصة كما كان هل بمعنى قد في الاستفهام خاصة وسمعتهم يقولون في التصديق ايو فيصلونه بواو القسم ولا ينطقون به وحده (وما انتم بمعجزين) بفائتين العذاب وهو لاحق بكم لا محالة (ظلمت) صفة لنفس على ولوان لكل نفس ظالمة (ما في الارض) اى ما في الدنيا اليوم من خزائنها واموالها وجميع منافعها على كثرتها (لافتدت به) لجعلته فدية لها يقال فداه فافتدى و يقال افتداه ايضا بمعنى فداه (واسروا الندامة لما رأوا العذاب) لانهم بهتوا لرؤيتهم ما لم يحتسبوه ولم يخطر ببالهم وعاينوا من شدة الامر وتفاقمه ماسلبهم قواهم و بهرهم فلم يطيقوا عنده بكاء ولا صراخا ولا ما يفعله الجازع سوى اسرار الندم والحسرة في القلوب كما ترى المقدم للصلب يثخنه مادهمه من فظاعة الخطب و يغلب حتى لا ينبس بكلمة و يبقى جامدا مبهوتا وقيل اسر رؤساؤهم الندامة من سفلتهم الذين اضلوهم حياء منهم وخوفا من توبيخهم وقيل اسروها اخلصوها امالان اخفاءها اخلاصها واما من قولهم سر الشيء لخالصه وفيه تهكم بهم و باخطائهم وقت اخلاص الندامة وقيل اسروا الندامة اظهروها من قولهم اسر الشيء واشره اذا اظهره وليس هنالك تجلد (وقضي بينهم) اى بين الظالمين والمظلومين دل على ذلك ذكر الظلم * ثم اتبع ذلك الاعلام بان له الملك كله وانه المثيب المعاقب وما وعده من الثواب والعقاب فهو حق وهو القادر على الاحياء والاماتة لا يقدر عليهما غيره والى حسابه وجزائه المرجع ليعلم ان الامر كذلك فيخاف و يرجى ولا يغتر به المغترون (قد جاءتكم موعظة) اى قد جاءكم كتاب جامع لهذه الفوائد من موعظة و تنبيه على التوحيد (و) هو (شفاء) اى دواء (لما في) صدوركم من العقائد الفاسدة ودعاء الى الحق (ورحمة) لمن آمن به منكم * أصل الكلام بفضل الله و برحمته فليفرحوا فبذلك فليفرحوا والتكرير للتاكيد والتقرير وايجاب اختصاص الفضل والرحمة بالفرح دون ما عداهما من فوائد الدنيا فحذف احد الفعلين لدلالة المذكور عليه والفاء داخلة لمعنى الشرط كانه قيل ان فرحوا بشيء فليخصوهما بالفرح فانه لا مفروح به احق منهما و يجوز ان يراد بفضل الله و برحمته فليعتنوا فبذلك فليفرحوا و يجوز ان يراد قد جاءتكم موعظة بفضل الله و برحمته فبذلك فبمجيئها فليفرحوا وقرئ فلتفرحوا بالتاء وهو الاصل والقياس وهي قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما روى وعنه لتاخذوا مصافكم قالها في بعض الغزوات وفي قراءة أبي فافرحوا (هو) راجع الى ذلك * وقرئ مما تجمعون بالياء والتاء وعن ابي بن كعب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا قل بفضل الله و برحمته فقال بكتاب الله والاسلام وقيل فضله الاسلام ورحمته ما وعد عليه (ارأيتم) اخبروني و (ما انزل الله) ما في موضع النصب بانزل او بارأيتم في معنى اخبرونيه (فجعلتم منه حراما وحلالا) اى انزله الله رزقا حلالا كله فبعضتموه وقلتم هذا حلال وهذا حرام كقولهم هذه انعام وحرث حجر ما في بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا (آلله اذن لكم) متعلق بارأيتم وقل تكرير للتوكيد والمعنى اخبروني آلله اذن لكم في التحليل والتحريم فانتم تفعلون ذلك باذنه ام تتكذبون على الله في نسبة ذلك اليه * و يجوز ان تكون الهمزة للانكار وام منقطعة بمعنى بل اتفترون على الله تقريرا للافتراء وكفى بهذه الآية زاجرة زجرا بليغا عن التجوز فيما يسئل عنه من الاحكام وباعثة على وجوب الاحتياط فيه وان لا يقول لحد في شيء جائز او غير جائز الا بعد ايقان واتقان ومن لم يوقن فليتق الله وليصمت والا فهو مفتر على الله (يوم القيامة) منصوب بالظن وهو ظن واقع فيه يعني اى شيء ظن المفترين في ذلك اليوم ما يصنع بهم فيه وهو يوم الجزاء بالاحسان والاساءة وهو وعيد عظيم حيث ابهم امره وقراءعيسى بن عمر وما ظن على لفظ الفعل ومعناه واى ظن ظنوا يوم القيامة وجيء به على لفظ الماضي لانه كائن فكان قد كان (ان الله لذو فضل على الناس) حيث انعم عليهم بالعقل ورحمهم بالوحي وتعليم الحلال والحرام (ولكن اكثرهم لا يشكرون) هذه النعمة ولا يتبعون ما هدوا اليه وما تكون في شان ما نافية والخطاب لرسول الله

صلى

صلى الله عليه وسلم والشان الامر وأصله الهمز بمعنى القصد من شأنت شأنه اذا قصدت قصده والضمير فى (منه) للشان لان تلاوة القرآن شان من شان رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هو معظم شانه أو للتنزيل كانه قيل وما تتلو من التنزيل من قرآن لان كل جزء منه قرآن والاضمار قبل الذكر تفخيم له أو لله عزوجل وما (تعملون) انتم جميعا (من عمل) أى عمل كان (الا كنا عليكم شهودا) شاهدين رقباء نحصي عليكم (اذ تفيضون فيه) من أفاض فى الامر اذا اندفع فيه (وما يعزب) قرىء بالضم والكسر وما يبعد وما يغيب ومنه الروض العازب (ولا أصغر من ذلك ولا اكبر) القراءة بالنصب والرفع والوجه النصب على نفى الجنس والرفع على الابتداء ليكون كلاما برأسه وفى العطف على محل من مثقال ذرة او على لفظ مثقال ذرة فتحا فى موضع الجر لامتناع الصرف اشكال لان قولك لا يعزب عنه شيء الا فى كتاب مشكل * (فان قلت) لم قدمت الارض على السماء بخلاف قوله فى سورة سبأ عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السموات ولا فى الارض (قلت) حق السماء ان تقدم على الارض ولكنه لما ذكر شهادته على شؤن اهل الارض واحوالهم واعمالهم ووصل بذلك قوله لا يعزب عنه لاءم ذلك ان قدم الارض على السماء على ان العطف بالواو حكمه حكم التثنية (اولياء الله) الذين يتولونه بالطاعة ويتولاهم بالكرامة وقد فسر ذلك فى قوله (الذين آمنوا وكانوا يتقون) فهو توليهم اياه (لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة) فهو توليه اياهم وعن سعيد بن جبير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل من اولياء الله فقال هم الذين يذكر الله برؤيتهم يعنى السمت والهيئة وعن ابن عباس رضى الله عنه الاخبات والسكينة وقيل هم المتحابون فى الله وعن عمر رضى الله عنه سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ماهم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبياء والشهداء يوم القيامة لمكانهم من الله قالوا يا رسول الله خبرنا من هم وما أعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم تحابوا فى الله على غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لنور وانهم لعلى منابر من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم قرأ الآية الذين آمنوا نصب او رفع على المدح او على الوصف الاولياء او على الابتداء والخبر لهم البشرى والبشرى فى الدنيا ما بشر الله به المؤمنين المتقين فى غير مكان من كتابه وعن النبي صلى الله عليه وسلم هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم او ترى له وعنه عليه الصلاة والسلام ذهبت النبوة وبقيت المبشرات وقيل هي محبة الناس له والذكر الحسن وعن ابى ذر قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم الرجل يعمل العمل لله ويحبه الناس فقال تلك عاجل بشرى المؤمن وعن عطاء لهم البشرى عند الموت تأتيهم الملائكة بالرحمة قال الله تعالى تتنزل عليهم الملائكة ان لا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة واما البشرى فى الآخرة فتلقي الملائكة اياهم مسلمين مبشرين بالفوز والكرامة وما يرون من بياض وجوههم واعطاء الصحائف بايمانهم وما يقرؤن منها وغير ذلك من البشارات (لا تبديل لكلمات الله) لا تغيير لاقواله ولا اخلاف لمواعيده كقوله تعالى ما يبدل القول لدى و(ذلك) اشارة الى كونهم مبشرين فى الدارين وكلتا الجملتين اعتراض (ولا يحزنك) وقرىء ولا يحزنك من احزنه (قولهم) تكذيبهم لك وتهديدهم وتشاورهم فى تدبير هلاكك وابطال امرك وسائر ما يتكلمون به فى شانك (ان العزة لله) استئناف بمعنى التعليل كانه قيل مالى لا احزن فقيل ان العزة لله جميعا اى ان الغلبة والقهر فى ملكة الله جميعا لا يملك احد شيئا منها لا هم ولا غيرهم فهو يغلبهم وينصرك عليهم كتب الله لاغلبن انا ورسلي انا لننصر رسلنا وقرأ ابو حيوة ان العزة لله بالفتح بمعنى لان العزة على صريح التعليل ومن جعله بدلا من قولهم ثم انكره فالمنكر هو تخريجه لا ما انكر من القراءة به (هو السميع العليم) يسمع ما يقولون ويعلم ما يدبرون ويعزمون عليه وهو مكافئهم بذلك (من فى السموات ومن فى الارض) يعنى العقلاء المميزين وهم الملائكة والثقلان وانما خصهم ليؤذن ان هؤلاء اذا كانوا له وفى ملكته فهم عبيد كلهم وهو سبحانه وتعالى ربهم ولا يصلح احد منهم للربوبية ولا ان يكون شريكا له فيها فما وراءهم مما لا يعقل أحق ان لا يكون له ندا وشريكا وليدل على ان من اتخذ غيره ربا من ملك او انسي فضلا عن صنم او غير ذلك فهو مبطل تابع لما ادى اليه التقليد وترك النظر * ومعنى وما يتبعون شركاء اى وما يتبعون حقيقة الشركاء وان كان يسمونها شركاء لان شركة الله

منه من قرآن ولا تعملون من عمل الا كنا عليكم شهودا اذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة فى الارض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر الا فى كتاب مبين الا ان اولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون الذين آمنوا وكانوا يتقون لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفي الآخرة لا تبديل لكلمات الله ذلك هو الفوز العظيم ولا يحزنك قولهم ان العزة لله جميعا هو السميع العليم ألا ان لله من في السموات ومن فى الارض وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء

فى الربوبية محال (ان يتبعون الا) ظنهم انها شركاء (وان هم الا يخرصون) يحزرون و يقدرون ان تكون شركاء تقديرا باطلا و يجوز ان يكون وما يتبع فى معنى الاستفهام يعنى واى شيء يتبعون وشركاء على هذا نصب بيدعون وعلى الاول بيتبع وكان حقه وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء شركاء فاقتصر على احدهما للدلالة و يجوز ان تكون ما موصولة معطوفة على من كانه قيل ولله ما يتبعه الذين يدعون من دون الله شركاء اى وله شركاؤهم * وقرأ على بن أبى طالب رضي الله عنه تدعون بالتاء ووجهه ان يحمل وما يتبع على الاستفهام اى وأى شيء يتبع الذين تدعونهم شركاء من الملائكة والنبيين يعنى انهم يتبعون الله و يطيعونه فما لكم لا تفعلون مثل فعلهم كقوله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ثم صرف الكلام عن الخطاب الى الغيبة فقال ان يتبع هؤلاء المشركون الا الظن ولا يتبعون ما يتبع الملائكة والنبيون من الحق * ثم نبه على عظيم قدرته و نعمته الشاملة لعباده التى يستحق بها ان يوحدوه بالعبادة بانه جعل لهم الليل مظلما ليسكنوا فيه مما يقاسون في نهارهم من تعب التردد فى المعاش والنهار مضيأ يبصرون فيه مطالب ارزاقهم ومكاسبهم (لقوم يسمعون) سماع معتبر مدكر (سبحانه) تنزيه له عن اتخاذ الولد وتعجب من كلمتهم الحمقاء (هو الغنى) علة لنفى الولد لان ما يطلب به الولد من يلد وما يطلبه له السبب فى كله الحاجة فمن الحاجة منتفية عنه كان الولد عنه منتفيا (له ما فى السموات وما فى الارض) فهو مستغن بملكه لهم عن اتخاذ أحد منهم ولدا (ان عندكم من سلطان بهذا) ما عندكم من حجة بهذا القول والباء حقها ان يتعلق بقوله ان عندكم على ان يجعل القول مكانا للسلطان كقولك ما عندكم بارضكم موز كانه قيل ان عندكم فيما تقولون سلطان (أتقولون على الله ما لا تعلمون) لما نفى عنهم البرهان جعلهم غير عالمين فدل على ان كل قول لا برهان عليه لقائله فذلك جهل وليس بعلم (يفترون على الله الكذب) باضافة الولد اليه (متاع فى الدنيا) اى افتراؤهم هذا منفعة قليلة فى الدنيا وذلك حيث يقيمون رياستهم فى الكفر ومناصبة النبي صلى الله عليه وسلم بالتظاهر به ثم يلقون الشقاء المؤبد بعده (كبر عليكم) عظم عليكم وشق وثقل ومنه قوله تعالى وانها لكبيرة الا على الخاشعين و يقال تعاظمه الامر (مقامى) مكاني يعنى نفسه كما تقول فعلت كذا لمكان فلان وفلان ثقيل الظل ومنه ولمن خاف مقام ربه بمعنى خاف ربه او قيامى ومكثي بين أظهركم مددا طوالا ألف سنة الا خمسين عاما او مقامى وتذكيرى لانهم كانوا اذا وعظوا الجماعة قاموا على ارجلهم يعظونهم ليكون مكانهم بينا وكلامهم مسموعا كما يحكى عن عيسى صلوات الله عليهم انه كان يعظ الحواريين قائما وهم قعود (فاجمعوا امركم وشركاءكم) من اجمع الامر وازمعه اذا نواه وعزم عليه قال * هل اغدون يوما وامرى مجمع * والواو بمعنى مع يعنى فاجمعوا أمركم مع شركائكم وقرأ الحسن وشركاؤكم بالرفع عطفا على الضمير المتصل وجاز من غير تاكيد بالمنفصل لقيام الفاصل مقامه لطول الكلام كما تقول اضرب زيدا وعمرو وقرئ فاجمعوا من الجمع وشركاءكم نصب للعطف على المفعول او لان الواو بمعنى مع وفي قراءة ابي فاجمعوا أمركم وادعوا شركاءكم (فان قلت) كيف جاز اسناد الاجماع الى الشركاء (قلت) على وجه التهكم كقوله قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون * (فان قلت) ما معنى الامرين أمرهم الذى يجمعونه وامرهم الذى لا يكون عليهم غمة (قلت) اما الامر الاول فالقصد الى اهلاكه يعنى فاجمعوا ما تريدون من اهلاكى واحتشدوا فيه وابذلوا وسعكم فى كيدى وانما قال ذلك اظهارا لقلة مبالاته وثقته بما وعده ربه من كلاءته وعصمته اياه وانهم لن يجدوا اليه سبيلا واما الثاني ففيه وجهان احدهما ان يراد مصاحبتهم له وما كانوا فيه معه من الحال الشديدة عليهم المكروهة عندهم يعنى ثم اهلكونى لئلا يكون عيشكم بسببي غصة وحالكم عليكم غمة اى غما وهما والغم والغمة كالكرب والكربة والثاني ان يراد به ما اريد بالامر الاول والغمة السترة من غمه اذا ستره ومنها قوله عليه السلام ولا غمة فى فرائض الله اى لا تستر ولكن يجاهر بها يعنى ولا يكن قصدكم الى اهلاكى مستورا عليكم ولكن مكشوفا مشهورا تجاهروننى به (ثم اقضوا الى) ذلك الامر الذى تريدون بى اى أدوا الى قطعه وتصحيحه كقوله تعالى وقضينا اليه ذلك الامر او أدوا الى ما هو أحق عليكم عندكم من هلاكى كما يقضى الرجل غريمه (ولا تنظرون)

ان يتبعون الا الظن وان هم الا يخرصون هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا فيه والنهار مبصرا ان فى ذلك لآيات لقوم يسمعون قالوا اتخذ الله ولدا سبحانه هو الغنى له ما فى السموات وما فى الارض ان عندكم من سلطان بهذا أتقولون على الله ما لا تعلمون قل ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع فى الدنيا ثم الينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه ياقوم ان كان كبر عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فاجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الى ولا تنظرون

* قوله تعالى قالوا ان هذا السحر مبين قال موسى أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون (قال ان قلت هم قطعوا بقولهم ان هذا السحر مبين على انه سحر الخ) قال احمد وفى الفرق بين الوجهين غموض وايضاحه ان القول ٤٢٧ على الوجه الاول وقع كناية عن العيب

ولا تمهلوني وقرئ ثم افضوا الى بالفاء بمعنى ثم انتهوا الى بشركم وقيل هو من افضي الرجل اذا خرج الى الفضاء اى اصحروا به الى وابرزوه لى (فان توليتم) فان اعرضتم عن تذكيرى ونصيحتى (فما سألتكم من اجر) فما كان عندى ما ينفركم عنى وتتهمونى لاجله من طمع في اموالكم وطلب اجر على عظتكم (ان اجرى الا على الله) وهو الثواب الذى يثيبنى به فى الآخرة اى ما نصحتكم الا لوجه الله لا لغرض من اغراض الدنيا (وامرت ان اكون من المسلمين) الذين لا يأخذون على تعليم الدين شيأ ولا يطلبون به دنيا يريد ان ذلك مقتضى الاسلام والذى كل مسلم مأمور به والمراد ان يجعل الحجة لازمة لهم ويبرئ ساحته فذكر ان توليهم لم يكن عن تفريط منه فى سوق الامر معهم على الطريق الذى يجب ان يساق عليه وانما ذلك لعنادهم وتمردهم لا غير (فكذبوه) فتموا على تكذيبه وكان تكذيبهم له فى آخر المدة المتطاولة كتكذيبهم فى اولها وذلك عند مشارفة الهلاك بالطوفان (وجعلناهم خلائف) يخلفون الهالكين بالغرق (كيف كان عاقبة المنذرين) تعظيم لما جرى عليهم وتحذير لمن انذرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مثله وتسلية له (من بعده) من بعد نوح (رسلا الى قومهم) يعنى هودا وصالحا وابراهيم ولوطا وشعيبا (فجاؤهم بالبينات) بالحجج الواضحة المثبتة لدعواهم (فما كانوا ليؤمنوا) فما كان ايمانهم الا ممتنعا كالمحال لشدة شكيمتهم فى الكفر وتصميمهم عليه (بما كذبوا به من قبل) يريد انهم كانوا قبل بعثة الرسل اهل جاهلية مكذبين بالحق فما وقع فصل بين حالتيهم بعد بعثة الرسل وقبلها كان لم يبعث اليهم احد (كذلك نطبع) مثل ذلك الطبع المحكم نطبع (على قلوب المعتدين) والطبع جارى مجرى الكناية عن عنادهم ولجاجهم لان الخذلان يتبعه الا ترى كيف اسند اليهم الاعتداء ووصفهم به (من بعدهم) من بعد الرسل (بآياتنا) بالآيات التسع (فاستكبروا) عن قبولها وهو اعظم الكبر ان يتهاون العبيد برسالة ربهم بعد تبينها ويتعظموا عن تقبلها (وكانوا قوما مجرمين) كفارا ذوى آثام عظام فلذلك استكبروا عنها واجترؤا على ردها (فلما جاءهم الحق من عندنا) فلما عرفوا انه هو الحق وانه من عند الله لا من قبل موسى وهرون (قالوا) لحبهم الشهوات (ان هذا لسحر مبين) وهم يعلمون ان الحق ابعد شيء من السحر الذى ليس الا تمويها وباطلا * (فان قلت) هم قطعوا بقولهم ان هذا السحر مبين على انه سحر فكيف قيل لهم اتقولون اسحر هذا (قلت) فيه اوجه ان يكون معنى قوله (اتقولون للحق) اتعيبونه وتطعنون فيه وكان عليكم ان تذعنوا له وتعظموه من قولهم فلان يخاف القالة وبين الناس تقاول اذا قال بعضهم لبعض ما يسوءه ونحو القول الذكر فى قوله سمعنا فتى يذكرهم ثم قال (اسحر هذا) فانكر ما قالوه فى عيبه والطعن عليه وان يحذف مفعول اتقولون وهو ما دل عليه قولهم ان هذا السحر مبين كانه قيل اتقولون ما تقولون يعنى قولهم ان هذا لسحر مبين ثم قيل اسحر هذا وان يكون جملة قوله اسحر هذا ولا يفلح الساحرون حكاية لكلامهم كانهم قالوا اجئتما بالسحر تطلبان به الفلاح (ولا يفلح الساحرون) كما قال موسى للسحرة ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (لتلفتنا) لتصرفنا واللفت والفتل اخوان ومطاوعهما الالتفات والانفتال (عما وجدنا عليه آباءنا) يعنون عبادة الاصنام (وتكون لكما الكبرياء) اى الملك لان الملوك موصوفون بالكبر ولذلك قيل للملك الجبار ووصف بالصيد والشوس ولذلك وصف ابن الرقيات مصعبا فى قوله

ملكه ملك رافة ليس فيه * جبروت منه ولا كبرياء

ينفى ما عليه الملوك من ذلك ويجوز ان يقصدوا ذمهما وانهما ان ملكا ارض مصر تجبرا وتكبرا كما قال القبطى لموسى عليه السلام ان تريد الا ان تكون جبارا فى الارض (وما نحن لكما بمؤمنين) اى مصدقين لكما فيما جئتما به * وقرئ يطبع ويكون لكما بالياء (ما جئتم به) ما موصولة واقعة مبتدأ و(السحر) خبر اى الذى جئتم به هو السحر لا الذى سماه فرعون وقومه سحرا من آيات الله وقرئ آلسحر على الاستفهام فعلى هذه

فان توليتم فما سألتكم من اجر ان اجرى الا على الله وامرت ان اكون من المسلمين فكذبوه فنجيناه ومن معه فى الفلك وجعلناهم خلائف واغرقنا الذين كذبوا بآياتنا فانظر كيف كان عاقبة المنذرين ثم بعثنا من بعده رسلا الى قومهم فجاؤهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين ثم بعثنا من بعدهم موسى وهرون الى فرعون وملئه بآياتنا فاستكبروا وكانوا قوما مجرمين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا ان هذا السحر مبين قال موسى اتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا ولا يفلح الساحرون قالوا اجئتنا لتلفتنا عما وجدنا عليه آباءنا وتكون لكما الكبرياء وما نحن لكما بمؤمنين وقال فرعون ائتونى بكل ساحر عليم فلما جاء السحرة قال لهم موسى القوا ما انتم ملقون فلما القوا قال موسى ما جئتم به السحر

فلا يتقاضى مفعولا وفى الثانى على انه يطلب مفعولا والله اعلم * قوله تعالى قال موسى ما جئتم به السحر ان الله سيبطله (قال ما موصولة مبتدأ والسحر خبر اى الذى جئتم به الخ) قال احمد وليس المراد فى القراءة الاولى الاخبار بان ما جاؤا به سحر خاصة ولكن مع تنزيه ما جاء به

عن كونه سحرا وانما يستفاد ذلك بما في هذا النظم المخصوص من افادة الحصر ولو مرت بخاطر الامام أبي المعالى فى مسئلة تحريمه التكبير لم يعدل عن الاستشهاد بها على افادة هذا النظم الحصر فانا نعلم ان موسي عليه السلام حيث اطلقه فانما اراد اضافة السحر الى ماجاؤا به محصورا فيه حتى لا يتعدى الى الحق الذى جاء به هو ومنه شيء واما القراءة الثانية ففيها والله أعلم ارشاد الى ان قول موسي عليه السلام اولا أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا حكاية لقولهم و يكون اسحر هذا هو الذى قالوه ولا يناقض ذلك حكاية الله عنهم انهم قالوا ان هذا السحر مبين وذلك اما لانهم قالوا الامرين جميعا بدؤا بالاستفهام على سبيل الاستهتار بالحق والاستهزاء بكونه حقا والانكار له بل قد يكون الاستفهام من جهة المواطن أبت من الاخبار الا ترى انهم يقولون فى قوله أأنت ام سالم ابلغ فى البت من قوله مخبرا أنت ام سالم ثم ثنوا بصيغة الخبر الخاصة بت الانكار ودعوى انه سحر فقالوا ان هذا السحر مبين فحكي الله تعالى عنهم هذا القول الثاني وو بخهم موسي على قولهم الاول ومعنى العبارتين ومآلهما واحد واما ان لا يكونوا قالوا سوى أسحر هذا على سبيل الانكار حسبما تقدم فحكاه الله تعالى عنهم

ان الله سيبطله ان الله لا يصلح عمل المفسدين ويحق الله الحق بكلماته ولو كره المجرمون فما آمن لموسى الا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم ان يفتنهم وان فرعون لعال فى الارض وانه لمن المسرفين وقال موسي ياقوم ان كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ونجنا برحمتك من القوم الكافرين واوحينا الى موسي واخيه ان تبوآ لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة واقيموا الصلاة وبشر المؤمنين وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون

القراءة ما استفهامية اى اى شيء جئتم به اهو السحر وقرا عبد الله ماجئتم به سحر وقرا ابي ما اتيتم به سحر والمعنى لا ما اتيت به (ان الله سيبطله) سيمحقه و يظهر بطلانه باظهار المعجزة على الشعوذة (لا يصلح عمل المفسدين) لا يثبته ولا يديمه ولكن يسلط عليه الدمار (ويحق الله الحق) و يثبته (بكلماته) باوامره وقضاياه وقرئ بكلمته بامره ومشيئته (فما آمن لموسى) فى اول امره (الا ذرية من قومه) الا طائفة من ذرارى بنى اسرائيل كانه قيل الا اولاد من اولاد قومه وذلك انه دعا الآباء فلم يجيبوه خوفا من فرعون واجابته طائفة من ابنائهم مع الخوف وقيل الضمير في قومه لفرعون والذرية مؤمن آل فرعون وآسية امرأته وخازنه وامرأة خازنه وماشطته (فان قلت) الام يرجع الضمير فى قوله (وملئهم) (قلت) الى فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر اولانه ذو اصحاب يأتمرون له ويجوز ان يرجع الى الذرية اى على خوف من فرعون وخوف من اشراف بنى اسرائيل لانهم كانوا يمنعون اعقابهم خوفا من فرعون عليهم وعلى انفسهم و يدل عليه قوله (ان يفتنهم) يريد ان يعذبهم (وان فرعون لعال فى الارض) لغالب فيها قاهر (وانه لمن المسرفين) فى الظلم والفساد وفي الكبر والعتو بادعائه الربوبية (ان كنتم آمنتم بالله) صدقتم به و بآياته (فعليه توكلوا) فاليه اسندوا امركم فى العصمة من فرعون * ثم شرط فى التوكل الاسلام وهو ان يسلموا نفوسهم لله اى يجعلوها له سالمة خالصة لا حظ للشيطان فيها لان التوكل لا يكون مع التخليط ونظيره في الكلام ان ضربك زيد فاضربه ان كانت بك قوة (فقالوا على الله توكلنا) انما قالوا ذلك لان القوم كانوا مخلصين لا جرم ان الله سبحانه قبل توكلهم واجاب دعاءهم ونجاهم واهلك من كانوا يخافونه وجعلهم خلفاء في ارضه فمن اراد ان يصلح للتوكل على ربه والتفويض اليه فعليه برفض التخليط الى الاخلاص (لا تجعلنا فتنة) موضع فتنة لهم اى عذاب يعذبوننا و يفتنوننا عن ديننا او فتنة لهم يفتتنون بنا و يقولون لو كان هؤلاء على الحق لما اصيبوا * تبوأ المكان اتخذه مباءة كقولك توطنه اذا اتخذه وطنا والمعنى اجعلا بمصر بيوتا من بيوته مباءة لقومكما ومرجعا يرجعون اليه للعبادة والصلاة فيه (واجعلوا بيوتكم) تلك (قبلة) اى مساجد متوجهة نحو القبلة وهي الكعبة وكان موسي ومن معه يصلون الى الكعبة وكانوا فى اول امرهم مامورين بان يصلوا فى بيوتهم فى خفية من الكفرة لئلا يظهروا عليهم فيؤذوهم و يفتنوهم عن دينهم كما كان المؤمنون على ذلك فى اول الاسلام بمكة (فان قلت) كيف نوع الخطاب فثنى اولا ثم جمع ثم وحد آخرا (قلت) خوطب موسي وهرون عليهما السلام ان يتبوآ

ومآله لانه يعلم ان مرادهم من الاستفهام الانكار و بت القول انه سحر وحكي موسى عليه السلام قولهم بلفظه لقومهما
ولم يؤده بعبارة اخرى وحكاية القصص المتلوة فى الكتاب العزيز بصيغ مختلفة لا محمل لها سوى انها معان منقولة الى لغة العربية فيترجم عنها بالالفاظ المترادفة المتساوية المعانى وحاصل هذا البحث ان قول موسي عليه السلام أتقولون للحق لما جاءكم أسحر هذا انما حكى فيه قولهم و يرشد الى ذلك انه كافاهم عند ما اتوا بالسحر بمثل مقالتهم مستفهما فقال ماجئتم به آلسحر على قراءة الاستفهام قرضا بوفاء على السواء والذى يحقق لك ان الاستفهام والاخبار فى مثل هذا المعنى مؤداهما واحد ان الله تعالى حكى قول موسى عليه السلام ماجئتم به السحر على الوجهين الخبر والاستفهام على ما اقتضته القراءتان وهو قول واحد دل على ان مؤدى الامرين واحد ضرورة صدق الخبر وانما حمل الزمخشري على تاويل القول بالتعييب او اضمار مفعول تقولون استشكالا لوقوع الاستفهام محكيا بالقول والمحكى اولا عنهم الخبر وقد اوضحنا انه لا تنافر ولا تنافي بين الامرين فشد بهذا الفصل عزم التمسك فانه من دقائق النكت والله الموفق

*قوله تعالى وقال موسى ربنا انك آتيت فرعون وملأه زينة واموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك (قال قلت هو دعاء بلفظ الامر الخ) قال احمد وهذا من اعتزاله الخفى الذى هو ادق من دبيب النمل يكاد الاطلاع عليه ان يكون كشفا ووجه ذلك انه علم ان الظاهر بل والباطن ان اللام للتعليل وان الفعل منصوب بها ومعنى ذلك اخبار موسى عليه السلام بان الله انما امدهم ٤٢٩ بالزينة والاموال وما يتبعهما من النعم استدراجا ليزدادوا اثما وضلالة كما اخبر تعالى عن امثالهم بقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما وهذا المعنى منتظم على جعل اللام للتعليل والزمخشرى بنى على القاعدة الفاسدة فى استحالة ذلك على الله تعالى لاعتقاده ان من الجور ان يملى لهم فى الضلالة ويعاقبهم عليها فهو متبتل لما يرد من الآيات بعمل الحيلة فى تاويلها وردها الى معتقده وجعلها تبعا له كما تقدم له تأويل قوله ليزدادوا اثما وكاين من آية غراء رام ان يسترغرتها ويطفئ نورها بامثال هذه التاويلات الرديئة لفظا وعقدا ويابى الله الا ان يتم نوره ثم لا يسعه الا ان يحمل موسى عليه السلام على امثال هذه المعتقدات ولقد برأه الله وكان عند الله وجيها * قوله تعالى آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين (قال معناه اتؤمن الساعة فى وقت اضطرارك حين ادركك الغرق الخ) قال احمد ولقد انكر منكرا وغضب لله

وملأه زينة وأموالا فى الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الاليم قال قد اجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون وجاوزنا ببنى اسرائيل البحر فاتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى اذا أدركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الذى آمنت به بنوا اسرائيل وانا من المسلمين آلآن وقد عصيت قبل وكنت

لقومهما بيوتا ويختاراها للعبادة وذلك مما يفوض الى الانبياء ثم سيق الخطاب عاما لهما ولقومهما باتخاذ المساجد والصلاة فيها لان ذلك واجب على الجمهور ثم خص موسى عليه السلام بالبشارة التى هى الغرض تعظيما لها وللمبشر بها * الزينة ما يتزين به من لباس او حلي او فرش او أثاث او غير ذلك وعن ابن عباس رضي الله عنه كانت لهم من فسطاط مصر الى ارض الحبشة جبال فيها معادن من ذهب وفضة وزبرجد وياقوت (فان قلت) ما معنى قوله (ربنا ليضلوا عن سبيلك) (قلت) هو دعاء بلفظ الامر كقوله ربنا اطمس واشدد وذلك انه لما عرض عليهم آيات الله وبيناته عرضا مكررا وردد عليهم النصائح والمواعظ زمانا طويلا وحذرهم عذاب الله وانتقامه وانذرهم عاقبة ما كانوا عليه من الكفر والضلال المبين ورآهم لا يزيدون على عرض الآيات الا كفرا وعلى الانذار الا استكبارا وعن النصيحة الا نبوا ولم يبق له مطمع فيهم وعلم بالتجربة وطول الصحبة انه لا يجيء منهم الا الغي والضلال وان ايمانهم كالمحال الذى لا يدخل تحت الصحة او علم ذلك بوحى من الله اشتد غضبه عليهم وافرط مقته وكراهته لحالهم فدعا الله عليهم بما علم انه لا يكون غيره كما تقول لعن الله ابليس واخزى الله الكفرة مع علمك انه لا يكون غير ذلك وليشهد عليهم بانه لم يبق له فيهم حيلة وانهم لا يستاهلون الا ان يخذلوا ويخلى بينهم وبين ضلالهم يتسكعون فيه كانه قال ليثبتوا على ما هم عليه من الضلال وليكونوا ضلالا وليطبع الله على قلوبهم فلا يؤمنوا وما على منهم هم أحق بذلك واحق كما يقول الاب المشفق لولده الشاطر اذا ما لم يقبل منه حسرة على ما فاته من قبول نصيحته وحردا عليه لا أن يريد خلاعته واتباعه هواه *ومعنى الشد على القلوب الاستيثاق منها حتى لا يدخلها الايمان (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشدد او دعاء بلفظ النهى وقد حملت اللام فى ليضلوا على التعليل على انهم جعلوا نعمة الله سببا فى الضلال فكانهم أوتوها ليضلوا وقوله فلا يؤمنوا عطف على ليضلوا وقوله ربنا اطمس على اموالهم واشدد على قلوبهم دعاء معترض بين المعطوف والمعطوف عليه * وقرأ الفضل الرقاشى أئنك آتيت على الاستفهام واطمس بضم الميم * قرئ دعواتكما قيل كان موسى يدعو وهرون يؤمن ويجوز ان يكونا جميعا يدعوان والمعنى ان دعاءكما مستجاب وما طلبتما كائن ولكن فى وقته (فاستقيما) فاثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة والزيادة فى الزام الحجة فقد لبث نوح عليه السلام فى قومه الف عام الا قليلا ولا تستعجلا قال ابن جريج فمكث موسى بعد الدعاء اربعين سنة (ولا تتبعان سبيل الذين يعلمون) أى لا تتبعا طريق الجهلة بعادة الله فى تعليق الامور بالمصالح ولا تعجلا فان العجلة ليست بمصلحة وهذا كما قال لنوح عليه السلام انى أعظك ان تكون من الجاهلين وقرئ ولا تتبعان بالنون الخفيفة وكسرها لالتقاء الساكنين تشبيها بنون التثنية وبتخفيف التاء من تبع * قرأ الحسن وجوزنا من أجاز المكان وجوزه وجاوزه وليس من جوز من الذى فى بيت الاعشى * واذا يجوزها حبال قبيلة * لانه لو كان منه لكان حقه ان يقال وجوزنا بنى اسرائيل فى البحر كما قال * كما جوز السكى فى الباب فيتق *(فاتبعهم) فلحقهم يقال تبعته حتى اتبعته * وقرأ الحسن وعدوا * وقرئ انه بالفتح على حذف الباء التى هى صلة الايمان وانه بالكسر على الاستئناف بدلا من آمنت * كرر المخذول المعنى الواحد ثلاث مرات فى ثلاث عبارات حرصا على القبول ثم لم يقبل منه حيث أخطأ وقته وقاله حين لم يبق له اختيار قط وكانت المرة الواحدة كافية فى حال الاختيار وعند بقاء التكليف (آلآن) اتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار حين ادركك الغرق وايست من نفسك قيل قال ذلك حين الجمه الغرق يعنى حين اوشك ان يغرق وقيل قاله بعد ان غرق فى نفسه والذى يحكى انه حين قال آمنت أخذ جبريل من حال البحر فدسه فى

فيه فالغضب لله على الكافر في وقت قد علم ان ايمانه لا ينفعه واما بضم اليه من قولهم خشية ان تدركه رحمة الله فمن زيادات الباهتين لله وملائكته وفيه جهالتان احداهما ان الايمان يصح بالقلب كايمان الاخرس فحال البحر لا يمنعه والاخرى ان من كره ايمان الكافر وأحب بقاءه على الكفر فهو كافر لان الرضا بالكفر كفر (من المفسدين) من الضالين المضلين عن الايمان كقوله الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون وروى ان جبريل عليه السلام اتاه بفتيا ماقول الامير في عبد الرجل نشأ في ماله ونعمته فكفر نعمته وجحد حقه وادعى السيادة دونه فكتب فرعون فيه يقول ابو العباس الوليد بن مصعب جزاء العبد الخارج على سيده الكافر نعماه ان يغرق في البحر فلما الجمه الغرق ناوله جبريل خطه فعرفه (ننجيك) بالتشديد والتخفيف نبعدك مما وقع فيه قومك من قعر البحر وقيل نلقيك بنجوة من الارض وقرىء ننحيك بالحاء نلقيك بناحية مما يلي البحر وذلك انه طرح بعد الغرق بجانب البحر قال كعب رماه الماء الى الساحل كانه ثور (ببدنك) في موضع الحال اى في الحال التي لا روح فيك وانما انت بدن او ببدنك كاملا سويا لم ينقص منه شيء ولم يتغير او عريانا لست الا بدنا من غير لباس او بدرعك قال عمرو بن معديكرب أعاذل شكتي بدني وسيفي * وكل مقلص سلس القياد

وكانت له درع من ذهب يعرف بها وقرأ ابو حنيفة رحمه الله بابدانك وهو على وجهين اما ان يكون مثل قولهم هوى باجرامه يعني ببدنك كله وافيا باجزائه او يريد بدروعك كانه كان مظاهرا بينها (لمن خلفك آية) لمن وراءك من الناس علامة وهم بنو اسرائيل وكان في انفسهم ان فرعون اعظم شأنا من ان يغرق وروى انهم قالوا مامات فرعون ولا يموت ابدا وقيل أخبرهم موسى بهلاكه فلم يصدقوه فالقاه الله على الساحل حتى عاينوه وكان مطرحه كان على ممر من بني اسرائيل حتى قيل لمن خلفك وقيل لمن خلفك لمن يأتي بعدك من القرون * ومعنى كونه آية ان تظهر للناس عبوديته ومهانته وان ما كان يدعيه من الربوبية باطل محال وانه مع ما كان فيه من عظم الشان وكبرياء الملك آل امره الى ماترون لعصيانه ربه عز وجل فما الظن بغيره او لتكون عبرة تعتبر بها الامم بعدك فلا يجترئوا على نحو ما اجترأت عليه اذا سمعوا بحالك وبهوانك على الله * وقرىء لمن خلفك بالقاف اى لتكون لخالقك آية كسائر آياته ويجوز ان يراد ليكون طرحك على الساحل وحدك وتمييزك من بين المغرقين لئلا يشتبه على الناس امرك ولئلا يقولوا لادعائك العظمة ان مثله لا يغرق ولا يموت آية من آيات الله التي لا يقدر عليها غيره وليعلموا ان ذلك تعمد منه لاماطة الشبهة في امرك (مبوأ صدق) منزلا صالحا مرضيا وهو مصر والشام (فما اختلفوا) في دينهم وما تشعبوا فيه شعبا الامن بعدما قرؤا التوراة وكسبوا العلم بدين الحق ولزمهم الثبات عليه واتحاد الكلمة وعلموا أن الاختلاف فيه تفرق عنه وقيل هو العلم بمحمد صلى الله عليه وسلم واختلاف بني اسرائيل وهم اهل الكتاب اختلافهم في صفته ونعته وانه هو ام ليس به بعدما جاءهم العلم والبيان انه هو ولم يرتابوا فيه كما قال الله تعالى الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابناءهم * (فان قلت) كيف قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم (فان كنت في شك مما أنزلنا اليك) مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب (قلت) فرق عظيم بين قوله وانهم لفي شك منه مريب باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق وبين قوله فان كنت في شك بمعنى الفرض والتمثيل كانه قيل فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب) والمعنى ان الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بان العلم قد جاءهم لان امر رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوب عندهم في التوراة والانجيل وهم يعرفونه كما يعرفون ابناءهم فاراد ان يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوة محمد عليه السلام ويبالغ في ذلك فقال فان وقع لك شك فرضا وتقديرا وسبيل من خالجته شبهة في الدين ان يسارع الى حلها واماطتها اما بالرجوع الى قوانين الدين وادلته واما بمقادحة العلماء المنبهين على الحق فسل علماء أهل الكتاب يعني انهم من الاحاطة بصحة ما انزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك فالغرض وصف الاحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما انزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه ثم قال (لقد جاءك

من المفسدين فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وان كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ولقد بوأنا بني اسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك لقد جاءك

وللملائكة كما يجب لهم والله الموفق * قوله تعالى فان كنت في شك مما انزلنا اليك فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك (قال ان قلت كيف قال له عليه السلام فان كنت في شك مع قوله في الكفرة وانهم لفي شك منه مريب الخ) قال احمد ولو قال هذا المفسر ان نفي الشك عنه عليه الصلاة والسلام توطئة لامره بالسؤال لتقوم حجته على المسؤلين لا ليستفيد بسؤالهم علما لمزيد تبين الاسراء بقوله له قل لمن مافي السموات والارض قل لله فامر بالسؤال والجواب جميعا لكان أقوم واسلم والله أعلم

الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله فتكون من الخاسرين ان الذين حقت عليهم كلمت ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتي يروا العذاب الاليم فلولا كانت قرية آمنت فنفعها ايمانها الا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزى في الحياة الدنيا ومتعناهم الى حين ولوشاء ربك لآمن من في الارض كلهم جميعا أفأنت تكره الناس حتي يكونوا مؤمنين وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون قل انظروا ماذا في السموات

الحق من ربك) اى ثبت عندك بالآيات والبراهين القاطعة ان ما اتاك هو الحق الذى لا مدخل فيه للمرية (فلا تكونن من الممترين ولا تكونن من الذين كذبوا بآيات الله) اى فاثبت ودم على ما انت عليه من انتفاء المرية عنك والتكذيب بآيات الله ويجوز ان يكون على طريقة التهييج والالهاب كقوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين ولا يصدنك عن آيات الله بعد اذ انزلت اليك ولزيادة التثبيت والعصمة ولذلك قال عليه السلام عند نزوله لا أشك ولا أسأل بل اشهد انه الحق وعن ابن عباس رضى الله عنه لا والله ماشك طرفة عين ولا سال احدا منهم وقيل خوطب رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد خطاب امته ومعناه فان كنتم فى شك مما أنزلنا اليكم كقوله وانزلنا اليكم نورا مبينا وقيل الخطاب للسامع ممن يجوز عليه الشك كقول العرب اذا عز أخوك فهن وقيل ان للنفى اى فما كنت فى شك فاسال يعنى لا نامرك بالسؤال لانك شاك ولكن لتزداد يقينا كما ازداد ابراهيم عليه السلام بمعاينة احياء الموتى وقرىء فاسئل الذين يقرؤن الكتب (حقت عليهم كلمة ربك) ثبت عليهم قول الله الذى كتبه فى اللوح واخبر به الملائكة انهم يموتون كفارا فلا يكون غيره وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد تعالى الله عن ذلك (فلولا كانت) فهلا كانت (قرية) واحدة من القرى التى اهلكناها تابت عن الكفر واخلصت الايمان قبل المعاينة وقت بقاء التكليف ولم تؤخر كما أخر فرعون الى ان اخذ بمخنقه (فنفعها ايمانها) بان يقبله الله منها لوقوعه في وقت الاختيار وقرأ ابي وعبد الله فهلا كانت (الاقوم يونس) استثناء من القرى لان المراد اهاليها وهو استثناء منقطع بمعنى ولكن قوم يونس لما آمنوا ويجوز ان يكون متصلا والجملة فى معنى النفى كانه قيل ما آمنت قرية من القرى الهالكة الا قوم يونس وانتصابه على اصل الاستثناء وقرىء بالرفع على البدل هكذا روى عن الجرمى والكسائي روى ان يونس عليه السلام بعث الى نينوى من ارض الموصل فكذبوه فذهب عنهم مغاضبا فلما فقدوه خافوا نزول العذاب فلبسوا المسوح وعجوا اربعين ليلة وقيل قال لهم يونس ان اجلكم اربعون ليلة فقالوا ان رأينا اسباب الهلاك آمنا بك فلما مضت خمس وثلاثون اغامت السماء غيما اسود هائلا يدخن دخانا شديدا ثم يهبط حتي يغشي مدينتهم ويسود سطوحهم فلبسوا المسوح وبرزوا الى الصعيد بانفسهم ونسائهم وصبيانهم ودوابهم وفرقوا بين النساء والصبيان وبين الدواب واولادها فحن بعضها على بعض وعلت الاصوات والعجيج واظهروا الايمان والتوبة وتضرعوا فرحمهم الله وكشف عنهم وكان يوم عاشوراء يوم الجمعة وعن ابن مسعود بلغ من توبتهم ان ترادوا المظالم حتي ان الرجل كان يقتلع الحجر وقد وضع عليه اساس بنائه فيرده وقيل خرجوا الى شيخ من بقية علمائهم فقالوا قد نزل بنا العذاب فما ترى فقال لهم قولوا ياحي حين لا حى وياحي محيي الموتي وياحي لا اله الا انت فقالوها فكشف عنهم وعن الفضيل بن عياض قالوا اللهم ان ذنوبنا قد عظمت وجلت وانت اعظم منها واجل افعل بنا ما انت اهله ولا تفعل بنا ما نحن اهله (ولوشاء ربك) مشيئة القسر والالجاء (لآمن من فى الارض كلهم) على وجه الاحاطة والشمول (جميعا) مجتمعين على الايمان مطبقين عليه لا يختلفون فيه الا ترى الى قوله (افانت تكره الناس) يعنى انما يقدر على اكراههم واضطرارهم الى الايمان هو لا انت وايلاء الاسم حرف الاستفهام للاعلام بان الاكراه ممكن مقدور عليه وانما الشان فى المكره من هو وما هو الا هو وحده لا يشاركه فيه لانه هو القادر على ان يفعل فى قلوبهم ما يضطرون عنده الى الايمان وذلك غير مستطاع للبشر (وما كان لنفس) يعنى من النفوس التي علم انها تؤمن (الا باذن الله) اى بتسهيله وهو منح الالطاف (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) قابل الاذن بالرجس وهو الخذلان والنفس المعلوم ايمانها بالذين لا يعقلون وهم المصرون على الكفر كقوله صم بكم عمى فهم لا يعقلون وسمى الخذلان رجسا وهو العذاب لانه سببه وقرىء الرجز بالزاى وقرىء ونجعل بالنون (ماذا فى السموات

* قوله تعالى ولوشاء ربك لآمن من فى الارض كلهم جميعا (قال المراد مشيئة القسر والالجاء) قال احمد وهذا من دسه الاعتزال مخلسا وخالط الباطل بالحق مدلسا ولما علم ان الآية تقتضي عدم مشيئة الله تعالى لايمان الخلق بصيغة الكلية . وانه انما شاء ذلك ممن آمن لا ممن كفر اذ مقتضي لولا امتناع وكان ذلك رادا لمعتقده الفاسد اذ يزعمون ان الله تعالى شاء الايمان من جميع اهل الارض فلم يؤمن الا بعضهم اخذ يحرف مشيئة الايمان الى مشيئة القسر والالجاء ليتم له ان المشيئة المرادة في الآية لم تقع لانا نوافقه على ان الله تعالى ما قسر الخلق ولا سلب اختيارهم بل امرهم بالايمان وخلق لهم اختيارا له وقصده وهذا كما ترى لا يعد فى التاويل بل هو اجدر بالتعطيل فوجب رده واقرار الظاهر على حاله نعوذ بالله من زيغ الشيطان واضلاله والله الموفق

والارض) من الآيات والعبر (وماتغنى الآيات والنذر) والرسل المنذرون اوالانذارات (عن قوم لايؤمنون) لايتوقع ايمانهم وهم الذين لايعقلون وقرئ ومايغنى بالياء ومانافية اواستفهامية (ايام الذين خلوا من قبلهم) وقائع الله تعالى فيهم كما يقال ايام العرب لوقائعها (ثم ننجي رسلنا) معطوف على كلام محذوف يدل عليه قوله الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم كانه قيل نهلك الامم ثم ننجي رسلنا على حكاية الاحوال الماضية (والذين آمنوا) ومن آمن معهم * كذلك ننج المؤمنين مثل ذلك الانجاء ننجي المؤمنين منكم ونهلك المشركين و (حقا علينا) اعتراض يعني حق ذلك علينا حقا وقرئ ننج بالتشديد (ياأيها الناس) يااهل مكة (ان كنتم في شك من ديني) وصحته وسداده فهذا ديني فاسمعوا وصفه واعرضوه على عقولكم وانظروا فيه بعين الانصاف لتعلموا انه دين لامدخل فيه للشك وهو اني لااعبد الحجارة التي تعبدونها من دون من هو الهكم وخالقكم (ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم) وانما وصفه بالتوفي ليريهم انه الحقيق بان يخاف ويتقي فيعبد دون مالا يقدر على شيء (وامرت ان اكون من المؤمنين) يعني ان الله امرني بذلك بما ركب في من العقل وبما اوحي الي في كتابه وقيل معناه ان كنتم في شك من ديني ومما انا عليه أأثبت عليه ام اتركه واوافقكم فلاتحدثوا انفسكم بالمحال ولا تشكوا في امري واقطعوا عني اطماعكم واعلموا اني لااعبد الذين تعبدون من دون الله ولا اختار الضلالة على الهدى كقوله قل ياأيها الكافرون لااعبد ماتعبدون امرت ان اكون اصله بان اكون فحذف الجار وهذا الحذف يحتمل ان يكون من الحذف المطرد الذي هو حذف الحروف الجارة مع ان وان وان يكون من الحذف غير المطرد وهو قوله امرتك الخير فاصدع بما تؤمر * (فان قلت) عطف قوله (وان اقم) على ان اكون فيه اشكال لان ان لاتخلو من ان تكون التي للعبارة اوالتي تكون مع الفعل في تاويل المصدر فلايصح ان تكون للعبارة وان كان الامر مما يتضمن معنى القول لان عطفها على الموصولة يابي ذلك والقول بكونها موصولة مثل الاولى لايساعد عليه لفظ الامر وهو اقم لان الصلة حقها ان تكون جملة تحتمل الصدق والكذب (قلت) قد سوغ سيبويه ان توصل ان بالامر والنهي وشبه ذلك بقولهم انت الذي تفعل على الخطاب لان الغرض وصلها بما تكون معه في معنى المصدر والامر والنهي دالان على المصدر دلالة غيرهما من الافعال اقم وجهك استقم اليه ولاتلتفت يمينا ولاشمالا و (حنيفا) حال من الدين اومن الوجه (فان قلت) معناه فان دعوت من دون الله مالاينفعك ولايضرك فكني عنه بالفعل ايجازا (فانك اذا من الظالمين) اذا جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر كان سائلا سال عن تبعة عبادة الاوثان وجعل من الظالمين لانه لاظلم اعظم من الشرك ان الشرك لظلم عظيم * اتبع النهي عن عبادة الاوثان ووصفها بانها لاتنفع ولاتضر ان الله عزوجل هو الضار النافع الذي ان اصابك بضر لم يقدر على كشفه الا هو وحده دون كل احد فكيف بالجماد الذي لاشعور به وكذلك ان ارادك بخير لم يرد احد ما يريده بك من فضله واحسانه فكيف بالاوثان فهو الحقيق اذا بان توجه اليه العبادة دونها وهو ابلغ من قوله ان ارادني الله بضر هل هن كاشفات ضره اوارادني برحمة هل هن ممسكات رحمته (فان قلت) لم ذكر المس في احدهما والارادة في الثاني (قلت) كانه اراد ان يذكر الامرين جميعا الارادة والاصابة في كل واحد من الضر والخير وانه لاراد لما يريده منهما ولامزيل لما يصيب به منهما فاوجز الكلام بان ذكر المس وهو الاصابة في احدهما والارادة في الآخر ليدل بما ذكر على ماترك على انه قد ذكر الاصابة بالخير في قوله تعالى (يصيب به من يشاء من عباده) والمراد بالمشيئة مشيئة المصلحة (قدجاءكم الحق) فلم يبق لكم عذر ولا على الله حجة فمن اختار الهدى واتباع الحق فما نفع باختياره الا نفسه ومن آثر الضلال فما ضر الا نفسه واللام وعلى دلا على معنى النفع والضر وكل اليهم الامر بعد ابانة الحق وازاحة العلل وفيه حث على ايثار الهدى واطراح الضلال مع ذلك (وما انا عليكم بوكيل) بحفيظ موكول الى امركم وحملكم على ما اريد انما انا بشير ونذير (واصبر) على دعوتهم واحتمال اذاهم واعراضهم (حتى يحكم الله) لك بالنصرة عليهم والغلبة وروى انها لما نزلت جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم الانصار فقال انكم ستجدون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني يعني

والارض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون فهل ينتظرون الامثل ايام الذين خلوا من قبلهم قل فانتظروا اني معكم من المنتظرين ثم ننجي رسلنا والذين آمنوا كذلك حقا علينا ننج المؤمنين قل ياأيها الناس ان كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ولكن اعبد الله الذي يتوفاكم وامرت ان اكون من المؤمنين وان اقم وجهك للدين حنيفا ولا تكونن من المشركين ولا تدع من دون الله مالا ينفعك ولا يضرك فان فعلت فانك اذا من الظالمين وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم قل ياأيها الناس قدجاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما انا عليكم بوكيل واتبع مايوحى اليك واصبر حتى يحكم الله وهو خيرالحاكمين

اني أمرت فى هذه الآية بالصبر على ماسامتنى الكفرة فصبرت فاصبروا انتم على ما يسومكم الامراء الجورة قال انس فلم نصبروروى ان اباقتادة تخلف عن تلقى معاوية حين قدم المدينة وقد تلقته الانصار ثم دخل عليه من بعد فقال له مالك لم تتلقنا قال لم تكن عندنا دواب قال فاين النواضح قال قطعناها فى طلبك وطلب أبيك يوم بدر وقد قال صلى الله عليه وسلم يامعشر الانصار انكم ستلقون بعدى اثرة قال معاوية فماذا قال قال فاصبروا حتى تلقوني قال فاصبر قال اذن نصبر فقال عبد الرحمن بن حسان

الا أبلغ معاوية بن حرب * أمير الظالمين نثا كلامى

بانا صابرون فمنظروكم * الى يوم التغابن والخصام

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يونس أعطى من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بيونس وكذب به و بعدد من غرق مع فرعون

(سورة هود عليه السلام مكية وهى مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(أحكمت آياته) نظمت نظما رصينا محكما لا يقع فيه نقض ولا خلل كالبناء المحكم المرصف ويجوز ان يكون نقلا بالهمزة من حكم بضم الكاف اذا صار حكيما اى جعلت حكيمة كقوله تعالى آيات الكتاب الحكيم وقيل منعت من الفساد من قولهم احكمت الدابة اذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح قال جرير

ابنى حنيفة أحكموا سفهاءكم * انى أخاف عليكم ان اغضبا

وعن قتادة أحكمت من الباطل (ثم فصلت) كما تفصل القلائد بالفرائد من دلائل التوحيد والاحكام والمواعظ والقصص اوجعلت فصولا سورة سورة وآية آية اوفرقت فى التنزيل ولم تنزل جملة واحدة اوفصل فيها مايحتاج اليه العباد اى بين ولخص وقرئ أحكمت آياته ثم فصلت اى أحكمتها انا ثم فصلتها وعن عكرمة والضحاك ثم فصلت اى فرقت بين الحق والباطل (فان قلت) مامعنى ثم (قلت) ليس معناها التراخى فى الوقت ولكن فى الحال كما تقول هى محكمة أحسن الاحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل وفلان كريم الاصل ثم كريم الفعل وكتاب خبر مبتدأ محذوف وأحكمت صفة له وقوله (من لدن حكيم خبير) صفة ثانية ويجوز ان يكون خبرا بعد خبر اوان يكون صلة لأحكمت وفصلت أى من عنده احكامها وتفصيلها وفيه طباق حسن لان المعنى أحكمها حكيم وفصلها أى بينها وشرحها خبير عالم بكيفيات الامور (ألا تعبدوا) مفعول له على معنى لئلا تعبدوا اوتكون ان مفسرة لان فى تفصيل الآيات معنى القول كانه قيل قال لا تعبدوا الا الله اوأمركم ان لا تعبدوا الا الله (وان استغفروا) اى أمركم بالتوحيد والاستغفار ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ منقطعا عما قبله على لسان النبي صلى الله عليه وسلم اغراء منه على اختصاص الله بالعبادة و يدل عليه قوله انى لكم منه نذير و بشير كانه قال ترك عبادة غير الله انى لكم منه نذير كقوله تعالى فضرب الرقاب والضمير فى منه لله عزوجل اى انى لكم نذير و بشير من جهته كقوله رسول من الله اوهى صلة لنذير اى انذركم منه ومن عذابه ان كفرتم وأبشركم بثوابه ان آمنتم * (فان قلت) مامعنى ثم فى قوله (ثم توبوا اليه) (قلت) معناه استغفروا من الشرك ثم ارجعوا اليه بالطاعة اواستغفروا والاستغفار توبة ثم اخلصوا التوبة واستقيموا عليها كقوله ثم استقاموا (يمتعكم) يطول نفعكم فى الدنيا بمنافع حسنة مرضية من عيشة واسعة ونعمة متتابعة (الى أجل مسمى) الى ان يتوفاكم كقوله فلنحيينه حياة طيبة (ويؤت كل ذى فضل فضله) و يعط فى الآخرة كل من كان له فضل فى العمل وزيادة فيه جزاء فضله لا يبخس منه اوفضله فى الثواب والدرجات تتفاضل فى الجنة على قدر تفاضل الطاعات (وان تولوا) وان تتولوا (عذاب يوم كبير) هو يوم القيامة وصف بالكبر كما وصف بالعظم والثقل * و بين عذاب اليوم الكبير بان مرجعهم الى من هو قادر على كل شيء فكان قادرا على اشد ما اراد من عذابهم لا يعجزه وقرىء وان تولوا من ولى (يثنون صدورهم)

(سورة هود عليه السلام مكية وهي مائة وثلاث وعشرون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا الا الله انني لكم منه نذير و بشير وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعا حسنا الى اجل مسمى و يؤت كل ذى فضل فضله وان تولوا فاني أخاف عليكم عذاب يوم كبير الى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير ألا انهم يثنون صدورهم

يزورون عن الحق و ينحرفون عنه لان من أقبل على الشيء استقبله بصدره ومن ازور عنه وانحرف ثنى عنه صدره وطوى عنه كشحه (ليستخفوا منه) يعني و يريدون ليستخفوا من الله فلا يطلع رسوله والمؤمنين على ازوارهم ونظير اضمار يريدون لعود المعنى الى اضماره الاضمار فى قوله تعالى اضرب بعصاك البحر فانفلق معناه فضرب فانفلق ومعنى (الاحين يستغشون ثيابهم) و يريدون الاستخفاء حين يستغشون ثيابهم أيضا كراهة لاستماع كلام الله تعالى كقول نوح عليه السلام جعلوا أصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم ثم قال يعلم (ما يسرون وما يعلنون) يعني انه لا تفاوت فى علمه بين اسرارهم واعلانهم فلا وجه لتوصلهم الى ما يريدون من الاستخفاء والله مطلع على ثنيهم صدورهم واستغشائهم ثيابهم و نفاقهم غير نافق عنده روى انها نزلت في الاخنس بن شريق وكان يظهر لرسول الله صلى الله عليه وسلم المحبة وله منطق حلو وحسن سياق للحديث فكان يعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم مجالسته ومحادثته وهو يضمر خلاف ما يظهر وقيل نزلت فى المنافقين * وقرئ تثنوني صدورهم واثنوني افعوعل من الثني كاحلولى من الحلاوة وهو بناء مبالغة قرئ بالتاء والياء وعن ابن عباس لتثنوني وقرئ تثنون واصله تثنونن تفعوعل من الثن وهو ما هش وضعف من الكلاير يد مطاوعة صدورهم للثني كما ينثني الهش من النبات او أراد ضعف ايمانهم ومرض قلوبهم وقرئ تثنئن من اثنأن افعال منه ثم همز كما قيل ابيأضت وادهأمت وقرئ تثنوى بوزن ترعوى (فان قلت) كيف قال (على الله رزقها) بلفظ الوجوب وانما هو تفضل (قلت) هو تفضل الا انه لما ضمن ان يتفضل به عليهم رجع التفضل واجبا كنذور العباد * والمستقر مكانه من الارض ومسكنه * والمستودع حيث كان مودعا قبل الاستقرار من صلب اورحم او بيضة (كل) كل واحد من الدواب ورزقها ومستقرها ومستودعها فى اللوح يعني ذكرها مكتوب فيه مبين (وكان عرشه على الماء) أي ما كان تحته خلق قبل خلق السموات والارض وارتفاعه فوقها الا الماء وفيه دليل على ان العرش والماء كانا مخلوقين قبل السموات والارض وقيل وكان الماء على متن الريح والله أعلم بذلك وكيفما كان فالله ممسك كل ذلك بقدرته وكلما ازدادت الاجرام كانت احوج اليه والى امساكه (ليبلوكم) متعلق بخلق اى خلقهن لحكمة بالغة وهي ان يجعلها مساكن لعباده وينعم عليهم فيها بفنون النعم و يكلفهم الطاعات واجتناب المعاصى فمن شكر واطاع اثابه ومن كفر وعصي عاقبه ولما اشبه ذلك اختبار المختبر قال ليبلوكم يريد ليفعل بكم ما يفعل المبتلى لاحوالكم كيف تعملون (فان قلت) كيف جاز تعليق فعل البلوى (قلت) لما فى الاختبار من معنى العلم لانه طريق اليه فهو ملابس له كما تقول انظر أيهم احسن وجها واسمع ايهم احسن صوتا لان النظر والاستماع من طرق العلم (فان قلت) كيف قيل (ايكم احسن عملا) واعمال المؤمنين هى التي تتفاوت الى حسن واحسن فاما اعمال المؤمنين والكافرين فتفاوتها الى حسن وقبيح (قلت) الذين هم احسن عملا هم المتقون وهم الذين استبقوا الى تحصيل ما هو غرض الله من عباده فخصهم بالذكر واطرح ذكر من وراءهم تشريفا لهم وتنبيها على مكانهم منه وليكون ذلك لطفا للسامعين وترغيبا فى حيازة فضلهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم ليبلوكم ايكم احسن عقلا واورع عن محارم الله واسرع في طاعة الله * قرئ ولئن قلت انكم مبعوثون بفتح الهمزة ووجهه ان يكون من قولهم ائت السوق عنك تشترى لنا لحما وانك تشترى بمعنى علك اى ولئن قلت لهم لعلكم مبعوثون بمعنى توقعوا بعثكم وظنوه ولا تبتوا القول بانكاره لقالوا (ان هذا الا سحر مبين) يا تين القول ببطلانه ويجوز ان تضمن قلت معنى ذكرت ومعنى قولهم ان هذا الا سحر مبين ان السحر امر باطل وان بطلانه كبطلان السحر تشبيها له به او اشاروا بهذا الى القرآن لان القرآن هو الناطق بالبعث فاذا جعلوه سحرا فقد اندرج تحته انكار ما فيه من البعث وغيره وقرئ ان هذا الا ساحر يريدون الرسول والساحر كاذب مبطل (العذاب) عذاب الآخرة وقيل عذاب يوم بدر وعن ابن عباس قتل جبريل المستهزئين (الى امه) الى جماعة من الاوقات (ما يحبسه) ما يمنعه من النزول استعجالا له على وجه التكذيب والاستهزاء و (يوم يأتيهم) منصوب بخبر ليس و يستدل به من يستجيز تقديم خبر ليس على ليس وذلك انه اذا جاز تقديم

معمول

ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون انه عليم بذات الصدور وما من دابة في الارض الا على الله رزقها و يعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين وهو الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام وكان عرشه على الماء ليبلوكم أيكم أحسن عملا ولئن قلت انكم مبعوثون من بعد الموت ليقولن الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين ولئن اخرنا عنهم العذاب الى أمة معدودة ليقولن ما يحبسه ألا يوم يأتيهم ليس مصروفا

(القول فى سورة هود عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وما من دابة فى الارض الا على الله رزقها (قال ان قلت كيف قال على الله رزقها بلفظ الوجوب الخ) قال احمد كل ما يسديه الله تعالى من رزق لبهيمة او مكلف في الدنيا او ثواب فى الآخرة فذلك كله فضل ولا واجب على الله تعالى وان ورد مثل هذه الصيغة فمحمول على ان الله عز وجل لما وعدهم فضله ووعده وخبره صدق وجب وقوع

معمول خبرها عليها كان ذلك دليلا على جواز تقديم خبرها اذ المعمول تابع للعامل فلا يقع الاحيث يقع العامل (وحاق بهم) واحاط بهم (ما كانوا به يستهزؤن) العذاب الذى كانوا به يستعجلون وانما وضع يستهزؤن موضع يستعجلون لان استعجالهم كان على جهة الاستهزاء والمعنى ويحيق بهم الا انه جاء على عادة الله فى اخباره (الانسان) للجنس (رحمة) نعمة من صحة وأمن وجدة (ثم نزعناها منه) ثم سلبناه تلك النعمة (انه ليؤس) شديد اليأس من ان تعود اليه مثل تلك النعمة المسلوبة قاطع رجاءه من سعة فضل الله من غير صبر ولا تسليم لقضائه ولا استرجاع (كفور) عظيم الكفران لما سلف له من التقلب فى نعمة الله نساء له (ذهب السيآت عنى) اى المصائب التي ساءتني (انه لفرح) أشر بطر (فخور) على الناس بما اذاقه الله من نعمائه قد شغله الفرح والفخر عن الشكر (الا الذين) آمنوا فان عادتهم ان نالتهم رحمة ان يشكروا وان زالت عنهم نعمة ان يصبروا * كانوا يقترحون عليه آيات تعنتا لا استرشادا لانهم لو كانوا مسترشدين لكانت آية واحدة مما جاء به كافية فى رشادهم ومن اقتراحاتهم لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وكانوا لا يعتدون بالقرآن ويتهاونون به وبغيره مما جاء به من البينات فكان يضيق صدر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يلقي اليهم ما لا يقبلونه ويضحكون منه فحركه الله منه وهيجه لاداء الرسالة وطرح المبالاة بردهم واستهزائهم واقتراحهم بقوله (فلعلك تارك بعض ما يوحى اليك) اى لعلك تترك ان تلقيه اليهم وتبلغه اياهم مخافة ردهم له وتهاونهم به (وضائق به صدرك) بان تتلوه عليهم (ان يقولوا) مخافة ان يقولوا (لولا انزل عليه كنز) اى هلا انزل عليه ما اقترحنا نحن من الكنز والملائكة ولم انزل عليه ما لا نريده ولا نقترحه ثم قال (انما انت نذير) اى ليس عليك الا ان تنذرهم بما اوحي اليك وتبلغهم ما امرت بتبليغه ولا عليك ردوا او تهاونوا او اقترحوا (والله على كل شيء وكيل) يحفظ ما يقولون وهو فاعل بهم ما يجب ان يفعل فتوكل عليه وكل امرك اليه وعليك بتبليغ الوحى بقلب فسيح وصدر منشرح غير ملتفت الى استكبارهم ولا مبال بسفههم واستهزائهم (فان قلت) لم عدل عن ضيق الى ضائق (قلت) ليدل على انه ضيق عارض غير ثابت لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان افسح الناس صدرا ومثله قولك زيد سيد وجواد تريد السيادة والجود الثابتين المستقرين فاذا اردت الحدوث قلت سائد وجائد ونحوه كانوا قوما عامين فى بعض القراآت وقول السمهرى العكلي

بمنزلة أما اللئيم فسامن * بها وكرام الناس بادشحو بها

(ام) منقطعة * والضمير فى (افتراه) لما يوحي اليك * تحداهم اولا بعشر سور ثم بسورة واحدة كما يقول المخاير فى الخط لصاحبه اكتب عشرة اسطر نحو ما اكتب فاذا تبين له العجز عن مثل خطه قال قد اقتصرت منك على سطر واحد (مثله) بمعنى امثاله ذهابا الى مماثلة كل واحدة منها له (مفتريات) صفة لعشر سور لما قالوا افتريت القرآن واختلقته من عند نفسك وليس من عند الله قاودهم على دعواهم وارخي معهم العنان وقال هبوا أني اختلقته من عند نفسي ولم يوح الي وان الامر كما قلتم فاتوا انتم ايضا بكلام مثله مختلق من عند انفسكم فانتم عرب فصحاء مثلي لا تعجزون عن مثل ما اقدر عليه من الكلام (فان قلت) كيف يكون ما يأتون به مثله وما يأتون به مفترى وهذا غير مفترى (قلت) معناه مثله فى حسن البيان والنظم وان كان مفترى (فان قلت) ما وجه جمع الخطاب بعد افراده وهو قوله لكم فاعلموا بعد قوله قل (قلت) معناه فان لم يستجيبوا لك وللمؤمنين لان رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين كانوا يتحدونهم وقد قال فى موضع آخر فان لم يستجيبوا لك فاعلم ويجوز ان يكون الجمع لتعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله .

* فان شئت حرمت النساء سواكم * ووجه آخر وهو ان يكون الخطاب للمشركين والضمير فى لم يستجيبوا لمن استطعتم يعنى فان لم يستجب لكم من تدعونه من دون الله الى المظاهرة على معارضته لعلمهم بالعجز عنه وان طاقتهم اقصر من ان تبلغه (فاعلموا انما انزل بعلم الله) اى انزل ملتبسا بما لا يعلمه الا الله من نظم معجز للخلق واخبار بغيوب لا سبيل لهم اليه (و) اعلموا عند ذلك (ان لا اله الا) الله وحده وان توحيده واجب والاشراك به ظلم عظيم (فهل انتم مسلمون) مبايعون بالاسلام بعد هذه الحجة القاطعة وهذا وجه حسن مطرد ومن جمل

عنهم وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن ولئن اذقنا الانسان منا رحمة ثم نزعناها منه انه ليؤس كفور ولئن اذقناه نعماء بعد ضراء مسته ليقولن ذهب السيآت عني انه لفرح فخور الا الذين صبروا وعملوا الصالحات اولئك لهم مغفرة واجر كبير فلعلك تارك بعض ما يوحي اليك وضائق به صدرك ان يقولوا لولا انزل عليه كنز اوجاء معه ملك انما انت نذير والله على كل شيء وكيل ام يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين فان لم يستجيبوا لكم فاعلموا انما انزل بعلم الله وان لا اله الا هو فهل انتم مسلمون من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها

الموعود اى يستحيل فى العقل ان لا يقع للزوم الخلف فى خبر الصادق فعبر عن ذلك بما يعبر به عن وجوب التكاليف وبينهما هذا الفرق المذكور هذه قاعدة اهل الحق وقد مر الكلام عليها عند قوله تعالى انما التوبة على الله والله الموفق

*قوله تعالى يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون (قال اراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم الخ) قال احمد اهل الحق وان نفوا تاثير استطاعة العبد وخلصوا الخلق لقدرة الخالق عز وجل لا ينفون استطاعة العبد نفسها ولا ما يجده من نفسه من الفرق حالة الحركات القسرية والاختيارية وانما الذي ينفي الاستطاعة جملة هم الجبرة حقيقة لا اهل السنة

نوف اليهم اعمالهم فيها وهم فيها لا يبخسون أولئك الذين ليس لهم في الآخرة الا النار وحبط ما صنعوا فيها وباطل ما كانوا يعملون أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى اماما ورحمة أولئك يؤمنون به ومن يكفر به من الاحزاب فالنار موعده فلا تك في مرية منه انه الحق من ربك ولكن أكثر الناس لا يؤمنون ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على ربهم ويقول الاشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم ألا لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة هم كافرون أولئك لم يكونوا معجزين في الارض وما كان لهم من دون الله من اولياء يضاعف لهم العذاب ما كانوا يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون اولئك الذين

الخطاب للمسلمين فمعناه فاثبتوا على العلم الذي انتم عليه وازدادوا يقينا وثبات قدم على أنه منزل من عند الله وعلى التوحيد ومعنى فهل أنتم مسلمون فهل أنتم مخلصون (نوف اليهم) نوصل اليهم اجور اعمالهم وافية كاملة من غير بخس في الدنيا وهو ما يرزقون فيها من الصحة والرزق وقيل هم اهل الرياء يقال للقراء منهم اردت ان يقال فلان قارئ فقد قيل ذلك ولمن وصل الرحم وتصدق فعلت حتى يقال فقيل ولمن قاتل فقتل قاتلت حتى يقال فلان جرىء فقد قيل وعن أنس بن مالك هم اليهود والنصارى ان أعطوا سائلا أو وصلوا رحما عجل لهم جزاء ذلك بتوسعة في الرزق وصحة في البدن وقيل هم الذين جاهدوا من المنافقين مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسهم لهم في الغنائم وقرئ يوف بالياء على ان الفعل لله عز وجل وتوف اليهم اعمالهم بالتاء على البناء للمفعول وفي قراءة الحسن نوفي بالتخفيف واثبات الياء لان الشرط وقع ماضيا كقوله *يقول لا غائب مالي ولا حرم* (وحبط ما صنعوا فيها) وحبط في الآخرة ما صنعوه او صنيعهم يعني لم يكن له ثواب لانهم لم يريدوا به الآخرة انما أرادوا به الدنيا وقد وفي اليهم ما ارادوا (وباطل ما كانوا يعملون) اى كان عملهم في نفسه باطلا لا نهم لم يعملوا لوجه صحيح والعمل الباطل لا ثواب له وقرئ وبطل على الفعل وعن عاصم وباطلا بالنصب وفيه وجهان ان تكون ما ابهامية وينتصب بيعملون ومعناه وباطلا اى باطل كانوا يعملون وان تكون بمعنى المصدر على وبطل بطلانا ما كانوا يعملون (أفمن كان على بينة) معناه امن كان يريد الحياة الدنيا فمن كان على بينة اى لا يعقبونهم في المنزلة ولا يقاربونهم يريد ان بين الفريقين تفاوتا بعيدا وتباينا بينا واراد بهم من آمن من اليهود كعبد الله بن سلام وغيره كان على بينة (من ربه) اى على برهان من الله وبيان ان دين الاسلام حق وهو دليل العقل (ويتلوه) ويتبع ذلك البرهان (شاهد منه) اى شاهد يشهد بصحته وهو القرآن منه من الله او شاهد من القرآن فقد تقدم ذكره آنفا (ومن قبله) ومن قبل القرآن (كتاب موسى) وهو التوراة اى ويتلو ذلك البرهان ايضا من قبل القرآن كتاب موسى وقرئ كتاب موسى بالنصب ومعناه كان على بينة من ربه وهو الدليل على ان القرآن حق ويتلوه ويقرأ القرآن شاهد منه شاهد ممن كان على بينة كقوله وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب ومن قبله كتاب موسى ويتلو من قبل القرآن التوراة (اماما) كتابا مؤتما به في الدين قدوة فيه (ورحمة) ونعمة عظيمة على المنزل اليهم (أولئك) يعني من كان على بينة (يؤمنون به) يؤمنون بالقرآن (ومن يكفر به من الاحزاب) يعني اهل مكة ومن ضامهم من المتحزبين على رسول الله صلى الله عليه وسلم (فالنار موعده فلا تك في مرية) وقرئ مرية بالضم وهما الشك (منه) من القرآن أو من الموعد (يعرضون على ربهم) يحبسون في الموقف وتعرض اعمالهم ويشهد عليهم (الاشهاد) من الملائكة والنبيين بانهم الكذابون على الله بانه اتخذ ولدا وشريكا ويقال (الا لعنة الله على الظالمين) فواخزياه وافضيحتاه والاشهاد جمع شاهد أو شهيد كاصحاب واشراف (ويبغونها عوجا) يصفونها بالاعوجاج وهي مستقيمة او يبغون اهلها ان يعوجوا بالارتداد *وهم الثانية لتاكيد كفرهم بالآخرة واختصاصهم به (أولئك لم يكونوا معجزين في الارض) أي ما كانوا ليعجزون الله في الدنيا ان يعاقبهم لو اراد عقابهم وما كان لهم من يتولاهم فينصرهم منه ويمنعهم من عقابه ولكنه اراد انظارهم وتاخير عقابهم الى هذا اليوم وهو من كلام الاشهاد (يضاعف لهم العذاب) وقرئ يضعف (ما كانوا يستطيعون السمع) اراد أنهم لفرط تصامهم عن استماع الحق وكراهتهم له كانهم لا يستطيعون السمع ولعل

والحق مع الزمخشري في هذا الموضع الا في غفلته حيث يقول فيوعوع بها على أهل العدل يعني بعض الآية المذكورة وهذه سقطة عظيمة وهب ان المجبر غلط في الاستدلال بالآية على معتقده فكيف يستجير ان يطلق على ايراده الآية وعوعة وانما تلا كتاب الله تعالى غير ان خطاءه في تصحيح معتقده الباطل به وما الزمخشري الا ية سامح كثيرا فيما يجب من الآداب للكتاب العزيز وانما يليق التسامح اذا كان يفسر شعر امرئ القيس أو الحارث بن حلزة واما أدب القرآن فيضيق عن اسهل من ذلك والله الموفق

*قوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون (قال شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع الى قوله ان تكون الواو الخ) قال احمد بخلافها على الوجه الاول فانها لعطف الموصوف على الموصوف واما تنظير الآية بتشبيه امرىء القيس فى كونه شبه تشبيهين اثنين ففيه نظر فان امرأ القيس شبه كل واحد من الرطب واليابس تشبيها واحدا والاية على التفسير الاول شبهت كل واحد من الكافر والمؤمن تشبيهين وانما ينظر ببيت امرىء القيس على الوجه الثانى فان مقتضاه ان كل واحد منهما شبه تشبيها واحدا ولكن فى صفتين متعددتين والامر فى ذلك قريب والله اعلم

بعض المجبرة يتوثب اذا عثر عليه فيوعوع به على اهل العدل كانه لم يسمع الناس يقولون فى كل لسان هذا كلام لا استطيع ان اسمعه وهذا مما يمجه سمعي ويحتمل ان يريد بقوله وما كان لهم من اولياء انهم جعلوا آلهتهم اولياء من دون الله وولايتها ليست بشىء فما كان لهم فى الحقيقة من اولياء ثم بين نفى كونهم اولياء بقوله ماكانو يستطيعون السمع وما كانوا يبصرون فكيف يصلحون للولاية وقوله يضاعف لهم العذاب اعتراض بوعيد (خسروا انفسهم) اشتروا عبادة الآلهة بعبادة الله فكان خسرانهم فى تجارتهم مالا خسران اعظم منه وهو انهم خسروا انفسهم (وضل عنهم) وبطل عنهم وضاع ما اشتروه وهو (ماكانوا يفترون) من الآلهة وشفاعتها (لاجرم) فسر فى مكان آخر (هم الاخسرون) لا ترى احدا أبين خسرانا منهم (وأخبتوا الى ربهم) واطمانوا اليه وانقطعوا الى عبادته بالخشوع والتواضع من الخبت وهي الارض المطمئنة ومنه قولهم للشىء الدني الخبيث قال

ينفع الطيب القليل من الرز * ق ولا ينفع الكثير الخبيث

وقيل التاء فيه بدل من الثاء *شبه فريق الكافرين بالاعمى والاصم وفريق المؤمنين بالبصير والسميع وهو من اللف والطباق وفيه معنيان ان يشبه الفريق تشبيهين اثنين كما شبه امرؤ القيس قلوب الطير بالحشف والعناب وان يشبهه بالذى جمع بين العمى والصمم او الذى جمع بين البصر والسمع على ان تكون الواو فى والاصم وفى والسميع لعطف الصفة على الصفة كقوله *الصابح فالغانم فالآيب * (هل يستويان) يعنى الفريقين (مثلا) تشبيها *أى ارسلنا نوحا بانى لكم نذير ومعناه ارسلناه ملتبسا بهذا الكلام وهو قوله (انى لكم نذير مبين) بالكسر فلما اتصل به الجار فتح كما فتح فى كأن والمعنى على الكسر وهو قولك ان زيدا كالاسد وقرىء بالكسر على ارادة القول (ان لا تعبدوا) بدل من انى لكم نذير أى ارسلناه بان لا تعبدوا (الا الله) او تكون ان مفسرة متعلقة بارسلنا او بنذير * ووصف اليوم باليم من الاسناد المجازى لوقوع الالم فيه (فان قلت) فاذا وصف به العذاب (قلت) مجازى مثله لان الاليم فى الحقيقة هو المعذب ونظيرهما قولك نهارك صائم وجد جده (الملأ) الاشراف من قولهم فلان مليء بكذا اذا كان مطيقا له وقد ملؤا بالامر لانهم ملؤا بكفايات الامور واضطلعوا بها وبتدبيرها او لانهم يتمالؤن اى يتظاهرون ويتساندون او لانهم يملؤن القلوب هيبة والمجالس أبهة أو لانهم ملاء بالاحلام والآراء الصائبة (ما نراك الا بشرا مثلنا) تعريض بانهم احق منه بالنبوة وان الله لو اراد ان يجعلها فى احد من البشر لجعلها فيهم فقالوا هب انك واحد من الملا وموازلهم فى المنزلة فما جعلك أحق منهم الا ترى الى قولهم وما نرى لكم علينا من فضل او ارادوا أنه كان ينبغى ان يكون ملكا لا بشرا *والاراذل جميع الارذل كقوله أكابر مجرميها أحاسنكم أخلاقا * قرىء بادى الرأى بالهمز وغير الهمز بمعنى اتبعوك اول الرأى او ظاهر الرأى وانتصابه على الظرف اصله وقت حدوث اول رايهم او وقت حدوث ظاهر رايهم فحذف ذلك واقيم المضاف اليه مقامه ارادوا ان اتباعهم لك انما هو شيء عن لهم بديهة من غير روية ونظر وانما استرذلوا المؤمنين لفقرهم وتاخرهم فى الاسباب الدنيوية لانهم كانوا جهالا ما كانوا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فكان الاشرف عندهم من له جاه ومال كما ترى اكثر المتسمين بالاسلام يعتقدون ذلك ويبنون عليه اكرامهم واهانتهم ولقد ذل عنهم ان التقدم فى الدنيا لا يقرب احدا من الله وانما يبعده ولا يرفعه بل

خسروا انفسهم وضل عنهم ما كانوا يفترون لاجرم انهم فى الآخرة هم الاخسرون ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات واخبتوا الى ربهم اولئك اصحاب الجنة هم فيها خالدون مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون ولقد ارسلنا نوحا الى قومه انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله انى اخاف عليكم عذاب يوم اليم فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى وما نرى لكم علينا

*قوله تعالى فقال الملا الذين كفروا من قومه ما نراك الا بشرا مثلنا وما نراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادى الراى (قال هو تعريض بانهم كانوا أحق منه بالنبوة الخ) قال احمد ويحتمل فى الوجهين ان يكون المراد اول الراى ولكنه ترك الهمز استثقالا الا ان يكون القارىء بها ياء ليس من مذهبه تسهيل الهمز والمعنيان متقاربان وقد زعم هؤلاء ان يعجبوا نوحا من اتباعه من وجهين احدهما ان المتبعين اراذل ليسوا قدوة ولا اسوة والثانى انهم مع ذلك لم يتروّوا فى اتباعه ولا امعنوا الفكرة فى صحة ما جاء به وانما بادروا الى ذلك من غير فكرة ولا روية وغرض هؤلاء ان لا يقوم عليهم حجة بان منهم من صدقه وآمن به والله اعلم

*قوله تعالى ولا ينفعكم نصحي ان اردت ان انصح لكم ان كان الله يريد ان يغويكم هو ربكم (قال ان قلت ماوجه ترادف هذين الشرطين الخ) قال احمد ونظير هذه الآية من مسائل الفقهاء قول القائل انت طالق ان شربت ان اكلت وهي المترجمة بمسئلة اعتراض الشرط على الشرط والمنقول عن الشافعية انها ان شربت ثم اكلت لم يحنث وان اكلت ثم شربت حنث وهذا الفرق مبناه على جعل الجزاء للشرط الآخر اى للذى يليه ثم جعلهما معا جزاء للشرط المتوسط ولذلك سر فى العربية لا نطول بذكره وعليه اعرب الزمخشرى هذه الآية كما رأيت والله أعلم

من فضل بل نظنكم كاذبين قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتانى رحمة من عنده فعميت عليكم الزمكموها وانتم لها كارهون وياقوم لااسئلكم عليه مالا ان اجرى الا على الله وما انا بطارد الذين آمنوا انهم ملاقوا ربهم ولكنى اراكم قوما تجهلون وياقوم من ينصرنى من الله ان طردتهم افلا تذكرون ولا أقول لكم عندى خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ولا اقول للذين تزدرى اعينكم لن يؤتيهم الله خيرا الله أعلم بما فى انفسهم انى اذا لمن الظالمين قالوا يانوح قد جادلتنا فاكثرت جدالنا فاتنا بما تعدنا ان كنت من الصادقين قال انما يأتيكم به الله ان شاء وما أنتم بمعجزين ولا ينفعكم نصحى ان أردت أن أنصح لكم

يضعه فضلا ان يجعله سببا في الاختيار للنبوة والتاهيل لها على ان الانبياء عليهم السلام بعثوا مرغبين فى طلب الآخرة ورفض الدنيا مزهدين فيها مصغرين لشانها وشان من اخلد اليها فما أبعد حالهم من الاتصاف بما يبعد من الله والتشرف بما هو ضعة عند الله (من فضل) من زيادة شرف علينا تؤهلكم للنبوة (بل نظنكم كاذبين) فيما تدعونه (أرأيتم) اخبروني (ان كنت على بينة) على برهان (من ربى) وشاهد منه يشهد بصحة دعواى (وآتانى رحمة من عنده) بايتاء البينة على ان البينة فى نفسها هى الرحمة ويجوز ان يريد بالبينة المعجزة وبالرحمة النبوة (فان قلت) فقوله (فعميت) ظاهر على الوجه الاول فما وجهه على الوجه الثانى وحقه ان يقال فعميتا (قلت) الوجه ان يقدر فعميت بعد البينة وان يكون حذفه للاقتصار على ذكره مرة ومعنى عميت خفيت وقرئ فعميت بمعنى أخفيت وفى قراءة ابي فعماها عليكم (فان قلت) فما حقيقته (قلت) حقيقته ان الحجة كما جعلت بصيرة ومبصرة جعلت عمياء لان الاعمى لا يهتدى ولا يهدى غيره فمعنى فعميت عليكم البينة فلم تهدكم كما لو عمي على القوم دليلهم فى المفازة بقوا بغير هاد (فان قلت) فما معنى قراءة ابي (قلت) المعنى انهم صمموا على الاعراض عنها فخلاهم الله وتصميمهم فجعلت تلك التخلية تعمية منه والدليل عليه قوله (أنلزمكموها وانتم لها كارهون) يعنى انكرهكم على قبولها ونقسركم على الاهتداء بها وانتم تكرهونها ولا تختارونها ولا اكراه فى الدين وقد جىء بضميرى المفعولين متصلين جميعا ويجوز ان يكون الثانى منفصلا كقولك انلزمكم اياها ونحوه فسيكفيكهم الله ويجوز فسيكفيك اياهم وحكي عن ابي عمرو اسكان الميم ووجهه ان الحركة لم تكن الا خلسة خفيفة فظنها الراوى سكونا والاسكان الصريح لحن عند الخليل وسيبويه وحذاق البصريين لان الحركة الاعرابية لا يسوغ طرحها الا في ضرورة الشعر * والضمير في قوله (لا أسئلكم عليه) راجع الى قوله لهم انى لكم نذير مبين ان لا تعبدوا الا الله * وقرئ وما انا بطارد الذين آمنوا بالتنوين على الاصل (فان قلت) مامعنى قوله (انهم ملاقوا ربهم) (قلت) معناه انهم يلاقون الله فيعاقب من طردهم او يلاقونه فيجازيهم على ما فى قلوبهم من ايمان صحيح ثابت كما ظهر لى منهم وما اعرف غيره منهم او على خلاف ذلك مما تقرفونهم به من بناء ايمانهم على بادى الرأى من غير نظر وتفكر وما على ان أشق عن قلوبهم واتعرف سر ذلك منهم حتى اطردهم ان كان الامر كما تزعمون ونحوه ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية او هم مصدقون بلقاء ربهم موقنون به عالمون انهم ملاقوه لا محالة (تجهلون) تتسافهون على المؤمنين وتدعونهم اراذل من قوله الا لا يجهلن احد علينا * او تجهلون لقاء ربكم او تجهلون انهم خير منكم (من ينصرنى من الله) من يمنعنى من انتقامه (ان طردتهم) وكانوا يسالونه ان يطردهم ليؤمنوا به انفة من ان يكونوا معهم على سواء (اعلم الغيب) معطوف على عندى خزائن الله اى لا اقول عندى خزائن الله ولا اقول انا اعلم الغيب ومعناه لا اقول لكم عندى خزائن الله فادعي فضلا عليكم فى الغنى حتي تجحدوا فضلى بقولكم وما نرى لكم علينا من فضل ولا ادعى علم الغيب حتى تنسبوني الى الكذب والافتراء او حتى اطلع على ما فى نفوس اتباعى وضمائر قلوبهم (ولا اقول انى ملك) حتى تقولوا لى ما انت الا بشر مثلنا * ولا احكم على من استرذلتم من المؤمنين لفقرهم ان الله (لن يؤتيهم خيرا) فى الدنيا والآخرة لهوانهم عليه كما تقولون مساعدة لكم ونزولا على هواكم (انى اذا لمن الظالمين) ان قلت شيئا من ذلك * والازدراء افتعال من زرى عليه اذا عابه وازرى به قصر به يقال ازدرته عينه واقتحمته عينه (جادلتنا فاكثرت جدالنا) معناه اردت جدالنا وشرعت فيه فاكثرته كقولك جاد فلان فاكثر واطاب (فاتنا بما تعدنا) من العذاب المعجل (انما يأتيكم به الله) أى ليس الاتيان بالعذاب الى انما هو الى من كفرتم به وعصيتموه (ان شاء) يعنى ان اقتضت حكمته أن يعجله لكم وقرأ ابن عباس رضي الله عنه فاكثرت جدلنا * (فان قلت) ماوجه ترادف هذين الشرطين (قلت)

(قلت) قوله (ان كان الله يريد ان يغويكم) جزاؤه ما دل عليه قوله لا ينفعكم نصحي وهذا الدال في حكم ما دل عليه فوصل بشرط كما وصل الجزاء بالشرط في قولك ان احسنت الى احسنت اليك ان امكنني (فان قلت) فما معنى قوله ان كان الله يريد ان يغويكم (قلت) اذا عرف الله من الكافر الاصرار فخلاه وشانه ولم يلجئه سمي ذلك اغواء واضلالا كما انه اذا عرف منه انه يتوب ويرعوي فلطف به سمي ارشادا وهداية وقيل أن يغويكم أن يهلككم من غوى الفصيل غوى اذا بشم فهلك ومعناه انكم اذا كنتم من التصميم على الكفر بالمنزلة التي لا تنفعكم نصائح الله ومواعظه وسائر ألطافه كيف ينفعكم نصحي (فعلي اجرامي) واجرامي بلفظ المصدر والجمع كقوله والله يعلم اسرارهم واسرارهم ونحو جرم واجرام قفل واقفال وينصر الجمع أن فسره الاولون بآثامي والمعنى ان صح وثبت اني افتريته فعلي عقوبة اجرامي اي افترائي وكان حقي حينئذ ان تعرضوا عني وتتألبوا علي (وانا بريء) يعني ولم يثبت ذلك وانا بريء منه ومعنى (مما تجرمون) من اجرامكم في اسناد الافتراء الي فلا وجه لاعراضكم ومعاداتكم (لن يؤمن) اقناط من ايمانهم وانه كالمحال الذي لا تعلق به للتوقع (الا من قد آمن) الا من قد وجد منه ما كان يتوقع من ايمانه وقد للتوقع وقد اصابت محزها (فلا تبتئس) فلا تحزن حزن بائس مستكين قال

مايقسم الله اقبل غير مبتئس * منه واقعد كريما ناعم البال

والمعنى فلا تحزن بما فعلوه من تكذيبك وايذائك ومعاداتك فقد حان وقت الانتقام لك منهم (باعيننا) في موضع الحال بمعنى اصنعها محفوظا وحقيقته ملتبسا باعيننا كان لله معه اعينا تكلؤه ان يزيغ في صنعته عن الصواب وان لا يحول بينه وبين عمله أحد من اعدائه (ووحينا) وانا نوحي اليك ونلهمك كيف تصنع عن ابن عباس رضي الله عنه لم يعلم كيف صنعة الفلك فاوحي الله اليه أن يصنعها مثل جؤجؤ الطائر (ولا تخاطبني في الذين ظلموا) ولا تدعني في شان قومك واستدفاع العذاب عنهم بشفاعتك (انهم مغرقون) انهم محكوم عليهم بالاغراق وقد وجب ذلك وقضي به القضاء وجف القلم فلا سبيل الى كفه كقوله يا ابراهيم اعرض عن هذا انه قد جاء أمر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود (ويصنع الفلك) حكاية حال ماضية (سخروا منه) ومن عمله السفينة وكان يعملها في برية يهماء في ابعد موضع من الماء وفي وقت عز الماء فيه عزة شديدة فكانوا يتضاحكون ويقولون له يا نوح صرت نجارا بعد ما كنت نبيا (فانا نسخر منكم) يعني في المستقبل (كما تسخرون) منا الساعة أي نسخر منكم سخرية مثل سخريتكم اذا وقع عليكم الغرق في الدنيا والحرق في الآخرة وقيل ان تستجهلونا فيما نصنع فانا نستجهلكم فيما انتم عليه من الكفر والتعرض لسخط الله وعذابه فانتم أولى بالاستجهال منا أو ان تستجهلونا فانا نستجهلكم في استجهالكم لانكم لا تستجهلون الا عن جهل بحقيقة الامر وبناء على ظاهر الحال كما هو عادة الجهلة في البعد عن الحقائق وروى أن نوحا عليه السلام اتخذ السفينة في سنتين وكان طولها ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها في السماء ثلاثون ذراعا وكانت من خشب الساج وجعل لها ثلاثة بطون فحمل في البطن الاسفل الوحوش والسباع والهوام وفي البطن الاوسط الدواب والانعام وركب هو ومن معه في البطن الاعلى مع ما يحتاج اليه من الزاد وحمل معه جسد آدم عليه السلام وجعله معترضا بين الرجال والنساء وعن الحسن كان طولها الفا ومائتي ذراع وعرضها ستمائة وقيل ان الحواريين قالوا لعيسى عليه السلام لو بعثت لنا رجلا شهد السفينة يحدثنا عنها فانطلق بهم حتى انتهى الى كثيب من تراب فاخذ كفا من ذلك التراب فقال اتدرون من هذا قالوا الله ورسوله أعلم قال هذا كعب ابن حام قال فضرب الكثيب بعصاه فقال قم باذن الله فاذا هو قائم ينفض التراب عن رأسه وقد شاب فقال له عيسى عليه السلام هكذا هلكت قال لا مت وانا شاب ولكنني ظننت أنها الساعة فمن ثمة شبت قال حدثنا عن سفينة نوح قال كان طولها الف ذراع ومائتي ذراع وعرضها ستمائة ذراع وكانت ثلاث طبقات طبقة للدواب والوحوش وطبقة للانس وطبقة للطير ثم قال له عد باذن الله كما كنت فعاد ترابا (من يأتيه) في محل النصب بتعلمون اي فسوف تعلمون الذي يأتيه عذاب يخزيه ويعني به اياهم ويريد بالعذاب عذاب الدنيا وهو الغرق

ان كان الله يريد أن يغويكم هو ربكم واليه ترجعون أم يقولون افتراه قل ان افتريته فعلي اجرامي وانا بريء مما تجرمون واوحي الى نوح انه لن يؤمن من قومك الا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون واصنع الفلك باعيننا ووحينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا انهم مغرقون ويصنع الفلك وكلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه

ويحل عليه عذاب مقيم حتى اذا جاء امرنا وفار التنور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين واهلك الامن سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه الا قليل وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها ومرساها ان ربي لغفور رحيم وهي تجري بهم في موج كالجبال ونادى نوح ابنه وكان في معزل يابني اركب معنا ولا تكن مع الكافرين قال سآوي الى جبل يعصمني من الماء قال لاعاصم اليوم من امر الله

(ويحل عليه) حلول الدين والحق اللازم الذى لا انفكاك له عنه (عذاب مقيم) وهو عذاب الآخرة (حتى) هي التي يبتدأ بعدها الكلام دخلت على الجملة من الشرط والجزاء (فان قلت) وقعت غاية لماذا (قلت) لقوله ويصنع الفلك اى وكان يصنعها الى ان جاء وقت الموعد (فان قلت) فاذا اتصلت حتى بيصنع فما تصنع بما بينهما من الكلام (قلت) هو حال من يصنع كانه قال يصنعها والحال انه كلما مر عليه ملا من قومه سخروا منه (فان قلت) فما جواب كلما (قلت) انت بين امرين اما ان تجعل سخروا جوابا وقال استئنافا على تقدير سؤال سائل او تجعل سخروا بدلا من مر او صفة لملا وقال جوابا (واهلك) عطف على اثنين وكذلك (ومن آمن) يعنى واحمل اهلك والمؤمنين من غيرهم * واستثني من اهله من سبق عليه القول انه من اهل النار وما سبق عليه القول بذلك الا للعلم بانه يختار الكفر لا لتقديره عليه وارادته به تعالى الله عن ذلك قال الضحاك اراد ابنه وامرأته (الا قليل) روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة ونساؤهم وعن محمد ابن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمس نسوة وقيل كانوا اثنين وسبعين رجلا وامراة واولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم فالجميع ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء يجوز ان يكون كلاما واحدا وكلامين فالكلام الواحد ان يتصل بسم الله باركبوا حالا من الواو بمعنى اركبوا فيها مسمين الله او قائلين بسم الله وقت اجرائها ووقت ارسائها اما لان المجرى والمرسي للوقت واما لانهما مصدران كالاجراء والارساء حذف منهما الوقت المضاف كقولهم خفوق النجم ومقدم الحاج ويجوز ان يراد مكانا الاجراء والارساء وانتصابهما بما فى بسم الله من معنى الفعل او بما فيه من ارادة القول والكلامان ان يكون بسم الله مجراها ومرساها جملة من مبتدا وخبر مقتضبة أى بسم الله اجراؤها وأرساؤها يروى انه كان اذا اراد ان يجرى قال بسم الله فجرت واذا أراد ان ترسو قال بسم الله فرست ويجوز ان يقحم الاسم كقوله ثم اسم السلام عليكما ويراد بالله اجراؤها وارساؤها اى بقدرته وامره وقرئ * مجراها ومرساها بفتح الميم من جرى ورسى اما مصدرين او وقتين أو مكانين وقرأ مجاهد مجريها ومرسيها بلفظ اسم الفاعل مجروري المحل صفتين لله (فان قلت) ما معنى قولك جملة مقتضبة (قلت) معناه أن نوحا عليه السلام امرهم بالركوب ثم اخبرهم بان مجراها ومرساها بذكر اسم الله او بامره وقدرته ويحتمل أن تكون غير مقتضبة بان تكون فى موضع الحال كقوله

* وجاؤنا بهم سكر علينا * فلا تكون كلاما برأسه ولكن فضلة من فضلات الكلام الاول وانتصاب هذه الحال عن ضمير الفلك كانه قيل اركبوا فيها مجراة ومرساة بسم الله بمعنى التقدير كقوله تعالى ادخلوها خالدين (ان ربى لغفور رحيم) لولا مغفرته لذنوبكم ورحمته اياكم لما نجاكم * (فان قلت) بم اتصل قوله (وهي تجرى بهم) (قلت) بمحذوف دل عليه اركبوا فيها بسم الله كانه قيل فركبوا فيها يقولون بسم الله وهي تجرى بهم أى تجرى وهم فيها (فى موج كالجبال) يريد موج الطوفان شبه كل موجة منه بالجبل فى تراكمها وارتفاعها (فان قلت) الموج مايرتفع فوق الماء عند اضطرابه وزخيره وكان الماء قد التقى وطبق ما بين السماء والارض وكانت الفلك تجرى في جوف الماء كما تسبح السمكة فما معنى جريها فى الموج (قلت) كان ذلك قبل التطبيق وقبل ان يغمر الطوفان الجبال لا ترى الى قول ابنه سآوى الى جبل يعصمنى من الماء قيل كان اسم ابنه كنعان وقيل يام * وقرأ على رضي الله عنه ابنها والضمير لامرأته وقرأ محمد ابن على وعروة بن الزبير ابنه بفتح الهاء يريدان ابنها فاكتفيا بالفتحة عن الالف وبه ينصر مذهب الحسن قال قتادة سألته فقال والله ما كان ابنه فقلت ان الله حكى عنه ان ابنى من اهلى وأنت تقول لم يكن ابنه واهل الكتاب لا يختلفون فى انه كان ابنه فقال ومن ياخذ دينه من أهل الكتاب واستدل بقوله من أهلي ولم يقل منى ولنسبته الى أمه وجهان احدهما ان يكون ربيباله كعمر بن ابي سلمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وان يكون لغير رشدة وهذه غضاضة عصمت منها الانبياء عليهم السلام وقرأ السدى ونادى نوح ابناه على الندبة والترثي اى قال يا ابناه والمعزل مفعل من عزله عنه اذا نحاه وابعده يعنى وكان فى مكان عزل فيه نفسه عن ابيه وعن مركب المؤمنين وقيل كان فى معزل عن دين ابيه (يابنى) قرئ بكسر الياء اقتصارا عليه من ياء الاضافة وبالفتح اقتصارا عليه من الالف المبدلة من ياء

* قوله تعالى بسم الله مجراها ومرساها (قال ويجوز ان يقحم الاسم الخ) قال احمد نفور من اعتقاد ان الاسم هو المسمي ولو اعتقد ذلك لما جعله مقحما والله اعلم

الاضافة

* قوله تعالى لا عاصم اليوم من امر الله الا من رحم (قال المراد الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم الخ) قال احمد والاحتمالات الممكنة اربعة لا عاصم الا راحم ولا معصوم الا مرحوم ولا عاصم الا مرحوم ولا معصوم الا راحم فالاولان استثناء من الجنس والآخران من غير الجنس وزاد الزمخشري خامسا وهو لا عاصم الا مرحوم على انه من الجنس بتاويل حذف المضاف تقديره لا مكان عاصم الا مكان مرحوم والمراد بالنفي التعريض بعدم عصمة الجبل وبالمثبت التعريض بعصمة السفينة والكل جائز وبعضها اقرب من بعض والله اعلم * قوله تعالى وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا ٤٤ للقوم الظالمين (قال نداء الارض والسماء بما ينادى به العاقل الخ) قال احمد ومن هذا النمط في السكوت عن ذكر الموصوف اكتفاء بصفاته لانفراده بها السكوت عن ذكر الاوصاف احيانا اكتفاء بذكر الموصوف لتبينه بها وتوحده فيها وانه متى ذكر مكانها قد ذكرت بذكره في مثل قوله وهو الله في السموات وفي الارض الآية والمراد وهو الله الموصوف بصفات الكمال المشهور بها في العالمين ومنه * انا ابو النجم وشعري شعري * ولقد تحيل الشعراء على التعلق باذيال هذه المعاني اللطيفة فقال ابو الطيب يمدح عضد الدولة * لا تحمدنها واحمدن هماما * اذا لم يسم حامد سواكا * يعني لا تمدح نفسك فانك المنفرد بالمدائح حتى اذا ذكرت ولم يسم الممدوح بها لم يسبق الى ذهن احد غيرك لتفردك بها * قوله تعالى قال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين (قال اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم

الا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي وغيض الماء وقضي الامر واستوت على الجودي وقيل بعدا للقوم الظالمين ونادى نوح ربه فقال رب ان ابني من اهلي وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين قال يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين قال رب اني اعوذ بك

الاضافة في قولك يا بنيا او سقطت الياء والالف لالتقاء الساكنين لان الراء بعدهما ساكنة (الا من رحم) الا الراحم وهو الله تعالى او لا عاصم اليوم من الطوفان الا من رحم الله اي الا مكان من رحم الله من المؤمنين وكان لهم غفورا رحيما في قوله ان ربي لغفور رحيم وذلك انه لما جعل الجبل عاصما من الماء قال له لا يعصمك اليوم معتصم قط من جبل ونحوه سوى معتصم واحد وهو مكان من رحمهم الله ونجاهم يعني السفينة وقيل لا عاصم بمعنى لا ذا عصمة الا من رحمه الله كقوله ماء دافق وعيشة راضية وقيل الا من رحم استثناء منقطع كانه قيل ولكن من رحمه الله فهو المعصوم كقوله ما لهم به من علم الا اتباع الظن وقرئ الا من رحم على البناء للمفعول * نداء الارض والسماء بما ينادى به الحيوان المميز على لفظ التخصيص والاقبال عليهما بالخطاب من بين سائر المخلوقات وهو قوله يا ارض ويا سماء ثم امرهما بما يؤمر به اهل التمييز والعقل من قوله ابلعي ماءك واقلعي من الدلالة على الاقتدار العظيم وان السموات والارض وهذه الاجرام العظام منقادة لتكوينه فيها ما يشاء غير ممتنعة عليه كانها عقلاء مميزون قد عرفوا عظمته وجلاله وثوابه وعقابه وقدرته على كل مقدور وتبينوا تحتم طاعته عليهم وانقيادهم له وهم يهابونه ويفزعون من التوقف دون الامتثال له والنزول على مشيئته على الفور من غير ريث فكما يرد عليهم امره كان المأمور به مفعولا لا حبس ولا ابطاء * والبلع عبارة عن النشف * والاقلاع الامساك يقال اقلع المطر واقلعت الحمى (وغيض الماء) من غاضه اذا نقصه (وقضي الامر) وانجز ما وعد الله نوحا من هلاك قومه (واستوت) واستقرت السفينة (على الجودي) وهو جبل بالموصل (وقيل بعدا) يقال بعد بعدا وبعدا اذا ارادوا البعد البعيد من حيث الهلاك والموت ونحو ذلك ولذلك اختص بدعاء السوء ومجيء اخباره على الفعل المبني للمفعول للدلالة على الجلال والكبرياء وان تلك الامور العظام لا تكون الا بفعل فاعل قادر وتكوين مكون قاهر وان فاعلها فاعل واحد لا يشارك في افعاله فلا يذهب الوهم الى ان يقول غيره يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي ولا ان يقضي ذلك الامر الهائل غيره ولا ان تستوي السفينة على متن الجودي وتستقر عليه الا بتسويته واقراره ولما ذكرنا من المعاني والنكت استفصح علماء البيان هذه الآية ورقصوا لها رؤسهم لا لتجانس الكلمتين وهما قوله ابلعي واقلعي وذلك وان كان لا يخلي الكلام من حسن فهو كغير الملتفت اليه بازاء تلك المحاسن التي هي اللب وما عداها قشور وعن قتادة استقلت بهم السفينة لعشر خلون من رجب وكانت في الماء خمسين ومائة يوم واستقرت بهم على الجودي شهرا وهبط بهم يوم عاشوراء وروي انها مرت بالبيت فطافت به سبعا وقد اعتقه الله من الغرق وروي ان نوحا صام يوم الهبوط وامر من معه فصاموا شكرا لله تعالى * نداؤه ربه دعاؤه له وهو قوله رب مع ما بعده من اقتضاء وعده في تنجية اهله (فان قلت) فاذا كان النداء هو قوله رب فكيف عطف قال رب على نادى بالفاء (قلت) اريد بالنداء ارادة النداء ولو اريد النداء نفسه لجاء كما جاء قوله اذ نادى ربه نداء خفيا قال رب بغير فاء (ان ابني من اهلي) اي بعض اهلي لانه كان ابنه من صلبه او كان ربيبا له فهو بعض اهله (وان وعدك الحق) وان كل وعد تعده فهو الحق الثابت الذي لا شك في انجازه والوفاء به وقد وعدتني ان تنجي اهلي فما بال ولدي (وانت احكم الحاكمين) اي اعلم الحكام واعدلهم لانه لا فضل لحاكم

على غيره الا بالعلم الخ) قال احمد ثم حدث بعد الزمخشري ترفع عن اقضي القضاة الى قاضي القضاة والذي تلاحظوا به في ارتفاع هذه الثانية على الاولى ان الاولى تقتضي مشاركة القضاة لاقضاهم في الوصف وأن يزاد عليهم فترفعوا ان يشركهم احد في وصفهم ممن دونهم في المنصب فعدلوا عما يشاركون فيه الى ما ليس كذلك فافردوا رئيسهم بتلقيبه بقاضي القضاة اي هو الذي يقضي بين القضاة ولا يشاركه منهم احد في وصفه وجعلوا الذي يليه في الرتبة اقضي القضاة الا انهم انما يعنون قاضي قضاة زمانه او اقليمه واذا جاز ان يطلق على امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه اقضي قضاة الصحابة في زمانه كما اطلقه عليه النبي عليه الصلاة والسلام حيث قال اقضاكم علي فدخل في المخاطبين القضاة وغيرهم فلا حرج ان شاء الله ان يطلق على اعدل قضاة الزمان او الاقليم واعلمهم قاضي القضاة واقضى القضاة اي قضاة زمانه و بلده وكل قرن ناجم في زمن فهو شبيه زمن فيه بداهدا اللقب * قوله تعالى انه عمل غير صالح (قال فهلا قيل انه عمل فاسد قلت لما نفاه عن اهله نفى عنه الخ) قال احمد ولهذا المعنى والله اعلم قيل له عليه الصلاة والسلام وانذر عشيرتك الاقربين وان كان مامورا بالانذار على العموم ولكن لما كانت اهلية النبي عليه الصلاة والسلام مظنة الاتكال والفتور عن العمل خص اهله بالانذار ايذانا بذلك والله اعلم ولهذا لما انزلت انذرهم النبي صلى الله عليه وسلم وقال اني لا املك لكم من الله شيئا او قال ذلك لكل واحد منهم بخصوصه * قوله تعالى فلا تسئلن ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من الجاهلين (قال فان قلت قد وعده الله ان ينجي اهله وما كان عنده الخ) قال احمد وفي كلام الزمخشري مايدل على انه يعتقد ان نوحا عليه السلام صدر منه ما اوجب نسبة الجهل اليه ومعاتبته على ذلك وليس الامر كما تخيله الزمخشري ونحن نوضح الحق في الآية منزلا على نصها مع تنزيه نوح عليه السلام مما توهم الزمخشري نسبته اليه فنقول الوعد على نوح اولا نتجية اهله الا من سبق عليه القول منهم ولم يكن كاشفا لحال ابنه المذكور ولا مطلعا على باطن امره بل معتقدا بظاهر الحال انه مؤمن بقي على التمسك بصيغة العموم للاهلية الثابتة ولم يعارضها يقين في كفر ابنه حتى يخرج من الاهل و يدخل في المستثنين فسال الله فيه بناء على ذلك فتبين له انه من المستثنين وانه هو لا علم له بذلك فلذلك سال فيه وهذا بان يكون ابانة عذر اولى منه ان يكون عتبا فان نوحا عليه السلام لا يكلفه الله علما استاثر به غيبا واما قوله اني اعظك ان تكون من الجاهلين فالمراد منه النهي عن وقوع السؤال في المستقبل بعد ان اعلمه الله باطن امره وانه ان وقع في المستقبل في السؤال كان من الجاهلين والغرض من ذلك تقديم ما يبقيه عليه السلام على سمة العصمة والموعظة لا تستدعي وقوع ذنب بل المقصد منها ان لا يقع الذنب في الاستقبال ولذلك مثل عليه الصلاة والسلام ذلك واستعاذ بالله ان يقع منه ما نهي عنه والله أعلم

على غيره الا بالعلم والعدل ورب غريق في الجهل والجور من متقلدي الحكومة في زمانك قد لقب اقضي القضاة ومعناه احكم الحاكمين فاعتبر واستعبر ويجوز ان يكون من الحكمة على ان يبنى من الحكمة حاكم بمعنى النسبة كما قيل دارع من الدرع وحائض وطالق على مذهب الخليل (انه عمل غير صالح) تعليل لانتفاء كونه من اهله وفيه ايذان بان قرابة الدين غامرة لقرابة النسب وان نسيبك في دينك ومعتقدك من الاباعد في المنصب وان كان حبشيا وكنت قرشيا لصيقك وخصيصك ومن لم يكن على دينك وان كان أمس اقاربك رحما فهو ابعد بعيد منك وجعلت ذاته عملا غير صالح مبالغة في ذمه كقولها

فانما هي اقبال وادبار * وقيل الضمير لنداء نوح اي ان نداءك هذا عمل غير صالح وليس بذاك (فان قلت) فهلا قيل انه عمل فاسد (قلت) لما نفاه عن اهله نفى عنه صفتهم بكلمة النفي التي يستبقي معها لفظ المنفي وآذن بذلك انه انما نجي من نجي من اهله لصلاحهم لا لانهم اهلك واقاربك وان هذا لما انتفى عنه الصلاح لم تنفعه ابوتك كقوله كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقرئ عمل غير صالح اي عملا غير صالح * وقرئ فلا تسئلن بكسر النون بغير ياء الاضافة وبالنون الثقيلة بياء وبغير ياء يعني فلا تلتمس مني ملتمسا او التماسا لا تعلم أصواب هو ام غير صواب حتى تقف على كنهه وذكر المسئلة دليل على ان النداء كان قبل ان يغرق حين خاف عليه (فان قلت) لم سمي نداؤه سؤالا ولا سؤال فيه (قلت) قد تضمن دعاؤه معنى السؤال وان لم يصرح به لانه اذا ذكر الموعد بنجاة اهله في وقت مشارفة ولده الغرق فقد استنجز * وجعل سؤال ما لا يعرف كنهه جهلا وغباوة ووعظه ان لا يعود اليه والى امثاله من افعال الجاهلين (فان قلت) قد وعده ان ينجي اهله وما كان عنده ان ابنه ليس منهم دينا فلما اشفى على الغرق تشابه عليه الامر لان العدة قد سبقت له وقد عرف الله حكيما لا يجوز عليه فعل القبيح وخلف الميعاد فطلب اماطة الشبهة وطلب اماطة الشبهة واجب فلم زجر وسمي سؤاله جهلا (قلت) ان الله عز وعلا قدم له الوعد بانجاء اهله مع استثناء من سبق عليه القول منهم فكان عليه ان يعتقد ان في جملة اهله من هو مستوجب للعذاب لكونه غير صالح وان كلهم ليسوا بناجين وان لا تخالجه شبهة حين شارف ولده الغرق في انه من المستثنين لا من المستثنى منهم فعوتب

على ان اشتبه عليه مايجب ان لا يشتبه (ان اسئلك) من ان اطلب منك فى المستقبل مالا علم لى بصحة تادبا بادبك واتعاظا بموعظتك (والا تغفرلى) مافرط منى من ذلك (وترحمنى) بالتوبة على (اكن من الخاسرين) اعمالا * وقرئ يا نوح اهبط بضم الباء (بسلام منا) مسلما محفوظا من جهتنا اومسلما عليك مكرما (وبركات عليك) ومباركا عليك والبركات الخيرات النامية وقرئ وبركة على التوحيد (وعلى امم ممن معك) يحتمل ان تكون من للبيان فيراد الامم الذين كانوا معه فى السفينة لانهم كانوا جماعات اوقيل لهم امم لان الامم تتشعب منهم وان تكون لابتداء الغاية اى على امم ناشئة ممن معك وهي الامم الى آخر الدهر وهو الوجه وقوله (وامم) رفع بالابتداء و (سنمتعهم) صفة والخبر محذوف تقديره وممن معك امم سنمتعهم وانما حذف لان قوله ممن معك يدل عليه والمعنى ان السلام منا والبركات عليك وعلى امم مؤمنين ينشؤن ممن معك وممن معك امم ممتعون بالدنيا منقلبون الى النار وكان نوح عليه السلام ابا الانبياء والخلق بعد الطوفان منه وممن كان معه فى السفينة وعن محمد بن كعب القرظى دخل فى ذلك السلام كل مؤمن ومؤمنة الى يوم القيامة وفيما عده من المتاع والعذاب كل كافر وعن ابن زيد هبطوا والله عنهم راض ثم اخرج منهم نسلا منهم من رحم ومنهم من عذب وقيل المراد بالامم الممتعة قوم هود وصالح ولوط وشعيب (تلك) اشارة الى قصة نوح عليه السلام ومحلها الرفع على الابتداء والجمل بعدها اخبار اى تلك القصة بعض انباء الغيب موحاة اليك مجهولة عندك وعند قومك (من قبل هذا) من قبل ايحائي اليك واخبارك بها اومن قبل هذا العلم الذى كسبته بالوحى اومن قبل هذا الوقت (فاصبر) على تبليغ الرسالة واذى قومك كما صبر نوح وتوقع فى العاقبة لك ولمن كذبك نحو ماقيض لنوح ولقومه (ان العاقبة) فى الفوز والنصر والغلبة (للمتقين) * وقوله ولا قومك معناه ان قومك الذين انت منهم على كثرتهم ووفور عددهم اذا لم يكن ذلك شانهم ولا سمعوه ولا عرفوه فكيف برجل منهم كما تقول لم يعرف هذا عبد الله ولا اهل بلده (اخاهم) واحدا منهم وانتصابه للعطف على ارسلنا نوحا و (هودا) عطف بيان و (غيره) بالرفع صفة على محل الجار والمجرور وقرئ غيره بالجر صفة على اللفظ (ان انتم الا مفترون) تفترون على الله الكذب باتخاذكم الاوثان له شركاء * مامن رسول الا واجه قومه بهذا القول لان شأنهم النصيحة والنصيحة لا يمحصها ولا يمحضها الا حسم المطامع ومادام يتوهم شيء منها لم تنجع ولم تنفع (افلا تعقلون) اذ تردون نصيحة من لا يطلب عليها اجرا الا من الله وهو ثواب الآخرة ولا شيء انفى للتهمة من ذلك قيل (استغفروا ربكم) آمنوا به (ثم توبوا اليه) من عبادة غيره لان التوبة لا تصح الا بعد الايمان * والمدرار الكثير الدرور كالمغزار وانما قصد استمالتهم الى الايمان وترغيبهم فيه بكثرة المطر وزيادة القوة لان القوم كانوا اصحاب زروع وبساتين وعمارات حراصا عليها اشد الحرص فكانوا احوج شيء الى الماء وكانوا مدلين بما اوتوا من شدة القوة والبطش والبأس والنجدة مستحرزين بها من العدو مهيبين فى كل ناحية وقيل اراد القوة فى المال وقيل القوة على النكاح وقيل حبس عنهم القطر ثلاث سنين وعقمت ارحام نسائهم وعن الحسن بن على رضي الله عنهما انه وفد على معاوية فلما خرج تبعه بعض حجابه فقال اني رجل ذو مال ولا يولد لى فعلمنى شيا لعل الله يرزقنى ولدا فقال عليك بالاستغفار فكان يكثر الاستغفار حتي ربما استغفر في يوم واحد سبعمائة مرة فولد له عشرة بنين فبلغ ذلك معاوية فقال هلا سألته مم قال ذلك فوفد وفدة اخرى فسأله الرجل فقال الم تسمع قول هود عليه السلام ويزدكم قوة الى قوتكم وقول نوح عليه السلام ويمددكم باموال وبنين (ولا تتولوا) ولا تعرضوا عنى وعما ادعوكم اليه وارغبكم فيه (مجرمين) مصرين على اجرامكم وآثامكم (ماجئتنا ببينة) كذب منهم وجحود كما قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم لولا انزل عليه آية من ربه مع فوت آياته الحصر (عن قولك) حال من الضمير فى تاركى آلهتنا كانه قيل وما نترك آلهتنا صادرين عن قولك (وما نحن لك بمؤمنين) ومايصح من امثالنا ان يصدقوا مثلك فيما يدعوهم اليه اقناطا له من الاجابة (اعتراك) مفعول نقول والا لغو والمعنى مانقول الا قولنا اعتراك بعض آلهتنا بسوء اى خبلك ومسك بجنون لسبك اياها وصدك عنها وعداوتك لها مكافاة لك منها على سوء فعلك بسوء الجزاء فمن ثم

ان اسئلك ما ليس لى به علم والا تغفرلى وترحمنى اكن من الخاسرين قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى امم ممن معك وامم سنمتعهم ثم يمسهم منا عذاب اليم تلك من انباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها انت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين والى عاد اخاهم هودا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ان انتم الا مفترون ياقوم لا اسئلكم عليه اجرا ان اجرى الا على الذى فطرني افلا تعقلون وياقوم استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدرارا ويزدكم قوة الى قوتكم ولا تتولوا مجرمين قالوا ياهود ماجئتنا ببينة ومانحن بتاركي آلهتنا عن قولك وما نحن لك بمؤمنين ان نقول الا اعتراك بعض آلهتنا بسوء قال انى أشهد الله واشهدوا اني برىء

هلا قيل اشهد الله واشهدكم الخ) قال احمد وتلخيص ما قاله ان صيغة الخبر لا تحتمل سوى الاخبار بوقوع الاشهاد منه فلما كان اشهاده لله واقعا محققا عبر عنه بصيغة الخبر لانه اشهاد صحيح ثابت وعبر في جانبهم بصيغة الامر التي تتضمن الاستهانة بدينهم وقلة المبالاة به وهو مراده في هذا المقام معهم ويحتمل أن يكون اشهاده لهم حقيقة

مما تشركون من دونه فكيدوني جميعا ثم لا تنظرون اني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابة الا هو آخذ بناصيتها ان ربي على صراط مستقيم فان تولوا فقد أبلغتكم ما ارسلت به اليكم ويستخلف ربي قوما غيركم ولا تضرونه شيأ ان ربي على كل شيء حفيظ ولما جاء امرنا نجينا هودا والذين آمنوا معه برحمة منا ونجيناهم من عذاب غليظ وتلك عاد جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله واتبعوا امر كل جبار عنيد واتبعوا في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة ألا ان عادا كفروا ربهم

تتكلم بكلام المجانين وتهذي بهذيان المبرسمين وليس بعجب من أولئك ان يسموا التوبة والاستغفار خبلا وجنونا وهم عادا علام الكفر واوتاد الشرك وانما العجب من قوم من المتظاهرين بالاسلام سمعناهم يسمون التائب من ذنوبه مجنونا والمنيب الى ربه مخبلا ولم نجدهم معه على عشر مما كانوا عليه في ايام جاهليته من الموادة وما ذاك الا لعرق من الالحاد أبى الا ان ينبض وضب من الزندقة اراد ان يطلع رأسه وقد دلت اجوبتهم المتقدمة على ان القوم كانوا جفاة غلاظ الاكباد لا يبالون بالبهت ولا يلتفتون الى النصح ولا تلين شكيمتهم للرشد وهذا الاخير دال على جهل مفرط وبله متناه حيث اعتقدوا في حجارة انها تنتصر وتنتقم ولعلهم حين اجازوا العقاب كانوا يجيزون الثواب * من اعظم الآيات ان يواجه بهذا الكلام رجل واحد أمة عطاشا الى اراقة دمه يرمونه عن قوس واحدة وذلك لثقته بربه وانه يعصمه منهم فلا تنشب فيه مخالبهم ونحو ذلك قال نوح عليه السلام لقومه ثم اقضوا الى ولا تنظرون أكد براءته من آلهتهم وشركهم ووثقها بما جرت به عادة الناس من توثيقهم الامور بشهادة الله وشهادة العباد فيقول الرجل الله شهيد على اني لا افعل كذا او يقول لقومه كونوا شهداء على أني لا افعله (فان قلت) هلا قيل اني اشهد الله وأشهدكم (قلت) لان اشهاد الله على البراءة من الشرك اشهاد صحيح ثابت في معنى تثبيت التوحيد وشد معاقده واما اشهادهم فما هو الا تهاون بدينهم ودلالة على قلة المبالاة بهم فحسب فعدل به عن لفظ الاول لاختلاف ما بينهما وجيء به على لفظ الامر بالشهادة كما يقول الرجل لمن يبس الثرى بينه وبينه اشهد على اني لا احبك تهكما به واستهانة بحاله (مما تشركون من دونه) من اشراككم آلهة من دونه او مما تشركونه من آلهة من دونه اى انتم تجعلونها شركاء له ولم يجعلها هو شركاء ولم ينزل بذلك سلطانا (فكيدوني جميعا) انتم وآلهتكم اعجلوا ما تفعلون من غير انظار فاني لا أبالي بكم وبكيدكم ولا اخاف معرتكم وان تعاونتم علي وانتم الاقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي الا جماد لا تضر ولا تنفع وكيف تنتقم مني اذا نلت منها وصددت عن عبادتها بان تخبلني وتذهب بعقلي * ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه والاخذ بنواصيها تمثيل لذلك (ان ربي على صراط مستقيم) يريد انه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به (فان تولوا) فان تتولوا (فان قلت) الابلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط (قلت) معناه فان تتولوا لم أعاتب على تفريط في الابلاغ وكنتم محجوجين بان ما ارسلت به اليكم قد بلغكم فابيتم الا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول (ويستخلف) كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم واموالكم (ولا تضرونه) بتوليكم (شيأ) من ضرر قط لانه لا يجوز عليه المضار والمنافع وانما تضرون انفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد ابلغتكم والمعنى ان تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا الا انفسكم (على كل شيء حفيظ) اى رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه اعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم او من كان رقيبا على الاشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة الى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم (والذين آمنوا معه) قيل كانوا اربعة آلاف * (فان قلت) ما معنى تكرير التنجية (قلت) ذكر اولا انه حين اهلك عدوهم نجاهم ثم قال (ونجيناهم من عذاب غليظ) على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك ان الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من ادبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل اراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب اغلظ منه واشد * وقوله برحمة منا يريد بسبب الايمان الذي انعمنا عليهم بالتوفيق له (وتلك عاد) اشارة الى قبورهم وآثارهم كانه قال سيحوا في الارض فانظروا اليها واعتبروا ثم استأنف وصف احوالهم فقال (جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله) لانهم اذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين احد من رسله قيل لم يرسل اليهم الا هود وحده (كل جبار عنيد) يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم الى تكذيب الرسل ومعنى اتباع امرهم طاعتهم

والغرض اقامة الحجة عليهم وانما عدل الى صيغة الامر عن صيغة الخبر للتمييز بين خطابه لله تعالى وخطابه لهم بان يعبر عن خطاب الله تعالى بصيغة الخبر التي هي اجل واوقر للمخاطب من صيغة الامر والله الموفق للصواب

طاعتهم ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله و (ألا) وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لامرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم (فان قلت) (بعدا) دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم (قلت) معناه الدلالة على انهم كانوا مستاهلين له الا ترى الى قوله

اخوتي لا تبعدوا أبدا * وبلى والله قد بعدوا

(قوم هود) عطف بيان لعاد (فان قلت) ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه (قلت) الفائدة فيه ان يوسموا بهذه الدعوة وسما وتجعل فيهم امرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولان عادا عادان الاولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والاخرى ارم (هو انشأكم من الارض) لم ينشئكم منها الا هو ولم يستعمركم فيها غيره وانشاؤهم منها خلق آدم من التراب (واستعمركم فيها) وامركم بالعمارة والعمارة متنوعة الى واجب وندب ومباح ومكروه وكان ملوك فارس قد اكثروا من حفر الانهار وغرس الاشجار وعمروا الاعمار الطوال مع ما كان فيهم من عسف الرعايا فسال نبي من انبياء زمانهم ربه عن سبب تعميرهم فاوحى اليه انهم عمروا بلادي فعاش فيها عبادي وعن معاوية بن ابي سفيان انه اخذ في احياء الارض في آخر امره فقيل له فقال ما حملني عليه الا قول القائل

ليس الفتى بفتى لا يستضاء به * ولا تكون له في الارض آثار

وقيل استعمركم من العمر نحو استبقاكم من البقاء وقد جعل من العمرى وفيه وجهان احدهما ان يكون استعمر في معنى اعمر كقولك استهلكه ومعناه اعمركم فيها دياركم ثم هو وارثها منكم عند انقضاء اعماركم والثاني ان يكون بمعنى جعلكم معمرين دياركم فيها لان الرجل اذا ورث داره من بعده فكانما اعمره اياها لانه يسكنها عمره ثم يتركها لغيره (قريب) داني الرحمة سهل المطلب (مجيب) لمن دعاه وساله (فينا) فيما بيننا (مرجوا) كانت تلوح فيك مخايل الخير وامارات الرشد فكنا نرجوك لننتفع بك وتكون مشاورا في الامور ومسترشدا في التدابير فلما نطقت بهذا القول انقطع رجاؤنا عنك وعلمنا ان لا خير فيك وعن ابن عباس فاضلا خيرا نقدمك على جميعنا وقيل كنا نرجو ان تدخل في ديننا وتوافقنا على ما نحن عليه (يعبد آباؤنا) حكاية حال ماضية (مريب) من ارابه اذا اوقعه في الريبة وهي قلق النفس وانتفاء الطمانينة باليقين او من اراب الرجل اذا كان ذا ريبة على الاسناد المجازي قيل (ان كنت على بينة من ربي) بحرف الشك وكان على يقين انه على بينة لان خطابه للجاحدين فكانه قال قدروا اني على بينة من ربي واني نبي على الحقيقة وانظروا ان تابعتكم وعصيت ربي في اوامره فمن يمنعني من عذاب الله (فما تزيدونني) اذن حينئذ (غير تخسير) يعني تخسرون اعمالي وتبطلونها او فما تزيدونني بما تقولون لي وتحملونني عليه غير ان اخسركم اي انسبكم الى الخسران واقول لكم انكم خاسرون (آية) نصب على الحال قد عمل فيها ما دل عليه اسم الاشارة من معنى الفعل * (فان قلت) فبم يتعلق لكم (قلت) بآية حالا منها متقدمة لانها لو تاخرت لكانت صفة لها فلما تقدمت انتصبت على الحال (عذاب قريب) عاجل لا يستاخر عن مسكم لها بسوء الا يسيرا وذلك ثلاثة ايام ثم يقع عليكم (تمتعوا) استمتعوا بالعيش (في داركم) في بلدكم وتسمى البلاد الديار لانه يدار فيها اي يتصرف يقال ديار بكر لبلادهم وتقول العرب الذين حوالى مكة نحن من عرب الدار يريدون من عرب البلد وقيل في دار الدنيا وقيل عقروها يوم الاربعاء وهلكوا يوم السبت (غير مكذوب) غير مكذوب فيه فاتسع في الظرف بحذف الحرف واجرائه مجرى المفعول به كقولك يوم مشهود من قوله ويوم شهدناه او على المجاز كانه قيل للوعد نفي بك فاذا وفى به فقد صدق ولم يكذب اووعد غير كذب على ان المكذوب مصدر كالمجلود والمعقول وكالمصدوقة بمعنى الصدق (ومن خزي يومئذ) قرئ مفتوح الميم لانه مضاف الى اذ وهو غير متمكن كقوله

ألا بعدا لعاد قوم هود والى ثمود اخاهم صالحا قال ياقوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو انشأكم من الارض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا اليه ان ربي قريب مجيب قالوا ياصالح قد كنت فينا مرجوا قبل هذا أتنهانا ان نعبد ما يعبد آباؤنا واننا لفي شك مما تدعونا اليه مريب قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي وآتاني منه رحمة فمن ينصرني من الله ان عصيته فما تزيدونني غير تخسير وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في ارض الله ولا تمسوها بسوء فياخذكم عذاب قريب فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب فلما جاء امرنا نجينا صالحا والذين آمنوا معه برحمة منا ومن خزي يومئذ ان ربك هو القوي العزيز وأخذ الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كأن لم يغنوا فيها الا ان ثمود كفروا ربهم الا بعدا لثمود ولقد جاءت

* قوله تعالى ألا بعدا لعاد قوم هود (قال ان قلت ما الفائدة في هذا البيان وجعل قوم هود عطف بيان على عاد الخ) قال احمد فيه ايضا فائدتان جليلتان احداهما التنبيه بذكر هود الذي انما استحقوا الهلاك بسببه على موجب الدعاء عليهم وكانه قيل عاد قوم هود الذي كذبوه والاخرى تناسب الآي بذلك فان قبلها واتبعوا امر كل جبار عنيد وقبل ذلك حفيظ وغليظ وغير ذلك مما هو على وزن فعيل المناسب لفعول في القوافي والله أعلم

*قوله تعالى ولقد جاءت رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما رأى ايديهم لا تصل نكرهم اليه واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط الآية (قال قيل انه كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها الخ) قال أحمد وقد وردت قصة ابراهيم هذه فى ثلاثة مواضع هذا أحدها وهو دال على انه انما اوجس منهم خيفة لعلمه انهم ملائكة وعدم علمه فيم جاؤا الثاني فى الحجر قوله ونبئهم عن ضيف ابراهيم الى قوله لا توجل انا نبشرك فلم يطمئنوا باعلامه انهم ملائكة ولكن بانهم يبشرون له فدل على استشعارهم انه علم كونهم ملائكة ووجل مما جاؤا فيه الثالث فى الذاريات فاوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه فهو ايضا كذلك واما لوط فلم يشعر انهم ملائكة حتى اعلموه بذلك الا ترى الى قوله تعالى قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاول ما اعلموا به انهم رسل

رسلنا ابراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام فما لبث ان جاء بعجل حنيذ فلما راى ايديهم لا تصل اليه نكرهم واوجس منهم خيفة قالوا لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط امراته قائمة فضحكت فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتا أألد وانا عجوز وهذا بعلى

فالفرق بين هذه الآية وبين ى ابراهيم مصداق لان ابراهيم علم كونهم ملائكة ولوط لم يعلم ذلك ولا يبعد من فضل ابراهيم على لوط ان يبعد على فراسته ان يعلم انهم ملائكة دون لوط عليهما السلام *عاد كلامه (قال ومعنى اوجس اضمر وانما قالوا لا تخف لانهم راوا اثر الخوف الخ) قال احمد وهذا التاويل وهم فيه الزمخشري والله اعلم و(شيخنا) لانهم انما علموا خوفه ووجله باخباره اياهم بذلك ويدل عليه قوله تعالى فى آية اخرى قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل والقصة واحدة والله الموفق للصواب *عاد كلامه (قال وضحك زوجته لانها سرت بذهاب الخيفة الخ) قال احمد ويبعد هذا التاويل انها قالت بعد يا ويلتا االد وانا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا الشيء عجيب فلو كان حيضها قبل بشارتها لما تعجبت اذ لا عجب فى حمل من تحيض والحيض فى العادة مهماز على امكان الحمل والله الموفق

* على حين عاتبت المشيب على الصبا * (فان قلت) علام عطف (قلت) على نجينا الاول تقديره ونجيناهم من خزي يومئذ كما قال ونجيناهم من عذاب غليظ على وكانت التنجية من خزي يومئذ اى من ذله ومهانته وفضيحته ولا خزي اعظم من خزي من كان هلاكه بغضب الله وانتقامه ويجوز ان يريد بيومئذ يوم القيامة كما فسر العذاب الغليظ بعذاب الآخرة * وقرئ ألا ان ثمود ولثمود كلاهما بالصرف وامتناعه فالصرف للذهاب الى الحي او الاب الاكبر ومنعه للتعريف والتانيث بمعنى القبيلة (رسلنا) يريد الملائكة عن ابن عباس جاءه جبريل عليه السلام وملكان معه وقيل جبريل وميكائيل واسرافيل وقيل كانوا تسعة وعن السدي احد عشر (بالبشرى) هي البشارة بالولد وقيل بهلاك قوم لوط والظاهر الولد (سلاما) سلمنا عليك سلاما (سلام) امركم سلام وقرئ فقالوا اسلما قال سلم بمعنى السلام وقيل سلم وسلام كحرم وحرام وانشد

مررنا فقلنا ايه سلم فسلمت * كما كتل بالبرق الغمام اللوائح

(فما لبث ان جاء) فما لبث فى المجيء به بل عجل فيه او فما لبث مجيئه *والعجل ولد البقرة ويسمى الحسيل والخبش بلغة أهل السراة وكان مال ابراهيم عليه الصلاة والسلام البقر (حنيذ) مشوى بالرضف فى اخدود وقيل حنيذ يقطر دسمه من حنذت الفرس اذا القيت عليه الجل حتى تقطر عرقا ويدل عليه بعجل سمين * يقال نكره وانكره واستنكره ومنكور قليل فى كلامهم وكذلك انا انكرك ولكن منكر ومستنكر وانكرك قال الاعشى وانكرتني وما كان الذي نكرت * من الحوادث الا الشيب والصلعا

قيل كان ينزل فى طرف من الارض فخاف ان يريدوا به مكروها وقيل كانت عادتهم انه اذا مس من يطرقهم طعامهم أمنوه والا خافوه والظاهر انه أحس بانهم ملائكة ونكرهم لانه تخوف ان يكون نزولهم لامر انكره الله عليه او لتعذيب قومه الا ترى الى قولهم لا تخف انا ارسلنا الى قوم لوط وانما يقال هذا لمن عرفهم ولم يعرف فيم ارسلوا (فاوجس) فاضمر *وانما قالوا لا تخف لانهم راوا أثر الخوف والتغير فى وجهه او عرفوه بتعريف الله او علموا ان علمه بانهم ملائكة موجب للخوف لانهم كانوا لا ينزلون الا بعذاب (وامرأته قائمة) قيل كانت قائمة وراء الستر تسمع تحاورهم وقيل كانت قائمة على رؤسهم تخدمهم وفى مصحف عبد الله وامرأته قائمة وهو قاعد (فضحكت) سرورا بزوال الخيفة او بهلاك اهل الخبائث او كان ضحكها ضحك انكار لغفلتهم وقد اظلهم العذاب وقيل كانت تقول لابراهيم اضمم لوطا ابن أخيك اليك فاني اعلم انه ينزل بهؤلاء القوم عذاب فضحكت سرورا لما أتى الامر على ما توهمت وقيل فضحكت فحاضت وقرأ محمد بن زيادة الاعرابي فضحكت بفتح الحاء (يعقوب) رفع بالابتداء كانه قيل ومن وراء اسحق يعقوب مولود او موجود اى من بعده وقيل الوراء ولد الولد وعن الشعبي انه قيل له هذا ابنك فقال نعم من الوراء وكان ولد ولده وقرئ يعقوب بالنصب كانه قيل ووهبنا لها اسحق ومن وراء اسحق يعقوب على طريقة قوله *وليسوا مصلحين عشيرة ولا ناعب* الالف فى (يا ويلتا) مبدلة من ياء الاضافة وكذلك فى يا لهفا ويا عجبا وقرأ الحسن يا ويلتى بالياء على الاصل

و (شيخا) نصب بما دل عليه اسم الاشارة وقرئ شيخ على أنه خبر مبتدا محذوف اى هذا بعلي هو شيخ اوبعلي بدل من المبتدا وشيخ خبر اويكونان معا خبرين قيل بشرت ولها تسعون سنة ولابراهيم مائة وعشرون سنة (ان هذا لشيء عجيب) أن يولد ولد من هرمين وهو استبعاد من حيث العادة التى أجراها الله وانما أنكرت عليها الملائكة تعجبها ف(قالوا أتعجبين من أمر الله) لانها كانت فى بيت الآيات ومهبط المعجزات والامور الخارقة للعادات فكان عليها أن تتوقر ولا يزدهيها ما يزدهي سائر النساء الناشئات فى غير بيوت النبوة وأن تسبح الله وتمجده مكان التعجب والى ذلك أشارت الملائكة صلوات الله عليهم فى قولهم رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت ارادوا ان هذه وامثالها مما يكرمكم به رب العزة ويخصكم بالانعام به يا أهل بيت النبوة فليست بمكان عجب * وامر الله قدرته وحكمته وقوله (رحمت الله وبركاته عليكم) كلام مستانف علل به انكار التعجب كانه قيل اياك والتعجب فان أمثال هذه الرحمة والبركة متكاثرة من الله عليكم وقيل الرحمة النبوة والبركات الاسباط من بنى اسرائيل لان الانبياء منهم وكلهم من ولد ابراهيم (حميد) فاعل ما يستوجب به الحمد من عباده (مجيد) كريم كثير الاحسان اليهم * وأهل البيت نصب على النداء او على الاختصاص لان أهل البيت مدح لهم اذ المراد اهل بيت خليل الرحمن (الروع) ما أوجس من الخيفة حين نكر أضيافه والمعنى انه لما اطمان قلبه بعد الخوف وملئ سرورا بسبب البشرى بدل الغم فرغ للمجادلة (فان قلت) اين جواب لما (قلت) هو محذوف كما حذف فى قوله فلما ذهبوا به وأجمعوا وقوله (يجادلنا) كلام مستانف دال على الجواب وتقديره اجترأ على خطابنا او فطن لمجادلتنا اوقال كيت وكيت ثم ابتدأ فقال يجادلنا فى قوم لوط قيل فى يجادلنا هو جواب لما وانما جيء به مضارعا لحكاية الحال وقيل ان لما ترد المضارع الى معنى الماضي كما ترد ان الماضي الى معنى الاستقبال وقيل معناه اخذ يجادلنا واقبل يجادلنا والمعنى يجادل رسلنا ومجادلته اياهم انهم قالوا انا مهلكوا اهل هذه القرية أرأيتم لو كان فيها خمسون رجلا من المؤمنين اتهلكونها قالوا لا قال فاربعون قالوا لا قال فثلاثون قالوا لا حتى بلغ العشرة قالوا لا قال ارأيتم ان كان فيها رجل واحد مسلم اتهلكونها قالوا لا فعند ذلك قال ان فيها لوطا قالوا نحن اعلم بمن فيها لننجينه واهله (فى قوم لوط) فى معناهم وعن ابن عباس قالوا له ان كان فيها خمسة يصلون رفع عنهم العذاب وعن قتادة ماقوم لا يكون فيهم عشرة فيهم خير وقيل كان فيها اربعة آلاف ألف انسان (ان ابراهيم لحليم) غير عجول على كل من اساء اليه (اواه) كثير التاوه من الذنوب (منيب) تائب راجع الى الله بما يحب ويرضى وهذه الصفات دالة على رقة القلب والرأفة والرحمة فبين ان ذلك مما حمله على المجادلة فيهم رجاء أن يرفع عنهم العذاب ويمهلوا لعلهم يحدثون التوبة والانابة كما حمله على الاستغفار لابيه (ياابراهيم) على ارادة القول اي قالت له الملائكة (أعرض عن هذا) الجدال وان كانت الرحمة ديدنك فلا فائدة فيه (انه قد جاء امر ربك) وهو قضاؤه وحكمه الذى لا يصدر الا عن صواب وحكمة والعذاب نازل بالقوم لا محالة لا مرد له بجدال ولا دعاء ولا غير ذلك * كانت مساءة لوط وضيق ذرعه لانه حسب انهم انس فخاف عليهم خبث قومه وان يعجز عن مقاومتهم ومدافعتهم وروى ان الله تعالى قال لهم لا تهلكوهم حتى يشهد عليهم لوط اربع شهادات فلما مشى معهم منطلقا بهم الى منزله قال لهم اما بلغكم امر هذه القرية قالوا وما امرهم قال اشهد بالله انها لشر قرية فى الارض عملا يقول ذلك اربع مرات فدخلوا معه منزله ولم يعلم بذلك احد فخرجت امرأته فاخبرت بهم قومها * يقال يوم عصيب وعصبصب اذا كان شديدا من قولك عصبه اذا شده (يهرعون) يسرعون كانما يدفعون دفعا (ومن قبل كانوا يعملون السيآت) ومن قبل ذلك الوقت كانوا يعملون الفواحش ويكثرونها فضروا بها ومرنوا عليها وقل عندهم استقباحها فلذلك جاؤا يهرعون مجاهرين لا يكفهم حياء وقيل معناه وقد عرف لوط عادتهم فى عمل الفواحش قبل ذلك (هؤلاء بناتى) اراد ان يقي أضيافه ببناته وذلك غاية الكرم واراد هؤلاء بناتى فتزوجوهن وكان تزويج المسلمات من الكفار جائزا كما زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنتيه من عتبة بن ابى لهب وابي العاص بن وائل قبل الوحي وهما كافران وقيل كان لهم سيدان مطاعان فاراد ان

شيخا ان هذا لشيء عجيب قالوا اتعجبين من امر الله رحمت الله و بركاته عليكم اهل البيت انه حميد مجيد فلما ذهب عن ابراهيم الروع وجاءته البشرى يجادلنا فى قوم لوط ان ابراهيم لحليم أواه منيب ياابراهيم أعرض عن هذا انه قد جاء امر ربك وانهم آتيهم عذاب غير مردود ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم وضاق بهم ذرعا وقال هذا يوم عصيب وجاءه قومه يهرعون اليه ومن قبل كانوا يعملون السيآت قال ياقوم هؤلاء بناتي هن اطهر لكم

يزوجهما ابنتيه وقرأ ابن مروان هن اطهر لكم بالنصب وضعفه سيبويه وقال احتبى ابن مروان في لحنه وعن ابي عمرو بن العلاء من قرأ هن اطهر بالنصب فقد تربع في لحنه وذلك ان انتصابه على ان يجعل حالا قد عمل فيها ما في هؤلاء من معنى الفعل كقوله هذا بعلي شيخا او ينصب هؤلاء بفعل مضمر كأنه قيل خذوا هؤلاء و بناتي بدل و يعمل هذا المضمر في الحال و هن فصل وهذا لا يجوز لان الفصل مختص بالوقوع بين جزأي الجملة ولا يقع بين الحال وذي الحال وقد خرج له وجه لا يكون هن فيه فصلا وذلك ان يكون هؤلاء مبتدأ و بناتي هن جملة في موضع خبر المبتدا كقولك هذا اخي هو و يكون اطهر حالا (فاتقوا الله) بايثارهن عليهم (ولا تخزوني) ولا تهينوني ولا تفضحوني من الخزي او ولا تخجلوني من الخزاية وهي الحياء (في ضيفي) في حق ضيوفي فانه اذا اخزي ضيف الرجل او جاره فقد خزي الرجل وذلك من عراقة الكرم واصالة المروءة (أليس منكم رجل رشيد) رجل واحد يهتدي الى سبيل الحق وفعل الجميل والكف عن السوء * وقرئ ولا تخزون بطرح الياء ويجوز ان يكون عرض البنات عليهم مبالغة في تواضعه لهم واظهارا لشدة امتعاضه مما اوردوا عليه طمعا في ان يستحيوا منه ويرقوا له اذا سمعوا ذلك فيتركوا له ضيوفه مع ظهور الامر واستقرار العلم عنده وعندهم ان لا مناكحة بينه و بينهم ومن ثم (قالوا لقد علمت) مستشهدين بعلمه (ما لنا في بناتك من حق) لانك لا ترى مناكحتنا وما هو الا عرض سابري٣ وقيل لما اتخذوا اتيان الذكران مذهبا ودينا لتواطئهم عليه كان عندهم انه هو الحق وان نكاح الاناث من الباطل فلذلك قالوا ما لنا في بناتك من حق قط لان نكاح الاناث امر خارج من مذهبنا الذي نحن عليه ويجوز ان يقولوه على وجه الخلاعة والغرض نفي الشهوة (لتعلم ما نريد) عنوا اتيان الذكور وما لهم فيه من الشهوة * جواب لو محذوف كقوله تعالى ولو ان قرآنا سيرت به الجبال يعني لو ان لي بكم قوة لفعلت بكم وصنعت يقال مالي به قوة ومالي به طاقة ونحوه لا قبل لهم بها ومالي به يدان لانه في معنى لا اضطلع به ولا استقل به * والمعنى لو قويت عليكم بنفسي او اويت الى قوي استند اليه واتمنع به فيحميني منكم فشبه القوي العزيز بالركن من الجبل في شدته ومنعته ولذلك قالت الملائكة وقد وجدت عليه ان ركنك لشديد وقال النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي لوطا كان يأوي الى ركن شديد * وقرئ او آوي بالنصب باضمار ان كأنه قيل لو ان لي بكم قوة او اويا كقولها * للبس عباءة وتقر عيني * وقرئ الى ركن بضمتين وروي انه اغلق بابه حين جاؤا وجعل يرادهم ما حكى الله عنه ويجادلهم فتسوروا الجدار * فلما رأت الملائكة ما لقي لوط من الكرب قالوا يا لوط ان ركنك لشديد (انا رسل ربك لن يصلوا اليك) فافتح الباب ودعنا واياهم ففتح الباب فدخلوا فاستأذن جبريل عليه السلام ربه في عقوبتهم فاذن له فقام في الصورة التي يكون فيها فنشر جناحه وله جناحان وعليه وشاح من در منظوم وهو براق الثنايا فضرب بجناحه وجوههم فطمس اعينهم فاعماهم كما قال الله تعالى فطمسنا اعينهم فصاروا لا يعرفون الطريق فخرجوا وهم يقولون النجاء النجاء فان في بيت لوط قوما سحرة * لن يصلوا اليك جملة موضحة للتي قبلها لانهم اذا كانوا رسل الله لم يصلوا اليه ولم يقدروا على ضرره * قرئ فاسر بالقطع والوصل والا امرأتك بالرفع والنصب وروي انه قال لهم متى موعد هلاكهم قالوا الصبح فقال اريد اسرع من ذلك فقالوا (أليس الصبح بقريب) وقرئ الصبح بضمتين (فان قلت) ما وجه قراءة من قرأ الا امرأتك بالنصب (قلت) استثناها من قوله فاسر باهلك والدليل عليه قراءة عبد الله فاسر باهلك بقطع من الليل الا امرأتك ويجوز ان ينتصب عن لا يلتفت على اصل الاستثناء وان كان الفصيح هو البدل اعني قراءة من قرأ بالرفع فابدلها عن احد وفي اخراجها مع اهله روايتان روي انه اخرجها معهم وامر ان لا يلتفت منهم احد الا هي فلما سمعت هدة العذاب التفتت وقالت يا قوماه فادركها حجر فقتلها وروي انه امر بان يخلفها مع قومها فان هواها اليهم فلم يسر بها واختلاف القراءتين لاختلاف الروايتين (جعلنا عاليها سافلها) جعل جبريل جناحه في اسفلها ثم رفعها الى السماء حتى سمع اهل السماء نباح الكلاب وصياح الديكة ثم قلبها عليهم واتبعوا الحجارة من فوقهم (من سجيل) قيل هي كلمة معربة من سنككل بدليل قوله حجارة من طين وقيل هي من اسجله اذا ارسله لانها ترسل على الظالمين ويدل عليه قوله

فاتقوا الله ولا تخزوني في ضيفي أليس منكم رجل رشيد قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق وانك لتعلم ما نريد قال لو ان لي بكم قوة او آوي الى ركن شديد قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم ان موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب فلما جاء امرنا جعلنا عاليها سافلها وامطرنا عليها حجارة من سجيل

٣ (قوله سابري) في المثل عرض سابري يقوله من يعرض عليه الشيء عرضا لا يبالغ فيه اه من هامش الاصل

*قوله تعالى ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم (قال ان قلت النهي عن النقصان أمر بالايفاء الخ) قال احمد ولمن قال ان الامر بالشيء ليس نهيا عن ضده ان يستدل بهذه الآية فان الامر لو كان عين النهي عن الضد لكان وروده عقيبه تكرارا وفى كلام الزمخشري مايدل على انه وهم فاعتقد ان النهي في الآية قبل الامر وذلك سهو وغفلة وكل مأخوذ من قوله ومتروك الا المعصوم وأما قوله ان الايفاء حسن فى العقول فتفريع على قاعدة التحسين والتقبيح وقد سبق بطلانها وبينا ان التحسين والتقبيح موظفان من الشرع ولا مجال للعقل في حكم سمعي * قوله تعالى بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

(قال بقية الله مايبقى لكم من الحلال الخ)

لنرسل عليهم حجارة وقيل مما كتب الله ان يعذب به من السجل وسجل لفلان (منضود) نضد في السماء نضدا معدا للعذاب وقيل يرسل بعضه في اثر بعض متتابعا (مسومة) معلمة للعذاب وعن الحسن رضي الله عنه كانت معلمة ببياض وحمرة وقيل عليها سيما يعلم بها انها ليست من حجارة الارض وقيل مكتوب على كل واحد اسم من يرمى به (وما هي) من كل ظالم ببعيد وفيه وعيد لاهل مكة وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه سأل جبريل عليه السلام فقال يعني ظالمي امتك مامن ظالم منهم الا وهو بعرض حجر يسقط عليه من ساعة الى ساعة وقيل الضمير للقرى اى هي قريبة من ظالمي مكة يمرون بها في مسايرهم (ببعيد) بشيء بعيد ويجوز ان يراد وماهي بمكان بعيد لانها وان كانت في السماء وهي مكان بعيد الا انها اذا هوت منها فهي اسرع شيء لحوقا بالمرمي فكأنها بمكان قريب منه (اني اراكم بخير) يريد بثروة وسعة تغنيكم عن التطفيف او اراكم بنعمة من الله حقها ان تقابل بغير ما تفعلون او اراكم بخير فلا تزيلوه عنكم بما انتم عليه كقول مؤمن آل فرعون ياقوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الارض فمن ينصرنا من باس الله ان جاءنا (يوم محيط) مهلك من قوله وأحيط بثمره واصله من احاطة العدو (فان قلت) وصف العذاب بالاحاطة ابلغ ام وصف اليوم بها (قلت) بل وصف اليوم بها لان اليوم زمان يشتمل على الحوادث فاذا احاط بعذابه فقد اجتمع للمعذب ما اشتمل عليه منه كما اذا احاط بنعيمه *(فان قلت) النهي عن النقصان امر بالايفاء فما فائدة قوله اوفوا (قلت) نهوا اولا عن عين القبيح الذى كانوا عليه من نقص المكيال والميزان لان في التصريح بالقبيح نعيا على المنهي وتعييرا له ثم ورد الامر بالايفاء الذى هو حسن فى العقول مصرحا بلفظه لزيادة ترغيب فيه وبعث عليه وجيء به مقيدا بالقسط اى ليكن الايفاء على وجه العدل والتسوية من غير زيادة ولا نقصان امرا بما هو الواجب لان ماجاوز العدل فضل وامر مندوب اليه وفيه توقيف على ان الموفي عليه ان ينوي بالوفاء القسط لان الايفاء وجه حسنه انه قسط وعدل فهذه ثلاث فوائد *البخس الهضم والنقص ويقال للمكس البخس قال زهير * وفى كل ما باع امرؤ بخس درهم * وروى مكس درهم وكانوا يأخذون من كل شيء يباع شيئا كما تفعل السماسرة اوكانوا يمكسون الناس اوكانوا ينقصون من اثمان مايشترون من الاشياء فنهوا عن ذلك *والعثي في الارض نحو السرقة والغارة وقطع السبيل ويجوز ان يجعل التطفيف والبخس عثيا منهم في الارض (بقيت الله) مايبقي لكم من الحلال بعد التنزه عما هو حرام عليكم (خير لكم ان كنتم مؤمنين) بشرط أن تؤمنوا وانما خوطبوا بترك التطفيف والبخس والفساد فى الارض وهم كفرة بشرط الايمان (فان قلت) بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس والتطفيف فلم شرط الايمان (قلت) لظهور فائدتها مع الايمان من حصول الثواب مع النجاة من العقاب وخفاء فائدتها مع فقده لانغماس صاحبها فى غمرات الكفر وفى ذلك استعظام للايمان وتنبيه على جلالة شانه ويجوز أن يراد ان كنتم مصدقين لي فيما أقول لكم وأنصح به اياكم ويجوز أن يراد ما يبقى لكم عند الله من الطاعات خير لكم كقوله والباقيات الصالحات خير عند ربك واضافة البقية الى الله من حيث انها

منضود مسومة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد والى مدين أخاهم شعيبا قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من اله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان انى أراكم بخير واني أخاف عليكم عذاب يوم محيط ويا قوم أوفوا المكيال والميزان بالقسط ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعثوا فى الارض مفسدين بقيت الله خير لكم ان كنتم مؤمنين

قال أحمد المنقول عن المعتزلة ان الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة لانهيا ولا أمرا وقد يجوز بعضهم خطابهم بالنهي وهذه الآية تدل على انهم مخاطبون في حال الكفر بشرط الايمان وقد قررها الزمخشري على ذلك * عاد كلامه (قال فان قلت بقية الله خير للكفرة لانهم يسلمون معها من تبعة البخس الخ) قال احمد وهذا أيضا من اقرار الزمخشري للآية على ظاهرها ومعنى السؤال ان الكفار اذا قدرنا خطابهم بالفروع انتفعوا باجتناب المنهيات في الدار الآخرة لان ثمرة الخلاف في مسئلة خطاب الكفار انما تظهر في الدار الآخرة واذا كانوا ينتفعون بذلك فلا معنى لاشتراط الايمان والحال مع وجوده وعدمه في الانتفاع بالامتثال سواء ومعنى الجواب ان ظهور الانتفاع بالامتثال انما يتحقق مع الايمان واما مع الكفر فهم مخلدون في العذاب فانما تظهر الفائدة على خفاء في تحقيق مامن العذاب والله الموفق * عاد كلامه (قال ويجوز أن يراد مايبقي لكم من الطاعات عند الله الخ) قال احمد قد تقدم أن عقيدة اهل السنة ان لاخالق ولا رازق الا الله ايمانا بقوله هل من خالق غير الله يرزقكم واذا كان الرزق عبارة عن كل مايقيم به الخلق بنيتهم لزم اندراج الحرام في هذا الاطلاق عقدا وحقيقة واما اطلاق القول باضافته على

المخصوص الى الله تعالى فامر خارج عن الاعتقاد راجع الى الاتباع والله الموفق * قوله تعالى قالوا ياشعيب أصلواتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا اوأن نفعل فى أموالنا ما نشاء (قال معناه تامرك بتكليف ان نترك ما يعبد آباؤنا الى قوله بتاء الخطاب فيهما) قال أحمد فعلى هذه القراءة يكون ان تفعل معطوفا على ان نترك وعلى المشهور لا يجوز ذلك والله أعلم لاستحالة المعنى فيتعين العطف فيما أعلى ما يعبد كانهم قالوا أصلواتك تامرك ان نترك عبادة آبائنا اومعبود آبائنا على انها مصدرية اوموصولة ثم قالوا اوان نترك فعلنا فى اموالنا ما نشاء هذه لطيفة فتنبه لها ولا حاجة الى اضمار الزمخشرى لمضاف تقديره تامرك بتكليف ان نترك واحتجاجه لذلك بان الانسان لا يؤمر بفعل غيره اذ المسئلة فرع من فروع خلق الافعال ومع ذلك كله فتقدير المضاف فى الآيه

رزقه الذى يجوز أن يضاف اليه واما الحرام فلا يضاف الى الله ولا يسمى رزقا واذا أريد بها الطاعة فكما تقول طاعة الله وقرئ تقية الله بالتاء وهي تقواه ومراقبته التي تصرف عن المعاصي والقبائح (وما أنا عليكم بحفيظ) وما بعثت لاحفظ عليكم أعمالكم وأجازيكم عليها وانما بعثت مبلغا ومنبها على الخير وناصحا وقد أعذرت حين أنذرت * كان شعيب عليه السلام كثير الصلوات وكان قومه اذا رأوه يصلي تغامزوا وتضاحكوا فقصدوا بقولهم (أصلواتك تامرك) السخرية والهزء والصلاة وان جاز أن تكون آمرة على طريق المجاز كما كانت ناهية فى قوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وان يقال ان الصلاة تامر بالجميل والمعروف كما يقال تدعو اليه وتبعث عليه الا انهم ساقوا الكلام مساق الطنز وجعلوا الصلاة آمرة على سبيل التهكم بصلاته وأرادوا ان هذا الذى تامر به من ترك عبادة الاوثان باطل لا وجه لصحته وان مثله لا يدعوك اليه داعي عقل ولا يامرك به آمر فطنة فلم يبق الا ان يامرك به آمر هذيان ووسوسة شيطان وهو صلواتك التي تداوم عليها فى ليلك ونهارك وعندهم انها من باب الجنون ومما يتولع به المجانين والموسوسون من بعض الاقوال والافعال ومعنى تامرك (ان نترك) تامرك بتكليف ان نترك (ما يعبد آباؤنا) فحذف المضاف الذى هو التكليف لان الانسان لا يؤمر بفعل غيره * وقرئ اصلاتك بالتوحيد * وقرأ ابن أبي عبلة أوان تفعل فى أموالنا ما تشاء بتاء الخطاب فيهما وهو ما كان يامرهم به من ترك التطفيف والبخس والاقتناع بالحلال القليل من الحرام الكثير وقيل كان ينهاهم عن حذف الدراهم والدنانير وتقطيعها وأرادوا بقولهم (انك لانت الحليم الرشيد) نسبته الى غاية السفه والغي فعكسوا ليتهكموا به كما يتهكم بالشحيح الذى لا يبض حجره فيقال له لو أبصرك حاتم لسجد لك وقيل معناه انك للمتواصف بالحلم والرشد فى قومك يعنون ان ما تامر به لا يطابق حالك وما شهرت به (ورزقني منه) أى من لدنه (رزقا حسنا) وهو ما رزقه من النبوة والحكمة وقيل رزقا حسنا حلالا طيبا من غير بخس ولا تطفيف (فان قلت) أين جواب أرأيتم وماله لم يثبت كما أثبت فى قصة نوح ولوط (قلت) جوابه محذوف وانما لم يثبت لان اثباته فى القصتين دل على مكانه ومعنى الكلام ينادي عليه والمعنى اخبروني ان كنت على حجة واضحة ويقين من ربي وكنت نبيا على الحقيقة أيصح لي أن لا آمركم بترك عبادة الاوثان والكف عن المعاصي والانبياء لا يبعثون الا لذلك * يقال خالفني فلان الى كذا اذا قصده وأنت مول عنه وخالفني عنه اذا ولى عنه وأنت قاصده ويلقاك الرجل صادرا عن الماء فتسأله عن صاحبه فيقول خالفني الى الماء يريد انه قد ذهب اليه واردا وأنا ذاهب عنه صادرا ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه يعني ان اسبقكم الى شهواتكم التي نهيتكم عنها لاستبد بها دونكم (ان اريد الا الاصلاح) ما اريد الا ان اصلحكم بموعظتي ونصيحتي وامري بالمعروف ونهيي عن المنكر (ما استطعت) ظرف أى مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه لا آلو فيه جهدا او بدل من الاصلاح أى المقدار الذى استطعته منه ويجوز ان يكون على تقدير حذف المضاف على قولك الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او مفعول له كقوله

* ضعيف النكاية اعداءه * أى ما اريد الا ان اصلح ما استطعت اصلاحه من فاسدكم (وما توفيقي الا بالله) وما كوني موفقا لاصابة الحق فيما آتي وأذر ووقوعه موافقا لرضا الله الا بمعونته وتاييده والمعنى انه استوفق ربه فى امضاء الامر على سننه وطلب منه التاييد والاظهار على عدوه وفى ضمنه تهديد للكفار وحسم لاطماعهم

وما انا عليكم بحفيظ قالوا ياشعيب أصلواتك تامرك ان نترك ما يعبد آباؤنا اوان نفعل فى اموالنا ما نشاء انك لانت الحليم الرشيد قال ياقوم أرأيتم ان كنت على بينة من ربي ورزقني منه رزقا حسنا وما اريد ان أخالفكم الى ما انهاكم عنه ان اريد الا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي الا بالله عليه توكلت واليه انيب وياقوم

متوجه ليس بناء على القراءة المذكورة ولكن لان عرف التخاطب فى مثله يقتضي ذلك والله اعلم * قوله تعالى ان اريد الا الاصلاح ما استطعت (قال ما استطعت ظرف أى مدة استطاعتي للاصلاح ومادمت متمكنا منه ويجوز ان يكون على حذف مضاف تقديره الا الاصلاح اصلاح ما استطعت او يكون مفعولا للمصدر كقوله * ضعيف النكاية اعداءه) قال أحمد والظاهر انه ظرف كهو فى قوله فاتقوا الله ما استطعتم واما جعله مفعولا للمصدر وقد عرف بالالف واللام فبعيد لان اعمال المصدر المعرف فى المفعول الصريح ليس بذاك قالوا ولم يوجد فى القرآن عاملا فى مفعول صريح ولا فى غيره الا فى قوله لا يحب الله الجهر بالسوء فاعمله فى الجار والمجرور

لاطماعهم فيه * جرم مثل كسب فى تعديه الى مفعول واحد والى مفعولين تقول جرم ذنبا وكسبه وجرمته ذنبا وكسبته اياه قال * جرمت فزارة بعدها ان يغضبوا * ومنه قوله تعالى (لا يجرمنكم شقاقي ان يصيبكم) اى لا يكسبنكم شقاقى اصابة العذاب وقرأ ابن كثير بضم الياء من اجرمته ذنبا اذا جعلته جارماله اى كاسبا وهو منقول من جرم المتعدى الى مفعول واحد كما نقل اكسبه المال من كسب المال وكما لا فرق بين كسبته مالا واكسبته اياه فكذلك لا فرق بين جرمته ذنبا واجرمته اياه والقراءتان مستويتان في المعنى لا تفاوت بينهما الا ان المشهورة افصح لفظا كما ان كسبته مالا افصح من اكسبته والمراد بالفصاحة انه على ألسنة الفصحاء من العرب الموثوق بعربيتهم ادور وهم له اكثر استعمالا * وقرأ ابو حيوة ورويت عن نافع مثل ما اصاب بالفتح لاضافته الى غير متمكن كقوله * لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت * (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعنى انهم اهلكوا فى عهد قريب من عهدكم فهم اقرب الهالكين منكم او لا يبعدون منكم فى الكفر والمساوى وما يستحق به الهلاك (فان قلت) ما لبعيد لم يرد على ما يقتضيه قوم من حمله على لفظه او معناه (قلت) اما ان يراد وما اهلاكهم ببعيد او وما هم بشيء بعيد او بزمان او مكان بعيد ويجوز ان يسوى فى قريب وبعيد وقليل وكثير بين المذكر والمؤنث لورودها على زنة المصادر التى هي الصهيل والنهيق ونحوهما (رحيم ودود) عظيم الرحمة للتائبين فاعل بهم ما يفعل البليغ المودة بمن يوده من الاحسان والاجمال (ما نفقه) ما نفهم (كثيرا مما تقول) لانهم كانوا لا يلقون اليه اذهانهم رغبة عنه وكراهية له كقوله وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه او كانوا يفقهونه ولكنهم لم يقبلوه فكانهم لم يفقهوه او قالوا ذلك على وجه الاستهانة به كما يقول الرجل لصاحبه اذا لم يعبأ بحديثه ما ادرى ما تقول او جعلوا كلامه هذيانا وتخليطا لا ينفعهم كثير منه وكيف لا ينفهم كلامه وهو خطيب الانبياء وقيل كان ألثغ (فينا ضعيفا) لا قوة لك ولا عز فيما بيننا فلا تقدر على الامتناع منا ان اردنا بك مكروها وعن الحسن ضعيفا مهينا وقيل ضعيفا اعمى وحمير تسمي المكفوف ضعيفا كما يسمي ضريرا وليس بسديد لان فينا يأباه الا ترى انه لو قيل انا لنراك فينا اعمى لم يكن كلاما لان الاعمى اعمى فيهم وفى غيرهم ولذلك قللوا قومه حيث جعلوهم رهطا * والرهط من الثلاثة الى العشرة وقيل الى السبعة وانما قالوا ولولا هم احتراما لهم واعتدادا بهم لانهم كانوا على ملتهم لا خوفا من شوكتهم وعزتهم (لرجمناك) لقتلناك شر قتلة (وما انت علينا بعزيز) اى لا تعز علينا ولا تكرم حتى نكرمك من القتل ونرفعك عن الرجم وانما يعز علينا رهطك لانهم من اهل ديننا لم يختاروك علينا ولم يتبعوك دوننا وقد دل ايلاء ضميره حرف النفى على ان الكلام واقع فى الفاعل لا فى الفعل كانه قيل وما انت علينا بعزيز بل رهطك هم الاعزة علينا ولذلك قال فى جوابهم (أرهطى اعز عليكم من الله) ولو قيل وما عززت علينا لم يصح هذا الجواب (فان قلت) فالكلام واقع فيه وفى رهطه وانهم الاعزة عليهم دونه فكيف صح قوله ارهطي اعز عليكم من الله (قلت) تهاونهم به وهو نبي الله تهاون بالله فحين عز عليهم رهطه دونه كان رهطه اعز عليهم من الله الا ترى الى قوله تعالى من يطع الرسول فقد اطاع الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) ونسيتموه وجعلتموه كالشيء المنبوذ وراء الظهر لا يعبأ به والظهرى منسوب الى الظهر والكسر من تغييرات النسب ونظيره قولهم في النسبة الى امس امسي (بما تعملون محيط) قد احاط باعمالكم علما فلا يخفى عليه شيء منها (على مكانتكم) لا تخلو المكانة من ان تكون بمعنى المكان يقال مكان ومكانة ومقام ومقامة او تكون مصدرا من مكن مكانة فهو مكين والمعنى اعملوا قارين على جهتكم التى انتم عليها من الشرك والشنآن لي او اعملوا متمكنين من عداوتي مطيقين لها (اني عامل) على حسب ما يؤتيني الله من النصرة والتاييد ويمكنني (من يأتيه) يجوز ان تكون من استفهامية معلقة لفعل العلم عن عمله فيها كانه قيل سوف تعلمون اينا يأتيه عذاب يخزيه واينا هو كاذب وان تكون موصولة قد عمل فيها كانه قيل سوف تعلمون الشقي الذى يأتيه عذاب يخزيه والذى هو كاذب (فان قلت) اى فرق بين ادخال الفاء ونزعها فى سوف تعلمون (قلت) ادخال الفاء وصل ظاهر بحرف موضوع للوصل ونزعها وصل خفى تقديرى بالاستئناف الذى هو جواب لسؤال مقدر كانهم قالوا فماذا يكون اذا عملنا نحن على مكانتنا وعملت انت فقال سوف تعلمون

لا يجرمنكم شقاقى ان يصيبكم مثل ما اصاب قوم نوح او قوم هود او قوم صالح وما قوم لوط منكم ببعيد واستغفروا ربكم ثم توبوا اليه ان ربي رحيم ودود قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز قال يا قوم ارهطي اعز عليكم من الله واتخذتموه وراءكم ظهريا ان ربي بما تعملون محيط ويا قوم اعملوا على مكانتكم انى عامل سوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه ومن هو كاذب

عن اقفاء الاعراب الى وجوهه وهي ممكنة عتيدة متعين خصوصا فى افصح الكلام والله اعلم * قوله تعالى انا لنراك فينا ضعيفا ولولا رهطك لرجمناك (قال فيه معنى قولهم ضعيفا اى لا قوة لك ولا عز فيما بيننا الخ) قال احمد وهذا من محاسن نكته الدالة على انه كان مليا بالحذاقة فى علم البيان والله المستعان

*قوله تعالى اني عامل سوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه من هو كاذب وارتقبوا اني معكم رقيب (قال ان قلت قد ذكر عملهم على مكانتهم الخ) قال احمد والظاهر والله اعلم ان الكلامين جميعا لهم فالاول وهو قوله من ياتيه عذاب يخزيه مضمن ذكر جزمهم الذي يجازون به وهو الكذب ويكون من باب عطف الصفة على الصفة والموصوف واحد كما تقول لان تهدده ستعلم من يهان ومن يعاقب وانما يعنى المخاطب في الكلامين فاذا ثبت صرف الكلامين اليهم لم يخل ذلك من دلالة على ذكر عاقبة هؤلاء اذ احد الفريقين

اذا كان مبطلا فالآخر هو الحق قطعا فذكره لاحدى العاقبتين صريحا يفهم ذكر الاخرى تعريضا والتعريض كما علمت في كثير من مواضعه ابلغ واوقع من التصريح

فوصل تارة بالفاء وتارة بالاستئناف للتفنن في البلاغة كما هو عادة بلغاء العرب واقوى الوصلين وابلغهما الاستئناف وهو باب من ابواب علم البيان تتكاثر محاسنه (وارتقبوا) وانتظروا العاقبة وما اقول لكم (انى معكم رقيب) اى منتظر والرقيب بمعنى الراقب من رقبه كالضريب والصريم بمعنى الضارب والصارم او بمعنى المراقب كالعشير والنديم او بمعنى المرتقب كالفقير والرفيع بمعنى المفتقر والمرتفع (فان قلت) قد ذكر عملهم على مكانتهم وعمله على مكانته ثم اتبعه ذكر عاقبة العاملين منه ومنهم فكان القياس ان يقول من ياتيه عذاب يخزيه ومن هو صادق حتى ينصرف من ياتيه عذاب يخزيه الى الجاحدين ومن هو صادق الى النبي المبعوث اليهم (قلت) القياس ما ذكرت ولكنهم لما كانوا يدعونه كاذبا قال ومن هو كاذب يعني في زعمكم ودعواكم تجهيلا لهم (فان قلت) ما بال ساقتي قصة عاد وقصة مدين جاءتا بالواو والساقتان الوسطيان بالفاء (قلت) قد وقعت الوسطيان بعد ذكر الوعد وذلك قوله ان موعدهم الصبح ذلك وعد غير مكذوب فجيء بالفاء الذي هو للتسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد كان كيت وكيت واما الاخريان فلم تقعا بتلك المثابة وانما وقعتا مبتدأتين فكان حقهما ان تعطفا بحرف الجمع على ما قبلهما كما تعطف قصة على قصة * الجاثم اللازم لمكانه لا يريم كاللابد يعني ان جبريل صاح بهم صيحة فزهق روح كل واحد منهم بحيث هو قعصا (كان لم يغنوا) كان لم يقيموا في ديارهم احياء متصرفين مترددين * البعد بمعنى البعد وهو الهلاك والرشد بمعنى الرشد الاترى الى قوله (كما بعدت) وقرأ السلمي بعدت بضم العين والمعنى في البناءين واحد وهو نقيض القرب الا انهم ارادوا التفصلة بين البعد من جهة الهلاك وبين غيره فغيروا البناء كما فرقوا بين ضماني الخير والشر فقالوا وعد واوعد وقراءة السلمي جاءت على الاصل اعتبار المعنى البعد من غير تخصيص كما يقال ذهب فلان ومضى في معنى الموت وقيل معناه بعدا لهم من رحمة الله كما بعدت ثمود منها (بآياتنا وسلطان مبين) فيه وجهان ان يراد ان هذه الآيات فيها سلطان مبين لموسى على صدق نبوته وان يراد بالسلطان المبين العصا لانها ابهرها (وما امر فرعون برشيد) تجهيل لمتبعيه حيث شايعوه على امره وهو ضلال مبين لا يخفى على من فيه ادنى مسكة من العقل وذلك انه ادعى الالهية وهو بشر مثلهم وجاهر بالعسف والظلم والشر الذي لا ياتي الا من شيطان مارد ومثله بمعزل من الالهية ذاتا وافعالا فاتبعوه وسلموا له دعواه وتتابعوا على طاعته والامر الرشيد الذي فيه رشد اي وما في امره رشد انما هو غي صريح وضلال ظاهر مكشوف وانما يتبع العقلاء من يرشدهم ويهديهم لا من يضلهم ويغويهم وفيه انهم عاينوا الآيات والسلطان المبين في امر موسى عليه السلام وعلموا ان معه الرشد والحق ثم عدلوا عن اتباعه الى اتباع من ليس في أمره رشد قط (يقدم قومه) اى كما كان قدوة لهم في الضلال كذلك يتقدمهم الى النار وهم يتبعونه ويجوز ان يريد بقوله وما امر فرعون برشيد وما امره بصالح حميد العاقبة ويكون قوله يقدم قومه تفسيرا لذلك وايضاحا اى كيف يرشد امر من هذه عاقبته والرشد يستعمل في كل ما يحمد ويرتضي كما استعمل الغي في كل ما يذم ويتسخط ويقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه قادمة الرحل كما يقال قدمه بمعنى تقدمه ومنه مقدمة الجيش واقدم بمعنى تقدم ومنه مقدم العين * (فان قلت) هلا قيل يقدم قومه فيوردهم ولم جيء بلفظ الماضي (قلت) لان الماضي يدل على امر موجود مقطوع به فكانه قيل يقدمهم فيوردهم النار لا محالة و(الورد) المورد و(المورود) الذي ورده شبه بالفارط الذي يتقدم الواردة الى

وارتقبوا اني معكم رقيب ولما جاء امرنا نجينا شعيبا والذين آمنوا معه برحمة منا واخذت الذين ظلموا الصيحة فاصبحوا في ديارهم جاثمين كان لم يغنوا فيها الا بعدا لمدين كما بعدت ثمود ولقد ارسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وملئه فاتبعوا أمر فرعون وما امر فرعون برشيد يقدم قومه يوم القيامة فاوردهم النار وبئس الورد المورود

وهذا منه والذي يدل على ان الكلامين لهما وان عاقبة امر شعيب لم تذكر استغناء عنها بذكر عاقبتهم كما بيناه في الآية التي في اول هذه السورة وهي قوله تعالى قال ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون فسوف تعلمون من ياتيه عذاب يخزيه ويحل عليه عذاب مقيم الاتراه كيف اكتفى بذلك عن ان يقول ومن هو على خلاف ذلك وكذلك قوله في سورة الانعام قل ياقوم اعملوا على مكانتكم اني عامل فسوف تعلمون من تكون له عاقبة الدار فذكر هناك ايضا احدى العاقبتين لان المراد بهذه العاقبة عاقبة الخير ومتى اطلقت فلا يعنى الا ذلك كقوله والعاقبة للمتقين واستغنى عن ذكر مقابلتها والله اعلم فتامل هذا الفصل فانه تحفة لمن همه نظم درر الكتاب العزيز وضم

الى الماء وشبه اتباعه بالواردة ثم قيل بئس الورد الذى يرادونه النار لان الورد انما يراد لتسكين العطش وتبريد الاكباد والنار ضده (واتبعوا فى هذه) فى هذه الدنيا (لعنة) اى يلعنون فى الدنيا ويلعنون فى الآخرة (بئس الرفد المرفود) رفدهم اى بئس العون المعان وذلك ان اللعنة فى الدنيا رفد للعذاب ومدد له وقد رفدت باللعنة فى الآخرة وقيل بئس العطاء المعطى (ذلك) مبتدأ (من انباء القرى نقصه عليك) خبر بعد خبر أى ذلك النبا بعض انباء القرى المهلكة مقصوص عليك (منها) الضمير للقرى اى بعضها باق وبعضها عافي الاثر كالزرع القائم على ساقه والذى حصد (فان قلت) ما محل هذه الجملة (قلت) هي مستانفة لا محل لها (وما ظلمناهم) باهلاكنا اياهم (ولكن ظلموا انفسهم) بارتكاب ما به اهلكوا (فما اغنت عنهم آلهتهم) فما قدرت ان ترد عنهم باس الله (يدعون) يعبدون وهي حكاية حال ماضية و(لما) منصوب بما اغنت (امر ربك) عذابه ونقمته (تتبيب) تخسير يقال تب اذا خسر وتببه غيره اذا اوقعه فى الخسران * محل الكاف الرفع تقديره ومثل ذلك الاخذ (اخذ ربك) والنصب فيمن قرأ وكذلك اخذ ربك بلفظ الفعل * وقرئ اذ اخذ القرى (وهى ظالمة) حال من القرى (اليم شديد) وجيع صعب على الماخوذ وهذا تحذير من وخامة عاقبة الظلم لكل اهل قرية ظالمة من كفار مكة وغيرها بل لكل من ظلم غيره او نفسه بذنب يقترفه فعلى كل من اذنب ان يحذر اخذ ربه الاليم الشديد فيبادر التوبة ولا يغتر بالامهال (ذلك) اشارة الى ما قص الله من قصص الامم الهالكة بذنوبهم (لآية لمن خاف) لعبرة له لانه ينظر الى ما احل الله بالمجرمين فى الدنيا وما هو الا انموذج مما اعد لهم فى الآخرة فاذا رأى عظمه وشدته اعتبر به عظم العذاب الموعود فيكون له عبرة وعظة ولطفا فى زيادة التقوى والخشية من الله تعالى ونحوه ان فى ذلك لعبرة لمن يخشي (ذلك) اشارة الى يوم القيامة فان عذاب الآخرة دل عليه و(الناس) رفع باسم المفعول الذى هو مجموع كما يرفع بفعله اذا قلت يجمع له الناس (فان قلت) لاى فائدة أوثر اسم المفعول على فعله (قلت) لما فى اسم المفعول من دلالة على ثبات الجمع لليوم وانه يوم لا بد من أن يكون ميعادا مضروبا لجمع الناس له وانه الموصوف بذلك صفة لازمة وهو اثبت ايضا لاسناد الجمع الى الناس وانهم لا ينفكون منه ونظيره قول المهتدد انك لمنهوب مالك محروب قومك فيه من تمكن الوصف وثباته ما ليس فى الفعل وان شئت فوازن بينه وبين قوله يوم يجمعكم ليوم الجمع تعثر على صحة ما قلت لك ومعنى يجمعون له يجمعون لما فيه من الحساب والثواب والعقاب (يوم مشهود) مشهود فيه فاتسع فى الظرف باجرائه مجرى المفعول به كقوله * ويوم شهدناه سليما وعامرا * اى يشهد فيه الخلائق الموقف لا يغيب عنه احد والمراد بالمشهود الذى كثر شاهدوه ومنه قولهم لفلان مجلس مشهود وطعام محضور قال * فى محفل من نواصي الناس مشهود * (فان قلت) فما منعك ان تجعل اليوم مشهودا فى نفسه دون ان تجعله مشهودا فيه كما قال الله تعالى فمن شهد منكم الشهر فليصمه (قلت) الغرض وصف ذلك اليوم بالهول والعظم وتميزه من بين الايام فان جعلته مشهودا فى نفسه فسائر الايام كذلك مشهودات كلها ولكن يجعل مشهودا فيه حتى يحصل التميز كما يميز يوم الجمعة عن ايام الاسبوع بكونه مشهودا فيه دونها ولم يجز ان يكون مشهودا فى نفسه لان سائر ايام الاسبوع مثله يشهدها كل من يشهده وكذلك قوله فمن شهد منكم الشهر فليصمه الشهر منتصب ظرفا لا مفعولا به وكذلك الضمير فى فليصمه والمعنى فمن شهد منكم فى الشهر فليصم فيه يعنى فمن كان منكم مقيما حاضرا لوطنه فى شهر رمضان فليصم فيه ولو نصبته مفعولا فالمسافر والمقيم كلاهما يشهدان الشهر لا يشهده المقيم ويغيب عنه المسافر * الاجل يطلق على مدة التاجيل كلها وعلى منتهاها فيقولون انتهى الاجل وبلغ الاجل آخره ويقولون حل الاجل فاذا جاء اجلهم يراد آخره مدة التاجيل والعدا انما هو للمدة لا لغايتها ومنتهاها فمعنى قوله (وما نؤخره الا لاجل معدود) الا لانتهاء مدة معدودة بحذف المضاف وقرئ وما يؤخره بالياء * قرئ يوم يات بغير ياء ونحوه قولهم لا ادر حكاه الخليل وسيبويه وحذف الياء والاجتزاء عنها بالكسرة كثير فى لغة هذيل (فان قلت) فاعل يأتي ما هو (قلت) الله عز وجل كقوله هل ينظرون الا ان يأتيهم الله او يأتي ربك وجاء ربك وتعضده قراءة من قرأ وما يؤخره

واتبعوا فى هذه لعنة ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ذلك من انباء القرى نقصه عليك منها قائم وحصيد وما ظلمناهم ولكن ظلموا أنفسهم فما أغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء أمر ربك وما زادوهم غير تتبيب وكذلك اخذ ربك اذا أخذ القرى وهى ظالمة ان اخذه اليم شديد ان فى ذلك لآية لمن خاف عذاب الآخرة ذلك يوم مجموع له الناس وذلك يوم مشهود وما نؤخره الا لاجل معدود يوم يأت

بعضها الى بعض والله الموفق للصواب * قوله تعالى ذلك يوم مجموع له الناس (قال فيه ان قلت لم عدل عن الفعل الى اسم المفعول الخ) قال احمد ولهذا السر قوله تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق والطير محشورة فاستعمل الفعل حيث يليق به واسم المفعول حيث يحسن استعماله ايضا الخ * قوله تعالى وذلك يوم مشهود (قال المراد مشهود فيه فاتسع فى الظرف الخ) قال احمد يكون المشهود الذى هو المفعول به مسكوتا عنه مبهما ومن الابهام ما يكون وتفخيما وهذا امكانه

بالياء وقوله باذنه ويجوز أن يكون الفاعل ضمير اليوم كقوله تعالى أو تأتيهم الساعة (فان قلت) بما انتصب الظرف (قلت) اما أن ينتصب بلا تكلم واما باضمار اذكر واما بالانتهاء المحذوف فى قوله الالأجل معدود اى ينتهى الاجل يوم يأتى (فان قلت) فاذا جعلت الفاعل ضمير اليوم فقد جعلت اليوم وقتا لاتيان اليوم وحددت الشىء بنفسه (قلت) المراد اتيان هوله وشدائده (لا تكلم) لا تتكلم وهو نظير قوله لا يتكلمون الامن أذن له الرحمن (فان قلت) كيف يوفق بين هذا وبين قوله تعالى يوم تأتى كل نفس تجادل عن نفسها وقوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (قلت) ذلك يوم طويل له مواقف ومواطن ففى بعضها يجادلون عن أنفسهم وفى بعضها يكفون عن الكلام فلا يؤذن لهم وفى بعضها يؤذن فيتكلمون وفى بعضها يختم على أفواههم وتكلم أيديهم وتشهد أرجلهم (فمنهم) الضمير لاهل الموقف ولم يذكروا لان ذلك معلوم ولان قوله لا تكلم نفس يدل عليه وقد مر ذكر الناس فى قوله مجموع له الناس * والشقى الذى وجبت له النار لاساءته * والسعيد الذى وجبت له الجنة لاحسانه * قراءة العامة بفتح الشين وعن الحسن شقوا بالضم كما قرئ سعدوا * والزفير اخراج النفس * والشهيق رده قال الشماخ

بعيد مدى التطريب اول صوته * زفير ويتلوه شهيق محشرج

(مادامت السموات والارض) فيه وجهان أحدهما أن تراد سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة مخلوقة للابد والدليل على ان لها سموات وارضا قوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وقوله وأورثنا الارض نتبوأ من الجنة حيث نشاء ولانه لا بد لاهل الآخرة مما يقلهم ويظلهم اما سماء يخلقها الله أو يظلهم العرش وكل ما أظلك فهو سماء والثانى ان تكون عبارة عن التأبيد ونفى الانقطاع كقول العرب مادام تعار وما أقام ثبير وما لاح كوكب وغير ذلك من كلمات التأبيد * (فان قلت) فما معنى الاستثناء فى قوله (الا ماشاء ربك) وقد ثبت خلود اهل الجنة والنار فى الابد من غير استثناء (قلت) هو استثناء من الخلود فى عذاب النار ومن الخلود فى نعيم الجنة وذلك ان اهل النار لا يخلدون فى عذاب النار وحده بل يعذبون بالزمهرير وبانواع من العذاب سوى عذاب النار وبما هو اغلظ منها كلها وهو سخط الله عليهم وخسؤه لهم واهانته اياهم وكذلك اهل الجنة لهم سوى الجنة ما هو اكبر منها واجل موقعا منهم وهو رضوان الله كما قال وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله اكبر ولهم ما يتفضل الله به عليهم سوى ثواب الجنة مما لا يعرف كنهه الا هو فهو المراد بالاستثناء والدليل عليه قوله عطاء غير مجذوذ ومعنى قوله فى مقابلته (ان ربك فعال لما يريد) انه يفعل باهل النار ما يريد من العذاب كما يعطى اهل الجنة عطاءه الذى لا انقطاع له فتأمله فان القرآن يفسر بعضه بعضا ولا يخدعنك عنه قول المجبرة ان المراد بالاستثناء خروج اهل الكبائر من النار بالشفاعة فان الاستثناء الثانى ينادى على تكذيبهم ويسجل بافترائهم وما ظنك بقوم نبذوا كتاب الله لما روى لهم بعض النوابت عن عبد الله بن عمرو بن العاص ليأتين على جهنم يوم تصفق فيه ابوابها ليس فيها احد وذلك بعد ما يلبثون فيها احقابا وقد بلغنى ان من الضلال من اغتر بهذا الحديث فاعتقد ان الكفار لا يخلدون فى النار وهذا ونحوه والعياذ بالله من الخذلان المبين زادنا الله هداية الى الحق ومعرفة بكتابه وتنبيها على ان نعقل عنه ولئن صح هذا عن ابن العاص فمعناه انهم يخرجون من حر النار الى برد الزمهرير فذلك خلو جهنم وصفق ابوابها واقول ما كان لابن عمرو فى سيفيه ومقاتلته بهما على بن ابى طالب رضى الله عنه ما يشغله عن تسيير هذا الحديث (غير مجذوذ) غير مقطوع ولكنه ممتد الى غير نهاية كقوله لهم اجر غير ممنون * لما قص قصص عبدة الاوثان وذكر ما احل بهم من نقمه وما اعدلهم من عذابه قال (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) اى فلا تشك بعد ما انزل عليك من هذه القصص فى سوء عاقبة عبادتهم وتعرضهم بها لما اصاب امثالهم قبلهم تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعدة بالانتقام منهم ووعيدا لهم ثم قال (ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم) يريد ان حالهم فى الشرك مثل حال آبائهم من غير تفاوت بين الحالين وقد بلغك ما نزل بآبائهم فسينزل بهم مثله وهو استئناف معناه تعليل

لا تكلم نفس الا باذنه فمنهم شقى وسعيد فاما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك ان ربك فعال لما يريد واما الذين سعدوا ففى الجنة خالدين فيها مادامت السموات والارض الا ماشاء ربك عطاء غير مجذوذ فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء ما يعبدون الا كما يعبد آباؤهم من قبل

النهى

النهي عن المرية وما في مما وكما يجوز ان تكون مصدرية وموصولة اى من عبادتهم وكعبادتهم اومما
يعبدون من الاوثان ومثل مايعبدون منها (وانا لموفوهم نصيبهم) اى حظهم من العذاب كما وفينا آباءهم
انصباءهم * (فان قلت) كيف نصب (غير منقوص) حالا عن النصيب الموفى (قلت) يجوز ان يوفى وهو
ناقص ويوفى وهو كامل ألا تراك تقول وفيته شطر حقه وثلث حقه وحقه كاملا وناقصا (فاختلف فيه) آمن
به قوم وكفر به قوم كما اختلف فى القرآن (ولولا كلمة) يعنى كلمة الانظار الى يوم القيامة (لقضى بينهم) بين قوم
موسى اوقومك وهذه من جملة التسلية أيضا (وان كلا) التنوين عوض من المضاف اليه يعنى وان كلهم
وان جميع المختلفين فيه (ليوفينهم) جواب قسم محذوف * واللام فى لما موطئة للقسم وما مزيدة والمعنى
وان جميعهم والله ليوفينهم (ربك اعمالهم) من حسن وقبيح وايمان وجحود وقرئ وان كلا بالتخفيف
على اعمال المخففة عمل الثقيلة اعتبارا لاصلها الذى هو التثقيل وقرأ أبي وان كل لما ليوفينهم على ان ان
نافية ولما بمعنى الا وقراءة عبدالله مفسرة لها وان كل الا ليوفينهم وقرأ الزهرى وسليمان بن ارقم وان كلا
لما ليوفينهم بالتنوين كقوله أكلا لما والمعنى وان كلا ملمومين بمعنى مجموعين كانه قيل وان كلا جميعا كقوله
فسجد الملائكة كلهم أجمعون (فاستقم كما امرت) فاستقم استقامة مثل الاستقامة التي امرت بها على جادة
الحق غير عادل عنها (ومن تاب معك) معطوف على المستتر فى استقم وانما جاز العطف عليه ولم يؤكد بمنفصل
لقيام الفاصل مقامه والمعنى فاستقم انت وليستقم من تاب عن الكفر وآمن معك (ولا تطغوا) ولا
تخرجوا عن حدود الله (انه بما تعملون بصير) عالم فهو مجازيكم به فاتقوه وعن ابن عباس ما نزلت على
رسول الله صلى الله عليه وسلم فى جميع القرآن آية كانت اشد ولا أشق عليه من هذه الآية ولهذا قال شيبتنى
هود والواقعة واخواتهما وروى ان اصحابه قالوا له لقد اسرع فيك الشيب فقال شيبتنى هود وعن بعضهم
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم فقلت له روى عنك انك قلت شيبتنى هود فقال نعم فقلت ما الذى
شيبك منها أقصص الانبياء وهلاك الامم قال لا ولكن قوله فاستقم كما امرت وعن جعفر الصادق رضي الله
عنه فاستقم كما امرت قال افتقر الى الله بصحة العزم * وقرئ ولا تركنوا بفتح الكاف وضمها مع فتح التاء وعن
أبي عمرو بكسر التاء وفتح الكاف على لغة تميم فى كسرهم حروف المضارعة الا الياء فى كل ما كان من باب علم
يعلم ونحوه قراءة من قرأ فتمسكم النار بكسر التاء وقرأ ابن ابى عبلة ولا تركنوا على البناء للمفعول من اركنه اذا
اماله والنهي متناول للانحطاط فى هواهم والانقطاع اليهم ومصاحبتهم ومجالستهم وزيارتهم ومداهنتهم
والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزيي بزيهم ومد العين الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله ولا
تركنوا فان الركون هو الميل اليسير وقوله (الى الذين ظلموا) اى الى الذين وجد منهم الظلم ولم يقل الى
الظالمين وحكى ان الموفق صلى خلف الامام فقرأ بهذه الآية فغشي عليه فلما افاق قيل له فقال هذا فيمن ركن
الى من ظلم فكيف بالظالم وعن الحسن رحمه الله جعل الله الدين بين لاءين ولا تطغوا ولا تركنوا ولما خالط
الزهرى السلاطين كتب اليه أخ له فى الدين عافانا الله واياك ابا بكر من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغى لمن
عرفك ان يدعو لك الله ويرحمك أصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك الله من كتابه وعلمك من
سنة نبيه وليس كذلك اخذ الله الميثاق على العلماء قال الله سبحانه لتبيننه للناس ولا تكتمونه واعلم ان ايسر
ما ارتكبت واخف ما احتملت انك آنست وحشة الظالم وسهلت سبيل الغى بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك
باطلا حين أدناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون
فيك الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلماء ويقتادون بك قلوب الجهلاء فما ايسر ما عمروا لك فى جنب
ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك فى جنب ما افسدوا عليك من دينك فما يؤمنك ان تكون ممن قال
الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيا فانك تعامل من
لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك فقد حضر السفر البعيد وما يخفى
على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء والسلام وقال سفيان فى جهنم واد لا يسكنه الا القراء الزائرون

وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وانهم لفى شك منه مريب وان كلا لما ليوفينهم ربك اعمالهم انه بما يعملون خبير فاستقم كما امرت ومن تاب معك ولا تطغوا انه بما تعملون بصير ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار

*قوله تعالى وانا لموفوهم نصيبهم غير منقوص (قال) اى حظهم من العذاب وانما نصب غير منقوص حالا من النصيب الموفى لانه يجوز ان يوفى وهو ناقص ويوفى وهو كامل الا تراك تقول وفيته شطر حقه وحقه كاملا (قال احمد) وهم والله أعلم فان التوفية تستلزم عدم نقصان الموفى كاملا كان او ناقصا فقولك وفيته نصف حقه يستلزم عدم نقصانه فما وجه انتصابه حالا عنه والاوجه ان يقال استعملت التوفية بمعنى الاعطاء كما استعمل التوفى بمعنى الاخذ ومن قال اعطيت فلانا حقه كان جديرا ان يؤكده بقوله غير منقوص والله أعلم

ومالكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون وأقم الصلوة طرفى النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيآت ذلك ذكرى للذاكرين واصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد فى الارض

للملوك وعن الاوزاعى مامن شيء أبغض الى الله من عالم يزور عاملا وعن محمد بن مسلمة الذباب على العذرة أحسن من قارىء على باب هؤلاء وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دعا لظالم بالبقاء فقد احب أن يعصى الله فى ارضه ولقد سئل سفيان عن ظالم اشرف على الهلاك فى برية هل يسقى شربة ماء فقال لا فقيل له يموت فقال دعه يموت (وما لكم من دون الله من اولياء) حال من قوله فتمسكم اى فتمسكم النار وانتم على هذه الحال ومعناه وما لكم من دون الله من انصار يقدرون على منعكم من عذابه لا يقدر على منعكم منه غيره (ثم لا تنصرون) ثم لا ينصركم هو لانه وجب فى حكمته تعذيبكم وترك الابقاء عليكم (فان قلت) فما معنى ثم (قلت) معناها الاستبعاد لان النصرة من الله مستبعدة مع استيجابهم العذاب واقتضاء حكمته له (طرفى النهار) غدوة وعشية (وزلفا من الليل) وساعات من الليل وهى ساعاته القريبة من آخر النهار من ازلفه اذا قربه وازدلف اليه وصلاة الغدوة الفجر وصلاة العشية الظهر والعصر لان ما بعد الزوال عشى وصلاة الزلف المغرب والعشاء وانتصاب طرفى النهار على الظرف لانهما مضافان الى الوقت كقولك قمت عنده جميع النهار واتيته نصف النهار واوله وآخره تنتصب هذا كله على اعطاء المضاف حكم المضاف اليه ونحوه واطراف النهار وقرىء وزلفا بضمتين وزلفا بسكون اللام وزلفى بوزن قربى فالزلف جمع زلفة كظلم فى ظلمة والزلف بالسكون نحو بسرة وبسر والزلف بضمتين نحو بسر فى بسر والزلفى بمعنى الزلفة كما ان القربى بمعنى القربة وهو ما يقرب من آخر النهار من الليل وقيل وزلفا من الليل وقربا من الليل وحقها على هذا التفسير ان تعطف على الصلاة اى اقم الصلاة طرفى النهار واقم زلفا من الليل على معنى واقم صلاة تتقرب بها الى الله عز وجل فى بعض الليل (ان الحسنات يذهبن السيآت) فيه وجهان احدهما ان يراد تكفير الصغائر بالطاعات وفى الحديث ان الصلاة الى الصلاة كفارة ما بينهما ما اجتنبت الكبائر والثانى ان الحسنات يذهبن السيآت بان يكن لطفا فى تركها كقوله ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقيل نزلت فى ابى اليسر عمرو بن غزية الانصارى كان يبيع التمر فاتته امرأة تبتاع تمرا فقال لها ان فى البيت اجود من هذا التمر فذهب بها الى بيته فضمها الى نفسه وقبلها فقالت له اتق الله فتركها وندم فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره بما فعل فقال صلى الله عليه وسلم انتظر امر ربى فلما صلى صلاة العصر نزلت فقال نعم اذهب فانها كفارة لما عملت وروى انه اتى ابا بكر فاخبره فقال استر على نفسك وتب الى الله فاتى عمر رضى الله عنه فقال له مثل ذلك ثم اتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت فقال عمر اهذا له خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له توضأ وضوءا حسنا وصل ركعتين ان الحسنات يذهبن السيآت (ذلك) اشارة الى قوله فاستقم فما بعده (ذكرى للذاكرين) عظة للمتعظين * ثم كر الى التذكير بالصبر بعد ما جاء بما هو خاتمة للتذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله كانه قال وعليك بما هو اهم مما ذكرت به واحق بالتوصية وهو الصبر على امتثال ما امرت به والانتهاء عما نهيت عنه فلا يتم شيء منه الا به (فان الله لا يضيع اجر المحسنين) جاء بما هو مشتمل على الاستقامة واقامة الصلوات والانتهاء عن الطغيان والركون الى الظالمين والصبر وغير ذلك من الحسنات (فلولا كان من القرون) فهلا كان وقد حكوا عن الخليل كل لولا فى القرآن فمعناها هلا الا التى فى الصافات وما صحت هذه الحكاية ففى غير الصافات لولا ان تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء ولولا رجال مؤمنون ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم (اولوا بقية) اولو فضل وخير وسمى الفضل والجودة بقية لان الرجل يستبقى مما يخرجه اجوده وافضله فصار مثلا فى الجودة والفضل ويقال فلان من بقية القوم اى من خيارهم وبه فسر بيت الحماسة

* ان تذنبوا ثم يأتينى بقيتكم * ومنه قولهم فى الزوايا خبايا وفى الرجال بقايا ويجوز ان تكون البقية بمعنى البقوى كالتقية بمعنى التقوى اى فهلا كان منهم ذوو بقاء على انفسهم وصيانة لها من سخط الله وعقابه وقرىء أولو بقية بوزن لقية من بقاه يبقيه اذا راقبه وانتظره ومنه بقينا رسول الله صلى الله عليه وسلم والبقية المرة من مصدره والمعنى فلولا كان منهم اولوا مراقبة وخشية من انتقام الله كانهم ينتظرون ايقاعه بهم

لاشفاقهم

لاشفافهم (الاقليلا) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممـا انجينا من القرون نهوا عن الفساد وسائرهم تاركون للنهى * ومن فى (ممن انجينا) حقها ان تكون للبيان لا للتبعيض لان النجاة انمـا هى للناهين وحدهم بدليل قوله تعالى انجينا الذين ينهون عن السوء واخذنا الذين ظلموا (فان قلت) هل لوقوع هذا الاستثناء متصلا وجه يحمل عليه (قلت) ان جعلته متصلا على ما عليه ظاهر الكلام كان المعنى فاسدا لانه يكون تحضيضا الاولى البقية على النهي عن الفساد الا للقليل من الناجين منهم كما تقول هلا قرأ قومك القرآن الا الصلحاء منهم تريد استثناء الصلحاء من المحضضين على قراءة القرآن وان قلت فى تحضيضهم على النهي عن الفساد معنى نفيه عنهم فكانه قيل ما كان من القرون اولو بقية الاقليلا كان استثناء متصلا ومعنى صحيحا وكان انتصابه على اصل الاستثناء وان كان الافصح ان يرفع على البدل (واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه) اراد بالذين ظلموا تاركى النهي عن المنكرات اى لم يهتموا بمـا هو ركن عظيم من اركان الدين وهو الامر بالمعروف والنهى عن المنكر وعقدوا هممهم بالشهوات واتبعوا ما عرفوا فيه التنعم والترف من حب الرياسة والثروة وطلب اسباب العيش الهنىء ورفضوا ما وراء ذلك ونبذوه وراء ظهورهم وقرأ ابو عمرو فى رواية الجعفى واتبع الذين ظلموا يعنى واتبعوا جزاء ما اترفوا فيه ويجوز ان يكون المعنى فى القراءة المشهورة انهم اتبعوا جزاء اترافهم وهذا معنى قوى لتقدم الانجاء كانه قيل الاقليلا ممن انجينا منهم وهلك السائر (فان قلت) علام عطف قوله واتبع الذين ظلموا (قلت) ان كان معناه واتبعوا الشهوات كان معطوفا على مضمر لان المعنى الاقليلا ممن انجينا منهم نهوا عن الفساد واتبع الذين ظلموا شهواتهم فهو عطف على نهوا وان كان معناه واتبعوا جزاء الاتراف قالواو للحال كانه قيل انجينا القليل وقد اتبع الذين ظلموا جزاءهم (فان قلت) فقوله (وكانوا مجرمين) (قلت) على اترفوا اى اتبعوا الاتراف وكونهم مجرمين لان تابع الشهوات مغمور بالآثام او اريد بالاجرام اغفالهم للشكر او على اتبعوا اى اتبعوا شهواتهم وكانوا مجرمين بذلك ويجوز ان يكون اعتراضا وحكما عليهم بانهم قوم مجرمون (كان) بمعنى صح واستقام * واللام لتاكيد النفى و (بظلم) حال من الفاعل والمعنى واستحال فى الحكمة ان يهلك الله القرى ظالمـا لها (واهلها) قوم (مصلحون) تنزيها لذاته عن الظلم وايذانا بان اهلاك المصلحين من الظلم وقيل الظلم الشرك ومعناه انه لا يهلك القرى بسبب شرك اهلها وهم مصلحون يتعاطون الحق فيما بينهم ولا يضمون الى شركهم فسادا آخر * (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى لاضطرهم الى ان يكونوا اهل امة واحدة اى ملة واحدة وهى ملة الاسلام كقوله ان هذه امتكم امة واحدة وهذا الكلام يتضمن نفي الاضطرار وانه لم يضطرهم الى الاتفاق على دين الحق ولكنه مكنهم من الاختيار الذى هو أساس التكليف فاختار بعضهم الحق وبعضهم الباطل فاختلفوا فلذلك قال (ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك) الا ناسا هداهم الله ولطف بهم فاتفقوا على دين الحق غير مختلفين فيه (ولذلك خلقهم) ذلك اشارة الى ما دل عليه الكلام الاول وتضمنه يعنى ولذلك من التمكين والاختيار الذى كان عنه الاختلاف خلقهم ليثيب مختار الحق بحسن اختياره ويعاقب مختار الباطل بسوء اختياره (وتمت كلمة ربك) وهى قوله للملائكة (لاملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين) لعلمه بكثرة من يختار الباطل (وكلا) التنوين فيه عوض من المضاف اليه كانه قيل وكل نبا (نقص عليك) و (من انباء الرسل) بيان لكل و (ما نثبت به فؤادك) بدل من كلا ويجوز ان يكون المعنى وكل اقتصاص نقص عليك على معنى وكل نوع من انواع الاقتصاص نقص عليك يعنى على الاساليب المختلفة وما نثبت به مفعول نقص ومعنى تثبيت فؤاده زيادة يقينه وما فيه طمانينة قلبه لان تكاثر الادلة اثبت للقلب وارسخ للعلم (وجاءك فى هذه الحق) اى فى هذه السورة او فى هذه الأنباء المقتصة فيها ما هو حق (وموعظة وذكرى * وقل للذين لا يؤمنون) من اهل مكة وغيرهم (اعملوا) على حالكم وجهتكم التى انتم عليها (انا عاملون وانتظروا) بنا الدوائر (انا منتظرون) ان ينزل بكم نحو ما اقتص الله من النقم النازلة باشباهكم (ولله غيب السموات والارض) لا تخفى عليه خافية مما يجرى فيهما فلا تخفى عليه اعمالكم (واليه يرجع الامر كله)

الاقليلا ممن انجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين وماكان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لاملأن جهنم من الجنة والناس اجمعين وكلا نقص عليك من انباء الرسل ما نثبت به فؤادك وجاءك فى هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين وقل للذين لا يؤمنون اعملوا على مكانتكم انا عاملون وانتظروا انا منتظرون ولله غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله

فلابد ان يرجع اليه امرهم وامرك فينتقم لك منهم (فاعبده وتوكل عليه) فانه كافيك وكالئك (ومار بك بغافل عما يعملون) وقرئ تعملون بالتاء اى أنت وهم على تغليب المخاطب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة هود أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح ومن كذب به وهود وصالح وشعيب ولوط وابراهيم وموسي وكان يوم القيامة من السعداء ان شاء الله تعالى ذلك

(سورة يوسف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تلك) اشارة الى آيات السورة و (الكتاب المبين) السورة اى تلك الآيات التى أنزلت اليك فى هذه السورة آيات السورة الظاهر امرها فى اعجاز العرب وتبكيتهم اوالتى تبين لمن تدبرها انها من عند الله لا من عند البشر او الواضحة التي لا تشتبه على العرب معانيها لنزولها بلسانهم او قد أبين فيها ماسالت عنه اليهود من قصة يوسف فقد روى ان علماء اليهود قالوا الكبراء المشركين سلوا محمد الم انتقل آل يعقوب من الشأم الى مصر وعن قصة يوسف (انا أنزلناه) انزلنا هذا الكتاب الذي فيه قصة يوسف في حال كونه (قرآنا عربيا) وسمي بعض القرآن قرآنا لان القرآن اسم جنس يقع على كله وبعضه (لعلكم تعقلون) ارادة ان تفهموه وتحيطوا بمعانيه ولا يلتبس عليكم ولوجعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (القصص) على وجهين يكون مصدرا بمعنى الاقتصاص تقول قص الحديث يقصه قصصا كقولك شله يشله شللا اذا طرده ويكون فعلا بمعنى مفعول كالنفض والحسب ونحوه النبا والخبر فى معنى المنبابه والمخبر به ويجوز ان يكون من تسمية المفعول بالمصدر كالخلق والصيد وان اريد المصدر فمعناه نحن نقص عليك احسن الاقتصاص (بما أوحينا اليك هذا القرآن) اى بايحائنا اليك هذه السورة على ان يكون احسن منصوبا نصب المصدر لاضافته اليه ويكون المقصوص محذوفا لان قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن مغن عنه ويجوز ان ينتصب هذا القرآن بنقص كانه قيل نحن نقص عليك احسن الاقتصاص هذا القرآن بايحائنا اليك والمراد باحسن الاقتصاص انه اقتص على ابدع طريقة واعجب اسلوب ألا ترى ان هذا الحديث مقتص في كتب الاولين وفى كتب التواريخ ولا ترى اقتصاصه فى كتاب منها مقاربا لاقتصاصه فى القرآن وان اريد بالقصص المقصوص فمعناه نحن نقص عليك احسن ما يقص من الاحاديث وانما كان احسنه لما يتضمن من العبر والنكت والحكم والعجائب التي ليست فى غيرها والظاهر انه احسن ما يقتص فى بابه كما يقال فى الرجل هو أعلم الناس وأفضلهم يراد في فنه (فان قلت) مم اشتقاق القصص (قلت) من قص اثره اذا اتبعه لان الذى يقص الحديث يتبع ماحفظ منه شيئا فشيئا كما يقال تلا القرآن اذا قرأه لانه يتلو اى يتبع ماحفظ منه آية بعد آية (وان كنت) ان مخففة من الثقيلة * واللام هي التى تفرق بينها وبين النافية * والضمير فى (قبله) راجع الى قوله ما اوحينا والمعنى وان الشان والحديث كنت من قبل ايحائنا اليك من الغافلين عنه اى من الجاهلين به ما كان لك فيه علم قط ولا طرق سمعك طرف منه (اذ قال يوسف) بدل من احسن القصص وهو من بدل الاشتمال لان الوقت مشتمل على القصص وهو المقصوص فاذا قص وقته فقد قص او باضمار اذكر ويوسف اسم عبراني وقيل عربي وليس بصحيح لانه لو كان عربيا لانصرف لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف (فان قلت) فما تقول فيمن قرأ يوسف بكسر السين او يوسف بفتحها هل يجوز على قراءته ان يقال هو عربي لانه على وزن المضارع المبنى للفاعل او المفعول من آسف وانما منع الصرف للتعريف ووزن الفعل (قلت) لا لان القراءة المشهورة قامت بالشهادة على ان الكلمة اعجمية فلا تكون عربية تارة واعجمية أخرى ونحو يوسف يونس رويت فيه هذه اللغات الثلاث ولا يقال هو عربي لانه فى لغتين منها بوزن المضارع من آنس واونس وعن النبي صلى الله عليه وسلم اذا قيل من الكريم فقولوا الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف

فاعبده وتوكل عليه وما ربك بغافل عما تعملون

(سورة يوسف مكية وهى مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب المبين انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين اذ قال يوسف لابيه

ابن يعقوب بن اسحق بن ابراهيم (يا أبت) قرئ بالحركات الثلاث (فان قلت) ماهذه التاء (قلت) تاء تانيث وقعت عوضا من ياء الاضافة والدليل على انها تاء تانيث قلبها هاء فى الوقف (فان قلت) كيف جاز الحاق تاء التانيث بالمذكر (قلت) كما جاز نحو قولك حمامة ذكر وشاة ذكر ورجل ربعة وغلام يفعة (فان قلت) فلم ساغ تعويض تاء التانيث من ياء الاضافة (قلت) لان التانيث والاضافة يتناسبان فى ان كل واحد منهما زيادة مضمومة الى الاسم فى آخره (فان قلت) فما هذه الكسرة (قلت) هي الكسرة التى كانت قبل الياء فى قولك يا أبي قد زحلقت الى التاء لاقتضاء تاء التانيث ان يكون ماقبلها مفتوحا (فان قلت) فما بال الكسرة لم تسقط بالفتحة التي اقتضتها التاء وتبقى التاء ساكنة (قلت) امتنع ذلك فيها لانها اسم والاسماء حقها التحريك لاصالتها فى الاعراب وانما جاز تسكين الياء واصلها ان تحرك تخفيفا لانها حرف لين واما التاء فحرف صحيح نحو كاف الضمير فلزم تحريكها (فان قلت) يشبه الجمع بين التاء وبين هذه الكسرة الجمع بين العوض والمعوض منه لانها فى حكم الياء اذا قلت ياغلام فكما لا يجوز يا أبتي لا يجوز يا أبت (قلت) الياء والكسرة قبلها شيآن والتاء عوض من احد الشيئين وهو الياء والكسرة غير متعرض لها فلا يجمع بين العوض والمعوض منه الا اذا جمع بين التاء والياء لاغير الا ترى الى قولهم يا ابتا مع كون الالف فيه بدلا من الياء كيف جاز الجمع بينهما وبين التاء ولم يعد ذلك جمعا بين العوض والمعوض منه فالكسرة أبعد من ذلك (فان قلت) فقد دلت الكسرة فى ياغلام على الاضافة لانها قرينة الياء ولصيقتها فان دلت على مثل ذلك فى يا ابت فالتاء المعوضة لغو ووجودها كعدمها (قلت) بل حالها مع التاء كحالها مع الياء اذا قلت يا أبي (فان قلت) فما وجه من قرأ بفتح التاء وضمها (قلت) امامن فتح فقد حذف الالف من يا أبتا واستبقى الفتحة قبلها كما فعل من حذف الياء فى ياغلام ويجوز ان يقال حركها بحركة الياء المعوض منها فى قولك يا أبي وامامن ضم فقد رأى اسما فى آخره تاء تانيث فاجراه مجرى الاسماء المؤنثة بالتاء فقال يا أبت كما تقول يا تبة[٣] من غير اعتبار لكونها عوضا من ياء الاضافة * وقرئ اني رأيت بتحريك الياء واحد عشر بسكون العين تخفيفا لتوالى المتحركات فيما هو فى حكم اسم واحد وكذا الى تسعة عشر الا اثنى عشر لئلا يلتقي ساكنان ورأيت من الرؤيا لا من الرؤية لان ماذكره معلوم انه منام لان الشمس والقمر لو اجتمعا مع الكواكب ساجدة ليوسف فى حال اليقظة لكانت آية عظيمة ليعقوب عليه السلام ولما خفيت عليه وعلى الناس (فان قلت) ما أسماء تلك الكواكب (قلت) روى جابر ان يهوديا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اخبرني عن النجوم التى رآهن يوسف فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فاخبره بذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم لليهودي ان اخبرتك هل تسلم قال نعم قال جريان والطارق والذيال وقابس وعمودان والفليق والمصبح والضروح والفرغ ووثاب وذو الكتفين رآها يوسف والشمس والقمر نزلن من السماء وسجدن له فقال اليهودي اي والله انها لاسماؤها وقيل الشمس والقمر ابواه وقيل ابوه وخالته والكواكب اخوته وعن وهب ان يوسف رأى وهو ابن سبع سنين ان احدى عشرة عصا طوالا كانت مركوزة في الارض كهيئة الدارة واذا عصا صغيرة تثب عليها حتى اقتلعتها وغلبتها فوصف ذلك لابيه فقال اياك ان تذكر هذا لاخوتك ثم رأى وهو ابن ثنتي عشرة سنة الشمس والقمر والكواكب تسجد له فقصها على ابيه فقال له لا تقصها عليهم فيبغوا لك الغوائل وقيل كان بين رؤيا يوسف ومصير اخوته اليه اربعون سنة وقيل ثمانون * (فان قلت) لم أخر الشمس والقمر (قلت) أخرهما ليعطفهما على الكواكب على طريق الاختصاص بيانا لفضلهما واستبدادهما بالمزية على غيرهما من الطوالع كما اخر جبريل وميكائيل عن الملائكة ثم عطفهما عليها لذلك ويجوز ان تكون الواو بمعنى مع اى رأيت الكواكب مع الشمس والقمر * (فان قلت) مامعنى تكرار رايت (قلت) ليس بتكرار انما هو كلام مستأنف على تقدير سؤال وقع جوابا له كان يعقوب عليه السلام قال له عند قوله انى رايت احد عشر كوكبا كيف رايتها سائلا عن حال رؤيتها فقال (رايتهم لى ساجدين) (فان قلت) فلم اجريت مجرى العقلاء

يا أبت انى رأيت احد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين قال يا بنى لا تقصص رؤياك على اخوتك

(القول فى سورة يوسف عليه السلام)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

قوله تعالى اني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رايتهم لى ساجدين (قال ان قلت ما معنى تكرار رأيت الخ) قال احمد واحسن من ذلك ان الكلام طال بين الفعل والحال فطرى ذكر الفعل لمناسبة الحال وهي المقصود اذ الآية في السجود كانت والله اعلم

[٣] (قوله يا تبة) بالمثناة وتشديد الموحدة في غالب النسخ وفى القاموس التبة بالكسر الحالة الشديدة اه وفى نسخة يا ابنة تأنيث ابن اه من هامش الاصل

فيكيدوا لك كيدا ان الشيطان للانسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ويتم نعمته عليك وعلى آل يعقوب كما اتمها على ابويك من قبل ابراهيم واسحق ان ربك عليم حكيم لقد كان فى يوسف واخوته آيات للسائلين اذ قالوا

فى رأيتهم لى ساجدين (قلت) لانه لما وصفها بما هو خاص بالعقلاء وهو السجود اجرى عليها حكمهم كانها عاقلة وهذا كثير شائع فى كلامهم ان يلابس الشيء الشيء من بعض الوجوه فيعطى حكما من احكامه اظهارا لاثر الملابسة والمقاربة * عرف يعقوب عليه السلام دلالة الرؤيا على ان يوسف يبلغه الله مبلغا من الحكمة ويصطفيه للنبوة ويتم عليه بشرف الدارين كما فعل بآبائه فخاف عليه حسد الاخوة وبغيهم * والرؤيا بمعنى الرؤية الا انها مختصة بما كان منها فى المنام دون اليقظة فرق بينهما بحرفى التانيث كما قيل القربة والقربى وقرئ رويالك بقلب الهمزة واوا وسمع الكسائى رياك وريالك بالادغام وضم الراء وكسرها وهى ضعيفة لان الواو فى تقدير الهمزة فلا يقوى ادغامها كما لم يقو الادغام فى قولهم اتزر من الازار واتجر من الاجر (فيكيدوا) منصوب باضمار ان والمعنى ان قصصتها عليهم كادوك (فان قلت) هلا قيل فيكيدوك كما قيل فكيدونى (قلت) ضمن معنى فعل يتعدى باللام ليفيد معنى فعل الكيد مع افادة معنى الفعل المضمن فيكون آكد وأبلغ فى التخويف وذلك نحو فيحتالوا لك الا ترى الى تاكيده بالمصدر (عدو مبين) ظاهر العداوة لما فعل بآدم وحواء ولقوله لاقعدن لهم صراطك المستقيم فهو يحمل على الكيد والمكر وكل شر ليورط من يحمله ولا يؤمن ان يحملهم على مثله (وكذلك) ومثل ذلك الاجتباء (يجتبيك ربك) يعنى وكما اجتباك لمثل هذه الرؤيا العظيمة الدالة على شرف وعز وكبرياء شان كذلك يجتبيك ربك لامور عظام وقوله (ويعلمك) كلام مبتدأ غير داخل فى حكم التشبيه كانه قيل وهو يعلمك ويتم نعمته عليك والاجتباء الاصطفاء افتعال من جبيت الشيء اذا حصلته لنفسك وجبيت الماء فى الحوض جمعته * والاحاديث الرؤيا لان الرؤيا اما حديث نفس اوملك او شيطان * وتأويلها عبارتها وتفسيرها وكان يوسف عليه السلام اعبر الناس للرؤيا واصحهم عبارة لها ويجوز ان يراد بتأويل الاحاديث معانى كتب الله وسنن الانبياء وما غمض واشتبه على الناس من اغراضها ومقاصدها يفسرها لهم ويشرحها ويدلهم على مودعات حكمها وسميت احاديث لانه يحدث بها عن الله ورسله فيقال قال الله وقال الرسول كذا وكذا الا ترى الى قوله تعالى فبأى حديث بعده يؤمنون الله نزل احسن الحديث وهو اسم جمع للحديث وليس بجمع احدوثة * ومعنى اتمام النعمة عليهم انه وصل لهم الدنيا بنعمة الآخرة بان جعلهم انبياء فى الدنيا وملوكا ونقلهم عنها الى الدرجات العلا فى الجنة وقيل اتمها على ابراهيم بالخلة والانجاء من النار ومن ذبح الولد وعلى اسحق بانجائه من الذبح وفدائه بذبح عظيم وباخراج يعقوب والاسباط من صلبه وقيل علم يعقوب ان يوسف يكون نبيا واخوته انبياء استدلالا بضوء الكواكب فلذلك قال وعلى آل يعقوب وقيل لما بلغت الرؤيا اخوة يوسف حسدوه وقالوا ما رضى ان سجد له اخوته حتى سجد له ابواه وقيل كان يعقوب مؤثرا له بزيادة المحبة والشفقة لصغره ولما يرى فيه من المخايل وكان اخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا ضاعف له المحبة فكان يضمه كل ساعة الى صدره ولا يصبر عنه فتبالغ فيهم الحسد وقيل لما قص رؤياه على يعقوب قال هذا امر مشتت يجمع الله لك بعد دهر طويل * وآل يعقوب أهله وهم نسله وغيرهم واصل آل أهل بدليل تصغيره على أهيل الا انه لا يستعمل الا فيمن له خطر يقال آل النبى وآل الملك ولا يقال آل الحائك ولا آل الحجام ولكن اهلهما * واراد بالابوين الجد وابا الجد لانهما فى حكم الاب فى الاصالة ومن ثم يقولون ابن فلان وان كان بينه وبين فلان عدة و (ابراهيم واسحق) عطف بيان لابويك (ان ربك عليم) يعلم من يحق له الاجتباء (حكيم) لا يتم نعمته الا على من يستحقها (فى يوسف واخوته) اى فى قصتهم وحديثهم (آيات) علامات ودلائل على قدرة الله وحكمته فى كل شيء (للسائلين) لمن سأل عن قصتهم وعرفها وقيل آيات على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم للذين سألوه من اليهود عنها فاخبرهم بالصحة من غير سماع من احد ولا قراءة كتاب * وقرئ آية وفى بعض المصاحف عبرة وقيل انما قص الله تعالى على النبى عليه الصلاة والسلام خبر يوسف وبغى اخوته عليه لما رأى من بغى قومه عليه ليتاسى به وقيل اساميهم يهوذا وروبيل وشمعون ولاوى وربالون ويشجر ودينة ودان ونفتالى وجاد وآشر السبعة الاولون كانوا من ليا بنت خالة يعقوب والاربعة الآخرون من سريتين زلفة وبلهة فلما توفيت ليا تزوج

ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة ان ابانا لفي ضلال مبين اقتلوا يوسف اواطرحوه ارضا يخل لكم وجه ابيكم وتكونوا من بعده قوما صالحين قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف والقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة ان كنتم فاعلين قالوا ياأبانا مالك لا تامنا يوسف وانا له لناصحون ارسله معنا غدا يرتع و يلعب وانا له لحافظون قال اني

أختها راحيل فولدت له بنيامين ويوسف (ليوسف) اللام للابتداء وفيها تاكيد وتحقيق لمضمون الجملة ارادوا ان زيادة محبته لهما امر ثابت لا شبهة فيه (واخوه) هو بنيامين وانما قالوا اخوه وهم جميعا اخوته لان امهما كانت واحدة وقيل (احب) في الاثنين لان افعل من لا يفرق فيه بين الواحد وما فوقه ولا بين المذكر والمؤنث اذا كان معه من ولا بد من الفرق مع لام التعريف واذا أضيف جاز الامران والواو في (ونحن عصبة) واو الحال يعني انه يفضلهما في المحبة علينا وهما اثنان صغيران لا كفاية فيهما ولا منفعة ونحن جماعة عشرة رجال كفاة نقوم بمرافقه فنحن احق بزيادة المحبة منهما لفضلنا بالكثرة والمنفعة عليهما (ان ابانا لفي ضلال مبين) أي في ذهاب عن طريق الصواب في ذلك * والعصبة والعصابة العشرة فصاعدا وقيل الى الاربعين سموا بذلك لانهم جماعة تعصب بهم الامور ويستكفون النوائب وروى النزال بن سبرة عن علي رضي الله عنه ونحن عصبة بالنصب وقيل معناه ونحن نجتمع عصبة وعن ابن الانباري هذا كما تقول العرب انما العامري عمته اي يتعهد عمته (اقتلوا يوسف) من جملة ما حكى بعد قوله اذ قالوا كانهم اطبقوا على ذلك الا من قال لا تقتلوا يوسف وقيل الآمر بالقتل شمعون وقيل دان والباقون كانوا راضين فجعلوا آمرين (أرضا) أرضا منكورة مجهولة بعيدة من العمران وهو معنى تنكيرها واخلائها من الوصف ولابهامها من هذا الوجه نصبت نصب الظروف المبهمة (يخل لكم وجه ابيكم) يقبل عليكم اقبالة واحدة لا يلتفت عنكم الى غيركم والمراد سلامة محبته لهم ممن يشاركهم فيها و ينازعهم اياها فكان ذكر الوجه لتصوير معنى اقباله عليهم لان الرجل اذا اقبل على الشيء اقبل بوجهه ويجوز ان يراد بالوجه الذات كما قال تعالى و يبقى وجه ربك وقيل يخل لكم يفرغ لكم من الشغل بيوسف (من بعده) من بعد يوسف اى من بعد كفايته بالقتل او التغريب او يرجع الضمير الى مصدر اقتلوا او اطرحوا (قوما صالحين) تائبين الى الله مما جنيتم عليه او يصلح ما بينكم و بين ابيكم بعذر تمهدونه او تصلح دنياكم وتنتظم اموركم بعده بخلو وجه ابيكم * وتكونوا اما مجزوم عطفا على يخل لكم او منصوب باضمار ان والواو بمعنى مع كقوله وتكتموا الحق (قائل منهم) هو يهودا وكان احسنهم فيه رأيا وهو الذي قال فلن ابرح الارض قال لهم القتل عظيم (القوه في غيابة الجب) وهي غوره وما غاب منه عن عين الناظر واظلم من اسفله قال المنخل

اذا انا يوما غيبتني غيابتي * فسيروا بسيري في العشيرة والاهل

اراد غيابة حفرته التي يدفن فيها وقرئ غيابات على الجمع وغيابات بالتشديد وقرأ الجحدري غيبة والجب البئر لم تطو لان الارض تجب جبا لا غير (يلتقطه) ياخذه (بعض السيارة) بعض الاقوام الذين يسيرون في الطريق وقرئ تلتقطه بالتاء على المعنى لان بعض السيارة سيارة كقوله * كما شرقت صدر القناة من الدم * ومنه ذهبت بعض اصابعه (ان كنتم فاعلين) ان كنتم على ان تفعلوا ما يحصل به غرضكم فهذا هو الراى (مالك لا تامنا) قرئ باظهار النونين وبالادغام باشمام و بغير اشمام وتيمنا بكسر التاء مع الادغام والمعنى لم تخافنا عليه ونحن نريد له الخير ونحبه و نشفق عليه وما وجدت منا في بابه ما يدل على خلاف النصيحة والمقة وارادوا بذلك لما عزموا على كيد يوسف استنزاله عن رأيه وعادته في حفظه منهم وفيه دليل على انه احس منهم بما اوجب ان لا يأمنهم عليه (نرتع) نتسع في اكل الفواكه وغيرها وأصل الرتعة الخصب والسعة وقرئ نرتع من ارتعى يرتعي * وقرئ يرتع و يلعب بالياء و يرتع من ارتعى ماشيته وقرأ العلاء بن سيابة يرتع بكسر العين و يلعب بالرفع على الابتداء (فان قلت) كيف استجاز لهم يعقوب عليه السلام اللعب (قلت) كان

* قوله تعالى اذ قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن عصبة (قال اللام للتوكيد دخلت للاشعار بان زيادة محبة ابيهم لهما امر ثابت الخ) قال احمد هذه تؤيد قراءة ابن مروان هؤلاء بناتي هن أطهر لكم بالنصب وقد قال سيبويه فيها احتبى ابن مروان في لحنه اى تمكن وحيث تايدت بقراءة امير المؤمنين كرم الله وجهه فلابد من التماس المحمل الصحيح لها وليس ذلك ببعيد ان شاء الله فنقول لو قالوا ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن نحن على طريقة انا ابو النجم وشعري شعري ونحو انا انا وانت انت لم يكن في فصاحته مقال وقد علمت ان معنى انا انا اى انا الموصوف بالاوصاف الشهيرة التي استغنى عن ذكرها فلا بعد والحالة هذه في حذف الخبر لمساواته المبتدا وعدم زيادته عليه لفظا وراحة من تكرار اللفظ بعينه والسياق يرشد الى المحذوف واذا كان كذلك فقول القائلين ليوسف واخوه احب الى ابينا منا ونحن معناه ونحن نحن ولكن استغنوا عن الخبر للسر الذي ذكرناه فقولهم ونحن كلام تام بالتقدير المذكور فلا غرو في وقوع الحال بعده وهذا بعينه يجري في قوله هؤلاء بناتي هن اطهر لكم فقوله هن في حكم الكلام التام والمراد هؤلاء بناتي هن المشهورات بالاوصاف الحميدة الظاهرة واصل الكلام هن هن فوقع الحال بعد التمام والله اعلم

لعبهم الاستباق والانتضال ليضروا انفسهم بما يحتاج اليه لقتال العدو لا للهو بدليل قوله انا ذهبنا نستبق وانما سموه لعبا لانه في صورته (ليحزنني) اللام لام الابتداء كقوله ان ربك ليحكم بينهم ودخولها احد ماذكره سيبويه من سببي المضارعة * اعتذر اليهم بشيئين احدهما ان ذهابهم به ومفارقته اياه مما يحزنه لانه كان لا يصبر عنه ساعة والثاني خوفه عليه من عدوة الذئب اذا غفلوا عنه برعيهم ولعبهم او اقل به اهتمامهم ولم تصدق بحفظه عنايتهم وقيل رأى في النوم ان الذئب قد شد على يوسف فكان يحذره فمن ثم قال ذلك فلقنهم العلة وفي امثالهم البلاء موكل بالمنطق * وقرئ الذئب بالهمزة على الاصل وبالتخفيف وقيل اشتقاقه من تذاءبت الريح اذا اتت من كل جهة * القسم محذوف تقديره والله (لئن اكله الذئب) واللام موطئة للقسم وقوله (انا اذا لخاسرون) جواب للقسم مجزئ عن جزاء الشرط * والواو في ونحن عصبة واو الحال حلفوا لئن كان ماخافه من خطفة الذئب اخاهم من بينهم وحالهم انهم عشرة رجال بمثلهم تعصب الامور وتكفى الخطوب انهم اذا لقوم خاسرون اي هالكون ضعفا وخورا وعجزا او مستحقون ان يهلكوا لانه لا غناء عندهم ولا جدوى في حياتهم او مستحقون لان يدعى عليهم بالخسار والدمار وان يقال خسرهم الله ودمرهم حين اكل الذئب بعضهم وهم حاضرون وقيل ان لم نقدر على حفظ بعضنا فقد هلكت مواشينا اذا وخسرناها (فان قلت) قد اعتذر اليهم بعذرين فلم اجابوا عن احدهما دون الآخر (قلت) هو الذي كان يغيظهم ويذيقهم الامرين فاعاروه آذانا صما ولم يعبؤا به (ان يجعلوه) مفعول اجمعوا من قولك اجمع الامر وازمعه فاجمعوا امركم * وقرئ في غيابات الجب قيل هو بئر ببيت المقدس وقيل بارض الاردن وقيل بين مصر ومدين وقيل على ثلاثة فراسخ من منزل يعقوب وجواب لما محذوف ومعناه فعلوا به مافعلوا من الاذى فقد روى انهم لما برزوا به الى البرية اظهروا له العداوة واخذوا يهينونه ويضربونه وكلما استغاث بواحد منهم لم يغثه الا بالاهانة والضرب حتى كادوا يقتلونه فجعل يصيح يا ابتاه لو تعلم مايصنع بابنك اولاد الاماء فقال يهوذا اما اعطيتموني موثقا ان لا تقتلوه فلما ارادوا القاءه في الجب تعلق بثيابهم فنزعوها من يديه فتعلق بحائط البئر فربطوا يديه ونزعوا قميصه فقال يا اخوتاه ردوا علي قميصي اتوارى به وانما نزعوه ليلطخوه بالدم ويحتالوا به على ابيهم فقالوا له ادع الشمس والقمر والاحد عشر كوكبا تؤنسك ودلوه في البئر فلما بلغ نصفها القوه ليموت وكان في البئر ماء فسقط فيه ثم آوى الى صخرة فقام عليها وهو يبكي فنادوه فظن انها رحمة ادركتهم فاجابهم فارادوا ان يرضخوه ليقتلوه فمنعهم يهوذا وكان يهوذا يأتيه بالطعام وروى ان ابراهيم عليه السلام حين القي في النار وجرد عن ثيابه اتاه جبريل بقميص من حرير الجنة فالبسه اياه فدفعه ابراهيم الى اسحق واسحق الى يعقوب فجعله يعقوب في تميمة علقها في عنق يوسف فجاء جبريل فاخرجه والبسه اياه (واوحينا اليه) قيل اوحي اليه في الصغر كما اوحي الى يحيى وعيسى وقيل كان اذ ذاك مدركا وعن الحسن كان له سبع عشرة سنة (لتنبئنهم بامرهم هذا) وانما اوحي اليه ليؤنس في الظلمة والوحشة ويبشر بما يؤول اليه امره ومعناه لتتخلصن مما انت فيه ولتحدثن اخوتك بما فعلوا بك (وهم لا يشعرون) انك يوسف لعلو شانك وكبرياء سلطانك وبعد حالك عن اوهامهم ولطول العهد المبدل للهيآت والاشكال وذلك انهم حين دخلوا عليه ممتارين فعرفهم وهم له منكرون دعا بالصواع فوضعه على يده ثم نقره فطن فقال انه ليخبرني هذا الجام انه كان لكم اخ من ابيكم يقال له يوسف وكان يدنيه دونكم وانكم انطلقتم به والقيتموه في غيابة الجب وقلتم لابيكم اكله الذئب وبعتموه بثمن بخس ويجوز ان يتعلق وهم لا يشعرون بقوله واوحينا على انا آنسناه بالوحي وازلنا عن قلبه الوحشة وهم لا يشعرون ذلك ويحسبون انه مرهق مستوحش لا انيس له * وقرئ لننبئنهم بالنون على انه وعيد لهم وقوله وهم لا يشعرون متعلق باوحينا لا غير * وعن الحسن عشيا على تصغير عشي يقال لقيته عشيا وعشيانا واصيلا واصيلانا ورواه ابن جني عشي بضم العين والقصر وقال عشوا من البكاء وروى ان امرأة حاكمت الى شريح فبكت فقال له الشعبي يا ابا امية اما تراها تبكي فقال قد جاء اخوة يوسف يبكون وهم ظلمة ولا ينبغي لاحد ان يقضي الا بما امر

ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وأنتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون فلما ذهبوا به واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا وهم لا يشعرون وجاؤا أباهم عشاء يبكون

* قوله تعالى قال انى ليحزنني ان تذهبوا به واخاف ان ياكله الذئب وانتم عنه غافلون قالوا لئن اكله الذئب ونحن عصبة انا اذا لخاسرون (قال) اعتذر لهم بامرين احدهما حزنه لمفارقته الثاني خوفه عليه من الذئب اذا غفلوا عنه الخ (قال احمد) وكان اشغل الامرين لقلبه خوف الذئب عليه لانه مظنة هلاكه واما حزنه لمفارقته ريثما يرتع ويلعب ويعود سالما اليه عما قليل فامر سهل فكانهم لم يشتغلوا الا بتامينه وتطمينه من اشد الامرين عليه والله أعلم

ان يقضي به من السنة المرضية وروى انه لما سمع صوتهم فزع وقال ما لكم يا بني هل اصابكم في غنمكم شيء قالوا لا قال فما لكم واين يوسف (قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق) اى نتسابق والافتعال والتفاعل يشتركان كالانتضال والتناضل والارتماء والترامي وغير ذلك والمعنى نتسابق فى العدو اوفى الرمى وجاء فى التفسير ننتضل (بمؤمن لنا) بمصدق لنا (ولو كنا صادقين) ولو كنا عندك من أهل الصدق والثقة لشدة محبتك ليوسف فكيف وانت سيء الظن بنا غير واثق بقولنا (بدم كذب) ذى كذب او وصف بالمصدر مبالغة كانه نفس الكذب وعينه كما يقال للكذاب هو الكذب بعينه والزور بذاته ونحوه * فهن به جود وانتم به بخل *

وقرىء كذبا نصبا على الحال بمعنى جاؤا به كاذبين ويجوز ان يكون مفعولا له وقرأت عائشة رضى الله عنها كدب بالدال غير المعجمة اى كدر وقيل طرى وقال ابن جنى اصله من الكدب وهو الفوف البياض الذى يخرج على اظفار الاحداث كانه دم قد اثر فى قميصه روى انهم ذبحوا سخلة ولطخوه بدمها وزل عنهم ان يمزقوه وروى ان يعقوب لما سمع بخبر يوسف صاح باعلى صوته وقال اين القميص فاخذه والقاه على وجهه وبكى حتى خضب وجهه بدم القميص وقال تالله ما رأيت كاليوم ذئبا احلم من هذا أكل ابنى ولم يمزق عليه قميصه وقيل كان فى قميص يوسف ثلاث آيات كان دليلا ليعقوب على كذبهم والقاه على وجهه فارتد بصيرا ودليلا على براءة يوسف حين قد من دبر * (فان قلت) على قميصه ما محله (قلت) محله النصب على الظرف كانه قيل وجاؤا فوق قميصه بدم كما تقول جاء على جماله باحمال (فان قلت) هل يجوز ان تكون حالا متقدمة (قلت) لا لان حال المجرور لا تتقدم عليه (سولت) سهلت من السول وهو الاسترخاء اى سهلت (لكم انفسكم امرا) عظيما ارتكبتموه من يوسف وهونته فى اعينكم استدل على فعلهم به بما كان يعرف من حسدهم وبسلامة القميص او اوحي اليه بانهم قصدوه (فصبر جميل) خبر او مبتدا لكونه موصوفا اى فامرى صبر جميل او فصبر جميل امثل وفي قراءة ابى فصبرا جميلا والصبر الجميل جاء فى الحديث المرفوع انه الذى لا شكوى فيه ومعناه لا شكوى فيه الى الخلق الا ترى الى قوله انما اشكو بثى وحزني الى الله وقيل لا اعايشكم على كآبة الوجه بل اكون لكم كما كنت وقيل سقط حاجبا يعقوب على عينيه فكان يرفعهما بعصابة فقيل له ما هذا فقال طول الزمان وكثرة الاحزان فاوحي الله تعالى اليه يا يعقوب اتشكوني قال يارب خطيئة فاغفرها لى (والله المستعان) اى استعينه (على) احتمال (ما تصفون) من هلاك يوسف والصبر على الرزء فيه (وجاءت سيارة) رفقة تسير من قبل مدين الى مصر وذلك بعد ثلاثة ايام من القاء يوسف فى الجب فاخطؤا الطريق فنزلوا قريبا منه وكان الجب فى قفرة بعيدة من العمران لم يكن الا للرعاة وقيل كان ماؤه ملحا فعذب حين القي فيه يوسف (فارسلوا) رجلا يقال له مالك بن ذعر الخزاعي ليطلب لهم الماء * والوارد الذى يرد الماء ليستقي للقوم (يا بشرى) نادى البشرى كانه يقول تعالى فهذا من آونتك وقرىء يا بشراى على اضافتها الى نفسه وفى قراءة الحسن وغيره يا بشرى بالياء مكان الالف جعلت الياء بمنزلة الكسرة قبل ياء الاضافة وهي لغة للعرب مشهورة سمعت اهل السروات يقولون فى دعائهم يا سيدى وموليَّ وعن نافع يا بشراىْ بالسكون وليس بالوجه لما فيه من التقاء الساكنين على غير حده الا ان يقصد الوقف * قيل لما ادلى دلوه اى ارسلها فى الجب تعلق يوسف بالحبل فلما خرج اذا هو بغلام احسن ما يكون فقال يا بشراى (هذا غلام) وقيل ذهب به فلما دنا من اصحابه صاح بذلك يبشرهم به (واسروه) الضمير للوارد واصحابه اخفوه من الرفقة وقيل اخفوا امره ووجدانهم له فى الجب وقالوا لهم دفعه الينا اهل الماء لنبيعه لهم بمصر وعن ابن عباس ان الضمير لاخوة يوسف وانهم قالوا للرفقة هذا غلام لنا قد ابق فاشتروه منا وسكت يوسف مخافة ان يقتلوه (بضاعة) نصب على الحال اى اخفوه متاعا للتجارة والبضاعة ما بضع من المال للتجارة اى قطع (والله عليم بما يعملون) لم يخف عليه اسرارهم وهو وعيد لهم حيث استبضعوا ما ليس لهم او والله عليم بما يعمل اخوة يوسف بابيهم واخيهم من سوء الصنيع (وشروه) وباعوه (بثمن بخس) مبخوس ناقص عن القيمة نقصا ظاهرا او زيف ناقص العيار

قالوا يا أبانا انا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب وما أنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين وجاؤا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون وجاءت سيارة فارسلوا واردهم فادلى دلوه قال يا بشرى هذا غلام واسروه بضاعة والله عليم بما يعملون وشروه بثمن بخس

* قوله تعالى وجاؤا اباهم عشاء يبكون (قال روى انه لما سمع اصواتهم قال يا بنى هل اصابكم فى غنمكم شيء قالوا لا الخ) قال احمد وقواه على اتهامهم انهم ادعوا الوجه الخاص الذى خاف يعقوب عليه السلام هلاكه بسببه اولا وهو أكل الذئب اياه فاتهمهم ان يكونوا تلقفوا العذر من قوله لهم واخاف ان ياكله الذئب وكثيرا ما تلقف الاعذار الباطلة من فى المخاطب المعتذر اليه حتى كان بعض امراء المؤمنين يلقنون السارق الانكار

(دراهم) لا دنانير (معدودة) قليلة تعد عدا ولا توزن لانهم كانوا لا يزنون الا ما بلغ الاوقية وهى الاربعون ويعدون مادونها وقيل للقليلة معدودة لان الكثيرة يمتنع من عدها لكثرتها وعن ابن عباس كانت عشرين درهما وعن السدى اثنين وعشرين (وكانوا فيه من الزاهدين) ممن يرغب عما فى يده فيبيعه بما طف من الثمن لانهم التقطوه والملتقط للشيء متهاون به لا يبالى بم باعه ولانه يخاف ان يعرض له مستحق ينتزعه من يده فيبيعه من اول مساوم باوكس الثمن ويجوز ان يكون معنى وشروه واشتروه يعنى الرفقة من اخوته وكانوا فيه من الزاهدين لانهم اعتقدوا انه آبق فخافوا ان يخطروا بمالهم فيه ويروى ان اخوته اتبعوهم يقولون لهم استوثقوا منه لا يابق وفيه ليس من صلة الزاهدين لان الصلة لا تتقدم على الموصول ألا تراك لا تقول وكانوا زيدا من الضاربين وانما هو بيان كانه قيل فى اى شيء زهدوا فقال زهدوا فيه (الذى اشتراه) قيل هو قطفير او اطفير وهو العزيز الذى كان على خزائن مصر والملك يومئذ الريان بن الوليد رجل من العماليق وقد آمن بيوسف ومات فى حياة يوسف فملك بعده قابوس بن مصعب فدعاه يوسف الى الاسلام فابى واشتراه العزيز وهو ابن سبع عشرة سنة واقام فى منزله ثلاث عشرة سنة واستوزره ريان بن الوليد وهو ابن ثلاثين سنة وآتاه الله العلم والحكمة وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة وتوفى وهو ابن مائة وعشرين سنة وقيل كان الملك فى ايامه فرعون موسى عاش اربعمائة سنة بدليل قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات وقيل فرعون موسى من اولاد فرعون يوسف وقيل اشتراه العزيز بعشرين دينارا وزوجى نعل وثوبين ابيضين وقيل ادخلوه السوق يعرضونه فترافعوا فى ثمنه حتى بلغ ثمنه وزنه مسكا وورقا وحريرا فابتاعه قطفير بذلك المبلغ (اكرمى مثواه) اجعلى منزله ومقامه عندنا كريما اى حسنا مرضيا بدليل قوله انه ربى احسن مثواى والمراد تفقديه بالاحسان وتعهديه بحسن الملكة حتى تكون نفسه طيبة فى صحبتنا ساكنة فى كنفنا ويقال للرجل كيف ابو مثواك وام مثواك لمن ينزل به من رجل او امراة يراد هل تطيب نفسك بثوائك عنده وهل يراعى حق نزولك به * واللام فى لامراته متعلقة بقال لا باشتراه (عسى ان ينفعنا) لعله اذا تدرب وراض الامور وفهم مجاريها نستظهر به على بعض ما نحن بسبيله فينفعنا فيه بكفايته وامانته او نتبناه ونقيمه مقام الولد وكان قطفير عقيما لا يولد له وقد تفرس فيه الرشد فقال ذلك وقيل افرس الناس ثلاثة العزيز حين تفرس فى يوسف فقال لامراته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا والمراة التى اتت موسى وقالت لابيها يا ابت استاجره وابو بكر حين استخلف عمر رضى الله عنهما وروى انه ساله عن نفسه فاخبره بنسبه فعرفه (وكذلك) الاشارة الى ما تقدم من انجائه وعطف قلب العزيز عليه والكاف منصوب تقديره ومثل ذلك الانجاء والعطف (مكنا له) اى كما انجيناه وعطفنا عليه العزيز كذلك مكنا له فى ارض مصر وجعلناه ملكا يتصرف فيها بامره ونهيه (ولنعلمه من تاويل الاحاديث) كان ذلك الانجاء والتمكين لان غرضنا ليس الا ما تحمد عاقبته من علم وعمل (والله غالب على امره) على امر نفسه لا يمنع عما يشاء ولا ينازع ما يريد ويقضى او على امر يوسف يدبره لا يكله الى غيره قد اراد اخوته به ما ارادوا ولم يكن الا ما اراد الله ودبره (ولكن اكثر الناس لا يعلمون) ان الامر كله بيد الله * قيل فى الاشد ثمانى عشرة سنة وعشرون وثلاث وثلاثون واربعون وقيل اقصاه ثنتان وستون (حكما) حكمة وهو العلم بالعمل واجتناب ما يجهل فيه وقيل حكما بين الناس وفقها (وكذلك نجزى المحسنين) تنبيه على انه كان محسنا فى عمله متقيا فى عنفوان امره وان الله آتاه الحكم والعلم جزاء على احسانه وعن الحسن من احسن عبادة ربه فى شبيبته آتاه الله الحكمة فى اكتهاله * المراودة مفاعلة من راد يرود اذا جاء وذهب كان المعنى خادعته عن نفسه اى فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذى لا يريد ان يخرجه من يده يحتال ان يغلبه عليه وياخذه منه وهى عبارة عن التحمل لمواقعته اياها (وغلقت الابواب) قيل كانت سبعة * قرىء هيت بفتح الهاء وكسرها مع فتح التاء وبناؤه كبناء اين وعيط وهيت كجير وهيت كحيث وهئت بمعنى تهيات يقال هاء يهىء كجاء يجيء اذا تهيا وهيئت لك واللام من صلة الفعل واما فى الاصوات فللبيان كانه قيل لك اقول هذا كما تقول هلم لك (معاذ الله) اعوذ بالله معاذا (انه)

دراهم معدودة وكانوا فيه من الزاهدين وقال الذى اشتراه من مصر لامراته اكرمى مثواه عسى ان ينفعنا او نتخذه ولدا وكذلك مكنا ليوسف فى الارض ولنعلمه من تاويل الاحاديث والله غالب على امره ولكن اكثر الناس لا يعلمون ولما بلغ اشده آتيناه حكما وعلما وكذلك نجزى المحسنين وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه وغلقت الابواب وقالت هيت لك قال معاذ الله انه

---

* قوله تعالى وشروه بثمن بخس دراهم معدودة (قال المعدودة كناية عن القليلة الخ) قال احمد ومن التعبير عن القلة بالعدد الدعوة المأثورة على الكفرة اللهم احصهم عددا واستاصلهم بددا ولا تبق منهم احدا فالمدعو به وان كان احصاؤهم عددا فى الظاهر الا ان هذا ليس مرادا لان الله تعالى احصى كل شيء عددا واحاط به علما فلا بد من مقصود وراء ذلك وهو لازم العدد وذلك القلة فلما كان كل قليل معدودا وكل كثير غير معدود دعى عليهم بالقلة وعبر عنها بلازمها وهو الاحصاء والله اعلم

ان الشان والحديث (ربي) سيدي وما لكي يريد قطفير (أحسن مثواى) حين قال لك أكرمي مثواه فما جزاؤه ان أخلفه في أهله سوء الخلافة وأخونه فيهم (انه لا يفلح الظالمون) الذين يجازون الحسن بالسيء وقيل اراد الزناة لانهم ظالمون أنفسهم وقيل أراد الله تعالى لانه مسبب الاسباب * هم بالامر اذا قصده وعزم عليه قال همت ولم أفعل وكدت وليتني * تركت على عثمان تبكي حلائله

ومنه قولك لا أفعل ذلك ولا كيدا ولا هما أي ولا أكاد ان افعله كيدا ولا أهم بفعله هما حكاه سيبويه ومنه الهمام وهو الذي اذا هم بامر امضاه ولم ينكل عنه وقوله (ولقد همت به) معناه ولقد همت بمخالطته (وهم بها) وهم بمخالطتها (لولا ان رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا ان رأى برهان ربه لخالطها فحذف لان قوله وهم بها يدل عليه كقولك هممت بقتله لولا أني خفت الله معناه لولا أني خفت الله لقتلته (فان قلت) كيف جاز على نبي الله ان يكون منه هم بالمعصية وقصد اليها (قلت) المراد أن نفسه مالت الى المخالطة ونازعت اليها عن شهوة الشباب وقرمه ميلا يشبه الهم به والقصد اليه وكما تقتضيه صورة تلك الحال التي تكاد تذهب بالعقول والعزائم وهو يكسر ما به ويرده بالنظر في برهان الله المأخوذ على المكلفين من وجوب اجتناب المحارم ولو لم يكن ذلك الميل الشديد المسمى هما لشدته لما كان صاحبه ممدوحا عند الله بالامتناع لان استعظام الصبر على الابتلاء على حسب عظم الابتلاء وشدته ولو كان همه كهمها عن عزيمة لما مدحه الله بانه من عباده المخلصين ويجوز ان يريد بقوله وهم بها وشارف ان يهم بها كما يقول الرجل قتلته لو لم أخف الله يريد مشارفة القتل ومشافهته كانه شرع فيه (فان قلت) قوله وهم بها داخل تحت حكم القسم في قوله ولقد همت به أم هو خارج منه (قلت) الامر ان جائزان ومن حق القاريء اذا قدر خروجه من حكم القسم وجعله كلاما براسه ان يقف على قوله ولقد همت به ويبتديء قوله وهم بها لولا ان رأى برهان ربه وفيه ايضا اشعار بالفرق بين الهمين (فان قلت) لم جعلت جواب لولا محذوفا يدل عليه هم بها وهلا جعلته هو الجواب مقدما (قلت) لان لولا لا يتقدم عليها جوابها من قبل انه في حكم الشرط وللشرط صدر الكلام وهو مع ما في حيزه من الجملتين مثل كلمة واحدة ولا يجوز تقديم بعض الكلمة على بعض واما حذف بعضها اذا دل الدليل عليه فجائز (فان قلت) فلم جعلت لولا متعلقة بهم بها وحده ولم تجعلها متعلقة بجملة قوله ولقد همت به وهم بها لان الهم لا يتعلق بالجواهر ولكن بالمعاني فلا بد من تقدير المخالطة والمخالطة لا تكون الا من اثنين معا فكانه قيل ولقد هما بالمخالطة لولا ان منع مانع احدهما (قلت) نعم ما قلت ولكن الله سبحانه قد جاء بالهمين على سبيل التفصيل حيث قال ولقد همت به وهم بها فكان اغفاله الغاء له فوجب ان يكون التقدير ولقد همت بمخالطته وهم بمخالطتها على ان المراد بالمخالطتين توصلها الى ما هو حظها من قضاء شهوتها منه وتوصله الى ما هو حظه من قضاء شهوته منها لولا ان رأى برهان ربه فترك التوصل الى حظه من الشهوة فلذلك كانت لولا حقيقة بان تعلق بهم بها وحده وقد فسرهم يوسف بانه حل الهميان وجلس منها مجلس الجامع وبانه حل تكة سراويله وقعد بين شعبها الاربع وهي مستلقية على قفاها وفسر البرهان بانه سمع صوتا اياك واياها فلم يكترث له فسمعه ثانيا فلم يعمل به فسمع ثالثا أعرض عنها فلم ينجع فيه حتى مثل له يعقوب عاضا على أنملته وقيل ضرب بيده في صدره فخرجت شهوته من انامله وقيل كل ولد يعقوب له اثنا عشر ولدا الا يوسف فانه ولد له احد عشر ولدا من اجل ما نقص من شهوته حين هم وقيل صيح به يا يوسف لا تكن كالطائر كان له ريش فلما زنا قعد لا ريش له وقيل بدت كف فيما بينهما ليس لها عضد ولا معصم مكتوب فيها وان عليكم لحافظين كراما كاتبين فلم ينصرف ثم رأى فيها ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء سبيلا فلم ينته ثم رأى فيها واتقوا يوما ترجعون فيه الى الله فلم ينجع فيه فقال الله لجبريل عليه السلام ادرك عبدي قبل ان يصيب الخطيئة فانحط جبريل وهو يقول يا يوسف اتعمل عمل السفهاء وانت مكتوب في ديوان الانبياء وقيل رأى تمثال العزيز وقيل قامت المرأة الى صنم كان هناك فسترته وقالت استحي منه ان يرانا فقال يوسف استحييت ممن لا يسمع ولا يبصر ولا استحيي من السميع البصير العليم بذوات الصدور وهذا ونحوه مما يورده اهل الحشو والجبر الذين دينهم بهت الله تعالى وانبيائه

ربي احسن مثواى
انه لا يفلح الظالمون
ولقد همت به وهم بها
لولا ان راى برهان ربه

واهل العدل والتوحيد ليسوا من مقالاتهم ورواياتهم بحمد الله بسبيل ولو وجدت من يوسف عليه السلام ادنى زلة لنعيت عليه وذكرت توبته واستغفاره كما نعيت على آدم زلته وعلى داود وعلى نوح وعلى ايوب وعلى ذى النون وذكرت توبتهم واستغفارهم كيف وقد اثنى عليه وسمى مخلصا فعلم بالقطع انه ثبت فى ذلك المقام الدحض وانه جاهد نفسه مجاهدة أولى القوة والعزم ناظرا فى دليل التحريم ووجه القبح حتى استحق من الله الثناء فيما انزل من كتب الاولين ثم فى القرآن الذى هو حجة على سائر كتبه ومصداق لها ولم يقتصر الا على استيفاء قصته وضرب سورة كاملة عليها ليجعل له لسان صدق فى الآخرين كما جعله لجده الخليل ابراهيم عليه السلام وليقتدى به الصالحون الى آخر الدهر فى العفة وطيب الازار والتثبت فى مواقف العثار فاخزى الله اولئك فى ايرادهم ما يؤدى الى ان يكون انزال الله السورة التى هى احسن القصص فى القرآن العربى المبين ليقتدى بنبى من انبياء الله فى القعود بين شعب الزانية وفى حل تكته للوقوع عليها وفى ان ينهاه ربه ثلاث كرات ويصاح به من عنده ثلاث صيحات بقوارع القرآن وبالتوبيخ العظيم وبالوعيد الشديد وبالتشبيه بالطائر الذى سقط ريشه حين سفد غير انثاه وهو جاثم فى مربضه لا يتحلحل ولا ينتهى ولا ينتبه حتى يتداركه الله بجبريل وباجباره ولو ان اوقح الزناة واشطرهم واحدهم حدقة واجلحهم وجها لقى بادنى ما لقى به نبى الله مما ذكروا لما بقى له عرق ينبض ولا عضو يتحرك فياله من مذهب ما افحشه ومن ضلال ما ابينه (كذلك) الكاف منصوب المحل اى مثل ذلك التثبيت ثبتناه او مرفوعه اى الامر مثل ذلك (لنصرف عنه السوء) من خيانة السيد (والفحشاء) من الزنا (انه من عبادنا المخلصين) الذين اخلصوا دينهم لله وبالفتح الذين اخلصهم الله لطاعته بان عصمهم ويجوز ان يريد بالسوء مقدمات الفاحشة من القبلة والنظر بشهوة ونحو ذلك وقوله من عبادنا معناه بعض عبادنا اى هو مخلص من جملة المخلصين او هو ناشئ منهم لانه من ذرية ابراهيم الذين قال فيهم انا اخلصناهم بخالصة (واستبقا الباب) وتسابقا الى الباب على حذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه على تضمين استبقا معنى ابتدرا نفر منها يوسف فأسرع يريد الباب ليخرج واسرعت وراءه لتمنعه الخروج (فان قلت) كيف وحد الباب وقد جمعه فى قوله وغلقت الابواب (قلت) اراد الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار والمخلص من العار فقد روى كعب انه لما هرب يوسف جعل فراش القفل يتناثر ويسقط حتى خرج من الابواب (وقدت قميصه من دبر) اجتذبته من خلفه فانقد اى انشق حين هرب منها الى الباب وتبعته تمنعه (والفيا سيدها) وصادفا بعلها وهو قطفير تقول المرأة لبعلها سيدى وقيل انما لم يقل سيدهما لان ملك يوسف لم يصح فلم يكن سيده على الحقيقة قيل الفياه مقبلا يريد أن يدخل وقيل جالسا مع ابن عم للمرأة * لما اطلع منها زوجها على تلك الهيئة المريبة وهى مغتاظة على يوسف اذ لم يؤاتها جاءت بحيلة جمعت فيها غرضيها وهما تبرئة ساحتها عند زوجها من الريبة والغضب على يوسف وتخويفه طمعا فى ان يؤاتيها خيفة منها ومن مكرها وكرها لما ايست من مؤاتاته طوعا الا ترى الى قولها ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وما نافية اى ليس جزاؤه الا السجن ويجوز ان تكون استفهامية بمعنى اى شئ جزاؤه الا السجن كما تقول من فى الدار الا زيد (فان قلت) كيف لم تصرح فى قولها بذكر يوسف وانه اراد بها سوأ (قلت) قصدت العموم وان كل من اراد باهلك سوأ فحقه ان يسجن او يعذب لان ذلك ابلغ فيما قصدته من تخويف يوسف * وقيل العذاب الاليم الضرب بالسياط * ولما اغرت به وعرضته للسجن والعذاب وجب عليه الدفع عن نفسه فقال (هى راودتنى عن نفسى) ولولا ذلك لكتم عليها (وشهد شاهد من اهلها) قيل كان ابن عم لها وانما ألقى الله الشهادة على لسان من هو من اهلها لتكون اوجب للحجة عليها واوثق لبراءة يوسف وانفى للتهمة عنه وقيل هو الذى كان جالسا مع زوجها لدى الباب وقيل كان حكيما يرجع اليه الملك ويستشيره ويجوز ان يكون بعض اهلها كان فى الدار فبصر بهما من حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له والقيام بالحق

يوسف الخ) قال احمد او اظهرت بهذا الاجمال الحياء والحشمة ان تقول لبعلها هذا ارادنى بسوء ولذلك ايضا ثنت بالسوء عما اضمرته من الهناة مبالغة فى المكر والكيد وابعادا للتهمة عنها بتوقى ما يشعر منها بالتبرج والقحة وعلى

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء انه من عبادنا المخلصين واستبقا الباب وقدت قميصه من دبر والفيا سيدها لدى الباب قالت ما جزاء من اراد باهلك سوأ الا ان يسجن او عذاب اليم قال هى راودتنى عن نفسى وشهد شاهد من اهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين

الضد من مقصودها وان وافق ملاحظتها بحشمة الاجمال قول ابنة شعيب تمدح موسى عليه السلام فيما حكى الله عنها قالت احداهما يا أبت استأجره ان خير من استأجرت القوى الامين ولم تقل انه قوى امين حياء من التعيين وحشمة وخفرا ولكن هذه انما بعثها على هذا الادب شيمة الحياء وامرأة العزيز انما بعثها عليه التكلف والاستعمال لذلك الغرض الفاسد من المكر والله اعلم

* قوله تعالى وشهد شاهد من أهلها ان كان قميصه قد من قبل فصدقت وهو من الكاذبين وان كان قميصه قد من دبر فكذبت وهو من الصادقين (قال ان قلت لم سمي قوله شهادة وماهو بلفظ الشهادة الخ) قال احمد مهما قدره من ذلك في اتباعه لها يحتمل مثله في تباعها له فانها انما تقد قميصه من قبل بتقدير ان يكون اجتذبها حتي صار امتنا بالبين فدفعته عن نفسها وهذا بعينه يحتمل اذا كانت هي التابعة ان تكون اجتذبته حتى صار امتقا بالبين ثم جذبت قميصه اليها من قبل بل ههنا اظهر لان الموجب لقد القميص غالبا الجذب لا الدفع * عاد كلامه (قال والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيعثر في مقادم قميصه فينقد) قال احمد وهذا بعينه محتمل لو كانت هي التابعة وهو فار منها فانقد قميصه في اسراعه للفرار والله اعلم فليس كلام الزمخشري في هذا الفصل بذاك والحق والله ولي التوفيق ان الشاهد المذكور ان كان صبيا في المهد كما ورد في بعض الحديث فالآية في مجرد كلامه قبل او انه حتى لو قال صدق يوسف وكذبت لكفى برهانا على صدقه عليه السلام كما كان مجرد اخبار عيسى عليه السلام في المهد برهانا على صدق مريم فلا تتقي المناسبة بين الامارة المنصوبة وما ريب عليها لان العمدة في الدلالة نصبها لا مناسبتها وان كان الشاهد بعض اهلها كان في الدار فبصر بها من لا حيث لا تشعر فاغضبه الله ليوسف بالشهادة له واقامة الحق كما ذكر الزمخشري فهذا والله اعلم كان من حقه ان يصرح بما رأى فيصدق يوسف ويكذبها ولكنه اراد ان لا يكون هو الفاضح لها ووثق بان انقطاع قميصه انما كان من دبر فنصبه امارة لصدقه وكذبها ثم ذكر القسم الآخر وهو قده من قبل على علم بانه لم ينقد من قبل حتى ينفي عن نفسه التهمة في الشهادة وقصد الفضيحة وينصفهما جميعا فيذكر امارة على صدقها المعلوم نفيه كما ذكر امارة على صدقه المعلوم وجوده ومن ثم قدم امارة صدقها على امارة صدقه في الذكر ازاحة للتهمة ووثوقا بان الامارة الثانية هي الواقعة فلا يضره تاخيرها وهذه اللطيفة بعينها والله اعلم

هي التي راعاها مؤمن آل فرعون في قوله وان يك كاذبا فعليه كذبه وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فقدم قسم - الكذب على قسم الصدق ازاحة للتهمة التي خشي ان تتطرق اليه في حق موسي عليه السلام ووثوقا بان القسم الثاني وهو صدقه هو الواقع فلا يضره تاخيره في الذكر لهذه الفائدة ومن ثم قال بعض الذي يعدكم ولم يقل كل ما يعدكم تعريضا بانه متهم عليه وانه حريص على ان يبخسه حقه وينحو هذا النحو تاخير يوسف عليه السلام لكشف وعاء أخيه لانه لو بدأ به لفطنوا انه هو الذي أمر بوضع السقاية فيه والله اعلم فقصد هذا الشاهد الامارة لآخرة فقط والمناسبة فيها محققة واما الامارة الاولى فليست مقصودة وانما ذكرها توطئة كما تقدم فلم يلتمس لها مناسبة جلية صحيحة على اليقين وانما هي كالفرض والتقدير والله اعلم وكانه قال ان كان قميصه قد من قبل فهي صادقة لكنه يعلم انتفاء الامارة المذكورة فعلق صدقها على محال وهو وجود قده من قبل حالة عدمه فهذا التقرير هو الصواب والحق اللباب والله الموفق * واما ان كان الشاهد الحكيم الذي كان الملك يرجع اليه ويستشيره كما ورد في بعض التفاسير فلا بد من التماس المناسبة في الطرفين انها عهدة الحكم واقرب وجه في المناسبة ان قد القميص من دبر دليل على ادباره عنها وقده من قبل دليل على اقباله عليها بوجهه والله أعلم * قوله تعالى انه من كيدكن ان كيدكن عظيم (قال الضمير راجع الى قولها ماجزاء من اراد باهلك سوأ الخ) قال احمد وفيما قاله هذا العالم نظرا لان الآية التي ذكر فيها كيد الشيطان من قول الله تعالى غير محكي واما هذه الآية فكيد النساء فيها من قول العزيز ولكن حكاه الله تعالى عنه فيحتمل حكايته عنه ان يكون تصحيحا له ويحتمل ان لا يكون المراد تصويبه وايضا فان كيد الشيطان مذكور في الآية مقابلا لكيد الله تعالى فكان ضعيفا بالنسبة اليه الا ترى اول الآية الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء

بالحق وقيل كان ابن خال لها صبيا في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم تكلم اربعة وهم صغار ابن ماشطة فرعون وشاهد يوسف وصاحب جريج وعيسي * (فان قلت) لم سمي قوله شهادة وماهو بلفظ الشهادة (قلت) لما أدى مؤدى الشهادة في ان ثبت به قول يوسف وبطل قولها سمي شهادة (فان قلت) الجملة الشرطية كيف جازت حكايتها بعد فعل الشهادة (قلت) لانها قول من القول او على ارادة القول كانه قيل وشهد شاهد فقال ان كان قميصه * (فان قلت) ان دل قد قميصه من دبر على انها كاذبة وانها هي التي تبعته واجتبذت ثوبه اليها فقدته فمن اين دل قده من قبل على انها صادقة وانه كان تابعها (قلت) من وجهين احدهما انه اذا كان تابعها وهي دافعته عن نفسها قدت قميصه من قدامه بالدفع والثاني ان يسرع خلفها ليلحقها فيتعثر في مقادم قميصه فيشقه وقرئ من قبل ومن دبر بالضم على مذهب الغايات والمعنى من قبل القميص ومن دبره واما التنكير فمعناه من جهة يقال لها قبل ومن جهة يقال لها دبر وعن ابن ابي اسحق انه قرأ من قبل ومن دبر بالفتح كانه جعلهما علمين للجهتين فمنعهما الصرف للعلمية والتانيث وقرئا بسكون العين (فان قلت) كيف جاز الجمع بين ان الذي هو للاستقبال وبين كان (قلت) لان المعنى ان يعلم انه كان قميصه قد ونحوه كقولك ان احسنت الى فقد أحسنت اليك من قبل لمن يمتن عليك باحسانه تريد ان تمتن على أمنن عليك (فلما راى) يعني قطفير وعلم براءة يوسف وصدقه وكذبها (قال انه) ان قولك ما جزاء من أراد باهلك سوأ وان هذا الامر وهو طمعها في يوسف (من كيدكن) الخطاب لها ولامثالها * وانما استعظم

فلما راى قميصه قد من دبر قال انه من كيدكن ان كيدكن عظيم

كيد النساء لانه وان كان فى الرجال الا ان النساء ألطف كيدا وأنفذ حيلة ولهن فى ذلك نيقة ورفق وبذلك يغلبن الرجال ومنه قوله تعالى ومن شر النفاثات فى العقد والقصريات من بينهن معهن ما ليس مع غيرهن من البوائق وعن بعض العلماء انا أخاف من النساء أكثر مما اخاف من الشيطان لان الله تعالى يقول ان كيد الشيطان كان ضعيفا وقال للنساء ان كيدكن عظيم (يوسف) حذف منه حرف النداء لانه منادى قريب مفاطن للحديث وفيه تقريب له وتلطيف لمحله (اعرض عن هذا) الامر واكتمه ولا تحدث به (واستغفرى) انت (لذنبك انك كنت من الخاطئين) من جملة القوم المتعمدين الذنب يقال خطئ اذا أذنب متعمدا وانما قال من الخاطئين بلفظ التذكير تغليبا للذكور على الاناث وما كان العزيز الا رجلا حليما وروى انه كان قليل الغيرة (وقال نسوة) وقال جماعة من النساء وكن خمسا امرأة الساقى وامرأة الخباز وامرأة صاحب الدواب وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب والنسوة اسم مفرد لجمع المرأة وتأنيثه غير حقيقى كتأنيث اللمة ولذلك لم تلحق فعله تاء التانيث وفيه لغتان كسر النون وضمها (فى المدينة) فى مصر (امرأت العزيز) يردن قطفير والعزيز الملك بلسان العرب (فتاها) غلامها يقال فتاى وفتاتى اى غلامى وجاريتى (شغفها) خرق حبه شغاف قلبها حتى وصل الى الفؤاد والشغاف حجاب القلب وقيل جلدة رقيقة يقال لها لسان القلب قال النابغة

وقد حال هم دون ذلك والج * مكان الشغاف تبتغيه الاصابع

وقرئ شعفها بالعين من شعف البعير اذا هنأه فاحرقه بالقطران قال * كما شعف المهنوءة الرجل الطالى *

و(حبا) نصب على التمييز (فى ضلال مبين) فى خطأ وبعد عن طريق الصواب (بمكرهن) باغتيابهن وسوء قالتهن وقولهن امرأة العزيز عشقت عبدها الكنعانى ومقتها وسمى الاغتياب مكرا لانه فى خفية وحال غيبة كما يخفى الماكر مكره وقيل كانت استكتمتهن سرها فافشينه عليها (ارسلت اليهن) دعتهن قيل دعت اربعين امرأة منهن الخمس المذكورات (واعتدت لهن متكأ) ما يتكئن عليه من نمارق قصدت بتلك الهيئة وهى قعودهن متكئات والسكاكين فى ايديهن ان يدهشن ويبهتن عند رؤيته ويشغلن عن نفوسهن فتقع ايديهن على ايديهن فيقطعنها لان المتكئ اذا بهت لشئ وقعت يده على يده ولا يبعد ان تقصد الجمع بين المكر بهو بهن فتضع الخناجر فى ايديهن ليقطعن ايديهن فتبكتهن بالحجة ولتهول يوسف من مكرها اذا خرج على اربعين نسوة مجتمعات فى ايديهن الخناجر توهمه انهن يثبن عليه وقيل متكأ مجلس طعام لانهم كانوا يتكؤن للطعام والشراب والحديث كعادة المترفين ولذلك نهى ان يأكل الرجل متكئا وآتتهن السكاكين ليعالجن بها ما ياكلن وقيل متكأ طعاما من قولك اتكأنا عند فلان طعمنا على سبيل الكناية لان من دعوته ليطعم عندك اتخذت له تكأة يتكئ عليها قال جميل

فظللنا بنعمة واتكأنا * وشربنا الحلال من قلله

وعن مجاهد متكأ طعاما يحزحزا كان المعنى يعتمد بالسكين لان القاطع يتكئ على المقطوع بالسكين * وقرئ متكا بغير همز وعن الحسن متكاء بالمد كانه مفتعال وذلك لاشباع فتحة الكاف كقوله بمنتزاح بمعنى بمنتزح ونحوه ينباع بمعنى ينبع وقرئ متكا وهو الاترج وانشد

فاهدت متكة لبنى ابيها * تخب بها العثمثمة الوقاح

وكانت اهدت اترجة على ناقة وكانها الاترجة التى ذكرها ابو داود فى سننه انها شقت بنصفين وحملا كالعدلين على جمل وقيل الزماورد وعن وهب اترجا وموزا و بطيخا وقيل اعتدت لهن ما يقطع من متك الشئ بمعنى بتكه اذا قطعه وقرأ الاعرج متكأ مفعلا من تكئ يتكأ اذا اتكأ (أكبرنه) اعظمنه وهبن ذلك الحسن الرائع والجمال الفائق قيل كان فضل يوسف على الناس فى الحسن كفضل القمر ليلة البدر على نجوم السماء وعن النبى صلى الله عليه وسلم مررت بيوسف الليلة التى عرج بى الى السماء فقلت لجبريل من هذا فقال يوسف فقيل يارسول الله كيف رأيته قال كالقمر ليلة البدر وقيل كان يوسف اذا سار فى ازقة مصر يرى تلألؤ وجهه على الجدران كما يرى نور الشمس من الماء عليها وقيل ما كان احد يستطيع وصف

يوسف اعرض عن هذا واستغفرى لذنبك انك كنت من الخاطئين وقال نسوة فى المدينة امرأت العزيز تراود فتاها عن نفسه قد شغفها حبا انا لنراها فى ضلال مبين فلما سمعت بمكرهن ارسلت اليهن واعتدت لهن متكأ وآتت كل واحدة منهن سكينا وقالت اخرج عليهن فلما رأينه أكبرنه

الشيطان ان كيد الشيطان كان ضعيفا وايضا فان الكيد الذى يتعاطاه النساء وغيرهن مستفاد من الشيطان بوسوسته وتسويله وشواهد الشرع قائمة على ذلك فلا يتصور حينئذ ان يكون كيدهن اعظم من كيده والله أعلم

*قوله ماهذا الا بشرا ان هذا الا ملك كريم (قال نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه الخ) قال احمد تقدم القول فى مسئلة التفضيل شافيا والزمخشرى لا يدعه التعصب المعتقد الفاسد ان يحمله على مثل هذه المشافهات يرمى بها اهل الحق فينسب اليهم الاجبار والخسار والمكابرة فى الضروريات وجحد الحقائق تعكيسا وهذا الله هم برآء منه وحسبه من المقابلة بذلك خطؤه فى اعتقاد ان تفضيل الملك عند قائله ليس ضروريا ولا عقليا نظريا ولكن سمعيا وقد قنع فى الاستدلال على هذه العقيدة بالضرورة التى ادعى انها مركوزة فى الطباع ثم حكم بان كل مركوز فى الطباع حق وخصوصا والكلام فى طباع النساء القائلات ماهذا بشرا واذا كان كل مركوز فى الطباع حقا فما ركز فيها حب الشهوات وايثار العاجلة وجميع امهات الذنوب مركوز فى الطباع أفيكون ذلك حقا الا عند ناظر بعين الهوى اعشى فى سبيل الهدى والله ولى التوفيق *قوله تعالى قالت فذلكن الذى لمتننى فيه (قال

يوسف وقيل كان يشبه آدم يوم خلقه ربه وقيل ورث الجمال من جدته سارة وقيل أكبرن بمعنى حضن والهاء للسكت يقال أكبرت المرأة اذا حاضت وحقيقته دخلت فى الكبر لانها بالحيض تخرج من حد الصغر الى حد الكبر وكأن أبا الطيب اخذ من هذا التفسير قوله

خف الله واستر ذا الجمال ببرقع * فان لحت حاضت فى الخدور العواتق

(قطعن ايديهن) جرحنها كما تقول كنت أقطع اللحم فقطعت يدى تريد جرحتها *حاشا كلمة تفيد معنى التنزيه فى باب الاستثناء تقول اساء القوم حاشا زيد قال

حاشا أبى ثوبان ان به * ضنا عن الملحاة والشتم

وهى حرف من حروف الجر فوضعت موضع التنزيه والبراءة فمعنى حاشا الله براءة الله وتنزيه الله وهى قراءة ابن مسعود على اضافة حاشا الى الله اضافة البراءة ومن قرأ حاشا لله فنحو قولك سقيا لك كأنه قال براءة ثم قال لله لبيان من يبرأ وينزه والدليل على تنزيل حاشا منزلة المصدر قراءة ابى السمال حاشا لله بالتنوين وقراءة ابى عمرو حاش لله بحذف الالف الآخرة وقراءة الاعمش حشا لله بحذف الالف الاولى وقرئ حاش لله بسكون الشين على ان الفتحة تبعت الالف فى الاسقاط وهى ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حده وقرئ حاشا الاله (فان قلت) فلم جاز فى حاشا لله ان لا ينون بعد اجرائه مجرى براءة لله (قلت) مراعاة لاصله الذى هو الحرفية الاترى الى قولهم جلست من عن يمينه كيف تركوا عن غير معرب على اصله وعلى فى قوله غدت من عليه منقلب الالف الى الياء مع الضمير والمعنى تنزيه الله تعالى من صفات العجز والتعجب من قدرته على خلق جميل مثله واما قوله حاشا لله ما علمنا عليه من سوء فالتعجب من قدرته على خلق عفيف مثله (ماهذا بشرا) نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور وأثبتن له الملكية وبتتن بها الحكم وذلك لان الله عزوجل ركز فى الطباع ان لا احسن من الملك كما ركز فيها ان لا اقبح من الشيطان ولذلك يشبه كل متناه فى الحسن والقبح بهما وما ركز ذلك فيها الا لان الحقيقة كذلك كما ركز فى الطباع ان لا أدخل فى الشر من الشياطين ولا أجمع للخير من الملائكة الاما عليه الفئة الخاسئة المجبرة من تفضيل الانسان على الملك وما هو الا من تعكيسهم للحقائق وجحودهم للعلوم الضرورية ومكابرتهم فى كل باب واعمال ما عمل ليس هى اللغة القدمى الحجازية وبها ورد فى القرآن ومنها قوله تعالى ماهن امهاتهم ومن قرأ على سليقته من بنى تميم قرأ بشر بالرفع وهى فى قراءة ابن مسعود وقرئ ماهذا بشرى اى ماهو بعبد مملوك لئيم (ان هذا الا ملك كريم) تقول هذا بشرى اى حاصل بشرى بمعنى هذا مشرى وتقول هذا لك بشرى ام بكرى والقراءة هى الاولى لموافقتها المصحف ومطابقة بشر لملك (قالت فذلكن) ولم تقل فهذا وهو حاضر رفعا لمنزلته فى الحسن واستحقاق ان يحب ويفتتن به وربا بحاله واستبعادا لمحله ويجوز ان يكون اشارة الى المعنى بقولهن عشقت عبدها الكنعانى تقول هو ذلك العبد الكنعانى الذى صورتن فى انفسكن ثم لمتننى فيه تعنى أنكن لم تصورنه بحق صورته ولو صورتنه بما عاينتن لعذرتننى فى الافتتان به *الاستعصام بناء مبالغة يدل على الامتناع البليغ والتحفظ الشديد كأنه فى عصمة وهو يجتهد فى الاستزادة منها ونحوه استمسك واستوسع الفتق واستجمع الرأى واستفحل الخطب وهذا بيان لما كان من يوسف عليه السلام لا مزيد عليه وبرهان لا شئ انور منه على انه برئ مما اضاف اليه اهل الحشو مما فسروا به الهم والبرهان *(فان قلت) الضمير فى (آمره) راجع الى الموصول أم الى يوسف (قلت) بل الى الموصول والمعنى ما آمر به فحذف الجار فى قولك امرتك الخير ويجوز ان تجعل ما مصدرية فيرجع الى

وقطعن أيديهن وقلن حاش لله ماهذا بشرا ان هذا الا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين قال رب السجن احب الى مما

لم تقل فهذا وهو حاضر الخ) قال احمد وبهذا أجبت عما اورده من السؤال فى قوله تعالى اول البقرة الم ذلك الكتاب لما جعل الاشارة الى الحروف المذكورة فقال ان قلت كيف أشار اليها وهى قريبة كما يشار الى البعيد واجاب هو بان كل متقض بعيد واجبت انا بان الاشارة بذلك الى بعد منزلة هذا الكتاب بالنسبة الى كتب الله تعالى

يوسف ومعناه ولئن لم يفعل امري اياه اى موجب امرى ومقتضاه * قرئ وليكونا بالتشديد والتخفيف والتخفيف اولى لان النون كتبت فى المصحف ألفا على حكم لوقف وذلك لا يكون الا فى الخفيفة * وقرئ السجن بالفتح على المصدر وقال (يدعوننى) على اسناد الدعوة اليهن جميعا لانهن تنصحن له وزين له مطاوعتها وقلن له اياك والقاء نفسك فى السجن والصغار فالتجأ الى ربه عند ذلك وقال رب نزول السجن احب الى من ركوب المعصية (فان قلت) نزول السجن مشقة على النفس شديدة وما دعونه اليه لذة عظيمة فكيف كانت المشقة احب اليه من اللذة (قلت) كانت احب اليه وآثر عنده نظرا فى حسن الصبر على احتمالها لوجه الله وفى قبح المعصية وفى عاقبة كل واحدة منهما لا نظرا فى مشتهى النفس ومكروهها (والا تصرف عنى كيدهن) فزع منه الى ألطاف الله وعصمته كعادة الانبياء والصالحين فيما عزم عليه ووطن عليه نفسه من الصبر لا ان يطلب منه الاجبار على التعفف ولا الجاء اليه (أصب اليهن) أمل اليهن والصبوة الميل الى الهوى ومنها الصبا لان النفوس تصبو اليها لطيب نسيمها وروحها وقرئ أصب اليهن من الصبابة (من الجاهلين) من الذين لا يعملون بما يعلمون لان من لا جدوى لعلمه فهو ومن لا يعلم سواء أو من السفهاء لان الحكيم لا يفعل القبيح * وانما ذكر الاستجابة ولم يتقدم الدعاء لان قوله والا تصرف عنى فيه معنى طلب الصرف والدعاء باللطف (السميع) لدعوات الملتجئين اليه (العليم) باحوالهم وما يصلحهم (بدا لهم) فاعله مضمر لدلالة ما يفسره عليه وهو ليسجننه والمعنى بدا لهم بداء اى ظهر لهم رأى ليسجننه والضمير فى لهم للعزيز وأهله (من بعد ما رأوا الآيات) وهى الشواهد على براءته وما كان ذلك الا باستنزال المرأة لزوجها وفتلها منه فى الذروة والغارب وكان مطواعة لها وجميلا ذلولا زمامه فى يدها حتى انساه ذلك ما عاين من الآيات وعمل برأيها فى سجنه والحاق الصغار به كما أوعدته به وذلك لما أيست من طاعته لها او لطمعها فى ان يذلله السجن ويسخره لها وفى قراءة الحسن لتسجننه بالتاء على الخطاب خاطب به بعضهم العزيز ومن يليه او العزيز وحده على وجه التعظيم (حتى حين) الى زمان كانها اقترحت أن يسجن زمانا حتى تبصر ما يكون منه وفى قراءة ابن مسعود عتى حين وهى لغة هذيل وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقرأ عتى حين فقال من اقرأك قال ابن مسعود فكتب اليه ان الله انزل هذا القرآن فجعله عربيا وأنزله بلغة قريش فاقرئ الناس بلغة قريش ولا تقرئهم بلغة هذيل والسلام * مع يدل على معنى الصحبة واستحداثها تقول خرجت مع الامير تريد مصاحبا له فيجب ان يكون دخولهما السجن مصاحبين له (فتيان) عبدان للملك خبازه وشرابيه رقى اليه انهما يسمانه فامر بهما الى السجن فادخلا السجن ساعة أدخل يوسف عليه السلام (انى ارانى) يعنى فى المنام وهى حكاية حال ماضية (أعصر خمرا) يعنى عنبا تسمية للعنب بما يؤل اليه وقيل الخمر بلغة عمان اسم للعنب وفى قراءة ابن مسعود أعصر عنبا (من المحسنين) من الذين يحسنون عبارة الرؤيا أى يجيدونها رأياه يقص عليه بعض اهل السجن رؤياه فيؤولها له تقالا له ذلك او من العلماء لانهما سمعاه يذكر للناس ما علما به انه عالم او من المحسنين الى اهل السجن فاحسن الينا بان تفرج عنا الغمة بتأويل ما رأينا ان كانت لك يد فى تأويل الرؤيا روى انه كان اذا مرض رجل منهم قام عليه واذا ضاق أوسع له واذا احتاج جمع له وعن قتادة كان فى السجن ناس قد انقطع رجاؤهم وطال حزنهم فجعل يقول ابشروا اصبروا تؤجروا ان لهذا لاجرا فقالوا بارك الله عليك ما احسن وجهك وما احسن خلقك لقد بورك لنا فى جوارك فمن انت يا فتى قال انا يوسف ابن صفى الله يعقوب ابن ذبيح الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم فقال له عامل السجن لو استطعت خليت سبيلك ولكنى احسن جوارك فكن فى اى بيوت السجن شئت وروى ان الفتيين قالا له انا لنحبك من حين رأيناك فقال انشدكما بالله ان لا تحبانى فوالله ما احبنى احد قط الا دخل على من حبه بلاء لقد احبتنى عمتى فدخل على من حبها بلاء ثم احبنى ابى فدخل على من حبه بلاء ثم احبتنى زوجة صاحبى فدخل على من حبها بلاء فلا تحبانى بارك الله فيكما وعن الشعبى انهما تحالما ليمتحناه فقال الشرابى انى ارانى فى بستان فاذا باصل حبلة عليها ثلاثة عناقيد من عنب فقطفتها وعصرتها فى كاس الملك وسقيته وقال الخباز انى ارانى وفوق رأسى ثلاث سلال فيها انواع

يدعوننى والا تصرف عنى كيدهن اصب اليهن واكن من الجاهلين فاستجاب له ربه فصرف عنه كيدهن انه هو السميع العليم ثم بدا لهم من بعد ما راوا الآيات ليسجننه حتى حين ودخل معه السجن فتيان قال احدهما انى ارانى اعصر خمرا وقال الآخر انى ارانى احمل فوق راسى خبزا تاكل الطير منه نبئنا

الاطعمة واذا اسباع الطير تنهش منها * (فان قلت) الام يرجع الضمير في قوله نبئنا بتاويله (قلت) الى ماقصا
عليه والضمير يجري مجرى اسم الاشارة في نحوه كانه قيل نبئنا بتاويل ذلك * لما استعبراه ووصفاه
بالاحسان افترص ذلك فوصل به وصف نفسه بما هو فوق علم العلماء وهو الاخبار بالغيب وانه ينبئهما بما
يحمل اليهما من الطعام في السجن قبل ان ياتيهما ويصفه لهما ويقول اليوم ياتيكما طعام من صفته كيت وكيت
فيجدانه كما اخبرهما وجعل ذلك تخلصا الى ان يذكر لهما التوحيد ويعرض عليهما الايمان ويزينه لهما ويقبح
اليهما الشرك بالله وهذه طريقة على كل ذي علم ان يسلكها مع الجهال والفسقة اذا استفتاه واحد منهم ان
يقدم الهداية والارشاد والموعظة والنصيحة اولا ويدعوه الى ماهو اولى به واوجب عليه مما استفتي فيه ثم
يفتيه بعد ذلك وفيه ان العالم اذا جهلت منزلته في العلم فوصف نفسه بما هو بصدده وغرضه ان يقتبس منه
وينتفع به في الدين لم يكن من باب التزكية (بتاويله) ببيان ماهيته وكيفيته لان ذلك يشبه تفسير المشكل والاعراب
عن معناه (ذلكما) اشارة لهما الى التاويل اي ذلك التاويل والاخبار بالمغيبات (مما علمني ربي) واوحى به
الي ولم اقله عن تكهن وتنجم (اني تركت) يجوز ان يكون كلاما مبتدأ وان يكون تعليلا لما قبله اي علمني ذلك
واوحى الي لاني رفضت ملة اولئك واتبعت ملة الانبياء المذكورين وهي الملة الحنيفية واراد باولئك الذين
لا يؤمنون اهل مصر ومن كان الفتيان على دينهم وتكريرهم للدلالة على انهم خصوصا كافرون بالآخرة
وان غيرهم كانوا قوما مؤمنين بها وهم الذين على ملة ابراهيم ولتوكيد كفرهم بالجزاء تنبيها على ماهم عليه من
الظلم والكبائر التي لا يرتكبها الا من هو كافر بدار الجزاء ويجوز ان يكون فيه تعريض بما مني به من جهتهم
حين اودعوه السجن بعد مارأوا الآيات الشاهدة على براءته وان ذلك مالا يقدم عليه الا من هو شديد
الكفر بالجزاء وذكر آباءه ليريهما انه من بيت النبوة بعد ان عرفهما انه نبي يوحى اليه بما ذكر من
اخباره بالغيوب ليقوي رغبتهما في الاستماع اليه واتباع قوله (ما كان لنا) ما صح لنا معشر الانبياء (ان نشرك
بالله) اي شيء كان من ملك او جني او انسي فضلا ان نشرك به صنما لا يسمع ولا يبصر ثم قال (ذلك)
التوحيد (من فضل الله علينا وعلى الناس) اي على الرسل وعلى المرسل اليهم لانهم نبهوهم عليه وارشدوهم
اليه (ولكن اكثر الناس) المبعوث اليهم (لا يشكرون) فضل الله فيشركون ولا ينتبهون وقيل ان ذلك
من فضل الله علينا لانه نصب لنا الادلة التي ننظر فيها ونستدل بها وقد نصب مثل تلك الادلة لسائر الناس
من غير تفاوت ولكن اكثر الناس لا ينظرون ولا يستدلون اتباعا لاهوائهم فيبقون كافرين غير شاكرين
(ياصاحبي السجن) يريد ياصاحبي في السجن فاضافهما الى السجن كما تقول ياسارق الليلة فكما ان الليلة
مسروق فيها غير مسروقة فكذلك السجن مصحوب فيه غير مصحوب وانما المصحوب غيره وهو يوسف
عليه السلام ونحوه قولك لصاحبيك ياصاحبي الصدق فتضيفهما الى الصدق ولا تريد انهما صحبا الصدق
ولكن كما تقول رجلا صدق وسميتهما صاحبين لانهم صحباك ويجوز ان يريد ياساكني السجن كقوله اصحاب
النار واصحاب الجنة (أأرباب متفرقون) يريد التفرق في العدد والتكاثر يقول أأن تكون لكما ارباب شتى
يستعبدكما هذا ويستعبدكما هذا (خير) لكما (ام) ان يكون لكما رب واحد قهار لا يغالب ولا يشارك في الربوبية
بل هو (القهار) الغالب وهذا مثل ضربه لعبادة الله وحده ولعبادة الاصنام (ماتعبدون) خطاب لهما ولمن على
دينهما من اهل مصر (الا اسماء) يعني انكم سميتم مالا يستحق الالهية آلهة ثم طفقتم تعبدونها فكانكم لا تعبدون
الا اسماء فارغة لا مسميات تحتها ومعنى (سميتموها) سميتم بها يقال سميته بزيد وسميته زيدا (ما انزل الله بها)
اي بتسميتها (من سلطان) من حجة (ان الحكم) في امر العبادة والدين (الا لله) ثم بين ماحكم به فقال (امر
الا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم) الثابت الذي دلت عليه البراهين (اما احدكما) يريد الشرابي (فيسقي ربه)
سيده وقرأ عكرمة فيسقي ربه اي يسقي مايروى به على البناء للمفعول روي انه قال للاول مارأيت من الكرمة
وحسنها هو الملك وحسن حالك عنده واما القضبان الثلاثة فانها ثلاثة ايام تمضي في السجن ثم تخرج وتعود الى
ماكنت عليه وقال للثاني مارأيت من السلال الثلاثة ايام ثم تخرج فتقتل (قضي الامر) قطع وتم ما (تستفتيان)

بتاويله انا نراك من
المحسنين قال لا ياتيكما
طعام ترزقانه الا نبأتكما
بتاويله قبل ان ياتيكما
ذلكما مما علمني ربي
اني تركت ملة قوم
لا يؤمنون بالله وهم بالآخرة
هم كافرون واتبعت ملة
آبائي ابراهيم واسحق
ويعقوب ماكان لنا ان
نشرك بالله من شيء ذلك
من فضل الله علينا وعلى
الناس ولكن اكثر الناس
لا يشكرون ياصاحبي
السجن أأرباب متفرقون
خير ام الله الواحد القهار
ماتعبدون من دونه الا
اسماء سميتموها انتم
وآباؤكم ما انزل الله بها
من سلطان ان الحكم
الا لله امر الا تعبدوا الا
اياه ذلك الدين القيم
ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ياصاحبي
السجن اما احدكما فيسقي
ربه خمرا واما الآخر
فيصلب فتاكل الطير من
رأسه قضي الامر الذي
فيه تستفتيان وقال للذي

فيه من أمركما وشأنكما (فان قلت) ما استفتيا في امر واحد بل في امرين مختلفين فما وجه التوحيد (قلت) المراد بالامر ما اتهما به من سم الملك وما سجنا من اجله وظنا ان ما رأياه في معنى ما نزل بهما فكأنهما كانا يستفتيانه في الامر الذي نزل بهما اعاقبته نجاة ام هلاك فقال لهما قضي الامر الذي فيه تستفتيان اي ما يجر اليه من العاقبة وهي هلاك احدهما ونجاة الآخر وقيل جحدا وقالا ما رأينا شيأ على ما روي انهما تحالما له فاخبرهما ان ذلك كائن صدقتما او كذبتما (ظن انه ناج) الظان هو يوسف ان كان تأويله بطريق الاجتهاد وان كان بطريق الوحي فالظان هو الشرابي او يكون الظن بمعنى اليقين (اذكرني عند ربك) صفني عند الملك بصفتي وقص عليه قصتي لعله يرحمني و ينتاشني من هذه الورطة (فانساه الشيطان) فانسى الشرابي (ذكر ربه) ان يذكره لربه وقيل فانسى يوسف ذكر الله حين وكل امره الى غيره (بضع سنين) البضع ما بين الثلاث الى التسع واكثر الاقاويل على انه لبث فيه سبع سنين (فان قلت) كيف يقدر الشيطان على الانساء (قلت) يوسوس الى العبد بما يشغله عن الشيء من اسباب النسيان حتى يذهب عنه و يزل عن قلبه ذكره واما الانساء ابتداء فلا يقدر عليه الا الله عزوجل ما ننسخ من آية او ننسها (فان قلت) ما وجه اضافة الذكر الى ربه اذا اراد به الملك وما هي باضافة المصدر الى الفاعل ولا الى المفعول (قلت) قد لابسه في قولك فانساه الشيطان ذكره لربه او عند ربه فجازت اضافته اليه لان الاضافة تكون بادنى ملابسة او على تقدير فانساه الشيطان ذكر اخبار ربه فحذف المضاف الذي هو الاخبار (فان قلت) لم انكر على يوسف الاستعانة بغير الله في كشف ما كان فيه وقد قال الله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى وقال حكاية عن عيسى عليه السلام من انصاري الى الله وفي الحديث الله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه المسلم من فرج عن مؤمن كربة فرج الله عنه كربة من كرب الآخرة وعن عائشة رضي الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ياخذه النوم ليلة من الليالي وكان يطلب من يحرسه حتى جاء سعد فسمعت غطيطه وهل ذلك الا مثل التداوي بالادوية والتقوي بالاشربة والاطعمة وان كان ذلك لان الملك كان كافرا فلا خلاف في جواز ان يستعان بالكفار في دفع الظلم والغرق والحرق ونحو ذلك من المضار (قلت) كما اصطفى الله تعالى الانبياء على خليقته فقد اصطفى لهم احسن الامور وافضلها واولاها والاحسن والاولى بالنبي ان لا يكل امره اذا ابتلي ببلاء الا الى ربه ولا يعتضد الا به خصوصا اذا كان المعتضد به كافرا لئلا يشمت به الكفار ويقولوا لو كان هذا على الحق وكان له رب يغيثه لما استغاث بنا وعن الحسن انه كان يبكي اذا قرأها و يقول نحن اذا نزل بنا امر فزعنا الى الناس * لما دنا فرج يوسف رأى ملك مصر الريان بن الوليد رؤيا عجيبة هالته رأى سبع بقرات سمان خرجن من نهر يابس وسبع بقرات عجاف فابتلعت العجاف السمان ورأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبها وسبعا اخر يابسات قد استحصدت وادركت فالتوت اليابسات على الخضر حتى غلبن عليها فاستعبرها فلم يجد في قومه من يحسن عبارتها (سمان) جمع سمين وسمينة وكذلك رجال ونسوة كرام (فان قلت) هل من فرق بين ايقاع سمان صفة للمميز وهو بقرات دون المميز وهو سبع وان يقال سبع بقرات سمانا (قلت) اذا اوقعتها صفة لبقرات فقد قصدت الى ان تميز السبع بنوع من البقرات وهي السمان منهن لا بجنسهن ولو وصفت بها السبع لقصدت الى تمييز السبع بجنس البقرات لا بنوع منها ثم رجعت فوصفت المميز بالجنس بالسمن * (فان قلت) هلا قيل سبع عجاف على الاضافة (قلت) التمييز موضوع لبيان الجنس والعجاف وصف لا يقع البيان به وحده (فان قلت) فقد يقولون ثلاثة فرسان وخمسة اصحاب (قلت) الفارس والصاحب والراكب ونحوها صفات جرت مجرى الاسماء فاخذت حكمها وجاز فيها ما لم يجز في غيرها الا تراك لا تقول عندي ثلاثة ضخام واربعة غلاظ (فان قلت) ذاك مما يشكل وما نحن بسبيله لا اشكال فيه الا ترى انه لم يقل بقرات سبع عجاف لوقوع العلم بان المراد البقرات (قلت) ترك الاصل لا يجوز مع وقوع الاستغناء عما ليس باصل وقد وقع الاستغناء بقولك سبع عجاف عما تقترحه من التمييز بالوصف والعجف الهزال الذي ليس بعده والسبب في وقوع عجاف جمعا لعجفاء وافعل وفعلاء لا يجمعان على

ظن انه ناج منهما اذكرني عند ربك فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع سنين وقال الملك اني ارى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات

فعال

يا أيها الملأ أفتونى فى رؤياى ان كنتم للرؤيا تعبرون قالوا أضغاث احلام ومانحن بتاويل الاحلام بعالمين وقال الذى نجامنهما وادكر بعد أمة انا انبئكم بتاويله فارسلون يوسف أيها الصديق افتنافى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون قال تزرعون سبع سنين

فعال حمله على سمان لانه نقيضه ومن دأبهم حمل النظير على النظير والنقيض على النقيض * (فان قلت) هل فى الآية دليل على ان السنبلات اليابسة كانت سبعا كالخضر (قلت) الكلام مبنى على انصبابه الى هذا العدد في البقرات السمان والعجاف والسنابل الخضر فوجب ان يتناول معنى الاخر السبع ويكون قوله وأخر يابسات بمعنى وسبعا أخر (فان قلت) هل يجوز ان يعطف قوله واخر يابسات على سنبلات خضر فيكون مجرور المحل (قلت) يؤدى الى تدافع وهو ان عطفها على سنبلات خضر يقتضي ان تدخل في حكمها فتكون معها مميزا للسبع المذكورة ولفظ الاخر يقتضى ان تكون غير السبع بيانه انك تقول عندى سبعة رجال قيام وقعود بالجر فيصح لانك ميزت السبعة برجال موصوفين بالقيام والقعود على ان بعضهم قيام وبعضهم قعود فلو قلت عنده سبعة رجال قيام وآخرين قعود تدافع ففسد (ياأيها الملا) كانه اراد الاعيان من العلماء والحكماء * واللام في قوله (للرؤيا) اماان تكون للبيان كقوله وكانوا فيه من الزاهدين واماان تدخل لان العامل اذا تقدم عليه معموله لم يكن فى قوته على العمل فيه مثله اذا تاخر عنه فعضد بها كما يعضد بها اسم الفاعل اذا قلت هو عابر للرؤيا لانحطاطه عن الفعل فى القوة ويجوز ان يكون للرؤيا خبر كان كما تقول كان فلان لهذا الامر اذا كان مستقلا به متمكنا منه و(تعبرون) خبر آخر او حال وان يضمن تعبرون معنى فعل يتعدى باللام كانه قيل ان كنتم تنتدبون لعبارة الرؤيا وحقيقة عبرت الرؤيا ذكرت عاقبتها وآخر امرها كما تقول عبرت النهر اذا قطعته حتى تبلغ آخر عرضه وهو عبره ونحوه اولت الرؤيا اذا ذكرت ما كها وهو مرجعها وعبرت الرؤيا بالتخفيف هو الذى اعتمده الاثبات ورأيتهم ينكرون عبرت بالتشديد والتعبير والمعبر وقد عثرت على بيت انشده المبرد فى كتاب الكامل لبعض الاعراب

رأيت رؤيا ثم عبرتها * وكنت للاحلام عبارا

(اضغاث احلام) تخاليطها واباطيلها ومايكون منها من حديث نفس او وسوسة شيطان واصل الاضغاث ماجمع من اخلاط النبات وحزم الواحد ضغث فاستعيرت لذلك والاضافة بمعنى من اى اضغاث من احلام والمعنى هي اضغاث احلام (فان قلت) ماهو الاحلم واحد فلم قالوا أضغاث احلام فجمعوا (قلت) هو كما تقول فلان يركب الخيل ويلبس عمائم الخز لمن لايركب الا فرسا واحدا وماله الاعمامة فردة تزيدا فى الوصف فهؤلاء ايضا تزيدوا فى وصف الحلم بالبطلان فجعلوه اضغاث احلام ويجوز ان يكون قد قص عليهم مع هذه الرؤيا رؤيا غيرها (ومانحن بتاويل الاحلام بعالمين) اماان يريدوا بالاحلام المنامات الباطلة خاصة فيقولوا ليس لها عندنا تاويل فان التاويل انما هو للمنامات الصحيحة الصالحة واماان يعترفوا بقصور علمهم وانهم ليسوا فى تاويل الاحلام بنحارير وقرئ (وادكر) بالدال وهو الفصيح وعن الحسن واذكر بالذال المعجمة والاصل تذكر اى تذكر الذى نجامن الفتيين من القتل يوسف وماشاهده منه (بعد أمة) بعد مدة طويلة وذلك انه حين استفتى الملك فى رؤياه واعضل على الملا تاويلها تذكر الناجي يوسف وتاويله رؤياه ورؤيا صاحبه وطلبه اليه ان يذكره عند الملك وقرأ الاشهب العقيلي بعد امة بكسر الهمزة والامة النعمة قال عدى

ثم بعد الفلاح والملك والامـ * ـة وارتهم هناك القبور

اى بعدما انعم عليه بالنجاة وقرئ بعد امه بعد نسيان يقال امه يامه امها اذا نسى ومن قرأ بسكون الميم فقد خطئ (انا انبئكم بتاويله) انا اخبركم به عمن عنده علمه وفى قراءة الحسن انا آتيكم بتاويله (فارسلون) فابعثونى اليه لاساله ومرونى باستعباره وعن ابن عباس لم يكن السجن فى المدينة * المعنى فارسلوه الى يوسف فاتاه فقال (يوسف أيها الصديق) ايها البليغ فى الصدق وانما قال له ذلك لانه ذاق احواله وتعرف صدقه فى تاويل رؤياه ورؤيا صاحبه حيث جاء كما اول ولذلك كلمه كلام محترز فقال (لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون) لانه ليس على يقين من الرجوع فربما اخترم دونه ولامن علمهم فربمالم يعلموا اومعنى لعلهم يعلمون لعلهم يعلمون فضلك ومكانك من العلم فيطلبوك ويخلصوك من محنتك (تزرعون) خبر فى معنى الامر كقوله تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون وانما يخرج الامر فى صورة الخبر للمبالغة فى ايجاب ايجاد المامور

*قوله تعالى قالوا اضغاث احلام ومانحن بتاويل الاحلام بعالمين (قال يحتمل ان يكون مرادهم الاحلام المنامات الخ) قال احمد وهذا هو الظاهر وحمل الكلام على الاول يصيره من وادى على لاحب لايهتدى بمناره كانهم قالوا ولا تاويل للاحلام الباطلة فنكون به عالمين وقول الملك لهم اولا ان كنتم للرؤيا تعبرون دليل عن انهم لم يكونوا فى علمه عالمين بها لانه أتى بكلمة الشك وجاء اعترافهم بالقصور مطابقا لشك الملك الذى اخرجه مخرج استفهامهم عن كونهم عالمين بالرؤيا اولا وقول الفتى انا انبئكم بتاويله الى قوله لعلى ارجع الى الناس لعلهم يعلمون دليل ايضا على ذلك والله أعلم

* قوله تعالى فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله مابال النسوة اللاتى قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم (قال انما تانى وتثبت فى اجابة الملك لتظهر براءة ساحته عما قرف به الخ) قال احمد ولقد مدحه النبي صلى الله عليه وسلم على هذه الاناة بقوله ولو لبثت فى السجن بعض مالبث يوسف لاجبت الداعي وكان فى طي هذه المدحة بالاناة والتثبت تنزيهه وتبرئته مما لعله يسبق الى الوهم

به فيجعل كانه يوجد فهو يخبر عنه والدليل على كونه فى معنى الامر قوله فذروه فى سنبله (دأبا) بسكون الهمزة وتحريكها وهما مصدرا دأب فى العمل وهو حال من المامورين اى دائبين اماعلى تدأبون دأبا واما على ايقاع المصدر حالا بمعنى ذوى دأب (فذروه فى سنبله) لئلا يتسوس و (ياكلن) من الاسناد المجازى جعل اكل اهلهن مسندا اليهن (تحصنون) تحرزون وتخبؤن (يغاث الناس) من الغوث اومن الغيث يقال غيثت البلاد اذا مطرت ومنه قول الاعرابية غثنا ماشئنا (يعصرون) بالياء والتاء يعصرون العنب والزيتون والسمسم وقيل يحلبون الضروع وقرئ يعصرون على البناء للمفعول من عصره اذا انجاه وهو مطابق للاغاثة ويجوز ان يكون المبنى للفاعل بمعنى ينجون كانه قيل فيه يغاث الناس وفيه يغيثون انفسهم اى يغيثهم الله ويغيث بعضهم بعضا وقيل يعصرون يمطرون من اعصرت السحابة وفيه وجهان اما ان يضمن اعصرت معنى مطرت فيعدى تعديته واما ان يقال الاصل اعصرت عليهم فحذف الجار واوصل الفعل تاول البقرات السمان والسنبلات الخضر بسنين مخاصيب والعجاف واليابسات بسنين مجدبة ثم بشرهم بعد الفرغ من تاويل الرؤيا بان العام الثامن يجيء مباركا خصيبا كثير الخير غزير النعم وذلك من جهة الوحي وعن قتادة زاده الله علم سنة (فان قلت) معلوم ان السنين المجدبة اذا انتهت كان انتهاؤها بالخصب والا لم توصف بالانتهاء فلم قلت ان علم ذلك من جهة الوحي (قلت) ذلك معلوم علما مطلقا لا مفصلا وقوله فيه يغاث الناس وفيه يعصرون تفصيل لحال العام وذلك لا يعلم الا بالوحى * انما تانى وتثبت فى اجابة الملك وقدم سؤال النسوة ليظهر براءة ساحته عما قرف به وسجن فيه لئلا يتسلق به الحاسدون الى تقبيح امره عنده ويجعلوه سلما الى حط منزلته لديه ولئلا يقولوا ما خلد فى السجن سبع سنين الا لامر عظيم وجرم كبير حق به ان يسجن ويعذب ويستكف شره وفيه دليل على ان الاجتهاد فى نفي التهم واجب وجوب اتقاء الوقوف في مواقفها قال عليه السلام من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يقفن مواقف التهم ومنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمارين به فى معتكفه وعنده بعض نسائه هي فلانة اتقاء للتهمة وعن النبي صلى الله عليه وسلم لقد عجبت من يوسف وكرمه وصبره والله يغفر له حين سئل عن البقرات العجاف والسمان ولو كنت مكانه ما اخبرتهم حتى اشترط ان يخرجوني ولقد عجبت منه حين اتاه الرسول فقال ارجع الى ربك ولو كنت مكانه ولبثت فى السجن ما لبث لاسرعت الاجابة وبادرتهم الباب ولما ابتغيت العذر ان كان لحليما ذا اناة وانما قال سل الملك عن حال النسوة ولم يقل سله ان يفتش عن شانهن لان السؤال مما يهيج الانسان ويحركه للبحث عما سئل عنه فاراد ان يورد عليه السؤال ليجد فى التفتيش عن حقيقة القصة وفص الحديث حتى يتبين له براءته بيانا مكشوفا يتميز فيه الحق من الباطل * وقرئ النسوة بضم النون ومن كرمه وحسن ادبه انه لم يذكر سيدته مع ما صنعت به وتسببت فيه من السجن والعذاب واقتصر على ذكر المقطعات ايديهن (ان ربي) ان الله تعالى (بكيدهن عليم) اراد انه كيد عظيم لا يعلمه الا الله لبعد غوره اواستشهد بعلم الله على انهن كدنه وانه بريء مما قرف به اواراد الوعيد لهن اى هو عليم بكيدهن فمجازيهن عليه (ما خطبكن) ما شانكن (اذ راودتن يوسف) هل وجدتن منه ميلا اليكن (قلن حاش لله) تعجبا من عفته وذهابه بنفسه عن شيء من الريبة ومن نزاهته عنها (قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق) اى ثبت واستقر وقرئ حصحص على البناء للمفعول وهو من حصحص البعير اذا القى ثفناته للاناخة قال

فحصحص في صم الصفا ثفناته * وناء بسلمي نوءة ثم صمما

من انه هم بزليخا هما تواجد به لانه اذا صبر وتثبت فيما له ان لا يصبر فيه وهو الخروج من السجن مع ان

دأبا فما حصدتم فذروه فى سنبله الا قليلا مما تاكلون ثم ياتي من بعد ذلك سبع شداد ياكلن ما قدمتم لهن الا قليلا مما تحصنون ثم ياتي من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون وقال الملك ائتوني به فلما جاءه الرسول قال ارجع الى ربك فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ان ربي بكيدهن عليم قال ما خطبكن اذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين

الدواعي متوفرة على الخروج منه فلان يصبر فيما عليه ان يصبر فيه من الهم اولى واجدر والله اعلم

عاد كلامه قال وانما قال فاساله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولم يكشف له عن القصة ولا اوضحها له لان السؤال مجملا مما يهيج الملك على الكشف والبحث والاستعلام ويحصل البراءة له عليه السلام من ذلك والله الموفق

ولا

* قوله تعالى قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء قالت امرأة العزيز الآن حصحص الحق انا راودته عن نفسه وانه لمن الصادقين (قال لا مزيد على شهادتهن له بالبراءة واعترافهن على انفسهن الخ) قال احمد الصحيح من مذاهب اهل السنة تنزيه الانبياء عن الكبائر والصغائر جميعا وتتبع الآي المشعرة بوقوع الصغائر بالتاويل وذهب منهم طائفة مع القدرية الى تجويز الصغائر عليهم بشرط أن لا تكون منفرة والصحيح عندنا في قصة يوسف عليه السلام انه مبرأ عن الوقوع فيما يؤاخذ به وان الوقف عند قوله همت به ثم يبتدأ وهم بها لولا ان رأى برهان ربه كما تقول قتلت زيدا لولا انني اخاف الله فلا يكون الهم واقعا لوجود المانع منه وهو رؤية البرهان فان كان الزمخشري يعرض باهل السنة فقد بينا معتقدهم وان كان يعرض بالجبرة والحشوية حقيقة فشأنه واياهم * عاد كلامه (قال وقوله ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب الخ من كلام يوسف عليه السلام والمعنى ان ذلك الجد في ظهور البراءة ليعلم الخ) قال احمد وارادته لعموم الاحوال ادخل في تزيهه وادل على ان الغرض بهذا الكلام التواضع منه والتبرى

ذلك ليعلم اني لم اخنه بالغيب وان الله لا يهدي كيد الخائنين وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي

من تزكية النفس فهو ادل على هذا المعنى من حمله على الحادثة الخاصة والله اعلم * عاد كلامه (قال وقيل ذلك كله كلام امرأة العزيز اى ذلك الذى قلت الخ) قال احمد وانما يجرى الكلام على هذا الوجه اذا الجالية تحوج كقوله فماذا تامرون

ولا مزيدة على شهادتهن له بالبراءة والنزاهة واعترافهن على انفسهن بانه لم يتعلق بشيء مما قرفنه به لانهن خصومه واذا اعترف الخصم بان صاحبه على الحق وهو على الباطل لم يبق لاحد مقال وقالت المجبرة والحشوية نحن قد بقي لنا مقال ولا بد لنا من ان ندق في فروة من ثبتت نزاهته (ذلك ليعلم) من كلام يوسف اى ذلك التثبت والتشمر لظهور البراءة ليعلم العزيز (اني لم اخنه) بظهر الغيب في حرمته * ومحل (بالغيب) الحال من الفاعل او المفعول على معنى وانا غائب عنه خفى عن عينه او وهو غائب عنى خفي عن عيني ويجوز ان يكون ظرفا اى بمكان الغيب وهو الخفاء والاستتار وراء الابواب السبعة المغلقة (و) ليعلم (ان الله لا يهدي كيد الخائنين) لا ينفذه ولا يسدده وكأنه تعريض بامرأته في خيانتها امانة زوجها وبه في خيانته امانة الله حين ساعدها بعد ظهور الآيات على حبسه ويجوز ان يكون تاكيدا لامانته وانه لو كان خائنا لما هدى الله كيده ولا سدده * ثم اراد ان يتواضع لله ويهضم نفسه لئلا يكون لها مزكيا وبحالها في الامانة معجبا ومفتخرا كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وليبين ان ما فيه من الامانة ليس به وحده وانما هو بتوفيق الله ولطفه وعصمته فقال (وما ابرئ نفسي) من الزلل وما اشهد لها بالبراءة الكلية ولا ازكيها ولا يخلو اما ان يريد في هذه الحادثة لما ذكرنا من الهم الذى هو ميل النفس عن طريق الشهوة البشرية لا عن طريق القصد والعزم واما ان يريد عموم الاحوال (ان النفس لامارة بالسوء) اراد الجنس اى ان هذا الجنس يامر بالسوء ويحمل عليه بما فيه من الشهوات (الا ما رحم ربي) الا البعض الذى رحمه ربي بالعصمة كالملائكة ويجوز ان يكون ما رحم في معنى الزمان اى الا وقت رحمة ربي يعني انها امارة بالسوء في كل وقت واوان الا وقت العصمة ويجوز ان يكون استثناء منقطعا اى ولكن رحمة ربي هي التي تصرف الاساءة كقوله ولا هم ينقذون الا رحمة وقيل معناه ذلك ليعلم انى لم أخنه لان المعصية خيانة وقيل هو من كلام امرأة العزيز اى ذلك الذى قلت ليعلم يوسف اني لم اخنه ولم أكذب عليه في حال الغيبة وجئت بالصحيح والصدق فيما سئلت عنه وما ابرئ نفسي مع ذلك من الخيانة فاني قد خنته حين قرفته وقلت ما جزاء من أراد باهلك سوأ الا ان يسجن واودعته السجن تريد الاعتذار مما كان منها ان كل نفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي الا نفسا رحمها الله بالعصمة كنفس يوسف (ان ربي غفور رحيم) استغفرت ربها واسترحمته مما ارتكبت (فان قلت) كيف صح ان يجعل من كلام يوسف ولا دليل على ذلك (قلت) كفى بالمعنى دليلا قائدا الى ان يجعل من كلامه ونحوه قوله قال الملأ من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريد ان يخرجكم من ارضكم بسحره ثم قال فماذا تامرون وهو من كلام فرعون يخاطبهم ويستشيرهم وعن ابن جريج هذا من تقديم القرآن وتاخيره ذهب الى ان ذلك ليعلم متصل بقوله فاسأله ما بال النسوة اللاتي قطعن ايديهن ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة فزعموا

اذ لا يمكن جعله من قول الملأ بوجه فتعين ان يصرف الضمير عنه الى فرعون واما هذه الآية فهي تتلو قوله وانه لمن الصادقين الى ما قبل ذلك من الضمائر العائدة الى يوسف عليه السلام قطعا ولا ضرورة تدعو الى حمل الضمير في ليعلم على العزيز وجعله من كلام يوسف وقد تضمنته الآية المصدرة بقول زليخا وذلك قوله قالت امرأة العزيز وفي سياق الآية ما يرشد الى ان هذا القول جرى منها ويوسف عليه السلام بعد في السجن لم يحضر الى الملك وانما تحتمت براءته بقولها بعث يخرجه من السجن فذلك قوله وقال الملك ائتوني به استخلصه لنفسي * عاد كلامه (قال ولقد لفقت المبطلة روايات مصنوعة الخ) قال احمد ولقد صدق في التوريك على نقله هذه الزيادات بالبهت وذلك شان المبطلة من كل طائفة كما لفقت القدرية على قصة موسى حين طلب الرؤية وخر صعقا ان الملائكة جعلت تلكزه بارجلها وتقول يا ابن النساء الحيض طمعت في رؤية رب العزة كل ذلك ليتم لهم غرضهم في انه طلب لهم محالا في المعقول على الله تعالى ويحق الله الحق بكلماته ويبطل الباطل والله الموفق

ان يوسف حين قال اني لم اخنه بالغيب قال له جبريل ولا حين هممت بها وقالت له امرأة العزيز ولا حين حللت تكة سراويلك يا يوسف وذلك لتها لكهم على بهت الله ورسله * يقال استخلصه واستخصه اذا جعله خالصا لنفسه وخاصا به (فلما كلمه) وشاهد منه ما لم يحتسب (قال) ايها الصديق (انك اليوم لدينا مكين) ذو مكانة ومنزلة (أمين) مؤتمن على كل شيء روى ان الرسول جاءه فقال أجب الملك فخرج من السجن ودعا لاهله اللهم اعطف عليهم قلوب الاخيار ولا تعم عليهم الاخبار فهم اعلم الناس بالاخبار في الواقعات وكتب على باب السجن هذه منازل البلوى وقبور الاحياء وشماتة الاعداء وتجربة الاصدقاء ثم اغتسل وتنظف من درن السجن ولبس ثيابا جددا فلما دخل على الملك قال اللهم اني اسالك بخيرك من خيره وأعوذ بعزتك وقدرتك من شره ثم سلم عليه ودعا له بالعبرانية فقال ما هذا اللسان قال لسان آبائي وكان الملك يتكلم بسبعين لسانا فكلمه بها فاجابه بجميعها فتعجب منه وقال ايها الصديق اني احب ان اسمع رؤياي منك فقال رأيت بقرات فوصف لونهن واحوالهن ومكان خروجهن ووصف السنابل وما كان منها على الهيئة التي رآها الملك لا يخرم منها حرفا وقال له من حقك ان تجمع الطعام في الاهراء فياتيك الخلق من النواحي يمتارون منك ويجتمع لك من الكنوز ما لم يجتمع لاحد قبلك (اجعلني على خزائن الارض) ولني خزائن ارضك (اني حفيظ عليم) امين احفظ ما تستحفظنيه عالم بوجوه التصرف وصفا لنفسه بالامانة والكفاية اللتين هما طلبة الملوك ممن يولونه وانما قال ذلك ليتوصل الى امضاء احكام الله تعالى واقامة الحق وبسط العدل والتمكن مما لاجله تبعث الانبياء الى العباد ولعلمه ان احدا غيره لا يقوم مقامه في ذلك فطلب التولية ابتغاء وجه الله لا لحب الملك والدنيا وعن النبي صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي يوسف لو لم يقل اجعلني على خزائن الارض لاستعمله من ساعته ولكنه اخر ذلك سنة (فان قلت) كيف جاز ان يتولى عملا من يد كافر ويكون تبعا له وتحت امره وطاعته (قلت) روى مجاهد انه كان قد اسلم وعن قتادة هو دليل على انه يجوز ان يتولى الانسان عملا من يد سلطان جائر وقد كان السلف يتولون القضاء من جهة البغاة ويرونه واذا علم النبي او العالم انه لا سبيل الى الحكم بامر الله ودفع الظلم الا بتمكين الملك الكافر او الفاسق فله ان يستظهر به وقيل كان الملك يصدر عن رأيه ولا يعترض عليه في كل ما رأى فكان في حكم التابع له والمطيع (وكذلك) ومثل ذلك التمكين الظاهر (مكنا ليوسف) في ارض مصر روى انها كانت اربعين فرسخا في اربعين (يتبوأ منها حيث يشاء) قرىء بالنون والياء اى كل مكان اراد ان يتخذه منزلا ومتبوأ له لم يمنع منه لاستيلائه على جميعها ودخولها تحت ملكته وسلطانه روى ان الملك توجه وختمه بخاتمه ورداه بسيفه ووضع له سريرا من ذهب مكللا بالدر والياقوت وروى انه قال له اما السرير فاشد به ملكك واما الخاتم فادبر به امرك واما التاج فليس من لباسي ولا لباس آبائي فقال قد وضعته اجلالا لك واقرارا بفضلك فجلس على السرير ودانت له الملوك وفوض الملك اليه امره وعزل قطفير ثم مات بعد فزوجه الملك امرأته زليخا فلما دخل عليها قال اليس هذا خيرا مما طلبت فوجدها عذراء فولدت له ولدين افرائيم وميشا واقام العدل بمصر واحبته الرجال والنساء واسلم على يديه الملك وكثير من الناس وباع من اهل مصر في سني القحط الطعام بالدنانير والدراهم في السنة الاولى حتى لم يبق معهم شيء منها ثم بالحلي والجواهر ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى استرقهم جميعا فقالوا والله ما رأينا كاليوم ملكا اجل ولا اعظم منه فقال للملك كيف رايت صنع الله بي فيما خولني فما ترى قال الراي رايك قال فاني اشهد الله واشهدك اني اعتقت اهل مصر عن آخرهم ورددت عليهم املاكهم وكان لا يبيع من احد من الممتارين اكثر من حمل بعير تقسيطا بين الناس * واصاب ارض كنعان وبلاد الشام نحو ما اصاب ارض مصر فارسل يعقوب بنيه ليمتاروا واحتبس بنيامين (برحمتنا) بعطائنا في الدنيا من الملك والغنى وغيرهما من النعم (من نشاء) من اقتضت الحكمة ان نشاء له ذلك (ولا نضيع اجر المحسنين) ان نأجرهم في الدنيا (ولأجر الآخرة خير) لهم قال سفيان بن عيينة المؤمن يثاب على حسناته في الدنيا والآخرة والفاجر يعجل له الخير في الدنيا وماله في

فلما كلمه قال انك اليوم لدينا مكين أمين قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وكذلك مكنا ليوسف في الارض يتبوأ منها حيث يشاء نصيب برحمتنا من نشاء ولا نضيع اجر المحسنين. ولاجر الآخرة خير للذين آمنوا وكانوا يتقون وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون

الآخر من خلاق وتلا هذه الآية * لم يعرفوه لطول العهد ومفارقته اياهم فى سن الحداثة ولاعتقادهم انه قد
هلك ولذهابه عن اوهامهم لقلة فكرهم فيه واهتمامهم بشانه ولبعد حاله التى بلغها من الملك والسلطان عن
حاله التى فارقوه عليها طريحا فى البئر مشريا بدراهم معدودة حتى لو تخيل لهم انه هو لكذبوا أنفسهم وظنونهم
ولان الملك مما يبدل الزى و يلبس صاحبه من التهيب والاستعظام ماينكر له المعروف وقيل رأوه على زى
فرعون عليه ثياب الحرير جالسا على سرير في عنقه طوق من ذهب وعلى رأسه تاج فما خطر ببالهم انه هو
وقيل ماراوه الا من بعيد بينهم و بينه مسافة وحجاب وماوقفوا الا حيث يقف طلاب الحوائج وانما عرفهم
لانه فارقهم وهم رجال ورأى زيهم قريبا من زيهم اذذاك ولان همته كانت معقودة بهم و بمعرفتهم وكان يتامل
و يتفطن وعن الحسن ماعرفهم حتى تعرفوا له (ولما جهزهم بجهازهم) اى أصلحهم بعدتهم وهي عدة
السفر من الزاد ومايحتاج اليه المسافرون وأوقر ركائبهم بما جاؤا له من الميرة وقرئ بجهازهم بكسر الجيم (قال
ائتونى باخ لكم من ابيكم) لا بد من مقدمة سبقت له معهم حتى اجتر القول هذه المسئلة روى انه لما رآهم
وكلموه بالعبرانية قال لهم اخبرونى من انتم وماشانكم فانى انكركم قالوا نحن قوم من اهل الشام رعاة أصابنا
الجهد فجئنا نمتار فقال لعلكم جئتم عيونا تنظرون عورة بلادى قالوا معاذ الله نحن اخوة بنو أب واحد وهو شيخ
صديق نبي من الانبياء اسمه يعقوب قال كم انتم قالوا كنا اثنى عشر فهلك منا واحد قال فكم انتم ههنا قالوا
عشرة قال فاين الاخ الحادى عشر قالوا هو عند أبيه يتسلى به من الهالك قال فمن يشهد لكم انكم لستم بعيون
وان الذى تقولون حق قالوا انا ببلاد لا يعرفنا فيها احد فيشهد لنا قال فدعوا بعضكم عندى رهينة وائتونى
باخيكم من ابيكم وهو يحمل رسالة من ابيكم حتى اصدقكم فاقترعوا بينهم فاصابت القرعة شمعون وكان
احسنهم رأيا في يوسف فخلفوه عنده وكان قد احسن انزالهم وضيافتهم (ولا تقربون) فيه وجهان احدهما
ان يكون داخلا فى حكم الجزاء مجزوما عطفا على محل قوله فلا كيل لكم كانه قيل فان لم تاتونى به تحرموا ولا
تقربوا وان يكون بمعنى النهى (سنراود عنه أباه) سنخادعه عنه وسنجتهد ونحتال حتى ننتزعه من يده (وانا
لفاعلون) وانا لقادرون على ذلك لا نتعايابه اووانا لفاعلون ذلك لامحالة لانفرط فيه ولا نتوانى (لفتيته)
وقرئ لفتيانه وهما جمع فتى كاخوة واخوان فى اخ وفعلة للقلة وفعلان للكثرة اى لغلمانه الكيالين (لعلهم
يعرفونها) لعلهم يعرفون حق ردها وحق التكرم باعطاء البدلين (اذا انقلبوا الى اهلهم) وفرغوا ظروفهم
(لعلهم يرجعون) لعل معرفتهم بذلك تدعوهم الى الرجوع الينا وكانت بضاعتهم النعال والادم وقيل تخوف
ان لا يكون عند ابيه من المتاع مايرجعون به وقيل لم ير من الكرم ان ياخذ من ابيه واخواته ثمنا وقيل علم
ان ديانتهم تحملهم على رد البضاعة لا يستحلون امساكها فيرجعون لاجلها وقيل معنى لعلهم يرجعون
لعلهم يردونها (منع منا الكيل) يريدون قول يوسف فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى لانهم اذا انذروا
بمنع الكيل فقد منع الكيل (نكتل) نرفع المانع من الكيل ونكتل من الطعام مانحتاج اليه وقرئ يكتل
بمعنى يكتل اخونا فينضم اكتياله الى اكتيالنا او يكن سببا للاكتيال فان امتناعه بسببه (هل آمنكم عليه)
يريد انكم قلتم فى يوسف وانا له لحافظون كما تقولونه فى اخيه ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنى من مثل ذلك ثم قال
(فالله خير حافظا) فتوكل على الله فيه ودفعه اليهم وحافظا تمييز كقولك هو خيرهم رجلا ولله دره فارسا ويجوز
ان يكون حالا وقرئ حفظا وقرا الاعمش فالله خير حافظ وقرا ابوهريرة خير الحافظين (وهو ارحم
الراحمين) فارجو ان ينعم علىّ بحفظه ولا يجمع على مصيبتين * وقرئ ردت الينا بالكسر على ان كسرة
الدال المدغمة نقلت الى الراء كما فى قيل و بيع وحكي قطرب ضرب زيد على نقل كسرة الراء فيمن سكنها الى
الضاد (ما نبغى) للنفى اى ما نبغى فى القول وما نتزيد فيما وصفنا لك من احسان الملك واكرامه وكانوا قالوا انا
قدمنا على خير رجل انزلنا واكرمنا كرامة لو كان رجلا من آل يعقوب ما اكرمنا كرامته اوما نبتغي شيئا وراء
مافعل بنا من الاحسان او على الاستفهام بمعنى اى شىء نطلب وراء هذا وفى قراءة ابن مسعود ما تبغي بالتاء
على مخاطبة يعقوب معناه اى شىء تطلب وراء هذا من الاحسان او من الشاهد على صدقنا وقيل معناه مانريد

ولما جهزهم بجهازهم قال ائتوني باخ لكم من ابيكم الا ترون انى اوف الكيل وانا خير المنزلين فان لم تاتونى به فلا كيل لكم عندى ولا تقربون قالوا سنراود عنه اباه وانا لفاعلون وقال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم لعلهم يعرفونها اذا انقلبوا الى اهلهم لعلهم يرجعون فلما رجعوا الى أبيهم قالوا يا آبانا منع منا الكيل فارسل معنا اخانا نكتل وانا له لحافظون قال هل آمنكم عليه الا كما أمنتكم على اخيه من قبل فالله خير حافظا وهو ارحم الراحمين ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت اليهم قالوا يا آبانا مانبغى

---

*قوله تعالى وجاء اخوة يوسف فدخلوا عليه فعرفهم وهم له منكرون (قال انما انكروه لبعد العهد وتغيير الصورة الخ) قال احمد وتوارد القادمين فى دخولهم عليه ومعرفته لهم عند ذلك تدل على ان مجرد دخولهم عليه استعقبته المعرفة بلامهلة والله اعلم

هـذه بضاعتنا ردت الينا ونمير اهلنا ونحفظ اخانا ونزداد كيل بعير ذلك كيل يسير قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله لتأتنني به الا ان يحاط بكم فلما آتوه موثقهم قال الله على مانقول وكيل وقال يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة وما اغني عنكم من الله من شيء

منك بضاعة اخرى وقوله (هذه بضاعتنا ردت الينا) جملة مستانفة موضحة لقوله ما نبغي والجمل بعدها معطوفة عليها على معنى ان بضاعتنا ردت الينا فنستظهر بها (ونمير اهلنا) في رجوعنا الى الملك (ونحفظ أخانا) فما يصيبه شيء مما تخافه ونزداد باستصحاب أخينا وسق بعير زائدا على اوساق اباعرنا فاي شيء نبتغي وراء هذه المباغي التي نستصلح بها احوالنا ونوسع ذات ايدينا وانما قالوا (ونزداد كيل بعير) لما ذكرنا انه كان لا يزيد للرجل على حمل بعير للتقسيط (فان قلت) هذا اذا فسرت البغي بالطلب فاما اذا فسرته بالكذب والتزيد في القول كانت الجملة الاولى وهي قوله هذه بضاعتنا ردت الينا بيانا لصدقهم وانتفاء التزيد عن قيلهم فم تصنع بالجمل البواقي (قلت) اعطفها على قوله ما نبغي على معنى لا نبغي فيما نقول ونمير اهلنا ونفعل كيت وكيت ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ كقولك وينبغي ان نمير اهلنا كما تقول سعيت في حاجة فلان واجتهدت في تحصيل غرضه ويجب ان أسعى وينبغي لي ان لا اقصر ويجوز ان يراد ما نبغي وما ننطق الا بالصواب فيما نشير به عليك من تجهيزنا مع اخينا ثم قالوا هذه بضاعتنا نستظهر بها ونمير اهلنا ونفعل ونصنع بيانا لانهم لا يبغون في رأيهم وانهم مصيبون فيه وهو وجه حسن واضح (ذلك كيل يسير) اي ذلك مكيل قليل لا يكفينا يعنون ما يكال لهم فارادوا ان يزدادوا اليه ما يكال لاخيهم او يكون ذلك اشارة الى كيل بعير اي ذلك الكيل شيء قليل يجيبنا اليه الملك ولا يضايقنا فيه او سهل عليه متيسر لا يتعاظمه ويجوز ان يكون من كلام يعقوب وان حمل بعير واحد شيء يسير لا يخاطر لمثله بالولد كقوله ذلك ليعلم (لن أرسله معكم) منافي لحالي وقد رايت منكم ما رأيت ارساله معكم (حتى تؤتون موثقا من الله) حتى تعطوني ما اتوثق به من عند الله اراد ان يحلفوا له بالله وانما جعل الحلف بالله موثقا منه لان الحلف به مما تؤكد به العهود وتشدد وقد اذن الله في ذلك فهو اذن منه (لتأتنني به) جواب اليمين لان المعنى حتى تحلفوا لتأتنني به (الا ان يحاط بكم) الا ان تغلبوا فلم تطيقوا الاتيان به او الا ان تهلكوا (فان قلت) اخبرني عن حقيقة هذا الاستثناء ففيه اشكال (قلت) ان يحاط بكم مفعول له والكلام المثبت الذي هو قوله لتأتنني به في تأويل النفي معناه لا تمتنعون من الاتيان به الا للاحاطة بكم اي لا تمتنعون منه لعلة من العلل الا لعلة واحدة وهي ان يحاط بكم فهو استثناء من اعم العام في المفعول له والاستثناء من اعم العام لا يكون الا في النفي وحده فلا بد من تأويله بالنفي ونظيره من الاثبات المتاول بمعنى النفي قولهم اقسمت بالله لما فعلت والا فعلت تريد ما اطلب منك الا الفعل (على ما نقول) من طلب الموثق واعطائه (وكيل) رقيب مطلع * وانما نهاهم ان يدخلوا من باب واحد لانهم كانوا ذوي بهاء وشورة حسنة اشتهرهم اهل مصر بالقربة عند الملك والتكرمة الخاصة التي لم تكن لغيرهم فكانوا مظنة لطموح الابصار اليهم من بين الوفود وان يشار اليهم بالاصابع ويقال هؤلاء اضياف الملك انظروا اليهم ما احسنهم من فتيان وما احقهم بالاكرام لامر ما اكرمهم الملك وقربهم وفضلهم على الوافدين عليه فخاف لذلك ان يدخلوا كوكبة واحدة فيعانوا لجمالهم وجلالة امرهم في الصدور فيصيبهم ما يسوءهم ولذلك لم يوصهم بالتفرق في الكرة الاولى لانهم كانوا مجهولين مغمورين بين الناس (فان قلت) هل للاصابة بالعين وجه تصح عليه (قلت) يجوز ان يحدث الله عز وجل عند النظر الى الشيء والاعجاب به نقصانا فيه وخللا من بعض الوجوه ويكون ذلك ابتلاء من الله وامتحانا لعباده ليتميز المحققون من اهل الحشو فيقول المحقق هذا فعل الله ويقول الحشوي هو اثر العين كما قال تعالى وما جعلنا عدتهم الا فتنة للذين كفروا الآية وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يعوذ الحسن والحسين فيقول اعيذكما بكلمات الله التامة من كل عين لامة ومن كل شيطان وهامة (وما اغني عنكم من الله من شيء) يعني ان اراد الله

*قوله تعالى قال لن ارسله معكم حتى تؤتون موثقا من الله (قال معناه أن ارساله معكم مناف الخ) قال احمد لن للنفي المؤكد واما قول الزمخشري في المنافاة له فلهوراء ذلك غرض انما يطلع عليه من قتل كلامه علما وذلك انه اعتمد في احالة الرؤية على الله تعالى على ان قوله تعالى لن تراني معناه ان الرؤية منافية لحالي وجعل هذه المنافاة من مقتضي لن ثم التزم ذلك في هذه اللفظة حيثما وقعت كل ذلك لتمرن الاذهان على ان هذا مقتضى لن وقد سبق وجه الرد عليه في ذلك * عاد كلامه (قال وقوله لتأتنني به الا ان يحاط بكم معناه الا ان تغلبوا فلا تطيقوا الاتيان الخ) قال احمد وانما اختص هذا النوع من الاستثناء بالنفي لان المستثنى منه مسكوت عنه والنفي عام اذ يلزم من نفي الاتيان مثلا نفي جميع العوارض اللاحقة به ضرورة فكانه لعمومه مقرون بذكر المستثنى منه ولا كذلك الاثبات فانه لا اشعار له بعموم الاحوال لانه لا يتوقف الا على احدها والله اعلم ولقد صدقت هذه القصة المثل السائر وهو قولهم البلاء موكل بالمنطق فان يعقوب عليه السلام قال اولا في حق يوسف واخاف ان يأكله الذئب فابتلي من ناحية هذا القول وقال هاهنا ثانيا الا ان يحاط بكم اي تغلبوا عليه فابتلي ايضا بذلك واحيط بهم وغلبوا عليه

بكم سوأ لم ينفعكم ولم يدفع عنكم ما اشرت به عليكم من التفرق وهو مصيبكم لا محالة (ان الحكم الا لله) ثم قال
(ولما دخلوا من حيث امرهم ابوهم) اى متفرقين (ما كان يغني عنهم) رأى يعقوب ودخولهم متفرقين شيئا
قط حيث اصابهم ما ساءهم مع تفرقهم من اضافة السرقة اليهم وافتضاحهم بذلك واخذ اخيهم بوجدان
الصواع فى رحله وتضاعف المصيبة على ابيهم (الا حاجة) استثناء منقطع على معنى ولكن حاجة (فى نفس
يعقوب قضاها) وهى شفقته عليهم واظهارها بما قاله لهم ووصاهم به (وانه لذو علم) يعني قوله وما اغنى عنكم
وعلمه ان القدر لا يغنى عنه الحذر (آوى اليه اخاه) ضم اليه بنيامين وروى انهم قالوا له هذا اخونا قد جئناك
به فقال لهم احسنتم واصبتم وستجدون ذلك عندى فانزلهم واكرمهم ثم اضافهم واجلس كل اثنين منهم على
مائدة فبقي بنيامين وحده فبكى وقال لو كان اخي يوسف حيا لاجلسني معه فقال يوسف بقي اخوكم وحيدا
فاجلسه معه على مائدته وجعل يواكله وقال انتم عشرة فلينزل كل اثنين منكم بيتا وهذا لا ثانى له فيكون معى
فبات يوسف يضمه اليه ويشم رائحته حتى اصبح وسأله عن ولده فقال لى عشرة بنين اشتققت اسماءهم من
اسم اخ لى هالك فقال له اتحب ان اكون اخاك بدل اخيك الهالك قال من يجد اخا مثلك ولكن لم يلدك يعقوب ولا
راحيل فبكى يوسف وقام اليه وعانقه وقال له (اني انا اخوك) يوسف (فلا تبتئس) فلا تحزن (بما كانوا
يعملون) بنا فيما مضى فان الله قد احسن الينا وجمعنا على خير ولا تعلمهم بما اعلمتك وعن ابن عباس تعرف
اليه وعن وهب انما قال له انا اخوك بدل اخيك المفقود فلا تبتئس بما كنت تلقى منهم من الحسد والاذى
فقد امنتهم وروى انه قال له فانا لا افارقك قال قد علمت اغتمام والدى بى فاذا حبستك ازداد غمه ولا سبيل الى
ذلك الا ان انسبك الى ما لا يجمل قال لا ابالى فافعل ما بدا لك قال فانى ادس صاعي فى رحلك ثم انادى عليك
بانك قد سرقته ليتهيأ لى ردك بعد تسريحك معهم قال افعل (السقاية) مشربة يسقى بها وهى الصواع قيل
كان يسقى بها الملك ثم جعلت صاعا يكال به وقيل كانت الدواب تسقى بها ويكال بها وقيل كانت اناء
مستطيلا يشبه المكوك وقيل هي المكوك الفارسى الذى يلتقي طرفاه تشرب به الاعاجم وقيل كانت من
فضة مموهة بالذهب وقيل كانت من ذهب وقيل كانت مرصعة بالجواهر (ثم أذن مؤذن) ثم نادى مناد يقال
آذنه اعلمه وأذن اكثر الاعلام ومنه المؤذن لكثرة ذلك منه روى انهم ارتحلوا وامهلهم يوسف حتى انطلقوا
ثم امر بهم فادركوا وحبسوا ثم قيل لهم ذلك * والعير الابل التى عليها الاحمال لانها تعير اى تذهب وتجيء وقيل
هي قافلة الحمير ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير كانها جمع عير واصلها فعل كسقف وسقف فعل به ما فعل
ببيض وعيد والمراد اصحاب العير كقوله يا خيل الله اركبي * وقرأ ابن مسعود وجعل السقاية على حذف
جواب لما كانه قيل فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية فى رحل اخيه امهلهم حتى انطلقوا ثم اذن مؤذن
* وقرأ ابو عبد الرحمن السلمى تفقدون من افقدته اذا وجدته فقيدا * وقرئ صواع وصاع وصوع وصوع
بفتح الصاد وضمها والعين معجمة وغير معجمة (وانا به زعيم) يقوله المؤذن يريد وانا بحمل البعير كفيل اؤديه
الى من جاء به واراد وسق بعير من طعام جعلا لمن حصله (تالله) قسم فيه معنى التعجب مما اضيف اليهم وانما
قالوا لقد علمتم فاستشهدوا بعلمهم لما ثبت عندهم من دلائل دينهم وامانتهم فى كرتي مجيئهم ومداخلتهم للملك
ولانهم دخلوا وافواه رواحلهم مكمومة لئلا تتناول زرعا او طعاما لاحد من اهل السوق ولانهم ردوا بضاعتهم
التى وجدوها فى رحالهم (وما كنا سارقين) وما كنا قط نوصف بالسرقة وهي منافية لحالنا (فما جزاؤه) الضمير
للصواع اى فما جزاء سرقته (ان كنتم كاذبين) فى جحودكم وادعائكم البراءة منه (قالوا جزاؤه من وجد فى
رحله) اى جزاء سرقته اخذ من وجد فى رحله وكان حكم السارق فى آل يعقوب ان يسترق سنة فلذلك
استفتوا فى جزائه وقولهم (فهو جزاؤه) تقرير للحكم اى فاخذ السارق نفسه وهو جزاؤه لا غير كقولك حق
زيد ان يكسى ويطعم وينعم عليه فذلك حقه اى فهو حقه لتقرر ما ذكرته من استحقاقه وتلزمه ويجوز ان
يكون جزاؤه مبتدأ والجملة الشرطية كما هي خبره على اقامة الظاهر فيها مقام المضمر والاصل جزاؤه من وجد فى
رحله فهو هو فوضع الجزاء موضع هو كما تقول لصاحبك من اخو زيد فيقول لك اخوه من يقعد الى جنبه فهو هو

ان الحكم الا لله عليه
توكلت وعليه فليتوكل
المتوكلون ولما دخلوا
من حيث امرهم ابوهم
ما كان يغني عنهم من
الله من شيء الا حاجة فى
نفس يعقوب قضاها
وانه لذو علم لما علمناه
ولكن اكثر الناس
لا يعلمون ولما دخلوا على
يوسف آوى اليه اخاه
قال اني انا اخوك فلا
تبتئس بما كانوا يعملون
فلما جهزهم بجهازهم جعل
السقاية فى رحل اخيه
ثم أذن مؤذن ايتها العير
انكم لسارقون قالوا
واقبلوا عليهم ماذا تفقدون
قالوا نفقد صواع الملك
ولمن جاء به حمل بعير وانا
به زعيم قالوا تالله لقد
علمتم ما جئنا لنفسد
فى الارض وما كنا سارقين
قالوا فما جزاؤه ان كنتم
كاذبين قالوا جزاؤه من
وجد فى رحله فهو جزاؤه
كذلك نجزى الظالمين

يرجع الضمير الاول الى من والثاني الى الاخ ثم تقول فهو اخوه مقيما للمظهر مقام المضمر و يحتمل ان يكون جزاؤه خبر مبتدا محذوف اى المسؤل عنه جزاؤه ثم افتوا بقولهم من وجد فى رحله فهو جزاؤه كما يقول من يستفتي فى جزاء صيد المحرم جزاء صيد المحرم ثم يقول ومن قتله منكم متعمدا فجزاء مثل ماقتل من النعم (فبدأ باوعيتهم) قيل قال لهم من وكل بهم لا بد من تفتيش اوعيتكم فانصرف بهم الى يوسف فبدأ بتفتيش اوعيتهم قبل وعاء بنيامين لنفي التهمة حتى بلغ وعاءه فقال ما اظن هذا اخذ شيئا فقالوا والله لا نتركه حتى ننظر فى رحله فانه اطيب لنفسك وانفسنا فاستخرجوه منه * وقرأ الحسن وعاء اخيه بضم الواو وهى لغة وقرأ سعيد بن جبير اعاء اخيه بقلب الواو همزة (فان قلت) لم ذكر ضمير الصواع مرات ثم انثه (قلت) قالوا رجع بالتانيث على السقاية او انث الصواع لانه يذكر و يؤنث ولعل يوسف كان يسميه سقاية وعبيده صواعا فقد وقع فيما يتصل به من الكلام سقاية وفيما يتصل بهم منه صواعا (كذلك كدنا) مثل ذلك الكيد العظيم كدنا (ليوسف) يعني علمناه اياه واوحينا به اليه (ما كان لياخذ اخاه في دين الملك) تفسير للكيد و بيان له لانه كان فى دين ملك مصر وما كان يحكم به فى السارق ان يغرم مثلي ما اخذ لا ان يلزم و يستعبد (الا ان يشاء الله) اى ما كان ياخذه الا بمشيئة الله واذنه فيه (نرفع درجات من نشاء) فى العلم كما رفعنا درجة يوسف فيه وقرئ يرفع بالياء ودرجات بالتنوين (وفوق كل ذى علم عليم) فوقه ارفع درجة منه فى علمه او وفوق العلماء كلهم عليم هم دونه فى العلم وهو الله عز وعلا (فان قلت) ما اذن الله فيه يجب ان يكون حسنا فمن اى وجه حسن هذا الكيد وما هو الا بهتان وتسريق لمن لم يسرق وتكذيب لمن لم يكذب وهو قوله انكم لسارقون فما جزاؤه ان كنتم كاذبين (قلت) هو فى صورة البهتان و ليس ببهتان فى الحقيقة لان قوله انكم لسارقون تورية عما جرى مجرى السرقة من فعلهم بيوسف وقيل كان ذلك القول من المؤذن لا من يوسف وقوله ان كنتم كاذبين فرض لانتفاء براءتهم وفرض التكذيب لا يكون تكذيبا على انه لو صرح لهم بالتكذيب كما صرح لهم بالتسريق لكان له وجه لانهم كانوا كاذبين في قولهم وتركنا يوسف عند متاعنا فاكله الذئب هذا وحكم هذا الكيد حكم الحيل الشرعية التي يتوصل بها الى مصالح ومنافع دينية كقوله تعالى لايوب عليه السلام وخذ بيدك ضغثا ليتخلص من جلدها ولا يحنث وكقول ابراهيم عليه السلام هى اختى لتسلم من يد الكافر وما الشرائع كلها الا مصالح وطرق الى التخلص من الوقوع فى المفاسد وقد علم الله تعالى فى هذه الحيلة التي لقنها يوسف مصالح عظيمة فجعلها سلما وذريعة اليها فكانت حسنة جميلة وانزاحت عنها وجوه القبح لما ذكرنا (اخ له) ارادوا يوسف روى انهم لما استخرجوا الصاع من رحل بنيامين نكس اخوته رؤسهم حياء واقبلوا عليه وقالوا له ما الذى صنعت فضحتنا وسودت وجوهنا يابني راحيل ما يزال لنا منكم بلاء متى اخذت هذا الصاع فقال بنو راحيل الذين لا يزال منكم عليهم البلاء ذهبتم باخي فاهلكتموه ووضع هذا الصواع فى رحلي الذى وضع البضاعة في رحالكم * واختلف فيما اضافوا الى يوسف من السرقة فقيل كان اخذ فى صباه صنما لجده ابى امه فكسره والقاه بين الجيف فى الطريق وقيل دخل كنيسة فاخذ تمثالا صغيرا من ذهب كانوا يعبدونه فدفنه وقيل كانت فى المنزل عناق او دجاجة فاعطاها السائل وقيل كانت لابراهيم عليه السلام منطقة يتوارثها اكابر ولده فورثها اسحق ثم وقعت الى ابنته وكانت اكبر اولاده فحضنت يوسف وهي عمته بعد وفاة امه وكانت لا تصبر عنه فلما شب اراد يعقوب ان ينتزعه منها فعمدت الى المنطقة فحزمتها على يوسف تحت ثيابه وقالت فقدت منطقة اسحق فانظروا من اخذها فوجدوها محزومة على يوسف فقالت انه لى سلم افعل به ماشئت فخلاه يعقوب عندها حتى ماتت (فاسرها) اضمار على شريطة التفسير تفسيره (انتم شر مكانا) وانما انث لان قوله انتم شر مكانا جملة او كلمة على تسميتهم الطائفة من الكلام كلمة كانه قيل فاسر الجملة او الكلمة التي هى قوله انتم شر مكانا والمعنى قال فى نفسه انتم شر مكانا لان قوله قال انتم شر مكانا بدل من اسرها وفى قراءة ابن مسعود فاسره على التذكير يريد القول او الكلام ومعنى انتم شر مكانا انتم شر منزلة فى السرق لانكم سارقون بالصحة لسرقتكم اخاكم من ابيكم (والله أعلم بما تصفون) يعلم انه لم يصح لى ولا لاخي سرقة

فبدأ باوعيتهم قبل وعاء اخيه ثم استخرجها من وعاء اخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله نرفع درجات من نشاء وفوق كل ذى علم عليم قالوا ان يسرق فقد سرق اخ له من قبل فاسرها يوسف في نفسه ولم يبدها لهم قال انتم شر مكانا والله اعلم بما تصفون قالوا يا أيها العزيز ان له أبا شيخا كبيرا

* قوله تعالى وماشهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين (قال فمعناه وماشهدنا عليه بالسرقة الا بما علمناه من سرقته الخ) قال احمد اما ان يكون مقتضى شرعهم حينئذ ان مجرد وجود الشيء بيد المدعي عليه بعد انكاره يوجب له احكام السارق فيكون العلم على ظاهره اذا واما ان لا يكون كذلك فهذا القدر من مجرد وجوده فى رحله لا يوجب علم كونه سارقا وغايته ان يفيد ظنا بينا فيكون المراد بالعلم ههنا الظن وقد ورد مثله ويكون قولهم وما كنا للغيب حافظين تنبيها على ان مستندهم فيما قالوه ظن بمقتضى ظاهر الحال وأما كشف باطن الامر الموجب للعلم فليسوا يدعونه عليه * عاد كلامه (قال وقولهم وما كنا للغيب حافظين معناه وماعلمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق الخ) قال احمد وانما تلتئم القراءتان على التاويل الذى ذكرته وهو انهم انما اضافوا اليه السرقة ظنا بمقتضي ظاهر الحال واحترزوا ان يعتقد انهم علموا ذلك حقيقة فقالوا وما كنا للغيب حافظين فالقراءتان على التاويل المذكور يقتضيان تبرئهم من دعوى العلم الجازم عليه واما على غيره من التاويلات المذكورة فلا تنتظم القراءتان لان مقتضي الاولى الجزم عليه بالسرقة علما ومقتضى الثانية التبرى من الجزم والله اعلم

فخذ احدنا مكانه انا نراك من المحسنين قال معاذ الله ان ناخذ الا من وجدنا متاعنا عنده انا اذا لظالمون فلما استيئسوا منه خلصوا نجيا قال كبيرهم الم تعلموا ان اباكم قد اخذ عليكم موثقا من الله ومن قبل ما فرطتم فى يوسف فلن ابرح الارض حتي ياذن لى ابي او يحكم الله لى وهو خير الحاكمين ارجعوا الى ابيكم فقولوا ياابانا ان ابنك سرق وماشهدنا الا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين واسئل القرية التى كنا فيها والعير التى اقبلنا فيها وانا لصادقون قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل عسى الله ان ياتيني

وليس الامر كما تصفون * استعطفوه باذ كارهم اياه حق ابيهم يعقوب وانه شيخ كبير السن او كبير القدر وان بنيامين احب اليه منهم وكانوا قد اخبروه بان ولداله قد هلك وهو عليه ثكلان وانه مستانس باخيه (فخذ احدنا مكانه) فخذه بدله على وجه الاسترهان او الاستبعاد (انا نراك من المحسنين) الينا فاتمم احسانك او من عادتك الاحسان فاجر على عادتك ولا تغيرها (معاذ الله) هو كلام موجه ظاهره انه وجب على قضية فتواكم اخذ من وجد الصواع فى رحله واستبعاده فلو اخذنا غيره كان ذلك ظلما في مذهبكم فلم تطلبون ماعرفتم انه ظلم وباطنه ان الله امرني واوحى الى باخذ بنيامين واحتباسه لمصلحة او لمصالح جمة علمها فى ذلك فلو اخذت غير من امرنى باخذه كنت ظالما وعاملا على خلاف الوحي ومعنى معاذ الله (ان ناخذ) نعوذ بالله معاذا من ان ناخذ فاضيف المصدر الى المفعول به وحذف من و (اذا) جواب لهم وجزاء لان المعنى ان اخذنا بدله ظلمنا (استياسوا) يئسوا وزيادة السين والتاء فى المبالغة نحو مامر فى استعصم * والنجى على معنيين يكون بمعنى المناجي كالعشير والسمير بمعنى المعاشر والمسامر ومنه قوله تعالى وقربناه نجيا وبمعنى المصدر الذي هو التناجي كما قيل النجوى بمعناه ومنه قيل قوم نجى كما قيل واذهم نجوى تنزيلا للمصدر منزلة الاوصاف ويجوز ان يقال هم نجي كما قيل هم صديق لانه بزنة المصادر وجمع انجية قال * اني اذا ما القوم كانوا انجيه * ومعنى (خلصوا) اعتزلوا وانفردوا عن الناس خالصين لا يخالطهم سواهم (نجيا) ذوى نجوى او فوجا نجيا اى مناجيا لمناجاة بعضهم بعضا واحسن منه انهم تمحضوا تناجيا لاستجماعهم لذلك وافاضتهم فيه بجد واهتمام كانهم فى انفسهم صورة التناجي وحقيقته وكان تناجيهم فى تدبير امرهم على اى صفة يذهبون وماذا يقولون لابيهم فى شان اخيهم كقوم تعايوا بما دهمهم من الخطب فاحتاجوا الى التشاور (كبيرهم) فى السن وهو روبيل وقيل رئيسهم وهو شمعون وقيل كبيرهم فى العقل والرأى وهو يهوذا (ما فرطتم فى يوسف) فيه وجوه ان تكون ما صلة اى ومن قبل هذا قصرتم فى شان يوسف ولم تحفظوا عهد ابيكم وان تكون مصدرية على ان محل المصدر الرفع على الابتداء وخبره الظرف وهو من قبل ومعناه ووقع من قبل تفريطكم فى يوسف او النصب عطفا على مفعول ألم تعلموا وهو ان اباكم كانه قيل الم تعلموا اخذ ابيكم عليكم موثقا وتفريطكم من قبل فى يوسف وان تكون موصولة بمعنى ومن قبل هذا ما فرطتموه اى قدمتموه فى حق يوسف من الجناية العظيمة ومحله الرفع او النصب على الوجهين (فلن ابرح الارض) فلن افارق ارض مصر (حتى ياذن لى ابى) فى الانصراف اليه (او يحكم الله لى) بالخروج منها او بالانتصاف ممن اخذ اخى او بخلاصه من يده بسبب من الاسباب (وهو خير الحاكمين) لانه لا يحكم ابدا الا بالعدل والحق * وقرئ سرق اى نسب الى السرقة (وماشهدنا) عليه بالسرقة (الا بما علمنا) من سرقته وتيقناه لان الصواع استخرج من وعائه ولا شيء ابين من هذا (وما كنا للغيب حافظين) وماعلمنا انه سيسرق حين اعطيناك الموثق او ماعلمنا انك تصاب به كما اصبت بيوسف ومن قرأ سرق فمعناه وماشهدنا الا بقدر ماعلمنا من التسريق وما كنا للغيب للامر الخفى حافظين أسرق بالصحة ام دس الصاع فى رحله ولم يشعر (القرية التي كنا فيها) هى مصر اى ارسل الى اهلها فسلهم عن كنه القصة (والعير التى اقبلنا فيها) واصحاب العير وكانوا قوما من كنعان من جيران يعقوب وقيل من اهل صنعاء * معناه فرجعوا الى ابيهم فقالوا له ما قال لهم اخوهم ف(قال بل سولت لكم انفسكم

* قوله تعالى بل سولت لكم انفسكم امرا (قال معناه ان هذا شيء اردتموه الخ) قال أحمد وهذا من الزمخشري اسلاف جواب عن سؤال كان قائلا يقول هم في الوقعة الاولى سولت لهم انفسهم امرا بلا مراء واما في هذه الوقعة الثانية فلم يتعمدوا في حق بنيامين سوأ ولا اخبروا أباهم الا بالواقع على جليته وما تركوه بمصر الا مغلوبين عن استصحابه فما وجه قوله ثانيا بل سولت لكم انفسكم امرا كما قال لهم اولا واذا ورد السؤال على هذا التقرير ٤٨٢ فلا بد من زيد بسط في الجواب فنقول كانوا عند يعقوب عليه السلام حينئذ متهمين وهم قمن باتهامه لما أسلفوه في حق يوسف عليه السلام وقامت عنده قرينة تؤكد التهمة وتقويها وهي اخذ الملك له في السرقة ولم يكن ذلك الا من دين يعقوب وحده لا من دين غيره من الناس ولا من عادتهم والى ذلك وقعت الاشارة بقوله تعالى ماكان لياخذ اخاه في دين الملك تنبيها من الله تعالى على وجه اتهام يعقوب لهم فعلم ان الملك انما فعل ذلك بفتواهم له به وظن انهم افتوه بذلك بعد ظهور السرقة تعمدا ليتخلف أخوهم وكان الواقع انهم استفتوا من قبل ان يدعى عليهم السرقة فذكروا ماعندهم ولم يشعروا ان المقصود الزامهم بما قالوا واتهام من هو بحيث تتطرق التهمة اليه لا حرج فيه وخصوصا فيما يرجع حرضا الى الوالد من الولد ويحتمل والله اعلم ان يكون الوجه الذي سوغ له هذا القول في حقهم انهم جعلوا بمجرد وجود الصواع في رحل من يوجد في رحله سرقة من غير ان يحيلوا الحكم على ثبوت كونه سارقا بوجه معلوم وهذا في شرعنا لا يثبت السرقة على من ادعيت عليه فان كان شرعهم مثل شرعنا في ذلك ففتواهم اذا غير محررة وهو اشعار بانهم كانوا حراصا على ثبوت السرقة عليه ويؤكد ذلك قولهم ان يسرق فقد سرق أخ له من قبل يؤكدون بذلك ثبوت السرقة عليه والله اعلم وقوله لهم بل سولت لكم انفسكم امرا واقع بمكانه من حالهم وان كان شرعهم يقتضي ذلك مخالفا لشرعنا فالعمدة على الجواب الاول والله المستعان

بهم جميعا انه هو العليم الحكيم وتولى عنهم وقال ياأسفى على يوسف وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم قالوا تالله تفتؤا تذكر يوسف حتي تكون

امرا) اردتموه والا فما ادرى ذلك الرجل ان السارق يؤخذ بسرقته لولا فتواكم وتعليمكم (بهم جميعا) بيوسف وأخيه وروبيل اوغيره (انه هو العليم) بحالي في الحزن والاسف (الحكيم) الذي لم يبتلني بذلك الا لحكمة ومصلحة (وتولى عنهم) واعرض عنهم كراهة لما جاؤا به (ياأسفى) أضاف الاسف وهو اشد الحزن والحسرة الى نفسه والالف بدل من ياء الاضافة والتجانس بين لفظتي الاسف ويوسف مما يقع مطبوعا غير متعمل فيملح ويبدع ونحوه اثاقلتم الى الارض أرضيتم وهم ينهون عنه وينأون عنه يحسبون انهم يحسنون من سبا بنبا وعن النبي صلى الله عليه وسلم لم تعط امة من الامم انا لله وانا اليه راجعون عند المصيبة الا امة محمد صلى الله عليه وسلم الا ترى الى يعقوب حين اصابه ما اصابه لم يسترجع وانما قال ياأسفي (فان قلت) كيف تاسف على يوسف دون اخيه ودون الثالث والرزء الاحدث اشد على النفس واظهر أثرا (قلت) هو دليل على تمادى اسفه على يوسف وانه لم يقع فائت عنده موقعه وان الرزء فيه مع تقادم عهده كان غضا عنده طريا ولم تنسني اوفى المصيبات بعده ولان الرزء في يوسف كان قاعدة مصيباته التي ترتبت عليها الرزايا في ولده فكان الاسف عليه أسفا على من لحق به (وابيضت عيناه) اذا كثر الاستعبار محقت العبرة سواد العين وقلبته الى بياض كدر قيل قد عمي بصره وقيل كان يدرك ادراكا ضعيفا * قرئ من الحزن ومن الحزن الحزن كان سبب البكاء الذي حدث منه البياض فكانه حدث من الحزن قيل ما جفت عينا يعقوب من وقت فراق يوسف الى حين لقائه ثمانين عاما وما على وجه الارض أكرم على الله من يعقوب وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه سال جبريل عليه السلام ما بلغ من وجد يعقوب على يوسف قال وجد سبعين ثكلى قال فما كان له من الاجر قال اجر مائة شهيد وما ساء ظنه بالله ساعة قط (فان قلت) كيف جاز لنبي الله ان يبلغ به الجزع ذلك المبلغ (قلت) الانسان مجبول على ان لا يملك نفسه عند الشدائد من الحزن ولذلك حمد صبره وان يضبط نفسه حتى لا يخرج الى ما لا يحسن ولقد بكي رسول الله صلى الله عليه وسلم على ولده ابراهيم وقال القلب يجزع والعين تدمع ولا نقول ما يسخط الرب وانا عليك يا ابراهيم لمحزونون وانما الجزع المذموم ما يقع من الجهلة من الصياح والنياحة ولطم الصدور والوجوه وتمزيق الثياب وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه بكي على ولد بعض بناته وهو يجود بنفسه فقيل يارسول الله تبكى وقد نهيتنا عن البكاء فقال ما نهيتكم عن البكاء وانما نهيتكم عن صوتين أحمقين صوت عند الفرح وصوت عند الترح وعن الحسن انه بكي على ولد أو غيره فقيل له في ذلك فقال ما رأيت الله جعل الحزن عارا على يعقوب (فهو كظيم) فهو مملوء من الغيظ على اولاده ولا يظهر ما يسوءهم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله وهو مكظوم من كظم السقاء اذا شده على ملئه والكظم بفتح الظاء مخرج النفس يقال اخذ بأكظامه (تفتؤ) اراد لا تفتؤا فحذف حرف النفي لانه لا يلتبس بالاثبات لانه لو كان اثباتا لم يكن بد من اللام والنون ونحوه * فقلت يمين الله ابرح قاعدا * ومعنى لا تفتؤ لا تزال وعن مجاهد لا تفتر من حبه كانه جعل الفتوء والفتور أخوين يقال ما فتئ يفعل قال اوس

فما فتئت خيل تثوب وتدعي * ويلحق منها لاحق وتقطع

* قوله تعالى قال هل علمتم مافعلتم بيوسف واخيه اذ أنتم جاهلون (قال اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الخ) قال احمد ومن تلطفه بهم قوله اذ انتم جاهلون كالاعتذار عنهم لان فعل القبيح على جهل بمقدار قبحه اسهل من فعله على علم وهم لوضربوا في طرق الاعتذار لم يبلغوا اعذارا كهذا ألا ترى ان موسى عليه السلام لما اعتذر عن نفسه لم يزد على ان قال فعلتها اذا وانا من الضالين وروى انهم لما قالوا امسنا واهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول

وقيل ادوا اليه كتابا من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا اهل بيت موكل بنا البلاء اما جدي فشدت يداه ورجلاه ورمى الى النار ليحرق فجعلها الله عليه بردا وسلاما واما أبي فوضعت المدية في قفاه ليذبح ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان احب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم أتونى بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد اكله الذئب فذهبت عيناى من بكائى عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من امه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا فقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا أهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته علي والا دعوت عليك دعوة تبلغ السابع من ولدك والسلام فلما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا

حرضا أو تكون من الهالكين قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف واخيه ولا تيأسوا من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون فلما دخلوا عليه قالوا يا أيها العزيز مسنا واهلنا الضر وجئنا ببضاعة مزجاة فاوف لنا الكيل وتصدق علينا ان الله يجزي المتصدقين قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف واخيه اذ انتم جاهلون قالوا أئنك لانت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد من الله علينا انه

(حرضا) مشفيا على الهلاك مرضا واحرضه المرض ويستوى فيه الواحد والجمع والمذكر والمؤنث لانه مصدر والصفة حرض بكسر الراء ونحوهما دنف ودنف وجاءت القراءة بهما جميعا وقرأ الحسن حرضا بضمتين ونحوه في الصفات رجل جنب وغرب * البث اصعب الهم الذى لا يصبر عليه صاحبه فيبثه الى الناس اي ينشره ومنه باثه امره وابثه اياه ومعنى (انما اشكوا) انى لا اشكوا الى احد منكم ومن غيركم انما اشكو الى ربي داعيا له وملتجئا اليه فخلوني وشكايتي وهذا معنى توليه عنهم اى فتولى عنهم الى الله والشكاية اليه وقيل دخل على يعقوب جار له فقال يا يعقوب قد تهشمت وفنيت وما بلغت من السن ما بلغ ابوك فقال هشمني وافناني ما ابتلاني الله به من هم يوسف فاوحى الله اليه يا يعقوب اتشكوني الى خلقي قال يا رب خطيئة اخطأتها فاغفرلي فغفر له فكان بعد ذلك اذا سئل قال انما اشكوا بثي وحزني الى الله وروى انه اوحى الى يعقوب انما وجدت عليكم لانكم ذبحتم شاة فقام ببابكم مسكين فلم تطعموه وان احب خلقي الى الانبياء ثم المساكين فاصنع طعاما وادع عليه المساكين وقيل اشترى جارية مع ولدها فباع ولدها فبكت حتى عميت (واعلم من الله مالا تعلمون) اى اعلم من صنعه ورحمته وحسن ظنى به انه يأتيني بالفرج من حيث لا احتسب وروى انه رأى ملك الموت في منامه فسأله هل قبضت روح يوسف فقال لا والله هو حي فاطلبه * وقرأ الحسن وحزني بفتحتين وحزني بضمتين قتادة (فتحسسوا من يوسف وأخيه) فتعرفوا منهما وتطلبوا خبرهما وقرئ بالجيم كما قرئ بهما في الحجرات وهما تفعل من الاحساس وهو المعرفة فلما احس عيسى منهم الكفر ومن الجس وهو الطلب ومنه قالوا لمشاعر الانسان الحواس والجواس (من روح الله) من فرجه وتنفيسه وقرأ الحسن وقتادة من روح الله بالضم اى من رحمته التي يحيا بها العباد (الضر) الهزال من الشدة والجوع (مزجاة) مدفوعة يدفعها كل تاجر رغبة عنها واحتقارا لها من ازجيته اذا دفعته وطردته والريح تزجي السحاب قيل كانت من متاع الاعراب صوفا وسمنا وقيل الصنوبر وحبة الخضراء وقيل سويق المقل والاقط وقيل دراهم زيوفا لا تؤخذ الا بوضيعة (فاوف لنا الكيل) الذى هو حقنا (وتصدق علينا) وتفضل علينا بالمسامحة والاغماض عن رداءة البضاعة اوزدنا على حقنا فسموا ما هو فضل وزيادة لا تلزمه صدقة لان الصدقات محظورة على الانبياء وقيل كانت تحل لغير نبينا وسئل ابن عيينة عن ذلك فقال ألم تسمع وتصدق علينا ارادوا انها كانت حلالا لهم والظاهر انهم تمسكنوا له وطلبوا اليه ان يتصدق عليهم ومن ثم رق لهم وملكته الرحمة عليهم فلم يتمالك ان عرفهم نفسه وقوله (ان الله يجزي المتصدقين) شاهد لذلك لذكر الله وجزائه والصدقة العطية التي تبتغى بها المثوبة من الله ومنه قول الحسن لمن سمعه يقول اللهم تصدق علي ان الله تعالى لا يتصدق انما يتصدق الذى يبتغي الثواب قل اللهم اعطني او تفضل علي او ارحمني (قال هل علمتم) اتاهم من جهة الدين وكان حليما موفقا فكلمهم مستفهما عن معرفة وجه القبح الذى يجب ان يراعيه التائب فقال هل علمتم قبح (ما فعلتم بيوسف واخيه اذ أنتم جاهلون) لا تعلمون قبحه فلذلك اقدمتم عليه يعنى هل علمتم قبحه فتبتم الى الله منه لان علم القبيح يدعو الى الاستقباح والاستقباح يجر الى التوبة فكان كلامه شفقة عليهم وتنصحا لهم في الدين لا معاتبة وتثريبا ايثارا لحق الله على حق نفسه في ذلك المقام الذى يتنفس فيه المكروب وينفث المصدور ويتشفى المغيظ الحنق ويدرك ثاره الموتور فلله أخلاق الانبياء

ماأوطأها وأسجحها ولله حصاعقو لهم ماأرزنها وأرجحها وقيل لم يرد نفي العلم عنهم لانهم كانوا علماء ولكنهم لمالم يفعلوا ما يقتضيه العلم ولا يقدم عليه الا جاهل سماهم جاهلين وقيل معناه اذ انتم صبيان فى حد السفه والطيش قبل ان تبلغوا اوان الحلم والرزانة روى انهم لما قالوا مسنا وأهلنا الضر وتضرعوا اليه ارفضت عيناه ثم قال هذا القول وقيل أدوا اليه كتاب يعقوب من يعقوب اسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن ابراهيم خليل الله الى عزيز مصر اما بعد فانا أهل بيت موكل بنا البلاء اما جدى فشدت يداه ورجلاه ورمى به فى النار ليحرق فنجاه الله وجعلت النار عليه بردا وسلاما واما أبي فوضع السكين على قفاه ليقتل ففداه الله واما انا فكان لى ابن وكان أحب اولادى الى فذهب به اخوته الى البرية ثم اتوني بقميصه ملطخا بالدم وقالوا قد أكله الذئب فذهبت عيناى من بكائي عليه ثم كان لى ابن وكان اخاه من أمه وكنت اتسلى به فذهبوا به ثم رجعوا وقالوا انه سرق وانك حبسته لذلك وانا اهل بيت لا نسرق ولا نلد سارقا فان رددته على والا دعوت عليك دعوة تدرك السابع من ولدك والسلام فلما قرأ يوسف الكتاب لم يتمالك وعيل صبره فقال لهم ذلك وروى انه لما قرأ الكتاب بكى وكتب الجواب اصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا (فان قلت) ما فعلهم باخيه (قلت) تعريضهم اياه للغم والثكل بافراده عن اخيه لابيه وأمه وجفاؤهم به حتى كان لا يستطيع ان يكلم احدا منهم الا كلام الذليل للعزيز وايذاؤهم له بانواع الاذى * قرئ أئنك على الاستفهام وانك على الايجاب وفى قراءة أبي أئنك لانت يوسف على معنى ائنك يوسف او انت يوسف فحذف الاول لدلالة الثاني عليه وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات (فان قلت) كيف عرفوه (قلت) رأوا فى روائه وشمائله حين كلمهم بذلك ماشعروا به انه هو مع علمهم بان ما خاطبهم به لا يصدر مثله الا عن حنيف مسلم من سنخ ابراهيم لا عن بعض اعزاء مصر وقيل تبسم عند ذلك فعرفوه بثناياه وكانت كاللؤلؤ المنظوم وقيل ما عرفوه حتى رفع التاج عن رأسه فنظروا الى علامة بقرنه كانت ليعقوب وسارة مثلها تشبه الشامة البيضاء *(فان قلت) قد سالوه عن نفسه فلم اجابهم عنها وعن أخيه على ان اخاه كان معلوما لهم (قلت) لانه كان فى ذكر اخيه بيان لما سالوه عنه (من يتق) من يخف الله وعقابه (ويصبر) عن المعاصي وعلى الطاعات (فان الله لا يضيع) اجرهم فوضع المحسنين موضع الضمير لاشتماله على المتقين والصابرين (لقد آثرك الله علينا) اى فضلك علينا بالتقوى والصبر وسيرة المحسنين *وان شاننا وحالنا انا كنا خاطئين متعمدين للاثم لم نتق ولم نصبر لا جرم ان الله اعزك بالملك واذلنا بالتمسكن بين يديك (لا تثريب عليكم) لا تانيب عليكم ولا عتب وأصل التثريب من الثرب وهو الشحم الذي هو غاشية الكرش ومعناه ازالة الثرب كما ان التجليد والتقريع ازالة الجلد والقرع لانه اذا ذهب كان ذلك غاية الهزال والعجف الذى ليس بعده فضرب مثلا للتقريع الذى يمزق الاعراض ويذهب بماء الوجوه (فان قلت) بم تعلق اليوم (قلت) بالتثريب او بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار او بيغفر والمعنى لا اثربكم اليوم وهو اليوم الذى هو مظنة التثريب فما ظنكم بغيره من الايام ثم ابتدأ فقال (يغفر الله لكم) فدعا لهم بمغفرة ما فرط منهم يقال غفر الله لك ويغفر الله لك على لفظ الماضي والمضارع جميعا ومنه قول المشمت يهديكم الله ويصلح بالكم او اليوم يغفر الله لكم بشارة بعاجل غفران الله لما تجدد يومئذ من توبتهم وندمهم على خطيئتهم وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ بعضادتي باب الكعبة يوم الفتح فقال لقريش ماترونني فاعلا بكم قالوا نظن خيرا اخ كريم وابن اخ كريم وقد قدرت فقال أقول ماقال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم وروى ان اباسفيان لما جاء ليسلم قال له العباس اذا أتيت الرسول فاتل عليه قال لا تثريب عليكم ففعل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفر الله لك ولمن علمك ويروى ان اخوته لما عرفوه ارسلوا اليه انك تدعونا الى طعامك بكرة وعشية ونحن نستحيي منك لما فرط منا فيك فقال يوسف ان اهل مصر وان ملكت فيهم فانهم ينظرون الى بالعين الاولى ويقولون سبحان من بلغ عبدا بيع بعشرين درهما ما بلغ ولقد شرفت الآن بكم وعظمت فى العيون حيث علم الناس انكم اخوتي واني من حفدة ابراهيم (اذهبوا بقميصي هذا) قيل هو القميص المتوارث الذى كان فى تعويذ يوسف وكان من الجنة امره جبريل عليه

السلام

من يتق ويصبر فان الله لا يضيع اجر المحسنين قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين قال لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو ارحم الراحمين اذهبوا بقميصي هذا فألقوه على وجه ابي

(قال فان قلت بم تعلق اليوم فى قوله لا تثريب عليكم اليوم الخ) قال احمد وهذا المعنى انما يتوجه على الاعراب الاول وهو الاوجه الا ترى الى قولهم بعد ذلك يا ابانا استغفر لنا ذنوبنا انا كنا خاطئين وقوله سوف استغفر لكم ربي دل على انهم كانوا بعد فى عهدة الذنب ولو كان متعلقا بيغفر للزم ان يقطعوا بغفران ذنبهم حينئذ باخبار النبي الصديق ويحتمل ان يقال انما اراد مغفرة ما يرجع الى حقه دون حق ابيه اذ الاثم كان مشتركا بينهما والله اعلم

السلام ان يرسله اليه فان فيه ريح الجنة لا يقع على مبتلي ولا سقيم الا عوفي (يات بصيرا) يصر بصيرا كقولك
جاء البناء محكما بمعنى صار و يشهد له فارتد بصيرا او يات الى وهو بصير و ينصره قوله (وأتوني باهلكم اجمعين)
اى يأتني انى و يأتني آله جميعا وقيل يهوذا هو الحامل قال انا احزنته بحمل القميص ملطوخا بالدم اليه
فافرحه كما أحزنته وقيل حمله وهو حاف حاسر من مصر الى كنعان و بينهما مسيرة ثمانين فرسخا (فصلت العير)
خرجت من عريش مصر يقال فصل من البلد فصولا اذا انفصل منه وجاوز حيطانه وقرأ ابن عباس فلما
انفصل العير (قال) لولده ومن حوله من قومه (انى لاجد ريح يوسف) اوجده الله ريح القميص حين
أقبل من مسيرة ثمان * والتفنيد النسبة الى الفند وهو الخرف وانكار العقل من هرم يقال شيخ مفند ولا يقال
عجوز مفندة لانها لم تكن في شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها والمعنى لولا تفنيدكم اياى لصدقتموني (انك لفي
ضلالك القديم) لفي ذهابك عن الصواب قدما فى افراط محبتك ليوسف ولهجك بذكره ورجائك للقائه
وكان عندهم انه قدمات (القاه) طرح البشير القميص على وجه يعقوب او القاه يعقوب (فارتد بصيرا)
فرجع بصيرا يقال رده فارتد وارتده اذا ارتجعه (الم اقل لكم) يعني قوله انى لاجد ريح يوسف او قوله
ولا تيأسوا من روح الله وقوله (انى اعلم) كلام مبتدأ لم يقع عليه القول ولك ان توقعه عليه وتريد قوله انما
أشكو بثي وحزني الى الله واعلم من الله مالا تعلمون وروى انه سأل البشير كيف يوسف فقال هو ملك مصر
فقال ما أصنع بالملك على اى دين تركته قال على دين الاسلام قال الآن تمت النعمة (سوف استغفر لكم)
قيل أخر الاستغفار الى وقت السحر وقيل الى ليلة الجمعة ليتعمد به وقت الاجابة وقيل ليتعرف حالهم في
صدق التوبة واخلاصها وقيل اراد الدوام على الاستغفار لهم فقد روى انه كان يستغفر لهم كل ليلة جمعة في نيف
وعشرين سنة وقيل قام الى الصلاة فى وقت السحر فلما فرغ رفع يديه وقال اللهم اغفر لي جزعي على يوسف
وقلة صبرى عنه واغفر لولدى ما أتوا الى اخيهم فاوحى اليه ان الله قد غفر لك ولهم اجمعين وروى انهم قالوا له
وقد علتهم الكآبة ما يغني عنا عفوكما ان لم يعف عنا ربنا فان لم يوح اليك بالعفو فلا قرت لنا عين ابدا فاستقبل
الشيخ القبلة قائما يدعو وقام يوسف خلفه يؤمن وقاموا خلفهما اذلة خاشعين عشرين سنة حتى بلغ جهدهم
وظنوا انها الهلكة نزل جبريل عليه السلام فقال ان الله قد أجاب دعوتك في ولدك وعقد مواثيقهم بعدك
على النبوة وقد اختلف فى استنبائهم (فلما دخلوا على يوسف) قيل وجه يوسف الى ابيه جهازا ومائتى
راحلة ليتجهز اليه بمن معه وخرج يوسف والملك فى اربعة آلاف من الجند والعظماء واهل مصر باجمعهم فتلقوا
يعقوب وهو يمشي يتوكأ على يهوذا فنظر الى الخيل والناس فقال يا يهوذا اهذا فرعون مصر قال لا هذا ولدك
فلما لقيه قال يعقوب عليه السلام السلام عليك يا مذهب الاحزان وقيل ان يوسف قال له لما التقيا يا ابت
بكيت على حتى ذهب بصرك الم تعلم ان القيامة تجمعنا فقال بلى ولكن خشيت ان تسلب دينك فيحال بيني
و بينك وقيل ان يعقوب وولده دخلوا مصر وهم اثنان وسبعون ما بين رجل وامرأة وخرجوا منها مع موسى
ومقاتلتهم ستمائة الف وخمسمائة وبضعة وسبعون رجلا سوى الذرية والهرمى وكانت الذرية ألف ألف ومائتى
ألف (آوى اليه ابويه) ضمهما اليه واعتنقهما قال ابن ابى اسحق كانت امه تحيي وقيل هما ابوه وخالته
ماتت امه فتزوجها وجعلها احد الابوين لان الرابة تدعى اما لقيامها مقام الام اولان الخالة أم كما ان العم
اب ومنه قوله واله آبائك ابراهيم واسمعيل واسحق (فان قلت) ما معنى دخولهم عليه قبل دخولهم مصر
(قلت) كأنه حين استقبلهم نزل لهم فى مضرب او بيت ثم فدخلوا عليه وضم اليه ابويه * ثم قال لهم (ادخلوا
مصر ان شاء الله آمنين) ولما دخل مصر وجلس فى مجلسه مستويا على سريره واجتمعوا اليه اكرم ابويه
فرفعهما على السرير (وخروا له) يعني الاخوة الاحد عشر والابوين (سجدا) ويجوز ان يكون قد خرج
فى قبة من قباب الملوك التى تحمل على البغال فامر ان يرفع اليه ابواه فدخلا عليه القبة فآواهما اليه بالضم
والاعتناق وقربهما منه وقال بعد ذلك ادخلوا مصر * (فان قلت) بم تعلقت المشيئة (قلت) بالدخول مكيفا
بالامن لان القصد الى اتصافهم بالامن فى دخولهم فكأنه قيل لهم اسلموا وآمنوا فى دخولكم ان شاء الله

يات بصيرا وأتوني باهلكم
اجمعين ولما فصلت العير
قال ابوهم انى لاجد ريح
يوسف لولا ان تفندون
قالوا تالله انك لفي
ضلالك القديم فلما ان
جاء البشير القاه على
وجهه فارتد بصيرا قال
الم اقل لكم انى اعلم
من الله مالا تعلمون قالوا
يا ابانا استغفر لنا
ذنوبنا انا كنا خاطئين
قال سوف استغفر لكم
ربي انه هو الغفور الرحيم
فلما دخلوا على يوسف
آوى اليه ابويه وقال
ادخلوا مصر ان شاء الله
آمنين ورفع ابويه على
العرش وخروا له سجدا
وقال يا ابت هذا تاويل
رؤياى من قبل قد
جعلها ربي حقا وقد
احسن بي اذ اخرجني
من السجن وجاء بكم

ونظيره قولك للغازي ارجع سالما غانما ان شاء الله فلا تعلق المشيئة بالرجوع مطلقا ولكن مقيدا بالسلامة والغنيمة مكيفا بهما والتقدير ادخلوا مصر آمنين ان شاء الله دخلتم آمنين ثم حذف الجزاء لدلالة الكلام عليه ثم اعترض بالجملة الجزائية بين الحال وذي الحال ومن بدع التفاسير ان قوله ان شاء الله من باب التقديم والتاخير وان موضعها ما بعد قوله سوف استغفر لكم ربي في كلام يعقوب وما أدري ما أقول فيه وفي نظائره (فان قلت) كيف جاز لهم ان يسجدوا لغير الله (قلت) كانت السجدة عندهم جارية مجرى التحية والتكرمة كالقيام والمصافحة وتقبيل اليد ونحوها مما جرت عليه عادة الناس من افعال شهرت في التعظيم والتوقير وقيل ما كانت الا انحناء دون تعفير الجباه وخرورهم سجدا اياه وقيل معناه وخروا لاجل يوسف سجدا لله شكرا وهذا ايضا فيه نبوة * يقال أحسن اليه وبه وكذلك أساء اليه وبه وقال * أسيئي بنا أو احسني لا ملومة * (من البدو) من البادية لانهم كانوا أهل عمد وأصحاب مواش ينتقلون في المياه والمناجع (نزغ) افسد بيننا وأغرى واصله من نخس الرائض الدابة وحمله على الجري يقال نزغه ونسغه اذا نخسه (لطيف لما يشاء) لطيف التدبير لاجله رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب وروي ان يوسف اخذ بيد يعقوب فطاف به في خزائنه فادخله خزائن الورق والذهب وخزائن الحلي وخزائن الثياب وخزائن السلاح وغير ذلك فلما ادخله خزانة القراطيس قال يا بني ما أعقك عندك هذه القراطيس وما كتبت الي على ثمان مراحل قال امرني جبريل قال اوما تسأله قال انت ابسط اليه مني فسله قال جبريل عليه السلام الله تعالى امرني بذلك لقولك واخاف ان يأكله الذئب قال فهلا خفتني وروي ان يعقوب أقام معه اربعا وعشرين سنة ثم مات وأوصى ان يدفنه بالشام الى جنب ابيه اسحق فمضى بنفسه ودفنه ثمة ثم عاد الى مصر وعاش بعد ابيه ثلاثا وعشرين سنة فلما تم امره وعلم انه لا يدوم له طلبت نفسه الملك الدائم الخالد فتاقت نفسه اليه فتمنى الموت وقيل ما تمناه نبي قبله ولا بعده فتوفاه الله طيبا طاهرا فتخاصم أهل مصر وتشاحوا في دفنه كل يحب ان يدفن في محلتهم حتى هموا بالقتال فرأوا من الرأي ان عملوا له صندوقا من مرمر وجعلوه فيه ودفنوه في النيل بمكان يمر عليه الماء ثم يصل الى مصر ليكونوا كلهم فيه شرعا واحدا وولد له افرائيم وميشا وولد لافرائيم نون ولنون يوشع فتى موسى ولقد توارثت الفراعنة من العماليق بعده مصر ولم يزل بنو اسرائيل تحت ايديهم على بقايا دين يوسف وآبائه الى ان بعث الله موسى صلى الله عليه وسلم * من في (من الملك) و (من تأويل الاحاديث) للتبعيض لانه لم يعط الا بعض ملك الدنيا او بعض ملك مصر وبعض التأويل (انت ولي) انت الذي تتولاني بالنعمة في الدارين وبوصل الملك الفاني بالملك الباقي (توفني مسلما) طلب للوفاة على حال الاسلام ولان يختم له بالخير والحسنى كما قال يعقوب لولده ولا تموتن الا وانتم مسلمون ويجوز ان يكون تمنيا للموت على ما قيل (والحقني بالصالحين) من آبائي او على العموم وعن عمر بن عبد العزيز ان ميمون بن مهران بات عنده فرآه كثير البكاء والمسئلة الموت فقال له صنع الله على يديك خيرا كثيرا أحييت سننا وأمت بدعا وفي حياتك خير وراحة للمسلمين فقال افلا اكون كالعبد الصالح لما أقر الله عينه وجمع له امره قال توفني مسلما والحقني بالصالحين * (فان قلت) علام انتصب فاطر السموات (قلت) على انه وصف لقوله رب كقولك اخا زيد حسن الوجه او على النداء (ذلك) اشارة الى ما سبق من نبأ يوسف والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ومحله الابتداء وقوله (من انباء الغيب نوحيه اليك) خبران ويجوز ان يكون اسما موصولا بمعنى الذي ومن انباء الغيب صلته ونوحيه الخبر والمعنى ان هذا النبأ غيب لم يحصل لك الا من جهة الوحي لانك لم تحضر بني يعقوب حين اجمعوا أمرهم وهو القاؤهم أخاهم في البئر كقوله واجمعوا ان يجعلوه في غيابة الجب * هذا تهكم بقريش وبمن كذبه لانه لم يخف على أحد من المكذبين انه لم يكن من حملة هذا الحديث واشباهه ولا لقي فيها احدا ولا سمع منه ولم يكن من علم قومه فاذا اخبر به وقص هذا القصص العجيب الذي اعجز حملته ورواته لم تقع شبهة في انه ليس منه وانه من جهة الوحي فاذا انكروه تهكم بهم وقيل لهم قد علمتم يا مكابرة انه لم يكن مشاهدا لمن مضى من القرون الخالية ونحوه وما كنت بجانب الغربي اذ قضينا الى موسى الامر (وهم

من البدو من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي ان ربي لطيف لما يشاء انه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تاويل الاحاديث فاطر السموات والارض انت وليي في الدنيا والآخرة توفني مسلما والحقني بالصالحين ذلك من انباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم

يمكرون) بيوسف ويبغون له الغوائل (وما اكثر الناس) يريد العموم كقوله ولكن اكثر الناس لا يؤمنون وعن ابن عباس رضي الله عنه اراد اهل مكة اي وماهم بمؤمنين (ولو حرصت) وتهالكت على ايمانهم لتصميمهم على الكفر وعنادهم (وما تسئلهم) على ما تحدثهم به وتذكرهم ان ينيلوك منفعة وجدوى كما يعطي حملة الاحاديث والاخبار (ان هو الا ذكر) عظة من الله (للعالمين) عامة وحث على طلب النجاة على لسان رسول من رسله (من آية) من علامة ودلالة على الخالق وعلى صفاته وتوحيده (يمرون عليها) ويشاهدونها وهم معرضون عنها لا يعتبرون بها *وقرئ والارض بالرفع على الابتداء ويمرون عليها خبره وقرأ السدى والارض بالنصب على ويطؤن الارض يمرون عليها وفي مصحف عبد الله والارض يمشون عليها برفع الارض والمراد ما يرون من آثار الامم الهالكة وغير ذلك من العبر (وما يؤمن اكثرهم) في اقراره بالله وبانه خلقه وخلق السموات والارض الا وهو مشرك بعبادته الوثن وعن الحسن هم اهل الكتاب معهم شرك وايمان وعن ابن عباس رضي الله عنهما هم الذين يشبهون الله بخلقه (غاشية) نقمة تغشاهم وقيل ما يغمرهم من العذاب ويجللهم وقيل الصواعق (هذه سبيلي) هذه السبيل التي هي الدعوة الى الايمان والتوحيد سبيلي والسبيل والطريق يذكران ويؤنثان ثم فسر سبيله بقوله (ادعوا الى الله على بصيرة) اى ادعوا الى دينه مع حجة واضحة غير عمياء و(انا) تاكيد للمستتر في ادعو (ومن اتبعني) عطف عليه يريد ادعو اليها انا ويدعو اليها من اتبعني ويجوز ان يكون انا مبتدأ وعلى بصيرة خبرا مقدما ومن اتبعني عطفا على انا اخبارا مبتدأ بانه ومن اتبعه على حجة وبرهان لا على هوى ويجوز ان يكون على بصيرة حالا من ادعو عاملة الرفع في انا ومن اتبعني (وسبحان الله) وانزهه من الشركاء (الا رجالا) لا ملائكة لانهم كانوا يقولون لو شاء ربنا لانزل ملائكة وعن ابن عباس رضي الله عنهما يريد ليست فيهم امرأة وقيل في سجاح المتنبئة *ولم نزل انبياء الله ذكرانا *وقرئ نوحي اليهم بالنون (من أهل القرى) لانهم اعلم واحلم واهل البوادى فيهم الجهل والجفاء والقسوة (ولدار الآخرة) ولدار الساعة او الحال الآخرة (خير للذين اتقوا) للذين خافوا الله فلم يشركوا به ولم يعصوه * وقرئ افلا تعقلون بالتاء والياء (حتى) متعلقة بمحذوف دل عليه الكلام كانه قيل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا فتراخي نصرهم حتى اذا استياسوا عن النصر (وظنوا) انهم قد كذبوا) اى كذبتهم انفسهم حين حدثتهم بانهم ينصرون او رجاؤهم لقولهم رجاء صادق ورجاء كاذب والمعنى ان مدة التكذيب والعداوة من الكفار وانتظار النصر من الله وتامله قد تطاولت عليهم وتمادت حتى استشعروا القنوط وتوهموا ان لا نصر لهم في الدنيا فجاءهم نصرنا فجاة من غير احتساب وعن ابن عباس رضي الله عنهما وظنوا حين ضعفوا وغلبوا انهم قد اخلفوا ما وعدهم الله من النصر وقال كانوا بشرا وتلا قوله وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله فان صح هذا عن ابن عباس فقد اراد بالظن ما يخطر بالبال ويهجس في القلب من شبه الوسوسة وحديث النفس على ما عليه البشرية واما الظن الذى هو ترجح احد الجائزين على الآخر فغير جائز على رجل من المسلمين فما بال رسل الله الذين هم اعرف الناس بربهم وانه متعال عن خلف الميعاد منزه عن كل قبيح وقيل وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا اى اخلفوا او وظن المرسل اليهم انهم كذبوا من جهة الرسل اى كذبتهم الرسل في انهم ينصرون عليهم ولم يصدقوهم فيه ولم وقرئ كذبوا بالتشديد على وظن الرسل انهم قد كذبتهم قومهم فيما وعدوهم من العذاب والنصرة عليهم وقرأ مجاهد كذبوا بالتخفيف على البناء للفاعل على وظن الرسل انهم قد كذبوا فيما حدثوا به قومهم من النصرة اما على تاويل ابن عباس واما على ان قومهم اذا لم يروا لموعدهم اثرا قالوا لهم انكم قد كذبتمونا فيكونون كاذبين عند قومهم او وظن المرسل اليهم ان الرسل قد كذبوا ولو قرئ بهذا مشددا لكان معناه وظن الرسل ان قومهم كذبوهم في موعدهم * قرئ فننجي بالتخفيف والتشديد من انجاه ونجاه وفنجي

قال احمد ولا يلزم ان يكون الله وعدهم

يمكرون وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين وما تسالهم عليه من اجر ان هو الا ذكر للعالمين وكاين من آية في السموات والارض يمرون عليها وهم عنها معرضون وما يؤمن اكثرهم بالله الا وهم مشركون افامنوا ان تاتيهم غاشية من عذاب الله او تاتيهم الساعة بغتة وهم لا يشعرون قل هذه سبيلي ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني وسبحان الله وما انا من المشركين وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم من اهل القرى افلم يسيروا في الارض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم ولدار الآخرة خير للذين اتقوا أفلا تعقلون حتى اذا استياس الرسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي

بالنصر في الدنيا بل كانوا يظنون ذلك ويرجونه لا عن اخبار ووحي *عاد كلامه (قال ونقل عن ابن عباس انه قال

فظنوا حين ضعفوا وغلبوا الخ) قال احمد وهذا ايضا تاويل حسن ينظم بين القراءتين لان ظن الامم كذب رسلهم تكذيب لهم فيؤدى مؤدى قراءة التشديد

بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون

على لفظ الماضي المبنى للمفعول وقرأ ابن محيصن فنجا * والمراد (من نشاء) المؤمنون لانهم الذين يستاهلون ان يشاء نجاتهم وقد بين ذلك بقوله (ولا يرد باسنا عن القوم المجرمين) الضمير في (قصصهم) للرسل و ينصره قراءة من قرأ في قصصهم بكسر القاف وقيل هو راجع الى يوسف واخوته * (فان قلت) فالام يرجع الضمير في (ماكان حديثا يفترى) فيمن قرأ بالكسر (قلت) الى القرآن اى ماكان القرآن حديثا يفترى (ولكن) كان (تصديق الذى بين يديه) اى قبله من الكتب السماوية (وتفصيل كل شيء) يحتاج اليه في الدين لانه القانون الذى يستند اليه السنة والاجماع والقياس بعد ادلة العقل وانتصاب ما نصب بعد لكن للعطف على خبر كان وقرئ ذلك بالرفع على ولكن هو تصديق الذى بين يديه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم علموا أرقاءكم سورة يوسف فانه أيما مسلم تلاها وعلمها أهله وماملكت يمينه هون الله عليه سكرات الموت واعطاه القوة ان لا يحسد مسلما

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمسة واربعون آية

(بسم الله الرحمن الرحيم

المر تلك آيات الكتاب والذى انزل اليك من ربك الحق ولكن اكثر الناس لا يؤمنون الله الذى رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجرى لاجل مسمى يدبر الامر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذى مد الارض وجعل فيها رواسي وانهارا ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفى الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقي بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون وان تعجب فعجب قولهم ائذا كنا ترابا ائنا لفى خلق جديد اولئك الذين كفروا بربهم واولئك الاغلال في اعناقهم واولئك اصحاب النار هم فيها خالدون ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة

(سورة الرعد مختلف فيها وهي خمس واربعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(تلك) اشارة الى آيات السورة والمراد بالكتاب السورة اى تلك الآيات آيات السورة الكاملة العجيبة في بابها ثم قال (والذى انزل اليك) من القرآن كله هو (الحق) الذى لا مزيد عليه لا هذه السورة وحدها وفي اسلوب هذا الكلام قول الانمارية هم كالحلقة المفرغة لا يدرى اين طرفاها تريد الكملة (الله) مبتدأ و (والذى) خبره بدليل قوله وهو الذى مد الارض ويجوز ان يكون صفة وقوله يدبر الامر يفصل الآيات خبر بعد خبر و ينصره ماتقدمه من ذكر الآيات (رفع السموات بغير عمد ترونها) كلام مستانف استشهاد برؤيتهم لها كذلك وقيل هي صفة لعمد و يعضده قراءة ابي ترونه وقرئ عمد بضمتين (يدبر الامر) يدبر امر ملكوته وربوبيته (يفصل) آياته في كتبه المنزلة (لعلكم توقنون) بالجزاء و بان هذا المدبر والمفصل لابد لكم من الرجوع اليه وقرأ الحسن ندبر بالنون (جعل فيها زوجين اثنين) خلق فيها من جميع انواع الثمرات زوجين زوجين حين مدها ثم تكاثرت بعد ذلك وتنوعت وقيل اراد بالزوجين الاسود والابيض والحلو والحامض والصغير والكبير وما اشبه ذلك من الاصناف المختلفة (يغشي الليل النهار) يلبسه مكانه فيصير اسود مظلما بعد ماكان أبيض منيرا وقرئ يغشي بالتشديد (قطع متجاورات) بقاع مختلفة مع كونها متجاورة متلاصقة طيبة الى سبخة وكريمة الى زهيدة وصلبة الى رخوة وصالحة للزرع لا للشجر الى اخرى على عكسها مع انتظامها جميعا في جنس الارضية وذلك دليل على قادر مريد موقع لافعاله على وجه دون وجه * وكذلك الزروع والكروم والنخيل النابتة في هذه القطع مختلفة الاجناس والانواع وهي تسقي بماء واحد وتراها متغايرة الثمر في الاشكال والالوان والطعوم والروائح متفاضلة فيها وفي بعض المصاحف قطعا متجاورات على وجعل * وقرئ وجنات بالنصب للعطف على زوجين او بالجر على كل الثمرات * وقرئ وزرع ونخيل بالجر عطفا على اعناب او جنات * والصنوان جمع صنو وهي النخلة لها رأسان واصلهما واحد وقرئ بالضم والكسر لغة اهل الحجاز والضم لغة بني تميم وقيس (تسقي) بالتاء والياء (ونفضل) بالنون وبالياء على البناء للفاعل والمفعول جميعا (في الاكل) بضم الكاف وسكونها (وان تعجب) يا محمد من قولهم في انكار البعث فقولهم عجيب حقيق بان يتعجب منه لان من قدر على انشاء ما عدد عليك من الفطر العظيمة ولم يعي بخلقهن كانت الاعادة اهون شيء عليه وايسره فكان انكارهم أعجوبة من الاعاجيب (أئذا كنا) الى آخر قولهم يجوز ان يكون في محل الرفع بدلا من قولهم وان يكون منصوبا بالقول واذا نصب بما دل عليه قوله أئنا لفى خلق جديد (اولئك الذين كفروا بربهم) اولئك الكاملون المتمادون في كفرهم (واولئك الاغلال في اعناقهم) وصف بالاصرار كقوله انا جعلنا في اعناقهم اغلالا ونحوه * لهم عن الرشد اغلال واقياد * او هو من جملة الوعيد (بالسيئة قبل الحسنة) بالنقمة قبل العافية والاحسان اليهم بالامهال وذلك انهم سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يأتيهم بالعذاب استهزاء

منهم بانذاره (وقد خلت من قبلهم المثلات) اى عقوبات امثالهم من المكذبين فما لهم لم يعتبروا بها فلا يستهزؤا والمثلة العقوبة بوزن السمرة والمثلة لما بين العقاب والمعاقب عليه من المماثلة وجزاء سيئة سيئة مثلها ويقال أمثلت الرجل من صاحبه واقصصته منه والمثال القصاص وقرئ المثلات بضمتين لاتباع الفاء العين والمثلات بفتح الميم وسكون الثاء كما يقال السمرة والمثلات بضم الميم وسكون الثاء تخفيف المثلات بضمتين والمثلات جمع مثلة كركبة وركبات (لذو مغفرة للناس على ظلمهم) اى مع ظلمهم انفسهم بالذنوب ومحله الحال بمعنى ظالمين لانفسهم وفيه اوجه ان يريد السيآت المكفرة لمجتنب الكبائر او الكبائر بشرط التوبة او يريد بالمغفرة الستر والامهال وروى انها لما نزلت قال النبي عليه السلام لولا عفو الله وتجاوزه ما هنأ احدا العيش ولولا وعيده وعقابه لاتكل كل احد (لولا انزل عليه آية من ربه) لم يعتدوا بالآية المنزلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم عنادا فاقترحوا نحو آيات موسى وعيسى من انقلاب العصا حية واحياء الموتى * فقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم انما انت رجل ارسلت منذرا ومخوفا لهم من سوء العاقبة وناصحا كغيرك من الرسل وما عليك الا الاتيان بما يصح به انك رسول منذر وصحة ذلك حاصلة باية آية كانت والآيات كلها سواء في حصول صحة الدعوى بها لاتفاوت بينها والذى عنده كل شيء بمقدار يعطى كل نبي آية على حسب ما اقتضاه علمه بالمصالح وتقديره لها (ولكل قوم هاد) من الانبياء يهديهم الى الدين ويدعوهم الى الله بوجه من الهداية وبآية خص بها ولم يجعل الانبياء شرعا واحدا في آيات مخصوصة ووجه آخر وهو ان يكون المعنى انهم يجحدون كون ما انزل عليك آيات ويعاندون فلا يهمنك ذلك انما انت منذر فما عليك الا ان تنذر لا ان تثبت الايمان في صدورهم ولست بقادر عليه ولكل قوم هاد قادر على هدايتهم بالالجاء وهو الله تعالى ولقد دل بما اردفه من ذكر آيات علمه وتقديره الاشياء على قضايا حكمته ان اعطاء كل منذر آيات خلاف آيات غيره امر مدبر بالعلم النافذ مقدر بالحكمة الربانية ولو علم في اجابتهم الى مقترحهم خيرا ومصلحة لاجابهم اليه واما على الوجه الثاني فقد دل به على ان من هذه قدرته وهذا علمه هو القادر وحده على هدايتهم العالم باى طريق يهديهم ولا سبيل الى ذلك لغيره (الله يعلم) يحتمل ان يكون كلاما مستأنفا وان يكون المعنى هو الله تفسيرا لهاد على الوجه الاخير ثم ابتدئ فقيل يعلم (ما تحمل كل انثى) وما في ما تحمل وما تغيض وما تزداد اما موصولة واما مصدرية فان كانت موصولة فالمعنى انه يعلم ما تحمله من الولد على اى حال هو من ذكورة وأنوثة وتمام وخداج وحسن وقبح وطول وقصر وغير ذلك من الاحوال الحاضرة والمترقبة ويعلم ما تغيضه الارحام اى تنقصه يقال غاض الماء وغضته انا ومنه قوله تعالى وغيض الماء وما تزداده اى تأخذه زائدا تقول أخذت منه حقي وازددت منه كذا ومنه قوله تعالى وازدادوا تسعا ويقال زدته فزاد بنفسه وازداد ومما تنقصه الرحم وتزداده عدد الولد فانها تشتمل على واحد وقد تشتمل على اثنين وثلاثة وأربعة ويروى ان شريكا كان رابع أربعة في بطن أمه ومنه جسد الولد فانه يكون تاما ومخدجا ومنه مدة ولادته فانها تكون أقل من تسعة اشهر وازيد عليها الى سنتين عند ابي حنيفة والى اربع عند الشافعي والى خمس عند مالك وقيل ان الضحاك ولد لسنتين وهرم بن حيان بقي في بطن امه اربع سنين ولذلك سمي هرما ومنه الدم فانه يقل ويكثر وان كانت مصدرية فالمعنى انه يعلم حمل كل انثى ويعلم غيض الارحام وازديادها لا يخفى عليه شيء من ذلك ومن اوقاته واحواله ويجوز ان يراد غيوض ما في الارحام وزيادته فاسند الفعل الى الارحام وهو لما فيها على ان الفعلين غير متعديين ويعضده قول الحسن الغيضوضة ان تضع لثمانية اشهر او اقل من ذلك والازدياد ان تزيد على تسعة اشهر وعنه الغيض الذى يكون سقطا لغير تمام والازدياد ما ولد لتمام (بمقدار) بقدر واحد لا يجاوزه ولا ينقص عنه كقوله انا كل شيء خلقناه بقدر (الكبير) العظيم الشان الذى كل شيء دونه (المتعال) المستعلي على كل شيء بقدرته او الذى كبر عن صفات المخلوقين وتعالى عنها (سارب) ذاهب في سربه بالفتح اى في طريقه ووجهه يقال سرب في الارض سروبا والمعنى سواء عنده من استخفى اى طلب الخفاء في مختبأ بالليل في ظلمته ومن يضطرب في

وقد خلت من قبلهم المثلات وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم وان ربك لشديد العقاب ويقول الذين كفروا لولا انزل عليه آية من ربه انما أنت منذر ولكل قوم هاد الله يعلم ما تحمل كل انثى وما تغيض الارحام وما تزداد وكل شيء عنده بمقدار عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار

(القول في سورة الرعد)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

* قوله تعالى وان ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم (قال ومحل على ظلمهم الحال بمعنى ظالمين لانفسهم الخ) قال احمد والوجه الحق بقاء الوعد على اطلاقه الا حيث دل الدليل على التقييد في غير الموحد فان ظلمه اعني شركه لا يغفر وما عدا الشرك فغفرانه في المشيئة والزمخشري يبني على عقيدته التي وضح فسادها في استحالة الغفران لصاحب الكبائر وان كان موحدا الا بالتوبة فيقيده مطلقا ويحجر واسعا والله الموفق

* قوله تعالى سواء منكم من اسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار (قال فيه ان قلت كان من حق الكلام ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار الخ) قال احمد فمقتضى السؤال الذى اورده الزمخشرى ان تكون الواو عاطفة لاحدى الصفتين على الاخرى ومقتضى ما أجاب به ان يعطف احد الموصوفين على الآخر وتحتمل الآية وجها آخر وهو ان يكون الموصول محذوفا وصلته باقية والمعنى ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار وحذف الموصول المعطوف وبقاء صلته شائع وخصوصا وقد تكرر الموصول في الآية ثلاثا ومنه قوله تعالى وما ادرى ما يفعل بي ولا بكم والاصل والا ما يفعل بكم والا كان حرف النفى دخيلا فى غير موضعه لان الجملة الثانية لو قدرت داخلة في صلة الاول بواسطة العاطف لم يكن للنهي موقع وانما صحب فى الاول الموصول لا الصلة ومنه

فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء

أى ومن يمدحه وينصره والله أعلم * عاد كلامه (قال ومعنى قوله معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له الخ) قال احمد وحقيقة هذا الوجه انهم يحفظونه من الامر الذى علم الله انه يدفعه عنه بسبب دعائهم ولولا هذا السبب لكان فى علم الله ان النقمة تحل عليه لان الله عز وجل يعلم ما لا يكون لو كان كيف كان يكون وسع ربنا كل شيء علما * قوله تعالى هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال الآية (قال خوفا وطمعا لا يصح ان يكون مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل الخ) قال احمد او مفعولا لهما على ان المفعول له فى مثل هذا الفعل فاعل فى المعنى لانه اذا اراهم فقد رأوا

له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من امر الله ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم واذا أراد الله بقوم سوءا فلا مرد له وما لهم من دونه من وال هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا وينشىء السحاب الثقال ويسبح الرعد بحمده والملائكة من خيفته ويرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء

الطرقات ظاهرا بالنهار يبصره كل احد (فان قلت) كان حق العبارة ان يقال ومن هو مستخف بالليل ومن هو سارب بالنهار حتى يتناول معنى الاستواء المستخفي والسارب والا فقد تناول واحدا هو مستخف وسارب (قلت) فيه وجهان احدهما ان قوله وسارب عطف على من هو مستخف لا على مستخف والثاني انه عطف على مستخف الا ان من فى معنى الاثنين كقوله * نكن مثل من يا ذئب يصطحبان * كانه قيل سواء منكم اثنان مستخف بالليل وسارب بالنهار * والضمير فى (له) مردود على من كانه قيل لمن اسر ومن جهر ومن استخفى ومن سرب (معقبات) جماعات من الملائكة تعتقب فى حفظه وكلاءته والاصل معتقبات فادغمت التاء فى القاف كقوله وجاء المعذرون بمعنى المعتذرون ويجوز معقبات بكسر العين ولم يقرأ به او هو مفعلات من عقبه اذا جاء على عقبه كما يقال قفاه لان بعضهم يعقب بعضا او لانهم يعقبون ما يتكلم به فيكتبونه (يحفظونه من امر الله) هما صفتان جميعا وليس من امر الله بصلة للحفظ كانه قيل له معقبات من أمر الله او يحفظونه من اجل امر الله اى من اجل ان الله امرهم بحفظه والدليل عليه قراءة على رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن على وجعفر بن محمد وعكرمة يحفظونه بامر الله او يحفظونه من باس الله ونقمته اذا أذنب بدعائهم له ومسئلتهم ربهم ان يمهله رجاء ان يتوب وينيب كقوله قل من يكلؤكم بالليل والنهار من الرحمن وقيل المعقبات الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه فى توهمه وتقديره من امر الله اى من قضاياه ونوازله او على التهكم به وقرئ له معاقيب جمع معقب او معقبة والياء عوض من حذف احدى القافين فى التكسير (ان الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعمة (حتى يغيروا ما بانفسهم) من الحال الجميلة بكثرة المعاصي (من وال) ممن يلي امرهم ويدفع عنهم (خوفا وطمعا) لا يصح ان يكونا مفعولا لهما لانهما ليسا بفعل فاعل الفعل المعلل الا على تقدير حذف المضاف اى ارادة خوف وطمع او على معنى اخافة واطماعا ويجوز ان يكونا منتصبين على الحال من البرق كانه فى نفسه خوف وطمع أو على ذا خوف وذا طمع او من المخاطبين اى خائفين وطامعين ومعنى الخوف والطمع ان وقوع الصواعق يخاف عند لمع البرق ويطمع فى الغيث قال ابو الطيب

فتى كالسحاب الجون تخشى وترتجى * يرجى الحيا منها وتخشى الصواعق

وقيل يخاف المطر من له فيه ضرر كالمسافر ومن فى جرينه التمر والزبيب ومن له بيت يكف ومن البلاد ما لا ينتفع اهله بالمطر كاهل مصر ويطمع فيه من له فيه نفع ويحيا به (السحاب) اسم الجنس والواحدة سحابة و (الثقال) جمع ثقيلة لانك تقول سحابة ثقيلة وسحاب ثقال كما تقول امرأة كريمة ونساء كرام وهي الثقال بالماء (ويسبح الرعد بحمده) ويسبح سامع الرعد من العباد الراجين للمطر حامدين له اى يضجون بسبحان الله والحمد لله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يقول سبحان من يسبح الرعد بحمده وعن على رضي الله عنه سبحان من سبحت له وإذا اشتد الرعد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك وعن ابن عباس ان اليهود سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن الرعد من هو فقال ملك من الملائكة موكل بالسحاب معه مخاريق من نار يسوق بها السحاب وعن الحسن خلق من خلق الله ليس بملك ومن بدع المتصوفة الرعد صعقات الملائكة والبرق زفرات افئدتهم والمطر بكاؤهم (والملائكة من خيفته)

و يسبح الملائكة من هيبته واجلاله * ذكر علمه النافذ في كل شيء واستواء الظاهر والخفي عنده وما دل على قدرته الباهرة ووحدانيته ثم قال (وهم) يعني الذين كفروا وكذبوا رسول الله وانكروا آياته (يجادلون في الله) حيث ينكرون على رسوله ما يصفه به من القدرة على البعث واعادة الخلائق بقولهم من يحيي العظام وهي رميم و يردون الوحدانية باتخاذ الشركاء والانداد و يجعلونه بعض الاجسام المتوالدة بقولهم الملائكة بنات الله فهذا جدالهم بالباطل كقوله وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق وقيل الواو للحال اى فيصيب بها من يشاء في حال جدالهم وذلك ان اربد أخا لبيد بن ربيعة العامري قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم حين وفد عليه مع عامر بن الطفيل قاصدين لقتله فرمى الله عامرا بغدة كغدة البعير وموت في بيت سلولية وارسل على اربد صاعقة فقتلته اخبرنا عن ربنا أمن نحاس هو أم من حديد (المحال) المماحلة وهي شدة المماكرة والمكايدة ومنه تمحل لكذا اذا تكلف استعمال الحيلة واجتهد فيه ومحل بفلان اذا كاده وسعى به الى السلطان ومنه الحديث ولا تجعله علينا ماحلا مصدقا وقال الاعشى

فرع نبع يهتش في غصن المجد * غزير الندى شديد المحال

والمعنى انه شديد المكر والكيد لاعدائه يأتيهم بالهلكة من حيث لا يحتسبون وقرأ الاعرج بفتح الميم على انه مفعل من حال يحول محالا اذا احتال ومنه احول من ذئب اى اشد حيلة و يجوز ان يكون المعنى شديد الفقار و يكون مثلا في القوة والقدرة كما جاء فساعد الله اشد وموساه احد لان الحيوان اذا اشتد محاله كان منعوتا بشدة القوة والاضطلاع بما يعجز عنه غيره ألا ترى الى قولهم فقرته الفواقر وذلك ان الفقار عمود الظهر وقوامه (دعوة الحق) فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الذي هو نقيض الباطل كما تضاف الكلمة اليه في قولك كلمة الحق للدلالة على ان الدعوة ملابسة للحق مختصة به وانها بمعزل من الباطل والمعنى ان الله سبحانه يدعى فيستجيب الدعوة و يعطي الداعي سؤاله ان كان مصلحة له فكانت دعوة ملابسة للحق لكونه حقيقا بان يوجه اليه الدعاء لما في دعوته من الجدوى والنفع بخلاف ما لا ينفع ولا يجدي دعاؤه والثاني ان تضاف الى الحق الذي هو الله عز وعلا على معنى دعوة المدعو الحق الذي يسمع فيجيب وعن الحسن الحق هو الله وكل دعاء اليه دعوة الحق (فان قلت) ما وجه اتصال هذين الوصفين بما قبله (قلت) اما على قصة أربد فظاهر لان اصابته بالصاعقة محال من الله ومكر به من حيث لم يشعر وقد دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه وعلى صاحبه بقوله اللهم اخسفهما بما شئت فاجيب فيهما فكانت الدعوة دعوة حق واما على الاول فوعيد للكفرة على مجادلتهم رسول الله بحلول محاله بهم واجابة دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ان دعا عليهم فيهم (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من) دون الله (لا يستجيبون لهم بشيء) من طلباتهم (الا كباسط كفيه) الا استجابة كاستجابة باسط كفيه اى كاستجابة الماء من بسط كفيه اليه يطلب منه ان يبلغ فاه والماء جماد لا يشعر ببسط كفيه ولا بعطشه وحاجته اليه ولا يقدر ان يجيب دعاءه و يبلغ فاه وكذلك ما يدعونه جماد لا يحس بدعائهم ولا يستطيع اجابتهم ولا يقدر على نفعهم وقيل شبهوا في قلة جدوى دعائهم لآلهتهم بمن اراد ان يغرف الماء بيديه ليشرب به فبسطهما ناشرا اصابعه فلم تلق كفاه منه شيئا ولم يبلغ طلبته من شرب به * وقرئ تدعون بالتاء كباسط كفيه بالتنوين (الا في ضلال) الا في ضياع لا منفعة فيه لانهم ان دعوا الله لم يجبهم وان دعوا الآلهة لم تستطع اجابتهم (ولله يسجد) اى ينقادون لاحداث ما اراده فيهم من افعاله شاؤا او أبوا لا يقدرون ان يمتنعوا عليه * وتنقاد له (ظلالهم) ايضا حيث تتصرف على مشيئته في الامتداد والتقلص والفيء والزوال * وقرئ بالغدو والايصال من آصلوا اذا دخلوا في الاصيل (قل الله) حكاية لاعترافهم وتأكيد له عليهم لانه اذا قال لهم من رب السموات والارض لم يكن لهم بد من أن يقولوا الله كقوله قل من رب السموات السبع ورب العرش العظيم سيقولون الله وهذا كما يقول المناظر لصاحبه أهذا قولك فاذا قال هذا قولي قال هذا قولك فيحكي اقراره تقريرا له عليه واستيثاقا منه ثم يقول له فيلزمك على هذا القول كيت وكيت و يجوز ان يكون تلقينا اى ان كعوا عن الجواب فلقنهم فانهم يتلقنونه ولا يقدرون ان ينكروه (أفاتخذتم من دونه

وهم يجادلون في الله وهو شديد المحال له دعوة الحق والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشيء الا كباسط كفيه الى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه وما دعاء الكافرين الا في ضلال ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال قل من رب السموات والارض قل الله قل أفاتخذتم من دونه

والاصل وهو الذي يريكم البرق فترونه خوفا وطمعا اى ترقبونه وتتراءونه تارة لاجل الخوف وتارة لاجل الطمع والله اعلم * قوله تعالى له دعوة الحق (قال فيه وجهان احدهما ان تضاف الدعوة الى الحق الخ) قال احمد دس تحت تاويل الاول نبذة من الاعتزال على وجه الاحتزال فحجر واسعا من لطف الله واستجابته ادعية عباده وحتم رعاية المصالح وجعل معنى اضافة الدعوة الى الحق التباسها بالمصلحة وقد انكشف الغطاء وتبين ان الله تعالى لا تعلل افعاله ولا تقف استجابته على الشرط المذكور وغرضنا ايقاظ المطالع لهذه المواضع من غفلة يتحيز بها الى بدعة وضلالة والله الموفق

* قوله تعالى أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء (قال أم مقدرة ببل والهمزة ومعناها ههنا الانكار الخ) قال أحمد وفي قوله تعالى خلقوا كخلقه في سياق الانكار تهكم بهم لان غير الله لا يخلق خلقا البتة لا بطريق المشابهة والمساواة لله تقدس عن التشبيه ولا بطريق الانحطاط والقصور فقد كان يكفي في الانكار عليهم ان الشركاء التي اتخذوها لا تخلق مطلقا ولكن جاء في قوله تعالى كخلقه تهكم يزيد الانكار تأكيدا والزمخشري لا يطيق التنبيه على هذه النكتة مع كونه أفطن من ان يستتر عنه لان معتقده ان غير الله يخلق وهم العبيد

أولياء) أبعد ان علمتموه رب السموات والارض اتخذتم من دونه أولياء فجعلتم ما كان يجب ان يكون سبب التوحيد من علمكم واقراركم سبب الاشراك (لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا) لا يستطيعون لانفسهم ان ينفعوها او يدفعوا عنها ضررا فكيف يستطيعونه لغيرهم وقد آثرتموهم على الخالق الرازق المثيب المعاقب فما أبين ضلالتكم (ام جعلوا) بل اجعلوا ومعنى الهمزة الانكار و (خلقوا) صفة لشركاء يعني انهم لم يتخذوا لله شركاء خالقين قد خلقوا مثل خلق الله (فتشابه) عليهم خلق الله وخلقهم حتى يقولوا قدر هؤلاء على الخلق كما قدر الله عليه فاستحقوا العبادة فنتخذهم له شركاء ونعبدهم كما يعبد اذ لا فرق بين خالق وخالق ولكنهم اتخذوا له شركاء عاجزين لا يقدرون على ما يقدر عليه الخلق فضلا ان يقدروا على ما يقدر عليه الخالق (قل الله خالق كل شيء) لا خالق غير الله ولا يستقيم ان يكون له شريك في الخلق فلا يكون له شريك في العبادة (وهو الواحد) المتوحد بالربوبية (القهار) لا يغالب وما عداه مربوب ومقهور * هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه كما ضرب الاعمى والبصير والظلمات والنور مثلا لهما فمثل الحق وأهله بالماء الذي ينزله من السماء فتسيل به أودية الناس فيحيون به وينفعهم بانواع المنافع وبالفلز الذي ينتفعون به في صوغ الحلي منه واتخاذ الاواني والآلات المختلفة ولو لم يكن الا الحديد الذي فيه البأس الشديد لكفى به وان ذلك ماكث في الارض باق بقاء ظاهرا يثبت الماء في منافعه وتبقى آثاره في العيون والبئار والحبوب والثمار التي تنبت به مما يدخر ويكنز وكذلك الجواهر تبقى ازمنة متطاولة وشبه الباطل في سرعة اضمحلاله ووشك زواله وانسلاخه عن المنفعة بزبد السيل الذي يرمى به وبزبد الفلز الذي يطفو فوقه اذا أذيب (فان قلت) لم نكرت الاودية (قلت) لان المطر لا يأتي الا على طريق المناوبة بين البقاع فيسيل بعض أودية الارض دون بعض (فان قلت) فما معنى قوله (بقدرها) (قلت) بمقدارها الذي عرف الله انه نافع للممطور عليهم غير ضار ألا ترى الى قوله واما ما ينفع الناس لانه ضرب المطر مثلا للحق فوجب ان يكون مطرا خالصا للنفع خاليا من المضرة ولا يكون كبعض الامطار والسيول الجواحف (فان قلت) فما فائدة قوله (ابتغاء حلية او متاع) (قلت) الفائدة فيه كالفائدة في قوله بقدرها لانه جمع الماء والفلز في النفع في قوله واما ما ينفع الناس لان المعنى واما ما ينفعهم من الماء والفلز فذكر وجه الانتفاع بما يوقد عليه منه ويذاب وهو الحلية والمتاع وقوله ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع عبارة جامعة لانواع الفلز مع اظهار الكبرياء في ذكره على وجه التهاون به كما هو هجيرى الملوك نحو ما جاء في ذكر الآجر اوقد لي يا هامان على الطين ومن لابتداء الغاية اي ومنه ينشأ زبد مثل زبد الماء او للتبعيض بمعنى وبعضه زبد رابيا منتفخا مرتفعا على وجه السيل (جفاء) يجفؤه السيل اي يرمي به وجفأت القدر بزبدها وأجفأ السيل واجفل وفي قراءة رؤبة بن العجاج جفالا وعن أبي حاتم لا يقرأ بقراءة رؤبة لانه كان يأكل الفار * وقرئ يوقدون بالياء اي يوقد الناس (للذين استجابوا) اللام متعلقة بيضرب اي كذلك يضرب الله الامثال للمؤمنين الذين استجابوا وللكافرين الذين لم يستجيبوا اي هما مثلا الفريقين و(الحسنى) صفة لمصدر استجابوا اي استجابوا الاستجابة الحسنى وقوله (لو ان لهم) كلام مبتدأ في ذكر ما اعد لغير المستجيبين وقيل قد تم الكلام عند قوله كذلك يضرب الله الامثال وما بعده كلام مستأنف والحسنى مبتدأ خبره للذين استجابوا والمعنى لهم المثوبة الحسنى وهي الجنة والذين لم يستجيبوا مبتدأ خبره لو مع ما في حيزه و(سوء

اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا قل هل يستوي الاعمى والبصير ام هل تستوي الظلمات والنور ام جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار انزل من السماء ماء فسالت اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية او متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فاما الزبد فيذهب جفاء واما ما ينفع الناس فيمكث في الارض كذلك يضرب الله الامثال للذين استجابوا لربهم الحسنى والذين لم يستجيبوا له لو ان لهم ما في الارض جميعا ومثله معه لافتدوا به اولئك لهم سوء

يخلقون افعالهم على زعمه ولكن لا يخلقون كخلق الله لان الله تعالى يخلق الجواهر والاعراض والعبيد لا يخلقون سوى افعالهم لا غير وفي قوله عز من قائل الله خالق كل شيء القام لافواه (الحساب) المشركين الاولين ثم لافواه التابعة لهم في هذه الضلالة كالقدرية فان الله تعالى بت هذه البتة ان كل شيء يصدق عليه انه مخلوق جوهرا كان او عرضا فعلا لعبيده او غيره فالله خالقه فلا يبقى بقية يحتمل معها الاشتراك الاعتدا كل أثيم افاك يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمعها كان في اذنيه وقرا فبشره بعذاب اليم فلا جرم ما تقاصر لسان الزمخشري عند هذه الآية وقرن شقاشقه والله الموفق

*قوله تعالى وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية الآية (قال المراد مما رزقناهم من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله تعالى) قال احمد الحق ان لا رازق الا الله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين كما انه لا خالق الا الله هل من خالق غير الله فاذا اقتضى العقل والسمع جميعا ان لا رازق الا الله فاى مقال بعد ذلك يبقى للقدرى الزاعم ان أكثر العبيد يرزقون أنفسهم لان الغالب الحرام وهو مع ذلك مصمم على معتقده الفاسد لا يدعه ولا تكفه القوارع السمعية والعقلية ولا تردعه فباى حديث بعد الله وآياته يؤمنون *قوله تعالى أولئك لهم عقبى الدار (قال المراد عاقبة الدنيا ومرجع اهلها الخ) قال

الحساب وما واهم جهنم وبئس المهاد أفمن يعلم أنما انزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى انما يتذكر أولوا الالباب الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ماأمر الله به ان يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وازواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم

الحساب) المناقشة فيه وعن النخعى ان يحاسب الرجل بذنبه كله لا يغفر منه شيء *دخلت همزة الانكار على الفاء فى قوله (أفمن يعلم) لانكار ان تقع شبهة بعدما ضرب من المثل فى ان حال من علم (انما انزل اليك من ربك الحق) فاستجاب بمعزل من حال الجاهل الذى لم يستبصر فيستجيب كبعد ما بين الزبد والماء والخبث والابريز (انما يتذكر اولوا الالباب) ى الذين عملوا على قضيات عقولهم فنظروا واستبصروا (الذين يوفون بعهد الله) مبتدأ واولئك لهم عقبى الدار خبره كقوله والذين ينقضون عهد الله اولئك لهم اللعنة ويجوز ان يكون صفة لاولى الالباب والاول اوجه * وعهد الله ماعقدوه على انفسهم من الشهادة بربوبيته وأشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى (ولا ينقضون الميثاق) ولا ينقضون كل ما وثقوه على انفسهم وقبلوه من الايمان بالله وغيره من المواثيق بينهم وبين الله وبين العباد تعميم بعد تخصيص (ماأمر الله به ان يوصل) من الارحام والقرابات ويدخل فيه وصل قرابة رسول الله وقرابة المؤمنين الثابتة بسبب الايمان انما المؤمنون اخوة بالاحسان اليهم على حسب الطاقة ونصرتهم والذب عنهم والشفقة عليهم والنصيحة لهم وطرح التفرقة بين انفسهم وبينهم وافشاء السلام عليهم وعيادة مرضاهم وشهود جنائزهم ومنه مراعاة حق الاصحاب والخدم والجيران والرفقاء فى السفر وكل ما تعلق منهم بسبب حتى الهرة والدجاجة وعن الفضيل بن عياض ان جماعة دخلوا عليه بمكة فقال من اين انتم قالوا من اهل خراسان قال اتقوا الله وكونوا من حيث شئتم واعلموا ان العبد لو احسن الاحسان كله وكانت له دجاجة فاساء اليها لم يكن من المحسنين (ويخشون ربهم) اى يخشون وعيده (ويخافون) خصوصا (سوء الحساب) فيحاسبون انفسهم قبل ان يحاسبوا (صبروا) مطلق فيما يصبر عليه من المصائب فى النفوس والاموال ومشاق التكليف (ابتغاء وجه) الله لا ليقال ما اصبره واحمله للنوازل واوقره عند الزلازل ولا لئلا يعاب بالجزع ولئلا يشمت به الاعداء كقوله * وتجلدى للشامتين اريهم * ولا لانه لا طائل تحت الهلع ولا مرد فيه للفائت كقوله

ما ان جزعت ولا هلم * ت ولا يرد بكاى زندا

وكل عمل له وجوه يعمل عليها فعلى المؤمن ان ينوى منها ما به كان حسنا عند الله والا لم يستحق به ثوابا وكان فعلا كلا فعل (مما رزقناهم) من الحلال لان الحرام لا يكون رزقا ولا يسند الى الله (سرا وعلانية) يتناول النوافل لانها فى السر افضل والفرائض لوجوب المجاهرة بها نفيا للتهمة (ويدرؤن بالحسنة السيئة) ويدفعونها عن ابن عباس يدفعون بالحسن من الكلام ما يرد عليهم من سيء غيرهم وعن الحسن اذا حرموا اعطوا واذا ظلموا عفوا واذا قطعوا وصلوا وعن ابن كيسان اذا اذنبوا تابوا وقيل اذا رأوا منكرا امروا بتغييره (عقبى الدار) عاقبة الدنيا وهى الجنة لانها التى اراد الله ان تكون عاقبة الدنيا ومرجع أهلها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار * وقرئ فنعم بفتح النون والاصل نعم فمن كسر النون فلنقل كسرة العين اليها ومن فتح فقد سكن العين ولم ينقل * وقرئ يدخلونها على البناء للمفعول * وقرأ ابن ابى عبلة صلح بضم اللام والفتح أفصح علم ان الانساب لا تنفع اذا تجردت من الاعمال الصالحة * وآباؤهم جمع ابوى كل واحد منهم فكانه قيل من آبائهم وامهاتهم (سلام عليكم) فى موضع الحال لان المعنى قائلين سلام عليكم او مسلمين * (فان قلت) بم

احمد قد تكرر مجيء العاقبة المطلقة مثل وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار من تكون له عاقبة الدار والعاقبة للمتقين والمراد فى جميع ذلك عقبى الخير والسعادة والزمخشرى يستنبط من تكرار مجيء العاقبة المطلقة والمراد عاقبة الخير انها هى التى ارادها الله فهى الاصل والعاقبة الاخرى لما لم تكن مرادة بل عارضة على خلاف المراد والاصل لم يكن من حقها ان يعبر عنها الا بتقييدها بهما كقوله وعقبى الكافرين النار كل ذلك من الزمخشرى تهالك على ان ينسب الى الله ارادة ما لم يقع ومشيئة ما لم يكن مصادمة لما انطق الله به السنة حملة الشريعة ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وليس فى مجيء ذلك على الاطلاق ما يعين انه الاصل باعتبار الارادة فتعمله الاصل باعتبار الامر ونحن نقول ان المؤدى الى حمد العاقبة مامور به والمؤدى الى سوئها منهى عنه فمن ثم كانت عاقبة الخير هى الاصل والله الموفق

تعلق قوله (بما صبرتم) (قلت) بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم يعنون هذا الثواب بسبب صبركم او بدل
ما احتملتم من مشاق الصبر ومتاعبه هذه الملاذ والنعم والمعنى لئن تعبتم فى الدنيا لقد استرحتم الساعة كقوله
* بما قد أرى فيها اوانس بدنا * وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان يأتي قبور الشهداء على رأس كل
حول فيقول السلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار ويجوز ان يتعلق بسلام اى نسلم عليكم ونكرمكم بصبركم
(من بعد ميثاقه) من بعدما اوثقوه به من الاعتراف والقبول (سوء الدار) يحتمل ان يراد سوء عاقبة الدنيا لانه
فى مقابلة عقبى الدار ويجوز ان يراد بالدار جهنم وبسوءها عذابها (الله يبسط الرزق) اى الله وحده هو يبسط
الرزق ويقدره دون غيره وهو الذى بسط رزق اهل مكة ووسعه عليهم (وفرحوا) بما بسط لهم من الدنيا فرح
بطر واشر لا فرح سرور بفضل الله وانعامه عليهم ولم يقابلوه بالشكر حتى يستوجبوا نعيم الآخرة وخفى عليهم
ان نعيم الدنيا فى جنب نعيم الآخرة ليس الا شيأ نزرا يتمتع به كعجالة الراكب وهو ما يتعجله من تميرات او شربة
سويق او نحو ذلك * (فان قلت) كيف طابق قولهم (لولا انزل عليه آية من ربه) قوله (قل ان الله يضل من
يشاء) (قلت) هو كلام يجرى مجرى التعجب من قولهم وذلك ان الآيات الباهرة المتكاثرة التي اوتيها رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يؤتها نبي قبله وكفى بالقرآن وحده آية وراء كل آية فاذا جحدوها ولم يعتدوا بها
وجعلوه كان آية لم تنزل عليه قط كان موضعا للتعجب والاستنكار فكانه قيل لهم ما اعظم عنادكم وما اشد
تصميمكم على كفركم ان الله يضل من يشاء ممن كان على صفتكم من التصميم وشدة الشكيمة فى الكفر فلا
سبيل الى اهتدائهم وان انزلت كل آية (ويهدى اليه من) كان على خلاف صفتكم (أناب) اقبل الى الحق
وحقيقته دخل فى نوبة الخير و(الذين آمنوا) بدل من من اناب (وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بذكر رحمته
ومغفرته بعد القلق والاضطراب من خشيته كقوله ثم تلين جلودهم وقلوبهم الى ذكر الله او تطمئن بذكر
دلائله الدالة على وحدانيته او تطمئن بالقرآن لانه معجزة بينة تسكن القلوب وتثبت اليقين فيها (الذين
آمنوا) مبتدأ و(طوبى لهم) خبره ويجوز ان يكون بدلا من القلوب على تقدير حذف المضاف اى تطمئن
القلوب قلوب الذين آمنوا وطوبى مصدر من طاب كبشرى وزلفى ومعنى طوبى لك اصبت خيرا وطيبا
ومحلها النصب او الرفع كقولك طيبا لك وطيب لك وسلاما لك وسلام لك * والقراءة فى قوله وحسن مآب
بالرفع والنصب تدلك على محلها واللام فى لهم للبيان مثلها فى سقيا لك والواو فى طوبى منقلبة عن ياء لضمة
ما قبلها كموقن وموسر وقرأ مكوزة الاعرابى طيبى لهم فكسر الطاء لتسلم الياء كما قيل بيض ومعيشة (كذلك
ارسلناك) مثل ذلك الارسال ارسلناك يعنى ارسلناك ارسالا له شأن وفضل على سائر الارسالات ثم فسر كيف
ارسله فقال (فى امة قد خلت من قبلها امم) اى ارسلناك فى امة قد تقدمتها امم كثيرة فهى آخر الامم وانت خاتم
الانبياء (لتتلو عليهم الذى اوحينا اليك) لتقرأ عليهم الكتاب العظيم الذى اوحينا اليك (وهم يكفرون)
وحال هؤلاء انهم يكفرون (بالرحمن) بالبليغ الرحمة الذى وسعت رحمته كل شيء وما بهم من نعمة فمنه فكفروا
بنعمته فى ارسال مثلك اليهم وانزال هذا القرآن المعجز المصدق لسائر الكتب عليهم (قل هو ربي) الواحد
المتعالى عن الشركاء (عليه توكلت) فى نصرتي عليكم (واليه متاب) فيثيبني على مصابرتكم ومجاهدتكم
(ولو ان قرآنا) جوابه محذوف كما تقول لغلامك لو انى قمت اليك وتترك الجواب والمعنى ولو ان قرآنا (سيرت
به الجبال) عن مقارها وزعزعت عن مضاجعها (او قطعت به الارض) حتى تتصدع وتتزايل قطعا (او كلم به
الموتى) فتسمع وتجيب لكان هذا القرآن لكونه غاية فى التذكير ونهاية فى الانذار والتخويف كما قال لو انزلنا
هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا من خشية الله وهذا يعضد ما فسرت به قوله لتتلو عليهم الذى
اوحينا اليك من ارادة تعظيم ما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من القرآن وقيل معناه ولو ان قرآنا
وقع به تسيير الجبال وتقطيع الارض وتكليم الموتى وتنبيههم لما آمنوا به ولما تنبهوا عليه كقوله ولو اننا نزلنا
اليهم الملائكة الآية وقيل ان ابا جهل بن هشام قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم سير بقرآنك الجبال عن
مكة حتى تتسع لنا فنتخذ فيها البساتين والقطائع كما سخرت لداود عليه السلام ان كنت نبيا كما تزعم فلست

بما صبرتم فنعم عقبى
الدار والذين ينقضون
عهد الله من بعد ميثاقه
ويقطعون ما امر الله به
ان يوصل ويفسدون
فى الارض اولئك لهم
اللعنة ولهم سوء الدار الله
يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وفرحوا بالحياة
الدنيا وما الحياة الدنيا
فى الآخرة الا متاع
ويقول الذين كفروا لولا
انزل عليه آية من ربه
قل ان الله يضل من يشاء
ويهدى اليه من اناب
الذين آمنوا وتطمئن
قلوبهم بذكر الله الا بذكر
الله تطمئن القلوب الذين
آمنوا وعملوا الصالحات
طوبى لهم وحسن
مآب كذلك ارسلناك
فى امة قد خلت من قبلها
امم لتتلو عليهم الذى
اوحينا اليك وهم يكفرون
بالرحمن قل هو ربي لا اله
الا هو عليه توكلت
واليه متاب ولو ان قرآنا
سيرت به الجبال او
قطعت به الارض او
كلم به الموتى

باهون على الله من داود او سخر لنا به الريح لنركبها ونتجر الى الشام ثم نرجع في يومنا فقد شق علينا قطع المسافة البعيدة كما سخرت لسليمان عليه السلام او ابعث لنا به رجلين او ثلاثة ممن مات من آبائنا منهم قصي بن كلاب فنزلت ومعنى تقطيع الارض على هذا قطعها بالسير ومجاوزتها وعن الفراء هو متعلق بما قبله والمعنى وهم يكفرون بالرحمن ولو ان قرآنا سيرت به الجبال وما بينهما اعتراض وليس ببعيد من السداد وقيل قطعت به الارض شققت فجعلت انهارا وعيونا (بل لله الامر جميعا) على معنيين احدهما بل لله القدرة على كل شيء وهو قادر على الآيات التي اقترحوها الا ان علمه بان اظهارها مفسدة يصرفه والثاني بل لله ان يلجئهم الى الايمان وهو قادر على الالجاء لولا انه بنى امر التكليف على الاختيار ويعضده قوله (افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله) يعني مشيئة الالجاء والقسر (لهدى الناس جميعا) ومعنى افلم ييأس افلم يعلم قيل هي لغة قوم من النخع وقيل انما استعمل اليأس بمعنى العلم لتضمنه معناه لان اليائس عن الشيء عالم بانه لا يكون كما استعمل الرجاء في معنى الخوف والنسيان في معنى الترك لتضمن ذلك قال سحيم بن وثيل الرياحي

اقول لهم بالشعب اذ ييسرونني * الم تيأسوا اني ابن فارس زهدم

ويدل عليه ان عليا وابن عباس وجماعة من الصحابة والتابعين قرؤا افلم يتبين وهو تفسير افلم ييأس وقيل انما كتبه الكاتب وهو ناعس مستوي السينات وهذا ونحوه مما لا يصدق في كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وكيف يخفى مثل هذا حتى يبقى ثابتا بين دفتي الامام وكان متقلبا في ايدي اولئك الاعلام المحتاطين في دين الله المهيمنين عليه لا يغفلون عن جلائله ودقائقه خصوصا عن القانون الذي اليه المرجع والقاعدة التي عليها البناء وهذه والله فرية ما فيها مرية ويجوز ان يتعلق ان لو يشاء بآمنوا على اولم يقنط عن ايمان هؤلاء الكفرة الذين آمنوا بان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولهداهم (تصيبهم بما صنعوا) من كفرهم وسوء اعمالهم (قارعة) داهية تقرعهم بما يحل الله بهم في كل وقت من صنوف البلايا والمصائب في نفوسهم واولادهم واموالهم (او تحل) القارعة (قريبا) منهم فيفزعون ويضطربون ويتطاير اليهم شرارها ويتعدى اليهم شرورها (حتى يأتي وعد الله) وهو موتهم او القيامة وقيل ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا برسول الله صلى الله عليه وسلم من العداوة والتكذيب قارعة لان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان لا يزال يبعث السرايا فتغير حول مكة وتختطف منهم وتصيب من مواشيهم او تحل انت يا محمد قريبا من دارهم بجيشك كما حل بالحديبية حتى يأتي وعد الله وهو فتح مكة وكان الله قد وعده ذلك * الاملاء الامهال وان يترك ملاوة من الزمان في خفض وامن كالبهيمة يملى لها في المرعى وهذا وعيد لهم وجواب عن اقتراحهم الآيات على رسول الله صلى الله عليه وسلم استهزاء به وتسلية له (افمن هو قائم) احتجاج عليهم في اشراكهم بالله يعني افالله الذي هو قائم رقيب (على كل نفس) صالحة او طالحة (بما كسبت) يعلم خيره وشره ويعد لكل جزاءه كمن ليس كذلك ويجوز ان يقدر ما يقع خبرا للمبتدا ويعطف عليه وجعلوا وتمثيله افمن هو بهذه الصفة لم يوحدوه (وجعلوا) له وهو الله الذي يستحق العبادة وحده (شركاء قل سموهم) اي جعلتم له شركاء فسموهم له من هم ونبؤه باسمائهم ثم قال (ام تنبؤنه) على ام المنقطعة كقولك للرجل قل لي من زيد ام هو اقل من ان يعرف ومعناه بل اتنبؤنه بشركاء لا يعلمهم في الارض وهو العالم بما في السموات والارض فاذا لم يعلمهم علم انهم ليسوا بشيء يتعلق به العلم والمراد نفي ان يكون له شركاء ونحوه قل اتنبؤن الله بما لا يعلم في السموات ولا في الارض (ام بظاهر من القول) بل اتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير ان يكون لذلك حقيقة كقوله ذلك قولهم بافواههم ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها مناد على نفسه بلسان طلق ذلق انه ليس من كلام البشر لمن عرف وانصف من نفسه فتبارك الله احسن

بل لله الامر جميعا افلم ييأس الذين آمنوا ان لو يشاء الله لهدى الناس جميعا ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة او تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله ان الله لا يخلف الميعاد ولقد استهزئ برسل من قبلك فامليت للذين كفروا ثم اخذتهم فكيف كان عقاب افمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم ام تنبؤنه بما لا يعلم في الارض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا

* قوله تعالى أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت الآية (قال ومعناه بل أتنبؤنه بشركاء الخ) قال احمد وحقيقة هذا النفي انهم ليسوا بشركاء وان الله لا يعلمهم كذلك لانهم ليسوا كذلك وان كانت لهم ذوات ثابتة يعلمها الله الا انها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع لا تكتنه بلاغته وبراعته ولو اتى الكلام على الاصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان وجعلوا الله شركاء وماهم بشركاء فلم يكن بهذا الموقع التي اقتضته التلاوة * عاد كلامه (قال وهذا الاحتجاج واساليبه العجيبة التي ورد عليها الخ) قال احمد هذه الخاتمة كلمة حق اراد بها باطلا لانه يعرض فيها بخلق القرآن فتنبه لها وما اسرع المطالع لهذا الفصل ان يمر على لسانه وقلبه ويستحسنه وهو غافل عما تحته لولا هذا التنبيه والايقاظ والله اعلم

الحالقين وقرئ اتنبؤنه بالتخفيف (مكرهم) كيدهم للاسلام بشركهم (وصدوا) قرئ بالحركات الثلاث
وقرأ ابن ابي اسحق وصد بالتنوين (ومن يضلل الله) ومن يخذله لعلمه انه لا يهتدى (فماله من هاد) فماله من
احد يقدر على هدايته (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) وهو ما ينالهم من القتل والاسر وسائر المحن ولا يلحقهم الا
عقوبة لهم على الكفر ولذلك سماه عذابا (وما لهم من الله من واق) وما لهم من حافظ من عذابه او ما لهم من جهته
واق من رحمته (مثل الجنة) صفتها التى هي فى غرابة المثل وارتفاعه بالابتداء والخبر محذوف على مذهب
سيبويه أي فيما قصصناه عليكم مثل الجنة وقال غيره الخبر (تجرى من تحتها الانهار) كما تقول صفة زيد أسمر
وقال الزجاج معناه مثل الجنة جنة تجرى من تحتها الانهار على حذف الموصوف تمثيلا لما غاب عنا بما نشاهد
وقرأ على رضي الله عنه امثال الجنة على الجمع اى صفاتها (أكلها دائم) كقوله لا مقطوعة ولا ممنوعة (وظلها)
دائم لا ينسخ كما ينسخ فى الدنيا بالشمس (والذين آتيناهم الكتاب) يريد من اسلم من اليهود كعبد الله بن سلام
وكعب واصحابهما ومن اسلم من النصارى وهم ثمانون رجلا اربعون بنجران واثنان وثلاثون بارض الحبشة
وثمانية من اهل اليمن هؤلاء (يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب) يعنى ومن احزابهم وهم كفرتهم الذين
تحزبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعداوة نحو كعب بن الاشرف واصحابه والسيد والعاقب اسقفى
نجران واشياعهما (من ينكر بعضه) لانهم كانوا لا ينكرون الاقاصيص وبعض الاحكام والمعاني مما هو ثابت
فى كتبهم غير محرف وكانوا ينكرون ما هو نعت الاسلام ونعت رسول الله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك مما حرفوه
وبدلوه من الشرائع * (فان قلت) كيف اتصل قوله (قل انما امرت ان اعبد الله) بما قبله (قلت) هو جواب
للمنكرين معناه قل انما امرت فيما انزل الى بان اعبد الله ولا اشرك به فانكاركم له انكار لعبادة الله وتوحيده
فانظروا ماذا تنكرون مع ادعائكم وجوب عبادة الله وان لا يشرك به قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء
بيننا وبينكم ان لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا * وقرأ نافع فى رواية ابي خليد ولا اشرك بالرفع على الاستئناف
كانه قال وانا لا اشرك به ويجوز ان يكون فى موضع الحال على معنى امرت ان اعبد الله غير مشرك به (اليه ادعوا)
خصوصا لا ادعو الى غيره (واليه) لا الى غيره مرجعي وانتم تقولون مثل ذلك فلا معنى لانكاركم (وكذلك
انزلناه) ومثل ذلك الانزال انزلناه مامورا فيه بعبادة الله وتوحيده والدعوة اليه والى دينه والانذار بدار
الجزاء (حكما عربيا) حكمة عربية مترجمة بلسان العرب وانتصابه على الحال * كانوا يدعون رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى امور يوافقهم عليها منها ان يصلى الى قبلتهم بعد ما حوله الله عنها فقيل له لئن تابعتهم على دين
ما هو الا اهواء وشبه بعد ثبوت العلم عندك بالبراهين والحجج القاطعة خذلك الله فلا ينصرك ناصر واهلكك
فلا يقيك منه واق وهذا من باب الالهاب والتهييج والبعث للسامعين على الثبات فى الدين والتصلب فيه وان
لا يزل زال عند الشبهة بعد استمساكه بالحجة والا فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم من شدة الشكيمة بمكان
* كانوا يعيبونه بالزواج والولاد كما كانوا يقولون ما لهذا الرسول يأكل الطعام وكانوا يقترحون عليه الآيات
وينكرون النسخ فقيل كان الرسل قبله بشرا مثله ذوى ازواج وذرية وما كان لهم ان يأتوا بآيات برايهم ولا
يأتون بما يقترح عليهم والشرائع مصالح تختلف باختلاف الاحوال والاوقات فلكل وقت حكم يكتب على
العباد اى يفرض عليهم على ما يقتضيه استصلاحهم (يمحو الله ما يشاء) ينسخ ما يستصوب نسخه ويثبت
بدله ما يرى المصلحة فى اثباته او يتركه غير منسوخ وقيل يمحو من ديوان الحفظة ما ليس بحسنة ولا سيئة لانهم
مامورون بكتبة كل قول وفعل (ويثبت) غيره وقيل يمحو كفر التائبين ومعاصيهم بالتوبة ويثبت ايمانهم
وطاعتهم وقيل يمحو بعض الخلائق ويثبت بعضا من الاناسى وسائر الحيوان والنبات والاشجار وصفاتها
واحوالها والكلام فى نحو هذا واسع المجال (وعنده ام الكتاب) اصل كل كتاب وهو اللوح المحفوظ لان كل
كائن مكتوب فيه * وقرئ ويثبت (وان ما نرينك) وكيفما دارت الحال اريناك مصارعهم وما وعدناهم من انزال
العذاب عليهم او توفيناك قبل ذلك فما يجب عليك الا تبليغ الرسالة فحسب وعلينا لا عليك حسابهم وجزاؤهم
على اعمالهم فلا يهمنك اعراضهم ولا تستعجل بعذابهم (اولم يروا انا نأتى الارض) ارض الكفر (ننقصها من

اطرافها)

مكرهم وصدوا عن
السبيل ومن يضلل
الله فماله من هاد لهم
عذاب فى الحياة الدنيا
ولعذاب الآخرة اشق
وما لهم من الله من واق
مثل الجنة التى وعد
المتقون تجرى من تحتها
الانهار أكلها دائم وظلها
تلك عقبى الذين اتقوا
وعقبى الكافرين
النار والذين آتيناهم
الكتاب يفرحون بما
انزل اليك ومن الاحزاب
من ينكر بعضه قل انما
امرت ان اعبد الله ولا
اشرك به اليه ادعو واليه
مآب وكذلك انزلناه
حكما عربيا ولئن اتبعت
اهواءهم بعد ما جاءك
من العلم ما لك من الله
من ولى ولا واق ولقد
ارسلنا رسلا من قبلك
وجعلنا لهم ازواجا
وذرية وما كان لرسول
ان يأتى بآية الا باذن
الله لكل أجل كتاب
يمحو الله ما يشاء ويثبت
وعنده أم الكتاب
وان ما نرينك بعض
الذى نعدهم او نتوفينك
فانما عليك البلاغ
وعلينا الحساب اولم
يروا أنا نأتى الارض
ننقصها من

اطرافها) بما نفتح على المسلمين من بلادهم فننقص دار الحرب ونزيد في دار الاسلام وذلك من آيات النصرة والغلبة ونحوه افلا يرون انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها افهم الغالبون سنريهم آياتنا في الآفاق والمعنى عليك بالبلاغ الذي حملته ولا تهتم بما وراء ذلك فنحن نكفيكه ونتم ما وعدناك من الظفر ولا يضجرك تأخره فان ذلك لما نعلم من المصالح التي لا تعلمها ثم طيب نفسه ونفس عنها بما ذكر من طلوع تباشير الظفر وقرئ ننقصها بالتشديد (لا معقب لحكمه) لا راد لحكمه والمعقب الذي يكر على الشيء فيبطله وحقيقته الذي يعقبه اي يقفيه بالرد والابطال ومنه قيل لصاحب الحق معقب لانه يقفي غريمه بالاقتضاء والطلب قال لبيد

* طلب المعقب حقه المظلوم * والمعنى انه حكم للاسلام بالغلبة والاقبال وعلى الكفر بالادبار والانتكاس (وهو سريع الحساب) فعما قليل يحاسبهم في الآخرة بعد عذاب الدنيا (فان قلت) ما محل قوله لا معقب لحكمه (قلت) هو جملة محلها النصب على الحال كانه قيل والله يحكم نافذا حكمه كما تقول جاءني زيد لا عمامة على رأسه ولا قلنسوة تريد حاسرا (وقد مكر الذين من قبلهم) وصفهم بالمكر ثم جعل مكرهم كلا مكر بالاضافة الى مكره فقال (فلله المكر جميعا) ثم فسر ذلك بقوله (يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار) لان من علم ما تكسب كل نفس واعد لها جزاءها فهو المكر كله لانه يأتيهم من حيث لا يعلمون وهم في غفلة مما يراد بهم وقرئ الكفار والكافرون والذين كفروا والكفر اي اهله والمراد بالكافر الجنس وقرأ جناح بن حبيش وسيعلم الكافر من اعلمه اي سيخبر (كفى بالله شهيدا) لما اظهر من الادلة على رسالتي (ومن عنده علم الكتاب) والذي عنده علم القرآن وما الف عليه من النظم المعجز الفائت لقوى البشر وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم وقيل هو الله عز وعلا والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة وبالذي لا يعلم علم ما في اللوح الا هو شهيدا بيني و بينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة اي ومن لدنه علم الكتاب لان علم من علمه من فضله ولطفه وقرئ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة وعلم على البناء للمفعول وقرئ وبمن عنده علم الكتاب (فان قلت) بم ارتفع علم الكتاب (قلت) في القراءة التي وقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالمقدر في الظرف فيكون فاعلا لان الظرف اذا وقع صلة اوغل في شبه الفعل لاعتماده على الموصول فعمل عمل الفعل كقولك مررت بالذي في الدار اخوه فاخوه فاعل كما تقول بالذي استقر في الدار اخوه وفي القراءة التي لم يقع فيها عنده صلة يرتفع العلم بالابتداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرعد اعطي من الاجر عشر حسنات بوزن كل سحاب مضى وكل سحاب يكون الى يوم القيامة وبعث يوم القيامة من الموفين بعهد الله

(سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(كتاب) هو كتاب يعني السورة * وقرئ ليخرج الناس * والظلمات والنور استعارتان للضلال والهدى (باذن ربهم) بتسهيله وتيسيره مستعار من الاذن الذي هو تسهيل للحجاب وذلك ما يمنحهم من اللطف والتوفيق (الى صراط العزيز الحميد) بدل من قوله الى النور بتكرير العامل كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم ويجوز ان يكون على وجه الاستئناف كانه قيل الى اي نور فقيل الى صراط العزيز الحميد وقوله (الله) عطف بيان للعزيز الحميد لانه جرى مجرى الاسماء الاعلام لغلبته واختصاصه بالمعبود الذي تحق له العبادة كما غلب النجم في الثريا وقرئ بالرفع على هو الله * الويل نقيض الوأل وهو النجاة اسم معنى كالهلاك الا انه

اطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب وقد مكر الذين من قبلهم فلله المكر جميعا يعلم ما تكسب كل نفس وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار ويقول الذين كفروا لست مرسلا قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب

(سورة ابراهيم عليه السلام مكية وهي احدى وخمسون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر كتاب انزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد الله الذي له ما في السموات وما في الارض وويل للكافرين

---

* قوله تعالى قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم ومن عنده علم الكتاب (قال المراد والذي عنده علم القرآن الخ) قال احمد فيكون المراد حينئذ جنس المؤمنين (قال وقيل ومن هو من علماء اهل الكتاب الذين اسلموا لانهم يشهدون بنعته في كتبهم) قال احمد فالكتاب على التاويل الاول مراد به القرآن خاصة وعلى الثاني جنس الكتب المتقدمة عليه (قال وقيل هو الله عز وجل والكتاب اللوح المحفوظ وعن الحسن لا والله ما يعني الا الله والمعنى كفى بالذي يستحق العبادة و بالذي لا يعلم ما في اللوح المحفوظ الا هو شهيدا بيني و بينكم وتعضده قراءة من قرأ ومن عنده علم الكتاب على من الجارة) قال احمد وانما قدر الزمخشري في المعطوف عليه اسم الله بالذي يستحق العبادة حذرا من عطف الصفة على الموصوف وعدولا الى انه عطف احدى الصفتين على الاخرى تقديرا وانما اخذ الحصر حيث يقول ومن لا يعلم علم الكتاب الا هو من انه قدم الخبر الذي هو عنده على مبتدئه وشان الزمخشري اخذ الحصر من التقديم والله الموفق للصواب

لا يشتق منه فعل انما يقال ويلاله فينصب نصب المصادر ثم يرفع رفعها لافادة معنى الثبات فيقال ويل له كقوله
سلام عليك ولما ذكر الخارجين من ظلمات الكفر الى نور الايمان توعد الكافرين بالويل * (فان قلت)
ما وجه اتصال قوله (من عذاب شديد) بالويل (قلت) لان المعنى انهم يولولون من عذاب شديد ويضجون
منه ويقولون ياويلاه كقوله دعوا هنالك ثبورا (الذين يستحبون) مبتدأ خبره أولئك في ضلال بعيد ويجوز
ان يكون مجرورا صفة للكافرين ومنصوبا على الذم او مرفوعا على اعني الذين يستحبون او هم الذين
يستحبون والاستحباب الايثار والاختيار وهو استفعال من المحبة لان المؤثر للشيء على غيره كأنه يطلب من
نفسه ان يكون احب اليها وافضل عندها من الآخر * وقرأ الحسن ويصدون بضم الياء وكسر الصاد يقال
صده عن كذا وأصده قال * أناس أصدوا الناس بالسيف عنهم * والهمزة فيه داخلة على صد صدودا
لتنقله من غير التعدي الى التعدي واما صده فموضوع على التعدية كمنعه وليست بفصيحة كأوقفه لان الفصحاء
استغنوا بصده ووقفه عن تكلف التعدية بالهمزة (ويبغونها عوجا) ويطلبون لسبيل الله زيغا واعوجاجا
وان يدلوا الناس على انها سبيل ناكبة عن الحق غير مستوية والاصل ويبغون لها فحذف الجار واوصل
الفعل (في ضلال بعيد) اى ضلوا عن طريق الحق ووقفوا دونه بمراحل (فان قلت) فما معنى وصف الضلال
بالبعد (قلت) هو من الاسناد المجازي والبعد في الحقيقة للضال لانه هو الذي يتباعد عن الطريق فوصف به
فعله كما تقول جد جده ويجوز ان يراد في ضلال ذي بعد او فيه بعد لان الضال قد يضل عن الطريق مكانا
قريبا وبعيدا (الا بلسان قومه ليبين لهم) اى ليفقهوا عنه ما يدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة على الله ولا يقولوا
لم نفهم ما خوطبنا به كما قال ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته (فان قلت) لم يبعث رسول الله صلى الله
عليه وسلم الى العرب وحدهم وانما بعث الى الناس جميعا قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا بل الى
الثقلين وهم على ألسنة مختلفة فان لم تكن للعرب حجة فلغيرهم الحجة وان لم تكن لغيرهم حجة فلو نزل بالعجمية لم
تكن للعرب حجة أيضا (قلت) لا يخلو اما ان ينزل بجميع الالسنة أو بواحد منها فلا حاجة الى نزوله بجميع
الالسنة لان الترجمة تنوب عن ذلك وتكفي التطويل فبقي ان ينزل بلسان واحد فكان اولى الالسنة لسان قوم
الرسول لانهم اقرب اليه فاذا فهموا عنه وتبينوه وتنوقل عنهم وانتشر قامت التراجم ببيانه وتفهيمه كما ترى الحال
وتشاهدها من نيابة التراجم في كل امة من امم العجم مع ما في ذلك من اتفاق اهل البلاد المتباعدة والاقطار
المتنازحة والامم المختلفة والاجيال المتفاوتة على كتاب واحد واجتهادهم في تعلم لفظه وتعلم معانيه وما يتشعب
من ذلك من جلائل الفوائد وما يتكاثر في اتعاب النفوس وكد القرائح فيه من القرب والطاعات المفضية الى
جزيل الثواب ولانه ابعد من التحريف والتبديل واسلم من التنازع والاختلاف ولانه لو نزل بالسنة الثقلين
كلها مع اختلافها وكثرتها وكان مستقلا بصفة الاعجاز في كل واحد منها وكلم الرسول العربي كل أمة بلسانها كما
كلم امته التي هو منها يتلوه عليهم معجزا لكان ذلك امرا قريبا من الالجاء ومعنى بلسان قومه بلغة قومه وقرئ
بلسن قومه واللسن واللسان كالريش والرياش بمعنى اللغة وقرئ بلسن قومه بضم اللام والسين مضمومة او
ساكنة وهو جمع لسان كعماد وعمد على التخفيف وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم ورووه
عن الضحاك وان الكتب كلها نزلت بالعربية ثم اداها كل نبي بلغة قومه وليس بصحيح لان قوله ليبين لهم ضمير
القوم وهم العرب فيؤدي الى ان الله انزل التوراة من السماء بالعربية ليبين للعرب وهذا معنى فاسد (فيضل
الله من يشاء ويهدي من يشاء) كقوله فمنكم كافر ومنكم مؤمن لان الله لا يضل الا من يعلم انه لن يؤمن ولا
يهدي الا من يعلم انه يؤمن والمراد بالاضلال التخلية ومنع الالطاف وبالهداية التوفيق واللطف فكان ذلك
كناية عن الكفر والايمان (وهو العزيز) فلا يغلب على مشيئته (الحكيم) فلا يخذل الا اهل الخذلان ولا
يلطف

من عذاب شديد الذين يستحبون الحياة الدنيا على الآخرة ويصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا أولئك في ضلال بعيد وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم فيضل الله من يشاء ويهدي من يشاء وهو العزيز الحكيم ولقد ارسلنا موسى بآياتنا

(قال اى ليفقهوا عنه مايدعوهم اليه فلا يكون لهم حجة الخ) قال أحمد جميع الفصل مرضي لكن في هذا الخاتمة نظر لان فيها اشعارا بان اعجاز القرآن من حيث اللغة العربية خاصة يتقاصر عن اعجازه لو قدر منزلا بكل لسان حتى انه لو نزل بجميع اللغات لبلغ من الوضوح الى حد يكاد ان يكون الجاء الى الايمان به وهذا فيه نظر والقول به غير متعين لان المعجز يفيد العلم بصدق من ظهر على يديه ومتى حصل العلم لم يكن بين علم وعلم تفاوت ولا ترجيح فلو نزل القرآن بجميع اللغات لكان العلم الحاصل منه وقد نزل بلغة واحدة هو العلم الحاصل منه لو نزل بالجميع لا تفاوت ولا ترجيح بين العلمين هذا هو التحقيق والله اعلم والزمخشري يبني في كثير من كلامه على ان العلوم تتفاوت وتنقسم الى جلي واجلى وهو من الحق بمعزل وانما ظن ذلك طائفة ظاهرية والله الموفق

* قوله تعالى جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا ايديهم في افواههم (قال معناه عضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل الخ) قال احمد واقوى هذه الوجوه هذا الوجه الذي نبه المصنف على اختصاصه بالقوة وانما كان كذلك لان اقناطهم ٩٩ في الرسل من الايمان قولا وفعلا بوضع اليد في الفم هو المناسب لجحدهم في الكفر وتصميمهم والعبارة بالحرف

ان اخرج قومك من الظلمات الى النور وذكرهم بأيام الله ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون ابناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم واذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم ان عذابي لشديد وقال موسى ان تكفروا أنتم ومن في الارض جميعا فان الله لغني حميد ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله جاءتهم رسلهم بالبينات فردوا أيديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وانا لفي شك

يلطف الا باهل اللطف (ان اخرج) بمعنى اى اخرج لان الارسال فيه معنى القول كانه قيل أرسلناه وقلنا له اخرج ويجوز ان تكون أن الناصبة للفعل وانما صلح ان توصل بفعل الامر لان الغرض وصلها بما تكون معه في تاويل المصدر وهو الفعل والامر وغيره سواء في الفعلية والدليل على جواز ان تكون الناصبة للفعل قولهم أوعز اليه بان افعل فادخلوا عليها حرف الجر وكذلك التقدير بان اخرج قومك (وذكرهم بايام الله) وانذرهم بوقائعه التي وقعت على الامم قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ومنه ايام العرب لحروبها وملاحمها كيوم ذي قار ويوم الفجار ويوم قضة وغيرها وهو الظاهر وعن ابن عباس رضي الله عنه نعماؤه وبلاؤه فاما نعماؤه فانه ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المن والسلوى وفلق لهم البحر واما بلاؤه فاهلاك القرون (لكل صبار شكور) يصبر على بلاء الله ويشكر نعماءه فاذا سمع بما انزل الله من البلاء على الامم او افاض عليهم من النعم تنبه على ما يجب عليه من الصبر والشكر واعتبر وقيل اراد لكل مؤمن لان الشكر والصبر من سجاياهم تنبيها عليهم (اذ أنجاكم) ظرف للنعمة بمعنى الانعام اى انعامه عليكم ذلك الوقت (فان قلت) هل يجوز ان ينتصب بعليكم (قلت) لا يخلو من ان يكون صلة للنعمة بمعنى الانعام او غير صلة اذا اردت بالنعمة العطية فاذا كان صلة لم يعمل فيه واذا كان غير صلة بمعنى اذكروا نعمة الله مستقرة عليكم عمل فيه ويتبين الفرق بين الوجهين انك اذا قلت نعمة الله عليكم فان جعلته صلة لم يكن كلاما حتى تقول فائضة او نحوها والا كان كلاما ويجوز ان يكون اذ بدلا من نعمة الله اى اذكروا وقت انجائكم وهو من بدل الاشتمال * (فان قلت) في سورة البقرة يذبحون وفي الاعراف يقتلون وههنا (ويذبحون) مع الواو فما الفرق (قلت) الفرق ان التذبيح حيث طرح الواو جعل تفسيرا للعذاب وبيانا له وحيث أثبت جعل التذبيح لانه اوفى على جنس العذاب وزاد عليه زيادة ظاهرة كانه جنس آخر * (فان قلت) كيف كان فعل آل فرعون بلاء من ربهم (قلت) تمكينهم وامهالهم حتى فعلوا ما فعلوا ابتلاء من الله ووجه آخر وهو ان ذلك اشارة الى الانجاء وهو بلاء عظيم والبلاء يكون ابتلاء بالنعمة والمحنة جميعا قال تعالى ونبلوكم بالشر والخير فتنة وقال زهير * فابلاهما خير البلاء الذي يبلو * (واذ تاذن ربكم) من جملة ما قال موسى لقومه وانتصابه للعطف على قوله نعمة الله عليكم كانه قيل واذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم واذكروا حين تاذن ربكم ومعنى تاذن ربكم اذن ربكم ونظير تاذن واذن توعد واوعد وتفضل وافعل ولا بد في تفعل من زيادة معنى ليس في افعل كانه قيل واذ اذن ربكم ايذانا بليغا تنتفي عنده الشكوك وتنزاح الشبه والمعنى واذ تاذن ربكم فقال (لئن شكرتم) او اجرى تاذن مجرى قال لانه ضرب من القول وفي قراءة ابن مسعود واذ قال ربكم لئن شكرتم اى لئن شكرتم يا بني اسرائيل ما خولتكم من نعمة الانجاء وغيرها من النعم بالايمان الخالص والعمل الصالح (لازيدنكم) نعمة الى نعمة ولاضاعفن لكم ما آتيتكم (ولئن كفرتم) وغمطتم ما انعمت به عليكم (ان عذابي لشديد) لمن كفر نعمتي (وقال موسى ان تكفروا انتم) يا بني اسرائيل والناس كلهم فانما ضررتم انفسكم وحرمتموها الخير الذي لا بد لكم منه وانتم اليه محاويج والله غني عن شكركم (حميد) مستوجب للحمد بكثرة انعمه واياديه وان لم يحمده الحامدون (والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله) جملة من مبتدا وخبر وقعت اعتراضا او عطف الذين من بعدهم على قوم نوح ولا يعلمهم الا الله اعتراض والمعنى انهم من الكثرة بحيث لا يعلم عددهم الا الله وعن ابن عباس رضي الله عنه بين عدنان واسمعيل ثلاثون ابا لا يعرفون وكان ابن مسعود اذا قرأ هذه الآية قال كذب النسابون يعني انهم يدعون علم الانساب وقد نفى الله علمها عن العباد (فردوا ايديهم في افواههم) فعضوها غيظا وضجرا مما جاءت به الرسل كقوله عضوا عليكم الانامل من الغيظ او ضحكا واستهزاء كمن غلبه الضحك فوضع يده على فيه او اشاروا بايديهم الى السنتهم وما نطقت به من قولهم (انا كفرنا بما ارسلتم به) اى هذا جوابنا لكم ليس عندنا غيره اقناطا

المؤكد ومواجهة الرسل بضمائر الخطاب واعادة ذلك مبالغة في التاكيد وليس السياق بمناسب للضحك ولا الغيظ ولا لتصميت الرسل كمناسبته لاقناطهم من القبول ألا ترى انهم لما اعادوا للرسل القول ولم ينكروا عليهم عودهم الى المجادلة دل على انهم لم يسكتوهم اولا ولا كان غرضهم ذلك والله أعلم

لهم من التصديق ألا ترى الى قوله فردوا ايديهم في افواههم وقالوا انا كفرنا بما ارسلتم به وهذا قول قوى اووضعوها على افواههم يقولون للانبياء اطبقوا افواهكم واسكتوا او ردها في افواه الانبياء يشيرون لهم الى السكوت اووضعوها على افواههم يسكتونهم ولا يذرونهم يتكلمون وقيل الايدى جمع يد وهي النعمة بمعنى الايادى اى ردوا نعم الانبياء التي هي أجل النعم من مواعظهم ونصائحهم وما اوحي اليهم من الشرائع والآيات في افواههم لانهم اذا كذبوها ولم يقبلوها فكانهم ردوها في افواههم ورجعوها الى حيث جاءت منه على طريق المثل (مما تدعوننا اليه) من الايمان بالله وقرئ تدعونا بادغام النون (مريب) موقع في الريبة اوذي ريبة من ارابه واراب الرجل وهي قلق النفس وان لا تطمئن الى الامر (افي الله شك) أدخلت همزة الانكار على الظرف لان الكلام ليس في الشك انما هو في المشكوك فيه وانه لا يحتمل الشك لظهور الادلة وشهادتها عليه (يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم) اى يدعوكم الى الايمان ليغفر لكم او يدعوكم لاجل المغفرة كقوله دعوته لينصرني ودعوته ليأكل معي وقال

دعوت لما نابني مسورا * فلبى فلبي يدى مسور

(فان قلت) ما معنى التبعيض في قوله من ذنوبكم (قلت) ما علمته جاء هكذا الا في خطاب الكافرين كقوله واتقوه واطيعون يغفر لكم من ذنوبكم ياقومنا اجيبوا داعي الله وآمنوا به يغفر لكم من ذنوبكم وقال في خطاب المؤمنين هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم الى ان قال يغفر لكم ذنوبكم وغير ذلك مما يقفك عليه الاستقراء وكان ذلك للتفرقة بين الخطابين ولئلا يسوى بين الفريقين في الميعاد وقيل أريد انه يغفر لهم ما بينهم وبين الله بخلاف ما بينهم وبين العباد من المظالم ونحوها (ويؤخركم الى اجل مسمى) الى وقت قد سماه الله وبين مقداره يبلغكموه ان آمنتم والا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت (ان أنتم) ما انتم (الا بشر مثلنا) لا فضل بيننا وبينكم ولا فضل لكم علينا فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو أرسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة (بسلطان مبين) بحجة بينة وقد جاءتهم رسلهم بالبينات والحجج وانما ارادوا بالسلطان المبين آية قد اقترحوها تعنتا ولجاجا (ان نحن الا بشر مثلكم) تسليم لقولهم وانهم بشر مثلهم يعنون انهم مثلهم في البشرية وحدها فاما ما وراء ذلك فما كانوا مثلهم ولكنهم لم يذكروا فضلهم تواضعا منهم واقتصروا على قولهم (ولكن الله يمن على من يشاء من عباده) بالنبوة لانه قد علم انهم لا يختصهم بتلك الكرامة الا وهم أهل لاختصاصهم بها لخصائص فيهم قد استأثروا بها على ابناء جنسهم (الا باذن الله) ارادوا ان الاتيان بالآية التي اقترحتموها ليس الينا ولا في استطاعتنا وما هو الا امر يتعلق بمشيئة الله (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) امر منهم للمؤمنين كافة بالتوكل وقصدوا به انفسهم قصدا أوليا وامروها به كانهم قالوا ومن حقنا ان نتوكل على الله في الصبر على معاندتكم ومعاداتكم وما يجرى علينا منكم ألا ترى الى قوله (وما لنا ان لا نتوكل على الله) ومعناه واى عذر لنا في ان لا نتوكل عليه (وقد هدانا) وقد فعل بنا ما يوجب توكلنا عليه وهو التوفيق لهداية كل واحد منا سبيله الذي يجب عليه سلوكه في الدين (فان قلت) كيف كرر الامر بالتوكل (قلت) الاول لاستحداث التوكل وقوله (فليتوكل المتوكلون) معناه فليثبت المتوكلون على ما استحدثوا من توكلهم وقصدهم الى انفسهم على ما تقدم (لنخرجنكم * اولتعودن) ليكونن احد الامرين لا محالة اما اخراجكم واما عودكم حالفين على ذلك (فان قلت) كانهم كانوا على ملتهم حتى يعودوا فيها (قلت) معاذ الله ولكن العود بمعنى الصيرورة وهو كثير في كلام العرب كثرة فاشية لا تكاد تسمعهم يستعملون صار ولكن عاد ما عدت أراه عادلا يكلمني ما عاد لفلان مال او خاطبوا به كل رسول ومن آمن به فغلبوا في الخطاب على الجماعة الواحد (لنهلكن الظالمين) حكاية تقتضي اضمار القول او اجراء الايحاء مجرى القول لانه ضرب منه وقرأ أبو حيوة ليهلكن وليسكننكم بالياء اعتبارا لاوحي وان لفظه لفظ الغيبة

مما تدعوننا اليه مريب قالت رسلهم افي الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخركم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما كان يعبد آباؤنا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الا بشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان نأتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون وما لنا ألا نتوكل على الله وقد هدانا سبلنا ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن في ملتنا فاوحي اليهم ربهم لنهلكن الظالمين ولنسكننكم الارض من بعدهم ذلك

* عاد كلامه (قال وقولهم ان انتم الا بشر مثلنا معناه فلم تخصون بالنبوة دوننا ولو ارسل الله الى البشر رسلا لجعلهم من جنس افضل منهم وهم الملائكة) قال أحمد ومن تهالكه على الانتصار لاعتقاده تفضيل الملائكة على الرسل من البشر يستعين حتى بحمل الكفار على أنهم كانوا يعتقدون كمعتقد القدرية في تفضيل الملك على الرسول لانه يدعى ذلك امرا مركوزا في الطباع معلوما ضرورة والله الموفق * قوله تعالى وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) ونحوه (قال ان قلت كيف كرر ذلك بعد قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون الخ) قال احمد وبهذا يخرج عن وادى من قتل قتيلا فله سلبه والله أعلم

ونحوه قولك اقسم زيد ليخرجن ولأخرجن* والمراد بالارض أرض الظالمين وديارهم ونحوه وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها واورثكم أرضهم وديارهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم من آذى جاره ورثه الله داره ولقد عاينت هذا في مدة قريبة كان لي خال يظلمه عظيم القرية التي انا منها ويؤذيني فيه فمات ذلك العظيم وملكني الله ضيعته فنظرت يوما الى ابناء خالي يترددون فيها ويدخلون في دورها ويخرجون ويامرون وينهون فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدثتهم به وسجدنا شكرا لله (ذلك) اشارة الى ماقضى به الله من اهلاك الظالمين واسكان المؤمنين ديارهم اى ذلك الامر حق (لمن خاف مقامي) موقفي وهو موقف الحساب لانه موقف الله الذي يقف فيه عباده يوم القيامة او على اقحام المقام وقيل خاف قيامي عليه وحفظي لاعماله والمعنى ان ذلك حق للمتقين كقوله والعاقبة للمتقين (واستفتحوا) واستنصروا الله على اعدائهم ان تستفتحوا فقد جاءكم الفتح او استحكموا الله وسالوه القضاء بينهم من الفتاحة وهي الحكومة كقوله تعالى ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وهو معطوف على اوحى اليهم وقرئ واستفتحوا بلفظ الامر وعطفه على لنهلكن اى اوحى اليهم ربهم وقال لهم لنهلكن وقال لهم استفتحوا (وخاب كل جبار عنيد) معناه فنصروا وظفروا وافلحوا وخاب كل جبار عنيد وهم قومهم وقيل واستفتح الكفار على الرسل ظنا منهم بانهم على الحق والرسل على الباطل وخاب كل جبار عنيد منهم ولم يفلح باستفتاحه (من ورائه) من بين يديه قال

عسى الكرب الذي امسيت فيه * يكون وراءه فرج قريب

وهذا وصف حاله وهو في الدنيا لانه مرصد لجهنم فكانها بين يديه وهو على شفيرها او وصف حاله في الآخرة حين يبعث ويوقف* (فان قلت) علام عطف (ويسقى) (قلت) على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ما يلقى ويسقى من ماء صديد كانه اشد عذابها فخصص بالذكر مع قوله ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت (فان قلت) ما وجه قوله تعالى (من ماء صديد) (قلت) صديد عطف بيان لماء قال ويسقى من ماء فابهمه ابهاما ثم بينه بقوله صديد وهو ما يسيل من جلود اهل النار (يتجرعه) يتكلف جرعه (ولا يكاد يسيغه) دخل كاد للمبالغة يعني ولا يقارب ان يسيغه فكيف تكون الاساغة كقوله لم يكد يراها اى لم يقرب من رؤيتها فكيف يراها (ويأتيه الموت من كل مكان) كان أسباب الموت واصنافه كلها قد تألبت عليه وأحاطت به من جميع الجهات تفظيعا لما يصيبه من الآلام وقيل من كل مكان من جسده حتى من ابهام رجله وقيل من أصل كل شعرة (ومن ورائه) ومن بين يديه (عذاب غليظ) اى في كل وقت يستقبله يتلقى عذابا أشد مما قبله وأغلظ وعن الفضيل هو قطع الانفاس وحبسها في الاجساد ويحتمل ان يكون اهل مكة قد استفتحوا اى استمطروا والفتح المطر في سني القحط التي ارسلت عليهم بدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسقوا فذكر سبحانه ذلك وانه خيب رجاء كل جبار عنيد وانه يسقى في جهنم بدل سقياه ماء آخر وهو صديد اهل النار واستفتحوا على هذا التفسير كلام مستانف منقطع عن حديث الرسل واممهم *هو مبتدأ محذوف الخبر عند سيبويه تقديره وفيما يقص عليك (مثل الذين كفروا بربهم) والمثل مستعار للصفة التي فيها غرابة (وقوله أعمالهم كرماد) جملة مستانفة على تقدير سؤال سائل يقول كيف مثلهم فقيل اعمالهم كرماد ويجوز ان يكون المعنى مثل اعمال الذين كفروا بربهم او هذه الجملة خبر للمبتدا اى صفة الذين كفروا أعمالهم كرماد كقولك صفة زيد عرضه مصون وماله مبذول او يكون اعمالهم بدلا من مثل الذين كفروا على تقدير مثل اعمالهم وكرماد الخبر* وقرئ الرياح (في يوم عاصف) جعل العصف لليوم وهو لما فيه وهو الريح او الرياح كقولك يوم ماطر وليلة ساكرة وانما السكور لريحها وقرئ في يوم عاصف بالاضافة واعمال الكفرة المكارم التي كانت لهم من صلة الارحام وعتق الرقاب وفداء الاسارى وعقر الابل للاضياف واغاثة الملهوفين والاجارة وغير ذلك من صنائعهم شبهها في حبوطها وذهابها هباء منثورا لبنائها على غير أساس من معرفة الله والايمان به وكونها لوجهه برماد طيرته الريح العاصف (لا يقدرون) يوم القيامة (مما كسبوا) من اعمالهم (على شيء) اى لا يرون له اثرا من ثواب كما لا يقدر من الرماد المطير في الريح على شيء (ذلك هو الضلال البعيد)

لمن خاف مقامي وخاف وعيد واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقي من ماء صديد يتجرعه ولا يكاد يسيغه ويأتيه الموت من كل مكان وماهو بميت ومن ورائه عذاب غليظ مثل الذين كفروا بربهم اعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد ألم تر ان الله خلق السموات والارض

* قوله تعالى الله الذى خلق السموات والارض بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز (قال معناه خلقها بالحكمة والغرض الصحيح الخ) قال احمد وهذا من اعتزاله الخفى وقد تقدمت امثاله * عاد كلامه (قال معناه وما ذلك على الله بعزيز اى هين عليه لانه قادر بالذات الخ) قال احمد وهذا اعتزال صراح لم يتقنع فى ابرازه وما أبشع قوله عن الله جل جلاله خلص له الداعي وأمضى الصارف وما انباه عن سمع المتحققين العارفين بآداب الله تعالى وبما يجب فى حق جلاله وقد تقدم ما فيه كفاية * قوله تعالى فقال الضعفاء للذين استكبروا

انا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص (قال الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم الخ) قال احمد لما استشعر دلالة الآية لعقيدة السنة المشتملة على ان الله تعالى مهما شاء كان وما لم يشأ لم يكن وان هداية المشركين مما لم يشأه ولو شاءه لاهتدوا وانما تنشأ هذه الدلالة من ايراد هذا الكلام عن الكفار فى دار الحق حين حقت لهم الحقائق وانكشف الغطاء والمقصود من اقتصاصه انذار امثالهم فى الدنيا وتحذيرهم من الحسرة والندم فى الآخرة اذا حق عليهم العذاب واعترفوا بالحق وقالوا القول المذكور وهذا يرشد الى انه كلام صحيح المعنى فلما فطن الزمخشرى لذلك شرع فى تقرير تخطئتهم فى هذا القول فى الآخرة كخطئهم فى الدنيا ليتم له اعتقاد ان الله يشاء ما لا يكون ويكون ما لا يشاء ومن ذلك هداية الكفار فان الله تعالى يشاءها فى الدنيا لكنها لم تكن وانى له ذلك وسياق الآية يصوب الكلام المذكور وينذر الغافلين عنه فى الدنيا ويحذرهم من التورط فيما يؤدى الى هذا الندم حيث لا ينفع ويجر الى هذه الحسرة اذ لا ينجع كما ورد كلام الشيطان عقيب ذلك حين يعترف بالحق فى دار الحق وحيث لا ينفعه ايمانه فيقول ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم الخ وانما سيق تحذيرا وانذارا اتفاقا والله الموفق

بالحق ان يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد وما ذلك على الله بعزيز وبرزوا لله جميعا فقال الضعفاء للذين استكبروا انا كنا لكم تبعا فهل انتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدانا الله لهديناكم

اشارة الى بعد ضلالهم عن طريق الحق او عن الثواب (بالحق) بالحكمة والغرض الصحيح والامر العظيم ولم يخلقها عبثا ولا شهوة * وقرئ خالق السموات والارض (ان يشأ يذهبكم) اى هو قادر على ان يعدم الناس ويخلق مكانهم خلقا آخر على شكلهم او على خلاف شكلهم اعلاما منه باقتداره على اعدام الموجود وايجاد المعدوم يقدر على الشىء وجنس ضده (وما ذلك على الله بعزيز) بمتعذر بل هو هين عليه يسير لانه قادر الذات لا اختصاص له بمقدور دون مقدور فاذا خلص له الداعي الى شىء وانتفى الصارف تكون من غير توقف كتحريكك اصبعك اذا دعاك اليه داع ولم يعترض دونه صارف وهذه الآيات بيان لابعادهم فى الضلال وعظيم خطئهم فى الكفر بالله لوضوح آياته الشاهدة له الدالة على قدرته الباهرة وحكمته البالغة وأنه هو الحقيق بان يعبد ويخاف عقابه ويرجى ثوابه فى دار الجزاء (وبرزوا لله) ويبرزون يوم القيامة وانما جىء به بلفظ الماضى لان ما اخبر به عز وعلا لصدقه كانه قد كان ووجد ونحوه ونادى اصحاب الجنة ونادى اصحاب النار ونظائر له ومعنى بروزهم لله والله تعالى لا يتوارى عنه شىء حتى يبرز له انهم كانوا يستترون من العيون عند ارتكاب الفواحش ويظنون ان ذلك خاف على الله فاذا كان يوم القيامة انكشفوا لله عند انفسهم وعلموا ان الله لا يخفى عليه خافية أو خرجوا من قبورهم فبرزوا لحساب الله وحكمه * (فان قلت) لم كتب (الضعفؤا) بواو قبل الهمزة (قلت) كتب على لفظ من يفخم الالف قبل الهمزة فيميلها الى الواو ونظيره علمؤا بنى اسرائيل والضعفاء الاتباع والعوام * والذين استكبروا ساداتهم وكبراؤهم الذين استتبعوهم واستغووهم وصدوهم عن الاستماع الى الانبياء واتباعهم (تبعا) تابعين جمع تابع على تبع كقولهم خادم وخدم وغائب وغيب اوذوى تبع والتبع الاتباع يقال تبعه تبعا * (فان قلت) اى فرق بين من فى (من عذاب الله) وبينه فى (من شىء) (قلت) الاولى للتبيين والثانية للتبعيض كأنه قيل هل أنتم مغنون عنا بعض الشىء الذى هو عذاب الله ويجوز ان تكونا للتبعيض معا بمعنى هل انتم مغنون عنا بعض شىء هو بعض عذاب الله اى بعض عذاب الله * (فان قلت) فما معنى قوله (لو هدانا الله لهديناكم) (قلت) الذى قال لهم الضعفاء كان توبيخا لهم وعتابا على استتباعهم واستغوائهم وقولهم فهل انتم مغنون عنا من باب التبكيت لانهم قد علموا أنهم لا يقدرون على الاغناء عنهم فاجابوهم معتذرين عما كان منهم اليهم بان الله لو هداهم الى الايمان لهدوهم ولم يضلوهم اما موركين الذنب فى ضلالهم واضلالهم على الله كما حكى الله عنهم وقالوا لو شاء الله ما أشركناه ولا آباؤنا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء يقولون ذلك فى الآخرة كما كانوا يقولونه فى الدنيا ويدل عليه قوله حكاية عن المنافقين يوم يبعثهم الله جميعا فيحلفون له كما يحلفون لكم ويحسبون انهم على شىء واما ان يكون المعنى لو كنا من اهل اللطف فلطف بنا ربنا واهتدينا لهديناكم الى الايمان وقيل معناه لو هدانا الله

طريق

طريق النجاة من العذاب لهديناكم اى لاغنينا عنكم وسلكنا بكم طريق النجاة كما سلكنا بكم طريق الهلكة (سواء علينا اجزعنا ام صبرنا) مستويان علينا الجزع والصبر والهمزة وام للتسوية ونحوه اصبروا او لا تصبروا سواء عليكم وروى انهم يقولون تعالوا نجزع فيجزعون خمسمائة عام فلا ينفعهم فيقولون تعالوا نصبر فيصبرون كذلك ثم يقولون سواء علينا (فان قلت) كيف اتصل قوله سواء علينا بما قبله (قلت) اتصاله به من حيث ان عتابهم لهم كان جزعا مما هم فيه فقالوا سواء علينا أجزعنا ام صبرنا يريدون انفسهم واياهم لاجتماعهم في عقاب الضلالة التي كانوا مجتمعين فيها يقولون ما هذا الجزع والتوبيخ ولا فائدة في الجزع كما لا فائدة في الصبر والامر من ذلك أطم ولما قالوا لو هدانا الله طريق النجاة لاغنينا عنكم وانجيناكم اتبعوه الاقناط من النجاة فقالوا (مالنا من محيص) اى منجى ومهرب جزعنا ام صبرنا ويجوز ان يكون من كلام الضعفاء والمستكبرين جميعا كأنه قيل قالوا جميعا سواء علينا كقوله ذلك ليعلم انى لم اخنه والمحيص يكون مصدرا كالمغيب والمشيب ومكانا كالمبيت والمصيف ويقال حاص عنه وجاض بمعنى واحد (لما قضي الامر) لما قطع الامر وفرغ منه وهو الحساب وتصادر الفريقين ودخول احدهما الجنة ودخول الآخر النار وروى ان الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الاشقياء من الجن والانس فيقول ذلك (ان الله وعدكم وعد الحق) وهو البعث والجزاء على الاعمال فوفى لكم بما وعدكم (ووعدتكم) خلاف ذلك (فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان) من تسلط وقهر فاقسركم على الكفر والمعاصي والجئكم اليها (الا ان دعوتكم) الا دعائي اياكم الى الضلالة بوسوستي وتزييني وليس الدعاء من جنس السلطان ولكنه كقولك ما تحيتهم الا الضرب (فلا تلوموني ولوموا انفسكم) حيث اغتررتم بي واطعتموني اذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم اذ دعاكم وهذا دليل على ان الانسان هو الذي يختار الشقاوة او السعادة ويحصلها لنفسه وليس من الله الا التمكين ولا من الشيطان الا التزيين ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقال فلا تلوموني ولا انفسكم فان الله قضى عليكم الكفر واجبركم عليه (فان قلت) قول الشيطان باطل لا يصح التعلق به (قلت) لو كان هذا القول منه باطلا لبين الله بطلانه واظهر انكاره على انه لا طائل له في النطق بالباطل في ذلك المقام ألا ترى الى قوله ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم كيف اتى فيه بالحق والصدق وفي قوله وما كان لي عليكم من سلطان وهو مثل قول الله تعالى ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين (ما انا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي) لا ينجي بعضنا بعضا من عذاب الله ولا يغيثه والاصراخ الاغاثة * وقرئ بمصرخيّ بكسر الياء وهي ضعيفة واستشهدوا لها ببيت مجهول

قال لها هل لك ياتا في * قالت له ما أنت بالمرضي

وكأنه قدر ياء الاضافة ساكنة وقبلها ياء ساكنة فحركها بالكسر لما عليه اصل التقاء الساكنين ولكنه غير صحيح لان ياء الاضافة لا تكون الا مفتوحة حيث قبلها الف في نحو عصاي فما بالها وقبلها ياء (فان قلت) جرت الياء الاولى مجرى الحرف الصحيح لاجل الادغام فكأنها ياء وقعت ساكنة بعد حرف صحيح ساكن فحركت بالكسر على الاصل (قلت) هذا قياس حسن ولكن الاستعمال المستفيض الذي هو بمنزلة الخبر المتواتر تتضاءل اليه القياسات * ما في (بما اشركتموني) مصدرية و(من قبل) متعلقة باشركتموني يعني كفرت اليوم باشراككم اياي من قبل هذا اليوم اى في الدنيا كقوله تعالى ويوم القيامة يكفرون بشرككم ومعنى كفره باشراكهم اياه تبرؤه منه واستنكاره له كقوله تعالى انا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وقيل من قبل يتعلق بكفرت وما موصولة أي كفرت من قبل حين أبيت السجود لآدم بالذي اشركتمونيه

سواء علينا أجزعنا ام صبرنا مالنا من محيص وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما انا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي اني كفرت بما اشركتمون من قبل

*قوله تعالى وقال الشيطان لما قضي الامر ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم الخ) قال روى ان الشيطان يقوم خطيبا عند ذلك خطيبا الخ) قال أحمد قد حمل قول الكفار في الآية الاولى على ابطال الانتحال لانه لا يلائم معتقده واستشهد على ان الكذب حينئذ غير ممتنع ولا متعذر بقوله تعالى فيحلفون له كما يحلفون لكم ثم لما ظن ان قول الشيطان هذا يلائم معتقده اجتهد في الاستدلال على تصويبه وتصحيحه وان كان قائله الشيطان كل ذلك منه اتباع للهوى حيثما توجه وأية سلك ونحن معاشر أهل السنة الملقبين عنده بالجبرة نقول ان الله تعالى انما اورد هذا الكلام غير راد له ولا مخطئ فيه الشيطان كما اقتص كلام الكفار في الآية الاولى كذلك ونحن نعتقد ان الملامة انما تتوجه على المكلف واما الله تعالى فمقدس عن ذلك وحجته البالغة وقضاؤه الحق وذلك ان نعترف بما خلقه الله تعالى للعبد من الاختيار الذي يجده من نفسه عند تجاذب طرف الافعال الارادية ضرورة وبذلك قامت الحجة له على خلقه وان سلبناه عن قدرة الخلق تاثيرها في الفعل فلا تناقض اذا بين عقيدة السنة وبين صرف الملامة الى المكلف والله الموفق

* قوله تعالى وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام (قال وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وادخل الذين آمنوا على فعل المتكلم الخ) قال احمد * فان قلت ما الذي صرف الزمخشري عن

وهو الله عز وجل تقول شركت زيدا فاذا نقلت بالهمزة قلت اشركته فيه فلان اى جعلني له شريكا ونحو ما هذه ما في قولهم سبحان ما سخركن لنا ومعنى اشراكهم الشيطان بالله طاعتهم له فيما كان يزينه لهم من عبادة الاوثان وغيرها وهذا آخر قول ابليس وقوله (ان الظالمين) قول الله عز وجل ويحتمل ان يكون من جملة قول ابليس وانما حكى الله عز وعلا ما سيقوله في ذلك الوقت ليكون لطفا للسامعين في النظر لعاقبتهم والاستعداد لما لا بد لهم من الوصول اليه وان يتصوروا في انفسهم ذلك المقام الذي يقول الشيطان فيه ما يقول فيخافوا ويعملوا ما يخلصهم منه وينجيهم * وقرئ فلا يلوموني بالياء على طريقة الالتفات كقوله تعالى حتى اذا كنتم في الفلك وجرين بهم * وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد وأدخل الذين آمنوا على فعل المتكلم بمعنى وادخل انا وهذا دليل على انه من قول الله لا من قول ابليس (باذن ربهم) متعلق بادخل اى ادخلتهم الملائكة الجنة باذن الله وامره (فان قلت) فبم يتعلق في القراءة الاخرى وقولك وادخلهم انا باذن ربهم كلام غير ملتئم (قلت) الوجه في هذه القراءة ان يتعلق قوله باذن ربهم بما بعده أى (تحيتهم فيها سلام) باذن ربهم يعني ان الملائكة يحيونهم باذن ربهم * قرئ الم تر ساكنة الراء كما قرئ من يتق وفيه ضعف (ضرب الله مثلا) اعتمد مثلا ووضعه و(كلمة طيبة) نصب بمضمر اى جعل كلمة طيبة (كشجرة طيبة) وهو تفسير لقوله ضرب الله مثلا كقولك شرف الامير زيدا كساه حلة وحمله على فرس ويجوز ان ينتصب مثلا وكلمة بضرب اى ضرب كلمة طيبة مثلا بمعنى جعلها مثلا ثم قال كشجرة طيبة على انها خبر مبتدا محذوف بمعنى هى كشجرة طيبة (اصلها ثابت) يعني في الارض ضارب بعروقه فيها (وفرعها) واعلاها ورأسها (في السماء) ويجوز ان يريد وفروعها على الاكتفاء بلفظ الجنس وقرأ أنس بن مالك كشجرة طيبة ثابت اصلها (فان قلت) اى فرق بين القراءتين (قلت) قراءة الجماعة اقوى معنى لان في قراءة انس اجريت الصفة على الشجرة واذا قلت مررت برجل ابوه قائم فهو اقوى معنى من قولك مررت برجل قائم ابوه لان المخبر عنه انما هو الاب لا رجل والكلمة الطيبة كلمة التوحيد وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة وعن ابن عباس شهادة ان لا اله الا الله واما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين والعنب والرمان وغير ذلك وعن ابن عمر ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم ان الله ضرب مثل المؤمن شجرة فاخبروني ما هي فوقع الناس في شجر البوادي وكنت صبيا فوقع في قلبي انها النخلة فهبت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اقولها وانا اصغر القوم وروي فمنعني مكان عمر واستحييت فقال عمر لي يا بني لو كنت قلتها لكانت احب الى من حمر النعم ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انها النخلة وعن ابن عباس رضي الله عنهما شجرة في الجنة وقوله في السماء معناه في جهة العلو والصعود ولم يرد المظلة كقولك في الجبل طويل في السماء تريد ارتفاعه وشموخه (تؤتي اكلها كل حين) تعطي ثمرها كل وقت وقته الله لاثمارها (باذن ربها) بتيسير خالقها وتكوينه (لعلهم يتذكرون) لان في ضرب الامثال زيادة افهام وتذكير وتصوير للمعاني (كشجرة خبيثة) كمثل شجرة خبيثة اى صفتها كصفتها * وقرئ ومثل كلمة بالنصب عطفا على كلمة طيبة والكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة واما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك وقوله (اجتثت من فوق الارض) في مقابلة قوله اصلها ثابت ومعنى اجتثت استؤصلت وحقيقة الاجتثاث اخذ الجثة كلها (ما لها من قرار) اى استقرار يقال قر الشيء قرارا كقولك ثبت ثباتا شبه بها القول الذي لم يعضد بحجة فهو داحض غير ثابت والذي لا يبقى انما يضمحل عن قريب لبطلانه من قولهم الباطل لجلج وعن قتادة انه قيل لبعض العلماء ما تقول في كلمة خبيثة فقال ما أعلم لها في الارض مستقرا ولا في السماء مصعدا الا أن تلزم عنق صاحبها حتى يوافي بها

القيامة

حمله على الالتفات من التكلم الى الغيبة والجأه الى تعليقه بما بعده وقد كانت له في ذلك مندوحة والالتفات على هذا الوجه كثير مستفيض الا ترى الى قوله تعالى

ان الظالمين لهم عذاب أليم وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها باذن ربهم تحيتهم فيها سلام الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة اصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها ويضرب الله الامثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الارض ما لها من قرار يثبت الله الذين آمنوا

طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ثم قال تنزيلا ممن خلق الارض ولم يقل تنزيلا منا * قلت لامر ما صرف الكلام عن هذا الوجه وهو ان ظاهر ادخل بلفظ المتكلم يشعر بان ادخالهم الجنة لم يكن بواسطة بل من الله تعالى مباشرة وظاهر الاذن يشعر باضافة الدخول الى الواسطة فبينهما تنافر ولكن يحسن عندي ان يعلق بخالدين والخلود غير الدخول فلا تنافر والله أعلم

القيامة (بالقول الثابت) الذى ثبت بالحجة والبرهان فى قلب صاحبه وتمكن فيه فاعتقده واطمأنت اليه نفسه وتثبيتهم به فى الدنيا انهم اذا فتنوا فى دينهم لم يزلوا كما ثبت الذين فتنهم اصحاب الاخدود والذين نشروا بالمناشير ومشطت لحومهم بامشاط الحديد وكما ثبت جرجيس وشمسون وغيرهما وتثبيتهم فى الآخرة أنهم اذا سئلوا عند تواقف الاشهاد عن معتقدهم ودينهم لم يتلعثموا ولم يبهتوا ولم تحيرهم أهوال الحشر وقيل معناه الثبات عند سؤال القبر وعن البراء ابن عازب رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر قبض روح المؤمن فقال ثم يعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فى قبره ويقولان له من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول ربى الله ودينى الاسلام ونبيى محمد فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى فذلك قوله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت (ويضل الله الظالمين) الذين لم يتمسكوا بحجة فى دينهم وانما اقتصروا على تقليد كبارهم وشيوخهم كما قلد المشركون آباءهم فقالوا انا وجدنا آباءنا على أمة واضلالهم فى الدنيا انهم لا يثبتون فى مواقف الفتن وتزل أقدامهم اول شىء وهم فى الآخرة أضل وأزل (ويفعل الله ما يشاء) اى ما توجبه الحكمة لان مشيئة الله تابعة للحكمة من تثبيت المؤمنين وتأييدهم وعصمتهم عند ثباتهم وعزمهم ومن اضلال الظالمين وخذلانهم والتخلية بينهم وبين شأنهم عند زللهم (بدلوا نعمت الله) اى شكر نعمة الله (كفرا) لان شكرها الذى وجب عليهم وضعوا مكانه كفرا فكأنهم غيروا الشكر الى الكفر وبدلوه تبديلا ونحوه وتجعلون رزقكم أنكم تكذبون اى شكر رزقكم حيث وضعتم التكذيب موضعه ووجه آخر وهو انهم بدلوا نفس النعمة كفرا على انهم لما كفروها سلبوها فبقوا مسلوبى النعمة موصوفين بالكفر حاصلا لهم الكفر بدل النعمة وهم أهل مكة أسكنهم الله حرمه وجعلهم قوام بيته وأكرمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم فكفروا نعمة الله بدل ما لزمهم من الشكر العظيم او اصابهم الله بالنعمة فى الرخاء والسعة لايلافهم الرحلتين فكفروا نعمته فضربهم بالقحط سبع سنين فحصل لهم الكفر بدل النعمة وكذلك حين اسروا وقتلوا يوم بدر قد ذهبت عنهم النعمة وبقى الكفر طوقا فى أعناقهم وعن عمر رضى الله عنه هم الافجران من قريش بنو المغيرة وبنو أمية فاما بنو المغيرة فكفيتموهم يوم بدر وأما بنو أمية فمتعوا الى حين وقيل هم متنصرة العرب جبلة بن الايهم واصحابه (وأحلوا قومهم) ممن تابعهم على الكفر (دار البوار) دار الهلاك * وعطف (جهنم) على دار البوار عطف بيان * قرئ ليضلوا بفتح الياء وضمها (فان قلت) الضلال والاضلال لم يكن غرضهم فى اتخاذ الانداد فما معنى اللام (قلت) لما كان الضلال والاضلال نتيجة اتخاذ الانداد كما كان الاكرام فى قولك جئتك لتكرمنى نتيجة المجىء دخلته اللام وان لم يكن غرضا على طريق التشبيه والتقريب (تمتعوا) ايذان بانهم لانغماسهم فى التمتع بالحاضر وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه مأمورون به قد امرهم آمر مطاع لا يسعهم ان يخالفوه ولا يملكون لانفسهم امرا دونه وهو أمر الشهوة والمعنى ان دمتم على ما انتم عليه من الامتثال لامر الشهوة (فان مصيركم الى النار) ويجوز ان يراد الخذلان والتخلية ونحوه قل تمتع بكفرك قليلا انك من أصحاب النار * المقول محذوف لان جواب قل يدل عليه وتقديره (قل لعبادى الذين آمنوا) أقيموا الصلاة وأنفقوا (يقيموا الصلاة وينفقوا) وجوزوا ان يكون يقيموا وينفقوا بمعنى ليقيموا ولينفقوا ويكون هذا هو المقول قالوا وانما جاز حذف اللام لان الامر الذى هو قل عوض منه ولو قيل يقيموا الصلاة وينفقوا ابتداء بحذف اللام لم يجز * (فان قلت) علام انتصب (سرا وعلانية) (قلت) على الحال اى ذوى سر وعلانية بمعنى مسرين ومعلنين او على الظرف اى وقتى سر وعلانية او على المصدر اى انفاق سر وانفاق علانية والمعنى

بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء الم تر الى الذين بدلوا نعمت الله كفرا وأحلوا قومهم دار البوار جهنم يصلونها وبئس القرار وجعلوا لله اندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فان مصيركم الى النار قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة وينفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية من قبل ان يأتى يوم

---

* قوله تعالى قل لعبادى الذين آمنوا يقيموا الصلاة الآية (قال فيه المقول محذوف الخ) قال احمد وفى هذا الاعراب نظر لان الجواب حينئذ يكون خبرا من الله تعالى بانه ان قال لهم هذا القول امتثلوا مقتضاه فاقاموا الصلاة وأنفقوا لكنهم قد قيل لهم فلم يمتثل كثير منهم وخبر الله تعالى يجل عن الخلف وهذه النكتة هى الباعثة لكثير من المعربين على العدول عن هذا الوجه من الاعراب مع تبادره فيما ذكر بادى الرأى ويمكن تصحيحه بحمل العام على الغالب لا على الاستغراق ويقوى بوجهين لطيفين أحدهما ان هذا النظم لم يرد الا لموصوف بالايمان الحق المنوه بانه عند الامر كهذه الآية وكقوله وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن وقل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم وقل للمؤمنات يغضضن من ابصارهن الثانى تكرر مجيئه للموصوفين بانهم عباد الله المشرفون باضافتهم الى اسم الله وقد قالوا ان لفظ العباد لم يرد فى الكتاب العزيز الا مدحة للمؤمنين وخصوصا اذا انضاف اليه تعالى اضافة التشريف فالحاصل من ذلك ان المأمور فى هذه الآية من هو بصدد الامتثال وفى حيز المسارعة للطاعة فالخبر فى امثالهم حق وصدق اما على العموم ان اريد او على الغالب والله اعلم * عاد كلامه قال وجوزوا ان يكون يقيموا بمعنى ليقيموا ويكون هذا هو المقول الخ

اخفاء المتطوع به من الصدقات والاعلان بالواجب * والخلال المخالة (فان قلت) كيف طابق الامر بالانفاق وصف اليوم بانه (لا بيع فيه ولا خلال) (قلت) من قبل ان الناس يخرجون اموالهم فى عقود المعاوضات فيعطون بدلا ليأخذوا مثله وفى المكارمات ومهاداة الاصدقاء ليستجروا بهداياهم امثالها او خيرا منها واما الانفاق لوجه الله خالصا كقوله وما لاحد عنده من نعمة تجزى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى فلا يفعله الا المؤمنون الخلص فبعثوا عليه ليأخذوا بدله فى يوم لا بيع فيه ولا خلال اى لا انتفاع فيه بمبايعة ولا بمخالة ولا بما ينفقون فيه اموالهم من المعاوضات والمكارمات وانما ينتفع فيه بالانفاق لوجه الله وقرئ لا بيع فيه ولا خلال بالرفع (الله) مبتدأ و (الذى خلق) خبره و (من الثمرات) بيان للرزق اى اخرج به رزقا هو ثمرات ويجوز ان يكون من الثمرات مفعول أخرج و (رزقا) حالا من المفعول ونصبا على المصدر من اخرج لانه فى معنى رزق (بامره) بقوله كن (دائبين) يدأبان فى سيرهما وانارتهما ودرئهما الظلمات واصلاحهما ما يصلحان من الارض والابدان والنبات (وسخر لكم الليل والنهار) يتعاقبان خلفة لمعاشكم وسباتكم (وآتاكم من كل ما سألتموه) من للتبعيض اى آتاكم بعض جميع ما سألتموه نظرا فى مصالحكم وقرئ من كل بالتنوين وما سألتموه نفى ومحله النصب على الحال اى آتاكم من جميع ذلك غير سائليه ويجوز ان تكون ما موصولة على وآتاكم من كل ذلك ما احتجتم اليه ولم تصلح احوالكم ومعايشكم الا به فكانكم سألتموه او طلبتموه بلسان الحال (لا تحصوها) لا تحصروها ولا تطيقوا عدها وبلوغ آخرها هذا اذا ارادوا ان يعدوها على الاجمال واما التفصيل فلا يقدر عليه ولا يعلمه الا الله (لظلوم) يظلم النعمة باغفال شكرها (كفار) شديد الكفران لها وقيل ظلوم فى الشدة يشكو ويجزع كفار فى النعمة يجمع ويمنع * والانسان للجنس فيتناول الاخبار بالظلم والكفران من يوجدان منه (هذا البلد) يعنى البلد الحرام زاده الله امنا وكفاه كل باغ وظالم واجاب فيه دعوة خليله ابراهيم عليه السلام (آمنا) ذا أمن (فان قلت) اى فرق بين قوله اجعل هذا بلدا آمنا وبين قوله اجعل هذا البلد آمنا (قلت) قد سأل فى الاول ان يجعله من جملة البلاد التى يأمن اهلها ولا يخافون وفى الثانى ان يخرجه من صفة كان عليها من الخوف الى ضدها من الامن كانه قال هو بلد مخوف فاجعله آمنا (واجنبنى) وقرئ وأجنبنى وفيه ثلاث لغات جنبه الشر وجنبه واجنبه فاهل الحجاز يقولون جنبنى شره بالتشديد واهل نجد جنبنى واجنبنى والمعنى ثبتنا وادمنا على اجتناب عبادتها (وبنى) اراد بنيه من صلبه وسئل ابن عيينة كيف عبدت العرب الاصنام فقال ما عبد احد من ولد اسمعيل صنما واحتج بقوله واجنبنى وبنى (ان نعبد الاصنام) انما كانت انصاب حجارة لكل قوم قالوا البيت حجر فحيثما نصبنا حجرا فهو بمنزلة البيت فكانوا يدورون بذلك الحجر ويسمونه الدوار فاستحب ان يقال طاف بالبيت ولا يقال دار بالبيت (انهن أضللن كثيرا من الناس) فاعوذ بك ان تعصمنى وبنى من ذلك وانما جعلن مضلات لان الناس ضلوا بسببهن فكانهن اضللنهم كما تقول فتنتهم الدنيا وغرتهم اى افتتنوا بها واغتروا بسببها (فمن تبعنى) على ملتى وكان حنيفا مسلما مثلى (فانه منى) اى هو بعضى لفرط اختصاصه بى وملابسته لى وكذلك قوله من غشنا فليس منا اى ليس بعض المؤمنين على ان الغش ليس من افعالهم واوصافهم (ومن عصانى فانك غفور رحيم) تغفر له ما سلف منه من عصيانى اذا بدا لله فيه واستحدث الطاعة لى وقيل معناه ومن عصانى فيما دون الشرك (من ذريتى) بعض اولادى وهم اسمعيل ومن ولد منه (بواد) هو وادى مكة (غير ذى زرع) لا يكون فيه شئ من زرع قط كقوله قرآنا عربيا غير ذى عوج بمعنى لا يوجد فيه اعوجاج ما فيه الا الاستقامة لا غير * وقيل للبيت المحرم لان الله حرم التعرض له والتهاون به وجعل ما حوله حرما لمكانه اولانه لم يزل ممنعا عزيزا يهابه كل جبار كالشئ المحرم الذى حقه ان يجتنب اولانه محترم عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها اولانه حرم على الطوفان اى منع منه كما سمى عتيقا لانه أعتق منه فلم يستول عليه (ليقيموا الصلاة) اللام متعلقة باسكنت اى ما أسكنتهم هذا الوادى الخلاء البلقع من كل مرتفق ومرتزق الا ليقيموا الصلاة عند بيتك المحرم ويعمروه بذكرك وعبادتك وما تعمر به مساجدك ومتعبداتك متبركين بالبقعة التى شرفتها على البقاع مستسعدين بجوارك الكريم متقربين اليك

لا بيع فيه ولا خلال الله الذى خلق السموات والارض وانزل من السماء ماء فاخرج به من الثمرات رزقا لكم وسخر لكم الفلك لتجرى فى البحر بامره وسخر لكم الانهار وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار وآتاكم من كل ما سألتموه وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها ان الانسان لظلوم كفار واذ قال ابراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبنى وبنى ان نعبد الاصنام رب انهن اضللن كثيرا من الناس فمن تبعنى فانه منى ومن عصانى فانك غفور رحيم ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل

بالعكوف عند بيتك والطواف به والركوع والسجود حوله مستنزلين الرحمة التي آثرت بها سكان حرمك (أفئدة من الناس) افئدة من افئدة الناس ومن للتبعيض ويدل عليه ماروى عن مجاهد لو قال افئدة الناس لزحمتكم عليه فارس والروم وقيل لولم يقل من لازدحموا عليه حتى الروم والترك والهند ويجوز ان يكون من للابتداء كقولك القلب منى سقيم تريد قلبي فكانه قيل افئدة ناس وانما نكرت المضاف اليه فى هذا التمثيل لتنكير افئدة لانها فى الآية نكرة ليتناول بعض الافئدة وقرئ آفدة بوزن عاقدة وفيه وجهان احدهما ان يكون من القلب كقولك آدر فى أدؤر والثاني ان يكون اسم فاعلة من أفدت الرحلة اذا عجلت اى جماعة او جماعات يرتحلون اليهم ويعجلون نحوهم وقرئ أفدة وفيه وجهان ان تطرح الهمزة للتخفيف وان كان الوجه ان تخفف باخراجها بين بين وان يكون من افد (تهوى اليهم) تسرع اليهم وتطير نحوهم شوقا ونزاعا من قوله * يهوى مخارمها هوى الاجدل * وقرئ تهوى اليهم على البناء للمفعول من هوى اليه واهواه غيره وتهوى اليهم من هوى يهوى اذا احب ضمن معنى تنزع فعدى تعديته (وارزقهم من الثمرات) مع سكناهم واديا مافيه شيء منها بان تجلب اليهم من البلاد (لعلهم يشكرون) النعمة في ان يرزقوا انواع الثمرات حاضرة فى واد يباب ليس فيه نجم ولا شجر ولا ماء لاجرم ان الله عز وجل أجاب دعوته فجعله حرما آمنا تجبى اليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنه ثم فضله فى وجود اصناف الثمار فيه على كل ريف وعلى أخصب البلاد واكثرها ثمارا وفي اى بلد من بلاد الشرق والغرب ترى الاعجوبة التي يريكها الله بواد غير ذى زرع وهي اجتماع البواكير والفواكه المختلفة الازمان من الربيعية والصيفية والخريفية فى يوم واحد وليس ذلك من آياته بعجيب متعنا الله بسكنى حرمه ووفقنا لشكر نعمه وأدام لنا التشرف بالدخول تحت دعوة ابراهيم عليه السلام ورزقنا طرفا من سلامة ذلك القلب السليم * النداء المكرر دليل التضرع واللجا الى الله تعالى (انك تعلم ماتخفى وما نعلن) تعلم السر كما تعلم العلن علما لاتفاوت فيه لان غيبا من الغيوب لايحتجب عنك والمعنى انك اعلم باحوالنا وما يصلحنا وما يفسدنا منا وأنت ارحم بنا وانصح لنا منا بانفسنا ولها فلا حاجة الى الدعاء والطلب وانما ندعوك اظهارا للعبودية لك وتخشعا لعظمتك وتذللا لعزتك وافتقارا الى ماعندك واستعجالا لنيل اياديك وولها الى رحمتك وكما يتملق العبد بين يدى سيده رغبة فى اصابة معروفه مع توفر السيد على حسن الملكة وعن بعضهم انه رفع حاجته الى كريم فابطأ عليه النجح فاراد ان يذكره فقال مثلك لايذكر استقصارا ولا توهما للغفلة عن حوائج السائلين ولكن ذا الحاجة لاتدعه حاجته ان لايتكلم فيها وقيل ماتخفى من الوجد لما وقع بيننا من الفرقة وما نعلن من البكاء والدعاء وقيل ماتخفى من كآبة الافتراق وما نعلن يريد ماجرى بينه وبين هاجر حين قالت له عند الوداع الى من تكلنا قال الى الله أكلكم قالت الله أمرك بهذا قال نعم قالت اذن لاتخشى تركتنا الى كاف (ومايخفى على الله من شيء) من كلام الله عز وجل تصديقا لابراهيم عليه السلام كقوله وكذلك يفعلون او من كلام ابراهيم يعنى ومايخفى على الله الذى هو عالم الغيب من شيء فى كل مكان ومن للاستغراق كانه قيل ومايخفى عليه شيء ما * على فى قوله (على الكبر) بمعنى مع كقوله

اني على ماترين من كبرى * اعلم من حيث تؤكل الكتف

وهو فى موضع الحال معناه وهب لى وانا كبير وفى حال الكبر روى ان اسمعيل ولد له وهو ابن تسع وتسعين سنة وولد له اسحق وهو ابن مائة وثنتي عشرة سنة وقد روى انه ولد له اسمعيل لاربع وستين واسحق لتسعين وعن سعيد بن جبير لم يولد لابراهيم الا بعد مائة وسبع عشرة سنة وانما ذكر حال الكبر لان المنة بهبة الولد فيها اعظم من حيث انها حال وقوع الياس من الولادة والظفر بالحاجة على عقب الياس من اجل النعم واحلاها فى نفس الظافر ولان الولادة فى تلك السن العالية كانت آية لابراهيم (ان ربي لسميع الدعاء) كان قد دعا ربه وساله الولد فقال رب هب لى من الصالحين فشكر لله ما أكرمه به من اجابته (فان قلت) الله تعالى يسمع كل دعاء اجابه اولم يجبه (قلت) هو من قولك سمع الملك كلام فلان اذا اعتد به وقبله ومنه سمع الله لمن حمده وفى الحديث ما اذن الله لشيء كاذنه لنبي يتغنى بالقرآن (فان قلت) ماهذه الاضافة اضافة السميع الى الدعاء

افئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون ربنا انك تعلم ماتخفى وما نعلن ومايخفى على الله من شيء فى الارض ولا فى السماء الحمد لله الذى وهب لى على الكبر اسمعيل واسحق ان ربي لسميع الدعاء رب اجعلنى مقيم الصلاة

رمن ذريتي ربنا وتقبل دعاء ربنا اغفرلي ولوالدي وللمؤمنين يوم يقوم الحساب ولا تحسبن الله غافلا عما يعمل الظالمون انما يؤخرهم ليوم تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤسهم لا يرتد اليهم طرفهم وافئدتهم هواء وانذر الناس يوم يأتيهم العذاب فيقول الذين ظلموا ربنا اخرنا الى اجل قريب نجب دعوتك ونتبع الرسل اولم تكونوا اقسمتم من قبل

(قلت) اضافة الصفة الى مفعولها وأصله لسميع الدعاء وقد ذكر سيبويه فعيلا في جملة أبنية المبالغة العاملة عمل الفعل كقولك هذا ضروب زيدا وضراب أخاه ومنحار ابله وحذر أمورا ورحيم اباه ويجوز ان يكون من اضافة فعيل الى فاعله ويجعل دعاء الله سميعا على الاسناد المجازي والمراد سماع الله (ومن ذريتي) وبعض ذريتي عطفا على المنصوب في اجعلني وانما بعض لانه علم باعلام الله أن يكون في ذريته كفار وذلك قوله لا ينال عهدي الظالمين (وتقبل دعاء) اي عبادتي وأعتزلكم وما تدعون من دون الله * في قراءة ابي ولابوي وقرأ سعيد بن جبير ولوالدي على الافراد يعني أباه وقرأ الحسن بن علي رضي الله عنهما ولولدي يعني اسمعيل واسحق وقرئ لولدي بضم الواو والولد بمعنى الولد كالعدم والعدم وقيل جمع ولد كاسد في أسد وفي بعض المصاحف ولذريتي (فان قلت) كيف جاز له ان يستغفر لابويه وكانا كافرين (قلت) هو من مجوزات العقل لا يعلم امتناع جوازه الا بالتوقيف وقيل أراد بوالديه آدم وحواء وقيل بشرط الاسلام ويأباه قوله الا قول ابراهيم لأبيه لاستغفرن لك لانه لو شرط الاسلام لكان استغفارا صحيحا لا مقال فيه فكيف يستثنى الاستغفار الصحيح من جملة ما يؤتسى فيه بابراهيم (يوم يقوم الحساب) اي يثبت وهو مستعار من قيام القائم على الرجل والدليل عليه قولهم قامت الحرب على ساقها ونحوه قولهم ترجلت الشمس اذا اشرقت وثبت ضوءها كأنها قامت على رجل ويجوز ان يسند الى الحساب قيام اهله اسنادا مجازيا او يكون مثل واسئل القرية وعن مجاهد قد استجاب الله له فيما سأل فلم يعبد احد من ولده صنما بعد دعوته وجعل البلد آمنا ورزق اهله من الثمرات وجعله اماما وجعل في ذريته من يقيم الصلاة واراه مناسكه وتاب عليه وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال كانت الطائف من ارض فلسطين فلما قال ابراهيم ربنا اني اسكنت الآية رفعها الله فوضعها حيث وضعها رزقا للحرم * (فان قلت) يتعالى الله عن السهو والغفلة فكيف يحسبه رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو اعلم الناس به غافلا حتى قيل (ولا تحسبن الله غافلا) (قلت) ان كان خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ففيه وجهان احدهما التثبيت على ما كان عليه من انه لا يحسب الله غافلا كقوله ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر كما جاء في الامر يأيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والثاني ان المراد بالنهي عن حسبانه غافلا الايذان بانه عالم بما يفعل الظالمون لا يخفى عليه منه شيء وانه معاقبهم على قليله وكثيره على سبيل الوعيد والتهديد كقوله والله بما تعملون عليم يريد الوعيد ويجوز ان يراد ولا تحسبنه يعاملهم معاملة الغافل عما يعملون ولكن معاملة الرقيب عليهم المحاسب على النقير والقطمير وان كان خطابا لغيره ممن يجوز ان يحسبه غافلا لجهله بصفاته فلا سؤال فيه وعن ابن عيينة تسلية للمظلوم وتهديد للظالم فقيل له من قال هذا فغضب وقال انما قاله من علمه * وقرئ نؤخرهم بالنون والياء (تشخص فيه الابصار) اى ابصارهم لا تقر في أماكنها من هول ما ترى (مهطعين) مسرعين الى الداعي وقيل الاهطاع ان تقبل ببصرك على المرئي تديم النظر اليه لا تطرف (مقنعي رؤسهم) رافعيها (لا يرتد اليهم طرفهم) لا يرجع اليهم ان يطرفوا بعيونهم اى لا يطرفون ولكن عيونهم مفتوحة ممدودة من غير تحريك للاجفان او لا يرجع اليهم نظرهم فينظروا الى انفسهم * الهواء الخلاء الذي لم تشغله الاجرام فوصف به فقيل قلب فلان هواء اذا كان جبانا لا قوة في قلبه ولا جرأة ويقال للاحمق ايضا قلبه هواء قال زهير * من الظلمان جؤجؤه هواء * لان النعام مثل في الجبن والحمق وقال حسان

* فأنت مجوف نخب هواء * وعن ابن جريج افئدتهم هواء صفر من الخير خاوية منه وقال ابو عبيدة جوف لا عقول لهم (يوم يأتيهم العذاب) مفعول ثان لانذر وهو يوم القيامة ومعنى (اخرنا الى اجل قريب) ردنا الى الدنيا وامهلنا الى امد وحد من الزمان قريب نتدارك ما فرطنا فيه من اجابة دعوتك واتباع رسلك او اريد باليوم يوم هلاكهم بالعذاب العاجل او يوم موتهم معذبين بشدة السكرات ولقاء الملائكة بلا بشرى وانهم يسألون يومئذ ان يؤخرهم ربهم الى اجل قريب كقوله لولا اخرتني الى اجل قريب فاصدق (اولم تكونوا اقسمتم) على ارادة القول وفيه وجهان ان يقولوا ذلك بطرا واشرا ولما استولى عليهم من عادة

الجهل

الجهل والسفه وان يقولوه بلسان الحال حيث بنوا شديدا واملوا بعيدا و (مالكم) جواب القسم وانما جاء بلفظ الخطاب لقوله اقسمتم ولو حكى لفظ المقسمين لقيل مالنا (من زوال) والمعنى اقسمتم انكم باقون في الدنيا لا تزالون بالموت والفناء وقيل لا تنتقلون الى دار أخرى يعني كفرهم بالبعث كقوله واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت * يقال سكن الدار وسكن فيها ومنه قوله تعالى (وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم) لان السكنى من السكون الذي هو اللبث والاصل تعديه بفي كقولك قرفي الدار وغنى فيها واقام فيها ولكنه لما نقل الى سكون خاص تصرف فيه فقيل سكن الدار كما قيل تبوأها واوطنها ويجوز ان يكون سكنوا من السكون اي قروا فيها واطمأنوا طيبي النفوس سائرين سيرة من قبلهم في الظلم والفساد لا يحدثونها بما لقي الاولون من أيام الله وكيف كان عاقبة ظلمهم فيعتبروا و يرتدعوا (وتبين لكم) بالاخبار والمشاهدة (كيف) اهلكنا وانتقمنا منهم وقرئ ونبين لكم بالنون (وضربنا لكم الامثال) اي صفات مافعلوا وما فعل بهم وهي في الغرابة كالامثال المضروبة لكل ظالم (وقد مكروا مكرهم) اي مكرهم العظيم الذي استفرغوا فيه جهدهم (وعند الله مكرهم) لا يخلو اما ان يكون مضافا الى الفاعل كالاول على معنى ومكتوب عند الله مكرهم فهو مجازيهم عليه بمكر هو اعظم منه او يكون مضافا الى المفعول على معنى وعند الله مكرهم الذي يمكرهم به وهو عذابهم الذي يستحقونه يأتيهم به من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون (وان كان مكرهم لتزول منه الجبال) وان عظم مكرهم وتبالغ في الشدة فضرب زوال الجبال منه مثلا لتفاقمه وشدته اي وان كان مكرهم مستوى لازالة الجبال معدا لذلك وقد جعلت ان نافية واللام مؤكدة لها كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم والمعنى ومحال ان تزول الجبال بمكرهم على ان الجبال مثل لآيات الله وشرائعه لانها بمنزلة الجبال الراسية ثباتا وتمكنا وتنصره قراءة ابن مسعود وما كان مكرهم وقرئ لتزول بلام الابتداء على وان كان مكرهم من الشدة بحيث تزول منه الجبال وتنقلع من اماكنها وقرأ علي وعمر رضي الله عنهما وان كاد مكرهم (مخلف وعده رسله) يعني قوله انا لننصر رسلنا كتب الله لاغلبن انا ورسلي (فان قلت) هلا قيل مخلف رسله وعده ولم قدم المفعول الثاني على الاول (قلت) قدم الوعد ليعلم انه لا يخلف الوعد اصلا كقوله ان الله لا يخلف الميعاد ثم قال رسله ليؤذن انه اذا لم يخلف وعده احدا وليس من شأنه اخلاف المواعيد كيف يخلفه رسله الذين هم خيرته وصفوته وقرئ مخلف وعده رسله بجر الرسل ونصب الوعد وهذه في الضعف كمن قرأ قتل اولادهم شركائهم (عزيز) غالب لا يماكر (ذو انتقام) لاوليائه من اعدائه (يوم تبدل الارض) انتصابه على البدل من يوم يأتيهم او على الظرف للانتقام والمعنى يوم تبدل هذه الارض التي تعرفونها ارضا اخرى غير هذه المعروفة وكذلك السموات والتبديل التغيير وقد يكون في الذوات كقولك بدلت الدراهم دنانير ومنه بدلناهم جلودا غيرها وبدلناهم بجنتيهم جنتين وفي الاوصاف كقولك بدلت الحلقة خاتما اذا اذبتها وسويتها خاتما فنقلتها من شكل الى شكل ومنه قوله تعالى فاولئك يبدل الله سيآتهم حسنات واختلف في تبديل الارض والسموات فقيل تبدل اوصافها فتسير عن الارض جبالها وتفجر بحارها وتسوى فلا يرى فيها عوج ولا امت وعن ابن عباس هي تلك الارض وانما تغير وانشد

وما الناس بالناس الذين عهدتهم * ولا الدار بالدار التي كنت تعلم

وتبدل السماء بانتثار كواكبها وكسوف شمسها وخسوف قمرها وانشقاقها وكونها ابوابا وقيل يخلق بدلها ارض وسموات اخر وعن ابن مسعود وانس يحشر الناس على ارض بيضاء لم يخطئ عليها احد خطيئة وعن علي رضي الله عنه تبدل ارضا من فضة وسموات من ذهب وعن الضحاك ارضا من فضة بيضاء كالصحائف وقرئ يوم نبدل الارض بالنون (فان قلت) كيف قال (الواحد القهار) (قلت) هو كقوله لمن الملك اليوم لله الواحد القهار لان الملك اذا كان لواحد غلاب لا يغالب ولا يعاز فلا مستغاث لاحد الى غيره ولا مستجار كان

مالكم من زوال وسكنتم في مساكن الذين ظلموا انفسهم وتبين لكم كيف فعلنا بهم وضربنا لكم الامثال وقد مكروا مكرهم وعند الله مكرهم وان كان مكرهم لتزول منه الجبال فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله ان الله عزيز ذو انتقام يوم تبدل الارض غير الارض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ

* قوله تعالى فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله (قال ان قلت لم قدم المفعول الثاني على الاول الخ) قال احمد وفيما قاله نظر لان الفعل متى تقيد بمفعول انقطع اطلاقه فليس تقديم الوعد في الآية دليلا على اطلاق الفعل باعتبار الموعود حتى يكون ذكر الرسل ثانيا كالاجنبي من الاطلاق الاول ولا فرق في المعنى الذي ذكره بين تقديم ذكر الرسل وتاخيره ولا يفيد تقديم المفعول الثاني الا الايذان بالعناية في مقصود المتكلم والامر بهذه المثابة في الآية لانها وردت في سياق الانذار والتهديد للظالمين بما توعدهم الله تعالى به على ألسنة الرسل فالمهم في التهديد ذكر الوعيد واما كونه على ألسنة الرسل فذلك امر لا يقف التخويف عليه ولا بد حتى لو فرض التوعد من الله تعالى على غير لسان رسول لكان الخوف منه حسيبا كافيا والله اعلم

(القول في سورة الحجر) (بسم الله الرحمن الرحيم) *قوله تعالى ربما يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين (قال ان قلت ما معنى تقليل وداداتهم الخ) قال احمد لا شك ان العرب تعبر عن المعنى بما يؤدي عكس مقصوده كثيرا ومنه قوله * قد اترك القرن مصفرا انامله * وانما يتمدح بالاكثار من ذلك وقد عبر بقد المفيدة للتقليل ومنه والله اعلم وقد تعلمون اني رسول الله والمقصود توبيخهم على اذاهم لموسى عليه السلام على توفر علمهم برسالته ومناصحته لهم وقد اختلف توجيه علماء البيان لذلك فمنهم من وجهه بما ذكره الزمخشري آنفا من التنبيه بالادنى على الاعلى ومنهم من وجهه بان المقصود في ذلك الايذان بان المعنى قد بلغ الغاية حتى كاد ان يرجع الى الضد وذلك شان كل ما انتهى لنهايته ان يعود الى عكسه وقد افصح ابو الطيب بذلك بقوله ٣ ونحلت حتى كدت تنحل حائلا * للمنتهى ومن السرور بكاء وكلا هذين الوجهين يحمل الكلام على المبالغة بنوع من الايقاظ اليها والعمدة في ذلك على سياق الكلام لانه اذا اقتضى مثلا تكثيرا فدخلت فيه عبارة يشعر ظاهرها بالتقليل استيقظ السامع بان المراد المبالغة على احدى الطريقتين المذكورتين والله اعلم ٣ كذا بالاصل وليحرر اهـ منه

مقرنين في الاصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار ليجزي الله كل نفس ما كسبت ان الله سريع الحساب هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا انما هو اله واحد وليذكر اولوا الالباب

الامر في غاية الصعوبة والشدة (مقرنين) قرن بعضهم مع بعض او مع الشياطين او قرنت ايديهم الى ارجلهم مغللين وقوله (في الاصفاد) اما ان يتعلق بمقرنين اي يقرنون في الاصفاد واما ان لا يتعلق به فيكون المعنى مقرنين مصفدين والاصفاد القيود وقيل الاغلال وانشد لسلامة بن جندل

وزيد الخيل قد لاقى صفادا * يعض بساعد وبعظم ساق

* القطران فيه ثلاث لغات قطران وقطران وقطران بفتح القاف وكسرها مع سكون الطاء وهو ما يتحلب من شجر يسمى الابهل فيطبخ فتهنأ به الابل الجربى فيحرق بحدته وحره الجلد وقد تبلغ حرارته الجوف ومن شأنه ان يسرع فيه اشتعال النار وقد يستسرج به وهو اسود اللون منتن الريح فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاؤه لهم كالسرابيل وهي القمص لتجتمع عليهم الاربع لذع القطران وحرقته واسراع النار في جلودهم واللون الوحش ونتن الريح على ان التفاوت بين القطرانين كالتفاوت بين النارين وكل ما وعده الله او اوعد به في الآخرة فبينه وبين ما نشاهد من جنسه ما لا يقادر قدره وكانه ما عندنا منه الا الاسامي والمسميات ثمة فبكرمه الواسع نعوذ من سخطه ونسأله التوفيق فيما ينجينا من عذابه وقرئ من قطرآن والقطر النحاس او الصفر المذاب والآني المتناهي حره (وتغشى وجوههم النار) كقوله تعالى افمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم يسحبون في النار على وجوههم لان الوجه اعز موضع في ظاهر البدن واشرفه كالقلب في باطنه ولذلك قال تطلع على الافئدة وقرئ وتغشى وجوههم بمعنى تتغشى * اي يفعل بالمجرمين ما يفعل (ليجزي الله كل نفس) مجرمة (ما كسبت) او كل نفس من مجرمة ومطيعة لانه اذا عاقب المجرمين لاجرامهم علم انه يثيب المطيعين لطاعتهم (هذا بلاغ للناس) كفاية في التذكير والموعظة يعني بهذا ما وصفه من قوله ولا تحسبن الى قوله سريع الحساب (ولينذروا) معطوف على محذوف اي لينصحوا ولينذروا (به) بهذا البلاغ وقرئ ولينذروا بفتح الياء من نذر به اذا علمه واستعد له (وليعلموا انما هو اله واحد) لانهم اذا خافوا ما انذروا به دعتهم المخافة الى النظر حتى يتوصلوا الى التوحيد لان الخشية ام الخير كله عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ابراهيم اعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل من عبد الاصنام وعدد من لم يعبد

(سورة الحجر مكية وهي تسع وتسعون آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين ربما يود الذين كفروا

(تلك) اشارة الى ما تضمنته السورة من الآيات * والكتاب والقرآن المبين السورة وتنكير القرآن للتفخيم والمعنى تلك آيات الكتاب الكامل في كونه كتابا واي قرآن مبين كانه قيل الكتاب الجامع للكمال والغرابة في البيان * قرئ ربما وربتما بالتشديد وربما وربتما بالضم والفتح مع التخفيف * (فان قلت) لم دخلت على المضارع وقد ابوا دخولها الا على الماضي (قلت) لان المترقب في اخبار الله تعالى بمنزلة الماضي المقطوع به في تحققه فكانه قيل ربما ود (فان قلت) متى تكون ودادتهم (قلت) عند الموت او يوم القيامة اذا عاينوا حالهم وحال المسلمين وقيل اذا رأوا المسلمين يخرجون من النار وهذا ايضا باب من الودادة (فان قلت) فما معنى التقليل (قلت) هو وارد على مذهب العرب في قولهم لعلك ستندم على فعلك وربما ندم الانسان على ما فعل ولا يشكون في تندمه ولا يقصدون تقليله ولكنهم ارادوا لو كان الندم مشكوكا فيه او كان قليلا لحق عليك ان لا تفعل هذا الفعل لان العقلاء يتحرزون من التعرض للغم المظنون كما يتحرزون من المتيقن ومن القليل

منه كما من الكثير وكذلك التمني في الآية لو كانوا يودون الاسلام مرة واحدة فبالحرى ان يسارعوا اليه فكيف وهم يودونه في كل ساعة و (لو كانوا مسلمين) حكاية ودادتهم وانما جيء بها على لفظ الغيبة لانهم مخبر عنهم كقولك حلف بالله ليفعلن ولو قيل حلف بالله لأفعلن ولو كنا مسلمين لكان حسنا سديدا وقيل تدهشهم أهوال ذلك اليوم فيبقون مبهوتين فان حانت منهم افاقة في بعض الاوقات من سكرتهم تمنوا ذلك قال (ذرهم) يعني اقطع طمعك من ارعوائهم ودعهم عن النهي عما هم عليه والصد عنه بالتذكرة والنصيحة وخلهم (يأكلوا و يتمتعوا) بدنياهم وتنفيذ شهواتهم و يشغلهم أملهم وتوقعهم لطول الاعمار واستقامة الاحوال وأن لا يلقوا في العاقبة الا خيرا (فسوف يعلمون) سوء صنيعهم والغرض الايذان بانهم من أهل الخذلان وانهم لا يجيء منهم الا ماهم فيه وانه لا زاجر لهم ولا واعظ الا معاينة ما ينذرون به حين لا ينفعهم الوعظ ولا سبيل الى اتعاظهم قبل ذلك فامر رسوله بان يخليهم وشأنهم ولا يشتغل بما لا طائل تحته وان يبالغ في تخليتهم حتى يأمرهم بما لا يزيدهم الا ندما في العاقبة وفيه الزام للحجة ومبالغة في الانذار واعذار فيه وفيه تنبيه على ان ايثار التلذذ والتنعم وما يؤدي اليه طول الامل وهذه هجيرى أكثر الناس ليس من اخلاق المؤمنين وعن بعضهم التمرغ في الدنيا من اخلاق الهالكين (ولها كتاب) جملة واقعة صفة لقرية والقياس ان لا يتوسط الواو بينهما كما في قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا لها منذرون وانما توسطت لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف كما يقال في الحال جاءني زيد عليه ثوب وجاءني وعليه ثوب كتاب (معلوم) مكتوب معلوم وهو أجلها الذي كتب في اللوح و بين الا ترى الى قوله (ما تسبق من أمة أجلها) في موضع كتابها وأنث الامة اولا ثم ذكرها آخرا حملا على اللفظ والمعنى وقال (وما يستأخرون) بحذف عنه لانه معلوم * قرأ الاعمش يا أيها الذي ألقي عليه الذكر وكان هذا النداء منهم على وجه الاستهزاء كما قال فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون وكيف يقرون بنزول الذكر عليه وينسبونه الى الجنون والتعكيس في كلامهم للاستهزاء والتهكم مذهب واسع وقد جاء في كتاب الله في مواضع منها فبشرهم بعذاب أليم انك لانت الحليم الرشيد وقد يوجد كثيرا في كلام العجم والمعنى انك لتقول قول المجانين حين تدعي ان الله نزل عليك الذكر * لو ركبت مع لا وما لمعنيين معنى امتناع الشيء لوجود غيره ومعنى التحضيض واما هل فلم تركب الا مع لا وحدها للتحضيض قال ابن مقبل

لوما الحياء ولوما الدين عبتكما * ببعض ما فيكما اذ عبتما عوري

والمعنى هلا تأتينا بالملائكة يشهدون بصدقك و يعضدونك على انذارك كقوله تعالى لولا أنزل اليه ملك فيكون معه نذيرا أو هلا تأتينا بالملائكة للعقاب على تكذيبنا لك ان كنت صادقا كما كانت تأتي الامم المكذبة برسلها *قرئ تنزل بمعنى تتنزل وتنزل على البناء للمفعول من نزل ونزل الملائكة بالنون ونصب الملائكة (الا بالحق) الا تنزلا ملتبسا بالحكمة والمصلحة ولا حكمة في ان تأتيكم عيانا تشاهدونهم ويشهدون لكم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم لانكم حينئذ مصدقون عن اضطرار ومثله قوله تعالى وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وقيل الحق الوحي او العذاب و (اذا) جواب وجزاء لانه جواب لهم وجزاء لشرط مقدر تقديره ولو نزلنا الملائكة ما كانوا منظرين وما اخر عذابهم (انا نحن نزلنا الذكر) رد لانكارهم واستهزائهم في قولهم يا أيها الذي نزل عليه الذكر ولذلك قال انا نحن فاكد عليهم انه هو المنزل على القطع والبتات وانه هو الذي بعث به جبريل الى محمد صلى الله عليه وسلم و بين يديه ومن خلفه رصد حتى نزل و بلغ محفوظا من الشياطين وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة و نقصان وتحريف وتبديل بخلاف الكتب المتقدمة فانه لم يتول حفظها وانما استحفظها الربانيين والاحبار فاختلفوا فيما بينهم بغيا فكان التحريف ولم يكل القرآن الى غير حفظه (فان قلت) فحين كان قوله انا نحن نزلنا الذكر ردا لانكارهم واستهزائهم فكيف اتصل به قوله (وانا له لحافظون) (قلت) قد جعل ذلك دليلا على انه منزل من عنده آية لانه لو كان من قول البشر او غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل الضمير في له لرسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى والله يعصمك (في شيع الاولين) في فرقهم وطوائفهم والشيعة الفرقة اذا اتفقوا على مذهب وطريقة ومعنى

لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الامل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم ما تسبق من أمة اجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون لوما تأتينا بالملائكة ان كنت من الصادقين ما ننزل الملائكة الا بالحق وما كانوا اذا منظرين انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون ولقد ارسلنا من قبلك في شيع الاولين

---

*قوله تعالى انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون (قال هذا رد لانكارهم واستهزائهم الخ) قال احمد ويحتمل ان يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى وذلك أيضا من الدليل على انه من عند الله كما قال تعالى في آية اخرى ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا

* قوله تعالى كذلك نسلكه في قلوب المجرمين (قال معناه يلقيه في قلوبهم مكذبا به الخ) قال احمد والمراد والله اعلم اقامة الحجة على المكذبين بان الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة ولئلا يكون للكفار على الله حجة بانهم مافهموا وجوه الاعجاز كما فهمها من آمن فاعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة وامكان انهم ما كفروا الا على علم معاندين باغين غير معذورين والله أعلم ولذلك عقبه الله تعالى بقوله ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون اي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه اعجازه وولج ذلك في قلوبهم ووقر لكنهم قوم سجيتهم العناد وسيمتهم اللدد حتى لو سلك بهم اوضح السبيل وادعاها الى الايمان بضرورة المشاهدة وذلك بان يفتح لهم باب في السماء ويعرج بهم اليهم حتى يدخلوا منه نهارا والى ذلك الاشارة بقوله فظلوا لان الظلول انما يكون نهارا لقالوا بعد هذا الايضاح العظيم المكشوف انما سكرت ابصارنا وسحرنا محمد وما هذه الاخيلات لا حقائق تحتها فاسجل عليهم بذلك انهم لا عذر لهم في التكذيب من عدم سماع ووعي ووصول الى القلوب وفهم كما فهم غيرهم من المصدقين لان ذلك كله حاصل لهم وانما بهم العناد واللدد والاصرار لا غير والله اعلم

وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن كذلك نسلكه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به وقد خلت سنة الاولين ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون ولقد جعلنا في السماء بروجا وزيناها للناظرين وحفظناها من كل شيطان رجيم الا من استرق السمع فاتبعه شهاب مبين والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وانبتنا فيها من كل شيء موزون وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزله الا بقدر معلوم وارسلنا الرياح لواقح فانزلنا من السماء ماء فاسقيناكموه وما انتم له بخازنين وانا لنحن نحيي ونميت

أرسلناه فيهم نبأناه فيهم وجعلناه رسولا فيما بينهم (وما يأتيهم) حكاية حال ماضية لان ما لا تدخل على مضارع الا وهو في معنى الحال ولا على ماض الا وهو قريب من الحال * يقال سلكت الخيط في الابرة وأسلكته اذا أدخلته فيها ونظمته وقرئ نسلكه والضمير للذكر اي مثل ذلك السلك ونحوه نسلك الذكر (في قلوب المجرمين) على معنى انه يلقيه في قلوبهم مكذبا مستهزأ به غير مقبول كما لو انزلت بلئيم حاجة فلم يجبك اليها فقلت كذلك أنزلها باللئام تعني مثل هذا الانزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية ومحل قوله (لا يؤمنون به) النصب على الحال اي غير مؤمن به او هو بيان لقوله كذلك نسلكه (سنة الاولين) طريقتهم التي سنها الله في اهلاكهم حين كذبوا برسلهم وبالذكر المنزل عليهم وهو وعيد لاهل مكة على تكذيبهم * قرئ يعرجون بالضم والكسر و(سكرت) حيرت او حبست من الابصار من السكر او السكر وقرئ سكرت بالتخفيف اي حبست كما يحبس النهر من الجري وقرئ سكرت من السكر اي حارت كما يحار السكران والمعنى ان هؤلاء المشركين بلغ من غلوهم في العناد ان لو فتح لهم باب من أبواب السماء ويسر لهم معراج يصعدون فيه اليها ورأوا من العيان ما رأوا لقالوا هو شيء نتخايله لا حقيقة له ولقالوا قد سحرنا محمد بذلك وقيل الضمير للملائكة اي لو أريناهم الملائكة يصعدون في السماء عيانا لقالوا ذلك * وذكر الظلول ليجعل عروجهم بالنهار ليكونوا مستوضحين لما يرون وقال انما ليدل على انهم يبتون القول بان ذلك ليس الا تسكيرا للابصار (من استرق) في محل النصب على الاستثناء وعن ابن عباس انهم كانوا لا يحجبون عن السموات فلما ولد عيسى منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد منعوا من السموات كلها (شهاب مبين) ظاهر للمبصرين (موزون) وزن بميزان الحكمة وقدر بمقدار تقتضيه لا يصلح فيه زيادة ولا نقصان او له وزن وقدر في ابواب النعمة والمنفعة وقيل ما يوزن من نحو الذهب والفضة والنحاس والحديد وغيرها (معايش) بياء صريحة بخلاف الشمائل والخبائث ونحوهما فان تصريح الياء فيها خطأ والصواب الهمزة او اخراج الياء بين بين وقد قرئ معائش بالهمزة على التشبيه (ومن لستم له برازقين) عطف على معايش او على محل لكم كأنه قيل وجعلنا لكم فيها معايش وجعلنا لكم من لستم له برازقين او وجعلنا لكم معايش ولمن لستم له برازقين واراد بهم العيال والمماليك والخدم الذين يحسبون انهم يرزقونهم ويخطئون فان الله هو الرزاق يرزقهم واياهم ويدخل فيه الانعام والدواب وكل ما بتلك المثابة مما الله رازقه وقد سبق الى ظنهم انهم هم الرازقون ولا يجوز ان يكون مجرورا عطفا على الضمير المجرور في لكم لانه لا يعطف على الضمير المجرور * ذكر الخزائن تمثيل والمعنى وما من شيء ينتفع به العباد الا ونحن قادرون على ايجاده وتكوينه والانعام به وما نعطيه الا بمقدار معلوم نعلم انه مصلحة له فضرب الخزائن مثلا لاقتداره على كل مقدور (لواقح) فيه قولان احدهما ان الريح لاقح اذا جاءت بخير من انشاء سحاب ماطر كما قيل للتي لا تأتي بخير ريح عقيم والثاني ان اللواقح بمعنى الملاقح كما قال

* ومختبط مما تطيح الطوائح *

يريد المطاوح جمع مطيحة * وقرئ وارسلنا الريح على تأويل الجنس (فاسقيناكموه) فجعلناه لكم سقيا (وما انتم له بخازنين) نفى عنهم ما أثبته لنفسه في قوله وان من شيء الا عندنا

خزائنه كانه قال نحن الخازنون الماء على معنى نحن القادرون على خلقه فى السماء وانزاله منها وما انتم عليه بقادرين دلالة على عظيم قدرته واظهارا لعجزهم (ونحن الوارثون) اى الباقون بعد هلاك الخلق كله وقيل للباقى وارث استعارة من وارث الميت لانه يبقى بعد فنائه ومنه قوله صلى الله عليه وسلم فى دعائه واجعله الوارث منا (ولقد علمنا) من استقدم ولادة وموتا ومن تاخر من الاولين والآخرين او من خرج من اصلاب الرجال ومن لم يخرج بعد او من تقدم فى الاسلام وسبق الى الطاعة ومن تاخر وقيل المستقدمين فى صفوف الجماعة والمستاخرين وروى ان امرأة حسناء كانت فى المصليات خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان بعض القوم يستقدم لئلا ينظر اليها وبعض يستاخر ليبصرها فنزلت (هو يحشرهم) اى هو وحده القادر على حشرهم والعالم بحصرهم مع افراط كثرتهم وتباعد اطراف عددهم (انه حكيم عليم) باهر الحكمة واسع العلم يفعل كل ما يفعل على مقتضى الحكمة والصواب وقد احاط علما بكل شيء * الصلصال الطين اليابس الذى يصلصل وهو غير مطبوخ واذا طبخ فهو فخار قالوا اذا توهمت فى صوته مدا فهو صليل وان توهمت فيه ترجيعا فهو صلصلة وقيل هو تضعيف صل اذا انتن * والحما الطين الاسود المتغير * والمسنون المصور من سنة الوجه وقيل المصبوب المفرغ اى افرغ صورة انسان كما تفرغ الصور من الجواهر المذوبة فى امثلتها وقيل المنتن من سننت الحجر على الحجر اذا حككته به فالذى يسيل بينهما سنين ولا يكون الا منتنا (من حما) صفة لصلصال اى خلقه من صلصال كائن من حما وحق (مسنون) بمعنى مصور ان يكون صفة لصلصال كانه افرغ الحما فصوره منها تمثال انسان اجوف فيبس حتى اذا نقر صلصل ثم غيره بعد ذلك الى جوهر آخر (والجان) للجن كآدم للناس وقيل هو ابليس وقرأ الحسن وعمرو بن عبيد والجأن بالهمز (من نار السموم) من نار الحر الشديد النافذ فى المسام قيل هذه السموم جزء من سبعين جزأ من سموم النار التى خلق الله منها الجان (واذ قال ربك) واذكر وقت قوله (سويته) عدلت خلقته واكملتها وهيأتها لنفخ الروح فيها ومعنى (ونفخت فيه من روحي) واحييته وليس ثمة نفخ ولا منفوخ وانما هو تمثيل لتحصيل ما يحيا به فيه * واستثنى ابليس من الملائكة لانه كان بينهم مامورا معهم بالسجود فغلب اسم الملائكة ثم استثنى بعد التغليب كقولك رأيتهم الا هندا و(ابى) استئناف على تقدير قول قائل يقول هلا سجد فقيل ابي ذلك واستكبر عنه وقيل معناه ولكن ابليس ابي * حرف الجر مع ان محذوف وتقديره (مالك) فى (الا تكون مع الساجدين) بمعنى اى غرض لك فى ابائك السجود واى داع لك اليه * اللام فى (لأسجد) لتاكيد النفى ومعناه لا يصح منى وينافى حالى ويستحيل ان اسجد لبشر (رجيم) شيطان من الذين يرجمون بالشهب او مطرود من رحمة الله لان من يطرد يرجم بالحجارة ومعناه ملعون لان اللعن هو الطرد من الرحمة والابعاد منها * والضمير فى منها راجع الى الجنة او السماء او الى جملة الملائكة * وضرب يوم الدين حد اللعنة اما لانه ابعد غاية يضرب بها الناس فى كلامهم كقوله مادامت السموات والارض فى التابيد واما ان يراد انك مذموم مدعو عليك باللعن فى السموات والارض الى يوم الدين من غير ان تعذب فاذا جاء ذلك اليوم عذبت بما ينسى اللعن معه * ويوم الدين ويوم يبعثون ويوم الوقت المعلوم فى معنى واحد ولكن خولف بين العبارات سلوكا بالكلام طريقة البلاغة * وقيل انما سال الانظار الى اليوم الذى فيه يبعثون لئلا يموت لانه لا يموت يوم البعث احد فلم يجب الى ذلك وانظر الى آخر ايام التكليف (بما اغويتني) الباء للقسم وما مصدرية وجواب القسم (لازينن) المعنى اقسم باغوائك اياى لازينن لهم ومعنى اغوائه اياه تسبيبه لغيه بان امره بالسجود لآدم عليه السلام فافضى ذلك الى غيه وما الامر بالسجود الا حسن وتعريض للثواب بالتواضع والخضوع لامر الله ولكن ابليس اختار الاباء والاستكبار فهلك والله تعالى برىء من غيه ومن ارادته والرضا به ونحو قوله بما اغويتني لازينن (لهم) قوله فبعزتك لأغوينهم اجمعين فى انه اقسام الا ان احدهما اقسام بصفته والثانى اقسام بفعله وقد فرق الفقهاء بينهما ويجوز ان لا يكون قسما ويقدر قسم محذوف ويكون المعنى بسبب تسبيبك لاغوائي اقسم لافعلن بهم نحو ما فعلت بي من التسبيب لاغوائهم بان ازين لهم المعاصي واوسوس اليهم ما يكون سبب

ونحن الوارثون ولقد علمنا المستقدمين منكم ولقد علمنا المستاخرين وان ربك هو يحشرهم انه حكيم عليم ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حما مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم واذ قال ربك للملائكة انى خالق بشرا من صلصال من حما مسنون فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس ابى أن يكون مع الساجدين قال يا ابليس مالك الا تكون مع الساجدين قال لم أكن لأسجد لبشر خلقته من صلصال من حما مسنون قال فاخرج منها فانك رجيم وان عليك اللعنة الى يوم الدين قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون قال فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم قال رب بما اغويتنى لازينن لهم

هلاكهم (في الارض) في الدنيا التي هي دار الغرور كقوله تعالى أخلد الى الارض واتبع هواه او اراد اني
أقدر على الاحتيال لآدم والتزيين له الاكل من الشجرة وهو في السماء فانا على التزيين لاولاده في الارض
أقدر أو اراد لاجعلن مكان التزيين عندهم الارض ولأوقعن تزييني فيها اى لأزيننها في اعينهم ولاحدثنهم
بان الزينة في الدنيا وحدها حتى يستحبوها على الآخرة و يطمئنوا اليها دونها ونحوه يجرح في عراقيبها
نصلي * استثنى المخلصين لانه علم ان كيده لا يعمل فيهم ولا يقبلون منه * أي (هذا) طريق حق (على) ان
اراعيه وهو ان لا يكون لك سلطان على عبادي الا من اختار اتباعك منهم لغوايته وقرئ علي وهو من علو
الشرف والفضل (لموعدهم) الضمير للغاوين وقيل أبواب النار اطباقها وادراكها فاعلاها للموحدين
والثاني لليهود والثالث للنصارى والرابع للصابئين والخامس للمجوس والسادس للمشركين والسابع
للمنافقين وعن ابن عباس رضي الله عنه ان جهنم لمن ادعى الربوبية ولظى لعبدة النار والحطمة لعبدة
الاصنام وسقر لليهود والسعير للنصارى والجحيم للصابئين والهاوية للموحدين * وقرئ جزء بالتخفيف
والتثقيل وقرأ الزهري جز بالتشديد كانه حذف الهمزة وألقى حركتها على الزاي كقولك خب في خبء ثم
وقف عليه بالتشديد كقولهم الرجل ثم اجرى الوصل مجرى الوقف * المتقي على الاطلاق من يتقي ما يجب
اتقاؤه مما نهي عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما اتقوا الكفر والفواحش ولهم ذنوب تكفرها
الصلوات وغيرها (ادخلوها) على ارادة القول وقرأ الحسن ادخلوها (بسلام) سالمين او مسلما عليكم تسلم
عليكم الملائكة * الغل الحقد الكامن في القلب من أنغل في جوفه وتغلغل اى ان كان لاحدهم في الدنيا غل
على آخر نزع الله ذلك من قلوبهم وطيب نفوسهم وعن علي رضي الله عنه ارجوا ان اكون انا وعثمان وطلحة
والزبير منهم وعن الحرث الاعور كنت جالسا عنده اذ جاء ابن طلحة فقال له علي مرحبا بك يا ابن اخي اما
والله اني لارجوا ان اكون انا وابوك ممن قال الله تعالى ونزعنا ما في صدورهم من غل فقال له قائل كلا الله
اعدل من ان يجمعك وطلحة في مكان واحد فقال فلمن هذه الآية لا أم لك وقيل معناه طهر الله قلوبهم من
من ان يتحاسدوا على الدرجات في الجنة ونزع منها كل غل والقى فيها التوادد والتحاب و (اخوانا) نصب
على الحال و (على سرر متقابلين) كذلك وعن مجاهد تدور بهم الاسرة حيثما داروا فيكونون في جميع
احوالهم متقابلين * لما اتم ذكر الوعد والوعيد اتبعه (نبئ عبادي) تقريرا لما ذكر وتمكينا له في النفوس
* وعن ابن عباس رضي الله عنه غفور لمن تاب وعذابه لمن لم يتب وعطف (ونبئهم) على نبئ عبادي ليتخذوا
ما احل من العذاب بقوم لوط عبرة يعتبرون بها سخط الله وانتقامه من المجرمين ويتحققوا عنده ان عذابه
هو العذاب الاليم (سلاما) اى نسلم عليك سلاما او سلمت سلاما (وجلون) خائفون وكان خوفه لامتناعهم من
الاكل وقيل لانهم دخلوا بغير اذن و بغير وقت * وقرأ الحسن لا توجل بضم التاء من اوجله يوجله اذا أخافه
وقرئ لا تأجل ولا تواجل من واجله بمعنى اوجله * وقرئ نبشرك بفتح النون والتخفيف (انا نبشرك)
استئناف في معنى التعليل للنهي عن الوجل ارادوا انك بمثابة الآمن المبشر فلا توجل * يعني (ابشرتموني)
مع مس الكبر بان يولد لي اى ان الولادة امر عجيب مستنكر في العادة مع الكبر (فبم تبشرون) هي
ما الاستفهامية دخلها معنى التعجب كانه قال فبأي أعجوبة تبشروني او اراد انكم تبشرونني بما هو غير
متصور في العادة فبأي شيء تبشرون يعني لا تبشروني في الحقيقة بشيء لان البشارة بمثل هذا بشارة بغير شيء
ويجوز ان لا يكون صلة لبشر و يكون سؤالا عن الوجه والطريقة يعني باي طريقة تبشروني بالولد والبشارة به
لا طريقة لها في العادة * وقوله (بشرناك بالحق) يحتمل ان تكون الباء فيه صلة اى بشرناك باليقين الذي
لا لبس فيه او بشرناك بطريقة هي حق وهو قول الله ووعده وانه قادر على ان يوجد ولدا من غير ابوين
فكيف من شيخ فان وعجوز عاقر * وقرئ تبشرون بفتح النون وبكسرها على حذف نون الجمع والاصل
تبشرونن وتبشرون بادغام نون الجمع في نون العماد * وقرئ من القنطين من قنط يقنط * وقرئ ومن يقنط
بالحركات الثلاث في النون * ارادو من يقنط من رحمة ربه الا المخطئون طريق الصواب او الا الكافرون

في الارض ولأغوينهم اجمعين الا عبادك منهم المخلصين قال هذا صراط علي مستقيم ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين وان جهنم لموعدهم اجمعين لها سبعة ابواب لكل باب منهم جزء مقسوم ان المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غل اخوانا على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين نبئ عبادي اني انا الغفور الرحيم وان عذابي هو العذاب الاليم ونبئهم عن ضيف ابراهيم اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال انا منكم وجلون قالوا لا توجل انا نبشرك بغلام عليم قال ابشرتموني على أن مسني الكبر فبم تبشرون قالوا بشرناك بالحق فلا تكن من القانطين قال ومن يقنط من رحمة ربه الا الضالون قال فما خطبكم أيها المرسلون قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين

كقوله

* قوله تعالى انا ارسلنا الى قوم مجرمين الا آل لوط انا لمنجوهم أجمعين الا امرأته قدرنا انها من الغابرين (قال ان قلت هل الاستثناء الاول متصل الخ) قال احمد وجعله الاول منقطعا اولى وامكن وذلك ان فى استثنائهم من الضمير العائد على قوم منكرين بعدا من حيث ان موقع الاستثناء اخراج مالولاه لدخل المستثنى فى حكم الاول وهذا الدخول متعذر من التنكير ولذلك قلما تجد النكرة يستثنى منها الا فى سياق نفى لانها حينئذ تعم فيتحقق الدخول لولا الاستثناء ومن ثم لم يحسن رأيت قوما الا زيدا وحسن مارأيت احدا الا زيدا والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله قدرنا انها لمن الغابرين الخ) قال احمد وهذه ايضا من دفائنه الاعتزالية فى جحد القضاء والقدر واعتقاد ان الامر انف لانهم لا يعتقدون ان الله تعالى مريد لاكثر افعال عبيده من معصية

ومباح ونحوهما ولا مقدر لها على العبيد بمعنى انه مريد ولكنه عالم بما سيفعلونه على خلاف مشيئته وارادته فالتقدير عندهم هو العلم لا الارادة ثم استدل على ان التقدير هو العلم بتقدير فعله عن العمل وذلك من خواص فعل العلم واخواته فانظر الى بعد غوره ودقة فطنته فى ابتغاء آية يلفقها ويعاند بها البراهين الواضح فلقها وفى كلامه شاهد على رده فان التقدير عنده مضمن معنى العلم ومن شان الفعل المضمن معنى آخر ان يبقى على معناه الاصلى مضافا اليه المعنى الطارئ فيفيدهما جميعا فالتقدير اذا كما افاد العلم الطارئ يفيد الارادة اصلا ووضعا والله اعلم على ان من الناس من جعل قوله تعالى قدرنا انها لمن الغابرين من كلامه تعالى غير محكى عن الملائكة وهو الظاهر فان الذى يجعله من قول الملائكة يحتاج فى نسبتهم التقدير الى انفسهم الى تاويل ويجعله من باب قول خواص الملك دبرنا كذا وأمرنا بكذا وانما يعنون دبر الملك وامر بذلك اوله الزمخشرى وان كان اصله لا يحتاج معه الى التاويل لانه اذا جعل قدرنا بمعنى علمنا انها لمن الغابرين فلا غرو فى علم الملائكة ذلك باخبار الله تعالى اياهم به وانما يحتاج الى التاويل من جعل قدرنا بمعنى اردنا وقضينا وجعله من قول الملائكة والله اعلم

كقوله لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون يعنى لم استنكر ذلك قنوطا من رحمته ولكن استبعادا له فى العادة التى اجراها الله * (فان قلت) قوله تعالى (الا آل لوط) استثناء متصل ام منقطع (قلت) لا يخلو من ان يكون استثناء من قوم فيكون منقطعا لان القوم موصوفون بالاجرام فاختلف لذلك الجنسان وان يكون استثناء من الضمير فى مجرمين فيكون متصلا كانه قيل الى قوم قد اجرموا كلهم الا آل لوط وحدهم كما قال فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين (فان قلت) فهل يختلف المعنى لاختلاف الاستثناءين (قلت) نعم وذلك ان آل لوط مخرجون فى المنقطع من حكم الارسال وعلى انهم ارسلوا الى القوم المجرمين خاصة ولم يرسلوا الى آل لوط أصلا ومعنى ارسالهم الى القوم المجرمين كارسال الحجر او السهم الى المرمى فى انه فى معنى التعذيب والاهلاك كانه قيل انا اهلكنا قوما مجرمين ولكن آل لوط انجيناهم واما فى المتصل فهم داخلون فى حكم الارسال وعلى ان الملائكة ارسلوا اليهم جميعا ليهلكوا هؤلاء وينجوا هؤلاء فلا يكون الارسال مخلصا بمعنى الاهلاك والتعذيب كما فى الوجه الاول (فان قلت) فقوله (انا لمنجوهم) بم يتعلق على الوجهين (قلت) اذا انقطع الاستثناء جرى مجرى خبر لكن فى الاتصال بآل لوط لان المعنى لكن آل لوط منجون واذا اتصل كان كلاما مستانفا كان ابراهيم عليه السلام قال لهم فما حال آل لوط فقالوا انا لمنجوهم * (فان قلت) فقوله (الا امرأته) مم استثنى وهل هو استثناء من استثناء (قلت) استثنى من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم وليس من الاستثناء من الاستثناء فى شئ لان الاستثناء من الاستثناء انما يكون فيما اتحد الحكم فيه وان يقال اهلكناهم الا آل لوط الا امرأته كما اتحد الحكم فى قول المطلق انت طالق ثلاثا الا اثنتين الا واحدة وفى قول المقر لفلان على عشرة دراهم الا ثلاثة الا درهما فاما فى الآية فقد اختلف الحكمان لان الا آل لوط متعلق بارسلنا او بمجرمين والا امرأته قد تعلق بمنجوهم فانى يكون استثناء من استثناء * وقرئ لمنجوهم بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم جاز تعليق فعل التقدير فى قوله (قدرنا انها لمن الغابرين) والتعليق من خصائص افعال القلوب (قلت) لتضمن فعل التقدير معنى العلم ولذلك فسر العلماء تقدير الله أعمال العباد بالعلم (فان قلت) فلم اسند الملائكة فعل التقدير وهو لله وحده الى انفسهم ولم يقولوا قدر الله (قلت) لما لهم من القرب والاختصاص بالله الذى ليس لاحد غيرهم كما يقول خاصة الملك دبرنا كذا وامرنا بكذا والمدبر والآمر هو الملك لاهم وانما يظهرون بذلك اختصاصهم وانهم لا يتميزون عنه وقرئ قدرنا بالتخفيف (منكرون) اى تنكركم نفسى وتنفر منكم فاخاف ان تطرقونى بشر بدليل قوله (بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) اى ما جئناك بما تنكرنا لاجله بل جئناك بما فيه فرحك وسرورك وتشفيك من عدوك وهو العذاب الذى كنت تتوعدهم بنزوله فيمترون فيه ويكذبونك (بالحق) باليقين من عذابهم (وانا لصادقون) فى الاخبار بنزوله بهم * وقرئ فاسر بقطع الهمزة ووصلها من أسرى وسرى وروى صاحب الاقليد فسر من السير * والقطع

الا آل لوط انا لمنجوهم اجمعين الا امرأته قدرنا انها لمن الغابرين فلما جاء آل لوط المرسلون قال انكم قوم منكرون قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون وأتيناك بالحق وانا لصادقون فاسر باهلك بقطع من الليل واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم احد وامضوا

في آخر الليل قال * اقتحى الباب وانظري في النجوم * كم علينا من قطع ليل بهيم
وقيل هو بعد ما يمضي شيء صالح من الليل *(فان قلت) مامعنى امره باتباع ادبارهم ونهيهم عن الالتفات
(قلت) قد بعث الله الهلاك على قومه ونجاه واهله اجابة لدعوته عليهم وخرج مهاجرا فلم يكن له بد من
الاجتهاد في شكر الله وادامة ذكره وتفريغ باله لذلك فامر بأن يقدمهم لئلا يشتغل بمن خلفه قلبه وليكون
مطلعا عليهم وعلى احوالهم فلا تفرط منهم التفاتة احتشاما منه ولا غيرها من الهفوات في تلك الحال المهولة
المحذورة ولئلا يتخلف منهم احد لغرض له فيصيبه العذاب وليكون مسيره مسير الهارب الذي يقدم سربه
ويفوت به ونهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب فيرقوا لهم وليوطنوا نفوسهم على المهاجرة
ويطيبوها عن مساكنهم ويمضوا قدما غير ملتفتين الى ما وراءهم كالذي يتحسر على مفارقة وطنه فلا يزال يلوي
اليه اخادعه كما قال * تلفت نحو الحي حتى وجدتني * وجعت من الاصغاء ليتا وأخدعا
اوجعل النهي عن الالتفات كناية عن مواصلة السير وترك التواني والتوقف لان من يتلفت لا بد له في ذلك
من ادنى وقفة (حيث تؤمرون) قيل هو مصر وعدى وامضوا الى حيث تعديته الى الظرف المبهم لان
حيث مبهم في الامكنة وكذلك الضمير في تؤمرون * وعدى قضينا بالى لانه ضمن معنى اوحينا كانه قيل
وأوحينا اليه مقضيا مبتوتا وفسر (ذلك الامر) بقوله (ان دابر هؤلاء مقطوع) وفي ابهامه وتفسيره تفخيم
الامر وتعظيم له وقرأ الاعمش ان بالكسر على الاستئناف كان قائلا قال أخبرنا عن ذلك الامر فقال ان دابر
هؤلاء وفي قراءة ابن مسعود وقلنا ان دابر هؤلاء ودابرهم آخرهم يعني يستأصلون عن آخرهم حتى لا يبقى
منهم أحد (اهل المدينة) أهل سدوم التي ضرب بقاضيها المثل في الجور مستبشرين بالملائكة (لا تفضحون)
بفضيحة ضيفي لان من اسيء الى ضيفه أو جاره فقد أسيء اليه كما أن من اكرم من يتصل به فقد اكرم
(ولا تخزون) ولا تذلون باذلال ضيفي من الخزي وهو الهوان أو ولا تشوروا بي من الخزاية وهي الحياء (عن
العالمين) عن ان تجير منهم احدا او تدفع عنهم او تمنع بيننا وبينهم فانهم كانوا يتعرضون لكل احد وكان يقوم
صلى الله عليه وسلم بالنهي عن المنكر والحجز بينهم وبين المتعرض له فاوعدوه وقالوا لئن لم تنته يالوط لتكونن
من المخرجين وقيل عن ضيافة الناس وانزالهم وكانوا نهوه ان يضيف احدا قط (هؤلاء بناتي) اشارة الى
النساء لان كل امة اولاد نبيها رجالهم بنوه ونساؤهم بناته فكانه قال لهم هؤلاء بناتي فانكحوهن وخلوا بني
فلا تتعرضوا لهم (ان كنتم فاعلين) شك في قبولهم لقوله كانه قال ان فعلتم ما اقول لكم وما اظنكم تفعلون
وقيل ان كنتم تريدون قضاء الشهوة فيما احل الله دون ما حرم (لعمرك) على ارادة القول اي قالت
الملائكة للوط عليه السلام لعمرك (انهم لفي سكرتهم) اي غوايتهم التي اذهبت عقولهم وتمييزهم بين الخطا
الذي هم عليه وبين الصواب الذي تشير به عليهم من ترك البنين الى البنات (يعمهون) يتحيرون فكيف
يقبلون قولك ويصغون الى نصيحتك وقيل الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم وانه اقسم بحياته وما
اقسم بحياة احد قط كرامة له والعمر والعمر واحد الا انهم خصوا القسم المفتوح لايثار الاخف فيه وذلك لان
الحلف كثير الدور على السنتهم ولذلك حذفوا الخبر وتقديره لعمرك مما اقسم به كما حذفوا الفعل في قولك
بالله وقرئ في سكرهم وفي سكراتهم (الصيحة) صيحة جبريل عليه السلام (مشرقين) داخلين في الشروق
وهو بزوغ الشمس (من سجيل) قيل من طين عليه كتاب من السجل ودليله قوله تعالى حجارة من طين
مسومة عند ربك اي معلمة بكتاب (للمتوسمين) للمتفرسين المتاملين وحقيقة المتوسمين النظار المتثبتون
في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة سمة الشيء يقال توسمت في فلان كذا أي عرفت وسمه فيه * والضمير في عاليها
سافلها لقرى قوم لوط (وانها) وان هذه القرى يعني آثارها (لبسبيل مقيم) ثابت يسلكه الناس لم يندرس
بعد وهم يبصرون تلك الآثار وهو تنبيه لقريش كقوله وانكم لتمرون عليهم مصبحين (اصحاب الايكة)
قوم شعيب (وانهما) يعني قرى قوم لوط والايكة وقيل الضمير للايكة ومدين لان شعيبا كان مبعوثا اليهما
فلما ذكر الايكة دل بذكرها على مدين فجاء بضميرهما (لبامام مبين) لبطريق واضح والامام اسم لما يؤتم به

حيث تؤمرون وقضينا اليه ذلك الامر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين وجاء اهل المدينة يستبشرون قال ان هؤلاء ضيفي فلا تفضحون واتقوا الله ولا تخزون قالوا أولم ننهك عن العالمين قال هؤلاء بناتي ان كنتم فاعلين لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون فاخذتهم الصيحة مشرقين فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل ان في ذلك لآيات للمتوسمين وانها لبسبيل مقيم ان في ذلك لآية للمؤمنين وان كان اصحاب الايكة لظالمين فانتقمنا منهم وانهما لبامام مبين ولقد كذب

* قوله تعالى واتبع ادبارهم ولا يلتفت منكم أحد (قال ان قلت مامعنى امره باتباع ادبارهم الخ) قال احمد ولبعض هذه المقاصد عاتب الله تعالى نبيه موسى عليه السلام حيث تقدم قومه فقال وما اعجلك عن قومك ياموسى والله اعلم * عاد كلامه (قال وانما نهوا عن الالتفات لئلا يروا ما ينزل بقومهم من العذاب الخ) قال أحمد ولقد شملت هذه الآية

فسمي به الطريق ومطمر البناء واللوح الذي يكتب فيه لانها مما يؤتم به (اصحاب الحجر) ثمود والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) يعني بتكذيبهم صالحا لان من كذب واحدا منهم فكانما كذبهم جميعا او أراد صالحا ومن معه من المؤمنين كما قيل الخبيبون في ابن الزبير واصحابه وعن جابر مررنا مع النبي صلى الله عليه وسلم على الحجر فقال لنا لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا انفسهم الا ان تكونوا باكين حذرا ان يصيبكم مثل ما أصاب هؤلاء ثم زجر النبي صلى الله عليه وسلم راحلته فاسرع حتى خلفها (آمنين) لوثاقة البيوت واستحكامها من ان تتهدم ويتداعى بنيانها ومن نقب اللصوص ومن الاعداء وحوادث الدهر او آمنين من عذاب الله يحسبون ان الجبال تحميهم منه (ما كانوا يكسبون) من بناء البيوت الوثيقة والاموال والعدد (الا بالحق) الا خلقا ملتبسا بالحق والحكمة لا باطلا وعبثا او بسبب العدل والانصاف يوم الجزاء على الاعمال (وان الساعة لآتية) وان الله ينتقم لك فيها من اعدائك ويجازيك واياهم على حسناتك وسيآتهم فانه ما خلق السموات والارض وما بينهما الا لذلك (فاصفح) فاعرض عنهم واحتمل ما تلقى منهم اعراضا جميلا بحلم واغضاء وقيل هو منسوخ بآية السيف ويجوز ان يراد به المخالقة فلا يكون منسوخا (ان ربك هو الخلاق) الذي خلقك وخلقهم وهو (العليم) بحالك وحالهم فلا يخفى عليه ما يجري بينكم وهو يحكم بينكم او ان ربك هو الذي خلقكم وعلم ما هو الاصلح لكم وقد علم ان الصفح اليوم اصلح الى ان يكون السيف اصلح وفي مصحف ابي وعثمان ان ربك هو الخالق وهو يصلح للقليل والكثير والخلاق للكثير لا غير كقولك قطع الثياب وقطع الثوب والثياب (سبعا) سبع آيات وهي الفاتحة او سبع سور وهي الطوال واختلف في السابعة فقيل الانفال وبراءة لانهما في حكم سورة واحدة ولذلك لم يفصل بينهما بآية التسمية وقيل سورة يونس وقيل هي آل حم او سبع صحائف وهي الاسباع و(المثاني) من التثنية وهي التكرير لان الفاتحة مما تكرر قراءتها في الصلاة وغيرها او من الثناء لاشتمالها على ما هو ثناء على الله الواحدة مثناة او مثنية صفة للآية واما السور او الاسباع فلما وقع فيها من تكرير القصص والمواعظ والوعد والوعيد وغير ذلك ولما فيها من الثناء كانها تثني على الله تعالى بافعاله العظمى وصفاته الحسنى ومن اما للبيان او للتبعيض اذا أردت بالسبع الفاتحة او الطوال وللبيان اذا أردت الاسباع ويجوز ان يكون كتب الله كلها مثاني لانها تثني عليه ولما فيها من المواعظ المكررة ويكون القرآن بعضها * (فان قلت) كيف صح عطف القرآن العظيم على السبع وهل هو الا عطف الشيء على نفسه (قلت) اذا عني بالسبع الفاتحة او الطوال فما وراءهن ينطلق عليه اسم القرآن لانه اسم يقع على البعض كما يقع على الكل الا ترى الى قوله بما اوحينا اليك هذا القرآن يعني سورة يوسف واذا عنيت الاسباع فالمعنى ولقد آتيناك ما يقال له السبع المثاني والقرآن العظيم اى الجامع لهذين النعتين وهو الثناء او التثنية والعظم * اى لا تطمح ببصرك طموح راغب فيه متمن له (الى ما متعنا به أزواجا منهم) أصنافا من الكفار (فان قلت) كيف وصل هذا بما قبله (قلت) يقول لرسوله صلى الله عليه وسلم قد أوتيت النعمة العظمى التي كل نعمة وان عظمت فهي اليها حقيرة ضئيلة وهي القرآن العظيم فعليك ان تستغني به ولا تمدن عينيك الى متاع الدنيا ومنه الحديث ليس منا من لم يتغن بالقرآن وحديث ابي بكر من اوتي القرآن فرأى ان احدا أوتي من الدنيا افضل مما اوتي فقد صغر عظيما وعظم صغيرا وقيل وافت من بصرى واذرعات سبع قوافل ليهود بني قريظة والنضير فيها انواع البز والطيب والجوهر وسائر الامتعة فقال المسلمون لو كانت هذه الاموال لنا لتقوينا بها ولأنفقناها في سبيل الله فقال لهم الله عز وعلا لقد أعطيتكم سبع آيات هي خير من هذه القوافل السبع (ولا تحزن عليهم) اى لا تتمن اموالهم ولا تحزن عليهم انهم لم يؤمنوا فيتقوى بمكانهم الاسلام وينتعش بهم المؤمنون * وتواضع لمن معك من فقراء المؤمنين وضعفائهم وطب نفسا عن ايمان الاغنياء والاقوياء (وقل) لهم (اني انا النذير المبين) انذركم ببيان وبرهان ان عذاب الله نازل بكم * (فان قلت) بم

اصحاب الحجر المرسلين وآتيناهم آياتنا فكانوا عنها معرضين وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا آمنين فاخذتهم الصيحة مصبحين فما اغنى عنهم ما كانوا يكسبون وما خلقنا السموات والارض وما بينهما الا بالحق وان الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل ان ربك هو الخلاق العليم ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم ولا تحزن عليهم واخفض جناحك للمؤمنين وقل اني انا النذير المبين

على وجازتها آداب المسافرين لمهم ديني اودنيوي من الآمر والمأمور والتابع والمتبوع ما فرطنا في الكتاب من شيء * قوله تعالى ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم لا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجا منهم (قال ان قلت كيف وصل هذا بما قبله الخ) قال احمد وهذا هو الصواب في معنى الحديث وقد حمله كثير من العلماء على الغناء وادعى هؤلاء ان تغنى انما يبنى من الغناء الممدود لا من الغنى المقصور وان فعله استغنى خاصة وقد وجدت بناء تغنى من الغنى المقصور في الحديث الصحيح في الخيل واما التي هي ستر فرجل ربطها تغنيا وتعففا وانما هذا من الغنى المقصور قطعا واتفاقا وهو مصدر تغنى فدل ذلك على انه مستعمل من البناءين جميعا على خلاف دعوى المخالف والله الموفق

تعلق قوله (كما أنزلنا) (قلت) فيه وجهان أحدهما ان يتعلق بقوله و لقد آتيناك اى انزلنا عليك مثل ما انزلنا على اهل الكتاب وهم المقتسمون (الذين جعلوا القرآن عضين) حيث قالوا بعنادهم وعدوانهم بعضه حق موافق للتوراة والانجيل و بعضه باطل مخالف لهما فاقتسموه الى حق و باطل وعضوه وقيل كانوا يستهزؤن به فيقول بعضهم سورة البقرة لى و يقول الآخر سورة آل عمران لى و يجوز ان يراد بالقرآن ما يقرؤنه من كتبهم وقد اقتسموه بتحريفهم و بان اليهود أقرت ببعض التوراة وكذبت ببعض والنصارى اقرت ببعض الانجيل وكذبت ببعض وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن صنيع قومه بالقرآن وتكذيبهم وقولهم سحر وشعر واساطير بان غيرهم من الكفرة فعلوا بغيره من الكتب نحو فعلهم والثاني ان يتعلق بقوله وقل انى انا النذير المبين اى وانذر قريشا مثل ما انزلنا من العذاب على المقتسمين يعني اليهود وهو ماجرى على قريظة والنضير جعل المتوقع بمنزلة الواقع وهو من الاعجاز لانه اخبار بما سيكون وقد كان و يجوز ان يكون الذين جعلوا القرآن عضين منصوبا بالنذير اى انذر المعضين الذين يجزؤن القرآن الى سحر وشعر واساطير مثل ما انزلنا على المقتسمين وهم الاثنا عشر الذين اقتسموا مداخل مكة ايام الموسم فقعدوا فى كل مدخل متفرقين لينفروا الناس عن الايمان برسول الله صلى الله عليه وسلم يقول بعضهم لا تغتروا بالخارج منا فانه ساحر ويقول الآخر كذاب والآخر شاعر فاهلكهم الله يوم بدر وقبله بآفات كالوليد بن المغيرة والعاص ابن وائل والاسود بن المطلب وغيرهم اومثل ما انزلنا على الرهط الذين تقاسموا على ان يبيتوا صالحا عليه السلام والاقتسام بمعنى التقاسم (فان قلت) اذا علقت قوله كما انزلنا بقوله ولقد آتيناك فما معنى توسط لا تمدن الى آخره بينهما (قلت) لما كان ذلك تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن تكذيبهم وعداوتهم اعترض بما هو مدد لمعنى التسلية من النهي عن الالتفات الى دنياهم والتاسف على كفرهم ومن الامر بان يقبل بمجامعه على المؤمنين * عضين اجزاء جمع عضة واصلها عضوة فعلة من عضى الشاة اذا جعلها اعضاء قال رؤبة * وليس دين الله بالمعضى * وقيل هي فعلة من عضهته اذا بهته وعن عكرمة العضة السحر بلغة قريش يقولون للساحر عاضه ولعن النبي صلى الله عليه وسلم العاضهة والمستعضهة نقصانها على الاول واو وعلى الثاني هاء (لنسئلنهم) عبارة عن الوعيد وقيل يسالهم سؤال تقريع وعن ابى العالية يسال العباد عن خلتين عما كانوا يعبدون وماذا أجابوا المرسلين (فاصدع بما تؤمر) فاجهر به واظهره يقال صدع بالحجة اذا تكلم بها جهارا كقولك صرح بها من الصديع وهو الفجر والصدع في الزجاجة الابانة وقيل فاصدع فافرق بين الحق والباطل بما تؤمر والمعنى بما تؤمر به من الشرائع فحذف الجار كقوله * امرتك الخير فافعل ما امرت به * ويجوز ان تكون ما مصدرية اى بامرك مصدر من المبني للمفعول * عن عروة بن الزبير فى المستهزئين هم خمسة نفر ذوو واسنان وشرف الوليد بن المغيرة والعاص بن وائل والاسود بن عبد يغوث والاسود بن المطلب والحرث بن الطلاطلة وعن ابن عباس رضى الله عنه ماتوا كلهم قبل بدر قال جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم امرت ان اكفيكهم فاوما الى ساق الوليد فمر بنبال فتعلق بثوبه سهم فلم ينعطف تعظما لاخذه فاصاب عرقا فى عقبه فقطعه فمات واوما الى اخمص العاص بن وائل فدخلت فيها شوكة فقال لدغت لدغت وانتفخت رجله حتى صارت كالرحى ومات واشار الى عينى الاسود بن المطلب فعمي واشار الى انف الحرث ابن قيس فامتخط قيحا فمات والى الاسود بن عبد يغوث وهو قاعد فى اصل شجرة فجعل ينطح رأسه بالشجرة و يضرب وجهه بالشوك حتى مات (بما يقولون) من اقاويل الطاعنين فيك وفى القرآن (فسبح) فافزع فيما نابك الى الله والفزع الى الله هو الذكر الدائم وكثرة السجود يكفك ويكشف عنك الغم * ودم على عبادة ربك (حتى يأتيك اليقين) اى الموت اى مادمت حيا فلا تخل بالعبادة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه كان اذا حزبه امر فزع الى الصلاة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجر كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المهاجرين والانصار والمستهزئين بمحمد صلى الله عليه وسلم

(سورة

كما انزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين فوربك لنسئلنهم أجمعين عما كانوا يعملون فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها آخر فسوف يعلمون ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين واعبد ربك حتى يأتيك اليقين

قوله الحرث بن قيس كتب عليه انما يصح اذا كان الطلاطلة لقب قيس والا فليس من المعدودين قبل اه وعبارة أبي السعود فى اللف والحرث بن قيس بن الطلاطلة اه كتبه مصححه

﴿ سورة النحل مكية غير ثلاث آيات فى آخرها وتسمي سورة النعم وهى مائة وثمان وعشرون آية ﴾

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

* كانوا يستعجلون ماوعدوا من قيام الساعة او نزول العذاب بهم يوم بدر استهزاء وتكذيبا بالوعد فقيل لهم (اتي امر الله) الذى هو بمنزلة الآتي الواقع وان كان منتظر القرب وقوعه (فلا تستعجلوه) روى انه لما نزلت اقتربت الساعة قال الكفار فيما بينهم ان هذا يزعم ان القيامة قد قربت فامسكوا عن بعض ماتعملون حتى ننظر ماهو كائن فلما تاخرت قالوا امانرى شيئا فنزلت اقترب للناس حسابهم فاشفقوا وانتظروا قربها فلما امتدت الايام قالوا يامحمد مانرى شيئا مما تخوفنا به فنزلت اتى امر الله فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفع الناس رؤسهم فنزلت فلا تستعجلوه فاطمانوا وقرئ تستعجلوه بالتاء والياء (سبحانه وتعالى عما يشركون) تبرا عزوجل عن ان يكون له شريك وان تكون آلهتهم له شركاء او عن اشراكهم على ان ما موصولة او مصدرية (فان قلت) كيف اتصل هذا باستعجالهم (قلت) لان استعجالهم استهزاء وتكذيب وذلك من الشرك وقرئ تشركون بالتاء والياء * قرئ ينزل بالتخفيف والتشديد وقرئ نزل الملائكة اى تتنزل (بالروح من امره) بما يحيي القلوب الميتة بالجهل من وحيه او بما يقوم فى الدين مقام الروح فى الجسد و (ان انذروا) بدل من الروح اى ينزلهم بان انذروا وتقديره بانه انذروا اى بان الشان اقول لكم انذروا او تكون ان مفسرة لان تنزيل الملائكة بالوحي فيه معنى القول ومعنى انذروا (انه لا اله الا انا) اعلموا بان الامر ذلك من نذرت بكذا اذا علمته والمعنى يقول لهم اعلموا الناس قولي لا اله الا انا (فاتقون) * ثم دل على وحدانيته وانه لا اله الا هو بما ذكر مما لا يقدر عليه غيره من خلق السموات والارض وخلق الانسان ومايصلحه ومالا بدله منه من خلق البهائم لاكله وركوبه وجر أثقاله وسائر حاجاته وخلق مالا يعلمون من اصناف خلائقه ومثله متعال عن ان يشرك به غيره وقرئ تشركون بالتاء والياء (فاذا هو خصيم مبين) فيه معنيان احدهما فاذا هو منطيق مجادل عن نفسه مكافح للخصوم مبين للحجة بعدما كان نطفة من مني جمادا لاحس به ولا حركة دلالة على قدرته والثاني فاذا هو خصيم لربه منكر على خالقه قائل من يحيي العظام وهي رميم وصفا للانسان بالافراط فى الوقاحة والجهل والتمادي فى كفران النعمة وقيل نزلت فى ابي بن خلف الجمحي حين جاء بالعظم الرميم الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يامحمد اترى الله يحيي هذا بعدما قدرم (الانعام) الازواج الثمانية واكثر ماتقع على الابل وانتصابها بمضمر يفسره الظاهر كقوله والقمر قدرناه ويجوز ان يعطف على الانسان اى خلق الانسان والانعام ثم قال (خلقها لكم) اى ماخلقها الا لكم ولمصالحكم ياجنس الانسان * والدفء اسم مايدفأ به كما ان الملء اسم مايملأ به وهو الدفاء من لباس معمول من صوف او وبر او شعر وقرئ دف بطرح الهمزة والقاء حركتها على الفاء (ومنافع) هي نسلها ودرها وغير ذلك * (فان قلت) تقديم الظرف فى قوله (ومنها تاكلون) مؤذن بالاختصاص وقد يؤكل من غيرها (قلت) الاكل منها هو الاصل الذى يعتمده الناس فى معايشهم واما الاكل من غيرها من الدجاج والبط وصيد البر والبحر فكغير المعتد به وكالجاري مجرى التفكه ويحتمل ان طعمتكم منها لانكم تحرثون بالبقر فالحب والثمار التى تاكلونها منها وتكتسبون باكراء الابل وتبيعون نتاجها والبانها وجلودها * من الله بالتجمل بها كما من بالانتفاع بها لانه من اغراض اصحاب المواشي بل هو من معاظمها لان الرعيان اذا روحوها بالعشي وسرحوها بالغداة فزينت باراحتها وتسريحها الافنية وتجاوب فيها الثغاء والرغاء انست اهلها وفرحت اربابها واجلتهم فى عيون الناظرين اليها وكسبتهم الجاه والحرمة عند الناس ونحوه لتركبوها وزينة يوارى سوآتكم وريشا (فان قلت) لم قدمت الاراحة على التسريح (قلت) لان الجمال فى الاراحة اظهر اذا اقبلت ملاى البطون حافلة الضروع ثم أوت الى الحظائر حاضرة لاهلها * وقرأ عكرمة حينا تريحون وحينا تسرحون على ان تريحون وتسرحون وصف للحين والمعنى تريحون فيه وتسرحون فيه كقوله تعالى يوما لا يجزى والد * قرئ بشق الانفس بكسر الشين وفتحها وقيل هما لغتان في معنى المشقة

﴿سورة النحل مكية وهي مائة وثمان وعشرون آية﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

اتي امر الله فلا تستعجلوه سبحانه وتعالى عما يشركون ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده أن انذروا انه لا اله الا انا فاتقون خلق السموات والارض بالحق تعالى عما يشركون خلق الانسان من نطفة فاذا هو خصيم مبين والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد

﴿القول فى سورة النحل﴾

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

قوله تعالى والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تاكلون (قال ان قلت لم قدم المجرور واجاب بان الاكل منها هو الاصل الخ) قال احمد ومدار هذا التقرير على ان تقديم معمول الفعل يوجب حصره فيه فكانه قال وانما تاكلون منها

* قوله تعالى وتحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس (قال ان قلت كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم الخ) قال احمد و يحتمل ان يكون المراد تحمل أثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس واستغنى بذكر البلوغ عن ذكر حملها لان العادة ان المسافر لا يستغني عن اثقال يستصحبها والمعنى الاول أعلى والله اعلم * قوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة (قال ان قلت هلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد الخ (قال احمد يعني فجاز ان ينتصب مجردا من لام التعليل لانه فعل فاعل الفعل الاول و يبينه اقتران الركوب باللام لانه فعل المخاطبين ومتى لم يتحد الفاعل تعين لحاق اللام وفي هذا الجواب نظر فان لقائل ان يقول كان من الممكن بحيث ما معا باللام فيأتيان على سنن واحد ولا غرو في ذلك فالسؤال قائم والجواب العتيد عنه ان المقصود المعتبر الاصلي في هذه الاصناف هو الركوب ٥٢٠ واما التزين بها فامر تابع غير مقصود قصد الركوب فاقترن المقصود المهم باللام المفيدة للتعليل تنبيها على انه اهم الغرضين واقوى السببين وتجرد التزين منها تنبيها على تبعيته او قصوره عن الركوب والله اعلم * قوله تعالى

لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة و يخلق ما لا تعلمون وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم اجمعين هو الذي انزل من السماء ماء لكم منه شراب ومنه شجر

و بينهما فرق وهو ان المفتوح مصدر شق الامر عليه شقا وحقيقته راجعة الى الشق الذي هو الصدع واما الشق فالنصف كأنه يذهب نصف قوته لما يناله من الجهد * (فان قلت) ما معنى قوله (لم تكونوا بالغيه) كأنهم كانوا زمانا يتحملون المشاق في بلوغه حتى حملت الابل أثقالهم (قلت) معناه وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه في التقدير لو لم تخلق الابل الا بجهد انفسكم لا انهم لم يكونوا بالغيه في الحقيقة (فان قلت) كيف طابق قوله لم تكونوا بالغيه قوله وتحمل اثقالكم وهلا قيل لم تكونوا حاملها اليه (قلت) طباقه من حيث ان معناه وتحمل اثقالكم الى بلد بعيد قد علمتم انكم لا تبلغونه بانفسكم الا بجهد ومشقة فضلا ان تحملوا على ظهوركم اثقالكم ويجوز ان يكون المعنى لم تكونوا بالغيه بها الا بشق الانفس وقيل اثقالكم اجرامكم وعن عكرمة البلد مكة (لرؤف رحيم) حيث رحمكم بخلق هذه الحوامل وتيسير هذه المصالح (والخيل والبغال والحمير) عطف على الانعام اي وخلق هؤلاء للركوب والزينة وقد احتج على حرمة أكل لحومهن بان علل خلقها بالركوب والزينة ولم يذكر الاكل بعد ما ذكره في الانعام * (فان قلت) لم انتصب (وزينة) (قلت) لانه مفعول له وهو معطوف على محل لتركبوها (فان قلت) فهلا ورد المعطوف والمعطوف عليه على سنن واحد (قلت) لان الركوب فعل المخاطبين واما الزينة ففعل الزائن وهو الخالق وقرئ لتركبوها زينة بغير واو اي وخلقها زينة لتركبوها او تجعل زينة حالا منها اي وخلقها لتركبوها وهي زينة وجمال (و يخلق ما لا تعلمون) يجوز ان يريد به ما يخلق فينا ولنا ما لا نعلم كنهه وتفاصيله و يمن علينا بذكره كما من بالاشياء المعلومة مع الدلالة على قدرته و يجوز ان يخبرنا بان له من الخلائق ما لا علم لنا به ليزيدنا دلالة على اقتداره بالاخبار بذلك وان طوى عنا علمه لحكمة له في طيه وقد حمل على ما خلق في الجنة والنار مما لم يبلغه وهم احد ولا خطر على قلبه * المراد بالسبيل الجنس ولذلك اضاف اليها القصد وقال ومنها جائر * والقصد مصدر بمعنى الفاعل وهو القاصد يقال سبيل قصد وقاصد اي مستقيم كأنه يقصد الوجه الذي يؤمه السالك لا يعدل عنه ومعنى قوله (وعلى الله قصد السبيل) ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة عليه كقوله ان علينا للهدى * (فان قلت) لم غير اسلوب الكلام في قوله (ومنها جائر) (قلت) ليعلم ما يجوز اضافته اليه من السبيلين وما لا يجوز ولو كان الامر كما تزعم المجبرة لقيل وعلى الله قصد السبيل وعليه جائرها او وعليه الجائر وقرأ عبد الله ومنكم جائر يعني ومنكم جائر جائر عن القصد بسوء اختياره والله بريء منه (ولو شاء لهداكم أجمعين) قسرا والجاء (لكم) متعلق بانزل او بشراب خبر له * والشراب ما يشرب (شجر) يعني الشجر الذي ترعاه المواشي وفي حديث عكرمة لا تأكلوا ثمن الشجر فانه سحت

* وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولو شاء لهداكم أجمعين (قال ومعناه ان هداية الطريق الموصل الى الحق واجبة الخ) قال احمد اين يذهب به عن تتمة الآية وذلك قوله تعالى ولو شاء لهداكم اجمعين ولو كان الامر كما تزعم القدرية لكان الكلام وقد هداكم اجمعين وما كانهم يعني الا يؤمنون ببعض الكتاب و يكفرون ببعض فانهم ذهبوا الى تأويل الهداية بالقسر والالجاء فما كانهم الا يحرفون الكلم من بعد مواضعه واما المخالفة بين الاسلوبين فلان سياق الكلام لاقامة حجة الله تعالى على الخلق بانه بين السبيل القاصد والجائر وهدى قوما اختاروا الهدى واضل قوما اختاروا الضلالة لانفسهم وقد تقدم في غير ما موضع ان كل فعل صدر على يد العبد فله اعتباران هو من حيث كونه موجودا مخلوق لله تعالى ومضاف اليه بهذا الاعتبار وهو من حيث كونه مقترنا باختيار العبد له و بتأتيه له وتيسره عليه يضاف الى العبد وان تعدد هذين الاعتبارين ثابت في كل فعل فناسب اقامة الحجة على العباد اضافة الهداية الى الله تعالى باعتبار خلقه لها واضافة الضلال الى العبد باعتبار اختياره له والحاصل انه ذكر في كل واحد من الفعلين نسبة غير النسبة المذكورة في الآخر ليناسب ذلك اقامة الحجة البالغة والله الموفق للصواب

* عادكلامه الى قوله لتاكلوا منه لحما طريا (قال هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه الخ) قال احمد فكان ذلك تعليم لاكله وارشاد الى انه لا ينبغي ان يتناول الا طريا والاطباء يقولون ان تناوله بعد ذهاب طراوته اضر شيء يكون والله أعلم * عاد كلامه الى قوله تعالى وتستخرجوا منه حلية تلبسونها (قال الحلية هي اللؤلؤ والمرجان الخ) قال احمد ولله در مالك ١٣٥ رضي الله عنه حيث جعل للزوج الحجر على زوجته فيما له بل من مالها وذلك مقدر بالزائد على الثلث لحقه فيه بالتجمل فانظر الى مكنة حظ الرجال من مال النساء ومن زينتهن حتى جعل حظ المرأة من مالها وزينتها حلية له فعبر عن حظه في لبسها بلبسه كما يعبر عن حظها سواء مؤيدا بالحديث المروى فى الباب والله اعلم * قوله تعالى افمن يخلق كمن لا يخلق الآية (قال ان قلت من لا يخلق اريد به الاصنام الخ) قال أحمد هو تحوم على ان العباد يخلقون افعالهم وان المراد اظهار التفاوت بين من يخلق منهم ومن لا يخلق كالعاجزين والزمنى حتى يثبت التفاوت بين من يخلق منهم وبين الاصنام بطريق الاولى ولقد تمكن منه الطمع حتى اعتقد انه يثبت خلق العبد لافعاله بتنزيله الآية على

فيه تسيمون ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب ومن كل الثمرات ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون وسخر لكم الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم مسخرات بامره ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون وماذرأ لكم فى الارض مختلفا الوانه ان فى ذلك لآية لقوم يذكرون وهو الذى سخر البحر لتاكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون والقى فى الارض رواسي ان تميد بكم وانهارا وسبلا لعلكم تهتدون وعلامات وبالنجم هم يهتدون افمن يخلق كمن لا يخلق افلا تذكرون وان تعدوا نعمة الله

يعني الكلأ (تسيمون) من سامت الماشية اذا رعت فهى سائمة واسامها صاحبها وهو من السومة وهي العلامة لانها تؤثر بالرعي علامات فى الارض * قرئ ينبت بالياء والنون * (فان قلت) لم قيل (ومن كل الثمرات) (قلت) لان كل الثمرات لا تكون الا فى الجنة وانما انبت فى الارض بعض من كلها للتذكرة (يتفكرون) ينظرون فيستدلون بها عليه وعلى قدرته وحكمته * والآية الدلالة الواضحة وعن بعضهم ينبت بالتشديد وقرأ ابي بن كعب ينبت لكم به الزرع والزيتون والنخيل والاعناب بالرفع * قرئت كلها بالنصب على وجعل النجوم مسخرات او على ان معنى تسخيرها للناس تصييرها نافعة لهم حيث يسكنون بالليل ويبتغون من فضله بالنهار ويعلمون عدد السنين والحساب بمسير الشمس والقمر ويهتدون بالنجوم فكانه قيل ونفعكم بها فى حال كونها مسخرات لما خلقن له بامره ويجوز ان يكون المعنى انه سخرها انواعا من التسخير جمع مسخر بمعنى تسخير من قولك سخره الله مسخرا كقولك سرحه مسرحا كانه قيل وسخرها لكم تسخيرات بامره وقرئ بنصب الليل والنهار وحدهما ورفع ما بعدهما على الابتداء والخبر وقرئ والنجوم مسخرات بالرفع وما قبله بالنصب وقال (ان فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) فجمع الآية وذكر العقل لان الآثار العلوية اظهر دلالة على القدرة الباهرة وأبين شهادة للكبرياء والعظمة (وما ذرأ لكم) معطوف على الليل والنهار يعنى ما خلق فيها من حيوان وشجر وثمر وغير ذلك مختلف الهيآت والمناظر (لحما طريا) هو السمك ووصفه بالطراءة لان الفساد يسرع اليه فيسارع الى أكله خيفة الفساد عليه (فان قلت) ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا ياكل لحما فاكل سمكا لم يحنث والله تعالى سماه لحما كما ترى (قلت) مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشترى بهذه الدراهم لحما فجاء بالسمك كان حقيقا بالانكار ومثاله ان الله تعالى سمى الكافر دابة فى قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف لا يركب دابة فركب كافرا لم يحنث (حلية) هي اللؤلؤ والمرجان والمراد بلبسهم لبس نسائهم لانهن من جملتهم ولانهن انما يتزين بها من اجلهم فكانها زينتهم ولباسهم * المخر شق الماء بحيزومها وعن الفراء هو صوت جرى الفلك بالرياح * وابتغاء الفضل التجارة (ان تميد بكم) كراهة أن تميل بكم وتضطرب والمائد الذى يدار به اذا ركب البحر قيل خلق الله الارض فجعلت تمور فقالت الملائكة ما هي بمقر أحد على ظهرها فاصبحت وقد ارسيت بالجبال لم تدر الملائكة مم خلقت (وانهارا) وجعل فيها انهارا لان القى فيه معنى جعل الا ترى الى قوله الم نجعل الارض مهادا والجبال اوتادا (وعلامات) هي معالم الطرق وكل ما تستدل به السابلة من جبل ومنهل وغير ذلك * والمراد بالنجم الجنس كقولك كثر الدرهم فى ايدى الناس وعن السدى هو الثريا والفرقدان وبنات نعش والجدي وقرأ الحسن وبالنجم بضمتين وبضمة وسكون وهو جمع نجم كرهن ورهن والسكون تخفيف وقيل حذف الواو من النجوم تخفيفا (فان قلت) قوله (وبالنجم هم يهتدون) مخرج عن سنن الخطاب مقدم فيه النجم مقحم فيه هم كانه قيل وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون فمن المراد بهم (قلت) كانه اراد قريشا كان لهم اهتداء بالنجوم فى مسايرهم وكان لهم بذلك علم لم يكن مثله لغيرهم فكان الشكر اوجب عليهم والاعتبار الزم لهم فخصصوا * (فان قلت) من لا يخلق اريد به الاصنام فلم جيء بمن الذى هو لاولى العلم (قلت) فيه اوجه احدها انهم سموها آلهة وعبدوها فاجروها مجرى أولى العلم الا ترى الى قوله على اثره والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون والثانى المشاكلة بينه وبين من يخلق والثالث ان يكون

المعنى ان من يخلق ليس كمن لا يخلق من اولى العلم فكيف بما لا علم عنده كقوله ألهم ارجل يمشون بها يعنى أن
الآلهة حالهم منحطة عن حال من لهم ارجل وايد وآذان وقلوب لان هؤلاء احياء وهم اموات فكيف تصح
لهم العبادة لا انها لو صحت لهم هذه الاعضاء لصح ان يعبدوا (فان قلت) هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها
آلهة تشبيها بالله فقد جعلوا غير الخالق مثل الخالق فكان حق الالزام ان يقال لهم أفمن لا يخلق كمن يخلق
(قلت) حين جعلوا غير الله مثل الله فى تسميته باسمه والعبادة له وسووا بينه وبينه فقد جعلوا الله تعالى من
جنس المخلوقات وشبيها بها فانكر عليهم ذلك بقوله أفمن يخلق كمن لا يخلق (لا تحصوها) لا تضبطوا عددها
ولا تبلغه طاقتكم فضلا ان تطيقوا القيام بحقها من اداء الشكر اتبع ذلك ماعدد من نعمه تنبيها على أن
وراءها مالا ينحصر ولا يعد (ان الله لغفور رحيم) حيث يتجاوز عن تقصيركم فى اداء شكر النعمة ولا يقطعها
عنكم لتفريطكم ولا يعاجلكم بالعقوبة على كفرانها (والله يعلم ماتسرون وما تعلنون) من أعمالكم وهو
وعيد (والذين يدعون) والآلهة الذين يدعوهم الكفار (من دون الله) وقرئ بالتاء وقرئ يدعون على
البناء للمفعول * نفى عنهم خصائص الآلهية بنفى كونهم خالقين واحياء لا يموتون وعالمين بوقت البعث واثبت
لهم صفات الخلق بانهم مخلوقون وانهم اموات وانهم جاهلون بالغيب ومعنى (اموات غير احياء) انهم لو كانوا
آلهة على الحقيقة لكانوا أحياء غير اموات اى غير جائز عليها الموت كالحى الذى لا يموت وامرهم على العكس
من ذلك والضمير فى يبعثون للداعين اى لا يشعرون متى تبعث عبدتهم وفيه تهكم بالمشركين وان آلهتهم
لا يعلمون وقت بعثهم فكيف يكون لهم وقت جزاء منهم على عبادتهم وفيه دلالة على انه لا بد من البعث وانه
من لوازم التكليف ووجه آخر وهو ان يكون المعنى ان الناس يخلقونهم بالنحت والتصوير وهم لا يقدرون
على نحو ذلك فهم اعجز من عبدتهم اموات جمادات لا حياة فيها غير احياء يعنى ان الاموات ما يعقب موته
حياة كالنطف التى ينشئها الله حيوانا واجساد الحيوان التى تبعث بعد موتها واما الحجارة فاموات لا يعقب
موتها حياة وذلك اعرق فى موتها (وما يشعرون ايان يبعثون) اى وما يعلم هؤلاء الآلهة متى تبعث الاحياء
تهكما بحالها لان شعور الجماد محال فكيف بشعور ما لا يعلمه حى الا الحى القيوم سبحانه ووجه ثالث وهو ان
يراد بالذين يدعون الملائكة وكان ناس منهم يعبدونهم وانهم اموات اى لا بد لهم من الموت غير احياء غير باقية
حياتهم وما يشعرون ولا علم لهم بوقت بعثهم وقرئ إيان بكسر الهمزة (الهكم اله واحد) يعنى انه قد ثبت
بما تقدم من ابطال ان تكون الآلهية لغيره وانها له وحده لا شريك له فيها * فكان من نتيجة ثبات
الوحدانية ووضوح دليلها استمرارهم على شركهم وان قلوبهم منكرة للوحدانية وهم مستكبرون عنها وعن
الاقرار بها (لا جرم) حقا (ان الله يعلم) سرهم وعلانيتهم فيجازيهم وهو وعيد (انه لا يحب المستكبرين)
يجوز ان يريد المستكبرين عن التوحيد يعنى المشركين ويجوز ان يعم كل مستكبر ويدخل هؤلاء تحت عمومه
(ماذا) منصوب بانزل بمعنى اى شئ (انزل ربكم) او مرفوع بالابتداء بمعنى اى شئ انزله ربكم فاذا نصبت فمعنى
(اساطير الاولين) ما يدعون نزوله اساطير الاولين واذا رفعته فالمعنى المنزل اساطير الاولين كقوله ماذا
ينفقون قل العفو فيمن رفع (فان قلت) هو كلام متناقض لانه لا يكون منزل ربهم واساطير (قلت) هو على
السخرية كقوله ان رسولكم وهو كلام بعضهم لبعض او قول المسلمين لهم وقيل هو قول المقتسمين الذين
اقتسموا مداخل مكة ينفرون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا سألهم وفود الحاج عما انزل على رسول الله صلى
الله عليه وسلم قالوا أحاديث الاولين واباطيلهم (ليحملوا اوزارهم) اى قالوا ذلك اضلالا للناس وصدا عن رسول
الله صلى الله عليه وسلم فحملوا اوزار ضلالهم (كاملة) وبعض اوزار من ضل بضلالهم وهو وزر الاضلال لان المضل
والضال شريكان هذا يضله وهذا يطاوعه على اضلاله فيتحاملان الوزر ومعنى اللام التعليل من غير ان يكون
غرضا كقولك خرجت من البلد مخافة الشر (بغير علم) حال من المفعول اى يضلون من لا يعلم انهم ضلال وانما
وصف بالضلال واحتمال الوزر من اضلوه وان لم يعلم لانه كان عليه ان يبحث وينظر بعقله حتى يميز بين الحق
والمبطل * القواعد اساطين البناء التى تعمده وقيل الاساس وهذا تمثيل يعنى انهم سووا منصوبات ليمكروا

لا تحصوها ان الله لغفور رحيم والله يعلم ما تسرون وما تعلنون والذين يدعون من دون الله لا يخلقون شيأ وهم يخلقون اموات غير أحياء وما يشعرون أيان يبعثون الهكم اله واحد فالذين لا يؤمنون بالآخرة قلوبهم منكرة وهم مستكبرون لا جرم ان الله يعلم ما يسرون وما يعلنون انه لا يحب المستكبرين واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا اساطير الاولين ليحملوا اوزارهم كاملة يوم القيامة ومن اوزار الذين يضلونهم بغير علم الا ساء ما يزرون قد مكر الذين من قبلهم فاتى الله بنيانهم

هذا التأويل ويتمنى لو تم له ذلك * ما كل ما يتمنى المرء يدركه * عاد كلامه (قال فان قلت هو الزام للذين عبدوا الاوثان وسموها آلهة تشبيها بالله تعالى وكان من حق الالزام الخ) قال احمد وقد تقدم الكلام فى ذلك عند قوله تعالى وليس الذكر كالانثى فجدد بها عهدا.

قوله تعالى وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا الى قوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة (قال يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله الخ) قال احمد قد تكرر

بها الله ورسوله فجعل الله هلاكهم فى تلك المنصوبات كحال قوم بنوا بنيانا وعمده بالاساطين فاتى البنيان من الاساطين بان ضعضعت فسقط عليهم السقف وهلكوا ونحوه من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقيل هو نمروذ بن كنعان حين بنى الصرح ببابل طوله خمسة آلاف ذراع وقيل فرسخان فاهب الله الريح فخر عليه وعلى قومه فهلكوا * ومعنى اتيان الله اتيان امره (من القواعد) من جهة القواعد (من حيث لا يشعرون) من حيث لا يحتسبون ولا يتوقعون * وقرئ فاتى الله بيتهم فخر عليهم السقف بضمتين (يخزيهم) يذلهم بعذاب الخزى ربنا انك من تدخل النار فقد اخزيته يعنى هذا لهم فى الدنيا ثم العذاب فى الآخرة (شركاءى) على الاضافة الى نفسه حكاية لاضافتهم ليوبخهم بها على طريق الاستهزاء بهم (تشاقون فيهم) تعادون وتخاصمون المؤمنين فى شانهم ومعناهم وقرئ تشاقون بكسر النون بمعنى تشاقوننى لان مشاقة المؤمنين كانها مشاقة الله (قال الذين اوتوا العلم) هم الانبياء والعلماء من اممهم الذين كانوا يدعونهم الى الايمان ويعظونهم فلا يلتفتون اليهم ويتكبرون عليهم ويشاقونهم يقولون ذلك شماتة بهم وحكى الله ذلك من قولهم ليكون لطفا لمن سمعه وقيل هم الملائكة * قرئ تتوفاهم بالتاء والياء وقرئ الذين توفاهم بادغام التاء فى التاء (فالقوا السلم) فسالموا واخبتوا وجاؤا بخلاف ما كانوا عليه فى الدنيا من الشقاق والكبر وقالوا (ما كنا نعمل من سوء) وجحدوا ما وجد منهم الكفر والعدوان فرد عليهم اولوا العلم (ان الله عليم بما كنتم تعملون) فهو يجازيكم عليه وهذا أيضا من الشماتة وكذلك (فادخلوا أبواب جهنم * خيرا) انزل خيرا (فان قلت) لم نصب هذا ورفع الاول (قلت) فصلا بين جواب المقر وجواب الجاحد يعنى ان هؤلاء لما سئلوا لم يتلعثموا وأطبقوا الجواب على السؤال بينا مكشوفا مفعولا للانزال فقالوا خيرا اى انزل خيرا واولئك عدلوا بالجواب عن السؤال فقالوا هو اساطير الاولين وليس من الانزال فى شيء وروى ان أحياء العرب كانوا يبعثون أيام الموسم من يأتيهم بخبر النبى صلى الله عليه وسلم فاذا جاء الوافد كفه المقتسمون وأمروه بالانصراف وقالوا ان لم تلقه كان خيرا لك فيقول انا شر وافد ان رجعت الى قومى دون ان أستطلع امر محمد واراه فيلقى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبرونه بصدقه وانه نبى مبعوث فهم الذين قالوا خيرا وقوله (للذين احسنوا) وما بعده بدل من خيرا حكاية لقول الذين اتقوا اى قالوا هذا القول فقدم عليه تسميته خيرا ثم حكاه ويجوز ان يكون كلاما مبتدأ عدة للقائلين ويجعل قولهم من جملة احسانهم ويحمدوا عليه (حسنة) مكافاة فى الدنيا باحسانهم ولهم فى الآخرة ما هو خير منها كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة (ولنعم دار المتقين) دار الآخرة فحذف المخصوص بالمدح لتقدم ذكره و(جنات عدن) خبر مبتدا محذوف ويجوز ان يكون المخصوص بالمدح (طيبين) طاهرين من ظلم انفسهم بالكفر والمعاصى لانه فى مقابلة ظالمى انفسهم (يقولون سلام عليكم) قيل اذا اشرف العبد المؤمن على الموت جاءه ملك فقال السلام عليك يا ولى الله الله يقرأ عليك السلام وبشره بالجنة (تاتيهم الملائكة) قرئ بالتاء والياء يعنى ان تاتيهم لقبض الارواح و(امر ربك) العذاب المستاصل او القيامة (كذلك) اى مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب (فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله) بتدميرهم (ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) لانهم فعلوا ما استوجبوا به التدمير (سيئات ما عملوا) جزاء سيآت اعمالهم او هو كقوله وجزاء سيئة سيئة مثلها * هذا من جملة ما عدد من اصناف كفرهم وعنادهم من شركهم بالله وانكار وحدانيته بعد قيام الحجج وانكار البعث واستعجاله استهزاء منهم به وتكذيبهم الرسول وشقاقهم واستكبارهم عن قبول الحق يعنى انهم اشركوا بالله وحرموا ما احل الله من البحيرة والسائبة

من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول اين شركاءى الذين كنتم تشاقون فيهم قال الذين اوتوا العلم ان الخزى اليوم والسوء على الكافرين الذين تتوفاهم الملائكة ظالمى انفسهم فالقوا السلم ما كنا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون فادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها فلبئس مثوى المتكبرين وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين جنات عدن يدخلونها تجرى من تحتها الانهار لهم فيها ما يشاؤن كذلك يجزى الله المتقين الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او يأتي امر ربك كذلك فعل الذين من قبلهم وما ظلمهم الله ولكن كانوا انفسهم يظلمون فاصابهم سيئات ما عملوا وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن وقال الذين اشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء نحن ولا آباؤنا ولا حرمنا من دونه من شيء

منه مثل هذا الفصل فى اخت الآية المتقدمة فى سورة الانعام وقد قدمنا حينئذ ما فيه مقنع ان شاء الله والذى زاده هنا يثبت معتقده على

مازعمه بقوله تعالى ولقد بعثنا في كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ووجه تمسكه به ان الله تعالى قسم العبادة الى قسمين مأمور به ومنهى عنه والامر والنهي عند المصنف راجعان الى المشيئة بناء على زعم القدرية فى انكار كلام النفس وحمل الاقتضاء على الارادة فالحاصل حينئذ من هذه التتمة ٤ ؟ ٥ ان الله شاء عبادة الخلق له وشاء اجتنابهم عبادة الطاغوت ولم يشأ منهم ان يشركوا به واخبر بهذه المشيئة على لسان كل رسول بعثه الى امة من الامم فجاءت التتمة مترجمة

كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الا البلاغ المبين ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا فى الارض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ان تحرص على هداهم فان الله لا يهدي من يضل ومالهم من ناصرين واقسموا بالله جهد ايمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا ولكن اكثر الناس لا يعلمون ليبين لهم الذى يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون والذين هاجروا

وغيرهما ثم نسبوا فعلهم الى الله وقالوا لو شاء لم نفعل وهذا مذهب المجبرة بعينه (كذلك فعل الذين من قبلهم) اى اشركوا وحرموا حلال الله فلما نبهوا على قبيح فعلهم وركوه على ربهم (فهل على الرسل) الا ان يبلغوا الحق وان الله لا يشاء الشرك والمعاصى بالبيان والبرهان ويطلعوا على بطلان الشرك وقبحه وبراءة الله تعالى من افعال العباد وانهم فاعلوها بقصدهم وارادتهم واختيارهم والله تعالى باعثهم على جميلها وموفقهم له وزاجرهم عن قبيحها وموعدهم عليه * ولقد امدّ ابطال قدر السوء ومشيئة الشر بانه مامن أمة الا وقد بعث فيهم رسولا يامرهم بالخير الذى هو الايمان وعبادة الله وباجتناب الشر الذى هو طاعة الطاغوت (فمنهم من هدى الله) اى لطف به لانه عرفه من اهل اللطف (ومنهم من حقت عليه الضلالة) اى ثبت عليه الخذلان والترك من اللطف لانه عرفه مصمما على الكفر لا يأتي منه خير (فسيروا فى الارض فانظروا) ما فعلت بالمكذبين حتى لا يبقى لكم شبهة فى انى لا اقدر الشر ولا اشاؤه حيث افعل ما افعل بالاشرار * ثم ذكر عناد قريش وحرص رسول الله صلى الله عليه وسلم على ايمانهم وعرفه انهم من قسم من حقت الضلالة وانه (لا يهدى من يضل) اى لا يلطف بمن يخذل لانه عبث والله تعالى متعال عن العبث لانه من قبيل القبائح التى لا تجوز عليه وقرئ لا يهدى اى لا تقدر أنت ولا احد على هدايته وقد خذله الله وقوله (ومالهم من ناصرين) دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان الذى هو نقيض النصرة ويجوز ان يكون لا يهدى بمعنى لا يهتدى يقال هداه الله فهدى وفى قراءة أبي فان الله لا هادى لمن يضل ولمن أضل وهي معاضدة لمن قرأ لا يهدى على البناء للمفعول وفى قراءة عبد الله يهدى بادغام تاء يهتدى وهى معاضدة للاولى وقرئ يضل بالفتح * وقرأ النخعى ان تحرص بفتح الراء وهى لغية (وأقسموا بالله) معطوف على وقال الذين اشركوا ايذانا بانهما كفرتان عظيمتان موصوفتان حقيقتان بان تحكيا وتدونا توريك ذنوبهم على مشيئة الله وانكارهم البعث مقسمين عليه و(بلى) اثبات لما بعد النفى اى بلى يبعثهم * ووعد الله مصدر مؤكد لما دل عليه بلى لان يبعث موعد من الله وبين ان الوفاء بهذا الموعد حق واجب عليه فى الحكمة (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) انهم يبعثون او انه وعد واجب على الله لانهم يقولون لا يجب على الله شىء لا ثواب عامل ولا غيره من مواجب الحكمة (ليبين لهم) متعلق بما دل عليه بلى اى يبعثهم ليبين لهم والضمير لمن يموت وهو عام للمؤمنين والكافرين والذى اختلفوا فيه هو الحق (وليعلم الذين كفروا أنهم) كذبوا فى قولهم لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء وفى قولهم لا يبعث الله من يموت وقيل يجوز ان يتعلق بقوله ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا اى بعثناه ليبين لهم ما اختلفوا فيه وانهم كانوا على الضلالة قبله مفترين على الله الكذب (قولنا) مبتدأ و(ان نقول) خبره و(كن فيكون) من كان التامة التى بمعنى الحدوث والوجود اى اذا اردنا وجود شىء فليس الا ان نقوله له احدث فهو يحدث عقيب ذلك لا يتوقف وهذا مثل لان مرادا لا يمتنع عليه وان وجوده عند ارادته تعالى غير متوقف كوجود المأمور به عند امر الآمر المطاع اذا ورد على المأمور المطيع الممتثل ولا قول ثم والمعنى ان ايجاد كل مقدور على الله تعالى بهذه السهولة فكيف يمتنع عليه البعث الذى هو من شق المقدورات وقرئ فيكون عطفا على نقول (والذين هاجروا) هم رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه ظلمهم اهل مكة

عن معنى صدر الآية مؤكدة بمقتضاها هذا هو الذى زاده المصنف ههنا وقد بينا ان مبناه على انكار كلام النفس الثابت قطعا فهو باطل جزما ففروا
والعجب ان الله تعالى اوضح فى الآيتين جميعا ان الذى انكره من القائلين لو شاء الله ما اشركنا انما هو احتجاجهم على الله تعالى بمشيئته التى لا حجة لهم فيها مع ما خلق لهم من الاختيار بقوله ههنا فمنهم من هدى الله ومنهم من حقت عليه الضلالة وبقوله فى آخر آية الانعام فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين فنبين فيهما انه هو الذى شاء منهم الاشراك والضلالة ولو شاء هدايتهم اجمعين لاهتدوا عن آخرهم وحصل من هذا لسان صرف الانكار عليهم الى غير نسبة المشيئة لله تعالى وذلك هو الذى قدمناه فى اقامتهم الحجة على الله بمشيئته مع ان حجتهم فى ذلك داحضة ولله عليهم الحجة البالغة الواضحة والله الموفق

ففروا بدينهم الى الله منهم من هاجر الى الحبشة ثم الى المدينة فجمع بين الهجرتين ومنهم من هاجر الى المدينة وقيل هم الذين كانوا محبوسين معذبين بعد هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما خرجوا تبعوهم فردوهم منهم بلال وصهيب وخباب وعمار وعن صهيب انه قال لهم انا رجل كبير ان كنت معكم لم انفعكم وان كنت عليكم لم اضركم فافتدى منهم بماله وهاجر فلما رآه أبو بكر رضى الله عنه قال له ربح البيع يا صهيب وقال له عمر نعم الرجل صهيب لو لم يخف الله لم يعصه وهو ثناء عظيم يريد لو لم يخلق الله نارا لاطاعه فكيف (فى الله) فى حقه ولوجهه (حسنة) صفة للمصدر اى لنبوأنهم تبوأة حسنة وفي قراءة على رضى الله عنه لنثوينهم ومعناه اثواءة حسنة وقيل لننزلنهم فى الدنيا منزلة حسنة وهي الغلبة على اهل مكة الذين ظلموهم وعلى العرب قاطبة وعلى اهل المشرق والمغرب وعن عمر رضى الله عنه انه كان اذا أعطي رجلا من المهاجرين عطاء قال خذ بارك الله لك فيه هذا ما وعدك ربك فى الدنيا وما ذكر لك فى الآخرة أكثر وقيل لنبوأنهم مباءة حسنة وهى المدينة حيث آواهم اهلها ونصروهم (لو كانوا يعلمون) الضمير للكفار اى لو علموا ان الله يجمع لهؤلاء المستضعفين فى ايديهم الدنيا والآخرة لرغبوا في دينهم ويجوز ان يرجع الضمير الى المهاجرين اى لو كانوا يعلمون ذلك لزادوا فى اجتهادهم وصبرهم (الذين صبروا) على هم الذين صبروا او اعني الذين صبروا وكلاهما مدح اى صبروا على العذاب وعلى مفارقة الوطن الذي هو حرم الله المحبوب فى كل قلب فكيف بقلوب قوم هو مسقط رؤسهم وعلى المجاهدة وبذل الارواح فى سبيل الله * قالت قريش الله اعظم من ان يكون رسوله بشرا فقيل (وما ارسلنا من قبلك الا رجالا يوحي اليهم) على ألسنة الملائكة (فاسئلوا اهل الذكر) وهم اهل الكتاب ليعلموكم ان الله لم يبعث الى الامم السالفة الا بشرا * (فان قلت) بم تعلق قوله (بالبينات) (قلت) له متعلقات شتى فاما ان يتعلق بما ارسلنا داخلا تحت حكم الاستثناء مع رجالا اى وما ارسلنا الا رجالا بالبينات كقولك ما ضربت الا زيدا بالسوط لان اصله ضربت زيدا بالسوط واما برجالا صفة له اى رجالا ملتبسين بالبينات واما بارسلنا مضمرا كأنما قيل بم ارسلوا فقلت بالبينات فهو على كلامين والاول على كلام واحد واما بيوحي اى يوحي اليهم بالبينات واما بلا تعلمون على ان الشرط فى معنى التبكيت والالزام كقول الاجير ان كنت عملت لك فاعطني حقي وقوله فاسئلوا اهل الذكر اعتراض على الوجوه المتقدمة واهل الذكر اهل الكتاب وقيل للكتاب الذكر لانه موعظة وتنبيه للغافلين (ما نزل اليهم) يعني ما نزل الله اليهم فى الذكر مما امروا به ونهوا عنه ووعدوا واوعدوا (ولعلهم يتفكرون) وارادة ان يصغوا الى تنبيهاته فيتنبهوا ويتأملوا (مكروا السيئات) اى المكرات السيآت وهم اهل مكة وما مكروا به رسول الله صلى الله عليه وسلم (فى تقلبهم) متقلبين فى مسايرهم ومتاجرهم واسباب دنياهم (على تخوف) متخوفين وهو ان يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا فيأخذهم بالعذاب وهم متخوفون متوقعون وهو خلاف قوله من حيث لا يشعرون وقيل هو من قولك تخوفته وتخونته اذا تنقصته قال زهير

تخوف الرحل منها تامكا قردا * كما تخوف عود النبعة السفن

اى يأخذهم على ان يتنقصهم شيئا بعد شيء فى انفسهم واموالهم حتى يهلكوا وعن عمر رضى الله عنه انه قال على المنبر ما تقولون فيها فسكتوا فقام شيخ من هذيل فقال هذه لغتنا التخوف التنقص قال فهل تعرف العرب ذلك فى اشعارها قال نعم قال شاعرنا وانشد البيت فقال عمر ايها الناس عليكم بديوانكم لا يضل قالوا وما ديواننا قال شعر الجاهلية فان فيه تفسير كتابكم (فان ربكم لرؤف رحيم) حيث يحلم عنكم ولا يعاجلكم مع استحقاقكم * قرئ اولم يروا ويتفيؤا بالياء والتاء * وما موصولة بخلق الله وهو مبهم بيانه (من شيء يتفيؤا ظلاله) * واليمين بمعنى الايمان و(سجدا) حال من الظلال (وهم داخرون) حال من الضمير فى ظلاله لانه فى معنى الجمع وهو ما خلق الله من كل شيء له ظل وجمع بالواو لان الدخور من اوصاف العقلاء او لان فى جملة ذلك من يعقل فغلب والمعنى اولم يروا الى ما خلق الله من الاجرام التى لها ظلال متفيئة عن ايمانها وشمائلها اى عن جانبي كل واحد منها وشقيه استعارة من يمين الانسان وشماله لجانبي الشيء اى ترجع

في الله من بعد ما ظلموا لنبوأنهم في الدنيا حسنة ولأجر الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون وما أرسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون بالبينات والزبر وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم ولعلهم يتفكرون افأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم الارض او يأتيهم العذاب من حيث لا يشعرون او يأخذهم فى تقلبهم فما هم بمعجزين او يأخذهم على تخوف فان ربكم لرؤف رحيم اولم يروا الى ما خلق الله من شيء يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سجدا لله وهم داخرون ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض

* قوله تعالى ولله يسجد ما فى السموات وما فى الارض من دابة والملائكة الآية (قال ان قلت سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد الخ) قال احمد وهذا ما يتمسك به لمن اختار تناول اللفظ الواحد لحقيقته ومجازه شمولا ولم ير ذلك متناقضا فان السجود يتناول فعل المكلف حقيقة ويتناول حال غير المكلف بطريق مجاز التشبيه وقد اريدا جميعا من الآية والزمخشرى ينكر ذلك فى مواضع مررت عليها من كتابه هذا وظاهر مراده ههنا ان السجود عبارة عن قدر مشترك بين فعل المكلف وحال غير المكلف وهو عدم الامتناع عند القدرية وغرضه من ذلك ان يكون اللفظ متواطئا فيهما جميعا ليسلم من الجمع بين الحقيقة والمجاز لانه يابى ذلك ولا يتم له هذا المقصد فى الآية والله أعلم لان كونها آية سجدة يدل على ان المراد من السجود المذكور فيها منسوبا للمكلفين هو الفعل الخاص المتعارف شرعا الذى يكون ذكره سببا لفعله سببية معتادة فى عزائم السجود لا القدر الاعم المشترك والله اعلم * قوله تعالى وهم لا يستكبرون يخافون (قال فيه يجوز ان يكون حالا من الضمير الخ) قال احمد هذا الثانى هو الوجه ليس الا واما الحال فيعطى انتقالا ويوهم تقييد العدم استكبارهم مع ان الواقع ان عدم استكبارهم مطلق غير مقيد بحال والله الموفق قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد (قال ان قلت ما فائدة قوله اثنين مع اغناء التثنية عن ذلك الخ) قال احمد وهذا الفصل من حسناته التى لا يدافع عنها والله الموفق

من دابة والملائكة وهم لا يستكبرون يخافون ربهم من فوقهم ويفعلون ما يؤمرون وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فاياى فارهبون وله ما فى السموات والارض وله الدين واصبا أفغير الله تتقون وما بكم من نعمة فمن الله ثم اذا مسكم الضر فاليه تجارون ثم اذا كشف الضر عنكم

الظلال من جانب الى جانب منقادة لله غير ممتنعة عليه فيما سخرها له من التفيؤ والاجرام فى انفسها داخرة ايضا صاغرة منقادة لافعال الله فيها لا تمتنع (من دابة) يجوز ان يكون بيانا لما فى السموات وما فى الارض جميعا على ان فى السموات خلقا لله يدبون فيها كما يدب الاناسى فى الارض وان يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الخلق الذى يقال له الروح وان يكون بيانا لما فى الارض وحده ويراد بما فى السموات الملائكة وكرر ذكرهم على معنى والملائكة خصوصا من بين الساجدين لانهم اطوع الخلق واعبدهم ويجوز ان يراد بما فى السموات ملائكتهن وبقوله والملائكة ملائكة الارض من الحفظة وغيرهم (فان قلت) سجود المكلفين مما انتظمه هذا الكلام خلاف سجود غيرهم فكيف عبر عن النوعين بلفظ واحد (قلت) المراد بسجود المكلفين طاعتهم وعبادتهم وبسجود غيرهم انقياده لارادة الله وانها غير ممتنعة عليها وكلا السجودين يجمعهما معنى الانقياد فلم يختلفا فلذلك جاز ان يعبر عنهما بلفظ واحد (فان قلت) فهلا جيء بمن دون ما تغليبا للعقلاء من الدواب على غيرهم (قلت) لانه لو جيء بمن لم يكن فيه دليل على التغليب فكان متناولا للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم ارادة العموم (يخافون) يجوز ان يكون حالا من الضمير فى لا يستكبرون اى لا يستكبرون خائفين وان يكون بيانا لنفى الاستكبار وتأكيدا له لان من خاف الله لم يستكبر عن عبادته (من فوقهم) ان علقته بيخافون فمعناه يخافونه ان يرسل عليهم عذابا من فوقهم وان علقته بربهم حالا منه فمعناه يخافون ربهم عاليا لهم قاهرا كقوله وهو القاهر فوق عباده وانا فوقهم قاهرون وفيه دليل على ان الملائكة مكلفون مدارون على الامر والنهى والوعد والوعيد كسائر المكلفين وانهم بين الخوف والرجاء * (فان قلت) انما جمعوا بين العدد والمعدود فيما وراء الواحد والاثنين فقالوا عندى رجال ثلاثة وافراس اربعة لان المعدود عار عن الدلالة على العدد الخاص واما رجل ورجلان وفرس وفرسان فمعدودان فيهما دلالة على العدد فلا حاجة الى ان يقال رجل واحد ورجلان اثنان فما وجه قوله (الهين اثنين) (قلت) الاسم الحامل لمعنى الافراد والتثنية دال على شيئين على الجنسية والعدد المخصوص فاذا اريدت الدلالة على ان المعنى به منهما والذى يساق اليه الحديث هو العدد شفع بما يؤكده فدل به على القصد اليه والعناية به الا ترى انك لو قلت انما هو اله ولم تؤكده بواحد لم يحسن وخيل انك تثبت الالهية لا الوحدانية (فاياى فارهبون) نقل للكلام عن الغيبة الى التكلم وجاز لان الغائب هو المتكلم وهو من طريقة الالتفات وهو ابلغ فى الترهيب من قوله واياه فارهبوه ومن ان يجيء ما قبله على لفظ المتكلم (الدين) الطاعة (واصبا) حال عمل فيه الظرف والواصب الواجب الثابت لان كل نعمة منه فالطاعة واجبة له على كل منعم عليه ويجوز ان يكون من الوصب اى وله الدين ذا كلفة ومشقة ولذلك سمى تكليفا او وله الجزاء ثابتة دائما سرمدا لا يزول يعنى والثواب والعقاب (وما بكم من نعمة) واى شيء حل بكم او اتصل بكم من نعمة فهو من الله (فاليه تجارون) فما تتضرعون الا اليه والجؤار رفع الصوت بالدعاء والاستغاثة قال الاعشى يصف راهبا

يرواح من صلوات المليـ * ـك طورا سجودا وطورا جؤارا

وقرئ تجرون بطرح الهمزة والقاء حركتها على الجيم * وقرأ قتادة كاشف الضر على فاعل بمعنى فعل وهو اقوى

قوله تعالى واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم الخ قال فيه ظل بمعنى صار قال أحمد ٣ وجاز ان يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد والاصرار وانهم لو عرجوا نهارا في الوقت الذي يتغابى على البصر فيه شيء الى السماء لتمادوا على كفرهم وتكذيبهم والله أعلم * قوله تعالى و يجعلون لله مايكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى (قال المراد بما يكرهونه البنات وشركاء في رياستهم واستخفاف برسلهم الخ) قال أحمد ونقيض هؤلاء من اذا اعجبه شيء من ماله جعله لله بل اذا احب أمة له اعتقها واذا اشتهى طعاما قدم اليه تصدق به على حبه وانما ينقل مثل هذا عن السلف الصالح من الصحابة كابن عمر ونظرائه ومن تابعهم فيها و يجعلون لله مايشتهون اللهم ان لم تنل رتبة اوليائك فانلنا محبتهم فمن احب قوما حشر معهم

اذا فريق منكم بربهم يشركون ليكفروا بما آتيناهم فتمتعوا فسوف تعلمون و يجعلون لما لا يعلمون نصيبا مما رزقناهم تالله لتسئلن عما كنتم تفترون و يجعلون لله البنات سبحانه ولهم مايشتهون واذا بشر احدهم بالانثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون للذين لا يؤمنون بالآخرة مثل السوء ولله المثل الاعلى وهو العزيز الحكيم ولو يؤاخذ الله الناس بظلمهم ما ترك عليها من دابة ولكن يؤخرهم الى أجل مسمي فاذا جاء أجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون ويجعلون لله ما يكرهون وتصف السنتهم الكذب ان لهم الحسنى لا جرم ان لهم النار وانهم

من كشف لان بناء المغالبة يدل على المبالغة * (فان قلت) فما معنى قوله (اذا فريق منكم بربهم يشركون) (قلت) يجوز ان يكون الخطاب فى قوله وما بكم من نعمة فمن الله عاما و يريد بالفريق فريق الكفرة وان يكون الخطاب للمشركين ومنكم للبيان لا للتبعيض كانه قال فاذا فريق كافر وهم انتم و يجوز ان يكون فيهم من اعتبر كقوله فلما نجاهم الى البر فمنهم مقتصد (ليكفروا بما آتيناهم) من نعمة الكشف عنهم كانهم جعلوا غرضهم فى الشرك كفران النعمة (فتمتعوا فسوف تعلمون) تخلية ووعيد وقرئ فيمتعوا بالياء مبنيا للمفعول عطفا على ليكفروا و يجوز ان يكون ليكفروا فيمتعوا من الامر الوارد فى معنى الخذلان والتخلية واللام لام الامر (لما لا يعلمون) اى لآلهتهم ومعنى لا يعلمونها انهم يسمونها آلهة و يعتقدون فيها انها تضر وتنفع وتشفع عند الله وليس كذلك وحقيقتها انها جماد لا يضر ولا ينفع فهم اذا جاهلون بها وقيل الضمير فى لا يعلمون للآلهة اى لاشياء غير موصوفة بالعلم ولا تشعر اجعلوا لها نصيبا فى انعامهم وزروعهم ام لا وكانوا يجعلون لهم ذلك تقربا اليهم (لتسئلن) وعيد (عما كنتم تفترون) من الافك فى زعمكم انها آلهة وانها اهل للتقرب اليها * كانت خزاعة وكنانة تقول الملائكة بنات الله (سبحانه) تنزيه لذاته من نسبة الولد اليه او تعجب من قولهم (ولهم ما يشتهون) يعنى البنين و يجوز فى ما يشتهون الرفع على الابتداء والنصب على ان يكون معطوفا على البنات اى وجعلوا لانفسهم ما يشتهون من الذكور (ظل) بمعنى صار كما يستعمل بات واصبح وامسى بمعنى الصيرورة و يجوز ان يجيء ظل لان اكثر الوضع يتفق بالليل فيظل نهاره مغتما مربد الوجه من الكآبة والحياء من الناس (وهو كظيم) مملوء حنقا على المرأة (يتوارى من القوم) يستخفى منهم (من) أجل (سوء) المبشر به ومن اجل تعييرهم و يحدث نفسه و ينظر أيمسك ما بشر به (على هون) على هوان وذل (ام يدسه فى التراب) ام يئده * وقرئ أيمسكها على هون ام يدسها على التانيث وقرئ على هوان (الا ساء ما يحكمون) حيث يجعلون الولد الذى هذا محله عندهم لله و يجعلون لانفسهم من هو على عكس هذا الوصف (مثل السوء) صفة السوء وهى الحاجة الى الاولاد الذكور وكراهة الاناث ووأدهن خشية الاملاق واقرارهم على انفسهم بالشح البالغ (ولله المثل الاعلى) وهو الغنى عن العالمين والنزاهة عن صفات المخلوقين وهو الجواد الكريم (بظلمهم) بكفرهم ومعاصيهم (ما ترك عليها) اى على الارض (من دابة) قط ولاهلكها كلها بشؤم ظلم الظالمين وعن ابى هريرة انه سمع رجلا يقول ان الظالم لا يضر الا نفسه فقال بلى والله حتى ان الحبارى لتموت فى وكرها بظلم الظالم وعن ابن مسعود كاد الجعل يهلك فى جحره بذنب ابن آدم او من دابة ظالمة وعن ابن مسعود من دابة من مشرك يدب عليها وقيل لو اهلك الآباء بكفرهم لم تكن الابناء (و يجعلون لله ما يكرهون) لانفسهم من البنات ومن شركاء فى رياستهم ومن الاستخفاف برسلهم والتهاون برسالاتهم و يجعلون له اراذل اموالهم ولاصنامهم اكرمها (وتصف السنتهم) مع ذلك (ان لهم الحسنى) عند الله كقوله ولئن رجعت الى ربى ان لى عنده للحسنى وعن بعضهم انه قال لرجل من ذوى اليسار كيف تكون يوم القيامة اذا قال الله تعالى هاتوا ما دفع الى السلاطين واعوانهم فيؤتى بالدواب والثياب وانواع الاموال الفاخرة واذا قال هاتوا ما دفع الى فيؤتى بالكسر والحرق

٣ (قول المحشى وجاز ان يراد الظلول نهارا لقصد المبالغة في وصفهم بالعناد الخ) لعله انتقال نظر اذ لا يخفى انه مما يناسب الكلام فى تفسير قوله تعالى ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون الآية فالمناسب حينئذ اسقاطه من هنا وليحرر اه مصححه

وما لا يؤ به له اما تستحي من ذلك الموقف وقرأ هذه الآية وعن مجاهد ان لهم الحسنى هو قول قريش لنا البنون وان لهم الحسنى بدل من الكذب * وقرئ الكذب جمع كذوب صفة للالسنة (مفرطون) قرئ مفتوح الراء ومكسورها مخففا ومشددا فالمفتوح بمعنى مقدمون الى النار معجلون اليها من افرطت فلانا وفرطته في طلب الماء اذا قدمته وقيل منسيون متروكون من افرطت فلانا خلفي اذا خلفته ونسيته والمكسور المخفف من الافراط في المعاصي والمشدد من التفريط في الطاعات وما يلزمهم (فهو وليهم اليوم) حكاية الحال الماضية التي كان يزين لهم الشيطان اعمالهم فيها أو فهو وليهم في الدنيا فجعل اليوم عبارة عن زمان الدنيا ومعنى وليهم قرينهم وبئس القرين او يجعل فهو وليهم اليوم حكاية للحال الآتية وهي حال كونهم معذبين في النار اى فهو ناصرهم اليوم لا ناصر لهم غيره نفيا للناصر لهم على ابلغ الوجوه ويجوز ان يرجع الضمير الى مشركي قريش وانه زين للكفار قبلهم اعمالهم فهو ولي هؤلاء لانهم منهم ويجوز ان يكون على حذف المضاف اى فهو ولي امثالهم اليوم (وهدى ورحمة) معطوفان على محل لتبين الا انهما انتصبا على انهما مفعول لهما لانهما فعلا الذي انزل الكتاب * ودخل اللام على لتبين لانه فعل المخاطب لا فعل المنزل وانما ينتصب مفعولا له ما كان فعل فاعل الفعل المعلل * والذي اختلفوا فيه البعث لانه كان فيهم من يؤمن به ومنهم عبد المطلب واشياء من التحريم والتحليل والانكار والاقرار (لقوم يسمعون) سماع انصاف وتدبر لان من لم يسمع بقلبه فكانه اصم لا يسمع * ذكر سيبويه الانعام في باب ما لا ينصرف في الاسماء المفردة الواردة على افعال كقولهم ثوب اكياش ولذلك رجع الضمير اليه مفردا واما في بطونها في سورة المؤمنين فلان معناه الجمع ويجوز ان يقال في الانعام وجهان احدهما ان يكون تكسير نعم كاجبال في جبل وان يكون اسما مفردا مقتضيا لمعنى الجمع كنعم فاذا ذكر فكما يذكر نعم في قوله

في كل عام نعم تحوونه * يلقحه قوم وتنتجونه

واذا انث ففيه وجهان انه تكسير نعم وانه في معنى الجمع * وقرئ نسقيكم بالفتح والضم وهو استئناف كانه قيل كيف العبرة فقيل نسقيكم (من بين فرث ودم) اى يخلق الله اللبن وسيطا بين الفرث والدم يكتنفانه وبينه وبينهما برزخ من قدرة الله لا يبغي احدهما عليه بلون ولا طعم ولا رائحة بل هو خالص من ذلك كله قيل اذا اكلت البهيمة العلف فاستقر في كرشها طبخته فكان اسفله فرثا واوسطه لبنا واعلاه دما والكبد مسلطة على هذه الاصناف الثلاثة تقسمها فتجري الدم في العروق واللبن في الضروع وتبقى الفرث في الكرش فسبحان الله ما اعظم قدرته والطف حكمته لمن تفكر وتأمل وسئل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل من العيوب كتمييز اللبن من بين فرث ودم (سائغا) سهل المرور في الحلق ويقال لم يغص احد باللبن قط وقرئ سيغا بالتشديد وسيغا بالتخفيف كهين ولين (فان قلت) اى فرق بين من الاولى والثانية (قلت) الاولى للتبعيض لان اللبن بعض ما في بطونها كقولك اخذت من مال زيد ثوبا والثانية لابتداء الغاية لان بين الفرث والدم مكان الاسقاء الذي منه يبتدأ فهو صلة لنسقيكم كقولك سقيته من الحوض ويجوز ان يكون حالا من قوله لبنا مقدما عليه فيتعلق بمحذوف اى كائنا من بين فرث ودم ألا ترى انه لو تاخر فقيل لبنا من بين فرث ودم كان صفة له وانما قدم لانه موضع العبرة فهو قمن بالتقديم وقد احتج بعض من يرى ان المني طاهر على من جعله نجسا لجريه في مسلك البول بهذه الآية وانه ليس بمستنكر ان يسلك مسلك البول وهو طاهر كما خرج اللبن من بين فرث ودم طاهرا * (فان قلت) بم تعلق قوله (ومن ثمرات النخيل والاعناب) (قلت) بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اى من عصيرها وحذف لدلالة نسقيكم قبله عليه وقوله (تتخذون منه سكرا) بيان وكشف عن كنه الاسقاء او يتعلق بتتخذون ومنه من تكرير الظرف للتوكيد كقولك زيد في الدار فيها ويجوز ان يكون تتخذون صفة موصوف محذوف كقوله بكفي كان من ارمى البشر تقديره ومن ثمرات النخيل والاعناب ثمر تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا لانهم يأكلون بعضها ويتخذون من بعضها السكر (فان قلت) فلام يرجع الضمير في منه اذا جعلته ظرفا مكررا (قلت) الى المضاف المحذوف الذي هو العصير

مفرطون تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلك فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم وما انزلنا عليك الكتاب الا لتبين لهم الذى اختلفوا فيه وهدى ورحمة لقوم يومنون والله أنزل من السماء ماء فاحيى به الارض بعد موتها ان فى ذلك لآية لقوم يسمعون وان لكم فى الانعام لعبرة نسقيكم مما فى بطونه من بين فرث ودم لبنا خالصا سائغا للشاربين ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا ان فى ذلك لآية لقوم يعقلون واوحى ربك الى النحل

كما رجع فى قوله تعالى اوهم قائلون الى الاهل المحذوف والسكر الخمر سميت بالمصدر من سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا قال
وجاؤنا بهم سكر علينا * فاجلي اليوم والسكران صاحي
وفيه وجهان احدهما ان تكون منسوخة وممن قال بنسخها الشعبي والنخعي والثانى ان يجمع بين العتاب والمنة وقيل السكر النبيذ وهو عصير العنب والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابي حنيفة الى حد السكر ويحتج بهذه الآية وبقوله صلى الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة ولقد صنف شيخنا ابو على الجبائي قدس الله روحه غير كتاب فى تحليل النبيذ فلما شيخ واخذت منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابي فقيل له فقد صنفت في تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج في المروءة وقيل السكر الطعم وانشد * جعلت اعراض الكرام سكرا * اى تنقلت باعراضهم وقيل هو من الخمر وانه اذا ابترك فى اعراض الناس فكانه تخمر بها * والرزق الحسن الخل والرب والتمر والزبيب وغير ذلك ويجوز ان يجعل السكر رزقا حسنا كانه قيل تتخذون منه ما هو سكر ورزق حسن الايحاء الى النحل الهامها والقذف في قلوبها او تعليمها على وجه هو أعلم به لا سبيل لاحد الى الوقوف عليه والا فنيقتها في صنعتها ولطفها فى تدبير أمرها واصابتها فيما يصلحها دلائل بينة شاهدة على ان الله اودعها علما بذلك وفطنها كما اولى أولى العقول عقولهم * وقرأ يحيى بن وثاب الى النحل بفتحتين وهو مذكر كالنخل وتانيثه على المعنى (ان اتخذى) هي أن المفسرة لان الايحاء فيه معنى القول * قرئ بيوتا بكسر الباء لاجل الياء ويعرشون بكسر الراء وضمها يرفعون من سقوف البيوت وقيل ما يبنون للنحل فى الجبال والشجر والبيوت من الاماكن التى تتعسل فيها والضمير فى يعرشون للناس * (فان قلت) مامعنى من في قوله ان اتخذى (من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) وهلا قيل فى الجبال وفي الشجر (قلت) اريد معنى البعضية وان لا تبنى بيوتها فى كل جبل وكل شجر وكل ما يعرش ولا فى كل مكان منها (من كل الثمرات) احاطة بالثمرات التي تجرسها النحل وتعتاد اكلها اى ابنى البيوت ثم كلي من كل ثمرة تشتهينها فاذا اكلتها (فاسلكي سبل ربك) اى الطرق التى ألهمك وافهمك فى عمل العسل او فاسلكى ما اكلت فى سبل ربك اى فى مسالكه التي يحيل فيها بقدرته النور المر عسلا من أجوافك ومنافذها كالك او اذا أكلت الثمار فى المواضع البعيدة من بيوتك فاسلكى الى بيوتك راجعة سبل ربك لا تتوعر عليك ولا تضلين فيها فقد بلغني انها ربما اجدب عليها ما حولها فتسافر الى البلد البعيد فى طلب النجعة او اراد بقوله ثم كلى ثم اقصدي أكل الثمرات فاسلكي فى طلبها في مظانها سبل ربك (ذللا) جمع ذلول وهى حال من السبل لان الله ذللها ووطأها وسهلها كقوله هو الذى جعل لكم الارض ذلولا او من الضمير في فاسلكى اى وأنت ذلل منقادة لما امرت به غير ممتنعة (شراب) يريد العسل لانه مما يشرب (مختلف الوانه) منها ابيض واسود واصفر واحمر (فيه شفاء للناس) لانه من جملة الاشفية والادوية المشهورة النافعة وقل معجون من المعاجين لم يذكر الاطباء فيه العسل وليس الغرض انه شفاء لكل مريض كما ان كل دواء كذلك وتنكيره اما لتعظيم الشفاء الذى فيه او لان فيه بعض الشفاء وكلاهما محتمل وعن النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا جاء اليه فقال ان اخي يشتكى بطنه فقال اذهب واسقه العسل فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع فقال اذهب واسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك فسقاه فشفاه الله فبرأ كانما انشط من عقال وعن عبد الله بن مسعود العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما فى الصدور فعليكم بالشفاءين القرآن والعسل ومن بدع تاويلات الرافضة ان المراد بالنحل على وقومه وعن بعضهم انه قال عند المهدى انما النحل بنو هاشم يخرج من بطونهم العلم فقال له رجل جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطونهم فضحك المهدى وحدث به المنصور فاتخذوه اضحوكة من اضاحيكهم (الى ارذل العمر) الى اخسه وأحقره وهو خمس وسبعون سنة عن على رضي الله عنه وتسعون سنة عن قتادة لانه لا عمر أسوأ حالا من عمر الهرم (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) ليصير الى حالة شبيهة بحال الطفولة في النسيان وان يعلم شيئا ثم يسرع في نسيانه فلا يعلمه ان سئل عنه وقيل لئلا يعقل من بعد عقله الاول شيئا وقيل لئلا يعلم زيادة علم على علمه * أى

بيوتها الخ) قال احمد ويتزين هذا المعنى الذى نبه عليه الزمخشري في تبعيض من المتعلقة باتخاذ البيوت باطلاق الاكل كأنه تعالى وكل الاكل الى شهوتها واختيارها فلم يحجر عليها فيه وان حجر عليها في البيوت وأمرت باتخاذها في بعض المواضع دون بعض لان مصلحة الاكل على الاطلاق باستمراء مشتهاها منه وأما البيوت فلا تحصل مصلحتها في كل موضع ولهذا المعنى دخلت ثم لتفاوت الامر بين الحجر عليها في اتخاذ البيوت والاطلاق لها في تناول الثمرات كما تقول راع الحلال فيما تاكله ثم كل اى شيء شئت فتوسط ثم لتفاوت الحجر والاطلاق فسبحان اللطيف الخبير

ان اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكى سبل ربك ذللا يخرج من بطونها شراب مختلف الوانه فيه شفاء للناس ان فى ذلك لآية لقوم يتفكرون والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيأ ان الله عليم قدير والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق فما الذين فضلوا برادى رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء

قوله تعالى فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون (قال تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به الخ) قال أحمد فعلى تفسيره الاول يكون قوله لله متعلقا بالامثال كانه قيل فلا تمثلوا الله ولا تشبهوه وعلى الثاني يكون متعلقا بالفعل الذي هو تضربوا كانه قيل فلا تمثلوا لله الامثال فان ضرب المثل انما يستعمل من العالم لغير العالم ليبين له ما خفي عنه والله تعالى هو العالم وانتم لا تعلمون فتمثيل غير العالم للعالم عكس للحقيقة والله اعلم * عاد كلامه (قال فان قلت لم قال مملوكا لا يقدر على شيء الخ) قال احمد والقول بصحة ملكه هو مذهب الامام مالك رضي الله عنه وفي هذه الآية له معتصم لان الله تعالى مثل بالمملوك لانه مظنة العجز وعدم الملك والتصرف غالبا ثم افصح عن المعنى المقصود وهو ان هذا المملوك ليس من اتفق ان ملكه سيده فملك وقدر بل هو على الاصل المعهود في المماليك عاجز غير قادر ولو لم يكن ملك العبد متصورا او معهودا شرعا وعرفا لكان قوله تعالى لا يقدر على شيء كالتكرار لما فهم من قوله عبدا مملوكا وقول القائل يقول انه احتراز من المكاتب بعيد من فصاحة القرآن فانه لو كان العبد لا يصح منه ملك البتة الا في حال الكتابة لكانت ارادته حينئذ من اطلاق اللفظ كالالغاز الذي لا يعهد مثله في بيان القرآن واستيلائه على صنوف

افبنعمة الله يجحدون والله جعل لكم من انفسكم ازواجا وجعل لكم من ازواجكم بنين وحفدة ورزقكم من الطيبات افبالباطل يؤمنون وبنعمت الله هم يكفرون ويعبدون من دون الله ما لا يملك لهم رزقا من السموات والارض شيأ ولا يستطيعون فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم وانتم لا تعلمون ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء

جعلكم متفاوتين في الرزق فرزقكم افضل مما رزق مماليككم وهم بشر مثلكم واخوانكم فكان ينبغي ان تردوا فضل ما رزقتموه عليهم حتى تتساووا في الملبس والمطعم كما يحكى عن ابي ذر انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول انما هم اخوانكم فاكسوهم مما تلبسون واطعموهم مما تطعمون فما رؤي عبده بعد ذلك الا ورداؤه رداؤه وازاره ازاره من غير تفاوت (افبنعمة الله يجحدون) فجعل ذلك من جملة جحود النعمة وقيل هو مثل ضربه الله للذين جعلوا له شركاء فقال لهم انتم لا تسوون بينكم وبين عبيدكم فيما انعمت به عليكم ولا تجعلونهم فيه شركاء ولا ترضون ذلك لا نفسكم فكيف رضيتم ان تجعلوا عبيدي لي شركاء وقيل المعنى ان الموالي والمماليك انا رازقهم جميعا فهم في رزقي سواء فلا تحسبن الموالي انهم يردون على مماليكهم من عندهم شيئا من الرزق فانما ذلك رزقي اجريه اليهم على ايديهم وقرئ يجحدون بالتاء والياء من (انفسكم) من جنسكم وقيل هو خلق حواء من ضلع آدم * والحفدة جمع حافد وهو الذي يحفد اي يسرع في الطاعة والخدمة ومنه قول القانت واليك نسعى ونحفد وقال

حفد الولائد بينهن وأسلمت * بأكفهن ازمة الاجمال

واختلف فيهم فقيل هم الاختان على البنات وقيل اولاد الاولاد وقيل اولاد المرأة من الزوج الاول وقيل المعنى وجعل لكم حفدة اي خدما يحفدون في مصالحكم ويعينونكم ويجوز ان يراد بالحفدة البنون انفسهم كقوله سكرا ورزقا حسنا كانه قيل وجعل لكم منهن اولادا هم بنون وهم حافدون اي جامعون بين الامرين (من الطيبات) يريد بعضها لان كل الطيبات في الجنة وما طيبات الدنيا الا انموذج منها (افبالباطل يؤمنون) وهو ما يعتقدون من منفعة الاصنام وبركتها وشفاعتها وما هو الا وهم باطل لم يتوصلوا اليه بدليل ولا امارة فليس لهم ايمان الا به كانه شيء معلوم مستيقن * ونعمة الله المشاهدة المعاينة التي لا شبهة فيها لذي عقل وتمييز هم كافرون بها منكرون لها كما ينكر المحال الذي لا تتصوره العقول وقيل الباطل ما يسول لهم الشيطان من تحريم البحيرة والسائبة وغيرهما ونعمة الله ما أحل لهم * الرزق يكون بمعنى المصدر وبمعنى ما يرزق فان اردت المصدر نصبت به (شيئا) كقوله او اطعام يتيما على لا يملك ان يرزق شيئا وان اردت المرزوق كان شيئا بدلا منه بمعنى قليلا ويجوز ان يكون تأكيدا للا يملك اي لا يملك شيئا من الملك * ومن السموات والارض صلة للرزق ان كان مصدرا بمعنى لا يرزق من السموات مطرا ولا من الارض نباتا أو صفة ان كان اسما لما يرزق والضمير في (ولا يستطيعون) لما لانه في معنى الآلهة بعد ما قيل لا يملك على اللفظ ويجوز ان يكون للكفار يعني ولا يستطيع هؤلاء مع انهم احياء متصرفون أولو ألباب من ذلك شيئا فكيف بالجماد الذي لا حس به (فان قلت) ما معنى قوله ولا يستطيعون بعد قوله لا يملك وهل هما الا شيء واحد (قلت) ليس في لا يستطيعون تقدير راجع وانما المعنى لا يملكون ان يرزقوا والاستطاعة منفية عنهم اصلا لانهم موات الا ان يقدر الراجع ويراد بالجمع بين نفي الملك والاستطاعة التوكيد او يراد انهم لا يملكون الرزق ولا يمكنهم ان يملكوه ولا يتأتى ذلك منهم ولا يستقيم (فلا تضربوا لله الامثال) تمثيل للاشراك بالله والتشبيه به لان من يضرب الامثال مشبه حالا بحال وقصة بقصة (ان الله يعلم) كنه ما تفعلون وعظمه وهو معاقبكم عليه بما يوازيه في العظم لان العقاب على مقدار الاثم (وانتم لا تعلمون) كنهه وكنه عقابه فذاك هو الذي جركم اليه وجرأكم عليه فهو تعليل للنهي عن الشرك ويجوز ان يراد فلا تضربوا لله الامثال ان الله يعلم كيف يضرب الامثال وانتم لا تعلمون * ثم علمهم كيف تضرب فقال مثلكم في اشراككم بالله الاوثان مثل من سوى بين عبد مملوك عاجز عن التصرف وبين حر مالك قد رزقه الله مالا فهو يتصرف فيه وينفق منه كيف شاء (فان قلت) لم قال (مملوكا لا يقدر على شيء) وكل عبد

البلاغة ومثل هذا أنكره الامام ابو المعالي على من حمل قوله عليه السلام ايما امرأة نكحت بغير اذن وليها على المكاتبة لبعد القصد اليها على
شذوذها واما الاحتراز به عن المأذون له فينبني على القول بان المراد بعدم القدرة عدم المكنة من التصرف وان لم يكن المأذون له مالكا عند
هذا القائل وهذا بعيد عن مطابقة قوله ومن رزقناه منا رزقا حسنا فانها يوجب ان يكون المراد بقوله لا يقدر على شيء لا يملك شيئا من الرزق
كما تقول في الحر المفلس فلان لا يقدر على شيء اي لا يملك شيئا يقدر على التصرف فيه فتلخص من هذا البحث ان في الآية مجالا لنصرة مذهب
مالك وان كان لقائل ان يقول هذه الصفة لازمة كالايضاح لفائدة ضرب المثل بالمملوك كانه قيل وانما ضربنا المثل

ومن رزقناه منا رزقا حسنا فهو ينفق منه سرا وجهرا هل يستوون الحمد لله بل اكثرهم لا يعلمون وضرب الله مثلا رجلين أحدهما ابكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه اينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولله غيب السموات والارض وما امر الساعة الا كلمح البصر او هو اقرب ان الله على كل شيء قدير والله أخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون ألم يروا الى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن الا الله ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون والله جعل لكم من بيوتكم سكنا وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها

عبد مملوك وغير قادر على التصرف (فان قلت) اما ذكر المملوك فليميز من الحر لان اسم العبد يقع عليهما جميعا
لانهما من عباد الله واما لا يقدر على شيء فليجعل غير مكاتب ولا مأذون له لانهما يقدران على التصرف
واختلفوا في العبد هل يصح له ملك والمذهب الظاهر انه لا يصح له (فان قلت) من في قوله (ومن رزقناه)
ما هي (قلت) الظاهر انها موصوفة كانه قيل وحرا رزقناه ليطابق عبدا ولا يمتنع ان تكون موصولة (فان قلت)
لم قيل (يستوون) على الجمع (قلت) معناه هل يستوي الاحرار والعبيد * الابكم الذي ولد أخرس فلا يفهم
ولا يفهم (وهو كل على مولاه) اي ثقل وعيال على من يلي امره ويعوله (أينما يوجهه) حيثما يرسله ويصرفه في
مطلب حاجة او كفاية مهم لا ينفع ولم يأت بنجح (هل يستوي هو ومن) هو سليم الحواس نفاع ذو كفايات مع
رشد وديانة فهو (يأمر) الناس (بالعدل) والخير (وهو) في نفسه (على صراط مستقيم) على سيرة صالحة ودين
قويم وهذا مثل ثان ضربه الله لنفسه ولما يفيض على عباده ويشملهم من آثار رحمته والطافه ونعمه الدينية
والدنيوية وللاصنام التي هي اموات لا تضر ولا تنفع * وقرئ اينما يوجه بمعنى أينما يتوجه من قولهم اينما اوجه
الى سعد او قرأ ابن مسعود اينما يوجه على البناء للمفعول (ولله غيب السموات والارض) اي يختص به علم
ما غاب فيهما عن العباد وخفي عليهم علمه او اراد بغيب السموات والارض يوم القيامة على ان علمه غائب عن
أهل السموات والارض لم يطلع عليه احد منهم (الا كلمح البصر او هو اقرب) اي هو عند الله وان تراخى كما
تقولون أنتم في الشيء الذي تستقربونه هو كلمح البصر او هو اقرب اذا بالغتم في استقرابه ونحوه قوله
ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون اي هو عنده دان وهو
عندكم بعيد وقيل المعنى ان اقامة الساعة واماتة الاحياء واحياء الاموات من الاولين والآخرين يكون في اقرب
وقت واوحاه (ان الله على كل شيء قدير) فهو يقدر على ان يقيم الساعة ويبعث الخلق لانه بعض المقدورات ثم دل
على قدرته بما بعده * قرئ امهاتكم بضم الهمزة وكسرها والهاء مزيدة في امات كما زيدت في اراق فقيل
اهراق وشذت زيادتها في الواحدة قال * امهتي خندف والياس أبي * (لا تعلمون شيئا) في موضع الحال ومعناه
غير عالمين شيئا من حق المنعم الذي خلقكم في البطون وسواكم وصوركم ثم اخرجكم من الضيق الى السعة وقوله
(وجعل لكم) معناه وما ركب فيكم هذه الاشياء الا آلات لازالة الجهل الذي ولدتم عليه واجتلاب العلم
والعمل به من شكر المنعم وعبادته والقيام بحقوقه والترقي الى ما يسعدكم * والافئدة في فؤاد كالاغربة في
غراب وهو من جموع القلة التي جرت مجرى جموع الكثرة والقلة اذا لم يرد في السماع غيرها كما جاء شسوع
في جمع شسع لا غير فجرت ذلك المجرى * قرئ ألم يروا بالتاء والياء (مسخرات) مذللات للطيران بما خلق لها
من الاجنحة والاسباب المواتية لذلك * والجو الهواء المتباعد من الارض في سمت العلو والسكاك ابعد منه
واللوح مثله (ما يمسكهن) في قبضهن وبسطهن ووقوفهن (الا الله) بقدرته (من بيوتكم) التي تسكنونها من
الحجر والمدر والاخبية وغيرها * والسكن فعل بمعنى مفعول وهو ما يسكن اليه وينقطع اليه من بيت او الف
(بيوتا) هي القباب والابنية من الادم والانطاع (تستخفونها) ترونها خفيفة الحمل في الضرب والنقض

بالمملوك لان صفته اللازمة له وسمته المعروفة به انه لا يقدر على شيء اي لا يصح منه ملك وكثيرا ما يجيء الحال والصفة لا يقصد بواحد
منهما تقييد ولا تخصيص ولكن ايضاح وتفسير ومن ذلك قوله تعالى ومن يدع مع الله الها آخر لا برهان له به فقوله لا برهان له به لا يقصد
به تمييزا له سوى الله من اله لان كل مدعو الها غير الله تعالى لا برهان به وانما أريد ان عدم البرهان من لوازم دعاء اله غير الله تعالى فهذا أقصى
ما يمكن ان ينتصر به للقائل بعدم صحة ملك العبد ولنا ان نقول في دفعه ان الاصل في الصفة والحال وشبههما التخصيص والتقييد واما الوارد
من ذلك لازما فنادر على خلاف الاصل والله الموفق

* قوله تعالى وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا تستخفونها يوم ظعنكم و يوم اقامتكم (قال المراد يخف عليكم حملها و نقلها الخ) قال أحمد والتفسير الاول اولى لان ظهور المنة في خفتها انما يتحقق فى حال السفر و اما المستوطن فغير مثقل وما احسن قول الزمخشرى فى يوم اقامتكم ان المراد خفة ضربها وسهولة ذلك عليهم والله اعلم * قوله تعالى وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم (قال هى القمصان والثياب من الصوف والكتان وغيرها الخ) قال احمد يعنى عند العرب وخصوصا قطان الحجاز وهم الاصل فى هذا الخطاب

والنقل (يوم ظعنكم و يوم اقامتكم) اى يوم ترحلون خف عليكم حملها و نقلها و يوم تنزلون وتقيمون فى مكان لم يثقل عليكم ضربها وهى خفيفة عليكم فى اوقات السفر والحضر جميعا على ان اليوم بمعنى الوقت (ومتاعا) وشيئا ينتفع به (الى حين) الى ان تقضوا امنه اوطاركم او الى ان يبلى و يفنى او الى ان تموتوا * وقرئ يوم ظعنكم بالسكون (مما خلق) من الشجر وسائر المستظلات (اكنانا) جمع كن وهو ما يستكن به من البيوت المنحوتة فى الجبال والغيران والكهوف (سرابيل) هى القمصان والثياب من الصوف والكتان والقطن وغيرها (تقيكم الحر) لم يذكر البرد لان الوقاية من الحر أهم عندهم وقلما يهمهم البرد لكونه يسيرا محتملا وقيل ما يقى من الحر يقى من البرد فدل ذكر الحر على البرد (وسرابيل تقيكم بأسكم) يريد الدروع والجواشن والسربال عام يقع على كل ما كان من حديد وغيره (لعلكم تسلمون) اى تنظرون فى نعمه الفائضة فتؤمنون به وتنقادون له وقرئ تسلمون من السلامة اى تشكرون فتسلمون من العذاب او تسلم قلوبكم من الشرك وقيل تسلمون من الجراح بلبس الدروع (فان تولوا) فلم يقبلوا منك فقد تمهد عذرك بعدما اديت ما وجب عليك من التبليغ فذكر سبب العذر وهو البلاغ ليدل على المسبب (يعرفون نعمت الله) التى عددناها حيث يعترفون بها وانها من الله (ثم ينكرونها) بعبادتهم غير المنعم بها وقولهم هى من الله ولكنها بشفاعة آلهتنا وقيل انكارهم قولهم ورثناها من آبائنا وقيل قولهم لولا فلان ما اصبت كذا لبعض نعم الله وانما لا يجوز التكلم بنحو هذا اذا لم يعتقد انها من الله وانه اجراها على يد فلان وجعله سببا فى نيلها (واكثرهم الكافرون) اى الجاحدون غير المعترفين وقيل نعمة الله نبوة محمد عليه السلام كانوا يعرفونها ثم ينكرونها عنادا واكثرهم الجاحدون المنكرون بقلوبهم (فان قلت) ما معنى ثم (قلت) الدلالة على ان انكارهم امر مستبعد بعد حصول المعرفة لان حق من عرف النعمة ان يعترف لا ان ينكر (شهيدا) نبيها يشهد لهم وعليهم بالايمان والتصديق والكفر والتكذيب (ثم لا يؤذن للذين كفروا) فى الاعتذار والمعنى لا حجة لهم فدل بترك الاذن على ان لا حجة لهم ولا عذر وكذا عن الحسن (ولا هم يستعتبون) ولا هم يسترضون اى لا يقال لهم ارضوا ربكم لان الآخرة ليست بدار عمل (فان قلت) فما معنى ثم هذه (قلت) معناها انهم يمنون بعد شهادة الانبياء بما هو اطم منها وهو انهم يمنعون الكلام فلا يؤذن لهم فى القاء معذرة ولا ادلاء بحجة * وانتصاب اليوم بمحذوف تقديره واذكر يوم نبعث او يوم نبعث وقعوا فيما وقعوا فيه وكذلك اذا رأوا العذاب بغتهم وثقل عليهم (فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون) كقوله بل تأتيهم بغتة فتبهتهم الآية * ان اراد بالشركاء آلهتهم فمعنى (شركاؤنا) آلهتنا التى دعوناها شركاء وان ارادوا الشياطين فلانهم شركاؤهم فى الكفر وقرناؤهم فى الغى و (ندعوا) بمعنى نعبد * (فان قلت) لم قالوا (انكم لكاذبون) وكانوا يعبدونهم على الصحة (قلت) لما كانوا غير راضين بعبادتهم فكان عبادتهم لم تكن عبادة والدليل عليه قول الملائكة كانوا يعبدون الجن يعنون ان الجن كانوا راضين بعبادتهم لا نحن فهم المعبودون دوننا او كذبوهم فى تسميتهم شركاء وآلهة تنزيها لله من الشريك وان اريد بالشركاء الشياطين جاز ان يكونوا كاذبين فى قولهم انكم لكاذبون كما يقول الشيطان انى كفرت بما اشركتمون من قبل (والقوا) يعنى الذين ظلموا والقاء السلم الاستسلام لامر الله وحكمه بعد الاباء والاستكبار فى الدنيا (وضل عنهم) و بطل عنهم (ما كانوا يفترون) من ان لله شركاء وانهم ينصرونهم و يشفعون لهم حين

يوم ظعنكم و يوم اقامتكم ومن اصوافها واوبارها واشعارها اثاثا ومتاعا الى حين والله جعل لكم مما خلق ظلالا وجعل لكم من الجبال اكنانا وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون فان تولوا فانما عليك البلاغ المبين يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها واكثرهم الكافرون و يوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون واذا رأى الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون واذا رأى الذين اشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون والقوا الى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون

* عاد كلامه (قال وقيل ان ما يقى الحر يقى البرد فدل ذكره عليه قال احمد والاول اظهر الا ترى الى تقديم المنة بالظلال التى تقى من الصحاء فى قوله تعالى جعل لكم مما خلق ظلالا فدل على ان الاهم عند المخاطبين وقاية الحر فامتن الله عليهم باعظم نعمه موقعا عندهم وقول القائل انما يقى الحر يقى البرد مشهود عليه بالعرف فان الذى يتقى به الحر من القمصان رقيقها وفيعها وليس ذلك من لبوس البرد بل لو لبس الانسان فى كل واحد من الفصلين القيظ والبرد لباس الآخر يعد من الثقلاء كذبوهم

* قوله تعالى ان الله يأمر بالعدل والاحسان الآية (قال العدل الواجب والاحسان الندب) قال احمد وفي جمعهما تحت الامر ما يدل لمن قال ان صيغة الامر اعني هذه المبنية من الهمزة والميم والراء لا صيغة افعل تتناول القبيلين بطريق التواطؤ وموضعها القدر المشترك بينهما من الطلب والله اعلم * عاد كلامه (قال وانما كان الواجب عدلا لان الله تعالى عدل فيه على عباده الخ) قال احمد وهذه وليجة من الاعتزال ومعتقد المعتزلة استحالة تكليف ما لا يطاق لانه ظلم وجور وذلك على الله محال والحق والسنة ان كل قضاء الله عدل وان تكليف ما لا يطاق جائز عليه وعدل منه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون بل التكاليف كلها على خلاف الاستطاعة على مقتضى توحيد اهل السنة المعتقدين ان كل موجود بقدرة الله تعالى حدث ووجد لا شريك له في ملكه وكيف يكون شريكه عبدا مسخرا في قبضة ملكه هذا هو التوحيد المحض واذا كان العبد مكلفا بما هو من فعل الله فهذا عين التكليف بما لا يطاق ولكن ذلك عدل من الله تعالى وحجته البالغة قائمة على المكلف بما خلقه له من التأتي والتيسر في الافعال الاختيارية التي هي محال التكاليف والله الموفق * عاد كلامه (قال

الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون ويوم نبعث في كل امة شهيدا عليهم من انفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وأوفوا بعهد الله اذا عاهدتم ولا تنقضوا الايمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا ان الله يعلم ما تفعلون

كذبوهم وتبرؤا منهم (الذين كفروا) في انفسهم * وحملوا غيرهم على الكفر * يضاعف الله عقابهم كما ضاعفوا كفرهم وقيل في زيادة عذابهم حيات امثال البخت وعقارب امثال البغال تلسع احداهن اللسعة فيجد صاحبها حمتها اربعين خريفا وقيل يخرجون من النار الى الزمهرير فيبادرون من شدة برده الى النار (بما كانوا يفسدون) بكونهم مفسدين الناس بصدهم عن سبيل الله (شهيدا عليهم من انفسهم) يعني نبيهم لانه كان يبعث انبياء الامم فيهم منهم (وجئنا بك) يا محمد (شهيدا على هؤلاء) على امتك (تبيانا) بيانا بليغا ونظير تبيان تلقاء في كسر اوله وقد جوز الزجاج فتحه في غير القرآن (فان قلت) كيف كان القرآن تبيانا (لكل شيء) (قلت) المعنى انه بين كل شيء من امور الدين حيث كان نصا على بعضها واحالة على السنة حيث امر فيه باتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاعته وقيل وما ينطق عن الهوى وحثا على الاجماع في قوله ويتبع غير سبيل المؤمنين وقد رضي رسول الله صلى الله عليه وسلم لامته اتباع اصحابه والاقتداء بآثارهم في قوله صلى الله عليه وسلم اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وقد اجتهدوا وقاسوا ووطؤا طرق القياس والاجتهاد فكانت السنة والاجماع والقياس والاجتهاد مستندة الى تبيان الكتاب فمن ثم كان تبيانا لكل شيء * العدل هو الواجب لان الله تعالى عدل فيه على عباده فجعل ما فرضه عليهم واقعا تحت طاقتهم (والاحسان) الندب وانما علق امره بهما جميعا لان الفرض لا بد من ان يقع فيه تفريط فيجبره الندب ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لمن علمه الفرائض فقال والله لا زدت فيها ولا نقصت افلح ان صدق فعقد الفلاح بشرط الصدق والسلامة من التفريط وقال صلى الله عليه وسلم استقيموا ولن تحصوا فما ينبغي ان يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل * والفواحش ما جاوز حدود الله (والمنكر) ما تنكره العقول (والبغي) طلب التطاول بالظلم وحين أسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي رضي الله عنه اقيمت هذه الآية مقامها ولعمري انها كانت فاحشة ومنكرا وبغيا ضاعف الله لمن سنها غضبا ونكالا وخزيا اجابة لدعوة نبيه وعاد من عاداه وكانت سبب اسلام عثمان بن مظعون * عهد الله هي البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الاسلام ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله (ولا تنقضوا) ايمان البيعة (بعد توكيدها) اي بعد توثيقها باسم الله واكد ووكد لغتان فصيحتان والاصل الواو والهمزة بدل (كفيلا) شاهدا ورقيبا لان الكفيل مراع لحال المكفول به مهيمن

وانما قرنهما في الامر لان الفرض لا يخلو من خلل وتفريط يجبره الندب الخ) قال احمد وهذه نكتة حسنة يجاب بها عن قول القائل لم حكم عليه الصلاة والسلام بفلاح المصر على ترك السنن فيقال المحكوم بفلاحه لاجله انما هو الصدق في سلامة الفرائض من خلل النقص والزيادة والله اعلم * عاد كلامه (قال والفواحش ما جاوز حدود الله والمنكر ما تنكره العقول) قال احمد وهذه ايضا لفتة الى الاعتزال ولو قال والمنكر ما انكره الشرع لوافق الحق ولكنه لا يدع بدعة المعتزلة في التحسين والتقبيح بالعقل والله الموفق * عاد كلامه (قال والبغي طلب التطاول بالظلم) قال احمد واصل موضوعه الطلب ومنه ابتغاء وجه الله ابتغاء مرضاة الله ولكن صار مطلقه خاصا بطلب الظلم عرفا * عاد كلامه (قال وحين اسقطت من الخطب لعنة الملاعين على امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه الخ) قال احمد ولعل المعوض بهذه الآية عن تلك الهناة لاحظ التطبيق بين ذكر النهي عن البغي فيها وبين الحديث الوارد في ان الناصب لعلي باغ حيث يقول عليه الصلاة والسلام لعمار وكان من حزب علي تقتلك الفئة الباغية والله اعلم فقتل مع علي يوم صفين

* قوله تعالى ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة (قال معناه على طريقة الالجاء والقسر) قال احمد وهذا تفسير اعتزالى قد قدم أمثاله فى اخوات هذه الآية وغرضه الفرار من الحق المستفاد من تعليق المشيئة بلو الدالة على ان مشيئة الله تعالى لايمان الخلق كلهم ماوقعت وانه انما شاء منهم الافتراق والاختلاف فايمان وكفر وتصديق وتكذيب كما وقع منهم ولوشاء شمولهم بالايمان لوقع فيصادم الزمخشرى هذا النص ويقول قدشاء جعلهم امة واحدة حنيفة مسلمة ولكن لم يقع مراده فاذا قيل له فعلام تحمل المشيئة فى الآية قال على مشيئة ايمانهم قسرا لا اختيارا وهذه المشيئة لم تقع اتفاقا * عاد كلامه (قال ومما يدل على ان الله لم يبن الامر على الاجبار وانما بناه على الاختيار قوله تعالى ولتسئلن عما كنتم تعملون ولو كان هو المضطر للهداية والضلال لما اثبت لهم ما يسئلون عنه) قال احمد اما اهل السنة الذى

ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة انكاثا تتخذون ايمانكم دخلا بينكم ان تكون امة هى اربى من امة انما يبلوكم الله به وليبينن لكم يوم القيامة ما كنتم فيه تختلفون ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة ولكن يضل من يشاء ويهدى من يشاء ولتسئلن عما كنتم تعملون ولا تتخذوا ايمانكم دخلا بينكم فتزل قدم بعد ثبوتها وتذوقوا السوء بما صددتم عن سبيل الله ولكم عذاب عظيم ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا انما عند الله هو خير لكم ان كنتم تعلمون ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون من عمل صالحا من ذكر او انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة

عليه (ولا تكونوا) فى نقض الايمان كالمرأة التى أنحت على غزلها بعد ان أحكمته وأبرمته فجعلته (انكاثا) جمع نكث وهو ماينكث فتله قيل هى ريطة بنت سعد بن تيم وكانت خرقاء اتخذت مغزلا قدر ذراع وصنارة مثل اصبع وفلكة عظيمة على قدرها فكانت تغزل هى وجواريها من الغداة الى الظهر ثم تأمرهن فينقضن ماغزلن (تتخذون) حال و (دخلا) احد مفعولى اتخذ يعنى ولا تنقضوا أيمانكم متخذيها دخلا (بينكم) اى مفسدة ودغلا (ان تكون امة) بسبب ان تكون امة يعنى جماعة قريش (هى اربى من أمة) هى أزيد عددا وأوفر مالا من امة من جماعة المؤمنين (انما يبلوكم الله به) الضمير لقوله ان تكون امة لانه فى معنى المصدر اى انما يختبركم بكونهم اربى لينظر اتتمسكون بحبل الوفاء بعهد الله وماعقدتم على انفسكم ووكدتم من ايمان البيعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم أم تغترون بكثرة قريش وثروتهم وقوتهم وقلة المؤمنين وفقرهم وضعفهم (وليبينن لكم) انذار وتحذير من مخالفة ملة الاسلام (ولوشاء الله لجعلكم امة واحدة) حنيفة مسلمة على طريق الالجاء والاضطرار وهو قادر على ذلك (ولكن) الحكمة اقتضت ان يضل (من يشاء) وهو ان يخذل من علم انه يختار الكفر ويصمم عليه (ويهدى من يشاء) وهو ان يلطف بمن علم انه يختار الايمان يعنى انه بنى الامر على الاختيار وعلى مايستحق به اللطف والخذلان والثواب والعقاب ولم يبنه على الاجبار الذى لا يستحق به شىء من ذلك وحققه بقوله (ولتسئلن عما كنتم تعملون) ولو كان هو المضطر الى الضلال والاهتداء لما اثبت لهم عملا يسئلون عنه * ثم كرر النهى عن اتخاذ الايمان دخلا بينهم تأكيدا عليهم واظهارا لعظم مايركب منه (فتزل قدم بعد ثبوتها) فتزل اقدامكم عن محجة الاسلام بعد ثبوتها (وتذوقوا السوء) فى الدنيا بصدودكم (عن سبيل الله) وخروجكم من الدين او بصدكم غيركم لانهم لو نقضوا ايمان البيعة وارتدوا لاتخذوا نقضها سنة لغيركم يستنون بها (ولكم عذاب عظيم) فى الآخرة * كان قوما ممن اسلم بمكة زين لهم الشيطان لجزعهم مما رأوا من غلبة قريش واستضعافهم المسلمين وايذائهم لهم ولما كانوا يعدونهم ان رجعوا من المواعيد ان ينقضوا ما بايعوا عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فثبتهم الله (ولا تشتروا) ولا تستبدلوا (بعهد الله) وبيعة رسول الله صلى الله عليه وسلم (ثمنا قليلا) عرضا من الدنيا يسيرا وهو ما كانت قريش يعدونهم ويمنونهم ان رجعوا (انما عند الله) من اظهاركم وتغنيمكم ومن ثواب الآخرة (خير لكم * ما عندكم) من اعراض الدنيا (ينفد وما عند الله) من خزائن رحمته (باق) لا ينفد * وقرئ ولنجزين بالنون والياء (الذين صبروا) على اذى المشركين ومشاق الاسلام (فان قلت) لم وحدت القدم ونكرت (قلت) الاستعظام ان تزل قدم واحدة عن طريق الحق بعد ان ثبتت عليه فكيف باقدام كثيرة * (فان قلت) (من) متناول فى نفسه للذكر والانثى فما معنى تبيينه بهما (قلت) هو مبهم صالح على الاطلاق للنوعين الا انه اذا ذكر كان الظاهر تناوله للذكور فقيل (من ذكر او انثى) على التبيين ليعم الموعد النوعين جميعا (حياة طيبة) يعنى فى الدنيا

وهو

يسميهم المصنف مجبرة فهم من الاجبار بمعزل لانهم يثبتون للعبد قدرة واختيارا وافعالا وهم مع ذلك يوحدون الله حق توحيده فيجعلون قدرته تعالى هى الموجدة والمؤثرة وقدرة العبد مقارنة فحسب تمييزا بين الاختيارى والقسرى وتقوم به حجة الله على عبده والله الموفق * قوله تعالى فتزل قدم بعد ثبوتها (قال ان قلت لم وحد القدم ونكرها الخ) قال احمد ومن جنس افادة التنكير ههنا للتقليل افادته له فى قوله تعالى وتعيها اذن واعية وفى قوله عز وجل اتقوا الله ولتنظر نفس ماقدمت لغد فنكر الاذن والنفس تقليلا للواعى من الناس لما يقضى بسداده وللناظر من الخلق فى امر معاده والله الموفق

وهو الظاهر لقوله (ولنجزينهم) وعده الله ثواب الدنيا والآخرة كقوله فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة وذلك ان المؤمن مع العمل الصالح موسرا كان او معسرا يعيش عيشا طيبا ان كان موسرا فلا مقال فيه وان كان معسرا فمعه ما يطيب عيشه وهو القناعة والرضا بقسمة الله واما الفاجر فامره على العكس ان كان معسرا فلا اشكال فى امره وان كان موسرا فالحرص لا يدعه ان يتهنا بعيشه وعن ابن عباس رضي الله عنه الحياة الطيبة الرزق الحلال وعن الحسن القناعة وعن قتادة يعنى فى الجنة وقيل هى حلاوة الطاعة والتوفيق فى قلبه * لما ذكر العمل الصالح ووعد عليه وصل به قوله (فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ايذانا بان الاستعاذة من جملة الاعمال الصالحة التى يجزل الله عليها الثواب والمعنى فاذا اردت قراءة القرآن فاستعذ كقوله اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وكقولك اذا اكلت فسم الله (فان قلت) لم عبر عن ارادة الفعل بلفظ الفعل (قلت) لان الفعل يوجد عند القصد والارادة بغير فاصل وعلى حسبه فكان منه بسبب قوى وملابسة ظاهرة وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت أعوذ بالسميع العليم من الشيطان الرجيم فقال لى يا ابن أم عبد قل أعوذ بالله من الشيطان الرجيم هكذا اقرأنيه جبريل عليه السلام عن القلم عن اللوح المحفوظ (ليس له سلطان) اى تسلط وولاية على اولياء الله يعنى انهم لا يقبلون منه ولا يطيعونه فيما يريد منهم من اتباع خطواته (انما سلطانه) على من يتولاه يطيعه (به مشركون) الضمير يرجع الى ربهم ويجوز ان يرجع الى الشيطان على معنى بسببه وغروره ووسوسته * تبديل الآية مكان الآية هو النسخ والله تعالى ينسخ الشرائع بالشرائع لانها مصالح وما كان مصلحة امس يجوز ان يكون مفسدة اليوم وخلافه مصلحة * والله تعالى عالم بالمصالح والمفاسد فيثبت ما يشاء وينسخ ما يشاء بحكمته وهذا معنى قوله (والله اعلم بما ينزل قالوا انما انت مفتر) وجدوا مدخلا للطعن فطعنوا وذلك لجهلهم وبعدهم عن العلم بالناسخ والمنسوخ وكانوا يقولون ان محمدا يسخر من اصحابه يامرهم اليوم بامر وينهاهم عنه غدا فياتيهم بما هو اهون ولقد افتروا فقد كان ينسخ الاشق بالاهون والاهون بالاشق والاهون بالاهون والاشق بالاشق لان الغرض المصلحة لا الهوان والمشقة (فان قلت) هل فى ذكر تبديل الآية بالآية دليل على ان القرآن انما ينسخ بمثله ولا يصح بغيره من السنة والاجماع والقياس (قلت) فيه ان قرآنا ينسخ بمثله وليس فيه نفى نسخه بغيره على ان السنة المكشوفة المتواترة مثل القرآن فى ايجاب العلم فنسخه بها كنسخه بمثله واما الاجماع والقياس والسنة غير المقطوع بها فلا يصح نسخ القرآن بها * فى ينزل ونزله وما فيهما من التنزيل شيئا فشيئا على حسب الحوادث والمصالح اشارة الى ان التبديل من باب المصالح كالتنزيل وان ترك النسخ بمنزلة انزاله دفعة واحدة فى خروجه عن الحكمة و (روح القدس) جبريل عليه السلام اضيف الى القدس وهو الطهر كما يقال حاتم الجود وزيد الخير والمراد الروح المقدس وحاتم الجواد وزيد الخير والمقدس المطهر من المآثم وقرىء بضم الدال وسكونها (بالحق) فى موضع الحال اى نزله ملتبسا بالحكمة يعنى ان النسخ من جملة الحق (ليثبت الذين آمنوا) ليبلوهم بالنسخ حتى اذا قالوا فيه هو الحق من ربنا والحكمة حكم لهم بثبات القدم وصحة اليقين وطمانينة القلوب على ان الله حكيم فلا يفعل الا ما هو حكمة وصواب (وهدى وبشرى) مفعول لهما معطوفان على محل ليثبت والتقدير تثبيتا لهم وارشادا وبشارة وفيه تعريض بحصول اضداد هذه الخصال لغيرهم وقرىء ليثبت بالتخفيف * أرادوا بالبشر غلاما كان لحويطب بن عبد العزى قد اسلم وحسن اسلامه اسمه عائش او يعيش وكان صاحب كتب وقيل هو جبر غلام رومى كان لعامر بن الحضرمى وقيل عبدان جبر ويسار كانا يصنعان السيوف بمكة ويقرآن التوراة والانجيل فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر وقف عليهما يسمع ما يقرآن فقالوا يعلمانه فقيل لاحدهما فقال بل هو يعلمنى وقيل هو سلمان الفارسي * واللسان اللغة * ويقال لحد القبر والحده وهو ملحد وملحود اذا امال حفره عن الاستقامة فحفر فى شق منه ثم استعير لكل امالة عن الاستقامة فقالوا الحد فلان فى قوله والحد فى دينه ومنه الملحد لانه امال مذهبه عن الاديان كلها لم يمله عن دين الى دين والمعنى لسان الرجل الذى يميلون قولهم عن الاستقامة اليه لسان

ولنجزينهم أجرهم باحسن ما كانوا يعملون فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون واذا بدلنا آية مكان آية والله أعلم بما ينزل قالوا انما أنت مفتر بل اكثرهم لا يعلمون قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه

(اعجمي) غير بين (وهذا) القرآن (لسان عربي مبين) ذو بيان وفصاحة رداً لقولهم وابطالاً لطعنهم * وقرئ يلحدون بفتح الياء والحاء وفي قراءة الحسن اللسان الذي يلحدون اليه بتعريف اللسان (فان قلت) الجملة التي هي قوله لسان الذي يلحدون اليه اعجمي ما محلها (قلت) لا محل لها لانها مستأنفة جواب لقولهم ومثله قوله الله أعلم حيث يجعل رسالته بعد قوله واذا جاءتهم آية قالوا لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما اوتي رسل الله (ان الذين لا يؤمنون بآيات الله) اي يعلم الله منهم انهم لا يؤمنون (لا يهديهم الله) لا يلطف بهم لانهم من اهل الخذلان في الدنيا والعذاب في الآخرة لا من اهل اللطف والثواب (انما يفتري الكذب) رد لقولهم انما أنت مفتر يعني انما يليق افتراء الكذب بمن لا يؤمن لانه لا يترقب عقاباً عليه (واولئك) اشارة الى قريش (هم الكاذبون) أي اي هم الذين لا يؤمنون فهم الكاذبون او الى الذين لا يؤمنون اي أولئك هم الكاذبون على الحقيقة الكاملون في الكذب لان تكذيب آيات الله اعظم الكذب او اولئك هم الذين عادتهم الكذب لا يبالون به في كل شيء لا تحجبهم عنه مروءة ولا دين او اولئك هم الكاذبون في قولهم انما انت مفتر (من كفر) بدل من الذين لا يؤمنون بآيات الله على ان يجعل واولئك هم الكاذبون اعتراضاً بين البدل والمبدل منه والمعنى انما يفتري الكذب من كفر بالله من بعد ايمانه * واستثنى منهم المكره فلم يدخل تحت حكم الافتراء ثم قال (ولكن من شرح بالكفر صدراً) اي طاب به نفساً واعتقده (فعليهم غضب من الله) ويجوز ان يكون بدلاً من المبتدا الذي هو اولئك على ومن كفر بالله من بعد ايمانه هم الكاذبون او من الخبر الذي هو الكاذبون على واولئك هم من كفر بالله من بعد ايمانه ويجوز ان ينتصب على الذم وقد جوزوا ان يكون من كفر بالله شرطاً مبتدأ ويحذف جوابه لان جواب من شرح دال عليه كأنه قيل من كفر بالله فعليهم غضب الا من أكره ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب روي ان ناساً من اهل مكة فتنوا فارتدوا عن الاسلام بعد دخولهم فيه وكان فيهم من اكره فاجرى كلمة الكفر على لسانه وهو معتقد للايمان منهم عمار وابواه ياسر وسمية وصهيب وبلال وخباب وسالم عذبوا فاما سمية فقد ربطت بين بعيرين ووجئ في قبلها بحربة وقالوا انك اسلمت من اجل الرجال فقتلت وقتل ياسر وهما اول قتيلين في الاسلام واما عمار فقد اعطاهم ما ارادوا بلسانه مكرهاً فقيل يا رسول الله ان عماراً كفر فقال كلا ان عماراً ملئ ايماناً من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه فاتى عمار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يبكي فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يمسح عينيه وقال ما لك ان عادوا لك فعد لهم بما قلت ومنهم جبر مولى الحضرمي اكرهه سيده فكفر ثم اسلم مولاه واسلم وحسن اسلامهما وهاجرا (فان قلت) اي الامرين افضل افعل عمار أم فعل أبويه (قلت) بل فعل ابويه لان في ترك التقية والصبر على القتل اعزازاً للاسلام وقد روي ان مسيلمة اخذ رجلين فقال لاحدهما ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال أنت ايضاً فخلاه وقال للآخر ما تقول في محمد قال رسول الله قال فما تقول في قال انا أصم فاعاد عليه ثلاثاً فاعاد جوابه فقتله فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اما الاول فقد اخذ برخصة الله واما الثاني فقد صدع بالحق فهنيئاً له (ذلك) اشارة الى الوعيد وان الغضب والعذاب يلحقانهم بسبب استحبابهم الدنيا على الآخرة واستحقاقهم خذلان الله بكفرهم (واولئك هم الغافلون) الكاملون في الغفلة الذين لا احد اغفل منهم لان الغفلة عن تدبر العواقب هي غاية الغفلة ومنتهاها (ثم ان ربك) دلالة على تباعد حال هؤلاء من حال اولئك وهم عمار واصحابه ومعنى ان ربك لهم انه لهم لا عليهم بمعنى انه وليهم وناصرهم لا عدوهم وخاذلهم كما يكون الملك للرجل لا عليه فيكون محمياً منفوعاً غير مضرور (من بعد ما فتنوا) بالعذاب والاكراه على الكفر وقرئ فتنوا على البناء للفاعل اي بعد ما عذبوا المؤمنين كالحضرمي واشباهه (من بعدها) من بعد هذه الافعال وهي الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتي) منصوب برحيم او باضمار اذكر * (فان قلت) ما معنى النفس المضافة الى النفس (قلت) يقال لعين الشيء وذاته نفسه وفي نقيضه غيره والنفس الجملة كما هي فالنفس الاولى هي الجملة والثانية عينها وذاتها فكأنه قيل يوم يأتي كل انسان يجادل عن ذاته لا يهمه شأن غيره كل يقول نفسي نفسي ومعنى المجادلة عنها

أعجمي وهذا لسان عربي مبين ان الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب اليم انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله واولئك هم الكاذبون من كفر بالله من بعد ايمانه الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ذلك بانهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وأن الله لا يهدي القوم الكافرين أولئك الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وابصارهم واولئك هم الغافلون لا جرم انهم في الآخرة هم الخاسرون ثم ان ربك للذين هاجروا من بعد ما فتنوا ثم جاهدوا وصبروا ان ربك من بعدها لغفور رحيم يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون

وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون ولقد جاءهم رسول منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله ان كنتم اياه تعبدون انما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فان الله غفور رحيم ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام

الاعتذار عنها كقوله هؤلاء اضلونا ما كنا مشركين ونحو ذلك (وضرب الله مثلا قرية) اى جعل القرية التي هذه حالها مثلا لكل قوم انعم الله عليهم فابطرتهم النعمة فكفروا وتولوا فانزل الله بهم نقمته فيجوز ان تراد قرية مقدرة على هذه الصفة وان تكون فى قرى الاولين قرية كانت هذه حالها فضربها الله مثلا لمكة انذارا من مثل عاقبتها (مطمئنة) لا يزعجها خوف لان الطمانينة مع الامن والانزعاج والقلق مع الخوف (رغدا) واسعا * والانعم جمع نعمة على ترك الاعتداد بالتاء كدرع وادرع او جمع نعم كبؤس وأبؤس وفى الحديث نادى منادى النبي صلى الله عليه وسلم بالموسم بمنى انها ايام طعم ونعم فلا تصوموا * (فان قلت) الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحتهما والاذاقة المستعارة موقعة على اللباس المستعار فما وجه صحة ايقاعها عليه (قلت) اما الاذاقة فقد جرت عندهم مجرى الحقيقة لشيوعها فى البلايا والشدائد وما يمس الناس منها فيقولون ذاق فلان البؤس والضر واذاقه العذاب شبه ما يدرك من اثر الضرر والألم بما يدرك من طعم المر والبشع واما اللباس فقد شبه به لاشتماله على اللابس ما غشي الانسان والتبس به من بعض الحوادث واما ايقاع الاذاقة على لباس الجوع والخوف فلانه لما وقع عبارة عما يغشي منهما ويلابس فكأنه قيل فأذاقهم ما غشيهم من الجوع والخوف ولهم فى نحو هذا طريقان لا بد من الاحاطة بهما فان الاستنكار لا يقع الا لمن فقدهما احدهما ان ينظروا فيه الى المستعار له كما نظر اليه ههنا ونحوه قول كثير

غمر الرداء اذا تبسم ضاحكا * غلقت لضحكته رقاب المال

استعار الرداء للمعروف لانه يصون عرض صاحبه صون الرداء لما يلقي عليه ووصفه بالغمر الذى هو وصف المعروف والنوال لا صفة الرداء نظرا الى المستعار له والثاني ان ينظروا فيه الى المستعار كقوله

ينازعني ردائي عبد عمرو * رويدك يا أخا عمرو بن بكر
لى الشطر الذى ملكت يمينى * ودونك فاعتجر منه بشطر

اراد بردائه سيفه ثم قال فاعتجر منه بشطر فنظر الى المستعار فى لفظ الاعتجار ولو نظر اليه فيما نحن فيه لقيل فكساهم لباس الجوع والخوف ولقال كثير ضافي الرداء اذا تبسم ضاحكا (وهم ظالمون) فى حال التباسهم بالظلم كقوله الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي انفسهم نعوذ بالله من مفاجاة النقمة والموت على الغفلة * وقرئ والخوف عطفا على اللباس او على تقدير حذف المضاف واقامة المضاف اليه مقامه أصله ولباس الخوف وقرئ لباس الخوف والجوع * لما وعظهم بما ذكر من حال القرية وما اتيت به من كفرها وسوء صنيعها وصل بذلك بالفاء فى قوله (فكلوا) صدهم عن افعال الجاهلية ومذاهبهم الفاسدة التى كانوا عليها بان امرهم بأكل ما رزقهم الله من الحلال الطيب وشكر انعامه بذلك وقال (ان كنتم اياه تعبدون) يعنى تطيعون او ان صح زعمكم انكم تعبدون الله بعبادة الآلهة لانها شفعاؤكم عنده ثم عدد عليهم محرمات الله ونهاهم عن تحريمهم وتحليلهم بأهوائهم وجهالاتهم دون اتباع ما شرع الله على لسان أنبيائه * وانتصاب (الكذب) بلا تقولوا على ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم من البهائم بالحل والحرمة فى قولكم ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على ازواجنا من غير استناد ذلك الوصف الى وحي من الله او الى قياس مستند اليه * واللام مثلها فى قولك ولا تقولوا لما احل الله هو حرام وقوله (هذا حلال وهذا حرام) بدل من الكذب ويجوز ان يتعلق بتصف على ارادة القول اى ولا تقولوا الكذب لما تصفه ألسنتكم فتقول هذا حلال وهذا حرام ولك ان تنصب الكذب بتصف وتجعل ما مصدرية وتعلق هذا حلال وهذا حرام بلا تقولوا على ولا تقولوا هذا حلال وهذا حرام لوصف ألسنتكم الكذب اى لا تحرموا ولا تحللوا لاجل قول تنطق به ألسنتكم ويجول فى افواهكم

* قوله عز وجل فأذاقها الله لباس الجوع والخوف (قال ان قلت الاذاقة واللباس استعارتان فما وجه صحة ايقاع الاذاقة على اللباس الخ) قال احمد وهذا الفصل من كلامه يستحق على علماء البيان ان يكتبوه بذوب التبر لا بالحبر وقد نظر اليهما جميعا في قوله تعالى اولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين فاستعير الشراء لاختيارهم الضلالة على الهدى وقد كانوا متمكنين من اختياره عليها ثم جاء ملاحظا للشراء المستعار قوله فما ربحت تجارتهم فاستعمل التجارة والربح ليناسب ذلك لاستعارة الشراء ثم جاء ملاحظا للحقيقة الاصلية المستعار لها قوله وما كانوا مهتدين فانه مجرد عن الاستعارة اذ لو قيل اولئك الذين ضلوا وما كانوا مهتدين لكان الكلام حقيقة معرى عن ثوب الاستعارة والنظر الى المستعار في بابه كترشيح المجاز فى بابه ومنه

اذا الشيطان قصع فى قفاها * تنفقناه بالحبل التؤام

فجعل الشيطان فى قفاها قاصعاثم نافقا ثم جعله مستخرجا بالحبل المحكم المثنى كما يستخرج الحيوان من جحره والشوط فى هذا الفن البديع فطين والله الموفق

* وله عز وجل ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا الى قوله ثم اوحينا اليك (قال فى قوله أمة وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم الخ) قال احمد و يقوى هذا الثانى قوله تعالى ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا اى كان امة تؤمه الناس ليقتبسوا منه الخيرات و يقتفوا آثاره المباركات ٥٣٨ حتى انت على جلالة قدرك قد اوحينا اليك ان اتبع ملته و وافق سيرته والله اعلم * عاد كلامه

(قال وفى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة محمد صلى الله عليه وسلم الخ)

قال احمد وانما تفيد ذلك ثم لانها فى اصل وضعها لتراخى المعطوف عليه فى الزمان ثم استعملت فى تراخيه عنه فى علو المرتبة بحيث يكون المعطوف اعلى رتبة واشمخ محلا مما عطف عليه فكان بعد ان عدد مناقب الخليل عليه السلام قال تعالى وههنا ما هو اعلى من ذلك كله قدرا وأرفع رتبة وأبعد وغير رفعة وهو ان النبى الامى الذى هو سيد البشر متبع لملة ابراهيم مامور باتباعه بالوحى متلوا امره بذلك فى القرآن العظيم ففى ذلك تعظيم لهما جميعا لكن نصيب النبى صلى الله عليه وسلم من هذا التعظيم اوفر وأكبر مما مهد ناه والله الموفق للصواب

لا لا جل حجة و بينة ولكن قول ساذج ودعوى فارغة (فان قلت) ما معنى وصف السنتهم الكذب (قلت) هو من فصيح الكلام و بليغه جعل قولهم كانه عين الكذب ومحضه فاذا نطقت به السنتهم فقد حلت الكذب بحليته وصورته بصورته كقولهم وجهها يصف الجمال وعينها تصف السحر وقرئ الكذب بالجر صفة لما المصدرية كانه قيل لوصفها الكذب بمعنى الكاذب كقوله تعالى بدم كذب والمراد بالوصف وصفها البهائم بالحل والحرمة وقرئ الكذب جمع كذوب بالرفع صفة للالسنة و بالنصب على الشتم او بمعنى الكلم الكواذب او هو جمع الكذاب من قولك كذب كذابا ذكره ابن جنى * واللام فى (لتفتروا) من التعليل الذى لا يتضمن معنى الغرض (متاع قليل) خبر مبتدأ محذوف اى منفعتهم فيما هم عليه من افعال الجاهلية منفعة قليلة وعقابها عظيم (ما قصصنا عليك) يعنى فى سورة الانعام (بجهالة) فى موضع الحال اى عملوا السوء جاهلين غير عارفين بالله و بعقابه اوغير متدبرين للعاقبة لغلبة الشهوة عليهم (من بعدها) من بعد التوبة (كان أمة) فيه وجهان احدهما انه كان وحده امة من الامم لكماله فى جميع صفات الخير كقوله

وليس لله بمستنكر * ان يجمع العالم فى واحد

وعن مجاهد كان مؤمنا وحده والناس كلهم كفار والثانى ان يكون امة بمعنى ماموم اى يؤمه الناس لياخذوا منه الخير او بمعنى مؤتم به كالرحلة والنخبة وما أشبه ذلك مما جاء من فعلة بمعنى مفعول فيكون مثل قوله قال انى جاعلك للناس اماما وروى الشعبى عن فروة بن نوفل الاشجعى عن ابن مسعود انه قال ان معاذا كان امة قانتا لله فقلت غلطت انما هو ابراهيم فقال الامة الذى يعلم الخير والقانت المطيع لله و رسوله وكان معاذ كذلك وعن عمر رضى الله عنه انه قال حين قيل له الا تستخلف لوكان ابو عبيدة حيا لاستخلفته ولو كان معاذ حيا لاستخلفته ولو كان سالم حيا لاستخلفته فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابو عبيدة امين هذه الامة ومعاذ امة قانت لله ليس بينه و بين الله يوم القيامة الا المرسلون وسالم شديد الحب لله لو كان لا يخاف الله لم يعصه وهو ذلك المعنى اى كان اماما فى الدين لان الائمة معلمو الخير * والقانت القائم بما امره الله * والحنيف المائل الى ملة الاسلام غير الزائل عنه * ونفى عنه الشرك تكذيبا لكفار قريش فى زعمهم انهم على ملة ابيهم ابراهيم (شاكرا لانعمه) روى انه كان لا يتغدى الا مع ضيف فلم يجد ذات يوم ضيفا فاخر غداءه فاذا هو بفوج من الملائكة فى صورة البشر فدعاهم الى الطعام فخيلوا له ان بهم جذاما فقال الآن وجبت مواكلتكم شكرا لله على انه عافانى وابتلاكم (اجتباه) اختصه واصطفاه للنبوة (وهداه الى صراط مستقيم) الى ملة الاسلام (حسنة) عن قتادة هى تنويه الله بذكره حتى ليس من اهل دين الا وهم يتولونه وقيل الاموال والاولاد وقيل قول المصلى منا كما صليت على ابراهيم (لمن الصالحين) لمن اهل الجنة (ثم اوحينا اليك) فى ثم هذه ما فيها من تعظيم منزلة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجلال محله والايذان بان اشرف ما اوتى خليل الله ابراهيم من الكرامة واجل ما اولى من النعمة اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ملته من قبل انها دلت على تباعد هذا النعت فى المرتبة من بين سائر النعوت التى اثنى الله عليه بها (السبت) مصدر سبتت اليهود اذا عظمت سبتها والمعنى انما جعل وبال السبت وهو المسخ (على الذين اختلفوا فيه) واختلافهم فيه انهم احلوا الصيد فيه تارة وحرموه تارة وكان الواجب عليهم ان يتفقوا فى تحريمه على كلمة واحدة بعد ما حتم الله عليهم الصبر عن الصيد فيه وتعظيمه والمعنى فى ذكر ذلك نحو المعنى فى ضرب القرية التى كفرت بانعم الله مثلا

افتروا على الله الكذب ان الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون متاع قليل ولهم عذاب أليم وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل وما ظلمناهم ولكن كانوا انفسهم يظلمون ثم ان ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك واصلحوا ان ربك من بعدها لغفور رحيم ان ابراهيم كان امة قانتا لله حنيفا ولم يكن من المشركين شاكرا لانعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه فى الدنيا حسنة وانه فى الآخرة لمن الصالحين ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين انما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وان ربك ليحكم

وغيرماذكروهوالانذارمن سخط الله على العصاة والمخ امين باوامره والخالمين ربقة طاعته * (فان قلت) مامعنى الحكم بينهم اذا كانوا جميعا محلين اومحرمين (قلت) معناه انه يجازيهم جزاء اختلاف فعلهم فى كونهم محلين تارة ومحرمين اخرى ووجه آخروهوان موسي عليه السلام امرهم ان يجعلوافى الاسبوع يوما للعبادة وان يكون يوم الجمعة فابواعليه وقالوا نريداليوم الذى فرغ الله فيه من خلق السموات والارض وهو السبت الاشرذمة منهم قدرضوا بالجمعة فهذا اختلافهم فى السبت لان بعضهم اختاره وبعضهم اختار عليه الجمعة فاذن الله لهم فى السبت وابتلاهم بتحريم الصيد فيه فاطاع امر الله الراضون بالجمعة فكانوا لا يصيدون فيه واعقابهم لم يصبروا عن الصيد فمسخهم الله دون اولئك وهو يحكم (بينهم يوم القيامة) فيجازى كل واحد من الفريقين بما يستوجبه * ومعنى جعل السبت فرض عليهم تعظيمه وترك الاصطياد فيه وقرئ انما جعل السبت على البناء للفاعل وقرأ عبد الله انا انزلنا السبت (الى سبيل ربك) الى الاسلام (بالحكمة) بالمقالة المحكمة الصحيحة وهي الدليل الموضح للحق المزيل للشبهة (والموعظة الحسنة) وهى التى لا يخفى عليهم انك تناصحهم بها وتقصد ما ينفعهم فيها ويجوزان يريد القرآن اى ادعهم بالكتاب الذى هو حكمة وموعظة حسنة (وجادلهم بالتى هي احسن) بالطريقة التي هي احسن طرق المجادلة من الرفق واللين من غير فظاظة ولا تعنيف (ان ربك هو اعلم) بهم فمن كان فيه خير كفاه الوعظ القليل والنصيحة اليسيرة ومن لا خير فيه عجزت عنه الحيل وكانك تضرب منه فى حديد بارد * سمي الفعل الاول باسم الثاني للمزاوجة والمعنى ان صنع بكم صنيع سوء من قتل او نحوه فقابلوه بمثله ولا تزيدوا عليه * وقرئ وان عقبتم فعقبوا اى وان قفيتم بالانتصار فقفوا بمثل ما فعل بكم روى ان المشركين مثلوا بالمسلمين يوم احد بقروا بطونهم وقطعوا مذاكيرهم ماتركوا احدا غير ممثول به الا حنظلة بن الراهب فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم على حمزة وقد مثل به وروى فرآه مبقور البطن فقال اما والذى احلف به لئن أظفرنى الله بهم لامثلن بسبعين مكانك فنزلت فكفر عن يمينه وكف عما اراده ولا خلاف فى تحريم المثلة وقد وردت الاخبار بالنهي عنها حتى بالكلب العقور * اما ان يرجع الضمير فى (لهو) الى صبرهم وهو مصدر صبرتم ويراد بالصابرين المخاطبون اى ولئن صبرتم لصبركم خير لكم فوضع الصابرون موضع الضمير ثناء من الله عليهم بانهم صابرون على الشدائد أو وصفهم بالصفة التي تحصل لهم اذا صبروا عن المعاقبة واما ان يرجع الى جنس الصبر وقد دل عليه صبرتم ويراد بالصابرين جنسهم كانه قيل وللصبر خير للصابرين ونحوه قوله تعالى فمن عفا واصلح فاجره على الله وان تعفوا أقرب للتقوى ثم قال لرسوله صلى الله عليه وسلم (واصبر) انت فعزم عليه بالصبر (وماصبرك الا بالله) اى بتوفيقه وتثبيته وربطه على قلبك (ولا تحزن عليهم) اى على الكافرين كقوله فلا تاس على القوم الكافرين او على المؤمنين وما فعل بهم الكافرون (ولا تك فى ضيق) وقرئ ولا تكن فى ضيق اى ولا يضيقن صدرك من مكرهم والضيق تخفيف الضيق اى فى امر ضيق ويجوزان يكون الضيق والضيق مصدرين كالقيل والقول (ان الله مع الذين اتقوا) اى هو ولى الذين اجتنبوا المعاصي (و) ولى (الذين هم محسنون) في اعمالهم وعن هرم بن حيان انه قيل له حين احتضر اوص فقال انما الوصية من المال ولا مال لى واوصيكم بخواتم سورة النحل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة النحل لم يحاسبه الله بما انعم عليه فى دار الدنيا وان مات فى يوم تلاها او ليلته كان له من الاجر كالذى مات واحسن الوصية

(سورة الاسراء مكية وهي مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(سبحان) علم للتسبيح كعثمان للرجل وانتصابه بفعل مضمر متروك اظهاره تقديره اسبح الله سبحان ثم نزل سبحان منزلة الفعل فسد مسده ودل على التنزيه البليغ من جميع القبائح التى يضيفها اليه اعداء الله

بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى احسن ان ربك هو اعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين واصبر وماصبرك الا بالله ولا تحزن عليهم ولا تك فى ضيق مما يمكرون ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون

(سورة الاسراء مكية وهي مائة وعشر آيات)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سبحان الذى اسرى

(القول في سورة الاسرا) (بسم الله الرحمن الرحيم) سبحان الذي اسرى بعبده من المسجد الحرام الى المسجد الحرام الاقصى (قال ان قلت الاسراء لا يكون الا بالليل ٥٤٠ فما معنى ذكر الليل الخ) قال احمد وقد قرن الاسراء بالليل في موضع لا يليق الجواب عنه بهذا كقوله فاسر باهلك بقطع من الليل وكقوله تعالى فاسر بعبادي ليلا فالظاهر والله اعلم ان الغرض من ذكر الليل وان كان الاسراء يفيده تصوير السير بصورته في ذهن السامع وكان الاسراء لما دل على امرين احدهما السير والآخر كونه ليلا اريد افراد احدهما بالذكر تثبيتا في نفس المخاطب وتنبيها على انه مقصود بالذكر ونظيره في افراد احد ما دل عليه اللفظ المتقدم مضموما لغيره قوله تعالى وقال الله لا تتخذوا الهين اثنين انما هو اله واحد فالاسم الحامل للتثنية دال عليها وعلى الجنسية وكذلك المفرد فاريد التثنية لان احد المعنيين وهو التثنية مراد مقصود وكذلك اريد الايقاظ لان الوحدانية هي المقصودة في قوله انما هو اله واحد ولو اقتصر على قوله انما هو اله لاوهم ان المهم اثبات الالهية له والغرض من الكلام ليس الا الاثبات للوحدانية والله اعلم

بعبده ليلا من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا انه هو السميع البصير وآتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل الا تتخذوا من دوني وكيلا ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا

و(اسرى) وسرى لغتان و(ليلا) نصب على الظرف (فان قلت) الاسراء لا يكون الا بالليل فما معنى ذكر الليل (قلت) اراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الاسراء وانه اسرى به في بعض الليل من مكة الى الشام مسيرة اربعين ليلة وذلك ان التنكير فيه قد دل على معنى البعضية ويشهد لذلك قراءة عبد الله وحذيفة من الليل اى بعض الليل كقوله ومن الليل فتهجد به نافلة يعني الامر بالقيام في بعض الليل واختلف في المكان الذي اسرى منه فقيل هو المسجد الحرام بعينه وهو الظاهر وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم بينا انا في المسجد الحرام في الحجر عند البيت بين النائم واليقظان اذ اتاني جبريل عليه السلام بالبراق وقيل اسرى به من دار ام هانئ بنت ابي طالب * والمراد بالمسجد الحرام الحرم لاحاطته بالمسجد والتباسه به وعن ابن عباس الحرم كله مسجد وروى انه كان نائما في بيت ام هانئ بعد صلاة العشاء فاسرى به ورجع من ليلته وقص القصة على ام هانئ وقال مثل لي النبيون فصليت بهم وقام ليخرج الى المسجد فتشبثت ام هانئ بثوبه فقال مالك قالت اخشى ان يكذبك قومك ان اخبرتهم قال وان كذبوني فخرج فجلس اليه ابو جهل فاخبره رسول الله صلى الله عليه وسلم بحديث الاسراء فقال ابو جهل يا معشر بني كعب بن لؤى هلم فحدثهم فمن بين مصفق وواضع يده على رأسه تعجبا وانكارا وارتد ناس ممن كان آمن به وسعى رجال الى ابي بكر رضي الله عنه فقال ان كان قال ذلك لقد صدق قالوا أتصدقه على ذلك قال انى لاصدقه على ابعد من ذلك فسمي الصديق وفيهم من سافر الى ثم فاستنعتوه المسجد فجلى له بيت المقدس فطفق ينظر اليه وينعته لهم فقالوا اما النعت فقد اصاب فقالوا اخبرنا عن عيرنا فاخبرهم بعدد جمالها واحوالها وقال تقدم يوم كذا مع طلوع الشمس يقدمها جمل اورق فخرجوا يشتدون ذلك اليوم نحو الثنية فقال قائل منهم هذه والله الشمس قد شرقت فقال آخر وهذه والله العير قد اقبلت يقدمها جمل اورق كما قال محمد ثم لم يؤمنوا وقالوا ما هذا الا سحر مبين وقد عرج به الى السماء في تلك الليلة وكان العروج به من بيت المقدس واخبر قريشا ايضا بما رأى في السماء من العجائب وانه لقي الانبياء وبلغ البيت المعمور وسدرة المنتهى واختلفوا في وقت الاسراء فقيل كان قبل الهجرة بسنة وعن انس والحسن انه كان قبل البعث واختلف في انه كان في اليقظة ام في المنام فعن عائشة رضي الله عنها انها قالت والله ما فقد جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن عرج بروحه وعن معاوية انما عرج بروحه وعن الحسن كان في المنام رؤيا رآها واكثر الاقاويل بخلاف ذلك * والمسجد الاقصى بيت المقدس لانه لم يكن حينئذ وراءه مسجد (باركنا حوله) يريد بركات الدين والدنيا لانه متعبد الانبياء من وقت موسى ومهبط الوحي وهو محفوف بالانهار الجارية والاشجار المثمرة * وقرأ الحسن ليريه بالياء ولقد تصرف الكلام على لفظ الغائب والمتكلم فقيل اسرى ثم باركنا ثم ليريه على قراءة الحسن ثم من آياتنا ثم انه هو وهي طريقة الالتفات التي هي من طرق البلاغة (انه هو السميع) لاقوال محمد (البصير) بافعاله العالم بتهذيبها وخلوصها فيكرمه ويقربه على حسب ذلك (الا تتخذوا) قرئ بالياء على لئلا يتخذوا وبالتاء على اى لا تتخذوا كقولك كتبت اليه ان افعل كذا (وكيلا) ربا تكلون اليه اموركم (ذرية من حملنا) نصب على الاختصاص وقيل على النداء فيمن قرأ الا تتخذوا بالتاء على النهي يعني قلنا لهم لا تتخذوا من دوني وكيلا يا ذرية من حملنا (مع نوح) وقد يجعل وكيلا ذرية من حملنا مفعولي تتخذوا اى لا تجعلوهم اربابا كقوله ولا يأمركم ان تتخذوا الملائكة والنبيين اربابا ومن ذرية المحمولين مع نوح عيسى وعزير عليهم السلام وقرئ ذرية من حملنا بالرفع بدلا من واو تتخذوا وقرأ زيد بن ثابت ذرية بكسر الذال وروى عنه انه قد فسرها بولد الولد ذكرهم الله النعمة في انجاء آبائهم من الغرق (انه) ان نوحا (كان عبدا شكورا) قيل كان اذا أكل قال الحمد لله الذي اطعمني ولو شاء اجاعني واذا شرب قال الحمد لله الذي سقاني ولو شاء اظمأني واذا اكتسى قال الحمد لله الذي كساني ولو شاء اعراني واذا احتذى قال الحمد لله

لله الذي حذاني ولو شاء احفاني واذا قضي حاجته قال الحمد لله الذي اخرج عني أذاه في عافية ولو شاء حبسه وروي انه كان اذا أراد الافطار عرض طعامه على من آمن به فان وجده محتاجا آثره به (فان قلت) قوله انه كان عبدا شكورا ما وجه ملاءمته لما قبله (قلت) كانه قيل لا تتخذوا من دوني وكيلا ولا تشركوا بي لان نوحا عليه السلام كان عبدا شكورا وانتم ذرية من آمن به وحمل معه فاجعلوه اسوتكم كما جعله آباؤكم اسوتهم ويجوز ان يكون تعليلا لاختصاصهم والثناء عليهم بانهم اولاد المحمولين مع نوح فهم متصلون به فاستاهلوا لذلك الاختصاص ويجوز ان يقال ذلك عند ذكره على سبيل الاستطراد (وقضينا الى بني اسرائيل) واوحينا اليهم وحيا مقضيا اي مقطوعا مبتوتا بانهم يفسدون في الارض لا محالة ويعلون اي يتعظمون ويبغون (في الكتاب) في التوراة و (لتفسدن) جواب قسم محذوف ويجوز ان يجري القضاء المبتوت مجرى القسم فيكون لتفسدن جوابا له كانه قال واقسمنا لتفسدن وقرئ لتفسدن على البناء للمفعول ولتفسدن بفتح التاء من فسد (مرتين) اولاهما قتل زكريا وحبس أرميا حين انذرهم سخط الله والآخرة قتل يحيي بن زكريا وقصد قتل عيسى بن مريم (عبادا لنا) وقرئ عبيدا لنا واكثر ما يقال عباد الله وعبيد الناس سنحاريب وجنوده وقيل بختنصر وعن ابن عباس جالوت قتلوا علماءهم واحرقوا التوراة وخربوا المسجد وسبوا منهم سبعين الفا (فان قلت) كيف جاز ان يبعث الله الكفرة على ذلك ويسلطهم عليه (قلت) معناه خلينا بينهم وبين ما فعلوا ولم نمنعهم على ان الله عز وعلا أسند بعث الكفرة عليهم الى نفسه فهو كقوله تعالى وكذلك نولي بعض الظالمين بعضا بما كانوا يكسبون وكقول الداعي وخالف بين كلمهم واسند الجوس وهو التردد خلال الديار بالفساد اليهم فتخريب المسجد واحراق التوراة من جملة الجوس المسند اليهم * وقرأ طلحة فحاسوا بالحاء وقرئ فجوسوا وخلل الديار (فان قلت) ما معنى (وعد اولاهما) (قلت) معناه وعد عقاب اولاهما (وكان وعدا مفعولا) يعني وكان وعد العقاب وعدا لا بد ان يفعل (ثم رددنا لكم الكرة) اي الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم حين تبتم ورجعتم عن الفساد والعلو وقيل هي قتل بختنصر واستنقاذ بني اسرائيل اسراهم واموالهم ورجوع الملك اليهم وقيل هي قتل داود جالوت (اكثر نفيرا) مما كنتم والنفير من ينفر مع الرجل من قومه وقيل جمع نفر كالعبيد والمعيز * اي الاحسان والاساءة كلاهما مختص بانفسكم لا يتعدى النفع والضرر الى غيركم وعن علي رضي الله عنه ما احسنت الى احد ولا اسات اليه وتلاها (فاذا جاء وعد) المرة (الآخرة) بعثناهم (ليسوؤا وجوهكم) حذف لدلالة ذكره اولا عليه ومعنى ليسوؤا وجوهكم ليجعلوها بادية آثار المساءة والكآبة فيها كقوله سيئت وجوه الذين كفروا وقرئ ليسوء والضمير لله تعالى او للوعد او للبعث ولنسوء بالنون وفي قراءة علي لنسوأن وليسوأن وقرئ لنسوأن بالنون الخفيفة * واللام في (ليدخلوا) على هذا متعلق بمحذوف وهو وبعثناهم ليدخلوا ولنسوأن جواب اذا جاء (ما علوا) مفعول ليتبروا اي ليهلكوا كل شيء غلبوه واستولوا عليه او بمعنى مدة علوهم (عسى ربكم ان يرحمكم) بعد المرة الثانية ان تبتم توبة اخرى وانزجرتم عن المعاصي (وان عدتم) مرة ثالثة (عدنا) الى عقوبتكم وقد عادوا فاعاد الله اليهم النقمة بتسليط الاكاسرة وضرب الاتاوة عليهم وعن الحسن عادوا فبعث الله محمدا فهم يعطون الجزية عن يد وهم صاغرون وعن قتادة ثم كان آخر ذلك ان بعث الله عليهم هذا الحي من العرب فهم منهم في عذاب الى يوم القيامة (حصيرا) محبسا يقال للسجن محصر وحصير وعن الحسن بساطا كما يبسط الحصير المرمول (للتي هي اقوم) للحالة التي هي اقوم الحالات واسدها او للملة او للطريقة واينما قدرت لم تجد مع الاثبات ذوق البلاغة الذي تجده مع الحذف لما في ابهام الموصوف بحذفه من فخامة تفقد مع ايضاحه * وقرئ ويبشر بالتخفيف * (فان قلت) كيف ذكر المؤمنين الابرار والكفار ولم يذكر الفسقة (قلت) كان الناس حينئذ اما مؤمن تقي واما مشرك وانما حدث اصحاب المنزلة بين المنزلتين بعد ذلك (فان قلت) علام عطف (وان الذين لا يؤمنون) (قلت) على ان لهم اجرا كبيرا على معنى انه بشر المؤمنين ببشارتين اثنتين بثوابهم وبعقاب اعدائهم ويجوز ان يراد ويخبر بان الذين لا يؤمنون معذبون * اي ويدعو الله عند غضبه بالشر على نفسه واهله وماله كما يدعوه لهم بالخير كقوله ولو يعجل الله

وقضينا الى بني اسرائيل في الكتاب لتفسدن في الارض مرتين ولتعلن علوا كبيرا فاذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار وكان وعدا مفعولا ثم رددنا لكم الكرة عليهم وامددناكم باموال وبنين وجعلناكم اكثر نفيرا ان احسنتم احسنتم لانفسكم وان اساتم فلها فاذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه اول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا عسى ربكم ان يرحمكم وان عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا ان هذا القرآن يهدي للتي هي اقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا كبيرا وان الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم عذابا اليما ويدع الانسان بالشر دعاءه بالخير

---

* قوله تعالى بعثنا عليكم عبادا لنا اولي باس شديد فجاسوا خلال الديار (قال ان قلت كيف جاز ان يبعث الله الكفرة الخ) قال احمد هذا السؤال انما يتوجه على قدري يوجب على الله تعالى بزعمه

رعاية مايتوهمه بعقله مصلحة واما السني اذا سئل هذا السؤال أجاب عنه بقوله لا يسئل عما يفعل والله الموفق * قوله تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا (قال فيه معناه وماصح مناصحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما حتى نلزمهم الحجة ببعث الرسول الخ)

للناس الشر استعجالهم بالخير (وكان الانسان عجولا) يتسرع الى طلب كل مايقع فى قلبه ويخطر بباله لا يتانى فيه تانى المتبصر وعن النبى صلى الله عليه وسلم انه دفع الى سودة بنت زمعة اسيرا فاقبل يئن بالليل فقالت له مالك تئن فشكا ألم القد فارخت من كتافه فلما نامت اخرج يده وهرب فلما اصبح النبى صلى الله عليه وسلم دعا به فاعلم بشانه فقال صلى الله عليه وسلم اللهم اقطع يديها فرفعت سودة يديها تتوقع الاجابة وان يقطع الله يديها فقال النبى صلى الله عليه وسلم انى سألت الله ان يجعل لعنتى ودعائى على من لا يستحق من اهلى رحمة لانى بشر أغضب كما يغضب البشر فلترد سودة يديها ويجوز ان يريد بالانسان الكافر وانه يدعو بالعذاب استهزاء ويستعجل به كما يدعو بالخير اذا مسته الشدة وكان الانسان عجولا يعنى ان العذاب آتيه لا محالة فما هذا الاستعجال وعن ابن عباس رضى الله عنهما هو النضر بن الحرث قال اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك الآية فاجيب له فضربت عنقه صبرا * فيه وجهان احدهما ان يراد ان الليل والنهار آيتان فى انفسهما فتكون الاضافة فى آية الليل وآية النهار للتبيين كاضافة العدد الى المعدود اى فمحونا الآية التى هى الليل وجعلنا الآية التى هى النهار مبصرة والثانى ان يراد وجعلنا نيرى الليل والنهار آيتين يريد الشمس والقمر فمحونا آية الليل اى جعلنا الليل ممحو الضوء مطموسه مظلما لا يستبان فيه شىء كما لا يستبان مافى اللوح الممحو وجعلنا النهار مبصرا اى تبصر فيه الاشياء وتستبان او فمحونا آية الليل التى هى القمر حيث لم يخلق لها شعاعا كشعاع الشمس فترى به الاشياء رؤية بينة وجعلنا الشمس ذات شعاع يبصر فى ضوئها كل شىء (لتبتغوا فضلا من ربكم) لتتوصلوا ببياض النهار الى استبانة اعمالكم والتصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الجديدين (عدد السنين و) جنس (الحساب) وماتحتاجون اليه منه ولولا ذلك لما علم أحد حسبان الاوقات ولتعطلت الامور (وكل شىء) مما تفتقرون اليه فى دينكم ودنياكم (فصلناه) بيناه بيانا غير ملتبس فازحنا عللكم وماتركنا لكم حجة علينا (طائره) عمله وقد حققنا القول فيه فى سورة النمل وعن ابن عيينة هو من قولك طارله سهم اذا خرج يعنى الزمناه ماطار من عمله والمعنى ان عمله لازم له لزوم القلادة أو الغل لا يفك عنه ومنه مثل العرب تقلدها طوق الحمامة وقولهم الموت فى الرقاب وهذا ربقة فى رقبته وعن الحسن يا ابن آدم بسطت لك صحيفة اذا بعثت قلدتها فى عنقك * وقرئ فى عنقه بسكون النون * وقرئ نخرج بالنون ويخرج بالياء والضمير لله عز وجل ويخرج على البناء للمفعول ويخرج من خرج والضمير للطائر اى يخرج الطائر كتابا وانتصاب كتابا على الحال * وقرئ يلقاه بالتشديد مبنيا للمفعول و (يلقاه منشورا) صفتان للكتاب او يلقاه صفة ومنشورا حال من يلقاه (اقرأ) على ارادة القول وعن قتادة يقرأ ذلك اليوم من لم يكن فى الدنيا قارئا و (بنفسك) فاعل كفى و (حسيبا) تمييز وهو بمعنى حاسب كضريب القداح بمعنى ضاربها وصريم بمعنى صارم ذكرهما سيبويه * وعلى متعلق به من قولك حسب عليه كذا ويجوز ان يكون بمعنى الكافى وضع موضع الشهيد فعدى بعلى لان الشاهد يكفى المدعى ما اهمه (فان قلت) لم ذكر حسيبا (قلت) لانه بمنزلة الشهيد والقاضى والامير لان الغالب ان هذه الامور يتولاها الرجال فكانه قيل كفى بنفسك رجلا حسيبا ويجوز ان يتاول النفس بالشخص كما يقال ثلاثة انفس وكان الحسن اذا قرأها قال يا ابن آدم انصفك والله من جعلك حسيب نفسك * اى كل نفس حاملة وزرا فانما تحمل وزرها لا وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين) وماصح مناصحة تدعو اليها الحكمة ان نعذب قوما الا بعد ان (نبعث) اليهم (رسولا) فتلزمهم الحجة (فان قلت) الحجة لازمة لهم قبل بعثة الرسل لان معهم ادلة العقل التى بها يعرف الله وقد أغفلوا النظر وهم متمكنون منه واستيجابهم العذاب لاغفالهم النظر فيما معهم وكفرهم لذلك لا لاغفال الشرائع التى لا سبيل اليها الا بالتوقيف والعمل بها لا يصح الا بعد الايمان (قلت) بعثة الرسل من جملة التنبيه على النظر والايقاظ من رقدة الغفلة لئلا يقولوا كنا غافلين

وكان الانسان عجولا وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شىء فصلناه تفصيلا وكل انسان الزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا من اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وماكنا معذبين حتى نبعث رسولا

قال أحمد وهذا السؤال ايضا انما يتوجه على قدرى يزعم ان العقل يرشد الى وجوب النظر والى كثير من احكام الله تعالى وان لم يبعث رسول فيكلف بعقله ويرتب على ترك امتثال التكليف استيجاب العذاب اذ العقل كاف عندهم فى ايجاب المعرفة بل فى جميع الاحكام بناء على قاعدة التحسين والتقبيح العقليين واما السنى فلا يتوجه عليه هذا السؤال فان العقل عنده شرط فى وجوب عموم الاحكام ولا تكليف عنده قبل ورود الشرائع وبعث الانبياء وحينئذ يثبت الحكم وتقوم الحجة كما أنبات عنه هذه الآية التى يروم الزمخشرى تحريفها فتتقاعص عليه وتسد طرق الحيل بين يديه لانه الكتاب العزيز الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه نعم العقل عمدة فى حصول المعرفة لا فى وجوبها وبين الحصول والوجوب بون بعيد والله الموفق . فلولا

فلولا بعث الينا رسولا ينبهنا على النظر في ادلة العقل (واذا اردنا) واذا دنا وقت اهلاك قوم ولم يبق من زمان امهالهم الا قليل امرناهم (ففسقوا) اى امرناهم بالفسق ففعلوا والامر مجاز لان حقيقة امرهم بالفسق ان يقول لهم افسقوا وهذا لا يكون فبقي ان يكون مجازا ووجه المجاز انه صب عليهم النعمة صبا فجعلوها ذريعة الى المعاصي واتباع الشهوات فكانهم مامورون بذلك لتسبب ايلاء النعمة فيه وانما خولهم اياها ليشكروا ويعملوا فيها الخير ويتمكنوا من الاحسان والبر كما خلقهم أصحاء اقوياء واقدرهم على الخير والشر وطلب منهم ايثار الطاعة على المعصية فآثروا الفسوق فلما فسقوا حق عليهم القول وهو كلمة العذاب فدمرهم (فان قلت) هلا زعمت ان معناه امرناهم بالطاعة ففسقوا (قلت) لان حذف ما لا دليل عليه غير جائز فكيف يحذف ما الدليل قائم على نقيضه وذلك ان المامور به انما حذف لان فسقوا يدل عليه وهو كلام مستفيض يقال امرته فقام وامرته فقرأ لا يفهم منه الا ان المامور به قيام وقراءة ولو ذهبت تقدر غيره فقد رمت من مخاطبك علم الغيب ولا يلزم على هذا قولهم امرته فعصاني اوفلم يتمثل امري لان ذلك مناف للامر مناقض له ولا يكون ما يناقض الامر مامورا به فكان محالا ان يقصد اصلا حتى يجعل دالا على المامور به فكان المامور به في هذا الكلام غير مدلول عليه ولا منوي لان من يتكلم بهذا الكلام فانه لا ينوي لامره مامورا به وكانه يقول كان مني امر فلم تكن منه طاعة كما ان من يقول فلان يعطي ويمنع ويامر وينهي غير قاصد الى مفعول (فان قلت) هلا كان ثبوت العلم بان الله لا يامر بالفحشاء وانما يامر بالقصد والخير دليلا على ان المراد امرناهم بالخير ففسقوا (قلت) لا يصح ذلك لان قوله ففسقوا يدافعه فكانك اظهرت شيأ وانت تدعي اضمار خلافه فكان صرف الامر الى المجاز هو الوجه ونظير امر شاء في ان مفعوله استفاض فيه الحذف لدلالة ما بعده عليه تقول لو شاء لاحسن اليك ولو شاء لاساء اليك تريد لو شاء الاحسان ولو شاء الاساءة فلو ذهبت تضمر خلاف ما أظهرت وقلت قد دلت حال من اسندت اليه المشيئة انه من اهل الاحسان او من اهل الاساءة فاترك الظاهر المنطوق به واضمر مادلت عليه حال صاحب المشيئة لم تكن على سداد وقد فسر بعضهم امرنا بكثرنا وجعل امرته فامر من باب فعلته ففعل كثبرته فثبر وفي الحديث خير المال سكة مابورة ومهرة مامورة اى كثيرة النتاج وروى ان رجلا من المشركين قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم اني ارى امرك هذا حقيرا فقال صلى الله عليه وسلم انه سيامر اى سيكثر وسيكبر * وقرئ آمرنا من امر وامره غيره وامرنا بمعنى امرنا او من امر امارة وامره الله اى جعلناهم امراء وسلطناهم (كم) مفعول (اهلكنا) و (من القرون) بيان لكم وتمييز له كما يميز العدد بالجنس يعني عادا وثمود وقرونا بين ذلك كثيرا ونبه بقوله (وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا) على ان الذنوب هي اسباب الهلكة لا غير وانه عالم بها ومعاقب عليها * من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة تفضلنا عليه من منافعها بما نشاء لمن نريد فقيد الامر تقييدين احدهما تقييد المعجل بمشيئته والثاني تقييد المعجل له بارادته وهكذا الحال ترى كثيرا من هؤلاء يتمنون ما يتمنون ولا يعطون الا بعضا منه وكثيرا منهم يتمنون ذلك البعض وقد حرموه فاجتمع عليهم فقر الدنيا وفقر الآخرة واما المؤمن التقي فقد اختار مراده وهو غنى الآخرة فما يبالي أوتي حظا من الدنيا اولم يؤت فان اوتي فيها والا فربما كان الفقر خيرا له واعون على مراده وقوله (لمن نريد) بدل من له وهو بدل البعض من الكل لان الضمير يرجع الى من وهو في معنى الكثرة * وقرئ يشاء وقيل الضمير لله تعالى فلا فرق اذا بين القراءتين في المعنى ويجوز ان يكون للعبد على ان للعبد ما يشاء من الدنيا وان ذلك لواحد من الدهماء يريد به الله ذلك وقيل هو من يريد الدنيا بعمل الآخرة كالمنافق والمرائي والمهاجر للدنيا والمجاهد للغنيمة والذكر كما قال صلى الله عليه وسلم فمن كانت هجرته الى الله ورسوله فهجرته الى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها او امرأة

ارادة الله تعالى للطاعة والحق انهم خولوها وامروا بالشكر ففسقوا وكفروا على خلاف الامر والامر غير الارادة على قاعدة اهل الحق والله الموفق * قوله عز وجل من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد الى قوله عز وجل ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها

واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا وكم اهلكنا من القرون من بعد نوح وكفى بربك بذنوب عباده خبيرا بصيرا من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما

وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا (قال اى من كانت العاجلة همه ولم يرد غيرها كالكفرة واكثر الفسقة الخ) قال احمد ومثل ذلك التقييد ورد في الآية الاخرى وهي قوله تعالى من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب فادخل من المبعضة على حرث الدنيا وجعل الطالب حرث الآخرة مراده وزاد عليه

يتزوجها فهجرته الى ماهاجر اليه (مدحورا) مطرودا من رحمة الله (سعيها) حقها من السعي وكفاءها من الاعمال الصالحة * اشترط ثلاث شرائط في كون السعي مشكورا ارادة الآخرة بان يعقد بها همه و يتجافى عن دار الغرور والسعي فيما كلف من الفعل والترك والايمان الصحيح الثابت وعن بعض المتقدمين من لم يكن معه ثلاث لم ينفعه عمله ايمان ثابت ونية صادقة وعمل مصيب وتلا هذه الآية * وشكر الله الثواب على الطاعة (كلا) كل واحد من الفريقين والتنوين عوض من المضاف اليه (نمد) هم نزيدهم من عطائنا ونجعل الآنف منه مددا للسالف لا نقطعه فنرزق المطيع والعاصي جميعا على وجه الفضل (وماكان عطاء ربك) وفضله (محظورا) اى ممنوعا لايمنعه من عاص لعصيانه (انظر) بعين الاعتبار (كيف) جعلناهم متفاوتين في التفضل * وفي الآخرة التفاوت اكبر لانها ثواب واعراض وتفضل وكلها متفاوتة وروى ان قوما من الاشراف فمن دونهم اجتمعوا بباب عمر رضي الله عنه فخرج الاذن لبلال وصهيب فشق على ابي سفيان فقال سهيل بن عمرو انما أتينا من قبلنا انهم دعوا ودعينا يعني الى الاسلام فاسرعوا وابطانا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما اعد الله لهم في الجنة أكثر * وقرئ وأكثر تفضيلا وعن بعضهم أيها المباهي بالرفع منك في مجالس الدنيا اما ترغب في المباهاة بالرفع في مجالس الآخرة وهي اكبر وافضل (فتقعد) من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كانها حربة بمعنى صارت يعني فتصير جامعا على نفسك الذم ومايتبعه من الهلاك من الهك والخذلان والعجز عن النصرة ممن جعلته شريكا له (وقضى ربك) وامر امرا مقطوعا به (ألا تعبدوا) ان مفسرة ولا تعبدوا نهي او بان لا تعبدوا (وبالوالدين احسانا) واحسنوا بالوالدين احسانا او بان تحسنوا بالوالدين احسانا * وقرئ واوصي وعن ابن عباس رضي الله عنهما ووصى وعن بعض ولد معاذ بن جبل وقضاء ربك ولايجوز ان يتعلق الباء في بالوالدين بالاحسان لان المصدر لا يتقدم عليه صلته (اما) هي ان الشرطية زيدت عليها ما تاكيدا لها ولذلك دخلت النون المؤكدة في الفعل ولو افردت ان لم يصح دخولها لا تقول ان تكرمن زيدا يكرمك ولكن اما تكرمنه و (احدهما) فاعل يبلغن وهو فيمن قرأ يبلغان بدل من الف الضمير الراجع الى الوالدين و (كلاهما) عطف على احدهما فاعلا و بدلا (فان قلت) لو قيل اما يبلغان كلاهما كان كلاهما توكيدا لا بدلا فمالك زعمت انه بدل (قلت) لانه معطوف على مالا يصح ان يكون توكيدا للاثنين فانتظم في حكمه فوجب ان يكون مثله (فان قلت) ماضرك لو جعلته توكيدا مع كون المعطوف عليه بدلا وعطفت التوكيد على البدل (قلت) لو اريد توكيد التثنية لقيل كلاهما فحسب فلما قيل احدهما او كلاهما علم ان التوكيد غير مراد فكان بدلا مثل الاول (أف) صوت يدل على تضجر وقرئ اف بالحركات الثلاث منونا وغير منون الكسر على اصل البناء والفتح تخفيف للضمة والتشديد كثم والضم اتباع كمنذ * (فان قلت) مامعنى عندك (قلت) هو ان يكبرا و يعجزا وكانا كلا على ولدهما لا كافل لهما غيره فهما عنده في بيته وكنفه وذلك اشق عليه واشد احتمالا وصبرا وربما تولى منهما ماكانا يتوليان منه في حال الطفولة فهو مامور بان يستعمل معهما وطاءة الخلق ولين الجانب والاحتمال حتى لا يقول لهما اذا أضجره ما يستقذر منهما او يستثقل من مؤنهما اف فضلا عما يزيد عليه ولقد بالغ سبحانه في التوصية بهما حيث افتتحها بان شفع الاحسان اليهما بتوحيده ونظمهما في سلك القضاء بهما معا ثم ضيق الامر في مراعاتهما حتى لم يرخص في ادنى كلمة تنفلت من المتضجر مع موجبات الضجر ومقتضياته ومع احوال لايكاد يدخل صبر الانسان معها في الاستطاعة (ولا تنهرهما) ولا تزجرهما عما يتعاطيانه مما لا يعجبك والنهي والنهر والنهم اخوات (وقل لهما) بدل التافيف والنهر (قولا كريما) جميلا كما يقتضيه حسن الادب والنزول على المروءة وقيل هو ان يقول ياأبتاه ياأماه كما قال ابراهيم لابيه يا أبت مع كفره ولا يدعوهما باسمائهما فانه من الجفاء وسوء الادب وعادة الدعار قالوا ولا باس به في غير وجهه كما قالت عائشة رضي الله عنها نحلني ابو بكر كذا * وقرئ جناح الذل والذل بالضم والكسر (فان قلت) مامعنى قوله (جناح الذل) (قلت) فيه وجهان احدهما ان يكون المعنى واخفض لهما جناحك كما قال

مدحورا ومن اراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فاولئك كان سعيهم مشكورا كلا نمد هؤلاء وهؤلاء من عطاء ربك وماكان عطاء ربك محظورا انظر كيف فضلنا بعضهم على بعض وللآخرة اكبر درجات واكبر تفضيلا لا تجعل مع الله الها آخر فتقعد مذموما مخذولا وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا اما يبلغن عندك الكبر احدهما او كلاهما فلا تقل لهما اف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما واخفض لهما جناح الذل

من الرحمة وقل رب ارحمهما كما ربياني صغيرا ربكم اعلم بما في نفوسكم ان تكونوا صالحين فانه كان للاوابين غفورا وآت ذا القربي حقه

واخفض جناحك للمؤمنين فاضافه الى الذل او الذل كما أضيف حاتم الى الجود على معنى واخفض لهما جناحك الذليل او الذلول والثانى ان تجعل لذله اولذله لهما جناحا خفيضا كما جعل لبيد للشمال يدا وللقرة زماما مبالغة فى التذلل والتواضع لهما (من الرحمة) من فرط رحمتك لهما وعطفك عليهما لكبرهما وافتقارهما اليوم الى من كان افقر خلق الله اليهما بالأمس * ولا تكتف برحمتك عليهما التي لا بقاء لها وادع الله بان يرحمهما رحمته الباقية واجعل ذلك جزاء لرحمتهما عليك فى صغرك وتربيتهما لك (فان قلت) الاسترحام لهما انما يصح اذا كانا مسلمين (قلت) واذا كانا كافرين فله ان يسترحم لهما بشرط الايمان وان يدعو الله لهما بالهداية والارشاد ومن الناس من قال كان الدعاء للكفار جائزا ثم نسخ وسئل ابن عيينة عن الصدقة عن الميت فقال كل ذلك واصل اليه ولا شيء انفع له من الاستغفار ولو كان شيء افضل منه لامركم به فى الابوين ولقد كرر الله سبحانه فى كتابه الوصية بالوالدين وعن النبي صلى الله عليه وسلم رضا الله فى رضا الوالدين وسخطه فى سخطهما وروى يفعل البار مايشاء ان يفعل فلن يدخل النار ويفعل العاق مايشاء ان يفعل فلن يدخل الجنة وروى سعيد بن المسيب ان البار لا يموت ميتة سوء وقال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان أبوى بلغا من الكبر انى الى منهما ما وليا منى فى الصغر فهل قضيتهما قال لا فانهما كانا يفعلان ذلك وهما يحبان بقاءك وأنت تفعل ذلك وأنت تريد موتهما وشكا رجل الى رسول الله أباه وانه ياخذ ماله فدعا به فاذا شيخ يتوكأ على عصا فسأله فقال انه كان ضعيفا وانا قوى وفقيرا وانا غنى فكنت لا امنعه شيئا من مالى واليوم انا ضعيف وهو قوى وانا فقير وهو غنى ويبخل على بماله فبكى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مامن حجر ولا مدر يسمع هذا الا بكى ثم قال للولد أنت ومالك لابيك انت ومالك لابيك وشكا اليه آخر سوء خلق أمه فقال لم تكن سيئة الخلق حين حملتك تسعة اشهر قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين ارضعتك حولين قال انها سيئة الخلق قال لم تكن كذلك حين اسهرت لك ليلها واظمات نهارها قال لقد جازيتها قال مافعلت قال حججت بها على عاتقى قال ماجزيتها ولو طلقة وعن ابن عمر انه رأى رجلا فى الطواف يحمل امه ويقول

انى لها مطية لا تذعر * اذا الركاب نفرت لا تنفر

ماحملت وارضعتنى اكثر * الله ربى ذو الجلال الاكبر

تظننى جزيتها يا ابن عمر قال لا ولو زفرة واحدة وعنه عليه الصلاة والسلام اياكم وعقوق الوالدين فان الجنة توجد ريحها من مسيرة الف عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم ولا شيخ زان ولا جار ازاره خيلاء ان الكبرياء لله رب العالمين وقال الفقهاء لا يذهب بابيه الى البيعة واذا بعث اليه منها ليحمله فعل ولا يناوله الخمر وياخذ الاناء منه اذا شربها وعن ابي يوسف اذا امره ان يوقد تحت قدره وفيها لحم الخنزير اوقد وعن حذيفة انه استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في قتل أبيه وهو فى صف المشركين فقال دعه يليه غيرك وسئل الفضيل بن عياض عن بر الوالدين فقال ان لا تقوم الى خدمتهما عن كسل وسئل بعضهم فقال ان لا ترفع صوتك عليهما ولا تنظر شزرا اليهما ولا يريا منك مخالفة في ظاهر ولا باطن وان تترحم عليهما ماعاشا وتدعو لهما اذا ماتا وتقوم بخدمة اودائهما من بعدهما فعن النبي صلى الله عليه وسلم ان من أبر البر ان يصل الرجل اهل ود أبيه (بما فى نفوسكم) بما فى ضمائركم من قصد البر الى الوالدين واعتقاد ما يجب لهما من التوقير (ان تكونوا صالحين) قاصدين الصلاح والبر ثم فرطت منكم فى حال الغضب وعند حرج الصدر ومالا يخلو منه البشر اولحمية الاسلام هنة تؤدى الى اذاهما ثم أبتم الى الله واستغفرتم منها فان الله غفور (للاوابين) للتوابين وعن سعيد بن جبير هي فى البادرة تكون من الرجل الى ابيه لا يريد بذلك الا الخير وعن سعيد بن المسيب الاواب الرجل كلما اذنب بادر بالتوبة ويجوز ان يكون هذا عاما لكل من فرطت منه جناية ثم تاب منها ويندرج تحته الجاني على ابويه التائب من جنايته لوروده على اثره (وآت ذا القربى حقه) وصى بغير الوالدين من الاقارب بعد التوصية بهما وان يؤتوا حقهم وحقهم اذا كانوا محارم كالابوين والولد وفقراء عاجزين عن الكسب وكان الرجل موسرا ان ينفق عليهم عند أبي حنيفة والشافعى لا يرى النفقة الا على الولد والوالدين

فحسب وان كانوا امياسيرا ولم يكونوا محارم كابناء العم فحقهم صلتهم بالمودة والزيارة وحسن المعاشرة والمؤالفة على السراء والضراء والمعاضدة ونحو ذلك (والمسكين وابن السبيل) يعني وآت هؤلاء حقهم من الزكاة وهذا دليل على ان المراد بما يؤتي ذوي القرابة من الحق هو تعهدهم بالمال وقيل اراد بذي القربى أقرباء رسول الله صلى الله عليه وسلم * التبذير تفريق المال فيما لا ينبغي وانفاقه على وجه الاسراف وكانت الجاهلية تنحر ابلها وتتياسر عليها وتبذر اموالها في الفخر والسمعة وتذكر ذلك في اشعارها فامر الله بالنفقة في وجوهها مما يقرب منه ويزلف وعن عبد الله هو انفاق المال في غير حقه وعن مجاهد لو انفق مدا في باطل كان تبذيرا وقد انفق بعضهم نفقة في خير فاكثر فقال له صاحبه لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير وعن عبد الله بن عمر ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم بسعد وهو يتوضا فقال ماهذا السرف يا سعد قال اوفي الوضوء سرف قال نعم وان كنت على نهر جار (اخوان الشياطين) امثالهم في الشرارة وهي غاية المذمة لانه لا شرمن الشيطان اوهم اخوانهم واصدقاؤهم لانهم يطيعونهم فيما يامرونهم به من الاسراف اوهم قرناؤهم في النار على سبيل الوعيد (وكان الشيطان لربه كفورا) فما ينبغي ان يطاع فانه لا يدعو الا الى مثل فعله وقرأ الحسن اخوان الشيطان * وان اعرضت عن ذي القربى والمسكين وابن السبيل حياء من الرد (فقل لهم قولا ميسورا) فلا تتركهم غير مجابين اذا سالوك وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا سئل شيئا وليس عنده أعرض عن السائل وسكت حياء * قوله ابتغاء رحمة من ربك اما ان يتعلق بجواب الشرط مقدما عليه اى فقل لهم قولا سهلا لينا وعدهم وعدا جميلا رحمة لهم وتطييبا لقلوبهم ابتغاء رحمة من ربك اى ابتغ رحمة الله التي ترجوها برحمتك عليهم واما ان يتعلق بالشرط اى وان اعرضت عنهم لفقد رزق من ربك ترجو ان يفتح لك فسمي الرزق رحمة فردهم ردا جميلا فوضع الابتغاء موضع الفقد لان فاقد الرزق مبتغ له فكان الفقد سبب الابتغاء والابتغاء مسببا عنه فوضع المسبب موضع السبب ويجوز ان يكون معنى واما تعرضن عنهم وان لم تنفعهم ولم ترفع خصاصتهم لعدم الاستطاعة ولا يريد الاعراض بالوجه كناية بالاعراض عن ذلك لان من أبي ان يعطي اعرض بوجهه * يقال يسر الامر وعسر مثل سعد الرجل ونحس فهو مفعول وقيل معناه فقل لهم رزقنا الله واياكم من فضله على انه دعاء لهم ييسر عليهم فقرهم كان معناه قولا ذاميسور وهو اليسر اى دعاء فيه يسر * هذا تمثيل لمنع الشحيح واعطاء المسرف وامر بالاقتصاد الذي هو بين الاسراف والتقتير (فتقعد ملوما) فتصير ملوما عند الله لان المسرف غير مرضي عنده وعند الناس يقول المحتاج أعطى فلانا وحرمني ويقول المستغني مايحسن تدبير أمر المعيشة وعند نفسك اذا احتجت فندمت على مافعلت (محسورا) منقطعا بك لا شيء عندك من حسره السفر اذا بلغ منه وحسره بالمسئلة وعن جابر بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس اتاه صبي فقال ان امي تستكسيك درعا فقال من ساعة الى ساعة يظهر فعد الينا فذهب الى أمه فقالت له قل له ان امي تستكسيك الدرع الذي عليك فدخل داره ونزع قميصه واعطاه وقعد عريانا واذن بلال وانتظروا فلم يخرج للصلاة وقيل اعطى الاقرع بن حابس مائة من الابل وعيينة بن حصن فجاء عباس بن مرداس وانشا يقول

أتجعل نهبي ونهب العبيـ * ـد بين عيينة والاقرع

وما كان حصن ولا حابس * يفوقان جدي في مجمع

وما كنت دون امرئ منهما * ومن تضع اليوم لا يرفع

فقال يا أبا بكر اقطع لسانه عني اعطه مائة من الابل فنزلت * ثم سلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عما كان يرهقه من الاضاقة بان ذلك ليس لهوان منك عليه ولا لبخل به عليك ولكن لان مشيئته في بسط الارزاق وقدرها تابعة للحكمة والمصلحة ويجوز ان يريد ان البسط والقبض انما هما من امر الله الذي الخزائن في يده فاما العبيد فعليهم ان يقتصدوا ويحتمل انه عزوعلا بسط لعباده اوقبض فانه يراعي اوسط الحالين لا يبلغ بالمبسوط له غاية مراده ولا بالمقبوض عليه اقصى مكروهه فاستنوا بسنته * قتلهم اولادهم هو وأدهم بناتهم كانوا يئدونهن خشية الفاقة وهي الاملاق فنهاهم الله وضمن لهم ارزاقهم * وقرئ خشية بكسر الخاء * وقرئ خطأ

والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا واما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ان ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه كان بعباده خبيرا بصيرا ولا تقتلوا اولادكم خشية املاق نحن نرزقهم واياكم ان قتلهم كان خطأ كبيرا ولا تقربوا الزنا انه كان

فاحشة وساء سبيلا ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل انه كان منصورا ولا تقربوا مال اليتيم الا بالتي هي احسن حتى يبلغ أشده واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا واوفوا الكيل اذا كلتم وزنوا بالقسطاس المستقيم ذلك خير وأحسن تاويلا ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسؤلا ولا تمش في الارض مرحا انك

وهو الاثم يقال خطئ خطأ كاثم اثما وخطأ وهو ضد الصواب اسم من اخطأ وقيل هو والخطء كالحذر والحذر وخطاء بالكسر والمد وخطاء بالفتح والمد وخطأ بالفتح والسكون وعن الحسن خطأ بالفتح وحذف الهمزة كالخب وعن ابي رجاء بكسر الخاء غير مهموز (فاحشة) قبيحة زائدة على حد القبح (وساء سبيلا) و بئس طريقا طريقه وهو ان تغصب على غيرك امرأته او اخته او بنته من غير سبب والسبب ممكن وهو الصهر الذي شرعه الله (الا بالحق) الا باحدى ثلاث الا بان تكفر او تقتل مؤمنا عمدا او تزني بعد احصان (مظلوما) غير راكب واحدة منهن (لوليه) الذي بينه وبينه قرابة توجب المطالبة بدمه فان لم يكن له ولي فالسلطان وليه (سلطانا) تسلطا على القاتل في الاقتصاص منه او حجة يثبت بها عليه (فلا يسرف) الضمير للولي اي فلا يقتل غير القاتل ولا اثنين والقاتل واحد كعادة الجاهلية كان اذا قتل منهم واحد قتلوا به جماعة حتى قال مهلهل حين قتل بجير بن الحرث بن عباد بؤ بشسع نعل كليب وقال

كل قتيل في كليب غرة * حتى ينال القتل آل مرة

وكانوا يقتلون غير القاتل اذا لم يكن بواء وقيل الاسراف المثلة وقرأ ابو مسلم صاحب الدولة فلا يسرف بالرفع على انه خبر في معنى الامر وفيه مبالغة ليست في الامر وعن مجاهد ان الضمير للقاتل الاول وقرئ فلا تسرف على خطاب الولي او قاتل المظلوم وفي قراءة ابي فلا تسرفوا رده على ولا تقتلوا (انه كان منصورا) الضمير اما للولي يعني حسبه ان الله قد نصره بان اوجب له القصاص فلا يستزد على ذلك وبان الله قد نصره بمعونة السلطان وباظهار المؤمنين على استيفاء الحق فلا يبغ ما وراء حقه واما للمظلوم لان الله ناصره حيث اوجب القصاص بقتله وينصره في الآخرة بالثواب واما للذي يقتله الولي بغير حق ويسرف في قتله فانه منصور بايجاب القصاص على المسرف (بالتي هي احسن) بالخصلة او الطريقة التي هي احسن وهي حفظه عليه وتثميره (ان العهد كان مسؤلا) اي مطلوبا يطلب من المعاهد ان لا يضيعه ويفي به ويجوز ان يكون تخييلا كانه يقال للعهد لم نكثت وهلا وفي بك تبكيتا للناكث كما يقال للموؤدة باي ذنب قتلت ويجوز ان يراد ان صاحب العهد كان مسؤلا * قرئ (بالقسطاس) بالضم والكسر وهو القرسطون وقيل كل ميزان صغر او كبر من موازين الدراهم وغيرها (واحسن تاويلا) واحسن عاقبة وهو تفعيل من آل اذا رجع وهو ما يؤل اليه (ولا تقف) ولا تتبع وقرئ ولا تقف يقال قفا اثره وقافه ومنه القافة يعني ولا تكن في اتباعك ما لا علم لك به من قول او فعل كمن يتبع مسلكا لا يدري انه يوصله الى مقصده فهو ضال والمراد النهي عن ان يقول الرجل ما لا يعلم وان يعمل بما لا يعلم ويدخل فيه النهي عن التقليد دخولا ظاهرا لانه اتباع لما لا يعلم صحته من فساده وعن ابن الحنفية شهادة الزور وعن الحسن لا تقف اخاك المسلم اذا مر بك فتقول هذا يفعل كذا ورأيته يفعل وسمعته ولم تر ولم تسمع وقيل القفو شبيه بالعضيهة ومنه الحديث من قفا مؤمنا بما ليس فيه حبسه الله في ردغة الخبال حتى يأتي بالمخرج وانشد

ومثل الدمى شم العرانين ساكن * بهن الحياء لا يشعن التقافيا

اي التقاذف وقال الكميت

ولا ارمي البريء بغير ذنب * ولا اقفوا الحواصن ان قفينا

وقد استدل به مبطل الاجتهاد ولم يصح لان ذلك نوع من العلم فقد اقام الشرع غالب الظن مقام العلم وامر بالعمل به (اولئك) اشارة الى السمع والبصر والفؤاد كقوله * والعيش بعد اولئك الايام * و (عنه) في موضع الرفع بالفاعلية اي كل واحد منها كان مسؤلا عنه فمسؤل مسند الى الجار والمجرور كالمغضوب في قوله غير المغضوب عليهم يقال للانسان لم سمعت ما لم يحل لك سماعه ولم نظرت الى ما لم يحل لك النظر اليه ولم عزمت على ما لم يحل لك العزم عليه * وقرئ والفواد بفتح الفاء والواو قلبت الهمزة واوا بعد الضمة في الفؤاد ثم استصحب القلب مع الفتح (مرحا) حال اي ذا مرح وقرئ مرحا وفضل الاخفش المصدر على اسم الفاعل لما فيه من

* قوله تعالى واوفوا بالعهد ان العهد كان مسؤلا (قال اي يطلب من المعاهد ان يفي به ولا ينكثه الخ) قال احمد كلام حسن الا لفظة التخييل فقد تقدم انكارها عليه و ينبغي ان يعوض بالتمثيل والظاهر التاويل الاول ويكون المجرور الذي هو عنه حذف تخفيفا وقد ذكر في بقية الآي كل اولئك كان عنه مسؤلا والله اعلم ويعضد تاويل سؤال العهد نفسه على وجه التمثيل وقوف الرحم بين يدي الله وسؤال الحافين وصلها وقطعها وقد ورد ذلك في الحديث الصحيح والله الموفق

* قوله عز وجل ولا تمش في الارض مرحا انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا (قال معناه لن تجعل فيها خرقا الخ) قال احمد وفي هذا التهكم والتقريع لمن يعتاد هذه المشية كفاية في الانزجار عنها ولقد حفظ الله عوام زماننا عن هذه المشية وتورط فيها قراؤنا وفقهاؤنا بينا احدهم قد عرف مسئلتين او اجلس بين يديه طالبين او شدا طرفا من رياسة الدنيا اذا هو يتبختر في مشيه و يترجح ولا يرى انه يطاول الجبال ولكن يحك بيافوخه عنان السماء كانهم يمرون عليها وهم عنها معرضون وماذا يفيده ان يقرأ القرآن او يقرأ عليه وقلبه عن تدبره على مراحل والله ولي التوفيق ٥٤٨ * قوله تعالى تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا (قال المراد تسبيحها بلسان الحال من حيث تدل على الصانع الخ) قال احمد ولقائل ان يقول فما يصنع بقوله كان حليما غفورا وهو لا يغفر للمشركين ولا يتجاوز عن جهلهم وكفرهم واشراكهم وانما يخاطب بهاتين الصفتين المؤمنون والظاهر ان المخاطب المؤمنون واما عدم فقهنا للتسبيح الصادر من الجمادات فكانه والله اعلم من عدم العمل بمقتضى ذلك فان الانسان لو تيقظ حق التيقظ الى ان النملة والبعوضة وكل ذرة من ذرات الكون تسبح الله وتنزهه وتشهد بجلاله وكبريائه وقهره وعمر خاطره بهذا الفهم لكاد ذلك يشغله عن القوت فضلا عن فضول الكلام والافعال والعاكف على الغيبة التي هي فاكهتنا في زماننا هذا لو استشعر حال افاضته فيها ان كل ذرة وجوهر من ذرات لسانه الذي يلقلقه

وعلى

لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها ذلك مما اوحى اليك ربك من الحكمة ولا تجعل مع الله الها آخر فتلقى في جهنم ملوما مدحورا أفاصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة اناثا انكم لتقولون قولا عظيما ولقد صرفنا في هذا القرآن ليذكروا وما يزيدهم الا نفورا قل لو كان معه آلهة كما يقولون اذا لابتغوا الى ذي العرش سبيلا سبحانه وتعالى عما يقولون علوا كبيرا تسبح له السموات السبع والارض ومن فيهن وان من شيء الا يسبح بحمده

التأكيد (لن تخرق الارض) لن تجعل فيها خرقا بدوسك لها وشدة وطأتك وقرئ لن تخرق بضم الراء (ولن تبلغ الجبال طولا) بتطاولك وهو تهكم بالمختال * قرئ سيئة وسيئه على اضافة سيء الى ضمير كل وسيئا في بعض المصاحف وسيآت وفي قراءة ابي بكر الصديق رضي الله عنه كان شأنه (فان قلت) كيف قيل سيئة مع قوله مكروها (قلت) السيئة في حكم الاسماء بمنزلة الذنب والاثم زال عنه حكم الصفات فلا اعتبار بتأنيثه ولا فرق بين من قرأ سيئة وسيئا الا ترى انك تقول الزنا سيئة كما تقول السرقة سيئة فلا تفرق بين اسنادها الى مذكر ومؤنث (فان قلت) فما ذكر الخصال بعضها سيء وبعضها حسن ولذلك قرأ من قرأ سيئه بالاضافة فما وجه من قرأ سيئة (قلت) كل ذلك احاطة بما نهي عنه خاصة لا بجميع الخصال المعدودة (ذلك) اشارة الى ما تقدم من قوله لا تجعل مع الله الها آخر الى هذه الغاية * وسماه حكمة لانه كلام محكم لا مدخل فيه للفساد بوجه وعن ابن عباس هذه الثماني عشرة آية كانت في الواح موسى اولها لا تجعل مع الله الها آخر قال الله تعالى وكتبنا له في الالواح من كل شيء موعظة وهي عشر آيات في التوراة * ولقد جعل الله فاتحتها وخاتمتها النهي عن الشرك لان التوحيد هو رأس كل حكمة وملاكها ومن عدمه لم تنفعه حكمه وعلومه وان بذ فيها الحكماء وحك بيافوخه السماء وما أغنت عن الفلاسفة اسفار الحكم وهم عن دين الله أضل من النعم (أفاصفاكم) خطاب للذين قالوا الملائكة بنات الله والهمزة للانكار يعني افخصكم ربكم على وجه الخلوص والصفاء بافضل الاولاد وهم البنون لم يجعل فيهم نصيبا لنفسه واتخذ ادونهم وهي البنات وهذا خلاف الحكمة وما عليه معقولكم وعادتكم فان العبيد لا يؤثرون باجود الاشياء واصفاها من الشوب ويكون اردأها وادونها للسادات (انكم لتقولون قولا عظيما) باضافتكم اليه الاولاد وهي خاصة بالاجسام ثم بانكم تفضلون عليه انفسكم حيث تجعلون له ما تكرهون ثم بان تجعلوا الملائكة وهم اعلى خلق الله واشرفهم ادون خلق الله وهم الاناث (ولقد صرفنا في هذا القرآن) يجوز ان يريد بهذا القرآن ابطال اضافتهم الى الله البنات لانه مما صرفه وكرر ذكره والمعنى ولقد صرفنا القول في هذا المعنى اوقعنا التصريف فيه وجعلناه مكانا للتكرير و يجوز ان يشير بهذا القرآن الى التنزيل و يريد ولقد صرفناه يعني هذا المعنى في مواضع من التنزيل فترك الضمير لانه معلوم وقرئ صرفنا بالتخفيف وكذلك (ليذكروا) قرئ مشددا ومخففا اي كررناه ليتعظوا و يعتبروا و يطمئنوا الى ما يحتج به عليهم ف(ما يزيدهم الا نفورا) عن الحق وقلة طمأنينة اليه وعن سفيان كان اذا قرأها قال زادني لك خضوعا ما زاد أعداءك نفورا * قرئ كما تقولون بالتاء والياء و (اذا) دالة على ان ما بعدها وهو لابتغوا جواب عن مقالة المشركين وجزاء للو ومعنى (لابتغوا الى ذي العرش سبيلا) لطلبوا الى من له الملك والربوبية سبيلا بالمغالبة كما يفعل الملوك بعضهم مع بعض كقوله لو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا وقيل لتقربوا اليه كقوله أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة (علوا) في معنى تعاليا والمراد البراءة عن ذلك والنزاهة * ومعنى وصف العلو بالكبر المبالغة في معنى البراءة والبعد مما وصفوه به * والمراد انها تسبح له بلسان الحال حيث تدل على الصانع

في سخط الله تعالى عليه مشغولا مملوءة بتقديس الله تعالى وتسبيحه ونحو يفسعقابه وارهاب جبروته وتيقظ لذلك حق التيقظ لكاد ان لا يتكلم بقية عمره فالظاهر والله اعلم ان الآية انما وردت خطابا على الغالب في احوال الغافلين وان كانوا مؤمنين والله الموفق

وعلى قدرته وحكمته فكانها تنطق بذلك وكانها تنزه الله عزوجل مما لا يجوز عليه من الشركاء وغيرها * (فان قلت) فما تصنع بقوله (ولكن لا تفقهون تسبيحهم) وهذا التسبيح مفقوه معلوم (قلت) الخطاب للمشركين وهم وان كانوا اذا سئلوا عن خالق السموات والارض قالوا الله الا انهم لما جعلوا معه آلهة مع اقرارهم فكانهم لم ينظروا ولم يقروا لان نتيجة النظر الصحيح والاقرار الثابت خلاف ما كانوا عليه فاذا لم يفقهوا التسبيح ولم يستوضحوا الدلالة على الخالق *(فان قلت) من فيهن يسبحون على الحقيقة وهم الملائكة والثقلان وقد عطفوا على السموات والارض فما وجهه (قلت) التسبيح المجازي حاصل في الجميع فوجب الحمل عليه والا كانت الكلمة الواحدة في حالة واحدة محمولة على الحقيقة والمجاز (انه كان حليما غفورا) حين لا يعاجلكم بالعقوبة على غفلتكم وسوء نظركم وجهلكم بالتسبيح وشرككم (حجابا مستورا) ذا ستر كقولهم سيل مفعم ذو افعام وقيل هو حجاب لا يرى فهو مستور ويجوز ان يراد انه حجاب من دونه حجاب او حجب فهو مستور بغيره او حجاب يستران يبصر فكيف يبصر المحتجب به وهذه حكاية لما كانوا يقولونه وقالوا قلوبنا في كنة مما تدعونا اليه وفي آذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب كانه قال واذا قرأت القرآن جعلنا على زعمهم (ان يفقهوه) كراهة ان يفقهوه او لان قوله وجعلنا على قلوبهم أكنة فيه معنى المنع من الفقه فكانه قيل ومنعناهم ان يفقهوه * يقال وحد يحد وحدا وحدة نحو وعد يعد وعدا وعدة (وحده) من باب رجع عوده على بدئه وافعله جهدك وطاقتك في انه مصدر ساد مسد الحال اصله يحد وحده بمعنى واحدا وحده * والنفور مصدر بمعنى التولية او جمع نافر كقاعد وقعود اى يحبون ان تذكر معه آلهتهم لانهم مشركون فاذا سمعوا بالتوحيد نفروا (بما يستمعون به) من الهزؤ بك وبالقرآن ومن اللغو كان يقوم عن يمينه اذا قرأ رجلان من عبد الدار ورجلان منهم عن يساره فيصفقون ويصفرون ويخلطون عليه بالاشعار وبه في موضع الحال كما تقول يستمعون بالهزؤ اى هازئين و(اذ يستمعون) نصب باعلم اى اعلم وقت استماعهم بما به يستمعون (واذ هم نجوى) وبما يتناجون به اذهم ذوو نجوى (اذ يقول) بدل من اذهم (مسحورا) سحر فجن وقيل هو من السحر وهو الرئة اى هو بشر مثلكم (ضربوا لك الامثال) مثلوك بالشاعر والساحر والمجنون (فضلوا) في جميع ذلك ضلال من يطلب في التيه طريقا يسلكه فلا يقدر عليه فهو متحير في امره لا يدري ما يصنع * لما قالوا أئذا كنا عظاما قيل لهم (كونوا حجارة او حديدا) فرد قوله كونوا على قولهم كنا كانه قيل كونوا حجارة او حديدا ولا تكونوا عظاما فانه يقدر على احيائكم والمعنى انكم تستبعدون ان يجدد الله خلقكم ويرده الى حال الحياة والى رطوبة الحي وغضاضته بعدما كنتم عظاما يابسة مع ان العظام بعض اجزاء الحي بل هي عمود خلقه الذي يبنى عليه سائره فليس ببدع ان يردها الله بقدرته الى حالتها الاولى ولكن لو كنتم ابعد شيء من الحياة ورطوبة الحي ومن جنس ما ركب منه البشر وهو ان تكونوا حجارة يابسة او حديدا مع ان طباعها الجساوة والصلابة لكان قادرا على ان يردكم الى حال الحياة (او خلقا مما يكبر في صدوركم) يعني او خلقا مما يكبر عندكم عن قبول الحياة ويعظم في زعمكم على الخالق احياؤه فانه يحييه وقيل ما يكبر في صدورهم الموت وقيل السموات والارض (فسينغضون) فسيحركونها نحوك تعجبا واستهزاء * والدعاء والاستجابة كلاهما مجاز والمعنى يوم يبعثكم فتنبعثون مطاوعين منقادين لا تمتنعون وقوله (بحمده) حال منهم اى حامدين وهي مبالغة في انقيادهم للبعث كقولك لمن تامره بركوب ما يشق عليه فيتابى ويمتنع ستركبه وانت حامد شاكر يعني انك تحمل عليه وتقسر قسرا حتى انك تلين لين المسمح الراغب فيه الحامد عليه وعن سعيد بن جبير ينفضون التراب عن رؤسهم ويقولون سبحانك اللهم وبحمدك (وتظنون) وترون الهول فعنده تستقصرون مدة لبثكم في

ولكن لا تفقهون تسبيحهم انه كان حليما غفورا واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجابا مستورا وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك في القرآن وحده ولوا على ادبارهم نفورا نحن اعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذهم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلا مسحورا انظر كيف ضربوا لك الامثال فضلوا فلا يستطيعون سبيلا وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا قل كونوا حجارة او حديدا اوخلقا مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم اول مرة فسينغضون اليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى ان يكون قريبا يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده وتظنون ان لبثتم الا قليلا

فالحمد لله الذي حليما غفورا * عاد كلامه (قال ان قلت من فيهن يسبحون حقيقة وهم الملائكة الخ) قال احمد وقد تقدم نقلي عنه اباه يابى حمل اللفظ على حقيقته ومجازه دفعة واحدة عند آية السجدة في النحل ولكن ظهر من كلامه ثم جعل السجود عبارة عن الانقياد وعدم الامتناع على القدرة ليكون متناولا للمكلفين وغير المكلفين بطريق التواطؤ وقد يكون اراد ثم المجاز والله الموفق

وقل لعبادى يقولوا التى هى احسن ان الشيطان ينزغ بينهم ان الشيطان كان للانسان عدوا مبينا ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم وما ارسلناك عليهم وكيلا وربك اعلم بمن فى السموات والارض ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض وآتينا داود زبورا قل ادعوا الذين زعمتم من دونه فلا يملكون كشف الضر عنكم ولا تحويلا اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا وان من قرية الا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة او معذبوها عذابا شديدا كان ذلك فى الكتاب مسطورا وما منعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها وما نرسل بالآيات

الدنيا و تحسبونها يوما او بعض يوم وعن قتادة تحاقرت الدنيا فى انفسهم حين عاينوا الآخرة (وقل لعبادى) وقل للمؤمنين (يقولوا) للمشركين الكلمة (التى هى احسن) والين ولا يخاشنوهم كقوله وجادلهم بالتى هى احسن وفسر التى هى احسن بقوله (ربكم اعلم بكم ان يشا يرحمكم او ان يشا يعذبكم) يعنى يقولوا لهم هذه الكلمة ونحوها ولا يقولوا لهم انكم من اهل النار وانكم معذبون وما اشبه ذلك مما يغيظهم و يهيجهم على الشر وقوله (ان الشيطان ينزغ بينهم) اعتراض يعنى يلقى بينهم الفساد و يغرى بعضهم على بعض ليقع بينهم المشارة والمشاقة (وما ارسلناك عليهم وكيلا) اى ربا موكولا اليك امرهم تقسرهم على الاسلام وتجبرهم عليه وانما ارسلناك بشيرا و نذيرا فدارهم ومر اصحابك بالمدارة والاحتمال وترك المحاقه والمكاشفة وذلك قبل نزول آية السيف وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه شتمه رجل فامره الله بالعفو وقيل افرط ايذاء المشركين للمسلمين فشكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وقيل الكلمة التى هى احسن ان يقولوا يهديكم الله يرحمكم الله * وقرأ طلحة ينزغ بالكسر وهما لغتان نحو يعرشون و يعرشون * هو رد على أهل مكة فى انكارهم واستبعادهم ان يكون يتيم ابى طالب نبيا وان تكون العراة الجوع اصحابه كصهيب و بلال وخباب وغيرهم دون ان يكون ذلك فى بعض اكابرهم وصناديدهم يعنى وربك اعلم بمن فى السموات والارض و باحوالهم ومقاديرهم و بما يستاهل كل واحد منهم وقوله (ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض) اشارة الى تفضيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله (وآتينا داود زبورا) دلالة على وجه تفضيله وهو انه خاتم الانبياء وان امته خير الامم لان ذلك مكتوب فى زبور داود وقال الله تعالى ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون وهم محمد وامته (فان قلت) هلا عرف الزبور كما عرف فى قوله ولقد كتبنا فى الزبور (قلت) يجوز ان يكون الزبور زبور كالعباس وعباس والفضل وفضل وان يريد وآتينا داود بعض الزبر وهى الكتب وان يريد ما ذكر فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الزبور فسمى ذلك زبورا لانه بعض الزبور كما سمى بعض القرآن قرآنا * هم الملائكة وقيل عيسى ابن مريم وعزير وقيل نفر من الجن عبدهم ناس من العرب ثم اسلم الجن ولم يشعروا اى ادعوهم فهم لا يستطيعون ان يكشفوا عنكم الضر من مرض او فقر او عذاب ولا ان يحولوه من واحد الى آخر او يبدلوه (أولئك) مبتدأ و (الذين يدعون) صفته و (يبتغون) خبره يعنى ان آلهتهم اولئك يبتغون الوسيلة وهى القربة الى الله تعالى و (أيهم) بدل من واو يبتغون واى موصولة اى يبتغى من هو اقرب منهم وازلف الوسيلة الى الله فكيف بغير الاقرب او ضمن يبتغون الوسيلة معنى يحرصون فكانه قيل يحرصون أيهم يكون اقرب الى الله وذلك بالطاعة وازدياد الخير والصلاح ويرجون ويخافون كما غيرهم من عباد الله فكيف يزعمون انهم آلهة (ان عذاب ربك كان) حقيقا بان يحذره كل احد من ملك مقرب ونبى مرسل فضلا عن غيرهم (نحن مهلكوها) بالموت والاستئصال (او معذبوها) بالقتل وانواع العذاب وقيل الهلاك للصالحة والعذاب للطالحة وعن مقاتل وجدت فى كتب الضحاك بن مزاحم فى تفسيرها اما مكة فيخربها الحبشة وتهلك المدينة بالجوع والبصرة بالغرق والكوفة بالترك والجبال بالصواعق والرواجف واما خراسان فعذابها ضروب ثم ذكرها بلدا بلدا (فى الكتاب) فى اللوح المحفوظ * استعير المنع لترك ارسال الآيات من اجل صارف الحكمة * وان الاولى منصوبة والثانية مرفوعة تقديره وما منعنا ارسال الآيات الا تكذيب الاولين والمراد الآيات التى اقترحتها قريش من قلب الصفا ذهبا ومن احياء الموتى وغير ذلك وعادة الله فى الامم ان من اقترح منهم آية فاجيب اليها ثم لم يؤمن ان يعاجل بعذاب الاستئصال فالمعنى وما صرفنا عن ارسال ما يقترحونه من الآيات الا ان كذب بها الذين هم امثالهم من المطبوع على قلوبهم كعاد وثمود وانها لو ارسلت لكذبوا بها تكذيب اولئك وقالوا هذا سحر مبين كما يقولون فى غيرها واستوجبوا العذاب المستاصل وقد عزمنا ان نؤخر امر من بعثت اليهم الى يوم القيامة * ثم ذكر من تلك الآيات التى اقترحها الاولون ثم كذبوا بها لما ارسلت فاهلكوا واحدة وهى ناقة صالح لان آثار هلاكهم فى بلاد العرب قريبة من حدودهم يبصرها صادرهم وواردهم (مبصرة) بينة وقرئ مبصرة بفتح الميم (فظلموا بها) فكفروا بها (وما نرسل بالآيات) ان اراد بها

الآيات

الآيات المقترحة فالمعنى لا نرسلها (الا تخويفا) من نزول العذاب العاجل كالطليعة والمقدمة له فان لم يخافوا وقع عليهم وان اراد غيرها فالمعنى وما نرسل ما نرسل من الآيات كآيات القرآن وغيرها الا تخويفا وانذارا بعذاب الآخرة (واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس) واذكر اذ اوحينا اليك ان ربك احاط بقريش يعنى بشرناك بوقعة بدر وبالنصرة عليهم وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون وغير ذلك فجعله كان قد كان ووجد فقال احاط بالناس على عادته فى اخباره وحين تزاحف الفريقان يوم بدر والنبي صلى الله عليه وسلم فى العريش مع أبي بكر رضي الله عنه كان يدعو ويقول اللهم انى اسألك عهدك ووعدك ثم خرج وعليه الدرع يحرض الناس ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر ولعل الله تعالى اراه مصارعهم فى منامه فقد كان يقول حين ورد ماء بدر والله لكأني انظر الى مصارع القوم وهو يومي الى الارض ويقول هذا مصرع فلان هذا مصرع فلان فتسامعت قريش بما اوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من امر يوم بدر وما أرى فى منامه من مصارعهم فكانوا يضحكون ويسخرون ويستعجلون به استهزاء وحين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم طعام الاثيم جعلوها سخرية وقالوا ان محمدا يزعم ان الجحيم تحرق الحجارة ثم يقول ينبت فيها الشجر وما قدروا الله حق قدره من قال ذلك وما انكروا ان يجعل الله الشجرة من جنس لا تأكله النار فهذا وبر السمندل وهو دويبة ببلاد الترك تتخذ منه مناديل اذا اتسخت طرحت فى النار فذهب الوسخ وبقى المنديل سالما لا تعمل فيه النار وترى النعامة تبتلع الجمر وقطع الحديد الحمر كالجمر باحماء النار فلا تضرها ثم اقرب من ذلك انه خلق فى كل شجرة نارا فلا تحرقها فما انكروا ان يخلق فى النار شجرة لا تحرقها والمعنى ان الآيات انما يرسل بها تخويفا للعباد وهؤلاء قد خوفوا بعذاب الدنيا وهو القتل يوم بدر * فما كان ما (ارأيناك) منه في منامك بعد الوحي اليك (الا فتنة) لهم حيث اتخذوه سخريا وخوفوا بعذاب الآخرة وشجرة الزقوم فما اثر فيهم ثم قال فيهم (ونخوفهم) اى نخوفهم بمخاوف الدنيا والآخرة (فما يزيدهم) التخويف (الا طغيانا كبيرا) فكيف يخاف قوم هذه حالهم بارسال ما يقترحون من الآيات وقيل الرؤيا هى الاسراء وبه تعلق من يقول كان الاسراء في المنام ومن قال كان فى اليقظة فسر الرؤيا بالرؤية وقيل انما سماها رؤيا على قول المكذبين حيث قالوا له لعلها رؤيا رأيتها وخيال خيل اليك استبعادا منهم كما سمى اشياء باساميها عند الكفرة نحو قوله فراغ الى آلهتهم اين شركائي ذق انك أنت العزيز الكريم وقيل هى رؤياه انه سيدخل مكة وقيل رأى فى المنام ان ولد الحكم يتداولون منبره كما يتداول الصبيان الكرة * (فان قلت) اين لعنت شجرة الزقوم فى القرآن (قلت) لعنت حيث لعن طاعموها من الكفرة والظلمة لان الشجرة لا ذنب لها حتى تلعن على الحقيقة وانما وصفت بلعن اصحابها على المجاز وقيل وصفها الله باللعن لان اللعن الابعاد من الرحمة وهي فى اصل الجحيم فى ابعد مكان من الرحمة وقيل تقول العرب لكل طعام مكروه ضار ملعون وسألت بعضهم فقال نعم الطعام الملعون القشب الممحوق وعن ابن عباس هى الكشوث التى تتلوى بالشجر يجعل فى الشراب وقيل هى الشيطان وقيل أبو جهل * وقرئ والشجرة الملعونة بالرفع على انها مبتدأ محذوف الخبر كانه قيل والشجرة الملعونة فى القرآن كذلك (طينا) حال اما من الموصول والعامل فيه أسجد على أأسجد له وهو طين اى اصله طين اومن الراجع اليه من الصلة على أأسجد لمن كان في وقت خلقه طينا (ارأيتك) الكاف للخطاب و(هذا) مفعول به والمعنى اخبرنى عن هذا (الذى كرمته) ه (على) اى فضلته لم كرمته علي وانا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ثم ابتدأ فقال (لئن اخرتني) واللام موطئة للقسم المحذوف (لاحتنكن ذريته) لاستاصلنهم بالاغواء من احتنك الجراد الارض اذا جرد ما عليها أكلا وهو من الحنك ومنه ما ذكر سيبويه من قولهم احنك الشاتين اى آكلهما (فان قلت) من اين علم ان ذلك يتسهل له وهو من الغيب (قلت) اما ان سمعه من الملائكة وقد اخبرهم الله به او خرجه من قولهم أتجعل فيها من يفسد فيها او نظر اليه فتوسم فى مخايله انه خلق شهوانى وقيل قال ذلك لما عملت وسوسته فى آدم والظاهر انه قال ذلك قبل أكل آدم من الشجرة (اذهب) ليس من الذهاب الذى هو نقيض المجيء انما معناه

الا تخويفا واذ قلنا لك ان ربك احاط بالناس وما جعلنا الرؤيا التي أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن ونخوفهم فما يزيدهم الا طغيانا كبيرا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس قال أأسجد لمن خلقت طينا قال ارأيتك هذا الذى كرمت على لئن اخرتني الى يوم القيامة لاحتنكن ذريته الا قليلا قال اذهب

* قوله تعالى وما جعلنا الرؤيا التى أريناك الا فتنة للناس والشجرة الملعونة فى القرآن الآية (قال افتتانهم بالشجرة انهم حين سمعوا بقوله ان شجرة الزقوم الخ) قال احمد والعهدة فى ذلك ان النار لا تؤثر احراقا فى شيء ولكن الله تعالى اجرى العادة انه يخلق الحرق عند ملاقاة جسم النار لبعض الاجسام فاذا كان ذلك من فعل الله لا من فعل النار فالله تعالى ان لا يفعل الحرق في الشجرة التى فى اصل الجحيم

فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا واستفزز من استطعت منهم بصوتك واجلب عليهم بخيلك ورجلك وشاركهم فى الاموال والاولاد وعدهم وما يعدهم الشيطان الاغرورا ان عبادى ليس لك عليهم سلطان وكفى بربك وكيلا ربكم الذى يزجى لكم الفلك فى البحر لتبتغوا من فضله انه كان بكم رحيما واذا مسكم الضر فى البحر ضل من تدعون الا اياه فلما نجاكم الى البر اعرضتم وكان الانسان كفورا أفامنتم ان يخسف بكم جانب البر او يرسل عليكم حاصبا ثم لا تجدوا لكم وكيلا ام أمنتم ان يعيدكم فيه تارة اخرى فيرسل عليكم قاصفا من الريح

امض لشانك الذى اخترته خذلانا وتخلية وعقبه بذكر ما جره سوء اختياره فى قوله (فمن تبعك منهم فان جهنم جزاؤكم) كما قال موسى عليه السلام للسامرى فاذهب فان لك فى الحياة ان تقول لا مساس (فان قلت) اما كان من حق الضمير فى الجزاء ان يكون على لفظ الغيبة ليرجع الى من تبعك (قلت) بلى ولكن التقدير فان جهنم جزاؤهم وجزاؤك ثم غلب المخاطب على الغائب فقيل جزاؤكم و يجوز ان يكون للتابعين على طريق الالتفات وانتصب (جزاء موفورا) بما فى فان جهنم جزاؤكم من معنى تجازون او باضمار تجازون او على الحال لان الجزاء موصوف بالموفور والموفور الموفر يقال فر لصاحبك عرضه فرة * استفزه استخفه والفز الخفيف (واجلب) من الجلبة وهى الصياح * والخيل الخيالة ومنه قول النبى صلى الله عليه وسلم ياخيل الله اركبى * والرجل اسم جمع للراجل و نظيره الركب والصحب * وقرئ ورجلك على ان فعلا بمعنى فاعل نحو تعب وتاعب ومعناه وجمعك الرجل وتضم جيمه ايضا فيكون مثل حدث وحدث وندس وندس واخوات لهما يقال رجل رجل وقرئ ورجالك (فان قلت) ما معنى استفزاز ابليس بصوته واجلابه بخيله ورجله (قلت) هو كلام ورد مورد التمثيل مثلت حاله فى تسلطه على من يغويه بمغوار اوقع على قوم فصوت بهم صوتا يستفزهم من اماكنهم و يقلقهم عن مراكزهم واجلب عليهم بجنده من خيالة ورجالة حتى استاصلهم وقيل بصوته بدعائه الى الشر وخيله ورجله كل راكب وماش من اهل العيث وقيل يجوز ان يكون لابليس خيل ورجال * واما المشاركة فى الاموال والاولاد فكل معصية يحملهم عليها فى بابهما كالربا والمكاسب المحرمة والبحيرة والسائبة والانفاق فى الفسوق والاسراف ومنع الزكاة والتوصل الى الاولاد بالسبب الحرام ودعوى ولد بغير سبب والتسمية بعبد العزى وعبد الحرث والتهويد والتنصير والحمل على الحرف الذميمة والاعمال المحظورة وغير ذلك (وعدهم) المواعيد الكاذبة من شفاعة الآلهة والكرامة على الله بالانساب الشريفة وتسويف التوبة ومغفرة الذنوب بدونها والاتكال على الرحمة وشفاعة الرسول فى الكبائر والخروج من النار بعد ان يصيروا حمما وايثار العاجل على الآجل (ان عبادى) يريد الصالحين (ليس لك عليهم سلطان) اى لا تقدر ان تغويهم (وكفى بربك وكيلا) لهم يتوكلون به فى الاستعاذة منك ونحوه قوله الا عبادك منهم المخلصين (فان قلت) كيف جاز ان يامر الله ابليس بان يتسلط على عباده مغويا مضلا داعيا الى الشر صادا عن الخير (قلت) هو من الاوامر الواردة على سبيل الخذلان والتخلية كما قال للعصاة اعملوا ما شئتم (يزجى) يجرى ويسير * والضر خوف الغرق (ضل من تدعون الا اياه) ذهب عن اوهامكم وخواطركم كل من تدعونه فى حوادثكم الا اياه وحده فانكم لا تذكرون سواه ولا تدعونه فى ذلك الوقت ولا تعقدون برحمته رجاءكم ولا تخطرون ببالكم ان غيره يقدر على اغاثتكم اولم يهتد لانقاذكم احد غيره من سائر المدعوين و يجوز ان يراد ضل من تدعون من الآلهة عن اغاثتكم ولكن الله وحده هو الذى ترجونه وحده على الاستثناء المنقطع (افامنتم) الهمزة للانكار والفاء للعطف على محذوف تقديره أنجوتم فامنتم فحملكم ذلك على الاعراض * (فان قلت) بم انتصب (جانب البر) (قلت) بيخسف مفعولا به كالارض فى قوله فخسفنا به وبداره الارض * و بكم حال والمعنى ان يخسف جانب البر اى يقلبه وانتم عليه (فان قلت) فما معنى ذكر الجانب (قلت) معناه ان الجوانب والجهات كلها فى قدرته سواء وله فى كل جانب برا كان او بحرا سبب مرصد من اسباب الهلكة ليس جانب البحر وحده مختصا بذلك بل ان كان الغرق فى جانب البحر ففى جانب البر ما هو مثله وهو الخسف لانه تغييب تحت التراب كما ان الغرق تغييب تحت الماء فالبر والبحر عنده سيان يقدر فى البر على نحو ما يقدر عليه فى البحر فعلى العاقل ان يستوى خوفه من الله فى جميع الجوانب وحيث كان (او يرسل عليكم حاصبا) وهى الريح التى تحصب اى ترمى بالحصباء يعنى او ان لم يصبكم بالهلاك من تحتكم بالخسف اصابكم به من فوقكم بريح يرسلها عليكم فيها الحصباء يرجمكم بها فيكون اشد عليكم من الغرق فى البحر (وكيلا) من يتوكل بصرف ذلك عنكم (ام أمنتم) ان يقوى دواعيكم و يوفر حوائجكم الى ان ترجعوا فتركبوا البحر الذى نجاكم منه فاعرضتم فينتقم منكم بان يرسل (عليكم قاصفا) وهى الريح

* قوله تعالى وعدهم ومايعدهم الشيطان الا غرورا الآية (قال المراد وعدهم المواعيد الكاذبة الخ) قال احمد وهذا من تجرى المصنف على السنة وتبجيها فانه جعل المغفرة المقرونة بالمشيئة وان لم تكن توبة للمؤمنين من مواعيد الشيطان مع العلم بانها ثابتة بقواطع القرآن وعدا من الرحمن وكذلك الشفاعة المتفق

فيغرقكم بما كفرتم ثم لا تجدوا لكم علينا به تبيعا ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم

التي لها قصيف وهو الصوت الشديد كانها تتقصف اي تتكسر وقيل التي لا تمر بشيء الا قصفته (فيغرقكم) وقرئ بالتاء اي الريح وبالنون وكذلك نخسف ونرسل ونعيدكم قرئت بالياء والنون * التبيع المطالب من قوله فاتباع بالمعروف اي مطالبة قال الشماخ * كما لاذ الغريم من التبيع * يقال فلان على فلان تبيع بحقه اي مصيطر عليه مطالب له بحقه والمعنى انا نفعل ما نفعل بهم ثم لا تجد احدا يطالبنا بما فعلنا انتصارا منا ودركا للثار من جهتنا وهذا نحو قوله ولا يخاف عقباها (بما كفرتم) بكفرانكم النعمة يريد اعراضهم حين نجاهم * قيل في تكرمة ابن آدم كرمه الله بالعقل والنطق والتمييز والخط والصورة الحسنة والقامة المعتدلة وتدبير امر المعاش والمعاد وقيل بتسليطهم على ما في الارض وتسخيره لهم وقيل كل شيء يأكل بفيه الا ابن آدم وعن الرشيد انه احضر طعاما فدعا بالملاعق وعنده ابو يوسف فقال له جاء في تفسير جدك ابن عباس قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم جعلنا لهم اصابع يأكلون بها فاحضرت الملاعق فردها وأكل باصابعه (على كثير ممن خلقنا) هو ماسوى الملائكة وحسب بني آدم تفضيلا ان ترفع عليهم الملائكة وهم هم ومنزلتهم عند الله منزلتهم والعجب من المجبرة كيف عكسوا في كل شيء وكابروا حتى جسرتهم عادة المكابرة على العظيمة التي هي تفضيل الانسان على الملك وذلك بعد ما سمعوا تفخيم الله امرهم وتكثيره مع التعظيم ذكرهم وعلموا اين اسكنهم وانى قربهم وكيف نزلهم من انبيائه منزلة انبيائه من اممهم ثم جرهم فرط التعصب عليهم الى ان لفقوا اقوالا واخبارا منها قالت الملائكة ربنا انك اعطيت بني آدم الدنيا يأكلون منها ويتمتعون ولم تعطنا ذلك فاعطناه في الآخرة فقال وعزتي وجلالي لا اجعل ذرية من خلقت بيدي كمن قلت له كن فكان ورووا عن ابي هريرة انه قال المؤمن أكرم على الله من الملائكة الذين عنده ومن ارتكابهم انهم فسروا كثيرا بمعنى جميع في هذه الآية وخذلوا حتى سلبوا الذوق فلم يحسوا ببشاعة قولهم وفضلناهم على جميع ممن خلقنا على ان معنى قولهم على جميع ممن خلقنا اشجى لحلوقهم وأقذى لعيونهم ولكنهم لا يشعرون فانظر الى تمحلهم وتشبثهم بالتأويلات البعيدة في عداوة الملأ الأعلى كأن جبريل عليه السلام غاظهم حين اهلك مدائن قوم لوط فتلك السخيمة لا تنحل عن قلوبهم * قرئ يدعو بالياء والنون ويدعى كل اناس على البناء للمفعول وقرأ الحسن يدعو كل اناس على قلب الالف واوا في لغة من يقول افعو * والظرف نصب باضمار اذكر ويجوز ان يقال انها علامة الجمع كما في وأسروا النجوى الذين ظلموا والرفع مقدر كما في يدعى ولم يؤت بالنون قلة مبالاة بها لانها غير ضمير ليست الا علامة (بامامهم) بمن ائتموا به من نبي او مقدم في الدين او كتاب او دين فيقال يا اتباع فلان يا اهل دين كذا او كتاب كذا وقيل بكتاب اعمالهم فيقال يا اصحاب كتاب الخير ويا اصحاب كتاب الشر وفي قراءة الحسن بكتابهم ومن بدع التفاسير ان الامام جمع ام وان الناس يدعون يوم القيامة بامهاتهم وان الحكمة في الدعاء بالامهات دون الآباء رعاية حق عيسى عليه السلام واظهار شرف الحسن والحسين وان لا يفتضح اولاد الزنا وليت شعري ايهما ابدع أصحة لفظه ام بهاء حكمته (فمن أوتي) من هؤلاء المدعوين (كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم) قيل اولئك لان من أوتي في معنى الجمع (فان قلت) لم خص

عليها بين اهل السنة والجماعة التي وعدنها الصادق المصدوق ومنزه الله تعالى بها على كل مخلوق من مواعيد الشيطان الباطلة واما نيه الماحلة اللهم ارزقنا الشفاعة واحشرنا في زمرة السنة والجماعة * قوله تعالى ولقد كرمنا بني آدم الى قوله ممن خلقنا تفضيلا (قال المراد فضلناهم على ماسوى الملائكة الخ) قال احمد وقد بلغ الى حد من السفه يوجب الحد لسنا اجلته الا من حيث العلم لا من حيث السفه والقدر الذي تختص به هذه الآية ان حمل كثير على الجميع غير مستبعد ولا مستنكر الا ترى انه ورد حمل القليل على العدم والزمخشري يختار ذلك في قوله تعالى فقليلا ما يؤمنون واشباهه كثير وقد لمح الشاعر بذلك في قوله * قليل بها الاصوات الا بغامها * اى لا اصوات بها ولنا ان نبقيه على ماهو عليه ونقول ان المخلوق قسمان بنو آدم احدهما وغيرهم من جميع المخلوقين القسم الآخر ولا شك ان غيرهم اكثر منهم وان لم يكونوا اكثر منهم كثيرا فمعنى قوله وفضلناهم على كثير ممن خلقنا اي على غيرهم من جميع المخلوقين وتلك الاغيار كثير بلا امراء وذلك مرادف لقولك وفضلناهم على جميع من عداهم ممن خلقنا فظاهر الآية اذا مع الاشعرية الذين سهام حجرة وتمشدق في سبهم وشقشق العبارات في ثلبهم وما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد والله ولي التوفيق والتسديد * قوله تعالى يوم ندعو كل اناس بامامهم فمن اوتي كتابه بيمينه فاولئك يقرؤن كتابهم الآية (قال بامامهم معناه بمن ائتموا به من نبي او كتاب او دين الخ) قال احمد ولقد استبدع بدعا لفظا ومعنى فان جمع الام المعروف امهات واما رعاية عيسى عليه السلام بذكر امهات الخلائق ليذكر بامه فيستدعي ان خلق عيسى من غير اب غميزة في منصبه وذلك عكس الحقيقة فان خلقه من غير أب كان له آية وشرفا في حقه والله أعلم

*عاد كلامه (قال وقد جوزوا ان يكون الثاني بمعنى التفضيل الخ قال احمد اى لانه من عمي القلب لاعمي البصر فجاز ان ينبنى منه افعل
*عاد كلامه (قال ومن ثم امال ابو عمرو الاولى وفخم الثانية الخ) قال احمد ويحتمل ان تكون هذه الآية قسيمة الاولى اى فمن اوتي كتابه بيمينه فهو الذى يبصره ويقرؤه ومن كان فى الدنيا اعمى غير مبصر فى نفسه ولا ناظر فى معاده فهو فى الآخرة كذلك غير مبصر فى كتابه بل اعمى عنه او اشد عمى مما كان فى الدنيا على اختلاف التاويلين والله أعلم *قوله تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات (قال المراد ضعف عذاب الحياة وضعف عذاب الممات الخ) قال احمد اما تقليل الكيدودة فالذى ينبغى ان يحمل عليه كونه الواقع فى علم الله تعالى لان الله عز وجل يعلم مالم يكن لو كان كيف كان يكون فعلم تعالى ان الركون الذى كاد يحصل منه عليه السلام وان كان ماحصل امر قليل وخطب يسير فذلك اخبار من الله تعالى عن الواقع فى علمه تقديرا فلا يليق ان يحمل على المبالغة والتنبيه فان ذلك لا يكون فى الاخبار الا ترى انه لو كان الواقع كيدودة ركون كثير ليكان تقليله خلفا فى الخبر ولا ينكر ان الذنب يعظم بحسب فاعله على ماورد حسنات الابرار سيآت المقربين

اصحاب اليمين بقراءة كتابهم كان اصحاب الشمال لايقرؤن كتابهم (قلت) بلى ولكن اذا اطلعوا على مافى كتابهم اخذهم ما ياخذ المطالب بالنداء على جناياته والاعتراف بمساويه امام التنكيل به والانتقام منه من الحياء والخجل والانخزال وحبسة اللسان والتتعتع والعجز عن اقامة حروف الكلام والذهاب عن تسوية القول فكان قراءتهم كلا قراءة واما اصحاب اليمين فامرهم على عكس ذلك لاجرم انهم يقرؤن كتابهم احسن قراءة وابينها ولا يقنعون بقراءتهم وحدهم حتى يقول القارئ لاهل المحشر هاؤم اقرؤا كتابيه (ولا يظلمون فتيلا) ولا ينقصون من ثوابهم ادنى شيء كقوله ولا يظلمون شيئا فلا يخاف ظلما ولا هضما *معناه ومن كان فى الدنيا اعمى فهو فى الآخرة اعمى كذلك (واضل سبيلا) من الاعمى والاعمى مستعار ممن لا يدرك المبصرات لفساد حاسته لمن لا يهتدى الى طريق النجاة اما فى الدنيا فلفقد النظر واما فى الآخرة فلانه لا ينفعه الاهتداء اليه وقد جوزوا ان يكون الثانى بمعنى التفضيل ومن ثم قرأ ابو عمرو الاول ممالا والثانى مفخما لان افعل التفضيل تمامه بمن فكانت الفه فى حكم الواقعة فى وسط الكلام كقولك اعمالكم واما الاول فلم يتعلق به شيء فكانت الفه واقعة فى الطرف معرضة للامالة * روى ان ثقيفا قالت للنبى صلى الله عليه وسلم لا ندخل فى امرك حتى تعطينا خصالا نفتخر بها على العرب لا نعشر ولا نحشر ولا نجبى فى صلاتنا وكل ربا لنا فهو لنا وكل ربا علينا فهو موضوع عنا وان تمتعنا باللات سنة ولا نكسرها بايدينا عند رأس الحول وان تمنع من قصد وادينا وج فعضد شجره فاذا سألتك العرب لم فعلت ذلك فقل ان الله امرنى به وجاؤا بكتابهم فكتب بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله لثقيف لا يعشرون ولا يحشرون فقالوا ولا يجبون فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قالوا للكاتب اكتب ولا يجبون والكاتب ينظر الى رسول الله فقام عمر بن الخطاب رضى الله عنه فسل سيفه وقال اسعرتم قلب نبينا يامعشر ثقيف اسعر الله قلوبكم نارا فقالوا لسنا نكلم اياك انما نكلم محمدا فنزلت وروى ان قريشا قالوا له اجعل آية رحمة آية عذاب وآية عذاب آية رحمة حتى نؤمن بك فنزلت (وان كادوا ليفتنونك) ان مخففة من الثقيلة واللام هى الفارقة بينها وبين النافية والمعنى ان الشأن قاربوا ان يفتنوك اى يخدعوك فاتنين (عن الذى اوحينا اليك) من اوامرنا ونواهينا ووعدنا ووعيدنا (لتفترى علينا) لتتقول علينا مالم نقل يعنى ما اداروه عليه من تبديل الوعد وعيدا والوعيد وعدا وما اقترحته ثقيف من ان يضيف الى الله مالم ينزله عليه (واذا لاتخذوك) اى ولو اتبعت مرادهم لاتخذوك (خليلا) ولكنت لهم وليا وخرجت من ولايتى (ولولا ان ثبتناك) ولولا تثبيتنا لك وعصمتنا (لقد كدت تركن اليهم) لقاربت ان تميل الى خدعهم ومكرهم وهذا تهييج من الله له وفضل تثبيت وفى ذلك لطف للمؤمنين (اذا) لو قاربت تركن اليهم ادنى ركنة (لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) اى لاذقناك عذاب الآخرة وعذاب القبر مضاعفين (فان قلت) كيف حقيقة هذا الكلام (قلت) اصله لاذقناك عذاب الحياة وعذاب الممات لان العذاب عذابان عذاب فى الممات وهو عذاب القبر وعذاب فى حياة الآخرة وهو عذاب النار والضعف

ولا يظلمون فتيلا ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا وان كادوا ليفتنونك عن الذى اوحينا اليك لتفترى علينا غيره واذا لاتخذوك خليلا ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا اذا لاذقناك ضعف الحياة وضعف الممات ثم لا تجد لك علينا نصيرا

واما نقل الزمخشرى عن مشايخه استعظام نسبة الفواحش والقبائح الى الله عز وجل فلقد استعظموا عظيما حق على كل مسلم ان يستعظمه ولكنهم جهلوا باعتقاد القبح وصفا ذاتيا للقبيح الزمهم على ذلك ان كل فعل استقبح من العبد استقبح من الله تعالى وهم غالطون فى ذلك فمعنى كون الفعل قبيحا ان الله تعالى نهى عنه عبده وان كان لله تعالى ان يفعله وهو حسن بالنسبة اليه لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون الا ترى ان الملك يصح منه ان يستقبح من عبده ان يجلس على كرسي الملك وينهاه عن ذلك ولا يستقبح ذلك من نفسه بل هو منه حسن جميل ولقد كان لمشايخه شغل باستعظام ما لزمهم من الاشراك عن استعظام غيره مما هو توحيد محض وايمان صرف ولكنهم زين لهم سوء اعتقادهم فرأوه حسنا والله الموفق

يوصف به نحو قوله فآتهم عذابا ضعفا من النار بمعنى مضاعفا فكان اصل الكلام لأذقناك عذابا ضعفا في الحياة وعذابا ضعفا في الممات ثم حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه وهو الضعف ثم اضيفت الصفة اضافة الموصوف فقيل ضعف الحياة وضعف الممات كما لو قيل لاذقناك أليم الحياة وأليم الممات ويجوز ان يراد بضعف الحياة عذاب الحياة الدنيا وبضعف الممات ما يعقب الموت من عذاب القبر وعذاب النار والمعنى لضاعفنا لك العذاب المعجل للعصاة في الحياة الدنيا وما نؤخره لما بعد الموت وفي ذكر الكيدودة وتقليلها مع اتباعها الوعيد الشديد بالعذاب المضاعف في الدارين دليل بين على ان القبيح يعظم قبحه بمقدار عظم شان فاعله وارتفاع منزلته ومن ثم استعظم مشايخ العدل والتوحيد رضوان الله عليهم نسبة المجبرة القبائح الى الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا وفيه دليل على ان ادنى مداهنة للغواة مضادة لله وخروج عن ولايته وسبب موجب لغضبه ونكاله فعلى المؤمن اذا تلا هذه الآية ان يجثو عندها ويتدبرها فهي جديرة بالتدبر وبان يستشعر الناظر فيها الخشية وازدياد التصلب في دين الله وعن النبي صلى الله عليه وسلم انها لما نزلت كان يقول اللهم لا تكلني الى نفسي طرفة عين (وان كادوا) وان كاد اهل مكة (ليستفزونك) ليزعجونك بعداوتهم ومكرهم (من الارض) من أرض مكة (واذا لا يلبثون) لا يبقون بعد اخراجك (الا) زمانا (قليلا) فان الله مهلكهم وكان كما قال فقد أهلكوا ببدر بعد اخراجه بقليل وقيل معناه ولو اخرجوك لاستؤصلوا عن بكرة ابيهم ولم يخرجوه بل هاجر بامر ربه وقيل من ارض العرب وقيل من أرض المدينة وذلك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر حسدته اليهود وكرهوا قربه منهم فاجتمعوا اليه وقالوا يا أبا القاسم ان الانبياء انما بعثوا بالشام وهي بلاد مقدسة وكانت مهاجر ابراهيم فلو خرجت الى الشام لآمنا بك واتبعناك وقد علمنا انه لا يمنعك من الخروج الا خوف الروم فان كنت رسول الله فالله مانعك منهم فعسكر رسول الله صلى الله عليه وسلم على اميال من المدينة وقيل بذي الحليفة حتى يجتمع اليه اصحابه ويراه الناس عازما على الخروج الى الشام لحرصه على دخول الناس في دين الله فنزلت فرجع * وقرئ لا يلبثون وفي قراءة ابي لا يلبثوا على اعمال اذا (فان قلت) ما وجه القراءتين (قلت) اما الشائعة فقد عطف فيها الفعل على الفعل وهو مرفوع لوقوعه خبر كاد والفعل في خبر كاد واقع موقع الاسم واما قراءة ابي ففيها الجملة برأسها التي هي اذا لا يلبثوا عطف على جملة قوله وان كادوا ليستفزونك * وقرئ خلافك قال

عفت الديار خلافهم فكأنما * بسط الشواطب بينهن حصيرا

أي بعدهم (سنة من قد أرسلنا) يعني ان كل قوم اخرجوا رسولهم من بين ظهرانيهم فسنة الله ان يهلكهم ونصب نصب المصدر المؤكد اي سن الله ذلك سنة * دلكت الشمس غربت وقيل زالت وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم اتاني جبريل عليه السلام لدلوك الشمس حين زالت الشمس فصلى بي الظهر واشتقاقه من الدلك لان الانسان يدلك عينه عند النظر اليها فان كان الدلوك الزوال فالآية جامعة للصلوات الخمس وان كان الغروب فقد خرجت منها الظهر والعصر * والغسق الظلمة وهو وقت صلاة العشاء (وقرآن الفجر) صلاة الفجر سميت قرآنا وهو القراءة لانها ركن كما سميت ركوعا وسجودا وقنوتا وهي حجة على ابن علية والاصم في زعمهما ان القراءة ليست بركن (مشهودا) يشهده ملائكة الليل والنهار ينزل هؤلاء ويصعد هؤلاء فهو في آخر ديوان الليل واول ديوان النهار او يشهده الكثير من المصلين في العادة او من حقه ان يكون مشهودا بالجماعة الكثيرة ويجوز ان يكون وقرآن الفجر حثا على طول القراءة في صلاة الفجر لكونها مكثورا عليها ليسمع الناس القرآن فيكثر الثواب ولذلك كانت الفجر أطول الصلوات قراءة (ومن الليل) وعليك بعض الليل (فتهجد به) والتهجد ترك الهجود للصلاة ونحوه التأثم والتحرج ويقال ايضا في النوم تهجد (نافلة لك) عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس وضع نافلة موضع تهجدا لان التهجد عبادة زائدة فكان التهجد والنافلة يجمعهما معنى واحد والمعنى ان التهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك لانه تطوع لهم (مقاما محمودا) نصب على الظرف اي عسى ان يبعثك يوم القيامة فيقيمك مقاما محمودا او ضمن يبعثك معنى

وان كادوا ليستفزونك من الارض ليخرجوك منها واذا لا يلبثون خلفك الا قليلا سنة من قد ارسلنا من رسلنا ولا تجد لسنتنا تحويلا اقم الصلوات لدلوك الشمس الى غسق الليل وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهودا ومن الليل فتهجد به نافلة لك عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا وقل رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك

يقيمك و يجوز ان يكون حالا بمعنى ان يبعثك ذا مقام محمود ومعنى المقام المحمود المقام الذي يحمده القائم فيه وكل من رآه وعرفه وهو مطلق في كل ما يجلب الحمد من أنواع الكرامات وقيل المراد الشفاعة وهي نوع واحد مما يتناوله وعن ابن عباس رضي الله عنهما مقام يحمدك فيه الاولون والآخرون وتشرف فيه على جميع الخلائق تسال فتعطى و تشفع فتشفع ليس احد الا تحت لوائك وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم هو المقام الذي اشفع فيه لامتي وعن حذيفة يجمع الناس في صعيد واحد فلا تتكلم نفس فاول مدعو محمد صلى الله عليه وسلم فيقول لبيك وسعديك والشر ليس اليك والمهدي من هديت وعبدك بين يديك و بك واليك لا ملجا ولا منجي منك الا اليك تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فهذا قوله عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا * قرئ مدخل ومخرج بالضم والفتح بمعنى المصدر ومعنى الفتح ادخلني فادخل مدخل صدق اي ادخلني القبر مدخل صدق ادخالا مرضيا على طهارة وطيب من السيآت وأخرجني منه عند البعث اخراجا مرضيا ملقي بالكرامة آمنا من السخط يدل عليه ذكره على أثر ذكر البعث وقيل نزلت حين امر بالهجرة يريد ادخال المدينة والاخراج من مكة وقيل ادخاله مكة ظاهرا عليها بالفتح واخراجه منها آمنا من المشركين وقيل ادخاله الغار واخراجه منه سالما وقيل ادخاله فيما حمله من عظيم الامر وهو النبوة واخراجه منه مؤديا لما كلفه من غير تفريط وقيل الطاعة وقيل هو عام في كل ما يدخل فيه و يلابسه من أمر ومكان (سلطانا) حجة تنصرني على من خالفني او ملكا وعزا قويا ناصرا للاسلام على الكفر مظهرا له عليه فاجيبت دعوته بقوله والله يعصمك من الناس فان حزب الله هم الغالبون ليظهره على الدين كله ليستخلفنهم في الارض ووعده لينزعن ملك فارس والروم فيجعله له وعنه صلى الله عليه وسلم انه استعمل عتاب بن أسيد على اهل مكة وقال انطلق فقد استعملتك على اهل الله فكان شديدا على المريب لينا على المؤمن وقال لا والله لا أعلم متخلفا يتخلف عن الصلاة في جماعة الا ضربت عنقه فانه لا يتخلف عن الصلاة الا منافق فقال اهل مكة يارسول الله لقد استعملت على اهل الله عتاب بن اسيد اعرابيا جافيا فقال صلى الله عليه وسلم اني رأيت فيما يرى النائم كان عتاب بن أسيد اتى باب الجنة فاخذ بحلقة الباب فقلقلها قلقالا شديدا حتي فتح له فدخلها فاعز الله به الاسلام لنصرته المسلمين على من يريد ظلمهم فذلك السلطان النصير * كان حول البيت ثلاثمائة وستون صنما صنم كل قوم بحيالهم وعن ابن عباس رضى الله عنهما كانت لقبائل العرب يحجون اليها و ينحرون لها فشكا البيت الى الله عز وجل فقال اي رب حتى متى تعبد هذه الاصنام حولي دونك فاوحي الله الى البيت اني ساحدث لك نوبة جديدة فاملاك خدودا سجدا يدفون اليك دفيف النسور ويحنون اليك حنين الطير الى بيضها لهم عجيج حولك بالتلبية ولما نزلت هذه الآية يوم الفتح قال جبريل عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وسلم خذ مخصرتك ثم ألقها فجعل ياتي صنما صنما وهو ينكت بالمخصرة في عينه و يقول جاء الحق وزهق الباطل فينكب الصنم لوجهه حتى ألقاها جميعا وبقي صنم خزاعة فوق الكعبة وكان من قوارير صفر فقال يا على ارم به فحمله رسول الله صلي الله عليه وسلم حتى صعد فرمى به فكسره فجعل اهل مكة يتعجبون و يقولون ما رأينا رجلا اسحر من محمد صلي الله عليه وسلم وشكاية البيت والوحي اليه تمثيل وتخييل (وزهق الباطل) ذهب وهلك من قولهم زهقت نفسه اذا خرجت * والحق الاسلام والباطل الشرك (كان زهوقا) كان مضمحلا غير ثابت في كل وقت (وننزل) وقرئ بالتخفيف والتشديد (من القرآن) من للتبيين كقوله من الاوثان او للتبعيض اي كل شيء نزل من القرآن فهو شفاء المؤمنين يزدادون به ايمانا و يستصلحون به دينهم فموقعه منهم موقع الشفاء من المرضى وعن النبي صلى الله عليه وسلم من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله * ولا يزداد به الكافرون (الا خسارا) اي نقصانا لتكذيبهم به وكفرهم كقوله تعالى فزادتهم رجسا الى رجسهم (واذا أنعمنا على الانسان) بالصحة والسعة (أعرض) عن ذكر الله كانه مستغن عنه مستبد بنفسه (ونأى بجانبه) تاكيد للاعراض لان الاعراض عن الشيء ان يوليه عرض وجهه والنأي بالجانب ان يلوي عنه عطفه و يوليه ظهره او اراد الاستكبار لان ذلك من عادة المستكبرين (واذا مسه الشر) من فقر او مرض او

سلطانا نصيرا وقل جاء الحق وزهق الباطل ان الباطل كان زهوقا وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا واذا أنعمنا على الانسان أعرض ونأى بجانبه واذا مسه الشر

* قوله تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا (قال العجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز الخ) قال احمد ومما يدلك على حيد

المصنف عن سنن المصنف انه تدلس على الضعفة فى مثل هذه المسئلة التى طبقت طبق الارض ظهورا وشيوعا ومع ذلك يرضي لنفسه ان يتجاهل فيها عن معتقد القوم وذلك ان عقيدة اهل السنة ان مدلول العبارات صفة قديمة قائمة بذات البارى تعالى يطلق عليها قرآن و يطلق ايضا على اداتها وهى هذه الكلمات الفصيحة والآى الكريمة قرآن وان المعجز عندهم الدليل لا المدلول لكنهم يتحرزون من اطلاق القول بانه مخلوق لوجهين احدهما انه اطلاق موهم والثانى ان السلف الصالح كفوا عنه فاقتفوا آثارهم واقتبسوا انوارهم وكم من معتقد لا يطلق القول به خشية ايهام غيره مما لا يجوز اعتقاده فلا ربط بين الاعتقاد والاطلاق ولا كرامة لمعتقد ذلك والمتعنت بالزامه والله يقول الحق وهو يهدى السبيل

نازلة من النوازل (كان يؤسا) شديد الياس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون * وقرئ وناء بجانبه بتقديم اللام على العين كقولهم راء فى رأى و يجوز ان يكون من ناء بمعنى نهض (قل كل) احد (يعمل على شاكلته) اى على مذهبه وطريقته التى تشاكل حاله فى الهدى والضلالة من قولهم طريق ذو شواكل وهى الطرق التى تتشعب منه والدليل عليه قوله (فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا) اى اسد مذهبا وطريقة * الاكثر على انه الروح الذى فى الحيوان سألوه عن حقيقته فاخبر انه من امر الله اى مما استأثر بعلمه وعن ابن ابى بريدة لقد مضى النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح وقيل هو خلق عظيم روحانى اعظم من الملك وقيل جبريل عليه السلام وقيل القرآن و (من امر ربي) اى من وحيه وكلامه ليس من كلام البشر بعثت اليهود الى قريش ان سلوه عن اصحاب الكهف وعن ذى القرنين وعن الروح فان اجاب عنها او سكت فليس بنبي وان اجاب عن بعض وسكت عن بعض فهو نبي فبين لهم القصتين وابهم امر الروح وهو مبهم فى التوراة فندموا على سؤالهم (وما أوتيتم) الخطاب عام وروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما قال لهم ذلك قالوا نحن مختصون بهذا الخطاب ام انت معنا فيه فقال بل نحن وانتم لم نؤت من العلم الا قليلا فقالوا ما اعجب شانك ساعة تقول ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا وساعة تقول هذا فنزلت ولو ان ما فى الارض من شجرة اقلام وليس ما قالوه بلازم لان القلة والكثرة تدوران مع الاضافة فيوصف الشيء بالقلة مضافا الى ما فوقه وبالكثرة مضافا الى ما تحته فالحكمة التي اوتيها العبد خير كثير فى نفسها الا انها اذا اضيفت الى علم الله فهي قليلة وقيل هو خطاب لليهود خاصة لانهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم قد اوتينا التوراة وفيها الحكمة وقد تلوت ومن يؤت الحكمة فقد اوتى خيرا كثيرا فقيل لهم ان علم التوراة قليل فى جنب علم الله (لنذهبن) جواب قسم محذوف مع نيابته عن جزاء الشرط * واللام الداخلة على ان موطئة للقسم والمعنى ان شئنا ذهبنا بالقرآن ومحوناه عن الصدور والمصاحف فلم نترك له اثرا وبقيت كما كنت لا تدرى ما الكتاب (ثم لا تجد لك) بعد الذهاب (به) من يتوكل علينا باسترداده واعادته محفوظا مستورا (الا رحمة من ربك) الا ان يرحمك ربك فيرده عليك كان رحمته تتوكل عليه بالرد او يكون على الاستثناء المنقطع بمعنى ولكن رحمة من ربك تركته غير مذهوب به وهذا امتنان من الله تعالى ببقاء القرآن محفوظا بعد المنة العظيمة فى تنزيله وتحفيظه فعلى كل ذى علم ان لا يغفل عن هاتين المنتين والقيام بشكرهما وهما منة الله عليه بحفظ العلم ورسوخه فى صدره ومنته عليه فى بقاء المحفوظ وعن ابن مسعود ان اول ما تفقدون من دينكم الامانة وآخر ما تفقدون الصلاة وليصلين قوم ولا دين لهم وان هذا القرآن تصبحون يوما وما فيكم منه شيء فقال رجل كيف ذلك وقد اثبتناه فى قلوبنا واثبتناه فى مصاحفنا نعلمه ابناءنا ويعلمه ابناؤنا ابناءهم فقال يسرى عليه ليلا فيصبح الناس منه فقراء ترفع المصاحف وينزع ما فى القلوب (لا ياتون) جواب قسم محذوف ولولا اللام الموطئة لجاز ان يكون جوابا للشرط كقوله * يقول لا غائب مالى ولا حرم * لان الشرط وقع ماضيا اى لو تظاهروا على ان ياتوا بمثل هذا القرآن فى بلاغته وحسن نظمه وتاليفه وفيهم العرب العاربة ارباب البيان لعجزوا عن الاتيان بمثله والعجب من النوابت ومن زعمهم ان القرآن قديم مع اعترافهم بانه معجز وانما يكون العجز حيث تكون القدرة فيقال الله قادر على خلق الاجسام والعباد عاجزون عنه واما المحال الذى لا مجال فيه للقدرة ولا مدخل لها فيه كثانى القديم فلا يقال للفاعل قد عجز عنه ولا هو معجز ولو قيل ذلك لجاز وصف الله بالعجز لانه لا يوصف بالقدرة على المحال الا ان يكابروا فيقولوا هو قادر على المحال فان رأس مالهم المكابرة وقلب الحقائق (ولقد صرفنا) رددنا وكررنا (من كل مثل) من كل معنى هو كالمثل فى غرابته وحسنه * والكفور

كان يؤسا قل كل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى سبيلا ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا ولئن شئنا لنذهبن بالذى اوحينا اليك ثم لا تجد لك به علينا وكيلا الا رحمة من ربك ان فضله كان عليك كبيرا قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل

* قوله تعالى قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا (قال بمعناه لو كانوا يمشون مشي الانس ولا يطيرون

فابى اكثر الناس الا كفورا وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعا او تكون لك جنة من نخيل وعنب فتفجر الانهار خلالها تفجيرا او تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا او تاتي بالله والملائكة قبيلا او يكون لك بيت من زخرف او ترقي في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتابا نقرؤه قل سبحان ربي هل كنت الا بشرا رسولا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لو كان في الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا قل كفى بالله شهيدا بيني و بينكم انه كان بعباده خبيرا بصيرا ومن يهدي الله فهو المهتدي ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا و بكما وصما ماواهم جهنم كلما خبت زدناهم سعيرا

الجحود (فان قلت) كيف جاز (فابي اكثر الناس الا كفورا) ولم يجز ضربت الا زيدا (قلت) لان أبى متاول بالنفي كانه قيل فلم يرضوا الا كفورا * لما تبين اعجاز القرآن وانضمت اليه المعجزات الاخر والبينات ولزمتهم الحجة وغلبوا اخذوا يتعللون باقتراح الآيات فعل المبهوت المحجوج المتعثر في اذيال الحيرة فقالوا لن نؤمن لك حتى وحتى (تفجر) تفتح وقرئ تفجر بالتخفيف (من الارض) يعنون ارض مكة (ينبوعا) عينا غزيرة من شانها ان تنبع بالماء لا تقطع يفعول من نبع الماء كيعبوب من عب الماء (كما زعمت) يعنون قول الله تعالى ان نشا نخسف بهم الارض او نسقط عليهم كسفا من السماء * قرئ كسفا بسكون السين جمع كسفة كسدرة وسدر وبفتحه (قبيلا) كفيلا بما تقول شاهدا بصحته والمعنى او تاتي بالله قبيلا وبالملائكة قبيلا كقوله * كنت منه ووالدي بريا * فاني وقيار بها لغريب * او مقابلا كالعشير بمعنى المعاشر ونحوه لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا او جماعة حالا من الملائكة (من زخرف) من ذهب (في السماء) في معارج السماء فحذف المضاف * يقال رقى في السلم وفي الدرجة (ولن نؤمن لرقيك) ولن نؤمن لاجل رقيك (حتى تنزل علينا كتابا) من السماء فيه تصديقك عن ابن عباس رضي الله عنهما قال عبدالله بن ابي أمية لن نؤمن لك حتى تتخذ الى السماء سلما ثم ترقي فيه وانا انظر حتى تاتيها ثم تاتي معك بصك منشور معه أربعة من الملائكة يشهدون لك أنك كما تقول وما كانوا يقصدون بهذه الاقتراحات الا العناد واللجاج ولو جاءتهم كل آية لقالوا هذا سحر كما قال عز وجل ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون وحين انكروا الآية الباقية التي هي القرآن وسائر الآيات وليست بدون ما اقترحوه بل هي اعظم لم يكن الى تبصرتهم سبيل (قل سبحان ربي) وقرئ قال سبحان ربي اي قال الرسول وسبحان ربي تعجب من اقتراحاتهم عليه (هل كنت الا) رسولا كسائر الرسل (بشرا) مثلهم وكان الرسل لا ياتون قومهم الا بما يظهره الله عليهم من الآيات فليس امر الآيات الي انما هو الى الله فما بالكم تتخيرونها علي * ان الاولى نصب مفعول ثان لمنع والثانية رفع فاعل له و (الهدى) الوحي اي وما منعهم الايمان بالقرآن و بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم الا شبهة تلجلجت في صدورهم وهي انكارهم ان يرسل الله البشر والهمزة في (أبعث الله) للانكار وما انكروه فخلافه هو المنكر عند الله لان قضية حكمته ان لا يرسل ملك الوحي الا الى امثاله او الى الانبياء ثم قرر ذلك بانه (لو كان في الارض ملائكة يمشون) على اقدامهم كما يمشي الانس ولا يطيرون باجنحتهم الى السماء فيسمعوا من اهلها و يعلموا ما يجب علمه (مطمئنين) ساكنين في الارض قارين (لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا) يعلمهم الخير ويهديهم المراشد فاما الانس فما هم بهذه المثابة انما يرسل الملك الى مختار منهم للنبوة فيقوم ذلك المختار بدعوتهم وارشادهم (فان قلت) هل يجوز ان يكون بشرا وملكا منصوبين على الحال من رسولا (قلت) وجه حسن والمعنى له اجوب (شهيدا بيني و بينكم) على اني بلغت ما ارسلت به اليكم وانكم كذبتم وعاندتم (انه كان بعباده) المنذرين والمنذرين (خبيرا) عالما باحوالهم فهو مجازيهم وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيد للكفرة وشهيدا تمييز او حال (ومن يهد الله) ومن يوفقه و يلطف به (فهو المتهدي) لانه لا يلطف الا بمن عرف ان اللطف ينفع فيه (ومن يضلل) ومن يخذل (فلن تجد لهم اولياء) انصارا (على وجوههم) كقوله يوم يسحبون في النار على وجوههم وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يمشون على وجوههم قال ان الذى امشاهم على اقدامهم قادر على ان يمشيهم على وجوههم (عميا و بكما وصما) كما كانوا في الدنيا لا يستبصرون ولا ينطقون بالحق و يتصامون عن استماعه فهم في الآخرة كذلك لا يبصرون ما يقر اعينهم ولا يسمعون ما يلذ مسامعهم ولا ينطقون بما يقبل منهم ومن كان في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى و يجوز ان يحشروا مؤفي الحواص من الموقف الى النار بعد الحساب فقد اخبر عنهم في موضع آخر انهم يقرؤن و يتكلمون (كلما خبت) كلما أكلت جلودهم ولحومهم وافنتها فسكن لهبها بدلوا غيرها فرجعت ملتهبة

باجنحتهم الى السماء الخ) قال أحمد وقد اشتمل كلامه هذا على جواب حسن عن سؤال مقدر وهو قول القائل ان مجرد وجود الملائكة في الارض يناسب ارسال الملك اليهم فما فائدة هذه الزيادة فيكون جوابه ما تقدم والله الموفق

مستمرة كأنهم لما كذبوا بالاعادة بعد الافناء جعل الله جزاءهم ان سلط النار على أجزائهم تأكلها وتفنيها ثم يعيدها لا يزالون على الافناء والاعادة ليزيد ذلك فى تحسرهم على تكذيبهم البعث ولانه ادخل فى الانتقام من الجاحد وقد دل على ذلك بقوله (ذلك جزاؤهم) الى قوله (أئنا لمبعوثون خلقا جديدا) * (فان قلت) علام عطف قوله وجعل لهم اجلا (قلت) على قوله (اولم يروا) لان المعنى قد علموا بدليل العقل ان من قدر على خلق السموات والارض فهو قادر على خلق امثالهم من الانس لانهم ليسوا باشد خلقا منهن كما قال أأنتم اشد خلقا أم السماء (وجعل لهم أجلا لا ريب فيه) وهو الموت او القيامة فابوا مع وضوح الدليل الا جحودا * لو حقها ان تدخل على الافعال دون الاسماء فلا بد من فعل بعدها فى (لو انتم تملكون) وتقديره لو تملكون تملكون فاضمر تملك اضمارا على شريطة التفسير وأبدل من الضمير المتصل الذى هو الواو ضمير منفصل وهو انتم لسقوط ما يتصل به من اللفظ فانتم فاعل الفعل المضمر وتملكون تفسيره وهذا هو الوجه الذى يقتضيه علم الاعراب فاما ما يقتضيه علم البيان فهو ان انتم تملكون فيه دلالة على الاختصاص وان الناس هم المختصون بالشح المتبالغ ونحوه قول حاتم * لو ذات سوار لطمتنى * وقول المتلمس * ولو غير اخوالى ارادوا نقيصتى * وذلك لان الفعل الاول لما سقط الاجل المفسر برز الكلام فى صورة المبتدا والخبر * ورحمة الله رزقه وسائر نعمه على خلقه ولقد بلغ هذا الوصف بالشح الغاية التى لا يبلغها الوهم وقيل هو لاهل مكة الذين اقترحوا ما اقترحوا من الينبوع والانهار وغيرها وانهم لو ملكوا خزائن الارزاق لبخلوا بها (قتورا) ضيقا بخيلا (فان قلت) هل يقدر لامسكتم مفعول (قلت) لا لان معناه لبخلتم من قولك للبخيل ممسك * عن ابن عباس رضى الله عنهما هى العصا واليد والجراد والقمل والضفادع والدم والحجر والبحر والطور الذى نتقه على بنى اسرائيل وعن الحسن الطوفان والسنون ونقص الثمرات مكان الحجر والبحر والطور وعن عمر بن عبد العزيز انه سال محمد بن كعب فذكر اللسان والطمس فقال له عمر كيف يكون الفقيه الا هكذا اخرج يا غلام ذلك الجراب فاخرجه فنفضه فاذا بيض مكسور بنصفين وجوز مكسور وفوم وحمص وعدس كلها حجارة وعن صفوان بن عسال ان بعض اليهود سال النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اوحي الله الى موسي ان قل لبنى اسرائيل لا تشركوا بالله شيأ ولا تسرقوا ولا تزنوا ولا تقتلوا النفس التى حرم الله الا بالحق ولا تسحروا ولا تاكلوا الربا ولا تمشوا ببرىء الى ذى سلطان ليقتله ولا تقذفوا محصنة ولا تفروا من الزحف وانتم يا يهود خاصة لا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى اسرائيل) فقلنا له سل بنى إسرائيل اى سلهم من فرعون وقل له ارسل معى بنى اسرائيل او سلهم عن ايمانهم وعن حال دينهم او سلهم ان يعاضدوك وتكون قلوبهم وايديهم معك وتدل عليه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فسال بنى اسرائيل على لفظ الماضى بغير همز وهي لغة قريش وقيل فسل يا رسول الله المؤمنين من بنى اسرائيل وهم عبد الله بن سلام واصحابه عن الآيات ليزدادوا يقينا وطمانينة قلب لان الادلة اذا تظاهرت كان ذلك اقوى واثبت كقول ابراهيم ولكن ليطمئن قلبي (فان قلت) بم تعلق (اذ جاءهم) (قلت) اما على الوجه الاول فبالقول المحذوف اى فقلنا له سلهم حين جاءهم او بسال فى القراءة الثانية واما على الاخير فبآتينا او باضمار اذكر او يخبروك ومعنى اذ جاءهم اذ جاء آباءهم (مسحورا) سحرت فخولط عقلك (لقد علمت) يا فرعون (ما انزل هؤلاء) الآيات الا الله عز وجل (بصائر) بينات مكشوفات ولكنك معاند مكابر ونحوه وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقرئ علمت بالضم على معنى اني لست بمسحور كما وصفتني بل انا عالم بصحة الامر * وأن هذه الآيات منزلها رب السموات والارض * ثم قارع ظنه بظنه كانه قال ان ظننتني مسحورا فانا اظنك (مثبورا) هالكا وظني اصح من ظنك لان له امارة ظاهرة وهي انكارك ما عرفت صحته ومكابرتك لآيات الله بعد وضوحها واما ظنك فكذب بحت لان قولك مع علمك بصحة امرى انى لاظنك مسحورا قول كذاب وقال الفراء مثبورا مصروفا عن الخير مطبوعا على قلبك من قولهم ما ثبرك عن هذا اى ما منعك وصرفك وقرأ ابي بن كعب وان اخالك يا فرعون لمثبورا على ان المخففة واللام الفارقة (فاراد)

ذلك جزاؤهم بانهم كفروا بآياتنا وقالوا ائذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا اولم يروا ان الله الذى خلق السموات والارض قادر على ان يخلق مثلهم وجعل لهم أجلا لا ريب فيه فابي الظالمون الا كفورا قل لو انتم تملكون خزائن رحمة ربي اذا لامسكتم خشية الانفاق وكان الانسان قتورا ولقد آتينا موسي تسع آيات بينات فاسئل بنى اسرائيل اذ جاءهم فقال له فرعون اني لاظنك يا موسى مسحورا قال لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر واني لاظنك يا فرعون مثبورا فاراد ان يستفزهم من الارض فاغرقناه ومن معه جميعا وقلنا من بعده لبنى اسرائيل

فرعون ان يستخف موسى وقومه من ارض مصر ويخرجهم منها او ينفيهم عن ظهر الارض بالقتل والاستئصال فحاق به مكره بان استفزه الله باغراقه مع قبطه (اسكنوا الارض) التي اراد فرعون ان يستفزكم منها (فاذا جاء وعد الآخرة) يعني قيام الساعة (جئنا بكم لفيفا) جمعا مختلطين اياكم واياهم ثم نحكم بينكم ونميز بين سعدائكم واشقيائكم واللفيف الجماعات من قبائل شتى (وبالحق انزلناه وبالحق نزل) وما انزلنا القرآن الا بالحكمة المقتضية لانزاله وما نزل الا ملتبسا بالحق والحكمة لاشتماله على الهداية الى كل خير او ما انزلناه من السماء الا بالحق محفوظ بالرصد من الملائكة وما نزل على الرسول الا محفوظا بهم من تخليط الشياطين (وما ارسلناك) الا لتبشرهم بالجنة وتنذرهم من النار ليس اليك وراء ذلك شيء من اكراه على الدين او نحو ذلك (وقرآنا) منصوب بفعل يفسره (فرقناه) وقرأ أبي فرقناه بالتشديد اي جعلنا نزوله مفرقا منجما وعن ابن عباس رضي الله عنه انه قرأه مشددا وقال لم ينزل في يومين او ثلاثة بل كان بين اوله وآخره عشرون سنة يعني ان فرق بالتخفيف يدل على فصل متقارب (على مكث) بالفتح والضم على مهل وتؤدة وتثبت (ونزلناه تنزيلا) على حسب الحوادث (قل آمنوا به اولا تؤمنوا) امر بالاعراض عنهم واحتقارهم والازدراء بشأنهم وأن لا يكترث بهم وبايمانهم وبامتناعهم عنه وانهم ان لم يدخلوا في الايمان ولم يصدقوا بالقرآن وهم اهل جاهلية وشرك * فان خيرا منهم وافضل وهم العلماء الذين قرؤا الكتب وعلموا ما الوحي وما الشرائع قد آمنوا به وصدقوه وثبت عندهم انه النبي العربي الموعود في كتبهم فاذا تلي عليهم خروا سجدا وسبحوا الله تعظيما لامره ولانجازه ما وعد في الكتب المنزلة وبشر به من بعثة محمد صلى الله عليه وسلم وانزال القرآن عليه وهو المراد بالوعد في قوله (ان كان وعد ربنا لمفعولا * ويزيدهم خشوعا) اي يزيدهم القرآن لين قلب ورطوبة عين (فان قلت) ان الذين اوتوا العلم من قبله تعليل لماذا (قلت) يجوز ان يكون تعليلا لقوله آمنوا به اولا تؤمنوا وأن يكون تعليلا لقل على سبيل التسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتطييب نفسه كأنه قيل تسل عن ايمان الجهلة بايمان العلماء وعلى الاول ان لم تؤمنوا به لقد آمن به من هو خير منكم *(فان قلت) ما معنى الخرور للذقن (قلت) السقوط على الوجه وانما ذكر الذقن وهو مجتمع اللحيين لان الساجد اول ما يلقى به الارض من وجهه الذقن (فان قلت) حرف الاستعلاء ظاهر المعنى اذا قلت خر على وجهه وعلى ذقنه فما معنى اللام في خر لذقنه ولوجهه قال * فخر صريعا لليدين وللفم *(قلت) معناه جعل ذقنه ووجهه للخرور واختصه به لان اللام للاختصاص (فان قلت) لم كرر يخرون للاذقان (قلت) لاختلاف الحالين وهما خرورهم في حال كونهم ساجدين وخرورهم في حال كونهم باكين * عن ابن عباس رضي الله عنهما سمعه ابو جهل يقول يا ألله يا رحمن فقال انه ينهانا ان نعبد الهين وهو يدعو الها آخر وقيل ان اهل الكتاب قالوا انك لتقل ذكر الرحمن وقد اكثر الله في التوراة هذا الاسم فنزلت والدعاء بمعنى التسمية لا بمعنى النداء وهو يتعدى الى مفعولين تقول دعوته زيدا ثم يترك احدهما استغناء عنه فيقال دعوت زيدا والله والرحمن المراد بهما الاسم لا المسمى وأو للتخيير يعني (ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سموا بهذا الاسم او بهذا واذكروا اما هذا او اما هذا * والتنوين في (أيا) عوض من المضاف اليه و(ما) صلة للابهام المؤكد لما في اي اي اي هذين الاسمين سميتم وذكرتم (فله الاسماء الحسنى) والضمير في فله ليس براجع الى احد الاسمين المذكورين ولكن الى مسماهما وهو ذاته تعالى لان التسمية للذات لا للاسم والمعنى اياما تدعوا فهو حسن فوضع موضعه قوله فله الاسماء الحسنى لانه اذا حسنت اسماؤه كلها حسن هذان الاسمان لانهما منها ومعنى كونهما احسن الاسماء انها مستقلة بمعاني التحميد والتقديس والتعظيم (بصلوتك) بقراءة صلاتك على حذف المضاف لانه لا يلبس من قبل ان الجهر والمخافتة صفتان تعتقبان على الصوت لا غير والصلاة افعال واذكار وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفع صوته بقراءته فاذا سمعها المشركون لغوا وسبوا فامر بان يخفض من صوته والمعنى ولا تجهر حتى تسمع المشركين (ولا تخافت) حتى لا تسمع من خلفك (وابتغ بين) الجهر والمخافتة (سبيلا) وسطا وروي ان ابا بكر رضي الله عنه كان يخفي صوته بالقراءة في صلاته ويقول اناجي ربي وقد علم حاجتي وكان عمر رضي

اسكنوا الارض فاذا جاء وعد الآخرة جئنا بكم لفيفا وبالحق أنزلناه وبالحق نزل وما أرسلناك الا مبشرا ونذيرا وقرآنا فرقناه لتقرأه على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا قل آمنوا به اولا تؤمنوا ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا ويخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى ولا تجهر بصلوتك ولا تخافت بها وابتغ بين ذلك سبيلا وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له

* قوله تعالى وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل (قال ان قلت كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك الخ) قال احمد وقد لاحظ الزمخشري ههنا ما أغفله عند قوله تعالى الحمد لله الذي خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور ثم الذين كفروا بربهم يعدلون وقد رددت هذا الوجه فيما تقدم بان هذه الجملة لا يليق اقترانها بكلمة التحميد ولا تناسبها فانك لو قلت ابتداء الحمد لله الذي الذين كفروا به يعدلون لم يكن مناسبا والله اعلم

ولي من الذل وكبره تكبيرا

الله عنه يرفع صوته و يقول ازجر الشيطان وأوقظ الوسنان فامر ابا بكر ان يرفع قليلا وعمر ان يخفض قليلا وقيل معناه ولا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها وابتغ بين ذلك سبيلا بان تجهر بصلاة الليل وتخافت بصلاة النهار وقيل بصلاتك بدعائك وذهب قوم الى ان الآية منسوخة بقوله ادعوا ربكم تضرعا وخفية وابتغاء السبيل مثل لانتحاء الوجه الوسط في القراءة (ولي من الذل) ناصر من الذل ومانع له منه لاعتزازه به اولم يوال احدا من اجل مذلة به ليدفعها بموالاته * (فان قلت) كيف لاق وصفه بنفي الولد والشريك والذل بكلمة التحميد (قلت) لان من هذا وصفه هو الذي يقدر على ايلاء كل نعمة فهو الذي يستحق جنس الحمد وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا أفصح الغلام من بني عبد المطلب علمه هذه الآية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة بني اسرائيل فرق قلبه عند ذكر الوالدين كان له قنطار في الجنة والقنطار ألف أوقية ومائتا اوقية رزقنا الله بفضله العميم واحسانه الجسيم

(سورة الكهف مكية وهي مائة واحدى عشرة آية)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي انزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا قيما لينذر بأسا شديدا من لدنه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات ان لهم اجرا حسنا ماكثين فيه ابدا وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من افواههم ان يقولون الا كذبا فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا

* لقن الله عباده وفقههم كيف يثنون عليه ويحمدونه على اجزل نعمائه عليهم وهي نعمة الاسلام وما انزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من الكتاب الذي هو سبب نجاتهم وفوزهم (ولم يجعل له عوجا) ولم يجعل له شيأ من العوج قط والعوج في المعاني كالعوج في الاعيان والمراد نفي الاختلاف والتناقض عن معانيه وخروج شيء منه من الحكمة والاصابة فيه * (فان قلت) بم انتصب (قيما) (قلت) الاحسن ان ينتصب بمضمر ولا يجعل حالا من الكتاب لان قوله ولم يجعل معطوف على انزل فهو داخل في حيز الصلة فجاعله حالا من الكتاب فاصل بين الحال وذي الحال ببعض الصلة وتقديره ولم يجعل له عوجا جعله قيما لانه اذا نفى عنه العوج فقد اثبت له الاستقامة (فان قلت) ما فائدة الجمع بين نفي العوج واثبات الاستقامة وفي احدهما غنى عن الآخر (قلت) فائدته التأكيد فرب مستقيم مشهود له بالاستقامة ولا يخلو من أدنى عوج عند السبر والتصفح وقيل قيما على سائر الكتب مصدقا لها شاهدا بصحتها وقيل قيما بمصالح العباد وما لا بد لهم منه من الشرائع وقرئ قيما * انذر متعد الى مفعولين كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا فاقتصر على احدهما وأصله (لينذر) الذين كفروا (بأسا شديدا) والبأس من قوله بعذاب بئيس وقد بؤس العذاب وبؤس الرجل بأسا وبآسة (من لدنه) صادرا من عنده وقرئ من لدنه بسكون الدال مع اشمام الضمة وكسر النون (ويبشر) بالتخفيف والتثقيل (فان قلت) لم اقتصر على احد مفعولي انذر (قلت) قد جعل المنذر به هو الغرض المسبوق اليه فوجب الاقتصار عليه والدليل عليه تكرير الانذار في قوله (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) متعلقا بالمنذرين من غير ذكر المنذر به كما ذكر المبشر به في قوله ان لهم اجرا حسنا استغناء بتقدم ذكره * والاجر الحسن الجنة (مالهم به من علم) اي بالولد او باتخاذه يعني ان قولهم هذا لم يصدر عن علم ولكن عن جهل مفرط وتقليد للآباء وقد اشتملته آباؤهم من الشيطان وتسويله (فان قلت) اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل مالهم به من علم (قلت) معناه مالهم به من علم لانه ليس مما يعلم لاستحالته وانتفاء العلم بالشيء اما للجهل بالطريق الموصل اليه واما لانه في نفسه محال لا يستقيم تعلق العلم به * قرئ كبرت كلمة وكلمة بالنصب على التمييز والرفع على الفاعلية والنصب اقوى وابلغ وفيه معنى التعجب كانه قيل ما أكبرها كلمة و (تخرج من افواههم) صفة

(القول في سورة الكهف)

بسم الله الرحمن الرحيم قوله تعالى وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا مالهم به من علم ولا لآبائهم (قال فيه ان قلت اتخاذ الله ولدا في نفسه محال فكيف قيل لهم الخ) قال احمد قد مضى له في قوله تعالى وان تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا ان ذلك وارد على سبيل التهكم والا فلا سلطان على الشرك حتى ينزل ونظيره * ولا يرى الضب بها ينجحر * وقد قدمت حينئذ ان الكلام وارد على سبيل الحقيقة والاصل وان نفي انزال السلطان تارة يكون لاستحالة انزاله ووجوده وتارة يكون لانه لم يقع وان كان ممكنا والله اعلم

* قوله عزوجل لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا أمدا (قال اعرب احصى فعلا ماضيا اى لنعلم ايهم ضبط امدا الخ)

للكلمة تفيد استعظاما لاجترائهم على النطق بها واخراجها من أفواههم فان كثيرا مما يوسوسه الشيطان فى قلوب الناس ويحدثون به أنفسهم من المنكرات لا يتمالكون ان يتفوهوا به و يطلقوا به ألسنتهم بل يكظمون عليه تشورا من اظهاره فكيف بمثل هذا المنكر* وقرئ كبرت بسكون الباء مع اشمام الضمة (فان قلت) الام يرجع الضمير فى كبرت (قلت) الى قولهم اتخذ الله ولدا وسميت كلمة كما يسمون القصيدة بها * شبهه واياهم حين تولوا عنه ولم يؤمنوا به وما تداخله من الوجد والاسف على توليهم برجل فارقه أحبته وأعزته فهو يتساقط حسرات على آثارهم و يبخع نفسه وجدا عليهم و تلهفا على فراقهم * وقرئ باخع نفسك على الاصل وعلى الاضافة اى قاتلها ومهلكها وهو للاستقبال فيمن قرأ ان لم يؤمنوا وللمضي فيمن قرأ ان لم يؤمنوا بمعنى لان لم يؤمنوا (بهذا الحديث) بالقرآن (أسفا) مفعول له أى لفرط الحزن ويجوز ان يكون حالا والاسف المبالغة فى الحزن والغضب يقال رجل أسف وأسيف (ما على الارض) يعنى ما يصلح ان يكون زينة لها ولاهلها من زخارف الدنيا وما يستحسن منها (لنبلوهم ايهم احسن عملا) وحسن العمل الزهد فيها وترك الاغترار بها ثم زهد فى الميل اليها بقوله (وانا لجاعلون ما عليها) من هذه الزينة (صعيدا جرزا) يعنى مثل أرض بيضاء لا نبات فيها بعد ان كانت خضراء معشبة فى ازالة بهجته واماطة حسنه وابطال ما به كان زينة من اماتة الحيوان وتجفيف النبات والاشجار ونحو ذلك ذكر من الآيات الكلية تزيين الارض بما خلق فوقها من الاجناس التى لا حصر لها وازالة ذلك كله كان لم يكن ثم قال (ام حسبت) يعنى ان ذلك اعظم من قصة اصحاب الكهف وابقاء حياتهم مدة طويلة * والكهف الغار الواسع فى الجبل (والرقيم) اسم كلبهم قال أمية بن ابي الصلت

وليس بها الا الرقيم مجاورا * وصيدهم والقوم فى الكهف همد

وقيل هو لوح من رصاص رقمت فيه اسماؤهم جعل على باب الكهف وقيل ان الناس رقموا حديثهم نقرا فى الجبل وقيل هو الوادى الذى فيه الكهف وقيل الجبل وقيل قريتهم وقيل مكانهم بين غضبان وأيلة دون فلسطين (كانوا) آية (عجبا) من آياتنا وصفا بالمصدر او على ذات عجب (من لدنك رحمة) اى رحمة من خزائن رحمتك وهي المغفرة والرزق والامن من الاعداء (وهيئ لنا من امرنا) الذى نحن عليه من مفارقة الكفار (رشدا) حتى نكون بسببه راشدين مهتدين او اجعل امرنا رشدا كله كقولك رأيت منك اسدا (فضربنا على آذانهم) اى ضربنا عليها حجابا من ان تسمع يعنى أنمناهم انامة ثقيلة لا تنبههم فيها الاصوات كما ترى المستثقل فى نومه يصاح به فلا يسمع ولا يستنبه فحذف المفعول الذى هو الحجاب كما يقال بنى على امرأته يريدون بنى عليها القبة (سنين عددا) ذوات عدد فيحتمل ان يريد الكثير وان يريد القلة لان الكثير قليل عنده كقوله لم يلبثوا الا ساعة من نهار وقال الزجاج اذا قل فهم مقدار عدده فلم يحتج ان يعد واذا كثر احتاج الى ان يعد * أى يتضمن معنى الاستفهام فعلق عنه لنعلم فلم يعمل فيه * وقرئ ليعلم وهو معلق عنه أيضا لان ارتفاعه بالابتداء لا باسناد يعلم اليه وفاعل يعلم مضمون الجملة كما انه مفعول نعلم (اى الحزبين) المختلفين منهم فى مدة لبثهم لانهم لما انتبهوا اختلفوا فى ذلك وذلك قوله قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم وكان الذين قالوا ربكم اعلم بما لبثتم هم الذين علموا ان لبثهم قد تطاول او اى الحزبين المختلفين من غيرهم و (احصى) فعل ماض اى ايهم ضبط (امدا) لاوقات لبثهم (فان قلت) فما تقول فيمن جعله من افعل التفضيل (قلت) ليس بالوجه السديد وذلك ان بناءه من غير الثلاثى المجرد ليس بقياس ونحو اعدى من الجرب وافلس من ابن المذلق شاذ والقياس على الشاذ فى غير القرآن ممتنع فكيف به ولان أمدا لا يخلو اما ان ينتصب بافعل فافعل لا يعمل واما ان ينتصب بلبثوا فلا يسد عليه المعنى فان زعمت انى أنصبه باضمار فعل يدل عليه احصى كما اضمر فى قوله * واضرب منا بالسيوف القوانسا * على نضرب القوانس فقد ابعدت المتناول وهو قريب حيث ابيت ان يكون احصى فعلا ثم رجعت مضطرا الى تقديره واضماره (فان قلت)

بهذا الحديث اسفا انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وانا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا اذ أوى الفتية الى الكهف فقالوا ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيئ لنا من امرنا رشدا فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ثم بعثناهم لنعلم اى الحزبين احصى لما لبثوا أمدا نحن نقص عليك نبأهم بالحق انهم فتية آمنوا بربهم

قال احمد وقد جعل بعض النحاة بناء افعل من المزيد فيه الهمز قياسا وادعى ذلك مذهبا لسيبويه وعلله بان بناءه منه لا يغير نظم الكلمة وانما هو تعويض همزة بهمزة

*عاد كلامه (قال وايضا فلو كان للتفضيل لم يخل انتصاب امدا اما بافعل الخ) قال احمد ولقائل ان ينصبه على التمييز كانتصاب العدد تمييزا فى قوله تعالى واحصى كل شىء عددا ويعضد حمله على افعل التفضيل وروده فى نظير الواقعة واختلاف الاحزاب فى مقدار اللبث وذلك فى قوله تعالى اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما فامثلهم طريقة هو أحصاهم لما لبثوا عددا وكلا الوجهين جائز والله اعلم

كيف

وزدناهم هدى وربطنا على قلوبهم اذ قاموا فقالوا ربنا رب السموات والارض لن ندعو من دونه الها لقد قلنا اذا شططا هؤلاء قومنا اتخذوا من دونه آلهة لولا يأتون عليهم بسلطان بين فمن اظلم ممن افترى على الله كذبا واذ اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فاووا الى الكهف ينشر لكم ربكم من رحمته و يهيئ لكم من امركم مرفقا وترى الشمس اذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين واذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم فى فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا

كيف جعل الله تعالى العلم باحصائهم المدة غرضا فى الضرب على آذانهم (قلت) الله عز وجل لم يزل عالما بذلك وانما اراد ما تعلق به العلم من ظهور الامر لهم ليزدادوا ايمانا واعتبارا و يكون لطفا لمؤمنى زمانهم وآية بينة لكفاره (وزدناهم هدى) بالتوفيق والتثبيت (وربطنا على قلوبهم) وقويناها بالصبر على هجر الاوطان والنعيم والفرار بالدين الى بعض الغيران وجسرناهم على القيام بكلمة الحق والتظاهر بالاسلام (اذ قاموا) بين يدى الجبار وهو دقيانوس من غير مبالاة به حين عاتبهم على ترك عبادة الصنم (فقالوا ربنا رب السموات والارض * شططا) قولا ذا شطط وهو الافراط فى الظلم والابعاد فيه من شط اذا بعد ومنه أشط فى السوم وفى غيره (هؤلاء) مبتدأ و (قومنا) عطف بيان و (اتخذوا) خبر وهو اخبار فى معنى انكار (لولا يأتون عليهم) هلا يأتون على عبادتهم فحذف المضاف (بسلطان بين) وهو تبكيت لان الاتيان بالسلطان على عبادة الاوثان محال وهو دليل على فساد التقليد وانه لا بد فى الدين من الحجة حتى يصح و يثبت (افترى على الله كذبا) بنسبة الشريك اليه (واذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين صممت عزيمتهم على الفرار بدينهم (وما يعبدون) نصب عطف على الضمير يعنى واذ اعتزلتموهم واعتزلتم معبوديهم (الا الله) يجوز أن يكون استثناء متصلا على ما روى أنهم كانوا يقرون بالخالق و يشركون معه كما اهل مكة وأن يكون منقطعا وقيل هو كلام معترض اخبار من الله تعالى عن الفئة أنهم لم يعبدوا غير الله (مرفقا) قرئ بفتح الميم وكسرها وهو ما يرتفق به اى ينتفع اما أن يقولوا ذلك ثقة بفضل الله وقوة فى رجائهم لتوكلهم عليه ونصوع يقينهم واما ان يخبرهم به نبى فى عصرهم واما أن يكون بعضهم نبيا (تزاور) اى تمايل اصله تتزاور فخفف بادغام التاء فى الزاى او حذفها وقد قرئ بهما وقرئ تزور وتزوار بوزن تحمر وتحمار وكلها من الزور وهو الميل ومنه زاره اذا مال اليه والزور الميل عن الصدق (ذات اليمين) جهة اليمين وحقيقتها الجهة المسماة باليمين (تقرضهم) تقطعهم لا تقربهم من معنى القطيعة والصرم قال ذو الرمة

الى ظعن يقرضن اقواز مشرف * شمالا وعن أيمانهن الفوارس

(وهم فى فجوة منه) وهم فى متسع من الكهف والمعنى انهم فى ظل نهارهم كله لا تصيبهم الشمس فى طلوعها ولا غروبها مع انهم فى مكان واسع منفتح معرض لاصابة الشمس لولا ان الله يحجبها عنهم وقيل فى متفسح من غارهم ينالهم فيه روح الهواء وبرد النسيم ولا يحسون كرب الغار (ذلك من آيات الله) اى ما صنعه الله بهم من ازورار الشمس وقرضها طالعة وغاربة آية من آياته يعنى ان ما كان فى ذلك السمت تصيبه الشمس ولا تصيبهم اختصاصا لهم بالكرامة وقيل باب الكهف شمالى مستقبل لبنات نعش فهم فى مقناة ابدا ومعنى ذلك من آيات الله ان شانهم وحديثهم من آيات الله (من يهد الله فهو المهتد) ثناء عليهم بانهم جاهدوا فى الله واسلموا له وجوههم فلطف بهم واعانهم وارشدهم الى نيل تلك الكرامة السنية والاختصاص بالآية العظيمة وان كل من سلك طريقة المهتدين الراشدين فهو الذى اصاب الفلاح واهتدى الى السعادة ومن تعرض للخذلان فلن يجد من يليه و يرشده بعد خذلان الله (وتحسبهم) بكسر السين وفتحها خطاب لكل احد والايقاظ جمع يقظ كانكاد فى نكد قيل عيونهم مفتحة وهم نيام فيحسبهم الناظر لذلك أيقاظا وقيل لكثرة تقلبهم وقيل لهم تقلبتان فى السنة وقيل تقلبة واحدة فى يوم عاشوراء * وقرئ و يقلبهم بالياء والضمير لله تعالى وقرئ وتقلبهم على المصدر منصوبا وانتصابه بفعل مضمر يدل عليه وتحسبهم ايقاظا كانه قيل وترى وتشاهد تقلبهم * وقرأ جعفر الصادق وكالبهم اى وصاحب كلبهم (باسط ذراعيه) حكاية حال ماضية لان اسم الفاعل لا يعمل اذا كان فى معنى المضى واضافته اذا اضيف حقيقة معرفة كغلام زيد الا اذا نويت حكاية الحال الماضية * والوصيد الفناء وقيل العتبة وقيل الباب وانشد

بارض فضاء لا يسد وصيدها * على ومعروفى بها غير منكر

* وقرئ ولملئت بتشديد اللام للمبالغة وقرئ بتخفيف الهمزة وقلبها ياء و (رعبا) بالتخفيف والتثقيل وهو الخوف الذى يرعب الصدر اى يملؤه وذلك لما البسهم الله من الهيبة وقيل لطول اظفارهم وشعورهم وعظم

اجرامهم وقيل لوحشة مكانهم وعن معاوية انه غزا الروم فمر بالكهف فقال لو كشف لنا عن هؤلاء فنظرنا
اليهم فقال له ابن عباس رضي الله عنه ليس لك ذلك قد منع الله تعالى منه من هو خير منك فقال لو اطلعت عليهم
لوليت منهم فرارا فقال معاوية لا انتهى حتى اعلم علمهم فبعث ناسا وقال لهم اذهبوا فانظروا ففعلوا فلما دخلوا
الكهف بعث الله عليهم ريحا فاحرقتهم وقرئ لواطلعت بضم الواو (وكذلك بعثناهم) وكما انمناهم تلك
النومة كذلك بعثناهم ادكارا بقدرته على الانامة والبعث جميعا * ليسأل بعضهم بعضا ويعرفوا حالهم وما
صنع الله بهم فيعتبروا ويستدلوا على عظم قدرة الله تعالى ويزدادوا يقينا ويشكروا ما انعم الله به عليهم
وكرموا به (قالوا لبثنا يوما او بعض يوم) جواب مبني على غالب الظن وفيه دليل على جواز الاجتهاد والقول
بالظن الغالب وانه لا يكون كذبا وان جاز ان يكون خطا (قالوا ربكم اعلم بما لبثتم) انكار عليهم من بعضهم وان
الله اعلم بمدة لبثهم كان هؤلاء قد علموا بالادلة او بالهام من الله ان المدة متطاولة وان مقدارها مبهم لا يعلمه الا
الله وروى انهم دخلوا الكهف غدوة وكان انتباههم بعد الزوال فظنوا انهم في يومهم فلما نظروا الى طول
اظفارهم واشعارهم قالوا ذلك (فان قلت) كيف وصلوا قولهم (فابعثوا) بتذاكر حديث المدة (قلت) كانهم
قالوا ربكم اعلم بذلك لا طريق لكم الى علمه فخذوا في شيء آخر مما يهمكم * والورق الفضة مضروبة كانت
اوغير مضروبة ومنه الحديث ان عرفجة أصيب انفه يوم الكلاب فاتخذ انفا من ورق فانتن فامره رسول الله
صلى الله عليه وسلم أن يتخذ انفا من ذهب وقرئ بورقكم بسكون الراء والواو مفتوحة او مكسورة وقرأ ابن
كثير بورقكم بكسر الراء وادغام القاف في الكاف وعن ابن محيصن انه كسر الواو واسكن الراء وادغم وهذا
غير جائز لالتقاء الساكنين لا على حده * وقيل المدينة طرسوس قالوا وتزودهم ما كان معهم من الورق عند
فرارهم دليل على ان حمل النفقة وما يصلح المسافر هو راى المتوكلين على الله دون المتكلين على الاتفاقات وعلى
ما في اوعية القوم من النفقات ومنه قول عائشة رضي الله عنها لمن سالها عن محرم يشد عليه هميانه اوثق عليك
نفقتك وما حكي عن بعض صعاليك العلماء انه كان شديد الحنين الى ان يرزق حج بيت الله وتهيأ له منه ذلك
فكانت مياسير اهل بلده كلما عزم منهم فوج على حج اتوه فبذلوا له ان يحجوا به والحوا عليه فيعتذر اليهم ويحمد
اليهم بذلهم فاذا انفضوا عنه قال لمن عنده ما لهذا السفر الا شيئان شد الهميان والتوكل على الرحمن (ايها) اى
اهلها اهل فحذف الاهل كما في قوله واسئل القرية (ازكي طعاما) احل واطيب واكثر وارخص (وليتلطف)
وليتكلف اللطف والنيقة فيما يباشره من امر المبايعة حتى لا يغبن او في امر التخفي حتى لا يعرف (ولا يشعرن
بكم احدا) يعني ولا يفعلن ما يؤدي من غير قصد منه الى الشعور بنا فسمي ذلك اشعارا منه بهم لانه سبب فيه *
الضمير في (انهم) راجع الى الاهل المقدر في ايها (يرجموكم) يقتلوكم اخبث القتلة وهي الرجم وكانت عادتهم
(او يعيدوكم) او يدخلوكم (في ملتهم) بالاكراه العنيف ويصيروكم اليها والعود في معنى الصيرورة اكثر شيء
في كلامهم يقولون ما عدت افعل كذا يريدون ابتداء الفعل (ولن تفلحوا اذا ابدا) ان دخلتم في دينهم
(وكذلك اعثرنا عليهم) وكما انمناهم وبعثناهم لما في ذلك من الحكمة اطلعنا عليهم * ليعلم الذين اطلعناهم على
حالهم (ان وعد الله حق) وهو البعث لان حالهم في نومتهم وانتباهتهم بعدها كحال من يموت ثم يبعث
و (اذ يتنازعون) متعلق باعثرنا اى اعثرناهم عليهم حين يتنازعون بينهم امر دينهم ويختلفون في حقيقة
البعث فكان بعضهم يقول تبعث الارواح دون الاجساد وبعضهم يقول تبعث الاجساد مع الارواح ليرتفع
الخلاف وليتبين ان الاجساد تبعث حية حساسة فيها ارواحها كما كانت قبل الموت (فقالوا) حين توفى الله
اصحاب الكهف (ابنوا عليهم بنيانا) اى على باب كهفهم لئلا يتطرق اليهم الناس ضنا بتربتهم ومحافظة عليها
كما حفظت تربة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحظيرة (قال الذين غلبوا على امرهم) من المسلمين وملكهم
وكانوا اولى بهم وبالبناء عليهم (لنتخذن) على باب الكهف (مسجدا) يصلي فيه المسلمون ويتبركون بمكانهم
وقيل اذ يتنازعون بينهم امرهم اى يتذاكر الناس بينهم امر اصحاب الكهف ويتكلمون في قصتهم وما اظهر
الله من الآية فيهم او يتنازعون بينهم تدبير امرهم حين توفوا كيف يخفون مكانهم وكيف يسدون الطريق

وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم قال قائل منهم كم لبثتم قالوا لبثنا يوما او بعض يوم قالوا ربكم اعلم بما لبثتم فابعثوا احدكم بورقكم هذه الى المدينة فلينظر ايها ازكى طعاما فلياتكم برزق منه وليتلطف ولا يشعرن بكم احدا انهم ان يظهروا عليكم يرجموكم او يعيدوكم في ملتهم ولن تفلحوا اذا ابدا وكذلك اعثرنا عليهم ليعلموا ان وعد الله حق وان الساعة لا ريب فيها اذ يتنازعون بينهم امرهم فقالوا ابنوا عليهم بنيانا ربهم اعلم بهم قال الذين غلبوا على امرهم لنتخذن عليهم مسجدا

اليهم فقالوا ابنوا على باب كهفهم بنيانا * روى ان اهل الانجيل عظمت فيهم الخطايا وطغت ملوكهم حتى عبدوا الاصنام واكرهوا على عبادتها وممن شدد في ذلك دقيانوس فارادفتية من أشراف قومه على الشرك وتوعدهم بالقتل فابوا الا الثبات على الايمان والتصلب فيه ثم هربوا الى الكهف ومروا بكلب فتبعهم فطردوه فانطقه الله فقال ماتريدون مني أنا احب احباء الله فناموا وانا أحرسكم وقيل مروا براع معه كلب فتبعهم على دينهم ودخلوا الكهف فكانوا يعبدون الله فيه ثم ضرب الله على آذانهم وقبل أن يبعثهم الله ملك مدينتهم رجل صالح مؤمن وقد اختلف اهل مملكته في البعث معترفين وجاحدين فدخل الملك بيته وأغلق بابه ولبس مسحا وجلس على رماد وسأل ربه ان يبين لهم الحق فالقى الله في نفس رجل من رعيانهم فهدم ماسد به فم الكهف ليتخذه حظيرة لغنمه ولما دخل المدينة من بعثوه لابتياع الطعام واخرج الورق وكان من ضرب دقيانوس اتهموه بانه وجد كنزا فذهبوا به الى الملك فقص عليه القصة فانطلق الملك واهل المدينة معه وأبصروهم وحمدوا الله على الآية الدالة على البعث ثم قالت الفتية للملك نستودعك الله ونعيذك به من شر الجن والانس ثم رجعوا الى مضاجعهم وتوفي الله انفسهم فالقى الملك عليهم ثيابه وامر فجعل لكل واحد تابوت من ذهب فرآهم في المنام كارهين الذهب فجعلها من الساج وبنى على باب الكهف مسجدا * ربهم أعلم بهم من كلام المتنازعين كانهم تذاكروا امرهم وتناقلوا الكلام في انسابهم واحوالهم ومدة لبثهم فلما لم يهتدوا الى حقيقة ذلك قالوا ربهم اعلم بهم او هو من كلام الله عز وجل رد لقول الخائضين في حديثهم من أولئك المتنازعين او من الذين تنازعوا فيهم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب (سيقولون) الضمير لمن خاض في قصتهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من اهل الكتاب والمؤمنين سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم فاخر الجواب الى أن يوحى اليه فيهم فنزلت اخبارا بما سيجري بينهم من اختلافهم في عددهم وأن المصيب منهم من يقول سبعة وثامنهم كلبهم * قال ابن عباس رضي الله عنه أنا من أولئك القليل وروى أن السيد والعاقب واصحابهما من اهل نجران كانوا عند النبي صلى الله عليه وسلم فجرى ذكر اصحاب الكهف فقال السيد وكان يعقوبيا كانوا ثلاثة رابعهم كلبهم وقال العاقب وكان نسطوريا كانوا خمسة سادسهم كلبهم وقال المسلمون كانوا سبعة وثامنهم كلبهم فحقق الله قول المسلمين وانما عرفوا ذلك باخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم عن لسان جبريل عليه السلام وعن علي رضي الله عنه هم سبعة نفر أسماؤهم يمليخا ومكشليينا ومشلينيا هؤلاء اصحاب يمين الملك وكان عن يساره مرنوش ودبرنوش وشاذنوش وكان يستشير هؤلاء الستة في امره والسابع الراعي الذي وافقهم حين هربوا من ملكهم دقيانوس واسم مدينتهم أفسوس واسم كلبهم قطمير (فان قلت) لم جاء بسين الاستقبال في الاول دون الآخرين (قلت) فيه وجهان ان تدخل الآخرين في حكم السين كما تقول قد أكرم وأنعم تريد معنى التوقع في الفعلين جميعا وأن تريد بيفعل معنى الاستقبال الذي هو صالح له (رجما بالغيب) رميا بالخبر الخفي واتيانا به كقوله ويقذفون بالغيب اي يأتون به او وضع الرجم موضع الظن فكانه قيل ظنا بالغيب لانهم أكثروا أن يقولوا رجم بالظن مكان قولهم ظن حتى لم يبق عندهم فرق بين العبارتين ألا ترى الى قول زهير * وما هو عنها بالحديث المرجم * اي المظنون * وقرئ ثلاث رابعهم بادغام الثاء في تاء التانيث وثلاثة خبر مبتدا محذوف اي هم ثلاثة وكذلك خمسة وسبعة ورابعهم كلبهم جملة من مبتدا وخبر واقعة صفة لثلاثة وكذلك سادسهم كلبهم وثامنهم كلبهم (فان قلت) فما هذه الواو الداخلة على الجملة الثالثة ولم دخلت عليها دون الاولين (قلت) هي الواو التي تدخل الجملة الواقعة صفة للنكرة كما تدخل على الواقعة حالا عن المعرفة في نحو قولك جاءني رجل ومعه آخر ومررت بزيد وفي يده سيف ومنه قوله تعالى وما أهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم وفائدتها تاكيد لصوق الصفة بالموصوف والدلالة على أن

سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي اعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل

* قوله تعالى سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجما بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم الا قليل (قال ان قلت لم دخلت الواو في الجملة الاخيرة الخ) قال احمد وهو الصواب لا كمن يقول انها واو الثمانية فان ذلك أمر لا يستقر لمثبته قدم ويعدون مع هذه الواو في قوله في الجنة وفتحت ابوابها بخلاف ابواب النار فانه قال فيها فتحت ابوابها قالوا لان ابواب الجنة ثمانية وابواب النار سبعة وهب ان في اللغة واوا تصحب الثمانية فتختص بها فاين ذكر العدد في ابواب الجنة حتى ينتهي الى الثامن فتصحبه الواو وربما عدوا من ذلك والناهون عن المنكر وهو الثامن من قوله التائبون وهذا أيضا مردود بان الواو انما اقترنت بهذه الصفة لترتبط بينها وبين الاولى التي هي الآمرون بالمعروف لما بينهما من التناسب والربط ألا ترى اقترانهما في جميع مصادرهما ونوادرهما كقوله يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر وكقوله وأمر بالمعروف وانه عن المنكر وربما عد بعضهم من ذلك الواو في قوله ثيبات وابكارا لانه وجدها مع الثامن وهذا غلط فاحش فان هذه واو التقسيم ولو ذهبت تحذفها فتقول ثيبات ابكارا لم يستقم الكلام فقد وضح ان الواو في جميع هذه المواضع المعدودة واردة لغير ما زعمه هؤلاء والله الموفق

* قوله تعالى ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا إلا ان يشاء الله (قال كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله الخ) قال احمد ولا بد من حمل الكلام على احد الوجهين المذكورين ولولا ذلك لكان المعنى على الظاهر بادي الرأي ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله ان تقول هذا القول وليس الغرض ذلك وانما الغرض النهي عن هذا القول الا مقرونا بقول المشيئة وليت شعري ما معنى قول الزمخشري في تفسير الآية ٥٦٦ كان المعنى الا ان تعترض المشيئة دونه معتقدا ان مشيئة الله تعالى لا تعترض على فعل احد فكم شاء من الافعال فتركت وكم شاء من التروك ففعلت على زعم القدرية فلا معنى على أصلهم الفاسد لتعليق الفعل بالمشيئة قولا وهو غير متعلق بها وقوعا حتى أن قول القائل لا افعل كذا الا ان يشاء الله ان أفعله كذب وخلف بتقدير فعله اذا كان من قبيل المباح لان الله تعالى لا يشاؤه على زعمهم الفاسد فما ابعد عقدهم من قواعد الشرع فسحقا سحقا * عاد كلامه (قال وقوله واذكر ربك اذا نسيت اي كلمة الاستثناء ثم تنبهت لها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس ولو بعد سنة مالم تحنث الى قوله وعند عامة الفقهاء الخ) قال احمد اما ظاهر الآية فمقتضاه الامر بتدارك المشيئة متى ذكرت ولو بعد الطول وأما حلها لليمين حينئذ فلا دليل عليه منها والله اعلم

فلا تمار فيهم الا مراء ظاهرا ولا تستفت فيهم منهم احدا ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان يشاء الله واذكر ربك اذا نسيت وقل عسى أن يهدين ربي لاقرب من هذا نسيانه

اتصافه بها امر ثابت مستقر وهذه الواو هي التي آذنت بان الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم قالوه عن ثبات علم وطمأنينة نفس ولم يرجموا بالظن كما غيرهم والدليل عليه ان الله سبحانه اتبع القولين الاولين قوله رجما بالغيب واتبع القول الثالث قوله ما يعلمهم الا قليل وقال ابن عباس رضي الله عنه حين وقعت الواو انقطعت العدة اي لم يبق بعدها عدة عاد يلتفت اليها وثبت انهم سبعة وثامنهم كلبهم على القطع والثبات وقيل الا قليل من اهل الكتاب والضمير في سيقولون على هذا لاهل الكتاب خاصة اي سيقول اهل الكتاب فيهم كذا وكذا ولا علم بذلك الا في قليل منهم واكثرهم على ظن وتخمين (فلا تمار فيهم) فلا تجادل اهل الكتاب في شان اصحاب الكهف الا جدالا ظاهرا غير متعمق فيه وهو ان تقص عليهم ما اوحي الله اليك فحسب ولا تزيد من غير تجهيل لهم ولا تعنيف بهم في الرد عليهم كما قال وجادلهم بالتي هي احسن (ولا تستفت) ولا تسال احدا منهم عن قصتهم سؤال متعنت له حتى يقول شيا فترده عليه وتزيف ما عنده لان ذلك خلاف ما وصيت به من المداراة والمجاملة ولا سؤال مسترشد لان الله قد ارشدك بان اوحي اليك قصتهم (ولا تقولن لشيء) ولا تقولن لاجل شيء تعزم عليه (اني فاعل ذلك) الشيء (غدا) اي فيما يستقبل من الزمان ولم يرد الغد خاصه (الا ان يشاء الله) متعلق بالنهي لا بقوله اني فاعل لانه لو قال اني فاعل كذا الا ان يشاء الله كان معناه الا ان تعترض مشيئة الله دون فعله وذلك مما لا مدخل فيه للنهي وتعلقه بالنهي على وجهين احدهما ولا تقولن ذلك القول الا ان يشاء الله ان تقوله بان ياذن لك فيه والثاني ولا تقولنه الا بان يشاء الله اي الا بمشيئة الله وهو في موضع الحال يعني الا ملتبسا بمشيئة الله قائلا ان شاء الله وفيه وجه ثالث وهو ان يكون ان شاء الله في معنى كلمة تابيد كانه قيل ولا تقولنه ابدا ونحوه قوله وما يكون لنا ان نعود فيها الا ان يشاء الله لان عودهم في ملتهم مما لن يشاء الله وهذا نهي تاديب من الله لنبيه حين قالت اليهود لقريش سلوه عن الروح وعن اصحاب الكهف وذي القرنين فسالوه فقال ائتوني غدا اخبركم ولم يستثن فابطا عليه الوحي حتى شق عليه وكذبته قريش (واذكر ربك) اي مشيئة ربك وقل ان شاء الله اذا فرط منك نسيان لذلك والمعنى اذا نسيت كلمة الاستثناء ثم تنبهت عليها فتداركها بالذكر وعن ابن عباس رضي الله عنه ولو بعد سنة مالم تحنث وعن سعيد بن جبير ولو بعد يوم او بعد اسبوع او شهر او سنة وعن طاوس هو على ثنياه مادام في مجلسه وعن الحسن نحوه وعن عطاء يستثني على مقدار حلب ناقة غزيرة وعند عامة الفقهاء انه لا أثر له في الاحكام مالم يكن موصولا ويحكى انه بلغ المنصور ان ابا حنيفة خالف ابن عباس رضي الله عنه في الاستثناء المنفصل فاستحضره لينكر عليه فقال ابو حنيفة هذا يرجع عليك انك تاخذ البيعة بالايمان أفترضى ان يخرجوا من عندك فيستثنوا فيخرجوا عليك فاستحسن كلامه ورضي عنه ويجوز ان يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح والاستغفار اذا نسيت كلمة الاستثناء تشديدا في البعث على الاهتمام بها وقيل واذكر ربك اذا تركت بعض ما أمرك به وقيل واذكره اذا اعتراك النسيان ليذكرك المنسي وقد حمل على اداء الصلاة المنسية عند ذكرها و (هذا) اشارة الى نبا اصحاب الكهف ومعناه لعل الله يؤتيني من البينات والحجج على اني نبي صادق ما هو اعظم في الدلالة واقرب رشدا من نبا اصحاب الكهف وقد فعل ذلك حيث آتاه من قصص الانبياء والاخبار بالغيوب ما هو اعظم من ذلك وادل والظاهر ان يكون المعنى اذا نسيت شيا فاذكر ربك وذكر ربك عند

(قال ويجوز أن يكون المعنى واذكر ربك بالتسبيح الخ) قال احمد ويؤيد هذا التاويل بقوله تعالى اول القصة ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا فافتتح ذكر القصة بتقليل شانها وانكار عده من عجائب آيات الله ثم ختمها بامره عليه الصلاة والسلام بطلب ما هو أرشد ودخل في الآية والله أعلم

* قوله تعالى ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان امره فرطا (قال معناه جعلنا قلبه غافلا عن الذكر الخ) قال أحمد هو يشمر للهرب من الحق وهو ان المراد خلقناله وجدير به ان يشمر فى اتباع هواه فان حمل أغفل على بابه صرفه الى الخذلان والا اخرجه بالكلية عن بابه الى باب افعل للمصادفة ولا يتجرأ على تفسير فعل اسنده الله الى ذاته بالمصادفة الى تفهيم وجدان الشيء بغتة عن جهل سابق وعدم علم * عاد كلامه (قال ويجوز ان يكون المعنى من اغفل ابله اذا الخ) قال احمد وهذا التاويل فيه رقة حاشية ولطافة معنى وغرضه منه الخلاص مما قدمناه لانه وان أبي خلق الله للغفلة فى القلب فلا يأبى عدم كتب الايمان وانما غرضنا التنبيه على ان مقصد الزمخشري الحيد عن القاعدة المتقدمة والتاويل انما يصار اليه اذا اعتاص الظاهر وهو عندنا ممكن فوجب الاعتصام به والله الموفق * عاد كلامه (قال وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله واتبع هواه) قال أحمد قد تقدم فى غير ما موضع ان اهل السنة يضيفون فعل العبد الى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا له والى العبد من حيث كونه مقرونا بقدرته واختياره ولا تنافى بين الاضافتين فبراهين السنة تتبعه اينما سلك واية توجه فلا محيص له عنها بوجه

نسيانه ان تقول عسى ربي ان يهدين لشيء آخر بدل هذا المنسي اقرب منه (رشدا) وادنى خيرا ومنفعة ولعل النسيان كان خيرة كقوله او ننسها نأت بخير منها (ولبثوا في كهفهم ثلثمائة سنين) يريد لبثهم فيه احياء مضروبا على آذانهم هذه المدة وهو بيان لما اجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ومعنى قوله (قل الله أعلم بما لبثوا) انه اعلم من الذين اختلفوا فيهم بمدة لبثهم والحق ما اخبرك الله به وعن قتادة انه حكاية لكلام اهل الكتاب وقل الله اعلم رد عليهم وقال فى حرف عبد الله وقالوا لبثوا وسنين عطف بيان لثلثمائة وقرئ ثلثمائة سنين بالاضافة على وضع الجمع موضع الواحد فى التمييز كقوله بالاخسرين اعمالا وفى قراءة أبي ثلثمائة سنة * تسعا تسع سنين لان ماقبله يدل عليه وقرأ الحسن تسعا بالفتح * ثم ذكر اختصاصه بما غاب فى السموات والارض وخفى فيها من احوال أهلها ومن غيرها وانه هو وحده العالم به * وجاء بما دل على التعجب من ادراكه المسموعات والمبصرات للدلالة على ان امره فى الادراك خارج عن حد ما عليه ادراك السامعين والمبصرين لانه يدرك الطف الاشياء واصغرها كما يدرك اكبرها حجما واكثفها جرما ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر (مالهم) الضمير لاهل السموات والارض (من ولى) من متول لامورهم (ولا يشرك فى حكمه) فى قضائه (احدا) منهم وقرأ الحسن ولا تشرك بالتاء والجزم على النهي * كانوا يقولون له ائت بقرآن غير هذا او بدله فقيل له (واتل ما اوحي اليك) من القرآن ولا تسمع لما يهذون به من طلب التبديل فلا مبدل لكلمات ربك اى لا يقدر احد على تبديلها او تغييرها انما يقدر على ذلك هو وحده واذا بدلنا آية مكان آية (ولن تجد من دونه ملتحدا) ملتجأ تعدل اليه ان هممت بذلك * قال قوم من رؤساء الكفرة لرسول الله صلى الله عليه وسلم نح هؤلاء الموالى الذين كان ريحهم ريح الضان وهم صهيب وعمار وخباب وغيرهم من فقراء المسلمين حتى نجالسك كما قال قوم نوح انؤمن لك واتبعك الارذلون فنزلت (واصبر نفسك) واحبسها معهم وثبتها قال ابو ذؤيب

فصبرت عارفة لذلك حرة * ترسو اذا نفس الجبان تطلع

(بالغداة والعشي) دائبين على الدعاء فى كل وقت وقيل المراد صلاة الفجر والعصر وقرئ بالغدوة وبالغداة اجود لان غدوة علم فى أكثر الاستعمال وادخال اللام على تاويل التنكير كما قال والزيد زيد المعارك ونحوه قليل فى كلامهم * يقال عداه اذا جاوزه ومنه قولهم عدا طوره وجاءني القوم عدا زيدا وانما عدى بعن لتضمين عدا معنى نبا وعلا فى قولك نبت عنه عينه وعلت عنه عينه اذا اقتحمته ولم تعلق به (فان قلت) اى غرض فى هذا التضمين وهلا قيل ولا تعدهم عيناك اولا تعل عيناك عنهم (قلت) الغرض فيه اعطاء مجموع معنيين وذلك اقوى من اعطاء معنى فذ ألا ترى كيف رجع المعنى الى قولك ولا تقتحمهم عيناك متجاوزتين الى غيرهم ونحوه قوله تعالى ولا تاكلوا اموالهم الى اموالكم اى ولا تضموها اليها آكلين لها وقرئ ولا تعد عينيك ولا تعد عينيك من اعداه وعداه نقلا بالهمزة وتثقيل الحشو ومنه قوله * فعد عما ترى اذ لا ارتجاع له * لان معناه فعد همك عما ترى نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يزدرى بفقراء المؤمنين وان تنبو عينه عن رثاثة زيهم طموحا الى زى الاغنياء وحسن شارتهم (تريد زينة الحياة الدنيا) في موضع الحال (من اغفلنا قلبه) من جعلنا قلبه غافلا عن الذكر بالخذلان اووجدناه غافلا عنه كقولك اجبنته وافحمته وابخلته اذا وجدته كذلك اومن اغفل ابله اذا تركها بغير سمة اى لم نسمه بالذكر ولم نجعلهم من الذين كتبنا فى قلوبهم الايمان وقد ابطل الله توهم المجبرة بقوله (واتبع هواه) * وقرئ اغفلنا قلبه باسناد الفعل الى القلب على معنى

رشدا ولبثوا فى كهفهم ثلثمائة سنين وازدادوا تسعا قل الله أعلم بما لبثوا له غيب السموات والارض ابصر به واسمع مالهم من دونه من ولى ولا يشرك فى حكمه احدا واتل ما اوحي اليك من كتاب ربك لا مبدل لكلماته ولن تجد من دونه ملتحدا واصبر نفسك مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشى يريدون وجهه ولا تعد عيناك عنهم تريد زينة الحياة الدنيا ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه

جسبنا قلبه غافلين من اغفلته اذا وجدته غافلا (فرطا) متقدما للحق والصواب نابذا له وراء ظهره من قولهم
فرس فرط متقدم للخيل (وقل الحق من ربكم) الحق خبر مبتدا محذوف والمعنى جاء الحق وزاحت العلل فلم
يبق الا اختياركم لانفسكم ماشئتم من الاخذ في طريق النجاة او في طريق الهلاك وجيء بلفظ الامر والتخيير
لانه لما مكن من اختيار ايهما شاء فكانه مخير مامور بان يتخير ماشاء من النجدين * شبه ما يحيط بهم من النار
بالسرادق وهو الحجرة التي تكون حول الفسطاط و بيت مسردق ذو سرادق وقيل هو دخان يحيط بالكفار
قبل دخولهم النار وقيل حائط من نار يطيف بهم (يغاثوا بماء كالمهل) كقوله فاعتبوا بالصيلم وفيه تهكم
والمهل ما اذيب من جواهر الارض وقيل دردي الزيت (يشوي الوجوه) اذا قدم ليشرب انشوى الوجه من
حرارته عن النبي صلى الله عليه وسلم هو كعكر الزيت فاذا قرب اليه سقطت فروة وجهه (بئس الشراب)
ذلك (وساءت) النار (مرتفقا) متكأ من المرفق وهذا لمشاكلة قوله وحسنت مرتفقا والا فلا ارتفاق
لاهل النار ولا اتكاء الا ان يكون من قوله

اني أرقت فبت الليل مرتفقا * كأن عيني فيها الصاب مذبوح

(اولئك) خبر ان وانا لانضيع اعتراض ولك ان تجعل انا لانضيع واولئك خبرين معا اوتجعل اولئك
كلاما مستانفا بيانا للاجر المبهم (فان قلت) اذا جعلت انا لانضيع خبرا فاين الضمير الراجع منه الى المبتدا
(قلت) من احسن عملا والذين آمنوا وعملوا الصالحات ينتظمهما معنى واحد فقام من احسن مقام
الضمير او اردت من احسن عملا منهم فكان كقولك السمن منوان بدرهم * من الاولى للابتداء والثانية
للتبيين * وتنكير اساور لابهام امرها في الحسن * وجمع بين السندس وهو مارق من الديباج و بين الاستبرق
وهو الغليظ منه جمعا بين النوعين * وخص الاتكاء لانه هيئة المتنعمين والملوك على اسرتهم (واضرب لهم مثلا
رجلين) اي ومثل حال الكافرين والمؤمنين بحال رجلين وكانا اخوين في بني اسرائيل احدهما كافر
اسمه قطروس والآخر مؤمن اسمه يهوذا وقيل هما المذكوران في سورة والصافات في قوله قال قائل منهم
اني كان لي قرين ورثا من ابيهما ثمانية آلاف دينار فتشاطراها فاشترى الكافر ارضا بالف فقال المؤمن
اللهم ان اخي اشترى ارضا بالف دينار وانا اشتري منك ارضا في الجنة بالف فتصدق به ثم بنى اخوه دارا
بالف فقال اللهم اني اشتري منك دارا في الجنة بالف فتصدق به ثم تزوج اخوه امرأة بالف فقال اللهم اني
جعلت الفا صداقا للحور ثم اشترى اخوه خدما ومتاعا بالف فقال اللهم اني اشتريت منك الولدان المخلدين
بالف فتصدق به ثم اصابه حاجة فجلس لاخيه على طريقه فمر به في حشمه فتعرض له فطرده ووبخه على
التصدق بماله وقيل هما مثل لاخوين من بني مخزوم مؤمن وهو ابو سلمة عبد الله بن عبد الاشد وكان زوج
ام سلمة قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وكافر وهو الاسود بن عبد الاشد (جنتين من اعناب) بستانين من
كروم (وحففناهما بنخل) وجعلنا النخل محيطا بالجنتين وهذا مما يؤثره الدهاقين في كرومهم ان يجعلوها
مؤزرة بالاشجار المثمرة يقال حفوه اذا طافوا به وحففته بهم اي جعلتهم حافين حوله وهو متعد الى مفعول
واحد فتزيده الباء مفعولا ثانيا كقولك غشيه وغشيته به (وجعلنا بينهما زرعا) جعلناها ارضا جامعة للاقوات
والفواكه ووصف العمارة بانها متواصلة متشابكة لم يتوسطها ما يقطعها و يفصل بينها مع الشكل الحسن
والترتيب الانيق ونعتها بوفاء الثمار وتمام الاكل من غير نقص ثم بما هو اصل الخير ومادته من امر الشرب
فجعله افضل ما يسقى به وهو السيح بالنهر الجاري فيها والاكل الثمر وقرىء بضم الكاف (ولم تظلم) ولم تنقص
وآتت حمل على اللفظ لان كلتا لفظه لفظ مفرد ولو قيل آتتا على المعنى لجاز * وقرىء وفجرنا على التخفيف * وقرأ
عبد الله كل الجنتين آتى اكله برد الضمير على كل (وكان له ثمر) اي انواع من المال من ثمر ماله اذا كثره وعن
مجاهد الذهب والفضة اي كانت له الى الجنتين الموصوفتين الاموال الدثرة من الذهب والفضة وغيرهما وكان
وافرا اليسار من كل وجه متمكنا من عمارة الارض كيف شاء (واعز نفرا) يعني انصارا وحشما وقيل اولادا
ذكورا لانهم ينفرون معه دون الاناث * يحاوره يراجعه الكلام من حار يحور اذا رجع وسالته فما احار كلمة

وكان امره فرطا وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفقا ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات انا لا نضيع أجر من احسن عملا اولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار يحلون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضرا من سندس واستبرق متكئين فيها على الارائك نعم الثواب وحسنت مرتفقا واضرب لهم مثلا رجلين جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب وحففناهما بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلتا الجنتين آتت اكلها ولم تظلم منه شيئا وفجرنا خلالهما نهرا وكان له ثمر فقال لصاحبه وهو يحاوره انا اكثر منك مالا واعز نفرا ودخل جنته

* يعني فطروس أخذ بيد اخيه المسلم يطوف به في الجنتين ويريه ما فيهما ويعجبه منهما او يفاخره بما ملك من المال دونه * (فان قلت) فلم افرد الجنة بعد التثنية (قلت) معناه ودخل ما هو جنته ما له جنة غيرها يعني انه لا نصيب له في الجنة التي وعد المؤمنون فما ملكه في الدنيا هو جنته لا غير ولم يقصد الجنتين ولا واحدة منهما (وهو ظالم لنفسه) وهو معجب بما اوتي مفتخر به كافر لنعمة ربه معرض بذلك نفسه لسخط الله وهو افحش الظلم * اخباره عن نفسه بالشك في بيدودة جنته لطول امله واستيلاء الحرص عليه وتمادي غفلته واغتراره بالمهلة واطراحه النظر في عواقب امثاله وترى اكثر الاغنياء من المسلمين وان لم يطلقوا بنحو هذا السنتهم فان ألسنة احوالهم ناطقة به منادية عليه (ولئن رددت الى ربي) اقسام منه على انه ان رد الى ربه على سبيل الفرض والتقدير وكما يزعم صاحبه ليجدن في الآخرة خيرا من جنته في الدنيا تطمعا وتمنيا على الله وادعاء لكرامته عليه ومكانته عنده وانه ما اولاه الجنتين الا لاستحقاقه واستئهاله وان معه هذا الاستحقاق اينما توجه كقوله ان لي عنده للحسنى لأوتين مالا وولدا * وقرئ خيرا منهما ردا على الجنتين (منقلبا) مرجعا وعاقبة وانتصابه على التمييز اي منقلب تلك خير من منقلب هذه لانها فانية وتلك باقية (خلقك من تراب) اى خلق اصلك لان خلق اصله سبب في خلقه فكان خلقه خلقا له (سواك) عدلك وكملك انسانا ذكرا بالغا مبلغ الرجال * جعله كافرا بالله جاحدا لانعمه لشكه في البعث كما يكون المكذب بالرسول صلى الله عليه وسلم كافرا (لكن هو الله ربي) اصله لكن انا فحذفت الهمزة والقيت حركتها على نون لكن فتلاقت النونان فكان الادغام ونحوه قول القائل

وترمينني بالطرف اي انت مذنب * وتقلينني لكن اياك لا اقلي

اى لكن انا لا أقليك وهو ضمير الشان والشان الله ربي والجملة خبر انا والراجع منها اليه ياء الضمير وقرأ ابن عامر باثبات الف انا في الوصل والوقف جميعا وحسن ذلك وقوع الالف عوضا من حذف الهمزة وغيره لا يثبتها الا في الوقف وعن أبي عمرو انه وقف بالهاء لكنه وقرئ لكن هو الله ربي بسكون النون وطرح انا وقرأ ابي ابن كعب لكن انا على الاصل وفي قراءة عبد الله لكن انا لا اله الا هو ربي (فان قلت) هو استدراك لماذا (قلت) لقوله أكفرت قال لاخيه انت كافر بالله لكني مؤمن موحد كما تقول زيد غائب لكن عمرا حاضر (ماشاء الله) يجوز ان تكون ما موصولة مرفوعة المحل على انها خبر مبتدا محذوف تقديره الامر ماشاء الله اوشرطية منصوبة الموضع والجزاء محذوف بمعنى اى شيء شاء الله كان ونظيرها في حذف الجواب لو في قوله ولو ان قرآنا سيرت به الجبال والمعنى هلا قلت عند دخولها والنظر الى ما رزقك الله منها الامر ماشاء الله اعترافا بانها وكل خير فيها انما حصل بمشيئة الله وفضله وان امرها بيده ان شاء تركها عامرة وان شاء خربها وقلت (لا قوة الا بالله) اقرارا بان ما قويت به على عمارتها وتدبير امرها انما هو بمعونته وتاييده اذ لا يقوى احد في بدنه ولا في ملك يده الا بالله تعالى وعن عروة بن الزبير انه كان يثلم حائطه ايام الرطب فيدخل من شاء وكان اذا دخله ردد هذه الآية حتى يخرج * من قرأ اقل بالنصب فقد جعل انا فصلا ومن رفع جعله مبتدأ واقل خبره والجملة مفعولا ثانيا لترني وفي قوله (وولدا) نصرة لمن فسر النفر بالاولاد في قوله واعز نفرا والمعنى ان ترني افقر منك فانا اتوقع من صنع الله ان يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لايماني جنة (خيرا من جنتك) ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب بستانك * والحسبان مصدر كالغفران والبطلان بمعنى الحساب اى مقدارا قدره الله وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقال الزجاج عذاب حسبان وذلك الحسبان حساب ما كسبت يداك وقيل حسبانا مرامى الواحدة حسبانة وهي الصواعق (صعيدا زلقا) ارضا بيضاء يزلق عليها لملاستها زلقا او (غورا) كلاهما وصف بالمصدر (واحيط) به عبارة عن اهلاكه واصله من احاط به العدو لانه اذا احاط به فقد ملكه واستولى عليه ثم استعمل في كل اهلاك ومنه قوله تعالى الا ان يحاط بكم ومثله قولهم اتي عليه اذا اهلكه من أتي عليهم العدو اذا جاءهم مستعليا عليهم * وتقليب الكفين كناية عن الندم والتحسر لان النادم يقلب كفيه ظهرا لبطن كما كني عن ذلك بعض الكف والسقوط في اليد ولانه في معنى الندم عدي تعديته بعلي كانه قيل فاصبح يندم (على ما انفق فيها) اى انفق في عمارتها (وهي خاوية على

وهو ظالم لنفسه قال ما اظن ان تبيد هذه ابدا وما اظن الساعة قائمة ولئن رددت الى ربي لاجدن خيرا منها منقلبا قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلا لكنا هو الله ربي ولا اشرك بربي احدا ولولا اذ دخلت جنتك قلت ماشاء الله لا قوة الا بالله ان ترن انا أقل منك مالا وولدا فعسى ربي ان يؤتين خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء فتصبح صعيدا زلقا او يصبح ماؤها غورا فلن تستطيع له طلبا واحيط بثمره فاصبح يقلب كفيه على ما انفق فيها وهي خاوية على

عروشها) يعنى ان كرومها المعروشة سقطت عروشها على الارض وسقطت فوقها الكروم قيل أرسل الله عليها نارا فاكلتها (ياليتنى) تذكر موعظة أخيه فعلم انه اتى من جهة شركه وطغيانه فتمنى لو لم يكن مشركا حتى لا يهلك الله بستانه ويجوز ان يكون توبة من الشرك وندما على ما كان منه ودخولا فى الايمان * وقرىء ولم يكن بالياء والتاء وحمل ينصرونه على المعنى دون اللفظ كقوله فئة تقاتل فى سبيل الله واخرى كافرة يرونهم (فان قلت) ما معنى قوله (ينصرونه من دون الله) (قلت) معناه يقدرون على نصرته من دون الله اى هو وحده القادر على نصرته لا يقدر احد غيره ان ينصره الا انه لم ينصره لصارف وهو استيجابه ان يخذل (وما كان منتصرا) وما كان ممتنعا بقوته عن انتقام الله (الولاية) بالفتح النصرة والتولى وبالكسر السلطان والملك وقد قرىء بهما والمعنى هنالك اى فى ذلك المقام وتلك الحال النصرة لله وحده لا يملكها غيره ولا يستطيعها احد سواه تقريرا لقوله ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله او هنالك السلطان والملك لله لا يغلب ولا يمتنع منه او فى مثل تلك الحال الشديدة يتولى الله ويؤمن به كل مضطر يعنى ان قوله ياليتنى لم اشرك بربى احدا كلمة ألجئ اليها فقالها جزعا مما دهاه من شؤم كفره ولولا ذلك لم يقلها ويجوز ان يكون المعنى هنالك الولاية لله ينصر فيها اولياءه المؤمنين على الكفرة وينتقم لهم ويشفى صدورهم من اعدائهم يعنى انه نصر فيما فعل بالكافر أخاه المؤمن وصدق قوله عسى ربى ان يؤتينى خيرا من جنتك ويرسل عليها حسبانا من السماء ويعضده قوله (خير ثوابا وخير عقبا) اى لاوليائه وقيل هنالك اشارة الى الآخرة اى فى تلك الدار الولاية لله كقوله لمن الملك اليوم * وقرىء الحق بالرفع والجر صفة للولاية ولله وقرأ عمرو بن عبيد بالنصب على التأكيد كقولك هذا عبد الله الحق لا الباطل وهي قراءة حسنة فصيحة وكان عمرو بن عبيد من أفصح الناس وانصحهم * وقرىء عقبا بضم القاف وسكونها وعقبى على فعلى وكلها بمعنى العاقبة (فاختلط به نبات الارض) فالتف بسببه وتكاثف حتى خالط بعضه بعضا وقيل نجع فى النبات الماء فاختلط به حتى روى ورف رفيفا وكان حق اللفظ على هذا التفسير فاختلط بنبات الارض ووجه صحته ان كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه * والهشيم ما تهشم وتحطم الواحدة هشيمة * وقرىء تذروه الريح عن ابن عباس تذريه الرياح من اذرى شبه حال الدنيا في نضرتها وبهجتها وما يتعقبها من الهلاك والفناء بحال النبات يكون اخضر وارقا ثم يهيج فتطيره الرياح كان لم يكن (وكان الله على كل شىء) من الانشاء والافناء (مقتدرا) * الباقيات الصالحات) اعمال الخير التي تبقى ثمرتها للانسان وتفنى عنه كل ما تطمح اليه نفسه من حظوظ الدنيا وقيل هي صلوات الخمس وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وعن قتادة كل ما اريد به وجه الله (خير ثوابا) اى ما يتعلق بها من الثواب وما يتعلق بها من الامل لان صاحبها يامل فى الدنيا ثواب الله ويصيبه فى الآخرة * قرىء تسير من سيرت ونسير من سيرنا وتسير من سارت اى تسير فى الجو او يذهب بها بان نجعل هباء منبثا * وقرىء وترى الارض على البناء للمفعول (بارزة) ليس عليها ما يسترها مما كان عليها (وحشرناهم) وجمعناهم الى الموقف * وقرىء فلم نغادر بالنون والياء يقال غادره واغدره اذا تركه ومنه الغدر ترك الوفاء والغدير ما غادره السيل * وشبهت حالهم بحال الجند المعروضين على السلطان (صفا) مصطفين ظاهرين يرى جماعتهم كما يرى كل واحد لا يحجب احد احدا (لقد جئتمونا) اى قلنا لهم لقد جئتمونا وهذا مضمر هو عامل النصب فى يوم نسير ويجوز ان ينصب باضمار اذكر والمعنى لقد بعثناكم كما انشأناكم (اول مرة) وقيل جئتمونا عراة لا شىء معكم كما خلقناكم اولا كقوله ولقد جئتمونا فرادى * (فان قلت) لم جيء بحشرناهم ماضيا بعد نسير وترى (قلت) للدلالة على ان حشرهم قبل التسيير وقبل البروز ليعاينوا تلك الاهوال العظائم كانه قيل وحشرناهم قبل ذلك (موعدا) وقتا لانجاز ما وعدتم على السنة الانبياء من البعث والنشور (الكتاب) للجنس وهو صحف الاعمال (ياويلتنا) ينادون هلكتهم التى

عروشها ويقول ياليتنى لم اشرك بربى احدا ولم تكن له فئة ينصرونه من دون الله وما كان منتصرا هنالك الولاية لله الحق هو خير ثوابا وخير عقبا واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء انزلناه من السماء فاختلط به نبات الارض فاصبح هشيما تذروه الرياح وكان الله على كل شىء مقتدرا المال والبنون زينة الحياة الدنيا والباقيات الصالحات خير عند ربك ثوابا وخير املا ويوم نسير الجبال وترى الارض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم احدا وعرضوا على ربك صفا لقد جئتمونا كما خلقناكم اول مرة بل زعمتم ان لن نجعل لكم موعدا ووضع الكتاب فترى المجرمين مشفقين مما فيه ويقولون ياويلتنا مال هذا الكتاب لا يغادر

* قوله تعالى هنالك الولاية لله الحق (قال قرىء بالرفع والجر صفة للولاية ولله تعالى الخ) قال أحمد وقد تقدم الانكار عليه فى مثل هذا القول فانه يوهم ان القراآت موكولة الى رأي الفصحاء واجتهاد البلغاء فيتفاوت فى الفصاحة لنفاوتهم فيها وهذا منكر شنيع والحق انه لا يجوز لاحد ان يقرأ الا بما سمعه فوعاه متصلا بفلق اليه صلى الله عليه وسلم منزلا كذلك من السماء فلا وقع لفصاحة الفصيح وانما هو ناقل كغيره ولكن الزمخشرى لا يفوت الثناء على رأس البدعة ومعدن الفتنة فان عمرو بن عبيد اول مصمم على انكار القدر وهلم جرا الى سائر البدع الاعتزالية فمن ثم اثنى عليه

هلكوها

هلكوها خاصة من بين الهلكات (صغيرة ولا كبيرة) هنة صغيرة ولا كبيرة وهي عبارة عن الاحاطة يعني لا يترك شيأ من المعاصي الا احصاها اى احصاها كلها كما تقول ما اعطاني قليلا ولا كثيرا لان الاشياء اما صغار واما كبار ويجوز ان يريد واما كان عندهم صغائر وكبائر وقيل لم يجتنبوا الكبائر فكتبت عليهم الصغائر وهي المناقشة وعن ابن عباس الصغيرة التبسم والكبيرة القهقهة وعن سعيد بن جبير الصغيرة المسيس والكبيرة الزنا وعن الفضيل كان اذا قرأها قال ضجوا والله من الصغائر قبل الكبائر (الا احصاها) الا ضبطها وحصرها (ووجدوا ما عملوا حاضرا) في الصحف عتيدا او جزاء ما عملوا (ولا يظلم ربك احدا) فيكتب عليه ما لم يعمل او يزيد في عقاب المستحق او يعذبه بغير جرم كما يزعم من ظلم الله في تعذيب اطفال المشركين بذنوب آبائهم (كان من الجن) كلام مستانف جار مجرى التعليل بعد استثناء ابليس من الساجدين كان قائلا قال ماله لم يسجد فقيل كان من الجن (ففسق عن امر ربه) والفاء للتسبيب ايضا جعل كونه من الجن سببا في فسقه لانه لو كان ملكا كسائر من سجد لآدم لم يفسق عن امر الله لان الملائكة معصومون البتة لا يجوز عليهم ما يجوز على الجن والانس كما قال لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون وهذا الكلام المعترض تعمد من الله تعالى لصيانة الملائكة عن وقوع شبهة في عصمتهم فما ابعد البون بين ما تعمده الله وبين قول من ضاده وزعم انه كان ملكا ورئيسا على الملائكة فعصى ولعن ومسخ شيطانا ثم وركه على ابن عباس ومعنى فسق عن امر ربه خرج عما امره به ربه من السجود قال * فواسقا عن قصدها جوائرا * او صار فاسقا كافرا بسبب امر ربه الذي هو قوله اسجدوا لآدم (افتتخذونه) الهمزة للانكار والتعجيب كانه قيل اعقيب ما وجد منه تتخذونه (وذريته اولياء من دوني) وتستبدلونهم بي بئس البدل من الله ابليس لمن استبدله فاطاعه بدل طاعته (ما اشهدتهم) وقرئ ما اشهدناهم يعني انكم اتخذتموهم شركاء لي في العبادة وانما كانوا يكونون شركاء فيها لو كانوا شركاء في الالهية فنفى مشاركتهم في الالهية بقوله ما اشهدتهم خلق السموات والارض لاعتضد بهم في خلقها (ولا خلق انفسهم) اى ولا اشهدت بعضهم خلق بعض كقوله ولا تقتلوا انفسكم (وما كنت متخذ المضلين) بمعنى وما كنت متخذهم (عضدا) اى اعوانا فوضع المضلين موضع الضمير ذما لهم بالاضلال فاذا لم يكونوا عضدا لي في الخلق فما لكم تتخذونهم شركاء لي في العبادة وقرئ وما كنت بالفتح الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمعنى وما صح لك الاعتضاد بهم وما ينبغي لك ان تعتز بهم وقرأ علي رضي الله عنه وما كنت متخذا المضلين بالتنوين على الاصل وقرأ الحسن عضدا بسكون الضاد ونقل ضمتها الى العين وقرئ عضدا بالفتح وسكون الضاد وعضدا بضمتين وعضدا بفتحتين جمع عاضد كخادم وخدم وراصد ورصد من عضده اذا قواه واعانه (يقول) بالياء والنون واضافة الشركاء اليه على زعمهم توبيخا لهم واراد الجن * والموبق المهلك من وبق يبق وبوقا ووبق يوبق وبقا اذا هلك واوبقه غيره ويجوز ان يكون مصدرا كالمورد والموعد يعني وجعلنا بينهم واديا من اودية جهنم هو مكان الهلاك والعذاب الشديد مشتركا يهلكون فيه جميعا وعن الحسن موبقا عداوة والمعنى عداوة هي في شدتها هلاك كقوله لا يكن حبك كلفا ولا بغضك تلفا وقال الفراء البين الوصل اى وجعلنا تواصلهم في الدنيا هلاكا يوم القيامة ويجوز ان يريد الملائكة وعزيرا وعيسى ومريم وبالموبق البرزخ البعيد اى وجعلنا بينهم امدا بعيدا تهلك فيه الاشواط لفرط بعده لانهم في قعر جهنم وهم في اعلى الجنان (فظنوا) فايقنوا (مواقعوها) مخالطوها واقعون فيها (مصرفا) معدلا قال * ازهير هل عن شيبة من مصرف * (اكثر شيء جدلا) اكثر الاشياء التي يتأتى منها الجدل ان فصلتها واحدا بعد واحد خصومة ومماراة بالباطل وانتصاب جدلا على التمييز يعني ان جدل الانسان اكثر من جدل كل شيء ونحوه فاذا هو خصيم مبين * أن الاولى نصب والثانية رفع وقبلها مضاف محذوف تقديره (وما منع الناس) الايمان والاستغفار (الا) انتظار (أن تاتيهم سنة الاولين) وهي الاهلاك (أو) انتظار أن (ياتيهم العذاب) يعني عذاب الآخرة (قبلا) عيانا وقرئ قبلا انواعا جمع قبيل وقبلا بفتحتين مستقبلا (ليدحضوا) ليزيلوا ويبطلوا من ادحاض القدم وهو ازلاقها وازالتها

صغيرة ولا كبيرة الا احصاها ووجدوا ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك احدا واذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن ففسق عن امر ربه أفتتخذونه وذريته اولياء من دوني وهم لكم عدو بئس للظالمين بدلا ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فدعوهم فلم يستجيبوا لهم وجعلنا بينهم موبقا ورأى المجرمون النار فظنوا انهم مواقعوها ولم يجدوا عنها مصرفا ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الانسان اكثر شيء جدلا وما منع الناس ان يؤمنوا اذ جاءهم الهدى ويستغفروا ربهم الا ان تاتيهم سنة الاولين او ياتيهم العذاب قبلا وما نرسل المرسلين الا مبشرين ومنذرين ويجادل الذين كفروا بالباطل ليدحضوا به الحق واتخذوا آياتي

(قال قوله تعالى كان من الجن مستانف تعليل لفسوقه الخ) قال احمد والحق معه في هذا الفصل غير ان قوله تعمده الله تعالى لفظة لا تروق ولا تليق فان التعمد انما يوصف به عرفا من يفعل في بعض الاحيان خطأ وفي بعضها تعمدا فاجتنابها

عن موطئها (وما انذروا) يجوز ان تكون ما موصولة و يكون الراجع من الصلة محذوفا اي وما انذروه من العذاب او مصدرية بمعنى وانذارهم * وقرئ هزأ بالسكون اي اتخذوها موضع استهزاء * وجدالهم قولهم للرسل ما انتم الا بشر مثلنا ولو شاء الله لانزل ملائكة وما اشبه ذلك (بآيات ربه) بالقرآن ولذلك رجع اليها الضمير مذكرا في قوله ان يفقهوه (فاعرض عنها) فلم يتذكر حين ذكر ولم يتدبر (ونسي) عاقبة (ماقدمت يداه) من الكفر والمعاصي غير مفكر فيها ولا ناظر في ان المسيء والمحسن لا بد لهما من جزاء ثم علل اعراضهم ونسيانهم بانهم مطبوع على قلوبهم وجمع بعد الافراد حملا على لفظ من ومعناه (فلن يهتدوا) فلا يكون منهم اهتداء البتة كانه محال منهم لشدة تصميمهم (ابدا) مدة التكليف كلها * واذا جزاء وجواب فدل على انتفاء اهتدائهم لدعوة الرسول بمعنى انهم جعلوا ما يجب ان يكون سبب وجود الاهتداء سببا في انتفائه وعلى أنه جواب للرسول على تقدير قوله مالي لا ادعوهم حرصا على اسلامهم فقيل وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا (الغفور) البليغ المغفرة (ذو الرحمة) الموصوف بالرحمة ثم استشهد على ذلك بترك مؤاخذة اهل مكة عاجلا من غير امهال مع افراطهم في عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (بل لهم موعد) وهو يوم بدر (لن يجدوا من دونه موئلا) منجى ولا ملجأ * يقال وأل اذا نجا ووأل اليه اذا لجأ اليه (وتلك القرى) يريد قرى الاولين من ثمود وقوم لوط وغيرهم اشار لهم اليها ليعتبروا تلك مبتدأ والقرى صفة لان اسماء الاشارة توصف باسماء الاجناس و (اهلكناهم) خبر ويجوز ان يكون تلك القرى نصبا باضمار اهلكنا على شريطة التفسير والمعنى وتلك اصحاب القرى اهلكناهم (لما ظلموا) مثل ظلم اهل مكة (وجعلنا لمهلكهم موعدا) وضربنا لاهلاكهم وقتا معلوما لا يتاخرون عنه كما ضربنا لاهل مكة يوم بدر والمهلك الاهلاك ووقته وقرئ لمهلكهم بفتح الميم واللام مفتوحة او مكسورة اي لهلاكهم او وقت والموعد وقت او مصدر (لفتاه) لعبده وفي الحديث ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي وقيل هو يوشع ابن نون وانما قيل فتاه لانه كان يخدمه ويتبعه وقيل كان يأخذ منه العلم * (فان قلت) (لا أبرح) ان كان بمعنى لا ازول من برح المكان فقد دل على الاقامة لا على السفر وان كان بمعنى لا ازال فلا بد من الخبر (قلت) هو بمعنى لا ازال وقد حذف الخبر لان الحال والكلام معا يدلان عليه اما الحال فلانها كانت حال سفر واما الكلام فلان قوله (حتى ابلغ مجمع البحرين) غاية مضروبة تستدعي ما هي غاية له فلا بد ان يكون المعنى لا ابرح اسير حتى ابلغ مجمع البحرين ووجه آخر وهو ان يكون المعنى لا يبرح مسيري حتى ابلغ على ان حتى ابلغ هو الخبر فلما حذف المضاف اقيم المضاف اليه مقامه وهو ضمير المتكلم فانقلب الفعل عن لفظ الغائب الى لفظ المتكلم وهو وجه لطيف ويجوز ان يكون المعنى لا ابرح ما انا عليه بمعنى ألزم المسير والطلب ولا اتركه ولا افارقه حتى ابلغ كما تقول لا ابرح المكان ومجمع البحرين المكان الذي وعد فيه موسى لقاء الخضر عليهما السلام وهو ملتقى بحري فارس والروم مما يلي المشرق وقيل طنجة وقيل افريقية ومن بدع التفاسير ان البحرين موسى والخضر لانهما كانا بحرين في العلم وقرئ مجمع بكسر الميم وهي في الشذوذ من يفعل كالمشرق والمطلع من يفعل (او امضي حقبا) او اسير زمانا طويلا والحقب ثمانون سنة وروي انه لما ظهر موسى على مصر مع بني اسرائيل واستقروا بها بعد هلاك القبط امره الله ان يذكر قومه النعمة فقام فيهم خطيبا فذكر نعمة الله وقال ان الله اصطفى نبيكم وكلمه فقالوا له قد علمنا هذا فاي الناس اعلم قال انا فعتب الله عليه حين لم يرد العلم الى الله فاوحي اليه بل اعلم منك عبد لي عند مجمع البحرين وهو الخضر وكان الخضر في ايام افريدون قبل موسى عليه السلام وكان على مقدمة ذي القرنين الاكبر وبقي الى ايام موسى وقيل ان موسى سال ربه اي عبادك احب اليك قال الذي يذكرني ولا ينساني قال فاي عبادك اقضي قال الذي يقضي بالحق ولا يتبع الهوى قال فاي عبادك اعلم قال الذي يبتغي علم الناس الى علمه عسى ان يصيب كلمة تدله على هدى او ترده عن ردى فقال ان كان في عبادك من هو اعلم مني فادللني عليه قال اعلم منك الخضر قال اين اطلبه قال على الساحل عند الصخرة قال يارب كيف لي به قال تاخذ حوتا في

وما انذروا هزوا ومن اظلم ممن ذكر بآيات ربه فاعرض عنها ونسي ماقدمت يداه انا جعلنا على قلوبهم اكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا وربك الغفور ذو الرحمة لو يؤاخذهم بما كسبوا لعجل لهم العذاب بل لهم موعد لن يجدوا من دونه موئلا وتلك القرى اهلكناهم لما ظلموا وجعلنا لمهلكهم موعدا واذ قال موسى لفتاه لاابرح حتى ابلغ مجمع البحرين او امضي حقبا فلما بلغا مجمع بينهما

في حق الله تعالى واجب والله الموفق

مكتل فحيث فقدته فهو هنالك فقال لفتاه اذا فقدت الحوت فاخبرني فذهبا يمشيان فرقد موسى فاضطرب الحوت ووقع في البحر فلما جاء وقت الغداء طلب موسى الحوت فاخبره فتاه بوقوعه في البحر فاتيا الصخرة فاذا رجل مسجى بثوبه فسلم عليه موسى فقال وأنى بارضنا السلام فعرفه نفسه فقال ياموسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه أنت وانت على علم علمكه الله لا اعلمه انا فلما ركبا السفينة جاء عصفور فوقع على حرفها فنقر في الماء فقال الخضر ما ينقص علمي وعلمك من علم الله مقدار ما اخذ هذا العصفور من البحر (نسيا حوتهما) اي نسيا تفقد امره وما يكون منه مما جعل امارة على الظفر بالطلبة وقيل نسي يوشع ان يقدمه ونسي موسى ان يامره فيه بشيء وقيل كان الحوت سمكة مملوحة وقيل ان يوشع حمل الحوت والخبز في المكتل فنزلا ليلة على شاطئ عين تسمى عين الحياة ونام موسى فلما اصاب السمكة برد الماء وروحه عاشت وروي انهما أكلا منها وقيل توضا يوشع من تلك العين فانتضح الماء على الحوت فعاش ووقع في الماء (سربا) أمسك الله جرية الماء على الحوت فصار عليه مثل الطاق وحصل منه في مثل السرب معجزة لموسى او للخضر (فلما جاوزا) الموعد وهو الصخرة لنسيان موسى تفقد امر الحوت وما كان منه ونسيان يوشع ان يذكر لموسى ما رأى من حياته ووقوعه في البحر وقيل سارا بعد مجاوزة الصخرة الليلة والغد الى الظهر والقي على موسى النصب والجوع حين جاوز الموعد ولم ينصب ولا جاع قبل ذلك فتذكر الحوت وطلبه وقوله (من سفرنا هذا) اشارة الى مسيرهما وراء الصخرة (فان قلت) كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى لكونه امارة لهما على الطلبة التي تناهضا من اجلها ولكونه معجزتين ثنتين وهما حياة السمكة المملوحة الماكول منها وقيل ما كانت الاشق سمكة وقيام الماء وانتصابه مثل الطاق ونفوذها في مثل السرب منه ثم كيف استمر به النسيان حتى خلفا الموعد وسارا مسيرة ليلة الى ظهر الغد وحتى طلب موسى عليه السلام الحوت (قلت) قد شغله الشيطان بوساوسه فذهب بفكره كل مذهب حتى اعتراه النسيان وانضم الى ذلك انه ضري بمشاهدة امثاله عند موسى عليه السلام من العجائب واستانس باخوانه فاعان الالف على قلة الاهتمام (ارأيت) بمعنى اخبرني (فان قلت) ما وجه التئام هذا الكلام فان كل واحد من ارأيت و (اذ أوينا) و (فاني نسيت الحوت) لا متعلق له (قلت) لما طلب موسى عليه السلام الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه الى تلك الغاية فدهش وطفق يسال موسى عليه السلام عن سبب ذلك كانه قال ارأيت ما دهاني اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت فحذف ذلك وقيل هي الصخرة التي دون نهر الزيت و (ان اذكره) بدل من الهاء في انسانيه اي وما انساني ذكره الا الشيطان وفي قراءة عبد الله ان اذكركه و (عجبا) ثاني مفعولي اتخذ مثل سربا يعني واتخذ سبيله سبيلا عجبا وهو كونه شبيه السرب او قال عجبا في آخر كلامه تعجبا من حاله في رؤية تلك العجيبة ونسيانه لها او مما رأى من المعجزتين وقوله وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره اعتراض بين المعطوف والمعطوف عليه وقيل ان عجبا حكاية لتعجب موسى عليه السلام وليس بذاك (ذلك) اشارة الى اتخاذه سبيلا اي ذلك الذي كنا نطلب لانه امارة الظفر بالطلبة من لقاء الخضر عليه السلام * قرئ نبغ بغير ياء في الوصل واثباتها احسن وهي قراءة ابي عمرو واما الوقف فالاكثر فيه طرح الياء اتباعا لخط المصحف (فارتدا) فرجعا في ادراجهما (قصصا) يقصان قصصا اي يتبعان آثارهما اتباعا او فارتدا مقتصين (رحمة من عندنا) هي الوحي والنبوة (من لدنا) مما يختص بنا من العلم وهو الاخبار عن الغيوب (رشدا) قرئ بفتحتين وبضمة وسكون اي علما ذا رشد ارشد به في ديني (فان قلت) اما دلت حاجته الى التعلم من آخر في عهده انه كما قيل موسى بن ميشا لا موسى بن عمران لان النبي يجب ان يكون اعلم اهل زمانه وامامهم

نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سربا فلما جاوزا قال لفتاه آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال ارأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت وما انسانيه الا الشيطان ان اذكره واتخذ سبيله في البحر عجبا قال ذلك ما كنا نبغ فارتدا على آثارهما قصصا فوجدا عبدا من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما قال له موسى هل اتبعك على ان تعلمن مما علمت رشدا قال انك لن تستطيع معي صبرا وكيف تصبر على ما لم تحط به

* قوله تعالى قال ارأيت اذ أوينا الى الصخرة فاني نسيت الحوت (قال ان قلت كيف نسي يوشع ذلك ومثله لا ينسى الخ) قال أحمد وقد ورد في الحديث ان موسى عليه السلام لم ينصب ولم يقل لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا الا منذ جاوز الموضع الذي حده الله تعالى له فلعل الحكمة في انساء الله تعالى ليوشع ان يتيقظ موسى عليه السلام لمنة الله تعالى على المسافر في طاعة وطلب علم بالتيسير عليه وحمل الاعباء عنه وتلك سنة الله الجارية في حق من صحت له نية في عبادة من العبادات ان ييسرها ويحمل عنه مؤنتها ويتكفل به مادام على تلك الحالة وموقع الايقاظ انه وجد بين حالة سفره للموعد وحالة مجاوزته بونا بينا والله اعلم وان كان موسى عليه السلام متيقظا لذلك فالمطلوب ايقاظ غيره من امته بل من امة محمد عليه الصلاة والسلام اذا قص عليهم القصة فما اورد الله تعالى قصص انبيائه ليسمر بها الناس ولكن ليشمر الخلق لتدبرها واقتباس انوارها ومنافعها عاجلا وآجلا والله أعلم

المرجوع اليه في ابواب الدين (قلت) لاغضاضة بالنبي في أخذ العلم من نبي مثله وانما يغض منه ان ياخذه ممن دونه وعن سعيد بن جبير انه قال لابن عباس ان نوفا ابن امرأة كعب يزعم ان الخضر ليس بصاحب موسى وان موسى هو موسى بن ميشا فقال كذب عدو الله * نفى استطاعة الصبر معه على وجه التأكيد كأنها مما لا يصح ولا يستقيم وعلل ذلك بانه يتولى امورا هي في ظاهرها مناكير والرجل الصالح فكيف اذا كان نبيا لا يتمالك ان يشمئز ويمتعض ويجزع اذا رأى ذلك ويأخذ في الانكار (خبرا) تمييز اي لم يحط به خبرك اولان لم تحط به بمعنى لم تخبره فنصبه نصب المصدر (ولا اعصي) في محل النصب عطف على صابرا اي ستجدني صابرا غير عاص اولا في محل عطفا على ستجدني رجا موسى عليه السلام لحرصه على العلم وازدياده ان يستطيع معه صبرا بعد افصاح الخضر عن حقيقة الامر فوعده بالصبر معلقا بمشيئة الله علما منه بشدة الامر وصعوبته وان الحمية التي تأخذ المصلح عند مشاهدة الفساد شيء لا يطاق هذا مع علمه ان النبي المعصوم الذي امره الله بالمسافرة اليه واتباعه واقتباس العلم منه بريء من ان يباشر ما فيه غميزة في الدين وانه لا بد لما يستسمج ظاهره من باطن حسن جميل فكيف اذا لم يعلم * قرىء فلا تسئلني بالنون الثقيلة يعني فمن شرط اتباعك لي انك اذا رأيت مني شيئا وقد علمت انه صحيح الا انه غبي عليك وجه صحته فحميت وانكرت في نفسك ان لا تفاتحني بالسؤال ولا تراجعني فيه حتى أكون انا الفاتح عليك وهذا من آداب المتعلم مع العالم والمتبوع مع التابع (فانطلقا) على ساحل البحر يطلبان السفينة فلما ركبا قال اهلها هما من اللصوص وامرهما بالخروج فقال صاحب السفينة ارى وجوه الانبياء وقيل عرفوا الخضر فحملوهما بغير نول فلما لججوا اخذ الخضر الفاس فخرق السفينة بان قلع لوحين من الواحها مما يلي الماء فجعل موسى يسد الخرق بثيابه ويقول (أخرقتها لتغرق اهلها) وقرىء لتغرق بالتشديد وليغرق اهلها من غرق واهلها مرفوع (جئت شيئا امرا) اتيت شيئا عظيما من امر الامر اذا عظم قال داهية دهياء ادا امرا (بما نسيت) بالذي نسيته او بشيء نسيته او بنسياني اراد انه نسي وصيته ولا مؤاخذة على الناسي اواخرج الكلام في معرض النهي عن المؤاخذة بالنسيان يوهمه انه قد نسي ليبسط عذره في الانكار وهو من معاريض الكلام التي يتقي بها الكذب مع التوصل الى الغرض كقول ابراهيم هذه اختي واني سقيم اواراد بالنسيان الترك اي لا تؤاخذني بما تركت من وصيتك اول مرة * يقال رهقه اذا غشيه وارهقه اياه اي ولا تغشني (عسرا) من امري وهو اتباعه اياه يعني ولا تعسر علي متابعتك ويسرها علي بالاغضاء وترك المناقشة وقرىء عسرا بضمتين (فقتله) قيل كان قتله فتل عنقه وقيل ضرب برأسه الحائط وعن سعيد بن جبير اضجعه ثم ذبحه بالسكين (فان قلت) لم قيل حتى اذا ركبا في السفينة خرقها بغير فاء وحتى اذا لقيا غلاما فقتله بالفاء (قلت) جعل خرقها جزاء للشرط وجعل قتله من جملة الشرط معطوفا عليه والجزاء قال أقتلت (فان قلت) فلم خولف بينهما (قلت) لان خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام * وقرىء زاكية وزكية وهي الطاهرة من الذنوب اما لانها طاهرة عنده لانه لم يرها قد اذنبت واما لانها صغيرة لم تبلغ الحنث (بغير نفس) يعني لم تقتل نفسا فيقتص منها وعن ابن عباس ان نجدة الحروري كتب اليه كيف جاز قتله وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتل الولدان فكتب اليه ان علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فلك ان تقتل (نكرا) وقرىء بضمتين وهو المنكر وقيل النكر اقل من الامر لان قتل نفس واحدة اهون من اغراق اهل السفينة وقيل معناه جئت شيئا انكر من الاول لان ذلك كان خرقا يمكن تداركه بالسد وهذا لا سبيل الى تداركه * (فان قلت) ما معنى زيادة لك (قلت) زيادة المكافحة بالعتاب على رفض الوصية والوسم بقلة الصبر عند الكرة الثانية (بعدها) بعد هذه الكرة او المسئلة (فلا تصاحبني) فلا تقاربني وان طلبت صحبتك فلا تتابعني على ذلك وقرىء فلا تصحبني فلا تكن صاحبي وقرىء فلا تصحبني اي فلا تصحبني اياك ولا تجعلني صاحبك (من لدني عذرا) قد اعذرت وقرىء لدني بتخفيف النون ولدني بسكون الدال وكسر النون كقولهم في عضد عضد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله اخي موسى استحيا فقال ذلك وقال رحمة الله علينا وعلى اخي موسى لو لبث مع صاحبه لابصر اعجب

خبرا قال ستجدني ان شاء الله صابرا ولا اعصي لك امرا قال فان اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى احدث لك منه ذكرا فانطلقا حتى اذا ركبا في السفينة خرقها قال اخرقتها لتغرق اهلها لقد جئت شيئا امرا قال الم اقل انك لن تستطيع معي صبرا قال لا تؤاخذني بما نسيت ولا ترهقني من امري عسرا فانطلقا حتى اذا لقيا غلاما فقتله قال اقتلت نفسا زكية بغير نفس لقد جئت شيئا نكرا قال الم اقل لك انك لن تستطيع معي صبرا قال ان سألتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني قد بلغت من لدني عذرا فانطلقا حتى اذا اتيا

* قوله تعالى قال انك لن تستطيع معي صبرا (قال نفى الاستطاعة على وجه التأكيد الخ) قال احمد ومما يدل على ان موسى عليه السلام انما حمله على المبادرة بالانكار الا انهاب والحمية للحق انه قال حين خرق السفينة أخرقتها لتغرق اهلها ولم يقل لتغرقنا فنسي نفسه واشتغل بغيره في الحالة التي كل احد فيها يقول نفسي نفسي لا يلوي على مال ولا ولد وتلك حالة الغرق فسبحان من جبل انبياءه واصفياءه على بصح الخلق والشفقة عليهم والرافة بهم صلوات الله عليهم اجمعين وسلامه

* قوله تعالى اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا (قال ان قلت قوله اردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها الخ) قال احمد وكانه جعل السبب في اعابتها كونها لمساكين ثم بين مناسبة هذا السبب للمسبب بذكر عادة الملك في غصب السفن وهذا هو حد الترتيب في التعليل ان يرتب الحكم على السبب ثم يوضح المناسبة فيما بعد فلا يحتاج الى جعله مقدما والنية تاخيره والله اعلم ولقد تاملت من فصاحة هذه الآي والمخالفة بينها في الاسلوب عجبا الا تراه في الاولى اسند الفعل الى ضميره خاصة بقوله فاردت ان اعيبها واسنده في الثانية الى ضمير الجماعة والمعظم نفسه في قوله فاردنا ان يبدلهما ربهما وخشينا ان يرهقهما ولعل اسناد الاول الى نفسه خاصة من باب الادب مع الله تعالى لان المراد ثم عيب فتادب بان نسب الاعابة الى نفسه واما اسناد الثاني الى الضمير المذكور فالظاهر انه من باب قول خواص الملك امرنا بكذا او دبرنا كذا وانما يعنون امر الملك ودبره ويدل على ذلك قوله في الثالثة اراد ربك ان يبلغا اشدهما فانظر كيف تغايرت هذه الاساليب ولم تات على نمط واحد مكرر يمجها السمع وينبو عنها ثم انطوت هذه المخالفة على رعاية الاسرار المذكورة فسبحان اللطيف الخبير

الاعاجيب (اهل قرية) هي انطاكية وقيل الابلة وهي ابعد ارض الله من السماء (ان يضيفوهما) وقرئ يضيفوهما يقال ضافه اذا كان له ضيفا وحقيقته مال اليه من ضاف السهم عن الغرض ونظيره زاره من الازورار واضافه وضيفه انزله وجعله ضيفه وعن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اهل قرية لئاما وقيل شر القرى التي لا يضاف الضيف فيها ولا يعرف لابن السبيل حقه (يريد ان ينقض) استعيرت الارادة للمداناة والمشارفة كما استعير الهم والعزم لذلك قال الراعي

في مهمه قلقت به هاماتها * قلق الفؤس اذا اردن نصولا

وقال

يريد الرمح صدر ابي براء * ويعدل عن دماء بني عقيل

وقال حسان

ان دهرا يلف شملي بجمل * لزمان يهم بالاحسان

وسمعت من يقول عزم السراج ان يطفأ وطلب ان يطفأ واذا كان القول والنطق والشكاية والصدق والكذب والسكوت والتمرد والاباء والعزة والطواعية وغير ذلك مستعارة للجماد ولما لا يعقل فما بال الارادة قال

اذا قالت الانساع للبطن الحق * تقول سني للنواة طني * لا ينطق اللهو حتى ينطق العود
وشكا الى بعبرة وتحمحم * فان يك ظني صادقا وهو صادقي * ولما سكت عن موسى الغضب
تمرد مارد وعز الابلق * وليعضهم باني على اجفانه اغفاؤه * هم اذا انقاد الهموم تمردا
ابت الروادف والثدي لقمصها * مس البطون وان تمس ظهورا

قالتا اتينا طائعين ولقد بلغني ان بعض المحرفين لكلام الله تعالى ممن لا يعلم كان يجعل الضمير للخضر لان ما كان فيه من آفة الجهل وسقم الفهم اراه اعلى الكلام طبقة ادناه منزلة فتمحل ليرده الى ما هو عنده اصح وافصح وعنده ان ما كان ابعد من المجاز كان ادخل في الاعجاز وانقض اذا اسرع سقوطه من انقضاض الطائر وهو ينفعل مطاوع قضضته وقيل افعل من النقض كاحمر من الحمرة وقرئ ان ينقض من النقض وان ينقاص من انقاصت السن اذا انشقت طولا قال ذو الرمة منقاص ومنكثب بالصاد غير معجمة (فاقامه) قيل اقامه بيده وقيل مسحه بيده فقام واستوى وقيل اقامه بعمود عمده به وقيل نقضه وبناه وقيل كان طول الجدار في السماء مائة ذراع كانت الحال حال اضطرار وافتقار الى المطعم وقد لزتهما الحاجة الى آخر كسب المرء وهو المسئلة فلم يجدا مواسيا فلما اقام الجدار لم يتمالك موسى لما رأى من الحرمان ومساس الحاجة ان (قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا) وطلبت على عملك جعلا حتى تنتعش وتستدفع به الضرورة وقرئ لتخذت والتاء في تخذ اصل كما في تبع واتخذ افتعل منه كاتبع من تبع وليس من الاخذ في شيء * (فان قلت) (هذا) اشارة الى ماذا (قلت) قد تصور فراق بينهما عند حلول ميعاده على ما قال موسى عليه السلام ان سالتك عن شيء بعدها فلا تصاحبني فاشار اليه وجعله مبتدأ واخبر عنه كما تقول هذا اخوك فلا يكون هذا اشارة الى غير الاخ ويجوز ان يكون اشارة الى السؤال الثالث اي هذا الاعتراض سبب الفراق والاصل هذا فراق بيني وبينك وقد قرأ به ابن ابي عبلة فاضيف المصدر الى الظرف كما يضاف الى المفعول به (لمساكين) قيل كانت لعشرة اخوة خمسة منهم زمنى وخمسة يعملون في البحر (وراءهم) امامهم كقوله تعالى ومن ورائهم برزخ وقيل خلفهم وكان طريقهم في رجوعهم عليه وما كان عندهم خبره فاعلم الله به الخضر وهو جلندى * (فان قلت) قوله فاردت ان اعيبها مسبب عن خوف الغصب عليها فكان حقه ان يتاخر عن السبب فلم قدم عليه (قلت) النية به التاخير وانما قدم للعناية ولان خوف الغصب ليس هو السبب وحده

اهل قرية استطعما اهلها فابوا ان يضيفوهما فوجدا فيها جدارا يريد ان ينقض فاقامه قال لو شئت لاتخذت عليه اجرا قال هذا فراق بيني وبينك سانبئك بتاويل ما لم تستطع عليه صبرا اما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فاردت ان اعيبها وكان وراءهم ملك ياخذ كل سفينة غصبا واما الغلام فكان ابواه مؤمنين

ولكن مع كونها للمساكين فكان بمنزلة قولك زيد ظني مقيم * وقيل في قراءة أبي وعبد الله كل سفينة صالحة * وقرأ الجحدري وكان أبواه مؤمنان على ان كان فيه ضمير الشان (فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا) فخفنا ان يغشى الوالدين المؤمنين طغيانا عليهما وكفرا لنعمتهما بعقوقه وسوء صنيعه ويلحق بهما شرا وبلاء او يقرن بايمانهما طغيانه وكفره فيجتمع في بيت واحد مؤمنان وطاغ كافر او يعديهما بدائه ويضلهما بضلاله فيرتدا بسببه ويطغيا او يكفرا بعد الايمان وانما خشي الخضر منه ذلك لان الله تعالى اعلمه بحاله واطلعه على سر امره وامره اياه بقتله كاخترامه لمفسدة عرفها في حياته وفي قراءة أبي فخاف ربك والمعنى فكره ربك كراهة من خاف سوء عاقبة الامر فغيره ويجوز ان يكون قوله فخشينا حكاية لقول الله تعالى بمعنى فكرهنا كقوله لاهب لك * وقرئ يبدلهما بالتشديد * والزكاة الطهارة والنقاء من الذنوب * والرحم الرحمة والعطف وروي انه ولدت لهما جارية تزوجها نبي فولدت نبيا هدى الله على يديه أمة من الامم وقيل ولدت سبعين نبيا وقيل أبدلهما ابنا مؤمنا مثلهما * قيل اسما الغلامين أصرم وصريم والغلام المقتول اسمه الحسين واختلف في الكنز فقيل مال مدفون من ذهب وفضة وقيل لوح من ذهب مكتوب فيه عجبت لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب وعجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح وعجبت لمن يؤمن بالحساب كيف يغفل وعجبت لمن يعرف الدنيا وتقلبها باهلها كيف يطمئن اليها لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل صحف فيها علم والظاهر لاطلاقه انه مال وعن قتادة احل الكنز لمن قبلنا وحرم علينا وحرمت الغنيمة عليهم وأحلت لنا أراد قوله تعالى والذين يكنزون الذهب والفضة (وكان ابوهما صالحا) اعتداد بصلاح ابيهما وحفظ لحقه فيهما وعن جعفر بن محمد الصادق كان بين الغلامين وبين الاب الذي حفظا فيه سبعة آباء وعن الحسين بن علي رضي الله تعالى عنهما انه قال لبعض الخوارج في كلام جرى بينهما بم حفظ الله الغلامين قال بصلاح ابيهما قال فابي وجدي خير منه فقال قد انبأنا الله انكم قوم خصمون (رحمة) مفعول له أو مصدر منصوب باراد ربك لانه في معنى رحمهما (وما فعلته) وما فعلت ما رأيت (عن امري) عن اجتهادي ورأيي وانما فعلته بامر الله * ذو القرنين هو الاسكندر الذي ملك الدنيا قيل ملكها مؤمنان ذو القرنين وسليمان وكافران نمروذ وبختنصر وكان بعد نمروذ واختلف فيه فقيل كان عبدا صالحا ملكه الله الارض واعطاه العلم والحكمة والبسه الهيبة وسخر له النور والظلمة فاذا سرى يهديه النور من امامه وتحوطه الظلمة من ورائه وقيل نبيا وقيل ملكا من الملائكة وعن عمر رضي الله عنه انه سمع رجلا يقول يا ذا القرنين فقال اللهم غفرا ما رضيتم ان تسموا باسماء الانبياء حتى تسميتم باسماء الملائكة وعن علي رضي الله عنه سخر له السحاب ومدت له الاسباب وبسط له النور وسئل عنه فقال احب الله فاحبه وساله ابن الكوا ما ذو القرنين أملك ام نبي فقال ليس بملك ولا نبي ولكن كان عبدا صالحا ضرب على قرنه الايمن في طاعة الله فمات ثم بعثه الله فضرب على قرنه الايسر فمات فبعثه الله فسمي ذا القرنين وفيكم مثله قيل كان يدعوهم الى التوحيد فيقتلونه فيحييه الله تعالى وعن النبي صلى الله عليه وسلم سمي ذا القرنين لانه طاف قرني الدنيا يعني جانبيها شرقها وغربها وقيل كان له قرنان اي ضفيرتان وقيل انقرض في وقته قرنان من الناس وعن وهب لانه ملك الروم وفارس وروى الروم والترك وعنه كانت صفحتا رأسه من نحاس وقيل كان لتاجه قرنان وقيل كان على رأسه ما يشبه القرنين ويجوز ان يلقب بذلك لشجاعته كما يسمى الشجاع كبشا لانه ينطح اقرانه وكان من الروم ولد عجوز ليس لها ولد غيره * والسائلون هم اليهود سالوه على جهة الامتحان وقيل ساله ابو جهل واشياعه والخطاب في (عليكم) لاحد الفريقين (من كل شيء) اي من اسباب كل شيء اراده من اغراضه ومقاصده في ملكه (سببا) طريقا موصلا اليه والسبب ما يتوصل به الى المقصود من علم او قدرة او آلة * فاراد بلوغ المغرب (فاتبع سببا) يوصله اليه حتى بلغ وكذلك أراد المشارق فاتبع سببا وأراد بلوغ السدين فاتبع سببا وقرئ فاتبع * قرئ حمئة من حمئت البئر اذا صارفيها الحماة وحامية بمعنى حارة وعن ابي ذر كنت رديف رسول الله صلى الله عليه وسلم على جمل فراى الشمس حين غابت فقال يا ابا ذر اتدري اين تغرب هذه فقلت الله ورسوله

فخشينا ان يرهقهما طغيانا وكفرا فاردنا ان يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة واقرب رحما واما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما وكان ابوهما صالحا فاراد ربك ان يبلغا اشدهما ويستخرجا كنزهما رحمة من ربك وما فعلته عن امري ذلك تاويل ما لم تسطع عليه صبرا ويسئلونك عن ذي القرنين قل ساتلوا عليكم منه ذكرا انا مكنا له في الارض وآتيناه من كل شيء سببا فاتبع سببا حتى اذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حمئة ووجد عندها قوما قلنا يا ذا القرنين اما ان تعذب واما ان تتخذ فيهم حسنا قال اما من ظلم فسوف نعذبه ثم يرد الى ربه فيعذبه عذابا نكرا

اعلم قال فانها تغرب فى عين حامية وهى قراءة ابن مسعود وطلحة وابن عمر وابن عمرو والحسن وقرأ ابن عباس حمئة وكان ابن عباس عند معاوية فقرأ معاوية حامية فقال ابن عباس حمئة فقال معاوية لعبد الله بن عمرو كيف تقرأ قال كما يقرأ أمير المؤمنين ثم وجه الى كعب الاحبار كيف تجد الشمس تغرب قال فى ماء وطين كذلك نجده فى التوراة وروى فى ثاط فوافق قول ابن عباس وكان ثمة رجل فانشد قول تبع

فرأى مغيب الشمس عند مآبها * فى عين ذى خلب وثاط حرمد

اى فى عين ماء ذى طين وحمأ أسود ولا تنافى بين الحمئة والحامية فجائز ان تكون العين جامعة للوصفين جميعا * كانوا كفرة فخيره الله بين ان يعذبهم بالقتل وان يدعوهم الى الاسلام فاختار الدعوة والاجتهاد فى استمالتهم * فقال اما من [illegible] ته فابى الا البقاء على الظلم العظيم الذى هو الشرك فذلك هو المعذب فى الدارين (واما من آمن وعمل) ما يقتضيه الايمان (فله جزاء الحسنى) وقيل خيره بين القتل والاسر وسماه احسانا فى مقابلة القتل فله جزاء الحسنى فله ان يجازى المثوبة الحسنى اوفله جزاء الفعلة الحسنى التى هى كلمة الشهادة وقرئ فله جزاء الحسنى اى فله الفعلة الحسنى جزاء وعن قتادة كان يطبخ من كفر فى القدور وهو العذاب النكر ومن آمن اعطاه وكساه (من امرنا يسرا) اى لا نامره بالصعب الشاق ولكن بالاسهل المتيسر من الزكاة والخراج وغير ذلك وتقديره ذا يسر كقوله قولا ميسورا وقرئ يسرا بضمتين * وقرئ مطلع بفتح اللام وهو مصدر * والمعنى بلغ مكان مطلع الشمس كقوله * كان مجر الرامسات ذيولها * يريد كان آثار مجر الرامسات (على قوم) قيل هم الزنج * والستر الابنية وعن كعب ارضهم لا تمسك الابنية وبها اسراب فاذا طلعت الشمس دخلوها فاذا ارتفع النهار خرجوا الى معايشهم وعن بعضهم خرجت حتى جاوزت الصين فسالت عن هؤلاء فقيل بينك وبينهم مسيرة يوم وليلة فبلغتهم فاذا احدهم يفرش اذنه ويلبس الاخرى ومعى صاحب يعرف لسانهم فقالوا له جئتنا تنظر كيف تطلع الشمس قال فبينا نحن كذلك اذ سمعنا كهيئة الصلصلة فغشى على ثم أفقت وهم يمسحوننى بالدهن فلما طلعت الشمس على الماء اذا هى فوق الماء كهيئة الزيت فادخلونا سربا لهم فلما ارتفع النهار خرجوا الى البحر فجعلوا يصطادون السمك ويطرحونه فى الشمس فينضج لهم وقيل الستر اللباس وعن مجاهد من لا يلبس الثياب من السودان عند مطلع الشمس اكثر من جميع أهل الارض (كذلك) اى أمر ذى القرنين كذلك اى كما وصفناه تعظيما لامره (وقد أحطنا بما لديه) من الجنود والآلات وأسباب الملك (خبرا) تكثيرا لذلك وقيل لم نجعل لهم من دونها سترا مثل ذلك الستر الذى جعلنا لكم من الجبال والحصون والابنية والاكنان من كل جنس والثياب من كل صنف وقيل بلغ مطلع الشمس مثل ذلك اى كما بلغ مغربها وقيل تطلع على قوم مثل ذلك القبيل الذى تغرب عليهم يعنى أنهم كفرة مثلهم وحكمهم مثل حكمهم فى تعذيبه لمن بقى منهم على الكفر واحسانه الى من آمن منهم (بين السدين) بين الجبلين وهما جبلان سد ذو القرنين ما بينهما قرئ بالضم والفتح وقيل ما كان من خلق الله تعالى فهو مضموم وما كان من عمل العباد فهو مفتوح لان السد بالضم فعل بمعنى مفعول اى هو مما فعله الله تعالى وخلقه والسد بالفتح مصدر حدث يحدثه الناس وانتصب بين على أنه مفعول به مبلوغ كما انجر على الاضافة فى قوله هذا فراق بينى وبينك وكما ارتفع فى قوله لقد تقطع بينكم لانه من الظروف التى تستعمل أسماء وظروفا وهذا المكان فى منقطع أرض الترك مما يلى المشرق (من دونهما قوما) هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) لا يكادون يفهمونه الا بجهد ومشقة من اشارة ونحوها كما يفهم البكم وقرئ يفقهون اى لا يفهمون السامع كلامهم ولا يبينونه لان لغتهم غريبة مجهولة (يأجوج ومأجوج) اسمان أعجميان بدليل منع الصرف وقرئا مهموزين وقرأ رؤبة آجوج وماجوج وهما من ولد يافث وقيل يأجوج من الترك ومأجوج من الجيل والديلم (مفسدون فى الارض) قيل كانوا يأكلون الناس وقيل كانوا يخرجون ايام الربيع فلا يتركون شيئا أخضر الا أكلوه ولا يابسا الا احتملوه وكانوا يلقون منهم قتلا وأذى شديدا وعن النبى صلى الله عليه وسلم فى صفتهم لا يموت أحد منهم حتى ينظر الى الف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح وقيل هم على صنفين طوال مفرطو الطول وقصار مفرطو القصر * قرئ خرجا

واما من آمن وعمل صالحا فله جزاء الحسنى وسنقول له من امرنا يسرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ مطلع الشمس وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا كذلك وقد احطنا بما لديه خبرا ثم اتبع سببا حتى اذا بلغ بين السدين وجد من دونهما قوما لا يكادون يفقهون قولا قالوا ياذا القرنين ان يأجوج ومأجوج مفسدون فى الارض فهل نجعل لك خرجا على ان تجعل بيننا وبينهم سدا قال

ما مكني فيه ربي خير فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما آتوني زبر الحديد حتى اذا ساوى بين الصدفين قال انفخوا حتى اذا جعله نارا قال آتوني افرغ عليه قطرا فما اسطاعوا ان يظهروه وما استطاعوا له نقبا قال هذا رحمة من ربي فاذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض ونفخ فى الصور فجمعناهم جمعا وعرضنا جهنم يومئذ للكافرين عرضا الذين كانت اعينهم فى غطاء عن ذكرى وكانوا لا يستطيعون سمعا افحسب الذين كفروا ان يتخذوا عبادى من دونى اولياء انا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا اولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت اعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا واتخذوا آياتي ورسلى هزوا

وخراجا اى جعلا نخرجه من اموالنا ونظيرهما النول والنوال * وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم (ما مكني فيه ربي خير) ما جعلني فيه مكينا من كثرة المال واليسار خير مما تبذلون لى من الخراج فلا حاجة بي اليه كما قال سليمان صلوات الله عليه فما آتاني الله خير مما آتاكم قرئ بالادغام وبفكه (فاعينوني بقوة) بفعلة وصناع يحسنون البناء والعمل وبالآلات (ردما) حاجزا حصينا موثقا والردم اكبر من السد من قولهم ثوب مردم رقاع فوق رقاع * قيل حفر الاساس حتى بلغ الماء وجعل الاساس من الصخر والنحاس المذاب والبنيان من زبر الحديد بينهما الحطب والفحم حتى سد ما بين الجبلين الى اعلاهما ثم وضع المنافيخ حتى اذا صارت كالنار صب النحاس المذاب على الحديد المحمى فاختلط والتصق بعضه ببعض وصار جبلا صلدا وقيل بعد ما بين السدين مائة فرسخ * وقرئ سوى وسووى وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا اخبره به فقال كيف رأيته قال كالبرد المحبر طريقة سوداء وطريقة حمراء قال قد رأيته * والصدفان بفتحتين جانبا الجبلين لانهما يتصادفان اى يتقابلان وقرئ الصدفين بضمتين والصدفين بضمة وسكون والصدفين بفتحة وضمة * والقطر النحاس المذاب لانه يقطر (قطرا) منصوب بافرغ وتقديره آتوني قطرا افرغ عليه قطرا فحذف الاول لدلالة الثاني عليه * وقرئ قال ائتوني اى جيئوني (فما اسطاعوا) بحذف التاء للخفة لان التاء قريبة المخرج من الطاء وقرئ فما اصطاعوا بقلب السين صادا واما من قرأ بادغام التاء فى الطاء فملاق بين ساكنين على غير الحد (ان يظهروه) ان يعلوه اى لا حيلة لهم فيه من صعود لارتفاعه وانملاسه ولا نقب لصلابته وثخانته (هذا) اشارة الى السد اى هذا السد نعمة من الله و(رحمة) على عباده او هذا الاقدار والتمكين من تسويته (فاذا جاء وعد ربي) يعني فاذا دنا مجيء يوم القيامة وشارف ان يأتي * جعل السد (دكا) اى مدكوكا مبسوطا مسوى بالارض وكل ما انبسط من بعد ارتفاع فقد اندك ومنه الجمل الادك المنبسط السنام وقرئ دكاء بالمد اى ارضا مستوية (وكان وعد ربي حقا) آخر حكاية قول ذى القرنين (وتركنا) وجعلنا (بعضهم) بعض الخلق (يموج فى بعض) اى يضطربون ويختلطون انسهم وجنهم حيارى ويجوز ان يكون الضمير ليأجوج ومأجوج وانهم يموجون حين يخرجون مما وراء السد مزدحمين فى البلاد وروى يأتون البحر فيشربون ماءه ويأكلون دوابه ثم يأكلون الشجر ومن ظفروا به ممن لم يتحصن منهم من الناس ولا يقدرون ان يأتوا مكة والمدينة وبيت المقدس ثم يبعث الله نغفا فى اقفائهم فيدخل فى آذانهم فيموتون (وعرضنا جهنم) وبرزناها لهم فرأوها وشاهدوها (عن ذكرى) عن آياتي التي ينظر اليها فاذكر بالتعظيم او عن القرآن وتأمل معانيه وتبصرها ونحوه صم بكم عمي (وكانوا لا يستطيعون سمعا) يعني وكانوا صما عنه الا انه ابلغ لان الاصم قد يستطيع السمع اذا صيح به وهؤلاء كانهم اصميت اسماعهم فلا استطاعة بهم للسمع (عبادى من دونى اولياء) هم الملائكة يعني انهم لا يكونون لهم اولياء كما حكى عنهم سبحانك انت ولينا من دونهم * وقرأ ابن مسعود افظن الذين كفروا وقراءة على رضي الله عنه افحسب الذين كفروا اى افكافيهم وحسبهم ان يتخذوهم اولياء على الابتداء والخبر او على الفعل والفاعل لان اسم الفاعل اذا اعتمد على الهمزة ساوى الفعل فى العمل كقولك أقائم الزيدان والمعنى ان ذلك لا يكفيهم ولا ينفعهم عند الله كما حسبوا وهي قراءة محكمة جيدة * النزل ما يقام للنزيل وهو الضيف ونحوه فبشرهم بعذاب اليم (ضل سعيهم) ضاع وبطل وهم الرهبان عن على رضي الله عنه كقوله عاملة ناصبة وعن مجاهد اهل الكتاب وعن على رضي الله عنه ان ابن الكوا ساله عنهم فقال منهم اهل حروراء وعن ابى سعيد الخدرى يأتي ناس باعمال يوم القيامة هي عندهم فى العظم كجبال تهامة فاذا وزنوها لم تزن شيئا (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) فنزدرى بهم ولا يكون لهم عندنا وزن ومقدار وقيل لا يقام لهم ميزان لان الميزان انما يوضع لاهل الحسنات والسيئات من الموحدين وقرئ فلا يقيم بالياء (فان قلت) الذين ضل سعيهم فى اى محل هو (قلت) الاوجه ان يكون فى محل الرفع على هم الذين ضل سعيهم لانه جواب عن السؤال ويجوز ان يكون نصبا على الذم او جرا على البدل (جهنم) عطف بيان لقوله جزاؤهم * الحول التحول يقال حال من مكانه حولا كقولك عادنى حبها عودا

يعني

ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلا خالدين فيها لا يبغون عنها حولا قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل ان تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا

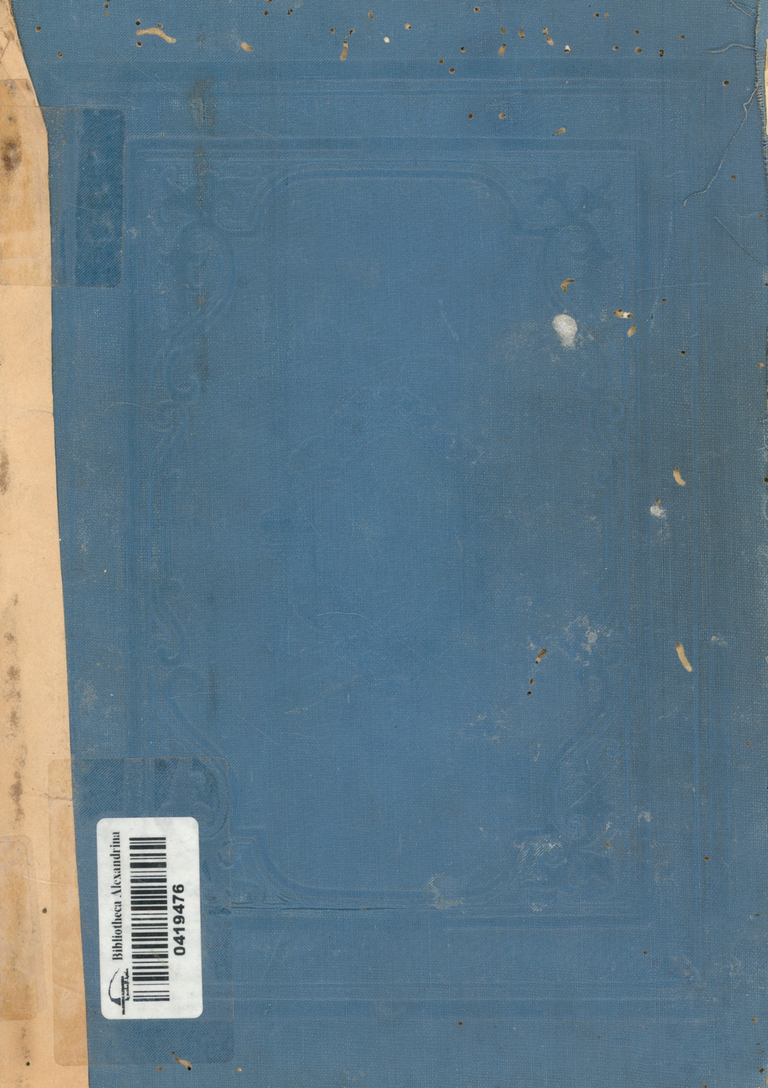
يعني لامزيد عليها حتى تنازعهم انفسهم الى اجمع لاغراضهم وامانيهم وهذه غاية الوصف لان الانسان في الدنيا في اي نعيم كان فهو طامح الطرف الى ارفع منه ويجوز ان يراد نفي التحويل وتأكيد الخلود * المداد اسم ما تمد به الدواة من الحبر وما يمد به السراج من السليط ويقال السماد مداد الارض والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها والمراد بالبحر الجنس (لنفد البحر قبل ان تنفد) الكلمات (ولو جئنا بمثل البحر مدادا لنفد ايضا والكلمات غير نافدة و(مددا) تمييز كقولك لي مثله رجلا والمدد مثل المداد وهو ما يمد به وعن ابن عباس رضي الله عنه بمثله مدادا وقرأ الاعرج مددا بكسر الميم جمع مدة وهي ما يستمده الكاتب فيكتب به وقرئ ينفد بالياء وقيل قال حيي بن اخطب في كتابكم ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا ثم تقرؤن وما اوتيتم من العلم الا قليلا فنزلت يعني ان ذلك خير كثير ولكنه قطرة من بحر كلمات الله (فمن كان يرجوا لقاء ربه) فمن كان يؤمل حسن لقاء ربه وان يلقاه لقاء رضا وقبول وقد فسرنا اللقاء او فمن كان يخاف سوء لقائه * والمراد بالنهي عن الاشراك بالعبادة ان لا يرائي بعمله وان لا يبتغي به الا وجه ربه خالصا لا يخالط به غيره وقيل نزلت في جندب بن زهير قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني اعمل العمل لله فاذا اطلع عليه سرني فقال ان الله لا يقبل ما شورك فيه وروي انه قال لك اجران أجر السر واجر العلانية وذلك اذا قصد أن يقتدى به وعنه صلى الله عليه وسلم اتقوا الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الرياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الكهف من آخرها كانت له نورا من قرنه الى قدمه ومن قرأها كلها كانت له نورا من الارض الى السماء وعنه صلى الله عليه وسلم من قرأ عند مضجعه قل انما انا بشر مثلكم كان له من مضجعه نورا يتلألأ الى مكة حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يقوم وان كان مضجعه بمكة كان له نورا يتلألأ من مضجعه الى البيت المعمور حشو ذلك النور ملائكة يصلون عليه حتى يستيقظ والله اعلم

تم الجزء الاول ويليه الجزء الثاني اوله سورة مريم

(فهرست الجزء الاول من الكشاف)

صحيفة

(تمت)


Bibliotheca Alexandrina
04419476